كتاب التسهيل

لعلوم التنزيل

للشيخ الإمام الثقة الحافظ المفسر الإمام العالم

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي

نفعنا الله به وبعلمه والمسلمين آمين

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت

الطبعة الثانية
١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

Marfat.com

كتاب التسهيل

لعلوم التنزيل

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

محمد بن احمد بن جزي الكلبي

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

الجزء الأول

الناشر

دار الكتاب العربي

بيروت . لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

13528٤

قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العلم العلامة ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، أبو عبدالله محمد المدعو بالقاسم ابن أحمد بن محمد بن جزيّ الكلبي ، رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه ، بحرمة النبي الأوّاه :

الحمد لله العزيز الوهاب ، مالك الملوك ورب الأرباب ، هو الذي أنزل على عبده الكتاب ، هدى وذكرى لأولى الألباب ، وأودعه من العلوم النافعة ، والبراهين القاطعة : غاية الحكمة وفصل الخطاب ؛ وخصصه من الخصائص العلية ، واللطائف الخفية ، والدلائل الجلية ، والأسرار الربانية ، العجب بكل عجب عجاب ؛ وجعله فى الطبقة العليا من البيان ، حتى أعجز الإنسان والجان ، واعترف علماء أرباب اللسان بما تضمنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب ؛ ويسر حفظه فى الصدور ، وضمن حفظه من التبديل والتغيير ، فلم يتغير ولا يتغير على طول الدهور وتوالى الأحقاب ؛ وجعله قولا فصلا ، وحكما عدلا ، وآية بادية ، ومعجزة باقية : يشاهدها من شهد الوحى ومن غاب ؛ وتقوم بها الحجة للمؤمن الأوّاب ، والحجة على الكافر المرتاب ؛ وهدى الخلق بما شرع فيه من الأحكام ، وبين الحلال والحرام ، وعلم من شعائر الإسلام ، وصرف من النواهى والأوامر والمواعظ والزواجر ، والبشارة بالثواب ، والنذارة بالعقاب ، وجعل أهل القرآن أهل الله وخاصته ، واصطفاهم من عباده ، وأورثهم الجنة وحسن المآب . فسبحان مولانا الكريم الذى خصنا بكتابه ، وشرفنا بخطابه ، فياله من نعمة سابغة ، وحجة بالغة ، أوزعنا الله الكريم القيام بواجب شكرها ، وتوفية حقها ، ومعرفة قدرها ، وما توفيقى إلا بالله ، هو ربى لا إله إلا هو ، عليه توكلت وإليه متاب . وصلاة الله وسلامه ، وتحياته وبركاته وإكرامه ، على من دلنا على الله ، وبلغنا رسالة الله ، وجاءنا بالقرآن العظيم ، وبالآيات والذكر الحكيم ، وجاهد فى الله حق الجهاد ، وبذل جهده فى الحرص على نجاة العباد ، وعلم ونصح وبين وأوضح حتى قامت الحجة ، ولاحت المحجة ، وتبين الرشد من الغىّ ، وظهر طريق الحق والصواب ، وانقشعت ظلمات الشك والارتياب . ذلك : سيدنا ومولانا محمد النبى الأمى ، القرشى الهاشمى ، المختار من لباب اللباب ، والمصطفى من أطهر الأنساب ، وأشرف الأحساب ، الذى أيده الله بالمعجزات الظاهرة ، والجنود القاهرة ، والسيوف الباترة الغضاب ، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة ، وجعله قائداً للغر المحجلين والوجوه الناضرة ، فهو أول من يشفع يوم الحساب ، وأول من يدخل الجنة ويقرع الباب ، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، وأصحابه الأكرمين ، خير أهل وأصحاب ، صلاة زاكية نامية ، لا يحصر مقدارها العد والحساب ، ولا يبلغ إلى أدنى وصفها ألسنة البلغاء ولا أقلام الكتاب .

أما بعد ؛ فإن علم القرآن العظيم : هو أرفع العلوم قدرا . وأجلها خطرا ، وأعظمها أجراً ، وأشرفها ذكرا وأن الله أنعم علىّ بأن شغلنى بخدمة القرآن ، وتعلمه وتعليمه ، وشغفنى بتفهم معانيه وتحصيل علومه ، فاطلعت

على ماصنف العلماء رضى الله عنهم فى تفسير القرآن من التصانيف المختلفة الأوصاف ، المتباينة الأصناف ، فنهم من آثر الاختصار ، ومنهم من طوّل حتى كثر الأسفار ، ومنهم من تكلم فى بعض فنون العلم دون بعض ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس ، ومنهم من عوّل على النظر والتحقيق والتدقيق ، وكل أحد سلك طريقا نحاه ، وذهب مذهبا ارتضاه ، وكلا وعد الله الحسنى ، فرغبت فى سلوك طريقهم ، والانخراط فى مساق فريقهم ، وصنفت هذا الكتاب فى تفسير القرآن العظيم ، وسائر مايتعلق به من العلوم ، وسلكت مسلكا نافعا ، إذ جعلته وجيزا جامعا ، قصدت به أربع مقاصد : تتضمن أربع فوائد : (الفائدة الأولى) جمع كثير من العلم ، فى كتاب صغير الحجم ؛ تسهيلا على الطالبين ، وتقريبا على الراغبين ؛ فلقد احتوى هذا الكتاب على ماتضمنته الدواوين الطويلة من العلم ، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها ، وتنقيح فصولها ، وحذف حشوها وفضولها ؛ ولقد أودعته من كل فنّ من فنون علم القرآن : اللباب المرغوب فيه ، دون القشر المرغوب عنه ، من غير إفراط ولا تفريط . ثم إنى عزمت على إيجاز العبارة ، وإفراط الاختصار ، وترك التطويل والتكرار (الفائدة الثانية) ذكر نكت عجيبة ، وفوائد غريبة ، قلما توجد فى كتاب ؛ لأنها من نبات صدرى ، وينابيع ذكرى . ومما أخذته عن شيوخى رضى الله عنهم ، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر ، الواقعة فى غرائب الدفاتر (الفائدة الثالثة) إيضاح المشكلات ، إما بحل العقد المقفلات ، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات ، وبيان المجملات (الفائدة الرابعة) تحقيق أقوال المفسرين ، السقيم منها والصحيح ، وتمييز الراجح من المرجوح . وذلك أن أقوال الناس على مراتب : فمنها الصحيح الذى يعوّل عليه ، ومنها الباطل الذى لا يلتفت إليه ، ومنها مايحتمل الصحة والفساد . ثم إنّ هذا الاحتمال قد يكون متساويا أو متفاوتا ، والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيرا ، وإنى جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة ، تعرف بها كل مرتبة وكل قول : فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل ، ثم ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد ، ثم ما أقول إن غيره أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر ثم ما أقدم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدم أو بالقول فيه : قيل كذا ، قصدا للخروج من عهدته ، وأما إذا صرحت باسم قائل القول ؛ فإنى أفعل ذلك لأحد أمرين : إما للخروج عن عهدته ، وإما لنصرته إذا كان قائله ممن يقتدى به ، على أنى لست أنسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلا ، وذلك لقلة صحة إسنادها إليهم ، أو لاختلاف الناقلين فى نسبتها إليهم ، وأما إذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد ؛ فذلك إشارة إلى أنى أتقلده وأرتضيه سواء كان من تلقاء نفسى ، أو مما أختاره من كلام غيرى ، وإذا كان القول فى غاية السقوط والبطلان ؛ لم أذكره تنزيها للكتاب ، وربما ذكرته تحذيرا منه ، وهذا الذى من الترجيح والتصحيح مبنىّ على القواعد العلمية ، أو ماتقتضيه اللغة العربية ، وسنذكر بعد هذا بابا فى موجبات الترجيح بين الأقوال إن شاء الله . وسميته ﴿كتاب التسهيل : لعلوم التنزيل﴾ وقدمت فى أوله مقدمتين : إحداهما فى أبواب نافعة ، وقواعد كلية جامعة ؛ والأخرى فيما كثر دوره من اللغات الواقعة . وأنا أرغب إلى الله العظيم الكريم : أن يجعل تصنيف هذا الكتاب عملا مبرورا ، وسعيا مشكورا ، ووسيلة توصلنى إلى جنات النعيم ، وتنقذنى من عذاب الجحيم . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

المقدمة الاولى : فيها إثنا عشر بابا

الباب الأول : فى نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول مابعثه الله بمكة وهو ابن أربعين سنة إلى أن هاجر إلى المدينة ، ثم نزل عليه بالمدينة إلى أن توفاه الله ، فكانت مدة نزوله عليه عشرون سنة ، وقيل كانت ثلاث وعشرين سنة على حسب الاختلاف فى سنه صلى الله عليه وسلم يوم توفى ، هل كان ابن ستين سنة ، أو ثلاث وستين سنة ؟ وكان ربما تنزل عليه سورة كاملة ، وربما تنزل عليه آيات مفترقات ، فيضم عليه السلام بعضها إلى بعض حتى تكمل السورة ، وأول مانزل عليه من القرآن : صدر سورة العلق ، ثم المدثر والمزمل ، وقيل أول مانزل المدثر وقيل فاتحة الكتاب ، والأول هو الصحيح ؛ لما ورد فى الحديث الصحيح ، عن عائشة فى حديثها الطويل فى ابتداء الوحى قالت فيه : جاءه الملك وهو بغار حراء ، قال اقرأ ، قال ماأنا بقارئ ، قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال اقرأ ، قلت ماأنا بقارئ ، قال فأخذنى فغطنى الثانية ، حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال اقرأ ، قلت ماأنا بقارئ ، قال فأخذنى وغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، ثم قال . اقرأ بسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فقال زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه مايجد من الروع ، وفى رواية من طريق جابر ابن عبد الله : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زملونى فأنزل الله تعالى « يأيها المزمل » ، وآخر مانزل « إذا جاء نصر الله والفتح » وقيل آية الزنى التى فى البقرة ، وقيل الآية قبلها . وكان القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرق فى الصحف وفى صدور الرجال ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قعد علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى بيته ، فجمعه على ترتيب نزوله ، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير ، ولكنه لم يوجد . فلما قتل جماعة من الصحابة يوم اليمامة فى قتال مسيلمة الكذاب ؛ أشار عمر بن الخطاب على أبى بكر الصديق رضى الله عنهما بجمع القرآن : مخافة أن يذهب بموت القراء . فجمعه فى صحف غير مرتب السور وبقيت تلك الصحف عند أبى بكر ، ثم عند عمر بعده ، ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين ، وانتشرت فى خلال ذلك صحف كتبت فى الآفاق عن الصحابة ، وكان بينها اختلاف ، فأشار حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، فجمع الناس على مصحف واحد خيفة من اختلافهم ، فانتدب لذلك عثمان ، وأمر زيد بن ثابت فجمعه ، وجعل معه ثلاثة من قريش : عبد الله بن الزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسعيد بن العاصى بن أمية ، وقال لهم إذا اختلفتم فى شيء فاجعلوه بلغة قريش ، وجعلوا المصحف الذى كان عند حفصة إماما فى هذا الجمع الأخير ، وكان عثمان رضى الله عنه يتعهدهم ويشاركهم فى ذلك ، فلما كمل المصحف نسخ عثمان رضى الله عنه منه نسخا ووجهها إلى الأمصار وأمر بما سواها أن تخرق أو تحرق « يروى بالحاء والخاء المنقوطة » فترتيب السور على ماهو الآن من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف ، وقد قيل إنه من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك ضعيف ترده الآثار الواردة فى ذلك ، وأما نقط القرآن وشكله فأول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك بن مروان وزاد الحجاج تحزيبه وقيل أول من نقطه يحيى بن يعمر وقيل أبو الأسود الدؤلى ، وأما وضع الأعشار فيه فقيل إن الحجاج فعل ذلك وقيل بل أمره به المأمون العباسى ، وأما أسماؤه فهى

Marfat.com

أربعة : القرآن ، والفرقان ، والكتاب ، والذكر . وسائر مايسمى صفات لا أسماء : كوصفه بالعظيم ، والكريم ، والمتين ، والعزيز ، والمجيد ، وغير ذلك . فأما القرآن : فأصله مصدر قرأ ، ثم أطلق على المقروء ، وأما الفرقان : فمصدر أيضا معناه التفرقة بين الحق والباطل ، وأما الكتاب : فمصدر ثم أطلق على المكتوب ، وأما الذكر : فسمى القرآن به لما فيه من ذكر الله أومن التذكير والمواعظ ، ويجوز فى السورة من القرآن الهمز ، وترك الهمز لغة قريش ، وأما الآية فأصلها العلامة ثم سميت الجملة من القرآن به لأنها علامة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم

الباب الثانى : فى السورة المكية والمدنية . اعلم أنّ السور المكية هى التى نزلت بمكة ويعد منها كل مانزل قبل الهجرة ، وإن نزل بغير مكة ، كما أنّ المدنية هى السورة التى نزلت بالمدينة ويعد منها كل مانزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة ، وتنقسم السور ثلاثة أقسام : قسم مدنية باتفاق ، وهى اثنان وعشرون سورة ، وهى : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، وبراءة ، والنور ، والأحزاب ، والقتال ، والفتح ، والحجرات ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والصف ، والجمعة ، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، والتحريم ، وإذاجاء نصرالله . وقسم فيها خلاف ، هل هى مكية أو مدنية ؟ وهى ثلاثة عشر سورةً : أم القرآن والرعد ، والنحل ، والحج ، والإنسان ، والمطففون ، والقدر ، ولم يكن ، وإذا زلزلت ، وأرأيت ، والإخلاص والمعوذتين . وقسم مكية باتفاق ، وهى سائر السور ، وقد وقعت آيات مدنية فى سور مكية ، كما وقعت آيات مكية فى سور مدنية ، وذلك قليل ، مختلف فى أكثره

واعلم أنّ السور المكية نزل أكثرها فى إثبات العقائد والرد على المشركين ، وفى قصص الأنبياء . وأنّ السور المدنية نزل أكثرها فى الأحكام الشرعية ، وفى الردّ على اليهود والنصارى ، وذكر المنافقين ، والفتوى فى مسائل ، وذكر غزوات النبى صلى الله عليه وسلم . وحيث ماورد : يأيها الذين آمنوا ؛ فهو مدنى ، وأما : يأيها الناس ، فقد وقع فى المكىّ والمدنىّ

الباب الثالث : فى المعانى والعلوم التى تضمنها القرآن . ولنتكلم فى ذلك على الجملة والتفصيل . أما الجملة ، فاعلم أنّ المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلي الدخول فى دينه ، ثم إنّ هذا القصد يقتضى أمرين ، لابد منهما ، وإليهما ترجع معانى القرآن كله : أحدهما بيان العبادة التى دعى الخلق إليها ، والأخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وترددهم إليها ، فأما العبادة فتنقسم إلى نوعين ، وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال ، وأما البواعث عليها فأمرين . وهما الترغيب والترهيب . وأما على التفصيل فاعلم أنّ معانى القرآن سبعة : وهى علم الربوبية ، والنبوة ، والمعاد ، والأحكام ، والوعد ، والوعيد والقصص . فأما علم الربوبية : فمنه إثبات وجود البارى جل جلاله ، والاستدلال عليه بمخلوقاته ، فكل ماجاء فى القرآن من التنبيه على المخلوقات ، والاعتبار فى خلقة الأرض والسموات ، والحيوان والنبات . والريح والأمطار ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، وغير ذلك من الموجودات ، فهو دليل على خالقه ، ومنه إثبات الوحدانية ، والرد على المشركين ، والتعريف بصفات الله : من الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر ، وغير ذلك من أسمائه وصفاته ، والتنزيه عما لايليق به . وأما النبوة : فإثبات نبوة الأنبياء عليهم السلام على العموم ، ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الخصوص ، وإثبات الكتب التى أنزلها الله عليهم ، ووجود الملائكة الذين

كان منهم وسائط بين الله وبينهم ، والرد على من كفر بشيء من ذلك ، وينخرط فى سلك هذا ما ورد فى القرآن من تأنيس النبى صلى الله عليه وسلم وكرامته والثناء عليه ، وسائر الأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجمعين . وأما المعاد فإثبات الحشر ، وإقامة البراهين ، والرد على من خالف فيه ، وذكر ما فى الدار الآخرة من الجنة والنار ، والحساب والميزان ، وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال ، ونحو ذلك . وأما الأحكام : فهى الأوامر والنواهى وتنقسم خمسة أنواع : واجب ، ومندوب ، وحرام ، ومكروه ، ومباح . ومنها ما يتعلق بالأبدان : كالصلاة والصيام ، وما يتعلق بالأموال كالزكاة ، وما يتعلق بالقلوب كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك . وأما الوعد : فمنه وعد بخير الدنيا من النصر والظهور وغير ذلك ، ومنه وعد بخير الآخرة وهو الأكثر كأوصاف الجنة ونعيمها . وأما الوعيد : فمنه تخويف بالعقاب فى الدنيا ، ومنه تخويف بالعقاب فى الآخرة وهو الأكثر : كأوصاف جهنم وعذابها ، وأوصاف القيامة وأهوالها ، وتأمل القرآن تجد الوعد مقرونا بالوعيد ، قد ذكر أحدهما على أثر ذكر الآخر ، ليجمع بين الترغيب والترهيب ، وليتبين أحدهما بالآخر ، كما قيل « فبضدها تتبين الأشياء » وأما القصص : فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم كقصة أصحاب الكهف ، وذى القرنين . فإن قيل : ما الحكمة فى تكرار قصص الأنبياء فى القرآن . فالجواب من ثلاثة أوجه الأول أنه ربما ذكر فى سورة من أخبار الأنبياء ما لم يذكره فى سورة أخرى ، ففى كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى : الثانى أنه ذكرت أخبار الأنبياء فى مواضع على طريقة الإطناب ، وفى مواضع على طريقة الإيجاز ، لتظهر فصاحة القرآن فى الطريقتين . الثالث أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد فتعدد ذكرها بتعدد تلك المقاصد ، فمن المقاصد بها إثبات نبوة الأنبياء المتقدمين بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات ، وذكر إهلاك من كذبهم بأنواع من المهالك . ومنها إثبات النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) ومنها إثبات الوحدانية . ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال (فما أغنت عنهم آلهتهم اللاتى يدعون من دون الله من شىء) ومنها الاعتبار فى قدرة الله وشدة عقابه لمن كفر . ومنها تسلية النبى صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه له بالتأسى بمن تقدم من الأنبياء : كقوله (ولقد كذبت رسل من قبلك) ومنها تسليته عليه السلام ووعده بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله . ومنها تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم ، إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ واحتجاج الأنبياء . وردهم على الكفار وغير ذلك . فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائد كثيرة : ذكرت فى مواضع كثيرة . ولكل مقام مقال

الباب الرابع : فى فنون العلم التى تتعلق بالقرآن . اعلم أن الكلام على القرآن يستدعى الكلام فى اثنى عشر فنا من العلوم ، وهى : التفسير ، والقراءات ، والأحكام ، والنسخ ، والحديث ، والقصص ، والتصوف ، وأصول الدين ، وأصول الفقه : واللغة ، والنحو ، والبيان . فأما التفسير فهو المقصود بنفسه وسائر هذه الفنون أدوات تعين عليه أو تتعلق به أو تتفرع منه ، ومعنى التفسير شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه . واعلم أن التفسير منه متفق عليه ومختلف فيه ، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع : الأول : اختلاف فى العبارة ، مع اتفاق فى المعنى : فهذا عده كثير من المؤلفين خلافا ، وليس فى الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه ، وجعلناه نحن قولا واحدا ، وعبرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين ، أو بما يقرب منها ،

Marfat.com

أو بما يجمع معانيها . الثانى اختلاف فى التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد ، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد ، وإنما المراد المعنى العام التى تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه فهذا عده أيضا كثير من المؤلفين خلافا ، وليس فى الحقيقة بخلاف ؛ لأن كل قول منها مثال ، وليس بكل المراد ، ولم نعده نحن خلافا : بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك تحتها ، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود . الثالث : اختلاف المعنى ؛ فهذا هو الذى عددناه خلافا ، ورجحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه فى خطبة الكتاب ؛ فإن قيل : ما الفرق بين التفسير والتأويل ؛ فالجواب أن فى ذلك ثلاثة أقوال : الأول أنهما بمعنى واحد . الثانى : أن التفسير للفظ ، والتأويل للمعنى . الثالث وهو الصواب : أن التفسير : هو الشرح ، والتأويل : هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذى يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره وأما القراءات : فإنها بمنزلة الرواية فى الحديث ، فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته ، ثم إن القراءات على قسمين : مشهورة . وشاذة . فالمشهورة : هى القراءات السبع وما جرى مجراها : كقراءة يعقوب . وابن محيصين . والشاذة ماسوى ذلك . وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع لوجهين : أحدهما أنها القراءة المستعملة فى بلادنا بالأندلس وسائر بلاد المغرب . والأخرى اقتداء بالمدينة شرفها الله لأنها قراءة أهل المدينة . وقال مالك بن أنس : قراءة نافع سنة . وذكرنا من سائر القراءة مافيها فائدة فى المعنى والإعراب وغير ذلك . دون مالا فائدة فيه زائدة . واستغنينا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة فى الكتب المؤلفة فيها . وقد ألفنا فيها كتبا نفع الله بها . وأيضا فإنا لما عزمنا فى هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه مالا تدعو إليه الضرورة وقد ذكرنا فى هذه المقدمات بابا فى قواعد أصول القراءات . وأما أحكام القرآن فهى ماورد فيه من الأوامر والنواهى . والمسائل الفقهية . وقال بعض العلماء إن آيات الأحكام خمسمائة آية . وقد تنتهى إلى أكثر من ذلك إذا استقصى تتبعها فى مواضعها . وقد صنف الناس فى أحكام القرآن تصانيف كثيرة . ومن أحسن تصانيف المشارقة فيها : تأليف إسماعيل القاضى وابن الحسن كياه ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس تأليف القاضى الإمام أبى بكر بن العربى والقاضى الحافظ بن محمد بن عبد المنعم ابن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس . وأما النسخ فهو يتعلق بالأحكام لأنها محل النسخ إذ لا تنسخ الأخبار ولا بد من معرفة ماوقع فى القرآن من الناسخ والمنسوخ ، والمحكم وهو مالم ينسخ . وقد صنف الناس فى ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة وأحسنها تأليف القاضى أبى بكر بن العربى . وقد ذكرنا فى هذه المقدمات بابا فى قواعد النسخ ، وذكر ماتقرر فى القرآن من المنسوخ ، وذكرنا سائره فى مواضعه ، وأما الحديث فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه لوجهين : الأول أن كثيرا من الآيات فى القرآن نزلت فى قوم مخصوصين ونزلت بأسباب قضايا وقعت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من الغزوات والنوازل والسؤالات ، ولا بد من معرفة ذلك ليعلم فيمن نزلت الآية وفيما نزلت ومتى نزلت فإن الناسخ يبنى على معرفة تاريخ النزول لأن المتأخر ناسخ للمتقدم . الثانى أنه ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم كثير من تفسير القرآن فيجب معرفته لأن قوله عليه السلام مقدم على أقوال الناس . وأما القصص فهى من جملة العلوم التى تضمنها القرآن فلا بد من تفسيره إلا أن الضرورى منه مايتوقف التفسير عليه . وما سوى ذلك زائد مستغنى عنه وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح . حتى أنهم ذكروا منه مالا يجوز ذكره مما فيه تقصير بمنصب

الأنبياء عليهم السلام أوحكاية مايجب تنزيههم عنه . وأما نحن فاقتصرنا فى هذا الكتاب من القصص على مايتوقف التفسير عليه وعلى ماورد منه فى الحديث الصحيح . وأما التصوف فله تعلق بالقرآن . لما ورد فى القرآن من المعارف الإلهية ورياضة النفوس . وتنوير القلوب . وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة . واجتناب الأخلاق الذميمة . وقد تكلمت المتصوفة فى تفسير القرآن . فنهم من أحسن وأجاد . ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعانى . ووقف على حقيقة المراد . ومنهم من توغل فى الباطنية وحمل القرآن على مالا تقتضيه اللغة العربية . وقد جمع أبو عبدالرحمن السلمى كلامهم فىالتفسير فى كتاب سماه « الحقائق » وقال بعض العلماء . بل هى البواطل . وإذا انتصفنا قلنا فيه حقائق وبواطل . وقد ذكرنا هذا فى كتاب مايستحسن من الإشارات الصوفية . دون مايعترض أو يقدح فيه . وتكلمنا أيضا على اثنى عشر مقاما من مقام التصوف فى مواضعها من القرآن : فتكلمنا على الشكر فى أم القرآن . لما بين الحمد والشكر من الاشتراك فى المعنى . وتكلمنا على التقوى فى قوله تعالى فى البقرة « هدى للمتقين » وعلى الذكر فى قوله فيها « فاذكرونى أذكركم » وعلى الصبر فى قوله تعالى « وبشر الصابرين » وعلى التوحيد فى قوله فيها « وإلهكم إله واحد » وعلى محبة الله فى قوله فيها « والذين آمنوا أشد حبا لله » وعلى التوكل فى قوله فى آل عمران « فإذا عزمت فتوكل على الله » وعلى المراقبة فى قوله فى النساء « إن الله كان عليكم رقيبا » وعلى الخوف والرجاء فى قوله فى الأعراف « وادعوه خوفا وطمعا » وعلى التوبة فى قوله فى النور « وتوبوا إلى الله جميعا » وعلى الإخلاص فى قوله فى لم يكن «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» وأما أصول الدين فيتعلق بالقرآن من طرفين : أحدهما : ماورد فى القرآن من إثبات العقائد وإقامة البراهين عليها . والرد على أصناف الكفار . والآخر : أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن وكل طائفة منهم تحتج لمذهبها بالقرآن وترد على من خالفها . وتزعم أنه خالف القرآن . ولاشك أن منهم المحق والمبطل . فمعرفة تفسير القرآن أن توصل فى ذلك إلى التحقيق مع التشديد والتأييد من الله والتوفيق . وأما أصول الفقه فإنها من أدوات تفسير القرآن . على أن كثيرا من المفسرين لم يشتغلوا بها . وإنها لنعم العون على فهم المعانى وترجيح الأقوال . وماأحوج المفسر إلى معرفة النص . والظاهر . والمجمل . والمبين . والعام . والخاص . والمطلق . والمقيد . وفحوى الخطاب . ولحن الخطاب . ودليل الخطاب . وشروط النسخ . ووجوه التعارض . وأسباب الخلاف . وغير ذلك من علم الأصول . وأما اللغة فلابد للمفسر من حفظ ماورد فى القرآن منها . وهى غريب القرآن وهى من فنون التفسير . وقد صنف الناس فى غريب القرآن تصانيف كثيرة . وقد ذكرنا بعد هذه المقدمة : مقدمة فى اللغات الكثيرة الدوران فى القرآن . لئلا نحتاج أن نذكرها حيث وقعت فيطول الكتاب بكثرة تكرارها . وأما النحو فلابد للمفسر من معرفته . فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى معرفة اللسان . والنحو ينقسم إلى قسمين : أحدهما عوامل الإعراب . وهى أحكام الكلام المركب . والآخر التصريف وهى أحكام الكلمات من قبل تركيبها . وقد ذكرنا فى هذا الكتاب من إعراب القرآن مايحتاج إليه من المشكل والمختلف . أو مايفيد فهم المعنى . أو مايختلف المعنى باختلافه ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذى لايحتاج إليه إلا المبتدئ فإن ذلك يطول بغير فائدة كبيرة . وأما علم البيان : فهو علم شريف تظهر به فصاحة القرآن . وقد ذكرنا منه فى هذا الكتاب فوائد فائقة . ونكت مستحسنة رائقة . وجعلنا فى المقدمات بابا فى أدوات البيان

Marfat.com

ليفهم به مايرد منها مفرقا فى مواضعه من القرآن

الباب الخامس : فى أسباب الخلاف بين المفسرين . والوجوه التى يرجح بها بين أقوالهم . فأما أسباب الخلاف فهى اثنى عشر : الأول اختلاف القرآن . الثانى اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات . الثالث اختلاف اللغويين فى معنى الكلمة . الرابع اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر . الخامس احتمال العموم والخصوص . السادس احتمال الإطلاق أو التقييد . السابع احتمال الحقيقة أو المجاز . الثامن احتمال الإضمار أو الاستقلال . التاسع احتمال الكلمة زائدة . العاشر احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير . الحادى عشر احتمال أن يكون الحكم منسوخا أو محكما . الثانى عشر اختلاف الرواية فى التفسير عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعن السلف رضى الله عنهم . وأما وجوه الترجيح فهى اثنى عشر الأول تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال . الثانى حديث النبى صلى الله عليه وسلم : فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شىء من القرآن عولنا عليه . لاسيما إن ورد فى الحديث الصحيح . الثالث أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين : فإن كثرة القائلين بالقول يقتضى ترجيحه . الرابع أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة . وعبد الله بن عباس . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل» الخامس أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق . السادس أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ماقبله أو مابعده . السابع أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه الثامن تقديم الحقيقة على المجاز . فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين . وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالا من الحقيقة ويسمى مجازا راجحا والحقيقة مرجوحة . وقد اختلف العلماء أيهما يقدم : فمذهب أبى حنيفة تقديم الحقيقة ، لأنها الأصل ومذهب أبى يوسف تقديم المجاز الراجح ؛ لرجحانه . وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح . التاسع تقديم العمومى على الخصوصى ؛ فإن العمومى أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص . العاشر تقديم الإطلاق على التقييد إلا أن يدل دليل على التقييد . الحادى عشر تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار . الثانى عشر حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير

الباب السادس : فى ذكر المفسرين . اعلم أن السلف الصالح انقسموا إلى فرقتين : فمنهم من فسر القرآن وتكلم فى معانيه . وهم الأكثرون . ومنهم من توقف عن الكلام فيه احتياطا لما ورد من التشديد فى ذلك . فقد قالت عائشة رضى الله عنها : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من القرآن الآيات إلا بعد علمه إياهن من جبريل . وقال صلى الله عليه وسلم : من قال فى القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ . وتأول المفسرون حديث عائشة رضى الله عنها بأنه فى مغيبات القرآن التى لا تعلم إلا بتوقيف من الله تعالى . وتأول الحديث الآخر بأنه فيمن تكلم فى القرآن بغير علم ولا أدوات ؛ لا فيمن تكلم فيما تقتضيه أدوات العلوم ونظر فى أقوال العلماء المتقدمين ؛ فإن هذا لم يقل فى القرآن برأيه . واعلم أن المفسرين على طبقات ؛ فالطبقة الأولى : الصحابة رضى الله عنهم . وأكثرهم كلاما فى التفسير ابن عباس . وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يثنى على تفسير ابن عباس . ويقول : كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق . وقال ابن عباس

ماعندى من تفسير القرآن فهو عن علىّ بن أبى طالب . ويتلوهما عبد الله بن مسعود . وأبىّ بن كعب . وزيد ابن ثابت . وعبد الله بن عمر بن الخطاب . وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وكلما جاء من التفسير عن الصحابة فهو حسن . والطبقة الثانية : التابعون . وأحسنهم كلاما فى التفسير الحسن بن الحسن البصرى . وسعيد بن جبير ومجاهد مولى ابن عباس . وعلقمة صاحب عبد الله بن مسعود . ويتلوهم : عكرمة . وقتادة . والسدى . والضحاك ابن مزاحم . وأبو صالح . وأبو العالية . ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خلف ، وألف الناس فيه : كالمفضل . وعبد الرزاق . وعبد بن حميد . والبخارى . وعلى بن أبى طلحة . وغيرهم . ثم إن محمد بن جرير الطبرى جمع أقوال المفسرين وأحسن النظر فيها . وممن صنف فى التفسير أشياء : أبو بكر النقاش . والثعلبى . والماوردى . إلا أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح . وقد استدرك الناس على بعضهم . وصنف أبو محمد بن قتيبة فى غريب القرآن ومشكله وكثير من علومه وصنف فى معانى القرآن جماعة من النحويين : كأبى إسحق الزجاج ، وأبى على الفارسى ، وأبى جعفر النحاس . وأما أهل المغرب والأندلس فصنف القاضى منذر بن سعيد البلوطى كتابا فى غريب القرآن وتفسيره . ثم صنف المقرئ أبو محمد مكى بن أبى طالب كتاب الهداية فى تفسير القرآن . وكتابا فى غريب القرآن . وكتابا فى ناسخ القرآن ومنسوخه . وكتابا فى إعراب القرآن . إلى غير ذلك من تآليفه . فإنها نحو ثمانين تأليفا : أكثرها فى علوم القرآن والقراءات والتفسير وغير ذلك . وأما أبو عمرو الدانى فتآليفه تنيف على مائة وعشرين . إلا أن أكثرها فى القرآن . ولم يؤلف فى التفسير إلا قليلا . وأما أبو العباس المهدى فمتقن التآليف . حسن الترتيب . جامع لفنون علوم القرآن : ثم جاء القاضيان أبو بكر بن العربى وأبو محمد عبد الحق بن عطية . فأبدع كل واحد وأجمل . واحتفل وأكمل . فأما ابن العربى فصنف كتاب «أنوار الفجر» فى غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن : فلما تلف تلافاه بكتاب «قانون التأويل» إلا أنه اخترمته المنية قبل تخليصه وتلخيصه . وألف فى سائر علوم القرآن تآليفا مفيدة وأما ابن عطية فكتابه فى التفسير أحسن التآليف وأعدلها . فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها . وهو مع ذلك حسن العبارة . مسدد النظر : محافظ على السنة . ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير . فلقد قطع عمره فى خدمة القرآن وآتاه الله بسطة فى علمه . وقوة فى فهمه . وله فيه تحقيق . ونظر دقيق . ومما بأيدينا من تآليف أهل المشرق تفسير ابن القاسم الزمخشرى فمسدد النظر بارع فى الإعراب متقن فى علم البيان . إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشرهم . وحمل آيات القرآن على طريقتهم . فتكدر صفوه . وتمرر حلوه . فخذ منه ماصفا ودع ما كدر . وأما القرنوى فكتابه مختصر . وفيه من التصوف نكت بديعة . وأما ابن الخطيب فتضمن كتابه مافى كتاب الزمخشرى وزاد عليه إشباع فى قواعد علم الكلام . ونمقه بترتيب المسائل . وتدقيق النظر فى بعض المواضع . وهو على الجملة كتاب كبير الجرم . ربما يحتاج إلى تلخيص . والله ينفع الجميع بخدمة كتابه . ويجزيهم أفضل ثوابه

الباب السابع فى الناسخ والمنسوخ : النسخ فى اللغة : هو الإزالة والنقل . ومعناه فى الشريعة : رفع الحكم الشرعى بعد ما نزل ، ووقع فى القرآن على ثلاثة أوجه : الأول نسخ اللفظ والمعنى كقوله (لاترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم) الثانى نسخ اللفظ دون المعنى كقوله (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) الثالث نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير وقع منه فى القرآن على ماعدّ بعض العلماء

مائتا موضع وثنتا عشرة مواضع منسوخة ، إلا أنهم عدوا التخصيص والتقييد نسخا ، والاستثناء نسخا ، وبين هذه الأشياء وبين النسخ : فروق معروفة ، وستتكلم على ذلك فى مواضعه . ونقدم هنا ماجاء من نسخ مسالمة الكفار والعفو عنهم والإعراض والصبر على أذاهم ، بالأمر بقتالهم ليغنى ذلك عن تكراره فى مواضعه ، فإنه وقع منه فى القرآن مائة آية وأربع عشرة آية من أربع وخمسين آية ، فى البقرة (وقولوا للناس حسنا) (ولنا أعمالنا) (ولاتعتدوا) أى لاتبدءوا بالقتال (ولا تقاتلوهم) (قل قتال) (لا إكراه) وفى آل عمران (فإنما عليك البلاغ) (منهم تقاة) وفى النساء (فأعرض عنهم) فى موضعين (فما أرسلناك عليهم حفيظا) (لا تكلف إلا نفسك) (إلا الذين يصلون) وفى المائدة (ولا آمين) (عليك البلاغ) (عليكم أنفسكم) وفى الأنعام (لست عليكم بوكيل) (ثم ذرهم) (عليكم بحفيظ) (وأعرض) (عليهم حفيظا) (ولا تسبوا) قدرهم فى موضعين (ياقوم اعملوا) (قل انظروا) (لست منهم فى شىء) وفى الأعراف (فأعرض) (وأملى لهم) وفى الأنفال (وإن استنصروكم) يعنى المجاهدين . وفى التوبة (فاستقيموا لهم) وفى يونس (فانتظروا) (فقل لي عملى) (وإما نرينك) (ولا يحزنك قولهم) لما يقتضى من الإمهال (أفأنت تكره) (فمن اهتدى) لأن معناه الإمهال (واصبر) وفى هود (إنما أنت نذير) أى تنذر ولا تجبر (اعملوا على مكانتكم) (انتظروا) وفى الرعد (عليك البلاغ) وفى النحل (إلا البلاغ) (عليك البلاغ) (وجادلهم) (واصبر) وفى الإسراء (ربكم أعلم بكم) وفى مريم (فأنذرهم) (فليمدد) (ولا تعجل) وفى طه (قل كل متربص) وفى الحج (وإن جادلوك) وفى المؤمنين (فذرهم) (ادفع) وفى النور (فإن تولوا) (وما على الرسول إلا البلاغ) وفى النمل (فمن اهتدى) وفى القصص (لنا أعمالنا) وفى العنكبوت (أنا نذير) لما يقتضى من عدم الإجبار ، وفى الروم (فاصبر) وفى لقمان (ومن كفر) وفى السجدة (فانظروا) وفى الأحزاب (ودع أذاهم) وفى سبأ (قل لا تسألون) وفى فاطر (إن أنت إلا نذير) وفى يس (فلا يحزنك) وفى الصافات (فقول) و(قول) ومايليهما ، وفى ص (اصبر) (أنا نذير) وفى الزمر (إن الله يحكم بينهم) لما فيه من الإمهال (فاعبدوا ماشئتم) (ياقوم اعملوا) (فمن اهتدى) (أنت تحكم) لأن فيه تفويضا ، وفى المؤمن (فاصبر) فى موضعين ، وفى السجدة (ادفع) وفى الشورى (وما أنت عليهم بوكيل) (لنا أعمالنا) (فإن أعرضوا) وفى الزخرف (فذرهم) (واصفح) وفى الدخان (فارتقب) وفى الجاثية (يغفروا) وفى الأحقاف (فاصبر) وفى القتال (فإما منا) وفى ق (فاصبر) (وما أنت) وفى الذاريات (فقول) وفى الطور (قل تربصوا) (واصبر) (فذرهم) وفى النجم (فأعرض) وفى القمر (فقول) وفى ن (فاصبر) (سنستدرجهم) وفى المعارج (فاصبر) (فذرهم) وفى المزمل (واهجرهم) (وذرنى) وفى المدثر (ذرنى) وفى الإنسان (فاصبر) وفى الطارق (فمهل الكافرين) وفى الغاشية (لست عليهم بمصيطر) وفى الكافرين (لكم دينكم) نسخ ذلك كله : (اقتلوا المشركين) ، و(كتب عليكم القتال)

الباب الثامن فى جوامع القراءة ، وهو على نوعين : مشهورة ، وشاذة ، فالمشهورة القراءات السبع ، وهو حرف نافع المدنى . وابن كثير المكى ، وأبوعمر بن العلاء البصرى ، وابن عامر الشامى ، وعاصم ، وابن حمزة والكسائى الكوفيين . ويجرى مجراهم فى الصحة والشهرة : يعقوب الحضرى بن محيصن ، ويزيد بن القعقاع . والشاذة ماسوى ذلك ، وإنما سميت شاذة لعدم استقامتها فى النقل ، وقد تكون فصيحة اللفظ ، أو قوية المعنى . ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلا بثلاث شروط : موافقته لمصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو فى بعض اللغات ، ونقله نقلا متواترا أو مستفيضا

Marfat.com

واعلم أنّ اختلاف القرّاء على نوعين : أصول ، وفرش الحروف . فأما الفرش : فهو مالا يرجع إلى أصل مضطرد ، ولا قانون كلى ، وهو على وجهين : اختلاف فى القراءة باختلاف المعنى ، وباتفاق المعنى . وأما الأصول : فالاختلاف فيها لا يغير المعنى . وهى ترجع إلى ثمان قواعد : الأولى : الهمزة ، وهى فى حروف المد الثلاث ، ويزاد فيها على المد الطبيعى بسبب الهمزة والتقاء الساكنين . الثانية وأصله التحقيق ثم قد يحقق على سبعة أوجه : إبدال واو أو ياء أو ألف وتسهيل بين الهمزة والواو ، وبين الهمزة والياء ، وبين الهمزة والألف ، وإسقاط . الثالثة : الإدغام ، والإظهار ، والأصل الإظهار ، ثم يحدث الإدغام فى المثلين ، أو المتقاربين وفى كلمة ، وفى كلمتين ، وهو نوعان : إدغام كبير انفرد به أبو عمرو : وهو إدغام المتحرك . وإدغام صغير لجميع القرّاء : وهو إدغام الساكن . الرابعة : الإمالة ، وهى أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة . وبالألف نحو الياء ، والأصل الفتح ، ويوجب الإمالة الكسرة والياء . الخامسة : الترقيق والتفخيم ، والحروف على ثلاثة أقسام يفخم فى كل حال ، وهى حروف الاستعلاء السبعة ؛ ومفخم تارة ومرقق أخرى وهى الراء واللام والألف فأما الراء فأصلها التفخيم وترقق للكسر والياء ، وأما اللام فأصلها الترقيق وتفخم لحروف الإطباق ، وأما الألف فهى تابعة للتفخيم والترقيق لما قبلها ، والمرقق على كل حال سائر الحروف . السادسة : الوقف ، وهو على ثلاثة أنواع : سكون جائز فى الحركات الثلاثة ، وروم فى المضموم والمكسور ، وإشمام فى المضموم خاصة . السابعة : مراعاة الخط فى الوقف . الثامنة : إثبات الياءات وحذفها

الباب التاسع فى الوقف ، وهى أربعة أنواع : وقف تام ، وحسن ، وكاف ، وقبيح ، وذلك بالنظر إلى الإعراب ، والمعنى فإن كان الكلام مفتقراً إلى مابعده فى إعرابه أو معناه ، وما بعده مفتقراً إليه كذلك : لم يجز إليه الفصل بين كل معمول وعامله ، وبين كل ذى خبر وخبره ، وبين كل ذى جواب وجوابه . وبين كل ذى موصول وصلته ، وإن كان الكلام الأول مستقلا يفهم دون الثانى ؛ إلا أن الثانى غير مستقل إلا بما قبله ، فالوقف على الأول كاف ، وذلك فى التوابع والفضلات : كالحال ، والتمييز ، والاستثناء وشبه ذلك إلا أنّ وصل المستثنى المتصل آكد من المنقطع ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات آكد من وصلها إذا كانت جملة ، وإن كان الكلام مستقلا والثانى كذلك ، فإن كانا فى قصة واحدة فالوقف على الأول حسن ، وإن كانا فى قصتين مختلفتين فالوقف تام . وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب أو المعنى ، وكذلك اختلف الناس فى كثير من الوقف من أقوالهم فيها : راجح ، ومرجوح ، وباطل ، وقد يقف لبيان المراد وإن لم يتم الكلام ﴿ تنبيه ﴾ هذا الذى ذكرنا من رعى الإعراب والمعنى فى المواقف : استقر عليه العمل ، وأخذ به شيوخ المقرئين ، وكان الأوائل يراعون رؤس الآيات فيقفون عندها لأنها فى القرآن كالفقر فى النثر والقوافى فى الشعر ، ويؤكد ذلك ما أخرجه الترمذى عن أم سلمة رضى الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته يقول : الحمد لله رب العالمين ثم يقف . الرحمن الرحيم ثم يقف

الباب العاشر : فى الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان ، أما الفصاحة فلها خمسة شروط : الأول أن تكون الألفاظ عربية لا مما أحدثه المولدون ولا مما غلطت فيه العامة ، الثانى أن تكون من الألفاظ المستعملة لا من الوحشية المستثقلة ، الثالث أن تكون العبارة واقعة على المعنى موفية له ؛ لا قاصرة عنه ، الرابع أن تكون العبارة سهلة سالمة من التعقيد . الخامس : أن يكون الكلام سالما من الحشو الذى لا يحتاج إليه ، وأما البلاغة

فهى سياق الكلام على مايقتضيه الحال والمقال من الإيجاز والإطناب ، ومن التهويل والتعظيم والتحقير ، ومن التصريح والكناية والإشارة وشبه ذلك ، بحيث يهز النفوس ويؤثر فى القلوب ، ويقود السامع إلى المراد أو يكاد ، وأما أدوات البيان : فهى صناعة البديع ، وهو تزيين الكلام كما يزين العلم الثوب ، وقد وجدنا فى القرآن منها اثنين وعشرين نوعا ، ونبهنا على كل نوع فى المواضع التى وقع فيها من القرآن وقد ذكرنا هنا أسماءها ونبين معناه ، الأول المجاز : وهو اللفظ المستعمل فى غير مواضع له لعلاقة بينهما ، وهو اثنا عشر نوعا : التشبيه والاستعارة ، والزيادة ، والنقصان ، وتشبيه المجاور باسم مجاوره ، والملابس باسم ملابسه ، والكل ، وإطلاق اسم الكل على البعض ، وعكسه ، والتسمية باعتبار مايستقبل ، والتسمية باعتبار مامضى ، وفى هذا خلاف هل هو حقيقة أو مجاز ، واتفق أهل علم اللسان وأهل الأصول على وقوع المجاز فى القرآن لأن القرآن نزل بلسان العرب وعادة فصحاء العرب استعمال المجاز ، ولا وجه لمن منعه ؛ لأن الواقع منه فى القرآن أكثر من أن يحصى . الثانى الكناية : وهى العبارة عن الشىء فيما يلازمه من غير تصريح . الثالث الالتفات : وهو على ستة أنواع : خروج من التكلم إلى الخطاب أو الغيبة ، وخروج من الخطاب إلى التكلم أو الغيبة ، وخروج من الغيبة إلى التكلم أو الخطاب . الرابع التجديد : وهو ذكر شىء بعد اندراجه فى لفظ عام متقدم ، والقصد بالتجديد تعظيم المجدد ذكره أو تحقيره ، أو رفع الاحتمال . الخامس الاعتراض : وهو إدراج كلام بين شيئين متلازمين : كالخبر والمخبر عنه ، والصفة والموصوف ، والمعطوف والمعطوف عليه ، وإدخاله فى أثناء كلام متصل . والقصد به تأكيد الكلام الذى أدرج فيه . السادس التجنيس : وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى ، ثم الاتفاق قد يكون فى الحروف والصيغة ، أو فى الحروف خاصة ، أو فى أكثر الحروف لا فى جميعها ، أو فى الخط لا فى اللفظ ، وهو تجنيس التصحيف . السابع الطباق : وهو ذكر الأشياء المتضادة كالسواد والبياض والحياة والموت ، والليل والنهار ، وشبه ذلك . الثامن المقابلة ، وهو أن يجمع بين شيئين فصاعدا ثم يقابلهما بأشياء أخر . التاسع المشاكلة : وهى أن تذكر الشىء بلفظ آخر لوقوعه فى صحبته . العاشر الترديد : وهو رد الكلام على آخره ويسمى فى الشعر رد العجز على الصدر . الحادى عشر لزوم مالا يلزم : وهو أن تلتزم قبل حروف الروى حرفا آخر ، وكذلك عند رؤوس الآيات . الثانى عشر القلب : وهو أن يكون الكلام يصلح ابتداء قراءته من أوله وآخره نحو دعد أو تعكس كلماته فتقدم المؤخر منها وتؤخر المقدم . الثالث عشر التقسيم : وهو أن تقسم المذكور إلى أنواعه أو أجزائه . الرابع عشر التتميم : وهو أن تزيد فى الكلام مايوضحه ويؤكده وإن كان مستقلا دون هذه الزيادة . الخامس عشر التكرار : وهو أن تضع الظاهر موضع المضمر ، فتكرر الكلمة على وجه التعظيم أو التهويل ، أو مدح المذكور أو ذمه أو للبيان . السادس عشر التهكم : وهو إخراج الكلام عن مقتضاه استهزاء بالمخاطب أو بالخبر ، كذلك البشارة فى موضع النذارة . السابع عشر اللف والنشر وهو أن تلف فى الذكر شيئين فأكثر ، ثم تذكر متعلقات بها ، وفيه طريقتان : أن تبدأ فى ذكر المتعلقات بالأول ، وأن تبدأ بالآخر . الثامن عشر الجمع : وهو أن تجمع بين شيئين فأكثر فى خبر واحد ، وفى وصف واحد وشبه ذلك . التاسع عشر الترصيع : وهو أن تكون الألفاظ فى آخر الكلام مستوفية الوزن ، أو متقاربة مع الألفاظ التى فى أوله . العشرون التشجيع : وهو أن يكون كلمات الآى على روى واحد . الحادى والعشرون الاستطراد : وهو أن يتطرق من كلام إلى كلام آخر بوجه يصل مابينهما ، ويكون الكلام الثانى

هو المقصود : كخروج الشاعر من السب إلى المدح بمعنى يتعاق بالطرفين ، مع أنه قصد المدح . الثانى والعشرون المبالغة : وقد تكون بصيغة الكلمة نحو صيغة فعال ومفعال وقد تكون بالمبالغة فى الإخبار أو الوصف ، فإن اشتدت المبالغة فهو غلو وإغراب ، وذلك مستكره عند أهل هذا الشأن

الباب الحادى عشر : فى إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله عز وجل ، ويدل على ذاك عشرة أوجه : الأول فصاحته التى امتاز بها عن كلام المخلوقين . الثانى نظمه العجيب وأسلوبه الغريب من قواطع آياته وفواصل كلماته . الثالث عجز المخلوقين فى زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله . الرابع ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم تعلم ذلك ولا قرأه فى كتاب . الخامس ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلة فوقعت على حسب ماقال . السادس مافيه من التعريف بالبارى جل جلاله ، وذكر صفاته وأسمائه ، وما يجوز عليه . وما يستحيل عليه ، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده ، وإقامة البراهين القاطعة ، والحجج الواضحة . والرد على أصناف الكفار ، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه ، بل بوحى من العليم الخبير ، ولا يشك عاقل فى صدق من عرف الله تلك المعرفة وعظم جلاله ذلك التعظيم ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم . السابع ماشرع فيه من الأحكام وبين من الحلال والحرام ، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة ، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق ، وذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم . الثامن كونه محفوظا عن الزيادة والنقصان ، محروسا عن التغيير والتبديل على طول الزمان ، بخلاف سائر الكتب . التاسع تيسيره للحفظ وذلك معلوم بالمعاينة . العاشر كونه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة الترديد ، بخلاف سائر الكلام

الباب الثانى عشر : فى فضل القرآن . وإنما نذكر منه ماورد فى الحديث الصحيح ، فمن ذلك ماورد عن أبى أمامة الباهلى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اقرؤا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه » وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرؤه وينتفع به وهو عليه شاق فله أجران » وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة : ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة : لاريح لها وطعمها طيب ، ومثل المنافق الذى الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة : ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة : ليس لها ريح وطعمها مر » وعن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم بعقلها » وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، فإن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع آخرين » وعن ابن عباس قال : بينما جبريل قاعد عند النبى صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، وعن أبى أمامة الباهلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر

Marfat.com

من البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة » وعن أبىّ بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم . قلت : الله لا إله إلا هو الحى القيوم . فضرب فى صدرى ، وقال ليهنك العلم يا أبا المنذر » وعن النواس بن سمعان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران — وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال مانسيتهما بعد — قال وإنهما غمامتان أوظلتان سوداوان بينهما شرف أوكأنهما فرقان من طير صواف تحافان عن صاحبهما » وعن أبى الدرداء أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » وعن أبى الدرداء أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سورة قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم تر آيات أنزلت علىّ لم ير مثلهنّ قط : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس

المقدمة الثانية : فى تفسير معانى اللغات

نذكر فى هذه المقدمة الكلمات التى يكثر دورها فى القرآن ، أو تقع فى موضعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف ، وإنما جمعناها فى هذا الباب لثلاثة فوائد : أحدها تفسيرها للحفظ : فإنها وقعت فى القرآن متفرقة فجمعها أسهل لحفظها ، والثانية ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعانى التفسير ؛ لما أن تآليف القرآن جمعت فيها الأصول المطردة والكثيرة الدور ، والثالثة : الاقتصار فنستغنى بذكرها هنا عن ذكرها فى مواضعها من القرآن خوف التطويل بتكرارها ، وربما نبهنا على بعضها للحاجة إلى ذلك ، ورتبناها فى هذا الكتاب على حروف المعجم ، فمن لم يجد تفسير كلمة فى موضعها من القرآن : فلينظر فى هذا الباب ، واعتبرنا فى هذا الحروف : الحرف الذى يكون فاء الكلمة وهو الأصلى دون الحروف الزائدة فى أول الكلمات

﴿حرف الهمزة﴾ (آية) لها معنيان أحدهما علامة وبرهان والثانى آية من القرآن ، وهى كلام متصل إلى الفاصلة ، والفواصل هى رؤس الآيات (أتى) بقصر الهمزة معناه جاء ، ومضارعه يأتى ، ومصدره إتيان ، واسم الفاعل منه آت ، واسم المفعول منه مأتى ، ومنه قوله تعالى آتى بمد الهمزة معناه أعطى ، ومضارعه يؤتى ، واسم الفاعل مؤت ، ومنه والمؤتون الزكاة (أبى) يأبى أى امتنع (أثر) الشىء بقيه وأمارته ، وجمعه آثار والأثر أيضا الحديث ، وأثارة من علم بقية ، وأثاروا الأرض حرثوها وأثر الرجل الشىء يؤثره فضله (إثم) ذنب ، ومنه آثم وأثيم أى مذنب (أجر) ثواب وبمعنى الأجرة ، ومنه استأجره وعلى أن تأجرنى ، وأما استجارك فأجره ويجركم من عذاب أليم ، ومن يجيرنى من الله ، وهو يجير ولا يجار عليه : فذلك كله من الجوار بمعنى التأمين (آمن) إيمانا أى صدق ، والإيمان فى اللغة التصديق مطلقا ، وفى الشرع التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والمؤمن فى الشرع المصدق بهذه الأمور ، والمؤمن اسم الله تعالى : أى المصدق لنفسه وقيل إنه من الأمن : أى يؤمن أولياءه من عذابه ، وأمن بقصر الهمزة وكسر الميم أمنا وأمانة : ضد الخوف وأمن من الأمانة ، وأمّن غيره من التأمين (أليم) مؤلم أى موجع ومنه تألمون (إمام) له أربعة معان : القدوة والكتاب ، والطريق ، وجمع أمّ أى تابع ، وهى للمتقين إماما (أمّة) لها أربعة معان : الجماعة من الناس ، والدين

والحين ، والإمام أى القدوة (أمى) لا يقرأ ولا يكتب ، ولذلك وصف العرب بالأميين (أم) لها معنيان الوالدة ، والأصل ، وأم القرى مكة (أخرى) مؤنثة آخر وآخر (آل) له معنيان الأهل ، ومنه آل لوط ، والأتباع والجنود ، ومنه آل فرعون (أمس) اليوم الذى قبل يومك والزمان الماضى (إناه) وقته وجمعه إنا ومنه آناء الليل (أمر) له معنيان : أحدهما طلب الفعل على الوجوب أو الندب أو الإباحة ، وقد تأتى صفة الأمر لغير الطلب ، والتهديد ، والتعجيز ، والتعجب ، والخبر ، والثانى بمعنى الشأن والصفة ، وقد يراد به العذاب ، ومنه جاء أمرنا (إسرائيل) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وهو والد الأسباط واليهود ذريتهم (إياب) رجوع ومنه مآب أى مرجع ، ورجل أواب كثير الرجوع إلى الله ، والتأويب التسبيح ، ياجبال أوبى (إفك) أشد الكذب ، والأفاك : الكذاب ، وأفك الرجل عن الشىء : أى صرف عنه ، ومنه تؤفكون (أوى) الرجل إلى الموضع بالقصر ، وآواه غيره بالمد ، ومنه المأوى (أف) كلمة شر (آلاء الله) نعمه ، ومنه آلاء ربكما (أسف) له معنيان : الحزن ، والغضب ، ومنه فلما آسفونا (أسوة) بكسر الهمزة وضمها قدوة (أسى) الرجل يأسى أسا : أى حزن ، ومنه فلا تأس ، وكيف آسى (أذان) بالقصر إعلام بالشىء ومنه الأذان بالصلاة ، والآذان بالمد : جمع أذن (إذن الله) بمعنى العلم والإرادة والإباحة ، وأذنت بالشىء أعلمت به بكسر الذال ، وآذنت به غيرى بالمد (إصر) له معنيان ، الذنب ، والعهد (أيد) أى قوة ، ومنه أيدناه ، وبنيناها بأيد ، والأيدى جمع يد ، فهمزتها زائدة (أكل) بضم الهمزة اسم المأكول ، ويجوز فيه ضم الهمزة وإسكانها ، والأكل بفتح الهمزة المصدر (أيلة) غيضة (أثاث) متاع البيت (أجاج) مر (أرائك) أسرة واحدها أريكة (آنية) له معنيان أحدهما جمع إناء ، ومنه آنية من فضة ، وشديدة الحر ، ومنه عين آنية ، ووزن الأولى أفعلة ، والثانية فاعلة ومذكرها آن (أحد) له معنيان واحد ، ومنه (الله أحد) واسم جنس بمعنى إنسان (أيان) معناه متى (أنى) بمعنى كيف ومتى و(أين) للحصر (إن) المكسورة المخففة أربعة أنواع شرطية ونافية وزائدة ومخففة من الثقيلة (أن) المفتوحة المخففة أربعة أنواع مصدرية وزائدة ومخففة من الثقيلة وعبارة عن القول (إنما) نوعان ظرف زمان مستقبل ومعناها الشرط وقد تخلو عن الشرط ومجابة (إذا) لها معنيان : ظرف زمان ماضى وسببية للتقليل (أو) العاطفة لها خمسة معان : الشك ، والإبهام ، والإباحة ، والتخيير ، والناصبة للفعل بمعنى إلى أو إلا (أم) استفهامية وتديكون فيها معنى الإنكار والإضراب وتكون متصلة للمعادلة بين ماقبلها وما بعدها ومنفصلة مما قبلها (إما) المكسورة المشددة للتنويع ، والشك والتخيير ، وقد تكون مركبة من إن الشرطية وما الزائدة (إلا) المفتوحة المشددة أداة استثناء وتكون للإيجاب بعد غير الواجب ، وتكون مركبة من إن الشرطية ولا النافية (أى) المشددة سبعة أنواع : شرطية ، واستفهامية وموصولة ، ومنادى ، وصفة ، وظرفية إذا أضيفت إلى ظرف ، ومصدرية إذا أضيفت إلى مصدر (إى) المكسورة المخففة ومعناها التصديق (إلى) معناه انتهاء الغاية ، وقيل تكون بمعنى مع (الهمزة) للاستفهام ، والتقرير ، والتوبيخ ، والتسوية ، وللمتكلم وأملية ، وزائدة للبناء)

﴿حرف الباء﴾ : (بارى) خالق ، ومنه البرية أى الخلق (بعث) له معنيان بعث الرسل وبعث الموتى من القبور (بسط) الله الرزق وسعه ومعنى قبض وقدر الرزق : أى ضيقه ، ومن أسماء الله تعالى : القابض والباسط ، وبسطة : زيادة (بشر) من البشارة وهى الإعلام بالخير قبل وروده ، وقد يكون للشر إذا ذكر

Marfat.com

معها ، ويجوز فى الفعل التشديد والتخفيف ، ومنه المبشر والبشير ، واستبشر بالشىء فرح به (بعد) له معنيان : ضدّ القرب والفعل منه بعد بضم العين ، والهلاك والفعل منه بكسرها ومنه كما بعدت ثمود (بلاء) له معنيان : العذاب ، والاختبار ومنه أيضا ونبلوكم (برّ) له معنيان : الكرامة ومنه برّ الوالدين و : أن تبروهم ، والتقوى ، والجمع لخصال الخير ومنه : البرّ من اتقى ، ورجل بارّ وبرّ والجمع أبرار والبرّ من أسماء الله تعالى (بات) معروف ومصدره بيات وبيت الأمر دبره بالليل (بغتة) فجأة (بروج) جمع برج وهو الحصن ، وبروج السماء منازل الشمس والقمر (بين) ظرف وبين يدى الشىء ما تقدم قبله ، والبين الفراق والاجتماع لأنه من الأضداد (بينات) براهين من المعجزة وغيرها ومبينة من البيان (يبين) من البيان وله معنيان : بين غير متعد ، ومبين لغيره (بدا) يبدو بغير همز : ظهر ، وأبديته : أظهرته ، والبادى أيضا من البداية ، ومنه بادون فى الأعراب (بدأ) بالهمزة من الابتداء ويقال بدأ الخلق وأبداه ، وقد جاء القرآن بالوجهين (بغى) له معنيان : العدوان على الناس ، والحسد ، والبغا بكسر الباء : الزنا ، ومنه امرأة بغىّ أى زانية ، وابتغاء الشىء وبغاه : أى طلبه (بث) الحديث وغيره نشره ، والمبثوث : المنتشر ، ومبثوثة متفرقة ، والبث الحزن الشديد ، ومنه أشكو بثى (بوأ) أنزل الرجل ومنه بوأكم فى الأرض ، ولنبوأنهم ، ومبوأ (بوار) هلاك ، ومنه قوما بورا أى هلكى (باء) بالشىء رجع به ، وقد يقال بمعنى اعترف (بأساء) الفقر والبؤس والشدة والمحنة ، والبائس : الفقير من البؤس ، والبأس : القتال والشجاعة ، والمكروه ، وبأس الله عذابه وبئس كلمة ذم (برزخ) شىء بين شيئين ، والبرزخ مابين الموت والقيامة (بديع) له معنيان جميل ، ومبدع أى خالق الشىء ابتداء (بسر) عبس ومنه : باسرة (بصير) من أبصر ، يقال : أبصرته وبصرته ، والبصائر البراهين جمع بصيرة (برز) ظهر ومنه : بارزة وبارزون (بطش) أخذ بشدة (بخس) نقص (بعل) له معنيان زوج المرأة وجمعه بعولة ، والبعل أيضا الرب ، وقيل اسم صنم ، ومنه : أتدعون بعلا (بهجة) حسن ، وبهيج حسن (مبلسون) جمع مبلس وهو البائس ، وقيل الساكت الذى انقطعت حجته ، وقيل الحزين النادم منه يبلس ومنه اشتق إبليس (بهت) انقطعت حجته (تبارك) من البركة ، وهى الكثرة والنماء ، وقيل تقدس (بلى) جواب يقتضى إثبات الشىء (بل) معناها الإضراب عما قبلها (الباء) للإلصاق ، ولنقل الفعل فى التعدى ، وللقسم ، وللتعليل ، وللمصاحبة ، وللاستعانة ، وظرفية وزائدة

﴿حرف التاء﴾ : (تلا) يتلو : له معنيان : قرأ ، واتبع (تقوى) مصدر مشتق من الوقاية فالتاء بدل من الواو : معناه الخوف والتزام طاعة الله وترك معاصيه ، فهو جامع لكل خير (تاب) يتوب رجع توبة وتوبا فهو فهو تائب ، وتواب : كثير التوبة ، وتواب : اسم الله تعالى : أى كثير التوبة على عباده ، وتاب الله على العبد : ألهمه التوبة وقبل توبته (تباب) خسران ، وتب : خسر (تبار) هلاك ، ومنه متبر (أترفوا) انعموا ، والمترفون : المنعمون فى الدنيا

﴿حرف الثاء﴾ : (ثمود) قبيلة من العرب الأقدمين (ثوى) فى الموضع أقام فيه ومنه مثوى (ثبور) هلاك ، ومنه دعوا هنالك ثبورا أى صاحوا هلاكا (ثمر) مايؤكل مما تنبت الأرض ويقال بالفتح والضم (ثقفوا) أخذوا وظفر بهم ، ومنه فإما تثقفنهم فى الحرب (ثاقب) مضىء (ثم) بالفتح ظرف ، وبالضم حرف عطف يقتضى الترتيب والمهلة ، وقد يرد لغير الترتيب ، كالتأكيد ، وترتيب الأخبار

﴿حرف الجيم﴾ : (جعل) له أربعة معان : صير ، وألقى ، وخلق ، وأنشأ يفعل كذا (جناح) الطائر : معروف وجناح

Marfat.com

الإنسان إبطه ، ومنه : اضمم إليك جناحك ، ولاجناح : لاإثم فمعناه الإباحة ، وجنح للشيء مال إليه (لاجرم) لابد (اجتبى) اختار (جدال) مخالفة ومخاصمة واحتجاج (تجأرون) تصيحون بالدعاء (جوارى) جمع جارية وهي السفينة (أجرم) فهومجرم ، له معنيان : الكفر ، والعصيان (جنة) الجنون ، وقدجاء بمعنى الملائكة (جان) له معنيان : الجن والحية الصغيرة (جنة) بالفتح البستان ، وبالكسر الجنون ، وبالضم الترس وما أشبهه مما يستتر به ، ومنهاستعير : أيمانهم جنة (جاثية) أي على ركبهم لا يستطيعون مما هم فيه وقوله جثيا جمع جاث (الجرز) الأرض التي لا نبات فيها (جاثمين) باركين على ركبهم (جبار) اسم الله تعالى له معنيان: قهار، ومتكبر . وقد يكون من الجبر للكسير وشبهه ، والجبار أيضا الظالم (أجداث) قبور (جزى) له معنيان من الجزاء بالخير والشر وبمعنى أغنى ، ومنه : لاتجزى نفس . وأما أجزأ بالهمز فمعناه كفى (جرح) له معنيان من الجروح وبمعنى الكسب والعمل ، ومنه جرحتم بالنهار . واجترحوا السيئات ، ولذلك سميت كلاب الصيد جوارح لأنها كواسب لأهلها (جنب) له معنيان من الجنابة وبمعنى البعد ومنه : عن جنب

﴿حرف الحاء﴾ : (حمد) هوالثناء سواء كان جزاء على نعمه أوابتداء ، والشكر إنما يكون جزاء ، فالحمد من هذا الوجه أعم ، والشكر باللسان والقلب والجوارح ، ولا يكون الحمد إلا باللسان ، فالشكر من هذا الوجه أعم (حميد) اسم الله تعالى أي بمعنى محمود (حكمة) عقل أو علم وقيل في الكتاب والحكمة هي السنة (حكيم) اسم الله من الحكمة ومن الحكم بين العباد ، أو من إحكام الأمور وإتقانها (حليم) الحلم العقل وقد يقال بمعنى العفو ، والأحلام العقول ، والحليم من أسماء الله تعالى ، قيل الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه ، وقيل معناه العفو عن الذنوب ، والأحلام مايرى في النوم (حبط) بطل وأحبطه الله أبطله (حنيف) مسلم وموحد الله ، وقيل حاج ، وقيل مختتن ، والجمع حنفاء (محصنين ومحصنات) الإحصان له أربع معان : الإسلام والحرية ، والعفاف ، والتزوج . وليحصنكم من بأسكم : بغيكم (حجة) بالضم : دليل وبرهان وحاجّ فلان فلانا : جدله ، وحجة عليه : بالحجة . والحج بالفتح والكسر: القصد ، ومنه أخذحج البيت ، وحجة بالكسر سنة ، وجمعها حجج (حطه) أي حط عنا ذنوبنا وقيل كلمة بالعبرانية تفسيرها لا إله إلا الله (حضر) بالضاد من الحضور ، ومنه محضرون ، وشرب محتضر ، وبالظاء : من المنع ، ومنه : وما كان عطاء ربك محظورا . وكهشيم المحتظر ، وبالذال من الحذر وهو الخوف ، ومنه : إنّ عذاب ربك كان محذورا (حفظ) العلم : وعيه وحفظ الشيء حراسته ، والحفيظ : اسم الله تعالى ، قيل معناه العليم ، وقيل حافظ الخلق كالئهم من المهالك (حاق) بهم أي حل بهم (حبل) من الله ومن الناس ، أي عهد ، وحبل الله القرآن وأصله بالحبل المعروف (حسب) بكسر السين ظن ، مضارعه بالفتح والكسر وحسب بالفتح من العدد ومضارعه بالضم ومنه الحساب والحسبان ، وحسبانا من السماء : أي مرام ، واحداها حسبانة (حساب) من الظن والعدد وبغير حساب يحتمل الوجهين وأن يكون من المحاسبة أن لايحاسب عليه ومن التقدير أي بغير تضييق ، وعطاء حسابا : أي كافيا (حسيب) اسم الله تعالى ، فيه أربعة أقوال : كافي ، وعالم ، وقادر ، ومحاسب (حسبك الله) أي كافيك (حزن) تأسف على ماض أوحال الخوف ترفع في المستقبل ، ويقال حزن بكسر الزاي ، وحزنه غيره ، وأحزنه أيضا (حصير) مجلس من الحصر ، وأحصر عن الشيء : حبس عنه ، وحسير بالسين : كليل (حصيد) هو مايحصد من الزرع وغيره ، واستعير قائم وحصيد ، أي باق وزاهد (حميم) له معنيان الصديق ، والماء الحار (محيص)

Marfat.com

مهرب (حجر) له أربعة معان : الحرام ، والعقل ، ومنازل ثمود ، وحجر الكعبة (حمل) بكسر الحاء : ماعلى ظهر الدابة وغيرها ، ويستعار للذنوب . وبالفتح مافى بطن المرأة وجمعه أحمال (إحسان) له ثلاث معان : فعل الحسنات ، والإنعام على الناس ، ومراقبة الله تعالى المشار إليها فى قوله صلى الله عليه وسلم « الإحسان أن تعبدالله كأنك تراه » (حق) له أربعة معان : الصدق ، والعدل فى الحكم ، والشيء الثابت ، والأمرالواجب والحق : اسم الله تعالى : أى الواجب الوجود (حاصب) أى ريح شديدة سميت بذلك لأنها ترمى بالحصباء أى الحصا ، والحاصب أيضا : الحجارة (حلية) حلى (حرج) ضيق أو مشقة (حول) له معنيان : العام ، والحيلة ، وحولا بكسر الحاء : انتقالا (حرث) الأرض مصدر ثم استعمل بمعنى الأرض والزرع والجنات (حس) بغير ألف قتل ومنه : إذ تحسونهم ، وأحس من الحس (حرم) بضمتين محرمون بالحج (حقب) بضمتين ، وأحقاب جمع حقب ، وهومدة من الدهر يقال إنه ثمانون سنة (حف) الشيء بالشيء أطاف به من جوانبه ومنه حففناهما بنخل ، والملائكة حافين (حل) بالمكان يحل بالضم والكسر ، وحل من إحرامه يحل بالكسر لاغير (حطام) فتات ، والحطام ماتحطم من عيون الزرع اليابس

حرف الخاء : (خلق) له معنيان : من الخلقة ومنه الخالق اسم الله وكذا الخلاق . وخلق الرجل كذب ومنه تخلقون إفكا . واختلاق : أى كذب (خلاق) نصيب (خير) ضد الشر ، وله أربعة معان : العمل الصالح والمال ، والخيرة ، والتفضيل بين شيئين (خلا) له معنيان : من الخلوة ، وبمعنى ذهب ومنه : أمة قد خلت (خطيئة) ذنب ، وجمعه خطايا وخطيات ، والفعل منه خطئ فهوخاطئ ، وأما الخطأ بغيرعمد فالفعل منه أخطأ (خاسئين) مطرودين من قولك خسئت الكلب ومنه : اخسئوا فيها (خالف) بفتح الخاء وإسكان اللام ، وله معنيان وراء ، ومن خلف خلفه : بشر ، فإذا خلفه بخير قيل بفتح اللام (خلاف) له معنيان من المخالفة ، وبمعنى بعد ، أودون ، ومنه : بمقعدهم خلاف رسول الله (خول) أعطى (خلة) بضم الخاء مودة ومنه الخليل ، وجمعه أخلاء (خلال) له معنيان : وداد ، ومنه : لابيع فيه ولا خلال ، وبمعنى بين ، ومنه خلال الديار ، وخلالكم (خر) يخر سقط على وجهه (خامدون) هالكون ، وأصله من خمود النار (خطب) الخطاب سبب الأمر والخطب أيضا الأمر العظيم . وخطبة النساء بالكسر ، وخطبة الخطيب بالضم (يخرصون) يكذبون ، ومنه : يخرصون والخرص أيضا التقدير وقيل : يخرصون منه : أى يقولون بالظن من غير تحقيق (خوان) كثيرالخيانة (مختال) من الخيلاء (مخمصة) من الخمص وهوالجوع (أخدان) جمع خدن وهو الخليل (خراج ، وخرج) أى أجرة وعطية

حرف الدال (دين)له خمسة معان : الملة ، والعادة ، والجزاء ، والحساب ، والقهر (دأب) له معنيان : عادة ، وجد ، وملازمة ، ومنه : سبع سنين دأبا : متتابعة الزراعة من قولك : دأبت على الشيء : دمت عليه (أدنى) له معنيان : أقرب من الدنو ، وأقل فهو من الدانى الحقير (دار السلام) الجنة (دوائر) صروف الدهر ، واحدها دائرة ، ومنه دائرة السوء (دعاء) له خمسة معان : الطلب من الله ، والعبادة ، ومنه : تدعون من دون الله ، والتمنى : ولهم فيها مايدعون ، والنداء : ادعوا شهداءكم ، والدعوة إلى الشيء : ادع إلى سبيل ربك (دابة) كل مايدب فيجمع جميع الحيوان (دحور) إبعاد ، ومنه المدحور المطرود (دع) بتشديد العين ، يدع : أى دفع بعنف ، ومنه يدع اليتيم ، ويدعون إلى نار جهنم دعا (درأ) دفع ، ومنه يدرؤون (مدرارا) من در المطر إذا

صب (داخرين) صاغرين (دكت) الأرض : أى دقت حبالها حتى استوت مع وجه الأرض ومنه : جعله دكا : أى مستويا مع الأرض

حرف الذال : (ذكر) له أربعة معان : ضد النسيان ، والذكر باللسان ، والقرآن ، ومنه : نزلنا الذكر ، والشرف ومذكر مفعل من الذكر (ذنوب) بضم الذال : جمع ذنب ، وبالفتح النصيب ، ومنه ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم : أى نصيبا من العذاب ، والذنوب أيضا : الدلو (ذبح) بكسر الذال : المذبوح ، وبالفتح المصدر (ذرأ) خلق ونشر (ذلول) مذللة للعمل من الفلك ومنه : ذللناها لهم ، ورجل ذلول : من الذل بالضم ، وذللت قطوفها أدنيت (أذقان) جمع ذقن

حرف الراء : (رب) له أربعة معان : الإله ، والسيد ، والمالك الشيء ، والمصلح للأمر (ريب) شك ، ومنه : ارتابوا ، ومريب ، وريب المنون : حوادث الدهر (رجع) يستعمل متعديا بمعنى ردّ وغير متعد ، والمرجع اسم مصدر أو زمان أو مكان من الرجوع (رعى) له معنيان : من النظر ، ومن رعى الغنم (روح) له أربعة معان للنفس التى بها الحياة : يسئلونك عن الروح ، والوحى : ينزل الملائكة بالروح ، وجبريل : نزل به الروح الأمين ، وملك عظيم : تنزل الملائكة والروح ، وروح بفتح الراء رائحة طيبة ، والريحان : الرزق ، وقيل الشجر المعروف (ركام) بعضه فوق بعض ، ومنه مركوم ، ويركمه (رجا) طمع وقد يستعمل فى الخوف ، ومنه لايرجون لقاءنا (رجال) جمع رجل ، وجمع راجل : أى غير راكب ، ومنه : يأتوك رجالا ، ومثله : بخيلك ورجلك (رفث) له معنيان : الجماع ، والكلام بهذا المعنى (رجز) عذاب . والرجز فاهجر : فهى الأوثان والرجس بالسين : النجس حقيقة ، أومجازا ، وقد يستعمل بمعنى العذاب (رهب) خوف ، ومنه : يرهبون (رؤف) من الرأفة وهى الرحمة إلا أن الرأفة فى دفع المكروه ، والرحمة فى دفع المكروه وفعل الجميل ، فهى أعم من الرأفة (مرضاة) مفعلة من الرضا (راسيات) ثابتات ، ومنه : قيل للجبال : رواسى ، ومنه : مرساها (رغدا) أى كثيرا (ربوة) مكان مرتفع (ربا) هو فى اللغة الزيادة ، ومنه : ويربى الصدقات ، وربت الأرض : انفتحت (أرحام) جمع رحم ، وهو فرج المرأة ويستعمل أيضا فى القرابة (أرجئه) أخره ، ومنه : ترجى ويرجون ، ويجوز فيه الهمز وتركه (رأى) من رؤية العين يتعدّى إلى واحد ، ومن رؤية القلب بمعنى العلم : يتعدّى إلى مفعولين (تربص) انتظر (رفات) فتات (أرذل) العمر : الهرم ، والأرذلون : من الرذالة (رقى) من الرقية بفتح القاف ، ومنه : وقيل من راق ، ورقى فى السلم بالكسر فى الماضى والفتح فى المستقبل (أرداكم) أهلككم ، والردى الهلاك ، ومنه : تردين ، وتردى (رجفة) زلزلة وشدة

حرف الزاى (زبر) بضمتين كتب ، والزبور كتاب داود عليه السلام (زخرف) زينة والزخرف أيضا : الذهب (زكاة) له فى اللغة معنيان : الزكاة ، والطهارة ، ثم استعمله الشرع فى إعطاء المال ، وهو من الزيادة ، لأنه يبارك له فيه فيزيد ، أو من الطهارة لأنه يطهره من الذنوب ، وزكيت الرجل : أثنيت عليه ، وزكا هو مخففة أى صار زكيا (زوج) له ثلاث معان : الرجل ، والمرأة ، وقد يقال زوجة ، والمعنى الصنف والنوع ، ومنه : أزواج من نبات ، ومن كل زوج كريم (زلّ) له معنيان : زلّ القدم عن الموضع ، وفعل الزلل (زاغ) عن الشيء زيغا مال عنه وأزاغه غيره : أماله (زلفى) قربى ، وأزلفت : قربت ، وزلفا من الليل : ساعات (زعم) أى ادعى ، ولم يوافقه غيره ، قال ابن عباس : زعم كناية عن كذب (زعيم) ضامن (تزجى)

Marfat.com

تسوق (زلزلة) الأرض : اهتزازها ، وتستعمل بمعنى الشدة والخوف ، ومنه : زلزلوا (زجرة) واحدة : صيحة بمعنى نفخة الصور ، والزجرة : الصيحة بشدة وانتهار ، وازدجر : من الزجر

حرف السين : (أسباط) جمع سبط وهم ذرية يعقوب عليه السلام كان له اثنى عشر ولداً ذكراً فأعقب كل واحد منهم عقبا ، والأسباط فى بنى إسرائيل كالقبائل فى العرب (سبيل) هو الطريق ، وجمعه سبل ، ثم استعمل فى طريق الخير والشر ، وسبيل الله : الجهاد وابن السبيل، الضيف وقيل القريب (سوى) بالتشديد له معنيان : من التسوية بين الأشياء وجعلها سواء ، وبمعنى أتقن وأحسن ، ومنه فسواك فعدلك (سواء) بالفتح والهمز من التسوية بين الأشياء ، وسواء الجحيم : وسطها ، وسواء الصراط : قصد الطريق (سوى) بالكسر والضم مع ترك الهمزة استثناء ، وقد يكون من التسوية (سفهاء) جمع سفيه وهو الناقص العقل ، وأصل السفه : الحمق ولذلك قيل لمبذر المال سفيه ، وللكفار والمنافقين : سفهاء (سلوى) طائر يشبه السمانى ، وكان ينزل على بنى إسرائيل مع المن (سأل) له معنيان طلب الشيء ، والاستفهام عنه ، وسال بغير همز من المعنيين المذكورين ، ومن السيل (سبحان) تنزيه ، وسبحان الله : أى نزهته عما لا يليق به من الصاحبة والولد والشركاء والأنداد وصفات الحدوث وجميع العيوب والنقائص (سار) يسير مشى ليلا أو نهارا (سرى) يسرى مشى ليلا ، ويقال أيضا : أسرى بألف (سخر) يسخر بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع : أى استهزأ ، وسخر بالتشديد من التسخير (سخريا) بضم السين من السخرة وهى تكليف الأعمال ، وبالكسر من الاستهزاء (سلطان) له معنيان البرهان ، والقوة ، ومنه لا ينفذون إلا بسلطان (سام) يسوم أى كلف الأمر وألزمه ، ومنه يسومونكم سوء العذاب ، وأصله من سوم السلعة فى البيع (سئم) يسأم : أى مل ، ومنه : وهم لا يسامون (سنة) أى عادة (سلف) الأمر : أى تقدم ، وأسلفه الرجل : أى قدمه ، ومنه هنيئا بما أسلفتم (سراء) فعلاء من السرور (سارع) إلى الشيء : بادر إليه (سوءة) عورة ، والسوء مايسوء بالفتح والضم ، والسوأى فعلاء من السوء ، وسيء بهم : فعل بهم السوء (سنة) بفتح السين : عام ، ولامها محذوفة وجمعها سنون وقد تقال بمعنى الحفظ والجدب (سنة) بكسر السين ابتداء النوم وفاؤها واو محذوفة لأنها من الوسن (سلك) يسلك له معنيان أدخل ومنه اسلك يدك وسلكه ينابيع ، ومنه سلوك الطريق (أسفار) جمع سفر بفتحتين ، وجمع سفر وهو الكتاب (ساح) يسيح أى سار ، ومنه فسيحوا فى الأرض . والسائحون الصائمون (سول) بتشديد الواو : زين ، ومنه : سولت لكم أنفسكم أمرا (سرابيل) جمع سربال وهو القميص (سبأ) قبيلة من العرب (سموم) شدة الحر (سلام) له ثلاثة معان : التحية ، والسلامة ، والقول الحسن ، ومنه : إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (سلام) اسم الله تعالى معناه السلامة من كل نقص ، فهو من أسماء التنزيه ، وقيل سلم العباد من المهالك ، وقيل ذو السلام على المؤمنين فى الجنة (سلم) بفتحتين : انقياد وإلقاء باليد ، وهو أيضا بيع (سلم) بفتح السين وإسكان اللام صلح ومهادنة (سلم) بكسر السين وإسكان اللام ومعناه الإسلام ، وبضم السين وفتح اللام مشددة : هو الذى يصعد فيه (أسلم) يسلم له ثلاث معان : الدخول فى الإسلام ، والإخلاص لله ، والانقياد ، ومنه : فلما أسلما (سعى) يسعى ، له ثلاث معان : عمل عملا ، ومنه وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ، ومشى ، ومنه : فاسعوا إلى ذكر الله ، وأسرع فى مشيه ، ومنه : رجل يسعى (سكن) يسكن له معنيان : من السكون ضد الحركة ، ومن السكنى فى الموضع (سكينة) وقار وطمأنينة (سائغ) سهل الشرب

Marfat.com

لا يغص به من شربه (سابغات) دروع واسعات (أساطير) الأولين : ما كتبه المتقدمون (مسيطر) أى مسلط ، وأم هم المسيطرون : الأرباب (سندس) وإستبرق : ثياب حرير ، قيل السندس : رقيق الديباج ، والإستبرق : صفيقه (سحقا) بعدا ، ومنه مكان سحيق : أى بعيد (سعير) جهنم ، وسعرت : أوقدت (سبب) وجمعه أسباب له خمسة معان : الحبل ، ومنه : فليمدد بسبب إلى السماء ، والاستعارة من الحبل فى المودة والقرابة ، ومنه ، وتقطعت بهم الأسباب ، والطريق ومنه : فأتبع سببا ، والباب ومنه : أسباب السموات ، وسبب الأمر : موجبه

حرف الشين : (شعر) بالأمر يشعر : أى علمه ، والشعور : العلم من طريق الحس ، ومنه : لا يشعرون (شهد) يشهد له معنيان : من الشهادة على الشيء ، ومن الحضور ، ومن الشهادة فى سبيل الله (شكرا) قد تقدم فى الحمد والشكر ، والشكور : اسم الله المجازى لعباده على أعمالهم بجزيل الثواب ، وقيل المثنى على العباد (شرى) أى باع ، وقد يكون بمعنى اشترى (شقاق) عداوة ومعاندة ، ومنه : ومن يشاقق الله (شهاب) كوكب ، وقد يطلق على شعلة النار (شجر) هو كل ماينبت فى الأرض ، وشجر بينهم : أى اختلفوا فيه (شنآن) عداوة وشر ، ويجوز فيه فتح النون وإسكانها (شرع) الله الأمر : أى أمر به ، والشريعة والشرعة : الملة وشرعة الماء : فى الدواب ، شعائر الله : معالم دينه ، واحدها شعيرة أو شعارة (شرك) له معنيان : من الإشراك ، وهو أيضا النصيب ، ومنه أم لهم شرك فى السموات (شركاء) جمع شريك (مشحون) أى مملوء

﴿حرف الصاد﴾ (صراط) هو فى اللغة الطريق ثم استعمل فى القرآن بمعنى الطريقة الدينية ، وأصله بالسين ثم قلبت صادا لحرف الإطباق بعدها ، وفيه ثلاث لغات : بالصاد ، وبالسين ، وبين الصاد والزاى (صلاة) إذا كانت من الله فمعناها رحمة ، وإذا كانت من المخلوق فلها معنيين : الدعاء والأفعال المعلومة (صوم) أصله فى اللغة الإمساك مطلقا ، ثم استعمل شرعا فى الإمساك عن الطعام والشراب ، وقد جاء بمعنى الصمت فى قوله : إنى نذرت للرحمن صوما ، لأنه إمساك عن الكلام (صدقة) يطلق على الزكاة الواجبة ، وعلى التطوع ، ومنه إن المصدقين والمصدقات ، وأما « أئنك لمن المصدقين » بالتخفيف فهو من التصديق (صدقة) بضم الدال صداق المرأة ، ومنه : وآتوا النساء صدقاتهن نحلة . والصدق فى القول : ضد الكذب ، والصدق فى الفعل صدق النية فيه ، والصدق فى القصد : العزم الصادق (صعد) يصعد : أى ارتفع ، وأصعد بالألف يصعد بالضم : أى أبعد فى الهروب ، ومنه إذ تصعدون ، صعيدا طيبا : أى ترابا ، والصعيد : وجه الأرض (صدّ) له معنيان فالمتعدى بمعنى منع غيره من شيء ، ومصدره صدّ ، ومضارعه بالضم ، وغيره بمعنى أعرض ومصدره صدود (صار) له معنيان : من الانتقال ومنه : تصير الأمور ، والمصير ، وبمعنى ضم ، ومضارعه يصور ومنه : فصرهن إليك (صاعقة) له ثلاثة معان : الموت ، وكل بلاء يصيب ، وقطعة نار تنزل من شدة الرعد والمطر ، وجمعها صواعق (أصرّ) على الذنب يصر إصراراً : دام عليه ولم يتب منه (صواع) مكيال وهو السقاية والصاع ، وسواع بالسين اسم صنم (صابئين) قوم يعبدون الملائكة ويقولون إنها بنات الله . وقيل إنهم يرون تأثير الكواكب . وفيه لغتان . الهمز وتركه . من صبأ إلى الشيء : إذا مال إليه (تصطلون) تفتعلون من صبأ بالنار إذا تسخن بها والطاء بدل من التاء (اصطفى) أى اختار . وأصله من الصفى . أى اتخذه صفيا (صغار) بفتح الصاد ذلة . ومنه صاغرون . والصغير ضد الكبير (صدف) عن الشيء يصدف . أعرض عنه (صريخ) مغيث ومنه : ما أنا بمصرخكم (صلصال) طين يابس . فإذا مسته النار فهو فخار (صرح) قصر وهو أيضا البناء العالي

13528٤

حرف الضاد : (ضرب) له أربعة معان : من الضرب باليد وشبهه . ومن ضرب الأمثال . ومن السفر . ومنه ضربتم فى الأرض . ومن الالتزام . ومنه ضربت عليهم الذلة . أى ألزموها. وضربنا على آذانهم : أى ألقينا عليهم النوم . و «أفنضرب عنكم الذكر» أى نمسك عنكم التذكير (ضاعف) الشيء : كثره . ويجوز فيه التشديد وضعف الشيء بكسر الضاد . مثلاه ، وقيل مثله . والضعف أيضا العذاب . والضعف بالضم ويجوز فيه الفتح (ضرّ) بفتح الضاد وضمها بمعنى واحد . وكذلك الضير بالياء . ومنه لا يضركم كيدهم . والضرّ مايصيب من المرض وشبهه (ضحى) أول النهار . والفعل منه أضحى . وأما ضحى بكسر الحاء . يضحى فى المضارع . فمعناه برز للشمس وأصابه حرها . ومنه لا تظمأ فيها ولا تضحى (ضيف) يقال للواحد والاثنين والجماعة (ضيق) بكسر الضاد مصدر . وبفتحها مع إسكان الياء : تخفيف من ضيق المشدد : كميت وميت

حرف الطاء : (طبع) ختم ، والخاتم الطابع (طول) بفتح الطاء : فضل أو غنى (طائر) له معنيان : من الطيران ومن الطيرة (طوى) قيل اسم الوادى وقيل معناه مرتين ، أى قدس الوادى مرتين (طهارة) له معنيان : الطهارة بالماء ، ومنه : جنبا فاطهروا ، والماء الطهور وهو المطهر . والطهارة من القبائح والرذائل ، ومنه : أناس يتطهرون . (طيب) له معنيان : اللذيذ ، والحلال (طوفان) السيل العظيم (طاغوت) أصنام وشياطين ، ويكون مفردا أو جمعا ، والطاغوت أيضا : رؤوس النصارى على قول (طباق) بعضها على بعض ، وطبقا عن طبق : حالا بعد حال (طور) جبل وهو الطور (طفق) يفعل كذا : أى جعل يفعله (طائفين) من الطواف ، وطائف من الشيطان لمم وقرئ طيف

حرف الظاء : (ظهر) الأمر : بدا ، وأظهره غيره : أبداه ، وظهير : معين (ظاهر) الرجل من امرأته ، وتظاهر ، وتظهر : أى قال لها : أنت علىّ كظهر أمى . وهو الظاهر (ظهر) البيت أعلاه وظهرته أى ارتفعت عليه ، ومنه : فما استطاعوا أن يظهروه (ظلم) وقع فى القرآن على ثلاثة معان : الكفر ، والمعاصى ، وظلم الناس : أى التعدى عليهم (ظن) له ثلاثة معان : التحقيق ، وغلبة أحد الاعتقادين ، والتهمة (ظمئ) عطش (ظلال) جمع ظل . وظلل بالضم جمع ظلة وهى ماكان من فوقه وظل بالنهار بمنزلة بات بالليل

حرف العين : (عاذ) بالله يعوذ أى استجار به ليدفع عنه مايخاف ، ويقال أيضا استعاذ يستعيذ ، ومنه عذت بربى ، ومعاذ الله (العالمين) جمع عالم ، وهو عند المتكلمين : كل موجود سوى الله تعالى ، وقيل العالمين : الإنس والجن والملائكة ، لجمعه جمع العقلاء ، وقيل الإنس خاصة ، لقوله « أتأتون الذكران من العالمين » (يعمهون) يتحيرون فى ضلالهم ، والعمه : الحيرة (عدل) يعدل: ضدجار ، وعدل عن الحق ، عدولا ، وعدلت فلانا بفلان : سويت بينهما ، ومنه: أو عدل ذلك صياما (عزيز) اسم الله تعالى ، معناه : الغالب ، وعزّ : غلب ، ومنه : وعزنى فى الخطاب ، والغلبة ترجع إلى القوة والقدرة ، ومنه : فعززنا بثالث . أى قوينا ، وقيل العزيز القديم المثل (عفا) له أربعة معان : عفا عن الذنب : أى صفح عنه ، وعفا : أسقط حقه ، ومنه إلا أن يعفون أو يعفو الذى ، وعفا القوم كثروا ، ومنه : حتى عفوا ، وعفا المنزل : إذا درس (عفو) له ثلاث معان ، العفو عن الذنب ، والإسقاط ، والسهل من غير كلفة : ومنه : ماذا ينفقون قل العفو (عين) بكسر العين وإسكان الياء : وهو جمع عيناء (عنت) معناه الهلاك أو المشقة ، ومنه : ولو شاء الله لأعنتكم : أى أهلككم ، أو ضيق عليكم ، والعنت أيضا . الزنا ، ومنه : ذلك لمن خشى العنت منكم . وأمّا عنت الوجوه : فليس من

Marfat.com

هذا ، لأنّ لامه واو فهو من عتا يعتو إذا خضع (عاقب) له معنيان : من العقوبة على الذنب ، ومن العقبى ، ومنه : وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم : أى أصبتم عقبا (أعجاز) نخل : أصولها ، أعجز الشيء : إذا فات ولم يقدر عليه ، ومنه : وماهم بمعجزين ، وما كان الله ليعجزه من شيء ، وأما معاجزين بالألف : فمعناه مسابقين (عال) يعيل عيلة : أى افتقر ومنه : ووجدك عائلا ، وعال يعول : عدل عن الحق ، وعال يعول أيضا : كثر عياله ، والأشهر أنّ يقال فى هذا المعنى أعال بالألف (عرج) يعرج بفتح الراء فى الماضى ، وضمها فى المضارع صعد وارتقى ومنه المعارج ، وعرج بالكسر فى الماضى والفتح فى المستقبل : صار أعرج (عتى) معناه الرضى ، ومنه : فما هم من المعتبين ، ولاهم يستعتبون ، العتاب العدل (أعد) بالألف يسدّ الشيء : هيأه ، وعدّ بغير الألف من العدد (عرش) سرير الملك ، ومنه : ورفع أبويه على العرش ، وأهكذا عرشك ، وعرش الله فوق السماء ، وتعرشون تبنون ، وعلى عروشها سقوفها (عورة) أصل معناه الانكشاف فيما يكره كشفه ، ولذلك قيل عورة الإنسان ، عورات : أى أوقات انكشاف ، وبيوتنا عورة : أى خالية معرّضة للسراق (عاقر) له معنيان : المرأة العقيم ، واسم فاعل من عقر الحيوان (عبر) يعبر ، له معنيان من عبارة الرؤيا ومنه : إن كنتم للرؤيا تعبرون ، ومن الجواز على الموضع ، ومنه : عابر سبيل (عمون) جمع عم ، وهو صفة على وزن فعل بكسر العين من العمى فى البصر أو فى البصيرة (علا) يعلو : تكبر ، ومنه قوما عالين ، وعلا فى الأرض ، والعلىّ اسم الله ، والمتعالى ، والأعلى : من العلوّ بمعنى الجلال والعظمة ، وقيل بمعنى التنزيه عن عما لا يليق به (عزب) الشيء : غاب ، ومنه : لا يعزب عن ربك : أى لا يخفى عنه (عصبة) جماعة من العشرة إلى الأربعين (علقة) واحدة العلق : وهو الدم (عاصف) ريح شديدة (عصف) ورق الزرع

حرف الغين : (غشاوة) غطاء إما حقيقة أو مجاز (غمام) هو السحاب (غلف) جمع أغلف ، وهو كل شيء جعلته فى غلاف : أى قلوبنا محجوبة (غرفة) بضم الغين لها معنيان : المسكن المرتفع ، والغرفة من الماء بالضم وبالفتح : المرة الواحدة (غادر) ترك ، ومنه لم نغادر (غل) يغل : من الغلول ، وهو الخيانة والأخذ من المغنم بغير حق ، والغل الحقد (أغلال) جمع غل بالضم ، وهو ما يجعل فى العنق ، ومنه مغلولة (غلا) يغلو من الغلو وهو مجاوزة الحد والإفراط ، ومنه لا تغلوا فى دينكم أى لا تجاوزوا الحد (غائط) المكان المنخفض ، ثم استعمل فى حاجة الإنسان (غشى) الأمر يغشى بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع معناه غطى حسا ومعنى ، ومنه : والليل إذا يغشى ؛ لأنه يغطى بظلامه ، وينقل بالهمزة والتشديد ، فيقال غشى وأغشى ، ومن فوقهم غواش يعنى ما يغشاهم من العذاب أو يصيبهم ، ومنه : غاشية من عذاب الله ، والغاشية أيضا : القيامة ؛ لأنها تغشى الخلق (غبر) له معنيان : ذهب وبقى ، ومنه عجوزا فى الغابرين : أى فى الهالكين أو فى الباقين فى العذاب (غرور) بضم الغين . وبفتحها : اسم فاعل مبالغة ، ويراد به إبليس (غاض) الشيء : نقص ، ومنه : وغيض الماء . وتغيض الأرحام . وغاظ بالظاء يغيظ من الغيظ (غور) غاير من غار الماء إذا أذهب (غرام) عذاب ومنه : إنا لمغرمون ، والمغرم : غرم المال ومنه : من مغرم مثقلون

حرف الفاء : (فرقان) مفرق بين الحق والباطل . ومنه : يجعل لكم فرقانا : أى تفرقة . ولذلك سمى القرآن بالفرقان (فئة) جماعة من الناس (فصال) فطام من الرضاع (فضل) له معنيان : الإحسان . والربح فى التجارة وغيرها . ومنه : يبتغون من فضل الله (فسق) أصله الخروج وتارة يرد بمعنى الكفر . وتارة بمعنى العصيان

Marfat.com

(فتنة) لها ثلاثة معان : الكفر . والاختبار . والتعذيب (فاء) يفيء أى رجع (فلك) بضم الفاء : سفينة . ويستوى فيه المفرد والجمع (فلك) بفتحتين القطب الذى تدور به الكواكب (فزع) له معنيان : الخوف والإسراع . ومنه : إذا فزعوا فلا فوت (فرح) له معنيان : السرور والبطر (فاحشة) وفحشاء : هى كل مايقبح ذكره من المعاصى (فرض) له معنيان : الوجوب . والتقدير (فتح) له معنيان فتح الأبواب . ومنه فتح البلاد وشبهها . والحكم ومنه : افتح بيننا وبين قومنا . ويقال للقاضى فاتح . واسم الله الفتاح : قيل الحاكم · وقيل خالق الفتح والنصر (انفضوا) تفرقوا (فطره) خلقه ابتداء . ومنه : فاطر السموات والأرض . وفطرة الله : التى خلق الخلق عليها . وأفطر بالألف من الطعام (فطور) شقوق . ومنه انفطرت أى انشقت . ويتفطرن (فج) طريق واسع وجمعه فجاج (فار التنور) يقال لكل شيء هاج وعلا حتى فاض . ومنه : وهى تفور . وقولهم فارت القدر (فوج) جماعة من الناس وجمعه أفواج (فاكهين) من التلذذ بالفاكهة أو من الفكهة وهى السرور واللهو (فؤاد) هو القلب ، وجمعه أفئدة (استفز) يستفز : أى استخف (فقه) فهم . ومنه : لايفقهون . وما نفقه كثيرا (فى) حرف جر بمعنى الظرفية . وقد تكون للتعليل . وقد تكون بمعنى مع . وقيل بمعنى على (الفاء) لها ثلاثة أنواع : عاطفة . ورابطة . وناصبة للفعل بإضمار أن . ومعناها الترتيب والتعقيب والسبب

حرف القاف : (قرآن) القرآن العزيز . ومصدره قرأ : أى تلا . ومنه إن علينا جمعه وقرآنه (قنوت) له خمسة معان : العبادة . والطاعة . والقيام فى الصلاة . والدعاء . والسكوت (قضاء) له سبعة معان : الحكم . والأمر . والقدر السابق . وفعل الشيء ، والفراغ منه ، والموت ، والإعلام بالشيء ، ومنه . قضينا إليه ذلك الأمر (قدر) له خمسة معان : من القدرة ، ومن التقدير ، ومن المقدار ، ومن القدر ، والقضاء ، وبمعنى التضييق نحو : فقدر عليه رزقه ، وقد يشد الفعل ويخفف . والقدر بفتح الدال وإسكانها القضاء والمقدار وبالفتح لاغير من القضاء (قام) له معنيان : من القيام على الرجلين ، ومن القيام بالأمر بتقديره وإصلاحه ، ومنه : الرجال قوامون على النساء ، وقام الأمر : ظهر واستقام ، ومنه : الدين القيم دين القيامة (أقام) له ثلاثة معان : أقام الرجل غيره من القيام ، ومن التقويم ومنه : جدارا يريد أن ينقض فأقامه ، وأقام فى الموضع : سكن ، ومنه مقيم أى دائم (قيوم) اسم الله تعالى وزنه فيعول وهو بناء مبالغة من القيام على الأمور معناه مدبر الخلائق فى الدنيا وفى الآخرة ومنه : قائم على كل نفس : له معنيان : مصدر قام على اختلاف معانيه ، وبمعنى قوام الأمر وملاكه ، وقيم بغير ألف : جمع قيمة (قرض) سلف والفعل منه أقرض يقرض (أقسط) بألف : قسطا : عدلا فى الحكم ، ومنه يحب المقسطين ، وقسط بغير ألف : جار ، ومنه : وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا (مقاليد) فيه قولان : خزائن ، ومفاتح (قدس) يقدس من التنزيه والطهارة ، وقيل من التعظيم ، والقدوس : اسم الله تعالى فعول من النزاهة عما لا يليق به (قال) يقول من القول ، وقد يكون بمعنى الظن ومصدره قول ، وقال يقيل : من القايلة ، ومنه : أوهم قائلون ، وأحسن مقيلا (قفى) اتبع ، وأصله من القفا ، يقال أقفوته : إذا جيت فى أثره وقفيته بالتشديد : إذا سقت شيئا فى أثره ، ومنه : وقفينا من بعده بالرسل (قرن) جماعة من الناس ، وجمعه قرون (قواعد) البيت : أساسه ، واحدها قاعدة ، والقواعد من النساء : واحدة قاعد ، وهى العجوز (قربان) مايتقرب به إلى الله تعالى من الذبائح وغيرها ، وقربان أيضا من القرابة (قلى) يقلى : أبغض ، ومنه : وما قلى ، ولعملكم من القالين (اقترف) اكتسب حسنة أو سيئة (قصص) له معنيان : من الحديث ، ومن قص الأثر ، ومنه :

Marfat.com

على آثارهما قصصا، وقصيه (قررت) به عينا، قرر بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع (قـطاس) ميزان (قتر) وقترة: غبار، وعبارة عن تغير الوجه، وقتور من التقتير (قارعة) داهية وأمر عظيم (قبس) شعلة نار (قنط) يئس من الخير (قرطاس) صحيفة وجمعه قراطيس

حرف الكاف: (كافر) له معنيان: من الكفر وهو الجحود، وبمعنى الزرع، ومنه: أعجب الكفار نباته أى الزراع، وتكفير الذنوب غفرانها (كرة) رجعة (كبر) بكسر الباء من السن يكبر بالفتح فى المضارع، وكبر الأمر بالضم فى المضارع والماضى، وكبر بضم الكاف وفتح الباء: جمع كبرى، وكبار بالضم والتشديد: كبير مبالغة، والكبر: التكبر، وكبر الشىء بكسر الكاف وضمها: معظمه، والكبرياء: الملك والعظمة، والمتكبر: اسم الله تعالى من الكبرياء، وبمعنى العظمة (كفل) يكفل: أى ضم الصبى وحضنه، وأكفلنيها اجعلنى كافلها (كفيل) نصيب (كلالة) هى أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد (كاد) قارب الأمر ولم يفعله فإذا نفى اقتضى الإثبات (كريم) من الكرم وهو الحسب والجلالة والفضل، وكريم: اسم الله تعالى أى محسن (أكنه) أغطيه وأكنان جمع كن. وهو ما وقى من الحر والبرد (كهل) هو الذى انتهى شبابه (أكمام) الثمار والنخيل جمع كم وهو ماتكون الثمرة فيه قبل خروجها (أكب) الرجل على وجهه فهو مكب، وكبه غيره بغير ألف (كهف) غار (كيد) هو من المخلوق احتيال، ومن الله مشيئة أمر ينزل بالعبد من حيث لا يشعر (كسفا) بفتح السين جمع كسفة، وهى القطعة من الشىء وبالسكون كذلك أو مفرد (كبتوا) أى أهلكوا: أى يكبتهم، ثم يهلكهم، أو يخذلهم (أكمه) هو الذى ولد أعمى (كان) على نوعين: تامة بمعنى حضر أو حدث أو وقع. وهى ترفع الفاعل. وناقصة: ترفع الاسم وتنصب الخبر، وتقتضى ثبوت الخبر للمخبر عنه فى زمانها. وقد تأتى بمعنى الدوام فى مثل قوله: وكان الله غفورا رحيما، وكان ربك قديرا، وشبه ذلك، وهو كثير فى القرآن، ومعناه: لم يزل ولا يزال موصوفا بذلك الوصف (كأن) معناها التشبيه (كى) معناها التعليل (كم) معناها التكثير، وهى خبرية واستفهامية (كأين) بمعنى كم، وهى عند سيبويه كاف التشبيه دخلت على أى (كلا) حرف ردع وزجر، وقيل إنها تكون للنفى: أى ليس الأمر كما ظننت، وقيل إنها استفتاح كلام بمعنى إلا (الكاف) بمعنى التشبيه وبمعنى التعليل، وقيل إنها تكون زائدة.

حرف اللام: (لبس) الأمر أى خلطه بفتح الباء فى الماضى وكسرها فى المستقبل (ألباب) عقول، وهو جمع لب (لبث) فى المكان أقام فيه (لمز) يلمز: أى عاب الشىء (لؤلؤ) جوهر (لغو) الكلام: الباطل منه، والفحش، ولغو اليمين: مالا يلزم (لها) بفتح الهاء من اللهو، ومضارعه يلهو، ولهى عن الشىء بالكسر والياء يلهى بالفتح. إذا أعرض عنه وألهاه الشىء. إذا أشغله، ومنه لا تلهكم أموالكم (لطيف) اسم الله تعالى، قيل معناه رفيق، وقيل خبير بخفيات الأمور (لدى ولدن) معناها عند (ليت) معناها التمنى (لعل) معناها الترجى فى المحبوبات، والتوقع للمكروهات، وأشكل ذلك فى حق الله تعالى، فقيل جاءت فى القرآن على منهاج كلام العرب وبالنظر إلى المخاطب: أى ذلك مما يرتجى عندكم أى يتوقع، وقد يكون معناها التعليل، أو مقاربة الأمر فلا إشكال (لولا) لها معنيان. التمنى، وامتناع شىء لامتناع غيره (لما) لها معنيان: النفى وهى الجازمة ووجود شىء لوجود غيره وأما «لما» بالتخفيف، فهى لام التأكيد دخلت على ما، وقال الكوفيون هى

Marfat.com

بمعنى إلا الموجبة بعد النفى (لا) ثلاثة أنواع : نافية ، وناهية ، وزائدة (اللام) خمسة أنواع : لام الجر ، ولام كى ، ولام الأمر ، ولام التأكيد فى القسم وغيره وهى المفتوحة ، ثم إن لام الجر لها ثلاثة معان . الملك ، والاستحقاق ، والتعليل . وقد تأتى التعدى إذا ضعف العامل ، وقد تأتى بمعنى عند ، نحو أقم الصلاة لدلوك الشمس ، ولام كى معناها التشبيه والتعليل ، وقد تأتى بمعنى الصيرورة والعاقبة ، نحو فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا . وقد تأتى بمعنى أن المصدرية ، ومنه : يريد الله ليبين لكم

حرف الميم : (مرض) الجسد معروف . ومرض القلب : الشك فى الإيمان ، والبغض فى الدين (المن) شبه العسل ، والسلوى طائر ، والمن أيضا : الإنعام ، والمن أيضا : العطية ، والمن أيضا : القطع ، ومنه أجر غير ممنون (أمانى) جمع أمنية ولها ثلاثة معان : ما تتمناه النفس ، والتلاوة ، والكذب . وكذلك تمنى . له هذه المعانى الثلاثة (ملأ) القوم : أشرفهم ، وذوو الرأى منهم (مثل) بفتح الميم والمثلثة ، لها أربعة معان : الشبيه والنظير ومن المثل المضروب ، وأصله من التشبيه ، ومثل الشىء حاله وصفته ، والمثل الكلام الذى يتمثل به ، ومثل الشىء بكسر الميم شبهه (مرية) شك ، ومنه : الممترين أى الشاكين ، لا تمار من المراء وهو الجدال (أملى) لهم : أمهلهم وزادهم (مهاد) فراش (مد) يمد : أى أملى ، وقد تكون بمعنى زاد مثل أمد بألف من المداد (مضغة) قطعة لحم (إملاق) فقر (مرد) فهو مارد : من العتو والضلال (مكانة) بمعنى مكان أى من التمكين والعز ، ومنه مكين (مواخر) فواعل من المخر يقال مخرت السفينة إذا جرت تشق الماء (مجيد) من المجد وهو الكرم والشرف (مقت) هو الذم أو البغض على ما فعل من القبيح (معين) ماء كثير جار وهو من قولك : معن الماء إذا كثر . وقيل : هو مشتق من العين ، ووزنه مفعول ، فالميم زائدة (مارج) مختلط والمارج لهب النار ، من قولك مرج الشىء إذا اضطرب ، وقيل من الاختلاط أى خاط نوعين من النار (مرج) البحرين ، أى خلى بينهما ، وقيل خلطهما ، وقيل فاض أحدهما فى الآخر (مهل) فيه قولان : دردى الزيت ، وما أذيب من النحاس (منون) له معنيان : الموت ، والدهر (مس) له معنيان : اللمس باليد وغيره ، والجنون (من) لها أربعة أنواع : شرطية ، وموصولة ، واستفهامية ، ونكرة موصوفة (ما) إذا كانت اسما فلها ستة أنواع : شرطية ، وموصولة ، واستفهامية ، وموصوفة ، وصفة ، وتعجبية ، وإذا كانت حرفا فلها خمسة أنواع : نافية ومصدرية وزائدة وكافية ومبهمة (من) لها ستة أنواع : لابتداء الغاية ، ولجملة الغاية ، وللتبعيض ، ولبيان الجنس والتعليل ، وزائدة (مهما) اسم شرط

حرف النون : (نظر) له معنيان . من النظر ، ومن الانتظار ، فإذا كان من الانتظار تعدى بغير حرف ، ومن نظر العين يتعدى بإلى ، ومن نظر القلب يتعدى بفى (أنظر) بالألف أخر ، ومنه أنظرنى ، ومن المنظرين ونظرة إلى ميسرة (نضرة) بالضاد من التنعم ، ومنه وجوه يومئذ ناضرة : أى ناعمة ، وأما إلى ربها ناظرة ، فمن النظر (نعمة) بفتح النون من النعيم وبكسرها من الإنعام (أنعام) هى : الإبل ، والبقر ، والغنم . دون سائر البهائم ويجوز تذكيرها وتأنيثها ، ويقال لها أيضا نعم ، ونعم كلمة مدح ، ويجوز فيها كسر النون وفتحها ، وإسكان العين وكسرها (نعم) بفتح العين والنون كلمة تصديق وموافقة على ما قبلها بالنفى أو الإثبات ، بخلاف بلى : فإنها للإثبات خاصة ، ويجوز فى نعم فتح العين وكسرها (ند) هو المضاهى والمماثل والمعانت ، وجمعه أنداد (أنذر) أعلم بالمكروه قبل وقوعه ، ومنه : نذير ، ومنذر ، والمنذرين ، وكيف كان نذير : أى إنذارى فهو مصدر ، ومنه عذابى ونذر ، والنذر بغير ألف ومنه نذر ، ثم من نذر : فليوفوا نذورهم (نكال) له معنيان :

Marfat.com

العقوبة ، والعبرة (نجى) بتشديد الجيم له معنيان : من النجاة ومن النجوة : وهو الموضع المرتفع ومنه ننجيك ببدنك على قول (نجوى) معناه كلام خفي ، ومنه : ناجى ، وقربناه نجيا ، وقيل إنه يكون بمعنى الجماعة من الناس فى قوله : وإذ هم نجوى ، وقد يجمع ذلك على حذف مضاف تقديره وإذ هم أصحاب نجوى (نسيان) له معنيان : الذهول ، ومنه إن نسينا أو أخطأنا ، والترك ومنه : نسوا الله فنسيهم (نسخ) له معنيان : الكتابة ، ومنه نستنسخ ما كنتم تعملون ، والإزالة : ومنه : ماننسخ من آية أو ننسها (نصر) بالصاد المهملة معروف ، وبالسين اسم صنم : ويعوق ونسرا ، أو اسم طائر أيضا (نشوز) بالزاى : له معنيان شرّ بين الرجل والمرأة ، وارتفاع ، ومنه انشزوا أى قوموا من المكان (نزل) بضمتين رزق ، وهو مايطعم الضيف (نأى) بعد ومنه ينأون عنه (نكص) رجع إلى وراء (نفر) نفورا عن الشيء ونفر ينفر بضم المضارع ، ومنه نفرت الدابة ، ونفر ينفر بكسر المضارع نفيرا : أى ، أسرع ، وجد ، ومنه : انفروا فى سبيل الله (نبأ) خبر ، ومنه اشتق النبيء بالهمز ، وترك الهمز تخفيفا ، وقيل إنه عنده من ترك مشتق من النبوة ، وهى الارتفاع (نطفة) أى نقطة من ماء ، ومنه خلقكم من نطفة يعنى من المنى (أناب) إلى الشيء : رجع ومال إليه ، ومنه : منيب (نفذ) ينفذ أى تم وانقطع (نهر) بفتح الهاء الوادى ، ويجوز الإسكان . وأمّا السائل فلا تنهر : فهو من الانتهار ، وهو الزجر (منير) من النور ، وهو الضوء حساً أو معنى (نصب) بضمتين وبضم النون وإسكان الصاد ، وبفتح النون وإسكان الصاد بمعنى واحد ، وهو حجر أو صنم كان المشركون يذبحون عنده وجمعه أنصاب (نصب) بفتحتين تعب ، ومسنى الشيطان بنصب : أى بلاء وشر (نقم) الشيء ينقمه أى كرهه وعابه (نضيد) أى منصوب بعضه إلى بعض (نكير) إنكار ، ويقال نكر الشيء وأنكره (نسل) بمعنى أسرع ومنه ينسلون ، من النسلان وهو الإسراع فى المشى مع قرب الخطا

حرف الهاء : (الهدى) له معنيان : الإرشاد والبيان ، ومن البيان : فأما ثمود فهديناهم ، والإرشاد قد يكون إلى الطريق ، إلى الدين ، وبمعنى التوفيق والإلهام (هدى) بفتح الهاء وإسكان الدال مايهدى إلى الكعبة من البهائم (هاد) يهود : أى تاب ، ومنه هدنا إليك ، والذين هادوا : أى تهودوا أى صاروا يهودا ، وأصله من قولهم : هدنا إليك (هود) له معنيان : اسم نبى عاد عليه السلام وبمعنى اليهود ، ومنه كونوا هوداً (هوى) النفس : مقصور وهو ماتحبه وتميل إليه ، والفعل منه : بكسر الواو فى الماضى وفتحها فى المضارع (والهواء) بالمد والهمز : مابين السماء والأرض ، وأفئدتهم هواء : أى متحرقة لاتعى شيئا (وهوى) يهوى بالفتح فى الماضى والكسر فى المضارع : وقع من علو ، ويقال أيضا بمعنى الميل ، ومنه : أفئدة من الناس تهوى إليهم (هاجر) خرج من بلاده ، ومنه سمى المهاجرون (هجر) من الهجران ، ومنه الهجر أيضا ، وهو فحش الكلام ، وقد يقال فى هذا الهجر بالألف (أهل) لغير الله به أى صيح ، والإهلال : الصياح ، وفى النية أى أريد به غير الله (مهيمن) عليه شاهد ، وقيل مؤتمن ، والمهيمن . اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم ، وقيل الشهيد ، وقيل الرقيب (هوان ، هون) أى ذل (مهين) بضم الميم أى مفعل مشتق من الهوان : أى مذل ، وأما مهين ، بفتح الميم فمعناه : ضعيف أو ذليل

حرف الواو : (وقود) النار بفتح الواو : ماتوقد به من الحطب وشبهه ، والوقود بالضم المصدر (وجه) له معنيان : الجارحة ، والجهة . وأما وجه الله : ففى قوله ابتغاء وجه الله أى طلب رضاه ، وفى قوله : كل شيء هالك إلا وجهه ، ويبقى وجه ربك : قيل الوجه الذات ، وقيل صفة كاليدين ، وهو من المتشابه (وعد) يعد

وعدا بالخير ، وقد يقال فى الشر وأوعد بالألف يوعد وعيدا بالشر لاغير (ودّ) يودّ له معنيان من المودة والمحبة ، وبمعنى تمنى : ودّوا لو تكفرون ، والودّ بالضم : المحبة ، وودّ : اسم صنم بضم الواو وفتحها (ودود) اسم الله تعالى أى محب لأوليائه وقيل محبوب (ويل) كلمة شر ، وقيل إن الويل وادفى جهنم (وجب) له معنيان من وجوب الحق بمعنى سقط كقولهم وجب الحائط إذا سقط ومنه وجبت جنوبها (وسط) وأوسط له معنيان من التوسط بين الشيئين ، وبمعنى الخيار والأحسن (وسع) يسع سعة : من الاتساع ضد الضيق ، والسعة الغنى . والواسع اسم الله تعالى : أى واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة (واسع) جواد موسع غنىّ أى واسع الحال وهو ضد المقتر : وإنا لموسعون قيل أغنياء ، وقيل قادرون ، وإلاوسعها : طاقتها (ولى) له معنيان : أدبر ، وجعل واليا ، وتولى له ثلاث معان : أدبر ، وأعرض بالبدن أو بالقلب ، وصار واليا ، واتخذ وليا ، ومنه : ومن يتولى الله ورسوله (ولىّ) ناصر ، والولى اسم الله ، قيل ناصر ، وقيل متولى أمر الخلائق (مولى) له سبعة معان : السيد والأعظم ، والناصر ، والوالى أى القريب ، والمالك والمعتق ، وبمعنى أولى ، ومنه النار مولاكم (ولج) يلج أى دخل ، ومنه : مايلج فى الأرض ، وأولج : أدخل ، ومنه : يولج الليل فى النهار (وهن) يهن : ضعف ، ومنه : وهن العظم ، والوهن : الضعف (ورد) الماء يرده : إذا جاء إليه وأورده غيره ، وأرسلوا واردهم ، الذى يتقدمهم إلى الماء فيسقى لهم (أوزعنى) أى ألهمنى ووفقنى (يوزعون) يدفعون (وليد) صبى والجمع ولدان (وجل) يوجل وجلا : خاف . ومنه : لاتوجل (أوجس) وجد فى نفسه وأضمر (وارى) يوارى : أى يستر ومنه يوارى سوأة أخيه ، وماوورى عنهما ، وتواروا أى استتروا واستخفوا (وطأ) يطأ . له ثلاث معان : جماع المرأة . ومن الوطئ بالأقدام . ومنه أرضا لم تطؤها . والإهلاك . ومنه : لم تعلموهم أن تطؤهم (وقر) بفتح الواو وهو الصمم والثقل فى الأذن . والوقر بكسر الواو : الحمل . ومنه : فالحاملات وقرا (ودق) هو المطر (واصب) أى دائم (وكيل) كفيل بالأمر . وقيل كاف (وزر) بفتحتين أى ملجأ (وزير) أى معين . وأصله من الوزر بمعنى الثقل . لأنّ الوزير يحمل عن الملك أثقاله (وسوس) الشيطان إلى الإنسان : ألقى فى نفسه . والوسواس: الشيطان (أوحى) يوحى وحيا ، له ثلاث معان: كلام الملك من الله للأنبياء . ومنه قيل للقرآن وحى . وبمعنى الإلهام، ومنه: أوحى ربك إلى النحل، وبمعنى الإشارة . ومنه : فأوحى إليهم أن سبحوا: أى أشار (وعى) العلم يعى: حفظه . ومنه : أذن واعية، وأوعى بالألف: يعنى جمع المال فى وعاء . ومنه : جمع فأوعى

حرف الياء : (يمين) له أربعة معان : اليد اليمين . وبمعنى القوة . وبمعنى الحلف . وأيمن أى إلى الجهة اليمين (يسير) له معنيان قليل ، ومنه : كيل يسير ، وهين ، ومنه : ذلك على الله يسير ، واليسر : ضد العسر (يئس) أى انقطع رجاؤه ، ومنه : لاتيئسوا من روح الله ، وإنه ليؤس وأما : أفلم ييئس الذين آمنوا : فمعناه ألم يعلم (يم) هو البحر (ميسر) هو القمار فى النرد والشطرنج وغير ذلك . وهو مأخوذ من يسر لى كذا إذا وجب . واليسر بفتح الياء والسين : الرجل الذى يشتغل بالميسر . وجمعه أيسار . وميسر العرب أنهم كانوا لهم عشرة قداح وهم الأزلام لكل واحد منها نصيب معلوم من ناقة ينحرونها . وبعضها لانصيب له . ويجزؤنها عشرة أجزاء ثم يدخلون الأزلام فى خريطة ويضعونها على يد عدل . ثم يدخل يده فيها فيخرج باسم رجل قدحا . فمن خرج له قدح له نصيب : أخذ ذلك النصيب . ومن خرج له قدح لانصيب له : غرم ثمن الناقة كلها (ينبوع) أى عين من ماء والجمع ينابيع

Marfat.com

الكلام على الاستعاذة

فى عشرة فوائد : من فنون مختلفة : (الأولى) لفظ التعوذ على خمسة أوجه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو المروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمختار عند القراء . وأعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ، وأعوذ بالله القوى من الشيطان الغوى . وأعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد . وهى محدثة : وأعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . وهو مروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم (الثانية) يؤمر القارئ بالاستعاذة قبل القراءة . سواء ابتدأ أول سورة أو جزء سورة على الندب (الثالثة) يجهر بالاستعاذة عند الجمهور وهو المختار . وروى الإخفاء عن حمزة ونافع (الرابعة) لا يتعوذ فى الصلاة عند مالك . ويتعوذ فى أول ركعة عند الشافعى وأبى حنيفة . وفى كل ركعة عند قوم . فحجة مالك عمل أهل المدينة وحجة قول غيره : قول الله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وذلك يعم الصلاة وغيرها (الخامسة) إنما جاء أعوذ بالمضارع دون الماضى ؛ لأن معنى الاستعاذة لا يتعلق إلا بالمستقبل لأنها كالدعاء وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده مشاكلة للأمر به فى قوله « فاستعذ » (السادسة) الشيطان : يحتمل أن يراد به الجنس فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين ، أو العهد فتكون الاستعاذة من إبليس . وهو من شطن إذا بعد ؛ فالنون أصلية والياء زائدة . وزنه فيعال . وقيل من شاط إذا هاج ؛ فالنون زائدة . والياء أصلية ووزنه فعلان . وإن سميت به لم ينصرف على الثانى لزيادة الألف والنون ، وانصرف على الأول (السابعة) الرجيم فعيل بمعنى مفعول ، ويحتمل معنيين : أن يكون بمعنى لعين وطريد . وهذا يناسب إبليس لقوله (وجعلناها رجوما للشياطين) والأول أظهر (الثامنة) من استعاذ بالله صادقا أعاذه ؛ فعليك بالصدق ؛ ألا ترى امرأة عمران لما أعاذت مريم وذريتها عصمها الله . فى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « ما من مولود إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا إلا ابن مريم وأمه (التاسعة) الشيطان عدو . وحذر الله منه إذ لا مطمع فى زوال علة عداوته . وهو يجرى من ابن آدم مجرى الدم . فيأمره أولا بالكفر ويشككه فى الإيمان ؛ فإن قدر عليه ؛ وإلا أمره بالمعاصى . فإن أطاعه وإلا ثبطه عن الطاعة . فإن سلم من ذلك أفسدها عليه بالرياء والعجب (العاشرة) القواطع عن الله أربعة : الشيطان ، والنفس ، والدنيا ، والخلق . فعلاج الشيطان : الاستعاذة والمخالفة له ، وعلاج النفس : بالقهر ، وعلاج الدنيا : بالزهد ، وعلاج الخلق : بالانقباض والعزلة

الكلام على البسملة

فيه عشر فوائد . (الأولى) ليست البسملة عند مالك آية من الفاتحة ولا من غيرها ، إلا فى النمل خاصة ، وهى عند الشافعى آية من الفاتحة ، وعند ابن عباس آية من أول كل سورة ، فحجة مالك ما ورد فى الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « أنزلت على سورة ليس فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى القرآن مثلها ، ثم قال : الحمد لله رب العالمين » فبدأ بها دون البسملة ، وما ورد فى الحديث الصحيح « إن الله يقول : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين : يقول العبد الحمد لله رب العالمين » فبدأ بها دون البسملة : وحجة الشافعى ما ورد فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم .

Marfat.com

الحمد لله رب العالمين وحجة ابن عباس ثبوت البسملة مع كل سورة فى المصحف (الثانية) إذا ابتدأت أول سورة بسملت ؛ إلا براءة . وسنذكر علة سقوطها من براءة فى موضعه ، وإذا ابتدأت جزء سورة فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبى عمرو الدانى ، وتترك البسملة عند غيره ، وإذا أتممت سورة وابتدأت أخرى ، فاختلف القراء فى البسملة وتركها (الثالثة) لا يبسمل فى الصلاة عند مالك ، ويبسمل عند الشافعى جهرا فى الجهر ، وسرًّا فى السرّ ، وعند أبى حنيفة سرًّا فى الجهر والسرّ فحجة مالك من وجهين : أحدهما أنه ليست عنده آية فى الفاتحة حسبما ذكرنا ، والآخر ما ورد فى الحديث الصحيح عن أنس أنه قال «صليت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم فى أول الفاتحة ولا فى آخرها » وحجة الشافعى من وجهين : أحدهما أن البسملة عنده آية من الفاتحة ، والأخرى ما ورد فى الحديث من قراءتها حسبما ذكرنا (الرابعة) كانوا يكتبون باسمك اللهم حتى نزلت بسم الله مجراها فكتبوا بسم الله ، حتى نزلت أو ادعوا الرحمن فكتبوا بسم الله الرحمن ، حتى نزل إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبوها ، وحذفت الألف فى بسم الله لكثرة الاستعمال (الخامسة) الباء من بسم الله : متعلقة باسم محذوف عند البصريين والتقدير : ابتداء كائن بسم الله ؛ فموضعها رفع ، وعند الكوفيين تتعلق بفعل تقديره أبدأ أو أتلو فموضعها نصب وينبغى أن يقدر متأخراً لوجهين : أحدهما : إفادة الحصر والاختصاص ، والأخرى : تقديم اسم الله اعتناء كما قدم فى بسم الله مجراها (السادسة) الاسم مشتق من السمو عند البصريين فلامه واو محذوفه ، وعند الكوفيين مشتق من السمة وهى العلامة ، ففاؤه محذوفة ، ودليل البصريين التصغير والتكبير ؛ لأنهما يردان الكلمات إلى أصولها ، وقول الكوفيين أظهر فى المعنى ، لأن الاسم علامة على المسمى (السابعة) قولك الله اسم مرتجل جامد ، والألف واللام فيه لازمة لا للتعريف ، وقيل إنه مشتق من التأله وهو التعبد ، وقيل من الولهان : وهى الحيرة لتحير العقول فى شأنه ، وقيل أصله إله من غير الف ولام ، ثم حذفت الهمزة من أوله على غير قياس ، ثم أدخلت الألف واللام عليه ، وقيل أصله الإله بالألف واللام ثم حذفت الهمزة ، ونقلت حركتها إلى اللام كما نقلت إلى الأرض وشبهه ، فاجتمع لامان ، فأدغمت إحداهما فى الأخرى ، وفخم للتعظيم ؛ إلا إذا كان قبله كسرة (الثامنة) الرحمن الرحيم صفتان من الرحم ومعناهما الإحسان فهى صفة فعل وقيل إرادة الإحسان ، فهى صفة ذات (التاسعة) الرحمن الرحيم على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الرحمن فى الدنيا والرحيم فى الآخرة ، وقيل الرحمن عام فى رحمة المؤمنين والكافرين لقوله (وكان بالمؤمنين رحيما) فالرحمن أعم وأبلغ ، وقيل الرحمن . أبلغ لوقوعه بعده ، على طريقة الارتقاء إلى الأعلى (العاشرة) إنما قدم الرحمن لوجهين : اختصاصه بالله ، وجريانه مجرى الأسماء التى ليست بصفات . انتهى والله أعلم

قال الله تعالى : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة أمّ القرآن

وتسمى سورة الحمد لله ، وفاتحة الكتاب ، والواقية ، والشافية ، والسبع المثانى . وفيها عشرون فائدة ، سوى ماتقدم فى اللغات من تفسير ألفاظها ، واختلف هل هى مكية أو مدنية ؟ ولا خلاف أن الفاتحة سبع آيات إلا أنّ الشافعى يعدّ البسملة آية منها ، والمالكى يسقطها ويعدّ أنعمت عليهم آية (الفائدة الأولى) قراءة الفاتحة فى الصلاة واجبة عند مالك والشافعى ، خلافا لأبى حنيفة وحجتهما قوله صلى الله عليه وآله وسلم للذى علمه الصلاة « اقرأ ماتيسر من القرآن» (الفائدة الثانية) اختلف هل أوّل الفاتحة على إضمار القول تعليما للعباد : أى قولوا الحمد لله . أوهو ابتداء كلام الله ، ولا بدّ من إضمار القول فى «إياك نعبد» وما بعده (الفائدة الثالثة) الحمد أعم من الشكر : لأنّ الشكر لايكون إلاجزاء على نعمة ، والحمد يكون جزاء كالشكر ، ويكون ثناء ابتداء كما أنّ الشكر د يكون أعم من الحمد ، لأنّ الحمد باللسان ؛ والشكر باللسان والقلب ، والجوارح . فإذا فهمت عموم الحمد : علمت أنّ قولك (الحمد لله) يقتضى الثناء عليه لما هو من الجلال والعظمة والواحدانية والعزة والإفضال والعلم والمقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات ، ويتضمن معانى أسمائه الحسنى التسعة والتسعين ، ويقتضى شكره والثناء عليه بكل نعمة أعطى ورحمة أولى جميع خلقه فى الآخرة والأولى ، فيالها من كلمة جمعت ماتضيق عنه المجلدات ، واتفق دون عدة عقول الخلائق ، ويكفيك أنّ الله جعلها أوّل كتابه وآخر دعوى أهل الجنة (الفائدة الرابعة) الشكر باللسان هو الثناء على المنعم والتحدث بالنعم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «التحدث بالنعم شكر» والشكر بالجوارح هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه ، والشكر بالقلب هو معرفة مقدار النعمة . والعلم بأنها من الله وحده ، والعلم بأنها تفضل لا باستحقاق العبد ، واعلم أنّ النعم التى يجب الشكر عليها لاتحصى ، ولكنها تنحصر فى ثلاثة أقسام : نعم دنيوية : كالعافية والمال ونعم دينية : كالعلم ، والتقوى . ونعم أخروية : وهى جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل فى العمر القصير . والناس فى الشكر على مقامين : منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصة ، ومنهم من يشكر الله عن جميع خلقه على النعم الواصلة إلى جميعهم ، والشكر على ثلاث درجات : فدرجات العوام الشكر على النعم ، ودرجة الخواص الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال ، ودرجة خواص الخواص أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم ، قال رجل لإبراهيم بن أدهم(١) : الفقراء إذا منعوا شكروا . وإذا أعطوا آثروا . ومن فضيلة

(١) كذا بالأصل ، ولعل هنا سقطا تقديره : « من أفضل الناس ؟ قال » فتدبر اه مصححه

الشكر أنه من صفات الحق ، ومن صفات الخلق فإن من أسماء الله : الشاكر ، والشكور ، وقد فسرتهما فى اللغة (الفائدة الخامسة) قولنا « الحمد لله رب العالمين » أفضل عند المحققين من لا إله إلا الله لوجهين : أحدهما ماخرجه النسائى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة ، ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة » والثانى : أن التوحيد الذى يقتضيه لا إله إلا الله حاصل فى قولك «رب العالمين» وزادت بقولك الحمد لله ، وفيه من المعانى ما قدمنا ، وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله » فإنما ذلك للتوحيد الذى يقتضيه ، وقد شاركتها الحمد لله رب العالمين فى ذلك وزادت عليها ، وهذا المؤمن يقولها لطلب الثواب ، وأما لمن دخل فى الإسلام فيتعين عليه لا إله إلا الله (الفائدة السادسة) الرب وزنه فعل بكسر العين ثم أدغم ، ومعانيه أربعة : الإله ، والسيد ، والمالك ، والمصلح . وكلها فى رب العالمين ، إلا أن الأرجح معنى الإله : لاختصاصه لله تعالى ، كما أن الأرجح فى العالمين ان يراد به كل موجود سوى الله تعالى ، فيعم جميع المخلوقات (الفائدة السابعة) ملك قراءة الجماعة بغير ألف من الملك ، وقرأ عاصم والكسائى بالألف والتقدير على هذا : مالك مجىء يوم الدين ، أو مالك الأمر يوم الدين ، وقراءة الجماعة أرجح من ثلاثة أوجه . الأول : أن الملك أعظم من المالك إذ قد يوصف كل أحد بالمالك لماله ، وأما الملك فهو سيد الناس ، والثانى : قوله (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) والثالث : أنها لا تقتضى حذفا ، والأخرى تقتضيه ؛ لأن تقديرها مالك الأمر ، أو مالك مجىء يوم الدين ، والحذف على خلاف الأصل . وأما قراءة الجماعة فإضافه ملك إلى يوم الدين فهى على طريقة الاتساع ، وأجرى الظرف مجرى المفعول به ، والمعنى على الظرفية : أى الملك فى يوم الدين ، ويجوز أن يكون المعنى ملك الأمور يوم الدين ، فيكون فيه حذف . وقد رويت القراءتان فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قرئ ملك بوجوه كثيرة إلا أنها شاذة (الفائدة الثامنه) الرحمن ، الرحيم ، مالك : صفات ، فإن قيل : كيف جر مالك ومالك صفة للمعرفة ، وإضافه اسم الفاعل غير محضه . فالجواب أنها تكون غير محضة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال ، وأما هذا فهو مستمر دائما فإضافته محضه (الفائدة التاسعه) هو يوم القيامة ويصلح هنا فى معانى الدين والحساب والجزاء والقهر ، ومنه إنا لمدينون (الفائدة العاشرة) إياك فى الموضعين مفعول بالفعل الذى بعده ، وإنما قدم ليفيد الحصر فإن تقديم المعمولات يقتضى الحصر ، فاقتضى قول العبد إياك نعبد أن يعبد الله وحده لا شريك له ، واقتضى قوله « وإياك نستعين » اعترافا بالعجز والفقر وأنا لا نستعين إلا بالله وحده (الفائدة الحادية عشرة) إياك نستعين : أى نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا ، وفى هذا دليل على بطلان قول القدرية والجبريه ، وأن الحق بين ذلك (الفائده الثانيه عشرة) اهدنا : دعاء بالهدى . فإن قيل كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم ؟ فالجواب أن ذلك طلب للثبات عليه إلى الموت ، أو الزيادة منه فإن الارتقاء فى المقامات لا نهاية له (الفائدة الثالثة عشرة) قدم الحمد والثناء على الدعاء لأن تلك السنة فى الدعاء وشأن الطلب أن يأتى بعد المدح ، وذلك أقرب للإجابه . وكذلك قدم الرحمن على ملك يوم الدين لأن رحمة الله سبقت غضبه ، وكذلك قدم إياك نعبد على إياك نستعين لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة (الفائدة الرابعة عشرة) ذكر الله تعالى فى أول هذه السورة على طريق الغيبه ، ثم على الخطاب فى إياك نعبد وما بعده ، وذلك يسمى الالتفات ، وفيه إشارة إلى أن العبد إذا ذكر الله تقرب منه

Marfat.com

فصار من أهل الحضور فناداه (الفائدة الخامسة عشرة) الصراط فى اللغة الطريق المحسوس الذى يمشى ثم استعير للطريق الذى يكون الإنسان عليها من الخير والشر ، ومعنى المستقيم القويم الذى لا عوج فيه ، فالصراط المستقيم الإسلام ، وقيل القرآن ، والمعنيان متقاربان ، لأنّ القرآن يضمن شرائع الإسلام وكلاهما مروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ الصراط بالصاد والسين وبين الصاد والزاى ، وقد قيل إنه قرئ بزاى خالصة ، والأصل فيه السين ، وإنما أبدلوا منها صاداً لموافقة الطاء فى الاستعلاء والإطباق ، وأما الزاى فلموافقة الطاء فى الجهر (الفائدة السادسة عشرة) الذين أنعمت عليهم: قال ابن عباس: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون. وقيل المؤمنون ، وقيل الصحابة ، وقيل قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا ، والأوّل أرجح لعمومه ، ولقوله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (الفائدة السابعة عشرة) إعراب غير المغضوب بدل ، ويبعد النعت لأنّ إضافته غير مخصوصة وهو قد جرى عن معرفة وقرئ بالنصب على الاستثناء أو الحال (الفائدة الثامنة عشرة) إسناد نعمة عليهم إلى الله . والغضب لما لم يسم فاعله على وجه التأدب : كقوله : وإذا مرضت فهو يشفين ، وعليهم أول فى موضع نصب ، والثانى فى موضع رفع (الفائدة التاسعة عشرة) المغضوب عليهم اليهود ، والضالين : النصارى ، قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ، وقد روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل ذلك عام فى كل مغضوب عليه ، وكل ضال ، والأول أرجح لأربعة أوجه : روايته عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وجلالة قائله ، وذكر ولا فى قوله ولا الضالين دليل على تغاير الطائفتين وأن الغضب صفة اليهود فى مواضع من القرآن : كقوله فباؤا بغضب ، والضلال صفة النصارى لاختلاف أقوالهم الفاسدة فى عيسى ابن مريم عليه السلام ، ولقول الله فيه «قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل» (الفائدة العشرون) هذه السورة جمعت معانى القرآن العظيم كله فكأنها نسخة مختصرة منه فتأملها بعد تحصيل الباب السادس من المقدمة الأولى تعلم ذلك فى الألوهية حاصلا فى قوله : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، والدار الآخرة : فى قوله مالك يوم الدين ، والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التى تقتضيها الأوامر والنواهى : فى قوله إياك نعبد ، والشريعة كلها فى قوله : الصراط المستقيم ، والأنبياء وغيرهم فى قوله الذين أنعمت عليهم ، وذكر طوائف الكفار فى قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين

﴿ خاتمة ﴾ أمر بالتأمين عند خاتمة الفاتحة للدعاء الذى فيها ، وقولك آمين اسم فعل معناه اللهم استجب ، وقيل هو من أسماء الله ويجوز فيه مدّ الهمزة وقصرها أولا يجوز تشديد الميم ، وليؤمن فى الصلاة . المأموم والفذ والإمام إذا أسرّ ، واختلفوا إذا جهر

Marfat.com

ســــورة البقرة

مدنية إلا آية ٢٨١ فنزلت بمنى فى حجة الوداع
وآياتها مائتان وست وثمانون وهى أول سورة نزلت بالمدينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

ســــورة البقرة

(الٓمٓ) اختلف فيه وفى سائر حروف الهجاء فى أوائل حروف السور ، وهى : المصٓ ، والرٓ ، والمرٓ ، وكهيعص ، وطه ، وطسم ، وطس ، ويسٓ ، وصٓ ، وقٓ ، وحمٓ ، وحمٓ عسقٓ ، ون . فقال قوم لا تفسر لأنها من المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله ، قال أبو بكر الصديق : لله فى كل كتاب سرٌّ ، وسرُّه فى القرآن فواتح السور ، وقال قوم تفسر ، ثم اختلفوا فيها ، فقيل هى أسماء السور ، وقيل أسماء الله ، وقيل : أشياء أقسم الله بها ، وقيل هى حروف مقطعة من كلمات : فالألف من الله ، واللام من جبريل ، والميم من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومثل ذلك فى سائرها ، وورد فى الحديث أن بنى إسرائيل فهموا أنها تدل بحروف أبجد على السنين التى تبقى هذه الأمة ، وسمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم منهم ذلك فلم ينكره ، وقد جمع أبو القاسم السهيلى عددها على ذلك بعد أن أسقط المتكرر فبلغت تسعمائة وثلاثة ، وإعراب هذه الحروف يختلف بالاختلاف فى معناها فيتصور أن تكون فى موضع رفع أو نصب أو خفض . فالرفع على أنها مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر ، والنصب على أنها مفعول بفعل مضمر ، والخفض على قول من جعلها مقسما بها كقولك : الله لأفعلن (ذلك الكتاب) هو هنا القرآن ، وقيل التوراة والإنجيل ، وقيل اللوح المحفوظ وهو الصحيح الذى دل عليه سياق الكلام ويشهد له مواضع من القرآن والمقصود منها إثبات أن القرآن من عند الله كقوله «تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين» يعنى القرآن باتفاق ، وخبر ذلك : لا ريب فيه ، وقيل خبره الكتاب فعلى هذا «ذلك الكتاب» جملة مستقلة فيوقف عليه (لا ريب فيه) أى لا شك أنه من عند الله فى نفس الأمر فى اعتقاد أهل الحق ، ولم يعتبر أهل الباطل ، وخبر لا ريب : فيه ، فيوقف عليه ، وقيل خبرها محذوف فيوقف على «لا ريب» والأول أرجح لتعينه فى قوله «لا ريب» فى مواضع أخر ، فإن قيل : فهلا قدم قوله فيه على الريب كقوله «لا فيها غول» ؟ فالجواب : أنه إنما قصد نفى الريب عنه . ولو قدم فيه : لكان إشارة إلى أن ثمَّ كتاب آخر فيه ريب ، كما أن «لا فيها غول» إشارة إلى أن خمر الدنيا فيها غول ، وهذا المعنى يبعد قصده فلا يقدم الخبر (هدى) هنا بمعنى الإرشاد لتخصيصه بالمتقين ، ولو كان بمعنى البيان لعم كقوله «هدى للناس» وإعرابه خبر ابتداء أو مبتدأ وخبره فيه ، عند ما يقف على لا ريب ، أو منصوب على الحال والعامل فيه الإشارة (للمتقين) مفتعلين من التقوى ، وقد تقدم معناه فى الكتاب ، فنتكلم عن التقوى فى ثلاثة فصول

الأول : فى فضائلها المستنبطة من القرآن ، وهى خمس عشرة : الهدى كقوله «هدى للمتقين» والنصرة ، لقوله «إن الله مع الذين اتقوا» والولاية لقوله «الله ولىّ المتقين» والمحبة لقوله «إن الله يحب المتقين» والمغفرة لقوله «إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا» والمخرج من الغم والرزق من حيث لا يحتسب لقوله «ومن يتق الله

وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ

يجعل له مخرجا الآية » وتيسير الأمور لقوله « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » وغفران الذنوب وإعظام الأجور لقوله « ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » وتقبل الأعمال لقوله « إنما يتقبل الله من المتقين » والفلاح لقوله « واتقوا الله لعلكم تفلحون » والبشرى لقوله « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » ودخول الجنة لقوله « إن المتقين عند ربهم جنات النعيم » والنجاة من النار لقوله « ثم ننجي الذين اتقوا »

الفصل الثاني : البواعث على التقوى عشرة : خوف العقاب الأخروي ، وخوف الدنيوي ، ورجاء الثواب الدنيوي ، ورجاء الثواب الأخروي ، وخوف الحساب ، والحياء من نظر الله ، وهو مقام المراقبة . والشكر على نعمه بطاعته ، والعلم لقوله « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وتعظيم جلال الله ، وهو مقام الهيبة ، وصدق المحبة لقول القائل : —

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

ولله در القائل : —

قالت وقد سألت عن حال عاشقها لله صـــفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان يظن الموت من ظمإ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

الفصل الثالث : درجات التقوى خمس : أن يتقي العبد الكفر ، وذلك مقام الإسلام ، وأن يتقي المعاصي والحرمات وهو مقام التوبة ، وأن يتقي الشبهات ، وهو مقام الورع ، وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد ، وأن يتقي حضور غير الله على قلبه ، وهو مقام المشاهدة (الذين يؤمنون بالغيب) فيه قولان يؤمنون بالأمور المغيبات كالآخرة وغيرها فالغيب على هذا بمعنى الغائب إما تسميه بالمصدر كعدل ، وإما تخفيفا في فعيل : كميت ، والآخر يؤمنون في حال غيبهم أي باطنا وظاهرا ، وبالغيب على القول الأول : يتعلق بيؤمنون وعلى الثاني في موضع الحال ، ويجوز في الذين أن يكون خفضا على النعت أو نصبا على إضمار فعل أو رفعا على أنه خبر مبتدإ (ويقيمون الصلاة) إقامتها : علمها من قولك : قامت السوق ، وشبه ذلك والكمال المحافظة عليها في أوقاتها بالإخلاص لله في فعلها ، وتوفية شروطها ، وأركانها ، وفضائلها ، وسننها ، وحضور القلب الخشوع فيها ، وملازمة الجماعة في الفرائض والإكثار من النوافل (ومما رزقناهم ينفقون) فيه ثلاثة أقوال : الزكاة لاقترانها مع الصلاة ، والثاني أنه التطوع ، والثالث العموم ، وهو الأرجح ؛ لأنه لادليل على التخصيص ، (والذين يؤمنون) هل هم المذكورون قبل فيكون من عطف الصفات أو غيرهم وهم من أسلم من أهل الكتاب فيكون عطفا للمغايرة أو مبتدأ وخبره الجملة بعد (بما أنزل إليك) القرآن (وما أنزل من قبلك) التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل (إن الذين كفروا) فيمن سبق القدر أنه لا يؤمن كأبي جهل ، فإن كان الذين للجنس : فلفظها عام يراد به الخصوص ، وإن كان للعهد فهو إشارة إلى قوم بأعيانهم ، وقد اختلف فيهم ؛ فقيل المراد من قتل ببدر من كفار قريش ، وقيل المراد حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف

Marfat.com

أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۞ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۞ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۞

اليهوديان (سواء) خبر إن و(أنذرتهم) فاعل به لأنه فى تقدير المصدر ، وسواء مبتدأ ، وأنذرتهم خبره أو العكس وهو أحسن ، و(لا يؤمنون) على هذه الوجوه : استئنافا للبيان ، أو للتأكيد ، أو خبر بعد خبر أو تكون الجملة اعتراضا ، ولا يؤمنون الخبر ، والهمزة فى أأنذرتهم لمعنى التسوية قد انسلخت من معنى الاستفهام (ختم) الآية تعليل لعدم إيمانهم ، وهو عبارة عن إضلالهم ، فهو مجاز وقيل حقيقة وأن القلب كالكف ينقبض مع زيادة الضلال أصبعا أصبعا حتى يختم عليه ، والأول أبرع ، و(على سمعهم) معطوف على قلوبهم ، فيوقف عليه ، وقيل الوقف على قلوبهم ، والسمع راجع إلى مابعده ، والأول أرجح لقوله «وختم على سمعه وقلبه» (غشاوة) مجاز باتفاق ، وفيه دليل على وقوع المجاز فى القرآن خلافا لمن منعه ، ووحد السمع لأنه مصدر فى الأصل ، والمصادر لا تجمع (ومن الناس) أصل الناس أناس لأنه مشتق من الإنس وهو اسم جمع وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفا (من يقول) إن كان اللام فى الناس للجنس فمن موصوفة وإن جعلتها للعهد فمن موصولة وأفرد الضمير فى يقول رعيا للفظ ومن (وما هم بمؤمنين) هم المنافقين وكانوا جماعة من الأوس والخزرج رأسهم عبدالله بن أبىّ ابن سلول يظهرون الاسلام ويسرون الكفر ، ويسمى الآن من كذلك : زنديقا ، وهم فى الآخرة مخلدون فى النار ، وأما فى الدنيا إن لم تقم عليهم بينة فحكمهم كالمسلمين فى دمائهم وأموالهم وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان ، فمذهب مالك : القتل ، دون الاستتابة ، ومذهب الشافعى الاستتابة وترك القتل ، فإن قيل : كيف جاء قولهم «آمنا» جملة فعلية «وما هم بمؤمنين» جملة إسمية فهلا طابقها؟ فالجواب : أن قولهم «وما هم بمؤمنين» أبلغ وآكد فى نفى الإيمان عنهم من لو قال ما آمنوا ، فإن قيل : لم جاء قولهم آمنا مقيدا بالله واليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين مطلقا ؟ فالجواب أنه يحتمل وجهين : التقييد ؛ فترك لدلالة الأول عليه ، والاطلاق ، وهو أعم فى سلبهم من الايمان (يخادعون) أى يفعلون فعل المخادع ، ويرومون الخدع بإظهار خلاف مايسرون ، وقيل معناه يخدعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والأول أظهر (ومايخادعون إلا أنفسهم) أى وبال فعلهم راجع عليهم ، وقرئ وما يخدعون بفتح الياء من غير ألف من خدع وهو أبلغ فى المعنى ، لأنه يقال خادع إذا رام الخداع ، وخدع إذا تم له (وما يشعرون) حذف معموله أى لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم (فى قلوبهم مرض) يحتمل أن يكون حقيقة ، وهو الألم الذى يجدونه من الخوف وغيره ، وأن يكون مجازا بمعنى الشك أو الحسد (فزادهم) يحتمل الدعاء والخبر (يكذبون) بالتشديد أى يكذبون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ بالتخفيف أى يكذبون فى قولهم آمنا (لا تفسدوا) أى بالكفر والنميمة وإيقاع الشر وغير ذلك (إنما نحن مصلحون) يحتمل أن يكون جحود الكفر لقولهم آمنا ، أو اعتقاد أنهم على إصلاح

Marfat.com

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ السُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَٰلَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ

(كما آمن الناس) أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والكاف يحتمل أن تكون للتشبيه أو للتعليل وما يحتمل أن تكون كافة كما هي وربما أن تكون مصدرية (أنؤمن) إنكار منهم وتقبيح (هم السفهاء) رد عليهم وإناطة السفه بهم ، وكذلك هم المفسدون ، وجاء بالألف واللام ليفيد حصر السفه والفساد فيهم ، وأكده بإن وبألا التي تقتضي الاستئناف وتنبيه المخاطب (قالوا آمنا) كذبوا خوفا من المؤمنين (خلوا إلى شياطينهم) هم رؤساء الكفر ، وقيل شياطين الجن ، وهو بعيد وتعدى خلا بإلى ضمن معنى مشوا وذهبوا أو ركنوا ، وقيل إلى بمعنى مع ، أو بمعنى الباء وجه قولهم (إنا معكم إنما نحن مستهزؤن) بجملة إسمية مبالغة وتأكيد بخلاف قولهم آمنا فإنه جاء بالفعل لضعف إيمانهم (الله يستهزئ بهم) فيه ثلاثة أقوال : تسمية للعقوبة باسم الذنب : كقوله «ومكروا ومكر الله» وقيل يملى لهم بدليل قوله «ويمدهم» وقيل يفعل بهم فى الآخرة ما يظهر لهم أنه استهزأ بهم كما جاء فى سورة الحديد «ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا الآية» (ويمدهم) يزيدهم ، وقيل يملى لهم ، وقد ذكروا يعمهون (اشتروا الضلالة) عبارة عن تركهم الهدى مع تمكنهم منه ووقوعهم فى الضلالة فهو مجاز بديع (فما ربحت تجارتهم) ترشيح للمجاز، لما ذكر الشر ذكر ما يتبعه من الربح والخسران وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجاز أيضا لأن الرابح أو الخاسر هو التاجر (وما كانوا مهتدين) فى هذا الشراء أو على الإطلاق وقال الزمخشرى نفى الربح فى قوله : فما ربحت ، ونفى سلامة رأس المال فى قوله : وما كانوا مهتدين (مثلهم كمثل) إن كان المثل هنا بمعنى حالهم وصفتهم فالكاف للتشبيه وإن كان المثل بمعنى التشبيه فالكاف زائدة (استوقد) أى أوقد وقيل طلب الوقود على الأصل فى استفعل (فلما أضاءت) إن تعدى فما حوله مفعول به ، وإن لم يتعد فما زائدة أو ظرفية (ذهب الله بنورهم) أى أذهبه ، وهذه الجملة جواب لما محذوف تقديره طفيت النار وذهب الله بنورهم : جملة مستأنفة والضمير عائد على المنافقين ، فعلى هذا يكون «الذى» على بابه من الإفراد ، والأرجح أنه أعيد ضمير الجماعة لأنه لم يقصد بالذى : واحد بعينه إنما المقصود التشبيه بمن استوقد نارا سواء كان واحدا أو جماعة ، ثم أعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبه ، لأنهم جماعة ، فإن قيل : ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التى أضاءت ثم أظلمت ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : أحدها : أن منفعتهم فى الدنيا بدعوى الإيمان شبيه بالنور ، وعذابهم فى الآخرة شبيه بالظلمة بعده ، والثانى : أن استخفاء كفرهم كالنور ، وفضيحتهم كالظلمة ، والثالث : أن ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر ، فإيمانه نور ، وكفره بعده ظلمة ، ويرجح هذا قوله «ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا» فإن قيل : لم قال «ذهب الله بنورهم» ولم يقل : أذهب الله نورهم ، مشاكلة لقوله «فلما أضاءت» فالجواب : أن إذهاب النور أبلغ لأنه إذهاب للقليل والكثير ، بخلاف الضوء فإنه يطلق على الكثير (صم

وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ

بكم عمى) يحتمل أن يراد به المنافقون ، والمستوقد المشبه بهم ، وهذه الأوصاف مجاز عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم ، وليس المراد فقد الحواس (فهم لا يرجعون) إن أريد به المنافقون : فمعناه لا يرجعون إلى الهدى ، وإن أريد به أصحاب النار : فمعناه أنهم متحيرون فى الظلمة لا يرجعون ولا يهتدون إلى الطريق (أو كصيب) عطف على الذى استوقد ، والتقدير : أو كصاحب صيب أو للتنويع لأن هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين ، والصيب : المطر ، وأصله صيوب ، ووزنه فعيل ، وهو مشتق من قولك صاب يصوب ، وفى قوله (من السماء) إشارة إلى قوته وشدة انصبابه ، قال ابن مسعود : إن رجلين من المنافقين هربا إلى المشركين ، فأصابهما هذا المطر وأيقنا بالهلاك ، فعزما على الإيمان ورجعا إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وحسن إسلامهما فضرب الله ما أنزل فيهما مثلا للمنافقين ، وقيل المعنى تشبيه المنافقين فى حيرتهم فى الدين وفى خوفهم على أنفسهم بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق ، فضل عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه ، وهذا التشبيه على الجملة ، وقيل : إن التشبيه على التفصيل ، فالمطر مثل للقرآن أو الإسلام والظلمات مثل لما فيه من الإشكال على المنافقين والرعد مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم والبرق مثل لما فيه من البراهين الواضحة ، فإن قيل : لم قال رعد وبرق بالإفراد ولم يجمعه كما جمع ظلمات ؟ فالجواب أن الرعد والبرق مصدران والمصدر لا يجمع ، ويحتمل أن يكونا اسمين وجمعهما لأنهما فى الأصل مصدران (يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق) أى من أجل الصواعق قال ابن مسعود : كانوا يجعلون أصابعهم فى آذانهم لئلا يسمعوا القرآن فى مجلس النبى صلى الله عليه وآله وسلم . فهو على هذا حقيقة فى المنافقين ، والصواعق على هذا ما يكرهون من القرآن والموت هو ما يتخوفونه فهما مجازان وقيل لأنه راجع لأصحاب المطر المشبه بهم فهو حقيقة فيهم والصواعق على هذا حقيقة وهى التى تكون من المطر من شدة الرعد ونزول قطعة نار والموت أيضاً حقيقة وقيل إنه راجع للمنافقين على وجه التشبيه لهم فى خوفهم بمن جعل أصابعه فى آذانه من شدة الخوف من المطر والرعد ، فإن قيل : لم قال أصابعهم ولم يقل أناملهم والأنامل هى التى تجعل فى الآذان ؟ فالجواب أن ذكر الأصابع أبلغ لأنها أعظم من الأنامل ولذلك جمعها مع أن الذى يجعل فى الآذان السبابة خاصة (والله محيط بالكافرين) أى لا يفوتونه بل هم تحت قهره وهو قادر على عقابهم (يخطف أبصارهم) إن رجع إلى أصحاب المطر وهم الذين شبه بهم المنافقين : فهو بين فى المعنى ، وإن رجع إلى المنافقين: فهو تشبيه بمن أصابه البرق على وجهين : أحدهما : تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يضىء البرق ، وهذا مناسب لتمثيل البراهين بالبرق حسبما تقدم ، والآخر : يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبه بهم (كلما أضاء لهم مشوا فيه) إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم ، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه يلوح لهم من الحق ما يقربون به من الإيمان (وإذا أظلم عليهم قاموا) إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيرين لا يعرفون الطريق ، وإن رجع إلى المنافقين : فالمعنى أنه إذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الإيمان : ثبتوا على كفرهم ، وقيل إن المعنى كلما صلحت أحوالهم فى الدنيا قالوا

Marfat.com

إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝
ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا

هذا دين مبارك ؛ فهذا مثل الضوء ، وإذا أصابتهم شدة أومصيبة عابوا الدين وسخطوا : فهذا مثل الظلمة ، فان قيل : لم قال مع الإضاءة كلما ، ومع الظلام إذا ؟ فالجواب أنهم لما كانوا حراصاً على المشى ذكر معه كلما ، لأنها تقتضى التكرار والكثرة (ولو شاء الله) الآية : إن رجع إلى أصحاب المطر : فالمعنى لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد وأبصارهم بالبرق ، وإن رجع إلى المنافقين : فالمعنى لو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة ، وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم والباء للتعدية كما هى فى قوله تعالى : ذهب الله بنورهم » (يأيها الناس) الآية لما قدم اختلاف الناس فى الدين وذكر ثلاث طوائف : المؤمنين ، والكافرين والمنافقين : أتبع ذلك بدعوة الخلق الى عبادة الله وجاء بالدعوة عامة للجميع لأنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعث إلى جميع الناس (اعبدوا ربكم) يدخل فيه الإيمان به سبحانه وتوحيده وطاعته ، فالأمر بالإيمان به لمن كان جاحدا ، والأمر بالتوحيد لمن كان مشركا ، والأمر بالطاعة لمن كان مؤمنا (لعلكم) يتعلق بخلقكم : أى خلقكم لتتقوه كقوله « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» أو بفعل مقدر من معنى الكلام أى دعوتكم إلى عبادة الله لعلكم تتقون ، وهذا أحسن . وقيل يتعلق بقوله « اعبدوا » وهذا ضعيف ، وإن كانت لعل للترجى فتأويله أنه فى حق المخلوقين جريا على عادة كلام العرب ، وإن كانت للمقاربة أو التعليل فلا إشكال ، والأظهر فيها أنها لمقاربة الأمر نحو عسى ، فإذا قالها الله : فمعناها أطماع العباد ، وهكذا القول فيها حيث ماوردت فى كلام الله تعالي (الأرض فراشا) تمثيل لما كانوا يقعدون وينامون عليها كالفراش فهو مجاز وكذلك السماء بناء (من الثمرات) من للتبعيض أو لبيان الجنس ، لأنّ الثمرات هو المأكول من الفواكه وغيرها والباء فى به سببية ، أو كقولك كتبت بالقلم لأنّ الماء سبب فى خروج الثمرات بقدرة الله تعالى (فلا تجعلوا) لا ناهية أو نافية ، وانتصب الفعل بإضمار أن بعد الفاء فى جواب اعبدوا ، والأول أظهر (أندادا) يراد به هنا الشركاء المعبودون مع الله جلّ وعلا (وأنتم تعلمون) حذف مفعوله مبالغة وبلاغة أى وأنتم تعلمون وحدانيته بما ذكر لكم من البراهين ، وفى ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق ، ويتعلق قوله بلا تجعلوا بما تقدم من البراهين ، ويحتمل أن يتعلق بقوله « اعبدوا » والأول أظهر

(فوائد ثلاث) الأولى : هذه الآية ضمنت دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقين « أحدهما » إقامة البراهين بخلقتهم وخلقة السموات والأرض والمطر والسموات « والآخر » ملاطفة جميلة بذكر ماللّه عليهم من الحقوق ومن الإنعام فذكر أولا ربوبيته لهم ، ثم ذكر خلقته لهم وآبائهم لأنّ الخالق يستحق أن يعبد ، ثم ذكر ما أنعم الله به عليهم من جعل الأرض فراشا والسماء بناء ، ومن إنزال المطر ، وإخراج الثمرات ، لأنّ المنعم يستحق أن يعبد ويشكر ، وانظر قوله : جعل لكم . ورزقا لكم : يدلك على ذلك لتخصيصه ذلك بهم فى ملاطفة وخطاب بديع .

Marfat.com

شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ

الثانية : المقصود الأعظم من هذه الآية : الأمر بتوحيد الله وترك ماعبد من دونه لقوله فى آخرها : فلا تجعلوا لله أندادا ، وذلك هو الذى يترجم عنه بقولنا : لا إله إلا الله ، فيقتضى ذلك الأمر بالدخول فى دين الإسلام الذى قاعدته التوحيد ، وقول لا إله إلا الله تكون فى القرآن ذكر المخلوقات ، والتنبيه على الاعتبار فى الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار ، وذلك أنها تدلّ بالعقل على عشرة أمور . وهى : أنّ الله موجود ، لأنّ الصنعة دليل على الصانع لامحالة . وأنه واحد لاشريك له ، لأنه لاخالق إلا هو «أفمن يخلق كمن لايخلق» وأنه حيّ قدير عالم مريد ، لأنّ هذه الصفات الأربع من شروط الصانع ، إذ لاتصدر صنعة عمن عدم صفة منها ، وأنه قديم لأنه صانع للمحدثات ، فيستحيل أن يكون مثلها فى الحدوث ، وأنه باق ، لأنّ ماثبت قدمه استحال عدمه ، وأنه حكيم ، لأنّ آثار حكمته ظاهرة فى إتقانه للمخلوقات وتدبيره للملكوت ، وأنه رحيم ، لأن فى كل ماخلق منافع لبنى آدم سخر لهم مافى السموات ومافى الأرض وأكثر مايأتى ذكر المخلوقات فى القرآن فى معرض الاستدلال على وجوده تعالى وعلى وحدانيته ، فإن قيل لم قصر الخطاب بقوله لعلكم تتقون على المخاطبين دون الذين من قبلهم ، مع أنه أمر الجميع بالتقوى ؟ فالجواب : أنه لم يقصره عليهم ولكنه غلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ ، والمراد الجميع ، فإن قيل : هلا قال لعلكم تعبدون مناسبة لقوله اعبدوا ؟ فالجواب أنّ التقوى غاية العبادة وكمالها فكان قوله لعلكم تتقون أبلغ وأوقع فى النفوس (وإن كنتم فى ريب) الآية إثبات لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإقامة الدليل على أنّ القرآن جاء به من عند الله فلما قدم إثبات الألوهية أعقبها بإثبات النبوة ، فإن قيل : كيف قال إن كنتم فى ريب ، ومعلوم أنهم كانوا فى ريب وفى تكذيب ؟ فالجواب أنه ذكر حرف إن إشارة إلى أنّ الريب بعيد عند العقلاء فى مثل هذا الأمر الساطع البرهان ، فلذلك وضع حرف التوقع والاحتمال فى الأمر الواقع ليعد وقوع الريب وقبحه عند العقلاء وكما قال تعالى « لاريب فيه » (على عبدنا) هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم . والعبودية على وجهين : عامة ، وهى التى بمعنى الملك ، وخاصة وهى التى يراد بها التشريف والتخصيص ، وهى من أوصاف أشراف العباد ولله در القائل : —

لا تدعنى إلا بياعبدها ٭ فإنه أشرف أسمائى

(فأتوا بسورة) أمر يراد به التعجيز (من مثله) الضمير عائد على ماأنزلنا وهو القرآن ، ومن لبيان الجنس ، وقيل يعود على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن على هذا : لابتداء الغاية من بشر مثله ، والأول أرجح لتعينه فى يونس وهود ، وبمعنى مثله فى فصاحته وفيما تضمنه من العلوم والحكم العجيبة والبراهين الواضحة (شهداءكم) آلهتكم أو أعوانكم أو من يشهد لكم (من دون الله) أى غير الله ، وقيل هو من الدين الحقير فهو مقلوب اللفظ (ولن تفعلوا) اعتراض بين الشرط وجوابه فيه مبالغة وبلاغة ، وهو إخبار ظهير مصداقه فى الوجود إن لم يقدر أحد أن يأتى بمثل القرآن مع فصاحة العرب فى زمان نزوله وتصرفهم فى الكلام وحرصهم على التكذيب ، وفى الإخبار بذلك معجزة أخرى وقد اختلف فى عجز الخلق عنه على قولين : أحدهما أنه ليس فى قدرتهم الإتيان بمثله وهو الصحيح ، والثانى أنه كان فى قدرتهم وصرفوا عنه ، والإعجاز حاصل على الوجهين

وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ۞ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَـٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَـٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا

وقد بينا سائر وجوه إعجازه فى المقدمة (فاتقوا النار) أى فآمنوا لتنجوا من النار ، وعبر باللازم عن ملازمه لأن ذكر النار أبلغ فى التفخيم والتهويل والتخويف (وقودها) حطبها (الحجارة) قال ابن مسعود : هى حجارة الكبريت لسرعة اتقادها وشدة حرها وقبح رائحتها ، وقيل الحجارة المعبودة ، وقيل الحجارة على الإطلاق (أعدت) دليل على أنها قد خلقت ، وهو مذهب الجماعة وأهل السنة ، خلافا لمن قال إنها تخلق يوم القيامة ، وكذلك الجنة) (وبشر) يحتمل أن تكون خطابا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو خطابا لكل أحد ورجح الزمخشرى هذا لأنه أفخم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) دليل على أن الإيمان خلاف العمل لعطفه عليه خلافا لمن قال : الإيمان اعتقاد ، وقول ، وعمل ، وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال خلافا للمرجئة (تجرى من تحتها الأنهار) أى تحت أشجارها وتحت مبانيها ، وهى أنهار الماء واللبن والخمر والعسل وهكذا تفسيره وقع ، وروى أن أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود (منها من ثمرة رزقا) من الأولى للغاية أو للتبعيض أو لبيان الجنس ومن الثانية لبيان الجنس (من قبل) أى فى الدنيا بدليل قولهم «إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين» فى الدنيا فإن ثمر الجنة أجناس ثمر الدنيا وإن كانت خيرا منها فى المطعم والمنظر (وأتوا به متشابها) أى يشبه ثمر الدنيا فى جنسه ، وقيل يشبه بعضه بعضا فى المنظر ويختلف فى المطعم ، والضمير المجرور يعود على المرزوق الذى يدل عليه المعنى (مطهرة) من الحيض وأقذار النساء وسائر الأقذار التى تختص بالنساء كالبول وغيره ، ويحتمل أن يريد طهارة الطيب وطيب الأخلاق (لايستحيي) تأول قوم : أن معناه لايترك لأنهم زعموا أن الحياء مستحيل على الله لأنه عندهم انكسار يمنع من الوقوع فى أمر ، وليس كذلك وإنما هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب ، ويرد عليهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم « إن الله حي كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً » (أن يضرب) سبب الآية أنه لما ذكر فى القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار على ذلك ، وقيل المثلين المتقدمين فى المنافقين تكلموا فى ذلك فنزلت الآية ردا عليهم (مثلا مابعوضة) إعراب بعوضة مفعول بيضرب ، ومثلا حال ، أو مثلا مفعول وبعوضة بدل منه أو عطف بيان ، أو هما مفعولان بيضرب لأنها على هذا المعنى تتعدى إلى مفعولين ، وما صفة للنكرة أو زائدة (فما فوقها) فى الكبر ، وقيل فى الصغر ، والأول أصح (فيعلمون أنه الحق) لأنه لايستحيل على الله أن يذكر ماشاء ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمة : وضرب أمثال ، وبيان للناس ، ولأن الصادق جاءها من عندالله (ماذا أراد الله) لفظه الاستفهام ، ومعناه الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب ، وفى إعراب ماذا وجهان : أن تكون ما مبتدأ وذا خبره وهى موصولة ، وأن تكون كلمة مركبة فى موضع نصب على المفعول بأراد ، ومثلا منصوب على الحال أو التمييز (يضل به) من كلام الله جوابا للذين قالوا ماذا أراد الله بهذا مثلا ، وهو أيضا تفسير لما أراد

Marfat.com

يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا

الله بضرب المثل من الهدى والضلال (عهد الله) مطلق فى العهود وكذلك مابعده من القطع والفساد ، ويحتمل أن يشار بنقض عهد الله إلى اليهود لأنهم نقضوا العهد الذى أخذ الله عليهم فى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويشار بقطع ماأمر الله به أن يوصل إلى قريش لأنهم قطعوا الأرحام التى بينهم وبين المؤمنين ، ويشار بالفساد فى الأرض إلى المنافقين لأن الفساد من أفعالهم حسبما تقدم فى وصفهم (ميثاقه) الضمير للعهد أولله تعالي (كيف تكفرون) موضعها الاستفهام ، ومعناها هنا الإنكار والتوبيخ (وكنتم أمواتا) أى معدومين أى فى أصلاب الآباء أو نطفا فى الأرحام (فأحياكم) أى أخرجكم إلى الدنيا (ثم يميتكم) الموت المعروف (ثم يحييكم) بالبعث (ثم إليه ترجعون) للجزاء ، وقيل الحياة الأولى حين أخرجهم من صلب آدم لأخذ العهد ، وقيل فى الحياة الثانية إنها فى القبور . والراجح القول الأول لتعيينه فى قوله «وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم»

(فوائد ثلاثة) الأولى : هذه الآية فى معرض الرد على الكفار وإقامة البرهان على بطلان قولهم ، فإن قيل إنما يصح الاحتجاج عليهم بما يعترفون به ، فكيف يحتج عليهم بالبعث وهم منكرون له ؟ فالجواب أنهم ألزموا من ثبوت مااعترفوا به من الحياة والموت ثبوت البعث ، لأن القدرة صالحة لذلك كله . الثانية : قوله «وكنتم أمواتا فى موضع الحال ، فإن قيل : كيف جاز ترك قد وهى لازمة مع الفعل الماضى إذا كان فى موضع الحال فالجواب أنه قد جاء بعد الماضى مستقبل والمراد بمجموع الكلام كأنه يقول وحالكم هذه فلذلك لم تلزم قد . الثالثة : عطف فأحياكم بالفاء لأن الحياة أثر العدم ولا تراخى بينهما ، وعطف [illegible] ثم يحييكم بثم للتراخى الذى بينهما (خلق لكم مافى الأرض) دليل على إباحة الانتفاع بما فى الأرض (ثم استوى) أى قصد لها والسماء هنا جنس ولأجل ذلك أعاد عليها بعد ضمير الجماعة (فسواهن) أى أتقن خلقهن : كقوله : فسواك فعدلك ، وقيل جعلهن سواء (فائدة) هذه الآية تقتضى أنه خلق السماء بعد الأرض ، وقوله : والأرض بعد ذلك دحاها » ظاهره خلاف ذلك ، والجواب من وجهين : أحدهما أن الأرض خلقت قبل السماء ، ودحيت بعد ذلك فلا تعارض ، والآخر تكون ثم لترتيب الأخبار (الملائكة) جمع ملك واختلف فى وزنه فقيل فعل فالميم أصلية ، ووزن ملائكة على هذا ، فاعلة وقيل هى من الألوكة وهى الرسالة فوزنه مفعل ووزنه مألك ثم حذفت الهمزة ووزن ملائكة على هذا مفاعلة ، ثم قلبت وأخرت الهمزة فصار مفاعلة وذلك بعيد (خليفة) هو آدم عليه السلام ؛ لأن الله استخلفه فى الأرض ، وقيل ذريته لأن بعضهم يخلف بعضا ، والأول أرجح ، ولو أراد الثانى لقال خلفاء (أتجعل فيها) الآية : سؤال محض لأنهم استبعدوا أن يستخلف الله من يعصيه وليس فيه اعتراض ؛ لأن الملائكة منزهون عنه وإنما علموا أن بنى آدم يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك ، وقيل

Marfat.com

مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ ۝ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّٰلِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَٰنُ عَنْهَا

كان فى الأرض جن فأفسدوا ، فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم . فقاس الملائكة بنى آدم عليهم (ونحن نسبح) اعتراف والتزام للتسبيح لا افتخار (بحمدك) أى حامدين لك والتقدير نسبح متلبسين بحمدك ، فهو فى موضع الحال (ونقدس لك) يحتمل أن تكون الكاف مفعولا ودخلت عليها اللام كقولك ضربت لزيدا ، وأن يكون المفعول محذوفا أى نقدسك على معنى ننزهك أو نعظمك ، وتكون اللام فى لك للتعليل أى لأجلك ، أو يكون التقدير نقدس أنفسنا أى نطهرها لك (مالا تعلمون) أى ما يكون فى بنى آدم من الأنبياء والأولياء وغير ذلك من المصالح والحكمة (الأسماء كلها) أى أسماء بنى آدم وأسماء أجناس الأشياء كتسمية القمر والشجر وغير ذلك (ثم عرضهم) أى عرض المسميات ، وبين أشخاص بنى آدم وأجناس الأشياء (أنبئونى) أمر على وجه التعجيز (إن كنتم صادقين) أى فى قولكم إن الخليفة يفسد فى الأرض ويسفك الدماء وقيل إن كنتم صادقين فى جواب السؤال والمعرفة بالأسماء (لا علم لنا) اعتراف (أنبئهم بأسمائهم) أى أنبئ الملائكة بأسماء ذريتك أو بأسماء أجناس الأشياء (اسجدوا لآدم) السجود على وجه التحية وقيل عبادة لله ، وآدم كالقبلة (فسجدوا) روى أن من أول من سجد إسرافيل ، ولذلك جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ (إلا إبليس) استثناء متصل عند من قال إنه كان ملكا . ومنقطع عند من قال كان من الجن (استكبر) لقوله أنا خير منه (وكان من الكافرين) قيل كفر بإبايته من السجود وذلك بناء على أن المعصية كفر والأظهر أنه كفر باعتراضه على الله وتسفيهه له فى أمره بالسجود لآدم ، وليس كفره كفر جحود لاعترافه بالربوبية (وزوجك) هى حواء خلقها الله من ضلع آدم ، ويقال زوجة ، وزوج هنا أفصح (الجنة) هى جنة الخلد عند الجماعة وعند أهل السنة ، خلافا لمن قال هى غيرها (لا تقربا) النهى عن القرب يقتضى النهى عن الأكل بطريق الأولى ، وإنما نهى عن القرب سدا للذريعة فهذا أصل فى سد الذرائع (الشجرة) قيل هى شجرة العنب ، وقيل شجرة التين . وقيل الحنطة ، وذلك مفتقر إلي نقل صحيح واللفظ مبهم (فتكونا) عطف على تقربا ، أو نصب بإضمار أن بعد الفاء فى جواب النهى (فأزلهما) متعد من أزل القدم ، وأزالهما بالألف من الزوال (عنها) الضمير عائد على الجنة ، أو على الشجرة فتكون عن سببية على هذا ﴿فائدة﴾ اختلفوا فى أكل آدم من الشجرة فالأظهر أنه كان على وجه النسيان ؛ لقوله تعالى : فنسى ولم نجد له عزما ، وقيل سكر من خمر الجنة فحينئذ أكل منها ، وهذا باطل لأن خمر الجنة لا تسكر وقيل أكل عمدا وهى معصية صغرى ، وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر ، وقيل تأول آدم أن النهى

فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۝

كان عن شجرة معينة فأكل من غيرها من جنسها ، وقيل لما حلف له إبليس صدقه لأنه ظن أنه لا يحلف أحد كذبا (اهبطوا) خطاب لآدم وزوجه وإبليس بدليل بعضكم لبعض عدو (مستقر) موضع استقرار وهو فى مدة الحياة ، وقيل فى بطن الأرض بعد الموت (ومتاع) مايتمتع به (إلى حين) إلى الموت (فتلقى) أى أخذ وقيل على قراءة الجماعة ، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات ، فتلقى على هذا من اللقاء (كلمات) هى قوله : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، بدليل ورودها فى الأعراف ، وقيل غير ذلك (اهبطوا) كرر ليناط به مابعده ، ويحتمل أن يكون أحد الهبوطين من السماء ، والآخر من الجنة ، وأن يكون هذا الثانى لذرية آدم لقوله (فإما يأتينكم) إن شرطية وما زائدة للتأكيد ، والهدى هنا : يراد به كتاب الله ورسالته (فمن تبع) شرط ، وهو جواب الشرط الأول ، وقيل فلا خوف جواب الشرطين (يا بنى إسرائيل) لما قدم دعوة الناس عموما وذكر مبدأهم : دعا بنى إسرائيل خصوصا وهم اليهود ، وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب سيقول السفهاء ، فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم ، وتارة بالتخويف ، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم ، وذكر العقوبات التى عاقبهم بها فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء ، وهى : وإذ نجيناكم من آل فرعون ، وإذ فرقنا بكم البحر ، وبعثناكم من بعد موتكم ، وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى . وعفونا عنكم ، وتاب عليكم ، ويغفر لكم خطاياكم ، وآتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ، وانفجرت منه اثنتى عشرة عيناً . وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء : قولهم سمعنا وعصينا ، واتخذتم العجل ، وقالوا أرنا الله جهرة ، وبدل الذين ظلموا ولن نصبر على طعام واحد ، ويحرفونه ، وتوليتم من بعد ذلك ، وقست قلوبكم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق . وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء : ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ، ويعطوا الجزية ، واقتلوا أنفسكم ، وكونوا قردة ، وأنزلنا عليهم رجزاً من السماء . وأخذتكم الصاعقة ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، وحرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وهذا كله جزاء لآبائهم المتقدمين ، وخوطب المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم وقد وبخ المعاندين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بتوبيخات أخر ، وهى : كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع معرفتهم به ، ويحرفون الكلم ويقولون هذا من عند الله ، وتقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ، وحرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل واتباعهم للسحر ، وقولهم نحن أبناء الله ، وقولهم يد الله مغلولة (نعمتى) اسم جنس فهى مفردة بمعنى الجمع ، ومعناه عام فى جميع النعم التى على بنى إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم أو اختصهم به كالمن والسلوى ، وللمفسرين فيه أقوال تحمل على أنها أمثلة ، واللفظ يعم النعم جميعاً (بعهدى) مطلق فى كل ماأخذ عليهم من العهود وقيل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك قوى لأنه مقصود الكلام (بعهدكم) دخول الجنة

Marfat.com

وَءامِنُوا بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ۝ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝

(وإياى) مفعول بفعل مضمر مؤخر لانفصال الضمير ، وليفيد الحصر يفسره فارهبون ، ولا يصح أن يعمل فيه فارهبون ؛ لأنه قد أخذ معموله ، وكذلك إياى فاتقون (بما أنزلت) يعنى القرآن (مصدقا لما معكم) أى مصدقا للتوراة ، وتصديق القرآن للتوراة وغيرها ، وتصديق محمد صلى الله عليه وآله وسلم للأنبياء والمتقدمين له ثلاث معان : أحدها أنهم أخبروا به ثم ظهر كما قالوا فتبين صدقهم فى الإخبار به ، والآخر أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أنهم أنبياء وأنزل عليهم الكتب ، فهو مصدق لهم أى شاهد بصدقهم ، والثالث أنه وافقهم فيما فى كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع فهو مصدق لهم لاتفاقهم فى الإيمان بذلك (ولا تكونوا أول كافر به) الضمير عائد على القرآن وهذا نهى عن المسابقة إلى الكفر به ، ولا يقتضى إباحة الكفر فى ثانى حال ؛ لأن هذا مفهوم معطل ؛ بل يقتضى الأمر بمبادرتهم إلى الإيمان به لما يجدون من ذكره ، ولما يعرفون من علامته ، ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا : الاشتراء هنا استعارة فى الاستبدال : كقوله : اشتروا الضلالة بالهدى ، والآيات هنا هى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والثمن القليل ماينتفعون به فى الدنيا من بقاء رياستهم وأخذ الرشا على تغيير أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك ، وقيل كانوا يعلمون دينهم بالأجرة فنهوا عن ذلك ، واحتج الحنفية بهذه الآية على منع الإجارة على تعليم القرآن (الحق بالباطل) الحق هنا يراد به نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والباطل الكفر به ، وقيل الحق التوراة ، والباطل مازادوا فيها (وتكتمون) معطوف على النهى ، أو منصوب بإضمار أن فى جواب النهى ، والواو بمعنى الجمع ، والأول أرجح ، لأنّ العطف يقتضى النهى عن كل واحد من الفعلين ، بخلاف النصب بالواو ، فإنه إنما يقتضى النهى عن الجمع بين الشيئين لا النهى عن كل واحد على انفراده (وأنتم تعلمون) أى تعلمون أنه حق (الصلاة وآتو الزكاة) يراد بها صلاة المسلمين وزكاتهم فهو يقتضى الأمر بالدخول فى الإسلام (واركعوا) خصص الركوع بعد ذكر الصلاة لأنّ صلاة اليهود بلا ركوع فكأنه أمر بصلاة المسلمين التى فيها الركوع ، وقيل اركعوا للخضوع والانقياد (مع الراكعين) مع المسلمين فيقتضى ذلك الأمر بالدخول فى دينهم ، وقيل الأمر بالصلاة مع الجماعة (أتأمرون) تقريع وتوبيخ لليهود (بالبر) عام فى أنواعه ؛ فوبخهم على أمر الناس وتركهم له ، وقيل كان الأحبار يأمرون من نصحوه فى السر باتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يتبعونه ، وقال ابن عباس : بل كانوا يأمرون باتباع التوراة ، ويخالفون فى جحدهم منها صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (تنسون) أى تتركون ، وهذا تقريع (تتلون الكتاب) حجة عليهم (أفلا تعقلون) توبيخ (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل معناه استعينوا بهما على مصائب الدنيا ، وقد روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ونعى إلى ابن عباس أخوه فقام إلى الصلاة فصلى

Marfat.com

يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ وَإِذْ فَرَقْنَا

ركعتين وقرأ الآية ، وقيل استعينوا بهما على طلب الآخرة ، وقيل الصبر هنا الصوم ، وقيل الصلاة هنا الدعاء (وإنها) الضمير عائد على العبادة التى تضمنها الصبر والصلاة أو على الاستعانة أو على الصلاة (لكبيرة) أى شاقة صعبة (يظنون) هنا يتيقنون (على العالمين) أى أهل زمانهم وقيل تفضيل من وجه ما هو كثرة الأنبياء وغير ذلك (لاتجزى) لاتغنى وشيئا مفعول به أو صفة لمصدر محذوف ، والجملة فى موضع الصفة ، وحذف الضمير أى فيه (ولا يقبل منها شفاعة) ليس نفى الشفاعة مطلقا فإنّ مذهب أهل الحق ثبوت الشفاعة لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين ، وإنما المراد أنه لايشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له لقوله تعالى «من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه» ولقوله «مامن شفيع إلا من بعد إذنه» ولقوله «ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له» ، وانظر ماورد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستأذن فى الشفاعة فيقال له : اشفع تشفع . فكل ماورد فى القرآن من نفى الشفاعة مطلقا يحمل على هذا لأنّ المطلق يحمل على المقيد ، فليس فى هذه الآيات المطاقة دليل للمعتزلة على نفى الشفاعة (عدل) هنا فدية (ولاهم ينصرون) جمع لأنّ النفس المذكورة يراد بها نفوس (وإذ نجيناكم) تقديره اذكروا إذ نجيناكم أى نجينا آباءكم ، وجاء الخطاب للمعاصرين للنبى صلى الله عليه وآله وسلم منهم لأنهم ذريتهم وعلى دينهم ومتبعون لهم ، فحكمهم كحكمهم وكذلك فيما بعد هذا من تعداد النعم لأن الإنعام على الآباء إنعام على الأبناء ، ومن ذكر مساويهم لأنّ ذريتهم راضون بها (من آل فرعون) المراد من فرعون وآله ، وحذف لدلالة المعنى ، وآل فرعون هم جنوده وأشياعه وآل دينه لاقرابته خاصة ، ويقال إنّ اسمه الوليد بن مصعب ، وهو من ذرية عمليق ، ويقال فرعون لكل من ولى مصر ، وأصل آل : أهل ، ثم أبدلت من الهاء همزة وأبدل من الهمزة ألف (فائدة) كل ماذكره فى هذه الصور من الأخبار معجزات للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنه أخبر بها من غير تعلم (يسومونكم سوء العذاب) أى يلزمونهم به ، وهو استعارة من السوم فى البيع وفسر سوء العذاب بقوله (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) ولذلك لم يعطفه هنا ، وأما حيث عطفه فى سورة إبراهيم فيحتمل أن يراد بسوء العذاب غير ذلك بل فيكون عطف مغايرة أو أراد به ذلك ، وعطف لاختلاف اللفظة ، وكان سبب قتل فرعون لأبناء بنى إسرائيل [1] وقيل إنّ آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل فى ذريته ملوكا وأنبياء فحسدوهم على ذلك ، وروى أنه وكل بالنساء رجالا يحفظون من تحمل منهنّ ، وقيل بل وكل على ذلك القوابل ، ولأجل هذا قيل معنى يستحيون يفتشون الحياة ضد الموت (فرقنا بكم البحر) فصلناه وجعلناه فرقا اثنى عشر طريقا على عدد

(١) كذا بالأصل ولعل هنا سقطة وهى : «أنه رأى فى منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطى بها ولم تتعرض لبنى إسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد فى بنى إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى إسرائيل» — كما فى تفسير الخطيب اه مصححه

Marfat.com

بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۞ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ۞ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوٓا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۞ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ

الأسباط والباء سببية أو للمصاحبة ، والبحر المذكور هنا : هو بحر القلزم (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) هى شهر ذى القعدة وعشر ذى الحجة وإنما خص الليالى بالذكر لأن العام بها والأيام تابعة لها . والمراد أربعين ليلة بأيامها (اتخذتم العجل) اتخذتموه إلهاً ، فحذف لدلالة المعنى (من بعده) أى بعد غيبته فى الطور (الكتاب) هنا التوراة (والفرقان) أى المفرق بين الحق والباطل ، وهو صفة للتوراة ، عطف عليها لاختلاف اللفظ . وقيل الفرقان هنا فرق البحر ، وقيل آتينا موسى التوراة وآتينا محمداً الفرقان ، وهذا بعيد لما فيه من الحذف من غير دليل عليه (فاقتلوا أنفسكم) أى يقتل بعضكم بعضا كقوله « سلموا على أنفسكم » وروى أن من لم يعبد العجل قتل من عبده وروى أن الظلام ألقى عليهم فقتل بعضهم بعضا حتى بلغ القتلى سبعون ألفا فعفى الله عنهم وإنما خص هنا اسم البلد لأن فيه توبيخا للذين عبدوا العجل كأنه يقول كيف عبدتم غير الذى براكم ، ومعنى البارى : الخالق (فتاب عليكم) قبله محذوف لدلالة الكلام عليه ، وهو فحوى الخطاب أى ففعلتم ماأمرتم به من القتل فتاب عليكم (لن نؤمن لك) تعدى باللام لأنه تضمن معنى الانقياد (جهرة) عيانا (الصاعقة) الموت وكانوا سبعين وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور فسمعوا كلام الله ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا لسوء أدبهم ، وجراءتهم على الله ، (وظللنا) أى جعلنا الغمام فوقهم كالظلة يقيهم حر الشمس ، وكان ذلك فى التيه ، وكذا أنزل عليه فيه المن والسلوى تقدم فى اللغات (كلوا) معمول لقول محذوف (هذه القرية) بيت المقدس ، وقيل أريحاء ، وقيل قريب من بيت المقدس (فكلوا) جاء هنا بالفاء التى للترتيب ، لأن الأكل بعد الدخول ، وجاء فى الأعراف بالواو بعد قوله اسكنوا ، لأن الدخول لا يتأتى معه السجود ، وقيل متواضعين (حطة) تقدم فى اللغات (وسنزيد) أى نزيدهم أجرا إلى المغفرة (فبدل) روى أنه قالوا : حنطة ، وروى : حبة فى شعرة (الذين ظلموا) يعنى المذكورين ، وضع الظاهر موضع

فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَٱشْرَبُوا مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝

المضمر لقصد ذمهم بالظلم ، وكرره زيادة فى تقبيح أمرهم (رجزا) روى أنهم أصابهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفا (استسقى) طلب السقيا لما عطشوا فى التيه (الحجر) كان مربعا ذراعا فى ذراع : تفجر من كل جهة ثلاث عيون ، وروى أن آدم كان أهبطه من الجنة ، وقيل هو جنس غير معين ، وذلك أبلغ فى الإعجاز (فانفجرت) قبله محذوف تقديره : فضربه فانفجرت (مشربهم) أى موضع شربهم وكانوا اثنى عشر سبطا لكل سبط عين (كلوا) أى من المن والسلوى ، واشربوا من الماء المذكور (فومها) هى الثوم ، وقيل الحنطة (أدنى) من الدنىء الحقير وقيل أصله أدون ، ثم قلب بتأخير عينه وتقديم لامه (مصر) قيل البلد المعروف وصرف لسكون وسطه ، وقيل هو غير معين فهو نكرة لما روى أنهم نزلوا بالشام . والأول أرجح لقوله تعالى «وأورثناها بنى إسرائيل» يعنى مصر (ضربت) أى قضى عليهم بها ، وألزموها وجعله الزمخشرى استعارة من ضرب القبة لأنها تعلو الإنسان وتحيط به (المسكنة) الناقة ، وقيل الجزية (ذلك بأنهم) الإشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة والغضب ، والباء للتعليل (بآيات الله) الآيات المتلوات أو العلامات (بغير الحق) معلوم أنه لايقتل نبى إلا بغير حق ، وذلك أفصح (فائدة) قال هنا بغير الحق بالتعريف باللام للعهد ، لأنه قد تقررت الموجبات لقتل النفس ، وقال فى الموضع الآخر من آل عمران «بغير حق» بالتنكير لاستغراق النفى . لأن تلك نزلت فى المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم (ذلك بما عصوا) يحتمل أن يكون تأكيدا للأول ، وتكون الإشارة بذلك إلى القتل والكفر ، والباء للتعليل . أى اجترؤا على الكفر وقتل الأنبياء لما انهمكوا فى العصيان والعدوان (إن الذين آمنوا والذين هادوا) الآية . قال ابن عباس نسختها «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه» وقيل معناها أن هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيمانا صحيحا فله أجره ، فيكون فى حق المؤمنين الثبات إلى الموت ، وفى حق غيرهم الدخول فى الإسلام ، فلا نسخ ، وقيل إنها فيمن كان قبل بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلا نسخ (من آمن) مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن أو من آمن بدل ، (فلهم أجرهم) خبر إن (ورفعنا فوقكم الطور) لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوها فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم إن لم تأخذوها وقع عليكم (بقوة) جد فى العلم بالتوراة أو العمل بها (اعتدوا منكم فى السبت) اصطادوا

ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا
مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ۝ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوٓا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْجَٰهِلِينَ ۝ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ
فَٱفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ۝ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ
ٱلنَّٰظِرِينَ ۝ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۝ قَالَ إِنَّهُۥ
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا
وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ۝ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا
كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ

فيه الحوت وكان محرما عليهم (كونوا قردة) عبارة عن مسخهم وخاسئين صفة أوخبر ثان، ومعناه مبعدين كما يخسأ الكلب (فجعلناها) الضمير للفعلة وهى المسخ (نكالا) أى عقوبة لما تقدم من ذنوبهم وماتأخر، وقيل عبرة لمن تقدم ومن تأخر (أن تذبحوا بقرة) قصتها أن رجلا من بنى إسرائيل قتل قريبه ليرثه وادعى على قوم أنهم قتلوه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعضها ففعلوا فقام وأخبر بمن قتله ثم عاد ميتا (أتتخذنا هزوا) جفاء وقلة أدب، وتكذيب (فارض) مسنة (بكر) صغيرة (عوان) متوسطة (بين ذلك) أى بين ماذكر ولذلك قال ذلك مع الإشارة إلى شيئين (صفراء) من الصفرة المفروقة، وقيل سوداء وهو بعيدوالظاهرصفراء كلهاوقيل القرن والظلف فقط، وهو بعيد (فاقع) شديدالصفرة (تسر الناظرين) لحسن لونها، وقيل لسمنها ومنظرها كله (لاذلول) غير مذللة للعمل (تثير الأرض) أى تحرثها وهو داخل تحت النفى على الأصح (ولا تسقى الحرث) لايسقى عليها (مسلمة) من العمل أومن العيوب (لاشية) لالمعة غيرالصفرة، وهو من وشىفاؤه واو محذوفة كعدة (الآن جئت بالحق) العامل فى الضرب جئت بالحق، وقيل العامل فيه مضمر تقديره الآن تذبحوها، والأول أظهر فإن كان قولهم: أتتخذنا هزوا: هكذا؛ فهذا تصديق وإن كان غير ذلك فالمعنى الحق المبين (وما كادوا) لعصيانهم و كثرة سؤالهم أو لغلاء البقرة فقد جاء بأنها كانت ليتيم وأنهم اشتروها بوزنها ذهبا أو لقلة وجود تلك الصفة، فقد روى أنهم لوذبحوا أدنى بقرة أجزأت عنهم، ولكنهم شددوا فشدد عليهم (وإذ قتلتم نفسا) هو أول قصة البقرة فرتبته التقديم (إن الله يأمركم) قال الزمخشرى إنما أخر لتعدد توبيخهم لقصتين وهما ترك المسارعة إلى الأمر، وقتل النفس ولو قدم لكان قصة واحدة بتوبيخ واحد (فادارأتم) أى اختلفتم وهو من المدارأة أى المدافعة (ماكنتم تكتمون) من أمر القتيل ومن قتله (اضربوه) القتيل أوقريبه (ببعضها) مطلقا، وقيل الفخذ وقيل اللسان، وقيل الذنب (كذلك)

Marfat.com

أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ

إشارة إلى حياة القتيل واستدلال بها على الإحياء للبعث ، وقبله محذوف لابد منه تقديره ففعلوا ذلك فقام القتيل ﴿فائدة﴾ استدل المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول فلان قتلني ، وهو ضعيف لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعاينة الآخرة ، وقصته معجزة للنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، فلا يتأتى أن يكذب المقتول ، بخلاف غيره . واستدلوا أيضا بها على أن القاتل لايرث ولا دليل فيها على ذلك (قست قلوبكم) خطاباً لبني إسرائيل (من بعد ذلك) أي بعد إحياء القتيل وما جرى في القصة من العجائب ، وذلك بيان لقبح قسوة قلوبهم بعد ماراوا تلك الآيات (أو أشد) عطف على موضع الكاف أو خبر ابتداء أي هي أشد ، وأو هنا إما للإبهام أو للتخيير : كأن من علم حالها مخير بين أن يشبهها بالحجارة ، أو بما هو أشد قسوة كالحديد ، أو التفضيل أي فهم أقسى مع أن فعل القسوة ينبني منه أفعل لكون أشد أدلّ على فرط القسوة (وإن من الحجارة) الآية : تفضيل الحجارة على قلوبهم (يهبط) أي يتردّى من علو إلى أسفل والخشية عبارة عن انقيادها ، وقيل حقيقة وأن كل حجر يهبط فمن خشية الله (أفتطمعون) خطاب للمؤمنين (أن يؤمنوا) يعني اليهود وتعدى باللام لما تضمن معنى الانقياد (فريق منهم) السبعون الذي يسمع كلام الله على الطور ثم حرفوه ، وقيل بنو إسرائيل حرفوا التوراة (من بعد ماعقلوه وهم يعلمون) بيان لقبح حالهم (قالوا آمنا) قالها رجل ادعى الإسلام من اليهود وقيل قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا إلى أخبارهم (أتحدثونهم) توبيخ (بما فتح الله عليكم) فيه ثلاثة أوجه بما حكم عليهم من العقوبات وبما في كتبهم من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما فتح الله عليهم من الفتح والإنعام ، وكل وجه حجة عليهم ، ولذلك قالوا (ليحاجوكم به عند ربكم) قيل في الآخرة وقيل أي في حكم ربكم وما أنزل في كتابه ، فعنده بمعنى حكمه (أفلا تعقلون) من بقية كلامهم توبيخا لقولهم (ولا يعلمون) الآية من كلام الله ردّا عليهم وفضيحة لهم (ومنهم أميون) أي الذين لايقرؤن ولا يكتبون فهم (لا يعلمون الكتاب) والمراد قوم من اليهود وقيل من المجوس وهذا غير صحيح ، لأن الكلام كله من اليهود (إلا أمانيّ) تلاوة بغير فهم ، أو أكاذيب ، وماتتمناه النفوس (بأيديهم) تحقيق لافترائهم (ثمنا قليلا) عرض الدنيا من الرياسة والرشوة وغير ذلك يكسبون من الدنيا أو هي الذنوب (أياما

Marfat.com

تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ۝ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا
وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ
لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ
أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ
وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ
إِلَّا خِزْىٌ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ أُولَٰٓئِكَ
الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ
وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا

معدودة) أربعين يوما عدد عبادتهم العجل وقيل سبعة أيام (تخذتم) الآية: تقرير يقتضى إبطال (بلى) تحقيق
لطول مكثهم فى النار ولقولهم مالا يعلمون (من كسب سيئة) الآية : فى الكفار لأنها ردّ على اليهود ، ولقوله
بعدها « والذين آمنوا » فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة فى النار (لا تعبدون إلا الله) جواب لقسم يدل عليه
الميثاق ، وقيل خبر بمعنى النهى ، ويرجحه قراءة لا يعبدون وقيل الأصل بان لا تعبدوا ثم حذفت الباء وأن
(وبالوالدين) يتعلق بإحسان ، أو بمحذوف تقديره أحسنوا ، ووكد بإحسانا (وذى القربى) القرابة (اليتامى)
جمع يتيم : وهو من فقد والده قبل البلوغ ، واليتيم من سائر الحيوان . من فقد أمه ، وجاء الترتيب فى هذه
الآية تقديم الأهم ، فقدم الوالدين لحقهما الأعظم ، ثم القرابة لأن فيهم أجر الإحسان وصلة الرحم ، ثم اليتامى
لقلة حيلتهم ، ثم المساكين (لا تسفكون دماءكم) لا يسفك بعضكم دم بعض ، وإعرابه مثل لا تعبدون (ولا تخرجون
أنفسكم) لا يخرج بعضكم بعضا (ثم أقررتم) بالميثاق واعترفتم بلزومه (وأنتم تشهدون) بأخذ الميثاق عليكم
(هؤلاء) منصوب على التخصيص بفعل مضمر ، وقيل هؤلاء مبتدأ وخبره أنتم و تقتلون حالا لازمة تم بها
المعنى (تقتلون أنفسكم) كانت قريظة حلفاء الأوس ، والنضير : حلفاء الخزرج ، وكان كل فريق يقاتل الآخر
مع حلفائه ، ويتقيه من موضعه إذا ظفر به (تظاهرون) أى تتفاوتون (تفادوهم) قرئ بالألف وحذفها
والمعنى واحد . وكذلك أسارى بالألف وحذفها جمع أسير (وهو محرّم) الضمير للإخراج من ديارهم وهو
مبتدأ وخبره محرّم (وإخراجهم) بدل والضمير للأمر والشأن ، وإخراجهم : مبتدأ ، ومحرّم خبره ، والجملة
خبر الضمير (أفتؤمنون ببعض الكتاب) فداؤهم الأسارى موافقة لما فى كتبهم (وتكفرون ببعض) القتل
والإخراج من الديار مخالفة لما فى كتبهم (خزى) الجزية أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم ، أو مطلق (وقفينا

Marfat.com

لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ

من بعده بالرسل) أى جئنا من بعده بالرسل ، وهو مأخوذ من القفا أى جاء بالثانى فى قفا الأول (بالبينات) المعجزات من إحياء الموتى وغير ذلك (روح القدس) جبريل ، وقيل الإنجيل ، وقيل الاسم الذى كان يحيى به الموتى ، والأول أرجح لقوله (قل نزله روح القدس) ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم لحسان : اللهم أيده بروح القدس (تقتلون) جاء مضارعاً مبالغة لأنه أبد استحضاره فى النفوس أو لأنهم حاولوا قتل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لولا أن الله عصمه (غلف) جمع أغلف : أى عليها غلاف ، وهو الغشاء فلا تفقهه (بل لعنهم الله) ردّا عليهم ، وبيان أن عدم فقههم بسبب كفرهم (فقليلا) أى إيمانا قليلا (مايؤمنون) ما زائدة ، ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم أو على أصلها لأن من دخل منهم فى الإسلام قليل ، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض (كتاب من عند الله) هو القرآن (مصدق) تقدم أن له ثلاثة معان (يستفتحون) أى يتنصرون على المشركين ، إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان ، ويقولون لأعدائهم المشركين قد أظل زمان نبى يخرج فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وقيل يستفتحون : أى يعرفون الناس النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والسين على هذا للمبالغة كما فى استعجب واستسخر ، وعلى الأول للطلب (فلما جاءهم ما عرفوا) القرآن والإسلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال المبرد : كفروا جوابا لما الأولى والثانية ، وأعيدت الثانية لطول الكلام ، ولقصد التأكيد ، وقال الزجاج : كفروا جوابا لما الثانية ، وحذف جواب الأولى للاستغناء عنه لذلك ، وقال الفراء جواب لما الأولى فلما ، وجواب الثانية كفر (على الكافرين) أى عليهم يعنى اليهود ، ووضع الظاهر موضع المضمر ليدل أن اللعنة بسبب كفرهم ، واللام للعهد أو للجنس ، فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفار (بئسما) فاعل ليس مضمر وما مفسرة له وإن يكفروا هو المذموم وقال الفراء : بئسما مركب كحبك وقال الكاسى مامصدرية أى اشتراكهم فهى فاعله (اشتروا) هنا بمعنى باعوا (أن يكفروا) فى موضع خبر ابتداء أو مبتدأ كاسم المذموم فى بئس أو مفعول من أجله أو بدل من الضمير فى به (بما أنزل الله) القرآن أو التوراة لأنهم كفروا بما فيها من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أن ينزل) فى موضع مفعول من أجله (من فضله) القرآن والرسالة (من يشاء) يعنى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والمعنى أنهم إنما كفروا حسداً لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لما تفضل الله عليه بالرسالة (بغضب على غضب) لعبادتهم العجل ، أو لقولهم عزير ابن الله ، أو لغير ذلك من قبائحهم (بما أنزل الله) القرآن (بما وراءه) أى بما بعده

Marfat.com

بِالْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ ۝ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا

وهو القرآن (فلم تقتلون) ردّا عليهم فيما ادعوا من الإيمان بالتوراة، وتكذيب لهم، وذكر الماضى بلفظ المستقبل إشارة إلى ثبوته فكأنه دائم لما رضى هؤلاء به (إن كنتم مؤمنين) شرطية بمعنى القدح فى إيمانهم وجوابها يدل عليه ماقبل، أو نافية فيوقف قبلها والأول أظهر (بالبينات) يعنى المعجزات: كالعصا، وفلق البحر، وغير ذلك (اتخذتم العجل) ذكر هنا على وجه ألزم لهم، والإبطال بقولهم: نؤمن بما أنزل علينا، وكذلك رفع الطور، وذكر قبل هذا على وجه تعداد النعم لقوله «ثم عفونا عنكم، ولولا فضل الله عليكم ورحمته»، وعطفه بثم فى الموضعين إشارة إلى قبح مافعلوه من ذلك (من بعده) الضمير لموسى عليه السلام: أى من بعد غيبته فى مناجاة الله على جبل الطور (سمعنا وعصينا) أى سمعنا قولك وعصينا أمرك، ويحتمل أن يكونوا قالوه بلسان المقال، أو بلسان الحال (وأشربوا) عبارة عن تمكن حب العجل من قلوبهم، فهو مجاز تشبيها بشرب الماء أو بشرب الصبغ فى الصواب وفى الكلام محذوف أى أشربوا حب العجل وقيل إن موسى برد العجل بالمبرد ورمى برادته فى الماء فشربوه، فالشرب على هذا حقيقة ويرده هذا قوله فى قلوبهم (بكفرهم) الباء سببية للتعليل، أو بمعنى المصاحبة (يأمركم) إسناد الأمر إلى إيمانهم، فهو مجاز على وجه التهكم، فهو كقولك أصلاتك تأمرك كذلك إضافة الإيمان إليهم (إن كنتم) شرط أو نفى (فتمنوا الموت) بالقلب أو اللسان أو باللسان خاصة، وهذا أمر على وجه التعجيز والتبكيت، لأنه من علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وروى أنهم لو تمنوا الموت لماتوا، وقيل إن ذلك معجزة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم دامت طول حياته (ولن يتمنوه) إن قيل: لم قال فى هذه السورة: ولن يتمنوه، وفى سورة الجمعة: ولا يتمنونه فنفى هنا بلن، وفى الجمعة بلا، فقال أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير، الجواب أنه لما كان الشرط فى المغفرة مستقبلا وهو قوله إن كانت لكم الدار الآخرة خالصة جاءت جوابه بلن التى تخاص الفعل للاستقبال، ولما كان الشرط فى الجمعة حالا، وهو قوله إن زعمتم أنكم أولياء لله جاء جوابه بلا: التى تدخل على الحال، أو تدخل على المستقبل (بما قدمت) أى لسبب ذنوبهم وكفرهم (عليم بالظالمين) تهديد لهم (ومن الذين أشركوا) فيه وجهان: أحدهما: أن يكون عطفا على ماقبله فيوصل به، والمعنى أن اليهود أحرص على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا، فحمل على المعنى كأنه قال أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وخص الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم فى عموم الناس لأنهم لا يؤمنون بالآخرة بإفراط حبهم للحياة الدنيا. والآخر أن يكون من الذين أشركوا ابتداء كلام فيوقف على ماقبله، والمعنى: من الذين أشركوا قوم (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) فحذف الموصوف، وقيل أراد به المجوس، لأنهم يقولون لملوكهم عش

يَعْمَلُونَ ۝ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ۝ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ۝ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ

ألف سنة ، والأول أظهر ؛ لأن الكلام إنما هو فى اليهود ، وعلى الثانى يخرج الكلام عنهم (وماهو بمزحزحه) الآية : فيها وجهان : أحدهما أن يكون هو عائد على أحدهم ، وأن يعمر فاعل لمزحزحه ، والآخر أن يكون هو للتعمير وأن يعمر بدل (من كان عدوا لجبريل) الآية : سببها أن اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، جبريل عدونا لأنه ملك الشدائد والعذاب . فلذلك لا نؤمن به ، ولو جاءك ميكائيل لآمنا بك ؛ لأنه ملك الأمطار والرحمة (فإنه نزله) فيه وجهان : الأول فإن الله نزل جبريل ، والآخر فإن جبريل نزل القرآن ، وهذا أظهر ، لأن قوله مصدقا لما بين يديه : من أوصاف القرآن والمعنى الرد على اليهود بأحد وجهين : أحدهما من كان عدوا لجبريل فلا ينبغى له أن يعاديه لأنه نزله على قلبك فهو مستحق للمحبة ، ويؤكد هذا قوله وهدى وبشرى ، والثانى من كان عدوا لجبريل فإنما عاداه لأنه نزله على قلبك ، فكان هذا تعليل لعداوتهم لجبريل (وجبريل ، وميكائيل) ذكرا بعد الملائكة تجديدا للتشريف والتعظيم (أوكلما) الواو للعطف ، قال الأخفش زائدة (نبذه فريق منهم) نزلت فى مالك بن الصيف اليهودى وكان قد قال : والله ما أخذ علينا عهد أن نؤمن بمحمد رسول يعنى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم (كتاب الله) يعنى القرآن أو التوراة لما فيهما من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو المتقدمين (ما تتلو) هو من القراءة أو الاتباع (على ملك) أى فى ملك أو عهد ملك سليمان (وما كفر سليمان) تبرئة له مما نسبوه إليه ، وذلك أن سليمان عليه السلام دفن السحر ليذهبه فأخرجوه بعد موته ، ونسبوه إليه ، وقالت اليهود إنما كان سليمان ساحراً ، وقيل إن الشياطين استرقوا السمع وألقوه إلى الكهان ، فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك ودفنه ، فلما مات قالوا ذلك علم سليمان (وما كفر سليمان) بتعليم السحر وبالعمل به أو بنسبته إلى سليمان عليه السلام (وما أنزل) نفى أو عطف على السحر عليهما ، إلا أن ذلك يرده آخر الآية ، وإن كانت معطوفة بمعنى الذى فالمعنى أنهما أنزل عليهما ضرب من السحر ابتلاء من الله لعباده أو ليعرف فيحذر ، وقرئ الملكين بكسر اللام ، وقال الحسن : هما علجان ، فعلى هذا يتعين أن تكون ما غير نافية (ببابل) موضع معروف (هاروت وماروت) اسمان علمان بدل من الملكين أو عطف بيان (إنما نحن فتنة) أى محنة ، وذلك تحذير من السحر (فلا تكفر) أى بتعليم السحر ، ومن هنا أخذ مالك أن الساحر يقتل كفرا (يفرقون) زوال العصمة

Marfat.com

بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ

أو المنع من الوطء (يضرّهم) أى فى الآخرة (علموا) أن اليهود والشياطين : أى اشتغلوا به ، وذكر الشرى ، لأنهم كانوا يعطون الأجرة عليه (شروا) هنا بمعنى باعوا (لمثوبة) من الثواب وهو جواب لو أنهم وإنما جاء جوابها بجملة إسمية وعدل عن الفعلية لما فى ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره وقيل الجواب محذوف أى لأثيبوا (لو كانوا يعلمون) فى الموضعين نفى لعلمهم (لا تقولوا راعنا) كان المسلمون يقولون للنبى صلى الله عليه وآله وسلم يارسول الله راعنا ، وذلك من المراعاة أى راقبنا وانظرنا ، فكان اليهود يقولونها ويعنون بها معنى الرعونة على وجه الإذاية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وربما كانوا يقولونها على معنى النداء ، فنهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة لاشتراك معناها بين ماقصده المسلمون وقصده اليهود ، فالنهى سدّا للذريعة ، وأمروا أن يقولوا انظرنا لخلوه عن ذلك الاحتمال المذموم ، فهو من النظر والانتظار ، وقيل : إنما نهى الله المسلمين عنها لما فيها من الجفاء وقلة التوقير (واسمعوا) عطف على قولوا لا على معمولها والمعنى الأمر بالطاعة والانقياد (مايودّ الذين كفروا) جنس يعم نوعين أهل الكتاب والمشركين من العرب ، ولذلك فسره بهما ، ومعنى الآية أنهم لايحبون أن ينزل الله خيراً على المسلمين (من خير) من للتبعيض ، وقيل زائدة لتقدم النفى فى قوله مايودّ (برحمته) قيل القرآن وقيل النبوّة والعموم أولى ، ومعنى الآية : الرد على من كره الخير للمسلمين (ماننسخ) نزل حكمه ولفظه أو أحدهما ، وقرئ بضم النون : أى نأمر بنسخه (أو ننسها) من النسيان ، وهو ضدّ الذكر : أى ينساها النبى صلى الله عليه وآله وسلم بإذن الله كقوله « سنقرؤك فلا تنسى إلا ماشاء الله » أو بمعنى الترك : أى نتركها غير منزلة : أى غير منسوخة ، وقرئ بالهمز بمعنى التأخير : أى نؤخر إنزالها أو نسخها (بخير) فى خفة العمل ، أو فى الثواب (قدير) استدلال على جواز النسخ لأنه من المقدورات ، خلافا لليهود لعنهم الله فإنهم أحالوه على الله ، وهو جائز عقلا ، وواقع شرعا فكما نسخت شريعتهم ماقبلها ، نسخها مابعدها (تسألوا رسولكم) أى تطلبوا الآيات ، ويحتمل السؤال عن العلم ، والأول أرجح لما بعده ، فإنه شبهه بسؤالهم لموسى ، وهو قولهم له : أرنا الله جهرة (ودّ كثير من

ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا وَٱصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُولَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۞ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُ بَل لَّهُ

أهل الكتاب) أى تمنوا ، ونزلت الآية فى حيّ بن أخطب وأمية بن ياسر وأشباههما من اليهود الذين كانوا يحرصون على فتنة المسلمين . ويطمعون أن يردوهم عن الإسلام (حسدا) مفعول من أجله . أومصدر فى موضع الحال ، والعامل فيه ماقبله ، فيجب وصله معه ، وقيل هو مصدر ، والعامل فيه محذوف تقديره يحسدونكم حسدا ، فعلى هذا يوقف على ماقبله ، والأول أظهر وأرجح (من عند أنفسهم) يتعلق بحسداً وقيل بيود (فاعف) منسوخ بالسيف (بأمره) يعنى إباحة قتالهم أو وصول آجالهم (وقالوا لن يدخل الجنة) الآية : أى قالت اليهود لن يدخل الجنة : إلا من كان يهوديا ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا (هودا) يعنى اليهود وهذه الكلمة جمع هايد أومصدر وصف به وقال الفراء : حذفت منه ياهودا على غير قياس (أمانيهم) أكاذيبهم أو مايتمنونه (هاتوا) أمر على وجه التعجيز ، والرد عليهم ، وهو من : هاتى ، يهاتى ، ولم ينطق به ، وقيل أصله : آتوا ، وأبدل من الهمزة هاء (بلى) إيجاب لما نفوا : أى يدخلها من ليس يهوديا ، ولا نصرانيا (من أسلم وجهه لله) أى دخل فى الإسلام وأخلص ، وذكر الوجه لشرفه والمراد جملة الإنسان (وقالت اليهود) الآية : سببها : اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة قدمت كل طائفة الأخرى (وهم يتلون) تقبيح لقولهم مع تلاوتهم الكتاب (الذين لا يعلمون) المشركون من العرب لأنهم لا كتاب لهم (منع مساجد الله) لفظه الاستفهام ومعناه : لاأحد أظلم منه حيث وقع : قريش منعت الكعبة ، أوالنصارى منعوا بيت المقدس أو على العموم (خائفين) فى حق قريش ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لايحج بعدهذا العام مشرك ، وفى حق النصارى ضربهم عند بيت المقدس أو الجزية (خزى) فى حق قريش غلبتهم وفتح مكة ، وفى حق النصارى : فتح بيت المقدس أو الجزية (فأينما تولوا) فى الحديث الصحيح أنهم صلوا ليلة فى سفر إلى غير القبلة بسبب الظلمة فنزلت ، وقيل هى فى نفل المسافر حيث ماتوجهت به دابته ، وقيل هى راجعة إلى ماقبلها : أى إن منعتم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم ، وقيل إنها احتجاج على من أنكر تحويل القبلة ، فهى كقوله بعد هذا « قل لله المشرق والمغرب . الآية ، والقول الأول هو الصحيح ، ويؤخذ منه أن من

Marfat.com

مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ۝ بَدِيعُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ

أخطأ القبلة ، فلا تجب عليه الإعادة وهو مذهب مالك (وجه الله) المراد به هنا رضاه كقوله « ابتغاء وجه الله » أى رضاه ، وقيل معناه الجهة التى وجهه إليها ، وأما قوله « كل شىء هالك إلا وجهه ، ويبقى وجه ربك » فهو من المتشابه الذى يجب التسليم له من غير تكييف ، ويرد علمه إلى الله ، وقال الأصوليين : هو عبارة عن الذات أو عن الوجود ، وقال بعضهم : هو صفة ثابتة بالسمع (وقالوا اتخذ) قالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وقالت الصابئون وبعض العرب : الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لهم عن قولهم (بل له) الآية رد عليهم لأن الكل ملكه ، والعبودية تنافى النبوة (قانتون) أى طائعون منقادون (بديع السموات) أى مخترعها وخالقها ابتداء (وإذا قضى أمرا) أى قدره وأمضاه ، قال ابن عطية يتحد فى الآية المعنيان ، فعلى مذهب أهل السنة قدر فى الأزل وأمضى فيه ، وعلى مذهب المعتزلة أمضى عند الخلق والإيجاد ، قلت : لا يكون قضى هنا بمعنى قدر ، لأن القدر قديم ، وإذا تقتضى الحدوث والاستقبال وذلك يناقض القدم ، وإنما قضى هنا بمعنى أمضى أو فعل أو وجد كقوله : نقضاهن سبع سموات ، وقد قيل إنه بمعنى ختم الأمر ، وبمعنى حكم ، والأمر هنا بمعنى الشىء ، وهو واحد الأمور ، وليس بمصدر أمر يأمر (فإنما يقول له كن فيكون) قال الأصوليون : هذا عبارة عن تعود قدرة الله تعالى وليس بقول حقيقى لأنه إن كان قول كن خطابا للشىء فى حال عدمه لم يصح ، لأن المعدوم لم يخاطب وإن كان خطابا فى حال وجوده لأنه قد كان ، وتحصيل الحاصل غير مطلوب وحمله المفسرون على حقيقته ، وأجابوا عن ذلك بأربعة أجوبة : أحدها : أن الشىء الذى يقول له كن فيكون هو موجود فى علم الله وإنما يقول له كن ليخرجه إلى العيان لنا ، والثانى : أن قوله كن لا يتقدم على وجود الشىء ولا يتأخر عنه قاله الطبرى ، والثالث : أن ذلك خطابا لمن كان موجودا على حاله فيأمر بأن يكون على حالة أخرى : كاحياء الموتى ، ومسخ الكفار وهذا ضعيف لأنه تخصيص من غير مخصص والرابع : أن معنى يقول له : يقول من أجله ، فلا يلزم خطابه : والأول أحسن هذه الأجوبة ، وقال ابن عطية تلخيص المعتقد فى هذه الآية : أن الله عز وجل لم يزل آمرا للمعدومات بشرط وجودها ، فكل ما فى الآية مما يقتضى الاستقبال ، فهو بحسب المأمورات إذ المحدثات تجىء بعد أن لم تكن ، فيكون رفع على الاستئناف ، قال سيبويه : معناه فهو يكون ، قال غيره : يكون عطف على يقول ، واختاره الطبرى ، وقال ابن عطية : وهو فاسد من جهة المعنى ، ويقتضى أن القول مع التكوين والوجود ، وفى هذا نظر (وقال الذين لا يعلمون) هم هنا وفى الموضع الأول كفار العرب على الأصح ، وقيل هم اليهود والنصارى (لولا يكلمنا الله) لولا هنا عرض ، والمعنى أنهم قالوا : لن نؤمن حتى يكلمنا الله (أو تأتينا آية) أى دلالة من المعجزات كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا وما بعده (كذلك قال الذين من قبلهم) يعنى اليهود والنصارى على القول بأن الذين لا يعلمون كفار العرب ، وأما على القول بأن الذين لا يعلمون اليهود والنصارى ، فالذين من قبلهم هم أمم الأنبياء المتقدمين (تشابهت قلوبهم) الضمير للذين لا يعلمون ، وللذين من قبلهم ، وتشابه قلوبهم فى الكفر أو فى طلب

Marfat.com

الْجَحِيمِ ۝ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ
أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ
تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ
وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا
قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ

مالا يصح أن يطلب ، وهو كقولهم لولا يكلمنا الله (قد بينا الآيات) أخبر تعالى أنه قد بين الآيات لعنادهم (إنا أرسلناك بالحق) خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالحق التوحيد ، وكل ماجاءت به الشريعة (بشيرا ونذيرا) تبشر المؤمنين بالجنة ، وتنذر الكافرين بالنار . وهذا معنى حديث وقع (ولا تسأل) بالجزم نهى ، وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل عن حال آبائه فى الآخرة فنزلت ، وقيل إن ذلك على معنى التهويل كقولك : لا تسأل عن فلان لشدة حاله ، وقرأ غير نافع بضم التاء واللام : أى لا تسأل فى القيامة عن ذنوبهم (ملتهم) ذكرها مفردة وإن كانت ملتين ؛ لأنهما متفقتان فى الكفر ، فكأنهما ملة واحدة (قل إن الهدى هدى الله) لاما عليه اليهود والنصارى ، والمعنى : أن الذى أنت عليه يامحمد هو الهدى الحقيقى لأنه هدى من عندالله بخلاف مايدعيه اليهود والنصارى (ولئن اتبعت أهواءهم) جمع هوى ، ويعنى به ماهم عليه من الأديان الفاسدة والأقوال المضلة ؛ لأنهم اتبعوها بغير حجة بل بهوى النفوس والضمير لليهود والنصارى ، والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن علم الله أنه لايتبع أهواءهم ، ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك ، فهو على معنى الفرض والتقدير ، ويحتمل أن يكون خطابا له صلى الله عليه وسلم ، والمراد غيره (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى المسلمين ، والكتاب على هذا : القرآن ، وقيل هم من أسلم من بنى إسرائيل ، والكتاب على هذا التوراة ، ويحتمل العموم ، ويكون الكتاب اسم جنس (يتلونه حق تلاوته) أى يقرؤنه كما يجب من التدبر له والعمل به ، وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، والأولى أظهر ، فإن التلاوة وإن كانت تقال بمعنى القراءة ، وبمعنى الاتباع فإنه أظهر فى معنى القراءة لاسيما إذا كانت تلاوة الكتاب ، ويحتمل أن تكون هذه الجملة فى موضع الحال ، ويكون الخبر أولئك يؤمنون ، وهذا أرجح ، لأن مقصود الكلام الثناء عليهم بالإيمان ، أو إقامة الحجة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن (يابنى إسرائيل) الآية : تقدم الكلام على نظيرتها (وإذ ابتلى) أى اختبر ، فالعامل فى إذ فعل مضمر تقديره اذكر ، وقوله (بكلمات) قيل : مناسك الحج ، وقيل : خصال الفطرة العشرة ، وهى : المضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وقص الشارب ، وإعفاء اللحية ، وقص الأظافر ، ونتف الإبطين ، وحلق العانة ، والختان ، والاستنجاء ، وقيل هى ثلاثون خصلة : عشرة ذكرت فى براءة من قوله : التائبون العابدون ، وعشرة فى الأحزاب من قوله : إن المسلمين والمسلمات ، وعشرة فى المعارج من قوله : إلا المصلين (فأتمهن) أى عمل بهن (ومن ذريتى)

Marfat.com

مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ

استفهام أو رغبة (عهدى) الإمامة (البيت) الكعبة (مثابة) اسم مكان من قولك ثاب إذا رجع ، لأن الناس يرجعون إليه عاما بعد عام (واتخذوا) بالفتح إخبار عن المتبعين لإبراهيم عليه السلام ، وبالكسر إخبار لهذه الأمة ، وافق قول عمر رضى الله عنه : لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ، وقيل أمر لإبراهيم وشيعته ، وقيل لبنى إسرائيل فهو على هذا عطف على قوله : اذكروا نعمتى ، وهذا بعيد (من مقام إبراهيم) هو الحجر الذى صعد به حين بناء الكعبة ، وقيل المسجد الحرام (وعهدنا) عبارة عن الأمر والوصية (طهرا بيتى) عبارة عن بنيانه بنية خالصة كقوله : أسس على التقوى وقيل المعنى طهراه عن عبادة الأصنام (للطائفين) هم الذين يطوفون بالكعبة وقيل الغرباء القادمون على مكة والأول أظهر (والعاكفين) هم المعتكفون فى المسجد وقيل المصلون وقيل المجاورون من الغرباء ، وقيل أهل مكة ، والعكوف فى اللغة اللزوم (بلدا) يعنى مكة (آمنا) أى مما يصيب غيره من الخسف والعذاب ، وقيل آمنا من إغارة الناس على أهله لأن العرب كان يغير بعضهم على بعض ، وكانوا لا يتعرضون لأهل مكة ، وهذا أرجح لقوله : أولم نمكن لهم حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ، فإن قيل : لم قال فى البقرة «بلداً آمنا» فعرّف فى إبراهيم ، ونكر فى البقرة ؟ أجيب عن ذلك بثلاثة أجوبة «الجواب الأول» قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير ، وهو أنه تقدم فى البقرة ذكر البيت فى قوله : القواعد من البيت ، وذكر البيت يقتضى بالملازمة ذكر البلد الذى هو فيه ، فلم يحتج إلى تعريف ، بخلاف آية إبراهيم ، فإنها لم يتقدم قبلها مايقتضى ذكر البلد ولا المعرفة به ، فذكره بلام التعريف «الجواب الثانى» قاله السهيلى وهو أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم لأنها مكية فلذلك قال فيه البلد بلام التعريف التى للحضور : كقولك : هذا الرجل ، وهو حاضر ، بخلاف آية البقرة ، فإنها مدنية ، ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يعرفها بلام الحضور ، وفى هذا نظر ؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام ، فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة «الجواب الثالث» قاله بعض المشارقة أنه قال هذا بلد آمنا قبل أن يكون بلدا فكأنه قال اجعل هذا الموضع بلداً آمنا وقال هذا البلد بعد ماصار بلدا وهذا يقتضى أن ابراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين ، والظاهر أنه مرة واحدة حكى لفظه فيها على وجهين (من آمن) بدل بعض من كل (ومن كفر) أى قال الله وأرزق من كفر لأن الله يرزق فى الدنيا المؤمن والكافر (ربنا تقبل منا) على حذف القول أى يقولان ذلك (وأرنا مناسكنا) علمنا موضع الحج وقيل العبادات (فيهم) أى فى ذريتنا (رسولا منهم) هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم « أنا دعوة أبى إبراهيم » والضمير المجرور لذرية إبراهيم وإسماعيل وهم العرب الذين من نسل عدنان ، وأما الذين من قحطان فاختلف هل هم من ذرية إسماعيل أم لا (آياتك)

Marfat.com

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ
نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَٰهُ فِى الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ
الْعَٰلَمِينَ ۝ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝
أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ
إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ
وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ قُولُوٓا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝
فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ۝ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَٰبِدُونَ ۝ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ۝ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝
سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ

هنا القرآن (والحكمة) هنا هى السنة (ويزكيهم) أى يطهرهم من الكفر والذنوب (سفه نفسه) منصوب على التشبيه بالمفعول به، وقيل الأصل فى نفسه ثم حذف الجار فانتصب وقيل تمييز (وأوصى بها) أى بالكلمة والملة (ويعقوب) بالرفع عطف على إبراهيم، فهو موصى، وقرئ بالنصب عطفا على بنيه فهو موصى (أم كنتم) أم هنا منقطعة معناها الاستفهام والإنكار، وإسماعيل كان عمه، والعم يسمى أبا (وقالوا كونوا) أى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى (بل ملة) منصوب بإضمار فعل (لا نفرق) أى لا نؤمن بالبعض دون البعض، وهذا برهان، لأن كل من أتى بالمعجزة فهو نبى، فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم تناقض (فسيكفيكهم) وعد ظهر مصداقه فقتل بنى قريظه وأجلى بنى النضير وغير ذلك (صبغة الله) أى دينه وهو استعارة من صبغ الثوب وغيره، ونصبه على الإغراء وعلى المصدر من المعانى المتقدمة أو بدل من ملة إبراهيم (كتم شهادة) من الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفية (من الله) يتعلق بكتم أو كأن المعنى شهادة تخلصت له من الله (سيقول) ظاهره الإعلام بقولهم قبل وقوعه، إلا أن ابن عباس قال نزلت بعد

إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ

قولهم (السفهاء) هنا اليهود أو المشركون أو المنافقون (ماولاهم) أى ماولى المسلمين (عن قبلتهم) الأولى وهى بيت المقدس إلى الكعبة (لله المشرق والمغرب) الآية: ردًا عليهم لأن الله يحكم مايريد، ويولى عباده حيث شاء، لأن الجهات كلها له (وكذلك) بعد ماهديناكم (جعلناكم أمة وسطا) أى خيارا (شهداء على الناس) أى تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرسل إلى قومهم (عليكم شهيدا) أى بأعمالكم، قال عليه الصلاة والسلام أقول كما قال أخى عيسى: وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم الآية، فإن قيل: لم قدم المجرور فى قوله عليكم شهيداً وأخره فى قوله: شهداء على الناس؟ فالجواب: أن تقديم المعمولات يفيد الحصر، فقدم المجرور فى قوله: عليكم شهيداً؛ لاختصاص شهادة النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأمته ولم يقدمه فى قوله شهداء على الناس لأنه لم يقصد الحصر (القبلة التى كنت عليها) فيها قولان: أحدهما: أنها الكعبة، وهو قول ابن عباس. والآخر: هو بيت المقدس، وهو قول قتادة وعطاء والسدى. وهذا مع ظاهر قوله: كنت عليها؛ لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلى إلى بيت المقدس، ثم انصرف عنه إلى الكعبة، وأما قول ابن عباس: فتأويله بوجهين: الأول: أن كنت بمعنى أنت، والثانى قيل إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس، وإعراب التى كنت عليها مفعول بجعلنا، أو صفة للقبلة، ومعنى الآية على القولين: اختبار وفتنة للناس بأمر القبلة، وأما على قول قتادة فإن الصلاة إلى بيت المقدس فتنة للعرب لأنهم كانوا يعظمون الكعبة، أو فتنة لمن أنكر تحويلها، وتقديره على هذا: ماجعلنا صرف القبلة، أما على قول ابن عباس: فإن الصلاة إلى الكعبة فتنة لليهود؛ لأنهم يعظمون بيت المقدس، وهم مع ذلك ينكرون النسخ، فأنكروا صرف القبلة، أو فتنة لضعفاء المسلمين حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صرفت القبلة (لنعلم) أى العلم الذى تقوم به الحجة على العبد وهو إذا ظهر فى الوجود ما علمه الله (ينقلب على عقبيه) عبارة عن الارتداد عن الإسلام، وهو تشبيه بمن رجع يمشى إلى وراء (وإن كانت) إن مخففة من الثقيلة واسم كان ضمير الفعلة وهى التحول عن القبلة (إيمانكم) قيل صلاتكم إلى بيت المقدس واستدل به من قال إن الأعمال من الإيمان، وقيل معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة (تقلب وجهك) كان النبى صلى الله عليه وسلم يرفع رأسه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة (شطر المسجد) جهة (وما أنت بتابع قبلتهم) خبر يتضمن النهى ووحدت قبلتهم، وإن كانت جهتين لاتحادهم فى البطلان (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) لأن

اُتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّـٰلِمِينَ ۝ الَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ الْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝ فَاذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا

اليهود لعنهم الله يستقبلون المغرب والنصارى المشرق (يعرفونه) أى يعرفون القرآن أو النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو أمر القبلة (كما يعرفون أبناءهم) مبالغة فى وصف المعرفة ، وقال عبد الله بن سلام معرفتى بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم أشد من معرفتى بابنى لأن ابنى قد يمكن فيه الشك (ولكل) أى لكل أحد أو لكل طائفة (وجهة) أى جهة ، ولم تحذف الواو لأنه ظرف مكان ، وقيل إنه مصدر ، وثبت فيه الواو على غير قياس (هو موليها) أى موليها وجهه ، وقرئ مولاها أى ولاه الله إليها ، والمعنى أن الله جعل لكل أمة قبلة (فاستبقوا الخيرات) أى بادروا إلى الأعمال الصالحات (يأت بكم الله) أى يبعثكم من قبوركم (فول وجهك) الأمر كرر للتأكيد أو ليناط به مابعده (لئلا يكون للناس) الآية : معناها أن الصلاة إلى الكعبة تدفع حجة المعترضين من الناس ، فإن أريد اليهود فحجتهم أنهم يجدون فى كتبهم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يتحول إلى الكعبة فلما صلى إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين ، وإن أريد قريش فحجتهم أنهم قالوا قبلة آبائه أولى به (إلا الذين ظلموا) أى من يتكلم بغير حجة ويعترض التحول إلى الكعبة ، والاستثناء متصل ؛ لأنه استثناء من عموم الناس . ويحتمل الانقطاع على أن يكون استثناء بمن له حجة ، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة (ولأتم) متعلق بمحذوف أى فعلت ذلك لأتم ، أو معطوف على لئلا يكون (كما أرسلنا) متعلق بقوله لأتم ، أو بقوله فاذكرونى ، والأول أظهر (فاذكرونى أذكركم) قال سعيد بن المسيب : معناه اذكرونى بالطاعة : أذكركم بالثواب ، وقيل اذكرونى بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك ، وقد أكثر المفسرون ، ولا سيما المتصوفة فى تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معانى مخصوصة ، ولا دليل على التخصيص ، وبالجملة فهذه الآية بيان لشرف الذكر وبينها قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يرويه عن ربه : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه : ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ : ذكرته فى ملأ خير منهم . والذكر ثلاثة أنواع : ذكر بالقلب ، وذكر باللسان ، وبهما معا ، واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة ،

Marfat.com

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ۝ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن

وإن ورد فى بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال : كالصلاة وغيرها ؛ فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه (الأول) النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : ذكر الله . وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال : ذكر الله ، قيل الذكر أفضل أم الجهاد فى سبيل الله ؟ فقال : لو ضرب المجاهد بسيفه فى الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دماً : لكان الذاكر أفضل منه (الوجه الثانى) أن الله تعالى حيث ما أمر بالذكر ، أو أثنى على الذكر : اشترط فيه الكثرة ، فقال : اذكروا الله ذكرا كثيرا ، والذاكرين الله كثيرا ، ولم يشترط ذلك فى سائر الأعمال (الوجه الثالث) أن للذكر مزية هى له خاصة وليست لغيره : وهى الحضور فى الحضرة العلية ، والوصول إلى القرب بالذى عبر عنه ماورد فى الحديث من المجالسة والمعية ، فإن الله تعالى يقول : أنا جليس من ذكرنى ، ويقول : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى

وللناس فى المقصد بالذكر مقامان : فمقصد العامة اكتساب الأجور ، ومقصد الخاصة القرب والحضور ومابين المقامين بون بعيد فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب ، وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحباب .

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة : فمنها التهليل ، والتسبيح ، والتكبير ، والحمد ، والحوقلة ، والحسبلة ، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والاستغفار ، وغير ذلك . ولكل ذكر خاصيته وثمرته . وأما التهليل : فثمرته التوحيد : أعنى التوحيد الخاص فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن ، وأما التكبير : فثمرته التعظيم والإجلال لذى الجلال ، وأما الحمد والأسماء التى معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك : فثمرتها ثلاث مقامات ، وهى الشكر ، وقوة الرجاء ، والمحبة . فإن المحسن محبوب لامحالة ، وأما الحوقلة والحسبلة : فثمرتهما التوكل على الله والتفويض إلى الله ، والثقة بالله : وأما الأسماء التى معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك : فثمرتها المراقبة . وأما الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم : فثمرتها شدة المحبة فيه ، والمحافظة على اتباع سنته ، وأما الاستغفار : فثمرته الاستقامة على التقوى ، والمحافظة على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة

ثم إن ثمرة الذكر التى تجمع الأسماء والصفات مجموعة فى الذكر الفرد وهو قولنا : الله ، الله . فهذا هو الغاية وإليه المنتهى (استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) أى بمعونته (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات) قيل إنها نزلت فى الشهداء المقتولين فى غزوة بدر ، وكانوا أربعة عشر رجلا لما قتلوا حزن عليهم أقاربهم فنزلت الآية مبينه لمنزلة الشهداء عند الله وتسلية لأقاربهم ، ولا يخصها نزولها

لَا تَشْعُرُونَ ۞ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

فيهم بل حكمها على العموم فى الشهداء (ولنبلونكم) أى نختبركم ، وحيث ماجاء الاختبار فى حق الله فمعناه أن يظهر فى الوجود مافى علمه لتقوم الحجة على العبد وليس كاختبار الناس بعضهم بعضا ، لأن الله يعلم ماكان ومايكون والخطاب بهذا الابتلاء للمسلمين ، وقيل لكفار قريش ، والأول أظهر لقوله بعد هذا وبشر الصابرين (بشىء من الخوف) من الأعداء (والجوع) بالجدب (ونقص من الأموال) بالخسارة (والأنفس والثمرات) بالجوائح ، وقيل ذلك كله بسبب الجهاد (إنا لله) اللام للملك والمالك يفعل فى ملكه مايشاء (راجعون) تذكروا الآخرة لتهون عليهم مصائب الدنيا ، وفى الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أصابته مصيبة فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لي خيرا منها أخلف الله له خيرا مما أصابه . قالت أم سلمة فلما مات زوجى أبو سلمة قلت ذلك فأبدلنى الله به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(فائدة) ورد ذكر الصبر من القرآن فى أكثر من سبعين موضعا ، وذلك لعظمة موقعه فى الدين . قال بعض العلماء : كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره ، لقوله تعالى : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة : أولها المحبة ، قال « والله يحب الصابرين » والثانى : النصر قال « إن الله مع الصابرين » والثالث غرفات الجنة ، قال « يجزون الغرفة بما صبروا » والرابع الأجر الجزيل قال « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » والأربعة الأخرى المذكورة فى هذه الآية ، ففيها البشارة ، قال « وبشر الصابرين » والصلاة والرحمة والهداية (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) والصابرون على أربعة أوجه : صبر على البلاء ، وهو منع النفس من التسخيط والهلع والجزع . وصبر على النعم وهو تقييدها بالشكر ، وعدم الطغيان ، وعدم التكبر بها . وصبر على الطاعة بالمحافظة والدوام عليها . وصبر عن المعاصى بكف النفس عنها ، وفوق الصبر التسليم وهو ترك الاعتراض والتسخيط ظاهرا ، وترك الكراهة باطنا وفوق التسليم الرضا بالقضاء ، وهو سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن المحبة ، وكل مايفعل المحبوب محبوب (إن الصفا والمروة) جبلان صغيران بمكة (من شعائر الله) أى معالم دينه واحدها شعيرة أو شعارة (فلا جناح عليه) إباحة للسعى بين الصفا والمروة والسعى بينهما واجب عند مالك والشافعى ، وإنما جاء بلفظ يقتضى الإباحة لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعى بينهم ، لأنه كان فى الجاهلية على الصفا صنم يقال له أساف ، وعلى المروة صنم يقال له نائلة ، فخافوا أن يكون السعى بينهما تعظيما للصنمين ، فرفع الله ماوقع فى نفوسهم من ذلك ، ثم إن السعى بينهما للسنة ، قالت عائشة رضى الله عنها « سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السعى بين

Marfat.com

وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ

الصفا والمروة ، وليس لأحد تركه ، وقيل إن الوجوب يؤخذ من قوله «شعائر الله» وهذا ضعيف لأن شعائر الله : منها واجبة ، ومنها مندوبة ، وقد قيل إن السعي مندوب (يطوف) أصله يتطوف ثم أدغمت التاء في الطاء وهذا الطواف يراد به السعي سبعة أشواط (ومن تطوع) عاما في أفعال البر ، وخاصة في الوجوب من السنة أو معنى التطوع بحج بعد حج الفريضة (إن الذين يكتمون) أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم (في الكتاب) التوراة هنا (اللاعنون) الملائكة والمؤمنون ، وقيل المخلوقات إلا الثقلين ، وقيل البهائم لما يصيبهم من الجدب لذنوب الكاتمين للحق (وبينوا) أي شرط في توبتهم أن يبينوا لأنهم كتموا (والناس أجمعين) هم المؤمنون فهو عموم يراد به الخصوص لأن المؤمنين هم الذين يعتد بلعنهم للكافرين ، وقيل يلعنهم جميع الناس (خالدين فيها) أي في اللعنة ، وقيل في النار (ولا هم ينظرون) من أنظر إذا أخر ، أي لا يؤخرون عن العذاب ولا يمهلون أو من نظر لقوله « لا ينظر إليهم » إلا أن يتعدى بإلى (وإلهكم إله واحد) الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى : أحدها : أنه لا ثاني له فهو نفي للعدد ، والآخر أنه لا شريك له ، والثالث أنه لا يتبعض ولا ينقسم ، وقد فسر المراد به هنا في قوله : لا إله إلا هو ، واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات الأولى توحيد عامة المسلمين وهو الذي يعصم النفس من الهلك في الدنيا ، وينجي من الخلود في النار في الآخرة وهو نفي الشركاء والأنداد ، والصاحبة والأولاد ، والأشباه والأضداد . الدرجة الثانية : توحيد الخاصة ، وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال الحاصل لكل مؤمن ، وإنما مقام الخاص في التوحيد يغني في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل ، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله والتوكل عليه وحده واطراح جميع الخلق ، فلا يرجو إلا الله ، ولا يخاف أحداً سواه إذ ليس يرى فاعلا إلا إياه ويرى جميع الخلق في قبضة القهر ليس بيدهم شيء من الأمر ، فيطرح الأسباب وينبذ الأرباب ، والدرجة الثالثة ألا يرى في الوجود إلا الله وحده فيغيب عن النظر إلى المخلوقات ، حتى كأنها عنده معدومة ، وهذا الذي تسميه الصوفية مقام الفناء بمعنى الغيبة عن الخلق حتى أنه قد يفنى عن نفسه ، وعن توحيده : أي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله (إن في خلق السموات والأرض) الآية ذكر فيها ثمانية أصناف من المخلوقات تنبيها على ما فيها من العبر والاستدلال على التوحيد المذكور قبلها في قوله : وإلهكم إله واحد (واختلاف الليل والنهار) أي اختلاف وصفهما من الضياء والظلام والطول والقصر ، وقيل إن أحدهما يخلف الآخر (بما ينفع الناس) من التجارة وغيرها (وتصريف الرياح) إرسالها من جهات

Marfat.com

فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَٰحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمِنَ
النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوٓا
إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ۝ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا
الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ
اللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ النَّارِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا

مختلفة ، وهى الجهات الأربع ، وما بينهما و بصفات مختلفة فمنها ملقحة بالشجر ، وعقيم ، وصر ، وللنصر ، وللهلاك (والذين آمنوا أشد حبا لله) اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين : إحداهما المحبة العامة التى لا يخلو منها كل مؤمن ، وهى واجبة ، والأخرى المحبة الخاصة التى ينفرد بها العلماء الربانيون ، والأولياء والأصفياء ، وهى أعلى المقامات ، وغاية المطلوبات ، فإن سائر مقامات الصالحين : كالخوف ، والرجاء ، والتوكل ، وغير ذلك فهى مبنية على حظوظ النفس ، ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه وأن الراجى إنما يرجو منفعة نفسه ؛ بخلاف المحبة فإنها من أجل المحبوب فليست من المعاوضة ، واعلم أن سبب محبة الله معرفته فتقوى المحبة على قدر قوة المعرفة ، وتضعف على قدر ضعف المعرفة ، فإن الموجب للمحبة إحدى أمرين ، وكلاهما إذا اجتمع فى شخص من خلق الله تعالى كان فى غاية الكمال . الموجب الأول الحسن والجمال ، والآخر الإحسان والإجمال ، فأما الجمال فهو محبوب بالطبع ، فإن الإنسان بالضرورة يحب كل مايستحسن ، والإجمال مثل جمال الله فى حكمته البالغة وصنائعه البديعة ، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار ، التى تروق العقول وتهيج القلوب ، وإنما يدرك جمال الله تعالى بالبصائر ، لا بالأبصار ، وأما الإحسان فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وإحسان الله إلى عباده متواتر وإنعامه عليهم باطن وظاهر ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصى ، والمؤمن والكافر ، وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو فى الحقيقة منه ، وهو المستحق للمحبة وحده . واعلم أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من الجد فى طاعته والنشاط لخدمته ، والحرص على مرضاته والتلذذ بمناجاته ، والرضا بقضائه ، والشوق إلى لقائه والأنس بذكره ، والاستيحاش من غيره ، والفرار من الناس ، والانفراد فى الخلوات ، وخروج الدنيا من القلب ، ومحبة كل من يحبه الله وإيثاره على كل من سواه ، قال الحارث المحاسبى : المحبة تسليمك إلى المحبوب بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ثم موافقته سرا وجهراً ثم علمك بتقصيرك فى حبه (ولو ترى) من رؤية العين والذين ظلموا مفعول ، وجواب لو محذوف وهو العامل فى أن التقدير لو ترى الذين ظلموا لعلمت أن القوة لله أو لعلموا أن القوة لله ، والقوى بالياء ، وهو على هذه القراءة من رؤيا القلب ، والذين ظلموا فاعل ، وأن القوة مفعول يرى ، وجواب لو محذوف والتقدير لو يرى الذين ظلموا أن القوة لله لندموا ، ولاستعظموا ما حل بهم (إذ تبرأ) بدل من إذ يرون ، أو استئناف والعامل فيه محذوف وتقديره اذكر (الذين اتبعوا) هم الآلهة أو الشياطين أو الرؤساء من الكفار والعموم أولى (الأسباب) هنا الوصلات من الأرحام والمودات (أعمالهم حسرات) أى سيادتهم وقيل حسنتهم إذا لم تقبل

Marfat.com

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ

منهم أوماعملوا لآلهتهم (كلوا) أمر محمول على الإباحة (حلالا) حال مما فى الأرض أومفعول بكلوا أوصفة لمفعول محذوف أى سيئا حلالا (طيباً) يحتمل أن يريد الحلال (خطوات الشيطان) مايأمر به، وأصله من خطوت الشيء وقال المنذر بن سعيد يحتمل أن يكون من الخطيئة ثم سهلت همزته وقرئ بضم الطاء وإسكانها وهى لغتان (بالسوء والفحشاء) المعاصى (وأن تقولوا) الإشراك وتحريم الحلال كالبحيرة وغير ذلك (أولو كان آباؤهم) ردّا على قولهم : بل نتبع الآية فى كفار العرب وقيل فى اليهود أنهم يتبعونهم ولو كانوا (لايعقلون) فدخلت همزة الإنكار على واو الحال (ومثل الذين كفروا) الآية : فى معناها قولان : الأول تشبيه الذين كفروا بالبهائم لقلة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم، ولابد فى هذا من محذوف، وفيه وجهان : أحدهما أن يكون المحذوف أول الآية والتقدير مثل داعى الذين كفروا الى الإيمان (كمثل الذى ينعق) أى يصيح (بما لا يسمع) وهى البهائم التى لاتسمع (إلا دعاء ونداء) ولا يعقل معنى، والآخر أن يكون المحذوف بعد ذلك والتقدير مثل الذين كفروا كمثل مدعوّ الذى ينعق ويكون دعاء ونداء على الوجهين مفعولا يسمع والنعيق : هو زجر الغنم، والصياح عليها، فعلى هذا القول شبه الكفار بالغنم وداعيهم بالذى يزجرها وهو يصيح عليها، الثانى : تشبيه الذين كفروا فى دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمن ينعق بما لا يسمع لأنّ الأصنام لاتسمع شيئا، ويكون دعاء ونداء على هذا منعطف : أى أن الداعى يتعب نفسه بالدعاء أوالنداء لمن لم يسمعه من غير فائدة، فعلى هذا شبه الكفار بالنعق (صم) وما بعده راجع إلى الكفار وذلك غير التأويل الأول ورفعوا على إضمار مبتدأ (واشكروا) الآية : دليل على وجوب الشكر لقوله : إن كنتم إياه تعبدون (الميتة) مامات حتف أنفه، وهو عموم خص منه الحوت والجراد، وأجاز مالك أكل الطافى من الحوت، ومنعه أبوحنيفة، ومنع مالك الجراد حتى تسيب فى بيوتها بقطع عضومنها أو وضعها فى الماء وغيرذلك، وأجازه عبد الحكم دون ذلك (والدم) يريد المسفوح لتقييده بذلك فى سورة الأنعام، ولاخلاف فى إباحة ماخالط اللحم من الدم (ولحم الخنزير) هو حرام سواء ذكى أو لم يذك، وكذلك شحمه بإجماع، وإنما خص اللحم بالذكر، لأنه الغالب فى الأكل ولأن الشحم تابع له، وكذلك من حلف أن لا يأكل لحما فأكل شحما حنث بخلاف العكس (وما أهل به) أى صيح لأنهم كانوا يصيحون باسم من ذبح له ثم استعمل فى النية فى الذبح (لغير الله) الأصنام وشبهها (اضطر) بالجوع أو بالإكراه، وهو مشتق من الضرورة ووزنه افتعل وأبدل من التاء طاء (غير باغ ولا عاد) قيل باغ على المسلمين، وعاد عليهم، ولذلك لم يرخص مالك فى رواية عنه

Marfat.com

إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ

للعاصى بسفره أن يأكل لحم الميتة ، والمشهور عنه الترخيص له ، وقيل غير باغ باستعمالها من غير إضرار ، وقيل باغ أى متزايد على إمساك رمقه ولهذا لم يجز الشافعى للمضطر أن يشبع من الميتة قال مالك بل يشبع ويتزود (فلا إثم عليه) رفع للحرج ، ويجب على المضطر أكل الميتة لئلا يقتل نفسه بالجوع وإنما تدل الآية على الإباحة لا على الوجوب ، وقد اختلف هل يباح له ميتة بنى آدم أم لا ، فمنعه مالك وأجازه الشافعى لعموم الآية (إن الذين يكتمون) اليهود (ما يأكلون فى بطونهم إلا النار) أى أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار فوضع السبب موضع المسبب ، وقيل يأكلون النار فى جهنم حقيقة (ولا يكلمهم الله) عبارة عن غضبه عليهم ، وقيل لا يكلمهم بما يحبون (ولا يزكيهم) لا يثنى عليهم (فما أصبرهم على النار) تعجب من جرأتهم على ما يقودهم إلى النار أو من صبرهم على عذاب النار فى الآخرة ، وقيل إنها استفهام ، وأصبرهم بمعنى صبرهم ، وهذا بعيد ، وإنما حمل قائله عليه اعتقاده أن التعجب مستحيل على الله لأنه استعظام خفى سببه ، وذلك لا يلزم فإنه فى حق الله غير خفى السبب (ذلك) إشارة إلى العذاب ورفعه بالابتداء أو بفعل مضمر (بأن الله) الباء سببية (نزل الكتاب) القرآن هنا (بالحق) أى بالواجب ، أو بالإخبار الحق أى الصادق ، والباء فيه سببية أو للمصاحبة (الذين اختلفوا فى الكتاب) اليهود والنصارى ، والكتاب على هذا التوراة والإنجيل ، وقيل الذين اختلفوا العرب ، والكتاب على هذا القرآن ويحتمل جنس الكتاب فى الموضعين (فى شقاق بعيد) أى بعيد من الحق والاستقامة (ليس البر) الآية : خطاب لأهل الكتاب لأن المغرب قبلة اليهود ، والمشرق قبلة النصارى : أى إنما البر التوجه إلى الكعبة ، وقيل خطاب للمؤمنين أى ليس البر الصلاة خاصة ، بل البر جميع الأشياء المذكورة بعد هذا (ولكن البر من آمن) لا يصح أن يكون خبراً عن البر فتأويله : لكن صاحب البر من آمن أو لكن البرّ برّ من آمن أو يكون البر مصدراً وصف به (وآت المال) صدقة التطوع ، وليست بالزكاة لقوله بعد ذلك : وآتى الزكاة (على حبه) الضمير عائد على المال لقوله «ويؤثرون على أنفسهم الآية» وهو الراجح من طريق المعنى . وعود الضمير على الأقرب وهو على هذا تتميم وهو من أدوات البيان ، وقيل يعود على مصدر آتى ، وقيل على الله (ذوى القربى) وما بعده ترتيب بتقديم الأهم فالأهم ، والأفضل لأنّ الصدقة على القرابة صدقة وصلة بخلاف من بعدهم . ثم اليتامى لصغرهم وحاجتهم ثم المساكين للحاجة خاصة . وابن السبيل الغريب . وقيل الضعيف ، والسائلين وإن كانوا غير محتاجين ، وفى الرقاب عتقها (والموفون بعهدهم) أى العهد مع الله ومع الناس (والصابرين) نصب بإضمار فعل (فى البأساء)

Marfat.com

إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ۝ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ۝ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ۝ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين ۝ فمن بدله بعد ما سمعه فإنما

الفقر (والضراء) المرض (وحين البأس) القتال (صدقوا) فى القول والفعل والعزيمة (كتب عليكم القصاص) أى شرع لكم، وليس بمعنى فرض، لأن ولى المقتول مخير بين القصاص والدية والعفو، وقيل بمعنى فرض أى فرض على القاتل الانقياد على القصاص، وعلى ولي المقتول أن لا يتعداه إلى غيره كفعل الجهلة وعلى الحاكم التمكين من القصاص (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) ظاهره اعتبار التساوى بين القاتل والمقتول فى الحرية والذكورية، ولا يقتل حر بعبد، ولا ذكر بأنثى إلا أن العلماء أجمعوا على قتل الذكر بالأنثى، وزاد قوم أن يعطى أولياؤها حينئذ نصف الدية لأولياء الرجل المقتص منه خلاف لمالك وللشافعى وأبو حنيفة، وأما قتل الحر بالعبد فهو مذهب أبى حنيفة خلافا لمالك والشافعى، فعلى هذا لم يأخذ أبو حنيفة بشىء من ظاهر الآية لا فى الذكورية ولا فى الحرية لأنها عنده منسوخة، وأخذ مالك بظاهرها فى الحرية كما فى الذكورية وتأويلها عنده أن قوله الحر بالحر والعبد بالعبد عموم يدخل فيه: الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، ثم كرر قوله: الأنثى بالأنثى: تأكيداً للتجديد، لأن بعض العرب إذا قتل منهم أنثى قتلوا بها ذكرا تكبرا وعدوانا، وقد يتوجه قول مالك على نسخ جميعها، ثم يكون عدم قتل الحر بالعبد من السنة، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقتل حر بعبد، والناسخ لها على القول بالنسخ: عموم قوله النفس بالنفس على أن هذا ضعيف، لأنه إخبار عن حكم بنى إسرائيل (فمن عفى له) الآية: فيها تأويلان: أحدهما أن المعنى من قتل منفى عنه فعليه أداء الدية بإحسان، وعلى أولياء المقتول اتباعه بها على وفاء فعلى هذا من كناية عن القاتل وأخوه هو المقتول أو وليه. وعفى من العفو عن القصاص، وأصله أن يتعدى بعن، وإنما تعدى هنا باللام لأنه كقولك تجاوزت لفلان عن ذنبه، وعلى الثانى أن من أعطيته الدية فعليه اتباع المعروف، وعلى القاتل أداء بإحسان، فعلى هذا من كناية عن أولياء المقتول، وأخوه هو القاتل أو عاقلته، وعفى بمعنى يسر: كقوله خذ العفو أى ماتيسر، ولا إشكال فى تعدى عفى باللام على هذا المعنى (ذلك تخفيف) إشارة إلى جواز أخذ الدية لأن بنى إسرائيل لم يكن عندهم دية، وإنما هو القصاص (فمن اعتدى) أى قتل قاتل وليه بعد أن أخذ منه الدية (عذاب أليم) القصاص منه وقيل عذاب الآخرة (ولكم فى القصاص حياة) بمعنى قولهم القتل أبقى للقتل أى أن القصاص يردع الناس عن القتل، وقيل المعنى أن القصاص أقل قتلا، لأنه قتل واحد بواحد، بخلاف ماكان فى الجاهلية من اقتتال قبيلتى القاتل والمقتول حتى يقتل بسبب ذلك جماعة (الوصية للوالدين والأقربين) كانت فرضا قبل الميراث ثم نسخها آية الميراث مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم

إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ۝ فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ۝ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ۝ أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ۝ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على

« لاوصية لوارث » وبقيت الوصية مندوبة لمن لايرث من الأقربين ، وقيل معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض ، فلا تعارض بينها وبين المواريث ، ولا نسخ ، والأول أشهر (كتب عليكم الصيام) أى فرض ، والقصد بقوله (كما كتب على الذين من قبلكم) وبقوله (أياما معدودات) تسهيل الصيام على المسلمين ، وكأنه اعتذار عن كتبه عليهم وملاطفة جميلة ، والذى كتب على الذين من قبلنا الصيام مطلقا ، وقيل كتب على الذين من قبلنا رمضان فبدلوه (أياما) منصوب بالصيام أو بمحذوف ، ويبعد انتصابه بتتقون (فمن كان منكم مريضا) الآية : إباحة للفطر مع المرض والسفر، وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك ، وفى الكلام عند الجمهور محذوف يسمى لحوى الخطاب ، والتقدير : فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر فعليه عدة من أيام أخر ، ولم يفعل الظاهرية بهذا المحذوف فرأوا أن صيام المسافر والمريض لا يصح ، وأوجبوا عليه عدة من أيام أخر ، وإن صام فى رمضان ، وهذا منهم جهل بكلام العرب ، وليس فى الآية مايقتضى تحديد السفر ، وبذلك قال الظاهرية ، وحده فى مشهور مذهب مالك أربعة برد (وعلى الذين يطيقونه فدية) قيل يطيقونه من غير مشقة فيفطرون ويكفرون . ثم نسخ جواز الإفطار بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، وقيل يطيقونه بمشقة كالشيخ الهرم ، فيجوز له الفطر فلا نسخ على هذا ، فمن تطوع أى صام ولم يأخذ بالفطر والكفارة ، وذلك على القول بالنسخ ، وقيل تطوع بالزيادة فى مقدار الإطعام ، وذلك على القول بعدم النسخ (شهر رمضان) مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر أو بدل من الصيام (أنزل فيه القرآن) قال ابن عباس أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر من رمضان ، ثم نزل به جبريل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بطول عشرين سنة ، وقيل المعنى أنزل فى شأنه القرآن : كقولك أنزل القرآن فى فلان وقيل المعنى ابتدأ فيه إنزال القرآن (هدى للناس وبينات من الهدى) أى أن القرآن هدى للناس ، ثم هو مع ذلك من مبينات الهدى ، وذلك أن الهدى على نوعين : مطلق وموصوف بالبينات ، فالهدى الأول هنا على الإطلاق ، وقوله من البينات والهدى : أى وهو من الهدى المبين ، فهو من عطف الصفات كقولك فلان عالم وجليل من العلماء (فمن شهد) أى كان حاضرا غير مسافر والشهر منصوب على الظرفية ، واليسر والعسر على الإطلاق ، وقيل اليسر : الفطر فى السفر ، والعسر الصوم فيه (ولتكملوا) متعلق بمحذوف تقديره شرع أو عطف على اليسر (العدة) الأيام التى أفطر فيها (ولتكبروا) التكبير يوم العيد أو مطلقا (أجيب دعوة الداع) مقيد بمشيئة الله ،

مهتدين ولعلكم تشكرون ۝ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى
وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ۝ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلىٰ نسآئكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن
علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالئٰن بٰشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم
وكلوا واشربوا حتىٰ يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى اليل
ولا تبٰشروهن وأنتم عٰكفون فى المسٰجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذٰلك يبين الله ءايٰته للناس
لعلهم يتقون ۝ ولا تأكلوا أموٰلكم بينكم بالبٰطل وتدلوا بهآ إلى الحكام لتأكلوا فريقًا من أموٰل

وما اقتضته القدر ، وهذا جواب من قال كيف لايستجاب الدعاء مع وعدالله بالاستجابة (فليستجيبوا لى) أى بامتثال ماد عوتهم إليه من الإيمان والطاعة (أحل لكم) الآية : كان الأكل والجماع محرما بعد النوم فى ليل رمضان ، فجرت لذلك قصة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ولصرمة بن مالك ، فأحلهما الله تخفيفا على عباده (الرفث) هنا الجماع . وإنما تعدى بإلى لأنه فى معنى الإفضاء (هنّ لباس لكم) تشبيه بالثياب ، لاشتمال كل واحد من الزوجين على الآخر ، وهذا تعليل للإباحة (تختانون أنفسكم) أى تأكلون وتجامعون بعدالنوم فى رمضان (فتاب عليكم وعفى عنكم) أى غفر ماوقعتم فيه من ذلك ، وقيل رفع عنكم ذلك الحكم (باشروهنّ) إباحة (ما كتب الله لكم) قيل الولد يبتغى بالجماع . وقيل الرخصة فى الأكل والجماع لمن نام فى ليل رمضان بعد منعه (من الفجر) بيان للخيط الأبيض لا للأسود ؛ لأنّ الفجر ليس له سواد ، والخيط هنا استعارة : يراد بالخيط الأبيض بياض الفجر ، وبالخيط الأسود : سواد الليل . وروى أن قوله من الفجر نزل بعد ذلك بيانا لهذا المعنى ، لأنّ بعضهم جعل خيطا أبيض وخيطا أسود تحت وسادته ، وأكل حتى تبين له ، فقال لها النبى صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو بياض النهار وسواد الليل (إلى الليل) أى إلى أوّل الليل ، وهو غروب الشمس فمن أفطر قبل ذلك فعليه القضاء والكفارة ومن شك هل غربت أم لا فأفطر ، فعليه القضاء والكفارة أيضا وقيل القضاء فقط ، وقالت عائشة رضى الله عنها « إلى الليل » يقتضى المنع من الوصال ، وقد جاء ذلك فى الحديث (ولا تباشروهنّ) تحريم للمباشرة حين الاعتكاف ، قال الجمهور : المباشرة هنا الجماع فما دونه . وقيل الجماع فقط ، (فى المساجد) دليل على جواز الاعتكاف فى كل مسجد ؛ خلافا لمن قال لا اعتكاف إلا فى المسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، وبيت المقدس : وفيه أيضا دليل على أن الاعتكاف لايكون إلا فى المساجد لافى غيرها خلافا لمن أجازه فى غيرها من مفهوم الآية (حدودالله) أحكامه التى أمر بالوقوف عندها (فلا تقربوها) أى لا تقربوا مخالفتها ، واستدل بعضهم به على سدّ الذرائع لأنّ المقصود النهى عن المخالفة للحدود لقوله : تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ثم نهى هنا عن مقاربة المخالفة سدّا للذريعة (ولا تأكلوا أموالكم) أى لا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) كالقمار ، والغصب ، وجحد الحقوق وغيرذلك (وتدلوا) عطف على لا تأكلوا ، أو نصب بإضمار أن وهو من أدلى الرجل بحجته إذا قام بها ، والمعنى نهى عن أن يحتج بحجة باطلة ، ليصل بها إلى أكل مال الناس ، وقيل نهى عن رشوة الحكام بأموال للوصول إلى أكل أموال الناس فالباء على

النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ * الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ

الأول سببية ، وعلى الثانى للإلصاق (بالإثم) الباء سببية أو للمصاحبة ، والإثم على القول الأول فى تدلوا : إقامة الحجة الباطلة كشهادة الزور ، والأيمان الكاذبة ، وعلى القول الثانى الرشوة (يسألونك عن الأهلة) سببها أنهم سألوا عن الهلال ، وما فائدته ومخالفته لحال الشمس ، والهلال ليلتان من أول الشهر أو ثلاث ، ثم يقال له قمر (مواقيت) جمع ميقات لمحل الديون والأكرية والقضاء والعدد وغير ذلك ، وذكر الحج اهتماما بذكره وإن كان قد دخل فى المواقيت للناس (وليس البر) الآية : كان قوم إذا رجعوا من الحج لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ، وإنما يدخلون من ظهورها ، ويقولون لا يحول بيننا وبين السماء شيء فنزلت الآية إعلاما بأن ذلك ليس من البر، وإنما ذكر ذلك بعد ذكر الحج لأنه كان عندهم من تمام الحج ، وقيل المعنى ليس البر أن تسألوا عن الأهلة وغيرها مما لا فائدة لكم فيه فتأتون الأمور على غير ما يجب ، فعلى هذا البيوت وأبوابها وظهورها استعارة : يراد بالبيوت المسائل ، وبظهورها السؤال عما لا يفيد ، وأبوابها السؤال عما يحتاج إليه (البر من اتقى) تأويله مثل البر من آمن (الذين يقاتلونكم) كان القتال غير مباح فى أول الإسلام ، ثم أمر بقتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل ، وذلك مقتضى هذه الآية ثم أمر بقتال جميع الكفار فى قوله « قاتلوا المشركين كافة » (اقتلوهم حيث وجدتموهم) فهذه الآية منسوخة ، وقيل إنها محكمة وأن المعنى قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلونكم دون النساء والصبيان الذين لا يقاتلونكم ، والأول أرجح وأشهر (ولا تعتدوا) أى بقتال من لم يقاتلكم على القول الأول ، وبقتال النساء والصبيان على القول الثانى (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من مكة لأن قريشا أخرجوا منها المسلمين (والفتنة أشد من القتل) أى فتنة المؤمن عن دينه أشد عليه من قتله ، وقيل كفر الكفار أشد من قتل المؤمنين لهم فى الجهاد (عند المسجد الحرام) منسوخ بقوله حيث وجدتموهم ، وهذا يقوى نسخ الذين يقاتلونكم (فإن انتهوا) عن الكفر فاسلموا بدليل قوله (غفور رحيم) وإنما يغفر للكافر إذا أسلم (لا تكون فتنة) أى لا يبقى دين كفر (الشهر الحرام) الآية : نزلت لما صد الكفار النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن دخول مكة للعمرة عام الحديبية فى شهر ذى الحجة ، فدخلها فى العام الذى بعده فى شهر ذى القعدة أى الشهر الحرام الذى دخلتم فيه مكة بالشهر الحرام الذى صددتم فيه عن دخولها (والحرمات قصاص) أى حرمة

سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ

الشهر والبلد حين دخلتموها قصاص بحرمة الشهر، والبلد حين صددتم عنها (فاعتدوا عليه) تسمية للعقوبة باسم الذنب أى قاتلوا من قاتلكم، ولا تبالوا بحرمة من صدكم عن دخول مكة (تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قال أبو أيوب الأنصارى: المعنى لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد، وقيل لا تتركوا النفقة فى الجهاد خوف العيلة وقيل لا تقنطوا من التوبة وقيل لا تقتحموا المهالك، والباء فى بأيديكم زائدة، وقيل التقدير: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم (وأتموا الحج والعمرة لله) أى أكملوهما إذا ابتدأتم عملهما قال ابن عباس إتمامهما إكمال المناسك وقال على" إتمامهما: أن تحرم بهما من دارك، ولا حجة فيه لمن أوجب العمرة؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام لا بالابتداء (فإن أحصرتم) المشهور فى اللغة أحصره المرض بالألف، وحصره العدو وقيل بالعكس، وقيل هما بمعنى واحد، فقال مالك أحصرتم هنا بالمرض على مشهور اللغة، فأوجب عليه الهدى ولم يوجبه على من حصره العدو، وقال الشافعى وأشهب يجب الهدى على من حصره العدو، وعمل الآية على ذلك، واستدلا بنحر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الهدى بالحديبية، وقال أبو حنيفة يجب الهدى على المحصر بعدو وبمرض (فما استيسر) أى فعليكم ما استيسر من الهدى وذلك شاة (ولا تحلقوا رؤسكم) خطابا للمحصر وغيره (فمن كان منكم مريضا) الآية: نزلت فى كعب بن عجرة حين رآه النبى صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك يؤذيك هوام رأسك: احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام وأطعم ستة مساكين أو انسك بشاة، فمعنى الآية أن من كان فى الحج واضطره مرض أو قمل إلى حلق رأسه قبل يوم النحر: جاز له حلقه وعليه صيام أو صدقة أو نسك حسبما تفسر فى الحديث، وقاس الفقهاء على حلق الرأس سائر الأشياء التى يمنع الحاج منها إلا الصيد، والوطء، وقصر الظاهرية ذلك على حلق الرأس، ولا بد فى الآية من مضمر لا ينتقل الكلام عنه، وهو المسمى لحوى الخطاب، وتقديرها: فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فحلق رأسه فعليه فدية (فإذا أمنتم) أى من المرض على قول مالك، ومن العدو على قول غيره، والمعنى: إذا كنتم بحال أمن سواء تقدم مرض أو خوف عدو أو لم يتقدم (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) التمتع عند مالك وغيره: هو أن يعتمر الإنسان فى أشهر الحج، ثم يحج من عامه. فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة، وقال عبد الله بن الزبير: التمتع هو أن يحصر عن الحج بعدو حتى يفوته الحج، فيعتمر عمرة يتحلل بها من إحرامه، ثم يحج من قابل قضاء لحجته، فهو قد تمتع بفعل الممنوعات من الحج فى وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل، وقيل التمتع هو قران الحج والعمرة (فما استيسر من الهدى) شاة (ثلاثة أيام فى الحج) وقتها من إحرامه إلى يوم عرفة فإن فاته صام أيام التشريق (إذا رجعتم) إلى بلادكم أو فى الطريق (تلك عشرة) فائدته أن السبع تصام بعد الثلاثة فتكون عشرة، ورفع لئلا يتوهم أن السبعة بدل من الثلاثة، وقيل هو مثل الفذلكة وهو قول الناس بعد الأعداد فذلك كذا، وقيل كاملة فى الثواب (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) يعنى غير أهل مكة

Marfat.com

حَاضِرِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَـٰأُولِى الْأَلْبَـٰبِ ۝ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَـٰتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ۝ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَـٰسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۝ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا

وذى طوى بإجماع ، وقيل أهل الحرام كله ، وقيل من كان دون الميقات ، وقوله ذلك . إشارة إلى الهدى أو الصيام : أى إنما يجب الهدى أو الصيام بدلا منه على الغرباء لا على أهل مكة ، وقيل ذلك إشارة إلى التمتع (الحج أشهر) التقدير أشهر الحج أشهر ، أو الحج فى أشهر وهى شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، وقيل العشر الأول منه ، وينبنى على ذلك أن من أخر طواف الإفاضة إلى آخر ذى الحجة : فعليه دم على القول بالعشر الأول ، ولا دم عليه على القول بجميع الشهر ، واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر ، فأجازه مالك على كراهة ، ولم يجزه الشافعى وداود لتعيين هذا الاسم كذلك ؛ فكأنها كوقت الصلاة (فمن فرض فيهن الحج) أى ألزم بالحج نفسه (فلا رفث ولا فسوق) الرفث : الجماع ، وقيل الفحش من الكلام ، والفسوق : المعاصى ، والجدال : المراء مطلقا ، وقيل المجادلة فى مواقيت الحج ، وقيل النسىء الذى كانت العرب تفعله (وتزودوا) قيل احملوا زادا فى السفر ، وقيل تزودوا للآخرة بالتقوى . وهو الأرجح لما بعده (فضلا من ربكم) التجارة فى أيام الحج أباحها الله تعالى ، وقرأ ابن عباس : فضلا من ربكم فى مواسم الحج (أفضتم) اندفعتم جملة واحدة (من عرفات) اسم علم للموقف والتنوين فيه فى مقابلة النون فى جمع المذكر لا تنوين صرف ، فإن فيه التعريف والتأنيث (المشعر الحرام) المزدلفة والوقوف بها سنة (كما هداكم) الكاف للتعليل (وإن كنتم) إن مخففة من الثقيلة ، ولذلك جاء اللام فى خبرها (من قبله) أى من قبل الهدى (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) فيه قولان أحدهما أنه أمر للجنس وهم قريش ومن تبعهم كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرم ، ويقفون بعرفة مع سائر الناس ؛ لأنها حل ، ويقولون نحن أهل الحرم لا نقف إلا بالحرم ، فأمرهم الله تعالى أن يقفوا بعرفة مع الناس ويفيضوا منها ، وقد كان النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة توفيقا من الله تعالى له ، والقول الثانى أنها خطاب لجميع الناس ، ومعناها : أفيضوا من المزدلفة إلى منى فثم على هذا القول على بابها من الترتيب ، وأما على القول الأول فليست للترتيب ، بل للعطف خاصة ، قال الزمخشرى هى كقولك أحسن إلى الناس ، ثم لا تحسن إلى غير كريم ، فإن معناها التفاوت بين ما قبلها وما بعدها وأن ما بعدها أوكد (قضيتم مناسككم) فرغتم من أعمال الحج (كذكركم آباءكم) لأن الإنسان كثيرا ما يذكر آباءه ، وقيل كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرة عند الجمرة ، فأمروا بذكر الله عوضا من ذلك (آتنا فى الدنيا) كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصة ، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة (حسنة) قيل العمل

Marfat.com

فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِى أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ

الصالح وقيل المرأة الصالحة (وفى الآخرة حسنة) الجنة (نصيب مما كسبوا) يحتمل أن تكون من سببية أى لهم نصيب من الحسنات التى اكتسبوها ، والنصيب على هذا الثواب (سريع الحساب) فيه وجهان : أحدهما أن يراد به سرعة مجىء يوم القيامة ، لأن الله لايحتاج إلى عدة ولا فكرة ، وقيل لعلىّ رضى الله عنه : كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم ؟ قال كما يرزقهم على كثرتهم (فى أيام معدودات) ثلاثة بعد يوم النحر ، وهى أيام التشريق ، والذكر فيها : التكبير فى أدبار الصلوات ، وعند الجمار وغير ذلك (فمن تعجل فى يومين) أى انصرف فى اليوم الثانى من أيام التشريق (ومن تأخر) إلى اليوم الثالث فرمى فيه بقية الجمار ، وأما المتعجل فقيل يترك رمى جمار اليوم ، وقيل يقدمها فى اليوم الثانى (فلا إثم عليه) فى الموضعين، قيل إنه إباحة للتعجل والتأخر ، وقيل إنه إخبار عن غفران الإثم وهو الذنب للحاج ، سواء تعجل أو تأخر (لمن اتقى) أما على القول بأن معنى فلا إثم عليه : الإباحة ، فالمعنى أن الإباحة فى التعجل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما ، فقد أبيح له ذلك من غير إثم ، وأما على القول بأن معنى فلا إثم عليه : إخبار بغفران الذنوب ، فالمعنى أن الغفران إنما هو لمن اتقى الله فى حجه ، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من حج هذا البيت ، فلم يرفث ، ولم يفسق : خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » فاللام متعلقة إما بالغفران أو بالإباحة المفهومين من الآية (من يعجبك) الآية : قيل نزلت فى الأخنس بن شريق ، فإنه أظهر الإسلام ، ثم خرج فقتل دواب المسلمين وأحرق لهم زرعا ، وقيل فى المنافقين ، وقيل عامة فى كل من كان على هذه الصفة (فى الحياة) متعلق بقوله يعجبك : أى يعجبك ما يقول فى أمر الدنيا ، ويحتمل أن يتعلق بيعجبك (ويشهد الله) أى يقول الله أعلم إنه لصادق (ألد الخصام) شديد الخصومة (تولى) أدبر بجسده أو أعرض بقلبه ، وقيل صار واليا (ويهلك الحرث والنسل) على القول بأنها فى الأخنس ، فإهلاك الحرث حرقه الزرع ، وإهلاك النسل قتله الدواب ، وعلى القول بالعموم فالمعنى مبالغته فى الفساد ، وعبر عن ذلك بإهلاك الحرث والنسل ، لأنهما قوام معيشة ابن آدم ، فإن الحرث هو الزرع والفواكه وغير ذلك من النبات ، والنسل هو الإبل والبقر والغنم وغير ذلك مما يتناسل (أخذته العزة بالإثم) المعنى أنه لايطيع من أمره بالتقوى تكبرا وطغيانا والباء يحتمل أن تكون سببية أو بمعنى مع وقال الزمخشرى : هى كقولك : أخذ الأمير الناس بكذا : أى ألزمهم إياه ، فالمعنى حملته العزة على الإثم (من يشرى نفسه) أى يبيعها ، قيل نزلت فى صهيب وقيل على العموم وبيع النفس فى الهجرة أو الجهاد ،

Marfat.com

الشَّيْطَٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ الْبَيِّنَٰتُ فَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ

وقيل فى تغيير المنكر ، وأن الذى قبلها فيمن غير عليه فلم ينزجر (السلم) بفتح السين المسالمة ، والمراد بها هنا عقد الذمة بالجزية ، والأمر على هذا لأهل الكتاب وخوطبوا بالذين آمنوا لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة ، وقيل هو الإسلام ، وكذلك هو بكسر السين ، فيكون الخطاب لأهل الكتاب على معنى الأمر لهم بالدخول فى الإسلام ، وقيل إنها نزلت فى قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظموا السبت كما كانوا فالمعنى على هذا : ادخلوا فى الإسلام ، واتركوا سواه ، ويحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين على معنى الأمر بالثبوت عليه والدخول فى جميع شرائعه من الأوامر والنواهى (كافة) عموم فى المخاطبين أو فى شرائع الإسلام (فاعلموا أن الله عزيز حكيم) تهديد لمن زل بعد البيان (هل ينظرون) أى ينتظرون (يأتيهم الله) تأويله عند المتأولين : يأتيهم عذاب الله فى الآخرة ، أو أمره فى الدنيا ، وهى عند السلف الصالح من المتشابه يجب الإيمان بها من غير تكييف ويحتمل أن لا تكون من المتشابه ؛ لأن قوله ينظرون بمعنى يطلبون بجهلهم كقولهم: لولا يكلمنا الله (فى ظلل) جمع ظلة وهى ما علاك من فوق ، فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال وإن كان لله فهو من المتشابه (الغمام) السحاب (وقضى الأمر) فرغ منه ، وذلك كناية عن وقوع العذاب (سل بنى إسرائيل) على وجه التوبيخ لهم ، وإقامة الحجة عليهم (من آية) معجزات موسى ، أو الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ومن يبدل) وعيد (ويسخرون) كفار قريش سخروا من فقراء المسلمين كبلال وصهيب (والذين اتقوا) هم المؤمنون الذين سخر الكفار منهم (فوقهم) أى أحسن حالا منهم ، ويحتمل فوقية المكان ، لأن الجنة فى السماء (يرزق من يشاء) إن أراد فى الآخرة ، فمن كناية عن المؤمنين ، والمعنى رد على الكفار أى إن رزق الله الكفار فى الدنيا ، فإن المؤمنين يرزقون فى الآخرة وإن أراد فى الدنيا فيحتمل أن يكون من كناية عن المؤمنين أى سيرزقهم ، ففيه وعدلهم ، وأن تكون كناية عن الكافرين أى أن رزقهم فى الدنيا بمشيئة الله لا على وجه الكرامة لهم (بغير حساب) إن كان للمؤمنين فيحتمل أن يريد بغير تضييق ومن حيث لا يحتسبون أو لا يحاسبون عليه وإن كان للكفار فمن غير تضييق (أمة واحدة) أى متفقين فى الدين ، وقيل كفاراً فى زمن نوح عليه السلام ، وقيل مؤمنين ما بين آدم ونوح ، أو من كان مع نوح فى السفينة وعلى ذلك يقدر : فاختلفوا بعد اتفاقهم ، ويدل عليه « أمة واحدة » فاختلفوا (الكتاب) هنا جنس أو فى كل نبى وكتابه (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه) الضمير المجرور يعود على الكتاب ، أو على الضمير المجرور المتقدم ، وقال الزمخشرى : يعود على

فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

الحق ، وأما الضمير فى أوتوه ، فيعود على الكتاب ، والمعنى تقبيح الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم البينات (بغيا) أى حسداً أو عدوانا ، وهو مفعول من أجله ، أومصدر فى موضع الحال (فهدى الله الذين آمنوا) يعنى أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لما اختلفوا فيه) أى للحق لما اختلفوا فيه فما بمعنى الذى وقبلها مضاف محذوف ، والضمير فى اختلفوا لجميع الناس ، يريد اختلافهم فى الأديان ، فهدى الله المؤمنين لدين الحق ، وتقدير الكلام : فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق ، ومن فى قوله من الحق لبيان الجنس أى جنس ما وقع فيه الخلاف (بإذنه) قيل بعلمه ، وقيل بأمره (أم حسبتم) خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم ، والأمر بالصبر على الشدائد (ولما يأتكم) أى لا تدخلوا الجنة حتى يصيبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم (مثل الذين) أى حالهم وعبر عنه بالمثل لأنه فى شدته يضرب به المثل (وزلزلوا) بالتخويف والشدائد (ألا إن نصر الله قريب) يحتمل أن يكون جوابا للذين قالوا متى نصر الله ، وأن يكون إخبارا مستأنفا ، وقيل إن الرسول قال ذلك لما قال الذين معه متى نصر الله (فللوالدين والأقربين) إن أريد بالنفقة الزكاة ، فذلك منسوخ والصواب أن المراد التطوع فلا نسخ ، وقدم فى الترتيب الأهم فالأهم ، وورد السؤال على المنفق ، والجواب عن مصرفه لأنه كان المقصود بالسؤال ، وقد حصل الجواب عن المنفق فى قوله من خير (كتب عليكم القتال) إن كان على الأعيان فنسخه وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فصار القتال فرض كفاية ، وإن كان على الكفاية فلا نسخ (كره) مصدر ذكر للمبالغة أو اسم مفعول كالخبز بمعنى المخبوز (وعسى أن تكرهوا) حض على القتال (الشهر الحرام) جنس وهو أربعة أشهر : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم (قتال فيه) بدل من الشهر وهو مقصود السؤال (قل قتال فيه كبير) أى ممنوع ثم نسخه : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وذلك بعيد فإن حيث وجدتموهم : عموم فى الأمكنة لا فى الأزمنة ، ويظهر أن ناسخه وقاتلوا المشركين كافة بعد ذكر الأشهر الحرم . فكان التقدير : قاتلوا فيها ، ويدل عليه : فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، ويحتمل أن يكون المراد وقوع القتال فى الشهر الحرام : أى إباحته حسبما استقر فى الشرع ، فلا تكون الآية منسوخة ، بل ناسخة لما كان فى أول الإسلام من تحريم القتال فى الأشهر الحرم (وصد عن سبيل الله) ابتداء ، وما بعده معطوف عليه ، وأكبر عند الله : خبر الجميع ، أى أن هذه الأفعال القبيحة التى فعلها الكفار : أعظم عند الله من القتال فى الشهر الحرام الذى عير به الكفار المسلمين سرية عبد الله بن جحش ، حين قاتل فى أول يوم

Marfat.com

وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ

من رجب ، وقد قيل إنه ظن أنه آخر يوم من جمادى (والمسجد) عطف على سبيل الله (حتى يردوكم) قال الزمخشري حتى هنا للتعليل (فأولئك حبطت أعمالهم) ذهب مالك على أن المرتد يحبط عمله بنفس الارتداد ، سواء رجع إلى الإسلام ، أو مات على الارتداد ، ومن ذلك انتقاض وضوئه ، وبطلان صومه ، وذهب الشافعي إلى أنه لا يحبط إلا إن مات كافرا ؛ لقوله : فيمت وهو كافر ، وأجاب المالكية بقوله حبطت أعمالهم جزاء على الردة ، وقوله : أصحاب النار هم فيها خالدون جزاء على الموت على الكفر ، وفي ذلك نظر (إن الذين آمنوا) الآية : نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه (الخمر) كل مسكر من العنب وغيره (والميسر) القمار ، وكان ميسر العرب بالقداح في لحم الجزور ، ثم يدخل في ذلك النرد والشطرنج وغيرهما ، وروى أن السائل عنهما كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه (إثم كبير) نص في التحريم وأنهما من الكبائر ، لأن الإثم حرام لقوله : قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم ، خلافا لمن قال إنما حرمتها آية المائدة لا هذه الآية (ومنافع) في الخمر التلذذ والطرب ، وفي القمار الاكتساب به ولا يدل ذكر المنافع على الإباحة قال ابن عباس : المنافع قبل التحريم ، والإثم بعده (وإثمهما أكبر) تغليبا للإثم على المنفعة ، وذلك أيضا بيان للتحريم (قل العفو) أي السهل من غير مشقة ، وقراءة الجماعة بالنصب بإضمار فعل مشاكله للسؤال ، على أن يكون ما مبتدأ ، وذا خبره (تتفكرون في الدنيا والآخرة) أي في أمرهما (ويسألونك عن اليتامى) كانوا قد تجنبوا اليتامى تورعا ، فنزلت إباحة مخالطتهم بالإصلاح لهم ، فإن قيل : لم جاء ويسألونك بالواو ثلاث مرات ، وبغير واو ثلاث مرات قبلها ؟ فالجواب أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأول وقع في أوقات مفترقة فلم يأت بحرف عطف وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو لأنها كانت متناسقة (والله يعلم) تحذير من الفساد ، وهو أكل أموال اليتامى (لأعنتكم) لضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم قال ابن عباس لأهلككم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى (ولا تنكحوا) أي لا تتزوجوا ، والنكاح مشترك بين الوطء والعقد (المشركات) عباد الأوثان من العرب ، فلا تتناول اليهود ولا النصارى المباح نكاحهن في المائدة ، فلا تعارض بين الموضعين ، ولا نسخ ، خلافا

Marfat.com

حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَـٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَآءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۝ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝

لمن قال آية المائدة نسخت هذه ، ولمن قال هذه نسخت آية المائدة فمنع نكاح الكتابيات ، ونزول الآية بسبب مرثد الغنوى أراد أن يتزوج امرأة مشركة (ولأمة مؤمنة) أى أمة لله حرة كانت أو مملوكة وقيل أمة مملوكة خير من حرة مشركة (ولو أعجبتكم) فى الجمال والمال وغير ذلك (ولا تنكحوا المشركين) أى لا تزوجوهم نساءكم . وانعقد الإجماع على أن الكافر لا يتزوج مسلمة ، سواء كان كتابيا أو غيره ، واستدل المالكية على وجوب الولاية فى النكاح بقوله « ولا تنكحوا المشركين » لأنه أسند نكاح النساء إلى الرجال (ولعبد) أى عبد لله ، وقيل مملوك (أولئك) المشركات والمشركون (يدعون إلى النار) إلى الكفر الموجب إلى النار (بإذنه) أى بإرادته أو علمه (ويسألونك) سأل عن ذلك عباد بن بشر وأسيد بن حضير قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا نجامع النساء فى المحيض ، خلافا لليهود (هو أذى) مستقذر ، وهذا تعليل لتحريم الجماع فى المحيض (فاعتزلوا النساء) اجتنبوا جماعهن ، وقد فسر ذلك الحديث بقوله : لتشد عليها إزارها ، وشأنك بأعلاها (حتى يطهرن) أى ينقطع عنهن الدم (فإذا تطهرن) أى اغتسلن بالماء ، وتعلق الحكم بالآية الأخيرة عند مالك والشافعى ، فلا يجوز عندهما وطء حتى تغتسل وبالغاية الأولى عند أبى حنيفة فأجاز الوطء عند انقطاع الدم وقبل الغسل ، وقرئ حتى يطهرن بالتشديد ، ومعنى هذه الآية بالماء ، فتكون الغايتان بمعنى واحد ، وذلك حجة لمالك (من حيث أمركم الله) قبل المرأة (التوابين) من الذنوب (المتطهرين) بالماء أو من الذنوب (حرث لكم) أى موضع حرث ، وذلك تشبيه للجماع فى إلقاء النطفة وانتظار الولد : بالحرث فى إلقاء البذر وانتظار الزرع (أنى شئتم) أى كيف شئتم من الهيئات أو من شئتم ، لا أين شئتم لأنه يوهم الإتيان فى الدبر ، وقد افترى من نسب جوازه إلى مالك وقد تبرأ هو من ذلك وقال : إنما الحرث فى موضع الزرع (وقدموا لأنفسكم) أى الأعمال الصالحة (عرضة لأيمانكم) أى لا تكثروا الحلف بالله فتبذلوا اسمه ، وأن تبروا على هذا علة للنهى ، فهو مفعول من أجله : أى نهيتم عن كثرة الحلف كى تبروا . وقيل المعنى لا تحلفوا على أن تبروا وتتقوا ، وافعلوا البر والتقوى دون يمين . فأن تبروا على هذا هو المحلوف عليه ، والعرضة على هذين القولين لقولك : فلان عرضة لفلان إذا أكثر التعرض له ، وقيل عرضة مانع ، من قولك عرض له أمر حال بينه وبين كذا . أى لا تمتنعوا بالحلف بالله من فعل البر والتقوى ، ومن ذلك يمين أبى بكر الصديق أن لا ينفق على مسطح ، فأن تبروا على هذا : علة لامتناعهم فهو مفعول من أجله أو مفعول بعرضة ، لأنها بمعنى مانع (باللغو) الساقط وهو عند مالك قولك نعم والله ، ولا والله ، الجارى على اللسان من غير قصد وفاقا

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ

للشافعي ، وقيل أن يحلف على الشيء بظنه على ماحلف عليه ، ثم يظهر خلافه وفاقا لأبي حنيفة ، وقال ابن عباس : اللغو الحلف حين الغضب ، وقيل اللغو اليمين على المعصية ، والمؤاخذة العقاب أو وجوب الكفارة (بما كسبت قلوبكم) أي قصدت فهو على خلاف اللغو ، وقال ابن عباس : هو اليمين الغموس ، وذلك أن يحلف على الكذب متعمدا ، وهو حرام إجماعا ، وليس فيه كفارة عند مالك خلافا للشافعي (يولون من نسائهم) يحلفون على ترك وطئهن وإنما تعدى بمن ، لأنه تضمن معنى البعد منهن ، ويدخل في عموم قوله الذين : كل حالف حرا كان أو عبدا ، إلا أن مالك جعل مدة إيلاء العبد شهرين ، خلافا للشافعي ، ويدخل في إطلاق الإيلاء اليمين بكل مايلزم عنه حكم ، خلافا للشافعي في قصر الإيلاء على الحلف بالله ، ووجهه أنها اليمين الشرعية ، ولايكون موليا عند مالك والشافعي ، إلا إذا حلف على مدة أكثر من أربعة أشهر ، وعند أبي حنيفة أربعة أشهر فصاعدا ، فإذا انقضت الأربعة الأشهر : وقف المولى عند مالك والشافعي ، فإما فاء وإلا طلق ، فإن أبى الطلاق : طلق عليه الحاكم ، وقال أبو حنيفة : إذا انقضت الأربعة الأشهر : وقع الطلاق دون توقيف ، ولفظ الآية يحتمل القولين (فإن فاؤا) رجعوا إلى الوطء وكفروا عن اليمين (غفور رحيم) أي يغفر ما في الأيمان من إضرار المرأة (عزموا الطلاق) العزيمة على قول مالك التطليق أو الإباية فيطلق عليه الحاكم ، وعند أبي حنيفة ترك الفيء حتى تنقضي الأربعة الأشهر ، والطلاق في الإيلاء رجعي عند مالك بائن عند الشافعي وأبي حنيفة (والمطلقات يتربصن) بيان للعدة ، وهو عموم مخصوص خرجت منه الحامل بقوله تعالى وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن . واليائسة والصغيرة بقوله : واللائي يئسن من المحيض الآية . والتي لم يدخل بها بقوله : فمالكم عليهن من عدة تعتدونها ، فيبقى حكمها في المدخول بها ، وهي من تحيض وقد خص مالك منها الأمة ، فجعل عدتها قرءين ويتربصن خبر بمعنى الأمر (ثلاثة قروء) انتصب ثلاثة على أنه مفعول به هكذا قال الزمخشري . وقروء جمع قرء وهو مشترك في اللغة بين الطهر والحيض ، فحمله مالك والشافعي على الطهر لإثبات التاء في ثلاثة ، فإن الطهر مذكر والحيض مؤنث ، ولقول عائشة: الأقراء هي الإطهار ، وحمله أبو حنيفة على الحيض لأنه الدليل على براءة الرحم ، وذلك مقصود العدة ، فعلى قول مالك تنقضي العدة بالدخول في الحيضة الثالثة إذا طلقها في طهر لم يمسها فيه ، وعند أبي حنيفة بالطهر منها (ماخلق الله في أرحامهن) يعني الحمل والحيض ، وبعولتهن جمع بعل ، وهو هنا الزوج (في ذلك) أي في زمان العدة (ولهن مثل الذي عليهن) من الاستمتاع وحسن المعاشرة (درجة) في الكرامة وقيل الإنفاق وقيل كون الطلاق

Marfat.com

لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٥ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ

بيده (الطلاق مرتان) بيان لعدد الطلاق الذى يرتجع منه دون زوج آخر وقيل بيان لعدد الطلاق الذى يجوز إيقاعه ، وهو طلاق السنة (فإمساك) ارتجاع وهو مرفوع بالابتداء أو بالخبر (بمعروف) حسن المعاشرة وتوفية الحقوق (أو تسريح) هو تركها حتى تنقضى العدة فتبين منه (بإحسان) المتعة ، وقيل التسريح هنا الطلقة الثالثة بعد الاثنتين ، وروى فى ذلك حديث ضعيف وهو بعيد لأنّ قوله تعالى بعد ذلك (فإن طلقها) هو الطلقة الثالثة ، وعلى ذلك يكون تكرارا ، والطلقة الرابعة لامعنى لها (ولا يحل لكم أن تأخذوا) الآية : نزلت بسبب ثابت بن قيس : اشتكت منه امرأته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها أتردين عليه حديقته قالت نعم فدعاه فطلقها على ذلك وحكمها على العموم وهو خطاب للأزواج فى حكم الفدية ، وهى الخلع ، وظاهرها أنه لا يجوز الخلع إلا إذا خاف الزوجان (ألا يقيما حدود الله) وذلك إذا ساء مابينهما وقبحت معاشرتهما ، ثم إنّ المخالعة على أربعة أحوال : الأول : أن تكون من غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة : فأجازه مالك وغيره لقوله تعالى : فإن طبن لكم عن شىء الآية . ومنعها قوم لقوله تعالى : إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله ، والثانى أن يكون الضرر منهما جميعا ، فمنعه مالك فى المشهور لقوله تعالى : ولا تعضلوهنّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ ، وأجازه الشافعى لقوله تعالى «إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله» والثالث أن يكون الضرر من الزوجة خاصة ، فأجازه الجمهور لظاهر هذه الآية ، والرابع أن يكون الضرر من الزوج خاصة : فمنعه الجمهور لقوله تعالى وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج الآية ، وأجازه أبو حنيفة مطلقا ، وقوله فى ذلك مخالف للكتاب والسنة (فإن خفتم) خطاب للحكام والمتوسطين فى هذا الأمر (فإن طلقها) هذه هى الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين فى قوله الطلاق مرتان (حتى تنكح زوجا غيره) أجمعت الأئمة على أن النكاح هنا هو العقد مع الدخول والوطء ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم للمطلقة ثلاثا حين أرادت الرجوع إلى مطلقها قبل أن يمسها الزوج الآخر : لا ، حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك ؛ وروى عن سعيد بن المسيب أن العقد يحلها دون وطء ، وهو قول مرفوض لمخالفته للحديث ، وخرقه للإجماع ، وإنما تحل عند مالك إذا كان النكاح صحيحا لا شبهة فيه ، والوطء مباحا فى غير حيض ولا إحرام ولا اعتكاف ولا صيام ، خلافا لابن الماجشون فى الوطء غير المباح ، وأما نكاح المحلل فحرام ، ولا يحل الزوجة لزوجها عند مالك ، خلافا لأبى حنيفة والمعتبر فى ذلك نية المحلل لانية المرأة ، ولا المحلل له ، وقال قوم من نوى التحليل منهم أفسد (فإن طلقها) يعنى هذا الزوج الثانى (فلا جناح عليهما) أى على الزوجة والزوج الأول (أن يقيما حدود الله) أى أوامره فيما يجب من حقوق الزوجة (وإذا طلقتم النساء) الآية : خطاب للأزواج ، وهى نهى عن أن يطول الرجل العدة على المرأة مضارة منه لها بل يرتجع قرب انقضاء العدة ، ثم يطلق بعد ذلك ، ومعنى بلغن أجلهنّ فى هذا الموضع : قارب انقضاء العدة ، وليس المراد انقضاؤها ، لأنه ليس

Marfat.com

بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا ءايٰت الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتٰب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم ۝ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزوٰجهن إذا ترٰضوا بينهم بالمعروف ذٰلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذٰلكم أزكىٰ لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون ۝ والوٰلدٰت يرضعن أولٰدهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة

بيده إمساك حينئذ ، ومعنى أمسكوهن : راجعوهن (بمعروف) هنا قيل هو الإشهاد وقيل النفقة (وإذا طلقتم النساء) الآية : هذه الأخرى خطاب للأولياء ، وبلوغ الأجل هنا : انقضاء العدة (فلا تعضلوهن) أى لا تمنعوهن (أن ينكحن أزواجهن) أى يراجعن الأزواج الذين طلقوهن ، قال السهيلى نزلت فى معقل بن يسار كان له أخت فطلقها زوجها ثم أراد مراجعتها وأرادت هى مراجعته ، فمنعها أخوها ، وقيل نزلت فى جابر بن عبد الله وذلك أن رجلا طلق أخته وتركها حتى تمت عدتها ، ثم أراد مراجعتها فمنعها جابر ، وقال تركتها وأنت أملك بها لا زوجتكها أبدا ، فنزلت الآية ، والمعروف هنا : العدل ، وقيل الإشهاد ، وهذه الآية تقتضى ثبوت حق الولى فى نكاح وليته خلافا لأبى حنيفة (ذلك يوعظ به) خطابا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكل واحد على حدته ، ولذلك وحد ضمير الخطاب (ذلكم أزكى لكم) خطابا للمؤمنين والإشارة إلى ترك الفصل ، ومعنى أزكى أطيب للنفس ، ومعنى أطهر : أى للدين والعرض (والوالدات يرضعن أولادهن) خبر بمعنى الأمر وتقتضى الآية حكمين : الحكم الأول من يرضع الولد ، فمذهب مالك أن المرأة يجب عليها إرضاع ولدها مادامت فى عصمة والده ، إلا أن تكون شريفة لا يرضع مثلها ، فلا يلزمها ذلك ، وإن كان والده قد مات وليس للولد مال : لزمها رضاعه فى المشهور ، وقيل أجرة رضاعه على بيت المال ، وإن كانت مطلقة بائن : لم يلزمها رضاعه ، لقوله تعالى : فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن . إلا أن تشاء هى فهى أحق به بأجرة المثل ، فإن لم يقبل غيرها وجب عليها إرضاعه ، ومذهب الشافعى وأبى حنيفة أنها لا يلزمها إرضاعه أصلا ، والأمر فى هذه الآية عندهما على الندب ، وقال أبو ثور : يلزمها على الإطلاق لظاهر الآية وحملها على الوجوب ، وأما مالك فحملها فى موضع على الوجوب ، وفى موضع على الندب ، وفى موضع على التخيير حسبما ذكر من التقسيم فى المذهب الحكم الثانى مدة الرضاع ، وقد ذكرها فى قوله (حولين كاملين) وإنما وصفهما بكاملين لأنه يجوز أن يقال فى حول وبعض آخر : حولين ، فرفع ذلك الاحتمال ، وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى (لمن أراد أن يتم الرضاعة) واشترط أن يكون الفطام عن تراضى الأبوين بقوله : فإن أرادا فصالا الآية . فإن لم يكن على الولد ضرر فى الفطام فلا جناح عليهما ، ومن دعا منهما إلى تمام الحولين : فذلك له ، وأما بعد الحولين فمن دعا منهما إلى الفطام فذلك له ، وقال ابن عباس : إنما يرضع حولين من مكث فى البطن ستة أشهر ، فمن مكث سبعة فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرا ، وإن مكث تسعة فرضاعه إحدى وعشرون ، لقوله تعالى : وحمله وفصاله ثلاثون شهرا (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن) فى هذه النفقة والكسوة : قولان : أحدهما : أنها

Marfat.com

وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا

أجرة رضاع الولد ، أوجبها الله للأم على الوالد ، وهو قول الزمخشري وابن العربي ، الثاني : أنها نفقة الزوجات على الإطلاق ، وقال منذر ابن سعيد البلوطي : هذه الآية نص في وجوب نفقة الرجل على زوجته ، وعلى هذا حملها ابن الفرس (بالمعروف) أي على قدر حال الزوج في ماله ، والزوجة في منصبها ، وقد بين ذلك بقوله لا تكلف نفسا إلا وسعها (لا تضار والدة بولدها) قرئ بفتح الراء لالتقاء الساكنين على النهي ، وبرفعهما على الخبر ، ومعناها النهي ، ويحتمل على كل واحد من الوجهين أن يكون الفعل مسندا إلى الفاعل ، فيكون ماقبل الآخر مكسوراً قبل الإدغام ، أو يكون مسندا إلى المفعول ، فيكون مفتوحا ، والمعنى على الوجهين : النهي عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد ، ويدخل في عموم النهي : وجوه الضرر كلها والباء في قوله بولدها وبولده : سببية ، والمراد بقوله ولا مولود له : الوالد ، وإنما ذكره بهذا اللفظ إعلاما بأنّ الولد ينسب له لا للأم (وعلى الوارث مثل ذلك) اختلف في الوارث فقيل وارث المولود له ، وقيل وارث الصبي لو مات ، وقيل هو الصبي نفسه ، وقيل من بقي من أبويه ، واختلف في المراد بقوله مثل ذلك ، فقال مالك وأصحابه . عدم المضارة ، وذلك يجري مع كل قول في الوارث ؛ لأنّ ترك الضرر واجب على كل أحد ، وقيل المراد أجرة الرضاع في النفقة والكسوة ، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف في الوارث ، فأما على القول بأنّ الوارث هو الصبي فلا إشكال ؛ لأن أجرة رضاعه في ماله ، وأما على سائر الأقوال ، فقيل إن الآية منسوخة فلا تجب أجرة الرضاع على أحد غير الوالد ، وقيل إنها محكمة فتجب أجرة الرضاع على وارث الصبي لو مات ، أو على وارث الوالد ، وهو قول قتادة والحسن البصري (وإن أردتم أن تسترضعوا) إباحة لاتخاذ الظئر (إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف) أي دفعتم أجرة الرضاع (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهنّ أربعة أشهر وعشرا) الآية عموم في كل متوفى عنها ، سواء توفي زوجها قبل الدخول أو بعده ، إلا الحامل فعدتها وضع حملها ، سواء وضعته قبل الأربعة الأشهر والعشر أو بعدها عند مالك والشافعي وجمهور العلماء ، وقال عليّ بن أبي طالب : عدتها أبعد الأجلين ، وخص مالك من ذلك الأمة فعدتها في الوفاة شهران وخمس ليال ، ويتربص : معناه عن التزويج وقيل عن الزينة فيكون أمرا بالإحداد ، وإعراب الذين مبتدأ ، وخبره يتربصن على تقدير أزواجهم يتربصن ، وقيل التقدير وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن ، وقال الكوفيون : الخبر عن الذين متروك ، والقصد الإخبار عن أزواجهم (فيما فعلن في أنفسهنّ) من التزويج والزينة (بالمعروف) هنا إذا كان غير منكر وقيل معناه الإشهاد (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به) الآية : إباحة

عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَـٰبُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۞ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَـٰعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ۞ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِى بِيَدِهِ

التعريض بخطبة المرأة المعتدة ، ويقتضى ذلك النهى عن التصريح ، ثم أباح ما يضمر فى النفس بقوله : أو أكننتم فى أنفسكم (علم الله أنكم ستذكرونهن) أى تذكروهن فى أنفسكم وبألسنتكم لم يخف عليكم وقيل أى ستخطبونهن إن لم تنتهوا عن ذلك (لا تواعدوهن سرا) أى لا تواعدوهن فى العدة خفية بأن تتزوجوهن بعد العدة . وقال مالك فيمن يخطب فى العدة ثم يتزوج بعدها : فراقها أحب إلىّ ، ثم يكون خاطبا من الخطاب ، وقال ابن القاسم : يجب فراقها (إلا أن تقولوا قولا معروفا) استثناء منقطع ، والقول المعروف : هو ما أبيح من التعريض : كقوله إنكم لأكفاء كرام ، وقوله إن الله سيفعل معك خيرا ، وشبه ذلك (ولا تعزموا عقدة النكاح) الآية : نهى عن عقد النكاح قبل تمام العدة والكتاب هنا : القدر الذى شرع فيه من المدة ومن تزوج امرأة فى عدتها يفرق بينهما اتفاقا ، فإن دخل بها حرمت عليه على التأبيد عند مالك خلافا للشافعى وأبى حنيفة واختلف عن مالك فى تأبيد التحريم إذا لم يدخل بها ، وإذا دخل بها ولم يطأها (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) الآية : قيل إنها إباحة للطلاق قبل الدخول ولما نهى عن التزويج بمعنى الذوق وأمر بالتزويج طلب العصمة ودوام الصحبة ظن قوم أن من طلق قبل البناء وقع فى المنهى عنه ، فنزلت الآية رافعة للجناح فى ذلك ، وقيل إنها فى بيان ما يلزم من الصداق والمتعة فى الطلاق قبل الدخول ، وذلك أن من طلق قبل الدخول فإن كان لم يفرض لها صداقا وذلك فى نكاح التفويض : فلا شىء عليه من الصداق ؛ لقوله لا جناح عليكم إن طلقتم النساء الآية ، والمعنى لا طلب عليكم بشىء من الصداق ، ويؤمر بالمتعة لقوله تعالى: ومتعوهن ، وإن كان قد فرض لها: فعليه نصف الصداق لقوله تعالى : فنصف ما فرضتم ، ولا متعة عليه ، لأن المتعة إنما ذكرت فيما لم يفرض لها بقوله : أو تفرضوا ، أو فيه بمعنى الواو (ومتعوهن) أى أحسنوا إليهن ، وأعطوهن شيئا عند الطلاق ، والأمر بالمتعة مندوب عند مالك ، وواجب عند الشافعى (على الموسع قدره) أى يمتع كل واحد على قدر ما يجد ، والموسع الغنى ، و(المقتر) الضيق الحال ، وقرئ بإسكان دال قدره وفتحها ، وهما بمعنى وبالمعروف هنا : أى لا حمل فيه ولا تكلف على أحد الجانبين (حقا على المحسنين) تعلق الشافعى فى وجوب المتعة بقوله : حقا ، وتعلق مالك بالندب فى قوله على المحسنين، لأن الإحسان تطوع بما لا يلزم (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) الآية : بيان أن المطلقه قبل البناء لها نصف الصداق إذا كان فرض لها صداق مسمى ، بخلاف نكاح التفويض (إلا أن يعفون) النون فيه نون جماعة النسوة : يريد المطلقات ، والعفو هنا بمعنى الإسقاط ، أى للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق ، إلا أن يسقطنه وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكة أمر نفسها (أو يعفو الذى بيده عقدة

Marfat.com

عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ

النكاح) قال ابن عباس ومالك وغيرهما : هو الوالى الذى تكون المرأة فى حجره كالأب فى ابنته المحجورة، والسيد فى أمته ، فيجوزله أن يسقط نصف الصداق الواجب لها بالطلاق قبل الدخول ، وأجاز شريح إسقاط غير الأب من الأولياء ، وقال على بن أبى طالب والشافعى: الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج ، وعفوه أن يعطى النصف الذى سقط عنه من الصداق ، ولا يجوز عندهما أن يسقط الأب النصف الواجب لابنته ، وحجة مالك أن قوله الذى بيده عقدة النكاح فى الحال ، والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقدة النكاح ، وحجة الشافعى قوله تعالى «وأن تعفوا أقرب للتقوى» فإن الزوج إذا تطوع بإعطاء النصف الذى لا يلزمه فذلك فضل وأما إسقاط الأب لحق ابنته فليس فيه تقوى لأنه إسقاط حق الغير (ولا تنسوا الفضل بينكم) قيل إنه يعنى إسقاط المرأة نصف صداقها أو دفع الرجل النصف الساقط عنه واللفظ أعم من ذلك (والصلوة الوسطى) جدد ذكرها بعد دخولها فى الصلوة اعتناء بها وهى الصبح عند مالك وأهل المدينة ، والعصر عند علىّ بن أبى طالب لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، وقيل هى الظهر ، وقيل المغرب ، وقيل هى العشاء الآخرة ، وقيل الجمعة ، وسميت وسطى لتوسطها فى عدد الركعات ، وعلى القول بأنها المغرب لأنها بين الركعتين والأربع اولتوسط وقتها ، وعلى القول بأنها الصبح لأنها متوسطة بين الليل والنهار ، وعلى القول بأنها الظهر أو الجمعة ، لأنها فى وسط النهار ، أو لفضلها من الوسط وهو الخيار ، وعلى هذا يجرى اختلاف الأقوال فيها (وقوموا لله) معناه فى صلاتكم (قانتين) هنا ساكتين وكانوا يتكلمون فى الصلاة حتى نزلت ، قاله ابن مسعود ، وزيد بن أرقم ، وقيل خاشعين ، وقيل طول القيام (فإن خفتم) أى من عدو أوسبع أوغير ذلك مما يخاف منه على النفس (فرجالا) جمع راجل أى على رجليه (أو ركبانا) جمع راكب : أى صلوا كيف ما كنتم من ركوب أوغيره ، وذلك فى صلاة المسايفة ، ولا تنقص منها عن ركعتين فى السفر ، وأربع فى الحضر عند مالك (فإذا أمنتم فاذكروا الله) الآية : قيل المعنى : إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التى علمتموها وهى التامة ، وقيل إذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم هذه الصلاة التى تجزئكم فى حال الخوف ، فالذكر على القول الأول فى حال الصلاة ، وعلى الثانى بمعنى الشكر (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم) هذه الآية منسوخة ومعناها أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم فى منزله سنة وينفق عليها من ماله ، وذلك وصية لها ثم نسخ إقامتها سنة بالأربعة الأشهر والعشر، ونسخت النفقة بالربع أو الثمن الذى لها فى الميراث حسبما ذكر فى سورة النساء ، وإعراب وصية مبتدأ ، وأزواجهم خبر ، أومضمر تقديره : فعليهم وصية ، وقرئت بالنصب على المصدر ، تقديره : ليوصوا وصية ، ومتاعا نصب على المصدر (غير إخراج) أى ليس لأولياء الميت إخراج المرأة (فإن خرجت) معناه إذا كان الخروج من قبل المرأة فلا جناح على أحد فيما فعلت فى نفسها من تزوج وزينه (وللمطلقات

مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝ وَقَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ

متاع) عام فى إمتاع كل مطلقة وبعمومه أخذ أبو ثور واستثنى الجمهور المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها بالآية المتقدمة منه واستثنى مالك المختلعة والملاعنة (حقا على المتقين) يدل على وجوب المتعة وهى الإحسان للمطلقات ، لأن التقوى واجبة ، ولذلك قال بعضهم : نزلت مؤكدة للمتعة لأنه نزل قبلها حقا على المحسنين ، فقال رجل : فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع ، فنزلت حقا على المتقين (ألم تر) رؤية قلب (إلى الذين خرجوا من ديارهم) قوم من بنى إسرائيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتال ، فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك ، فأماتهم الله ليعرفهم أنه لاينجيهم من الموت شىء ، وقيل بل فروا من الطاعون (وهم ألوف) جمع ألف ، قيل ثمانون ألفا ، وقيل ثلاثون ألفا ، وقيل ثمانية آلاف ، وقيل هو من الألفة ، وهو ضعيف (فقال لهم الله موتوا) عبارة عن إماتتهم ، وقيل إن ملكين صاحا بهم موتوا فماتوا (ثم أحياهم) ليستوفوا آجالهم (وقاتلوا) خطاب لهذه الأمة وقيل للذين أماتهم الله ثم أحياهم (من ذا الذى يقرض الله) استفهام يراد به الطلب والحض على الإنفاق وذكر لفظ القرض تقريباً للأفهام ؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف رد ما أسلف ، وروى أن الآية نزلت فى أبى الدحداح حين تصدق بحائط لم يكن له غيره (قرضا حسنا) أى خالصا طيبا من حلال من غير من ولا أذى (فيضاعف) قرئ بالتشديد والتخفيف ، وبالرفع على الاستئناف أو عطفا على يقرض ، وبالنصب فى جواب الاستفهام (أضعافا كثيرة) عشرة فما فوقها إلى سبعمائة (يقبض ويبسط) إخبار يراد به الترغيب فى الإنفاق (ألم تر إلى الملإ) رؤية قلب ، وكانوا قوما نالهم الذلة من أعدائهم ، فطلبوا الإذن فى القتال فلما أمروا به كرهوه (لنبى لهم) قيل اسمه شمويل ، وقيل شمعون (هل عسيتم) أى قاربتم ، وأراد النبى المذكور أن يتوثق منهم ، ويجوز فى السين من عسيتم الكسر والفتح ، وهو أفصح ولذلك انفرد نافع بالكسر وأما إذا لم يتصل بعسى ضمير فلا يجوز فيها إلا الفتح (طالوت ملكا) قال وهب بن منبه أوحى الله إلى نبيهم إذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى فى القرن فهو ملكهم ، وقال السدى أرسل الله إلى نبيهم عصا ، وقال له إذا دخل عليك رجل على طول هذه العصا فهو ملكهم فكان ذلك طالوت (ونحن أحق بالملك منه) روى أنه كان

Marfat.com

بسطة في العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله وٰسع عليم ۞ وقال لهم نبيهم إن ءاية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ءال موسىٰ وءال هٰرون تحمله الملٰئكة إن في ذٰلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ۞ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين ءامنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملٰقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصٰبرين ۞ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكٰفرين ۞ فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وءاتٰه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولٰكن الله ذو فضل على العٰلمين ۞ تلك ءايٰت الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين ۞ تلك الرسل فضلنا بعضهم علىٰ بعض منهم

دباغا ولم يكن من بيت الملك والواو في قوله ونحن واو الحال والواو في قوله ولم يؤت لعطف الجملة على الأخرى (بسطة في العلم والجسم) كان عالما بالعلوم وقيل بالحروب وكان أطول رجل يصل إلى منكبه (والله يؤتى ملكه من يشاء) رد عليهم في اعتقادهم أن الملك يستحق بالبيت أو المال (أن يأتيكم التابوت) كان هذا التابوت قد تركه موسى عند يوشع فجعله يوشع في البرية ، فبعث الله ملائكة حملته فجعلته في دار طالوت، وفيه قصص كثيرة غير ثابتة (فيه سكينة) قيل ريح فيه رأس ووجه كوجه الإنسان، وقيل طست من ذهب تغسل فيه قلوب الأنبياء وقيل رحمة ، وقيل وقار (وبقية) قال ابن عباس: هي عصى موسى ورضاض الألواح وقيل العصا والنعلان وقيل ألواح من التوراة (آل موسى وآل هارون) يعني أقاربهما ، قال الزمخشري يعني الأنبياء من بني إسرائيل ، ويحتمل أن يريد موسى وهارون ، وأقحم الأهل (فصل طالوت) أي خرج من موضعه إلى الجهاد (بنهر) قيل هو نهر فلسطين (فمن شرب منه) الآية : اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب باليد (إلا من اغترف غرفة) رخص لهم في الغرفة باليد ، وقرئ بفتح الغين وهو المصدر وبضمها هو الاسم (فشربوا منه إلا قليلا) قيل كانوا ثمانين ألفا فشربوا منه كلهم إلا ثلثمائة وبضعة عشر: عدد أصحاب بدر ، فأما من شرب فاشتد عليه العطش ، وأما من لم يشرب فلم يعطش (جالوت وجنوده) كان كافرا عدوا لهم وهو ملك العمالقة ، ويقال إن البربر من ذريته (يظنون) أي يوقنون وهم أهل البصائر من أصحابه (قتل داود جالوت) كان داود في جند طالوت فقتل جالوت ، فأعطاه الله ملك بني إسرائيل ، وفي ذلك قصص كثيرة غير صحيحة (والحكمة) هنا النبوة والزبور ، (وعلمه مما يشاء) صنعة الدروع ، ومنطق الطيور ، وغير ذلك (ولولا دفع الله) الآية : منة على العباد بدفع بعضهم ببعض ، وقرئ دفاع بالألف ، ودفع بغير ألف ، والمعنى متفق (تلك الرسل) الإشارة إلى جماعتهم (فضلنا) نص في التفضيل في الجملة من غير تعيين مفضول : كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تخيروا بين الأنبياء ، ولا تفضلوني

Marfat.com

مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا

على يونس بن متى : فإن معناه النهى عن تعيين المفضول ، لأنه تنقيص له ، وذلك غيبة ممنوعة ، وقد صرح صلى الله عليه وآله وسلم بفضله على جميع الأنبياء بقوله « أنا سيد ولد آدم » لا بفضله على واحد بعينه ، فلا تعارض بين الحديثين (من كلم الله) موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) قيل هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتفضيله على الأنبياء بأشياء كثيرة ، وقيل هو إدريس لقوله « ورفعناه مكانا عليا » فالرفعة على هذا فى المسافة وقيل هو مطلق فى كل من فضله الله منهم (من بعدهم) أى من بعد الأنبياء ، والمعنى بعد كل نبى لا بعد الجميع (ولو شاء الله ما اقتتلوا) كرره تأكيدا وليبنى عليه مابعده (أنفقوا) يعم الزكاة والتطوع (لا بيع فيه) أى لا يتصرف أحد فى ماله ، والمراد لا تقدرون فيه على تدارك مافاتكم من الإنفاق فى الدنيا ويدخل فيه نفى الفدية لأنه بشراء الإنسان نفسه (ولا خلة) أى مودة نافعة لأن كل أحد يومئذ مشغول بنفسه (ولا شفاعة) أى ليس فى يوم القيامة شفاعة إلا بإذن الله فهو فى الحقيقة رحمة من الله المشفوع فيه ، وكرامة للشافع ليس فيها تحكم على الله ، وعلى هذا يحمل ماورد من نفى الشفاعة فى القرآن أعنى أن لا تقع إلا بإذن الله فلا تعارض بينه وبين إثباتها ، وحيث ماكان سياق الكلام فى أهوال يوم القيامة والتخويف بها نفيت الشفاعة على الإطلاق ومبالغة فى التهويل وحيث ماكان سياق الكلام تعظيم الله نفيت الشفاعة إلا بإذنه (والكافرون هم الظالمون) قال عطاء بن دينار الحمد لله الذى قال هكذا ولم يقل والظالمون هم الكافرون (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) هذه آية الكرسى وهى أعظم آية فى القرآن حسبما ورد فى الحديث ، وجاء فيها فضل كبير فى الحديث الصحيح وفى غيره (لا تأخذه سنة ولا نوم) تنزيه لله تعالى عن الآفات البشرية ، والفرق بين السنة والنوم : أن السنة هى ابتداء النوم لا نفسه : كقول القائل « فى عينه سنة وليس بنائم » (من ذا الذى يشفع عنده) استفهام مراد به نفى الشفاعة إلا بإذن الله فهى فى الحقيقة راجعة إليه (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الضمير عائد على من يعقل ممن تضمنه قوله « له ما فى السموات وما فى الأرض » والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم ، وقال مجاهد ما بين أيديهم الدنيا ، وما خلفهم الآخرة (من علمه) من معلوماته أى لا يعلم عباده من معلوماته إلا ما شاء هو أن يعلموه (وسع كرسيه) الكرسى مخلوق عظيم بين يدى العرش ، وهو أعظم من السموات والأرض ، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شىء ، وقيل كرسيه علمه وقيل كرسيه ملكه (ولا يؤده) أى لا يشغله ولا يشق عليه (لا إكراه فى الدين) المعنى أن دين الإسلام فى غاية الوضوح وظهور البراهين على صحته بحيث لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لَآ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ اللَّهُ وَلِىُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَٰتِ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ۞ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ اللَّهُ

بل يدخل فيه كل ذى عقل سليم من تلقاء نفسه ، دون إكراه ، ويدل على ذلك قوله (قد تبين الرشد من الغى) أى قد تبين أن الإسلام رشد وأن الكفر غى ، فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه ، وقيل معناها الموادعة ، وأن لا يكره أحد بالقتال على الدخول فى الإسلام ثم نسخت بالقتال ، وهذا ضعيف لأنها مدنية وإنما آية المسالمة وترك القتال بمكة (بالعروة الوثقى) العروة فى الأجرام هى موضع الإمساك وشد الأيدى ، وهى هنا تشبيه واستعارة فى الإيمان (لا انفصام لها) لا انكسار لها ولا انفصال (يخرجهم من الظلمات إلى النور) أى من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (أولياؤهم الطاغوت) جمع الطاغوت هنا وأفرد فى غير هذا الموضع فكأنه اسم جنس لما عبد من دون الله ، ولمن يضل الناس من الشياطين وبنى آدم (الذى حاج إبراهيم) هو نمروذ الملك وكان يدعى الربوبية فقال لإبراهيم : من ربك ؟ (قال ربى الذى يحيي ويميت) فقال نمروذ : (أنا أحيي وأميت) وأحضر رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر ، فقال قد أحييت هذا وأمت هذا ، فقال له إبراهيم : (فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت) أى انقطع وقامت عليه الحجة ، فإن قيل : لم انتقل إبراهيم عن دليله الأول إلى هذا الدليل الثانى ، والانتقال علامة الانقطاع ؟ فالجواب أنه لم ينقطع ولكنه لما ذكر الدليل الأول وهو الإحياء والإماتة كان له حقيقة ، وهو فعل الله ومجازا وهو فعل غيره فتعلق نمروذ بالمجاز غلطا منه أو مغالطة ، فحينئذ انتقل إبراهيم إلى الدليل الثانى لأنه لا مجاز له ، ولا يمكن الكافر عدول عنه أصلا (أو كالذى مر على قرية) تقديره أو رأيت مثل الذى فحذف لدلالة ألم تر عليه ؛ لأن كلتيهما كلمتا تعجب ، ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه يقول أرأيت كالذى حاج إبراهيم ، أو كالذى مر على قرية وهذا المار قيل إنه عزير ، وقيل الخضر ، فقوله (أنى يحيي هذه الله) ليس إنكارا للبعث ولا استبعاداً ولكنه استعظام لقدرة الذى يحيي الموتى ، أو سؤال عن كيفية الإحياء وصورته ، لاشك فى وقوعه ، وذلك مقتضى كلمة أنى فأراه الله ذلك عيانا ليزداد بصيرة ، وقيل بل كان كافراً وقالها إنكاراً للبعث واستبعادا ، فأراه الله الحياة بعد الموت فى نفسه ، وذلك أعظم برهان (وهى خاوية على عروشها) أى خالية من الناس ، وقال السدى سقطت سقوفها وهى العروش ، ثم سقطت الحيطان على السقف (أنى يحيي هذه الله) ظاهر هذا اللفظ إحياء هذه القرية بالعمارة بعد الخراب ولكن المعنى إحياء أهلها بعد موتهم لأن هذا الذى يمكن فيه الشك والإنكار ولذلك أراه الله الحياة بعد موته ، والقرية كانت بيت المقدس لما أخربها بختنصر وقيل قرية الذين خرجوا

بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ۝ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم ۝ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع

من ديارهم وهم ألوف (كم لبثت) سؤال على وجه التقرير (قال لبثت يوما أو بعض يوم) استقل مدة موته ، قيل أماته الله غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخر بعد مائة عام فظن أنه يوم واحد ثم رأى بقية من الشمس فخاف أن يكذب فى قوله يوما فقال أو بعض يوم (فانظر إلى طعامك وشرابك) قيل كان طعامه تينا وعنبا وأن شرابه كان عصيرا ولبنا (لم يتسنه) معناه لم يتغير بل بقى على حاله طول مائة عام ، وذلك أعجوبة إلهية واللفظ يحتمل أن يكون مشتقا من السنة ، لأن لامها هاء ، فتكون الهاء فى يتسنه أصلية . أى لم يتغير السنون ويحتمل أن يكون مشتقا من قولك تسنن الشيء إذا فسد ، ومنه الحمأ المسنون ، ثم قلبت النون حرف علة كقولهم قصيت أظفارى ثم حذف حرف العلة للجازم ، والهاء على هذا هاء السكت (وانظر إلى حمارك) قيل بقى حماره حياً طول المائة عام ، دون علف ولا ماء ، وقيل مات ثم أحياه الله ، وهو ينظر إليه (ولنجعلك آية للناس) التقدير فعلنا بك هذا لتكون آية للناس ، وروى أنه قام شابا على حالته يوم مات فوجد أولاده وأولادهم شيوخا (وانظر إلى العظام) هى عظام نفسه ، وقيل عظام الحمار على القول بأنه مات (ننشرها) بالراء نحييها ، وقرئ بالزاى ، ومعناه نرفعها للاحياء (قال أعلم) بهمزة قطع وضم الميم أى قال الرجل ذلك اعترافا ، وقرئ بألف وصل ، والجزم على الأمر أى قال له الملك ذلك (وإذ قال إبراهيم) الآية : قال الجمهور : لم يشك إبراهيم فى إحياء الموتى ، وإنما طلب المعاينة ، لأنه رأى دابة قد أكلها السباع والحيات فسأل ذلك السؤال ، ويدل على ذلك قوله : كيف ، فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورته لا عن وقوعه (ولكن ليطمئن قلبي) أى بالمعاينة (أربعة من الطير) قيل هى الديك ، والطاوس ، والحمام ، والغراب ، فقطعها وخلط أجزاءها ثم جعل من المجموع جزءاً على كل جبل ، وأمسك رأسها بيدها ، ثم قال : تعالين بإذن الله فتطايرت تلك الأجزاء حتى التأمت ، وبقيت بلا رؤس ، ثم كرر النداء فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها فى رؤسها وطارت بإذن الله (فصرهن) أى ضمهن ، وقيل قطعهن على كل جبل ، قيل أربعة جبال ، وقيل سبعة ، وقيل الجبال التى وصل إليها حينئذ من غير حصر بعدد (فى سبيل الله) ظاهره الجهاد ، وقد يحمل على جميع وجوه البر (كمثل حبة) كل مايزرع ويقتات وأشهره القمح ، وفى الكلام حذف تقديره مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة أو يقدر فى آخر الكلام كمثل صاحب حبة (أنبتت سبع سنابل) بيان أن الحسنة بسبعمائة كما جاء فى الحديث أن رجلا جاء بناقة فقال هذه فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

Marfat.com

عَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ۝
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِى يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِمَّا كَسَبُوا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ
جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ
أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ

لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة (والله يضاعف لمن يشاء) أى يزيده على سبعمائة وقيل هو تأكيد وبيان للسبعمائة ، والأول أرجح ، لأنه ورد فى الحديث مايدل عليه (الذين ينفقون) الآية : قيل نزلت فى عثمان ، وقيل فى علىّ وقيل فى عبدالرحمن بن عوف (منا ولا أذى) المن . ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها ، والأذى السب (قول معروف) هو ردّ السائل بجميل من القول : كالدعاء له والتأنيس (ومغفرة) عفو عن السائل إذا وجد منه جفاء ، وقيل مغفرة من الله لسبب الرد الجميل ، والمعنى تفضيل عدم العطاء إذا كان بقول معروف ومغفرة ، على العطاء الذى يتبعه أذى (لا تبطلوا صدقاتكم) عقيدة أهل السنة أن السيئات لا تبطل الحسنات فقالوا فى هذه الآية إن الصدقة التى يعلم من صاحبها أنه يمن أو يؤذى لا تقبل منه ، وقيل إن المن والأذى : دليل على أن نيته لم تكن خالصة ، فلذلك بطلت صدقته (كالذى ينفق) تمثيل لمن يمن ويؤذى بالذى ينفق رياء وهو غير مؤمن (فمثله) أى مثل المرائى فى نفقته كحجر عليه تراب يظنه من يراه أرضا منبتة طيبة ، فإذا أنزل عليها المطر انكشف التراب ، فيبقى الحجر لا منفعة فيه ، فكذلك المرائى يظن أن له أجرا ، فإذا كان يوم القيامة انكشف سره ولم تنفعه نفقته (صفوان) حجر كبير (وابل) مطر كثير (صلدا) أملس (لا يقدرون) أى لا يقدرون على الانتفاع بثواب شىء من إنفاقهم وهو كسبهم (وتثبيتا) أى تيقنا وتحقيقا للثواب لأن أنفسهم لها بصائر تحملهم على الإنفاق ، ويحتمل أن يكون معنى التثبيت أنهم يثبتون أنفسهم على الإيمان باحتمال المشقة فى بذل المال ، وانتصاب ابتغاء على المصدر فى موضع الحال وعطف عليه وتثبيتا ، ولا يصح فى تثبيتا أن يكون مفعولا من أجله ، لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت فامتنع ذلك فى المعطوف عليه وهو ابتغاء (كمثل حبة) تقديره كمثل صاحب حبة أو يقدر ولا مثل نفقة الذى ينفقون (بربوة) لأن ارتفاع موضع الجنة أطيب لتربتها وهوائها (فطل) الطل الرقيق الخفيف ، فالمعنى يكفى هذه الجنة لكرم أرضها (أيود أحدكم) الآية : مثل ضرب الانسان يعمل صالحا حتى إذا كان عند آخر عمره ختم له بعمل السوء ، أو مثل للكافر أو المنافق أو المرائى المتقدم ذكره آنفا أو ذى المن والأذى ، فإن كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله . فإذا كان وقت حاجة إليه لم يجد شيئا ، فشبههم الله بمن كانت له جنة ، ثم أصابتها الجائحة المهلكة ، أحوج ما كان إليها لشيخوخته ،

Marfat.com

ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ الشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَآءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝ يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ۝ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَآءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝ لِلْفُقَرَآءِ

وضعف ذريته ، قالوا فى قوله : وأصابه الكبر للحال (إعصار) أى ريح فيها سموم محرقة (من طيبات مارزقناكم) والطيبات هنا عند الجمهور : الجيد غير الردىء ، فقيل إن ذلك فى الزكاة فيكون واجبا ؛ وقيل فى التطوع فيكون مندوبا لا واجبا ؛ لأنه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز بالردىء (ومما أخرجنا) من النبات والمعادن وغير ذلك (ولا تيمموا الخبيث) أى لا تقصدوا الردىء (منه تنفقون) فى موضع الحال (ولستم بآخذيه) الواو للحال والمعنى أنكم لا تأخذونه فى حقوقكم وديونكم ، إلا أن تتسامحوا بأخذه وتعملوا من قولك : أغمض فلان عن بعض حقه : إذا لم يستوفه وإذا غض بصره (الشيطان يعدكم الفقر) الآية : دفع لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر ، فى ضمن ذلك حض على الإنفاق ، ثم بين عداوة الشيطان بأمره بالفحشاء ، وهى المعاصى ، وقيل الفحشاء البخل ، والفاحش عند العرب البخيل ، قال ابن عباس : فى الآية اثنتان من الشيطان واثنتان من الله ، والفضل هو الرزق والتوسعة (يؤتى الحكمة) قيل هى المعرفة بالقرآن وقيل النبوة ، وقيل الإصابة فى القول والعمل (وما أنفقتم من نفقة) الآية . ذكر نوعين ، وهما ما يفعله الإنسان تبرعا ، وما يفعله بعد إلزامه نفسه بالنذر ، وفى قوله (فإن الله يعلمه) وعد بالثواب ، وقوله (وما للظالمين من أنصار) وعيد لمن يمنع الزكاة أو ينفق لغير الله (إن تبدوا الصدقات) هى التطوع عند الجمهور لأنها يحسن إخفاؤها وإبداء الواجبة كالصلوات (فنعما هى) ثناء على الإظهار ، ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء وما من نعما فى موضع نصب تفسير للمضمر والتقدير فنعم شىء إبداؤها (ليس عليك هداهم) قيل إن المسلمين كانوا لا يتصدقون على أهل الذمة فنزلت الآية مبيحة للصدقة على من ليس على دين الإسلام ، وذلك فى التطوع ، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلا ، فالضمير فى هداهم على هذا القول للكافر ، وقيل ليس عليك أن تهديهم لما أمروا به من الانفاق ، وترك المن والأذى والرياء ، والانفاق من الخبيث ، إنما عليك أن تبلغهم والهدى بيد الله ، فالضمير على هذا للمسلمين (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) أى إن منفعته لكم لقوله «من عمل صالحا فلنفسه» (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) قيل إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله ففيه تزكية لهم

الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيمٰهم لا يسئلون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ۝ الذين ينفقون أموٰلهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ الذين يأكلون الربوٰا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطٰن من المس ذٰلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربوٰا وأحل الله البيع وحرم الربوٰا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولٰئك أصحٰب

وشهادة بفضلهم ، وقيل ما تنفقون نفقة تقبل منكم إلا ابتغاء وجه الله ، فى ذلك حض على الاخلاص (للفقراء) متعلق بمحذوف تقديره الانفاق للفقراء وهم هنا المهاجرون (أحصروا) حبسوا بالعدو، وبالمرض (فى سبيل الله) يحتمل الجهاد والدخول فى الاسلام (ضربا فى الأرض) هو التصرف فى التجارة وغيرها (يحسبهم الجاهل أغنياء) أى يظن الجاهل بحالهم أنهم أغنياء لقلة سؤالهم والتعفف هنا هو عن الطلب ومن سببية ، وقال ابن عطية لبيان الجنس (تعرفهم بسيماهم) علامة وجوههم وهى ظهور الجهــد والفاقة وقلة النعمة وقيل الخشوع وقيل السجود (لا يسألون الناس إلحافا) الإلحاف هو الإلحاح فى السؤال ، والمعنى : أنهم إذا سألوا يتلطفون ولا يلحون ، وقيل هو نفى السؤال والإلحاح معا وباقى الآية وعد (بالليل والنهار سرا وعلانية) تعميم لوجوه الإنفاق وأوقاته ، قال ابن عباس : نزلت فى على فإنه تصدق بدرهم بالليل وبدرهم بالنهار وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال أبو هريرة نزلت فى علف الخيل (الذين يأكلون الربا) أى ينتفعون به ، وعبر عن ذلك بالأكل لأنه أغلب المنافع وسواء من أعطاه أو من أخذه ، والربا فى اللغة الزيادة ، ثم استعمل فى الشريعة فى بيوعات ممنوعة أكثرها راجع إلى الزيادة ، فإن غالب الربا فى الجاهلية قولهم للغريم أتقضى أم تربى ، فكان الغريم يزيد فى عدد المال ، ويصبر الطالب عليه ، ثم إن الربا على نوعين : ربا النسيئة ، وربا التفاضل وكلاهما يكون فى الذهب والفضة ، وفى الطعام . فأما النسيئة فتحرم فى بيع الذهب بالذهب وبيع الفضة بالفضة وفى بيع الذهب بالفضة ، وهو الصرف ، وفى الطعام بالطعام مطلقا ، وأما التفاضل فإنما يحرم فى بيع الجنس الواحد بجنسه من النقدين ومن الطعام ، ومذهب مالك أنه يحرم التفاضل فى المقتات المدخر من الطعام ، ومذهب الشافعى أنه يحرم فى كل طعام ، ومذهب أبى حنيفة أنه يحرم فى المكيل والموزون من الطعام وغيره (لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) أجمع المفسرون أن المعنى لا يقومون من قبورهم فى البعث إلا كالمجنون ، ويتخبطه يتفعله من قولك خبط يخبط ، والمس الجنون ، ومن تتعلق بيقوم (ذلك بأنهم) تعليل للعقاب الذى يصيبهم، وإنما هذا للكفار ، لأن قولهم إنما البيع مثل الربا : رد على الشريعة وتكذيب للإثم وقد يأخذ العصاة بحظ من هذا الوعيد ، فإن قيل : هلا قيل إنما الربا مثل البيع ، لأنهم قاسوا الربا على البيع فى الجواز ، فالجواب : أن هذا مبالغة ، فإنهم جعلوا الربا أصلا حتى شبهوا به البيع (وأحل الله البيع) عموم يخرج منه البيوع الممنوعة شرعا ، وقد عددناها فى الفقه ثمانين نوعا (وحرم الربا) رد على الكفار وإنكار للتسوية بين البيع والربا ، وفى ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص ، لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم تحليل

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۞ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ
مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ
مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب

الله وتحريمه (فله ماسلف) أى له ما أخذ من الربا ، أى لا يؤاخذ بما فعل منه قبل نزول التحريم (وأمره إلى الله) الضمير عائد على صاحب الربا ، والمعنى أن الله يحكم فيه يوم القيامة ، فلا تؤاخذوه فى الدنيا ، وقيل الضمير عائد على الربا ، والمعنى أن أمر الربا إلى الله فى تحريمه أو غير ذلك (ومن عاد) الآية : يعنى من عاد إلى فعل الربا وإلى القول . إنما البيع مثل الربا ، ولذلك حكم عليه بالخلود فى النار ، لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر ، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة لكونها فى الكفار (يمحق الله الربا) ينقصه ويذهبه (ويربى الصدقات) ينميها فى الدنيا بالبركة ، وفى الآخرة بمضاعفة الثواب (كفار أثيم) أى من يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا ، وهذا يدل على أن الآية فى الكفار (وذروا ما بقى من الربا) سبب الآية أنه كان بين قريش وثقيف ربا فى الجاهلية فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة قال فى خطبته كل ربا كان فى الجاهلية موضوع ثم إن ثقيف أرسلت تطلب الربا الذى كان لهم على قريش ، فأبوا من دفعه وقالوا قد وضع الربا فتحاكموا إلى عتاب بن أسيد أمير مكة فكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت الآية (إن كنتم مؤمنين) شرط لمن خوطب به من قريش وغيرهم (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب) أى إن لم تنتهوا عن الربا حوربتم ومعنى فأذنوا : اعلموا ، وقرئ بالمد أى أعلموا غيركم ، ولما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله (لا تظلمون ولا تظلمون) أى لا تظلمون بأخذ زيادة على رءوس أموالكم ، ولا تظلمون بالنقص منها (وإن كان ذو عسرة) كان تامة بمعنى حضر ووقع ، وقرئ ذا عسرة ، أى إن كان الغريم ذا عسرة (فنظرة إلى ميسرة) حكم الله للمعسر بالإنظار إلى أن يوسر ، وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه ، ونظرة مصدر ، معناه التأخير ، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره فالجواب نظرة أو مبتدأ ، وميسرة أيضا مصدر وقرئ بضم السين وفتحها (وأن تصدقوا خير لكم) ندب الله إلى الصدقة على المعسر بإسقاط الدين عنه فذلك أفضل من إنظاره ، وباقى الآية وعظ ، وقيل إن آخر آية نزلت آية الربا ، وقيل بل قوله : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ، الآية . وقيل آية الدين المذكورة بعد (إذا تداينتم بدين) أى إذا عامل بعضكم بعضا بدين ، وإنما ذكر الدين وإن كان مذكورا فى تداينتم ليعود عليه الضمير فى اكتبوه وليزول الاشتراك الذى فى تداينتم ، إذ يقال لمعنى الجزاء (إلى أجل مسمى) دليل على أنه لا يجوز إلى أجل مجهول ، وأجاز مالك البيع إلى الجذاذ والحصاد ، لأنه معروف عند الناس ، ومنعه الشافعى وأبو حنيفة ، قال ابن عباس : نزلت الآية فى السلم خاصة يعنى أن سلم أهل المدينة كان سبب نزولها ، قال مالك وهذا يجمع الدين كله يعنى

Marfat.com

بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ

أنه يجوز التأخير فى السلم والسلف وغيرهما (فاكتبوه) ذهب قوم إلى أن كتابة الدين واجبة بهذه الآية ، وقال قوم إنها منسوخة لقوله «فإن أمن بعضكم بعضا» وقال قوم إنها على الندب (وليكتب بينكم كاتب) قال قوم يجب على الكاتب أن يكتب ، وقال قوم نسخ ذلك بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وقال آخرون يجب عليه إذا لم يوجد كاتب سواه ، وقال قوم إن الأمر بذلك على الندب ولذلك جاز أخذ الأجرة على كتب الوثائق (بالعدل) يتعلق عند ابن عطية بقوله وليكتب ، وعند الزمخشرى بقوله كاتب فعلى الأول تكون الكتابة بالعدل ، وإن كان الكاتب غير مرضىّ ، وعلى الثانى يجب أن يكون الكاتب مرضياً فى نفسه ، قال مالك : لا يكتب الوثائق إلا عارف بها ، عدل فى نفسه مأمون (ولا يأب كاتب أن يكتب) نهى عن الإباية ، وهو يقوى الوجوب (كما علمه الله) يتعلق بقوله أن يكتب ، والكاف للتشبيه أى يكتب مثل ما علمه الله أو للتعليل : أى ينفع الناس بالكتابة كما علمه الله لقوله أحسن كما أحسن الله إليك وقيل يتعلق بقوله بعدها (فليكتب وليملل) يقال أمللت الكتاب ، وأمليته ، فورد هنا على اللغة الواحدة ، وفى قوله تملى عليه على الأخرى (الذى عليه الحق) لأن الشهادة إنما هى باعترافه ، فإن كتب الوثيقة دون إملائه ، ثم أقر بها جاز (ولا يبخس) أمر الله بالتقوى فيما يملى ، ونهاه عن البخس وهو نقص الحق (سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو) السفيه الذى لا يحسن النظر فى ماله ، والضعيف الصغير وشبهه ، والذى لا يستطيع أن يمل الأخرس وشبهه (وليه) أبوه ، أو وصيه ، والضمير عائد على الذى عليه الحق (واستشهدوا شهيدين) شهادة الرجلان جائزة فى كل شىء إلا فى الزنا فلا بد من أربعة (من رجالكم) نص فى رفض شهادة الكفار والصبيان والنساء ، وأما العبيد فاللفظ يتناولهم ، ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتهم ، ومنعها مالك والشافعى لنقص الرق (فرجل وامرأتان) قال قوم لا تجوز شهادة المرأتين إلا مع الرجال ، وقال معنى الآية : إن لم يكونا أى إن لم يوجدا وأجاز الجمهور أن المعنى إن لم يشهد رجلان ، فرجل وامرأتان ، وإنما يجوز عند مالك شهادة الرجل والمرأتين فى الأموال لا فى غيرها ، وتجوز شهادة المرأتين دون رجل ، فيما لا يطلع عليه الرجال كالولادة والاستهلال ، وعيوب النساء ، وارتفع رجل بفعل مضمر تقديره : فليكن رجل ، فهو فاعل ، أو تقديره : فليستشهد رجل فهو مفعول لم يسم فاعله ، أو بالابتداء تقديره : فرجل وامرأتان يشهدون (ممن ترضون) صفة للرجل والمرأتين ، وهو مشترط أيضا فى الرجلين الشاهدين ، لأن الرضا مشترط فى الجميع وهو العدالة ، ومعناها اجتناب الذنوب الكبائر ، وتوقى الصغائر مع المحافظة على المروءة (أن تضل) مفعول من أجله ، والعامل فيه هو المقدر العامل فى رجل وامرأتان والضلال فى الشهادة وهو نسيانها أو نسيان بعضها ، وإنما جعل ضلال إحدى المرأتين مفعولا من أجله ، وليس هو المراد ، لأنه سبب لتذكير الأخرى لها

Marfat.com

تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا

وهو المراد ، فاقيم السبب مقام المسبب ، وقرئ : إن تضل : بكسر الهمزة على الشرط ، وجوابه الفاء فى فتذكر، ولذلك رفعه من كسر الهمزة ، ونصبه من فتحها على العطف ، وقرئ تذكر بالتشديد والتخفيف ، والمعنى واحد (ولا يأب الشهداء) أى لا يمتنعون (إذا مادعوا) إلى أداء الشهادة ، وقد ورد تفسيره بذلك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، واتفق العلماء أن أداء الشهادة واجب إذا دعى إليها ، وقيل إذا دعوا إلى تحصيل الشهادة وكتبها . وقيل إلى الأمرين (ولا تسأموا أن تكتبوه) أى لا تملوا من الكتابة إذا ترددت وكثرت، سواء كان الحق صغيرا أو كبيرا ، ونصب صغيرا على الحال (ذلكم) إشارة إلى الكتابة (أقسط) من القسط وهو العدل (وأقوم) بمعنى أشد إقامة ، وينبنى أفعل فيهما من الرباعى وهو قليل (وأدنى أن لا ترتابوا) أى أقرب إلى عدم الشك فى الشهادة (إلا أن تكون تجارة حاضرة) أن فى موضع نصب على الاستثناء المنقطع ، لأن الكلام المتقدم فى الدين المؤجل ، والمعنى إباحة ترك الكتابة فى التجارة الحاضرة ، وهو ما يباع بالنقد وغيره ، (تديرونها بينكم) يقتضى القبض والبينونة (وأشهدوا إذا تبايعتم) ذهب قوم إلى وجوب الإشهاد على كل بيع صغيرا أو كبيرا، وهم الظاهرية خلافا للجمهور وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله : فإن أمن بعضكم بعضا ، وذهب قوم إلى أنه على الندب (ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل أن يكون كاتب فاعلا على تقدير كسر الراء المدغمة من يضارّ، والمعنى على هذا نهى للكاتب والشاهد أن يضار صاحب الحق أو الذى عليه الحق بالزيادة فيها أو النقصان منه ، أو الامتناع من الكتابة أو الشهادة ، ويحتمل أن يكون كاتب مفعولا لم يسم فاعله على تقدير فتح الراء المدغمة ، ويقوى ذلك قراءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه «لا يضارر» بالتفكيك وفتح الراء ، والمعنى النهى عن الإضرار بالكاتب والشاهد بإذايتهما بالقول أو بالفعل (وإن تفعلوا) أى إن وقعتم فى الإضرار (فإنه فسوق) حال بكم (ويعلمكم الله) إخبار على وجه الامتنان ، وقيل معناه الوعد بأن من اتقى علمه الله وألهمه وهذا المعنى صحيح ، ولكن لفظ الآية لا يعطيه ، لأنه لو كان كذلك لجزم يعلمكم فى جواب اتقوا (وإن كنتم على سفر) الآية : لما أمر الله تعالى بكتب الدين : جعل الرهن توثيقا للحق ، عوضا عن الكتابة ، حيث تتعذر الكتابة فى السفر ، وقال الظاهرية : لا يجوز الرهن إلا فى السفر لظاهر الآية . وأجازه مالك وغيره فى الحضر لأن النبى صلى الله عليه وسلم رهن درعه بالمدينة (فرهان مقبوضة) يقتضى بينونة المرتهن بالرهن ، وأجمع العلماء على صحة قبض المرتهن وقبض وكيله وأجاز مالك والجمهور وضعه على يد عدل ، والقبض للرهن شرط فى الصحة عند الشافعى وغيره ، لقوله تعالى «مقبوضة» ، وهو عند مالك شرط كمال لا صحة (فإن أمن بعضكم بعضا) الآية : أى إن أمن صاحب الحق المديان لحسن ظنه به ، فليستغن عن الكتابة وعن الرهن ، فأمر أولا بالكتابة ، ثم بالرهن ثم بالائتمان ، وللدين ثلاثة أحوال ثم أمر المديان بأداء الأمانة ، ليكون عند ظن صاحبه به (ولا تكتموا الشهادة) محمول على الوجوب (فإنه

ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن
تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝
ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ

آثم قلبه) معناه : قد تعلق به الإثم اللاحق من المعصية فى كتمان الشهادة ، وارتفع آثم بأنه خبر إن ، وقلبه فاعل به ، ويجوز أن يكون قلبه مبتدأ ، وآثم خبره ، وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كان جملة الكاتم هى الآثمة ، لأن الكتمان من فعل القلب ، إذ هو يضمرها ، ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان (وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) الآية : مقتضاها المحاسبة على مافى نفوس العباد من الذنوب ، سواء أبدوه أم أخفوه ، ثم المعاقبة على ذلك لمن يشاء الله أو الغفران لمن شاء الله ، وفى ذلك إشكال لمعارضته لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تجاوز لأمتى ماحدثت به أنفسها ، ففى الحديث الصحيح عن أبى هريرة : أنه لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اهلكنا إن حوسبنا على خواطر أنفسنا ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : قولوا سمعنا وأطعنا ، فقالوها ، فأنزل الله بعد ذلك : لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، فكشف الله عنهم الكربة ، ونسخ بذلك هذه الآية ، وقيل هى فى معنى كتم الشهادة وإبدائها ، وذلك محاسب به ، وقيل يحاسب الله خلقه على مافى نفوسهم ، ثم يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين والمنافقين ، والصحيح التأويل الأول لوروده فى الصحيح ، وقد ورد أيضا عن ابن عباس وغيره ، فإن قيل : إن الآية خبر والأخبار لا يدخلها النسخ ، فالجواب : أن النسخ إنما وقع فى المؤاخذة والمحاسبة وذلك حكم يصح دخول النسخ فيه ، فلفظ الآية خبر ، ومعناها حكم (فيغفر لمن يشاء ويعذب) قرئ بجزمهما عطفا على يحاسبكم وبرفعهما على تقدير فهو يغفر (آمن الرسول) الآية سببها ما تقدم فى حديث أبى هريرة : لما قالوا سمعنا وأطعنا مدحهم الله بهذه الآية ، وقدم ذلك قبل كشف ماشق عليهم (والمؤمنون) عطف على الرسول أو مبتدأ ، فعلى الأول يوقف على المؤمنون وعلى الثانى يوقف على من ربه والأول أحسن (كل آمن بالله) إن كان المؤمنون معطوفا فكل عموم فى الرسول والمؤمنون ، وإن كان مبتدأ فكل عموم فى المؤمنين ووحد الضمير فى آمن على معنى أن كل واحد منهم آمن (وكتبه) قرئ بالجمع أى كل كتاب أنزله الله ، وقرئ بالتوحيد يريد القرآن أو الجنس (لا نفرق بين أحد من رسله) التقدير يقولون لا نفرق ، والمعنى لا نفرق بين أحد من الرسل وبين غيره فى الإيمان بل نؤمن بجميعهم ، ولسنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض (وقالوا سمعنا وأطعنا) حكاية عن قول المؤمنين على وجه المدح لهم (غفرانك) مصدر ، والعامل فيه مضمر ونصبه على المصدرية تقديره اغفر غفرانك ، وقيل على المفعولية تقديره : نطلب غفرانك (وإليك المصير) إقرار بالبعث مع تذلل وانقياد ، وهنا تمت حكاية كلام المؤمنين (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) إخبار من الله تعالى برفع تكليف ما لا يطاق ، وهو جائز عقلا عند الأشعرية ومحال عقلا عند المعتزلة ، واتفقوا على أنه لم يقع فى الشريعة (لها ما كسبت) أى من الحسنات (وعليها ما اكتسبت) أى من السيئات ، وجاءت العبارة بلها

Marfat.com

وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝

سورة آل عمران

مدنية وآياتها ٢٠٠ نزلت بعد الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الٓمٓ ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا

فى الحسنات لأنها مما ينتفع العبد به ، وجاءت بعليها فى السيئات لأنها مما يضر بالعبد ، وإنما قال فى الحسنات كسبت وفى الشر اكتسبت ، لأن فى الاكتساب ضرب من الاعتمال والمعالجة ، حسبما تقتضيه صيغة افتعل فالسيئات فاعلها يتكلف مخالفة أمر الله ، ويتعداه بخلاف الحسنات ، فإنه فيها على الجادة من غير تكلف أو لأن السيئات يجد فى فعلها لميل النفس إليها ، فجعلت لذلك مكتسبة ، ولما لم يكن الإنسان فى الحسنات كذلك : وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) أى قولوا ذلك فى دعائكم ويحتمل أن يكون ذلك من بقية حكاية قولهم كما حكى عنهم قولهم : سمعنا وأطعنا ، والنسيان هنا هو ذهول القلب على الإنسان ، والخطأ غير العمد فذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان » وقد كان يجوز أن يأخذ به لولا أن الله رفعه (ولا تحمل علينا إصرا) التكاليف الصعبة ، وقد كانت لمن تقدم من الأمم كقتل أنفسهم ، وقرض أبدانهم ، ورفعت عن هذه الأمة. قال تعالى : ويضع عنهم إصرهم . وقيل الإصر المسخ قردة وخنازير (ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع . ثم إن الشرع دفع وقوعه . وتحقيق ذلك أن ما لا يطاق. أربعة أنواع : الأول عقلى محض : كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن . فهذا جائز وواقع بالاتفاق . والثانى عادى كالطيران فى الهواء . والثالث عقلى وعادى : كالجمع بين الضدين ، فهذان وقع الخلاف فى جواز التكليف بهما ، والاتفاق على عدم وقوعه ، والرابع تكليف ما يشق ويصعب ، فهذا جائز اتفاقا ، فقد كلفه الله من تقدم من الأمم ، ورفعه عن هذه الأمة (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا) ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق أن العفو ترك المؤاخذة بالذنب ، والمغفرة تقتضى مع ذلك الستر ، والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام (مولانا) ولينا وسيدنا

سورة آل عمران

نزل صدرها إلى نيف وثمانين آية لما قدم نصارى نجران المدينة المنورة يناظرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عيسى عليه السلام (الم) تقدم الكلام على حروف الهجاء وقرأ الجمهور بفتح الميم هنا فى الوصل لالتقاء الساكنين نحو من الناس ، وقال الزمخشرى هى حركة الهمزة نقلت إلى الميم وهذا ضعيف لأنها ألف وصل تسقط فى الدرج (الحى القيوم) رد على النصارى فى قولهم إن عيسى هو الله لأنهم زعموا أنه صلب ، فليس بحى وليس بقيوم (الكتاب) هنا هو القرآن (بالحق) أى تضمن الحق من الأخبار والأحكام وغيرها أو بالاستحقاق (مصدقا) قد تقدم فى مصدقا لما معكم (بين يديه) الكتب المتقدمة (التوراة والإنجيل) أعجميان

Marfat.com

بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝

فلا يصح ماذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما (وأنزل الفرقان) يعني القرآن وإنما كرر ذكره ليصفه بأنه الفارق بين الحق والباطل ويحتمل أن يكون ذكره أولا على وجه الإثبات لإنزاله لقوله : مصدقا لما بين يديه ، ثم ذكره ثانيا على وجه الامتنان بالهدى به ، كما قال فى التوراة والانجيل هدى للناس ، فكأنه قال وأنزل الفرقان هدى للناس ثم حذف ذلك لدلالة الهدى الأول عليه ، فلما اختلف قصد الكلام فى الموضعين لم يكن ذلك تكرارا ، وقيل الفرقان هنا : كل مافرق بين الحق والباطل من كتاب وغيره ، وقيل هو الزبور ، وهذا بعيد (لايخفى عليه شيء) خبر عن إحاطة علم الله بجميع الأشياء على التفصيل ، وهذه صفة لم تكن لعيسى ، ولا لغيره ، ففى ذلك رد على النصارى (هو الذى يصوركم) برهان على إثبات علم الله المذكور قبل : وفيه رد على النصارى ، لأن عيسى لايقدر على التصوير ، بل كان مصورا كسائر بنى آدم (كيف يشاء) من طول ، وقصر ، وحسن ، وقبح ، ولون ؛ وغير ذلك (منه آيات محكمات) المحكم من القرآن : هو البين المعنى ، الثابت الحكم ، والمتشابه هو الذى يحتاج إلى التأويل ، أو يكون مستغلق المعنى : كحروف الهجاء ، قال ابن عباس : المحكمات الناسخات والحلال والحرام ، والمتشابهات المنسوخات والمقدم والمؤخر ، وهو تمثيل لما قلنا (هن أم الكتاب) أى عمدة ما فيه ومعظمه (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) نزلت فى نصارى نجران فإنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : أليس فى كتابك أن عيسى كلمة الله وروح منه قال نعم ، قالوا فحسبنا إذاً ، فهذا من المتشابه الذى اتبعوه ، وقيل نزلت فى أبى ياسر بن أخطب اليهودى وأخيه حكيم ثم يدخل فى ذلك كل كافر أو مبتدع ، أو جاهل يتبع المتشابه من القرآن (ابتغاء الفتنة) أى ليفتنوا به الناس (وابتغاء تأويله) أى يبتغون أن يتأولوه على ماتقتضى مذاهبهم أو يبتغون أن يصلوا من معرفة تأويله إلى مالا يصل اليه مخلوق (وما يعلم تأويله إلا الله) إخبار بانفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن وذم لمن طلب علم ذلك من الناس (والراسخون فى العلم) مبتدأ مقطوع مما قبله ، والمعنى أن الراسخين لايعلمون تأويل المتشابه وإنما يقولون آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته ، وقيل إنه معطوف على ماقبله وأن المعنى أنهم يعلمون تأويله ، وكلا القولين مروى عن ابن عباس ، والقول الأول قول أبى بكر الصديق وعائشة ، وعروة بن الزبير ، وهو أرجح ، وقال ابن عطية المتشابه نوعان : نوع انفرد الله بعلمه ، ونوع يمكن وصول الخلق إليه فيكون الراسخون ابتداء بالنظر إلى الأول ، وعطفا بالنظر إلى الثانى (كل من عند ربنا) أى المحكم والمتشابه من عند الله (ربنا لاتزغ قلوبنا) حكاية عن الراسخين ، ويحتمل أن يكون منقطعا على وجه التعليم

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ، إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ، كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ، قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ، قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ، زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ

والأول أرجح لاتصال الكلام، وأما قوله وما يذكر إلا أولو الألباب؛ فهو من كلام الله تعالى لا حكاية قول الراسخين (إن الله لا يخلف الميعاد) استدلال على البعث ويحتمل أن يكون من تمام كلام الراسخين أو منقطعا فهو من كلام الله (كدأب) في موضع رفع أي دأب هؤلاء كدأب (آل فرعون) وفي ذلك تهديد (والذين من قبلهم) عطف على آل فرعون، ويعني بهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، والضمير عائد على آل فرعون (بآياتنا) البراهين أو الكتاب (ستغلبون وتحشرون) قرئ بتاء الخطاب ليهود المدينة، وقيل لكفار قريش، وقرئ بالياء إخبارا عن يهود المدينة، وقيل عن قريش وهو صادق على كل قول أما اليهود فغلبوا يوم قريظة والنضير وقينقاع، وأما قريش ففي بدر وغيرها والأشهر أنها في بني قينقاع؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر، فقالوا له لا يغرنك أنك قتلت نفرا من قريش لا يعرفون القتال . فلو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، فنزلت الآية . ثم أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة (قد كان لكم آية) قيل خطاب للمؤمنين وقيل لليهود، وقيل لقريش؛ والأول أرجح أنه لبني قينقاع الذين قيل لهم ستغلبون . ففيه تهديد لهم وعبرة كما جرى لغيرهم (في فئتين التقتا فئة) المسلمون والمشركون يوم بدر (يرونهم مثليهم) قرئ ترونهم بالتاء خطابا لمن خوطب بقوله قد كان لكم آية . والمعنى ترون الكفار مثلي المؤمنين . ولكن الله أيد المسلمين بنصره على قدر عددهم، وقرئ بالياء . والفاعل في يرونهم المؤمنون، والمفعول به هم المشركون . والضمير في مثليهم للمؤمنين والمعنى على حسب ما تقدم . فإن قيل : إن الكفار كانوا يوم بدر أكثر من المسلمين؛ فالجواب من وجهين أحدهما أن الكفار كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين، لأن الكفار كانوا قريبا من ألف، والمؤمنون ثلاثمائة وثلاثة عشر ثم إن الله تعالى قلل عدد الكفار في أعين المؤمنين حتى حسبوا أنهم مثلهم مرتين ليتجاسروا على قتالهم إذا ظهر لهم أنهم على ما أخبروا به من قتال الواحد للاثنين من قوله «إن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين»، وهذا المعنى موافق لقوله تعالى : وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا، والآخر أنه رجع قوم من الكفار حتى بقي منهم ستمائة وستة وعشرون رجلا، وذلك قدر عدد المسلمين مرتين وقيل إن الفاعل في يرونهم ضمير المشركين، والمفعول ضمير المؤمنين وأن الضمير في مثليهم يحتمل أن يكون للمؤمنين والمفعول للمشركين . والمعنى على هذا أن الله كثر عدد المسلمين في أعين المشركين حتى حسب الكفار المؤمنين مثلي الكافرين أو مثلي المؤمنين . وهم أقل من ذلك وإنما كثرهم الله في أعينهم ليرهبوهم، ويرد هذا قوله تعالى، ويقللكم في أعينهم (رأي العين) نصب على المصدرية ومعناه معاينة ظاهرة لا شك فيها (والله يؤيد

Marfat.com

وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۝ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ۝ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ

بنصره من يشاء) أى أن النصر بمشيئة الله لا بالقلة ولا بالكثرة ، فإن فئة المسلمين غلبت فئة الكافرين ؛ مع أنهم كانو أكثر منهم (زين للناس) قيل المزين هو الله وقيل الشيطان . ولا تعارض بينهما فتزيين الله بالإيجاد والتهيئة للانتفاع ، وإنشاء الجبلة على الميل إلى الدنيا . وتزيين الشيطان بالوسوسة والخديعة (والقناطير) جمع قنطار ، وهو ألف ومائتا أوقية ، وقيل ألف ومائتا مثقال ، وكلاهما مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم (المقنطرة) مبنية من لفظ القناطير وللتأكيد كقولهم الوف مؤلفة ، وقيل المضروبة دنانير أو دراهم (المسومة) الراعية من قولهم سام الفرس وغيره إذا جال فى المسارح ، وقيل المعلمة فى وجوهها شيئان فهى من السمات بمعنى العلامات قيل المعدة للجهاد (ذلك متاع الحياة الدنيا) تحقير لها ليزهد فيها الناس (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) تفضيل الآخرة على الدنيا ليرغب فيها وتمام الكلام فى قوله من ذلكم ثم ابتدأ قوله (للذين اتقوا) تفسيراً لذلك فجنات على هذا مبتدأ وخبره الذين اتقوا ، وقيل إن قوله للذين اتقوا متعلق بما قبله وتمام الكلام فى قوله عند ربهم ، فجنات على هذا خبر مبتدأ مضمر (ورضوان من الله) زيادة إلى نعيم الجنة ، وهو أعظم من النعيم حسبما ورد فى الحديث (الذين يقولون) نعت للذين اتقوا ، ورفع بالابتداء ، أو نصب بإضمار فعل (الصادقين) فى الأقوال والأفعال (والقانتين) العابدين والمطيعين (والمستغفرين) الاستغفار هو طلب المغفرة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نستغفر ، فقال قولوا اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (بالأسحار) جمع سحر وهو آخر الليل يقال إنه الثلث الأخير ، وهو الذى ورد أن الله يقول حينئذ : من يستغفرنى فأغفر له » (شهد الله) الآية : شهادة من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية وقيل معناها إعلامه لعباده بذلك (والملائكة وأولوا العلم) عطف على اسم الله أى هم شهداء بالوحدانية ، ويعنى بأولى العلم : العارفين بالله الذين يقيمون البراهين على وحدانيته (قائما) منصوب على الحال من اسم الله أو من هو أو منصوب على المدح (بالقسط) بالعدل (لا إله إلا هو) إنما كرر التهليل لوجهين : أحدهما : أنه ذكر أولا الشهادة بالوحدانية ، ثم ذكرها ثانيا بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة ، والآخر أن ذلك تعليم لعباده ليكثروا من قولها (إن الدين) بكسر الهمزة ابتداء ، وبفتحها بدل من أنه ، وهو بدل شىء من شىء ، لأن التوحيد هو الإسلام (وما اختلف الذين) الآية : إخبار أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق من أجل البغى ، وهو الحسد ، والآية

Marfat.com

اللهَ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَـٰغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ أُولَـٰٓئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ قُلِ اللَّهُمَّ مَـٰلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ تُولِجُ الَّيْلَ فِى النَّهَارِ

فى اليهود ، وقيل فى النصارى ، وقيل فيهما (سريع الحساب) قد تقدم معناه فى البقرة وهو هنا تهديد ، ولذلك وقع فى جواب من يكفر (فإن حاجوك) أى جادلوك فى الدين ، والضمير لليهود ونصارى نجران (أسلمت وجهى) أى أخلصت نفسى وجملتى (لله) وعبر بالوجه على الجملة ومعنى الآية إقامة الحجة عليهم لأن من أسلم وجهه لله فهو على الحق بلا شك ، فسقطت حجة من خالفه (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسلمت ويجوز أن يكون مفعولا معه (أأسلمتم) تقرير بعد إقامة الحجة عليهم أى قد جاءكم من البراهين مايقتضى أن تسلموا (فإنما عليك البلاغ) أى إنما عليك أن تبلغ رسالة ربك ، فإذا أبلغتها فقد فعلت ماعليك ، وقيل إن فيها موادعة نسختها آية السيف (إن الذين يكفرون) الآية : نزلت فى اليهود والنصارى توبيخا لهم ووعيدا على قبح أفعالهم ، وأفعال أسلافهم (الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) هم اليهود ، والكتاب هنا التوراة ، أوجنس (يدعون إلى كتاب الله) قال ابن عباس : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] من اليهود فيهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد ، فقالوا له على أى دين أنت . فقال لهم على دين إبراهيم ، فقالوا إن إبراهيم كان يهوديا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهلموا إلى التوراة فهى بيننا وبينكم ، فأبوا عليه فنزلت الآية ، فكتاب الله على هذا التوراة ، وقيل هو القرآن : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم اليه فيعرضون عنه (ذلك بأنهم) الإشارة إلى إعراضهم عن كتاب الله والباء سببية : والمعنى أن كفرهم بسبب اعتراضهم وأكاذيبهم ، والأيام المعدودات قد ذكرت فى البقرة (فكيف إذا جمعناهم) أى كيف يكون حالهم يوم القيامة ، والمعنى تهويل واستعظام لما أعد لهم (اللهم) منادى ، والميم فيه عوض من حرف النداء عند البصريين ، ولذلك لايجتمعان ، وقال الكوفيون أصله ياالله أمنا بخير فالميم عندهم من أمنا (مالك الملك) منادى عند سيبويه ، وأجاز الزجاج أن يكون صفة لاسم الله ؛ وقيل إن الآية نزلت ردا على النصارى فى قولهم إن عيسى هو الله ، لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى ، وقيل لما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن أمته يفتحون ملك كسرى وقيصر : استبعد ذلك المنافقون ، فنزلت الآية (بيدك الخير) قيل المراد بيدك الخير

Marfat.com

وَتُولِجُ النَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞
لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن
تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۞ قُلْ إِن تُخْفُوا مَافِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ
وَيَعْلَمُ مَافِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۞
قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَٰفِرِينَ ۞ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ۞

والشر ، لحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه ، وقيل إنما خص الخير بالذكر ، لأن الآية فى معنى دعاء ورغبة فكأنه يقول : بيدك الخير فأجزل حظى منه (تخرج الحىّ من الميت وتخرج الميت من الحىّ) قال عبد الله بن مسعود : هى النطفة تخرج من الرجل ميتة وهو حى ، ويخرج الرجل منها حيا وهى ميتة ، وقال عكرمة : هى إخراج الدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة ، وقيل يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ، فالحياة والموت على هذا استعارة ، وفى ذكر الحى من الميت المطابقة ، وهىَ من أدوات البيان ، وفيه أيضا القلب لأنه قدم الحىّ على الميت ، ثم عكس (بغير حساب) بغير تضييق وقيل بغير محاسبة (لا يتخذ المؤمنون) الآية. عامة فى جميع الأعصار ، وسببها ميل بعض الأنصار إلى بعض اليهود ، وقيل كتاب حاطب إلى مشركى قريش (فليس من الله فى شىء) تبرؤ ممن فعل ذلك ووعيد على موالاة الكفار ، وفى الكلام حذف تقديره : ليس من التقرب إلى الله فى شىء ، وموضع فى شىء نصب على الحال من الضمير فى ليس من الله ، قاله ابن عطية (إلا أن تتقوا منهم) إباحة لموالاتهم إن خافوا منهم والمراد موالاة فى الظاهر مع البغضاء فى الباطن (تقاة) وزنه فعلة بضم الفاء وفتح العين . وفاؤه واو، وأبدل منها تاء ، ولامه ياء أبدل منها ألف ، وهو منصوب على المصدرية ، ويجوز أن ينصب على الحال من الضمير فى تتقوا (ويحذركم الله نفسه) تخويف (يوم تجد) منصوب على الظرفية والعامل فيه فعل مضمر تقديره اذكر وأو خافوا وقيل العامل فيه قدير ، وقيل المصير ، وقيل يحذركم (وما عملت من سوء) مبتدأ خبره تود ، أو معطوف (أمدا) أى مسافة (والله رؤوف) ذكر بعد التحذير تأنيسا لئلا يفرط الخوف أو لأن التحذير والتنبيه رأفة (فاتبعونى) جعل اتباع النبى صلى الله عليه وسلم علامة على محبة العبد لله تعالى وشرط فى محبة الله للعبد ومغفرته له ، وقيل إن الآية خطاب لنصارى نجران ومعناها على العموم فى جميع الناس (إن الله اصطفى) الآية : لما مضى صدر من محاجة نصارى نجران أخذ يبين لهم مااختلفوا فيه وأشكل عليهم من أمر عيسى عليه السلام وكيفية ولادته وبدأ بذكر آدم ونوح عليهما السلام تكميلا للأمر لأنهما أبوان لجميع الأنبياء ، ثم ذكر إبراهيم تدريجا إلى ذكر عمران والد مريم أم عيسى عليه السلام ، وقيل إن عمران هنا هو والد موسى ، وبينهما ألف وثمانمائة سنة ، والأظهر أن المراد هنا والد مريم ، لذكر قصتها بعد ذلك (آل إبراهيم وآل عمران) يحتمل أن يريد بآل القرابة ، أو الأتباع ، وعلى الوجهين

ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ

يدخل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى آل إبراهيم (ذرية) بدل مما تقدم أو حال ووزنه فعلية منسوب إلى الذر لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر وغير أوله فى النسب ، وقيل أصل ذرية ذرورة وزنها فعولة ثم أبدل من الراء الأخيرة ياء ، فصار ذروية . ثم أدغمت الواو فى الياء وكسرت الراء ، فصارت ذرية (إذ قالت) العامل فيه محذوف تقديره اذكروا ، وقيل عليم ، وقال الزجاج العامل فيه معنى الاصطفاء (امرأة عمران) اسمها حنة بالنون ، وهى أم مريم ، وعمران هذا هو والد مريم (نذرت) أى جعلت نذرا علىّ أن يكون هذا الولد فى بطنى حبسا على خدمة بيتك ، وهو بيت المقدس (محرر) أى عتيقا من كل شغل إلا خدمة المسجد (فلما وضعتها) الآية . كانوا لا يحررون الإناث بخدمة المساجد ، فقالت (إنى وضعتها أنثى) تحسرا وتلهفا على مافاتها من النذر الذى نذرت (والله أعلم بما وضعت) قرئ وضعت بإسكان التاء وهو من كلام الله تعظيما لوضعها وقرئ بضم التاء وإسكان العين وهو على هذا من كلامها (وليس الذكر كالأنثى) يحتمل أن يكون من كلام الله ، فالمعنى ليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وهبت لك ، وأن يكون من كلامها فالمعنى ليس الذكر كالأنثى فى خدمة المساجد ، لأن الذكور كانوا يخدمونها دون الإناث (سميتها مريم) إنما قالت لربها سميتها مريم لأن مريم فى لغتهم بمعنى العابدة ، فأرادت بذلك التقرب إلى الله ، ويؤخذ من هذا تسمية المولود يوم ولادته وامتنع مريم من الصرف للتعريف والتأنيث ، وفيه أيضا العجمة (وإنى أعيذها بك) ورد فى الحديث ما من مولود إلا نخسه الشيطان يوم ولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها ، لقوله : وإنى أعيذها بك : الآية (فتقبلها ربها) أى رضيها للمسجد مكان الذكر (بقبول حسن) فيه وجهان أحدهما أن يكون مصدرا على غير المصدر ، والآخر أن يكون اسما لما يقبل به كالسعوط اسم لما يسعط به (وأنبتها نباتا حسنا) عبارة عن حسن النشأة (وكفلها زكريا) أى ضمها إلى إنفاقه وحضانته ، والكافل هو الحاضن ، وكان زكريا زوج خالتها ، وقرئ كفلها بتشديد الفاء ، ونصب زكريا : أى جعله الله كافلها (المحراب) فى اللغة أشرف المجالس ، وبذلك سمى موضع الإمام ، ويقال إن زكريا بنى لها غرفة فى المسجد ، وهى المحراب هنا ، وقيل المحراب موضع العبادة (وجد عندها رزقا) كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء ، ويقال إنها لم ترضع ثديا قط ، وكان الله يرزقها (أنى لك هذا) إشارة إلى مكان أى كيف ومن أين (إن الله يرزق) يحتمل أن يكون من كلام مريم أو من كلام الله تعالى (هنالك) إشارة إلى مكان ، وقد يستعمل فى الزمان ، وهو الأظهر هنا أى لما رأى زكريا كرامة الله تعالى لمريم : سأل من الله الولد (فنادته

هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ ۝ فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ۝ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِىِّ وَالْإِبْكَٰرِ ۝ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ الْعَٰلَمِينَ ۝ يَٰمَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى

الملائكة) أنث رعاية للجماعة ، وقرئ بالألف على التذكير وقيل الذى ناداه جبريل وحده وإنما قيل الملائكة لقولهم فلان يركب الخيل أى جنس الخيل وإن كان فرسا واحدا (يحيى) اسم سماه الله تعالى به قبل أن يولد ، وهو اسم بالعبرانية صادف اشتقاقا وبناء فى العربية ، وهو لا ينصرف ، فإن كان فى الإعراب أعجميا ففيه التعريف والعجمة ، وإن كان عربيا فالتعريف ووزن الفعل (مصدقا بكلمة من الله) أى مصدقا بعيسى عليه السلام مؤمنا به ، وسمى عيسى كلمة الله ، لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن لا بسبب آخر وهو الوالد كسائر بنى آدم (وسيدا) السيد الذى يسود قومه أى يفوقهم فى الشرف والفضل (وحصورا) أى لا يأتى النساء فقيل خلقه الله كذلك ، وقيل كان يمسك نفسه ، وقيل الحصور الذى لا يأتى الذنوب (أنى يكون لى غلام) تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته ، وعقم امرأته ، ويقال كان له تسع وتسعون سنة ، ولامرأته ثمان وتسعون سنة ، فاستبعد ذلك فى العادة ، مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك ، فسأله مع علمه بقدرة الله ، واستبعده لأنه نادر فى العادة ، وقيل سأله وهو شاب ، وأجيب وهو شيخ ، ولذلك استبعده (كذلك الله يفعل مايشاء) أى مثل هذه الفعلة العجيبة يفعل الله مايشاء فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفعلة ، والإشارة بذلك إلى هبة الولد لزكريا ، واسم الله مرفوع بالابتداء ، أو كذلك خبره فيجب وصله معه ، وقيل الخبر يفعل الله مايشاء ويحتمل كذلك على هذا وجهين : أحدهما أن يكون فى موضع الحال من فاعل يفعل ، والآخر أن يكون فى موضع خبر مبتدإ محذوف تقديره الأمر كذلك ، أو أنتما كذلك ، وعلى هذا يوقف على كذلك والأول أرجح لاتصال الكلام ، وارتباط قوله يفعل مايشاء مع ماقبله ولأن له نظائر كثيرة فى القرآن منها قوله كذلك أخذ ربك (اجعل لى آية) أى علامة على حمل المرأة (آيتك ألا تكلم الناس) أى علامتك أن لا تقدر على كلام الناس (ثلاثة أيام) بمنع لسانه عن ذلك مع إبقاء الكلام بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وإنما حبس لسانه عن الكلام تلك المدة ليخلص فيها لذكر الله شكرا على استجابة دعائه ولا يشغل لسانه بغير الشكر والذكر (إلا رمزا) إشارة باليد أو بالرأس أو غيرهما ، فهو استثناء منقطع (بالعشى) من زوال الشمس إلى غروبها ، والإبكار من طلوع الفجر إلى الضحى (وإذ قالت الملائكة) اختلف هل المراد جبريل أو جمع من الملائكة والعامل فى إذ مضمر (اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك (وطهرك) من كل عيب فى خلق وخلق ودين (واصطفاك على نساء العالمين) يحتمل أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصا بأن وهب لها عيسى من غير أب ، فيكون على نساء العالمين عاما ، أو يكون الاصطفاء عاما فيخص من نساء العالمين خديجة وفاطمة ، أو يكون المعنى على نساء

مَعَ الرَّاكِعِينَ ۝ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ

زمانها؛ وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق ، وقيل إنها كانت نبية لتكليم الملائكة لها (اقنتي) القنوت هنا بمعنى الطاعة والعبادة ، وقيل طول القيام فى الصلاة وهو قول الأكثرين (واسجدى واركعى) أمرت بالصلاة فذكر القنوت والسجود لكونها من هيئة الصلاة وأركانها ، ثم قيل لها اركعى مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين ، أو فى الجماعة فلا يقتضى الكلام على هذا تقديم السجود على الركوع ، لأنه لم يرد الركوع والسجود المتضمنين فى ركعة واحدة ، وقيل أراد ذلك ، وقدم السجود لأن الواو لا ترتب ، ويحتمل أن تكون الصلاة فى ملتهم بتقديم السجود على الركوع (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من القصص وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (ما كنت لديهم) احتجاجا على نبوته صلى الله عليه وسلم لكونه أخبر بهذه الأخبار وهو لم يحضر معهم (يلقون أقلامهم) أى أزلامهم ، وهى قداحهم ، وقيل الأقلام التى كانوا يكتبون بها التوراة اقترعوا بها على كفالة مريم ، حرصا عليها وتنافسا فى كفالتها ، وتدل الآية على جواز القرعة ، وقد ثبتت أيضا من السنة (أيهم يكفل مريم) مبتدأ وخبر فى موضع نصب بفعل تقديره ينظرون أيهم (يختصمون) يختلفون فيمن يكفلها منهم (إذ قالت الملائكة) إذ بدل من إذ قالت ، أو من إذ يختصمون ، والعامل فيه مضمر (اسمه) أعاد الضمير المذكر على الكلمة ، لأن المسمى بها [illegible] (المسيح) قيل هو مشتق من ساح فى الأرض ، فوزنه مفعل ، وقال الأكثرون من مسح لأنه مسح بالبركة فوزنه فعيل وإنما قال عيسى ابن مريم والخطاب لمريم لينسبه إليها ، إعلاما بأنه يولد من غير والد (وجيها) نصب على الحال ، ووجاهته فى الدنيا النبوة والتقديم على الناس ، وفى الآخرة الشفاعة وعلوّ الدرجة فى الجنة (فى المهد) فى موضع الحال ، (وكهلا) عطف عليه ، والمعنى أنه يكلم الناس صغيرا آية تدل على براءة أمه مما قذفها به اليهود ، وتدل على نبوته ، ويكلمهم أيضا كبيرا ففيه إعلام بعيشه إلى أن يبلغ سن الكهولة ، وأوله ثلاث وثلاثون سنة وقيل أربعون (ويعلمه) عطف على يبشرك أو ويكلم (الكتاب) هنا جنس ، وقيل الخط باليد ، والحكمة هنا العلوم الدينية ، أو الإصابة فى القول والفعل (ورسولا) حال معطوف على ويعلمه إذ التقدير ومعلما الكتاب أو يضمر له فعل تقديره أرسل رسولا أو جاء رسولا (إلى بنى إسرائيل) أى أرسل إليهم عيسى عليه السلام مبينا لحكم التوراة (أنى) تقديره بأنى (أخلق) بفتح الهمزة بدل من أنى الأولى ، أو من آية وبكسرها ابتداء كلام (فأنفخ فيه) ذكر هنا الضمير لأنه يعود على الطين ، أو على الكاف من كهيئة ، وأنث فى

Marfat.com

وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا

المائدة لأنه يعود على الهيئة (فيكون طيرا) قيل إنه لم يخلق غير الخفاش ، وقرئ طيرا بياء ساكنة على الجمع ، وبالألف وهمزة على الإفراد ، ذكر بإذن الله : رفعا لوهم من توهم فى عيسى الربوبية (وأبرئ) روى أنه كان يجتمع إليه جماعة من العميان والبرصاء فيدعو لهم فيبرؤن (وأحيي الموتى) روى أنه كان يضرب بعصاه الميت أو القبر فيقوم الميت ويكلمه ، وروى أنه أحيي سام بن نوح (وأنبئكم) كان يقول يافلان أكلت كذا وادخرت فى بيتك كذا (ومصدقا) عطف على رسولا أو على موضع بآية من ربكم ، لأنه فى موضع الحال ، وهو أحسن لأنه من جملة كلام عيسى فالتقدير : جئتكم بآية من ربكم ، وجئتكم مصدقا (ولأحل لكم) عطف على بآية من ربكم ، وكانوا اقد حرم عليهم الشحم ولحم الإبر وأشياء من الحيتان والطير فأحل لهم عيسى بعض ذلك (إن الله ربى وربكم) رد على من نسب الربوبية لعيسى وانتهى كلام عيسى عليه السلام إلى قوله (صراط مستقيم) وابتداؤه من قوله أنى قد جئتكم ، وكل ذلك يحتمل أن يكون مما ذكرت الملائكة لمريم ، حكاية عن عيسى عليه السلام أنه سيقوله ، ويحتمل أن يكون خطاب مريم قد انقطع ثم استؤنف الكلام من قوله ورسولا ، على تقدير جاء عيسى رسولا : بأنى قد جئتكم بآية من ربكم ، ثم استمر كلامه إلى آخره (فلما أحس عيسى) أى علم علما ظاهرا كعلم مايدرك بالحواس (من أنصارى) طلب للنصرة ، والأنصار جمع ناصر (إلى الله) تقديره من يضيف أنفسهم فى نصرتى إلى الله فلذلك قيل إلى هنا بمعنى مع أو يتعلق بمحذوف تقديره ذاهبا أو ملتجئا إلى الله (الحواريون) حوارى الرجل صفوته وخاصته ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبىّ حوارىّ وإن حوارىّ الزبير ، وقيل إن الحواريين كانوا قصارين يحورون الثياب ، أى يبيضونها ولذلك سماهم الحواريين (بما أنزلت) يريدون الإنجيل ، والرسول هنا عيسى عليه السلام (مع الشاهدين) أى مع الذين يشهدون بالحق من الأمم ، وقيل مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يشهدون على الناس (ومكروا) الضمير لكفار بنى إسرائيل ومكرهم أنهم وكلوا بعيسى من يقتله غيلة (ومكر الله) أى رفع عيسى إلى السماء ، وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل عوضا منه ، وعبر عن فعل الله بالمكر مشاكلة لقوله مكروا (والله خير الماكرين) أى أقواهم وهو فاعل ذلك بحق ، والماكر من البشر فاعل بالباطل (إذ قال الله) العامل فيه فعل مضمر ، أو بمكر (إنى متوفيك) قيل وفاة موت ، ثم أحياه الله فى السماء ، وقيل رفع حيا ، ووفاة الموت بعد أن ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال ، وقيل يعنى وفاة نوم ؛ وقيل المعنى قابضك من الأرض إلى السماء

إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ * إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

(ورافعك إلىّ) أى إلى السماء (ومطهرك) أى من سوء جوارهم (الذين اتبعوك) هم المسلمون، وعلوهم على الكفرة بالحجة وبالسيف فى غالب الأمر وقيل الذين اتبعوك النصارى، والذين كفروا اليهود، فالآية مخبرة عن عزة النصارى على اليهود وإذلال لهم (ذلك نتلوه) إشارة إلى ماتقدم من الأخبار (من الآيات) المتلوات أو المعجزات (الذكر) القرآن (الحكيم) الناطق بالحكمة (إن مثل عيسى) الآية حجة على النصارى فى قولهم: كيف يكون ابن دون أب، فمثله الله بآدم الذى خلقه الله دون أم ولا أب، وذلك أغرب مما استبعدوه، فهو أقطع لقولهم (خلقه من تراب) تفسير لحال آدم فيكون حكاية عن حال ماضية، والأصل لو قال خلقه من تراب، ثم قال له كن فكان، لكنه وضع المضارع موضع الماضى ليصور فى نفوس المخاطبين أن الأمر كأنه حاضر دائم (الحق) خبر مبتدأ مضمر (فمن حاجك فيه) أى فى عيسى، وكان الذى حاجه فيه وفد نجران من النصارى، وكان لهم سيدان يقال لأحدهما السيد، والآخر العاقب (نبتهل) نلتعن والبهلة اللعنة أى نقول لعنة الله على الكاذب منا ومنكم، هذا أصل الابتهال: ثم استعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن لعنة، ولما نزلت الآية أرسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى على وفاطمة والحسن والحسين، ودعا نصارى نجران إلى الملاعنة فخافوا أن يهلكهم الله أو يمسخهم الله قردة وخنازير، فأبوا من الملاعنة وأعطوا الجزية (قل يا أهل الكتاب) خطاب لنصارى نجران، وقيل اليهود (سواء) أى عدل ونصف (أن لا نعبد) بدل من كلمة أو رفع على تقدير هى، ودعاهم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى توحيد الله وترك ماعبدوه من دونه كالمسيح والأحبار والرهبان (لم تحاجون فى إبراهيم) قالت اليهود كان إبراهيم يهوديا، وقالت النصارى: كان نصرانيا، فنزلت الآية ردًا عليهم لأن ملة اليهود والنصارى

Marfat.com

وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ * وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ

إنما وقعت بعد موت إبراهيم بمدة طويلة (هاأنتم) ها تنبيه ، وقيل بدل من همزة الاستفهام ، وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم استئناف ؛ أو هؤلاء منصوب على التخصيص وحاججتم الخبر (فيما لكم به علم) فيما نطقت به التوراة والإنجيل (فيما ليس لكم به علم) ما تقدم على ذلك من حال إبراهيم (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا) ردّ على اليهود والنصارى (وما كان من المشركين) نفي للاشتراك الذى هو عبادة الأوثان ، ودخل فى ذلك الإشراك الذى يتضمن دين اليهود والنصارى (وهذا النبى) عطف على الذين اتبعوه : أى محمد صلى الله عليه وسلم (أولى الناس بإبراهيم) لأنه على دينه (والذين آمنوا) أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ودت طائفة) هم اليهود ، دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية (وما يضلون إلا أنفسهم) أى لا يعود وبال الإضلال إلا عليهم (وأنتم تشهدون) أى تعلمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي (لم تلبسون الحق) أى تخلطون والحق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والباطل الكفر به (آمنوا بالذى أنزل) كان قوم من اليهود لعنهم الله أظهروا الإسلام أول النهار ، ثم كفروا آخره ليخدعوا المسلمين فيقولوا ما رجع هؤلاء إلا عن علم ، وقال السهيلى : إن هذه الطائفة هم عبد الله بن الصيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) يحتمل أن يكون من تمام الكلام الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقوله متصلا بقوله : إن الهدى هدى الله وأن يكون من كلام أهل الكتاب فيكون متصلا بقولهم : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، ويكون إن الهدى اعتراضا بين الكلامين ، فعلى الأول يكون المعنى : كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وقلتم ما قلتم ، ودبرتم ما دبرتم من الخداع ، فموضع أن يؤتى مفعول من أجله ، أو منصوب بفعل مضمر تقديره فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب والنبوة ، وعلى الثانى فيكون المعنى . لا تؤمنوا أى لا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم (إلا لمن تبع دينكم) واكتموا ذلك على من لم يتبع دينكم لئلا يدعوهم إلى الإسلام ، فموضع أن يؤتى مفعول بتؤمنوا المضمن معنى تقروا ، ويمكن أن يكون فى موضع المفعول من أجله : أى لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كراهية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم (أو يحاجوكم) عطف على أن يؤتى ، وضمير الفاعل للمسلمين ، وضمير المفعول لليهود (إن الفضل بيد الله) ردّ على اليهود فى قولهم : لم يؤت أحداً مثل ما أوتى بنو إسرائيل من النبوة والشرف (ومن

Marfat.com

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ

أهل الكتاب) الآية : إخبار أن أهل الكتاب على قسمين : أمين ، وخائن . وذكر القنطار مثالا للكثير فمن أداه : أدى مادونه ، وذكر الدنيا مثالا للقليل ، فمن منعه منع مافوقه بطريق الأولى (قائما) يحتمل أن يكون من القيام الحقيقى بالجسد ، أو من القيام بالأمر ، وهو العزيمة عليه (ذلك بأنهم) الإشارة إلى خيانتهم والباء للتعليل (ليس علينا) زعموا بأن أموال الأميين ، وهم العرب : حلال لهم (الكذب) هنا قولهم ، إن الله أحلها عليهم فى التوراة أو كذبهم على الإطلاق (بلى) عليهم سبيل وتباعة فى أموال الأميين (بعهده) الضمير يعود على من أو على الله (إن الذين يشترون) الآية : قيل نزلت فى اليهود لأنهم تركوا عهد الله فى التوراة لأجل الدنيا ، وقيل نزلت بسبب خصومة بين الأشعث من قيس وآخر ، فأراد خصمه أن يحلف كاذبا [illegible] (وإن منهم) الضمير عائد على أهل الكتاب (يلوون ألسنتهم) أى يحرفون اللفظ أو المعنى [illegible] (لتحسبوه) الضمير يعود على مادل عليه قوله يلوون ألسنتهم ، وهو الكلام المحرف (ما كان لبشر) الآية : هذا النفى متسلط على (ثم يقول للناس) والمعنى لايدعى الربوبية من آتاه الله النبوة ، والإشارة إلى عيسى عليه السلام رد على النصارى الذين قالوا إنه الله ، وقيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن اليهود قالوا له يامحمد : تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى فقال معاذ الله مابذلك أمرت ولا اليه دعوت (ربانيين) جمع ربانى ، وهو العالم ، وقيل الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره (بما كنتم) الباء سببية وما مصدرية (تعلمون) بالتخفيف تعرفون . وقرئ بالتشديد من التعليم (ولا يأمركم) بالرفع استئناف ، والفاعل الله أو البشر المذكور ، وقرئ بالنصب عطف على أن يؤتيه أو على ثم يقول ، والفاعل على هذا البشر (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) معنى الآية أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبى أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وينصره إن أدركه ، وتضمن ذلك أخذ هذا الميثاق على أمم الأنبياء ، واللام فى قوله (لما آتيتكم) لام التوطئة ، لأن أخذ الميثاق فى معنى الاستخلاف ، واللام فى لتؤمن

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّٰهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ * وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الْءَاخِرَةِ مِنَ الْخَٰسِرِينَ * كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ * أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

جواب القسم ، وما يحتمل أن تكون شرطية ، ولتؤمنن سد مسد جواب القسم والشرط . وأن تكون موصولة بمعنى الذى آتيناكموه (لتؤمنن به) والضمير فى به ولتنصرنه عائد على الرسول (ءأقررتم) أى اعترفتم (إصرى) عهدى (فاشهدوا) أى على أنفسكم وعلى أممكم بالتزام هذا العهد (وأنا معكم) تأكيد للعهد بشهادة رب العزة جلّ جلاله (بعد ذلك) أى من تولى عن الإيمان بهذا النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا الميثاق فهو فاسق مرتد متمرد فى كفره (أفغير) الهمزة للإنكار ، والفاء عطفت جملة على جملة ، وغير مفعول قدم للاهتمام به أو للحصر (وله أسلم) أى انقادوا واستسلم (طوعا وكرها) مصدر صدر فى موضع الحال ، والطوع للمؤمنين والكره للكافر إذا عاين الموت ، وقيل عند أخذ الميثاق المتقدم ، وقيل إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرها (قل آمنا) أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر عن نفسه وعن أمته بالإيمان (وما أنزل علينا) تعدى هنا بعلى مناسبة لقوله قل ، وفى البقرة إلى لقوله قولوا . لأن على حرف استعلاء يقتضى النزول من علو . ونزوله على هذا المعنى مختص بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم . وإلى حرف غاية وهو موصل إلى جميع الأمة (ومن يبتغ) الآية : إبطال لجميع الأديان غير الإسلام ، وقيل نسخت : إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى الآية (كيف) سؤال والمراد به هنا استبعاد الهدى (قوما كفروا) نزلت فى الحرث بن سويد وغيره أسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بالكفار ثم كتبوا إلى أهلهم هل لنا من توبة ؟ فنزلت الآية إلى قوله : إلا الذين تابوا ، فرجعوا إلى الإسلام ؛ وقيل نزلت فى اليهود والنصارى شهدوا بصفة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وآمنوا به ثم كفروا به لما بعث ، وشهدوا عطف على إيمانهم ، لأنّ معناه بعد أن آمنوا ، وقيل الواو للحال ، وقال ابن عطية . عطف على كفروا والواو لا ترتب (والناس أجمعين) عموم بمعنى الخصوص فى المؤمنين أو على عمومه وتكون اللعنة فى الآخرة (خالدين فيها) الضمير عائد على اللعنة ، وقيل على النار وإن لم تكن ذكرت ؛ لأنّ المعنى

Marfat.com

وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى

يقتضيها (ثم ازدادوا كفرا) قيل هم اليهود كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى، ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن كانوا مؤمنين قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفرا بعداوتهم له وطعنهم عليه؛ وقيل هم الذين ارتدوا (لن تقبل توبتهم) قيل ذلك عبارة عن موتهم على الكفر: أى ليس لهم توبة فتقبل، وذلك فى قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر، وقيل لن تقبل توبتهم مع إقامتهم على الكفر، فذلك عام (فلن يقبل من أحدهم ملء) جزم بالعذاب لكل من مات على الكفر. والواو فى قوله: ولو افتدى به، قيل زائدة وقيل للعطف على محذوف، كأنه قال: لن يقبل من أحدهم لو تصدق به (ولو افتدى به) وقيل نفى أولا القبول جملة على الوجوه كلها، ثم خص الفدية بالنفى كقولك: أنا لا أفعل كذا أصلا ولو رغبت إلىّ (لن تنالوا البر) أى لن تكونوا من الأبرار ولن تنالوا البر الكامل (حتى تنفقوا مما تحبون) من أموالكم ولما نزلت قال أبو طلحة إن أحب أموالى إلىّ بيرحاء، وإنها صدقة، وكان ابن عمر يتصدق بالسكر ويقول إنى لأحبه (كل الطعام) الآية إخبار أن الأطعمة كانت حلالا لبنى إسرائيل (إلا ما حرم إسرائيل) أبوهم (على نفسه) وهو لحم الإبل ولبنها ثم حرمت عليهم أنواع من الأطعمة كالشحوم وغيرها عقوبة لهم على معاصيهم، وفيها رد عليهم فى قولهم إنهم على ملة إبراهيم عليه السلام وأن الأشياء التى هى محرمة كانت محرمة على إبراهيم، وفيها دليل على جواز النسخ ووقوعه لأن الله حرم عليهم تلك الأشياء بعد حلها، خلافا لليهود فى قولهم إن النسخ محال على هذه الأشياء، وفيها معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لإخباره بذلك من غير تعلم من أحد وسبب تحريم إسرائيل لحوم الإبل على نفسه أنه مرض فنذر إن شفاه الله أن يحرم أحب الطعام إليه شكرا لله وتقربا إليه، ويؤخذ من ذلك أنه يجوز للأنبياء أن يحرموا على أنفسهم باجتهادهم (فأتوا بالتوراة) تعجيزا لليهود، وإقامة حجة عليهم، وروى أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة (فمن افترى) أى من زعم بعد هذا البيان أن الشحم وغيره كان محرما على بنى إسرائيل قبل نزول التوراة فهو الظالم المكابر بالباطل (صدق الله) أى الأمر كما وصف لا كما تكذبون أنتم ففيه تعريض بكذبهم (فاتبعوا ملة إبراهيم) إلزام لهم أن يسلموا كما ثبت أن ملة الإسلام هى ملة إبراهيم التى لم يحرم فيها شىء مما هو محرم عليهم (إن أول بيت) أى أول مسجد بنى فى الأرض، وقد سأل أبو ذر النبى صلى الله عليه وآله وسلم، أى مسجد بنى أول؟ قال: المسجد الحرام، ثم بيت المقدس، وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: المعنى أنه أول بيت وضع مباركا وهدى وقد كانت قبله بيوتا (ببكة) قيل هى مكة والباء بدل من الميم، وقيل مكة الحرم كله، وبكة المسجد وما حوله (مباركا)

لِّلْعَٰلَمِينَ * فِيهِ ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ الْعَٰلَمِينَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ

نصب على الحال والعامل فيه على قول على وضع (مباركا) على أنه حال من الضمير الذى فيه وعلى القول الأول هو حال من الضمير المجرور والعامل فيه العامل المجرور من معنى الاستقرار (فيه آيات بينات) آيات البيت كثيرة ، منها الحجر الذى هو مقام إبراهيم وهو الذى قام عليه حين رفع القواعد من البيت ، فكان كلما طال البناء ارتفع به الحجر فى الهواء حتى أكمل البناء ، وغرقت قدم إبراهيم فى الحجر كأنها فى طين ، وذلك الأثر باق إلى اليوم ، ومنها أن الطيور لا تعلوه ، ومنها إهلاك أصحاب الفيل ، ورد الجبابرة عنه و نبع زمزم لهاجر أم إسماعيل بهمز جبريل بعقبه وحفر عبد المطلب بعدد ثورها وأن ماؤها ينفع لما شرب له إلى غير ذلك (مقام إبراهيم) قيل إنه بدل من الآيات أو عطف بيان ، وإنما جاز بدل الواحد من الجمع لأن المقام يحتوى على آيات كثيرة لدلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة إبراهيم وغير ذلك ، وقيل الآيات : مقام إبراهيم ، وأمن من دخله ، فعلى هذا يكون قوله ومن دخله عطفا ، وعلى الأول استئنافا ، وقيل التقدير منهن مقام إبراهيم ، فهو على هذا مبتدأ ، والمقام هو الحجر المذكور ، وقيل البيت كله ، وقيل مكة كلها (كان آمنا) أى آمنا من العذاب ، فإنه كان فى الجاهلية إذا فعل أحد جريمة ثم لجأ إلى البيت لا يطلب ، ولا يعاقب ، فأما فى الإسلام فإن الحرم لا يمنع من الحدود ولا من القصاص ، وقال ابن عباس وأبو حنيفة ذلك الحكم باق فى الإسلام إلا أن من وجب عليه حد أو قصاص فدخل الحرم لا يطعم ولا يباع منه حتى يخرج وقيل آمنا من النار (حج البيت) بيان لوجوب الحج واختلف هل هو على الفور أو على التراخى ، وفى الآية رد على اليهود لما زعموا أنهم على ملة إبراهيم قيل لهم إن كنتم صادقين فحجوا البيت الذى بناه إبراهيم ودعا الناس إليه (من استطاع) بدل من الناس ، وقيل فاعل بالمصدر ، وهو حج ؛ وقيل شرط مبتدأ : أى من استطاع فعليه الحج ؛ والاستطاعة عند مالك هى القدرة على الوصول إلى مكة بصحة البدن إما راجلا وإما راكبا مع الزاد المبلغ والطريق الآمن وقيل الاستطاعة الزاد والراحلة ، وهو مذهب الشافعى وعبد الملك بن حبيب وروى فى ذلك حديث ضعيف (ومن كفر) قيل المعنى من لم يحج ، وعبر عنه بالكفر تغليظا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : من ترك الصلاة فقد كفر ، وقيل أراد اليهود لأنهم لا يحجون ، وقيل من زعم أن الحج ليس بواجب (لم تكفرون) توبيخ لليهود (لم تصدون) توبيخ أيضا . وكانوا يمنعون الناس من الإسلام ويرومون فتنة المسلمين عن دينهم (سبيل الله) هنا الإسلام (تبغونها عوجا) الضمير يعود على السبيل أى تطلبون لها الاعوجاج (وأنتم تشهدون) أى تشهدون أن الإسلام حق (إن تطيعوا فريقا) الآية : لفظها عام والخطاب للأوس والخزرج إذ كان اليهود يريدون فتنتهم (وكيف

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم

تكفرون) إنكار واستبعاد (حق تقاته) قيل نسخها ، فاتقوا الله ما استطعتم ، وقيل لانسخ إذ لا تعارض فإن العباد أمروا بالتقوى على الكمال فيما استطاعوا تحرزا من الإكراه وشبهه (واعتصموا بحبل الله) أى تمسكوا ، والحبل هنا مستعار من الحبل الذى تشد عليه اليد ، والمراد به هنا القرآن ، وقيل الجماعة (ولا تفرقوا) نهى عن التدابر والتقاطع ، إذ قد كان الأوس هموا بالقتال مع الخزرج لما رام اليهود إيقاع الشر بينهم ، ويحتمل أن يكون نهيا عن التفرق فى أصول الدين ولا يدخل فى النهى الاختلاف فى الفروع (إذ كنتم أعداء) كان بين الأوس والخزرج عداوة وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله بالإسلام (شفا حفرة) أى حرف حفرة وذلك تشبيه لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التى تقودهم إلى النار (ولتكن منكم أمة) الآية : دليل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب ، وقوله منكم : دليل على أنه فرض كفاية لأن من للتبعيض ، وقيل إنها لبيان الجنس ، وأن المعنى كونوا أمة وتغيير المنكر يكون باليد وباللسان وبالقلب ، على حسب الأحوال (كالذين تفرقوا) هم اليهود والنصارى نهى الله المسلمين أن يكونوا مثلهم ، وورد فى الحديث أنه عليه السلام قال : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ، قيل ومن تلك الواحدة ؟ قال : من كان على ما أنا وأصحابى عليه (يوم تبيض وجوه) العامل فيه محذوف وقيل عذاب عظيم (أكفرتم بعد إيمانكم) أى يقال لهم أكفرتم والخطاب لمن ارتد عن الإسلام وقيل للخوارج ، وقيل لليهود لأنهم آمنوا بصفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المذكورة فى التوراة ثم كفروا به لما بعث (كنتم خير أمة) كان هنا هى التى تقتضى الدوام كقوله وكان الله غفورا رحيما ، وقيل كنتم فى علم الله ، وقيل كنتم فيما وصفتم به فى الكتب المتقدمة ، وقيل كنتم بمعنى

مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ * لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ اللَّهِ ءَانَآءَ الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى الْخَيْرَٰتِ وَأُولَٰٓئِكَ مِنَ الصَّٰلِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْـًٔا وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝ هَٰٓأَنتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ

أنتم ، والخطاب لجميع المؤمنين ، وقيل للصحابة خاصة (لن يضروكم إلاأذى) أى بالكلام خاصة وهو أهون المضرة (يولوكم الأدبار) إخبار بغيب ظهر فى الوجود صدقه (ثم لاينصرون) إخبار مستأنف غيرمعطوف على يولوكم ، وفائدة ذلك أن توليهم الأدبار مقيد بوقت القتال ، وعدم النصر على الإطلاق ، وعطفت الجملة على جملة الشرط والجزاء ، وثم لترتيب الأحوال لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشد من توليهم الأدبارحين القتال (إلابحبل من الله) الحبل هنا العهد والذمة (ليسوا سواء) أى ليس أهل الكتاب مستويين فى دينهم (أمة قائمة) أى قائمة بالحق ، وذلك فيمن أسلم من اليهود : كعبدالله بن سلام ، وثعلبة بن سعيد وأخيه أسد وغيرهم (وهم يسجدون) يدل أن تلاوتهم للكتاب فى الصلاة (فلن تكفروه) أى لن تحرموا ثوابه (مثل ماينفقون) الآية : تشبيه لنفقة الكافرين بزرع أهلكته ريح باردة فلن ينتفع به أصحابه فكذلك لاينتفع الكفار بماينفقون وفى الكلام حذف تقديره : مثل ماينفقون كمثل مهلك ريح أومثل إهلاك ماينفقون كمثل إهلاك ريح وإنما احتيج لهذا لأن ماينفقون ليس تشبيها بالريح إنما هو تشبيه بالزرع الذى أهلكته الريح (صر) أى برد (حرث قوم ظلموا أنفسهم) أى عصوا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم (وماظلمهم الله) الضمير للكفار ، أو المنافقين ، أو لأصحاب الحرث ، والأول أرجح ، لأن قوله أنفسهم يظلمون فعل حال يدل على أنه للحاضرين (بطانة من دونكم) أى أولياء من غيركم فالمعنى نهى عن استخلاص الكفار وموالاتهم وقيل لعمر رضى الله عنه إن هنا رجلا من النصارى لاأحد أحسن خطامنه ، أفلا يكتب عنك : قال إذا أتخذ بطانة من دون المؤمنين (لايألونكم خبالا) أى لايقصرون فى إفسادكم ، والخبال الفساد (ودوا ماعنتم) أى تمنوا مضرتكم ، وما مصدرية وهذه

Marfat.com

وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَٰبِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۞ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۞ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۞ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ

الجملة والتي قبلها صفة للبطانة أو استئناف (وتؤمنون بالكتاب كله) أى بكل كتاب أنزله الله واليهود لا يؤمنون بقرآنكم (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه، والأنامل جمع أنملة بضم الميم وفتحها (موتوا بغيظكم) تقريع وإغاظة، وقيل دعاء (إن تمسسكم حسنة) الحسنة هنا: الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك، والسيئة ضدها (لا يضركم) من الضير بمعنى الضرّ (وإذ غدوت من أهلك) نزلت فى غزوة أحد، وكان غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال صبيحة يوم السبت وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة (تبوئ المؤمنين) تنزلهم وذلك يوم السبت حين حضر القتال، وقيل ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة، وذلك ضعيف لأنه لا يقال غدوت فيما بعد الزوال إلا على المجاز، وقيل ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس وذلك ضعيف لأنه لم يبوئ حينئذ مقاعد للقتال إلا أن يراد أنه بوأهم بالتدبير حين المشاورة (مقاعد) مواضع وهو جمع مقعد (طائفتان منكم) هم بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج، لما رأوا كثرة المشركين وقلة المؤمنين هموا بالانصراف فعصمهم الله ونهضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن تفشلا) الفشل فى البدن هو الإعياء، والفشل فى الرأى هو العجز والحيرة وفساد العزم (والله وليهما) أى مثبتهما، وقال جابر بن عبد الله ما وددنا أنها لم تنزل لقوله والله وليهما (ولقد نصركم الله ببدر) تذكير بنصر الله لهم يوم بدر لتقوى قلوبهم (وأنتم أذلة) الذلة هى قلة عددهم وضعف عددهم كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ولم يكن لهم إلا فرس واحد وكان المشركون ما بين التسعمائة والألف، وكان معهم مائة فرس فقتل من المشركين سبعون وأسر منهم سبعون وانهزم سائرهم (لعلكم تشكرون) متعلق بنصركم أو باتقوا؛ والأول أظهر (إذ تقول للمؤمنين) كان هذا القول يوم بدر، وقيل يوم أحد، فالعامل فى إذ على الأول محذوف، وعلى الثانى بدل من إذ غدوت (ألن يكفيكم) تقرير جوابه بلى، وإنما جاوب المتكلم لصحة الأمر وبيانه كقوله قل: من رب السموات والأرض قل الله، (ويأتوكم من فورهم) الضمير للمشركين، والفور السرعة: أى من ساعتهم وقيل المعنى من سفرهم (بخمسة آلاف) بأكثر من العدد الذى يكفيكم ليزيد ذلك فى قوتكم فإن كان هذا يوم

Marfat.com

ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ۝ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ
شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝
وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ
وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝
أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝ قَدْ خَلَتْ
مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ

بدر ، فقد قاتلت فيه الملائكة وإن كان يوم أحد فقد شرط فى قوله : إن تصبروا وتتقوا ، فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة (مسومين) بفتح الواو وكسرها أى معلمين ، أو معلمين أنفسهم أو خيلهم ، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء ، إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء ، وقيل كانت عمائمهم صفر ، وكانت خيلهم مجزوزة الأذناب وقيل كانوا على خيل بلق (وما جعله) الضمير عائد على الإنزال ، أو الإمداد (ولتطمئن) معطوف على بشرى لأن هذا الفعل بتأويل المصدر ، وقيل يتعلق بفعل مضمر يدل عليه جعله (ليقطع) يتعلق بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر (ليس لك من الأمر شىء) جملة اعتراضية بين المعطوفين ونزلت لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة على أحياء من العرب فترك الدعاء عليهم (أو يتوب عليهم) معناه يسلمون (أضعافا مضاعفة) كانوا يزيدون كل ما حل عاما بعد عام (سارعوا) بغير واو استئناف ، وبالواو عطف على ما تقدم (إلى مغفرة) أى إلى الأعمال متى تستحقون بها المغفرة (عرضها) قال ابن عباس : تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض الجنة ، ولا يعلم طولها إلا الله : وقيل ليس العرض هنا خلاف الطول وإنما المعنى سعتها كسعة السموات والأرض (فى السراء والضراء) فى العسر واليسر (وهم يعلمون) حذف مفعوله وتقديره وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا (قد خلت من قبلكم سنن) خطاب للمؤمنين تأنيسا لهم وقيل للكافرين تخويفا لهم (فانظروا) من نظر العين عند الجمهور وقيل هو بالفكر (ولا تهنوا) تقوية لقلوب المؤمنين (وأنتم الأعلون) إخبار بعلو كلمة الإسلام (إن يمسسكم قرح) الآية معناها إن مسكم قتل أو جراح فى أحد فقد مس الكفار مثله فى بدر ، وقيل قد مس الكفار يوم أحد مثل ما مسكم فيه فإنهم

Marfat.com

مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ ۝ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَٰفِرِينَ ۞ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَٰهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّٰبِرِينَ ۞ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۞ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّٰكِرِينَ ۞ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّٰبِرِينَ ۞ وَمَا

نالوا منكم ونلتم منهم وذلك تسلية للمؤمنين بالتأسى (نداولها) تسلية أيضا عما جرى يوم أحد (وليعلم) متعلق بمحذوف تقديره أصابكم ما أصابهم يوم أحد ليعلم والمعنى ليعلم ذلك علما ظاهرا لكم تقوم به الحجة (شهداء) من قتل من المسلمين يوم أحد (وليمحص الله) أى يظهر ، وقيل يميز ، وهو معطوف على ما تقدم من التعليلات لقصة أحد ، والمعنى أن إدالة الكفار على المسلمين إنما هى لتمحيص المؤمنين وأن نصر المؤمنين على الكفار إنما هو ليمحق الله الكافرين أى يهلكهم (أم حسبتم) أم هنا منقطعة مقدرة ببل والهمزة عند سيبويه ، وهذه الآية ومابعدها معاتبة لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياء يوم أحد (تمنون الموت) خوطب به قوم فاتهم غزوة بدر فتمنوا حضور قتال الكفار مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليستدركوا مافاتهم من الجهاد فعلى هذا إنما تمنوا الجهاد وهو سبب الموت ، وقيل إنما تمنوا الشهادة فى سبيل الله (وما محمد إلا رسول) المعنى أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول كسائر الرسل قد بلغ الرسالة كما بلغوا فيجب عليكم التمسك بدينه فى حياته وبعدموته وسببها أنه صرخ صارخ يوم أحد . إن محمداً [illegible] ، وتزلزل بعض الناس (أفإن مات) دخلت ألف التوبيخ على جملة الشرط والجزاء ، ودخلت الفاء لتربط الجملة الشرطية بالجملة التى قبلها والمعنى أن موت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أو قتله لا يقتضى انقلاب أصحابه على أعقابهم ، لأن شريعته قد تقررت وبراهينه قد صحت ، فعاتبهم على تقدير أن لو صدر منهم انقلاب لو مات صلى الله عليه وسلم ، أو قتل وقد علم أنه لا يقتل ولكن ذكر ذلك لما صرخ به صارخ ووقع فى نفوسهم (الشاكرين) قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : الثابتون على دينهم (كتابا مؤجلا) نصب على المصدر لأن المعنى كتب الموت كتابا ، وقال ابن عطية نصب على التمييز (نؤته منها) فى ثواب الدنيا ، مقيد بالمشيئة بدليل قوله عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد (وكأين من نبى قتل) الفعل مسند إلى ضمير النبى ومعه ربيون على هذا فى موضع الحال ، وقيل إنه مسند إلى الربيين ، فيكون ربيون على هذا مفعولا لما لم يسم فاعله فعلى الأول يوقف على قوله قتل ، ويترجح الأول : بما صرخ به الصارخ يوم أحد : إن محمداً قد مات ، فضرب لهم المثل بنبى قتل ، ويترجح الثانى بأنه لم يقتل قط نبى فى محاربة (ربيون) علماء مثل ربانيين ، وقيل جموع كثيرة (فما

Marfat.com

كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ * وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ

وهنوا) الضمير لربيون على إسناد القتل للنبي ، وهو لم يق منهم على إسناد القتل إليهم (وما استكانوا) أى لم يذلوا للكفار قال بعض النحاة : الاستكان مشتق من السكون ، ووزنه افتعلوا مطلت فتحة الكاف لحدث عن مطلها ألف وذلك كالإشباع ، وقيل إنه من كان يكون ، فوزنه استفعلوا ، وقوله تعالى فما وهنوا وما بعده : تعريض لما صدر من بعض الناس يوم أحد (وثبت أقدامنا) أى فى الحرب (ثواب الدنيا) النصر (ثواب الآخرة) الجنة (إن تطيعوا الذين كفروا) هم المنافقون الذين قالوا فى قضية أحد ما قالوا ، وقيل مشركو اقريش وقيل اليهود (الرعب) قيل ألقى الله الرعب فى قلوب المشركين بأحد فرجعوا إلى مكة من غير سبب ، وقيل لما كانوا ببعض الطريق هموا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين ، فألقى الله الرعب فى قلوبهم ، فأمسكوا ، والآية تتناول جميع الكفار لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : نصرت بالرعب (ولقد صدقكم الله وعده) كان رسول الله صلى عليه وآله وسلم قد وعد المسلمين عن الله بالنصر فنصرهم الله أولا ، وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا وكان رسول الله صلى عليه وآله وسلم ، قد أمر الرماة أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا فلما رأوا المشركين قد انهزموا طمعوا فى الغنيمة واتبعوهم وخالفوا ما أمروا به من الثبوت فى مكانهم فانقلبت الهزيمة على المسلمين (إذ تحسونهم) أى تقتلونهم قتلا ذريعا يعنى فى أول الأمر (وتنازعتم) وقع النزاع بين الرماة فثبت بعضهم كما أمروا ولم يثبت بعضهم (وعصيتم) أى خالفتم ما أمرتم به من الثبوت ، وجاءت المخاطبة فى هذا لجميع المؤمنين وإن كان المخالف بعضهم وعظا للجميع ، وسترا على من فعل ذلك وجواب إذ محذوف تقديره: لانهزمتم (منكم من يريد الدنيا) الذين حرصوا على الغنيمة معه (ليبتليكم) معناه لينزل بكم ما نزل من القتل والتمحيص (ولقد عفا عنكم) إعلام بأن الذنب كان يستحق أكثر مما نزل بهم لولا عفو الله عنهم ، فمعناه لقد أبقى عليكم ، وقيل هو عفو عن الذنب (إذ تصعدون) العامل فى إذ عفا ، فيوصل إذ تصعدون مع ما قبله ويحتمل أن يكون العامل فيه مضمر (ولا تلوون) مبالغة فى صفة الانهزام (والرسول يدعوكم) كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إلىّ عباد الله وهم يفرون (فى أخراكم) فى سقايتكم وفيه مدح للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن الأخرى هى

Marfat.com

فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ * ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَئِن قُتِلْتُمْ

موقف الأبطال (فأثابكم) أى جازاكم (غمابغم) قيل أثابكم غمابسبب الغم الذى أدخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المؤمنين، إذ عصيتم وتنازعتم، وقيل أثابكم غمامتصلا بغم، وأحد الغمين: ماأصابهم من القتل والجراح والآخر ماأرجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم (على مافاتكم) من النصر والغنيمة (ولاماأصابكم) من القتل والجراح والانهزام (أمنة نعاسا) قال ابن مسعود: نعسنا يوم أحد، والنعاس فى الحرب أمان من الله (يغشى طائفة منكم) هم المؤمنون المخلصون، غشيهم النعاس تأمينالهم (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) هم المنافقون كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبوسفيان، والمشركون (غير الحق) معناه يظنون أن الإسلام ليس بحق، وأن الله لاينصرهم، وظن الجاهلية بدل وهو على حذف الموصوف تقديره ظن المودة الجاهلية، أو الفرقة الجاهلية (هل لنا من الأمر من شىء) قالها عبد الله بن أبى ابن سلول، والمعنى ليس لنا رأى، ولايسمع قولنا أولسنا على شىء من الأمر الحق، فيكون قولهم على هذا كفرا (يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك) يحتمل أن يريد الأقوال التى قالوها أو الكفر (لو كان لنا من الأمر شىء) قاله معتب بن قشير، ويحتمل من المعنى مااحتمل قول عبد الله بن أبى (قل لو كنتم فى بيوتكم) الآية: رد عليهم وإعلام بأن أجل كل إنسان إنما هو واحد، وأن من لم يقتل يموت لأجله، ولايؤخر، وأن من كتب عليه القتل لاينجيه منه شىء (وليبتلى) يتعلق بفعل تقديره فعل بكم ذلك ليبتلى (إن الذين تولوا) الآية: نزلت فيمن فر يوم أحد (استزلهم) أى طلب منهم أن يزلوا، ويحتمل أن يكون معناه أزلهم: أى أوقعهم فى الزلل (ببعض ما كسبوا) أى كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها: بأن مكن الشيطان من استزلالهم (عفى الله عنهم) أى غفر لهم ماوقعوا فيه من الفرار (لاتكونوا كالذين كفروا) أى المنافقين (لإخوانهم) هى أخوة القرابة، لأن المنافقين كانوا من الأوس والخزرج وكان أكثر المقتولين يوم أحد منهم، ولم يقتل من المهاجرين إلا أربعة (إذا ضربوا فى الأرض) أى سافروا وإنما قال إذا التى للاستقبال مع قالوا، لأنه على حكاية الحال الماضية (أو كانوا غزا) جمع غاز وزنه فعل بضم الفاء وتشديد العين (لو كانوا عندنا) اعتقاد منهم فاسد لأنهم ظنوا أن إخوانهن لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يقتلوا، وهذا

فى سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ * فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۞ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ

قول من لايؤمن بالقدر والأجل المحتوم ويقرب منه مذهب المعتزلة فى القول بالأجلين (ليجعل) متعلق بقالوا . أى قالوا ذلك فكان حسرة فى قلوبهم فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة (ذلك) إشارة إلى قولهم واعتقادهم الفاسد الذى أوجب لهم الحسرة ، لأن الذى يتيقن بالقدر والأجل تذهب عنه الحسرة (والله يحيى ويميت) رد على قولهم واعتقادهم (ولئن قتلتم) الآية إخبار أن مغفرة الله ورحمته لهم إذا قتلوا وماتوا فى سبيل الله خير لهم مما يجمعون من الدنيا (ولئن متم أو قتلتم) الآية إخبار أن من مات أو قتل فإنه يحشر إلى الله (فبما رحمة) ما زائدة للتأكيد لانفضوا أى تفرقوا (فاعف عنهم) فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله (وشاورهم) المشاورة مأمور بها شرعا ، وإنما يشاور النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الناس فى الرأى فى الحروب وغيرها لافى الأحكام الشرعية ، وقال ابن عباس وشاورهم فى بعض الأمر (فإذا عزمت فتوكل على الله) التوكل هو الاعتماد على الله فى تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها ، وفى دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها ، وهو من أعلى المقامات ، لوجهين : أحدهما قوله إن الله يحب المتوكلين ، والآخر الضمان الذى فى قوله : ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، وقد يكون واجبا لقوله تعالى : وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، فجعله شرطا فى الإيمان ، والظاهر قوله جل جلاله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، فان الأمر محمول على الوجوب

واعلم أن الناس فى التوكل على ثلاثة مراتب : الأولى أن يعتمد العبد على ربه كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذى لايشك فى نصيحته له . وقيامه بمصالحه ، والثانية : أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه فإنه لايعرف سواها ، ولا يلجأ إلا إليها ، والثالثة أن يكون العبد مع ربه : كالميت بين يدى الغاسل ، قد أسلم نفسه إليه بالكلية ، فصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه بخلاف صاحب الثانية وصاحب الثانية له حظ من المراد والاختيار بخلاف صاحب الثالثة وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخاص الذى تكلمنا عليه فى قوله : وإلهكم إله واحد ، فهى تقوى بقوته ، وتضعف بضعفه ، فإن قيل : هل يشترط فى التوكل ترك الأسباب أم لا ؟ فالجواب : أن الأسباب على ثلاثة أقسام : أحدها : سبب معلوم قطعا قد أجراه الله تعالى : فهذا لايجوز تركه : كالأكل لدفع الجوع ، واللباس لدفع البرد . والثانى سبب مظنون : كالتجارة وطلب المعاش ، وشبه ذلك ، فهذا لايقدم فعله فى التوكل لأن التوكل من أعمال القلب ، لامن أعمال البدن ، ويجوز تركه لمن قوى عليه ، والثالث : سبب موهوم بعيد ، فهذا يقدم فعله فى التوكل ، ثم إن فوق التوكل التفويض وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية ، فان المتوكل له مراد واختيار ، وهو يطلب مراده باعتماده على ربه ، وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار ، بل أسند المراد والاختيار إلى الله تعالى . فهو أكمل أدبا مع الله تعالى (وما

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا

كان لنبي أن يغلّ) هو من الغلول وهو أخذ الشيء خفية من المغانم وغيرها ، وقرئ بفتح الياء وضم الغين ، ومعناه تبرئة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول ، وسببها أنه فقدت من المغانم قطيفة حمراء ، فقال بعض المنافقين : لعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذها ، وقرئ بضم الياء وفتح الغين ، أي ليس لأحد أن يغل نبيا : أي يخونه في المغانم ، وخص النبي بالذكر وإن كان ذلك محظورا من الأمر لشنعة الحال مع النبي لأن المعاصي تعظم بحضرته ، وقيل معنى هذه القراءة : أن يوجد غالا كما تقول أحمدت الرجل ، إذا أصبته محمودا ، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة ، إلى معنى فتح الياء (ومن يغلل يأت بما غل) وعيد لمن غل بأن يسوق يوم القيامة على رقبته الشيء الذي غل ، وقد جاء ذلك مفسراً في الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لاألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير لاألفين أحدكم على رقبته فرس لاألفين أحدكم على رقبته رقاع لاألفين أحدكم على رقبته صامت لاألفين أحدكم على رقبته إنسان ، فيقول يارسول الله أغثني فأقول لاأملك لك من الله شيئا قد بلغتك (أفمن اتبع) الآية : فقيل إن الذي اتبع رضوان الله . من لم يغلل ، والذي باء بالسخط من غل ، وقيل الذي اتبع الرضوان : من استشهد بأحد ، والذي باء بالسخط : المنافقون الذين رجعوا عن الغزو (وهم درجات) ذووا درجات ، والمعنى تفاوت بين منازل أهل الرضوان وأهل السخط أوالتفاوت بين درجات أهل الرضوان فان بعضهم فوق بعض ، فكذا [illegible] أهل السخط (لقد من الله) الآية إخبار بفضل الله على المؤمنين ببعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (من أنفسهم) معناه في الجنس واللسان ، فكونه من جنسهم يوجب الأنس به ، وقلة الاستيحاش منه ، وكونه بلسانهم يوجب حسن الفهم عنه ، ولكونه منهم يعرفون حسبه وصدقه وأمانته صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ويكون ، هو صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أشفق عليهم وأرحم بهم من الأجنبيين (أو لما أصابتكم مصيبة) الآية . عتاب للمسلمين على كلامهم فيمن أصيب منهم يوم أحد ودخلت ألف التوبيخ على واو العطف ، والجملة معطوفة على ماتقدم من قصة أحد أو على محذوف (قد أصبتم مثليها) قتل يوم أحد من المسلمين سبعون ، وكان قد قتل من المشركين يوم بدر سبعون ، وأسر سبعون (قل هو من عند أنفسكم) قيل معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة لمخالفتهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حين أراد أن يقيم بالمدينة ولا يخرج إلى المشركين فأبوا إلا الخروج ، وقيل بل ذلك إشارة إلى عصيان الرماة حسبما تقدم (يوم التقى الجمعان) أي جمع المسلمين والمشركين يوم أحد (وقيل لهم تعالوا) الآية : كان رأى

وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ *

عبدالله بن أبي ابن سلول أن لايخرج المسلمون إلي المشركين ، فلما طلب الخروج قوم من المسلمين ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: غضب عبدالله ، وقال أطاعهم وعصانا ، فرجع ورجع معه ثلاثمائة رجل ، خمسين فمشى فى أثرهم عبدالله بن عمر بن حزام الأنصارى ، وقال لهم ارجعوا قاتلوا فى سبيل الله ، أو ادفعوا ، فقال له عبد الله بن أبيّ ماأرى أن يكون قتال ، لو علمنا أنه يكون قتال لكنا معكم (أو ادفعوا) أى كثروا السواد ، وإن لم تقاتلوا (الذين قالوا) بدل من الذين نافقوا ، أو لإخوانهم فى النسب ، لأنهم كانوا من الأوس والخزرج (قل فادرءوا) أى ادفعوا المعنى ردّ عليهم (بل أحياء) إعلام بأن حال الشهداء حال الأحياء من التمتع بأرزاق الجنة بخلاف سائر الأموات من المؤمنين فإنهم لايتمتعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم) المعنى أنهم يفرحون بإخوانهم الذين بقوا فى الدنيا من بعدهم لأنهم يرجون أن يستشهدوا مثلهم فينالوا مثل مانالوا من الشهادة (ألا خوف) فى موضع المفعول أو بدل من الذين (يستبشرون) كرر ليذكر ماتعلق به من النعمة والفضل (للذين استجابوا) صفة المؤمنين أومبتدأ وخبره للذين أحسنوا الآية ، ونزلت فى الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى اتباع المشركين بعد غزوة أحد ، فبلغ بهم إلى حمراء الأسد وهى على ثمانية أميال من المدينة ، وأقام بها ثلاثة أيام ، وكانوا قد أصابتهم جراحات وشدائد ، فتجلدوا وخرجوا فمدحهم الله بذلك (الذين قال لهم الناس) الآية : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حمراء الأسد بعد أحد : بلغ ذلك أبا سفيان فمر عليه ركب من عبدالقيس يريدون المدينة بالميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب على أن يثبطوا المسلمين عن اتباع المشركين فخوفوهم بهم ، فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرجوا . فالناس الأول ركب عبدالقيس ، والناس الثانى مشركو قريش وقيل نادى أبو سفيان يوم أحد : موعدنا ببدر فى القابل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن شاء الله فلما كان العام القابل : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بدر الميعاد ، فأرسل أبو سفيان نعيم بن مسعود الأشجعى ليثبط المسلمين ، فعلى هذا الناس الأول نعيم ، وإنما قيل له الناس وهو واحد : لأنه من جنس الناس : كقولك ركبت الخيل إذا ركبت فرسا (فزادهم) الفاعل ضمير المفعول ، وهو إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص ، فمعناه هنا قوة يقينهم وثقتهم بالله (حسبنا

فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۝ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * لَقَدْ

الله ونعم الوكيل) كلمة يدفع بها مايخاف ويكره وهى التى قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار ، ومعنى حسبنا الله : كافينا وحده فلا نخاف غيره ، ومعنى ونعم الوكيل : ثناء على الله وأنه خير من يتوكل العبد عليه ويلجأ إليه (فانقلبوا) أى رجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر (واتبعوا رضوان الله بخروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ذلكم الشيطان) المراد به هنا أبو سفيان ، أونعيم الذى أرسله أبو سفيان أوإبليس ، وذلكم مبتدأ . والشيطان خبره ومابعده مستأنف ، أوالشيطان نعت ومابعده خبر (يخوف أولياءه) أى يخوفكم أيها المؤمنون أولياءه وهم الكفار ، فالمفعول الأول محذوف ويدل عليه قوله : فلاتخافونهم ، وقرأ ابن مسعود وابن عباس يخوفكم أولياءه ، وقيل المعنى يخوف المنافقين وهم أولياؤه من كفار قريش ، فالمفعول الثانى على هذا محذوف (ولايحزنك) تسلية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقرئ بفتح الياء وضم الزاى حيث وقع مضارعا من حزن الثانى ، وهو أشهر فى اللغة من أحزن (الذين يسارعون فى الكفر) أى يبادرون إلى أقواله وأفعاله وهم المنافقون والكفار (إن الذين اشتروا) الآية هم المذكورون قبل أوعلى العموم فى جميع الكفار (أنما نملى لهم خير) أى نمهلهم أن مفعول يحسبن ، وماسم أن لحقها أن تكتب منفصلة وخير خبر : إنما نملى لهم ماهنا كافة والمعنى رد عليهم أى أن الإملاء لهم ليس خيرا لهم إنما هو استدراج ليكتسبوا الإثم (ماكان الله ليذر المؤمنين) الآية : خطاب للمؤمنين ، والمعنى ما كان الله ليدع المؤمنين مختلطين بالمنافقين ، ولكنه ميز هؤلاء من هؤلاء بما ظهر فى غزوة أحد من الأقوال والأفعال التى تدل على الإيمان أوعلى النفاق (وماكان الله ليطلعكم على الغيب) أى ما كان الله ليطلعكم على مافى القلوب من الإيمان والنفاق أوما كان الله ليطلعكم على أنكم تغلبون أوتغلبون (ولكن الله يجتبى) أى يختار من رسله من يشاء فيطلعهم على ماشاء من غيبه (الذين يبخلون) يمنعون الزكاة وغيرها (هو خيرا) هو فصل وخيرا مفعول ثان ، والأول محذوف تقديره لايحسبن البخل خيرا لهم (سيطوقون) أى يلزمون إثم مابخلوا به ، وقيل يجعل مابخلوا به حية يطوقها فى عنقه يوم القيامة (لقد سمع الله) الآية : لما نزلت : من ذا الذى يقرض الله : قال بعض اليهود وهو

Marfat.com

سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَٰتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِالْبَيِّنَٰتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَٰبِ الْمُنِيرِ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ ۝ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوٓا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۝ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا

فنحاص ، أو حيي بن أخطب أو غيرهما إنما يستقرض الفقير من الغني ، فالله فقير ونحن أغنياء ، فنزلت هذه الآية ، وكان ذلك القول منهم اعتراضا على القرآن أوجبه قلة فهمهم ، أو تحريفهم للمعاني ، فإن كانوا قالوه باعتقاد فهو كفر ، وإن قالوه بغير اعتقاد : فهو استخفاف ، وعناد (سنكتب ماقالوا) أي تكتبه الملائكة في الصحف (وقتلهم الأنبياء) أي قتل آبائهم للأنبياء ، وأسند إليهم لأنهم راضون به ، ومتبعون لمن فعله من آبائهم (الذين قالوا) صفة للذين ، وليس صفة للعبيد (حتى يأتينا بقربان) كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قبول الله لصدقة أو غيرها جعلوه في مكان ، فتنزل نار من السماء فتحرقه ، وإن لم تنزل فليس بمقبول ، فزعموا أن الله جعل لهم ذلك علامة على صدق الرسل (قل قدجاءكم رسل) الآية : ردعليهم بأن الرسل قدجاءتهم بمعجزات توجب الإيمان بهم ، وجاؤهم أيضا بالقربان الذي تأكله النار ، ومع ذلك كذبوهم وقتلوهم ، فذلك يدل على أن كفرهم عناد ، فإنهم كذبوا في قولهم إن الله عهد إلينا (فإن كذبوك فقد كذب) الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بالتأسي بغيره (فمن زحزح) أي نحي وأبعد (لتبلون) الآية : خطاب للمسلمين ، والبلاء في الأنفس بالموت والأمراض ، وفي الأموال بالمصائب والإنفاق (ولتسمعن) الآية : سببها قول اليهود إن الله فقير ، وسبهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) قال ابن عباس هي لليهود : أخذ عليهم العهد في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكتموه ، وهي عامة في كل من علمه الله علما (الذين يفرحون بما أتوا) الآية : قال ابن عباس نزلت في أهل الكتاب سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا إليه بذلك ، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه ، وقال أبو سعيد الخدري : نزلت في المنافقين : كانوا إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ، وإذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم اعتذروا

فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا
وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ۞ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۞ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي
لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا
مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۞ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ
عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي
وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ
عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ۞ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۞ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞
لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ
لِّلْأَبْرَارِ ۞ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ

إليه ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا (فلا تحسبنهم) بالتاء وفتح الباء : خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وبالياء وضم الباء : أسند الفعل للذين يفرحون : أى لا يحسبون أنفسهم بمفازة من العذاب ، ومن قرأ تحسبن بالتاء : فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والذين يفرحون : مفعول به ، وبمفازة المفعول الثانى ، وكرر فلا تحسبنهم : للتأكيد ، ومن قرأ لا يحسبن بالياء من أسفل ، فإنه حذف المفعولين ، لدلالة مفعولى لا تحسبنهم عليهما (واختلاف الليل والنهار) ذكر فى البقرة (قياما وقعودا وعلى جن[illegible] يذكرون الله على كل حال فكأن هذه الهيآت حصر لحال بنى آدم ، وقيل إن ذلك فى الصلاة : يصلون قياما ، فإن لم يستطيعوا صلوا قعودا ، فإن لم يستطيعوا صلوا على جنوبهم (ربنا) أى يقولون . ربنا ما خلقت هذا لغير فائدة بل خلقته وخلقت البشر ، لينظروا فيه فيعرفونك (سمعنا مناديا) هو النبى صلى الله عليه وسلم (ما وعدتنا على رسلك) أى على ألسنة رسلك (من ذكر وأنثى) من لبيان الجنس ، وقيل زائدة لتقدم النفى (بعضكم من بعض) النساء والرجال سواء فى الأجور والخيرات (وأخرجوا من ديارهم) هم المهاجرون آذاهم [illegible]كون بمكة حتى خرجوا منها (ثوابا) منصوبا على المصدرية (لا يغرنك) الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أى لا تظنوا أن حال الكفار فى الدنيا دائمة فتهتموا لذلك ، وأنزل لا يغرنك منزلة لا يحزنك (متاع قليل) أى تقلبهم فى الدنيا قليل بالنظر إلى مافاتهم فى الآخرة (نزلا) منصوب على الحال من جنات أو على المصدرية (الأبرار) جمع بار وبر ، ومعناه العاملون بالبر ، وهى غاية التقوى والعمل الصالح ، قال بعضهم الأبرار : هم الذين لا يؤذون أحدا (وإن من أهل الكتاب) الآية : قيل نزلت فى النجاشى ملك الحبشة ، فإنه كان نصرانيا فأسلم ، وقيل فى عبد الله بن سلام

بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝

سورة النساء

مدنية وآياتها ١٧٦ نزلت بعد الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝

وغيره ممن أسلم من اليهود (لايشترون) مدح لهم ، وفيه تعريض لذم غيرهم ممن اشترى بآيات الله ثمنا قليلا (وصابروا) أى صابروا عدوكم فى القتال (ورابطوا) أقيموا فى الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد ، وقيل هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله ، أى معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية والأول أظهر ، قال صلى الله عليه وآله وسلم رباط يوم فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه وأما قوله فى انتظار الصلاة فذلكم الرباط فهو تشبيه بالرباط فى سبيل الله لعظم أجره ، والمرابط عند الفقهاء هو الذى يسكن الثغور فيرابط فيها وهى غير موطنه ، فأما سكانها دائما بأهلهم ومعايشهم فليسوا مرابطين ، ولكنهم حماة ، حكاه ابن عطية .

سورة النساء

(ياأيها الناس اتقوا ربكم) خطاب على العموم وقد تكلمنا على التقوى فى أول البقرة (من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام (زوجها) هى حواء خلقت من ضلع آدم (وبث) نشر (تساءلون به) أى يقول بعضكم لبعض أسألك بالله أن تفعل كذا (والأرحام) بالنصب عطفا على اسم الله أى اتقوا الأرحام فلا تقطعوها ، أو على موضع الجار والمجرور ، وهو به ، لأن موضعه نصب وقرئ بالخفض عطف على الضمير فى به ، وهو ضعيف عند البصريين ، لأن الضمير المخفوض لايعطف عليه إلا بإعادة الخافض (إن الله كان عليكم رقيبا) إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة ، وهو مقام شريف أصله علم وحال ، ثم يثمر حالين : أما العلم : فهو معرفة العبد ؛ لأن الله مطلع عليه ، ناظر إليه يرى جميع أعماله ، ويسمع جميع أقواله ، ويعلم كل مايخطر على باله ، وأما الحال فهى ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ، ولا يغفل عنه ، ولا يكفى العلم دون هذه الحال ، فإذا حصل العلم والحال : كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين : الحياء من الله ، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصى والجد فى الطاعات ، وكانت ثمرتها عند المقربين : الشهادة التى توجب التعظيم والإجلال لذى الجلال وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فقوله أن تعبد الله كأنك تراه : إشارة إلى الثمرة الثانية ، وهى المشاهدة الموجبة للتعظيم : كمن يشاهد ملكا عظيما ، فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة ، وقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك : إشارة إلى الثمرة الأولى ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة التى هى مقام المقربين ، فاعلم أنه يراك فكن من أهل الحياء الذى هو مقام أصحاب اليمين ، فلما فسر الإحسان

وَءَاتُوا الْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى الْيَتَـٰمَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ فَإِنْ

أول مرة بالمقام الأعلى: رأى أن كثيرا من الناس قد يعجزون عنه، فنزل عنه إلى المقام الآخر، واعلم أن المراقبة لاتستقيم حتى تتقدم قبلها المشارطة والمرابطة، وتتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة، فأما المشارطة: فهى اشتراط العبد على نفسه بالتزام الطاعة وترك المعاصى، وأما المرابطة. فهى معاهدة العبد لربه على ذلك، ثم بعد المشارطة والمرابطة أول الأمر تكون المراقبة إلى آخره، وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عهد عليه الله: حمد الله، وإن وجد نفسه قد حل عقد المشارطة، ونقض عهد المرابطة. عاقب النفس عقابا يزجرها عن العودة إلى مثل ذلك، ثم عاد إلى المشارطة والمرابطة وحافظ على المراقبة، ثم اختبر بالمحاسبة، فهكذا يكون حتى يلقى الله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم) خطاب للأوصياء وقيل للعرب الذين لايورثون الصغير مع الكبير أمروا أن يورثوهم، وعلى القول بأن الخطاب للأوصياء، فالمراد أن يأتوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون فى حال صغرهم، فيكون اليتيم على هذا حقيقة، وقيل المراد دفع أموالهم إليهم إذا بلغوا فيكون اليتيم على هذا مجاز لأن اليتيم قد كبر (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) كان بعضهم يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله، والدرهم الطيب بالزائف، فنهوا عن ذلك، وقيل المعنى: لا تأكلوا أموالهم وهو الخبيث، وتدعوا مالكم وهو الطيب (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) المعنى نهى أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم، وقيل نهى عن خلط أموالهم بأموال اليتامى، ثم أباح ذلك بقوله وإن تخالطوهم فإخوانكم، وإنما تعدى الفعل بإلى؛ لأنه تضمن معنى الجمع والضم وقيل بمعنى مع (حوبا) أى ذنبا (فإن خفتم أن لاتقسطوا فى اليتامى فانكحوا) الآية، قالت عائشة. نزلت فى أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال أوليائهم فيريدون أن يتزوجوهن ويبخسوهن فى الصداق مكان ولايتهم عليهم، فقيل لهم أقسطوا فى مهورهن، فمن خاف أن لايقسط فليتزوج مما طاب له من الأجنبيات اللاتى يوفهن حقوقهن، وقال ابن عباس: إن العرب كانت تتحرج فى أموال اليتامى ولا تتحرج فى العدل بين النساء، فنزلت الآية فى ذلك: أى كما تخافون أن لاتقسطوا فى اليتامى: كذلك خافوا النساء، وقيل إن الرجل منهم كان يتزوج العشرة أو أكثر، فإذا ضاق ماله أخذ من مال اليتيم، فقيل لهم إن خفتم أن لاتقسطوا فى اليتامى فاقتصروا فى النساء على ماطاب: أى ماحل، وإنما قال ما، ولم يقل من: لأنه أراد الجنس، وقال الزمخشرى لأن الإناث من العقلاء يجرى مجرى غير العقلاء، ومنه قوله وماملكت أيمانكم (مثنى وثلاث ورباع) لاينصرف للعدل والوصف، وهى حال من ماطاب، وقال ابن عطية بدل، وهى عدل عن أعداد مكررة، ومعنى التكرار فيها أن الخطاب لجماعة، فيجوز لكل واحد منهم أن ينكح ما أراد من تلك الأعداد، فتكررت الأعداد بتكرار الناس، والمعنى أنكحوا اثنتين أو ثلاث أو أربعا وفى ذلك منع لما كان فى الجاهلية من تزوج مازاد على الأربع، وقال قوم لايعبأ بقولهم: إنه يجوز الجمع بين تسع لأن مثنى وثلاث ورباع: يجمع فيه تسعة، وهذا خطأ، لأن المراد التخيير بين تلك الأعداد لا الجمع، ولو أراد الجمع لقال تسع ولم يعدل عن ذلك إلى ماهو أطول منه وأقل بيانا، وأيضا قد انعقد الإجماع

Marfat.com

خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمنكم ذلك أدنى ألا تعولوا * وءاتوا النساء صدقتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا * ولا تؤتوا السفهاء أمولكم التي جعل الله لكم قيما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا * وابتلوا اليتمى حتى إذا بلغوا النكاح فإن ءانستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أمولهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أمولهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا * للرجال

على تحريم مازاد على الرابعة (فواحدة) أى إن خفتم أن لا تعدلوا بين الاثنين أو الثلاث أو الأربع: فاقتصروا على واحدة، أو على ماملكت أيمانكم من قليل أوكثير. رغبة فى العدول وانتصاب واحدة بفعل مضمر تقديره فانكحوا واحدة (ذلك أدنى ألا تعولوا) الإشارة إلى الاقتصار على الواحدة، والمعنى أن ذلك أقرب إلى أن لاتعولوا ومعنى تعولوا: تميلوا، وقيل يكثر عيالكم (وآتوا النساء صدقاتهن) خطاب الأزواج، وقيل الأولياء، لأن بعضهم كان يأكل صداق وليته، وقيل نهى عن الشغار (نحلة) أى عطية منكم لهن، أو عطية من الله، وقيل معنى نحلة أى شرعة وديانة، وانتصابه على المصدر من معنى آتوهن أو على الحال من ضمير المخاطبين (فإن طبن لكم) الآية: إباحة للأزواج والأولياء على ماتقدم من الخلاف أن يأخذوا مادفعه النساء من صدقاتهن عن طيب أنفسهن والضمير فى منه يعود على الصداق أو على الإيتاء. (هنيئا مريئا) عبارة عن التحليل، ومبالغة فى الإباحة وهما صفتان من قولك هنؤ الطعام ومرؤ: إذا كان سائغا لا تنغيص فيه، وهما وصف للمصدر: أى أكلا هنيئا أو حال من ضمير الفاعل، وقيل يوقف على فكلوه ويبدأ هنيا مريئا على الدعاء (ولا تؤتوا السفهاء) قيل هم أولاد الرجل وامرأته: أى لا تؤتوهم أموالكم للتبذير، وقيل السفهاء المحجورون، وأموالكم. أموال المحجورين، وأضافها إلى المخاطبين لأنهم ناظرون عليها وتحت أيديهم (قياما) جمع قيمة، وقيل بمعنى قياما بألف. أى تقوم بها معايشكم (وارزقوهم فيها واكسوهم) قيل إنها فيمن تلزم الرجل نفقته من زوجته وأولاده، وقيل فى المحجورين يرزقون ويكسون من أموالهم (وقولوا لهم قولا معروفا) أى ادعوا لهم بخير، أو عدوهم وعدا جميلا: أى إن شئتم دفعنا لكم أموالكم (وابتلوا اليتامى) أى اختبروا رشدهم (بلغوا النكاح) بلغوا مبلغ الرجال (فإن آنستم منهم رشدا) الرشد هو المعرفة بصالحه وتدبير ماله، وإن لم يكن من أهل الدين، واشترط قوم الدين، واعتبر مالك البلوغ والرشد، وحينئذ يدفع المال واعتبر أبو حنيفة البلوغ وحده مالم يظهر سفه، وقوله مخالف للقرآن (وبدارا أن يكبروا) ومعناه مبادرة لكبرهم أى أن الوصى يستغنم أكل مال اليتيم قبل أن يكبر وموضع أن يكبروا نصب على المفعولية ببدارا أو على المفعول من أجله تقديره مخافة أن يكبروا (فليستعفف) أمر الوصى الغنى أن يستعفف عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئا (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) قال عمر بن الخطاب المعنى أن يستسلف الوصى الفقير من مال اليتيم، فإذا أيسر رده، وقيل المراد أن يكون له أجرة بقدر عمله وخدمته، ومعنى بالمعروف من غير إسراف، وقيل نسختها: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما (فأشهدوا عليهم) أمر بالتحرز والحرز فهو

Marfat.com

نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۞ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۞ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً

ندب، وقيل فرض (للرجال نصيب) الآية: سببها أن بعض العرب كانوا لا يورثون النساء فنزلت الآية ليرث الرجال النساء (نصيبا مفروضا) منصوب انتصاب المصدر المؤكد لقوله: فريضة من الله، وقال الزمخشري منصوب على التخصيص، أعني بمعنى نصيبا (وإذا حضر القسمة) الآية: خطاب للوارثين أمروا أن يتصدقوا من الميراث على قرابتهم، وعلى اليتامى وعلى المساكين، فقيل إن ذلك على الوجوب، وقيل على الندب وهو الصحيح، وقيل نسخ بآية المواريث (وليخش الذين) الآية: معناها الأمر لأولياء اليتامى أن يحسنوا إليهم في نظير أموالهم، فيخافوا الله، على أيتامهم. كخوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا، ويقدروا ذلك في أنفسهم حتى لا يفعلوا خلاف الشفقة والرحمة، وقيل الذين يجلسون إلى المريض فيأمروه أن يتصدق بماله حتى يجحف بورثته، فأمروا أن يخشوا على الورثة كما يخشوا على أولادهم، وحذف مفعول وليخش. وخافوا جواب لو (قولا سديداً) على القول الأول ملاطفة الوصي لليتيم بالكلام الحسن، وعلى القول الثاني أن يقول للموروث لا تسرف في وصيتك وارفق بورثتك (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما قيل نزلت في الذين لا يورثون الإناث، وقيل في الأوصياء، ولفظها عام في كل من أكل مال اليتيم بغير حق (إنما يأكلون في بطونهم نارا) أي أكلهم لمال اليتامى يؤول إلى دخولهم النار، وقيل يأكلون النار في جهنم (يوصيكم الله في أولادكم) هذه الآية نزلت بسبب بنات سعد بن الربيع، وقيل بسبب جابر بن عبدالله، إذ عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه ورفعت ما كان في الجاهلية من توريث النساء والأطفال، وقيل نسخت الوصية للوالدين والأقربين وإنما قال يوصيكم بلفظ الفعل الدائم ولم يقل أوصاكم تنبيها على ما مضى، والشروع في حكم آخر وإنما قال يوصيكم الله بالاسم الظاهر، ولم يقل يوصيكم لأنه أراد تعظيم الوصية، فجاء بالاسم الذي هو أعظم الأسماء وإنما قال في أولادكم ولم يقل في أبنائكم، لأن الابن يقع على الابن من الرضاعة، وعلى ابن البنت، وعلى ابن المتبنى وليسوا من الورثة (للذكر مثل حظ الأنثيين) هذا بيان للوصية المذكورة، فإن قيل: هلا قال للأنثيين مثل حظ الذكر، أو للأنثى نصف حظ الذكر؟ فالجواب: أنه بدأ بالذكر لفضله، ولأن القصد ذكر حظه ولو قال للأنثيين مثل حظ الذكر، لكان فيه تفضيل للإناث (فإن كن نساء) إنما أنث ضمير الجماعة في كن، لأنه قصد الإناث، وأصله أن يعود على الأولاد، لأنه يشمل الذكور والإناث، وقيل يعود على المتروكات، وأجاز الزمخشري أن تكون كان تامة والضمير مبهم ونساء تفسير (فوق اثنتين) ظاهره أكثر من اثنتين، ولذلك أجمع على أن للثلاث فما فوقهن الثلثان، وأما البنتان فاختلف فيهما، فقال ابن عباس لهما النصف كالبنت

Marfat.com

فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن

الواحدة وقال الجمهور الثلثان، وتأولوا فوق اثنتين أن المراد اثنتان فما فوقهما، وقال قوم إن فوق زائدة كقوله فاضربوا فوق الأعناق وهذا ضعيف وقال قوم إنما وجب لهما الثلثان بالسنة لا بالقرآن وقيل بالقياس على الأختين (وإن كانت واحدة) بالرفع فاعل، وكان تامة، وبالنصب خبر كان، وقوله تعالى فلهما النصف نص على أن للبنت النصف إذا انفردت، ودليل على أن للابن جميع المال إذا انفرد لأن للذكر مثل حظ الأنثيين (إن كان له ولد) الولد يقع على الذكر والأنثى والواحد والاثنين والجماعة سواء كان للصلب، أو ولد ابن، وكلهم يرد الأبوين إلى السدس (وورثه أبواه فلأمه الثلث) لم يجعل الله للأم الثلث إلا بشرطين، أحدهما، عدم الولد، والآخر إحاطة الأبوين بالميراث، ولذلك دخلت الواو لعطف أحد الشرطين على الآخر، وسكت عن حظ الأب استغناء بمفهومه، لأنه لا يبقى بعد الثلث إلا الثلثان ولا وارث إلا الأبوان، فاقتضى ذلك أن الأب يأخذ بقية المال وهو الثلثان (فإن كان له إخوة فلأمه السدس) أجمع العلماء على أن ثلاثة من الإخوة يردون الأم إلى السدس، واختلفوا في الإثنين فذهب الجمهور أنهما يردانها إلى السدس، ومذهب ابن عباس أنهما لا يردانها إليه، بل هما كالأخ الواحد وحجته أن لفظ الإخوة لا يقع على الاثنين لأنه جمع لا تثنية وأقل الجمع ثلاثة وقال غيره إن لفظ الجمع قد يقع على الاثنين. كقوله وكنا لحكمهم شاهدين، وتسوروا المحراب، وأطراف النهار، واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم: الاثنان فما فوقهما جماعة، وقال مالك: مضت السنة أن الإخوة اثنان فصاعدا، ومذهبه أن أقل الجمع اثنان، فعلى هذا يحجب الأبوان من الثلث إلى السدس، سواء كانا شقيقين أو لأب أو لأم أو مختلفين، وسواء كانا ذكرين أو أنثيين أو ذكر أو أنثى، فإن كان معهما أب: ورث بقية المال، ولم يكن للإخوة شيء عند الجمهور، فهم يحجبون الأم، ولا يرثون، وقال قوم يأخذون السدس الذي حجبوه عن الأم، وإن لم يكن أب ورثوا (من بعد وصية يوصى بها أو دين) قوله من بعد يتعلق بالاستقرار المضمر في قوله: فلهن ثلثا ما ترك: أي استقر لهن الثلثان من بعد وصية، ويمتنع أن يتعلق بترك، وفاعل يوصي الميت، وإنما قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة: اهتماما بها، وتأكيدا للأمر بها، ولئلا يتهاون بها وأخر الدين: لأن صاحبه يتقاضاه، فلا يحتاج إلى تأكيد في الأمر بإخراجه وتخرج الوصية من الثلث، والدين من رأس المال بعد الكفن؛ وإنما ذكر الوصية والدين نكرتين: ليدل على أنهما قد يكونان وقد لا يكونان فدل ذلك على وجوب الوصية (أقرب لكم نفعا) قيل بالإنفاق إذا احتيج إليه، وقيل بالشفاعة في الآخرة، ويحتمل أن يريد نفعا بالميراث من ماله، وهو أليق بسياق الكلام (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) الآية خطاب الرجال وأجمع العلماء على ما تضمنته هذه الآية من ميراث الزوج والزوجة، وأن ميراث الزوجة تنفرد به إن كانت واحدة، ويقسم بينهن إن كن أكثر من واحدة، ولا ينقص عن ميراث الزوج والزوجة وسائر السهام، إلا ما نقصه العول على مذهب جمهور العلماء، خلافا لابن عباس،

لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم * تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم * ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين * والتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن

فإنه لايقول بالعول فإن قيل : لم كرر قوله : من بعد وصية ، مع ميراث الزوج وميراث الزوجة ، ولم يذكره قبل ذلك إلا مرة واحدة فى ميراث الأولاد والأبوين ، فالجواب أن الموروث فى ميراث الزوج هو الزوجة ، والموروث فى ميراث الزوجة هو الزوج ، وكل واحدة قضية على انفرادها ، فلذلك ذكر ذلك مع كل واحدة بخلاف الأولى ، فإن الموروث فيها واحد ، ذكر حكم مايرث منه أولاده وأبواه ، وهى قضية واحدة ، فلذلك قال فيها من بعد وصية مرة واحدة (وإن كان رجل يورث كلالة) الكلالة هى انقطاع عمود النسب وهو خلو الميت عن ولد ووالد ، ويحتمل أن تطلق هنا على الميت الموروث ، أو على الورثة ، أو على القرابة ، أو على المال : بأن كانت على الميت ، فإعرابها خبر كان ، ويورث فى موضع الصفة أو يورث خبر كان ، وكلالة : حال من الضمير فى يورث ، أو تكون كان تامة ، ويورث فى موضع الصفة ، وكلالة حال من الضمير ، وإن كانت الورثة فهى مصدر فى موضع الحال وإن كانت للقرابة فهى مفعول من أجله ، وإن كانت للمال فهى مفعول ليورث ، وكل وجه من هذه الوجوه على أن تكون كان تامة ، ويورث فى موضع الصفة ، وأن تكون ناقصة ويورث خبرها (وله أخ أو أخت) المراد هنا الأخ للأم والأخت للأم بإجماع وقرأ سعد بن أبى وقاص : وله أخ أو أخت لأمه ، وذلك تفسير للمعنى (فكل واحد منهما السدس) إذا كان الأخ للأم واحد فله السدس ، وكذلك إذا كانت الأخت للأم واحدة (فهم شركاء فى الثلث) إذا كان الإخوة للأم اثنين فصاعدا : فلهما الثلث بالسواء بين الذكر والأنثى ، لأن قوله شركاء . يقتضى التسوية بينهم ، ولاخلاف فى ذلك (غير مضار) منصوب على الحال والعامل فيه يوصى ومضار اسم فاعل ، قال ابن عباس الضرار فى الوصية من الكبائر ، ووجوه المضار كثيرة : منها الوصية لوارث ، والوصية بأكثر من الثلث أو بالثلث فرارا عن وارث محتاج ، فإن علم أنه قصد بوصيته الإضرار رد مازاد على الثلث اتفاقا ، واختلف هل يرد الثلث على قولين فى المذهب ، والمشهور أنه ينفذ (وصية من الله) مصدر مؤكد لقوله يوصيكم الله ويجوز أن ينتصب بغير مصدر (تلك حدود الله) إشارة إلى ماتقدم من المواريث وغيرها (ومن يعص الله ورسوله) الآية : تعلق بها المعتزلة فى قولهم إن العصاة من المؤمنين يخلدون فى النار ، وتأولها الأشعرية على أنها فى الكفار (يأتين الفاحشة) هى هنا الزنا (من نسائكم) أو من المسلمات ؛ لأن المسلمة تحد حد الزنا ،

Marfat.com

الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا * وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا * إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ

وأما الكافر أو الكافرة فاختلف هل يحد أو يعاقب (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) قيل إنما جعل شهداء الزنا أربعة تغليظا على المدعى وستراً على العباد ، وقيل ليكون شاهدان على كل واحد من الزانيين (فأمسكوهن فى البيوت) كانت عقوبة الزنا الإمساك فى البيوت ، ثم نسخ ذلك بالأذى المذكور بعد هذا ، وهو السب والتوبيخ ، وقيل الإمساك للنساء والأذى للرجال فلا نسخ بينهما ورجحه ابن عطية بقوله فى الإمساك من نسائكم ، وفى الأذى منكم ، ثم نسخ الإمساك والأذى بالرجم للمحصن وبالجلد لغير المحصن ، واستقر الأمر على ذلك ، وأما الجلد فمذكور فى سورة النور ، وأما الرجم فقد كان فى القرآن ثم نسخ لفظه وبقى حكمه ، وقد رجم صلى الله عليه وسلم ماعز الأسلمى وغيره (فأعرضوا عنهما) لما أمر بالأذى للزانى أمر بالإعراض عنه إذا تاب ، وهو ترك الأذى (إنما التوبة على الله) أى إنما يقبل الله توبة من كان على هذه الصفة ، وإذا تاب العبد توبة صحيحة بشروطها فيقطع بقبول الله لتوبته عند جمهور العلماء ، وقال أبو المعالى يغلب ذلك على الظن ولا يقطع به (يعملون السوء بجهالة) أى بسفاهة وقلة تحصيل أداة إلى المعصية ، وليس المعنى أنه يجهل أن ذلك الفعل يكون معصية ، قال أبو العالية . أجمع الصحابة على أن كل معصية فهى بجهالة ، سواء كانت عمداً أو جهلا (ثم يتوبون من قريب) قيل قبل المرض والموت . وقيل قبل السياق ، ومعاينة الملائكة ، وفى هذا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر (وليست التوبة) الآية : فى الذين يصرون على الذنوب إلى حين لا تقبل التوبة ، وهو معاينة الموت فإن كانوا كفارا فهم مخلدون فى النار بإجماع ، وإن كانوا مسلمين فهم فى مشيئة الله إن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم . فقوله أعتدنا لهم عذابا أليما : ثابت فى حق الكفار ومنسوخ فى حق العصاة من المسلمين ، بقوله : إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء . فعذابهم مقيد بالمشيئة (لا يحل لكم أن ترثوا النساء) قال ابن عباس : كانوا فى الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاؤا تزوجها أحدهم ، وإن شاؤا زوجوها من غيرهم ، وإن شاؤا منعوها التزوج ، فنزلت الآية فى ذلك ، فمعنى الآية على هذا : لا يحل لكم أن تجعلوا النساء يورثن عن الرجال ، كما يورث المال ، وقيل الخطاب للأزواج الذين يمسكون المرأة فى العصمة ليرثوا مالها من غير غبطة بها ، وقيل الخطاب للأولياء الذين يمنعون ولياتهم من التزوج ليرثوهن دون الزوج (ولا تعضلوهن) معطوف على أن ترثوا ، أو نهى والعضل المنع ، قال ابن عباس : هى أيضا فى أولياء الزوج الذين يمنعون زوجته من التزوج بعد موته ، إلا أن قوله ما آتيتموهن على هذا معناه

Marfat.com

مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا *
وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا
وَإِثْمًا مُّبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا * وَلَا تَنكِحُوا
مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ

ما آتاها الرجل الذى مات ، وقال ابن عباس : هى فى الأزواج الذين يمسكون المرأة ويسيئون عشرتها حتى تفتدى بصداقها ، وهو ظاهر اللفظ فى قوله ما آتيتموهن ، ويقويه قوله : وعاشروهن بالمعروف . فإن الأظهر فيه أن يكون فى الأزواج ، وقد يكون فى غيرهم ، وقيل هى للأولياء (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) قيل الفاحشة هنا الزنا ، وقيل نشوز المرأة وبغضها فى زوجها . فإذا نشزت جاز له أن يأخذ ما آتاها من صداق أو غير ذلك من مالها وهذا جائز على مذهب مالك فى الخلع ، إذا كان الضرر من المرأة ، والزنا أصعب على الزوج من النشوز ، فيجوز له أخذ الفدية (فإن كرهتموهن) الآية : معناها إن كرهتم النساء لوجه فاصبروا عليه ، فعسى أن يجعل الله الخير فى وجه آخر ، وقيل الخير الكثير الولد ، والأحسن العموم ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يترك مؤمن مؤمنة ، إن سخط منها خلقا رضى آخر (وإن أردتم استبدال زوج) الآية : معناها المنع من أن يأخذ الرجل من المرأة فدية على الطلاق إن أراد أن يبدلها بأخرى وعلى هذا جرى مذهب مالك وغيره فى المنع من الفدية إذا كان الضرر وأرادت الفراق من الزوج ، فقال قوم إن هذه الآية منسوخة بقوله فى البقرة فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، وقال قوم هى ناسخة ، والصحيح أنها غير ناسخة ولا منسوخة ، فإن جواز الفدية على وجه ومنعها على وجه ، فلا تعارض ولا نسخ (قنطارا) مثال على جهة المبالغة فى الكثرة ، وقد استدلت به المرأة على جواز المغالاة فى المهور حين نهى عمر بن الخطاب عن ذلك فقال عمر رضى الله عنه امرأة أصابت ، ورجل أخطأ ، كل الناس أفقه منك يا عمر (أفضى بعضكم إلى بعض) كناية عن الجماع (ميثاقا غليظا) قيل عقدة النكاح ، وقيل قوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، وقيل الأمر بحسن العشرة (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) كان بعض العرب يتزوج امرأة أبيه بعده فنزلت الآية تحريما لذلك ، فكل امرأة تزوجها رجل حرمت على أولاده ماسفلوا ، سواء دخل بها أو لم يدخل ، فالنكاح فى الآية بمعنى العقد ، وما نكح : يعنى النساء ، وإنما أطلق عليهن ما ، وإن كن ممن يعقل : لأن المراد الجنس فإن زنى رجل بامرأة فاختلف هل يحرم تزوجها على أولاده أم لا : فحرمه أبو حنيفة ، وأجازه الشافعى ، وفى المذهب قولان : واحتج من حرمه بهذه الآية وحمل النكاح فيها على الوطء وقال من أجازه إن الآية لا تتناوله إذ النكاح فيها بمعنى العقد (إلا ما قد سلف) أى إلا ما فعلتم فى الجاهلية من ذلك ، وانقطع بالإسلام فقد عفى عنه فلا تؤاخذون به ، ويدل على هذا قوله : إن الله كان غفوراً رحيما بعد قوله إلا ما قد سلف فى المرأة الأخرى فى الجمع بين الأختين قال ابن عباس كانت العرب تحرم كل ما حرمته الشريعة إلا امرأة الأب ، والجمع بين الأختين ، وقيل المعنى : إلا ما قد سلف فانكحوه إن أمكنكم ، وذلك غير ممكن ؛ فالمعنى المبالغة فى التحريم (إنه كان فاحشة ومقتا) كان فى هذه الآية تقتضى الدوام كقوله : إن الله كان غفوراً رحيما ، وشبه ذلك وقال

أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ الَّتِى أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ الَّتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ الَّتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ

المبرد هى زائدة وذلك خطأ لوجود خبرها منصوبا ، وزاد هـذا المقت على ماوصف من الزنا فى قوله تعالى إنه كا فاحشـة ومقتا وساء سبيلا : دلالة على أن هـذا أقبح من الزنا (حرمت عليكم) الآية . معناها تحريم ماذكر من النساء ، والنساء المحرمات على التأبيـد ثلاثة أصـناف : بالنسب ، وبالرضاع ، وبالمصاهرة . فأما النسب فيحرم به سبعة أصناف ، وهى المـذكورة فى هذه الآية ، وضابطها أنه يحرم على الرجل فصوله ماسفلت ، وأصوله ماعلت ، وفصول أبويه ماسفلت وأول فصل من كل أصل متقـدم على أبويه (أمهاتكم) يدخل فيه الوالدة والجدة من قبل الأم والأب ماعلون (وبناتكم) يدخل فيه البنت وبنت الابن وبنت البنت ماسفلن (وأخواتكم) يدخل فيه الأخت الشـقيقة ؛ أو لأب أو لأم (وعمـاتكم) يدخل فيـه أخت الوالد ، وأخت الجد ماعلا ، سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم (وخالاتكم) يدخل فيه أخت الأم وأخت الجد ماعلت سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم (وبنات الأخ) يدخل فيه كل من تناسل من الأخ الشقيق أو لأب أو لأم (وبنات الأخت) يدخل فيه كل ماتناسل من الأخت الشقيقة أو لأب أو لأم (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) ذكر تعالى صنفين من الرضاعة وهم الأم والأخت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحرم من الرضاع مايحرم من النسب ، فاقتضى ذلك تحريم الأصناف السبعة التى تحرم من النسب وهى الأم والبنت والأخت والعمة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت وتفصيل ذلك يطول ، وفى الرضاع مسائل لم نذكرها لأنها ليس لها تعلق بألفاظ الآية (وأمهات نسائكم) المحرمات بالمصاهرة أربع : وهن زوجة الأب ، وزجة الابن ، وأم الزوجة ، وبنت الزوجة ، وأما الثلاث الأول فتحرم بالعقد دخل بها أم لم يدخل بها ، وأما بنت الزوجة فلا تحرم إلا بعد الدخول بأمها ، فإن وطئها حرمت عليه بنتها بالإجماع ، وإن تلذذ بها بمـادون الوطء فحرمها مالك والجمهور وإن عقد عليها ولم يدخل بها : لم تحرم بنتها إجماعا ، وتحرم هذه الأربع بالرضاع كما تحرم بالنسب (وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم) الربيبة هى بنت امرأة الرجل من غيره : سميت بذلك لأنه يربيها فلفظها فعيلة بمعنى مفعولة ، وقوله اللاتى فى حجوركم على غالب الأمر إذ الأكثر أن تكون الربيبة فى حجر زوج أمها ، وهى محرمة سواء كانت فى حجره أم لا ، هذا عند الجمهور من العلماء ، إلا ماروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه أجاز نكاحها إن لم تكن فى حجره (اللاتى دخلتم بهن) اشترط الدخول فى تحريم بنت الزوجة ، ولم يشترط فى غيرها ، وعلى ذلك جمهور العلماء إلا ماروى عن على بن أبى طالب أنه اشترط الدخول فى تحريم الجميع ، وقد انعقد الإجماع بعد ذلك (وحلائل أبنائكم) الحلائل جمع حليلة وهى الزوجة (الذين من أصلابكم) تخصيص ليخرج عنه زوجة الابن يتبناه الرجل ، وهو أجنبى عنه كتزويج رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم زينب بنت جحش امرأة زيد بن حارثة الكلبى الذى كان يقال له زيد ابن محمد صلى الله تعالى عليه آله وسلم (وأن تجمعوا بين الأختين) يقتضى تحريم الجمع بين الأختين سواء كانتا شقيقتين أو لأب أو لأم وذلك

Marfat.com

إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ النِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِ مِنۢ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَٰتِ الْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ الْمُؤْمِنَٰتِ وَاللَّهُ

فى الزوجتين ، وأما الجمع بين الأختين المملوكتين فى الوطء فمنعه مالك والشافعى وأبو حنيفة وغيرهم ، ورأوا أنه داخل فى عموم لفظ الأختين ، وأجازه الظاهرية لأنهم قصروا الآية على الجمع بالنكاح ، وأما الجمع بين الأختين فى الملك دون وطء فجائز باتفاق (إلا ما قد سلف) المعنى إلا ما فعلتم من ذلك فى الجاهلية وانقطع بالاسلام فقد عفى عنكم فلا تؤاخذون به ، وهذا أرجح الأقوال حسبما تقدم فى الموضع الأول (والمحصنات من النساء) المراد هنا ذوات الأزواج وهو معطوف على المحرمات المذكورة قبله ، والمعنى أنه لا يحل نكاح المرأة إذا كانت فى عصمة الرجل (إلا ما ملكت أيمانكم) يريد السبايا فى أشهر الأقوال ، والاستثناء متصل والمعنى أن المرأة الكافرة إذا كان لها زوج ، ثم سبيت : جاز لمن ملكها من المسلمين أن يطأها ، وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث جيشاً إلى أوطاس فأصابوا سبايا من العدو لهن أزواج من المشركين فتأثم المسلمون من غشيانهن ، فنزلت الآية مبيحة لذلك ، ومذهب مالك أن السبي يهدم النكاح سواء سبي الزوجان الكافران معاً أو سبي أحدهما قبل الآخر ، وقال ابن المواز : لا يهدم السبي النكاح (كتاب الله عليكم) منصوب على المصدرية : أى كتب الله عليكم كتاباً وهو تحريم ما حرم ؛ وهو عند الكوفيين منصوب على الاغراء (وأحل لكم ما وراء ذلكم) معناه أحلّ لكم تزويج من سوى ما حرم من النساء ، وعطف أحل على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله ، والفاعل هو الله أى كتب الله عليكم تحريم من ذكر ، وأحل لكم ماوراء ذلكم (أن تبتغوا) مفعول من أجله ، أو بدل مما وراء ذلكم ، وحذف مفعوله وهو النساء (محصنين) هنا العفة ، ونصبه على الحال من الفاعل فى تبتغوا (غير مسافحين) أى غير زناة ، والسفاح الزنا (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) قال ابن عباس وغيره . معناها إذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء فقد وجب إعطاء الأجر وهو الصداق كاملا وقيل إنها فى نكاح المتعة وهو النكاح إلى أجل من غير ميراث ، وكان جائزاً فى أول الإسلام فنزلت هذه الآية فى وجوب الصداق فيه ، ثم حرم عند جمهور العلماء ، فالآية على هذا منسوخة بالخبر الثابت فى تحريم نكاح المتعة ، وقيل نسخها آية الفرائض لأن نكاح المتعة لا ميراث فيه ، وقيل نسختها «والذين هم لفروجهم حافظون» وروى عن ابن عباس جواز نكاح المتعة ، وروى أنه رجع عنه (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به) من قال إن الآية المتقدمة فى مهور النساء فمعنى هذه جواز ما يتراضون به من حط النساء من الصداق أو تأخيره بعد استقرار الفريضة ومن قال إن الآية فى نكاح المتعة . فمعنى هذا جواز ما يتراضون به من زيادة فى مدة المتعة وزيادة فى الأجر (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) معناها إباحة تزويج الفتيات وهن الإماء للرجل إذا لم يجد طولا للمحصنات ، والطول هنا هو السعة فى المال والمحصنات هنا يراد بهن الحرائر غير المملوكات ومذهب مالك وأكثر أصحابه أنه لا يجوز

Marfat.com

أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَـٰتٍ غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

للحر نكاح أمة إلا بشرطين : أحدهما عدم الطول ؛ وهو ألا يجد مايتزوج به حرة ، والآخر خوف العنت وهو الزنا لقوله بعد هذا : ذلك لمن خشي العنت منكم ، وأجاز ابن القاسم نكاحهن دون الشرطين على القول بأن دليل الخطاب لا يعتبر ، واتفقوا على اشتراط الإسلام فى الأمة التى تتزوج لقوله تعالى « من فتياتكم المؤمنات » إلا أهل العراق فلم يشترطوه ، وإعراب طولا : مفعولا بالاستطاعة وأن ينكح بدل منه وهو فى موضع نصب بتقدير لأن ينكح ؛ ويحتمل أن يكون طولا منصوبا على المصدر والعامل فيه الاستطاعة لأنها بمعنى يتقارب ، وأن ينكح على هذا مفعول بالاستطاعة أو بالمصدر (والله أعلم بإيمانكم) معناه أنه يعلم بواطن الأمور ولكم ظواهرها ، فإذا كانت الأمة ظاهرة الإيمان ، فنكاحها صحيح ، وعلم باطنها إلى الله . (بعضكم من بعض) أى إماؤكم منكم ، وهذا تأنيس بنكاح الإماء ، لأن بعض العرب كان يأنف من ذلك (فانكحوهن بإذن أهلهن) أى بإذن ساداتهن المالكين لهن (وآتوهن أجورهن) أى صدقاتهن ، وهذا يقتضى أنهن أحق بصدقاتهن من ساداتهن ، وهو مذهب مالك (بالمعروف) أى بالشرع على ماتقتضيه السنة (محصنات غير مسافحات) أى عفيفات غير زانيات ، وهو منصوب على الحال والعامل فيه فانكحوهن (ولا متخذات أخدان) جمع خدن وهو الخليل ، وكان من نساء الجاهلية من تتخذ خدنا تزنى معه خاصة ، ومنهن من كانت لا ترد يد لامس (فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) معنى ذلك أن الأمة إذا زنت بعد أن أحصنت فعليها نصف حد الحرة ، فإن الحرة تجلد فى الزنا مائة جلدة ، والأمة تجلد خمسين ، فإذا أحصن يريد به هنا تزوجن ، والفاحشة هنا الزنا ، والمحصنات هنا الحرائر ، والعذاب هنا الحد فاقتضت الآية حد الأمة إذا زنت بعد أن تزوجت ويؤخذ حد غير المتزوجة من السنة وهو مثل حد المتزوجة وهذا على قراءة أحصن بضم الهمزة و كسر الصاد ، وقرئ بفتحهما ، ومعناه أسلمن ، وقيل تزوجن (ذلك لمن خشي العنت منكم) الإشارة إلى تزوج الأمة أى إنما يجوز لمن خشي على نفسه الزنا ، لا لمن يملك نفسه (وأن تصبروا خير لكم) المراد الصبر عن نكاح الإماء ، وهذا يندب إلى تركه ، وعلته مايؤدى إليه من استرقاق الولد (يريد الله ليبين لكم) قال الزمخشرى أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت فى لا أبا لك لتأكيد إضافة الأب ، وقال الكوفيون اللام مصدرية مثل أن (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) أى يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم (والله يريد أن يتوب عليكم) كرر توطئة لفساد إرادة الذين يتبعون الشهوات ، وهم هنا الزناة عند مجاهد ، وقيل المجوس لنكاحهم ذات المحارم ، وقيل عام فى كل

Marfat.com

لَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا * وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ

متبع شهوة وهو أرجح (يريد الله أن يخفف عنكم) يقتضى سياق الكلام التخفيف الذى وقع فى إباحة نكاح الإماء وهو مع ذلك عام فى كل ماخفف الله عن عباده ، وجعل دينه يسرا (وخلق الإنسان ضعيفا) قيل معناه لايصبر على النساء ، وذلك مقتضى سياق الكلام ، واللفظ أعم من ذلك (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) يدخل فيه القمار والغصب والسرقة وغير ذلك (إلا أن تكون تجارة) استثناء منقطع والمعنى لكن إن كانت تجارة فكلوها ، وفى إباحة التجارة دليل على أنه يجوز للإنسان أن يشترى بدرهم سلعة تساوى مائة ، والمشهور إمضاء البيع ، وحكى عن ابن وهب أنه يرد إذا كان الغبن أكثر من الثلث وموضع أن نصب ، وتجارة بالرفع فاعل تكون وهى تامة ، وقرئ بالنصب خبر تكون وهى ناقصة (عن تراض منكم) أى اتفاق وبهذا استدل المالكية على تمام البيع بالعقد دون التفرق وقال الشافعى : إنما يتم بالتفرق بالأبدان ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : المتبايعان بالخيار مالم يتفرقا (ولا تقتلوا أنفسكم) قال ابن عطية ، أجمع المفسرون أن المعنى : لا يقتل بعضكم بعضا ، قلت ولفظها يتناول قتل الإنسان لنفسه ، وقد حملها عمرو بن العاص على ذلك ، ولم ينكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ سمعه (ومن يفعل ذلك) إشارة إلى القتل ، لأنه أقرب مذكور ، وقيل إليه وإلى أكل المال بالباطل ، وقيل إلى كل ماتقدم من المنهيات من أول السورة (إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) اختلف الناس فى الكبائر ماهى . فقال ابن عباس : الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب ، وقال ابن مسعود الكبائر هى الذنوب المذكورة من أول هذه السورة إلى أول هذه الآية ، وقال بعض العلماء : كل ماعصى الله فهو كبيرة ، وعدها بعضهم سبعة عشر ، وفى البخارى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : اتقوا السبع الموبقات : الإشراك بالله والسحر ، وقتل النفس ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات ، فلا شك أن هذه من الكبائر للنص عليها فى الحديث ، وزاد بعضهم عليها أشياء ، وورد فى الأحاديث النص على أنها كبائر ، وورد فى القرآن أو فى الحديث وعيد عليها ، فمنها عقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، واليمين الغموس والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، والنهبة ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن مكر الله ، ومنع ابن السبيل الماء والإلحاد فى البيت الحرام ، والنميمة ، وترك التحرز من البول والغلول واستطالة المرء فى عرض أخيه ، والجور فى الحكم (نكفر عنكم سيئاتكم) وعد بغفران الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر (مدخلا كريما) اسم مكان وهو هنا الجنة (ولا تتمنوا) الآية : سببها أن النساء قلن ليتنا استوينا مع الرجال فى الميراث وشاركناهم فى الغزو ، فنزلت نهيا عن ذلك لأن فى تمنيهم رد على حكم الشريعة ، فيدخل فى النهى تمنى مخالفة الأحكام الشرعية كلها (للرجال نصيب مما اكتسبوا) الآية : أى من الأجر والحسنات ، وقيل من الميراث ،

اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا * الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ

ويرده لفظ الاكتساب (ولكل جعلنا موالى) الآية : فى معناه وجهان : أحدهما لكل شىء من الأموال جعلنا موالى يرثونه ، فمما ترك على هذا بيان لكل ، والآخر لكل أحد جعلنا موالى يرثون مما ترك الوالدان والأقربون . فمما ترك على هذا : يتعلق بفعل مضمر ، والموالى هنا الورثة والعصبة (والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) اختلف هل هى منسوخة أو محكمة فالذين قالوا إنها منسوخة قالوا معناها الميراث بالحلف الذى كان فى الجاهلية ، وقيل بالمؤاخاة التى آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بين أصحابه ، ثم نسخها . وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ، فصار الميراث للأقارب والذين قالوا إنها محكمة : اختلفوا ، فقال ابن عباس هى فى المؤازرة والنصرة بالحلف لا فى الميراث به ، وقال أبو حنيفة : هى فى الميراث ، وأن الرجلين إذا والى أحدهما الآخر ، على أن يتوارثا صح ذلك ، وإن لم تكن بينهما قرابة (الرجال قوامون على النساء) قوام بناء مبالغة من القيام على الشىء والاستبداد بالنظر فيه ، قال ابن عباس : الرجال أمراء على النساء (بما فضل الله) الباء للتعليل ، وما مصدرية ، والتفضيل بالإمامة والجهاد ، وملك الطلاق وكمال العقل وغير ذلك (وبما أنفقوا) هو الصداق والنفقة المستمرة (فالصالحات قانتات) أى النساء الصالحات فى دينهن مطيعات لأزواجهن أو مطيعة لله فى حق أزواجهن (حافظات للغيب) أى تحفظ كلما غاب عن علم زوجها فيدخل فى ذلك صيانة نفسها وحفظ ماله وبيته وحفظ أسراره (بما حفظ الله) أى بحفظ الله ورعايته ، أو بأمره للنساء أن يطعن الزوج ويحفظنه ، فما مصدرية أو بمعنى الذى (واللاتى تخافون نشوزهن) قيل الخوف هنا اليقين (فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن) هذه أنواع من تأديب المرأة إذا نشزت على زوجها وهى على مراتب : بالوعظ فى النشوز الخفيف والهجران فيما هو أشد منه ، والضرب فيما هو أشد ومتى انتهت عن النشوز بوجه من التأديب : لم يتعد إلى ما بعده والهجران هنا هو ترك مضاجعتها ، وقيل ترك الجماع إذا ضاجعها ، والضرب غير مبرح (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أى إذا أطاعت المرأة زوجها فليس له أن يؤذيها بهجران ولا ضرب (وإن خفتم شقاق بينهما) الشقاق الشر والعداوة وكان الأصل إن خفتم شقاق بينهما ، ثم أضيف الظرف إلى الشقاق على طريق الاتساع لقوله تعالى «بل مكر الليل والنهار» وأصله مكر بالليل والنهار (فابعثوا حكما) الآية . ذكر تعالى الحكم فى نشوز المرأة ، والحكم فى طاعتها ، ثم ذكر هنا حالة أخرى ، وهى ما إذا ساء ما بين الزوجين ولم يقدر على الإصلاح بينهما ، ولا علم من الظالم منهما ، فيبعث حكمان مسلمان لينظر فى أمرهما ، وينفذ ما ظهر لهما من تطليق وخلع

Marfat.com

كَانَ عَلِيماً خَبِيرًا ۞ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنْبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۞ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۞ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ۞ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۞ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا

من غير إذن الزوج ، وقال أبو حنيفة ليس لهما الفراق إلا إن جعل لهما ، وإن اختلفا لم يلزم شيء إلا باتفاقهما ومشهور مذهب مالك أن الحاكم هو الذى يبعث الحكمين ، وقيل يبعثهما الزوجان ، وجرت عادة القضاة أن يبعثوا امرأة أمينة ، ولا يبعثوا حكمين ، قال بعض العلماء هذا تغيير لحكم القرآن والسنة الجارية (من أهله وحكما من أهلها) يجوز فى المذهب أن يكون الحكمان من غير أهل الزوجين ، والأكمل أن يكونا من أهلهما كما ذكر الله (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) الضمير فى يريدا للحكمين ، وفى بينهما للزوجين على الأظهر ، وقيل الضميران للزوجين ، وقيل للحكمين (والجار ذى القربى والجار الجنب) قال ابن عباس الجار ذى القربى هو القريب النسب والجار الجنب هو الأجنبى ، وقيل ذى القربى القريب المسكن منك ، والجنب البعيد المسكن عنك ، وحد الجوار عند بعضهم أربعون ذراعا من كل ناحية (الصاحب بالجنب) قال ابن عباس الرفيق فى السعى ، وقال علىّ بن أبى طالب الزوجة (مختالا) اسم فاعل وزنه مفتعل من الخيلاء وهو الكبر وإعجاب المرء بنفسه (فخورا) شديد الفخر (الذين يبخلون) بدل من قوله مختالا أو نصب على الذم أو رفع بخبر ابتداء مضمر أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره يعذبون ، والآية فى اليهود : نزلت فى قوم منهم كحيىّ بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت كانوا يقولون للأنصار لا تنفقوا أموالكم فى الجهاد والصدقات وهى مع ذلك عامة من فعل هذه الأفعال من المسلمين (والذين ينفقون) عطف على الذين يبخلون ، وقيل على الكافرين ، والآية فى المنافقين الذين كانوا ينفقون فى الزكاة والجهاد رياء ومصانعة ، وقيل فى اليهود ، وقيل فى مشركى مكة الذين أنفقوا أموالهم فى حرب المسلمين (قرينا) أى ملازما له يغويه (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر) الآية : استدعاء لهم كملاطفة أو توبيخ على ترك الإيمان والإنفاق ، كأنه يقول أى مضرة عليهم فى ذلك (مثقال ذرة) أى وزنها ، وهى النملة الصغيرة ، وذلك تمثيل بالقليل تنبيها على الكثير (وإن تك حسنة) بالرفع فاعل وتك تامة ، وبالنصب خبر على أنها ناقصة واسمها مضمر فيها (يضاعفها) أى يكثرها فواحد البر بعشر إلى سبعمائة أو أكثر (ويؤت من لدنه) أى من عنده تفضلا وزيادة على ثواب العمل (فكيف إذا جئنا) تقديره كيف يكون الحال إذا جئنا (بشهيد) هو نبيهم يشهد عليهم بأعمالهم (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) أى تشهد على قومك ، ولما قرأ ابن مسعود هذه الآية على رسول الله

Marfat.com

الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا * يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

صلى الله عليه وآله وسلم ذرفت عيناه (لو تسوى بهم الأرض) أى يتمنون أن يدفنوا فيها، ثم تسوى بهم كما تسوى بالموتى وقيل يتمنون أن يكونوا سواء مع الأرض كقوله «ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا» وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة (ولا يكتمون الله حديثا) استئناف إخبار أنهم لا يكتمون يوم القيامة عن الله شيئا فإن قيل كيف هذا مع قولهم «والله ربنا ما كنا مشركين»؟ فالجواب من وجهين (أحدهما) أن الكتم لا ينفعهم لأنهم إذا كتموا تنطق جوارحهم فكأنهم لم يكتموا، والآخر أنهم طوائف مختلفة، ولهم أوقات مختلفة، وقيل إن قوله: ولا يكتمون عطف على تسوى أى يتمنون أن لا يكتموا لأنهم إذا كتموا افتضحوا (ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) سببها أن جماعة من الصحابة شربوا الخمر قبل تحريمها، ثم قاموا إلى الصلاة وأمهم أحدهم فخلط فى القراءة فمعناها النهى عن الصلاة فى حال السكر قال بعض الناس: هى منسوخة بتحريم الخمر، وذلك لا يلزم لأنها ليس فيها ما يقتضى إباحة الخمر وإنما هى نهى عن الصلاة فى حال السكر وذلك الحكم الثابت فى حين إباحة الخمر وفى حين تحريمها، وقال بعضهم معناها: لا يكن منكم سكر يمنع قرب الصلاة، إذ المرء مأمور بالصلاة فكأنها تقتضى النهى عن السكر وعن سببه وهو الشرب، وهذا بعيد من مقتضى اللفظ (حتى تعلموا ما تقولون) حتى تعود إليكم عقولكم فتعلمون ما تقرؤن ويظهر من هذا أن السكران لا يعلم ما يقول فأخذ بعض الناس من ذلك أن السكران لا يلزم طلاقه ولا إقراره (ولا جنبا إلا عابرى سبيل) عطف ولا جنبا على موضع وأنتم سكارى إذ هو فى موضع الحال والجنب هنا غير الطاهر بإنزال أو إيلاج وهو واقع على جماعة بدليل استثناء الجمع منه واختلف فى عابرى سبيل فقيل إنه المسافر، ومعنى الآية على هذا: نهى أن يقرب الصلاة وهو جنب إلا فى السفر فيصلى بالتيمم دون اغتسال، فمقتضى الآية. إباحة التيمم للجنب فى السفر، ويؤخذ إباحة التيمم للجنب فى الحضر من الحديث، وقيل عابر السبيل المار فى المسجد، والصلاة هنا يراد بها المسجد، لأنه موضع الصلاة فمعنى الآية على هذا النهى أن يقرب المسجد الجنب إلا خاطرا عليه وعلى هذا أخذ الشافعى بأنه يجوز للجنب أن يمر فى المسجد، ولا يجوز له أن يقعد فيه، ومنع مالك المرور والقعود، وأجازهما داود (وإن كنتم مرضى أو على سفر) الآية سببها عدم الصحابة الماء فى غزوة المريسيع فأبيح لهم التيمم لعدم الماء ثم إن عدم الماء على ثلاثة أوجه: أحدها عدمه فى السفر، والثانى عدمه فى المرض، فيجوز التيمم فى هذين الوجهين بإجماع، لأن الآية نص فى المرض والسفر إذا عدم الماء فيهما، لقوله: وإن كنتم مرضى أو على سفر، ثم قال فلم تجدوا ماء. الوجه الثالث: عدم الماء فى الحضر دون مرض، فاختلف الفقهاء فيه، فمذهب أبو حنيفة أنه لا يجوز فيه التيمم، لأن ظاهر الآية أن عدم الماء إنما يعتبر مع المرض أو السفر، ومذهب مالك والشافعى أنه يجوز فيه التيمم فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه فيؤخذ جوازه من السنة وإن قلنا إن الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها، وهذا هو الأرجح إن شاء الله، وذلك أنه ذكر فى أول الآية المرض والسفر، ثم ذكر الإحداث دون مرض ولا سفر ثم قال بعد ذلك كله: فلم تجدوا ماء فيرجع قوله فلم تجدوا ماء إلى المرض وإلى السفر وإلى من أحدث فى غير مرض ولا سفر، فيجوز التيمم على هذا لمن عدم الماء فى غير مرض ولا سفر. فيكون فى الآية حجة لمالك والشافعى، ويجوز التيمم أيضا فى مذهب مالك للمريض إذا وجد الماء ولم يقدر على استعماله لضرر بدنه، فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه. فيؤخذ جوازه من السنة وإن قلنا إن السنة تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها

Marfat.com

أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ الضَّلَٰلَةَ

على أن يتناول قوله إن كنتم مرضى أن معناه مرضى لاتقدرون على مس الماء ، وحد المرض الذى يجوز فيه التيمم عند مالك ، هو أن يخاف الموت أو زيادة المرض أو تأخر البرء ، وعند الشافعى خوف الموت لاغير ، وحد السفر الغيبة عن الحضر كان مما تقصر فيه الصلاة أم لا (أوجاء أحد منكم) فى أوهنا تأويلان : أحدهما أن تكون للتفصيل والتنويع على بابها ، والآخر أنها بمعنى الواو ، فعلى القول بأنها على بابها يكون قوله فلم تجدوا ماء راجعا إلى المريض والمسافر ، وإلى من جاء من الغائط ، وإلى من لامس ، سواء كانا مريضين أو مسافرين ، أم حسبما ذكرنا قبل هذا ، فيقتضى ذلك جواز التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء ، وهو مذهب مالك والشافعى ، فيكون فى الآية حجة لهما ، وعلى القول بأنها بمعنى الواو يكون قوله «فلم تجدوا ماء» راجعا إلى المريض والمسافر ، فيقتضى ذلك أنه لايجوز التيمم إلا فى المرض والسفر مع عدم الماء ، وأنه لايجوز للحاضر الصحيح إذا عدم الماء ، ولكن يؤخذ جواز التيمم له من موضع آخر . والراجح أن تكون أو على بابها لوجهين ؛ أحدهما أن جعلها بمعنى الواو إخراج لها عن أصلها وذلك ضعيف . والآخر إن كانت على بابها : كان فيها فائدة إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء على ماظهر لنا فيها . وإذا كانت بمعنى الواو لم تعط هـذه الفائدة ، وحجة من جعلها بمعنى الواو أنه لوجعلها على بابها لاقتضى المعنى أن المرض والسفر حدث يوجب الوضوء كالغائط لعطفه عليها . وهذا لايلزم . لأن العطف بأوهنا للتنويع والتفصيل ومعنى الآية كأنه قال : يجوز لكم التيمم إذا لم تجدوا ماء إن كنتم مرضى أوعلى سفر وأحدثتم فى غير مرض ولاسفر (الغائط) أصله المكان المنخفض . وهوهنا كناية عن الحدث الخارج من المخرجين . وهو العذرة . والريح ، والبول ، لأن من ذهب إلى الغائط يكون منه هذه الأحداث الثلاث . وقيل إنما هو كناية عن العذرة وأما البول والريح ، فيؤخذ وجوب الوضوء لهما من السنة ، وكذلك الودى والمذى (أولامستم النساء) اختلف فى المراد بالملامسة هنا على ثلاثة أقوال : أحدها أنها الجماع ومادونه من التقبيل واللمس [illegible] وغيرها ، وهو قول مالك ، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس الذى هو دون الجماع على تفصيل فى المذهب . ويجب معه التيمم إذا عدم الماء ، ويكون الجنب من أهل التيمم . والقول الثانى أنها مادون الجماع . فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس . ولايجوز التيمم للجنب وقد قال بذلك عمر بن الخطاب ويؤخذ جوازه من الحديث والثالث أنها الجماع فعلى هذا يجوز التيمم للجنب ولايكون مادون الجماع ناقضا للوضوء ، وهو مذهب أبى حنيفة (فلم تجدوا ماء) هذا يفيد وجوب طلب الماء وهو مذهب مالك خلافا لأبى حنيفة فإن وجده بثمن فاختلف هل [illegible] زله التيمم أم لا وإن وهب له فاختلف هل يلزم قبوله أم لا (فتيمموا) التيمم فى اللغة القصد وفى الفقه الطهارة بالتراب وهو منقول من المعنى اللغوى (صعيدا طيبا) الصعيد عند مالك هو وجه الأرض كان ترابا أورملا أو حجارة فأجاز التيمم بذلك كله وهو عند الشافعى التراب لاغير والطيب هنا الطاهر واختلف فى التيمم بالمعادن كالذهب وبالملح وبالتراب المنقول كالمجعول فى طبق ، وبالآجر ، وبالجص المطبوخ ، وبالجدار ، وبالنبات الذى على وجه الأرض ، وذلك كله على الاختلاف فى معنى الصعيد (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) لايكون التيمم إلا فى هذين العضوين ، ويقدم الوجه على اليدين لظاهر

Marfat.com

وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا * مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ

الآية ، وذلك على الندب عند مالك ، ويستوعب الوجه بالمسح ، وأما اليدان فاختلف هل يمسحهما إلى الكوعين أو إلى المرفقين ، ولفظ الآية محتمل ، لأنه لم يحد ، وقد احتج من قال إلى المرفقين بأن هذا مطلق ، فيحمل على المقيد ، وهو تحديدها فى الوضوء بالمرفقين (الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) هم اليهود هنا وفى الموضع الثانى قال السهيلى : فالموضع الأول نزل فى رفاعة بن زيد بن التابوت ، وفى الثانى نزل فى كعب بن الأشرف (يشترون الضلالة) عبارة عن إيثارهم الكفر على الإيمان فالشراء مجاز كقوله «اشتروا الضلالة بالهدى» وفى تكرار قوله كفى بالله مبالغة (من الذين هادوا) من راجعة إلى الذين أوتوا نصيبا ، أو إلى أعدائكم ، فهى بيان ، وقال الفارسى : هى ابتداء كلام تقديره . من الذين هادوا قوم وقيل هى متعلقة بنصيرا على قول الفارسى (يحرفون الكلم) يحتمل تحريف اللفظ أو المعنى ، وقيل الكلم هنا التوارة ، وقيل كلام النبى صلى الله عليه وسلم (غير مسمع) معناه لا سمعت (راعنا) ذكر فى البقرة (سمعنا وأطعنا) عوض من قولهم سمعنا وعصينا ، واسمع عوض من قولهم اسمع غير مسمع ، وانظرنا عوض من قولهم راعنا ، وهو النظر أو الانتظار ، فهذه الأشياء الثلاثة فى مقابلة الأشياء الثلاثة التى ذمهم على قولها لما فيها من سوء الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الأخر عوضا عن تلك : لكان خيرا لهم ، لأن هذه ليس فيها سوء أدب (مصدقا) ذكر فى البقرة (أن نطمس وجوها) قال ابن عباس طمسها : أن تزال العيون منها ، وترد فى القفا . فيكون ذلك ردا على الدبر ، وقيل طمسها محو تخطيط صورها من أنف أو عين أو حاجب حتى تصير كالأدبار فى خلوها عن الحواس (أو نلعنهم) أى نمسخهم كما مسخ أصحاب السبت . وقد ذكر فى البقرة ، أو يكون من اللعن المعروف ، والضمير يعود على الوجوه ، والمراد أصحابها ، أو على الذين أوتوا الكتاب على الالتفات (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) هذه الآية هى الحاكمة فى مسئلة الوعيد وهى المبينة لما تعارض فيها من الآيات ، وهى الحجة لأهل السنة ، والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة ، وذلك أن مذهب أهل السنة أن العصاة من المؤمنين فى مشيئة الله ، إن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم ، وحجتهم هذه الآية ، فإنها نص فى هذا المعنى ، ومذهب الخوارج أن العصاة يعذبون ولا بد سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر ومذهب المعتزلة أنهم يعذبون على الكبائر ولا بد ، ويرد على الطائفتين قوله «ويغفر ما دون ذلك» ، ومذهب المرجئة أن العصاة كلهم يغفر لهم ولا بد وأنه لا يضر ذنب مع الإيمان ، ويرد عليهم قوله : لمن يشاء ، فإنه

Marfat.com

أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ

تخصيص لبعض العصاة ، وقد تأولت المعتزلة الآية على مذهبهم ، فقالوا لمن يشاء ، وهو التائب لاخلاف أنه لايعذب ، وهذا التأويل بعيد ، لأن قوله « إن الله لايغفر أن يشرك به » في غير التائب من الشرك وكذلك قوله ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فى غير التائب من العصيان ليكون أول الآية وآخرها على نسق واحد ، وتأولتها المرجئة على مذهبهم ، فقالوا لمن يشاء : معناه لمن يشاء أن يؤمن ، وهذا أيضا بعيد ، لا يقتضيه اللفظ وقد ورد فى القرآن آيات كثيرة فى الوعيد فحملها المعتزلة على العصاة وحملها المرجئة على الكفار ، وحملها أهل السنة على الكفار ، وعلى من لا يغفر الله له من العصاة ، كما حملوا آية الوعد على المؤمنين الذين لم يذنبوا وعلى المذنبين التائبين ، وعلى من يغفر الله له من العصاة غير التائبين ، فعلى مذهب أهل السنة لا يبقى تعارض بين آية الوعد وآية الوعيد ، بل يجمع بين معانيها ، بخلاف قول غيرهم فإن الآيات فيه تتعارض ، وتخليص المذاهب أن الكافر إذا تاب من كفره : غفر له بإجماع ، وإن مات على كفره : لم يغفر له ، وخلد فى النار بإجماع ، وأن العاصى من المؤمنين إن تاب غفر له ، وإن مات دون توبة فهو الذى اختلف الناس فيه (الذين يزكون أنفسهم) هم اليهود لعنهم الله ، وتزكيتهم قولهم : نحن أبناء الله وأحباؤه ، وقيل مدحهم لأنفسهم (فتيلا) الفتيل هو الخيط الذى فى شق نواة التمرة ، وقيل ما يخرج بين أصبعيك وكفيك إذا فتلتهما ، هو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء فيدل على الأكثر بطريق الأولى (يفترون) دليل على أن تزكيتهم لأنفسهم بالباطل (يؤمنون بالجبت والطاغوت) قال ابن عباس : الجبت هو حيي بن أخطب ، والطاغوت كعب بن الأشرف ، وقال عمر بن الخطاب : الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان ، وقيل الجبت الكاهن ، والطاغوت الساحر ، وبالجملة هما كل ما عبد وأطيع من دون الله (ويقولون للذين كفروا) الآية : سببها أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف أو غيرهما من اليهود ، قالوا لكفار قريش أنتم أهدى سبيلا من محمد وأصحابه (أم لهم نصيب من الملك) الهمزة للاستفهام مع الإنكار (نقيرا) النقير هى النقرة فى ظهر النواة وهو تمثيل ، وعبارة عن أقل الأشياء ، والمراد وصف اليهود بالبخل لو كان لهم نصيب من الملك ، وأنهم حينئذ يبخلون بالنقير الذى هو أقل الأشياء ويبخلون بما هو أكثر منه من باب أولى (أم يحسدون الناس) وصفهم بالحسد مع البخل ، والناس هنا يراد بهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمته ، والفضل النبوة ، وقيل النصر والعزة ، وقيل الناس العرب والفضل كون النبى صلى الله عليه وآله وسلم منهم (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة) المراد بآل إبرهيم ذريته من بنى إسرائيل وغيرهم ممن آتاه الله الكتب التى أنزلها والحكمة

وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ

التي علمها ، والمقصود بالآية الرد على اليهود فى حسدهم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومعناها إلزام لهم بما عرفوه من فضل الله تعالى على آل إبراهيم فلأى شيء تخصون محمداً صلى الله عليه وسلم بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليهم (ملكا عظيما) الملك فى آل إبراهيم هو ملك يوسف وداود وسليمان (فمنهم من آمن به) الآية : قيل المراد من اليهود من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بالقرآن المذكور فى قوله تعالى : مصدقا لما معكم ، أو بما ذكر من حديث إبراهيم ، فهذه ثلاثة أوجه فى ضميربه ، وقيل منهم أى من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ، ومنهم من كفر : كقوله تعالى : فنهم مهتد وكثير منهم فاسقون (كلما نضجت جلودهم) الآية قيل تبدل لهم جلود بعد جلود أخرى إذ نفوسهم هى المعذبة وقيل تبديل الجلود تغيير صفاتها بالنار ، وقيل الجلود السرابيل وهو بعيد (أزواج مطهرة) ذكر فى البقرة (ظلا ظليلا) صفة من لفظ الظل للتأكيد: أى دائما لا تنسخه الشمس وقيل نفى الحر والبرد (إن الله يأمركم) الآية : قيل هى خطاب الولاة وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم حين أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ولفظها عام ، وكذلك حكمها (وأولوا الأمر) هم الولاة ، وقيل العلماء نزلت فى عبد الله بن حذافة بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى سرية (فردوه إلى الله والرسول) الرد إلى الله هو النظر فى كتابه ، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو سؤاله فى حياته والنظر فى سنته بعد وفاته (إن كنتم) يحتمل أن يكون هذا الشرط راجعا إلى قوله فردوه أو إلى قوله أطيعوا ، والأول أظهر لأنه أقرب إليه (وأحسن تأويلا) أى مآلا وعاقبة وقيل أحسن نظرا منكم (الذين يزعمون) الآية : نزلت فى المنافقين ، وقيل فى منافق ويهودى كان بينهما خصومة فتحاكما إلى كعب بن الأشرف اليهودى وقيل إلى كاهن (رأيت المنافقين) وضع الظاهر موضع المضمر ليذمهم بالنفاق ، ودل ذلك على أن الآية المتقدمة نزلت فى المنافقين (فكيف إذا أصابتهم مصيبة) الآية : أى كيف يكون حالهم إذا عاقبهم الله بذنوبهم (ثم جاؤك

Marfat.com

يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا * أولئك الذين يعلم الله مافى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل
لهم فى أنفسهم قولا بليغا * وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا
أنفسكم أو اخرجوا من دياركم مافعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا مايوعظون به لكان خيرا لهم وأشد
تثبيتا * وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما * ولهديناهم صراطا مستقيما * ومن يطع الله والرسول
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا *
ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما * يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا *

يحلفون بالله) يحتمل أن يكون هذا معطوفا على ماقبله أو يكون معطوفا على قوله يصدون ، ويكون قوله فكيف إذا أصابتهم اعتراضا (فأعرض عنهم) أى عن معاقبتهم ، وليس المراد بالإعراض القطيعة لقوله وعظهم (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) الآية : وعد بالمغفرة لمن استغفر ، وفيه استدعاء للاستغفار والتوبة ومعنى جاؤك أتوك تائبين معتذرين من ذنوبهم يطلبون أن تستغفر لهم الله (فلا وربك) لاهنا مؤكدة للنفى الذى بعدها (شجر بينهم) أى اختلطوا واختلفوا فيه ، ومعنى الآية أنهم لا يؤمنون حتى يرضوا بحكم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ونزلت بسبب المنافقين الذين تخاصموا ، وقيل بسبب خصام الزبير مع رجل من الأنصار فى الماء وحكمها عام (ولو أنا كتبنا عليهم) الآية : معناها لو فرض عليهم مافرض على من كان قبلهم من المشقات لم يفعلوها لقلة انقيادهم إلا القليل منهم الذين هم مؤمنون حقا ، وقد روى أن من هؤلاء القليل أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار بن ياسر وثابت بن قيس (إلا قليل) بالرفع بدل من المضمر وقرأ ابن عامر وحده بالنصب على أصل الاستثناء أو على إلا فعلا قليلا (مايوعظون به) من اتباع النبى صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته والانقياد له (وأشد تثبيتا) أى تخفيفا لإيمانهم (وإذا لآتيناهم) جواب لسؤال مقدر عن حالهم لو فعلوا ذلك (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) ثواب على الطاعة أى هم معهم فى الجنة ، وهذه الآية مفسرة لقوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم ، والصديق فعيل من الصدق ، ومن التصديق ، والمراد به المبالغة ، والصديقون أرفع الناس درجة بعد الأنبياء ، والشهداء المقتولون فى سبيل الله ومن جرى مجراهم من سائر الشهداء كالغريق وصاحب الهدم حسبما ورد فى الحديث أنهم سبعة (وحسن أولئك رفيقا) الإشارة إلى الأصناف الأربعة المذكورة والرفيق يقع على الواحد والجماعة كالخليط ، وهو مفرد بين به الجنس ، ومعنى الكلام إخبار واستدعاء للطاعة التى ينال بها مرافقة هؤلاء (ذلك الفضل) الإشارة إلى الثواب على الطاعة بمرافقة من ذكر فى الجنة ، والفضل صفة أو خبر (خذوا حذركم) أى تحرزوا من عدوكم واستعدوا له (فانفروا ثبات) أى اخرجوا للجهاد جماعات متفرقين

Marfat.com

وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ۞ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۞ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۞ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن

وذلك كناية عن السرايا ، وقيل إن الثبة مافوق العشرة ، ووزنها فعلة بفتح العين ولامها محذوفة (أوانفروا جميعا) أي مجتمعين في الجيش الكثيف نخيرهم في الخروج إلى الغزو في قلة أو كثرة (وإن منكم لمن ليبطئن) الخطاب للمؤمنين ، والمراد بمن المنافقين وعبر عنهم بمنكم إذ هم يزعمون أنهم من المؤمنين ، ويقولون آمنا ، واللام في لمن للتأكيد ، وفي ليبطئن جواب قسم محذوف ، ومعناه يبطئ غيره يثبطه عن الجهاد ويحمله على التخلف عن الغزو ، وقيل يبطئ يتخلف هو عن الغزو ويتثاقل (فإن أصابتكم مصيبة) أي قتل وهزيمة والمعنى أن المنافق تسره غيبته عن المؤمنين إذا هزموا وشهيدا معناه حاضرا معهم (ولئن أصابكم فضل من الله) أي نصر وغنيمة ، والمعنى أن المنافق يندم على ترك الغزو معهم إذا غنموا فيتمنى أن يكون معهم (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) جملة اعتراض بين العامل ومعموله فلا يجوز الوقف عليها وهذه المودة في ظاهر المنافق لافي اعتقاده (الذين يشرون) أي يبيعون (فيقتل أو يغلب) ذكر الحالتين للمقاتل ووعد بالأجر على كل واحدة منهما (وما لكم لاتقاتلون) تحريض على القتال ، وما مبتدأ والجار والمجرور خبر ولا تقاتلون في موضع الحال ، والمستضعفين هم الذين حبسهم مشركوا قريش بمكة ليفتنوهم عن الإسلام ، وهو عطف على اسم الله أو مفعول معه (القرية الظالم أهلها) هي مكة حين كانت للمشركين (يقاتلون في سبيل الله) وما بعده إخبار قصد به تقوية قلوب المسلمين وتحريضهم على القتال (الذين قيل لهم كفوا أيديكم) الآية : قيل هي في قوم من الصحابة كانوا قد أمروا بالكف عن القتال قبل أن يفرض الجهاد ، فتمنوا أن يؤمروا به ، فلما أمروا به كرهوه ، لاشكا في دينهم ، ولكن خوفا من الموت ، وقيل هي في المنافقين وهو أليق في سياق الكلام (متاع الدنيا قليل) ومابعده تحقير للدنيا فتضمن الرد عليهم في كراهتهم للموت (في بروج مشيدة)

Marfat.com

تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَـٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا * مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ٭ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا * وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ

أى فى حصون منيعة ، وقيل المشيدة المطولة وقيل المبنية بالشيد وهو الجص (إن تصبهم حسنة) الحسنة هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك من المحبوبات ، والسيئة الهزيمة والجوع وشبه ذلك ، والضمير فى تصبهم وفى يقول للذين قيل لهم كفوا أيديكم ، وهذا يدل على أنها فى المنافقين ، لأن المؤمنين لا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم إن السيئات من عنده (قل كلّ من عند الله) رد على من نسب السيئة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإعلام أن السيئة والحسنة والخير والشر من عند الله أى بقضائه وقدره (فما لهؤلاء القوم) توبيخ لهم على قلة فهمهم (ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن نفسك) خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به كل مخاطب على الإطلاق فدخل فيه غيره من الناس ، وفيه تأويلان : أحدهما نسبة الحسنة إلى الله والسيئة إلى العبد تأدباً مع الله فى الكلام ، وإن كان كل شىء منه فى الحقيقة ، وذلك كقوله عليه الصلاة والسلام ، والخير كله بيديك والشر ليس إليك وأيضا فنسبة السيئة إلى العبد لأنها بسبب ذنوبه ، لقوله : وماأصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، فهى من العبد بتسببه فيها ، ومن الله بالخلقة والاختراع ، والثانى : أن هذا من كلام القوم المذكورين قبل ، والتقدير يقولون كذا ، فمعناها كمعنى التى قبلها (من يطع الرسول فقد أطاع الله) هذه الآية من فضائل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وإنما كانت طاعته كطاعة الله لأنه يأمر وينهى عن الله (ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) أى من أعرض عن طاعتك ، فما أنت عليه بحفيظ تحفظ أعماله ، بل حسابه وجزاؤه على الله ، وفى هذا متاركة وموادعة منسوخة بالقتال (ويقولون طاعة) أى أمرنا وشأننا طاعة لك ، وهى فى المنافقين بإجماع (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) بيت أى تدبر الأمر بالليل ، والضمير فى تقول للمخاطب ، وهو النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أو للطائفة (فأعرض عنهم) أى لا تعاقبهم (أفلا يتدبرون القرآن) حض على التفكر فى معانيه لتظهر أدلته وبراهينه (اختلافا كثيرا) أى تناقضا كما فى كلام البشر أو تفاوتا فى الفصاحة لكن القرآن منزه عن ذلك ، فدل على أنه كلام الله ، وإن عرضت لأحد شبهة وظن اختلافا فى شىء من القرآن ، فالواجب أن يتهم نظره ويسأل أهل العلم ويطالع تآليفهم ، حتى يعلم أن ذلك ليس باختلاف (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) قيل هم المنافقون وقيل قوم من ضعفاء المسلمين كانوا إذا بلغهم خبر عن السرايا والجيوش أو غير ذلك أذاعوا به أى تكلموا به

Marfat.com

عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً ❋ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً ❋ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً ❋ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً ❋ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وشهروه قبل أن يعلموا صحته ، وكان فى إذاعتهم له مفسدة على المسلمين مع مافى ذلك من العجلة وقلة التثبت ، فأنكر الله ذلك عليهم (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) أى لو ترك هؤلاء القوم الكلام بذلك الأمر الذى بلغهم وردوه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وإلى أولى الأمر ، وهم كبراء الصحابة وأهل البصائر منهم ، لعلمه القوم الذين يستنبطونه أى يستخرجونه من الرسول وأولى الأمر فالذين يستنبطونه على هذا طائفة من المسلمين يسألون عنه الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأولى الأمر وحرف الجر فى قوله يستنبطونه منهم لابتداء الغاية وهو يتعلق بالفعل والضمير المجرور يعود على الرسول وأولى الأمر ، وقيل الذين يستنبطونه هم أولوا الأمر ، كما جاء فى الحديث عن عمر رضى الله عنه أنه سمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه ، فدخل عليه ، فقال : أطلقت نساءك ؟ فقال لا ، فقام على باب المسجد ، فقال إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يطلق نساءه ، فأنزل الله هذه القصة ، قال وأنا الذى استنبطته ، فعلى هذا يستنبطونه هم أولو الأمر ، والضمير المجرور يعود عليهم ، ومنهم لبيان الجنس ، واستنباطه على هذا هو سؤالهم عنه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو بالنظر والبحث ، واستنباطه على التأويل الأول وهو سؤال الذين أذاعوه للرسول عليه الصلاة والسلام ولأولى الأمر (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أى هداه وتوفيقه ، أو بعثه للرسل ، وإنزاله للكتب ، والخطاب فى هذه الآية للمؤمنين (إلا قليلا) أى إلا اتباعا قليلا فالاستثناء من المصدر ، والمعنى لولا فضل الله ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا فى أمور قليلة كنتم لاتتبعونه فيها ، وقيل إنه استثناء من الفاعل فى اتبعتم أى إلا قليلا منكم وهو الذى يقتضيه اللفظ وهم الذين كانوا قبل الإسلام غير متبعين للشيطان كورقة بن نوفل ، والفضل والرحمة على بعث الرسول وإنزال الكتاب ، وقيل إن الاستثناء من قوله أذاعوا به (لاتكلف إلا نفسك) لما تثاقل بعض الناس عن القتال قيل هذا للنبي صلى الله عليه وسلم أى إن أفردوك فقاتل وحدك فإنما عليك ذلك (وحرض المؤمنين) أى ليس عليك فى شأن المؤمنين إلا التحريض (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) قيل عسى من الله واجبة ، والذين كفروا هنا قريش وقد كفهم الله بهزيمتهم فى بدر وغيرها وبفتح مكة (وأشد تنكيلا) أى عقابا وعذابا (شفاعة حسنة) هى الشفاعة فى مسلم لتفرج عنه كربة ، أو تدفع مظلمة أو يجلب إليه خيرا والشفاعة السيئة بخلاف ذلك وقيل الشفاعة الحسنة هى الطاعة والشفاعة السيئة هى المعصية ، والأول أظهر ، والكفل هو النصيب (مقيتا) قيل قديرا ، وقيل حفيظا ، وقيل الذى يقيت الحيوان أى يرزقهم القوت (فحيوا بأحسن منها أوردوها) معنى ذلك الأمر برد السلام والتخيير بين أن يرد بمثل ماسلم عليه أو بأحسن منه والأحسن أفضل مثل أن يقال له

Marfat.com

لَارَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا * فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ
أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۝ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً
فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا
تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ
صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا * سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا

سلام عليك فيرد السلام ويزيد الرحمة والبركة ، ورد السلام واجب على الكفاية عند مالك والشافعي ، وقال بعض الناس هو فرض عين ، واختلف في الرد على الكفار ، فقيل يرد عليهم لعموم الآية ، وقيل لا يرد عليهم ، وقيل يقال لهم عليكم ، حسبما جاء في الحديث ، وهو مذهب مالك ولا يبتدؤن بالسلام (ليجمعنكم) جواب قسم محذوف ، وتضمن معنى الحشر ولذلك تعدى بإلى (ومن أصدق) لفظه استفهام ، ومعناه لا أحد أصدق من الله (فما لكم في المنافقين فئتين) ما استفهامية بمعنى التوبيخ ، والخطاب للمسلمين ، ومعنى فئتين : أي طائفتين مختلفين ، وهو منصوب على الحال ، والمراد بالمنافقين هنا ما قال ابن عباس أنها نزلت في قوم كانوا بمكة مع المشركين فزعموا أنهم آمنوا ولم يهاجروا ، ثم سافر قوم منهم إلى الشام بتجارات ، فاختلف المسلمون هل يقاتلونهم ليغنموا تجارتهم لأنهم لم يهاجروا ؟ أو هل يتركونهم لأنهم مؤمنين وقال زيد بن ثابت نزلت في المنافقين الذين رجعوا عن القتال يوم أحد فاختلف الصحابة في أمرهم ، ويرد هذا قوله : حتى يهاجروا (أركسهم) أي أضلهم ، وأهلكهم (ودوا لو تكفرون) الضمير للمنافقين أي تمنوا أن تكفروا (فخذوهم) يريد به الأسر (إلا الذين يصلون) الآية : استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعناها أن من وصل من الكفار غير المعاهدين إلى الكفار المعاهدين وهم الذين بينهم وبين المسلمين عهد ومهادنة فحكمه كحكمهم في المسالمة وترك قتاله وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخ بالقتال في أول سورة براءة ، قال السهيلي وغيره : الذين يصلون هم بنو مدلج بن كنانة إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق بنو خزاعة فدخل بنو مدلج في صلح خزاعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعنى يصلون إلى قوم : ينتهون إليهم ، ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة وقيل معنى يصلون أي ينتسبون وهذا ضعيف جدا بدليل قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش ، وهم أقاربه وأقارب المؤمنين فكيف لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين أو جاؤكم حصرت صدورهم عطف على يصلون أو على صفة قوم وهي : بينكم وبينهم ميثاق ، والمعنى يختلف باختلاف ذلك ، والأول أظهر ، وحصرت صدورهم : في موضع الحال بدليل قراءة يعقوب حصرت ، ومعناه ضاقت عن القتال وكرهته ، ونزلت الآية في قوم جاؤا إلى المسلمين ، وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين وكرهوا أيضا أن يقاتلوا قومهم وهم أقاربهم الكفار فأمر الله بالكف عنهم ثم نسخ أيضا ذلك بالقتال (فإن اعتزلوكم) أي إن سالموكم فلا تقاتلوهم ، والسلم هنا الانقياد (ستجدون آخرين)

Marfat.com

قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ۞ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ

الآية : نزلت فى قوم مخادعين وهم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا من المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا ليأمنوا قومهم والفتنة هنا الكفر على الأظهر ، وقيل الاختبار (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ) نزلت بسبب قتل عياش بن ربيعة للحارث بن زيد وكان الحارث يعذبه على الإسلام ، ثم أسلم وهاجر ولم يعلم عياش بإسلامه فقتله ، وقيل إن الاستثناء هنا منقطع ، والمعنى لا يحل لمؤمن أن يقتل مؤمنا بوجه ، لكن الخطأ قد يقع ، والصحيح أنه متصل والمعنى لا ينبغى لمؤمن ولا يليق به أن يقتل مؤمنا إلا على وجه الخطأ من غير قصد ولا تعد إذ هو مغلوب فيه ، وانتصاب خطأ على أنه مفعول من أجله أو حال أو صفة لمصدر محذوف (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية) هذا بيان مايجب على القاتل خطأ فأوجب الله عليه التحرير والدية ، فأما التحرير فى مال القاتل . وأما الدية فى مال عاقلته ، وجاء ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبيان للآية إذ لفظها يحتمل ذلك أو غيره ، وأجمع الفقهاء عليه ، واشترط مالك فى الرقبة التى تعتق أن تكون مؤمنة ليس فيها عقد من عقود الحرية ، سالمة من العيوب أما إيمانها فنص هنا ، ولذلك أجمع العلماء عليه هنا ، واختلفوا فى كفارة الظهار وكفارة اليمين ، وأما سلامتها من عقود الحرية فيظهر من قوله تعالى فتحرير رقبة ، لأن ظاهره أنه ابتداء عتق عند التكفير بها وأما سلامتها من العيب ، فزعموا أن إطلاق الرقبة يقتضيه وفى ذلك نظر ولم يبين فى الآية مقدار الدية وهى عند مالك مائة من الإبل على أهل الإبل ، وألف دينار شرعية على أهل الذهب واثناعشر ألف درهم شرعية على أهل الورق ، وروى ذلك عن عمر بن الخطاب (مسلمة إلى أهله) أى مدفوعة إليهم ، والأهل هنا الورثة ، واختلف فى مدة تسليمها ، فقيل هى حالة عليهم ، وقيل يؤدونها فى ثلاث سنين ، وقيل فى أربع ، ولفظ التسليم مطلق وهو أظهر فى الحلول لولا ماجاء من السنة فى ذلك (إلا أن يصدقوا) الضمير يعود على أولياء المقتول أى إذا أسقطوا الدية سقطت ، وإذا أسقطها المقتول سقطت أيضا عند مالك والجمهور ، خلافا لأهل الظاهر ، وحجتهم عود الضمير على الأولياء ، وقال الجمهور إنما هذا إذالم يسقطها المقتول (فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) معنى الآية : أن المقتول خطأ إن كان مؤمنا وقومه كفارا أعداء وهم المحاربون فإنما فى قتله التحرير خاصة دون الدية فلا تدفع لهم لئلا يتقووا بها على المسلمين ، ورأى ابن عباس أن ذلك إنما هو فيمن آمن وبقى فى دار الحرب لم يهاجر وخالفه غيره ورأى مالك أن الدية فى هذا البيت المال فالآية عنده منسوخة ، (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) الآية : معناها أن المقتول خطأ إن كان قومه كفارا معاهدين ففى مثله تحرير رقبة والدية إلى أهله لأجل معاهدتهم ، والمقتول على هذا مؤمن ، ولذلك قال مالك لا كفارة فى قتل الذمى ، وقيل إن المقتول فى هذه الآية كافر، فعلى هذا تجب

Marfat.com

أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

الكفارة فى قتل الذمى ، وقيل هى عامة فى المؤمن والكافر ، ولفظ الآية مطلق إلا أن قيده قوله وهو مؤمن فى الآية التى قبلها وقرأ الحسن هنا وهومؤمن (فمن لم يجد فصيام شهرين) أى من لم يجد العتق ولم يقدر عليه فصيام الشهرين المتتابعين عوض منه (توبة من الله) منصوب على المصدرية ومعناه رحمة منه وتخفيفا (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها) الآية : نزلت بسبب مقيس بن صبابة كان قد أخذ دية أخيه هشام المقتول خطأ ، ثم قتل رجلا من القوم الذين قتلوا أخاه وارتد مشركا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتله ، والمتعمد عند الجمهور هو الذى يقصد القتل بحديدة أو حجر أو عصا أو غير ذلك ، وهذه الآية معطلة على مذهب الأشعرية وغيرهم ممن يقول لا يخلد عصاة المؤمنين فى النار واحتج بها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بتخليد العصاة فى النار لقوله خالدا فيها وتأولها الأشعرية بأربعة أوجه: أحدها أن قالوا إنها فى الكافر إذا قتل مؤمنا ، والثانى قالوا معنى المتعمد هنا المستحل للقتل ، وذلك يؤول إلى الكفر ، والثالث قالوا الخلود فيها ليس بمعنى الدوام الأبدى ، وإنما هو عبارة عن طول المدة ، والرابع أنها منسوخة بقوله تعالى : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، وأما المعتزلة فحملوها على ظاهرها ، ورأوا أنها ناسخة لقوله : ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، واحتجوا على ذلك بقول زيد بن ثابت نزلت الشديدة بعد الهينة وبقول ابن عباس ، الشرك والقتل من مات عليهما خلد ، وبقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كل ذنب عسى الله أن يغفره ، إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل المؤمن متعمدا ، وتقتضى الآية وهذه الآثار أن للقتل حكما يخصه من بين سائر المعاصى ، واختلف الناس فى القاتل عمدا إذا تاب ، هل تقبل توبته أم لا ؟ وكذلك حكى ابن رشد الخلاف فى القاتل إذا اقتص منه هل يسقط عنه العقاب فى الآخرة أم لا ؟ والصحيح أنه يسقط عنه ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أصاب ذنبا فعوقب به فى الدنيا فهو له كفارة ، وبذلك قال جمهور العلماء (ضربتم فى سبيل الله) أى سافرتم فى الجهاد (فتبينوا) من البيان وقرئ بالثاء المثلثة من الثبات والتفعل فيها بمعنى الاستفعال ، أى اطلبوا بيان الأمر وثبوته (ألقى اليكم السلم) بغير ألف أى انقاد وألقى بيده ، وقرئ السلام بمعنى التحية ، ونزلت فى سرية لقيت رجلا فسلم عليهم ، وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فحمل عليه أحدهم فقتله ، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان القاتل علم بن جثامة والمقتول عامر بن الأضبط ، وقيل القاتل أسامة بن زيد والمقتول مرداس بن نهيك (تبتغون عرض الحياة الدنيا) يعنى الغنيمة ، وكان للرجل المقتول غنم (فعند الله مغانم كثيرة) وعد وتزهيد فى غنيمة من أظهر الإسلام (كذلك كنتم من قبل) قيل معناه كنتم كفاراً فهداكم الله للاسلام ، وقيل كنتم تخفون إيمانكم من قومكم (فمن الله عليكم) بالعزة والنصر حتى أظهرتموه (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) الآية :

Marfat.com

خَبِيرًا ۝ لَا يَسْتَوِى الْقَـٰعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَالْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى
الْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّـٰهُمُ الْمَلَـٰئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الْأَرْضِ قَالُوٓا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا
فِيهَا فَأُولَـٰئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ
حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُولَـٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝ وَمَن يُهَاجِرْ فِى
سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِى الْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ
الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنَّ الْكَـٰفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝ وَإِذَا كُنتَ

معناها تفضيل المجاهدين على من لم يجاهد وهم القاعدون (غير أولى الضرر) لما نزلت الآية : قام ابن أم مكتوم الأعمى ، فقال يارسول الله هل من رخصة فإنى ضرير البصر ، فنزل غير أولى الضرر وقرئ غير بالحركات الثلاث ، بالرفع صفة للقاعدين ، وبالنصب على الاستثناء أو الحال ، وبالخفض صفة للمؤمنين (درجة) قيل هى تفضيل على القاعدين من أهل العذر والدرجات على القاعدين بغير عذر ، وقيل إن الدرجات مبالغة وتأكيد الدرجة (الحسنى) الجنة (أجرا) منصوب على الحال من درجات أو المصدرية من معنى فضل ، وانتصب درجات على البدل من الأجر أو بفعل مضمر ، وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعلها : أى غفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة (إن الذين توفاهم الملائكة) الآية نزلت فى قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا ، فلما كان يوم بدر خرجوا مع الكفار فقتلوا منهم قيس بن الفاكه والحارث بن زمعة ، وقيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلى بن أمية بن خلف ويحتمل أن يكون توفاهم ماضيا أو مضارعا ، وانتصب ظالمى على الحال (قالوا فيم كنتم) أى فى أى شىء كنتم فى أمر دينكم (قالوا كنا مستضعفين فى الأرض) اعتذار عن التوبيخ الذى وبخهم به الملائكة : أى لم تقدروا على الهجرة وكان اعتذارا بالباطل (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة) رد عليهم ؛ وتكذيب لهم فى اعتذارهم (إلا المستضعفين) الذين كان استضعافهم حقا ، قال ابن عباس : كنت أنا وأبى وأمى ممن عنى الله بهذه الآية (مراغما) أى متحولا وموضعا يرغم عدوه بالذهاب إليه (وسعة) أى اتساع فى الأرض وقيل فى الرزق (فقد وقع أجره على الله) أى ثبت وصح (ومن يخرج من بيته) الآية حكمها على العموم ونزلت فى ضمرة بن القيس وكان من المستضعفين بمكة ، وكان مريضا فلما سمع ما أنزل الله فى الهجرة قال أخرجونى فهيىء له فراش فوضع عليه وخرج فمات فى الطريق ، وقيل نزلت فى خالد بن حزام ، فإنه هاجر إلى أرض الحبشة فنهشته حية فى الطريق فمات قبل أن يصل إلى أرض الحبشة (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) اختلف العلماء فى تأويلها على خمسة أقوال : أولها أنها فى قصر الصلاة الرباعية

Marfat.com

فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ

إلى ركعتين فى السفر ، ولذلك لايجوز إلا فى حال الخوف على ظاهر الآية ، وهو قول عائشة وعثمان رضى الله عنهما ، الثانى أن الآية تقتضى ذلك ولكن يؤخذ القصر فى السفر دون الخوف من السنة ، ويؤيد هذا حديث يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب إن الله يقول إن خفتم وقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ، وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قصر فى السفر وهو آمن ، الثالث أن قوله إن خفتم راجع إلى قوله : وإذا كنت فيهم الآية التي بعد ذلك والواو زائدة وهذا بعيد ، الرابع أنها فى صلاة الخوف على قول من يرى أن تصلى كل طائفة ركعة خاصة ، قال ابن عباس فرضت الصلاة فى الحضر أربعا وفى السفر ركعتين ، وفى الخوف ركعة الخامس أنها فى صلاة المسايفة ، فالقصر على هذا هو من هيأة الصلاة كقوله : فإن خفتم فرجالا أو ركبانا وإذا قلنا إنها فى القصر فى السفر ، فظاهرها أن القصر رخصة ، والإتمام أفضل وهو مذهب الشافعى . وقال مالك القصر أفضل ، وقيل إنهما سواء ، وأوجب أبو حنيفة القصر ، وليس فى لفظ الآية مايدل على مقدار المسافة التى تقصر فيها الصلاة ؛ لأن قوله إذا ضربتم فى الأرض معناه السفر مطلقا ، ولذلك أجاز الظاهرية القصر فى كل سفر طويل أو قصير ، ومذهب مالك والشافعى أن مسافة القصر ثمانية وأربعون ميلا ؛ واحتجوا بآثار عن عمر وابن عباس ، وكذلك ليس فى الآية مايدل على تخصيص القصر بسفر القربة أو السفر المباح دون سفر المعصية فإن لفظها مطلق فى السفر ، ولذلك أجاز أبو حنيفة القصر فى سفر القربة وفى المباح وفى سفر المعصية ، ومنعه مالك فى سفر المعصية ، ومنعه ابن حنبل فى المعصية ، وفى المباح . وللقصر أحكام لا تتعلق بالآية فاضربنا عن ذكرها ، والمراد بالفتنة فى هذه الآية القتال أو التعرض بما يكره (وإذا كنت فيهم) الآية فى صلاة الخوف ، وظاهرها يقتضى أنها لا تصلى بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنه شرط كونه فيهم ، وبذلك قال أبو يوسف ، وأجازها الجمهور بعده صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنهم رأوا أن الخطاب له يتناول أمته ، وقد فعلها الصحابة بعده صلى الله عليه وآله وسلم ، واختلف الناس فى صلاة الخوف على عشرة أقوال ، لاختلاف الأحاديث فيها ، ولسنا نضطر إلى ذكرها فإن تفسيرها لا يتوقف على ذلك ، وكانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لصلاة الخوف فى غزوة ذات الرقاع (فلتقم طائفة منهم معك) يقسم الإمام المسلمين على طائفتين فيصلى بالأولى نصف الصلاة ، وتقف الأخرى تحرس ثم يصلى بالثانية بقية الصلاة وتقف الأولى تحرس ، واختلف هل تتم كل طائفة صلاتها وهو مذهب الجمهور ، أم لا ؟ وعلى القول بالإتمام : اختلف هل يتمونها فى أثر صلاتهم مع الإمام أو بعد ذلك (وليأخذوا أسلحتهم) اختلفوا فى المأمور بأخذ الأسلحة ، فقيل الطائفة المصلية وقيل الحارسة والأول أرجح ، لأنه قد قال بعد ذلك فى الطائفة الأخرى : وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ويدل ذلك على أنهم إن قوتلوا وهم فى الصلاة : جاز لهم أن يقاتلوا من قاتلهم ، وإلا لم يكن لأخذ الأسلحة معنى إذا لم يدفعوا بها من قاتلهم (فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) الضمير فى قوله فإذا سجدوا للمصلين ، والمعنى إذا سجدوا معك فى الركعة الأولى ، وقيل إذا سجدوا فى ركعة القضاء ، والضمير فى قوله فليكونوا من ورائكم : يحتمل

Marfat.com

وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا * وَلَا تَهِنُوا فِى ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ

أن يكون للذين سجدوا : أى إذا سجدوا فليقوموا وليرجعوا وراءكم ، وعلى هذا إن كان السجود فى الركعة الأولى فيقتضى ذلك أنهم يقومون للحراسة بعد انقضاء الركعة الأولى ، ثم يحتمل بعد ذلك أن يقضوا بقية صلاتهم أو لا يقضونها ، وإن كان السجود فى ركعة القضاء ، فيقتضى ذلك أنهم لا يقومون للحراسة إلا بعد القضاء ، وهو مذهب مالك والشافعى ، ويحتمل أن يكون الضمير فى قوله : فليكونوا للطائفة الأخرى أن يقفوا وراء المصلين يحرسونهم (ولتأت طائفة أخرى) يعنى الطائفة الحارسة (ودّ الذين كفروا) الآية : إخبار عما جرى فى غزوة ذات الرقاع ، من عزم الكفار على الإيقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم ، فنزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بذلك ، وشرعت صلاة الخوف حذرا من الكفار ، وفى قوله : ميلة واحدة : مبالغة أى مفاضلة لا يحتاج منها إلى ثانية (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر) الآية : نزلت بسبب عبد الرحمن ابن عوف ، كان مريضا فوضع سلاحه فعنفه بعض الناس ، فرخص الله فى وضع السلاح فى حال المرض والمطر ، ويقاس عليهما كل عذر يحدث فى ذلك الوقت (إن الله أعدّ للكافرين عذابا مهينا) إن قيل : كيف طابق الأمر بالحذر للعذاب المهين ؟ فالجواب أن الأمر بالحذر من العدو : يقتضى توهم قوتهم وعزتهم ، فنفى ذلك الوهم بالإخبار أن الله يهينهم ولا ينصرهم لتقوى قلوب المؤمنين ، قال ذلك الزمخشرى وإنما يصح ذلك إذا كان العذاب المهين فى الدنيا ، والأظهر أنه فى الآخرة (فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله) الآية : أى إذا فرغتم من الصلاة ، فاذكروا الله بألسنتكم ، وذكر القيام والقعود وعلى الجنوب ليعم جميع أحوال الإنسان ، وقيل المعنى إذا تلبستم بالصلاة فافعلوها قياما فإن لم تقدروا فاقعدوا ، فإن لم تقدروا فعلى جنوبكم (فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة) أى إذا اطمأننتم من الخوف فأقيموا الصلاة على هيئتها المعهودة (كتابا موقوتا) أى محدودا بالأوقات وقال ابن عباس : فرضا مفروضا (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم) أى لا تضعفوا فى طلب الكفار (إن تكونوا تألمون) الآية : معناها . إن أصابكم ألم من القتال فكذلك يصيب الكفار ألم مثله ، ومع ذلك فإنكم ترجون إذا قاتلتموهم : النصر فى الدنيا ، والأجر فى الآخرة ؛ وذلك تشجيع للمسلمين (لتحكم بين الناس بما أراك الله) يحتمل أن يريد بالوحى أو بالاجتهاد ، أو بهما ، وإذا تضمنت الاجتهاد ، ففيها دليل على إثبات النظر والقياس

Marfat.com

أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا * وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا * لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ

خلافا لمن منع ذلك من الظاهرية وغيرهم (ولا تكن للخائنين خصيما) نزلت هذه الآية ومابعدها فى قصة طعمة ابن الأبيرق إذ سرق طعاما وسلاحا لبعض الأنصار، وجاء قومه إلى النبى صلى الله عليه وسلم، وقالوا إنه برىء ونسبوا السرقة إلى غيره، وظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم صادقون، فجادل عنهم ليدفع مانسب إليهم حتى نزل القرآن فافتضحوا، فالخائنون فى الآية: هم السراق بنو الأبيرق، وقال السهيلى هم بشر وبشير ومبشر وأسيد، ومعناها لا تكن لأجل الخائنين مخاصما لغيرهم (واستغفر الله) أى من خصامك عن الخائنين، على أنه صلى الله عليه وسلم إنما تكلم على الظاهر وهو يعتقد براءتهم (إذ يبيتون) أى يدبرون ليلا وإطلاق التدبير قولا، لأنه كلام النفس، وربما كان معه كلام باللسان (ومن يكسب خطيئة أو إثما) قيل إن الخطيئة تكون عن عمد، وعن غير عمد، والإثم لا يكون إلا عن عمد، وقيل هما بمعنى، وكرر لاختلاف اللفظ (ثم يرم به بريئا) كان القوم قد نسبوا السرقة إلى لبيد بن سهل (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) هم الذين جاؤا إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأبرؤا ابن الأبيرق من السرقة وهذه الآية وإن كانت إنما نزلت بسبب هذه القصة، فهى أيضا تتضمن أحكام غيرها، وبقية الآية تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم، وتقدير لنعم الله عليه (لاخير فى كثير من نجواهم) إن كانت النجوى هنا بمعنى الكلام الخفى، فالاستثناء الذى بعدها منقطع، وقد يكون متصلا على حذف مضاف تقديره إلا نجوى من أمر، وإن كانت النجوى بمعنى الجماعة فالاستثناء متصل (ومن يشاقق الرسول) أى يعاديه، والشقاق هو العداوة، ونزلت الآية بسبب ابن الأبيرق، لأنه ارتد وسار إلى المشركين ومات على الكفر، وهى عامة فيه وفى غيره (ويتبع غير سبيل المؤمنين) استدل الأصوليون بها على صحة إجماع المسلمين وأنه لا يجوز مخالفته، لأن من خالفه اتبع غير سبيل المؤمنين، وفى ذلك نظر (نوله ماتولى) أى نتركه مع

Marfat.com

جهنم وساءت مصيرا * إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله
فقد ضل ضلالا بعيدا ۝ إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا * لعنه الله وقال
لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ۝ ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم
فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ۝ يعدهم ويمنيهم وما
يعدهم الشيطان إلا غرورا ۝ أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ۝ والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ۝ ليس
بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ۝ ومن
يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ۝ ومن
أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا ۝ ولله ما في

اختياره الفاسد (إن الله لا يغفر أن يشرك به) قد تقدم الكلام على نظيرتها (إن يدعون من دونه إلا إناثا) الضمير في يدعون للكفار، ومعنى يدعون يعبدون، واختلف في الإناث هنا، فقيل هي الأصنام، لأن العرب كانت تسمى الأصنام بأسماء مؤنثة: كاللات والعزى، وقيل المراد الملائكة لقول الكفار إنهم إناث وكانوا يعبدونهم فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم الفاسد، وقيل المراد الأصنام، لأنها لا تفعل فيخبر عنها كما يخبر عن المؤنث (إلا شيطانا مريدا) يعنى إبليس، وإنما قال إنهم يعبدونه، لأنهم يطيعونه في الكفر والضلال، والمريد هو الشديد العتو والإضلال (لعنه الله) صفة للشيطان (وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) الضمير للشيطان: أي فرضته لنفسي من قولك فرض للجند وغيرهم، والمراد بهم أهل الضلال (ولأضلنهم) أي أعدهم الأماني الكاذبة (فليبتكن آذان الأنعام) أي يقطعونها، والإشارة بذلك إلى البحيرة وشبهها (فليغيرن خلق الله) التغيير هو الخصاء وشبهه وقد رخص جماعة من العلماء في خصاء البهائم، إذا كان فيه منفعة، ومنعه بعضهم لظاهر الآية، وقيل التغيير هو الوشم وشبهه، ويدل على هذا الحديث الذي لعن فيه الواشمات، والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، والمغيرات خلق الله (محيصا) أي معدلا ومهربا (وعد الله حقا) مصدران: الأول مؤكد للوعد الذي يقتضيه قوله سندخلهم جنات، والثاني مؤكد لوعد الله (ليس بأمانيكم) الآية: اسم ليس مضمر تقديره الأمر وشبهه، والخطاب للمسلمين، وقيل للمشركين أي لا يكون ما تتمنون، ولا ما يتمنى أهل الكتاب، بل يحكم الله بين عباده، ويجازيهم بأعمالهم (من يعمل سوءا يجز به) وعيد حتم في الكفار، ومقيد بمشيئة الله في المسلمين (ومن يعمل من الصالحات) دخلت من للتبعيض رفقا بالعباد، لأن الصالحات على الكمال لا يطيقها البشر (وهو مؤمن) تقييد باشتراط الإيمان، فإنه لا يقبل عمل إلا به (نقيرا) هو النقرة التي في ظهر نواة التمرة، والمعنى تمثيل بأقل الأشياء (واتبع ملة إبراهيم) أي دين

السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ۞ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۞ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا

الإسلام (حنيفا) حال من المتبع أو من إبراهيم (واتخذ الله إبراهيم خليلا) أى صفيا ، وهو مشتق من الخلة بمعنى المودة ، وفى ذلك تشريف لإبراهيم ، وترغيب فى اتباعه (ويستفتونك فى النساء) أى يسئلونك عما يجب عليهم فى أمر النساء (وما يتلى عليكم) عطف على اسم الله أى يفتيكم الله ، والمتلوّ عليكم فى الكتاب يعنى القرآن (فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن) كان الرجل من العرب يتزوج اليتيمة من أقاربه بدون ما تستحقه من الصداق ، فقوله ما كتب لهن يعنى ما تستحقه المرأة من الصداق ، وقوله وترغبون أن تنكحوهن: يعنى لجمالهن ومالهن من غير توفية حقوقهن ، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك أول السورة فى قوله : وإن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى الآية ، وهذه الآية هى التى تليت عليهم فى يتامى النساء ، والمستضعفين من الولدان : عطف على يتامى النساء ، والذى يتلى فى المستضعفين من الولدان وهو قوله : يوصيكم الله فى أولادكم ، لأن العرب كانت لا تورث البنت ولا الابن الصغير ، فأمر الله أن يأخذوا نصيبهم من الميراث (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) عطف على المستضعفين أى والذى يتلى عليكم فى أن تقوموا لليتامى بالقسط ، ويجوز أن يكون منصوبا تقديره : ويأمركم أن تقوموا ، أو الخطاب فى ذلك الأولياء ، والأوصياء ، أو للقضاة وشبههم ، والذى تلى عليهم فى ذلك هو قوله : إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية ، وقوله : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلى غير ذلك (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا) معنى الآية إباحة الصلح بين الزوجين ، إذا خافت النشوز أو الإعراض ، وكما يجوز الصلح مع الخوف كذلك يجوز بعد وقوع النشوز أو الإعراض وقد تقدم معنى النشوز ، وأما الإعراض فهو أخف ، ووجوه الصلح كثيرة منها أن يعطيها الزوج شيئا أو تعطيه هى أو تسقط حقها من النفقة أو الاستمتاع أو غير ذلك ، وسبب الآية أن سودة بنت زمعة لما كبرت خافت أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له أمسكنى فى نسائك ولا تقسم لى وقد وهبت يومى لعائشة (والصلح خير) لفظ عام يدخل فيه صلح الزوجين وغيرهما ، وقيل معناه صلح الزوجين خير من فراقهما فخير على هذا للتفضيل ، واللام فى الصلح للعهد (وأحضرت الأنفس الشح) معناه أن الشح جعل حاضرا مع النفوس لا يغيب عنها لأنها جبلت عليه والشح هو أن لا يسمح الإنسان لغيره بشىء من حظوظ نفسه ، وشح المرأة من هذا هو طلبها لحقها من النفقة والاستمتاع ، وشح الزوج هو منع الصداق والتضييق فى النفقة وزهده فى المرأة لكبر سنها أو قبح صورتها (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) معناه العدل التام الكامل فى الأقوال

Marfat.com

رَحِيماً * وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً ◦ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيداً * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ◦ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيراً * مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ

والأفعال والمحبة وغير ذلك فرفع الله ذلك عن عباده ، فإنهم لا يستطيعون ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني بما لا أملك يعني ميله بقلبه وقيل إن الآية نزلت في ميله صلى الله عليه وسلم بقلبه إلى عائشة ومعناها اعتذار من الله تعالى عن عباده (فتذروها كالمعلقة) أي لا ذات زوج ولا مطلقة (وإن يتفرقا) الآية : معناها إن تفرق الزوجان بطلاق أغنى الله كل واحد منهما من فضله عن صاحبه ، وهذا وعد بخير وتأنيس (ولقد وصينا) الآية : إخبار أن الله وصى الأولين والآخرين بأن يتقوه (ويأت بآخرين) أي بقوم غيركم ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت ضرب بيده على كتف سلمان الفارسي ، وقال : هم قوم هذا (من كان يريد ثواب الدنيا) الآية : تقتضي الترغيب في طلب ثواب الآخرة ، لأنه خير من ثواب الدنيا ، وتقتضي أيضا أن يطلب ثواب الدنيا والآخرة من الله وحده ، فإن ذلك بيده لا بيد غيره ، وعلى أحد هذين الوجهين ، يرتبط الشرط بجوابه ، فالتقدير على الأول ، من كان يريد ثواب الدنيا فلا يقتصر عليه خاصة ، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ، وعلى الثاني من كان يريد ثواب الدنيا فليطلبه من الله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة (كونوا قوامين بالقسط) أي مجتهدين في إقامة العدل (شهداء لله) معناه لوجه الله ولمرضاته (ولو على أنفسكم) يتعلق بشهد وشهادة الإنسان على نفسه هي إقراره بالحق ، ثم ذكر الوالدين والأقربين ، إذ هم مظنة للتعصب والميل: فإقامة الشهادة على الأجنبيين من باب أولى وأحرى (إن يكن غنيا أو فقيرا) جواب إن محذوف على الأظهر أي إن يكن المشهود عليه غنيا ، فلا تمتنع من الشهادة تعظيما له ، وإن كان فقيرا فلا تمتنع من الشهادة عليه اتفاقا فإن الله أولى بالغني والفقير ، أي بالنظر إليهما (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أن مفعول من أجله ، ويحتمل أن يكون المعنى من العدل ، فالتقدير إرادة أن تعدلوا بين الناس ، أو من العدل ، فالتقدير كراهة أن تعدلوا عن الحق (وإن تلووا أو تعرضوا) قيل : إن الخطاب للحكام ، وقيل للشهود ، واللفظ عام في الوجهين ، واللي هو تحريف الكلام أي تلووا عن الحكم بالعدل أو عن الشهادة بالحق أو تعرضوا عن صاحب الحق ، أو عن المشهود له بالحق ، فإن الله يجازيكم فإنه خبير بما تعملون ، وقرئ إن تلوا بضم اللام من الولاية : أي إن وليتم إقامة الشهادة ، أو أعرضتم عنها (آمنوا بالله) الآية خطاب للمسلمين :

الَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَٰبِ الَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا * بَشِّرِ الْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا * وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا * الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوٓا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا * إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا إِلَى الصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا * إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ

معناه الأمر بأن يكون إيمانهم على الكمال بكل ماذكر، أو يكون أمراً بالدوام على الإيمان، وقيل خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء المتقدمين: معناه الأمر بأن يؤمنوا مع ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقيل خطاب للمنافقين معناه الأمر بأن يؤمنوا بألسنتهم وقلوبهم (إن الذين آمنوا ثم كفروا) الآية، قيل هى فى المنافقين لترددهم بين الإيمان والكفر، وقيل فى اليهود والنصارى لأنهم آمنوا بأنبيائهم ثم كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، والأول أرجح: لأن الكلام من هنا فيهم، والأظهر أنها فيمن آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ارتد، ثم عاد إلى الإيمان، ثم ارتد وازداد كفرا (لم يكن الله ليغفر لهم) ذلك فيمن علم الله أن يموت على كفره، وقد يكون إضلالهم عقابا لهم بسوء أفعالهم (وقدنزل عليكم فى الكتاب الآية: إشارة إلى قوله: وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم وغيرها، وفى الآية دليل على وجوب تجنب أهل المعاصى، والضمير فى قوله معهم يعود على مايدل عليه سياق الكلام من الكافرين والمنافقين (الذين يتربصون بكم) صفة المنافقين: أى ينتظرون بكم دوائر الزمان (ألم نستحوذ عليكم) أى نغلب على أمركم بالنصرة لكم والحمية (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) قال على بن أبى طالب وغيره: ذلك فى الآخرة، وقيل السبيل هنا الحجة البالغة (يخادعون الله) ذكر فى البقرة (وهو خادعهم) تسمية للعقوبة باسم الذنب، لأن وبال خداعهم راجع عليهم (مذبذبين) أى مضطربين مترددين، لا إلى المسلمين ولا إلى الكفار (سلطانا مبينا) أى حجة ظاهرة (إن المنافقين فى الدرك الأسفل) أى فى الطبقة السفلى من

مِّنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ✱ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ✱ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ✱ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ✱ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ✱ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ✱ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ۝ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ✱ فَبِمَا نَقْضِهِم

جهنم ، وهي سبع طبقات وفى ذلك دليل على أنهم شرّ من الكفار (إلا الذين تابوا) استثناء من المنافقين ، والتوبة هنا الإيمان الصادق فى الظاهر والباطن (مايفعل الله بعذابكم) المعنى أى حاجة ومنفعة لله بعذابكم وهو الغنيّ عنكم ، وقدم الشكر على الإيمان ، لأن العبد ينظر إلى النعم فيشكر عليها ثم يؤمن بالمنعم فكان الشكر سبباً للإيمان : متقدم عليه ، ويحتمل أن يكون الشكر يتضمن الإيمان ، ثم ذكر الإيمان بعده توكيدا واهتماما به ، والشاكر اسم الله ذكر فى اللغات (إلا من ظلم) أى إلا جهر المظلوم فيجوز له من الجهر أن يدعو على من ظلمه ، وقيل أن يذكر مافعل به من الظلم ، وقيل أن يرد عليه بمثل مظلمته إن كان شتمه (إن تبدوا خيرا أو تخفوه) الآية : ترغيب فى فعل الخير سرا وعلانية ، وفى العفو عن الظلم بعد أن أباح الانتصار لأن العفو أحب إلى الله من الانتصار ، وأكد ذلك بوصفه تعالى نفسه بالعفو مع القدرة (إن الذين يكفرون) الآية : فى اليهود والنصارى، لأنهم آمنوا بأنبيائهم ، وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وغيره ، ومعنى التفريق بين الله ورسله الإيمان به والكفر برسله ، وكذلك التفريق بين الرسل هو الكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم ، لحكم الله على من كان كذلك بحكم الكفر الحقيقى الكامل (والذين آمنوا) الآية : فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم آمنوا بالله وجميع رسله (يسألك أهل الكتاب) الآية ، روى أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة ، وقيل كتاب إلى فلان ، وكتاب إلى فلان بأنك رسول الله ، وإنما طلبوا ذلك على وجه التعنت ، فذكر الله سؤالهم من موسى ، وسوء أدبهم معه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتأسي بغيره ، ثم ذكر أفعالهم القبيحة ليبين أن كفرهم إنما هو عناد ، وقد تقدم فى البقرة ذكر طلبهم الرؤيا ، واتخاذهم العجل ، ورفع الطور فوقهم ، واعتدائهم فى السبت وغير

Marfat.com

مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا * فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ

ذلك بما أشير إليه هنا (فبما نقضهم ميثاقهم) ما زائدة للتأكيد، والباء تتعلق بمحذوف تقديره بسبب نقضهم فعلنا بهم ما فعلنا، أو تتعلق بقوله حرمنا عليهم، ويكون فبظلم على هذا بدلا من قوله فبما نقضهم (بهتانا عظيما) هو أن رموا مريم بالزنا مع رؤيتهم الآية في كلام عيسى في المهد (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم) عدد الله في جملة قبائحهم قولهم إنا قتلنا المسيح لأنهم قالوها افتخارا وجرأة مع أنهم كذبوا في ذلك، ولزمهم الذنب، وهم لم يقتلوه لأنهم صلبوا الشخص الذي ألقي عليه شبهه، وهم يعتقدون أنه عيسى، وروى أن عيسى قال للحواريين أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل ويكون رفيقي في الجنة، فقال أحدهم أنا فألقى عليه شبه عيسى فقتل على أنه عيسى، وقيل بل دل على عيسى يهودي، فألقى الله شبه عيسى على اليهودي فقتل اليهودي ورفع عيسى إلى السماء حيا، حتى ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال (رسول الله) إن قيل: كيف قالوا فيه رسول الله، وهم يكفرون به ويسبونه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها أنهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء، والثاني أنهم قالوه على حسب اعتقاد المسلمين فيه كأنهم قالوا رسول الله عندكم أو بزعمكم، والثالث أنه من قول الله لا من قولهم فيوقف قبله، وفائدة تعظيم ذنبهم وتقبيح قولهم إنا قتلناه (وما قتلوه وما صلبوه) رد عليهم وتكذيب لهم وللنصارى أيضا في قولهم إنه صلب حتى عبدوا الصليب من أجل ذلك والعجب كل العجب من تناقضهم في قوله إنه إله أو ابن إله ثم يقولون إنه صلب (ولكن شبه لهم) فيه تأويلان: أحدهما ما ذكرناه من إلقاء شبهه على الحواري أو على اليهودي، والآخر أن معناه شبه لهم الأمر أي خلط لهم القوم الذين حاولوا قتله بأنهم قتلوا رجلا آخر وصلبوه ومنعوا الناس أن يقربوا منه، حتى تغير بحيث لا يعرف، وقالوا للناس هذا عيسى، ولم يكن عيسى، فاعتقد الناس صدقهم وكانوا متعمدين للكذب (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه) روى أنه لما رفع عيسى وألقى شبهه على غيره فقتلوه، قالوا إن كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى، فاختلفوا، فقال بعضهم هو هو، وقال بعضهم ليس هو، فأجمعوا أن شخصا قتل، واختلفوا من كان (إلا اتباع الظن) استثناء منقطع لأن العلم تحقيق والظن تردد، وقال ابن عطية: هو متصل إذ الظن والعلم يجمعهما جنس المعتقدات، فإن قيل: كيف وصفهم بالشك وهو تردد بين احتمالين على السواء ثم وصفهم بالظن وهو ترجيح أحد الاحتمالين؟ فالجواب أنهم كانوا على الشك، ثم لاحت لهم أمارات فظنوا، قاله الزمخشري، وقد يقال الظن بمعنى الشك وبمعنى الوهم الذي هو أضعف من الشك (وما قتلوه يقينا) أي ما قتلوه قتلا يقينا فإعراب يقينا على هذا صفة لمصدر محذوف، وقيل هي مصدر في موضع الحال: أي ما قتلوه متيقنين، وقيل هو تأكيد للنفي الذي في قوله ما قتلوه أي يتيقن نفي قتله، وهو على هذا منصوب على المصدرية (بل رفعه الله إليه) أي إلى سمائه وقد ورد في حديث الإسراء أنه في السماء الثانية (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) فيها تأويلان:

Marfat.com

أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۝ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟

أحدهما أن الضمير فى موته لعيسى ، والمعنى أنه كل أحد من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض قبل أن يموت عيسى وتصير الأديان كلها حينئذ دينا واحدا ، وهو دين الإسلام ، والثانى أن الضمير فى موته للكتاب الذى تضمنه قوله وإن من أهل الكتاب التقدير : وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمن بعيسى ، ويعلم أنه نبى قبل أن يموت هذا الإنسان ، وذلك حين معاينة الموت ، وهو إيمان لا ينفعه ، وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وغيره ، وفى مصحف أبىّ بن كعب قبل موتهم ، وفى هذه القراءة تقوية للقول الثانى ، والضمير فى به لعيسى على الوجهين ، وقيل هو لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم (وبصدهم) يحتمل أن يكون بمعنى الإعراض فيكون كثيرا صفة لمصدر محذوف تقديره صدا كثيرا ، أو بمعنى صدهم لغيرهم ، فيكون كثيرا مفعولا بالصد ، أى صدوا كثيرا من الناس عن سبيل الله (لكن الراسخون فى العلم منهم) هو عبد الله ابن سلام ، ومخيرق ، ومن جرى مجراهم (والمقيمين) منصوب على المدح بإضمار فعل ، وهو جائز كثيرا فى الكلام ، وقالت عائشة هو من لحن كتاب المصحف ، وفى مصحف ابن مسعود : والمقيمون ، على الأصل (إنا أوحينا إليك) الآية : رد على اليهود الذين سألوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء ، واحتجاج عليهم بأن الذى آتى به وحى : كما أتى من تقدم من الأنبياء بالوحى من غير إنزال الكتاب من السماء ، ولذلك أكثر من ذكر الأنبياء الذين كان شأنهم هذا لتقوم بهم الحجة (ورسلا قد قصصناهم) منصوب بفعل مضمر أى أرسلنا رسلا (وكلم الله موسى تكليما) تصريح بالكلام مؤكد بالمصدر ، وذلك دليل على بطلان قول المعتزلة إن الشجرة هى التى كلمت موسى (رسلا مبشرين) منصوب بفعل مضمر أو على البدل (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) أى بعثهم الله ليقطع حجة من يقول لو أرسل إلىّ رسولا لآمنت (لكن الله يشهد) الآية : معناها أن الله يشهد بأن القرآن من عنده ، وكذلك تشهد الملائكة بذلك ، وسبب الآية : إنكار اليهود الوحى ، فجاء الاستدراك على تقدير أنهم قالوا لن نشهد بما أنزل إليك ، فقيل لكن الله يشهد بذلك ، وفى الآية من أدوات البيان الترديد ، وهو ذكر الشهادة أولا ، ثم ذكرها فى آخر الآية (أنزله

ضَلَٰلًا بَعِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ° يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَٰثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ° لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَٰٓئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا * فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا * يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلَٰلَةِ إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ

بعلمه) فى هذا دليل لأهل السنة على إثبات علم الله، خلافا للمعتزلة فى قولهم إنه عالم بلا علم. وقد تأولوا الآية بتأويل بعيد (ياأيها الناس) خطاب عام، لأن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم بعث إلى جميع الناس (فآمنوا خيرا لكم) انتصب خيرا هنا، وفى قوله انتهوا خيراً لكم بفعل مضمر لا يظهر تقديره إيتوا خيرا لكم هذا مذهب سيبويه، وقال الخليل: انتصب بقوله آمنوا وانتهوا على المعنى، وقال الفراء فآمنوا إيمانا خيرا لكم فنصبه على النعت لمصدر محذوف، وقال الكوفيون هو خبر كان المحذوفة تقديره يكن الإيمان خيراً لكم (وإن تكفروا فإن لله مافى السموات والأرض) أى هو غنى عنكم لا يضره كفركم (ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) هذا خطاب للنصارى لأنهم غلوا فى عيسى حتى كفروا، فلفظ أهل الكتاب عموم يراد به الخصوص فى النصارى، بدليل ما بعد ذلك والغلو هو الإفراط وتجاوز الحد (وكلمته) أى مكون عن كلمته التى هى كن من غير واسطة أب ولا نطفة (وروح منه) أى ذو روح من الله، فمن هنا لابتداء الغاية، والمعنى من عند الله، وجعله من عند الله لأن الله أرسل به جبريل عليه السلام إلى مريم (ولا تقولوا ثلاثة) نهى عن التثليث، وهو مذهب النصارى وإعراب ثلاثة خبر مبتدإ مضمر (له مافى السموات ومافى الأرض) برهان على تنزيهه تعالى عن الولد، لأنه مالك كل شىء (لن يستنكف) لن يأنف كذلك، ومعناه حيث وقع (ولا الملائكة) فيه دليل لمن قال إن الملائكة أفضل من الأنبياء، لأن المعنى لن يستنكف عيسى ومن فوقه (قد جاءكم برهان) هو القرآن، وهو أيضا النور المبين، ويحتمل أن يريد بالبرهان الدلائل والحجج، وبالنور

Marfat.com

مَاتَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ *

ســـورة المائدة

مدنيـة إلا آية ٣ فنزلت بعرفات فى حجة الوداع : وآياتها ١٢٠ نزلت بعـد الفتح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَوْفُوا بِٱلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ

النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه سماه سراجا (يستفتونك) أى يطلبون منك الفتيا ، ويحتمل أن يكون هذا الفعل طلبا للكلالة ، ويفتيكم أيضا طلب لها ، فيكون من باب الإعمال وإعمال العامل الثانى على اختيار البصريين أو يكون يستفتونك مقطوعا عن ذلك فيوقف عليه ، والأول أظهر ، وقد تقدم معنى الكلالة فى أول السورة والمراد بالأخت والأخ هنا : الشقائق ، والذين للأب إذا عدم الشقائق ، وقد تقدم حكم الإخوة للأم فى قوله وإن كان رجلا يورث كلالة الآية (إن امرؤ هلك) ارتفع بفعل مضمر عند البصريين ، ولا إشكال فيما ذكر هنا من أحكام المواريث (أن تضلوا) مفعول من أجله تقديره كراهية أن تضلوا :ـ

ســـورة المائدة

(أوفوا بالعقود) قيل إن العقود هنا عقدة الإنسان مع غيره من بيع ونكاح وعتق وشبه ذلك ، وقيل ماعقده مع ربه من الطاعات : كالحج والصيام وشبه ذلك ، وقيـل ماعقده الله عليهم من التحليل والتحريم فى دينه ذكر مجملا ثم فصل بعد ذلك فى قوله : أحلت لكم ومابعده (بهيمة الأنعام) هى الإبل والبقر والغنم ، وإضافة البهيمة إليها من باب إضافة الشىء إلى ماهو أخص منه ؛ لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها ، قال الزمخشرى : هى الإضافة التى بمعنى من كخاتم من حديد أى البهيمة من الأنعام ، وقيل هى الوحش : كالظباء ، وبقر الوحش والمعروف من كلام العرب أن الأنعام لاتقع إلا على الإبل والبقر والغنم ، وأن البهيمة تقع على كل حيوان ماعدا الإنسان (إلا مايتلى عليكم) يريد الميتة وأخواتها (غير محلى الصيد) نصب على الحال من الضمير فى لكم (وأنتم حرم) حال من محلى الصيد ، وحرم جمع حرام وهو المحرم بالحج ، فالاستثناء بإلا من البهائم المحللة ، والاستثناء بغير من القوم المخاطبين (لاتحلوا شعائر الله) قيل هى مناسك الحج ، كان المشركون يحجون ويعتمرون ، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم ، فقيل لهم : لاتحلوا شعائر الله : أى لاتغيروا عليهم ولا تصدوهم وقيل هى الحرم ، وإحلاله الصيد فيه ، وقيل هى مايحرم على الحاج من النساء والطيب والصيد وغير ذلك ، وإحلاله فعله (ولا الشهر الحرام) قيـل هو جنس الأشهر الحرام الأربعة ، وهى رجب وذو القعـدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وقيل أشهر الحج ، وهى : شوال ، وذو القعـدة وذو الحجة ، وإحلالها هو القتال فيها وتغيير حالها (ولا الهدى) هو مايهدى إلى البيت الحرام من الأنعام ويذبح تقربا إلى الله فنهى الله أن يستحل بأن يغار عليه

فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا

أو يصد عن البيت (ولا القلائد) قيل هي التي تعلق في أعناق الهدى ، فنهى عن التعرض لها ، وقيل أراد ذوات القلائد من الهدى وهي البدن وجدّدها بالذكر بعد دخولها في الهدى اهتماماً بها وتأكيداً لأمرها (ولا آمين البيت الحرام) أي قاصدين إلى البيت لحج أو عمرة ونهى الله عن الإغارة عليهم أو صدهم عن البيت ونزلت الآية على ما قال السهيلي بسبب الحكم البكري واسمه شريح بن ضبيعة أخذته خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقصد إلى الكعبة ليعتمر ، وهذا النهي عن إحلال هذه الأشياء : عام في المسلمين والمشركين ، ثم نسخ النهي عن قتال المشركين بقوله : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وبقوله فلا يقربوا المسجد الحرام ، وبقوله : ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) الفضل : الربح في التجارة ، والرضوان : الرحمة في الدنيا والآخرة (وإذا حللتم فاصطادوا) أي إذا حللتم من إحرامكم بالحج فاصطادوا إن شئتم ، فالأمر هنا إباحة بإجماع (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) معنى لا يجرمنكم لا يكسبنكم ، يقال جرم فلان فلانا هذا الأمر إذا أكسبه إياه وحمله عليه ، والشنآن : هو البغض والحقد ، ويقال بفتح النون وإسكانها ، وأن صدوكم : مفعول من أجله ، وأن تعتدوا : مفعول ثان ليجرمنكم ، ومعنى الآية : لا تحملنكم عداوة قوم على أن تعتدوا عليهم من أجل أن صدوكم عن المسجد الحرام ، ونزلت عام الفتح حين ظفر المسلمون بأهل مكة فأرادوا أن يستأصلوهم بالقتل لأنهم كانوا قد صدوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية ، فنهاهم الله عن قتلهم ، لأن الله علم أنهم يؤمنون (وتعاونوا على البر والتقوى) وصية عامة ، والفرق بين البرّ والتقوى أن البرّ عام في فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات ، وفي كل ما يقرب إلى الله . والتقوى في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات فالبر أعمّ من التقوى (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) الفرق بينهما أن الإثم كل ذنب بين العبد وبين الله أو بينه وبين الناس ، والعدوان على الناس (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) تقدم الكلام عليها في البقرة (والمنخنقة) هي التي تخنق بحبل وشبهه (والموقوذة) هي المضروبة بعصا أو حجر وشبهه ، والمتردية هي التي تسقط من جبل أو شبه ذلك ، والنطيحة هي التي نطحتها بهيمة أخرى (وما أكل السبع) أي أكل بعضه ، والسبع كل حيوان مفترس : كالذئب والأسد والنمر والثعلب والعقاب والنسر (إلا ما ذكيتم) قيل إنه استثناء منقطع ، وذلك إذا أريد بالمنخنقة وأخواتها : ما مات من الاختناق والوقذ والتردية والنطح وأكل السبع والمعنى حرمت عليكم هذه الأشياء ، لكن ما ذكيتم من غيرها ، فهو حلال ، وهذا قول ضعيف لأنها إن ماتت بهذه الأسباب ، فهي ميتة فقد دخلت في عموم الميتة فلا فائدة لذكرها بعدها ، وقيل إنه استثناء متصل ، وذلك إن أريد بالمنخنقة وأخواتها ما أصابته تلك الأسباب وأدركت ذكاته ، والمعنى على هذا : إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء فهو حلال ، ثم اختلف أهل هذا القول هل يشترط أن تكون لم تنفذ مقاتلها أم لا ، وأما إذا لم تشرف على الموت من هذه الأسباب ، فذكاتها جائزة باتفاق (وما ذبح على النصب) عطف على المحرمات المذكورة ، والنصب

Marfat.com

ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلم ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلم دينا فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم * يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبت وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه

حجارة كان أهل الجاهلية يعظمونها ويذبحون عليها ، وليست بالأصنام لأن الأصنام مصورة والنصب غير مصورة وهى الأنصاب ، والمفرد نصاب ، وقد قيل إن النصب بضمتين مفرد، وجمعه أنصاب (وأن تستقسموا بالأزلام) عطف على المحرمات أيضا ، والاستقسام . هو طلب ماقسم له، والأزلام هى السهام . واحدها زلم بضم الزاى وفتحها ، وكانت ثلاثة قد كتب على أحدها افعل ، وعلى الآخر لاتفعل ، والثالث مهمل ، فإذا أراد الإنسان أن يعمل أمرا جعلها فى خريطة ، وأدخل يده وأخرج أحدها ، فإن خرج له الذى فيه افعل : فعل ماأراد ، وإن خرج له الذى فيه لا تفعل تركه ، وإن خرج المهمل أعاد الضرب (ذلكم فسق) الإشارة إلى تناول المحرمات المذكورة كلها، أو إلى الاستقسام بالأزلام ، وإنما حرمه الله وجعله فسقا : لأنه دخول فى علم الغيب الذى انفرد الله به فهو كالكهانة وغيرها مما يرام به الاطلاع على الغيوب (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم أى يئسوا أن يغلبوه ويطلبوه ، ونزلت بعد العصر من يوم الجمعة يوم عرفة فى حجة الوداع ، فذلك هو اليوم المذكور لظهور الإسلام فيه وكثرة المسلمين ، ويحتمل أن يكون الزمان الحاضر لااليوم بعينه (اليوم أكملت لكم دينكم) هذا الإكمال يحتمل أن يكون بالنصر والظهور أو بتعليم الشرائع وبيان الحلال والحرام (فمن اضطر) راجع إلى المحرمات المذكورة قبل هذا ، أباحها الله عند الاضطرار (فى مخمصة) فى مجاعة (غير متجانف لإثم) هذا بمعنى غير باغ ولا عاد وقد تقدم فى البقرة (فإن الله غفور رحيم) قام مقام فلا جناح عليه ، وتضمن زيادة الوعد (يسئلونك ماذا أحل لهم) سببها أن المسلمين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل لهم من المأكل وقيل لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، سألوه ماذا يحل لنا من الكلاب فنزلت مبينة للصيد بالكلاب (قل أحل لكم الطيبات) هى عند مالك الحلال ، وذلك مما لم يرد تحريمه فى كتاب ولا سنة وعند الشافعى الحلال المستلذ ، فحرم كل مستقذر كالخنافس وشبهها لأنها من الخبائث (وماعلمتم من الجوارح) عطف على الطيبات على حذف مضاف تقديره وصيد ماعلمتم ، أو مبتدأ وخبره فكلوا مما أمسكن عليكم وهذا أحسن ، لأنه لاخلاف فيه ، والجوارح هى الكلاب ونحوها مما يصطاد به وسميت جوارح لأنها كواسب لأهلها ، فهو من الجرح بمعنى الكسب ولاخلاف فى جواز الصيد بالكلاب ، واختلف فيمن سواها ومذهب الجمهور الجواز للأحاديث الواردة فى البازات وغيرها ، ومنع بعض ذلك لقوله مكلبين ، فإنه مشتق من الكلب الكلب ونزلت الآية بسبب عدى بن حاتم ، كان له كلاب يصطاد بها ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل من الصيد (مكلبين) أى معلمين للكلاب الاصطياد ، وقيل معناه أصحاب كلاب وهو منصوب على الحال من ضمير الفاعل فى علمتم ويقتضى قوله علمتم ومكلبين أنه لا يجوز الصيد إلا بجارح معلم ، لقوله وماعلمتم وقوله مكلبين على القول الأول لتأكيده ذلك بقوله : تعلمونهن ، وحد التعليم

Marfat.com

وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ الْمُؤْمِنَٰتِ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ

عند ابن القاسم أن يعلم الجارح الإشلاء والزجر ، وقيل الإشلاء خاصة ، وقيل الزجر خاصة ، وقيل أن يجيب إذا دعى (تعلمونهن مما علمكم الله) أى تعلمونهن من الحيلة فى الاصطياد وتأتى تحصيل الصيد . وهذا جزء مما علمه الله الإنسان ، فمن للتبعيض ، ويحتمل أن تكون لابتداء الغاية والجملة فى موضع الحال أو استئناف (فكلوا مما أمسكن عليكم) الأمر هنا للإباحة ويحتمل أن يريد مما أمسكن ، سواء أكلت الجوارح منه أو لم تأكل ، وهو ظاهر إطلاق اللفظ ، وبذلك أخذ مالك ، ويحتمل أن يريد مما أمسكن ولم يأكل منه ، وبذلك فسره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : فإن أكل منه فلا تأكل ؛ فإنه إنما أمسك على نفسه ، وقد أخذ بهذا بعض العلماء ، وقد ورد فى حديث آخر إذا أكل فكل ، وهو حجة لمالك (واذكروا اسم الله عليه) هذا أمر بالتسمية على الصيد ، ويجرى الذبح مجراه ، وقد اختلف الناس فى حكم التسمية ، فقال الظاهرية إنها واجبة حملا للأمر على الوجوب ، فإن تركت التسمية عمداً أو نسيانا ، لم تؤكل عندهم وقال الشافعى أنها مستحبة ، حملا للأمر على الندب وتؤكل عنده ، سواء تركت التسمية عمدا أو نسيانا ، وجعل بعضهم الضمير فى عليه عائداً على الأكل فليس فيها على هذا أمر بالتسمية على الصيد ومذهب مالك أنه إن تركت التسمية عمدا لم تؤكل ، وإن تركت نسيانا أكلت فهى عنده واجبة مع الذكر ، ساقطة مع النسيان (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) معنى حل : حلال ؛ والذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى ، واختلف فى نصارى بنى تغلب من العرب ، وفيمن كان مسلما ثم ارتد إلى اليهودية أو النصرانية ، هل يحل لنا طعامهم أم لا ، ولفظ الآية يقتضى الجواز لأنهم من أهل الكتاب ؛ واختلف فى المجوس والصابئين ، هل هم أهل كتاب أم لا ؟ وأما الطعام ، فهو على ثلاثة أقسام أحدها الذبائح وقد اتفق العلماء على أنها مرادة فى الآية ، فأجازوا أكل ذبائح اليهود والنصارى ، واختلفوا فيما هو محرم عليهم فى دينهم ، هل يحل لنا أم لا على ثلاثة أقوال : الجواز ، والمنع ، والكراهة ، وهذا الا[illegible] مبنى على هل هو من طعامهم أم لا فإن أريد بطعامهم ما ذبحوه جاز ، وإن أريد به ما يحل لهم منع ، والكراهة توسط بين القولين القسم الثانى ما لا محاولة لهم فيه كالقمح والفاكهة فهو جائز لنا باتفاق ، والثالث ما فيه محاولة : كالخبز ، وتعصير الزيت ، وعقد الجبن وشبه ذلك مما يمكن استعمال النجاسة فيه ، فمنعه ابن عباس لأنه رأى أن طعامهم هو الذبائح خاصة ، ولأنه يمكن أن يكون نجسا ، وأجازه الجمهور ، لأنه رأوه داخلا فى طعامهم ، هذا إذا كان استعمال النجاسة فيه محتملا ، فأما إذا تحققنا استعمال النجاسة فيه كالخمر والخنزير والميتة ، فلا يجوز أصلا وقد صنف الطرطوشى فى تحريم جبن النصارى ، وقال إنه ينجس البائع والمشترى والآلة ، لأنهم يعقدونه بأنفحة الميتة ، ويجرى مجرى ذلك الزيت إذا علمنا أنهم يجعلونه فى ظروف الميتة (وطعامكم حل لهم) هذه إباحة للمسلمين أن يطعموا أهل الكتاب من طعامهم (والمحصنات) عطف على الطعام الحلال ، وقد تقدم أن الإحصان له أربعة معان : الإسلام ، والتزوج والعفة ، والحرية . فأما الإسلام فلا يصح هنا لقوله من الذين أوتوا الكتاب ، وأما التزوج فلا يصح أيضا لأن ذات الزوج لا تحل لغيره ، ويحتمل هنا العفة والحرية ، فمن حمله

فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ٥ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

على العفة أجاز نكاح المرأة الكتابية سواء كانت حرة أو أمة ، ومن حمله على الحرية أجاز نكاح الكتابية الحرة ومنع الأمة ، وهو مذهب مالك ، ولا تعارض بين هذه الآية . وبين قوله «ولا تنكحوا المشركات» لأن هذه فى الكتابيات ، والأخرى فى المشركات ، وقد جعل بعض الناس هذه ناسخة لتلك ، وقيل بالعكس ، وقد تقدم معنى «فآتوهن أجورهن» ومعنى الأخدان (ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) الآية : نزلت فى غزوة المريسيع ، حين انقطع عقد عائشة رضى الله عنها ، فأقام الناس على التماسه وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فنزلت الرخصة فى التيمم ، فقال أسيد بن حضير ماهذه بأول بركاتكم يا آل أبى بكر ، ولذلك سميت الآية آية التيمم ، وقد كان الوضوء مشروعا قبلها ، ثابتا بالسنة ، وقوله إذا قمتم إلى الصلاة معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضؤا ويقتضى ظاهرها وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة ، وهو مذهب ابن سيرين وعكرمة ومذهب الجمهور أنه لا يجب ، واختلفوا فى تأويل الآية على أربعة أقوال : الأول أن وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخ بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد ، والثانى أن ما تقتضيه الآية من التجديد يحمل على الندب ، والثالث أن تقديرها إذا قمتم محدثين فإنما يجب على من أحدث ، والرابع أن تقديرها إذا قمتم من النوم (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) ذكر فى هذه الآية . أربعة أعضاء اثنين محدودين ، وهما اليدان والرجلان واثنين غير محدودين وهما الوجه والرأس أما المحدودان فتغسل اليدان إلى المرفقين ، والرجلان إلى الكعبين وجوبا بإجماع ، فإن ذلك هو الحد الذى جعل الله لهما ، واختلف هل يجب غسل المرفقين مع اليدين ، وغسل الكعبين مع الرجلين أم لا ، وذلك مبنى على معنى إلى ، فمن جعل إلى بمعنى مع فى قوله إلى المرافق وإلى الكعبين أوجب غسلهما ومن جعلها بمعنى الغاية لم يوجب غسلهما ؛ واختلف فى الكعبين ، هل هما اللذان عند معقد الشراك أو العظمان الناتئان فى طرف الساق ، وهو أظهر لأنه ذكرهما بلفظ التثنية ، ولو كان اللذان عند معقد الشراك لذكرهما بلفظ الجمع كما ذكر المرافق ، لأنه على ذلك فى كل رجل كعب واحد وأما غير المحدودين ، فاتفق على وجوب إيعاب الوجه . وحده طولا من أول منابت الشعر إلى آخر الذقن أو اللحية ، وحده عرضا من الأذن إلى الأذن وقيل من العذار إلى العذار ، وأما الرأس ، فمذهب مالك وجوب إيعابه كالوجه ، ومذهب كثير من العلماء جواز الاقتصار على بعضه ، لما ورد فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسح على ناصيته ، ولكنهم اختلفوا فى القدر الذى يجزئ على أقوال كثيرة (وامسحوا برؤسكم) اختلف فى هذه الباء فقال قوم إنها للتبعيض وبنوا على ذلك جواز مسح بعض الرأس ، وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية وقال القرافى إنها باء الاستعانة التى تدخل على الآلات وأن المعنى امسحوا أيديكم برؤسكم ، وهذا ضعيف لأن الرأس على هذا ماسح لا ممسوح ، وذلك خلاف المقصود ، وقيل إنها زائدة وهو ضعيف ، لأن هذا ليس موضع زيادتها والصحيح عندى أنها باء الإلصاق التى توصل الفعل إلى مفعوله لأن المسح تارة يتعدى بنفسه ، وتارة بحرف الجر : كقوله : فامسحوا بوجوهكم ، وكقوله «فطفق مسحا بالسوق والأعناق» (وأرجلكم إلى الكعبين) قرئ وأرجلكم بالنصب عطفا على الوجوه والأيدى فيقتضى ذلك وجوب غسل الرجلين ، وقرئ بالخفض

Marfat.com

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا

فحمله بعضهم على أنه عطف على قوله برؤسكم ، فأجاز مسح الرجلين ، روى ذلك عن ابن عباس ، وقال الجمهور لا يجوز مسحهما بل يجب غسلهما وتأولوا قراءة الخفض بثلاثة تأويلات أحدها أنه خفض على الجوار لا على العطف والآخر أنه يراد به المسح على الخفين ، والثالث أن ذلك منسوخ بالسنة . والفرق بين الغسل والمسح أن المسح إمرار اليدين بالبلل الذى يبقى من الماء ، والغسل عند مالك إمرار اليد بالماء ، وعند الشافعى إمرار الماء ، وإن لم يدلك باليد (وإن كنتم مرضى أو على سفر) تقدم الكلام على نظيرتها فى النساء (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أى من ضيق ولا مشقة كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دين الله يسر ، وباقى الآية تفضل من الله على عباده ورحمة وفى ضمن ذلك ترغيب فى الطهارة وتنشيط عليها (وميثاقه الذى واثقكم به) هو ما وقع فى بيعة العقبة وبيعة الرضوان ، وكل موطن قال المسلمون فيه سمعنا وأطعنا (كونوا قوامين) تقدم الكلام على نظيرتها فى النساء (ولا يجرمنكم) أى لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم (إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم) فى سببها أربعة أقوال : الأول أن النبى صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بنى النضير من اليهود ، فهموا أن يصبوا عليه صخرة يقتلونه بها ، فأخبره جبريل بذلك فقام من المكان ويقوى هذا القول ما ورد فى الآيات بعد هذا فى غدر اليهود ، والثانى أنها نزلت فى شأن الأعرابى الذى سل السيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجده فى سفر وهو وحده وقال له من يمنعك منى قال الله فأغمد السيف وجلس واسمه غورث بن الحارث الغطفانى ، والثالث أنها فيما هم به الكفار من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخوف ، والرابع أنها على الإطلاق فى دفع الله الكفار عن المسلمين (اثنى عشر نقيبا) النقيب هو كبير القوم القائم بأمورهم (إنى معكم)

Marfat.com

حظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُ سُبُلَ السَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَآءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَٰلَمِينَ * يَٰقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ

أى بصرى ، والخطاب لبنى إسرائيل ، وقيل للنقباء (يحرفون الكلم) اختلف هل أريد تحريف الألفاظ أو المعانى (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) أى على خيانة فهو مصدر كالعاقبة ، وقيل على طائفة خائنة ، وهو إخبار بأمر مستقبل (فاعف عنهم) منسوخ بالسيف والجزية (ومن الذين قالوا إنا نصارى) أى ادعوا أنهم أنصار الله ، وسموا أنفسهم بذلك ثم كفروا بالله ووصفوه بما لا يليق به ، وتتعلق من الذين بأخذنا ميثاقهم والضمير عائد على النصارى (فأغرينا) أى أثبتنا وألصقنا ، وهو مأخوذ من الإغراء (ياأهل الكتاب) فى الموضعين يعم اليهود والنصارى وقيل إنها نزلت بسبب اليهود الذين كانوا بالمدينة فإنهم كانوا يذكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصفونه بصفته فلما حل بالمدينة كفروا به (قد جاءكم رسولنا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ، وفى الآية دلالة على صحة نبوته لأنه بين لهم ما أخفوه مما فى كتبهم ، وهى أمى لم يقرأ كتبهم (ويعفو عن كثير) أى يتركه ولا يفضحكم (فيه نور وكتاب مبين) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قل فمن يملك من الله شيئا) الآية: رد على الذين قالوا إن الله هو عيسى ، وهم فرقة من النصارى (يخلق مايشاء) إشارة إلى خلقه عيسى من غير والد (وقالت اليهود والنصارى) أى قالت كل فرقة عن نفسها إنهم أبناء الله وأحباؤه والبنوة هنا بنوة الحنان والرأفة ، وقال الزمخشرى المعنى : نحن أشياع أبناء الله عندهم ، وهما المسيح وعزير كما يقول حشم الملوك نحن الملوك (فلم يعذبكم) رد عليهم ، لأنهم قد اعترفوا أنهم يدخلون النار أياما معدودات ، وقد أخذ الصوفية من الآية أن المحب لا يعذب

Marfat.com

الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۞ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۞ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۞ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ

حبيبه ، ففي ذلك بشارة لمن أحبه الله (وجعلكم ملوكا) قيل جعل منكم ملوكا أي أمراء ، وقيل الملك من له مسكن وامرأة وخادم (مالم يؤت أحداً من العالمين) قيل يعني المن والسلوى والغمام وغير ذلك من الآيات ، وعلى هذا يكون العالمين خاصا بأهل زمانهم ، لأن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد أوتيت من آياته مثل ذلك وأعظم ، وقيل المراد كثرة الأنبياء ، فعلى هذا يكون عاما ، لأن الأنبياء في بني إسرائيل أكثر منهم في سائر الأمم (الأرض المقدسة) أرض بيت المقدس ، وقيل الطور ، وقيل دمشق (التي كتب الله لكم) أي قضى أن تكون لكم (ولا ترتدوا على أدباركم) يحتمل أن يريد الارتداد عن الدين والطاعة والرجوع إلى الطريق الذي جاءوا منه فإنه روى أنه لما أمرهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة خافوا من الجبارين الذين فيها ، وهموا أن يقدموا على أنفسهم رئيسا ويرجعوا إلى مصر (قوما جبارين) هم العمالقة (قال رجلان) هما يوشع وكالب (يخافون) أي يخافون الله ، وقيل يخافون الجبارين ، ولكن الله أنعم عليهما بالصبر والثبوت لصدق إيمانهما (ادخلوا عليهم الباب) أي باب المدينة (فاذهب أنت وربك) إفراط في العصيان وسوء الأدب بعبارة تقتضي الكفر والاستهانة بالله ورسوله. وأين هؤلاء من الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون (لا أملك إلا نفسي وأخي) قاله موسى عليه السلام ليتبرأ إلى الله من قول بني إسرائيل ويبذل جهده في طاعة الله ويعتذر إلى الله وإعراب أخي عطف على نفسي لأن أخاه هارون كان يطيعه ، وقيل عطف على الضمير في لا أملك : أي لا أملك أنا إلا نفسي ولا يملك أخي إلا نفسه ، وقيل مبتدأ ، وخبره محذوف أي أخي لا يملك إلا نفسه (فافرق بيننا) أي فارق بيننا وبينهم فهو من الفرقة ، وقيل افصل بيننا وبينهم بحكم (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة) الضمير في قال لله تعالى ، وحرم الله على جميع بني إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة وتركهم في هذه المدة يتيهون في الأرض أي في أرض التيه وهو مابين مصر والشام حتى مات كل من قال . إنا لن ندخلها . ولم يدخلها أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالب ومات هرون في التيه ومات موسى بعده في التيه أيضا . وقيل إن موسى وهارون لم يكونا في التيه ، لقوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ، وخرج يوشع ببني إسرائيل بعد الأربعين سنة ، وقاتل الجبارين ، وفتح المدينة ، والعامل في أربعين : محرمة على الأصح ، فيجب وصله معه وقيل العامل فيه يتيهون فعلى هذا يجوز الوقف على قوله محرمة عليهم ، وهذا ضعيف لأنه لا حامل على تقديم المعمول هنا مع أن القول الأول أكمل معنى لأنه بيان لمدة التحريم والتيه (يتيهون) أي يتحيرون ، وروى

Marfat.com

فِى الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَٰسِقِينَ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ لَئِن بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ * مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ

أنهم كانوا يسيرون الليل كله ، فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم فى الموضع الذى كانوا فيه (فلا تأس) أى لا تحزن والخطاب لموسى ، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويراد بالفاسقين من كان فى عصره من اليهود (نبأ ابنى آدم) هما قابيل وهابيل (إذ قربا قربانا) روى أن قابيل كان صاحب زرع فقرب أرذل زرعه ، وكان هابيل صاحب غنم فقرب أحسن كبش عنده ، وكانت العادة حينئذ أن يقرب الإنسان قربانه إلى الله ويقوم يصلى ، فإذا نزلت نار من السماء وأكلت القربان فذلك دليل على القبول وإلا فلا قبول ، فنزلت النار فأخذت كبش هابيل ورفعته وتركت زرع قابيل فحسده قابيل فقتله (إنما يتقبل الله من المتقين) استدل بها المعتزلة وغيرهم على أن صاحب المعاصى لا يتقبل عمله، وتأولها الأشعرية بأن التقوى هنا يراد بها تقوى الشرك (لئن بسطت إلى يدك) الآية ، قيل معناها لئن بدأتنى بالقتال لم أبدأك به ، وقيل إن بدأتنى بالقتال لم أدافعك ، ثم اختلف على هذا القول هل تركه لدفاعه عن نفسه تورعا وفضيلة ؟ وهو الأظهر والأشهر ، وكان واجبا عندهم أن لا يدافع أحد عن نفسه وهو قول مجاهد ، وأما فى شرعنا فيجوز دفع الإنسان عن نفسه بل يجب (إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك) الإرادة هنا ليست بإرادة محبة وشهوة ، وإنما هو تخيير فى أهون الشرين كأنه قال إن قتلتنى ، فذلك أحب إلى من أن أقتلك كما ورد فى الأثر كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل ، وأما قوله بإثمى وإثمك فمعناه بإثم قتلى لك لو قتلتك ، وبإثم قتلك لى ، وإنما يحمل القاتل الإثمين ، لأنه ظالم ، فذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : المتسابان ماقالا فهو على البادئ ، وقيل بإثمى : أى تحمل عنى سائر ذنوبى ، لأن الظالم تجعل عليه فى القيامة ذنوب المظلوم ، وبإثمك أى فى قتلك لى . وفى غير ذلك من ذنوبك (وذلك جزاء الظالمين) يحتمل أن يكون من كلام هابيل ، أو استئنافا من كلام الله تعالى (فبعث الله غرابا) الآية : روى أن غرابين اقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر ، ثم جعل القاتل يبحث عن التراب ويوارى الميت ، وقيل بل كان غرابا واحدا يبحث ويلقى التراب على هابيل (سوءة أخيه) أى عورته وخصت بالذكر ، لأنها أحق بالستر من سائر الجسد ، الضمير فى أخيه عائد على ابن آدم ، ويظهر من هذه القصة أن هابيل كان أول من دفن من بنى آدم (قال ياويلتا) أصله ياويلتى ، ثم أبدل من الياء ألف وفتحت التاء وكذلك يا أسفى . وياحسرتى (فأصبح من النادمين) على ما وقع فيه من قتل أخيه ، واختلف فى قابيل هل كان كافراً أو عاصيا ، والصحيح أنه لم يكن فى تلك المدة كافراً لأنه قصد التقرب إلى الله بالقربان ، وأصبح

Marfat.com

نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ
جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَالِكَ فِى الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ * إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ
يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَالِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ

هنا وفى الموضع عبارة عن جميع الأوقات لا مختصة بالصباح (من أجل ذلك) يتعلق بكتبنا ، وقيل بالنادمين ، وهو ضعيف (كتبنا على بنى إسرائيل) أى فرضنا عليهم أو كتبناه فى كتبهم (بغير نفس) معناه من غير أن يقتل نفسا يجب عليه القصاص (أو فساد فى الأرض) يعنى الفساد الذى يجب به القتـل كالحرابة (فكأنما قتل الناس جميعا) تمثيل قاتل الواحد بقاتل الجميع يتصور من ثلاث جهات إحداها القصاص ، فإن القصاص فى قاتل الواحد والجميع سواء . الثانية انتهاك الحرمة والإقدام على العصيان ، والثالثة الإثم والعذاب الأخروى قال مجاهد : وعد الله قاتل النفس بجهنم والخلود فيها ، والغضب واللعنة والعذاب العظيم . فلو قتل جميع الناس لم يزد على ذلك ، وهذا الوجه هو الأظهر ، لأن القصد بالآية : تعظيم قتل النفس والتشديد فيه لينزجر الناس عنه ، وكذلك الثواب فى إحيائها كثواب إحياء الجميع لتعظيم الأمر والترغيب فيـه وإحياؤها هو إنقاذها من الموت كإنقاذ الحريق أو الغريق وشبه ذلك وقيل بترك قتلها ، وقيل بالعفو إذا وجب القصاص (ولقد جاءتهم) الضـمير لبنى إسرائيل . والمعنى تقبيح أفعالهم ، وفى ذلك إشارة إلى ماهموا به من قتـل رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنمـا جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية : سببها عند ابن عباس أن قوما من اليهود كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل ، وقال جماعة نزلت فى نفر من عكل وعرينة أسلموا ثم إنهم قتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم وأخذوا إبله ثم حكمها بعد ذلك فى كل محارب ، والمحاربة عند مالك هى حمل السلاح على الناس فى بلد أو فى خارج بلد ، وقال أبو حنيفة لا يكون المحارب إلا خارج البلد ، وقوله : يحاربون الله : تغليظ ومبالغة ، وقال بعضهم تقديره يحاربون رسول الله صلى الله تعـالى عليه وعلى آله وسـلم وذلك ضعيف . لأن الرسول عليـه الصلاة والسـلام ذكر بعـد ذلك وقيـل يحاربون عباد الله وهو أحسن (ويسعون فى الأرض فسادا) بيان للحرابة وهى على درجات أدناها إخافة الطريق ثم أخذ المـال ثم قتل النفس (أن يقتلوا أو يصلبوا) الصلب مضاف إلى القتل وقيل يقتل ثم يصلب ليراه أهل الفساد فينزجروا ، وهو قول أشهب ، وقيل يصلب حيا ، ويقتل على الخشبة ، وهو قول ابن القاسم (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) معناه أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ، ثم إن عاد : قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى ، وقطع اليد عند مالك والجمهور من الرسغ ، وقطع الرجل من المفصل ، وذلك فى الحرابة وفى السرقة (أو ينفوا من الأرض) مشهور مذهب مالك أن ينفى من بلد إلى بلد آخر ، ويسجن فيه إلى أن تظهر توبته ، وروى عنه مطرف أنه يسجن فى البلد بعينه ، وبذلك قال أبو حنيفة ، وقيل ينفى إلى بلد آخر دون أن يسجن فيه ، ومذهب مالك أن الإمام مخير فى المحارب بين أن يقتله ويصلبه ، أو يقتله ولا يصلبه أو يقطع يده ورجله ، أو ينفيه ، إلا أنه قال إن كان قتل فلا بد من قتله ، وإن لم يقتل ، فالأحسن أن يأخذ

Marfat.com

تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

فيه بأيسر العقاب ، وقال الشافعي وغيره : هذه العقوبات مرتبة فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ، ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب ، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله ، ومن أخاف السبيل ولم يقتل ولم يأخذ مالا نفي ، وحجة مالك عطف هذه العقوبات بأو التي تقتضي التخيير (خزي في الدنيا) هو العقوبة ، وعذاب الآخرة النار وظاهر هذا أن العقوبة في الدنيا لا تكون كفارة للمحارب ، بخلاف سائر الحدود ، ويحتمل أن يكون الخزي في الدنيا لمن عوقب فيها ، والعذاب في الآخرة لمن لم يعاقب (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) قيل هي في المشركين وهو ضعيف ، لأن المشرك لا يختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها ، وقيل هي في المحاربين من المسلمين وهو الصحيح ، وهم الذين جاءتهم العقوبات المذكورة ، فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه ، فقد سقط عنه حكم الحرابة لقوله : فاعلموا أن الله غفور رحيم واختلف يطالب بما عليه من حقوق الناس في الدماء والأموال أولا ؟ فوجه المطالبة بها أنها زائدة على حد الحرابة التي سقطت عنه بالتوبة ، ووجه إسقاطها إطلاق قوله غفور رحيم (وابتغوا إليه الوسيلة) أي ما يتوسل به ويتقرب به اليه من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك (ليفتدوا به) إن قيل لم وحد الضمير وقد ذكر شيئين وهما ما في الأرض ومثله ؟ فالجواب أنه وضع المفرد في موضع الاثنين ، وأجرى الضمير مجرى اسم الإشارة كأنه قال ليفتدوا بذلك ، أو تكون الواو بمعنى مع (عذاب مقيم) أي دائم ، وكذلك نعيم مقيم (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) عموم الآية يقتضي قطع كل سارق إلا أن الفقهاء اشترطوا في القطع شروطا خصصوا بها العموم ، فمن ذلك من اضطره الجوع إلى السرقة لم يقطع عند مالك لتحليل الميتة له ، وكذلك من سرق مال والده أو سيده ، أو من سرق من غير حرز ، أو سرق أقل من النصاب ، وهو عند مالك ربع دينار من الذهب ، أو ثلاثة دراهم من الفضة ، أو ما يساوي أحدهما ، وأدلة التخصيص بهذه الأشياء في غير هذه الآية ، وقد قيل إن الحرز مأخوذ من هذه الآية ، لأن ما أهمل بغير حرز أو ائتمن عليه ، فليس أخذه سرقة وإنما هو اختلاس أو خيانة ، وإعراب السارق عند سيبويه مبتدأ ، وخبره محذوف : كأنه قال فيما يتلى عليكم السارق والسارقة ، والخبر عند المبرد وغيره فاقطعوا أيديهما ، ودخلت الفاء لتضمنها معنى الشرط (فمن تاب من بعد ظلمه) الآية : توبة السارق هو أن يندم على ما مضى ، ويقلع فيما يستقبل ، ويرد ما سرق إلى من يستحقه ، واختلف إذا تاب قبل أن يصل إلى الحاكم ، هل يسقط عنه القطع وهو مذهب الشافعي لظاهر الآية ؟ أو لا يسقط عنه وهو مذهب مالك لأن الحدود عنده

Marfat.com

يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ

لا تسقط بالتوبة إلا عن المحارب للنص عليه (يعذب من يشاء) قدم العذاب على المغفرة لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة (ياأيها الرسول) الآية : خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على وجه التسلية (من الذين قالوا آمنا بأفواههم) هم المنافقون (ومن الذين هادوا) يحتمل أن يكون عطفا على الذين قالوا آمنا ، ثم يكون سماعون استئناف إخبار عن الصنفين المنافقين واليهود ، ويحتمل أن يكون من الذين هادوا : استئنافا منقطعا مما قبله ، وسماعون راجع إليهم خاصة (سماعون لقوم آخرين) أي سماعون كلام قوم آخرين من اليهود الذين لا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم لإفراط البغضة والمجاهرة بالعداوة ، فقوله لم يأتوك صفة لقوم آخرين ، والمراد بالقوم الآخرين يهود خيبر ، والسماعون للكذب بنو قريظة (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي يبدلونه من بعد أن يوضع في موضعه ، وقصدت به وجوهه القويمة ، وذلك من صفة اليهود (يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه) نزلت بسبب أن يهوديا زنى بيهودية فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود عن حد الزاني عندهم فقالوا نجلدهما ونحمم وجوههما . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في التوراة الرجم ، فأنكروا ذلك ، فأمرهم أن يأتوا بالتوراة فقرؤها ، فجعل أحدهم يده على آية الرجم ، فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع ، فإذا آية الرجم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهودي واليهودية فرجما، فمعنى قولهم إن أوتيتم هذا فخذوه : إن أوتيتم هذا الذي ذكرتم من الجلد والتحميم فخذوه واعملوا به ، وإن لم تؤتوه وأفتاكم محمد صلى الله عليه وسلم بغيره فاحذروا (فتنته) أي ضلالته في الدنيا أو عذابه في الآخرة (في الدنيا خزي) الذلة والمسكنة والجزية (سماعون للكذب) إن كان الأول في اليهود فكررها هنا تأكيدا ، وإن كان الأول في المنافقين واليهود فهذا في اليهود خاصة (أكالون للسحت) أي للحرام من الرشوة والربا وشبه ذلك (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) هذا تخيير للنبي صلى الله عليه وسلم في أن يحكم بين اليهود أو يتركهم وهو أيضا يتناول الحاكم ، وقيل إنه منسوخ بقوله : وأن احكم بينهم بما أنزل الله (وكيف يحكمونك) الآية : استبعاد لتحكيمهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم لا يؤمنون به ، مع أنهم يخالفون حكم التوراة التي يدعون الإيمان بها ، فمعنى ثم يتولون من بعد ذلك أي يتولون عن اتباع حكم الله في التوراة من بعد كون حكم الله فيها موجودا عندهم ومعلوما في قضية الرجم وغيرها (وما أولئك بالمؤمنين) يعني أنهم لا يؤمنون بالتوراة وبموسى عليه

Marfat.com

بِالْمُؤْمِنِينَ * إِنَّآ أَنزَلْنَا التَّوْرَاٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّـٰنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَـٰبِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْكَـٰفِرُونَ * وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الظَّـٰلِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

السلام ، وهذا إلزام لهم لأن من خالف كتاب الله و بدله فدعواه الإيمان به باطلة (النبيون الذين أسلموا) هم الأنبياء الذين بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، ومعنى أسلموا هنا أخلصوا لله وهو صفة مدح أريد به التعريض باليهود لأنهم بخلاف هذه الصفة ، وليس المراد هنا الإسلام الذى هو ضد الكفر ؛ لأن الأنبياء لا يقال فيهم أسلموا على هذا المعنى ، لأنهم لم يكفروا قط ، وإنما هو كقول إبراهيم عليه السلام : أسلمت لرب العالمين ، وقوله تعالى فقل أسلمت وجهى لله (للذين هادوا) متعلق بيحكم أى يحكم الأنبياء بالتوراة للذين هادوا ، ويحملونهم عليها ، ويتعلق بقوله فيه هدى ونور (بما استحفظوا) أى كلفوا حفظه ، والباء هنا سببية قاله الزمخشرى ، ويحتمل أن تكون بدلا من المجرور فى قوله يحكم بها (فلا تخشوا الناس) ومابعده خطابا لليهود ، ويحتمل أن تكون وصية للمسلمين يراد بها التعريض باليهود ، لأن ذلك من أفعالهم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس نزلت الثلاثة فى اليهود : الكافرون ، والظالمون ، والفاسقون ، وقد روى فى هذا أحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال جماعة هى عامة فى كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم ، إلا أن الكفر فى حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان ، وقال الشافعى : الكافرون فى المسلمين ، والظالمون فى اليهود ، والفاسقون فى النصارى (وكتبنا عليهم فيها) كتبنا بمعنى الكتابة فى الألواح ، أو بمعنى الفرض والإلزام ، والضمير فى عليهم لبنى إسرائيل ، وفى قوله فيها للتوراة (أن النفس بالنفس) أى تقتل النفس إذا قتلت نفسا ، وهذا إخبار عما فى التوراة وهو حكم فى شريعتنا بإجماع ، إلا أن هذا اللفظ عام ، وقد خصص العلماء منه أشياء ، فقال مالك : لا يقتل مؤمن بكافر للحديث الوارد فى ذلك ولا يقتل حر بعبد ، لقوله الحر بالحر والعبد بالعبد ، وقد تقدم الكلام على ذلك فى البقرة (والعين بالعين) ومابعده حكم القصاص فى الأعضاء ، والقراءة بنصب العين وما بعده عطف على النفس ، وقرئ بالرفع ولها ثلاثة أوجه : أحدها العطف على موضع النفس لأن المعنى قلنا لهم النفس بالنفس والثانى العطف على الضمير الذى فى الخبر وهو بالنفس ، والثالث أن يكون مستأنفا مرفوعا بالابتداء (والجروح قصاص) بالنصب عطف على المنصوبات قبله ، وبالرفع على الأوجه الثلاثة التى فى رفع العين ، وهذا اللفظ عام يراد به الخصوص فى الجراح التى لا يخاف على النفس منها (فمن تصدق به فهو كفارة له) فيه تأويلان : أحدهما من تصدق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه ، فذلك كفارة له يكفر الله ذنوبه لعفوه وإسقاطه حقه ، والثانى من تصدق وعفا فهو كفارة للقاتل والجارح بعفو الله عنه فى ذلك لأن صاحب الحق قد عفا عنه ، فالضمير فى له على التأويل الأول يعود على من التى هى كناية عن

Marfat.com

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ❋ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ❋ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ❋ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ❋ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ❋ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

المقتول أو المجروح ، أو الولى ، وعلى الثانى يعود على القاتل أو الجارح وإن لم يجر له ذكر ولكن سياق الكلام يقتضيه ، والأول أرجح لعود الضمير على مذكور ، وهو من ، ومعناها واحد على التأويلين ، والصدقة بمعنى العفو على التأويلين ، إلا أن التأويل الأول بيان لأجر من عفا ، وترغيب فى العفو . والتأويل الثانى : بيان لسقوط الإثم عن القاتل أو الجارح إذا عفى عنه (مصدقا لما بين يديه) قد تقدم معنى مصدق فى البقرة ، ولما بين يديه : يعنى التوراة ، لأنها قبله ، والقرآن مصدق للتوراة والإنجيل ، لأنهما قبله ، ومصدقا : عطف على موضع قوله فيه هدى ونور ، لأنه فى موضع الحال (ومهيمنا) ابن عباس شاهدا ، وقيل مؤتمنا (عما جاءك من الحق) تضمن الكلام معنى لا تنصرف أو لا تنحرف ، ولذلك تعدى بعن (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ابن عباس سبيلا وسنة ، والخطاب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو الأمم ، والمعنى أن الله جعل لكل أمة شريعة يتبعونها ، وقد استدل بها من قال إن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا ، وذلك فى الأحكام والفروع ، وأما الاعتقاد ، فالدين فيها واحد لجميع العالم ، وهو الإيمان بالله ، وتوحيده وتصديق رسله . والإيمان بالدار الآخرة (فاستبقوا الخيرات) استدل به قوم على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها ، وهذا متفق عليه فى العبادات كلها ، إلا الصلاة ففيها خلاف ، فمذهب الشافعى أن تقديمها فى أول وقتها أفضل ، وعكس أبو حنيفة ، وفى مذهب مالك خلاف وتفصيل ، واتفقوا أن تقديم المغرب أفضل (وأن احكم بينهم) عطف على الكتاب فى قوله : وأنزلنا إليك الكتاب ، أو على الحق فى قوله : بالحق ، وقال قوم إن هذا وقوله قبله فاحكم بينهم ناسخ لقوله : فاحكم بينهم أو أعرض عنهم : أى ناسخ للتخيير الذى فى الآية . وقيل إنه ناسخ للحكم بالتوراة ، ونزلت الآية بسبب قوم من اليهود ، طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم فأبى من ذلك ، ونزلت الآية تقضى أن يحكم بينهم (أفحكم الجاهلية يبغون) توبيخ لليهود ، وقرئ بالياء إخبارا عنهم ، وبالتاء خطابا لهم (لقوم يوقنون) قال الزمخشرى اللام للبيان : أى هذا الخطاب لقوم يوقنون ، فإنهم الذين يتبين لهم أنه لا أحسن من الله حكما (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) سببها موالاة عبد الله بن أبى بن سلول ليهود

Marfat.com

الْيَهُودَ وَالنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ * وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ

بنى قينقاع ، وخلع عبادة بن الصامت الحلف الذى كان بينه وبينهم، ولفظها عام، وحكمها باق ، ولا يدخل فيه معاملتهم فى البيع والشراء وشبهه (فإنه منهم) تغليظ فى الوعيد ، فمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه ومن خالفهم فى اعتقادهم وأحبهم فهو منهم فى المقت عند الله ، واستحاق العقوبة (فترى الذين فى قلوبهم مرض) هم المنافقون والمراد هنا عبدالله بن أبى ابن سلول ومن كان معه (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) كان عبد الله بن أبى يوالى اليهود ويستكثرهم، ويقول إنى رجل أخشى الدوائر (فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده) الفتح هنا هو ظهور النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين، والأمر من عنده : هو هلاك الأعداء بأمراض عنده لا يكون فيه تسبب لمخلوق، أو أمر من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بقتل اليهود (فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين) الضمير فى فيصبحوا للمنافقين والذى أسروه هو قصدهم الاستعانة باليهود على المسلمين وإضمار العداوة للمسلمين (يقول الذين آمنوا) قرئ يقل بغير واو استئناف وإخبار ، وقرئ بالواو والرفع وهو عطف جملة على جملة ، وبالواو والنصب عطفا على أن يأتى الله ، أو عطفا على فيصبحوا (هؤلاء الذين أقسموا) الاشارة إلى المنافقين ، لأنهم كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين ، وانتصب جهد أيمانهم على المصدر المؤكد (حبطت أعمالهم) يحتمل أن يكون من كلام المؤمنين ، أو من كلام الله ، ويحتمل أن يكون دعاء أو خبر (من يرتد منكم عن دينه) خطاب على وجه التحذير والوعيد ، وفيه إعلام بارتداد بعض المسلمين فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه ، ثم وقع فارتد فى حياة رسول صلى الله عليه وسلم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب ، وبنو مدلج قوم الأسود العنسى الذى ادعى النبوة ، وقتل فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد الذى ادعى النبوة ثم أسلم وجاهد ، ثم كثر المرتدون ، وفشا أمرهم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كفى الله أمرهم على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكانت القبائل التى ارتدت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع قبائل بنو فزارة وغطفان وبنو سليم وبنو يربوع وكندة ، وبنو بكر بن وائل ، وبعض بنى تميم ، ثم ارتدت غسان فى زمان عمر بن الخطاب ، وهم جبلة بن الأيهم الذى تنصر من أجل اللطمة (فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها ، وقال هم قوم هذا يعنى أبا موسى الأشعرى، والاشارة بذلك والله أعلم إلى أهل اليمن ، لأن الأشعريين من أهل اليمن ، وقيل المراد أبى بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ويقوى ذلك ما ظهر من أبى بكر الصديق رضى الله عنه من الجد فى قتالهم ، والعزم عليه حين خالفه فى ذلك بعض الناس ، فاشتد عزمه حتى وافقوه وأجمعوا عليه فنصرهم الله على أهل الردة ، ويقوى ذلك أيضا

Marfat.com

فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً

أن الصفات التى وصف بها هؤلاء القوم هى أوصاف أبى بكر، ألا ترى قوله: أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكان أبو بكر ضعيفا فى نفسه قويا فى الله، وكذلك قوله: ولا يخافون لومة لائم: إشارة إلى من خالف أبا بكر ولامه فى قتال أهل الردة فلم يرجع عن عزمه (أذلة على المؤمنين) كقوله أشداء على الكفار رحماء بينهم، وإنما تعدى أذلة بعلى، لأنه تضمن معنى العطف والحنو، فإن قيل: أين الراجع من الجزاء إلى الشرط؟ فالجواب: أنه محذوف تقديره من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم مكانهم أو بقوم يقاتلونهم (إنما وليكم الله) ذكر الولىّ بلفظ المفرد إفراداً لله تعالى بها ثم عطف على اسمه تعالى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على سبيل التبع، ولو قال إنما أولياؤكم لم يكن فى الكلام أصل وتبع (وهم راكعون) قيل نزلت فى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فإنه سأله سائل وهو راكع فى الصلاة، فأعطاه خاتمه، وقيل هى عامة، وذكر الركوع بعد الصلاة لأنه من أشرف أعمالها، فالواو على القول الأول واو الحال، وعلى الثانى للعطف (فإن حزب الله) هذا من إقامة الظاهر مقام المضمر: معناه فإنهم هم الغالبون (والكفار) بالنصب عطف على الذين اتخذوا، وقرئ بالخفض عطف على الذين أوتوا الكتاب، ويعضده قراءة ابن مسعود: ومن الكفار، ويراد بهم المشركون من العرب (وإذا ناديتم إلى الصلاة) الآية: روى أن رجلا من النصارى كان بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال: حرق الله الكاذب، فوقعت النار فى بيته فاحترق هو وأهله، واستدل بعضهم بهذه الآية على ثبوت الأذان من القرآن (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) جعل قلة عقولهم علة لاستهزائهم بالدين (هل تنقمون منا) هل تعيبون علينا وتنكرون منا إلا إيماننا بالله، وبجمع كتبه ورسله، وذلك أمر لا ينكر ولا يعاب، ونظير هذا فى الاستثناء العجيب قول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ونزلت الآية بسبب أبى ياسر بن أخطب، ونافع بن أبى نافع، وجماعة من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرسل الذى يؤمن بهم فتلا: آمنا بالله وما أنزل إلينا إلى آخر الآية، فلما ذكر عيسى قالوا لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به (وأن أكثركم فاسقون) قيل إنه معطوف على آمنا، وقيل على ما أنزل، وقيل هو تعليل معطوف على تعليل محذوف تقديره هل تنقمون منا إلا لقلة إنصافكم ولأن أكثركم فاسقون ويحتمل أن يكون وأنّ أكثركم مبتدأ وخبره محذوف تقديره فسقكم معلوم، أو ثابت (قل هل أنبئكم بشر من

عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل * وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون ۝ وترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون ۝ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون * وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ۝ ولو أن أهل

ذلك) لما ذكر أن أهل الكتاب يعيبون المسلمين بالإيمان بالله ورسله ذكر عيوب أهل الكتاب فى مقابلة ذلك ردا عليهم ، فالخطاب فى أنبئكم لليهود ، والإشارة بذلك إلى ما تقدم من حال المؤمنين (مثوبة عند الله) هى من الثواب ووضع الثواب موضع العقاب تهكما بهم نحو قوله : فبشرهم بعذاب أليم (من لعنه الله) يعنى اليهود ومن فى موضع رفع بخبر مبتدإ مضمر تقديره هو من لعنه الله ، أو فى موضع خفض على البدل من بشر ، ولا بد فى الكلام من حذف مضاف تقديره بشر من أهل ذلك وتقديره دين من لعنه الله (وجعل منهم القردة والخنازير) مسخ قوم من اليهود قرودا حين اعتدوا فى السبت ، ومسخ قوم منهم خنازير حين كذبوا بعيسى ابن مريم (وعبد الطاغوت) القراءة بفتح الباء فعل معطوف على لعنه الله ، وقرئ بضم الباء وخفض الطاغوت على أن يكون عبدا اسما على وجه المبالغة كيقظ أضيف إلى الطاغوت ، وقرئ وعابد وعباد ، وهو فى هذه الوجوه عطف على القردة والخنازير (شر مكانا) أى منزلة ونسب الشر للمكان وهو فى الحقيقة لأهله ، وذلك مبالغة فى الذم (وإذا جاؤكم قالوا آمنا) نزلت فى منافقين من اليهود (وقد دخلوا بالكفر) تقديره ملتبسين بالكفر ، والمعنى دخلوا كفارا وخرجوا كفارا ، ودخلت قد على دخلوا وخرجوا : تقريبا للماضى من الحال أى ذلك حالهم فى دخولهم وخروجهم على الدوام (بالإثم) الكذب وسائر المعاصى (والعدوان) الظلم (السحت) الحرام (لولا ينهاهم) عرض وتحضيض وتقريع (ليس) اللام فى الموضعين للقسم (وقالت اليهود يد الله مغلولة) غل اليد كناية عن البخل وبسطها كناية عن الجود ومنه : ولا تجعل يدك مغلولة : أى لا تبخل كل البخل ، ولا تبسطها كل البسط : أى لا تجد كل الجود ، وروى أن اليهود أصابتهم سنة جهد فقالوا هذه المقالة الشنيعة ، وكان الذى قالها فنحاص ، ونسبت إلى جملة اليهود ، لأنهم رضوا بقوله (غلت أيديهم) يحتمل أن يكون دعاء أو خبرا ، ويحتمل أن يكون فى الدنيا أو فى الآخرة ، فإن كان فى الدنيا ، فيحتمل أن يراد به البخل أو غل أيديهم فى الأسر، وإن كان فى الآخرة ، فهو جعل الأغلال فى جهنم (بل يداه مبسوطتان) عبارة عن إنعامه وجوده ، وإنما ثنيت اليدان هنا وأفردت فى قول اليهود : يد الله مغلولة ، ليكون ردا عليهم ومبالغة فى وصفه تعالى بالجود : كقول العرب فلان يعطى بكلتا يديه إذا كان عظيم السخاء (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها

Marfat.com

الْكِتَٰبِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ * يَٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ ، قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِـُٔونَ وَالنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ

الله) إيقاد النار عبارة عن محاولة الحرب ، وإطفاؤها عبارة عن خذلانهم وعدم نصرهم ، ويحتمل أن يراد بذلك أسلافهم ، أو يراد من كان معاصرا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم منهم ، ومن يأت بعدهم ، فيكون على هذا إخبار بغيب ، وبشارة للمسلمين (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) الآية : يحتمل أن يراد أسلافهم والمعاصرون للنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، فيكون على هذا ترغيبا لهم فى الإيمان والتقوى (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) إقامتها بالعلم والعمل ؛ وذكر الإنجيل دليل على دخول النصارى فى لفظ أهل الكتاب (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) قيل من فوقهم عبارة عن المطر ، ومن تحت أرجلهم : عبارة عن النبات والزرع ، وقيل ذلك استعارة فى توسعة الرزق من كل وجه (أمة مقتصدة) أى معتدلة ، ويراد به من أسلم منهم : كعبدالله بن سلام ، وقيل من لم يعاد الأنبياء المتقدمين (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) أمر بتبليغ جميع ما أوحى إليه على الاستيفاء والكمال ، لأنه كان قد بلغ وإنما أمر هنا ألا يتوقف عن شيء مخافة أحد (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) هذا وعيد على تقدير عدم التبليغ ، وفى ارتباط هذا الشرط بجوابه قولان : أحدهما أن المعنى إن تركت منه شيئا ، فكأنك لم تبلغ شيئا ، وصار ما بلغت لا يعتد به ، فمعنى إن لم تفعل : إن لم تستوف التبليغ على الكمال ، والآخر أن المعنى إن لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتمها ، ووضع السبب موضع المسبب (والله يعصمك من الناس) وعد وضمان للعصمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف أعداءه ويحترس منهم فى غزواته وغيرها ، فلما نزلت هذه الآية ، قال يا أيها الناس انصرفوا فإن الله قد عصمنى وترك الاحتراس (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) الآية ؛ أى لستم على دين يعتد به يسمى شيئا (حتى تقيموا التوراة والإنجيل) ومن إقامتها الإيمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وقوله (وما أنزل إليكم) قال ابن عباس : يعنى القرآن ، ونزلت الآية بسبب رافع بن حارثة وسلام بن بشكم ورافع بن خزيمة وغيرهم من اليهود جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالوا إنا نتبع التوراة ولا نتبع غيرها ، ولا نؤمن بك ولا نتبعك (إن الذين آمنوا والذين هادوا) تقدم الكلام على نظيرتها فى البقرة (والصابئون) قراءة السبعة بالواو وهى مشكلة حتى قالت عائشة : هى من لحن كتاب المصحف ، وإعرابها عند أهل البصرة مبتدأ وخبره محذوف

Marfat.com

إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ * وَحَسِبُوٓا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۞ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۞ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۞ لُعِنَ ٱلَّذِينَ

تقديره والصابئون كذلك وهو مقدم فى نية التأخير ، وأجاز بعض الكوفيين أن يكون معطوفا على موضع اسم إن ، وقيل إن هنا بمعنى نعم ومابعدها مرفوع بالابتداء وهو ضعيف (وحسبوا أن لا تكون فتنة) أى بلاء واختبار ، وقرئ تكون بالرفع على أن تكون أن مخففة من الثقيلة ، وبالنصب على أنها مصدرية (فعموا وصموا) عبارة عن تماديهم على المخالفة والعصيان (ثم تاب الله عليهم) قيل إن هذه التوبة رد ملكهم ورجوعهم إلى بيت المقدس بعد خروجهم منه ، ثم أخرجوا المرة الثانية فلم ينجبر حالهم أبدا ، وقيل التوبة بعث عيسى عليه السلام ، وقيل بعث محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم (كثير منهم) بدل من الضمير أو فاعل على لغة أكلونى البراغيث والبدل أرجح وأفصح (وقال المسيح) الآية : رد على النصارى ، وتكذيب لهم (وما للظالمين من أنصار) يحتمل أن يكون من كلام المسيح ، أو من كلام الله (ما المسيح ابن مريم إلا رسول) الآية : رد على من جعله إلها (وأمه صديقة) أى بليغة الصدق فى نفسها ، أو من التصديق ، ووصفها بهذه الصفة دون النبوة يدفع قول من قال إنها نبية (كانا يأكلان الطعام) استدلال على أنهما ليسا بإلهين لاحتياجهما إلى الغذاء الذى لا يحتاج إليه إلا محدث مفتقر ، ومن كان كذلك فليس بإله ، لأن الإله منزه عن صفة الحدوث ، وعن كل ما يلحق البشر ، وقيل إن قوله يأكلان الطعام : عبارة عن الاحتياج إلى الغائط ، ولا ضرورة تدعو إلى إخراج اللفظ عن ظاهره ، لأن الحجة قائمة بالوجهين (ثم انظر) دخلت ثم لتفاوت الأمرين ولقصد التعجيب من كفرهم بعد بيان الآيات (قل أتعبدون من دون الله) الآية : إقامة حجة على من عبد عيسى وأمه وهما لا يملكان ضرا ولا نفعا (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) خطاب للنصارى والغلو الإفراط وسبب ذلك كفر النصارى (ولا تتبعوا أهواء قوم) قيل هم أئمتهم فى دين النصرانية كانوا على ضلال فى عيسى وأضلوا كثيراً من الناس ، ثم ضلوا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل هم اليهود ، والأول أرجح

Marfat.com

كَفَرُوا من بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ * فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا

لوجهين : أحدهما أن الضلال وصف لازم للنصارى ألا ترى قوله تعالى ولا الضالين ، والآخر أنه يبعد نهى النصارى عن اتباع اليهود مع ما بينهم من الخلاف والشقاق (على لسان داود وعيسى ابن مريم) أى فى الزبور والإنجيل (لا يتناهون) أى لا ينهى بعضهم بعضا (عن منكر) فان قيل : لم وصف المنكر بقوله فعلوه والنهى لا يكون بعد الفعل ؟ فالجواب : أن المعنى لا يتناهون عن مثل منكر فعلوه ، أو عن منكر إن أرادوا فعله (ترى كثيرا منهم) إن أراد أسلافهم ، فالرؤية بالقلب ، وإن أراد المعاصرين للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الأظهر ، فهى رؤية عين (والنبى وما أنزل إليه) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (ما اتخذوهم أولياء) يعنى ما تخذوا الكفار أولياء (لتجدن أشد الناس عداوة) الآية : إخبار عن شدة عداوة اليهود وعبدة الأوثان للمسلمين (ولتجدن أقربهم مودة) الآية : إخبار أن النصارى أقرب إلى مودة المسلمين ، وهذا الأمر باق إلى آخر الدهر فكل يهودى شديد العدواة للإسلام والكيد لأهله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) تعليل لقرب مودتهم ، والقسيس العالم والراهب العابد (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) الآية : هى فى النجاشى ، وفى الوفد الذين بعثهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سبعون رجلا ، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فبكوا كما بكى النجاشى حين قرأ عليه جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه سورة مريم ، وقال السهيلى : نزلت فى وفد نجران ، وكانوا نصارى عشرين رجلا ، فلما سمعوا القرآن بكوا (مما عرفوا من الحق) من الأولى سببية والثانية بيان للجنس (آمنا) أى بالقرآن من عند الله (مع الشاهدين) أى مع المسلمين ، وكذلك مع القوم الصالحين (وما لنا لا نؤمن بالله) توقيف لأنفسهم ، أو محاجة لغيرهم (ونطمع) قال الزمخشرى الواو للحال ، وقال ابن عطية لعطف جملة على جملة لا لعطف فعل على فعل (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) سببها أن قوما من

اللهَ الَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ * لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَـٰنَ
فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوٓا أَيْمَـٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ * يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَـٰنِ
فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَآءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

الصحابة غاب عليهم خوف الله إلى أن حرم بعضهم النساء ، وبعضهم النوم بالليل ، وبعضهم أكل اللحم ، وهم بعضهم أن يختصوا ، أو يسيحوا فى الأرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أما أنا فأقوم وأنام ، وأصوم وأفطر ، وآتى النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى (ولا تعتدوا) أى لا تفرطوا فى التشديد على أنفسكم أكثر مما شرع لكم (وكلوا) أى تمتعوا بالمآكل الحلال ، وبالنساء وغير ذلك ، وإنما خص الأكل بالذكر ، لأنه أعظم حاجات الإنسان (باللغو) تقدم فى البقرة (بما عقدتم الأيمان) أى بما قصدتم عقده بالنية ، وقرئ عقدتم بالتخفيف ، وعاقدتم بالألف (إطعام عشرة مساكين) اشتراط المسكنة دليل على أنه لا يجزى فى الكفارة إطعام غنى ، فإن أطعم جهلا لم يجزيه على المشهور من المذهب ، واشترط مالك أيضا أن يكونوا أحرارا مسلمين ، وليس فى الآية ما يدل على ذلك (من أوسط ما تطعمون أهليكم) اختلف فى هذا التوسط هل هو فى القدر أو فى الصنف ، واللفظ يحتمل الوجهين ، فأما القدر فقال مالك يطعم بالمدينة مد بمد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وبغيرها وسط من الشبع ، وقال الشافعى وابن القاسم : يجزى المد فى كل مكان وقال أبو حنيفة إن غداهم وعشاهم أجزأه ، وأما الصنف فاختلف هل يطعم من عيش نفسه ، أو من عيش أهل بلده ؟ فمعنى الآية على التأويل الثانى من أوسط ما تطعمون أيها الناس أهليكم على الجملة ، وعلى الأول يختص الخطاب بالكفر (أو كسوتهم) قال كثير من العلماء يجزى ثوب واحد لمسكين ، لأنه يقال فيه كسوة ، وقال مالك إنما يجزى ما تصح به الصلاة ، فالرجل ثوب واحد ، وللمرأة قميص وخمار (أو تحرير رقبة) اشترط مالك فيها أن تكون مؤمنة لتقيدها بذلك فى كفارة القتل ، فحمل هذا المطلق على ذلك المقيد ، وأجاز أبو حنيفة هنا عتق الكافرة ، لإطلاق اللفظ هنا ، واشترط مالك أيضا أن تكون سليمة من العيوب وليس فى اللفظ ما يدل على ذلك (فمن لم يجد) أى من لم يملك ما يعتق ولا ما يطعم ولا ما يكسو فعليه صيام ثلاثة أيام ، فالخصال الثلاث على التخيير ، والصيام مرتب بعدها لمن عدمها ، وهو عند مالك من لم يفضل عن قوته وقوت عياله فى يومه زيادة (ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم) معناه إذا حلفتم وخشيتم أو أردتم الحنث ، واختلف هل يجوز تقديم الكفارة على الحنث أم لا (واحفظوا أيمانكم) أى احفظوها فبروا فيها ، ولا تحنثوا ، وقيل : احفظوها بأن تكفروها إذا حنثتم ، وقيل احفظوها أى لا تنسوها تهاونا بها (الخمر والميسر) ذكر فى البقرة (والأنصاب والأزلام) مذكوران فى أول هذه السورة (رجس) هو فى اللغة كل مكروه مذموم وقد يطلق بمعنى النجس وبمعنى الحرام وقال ابن عباس معنى رجس سخط (فاجتنبوه) نص فى التحريم والضمير يعود على الرجس الذى هو خبر عن جميع الأشياء

Marfat.com

وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ * وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ * لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا إِذَا مَا ٱتَّقَوا وَّءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا وَّءَامَنُوا ثُمَّ ٱتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ

المذكورة (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) تقبيح للخمر والميسر، وذكر لبعض عيوبها، وتعليل لتحريمها، وقد وقعت فى زمان الصحابة عداوة بين أقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها، ويقال إن ذلك كان سبب نزول الآية (فهل أنتم منتهون) توقيف يتضمن الزجر والوعيد ولذلك قال عمر لما نزلت: انتهينا انتهينا (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح (فيما طعموا) فيها تأويلان: أحدهما أنه لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة كيف بمن مات منا وهو يشربها، فنزلت الآية معلمة أنه لا جناح على من شربها قبل التحريم، لأنه لم يعص الله بشربها حينئذ، والآخر أن المعنى رفع الجناح عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرام منها، وعلى هذا أخذها عمر رضى الله عنه حين قال لقدامة: إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ماحرم عليك، وكان قدامة قد شربها واحتج بهذه الآية على رفع الجناح عنه، فقال عمر: أخطأت التأويل (إذا ماتقوا وآمنوا) الآية قيل كرر التقوى مبالغة، وقيل الرتبة الأولى: اتقاء الشرك، والثانية اتقاء المعاصى، والثالثة: اتقاء مالا بأس به حذرا مما به البأس، وقيل الأولى للزمان الماضى والثانية للحال، والثالثة للمستقبل (وأحسنوا) يحتمل أن يريد الإحسان إلى الناس، أو الإحسان فى طاعة الله وهو المراقبة، وهذا أرجح لأنه درجة فوق التقوى، ولذلك ذكره فى المرة الثالثة وهى الغاية، ولذلك قالت الصوفية: المقامات ثلاثة: مقام الإسلام ثم مقام الإيمان ثم مقام الإحسان (ليبلونكم الله بشىء من الصيد) أى يختبر طاعتكم من معصيتكم بما يظهر لكم من الصيد مع الإحرام وفى الحرم وكان الصيد من معاش العرب ومستعملا عندهم، فاختبروا بتركه كما اختبر بنو إسرائيل بالحوت فى السبت وإنما قال الله فى قوله: بشىء من الصيد إشعارا بأنه ليس من الفتن العظيمة، وإنما هو من الأمور التى يمكن الصبر عنها (تناله أيديكم ورماحكم) قال مجاهد: الذى تناله الأيدى الفراخ والبيض ومالا يستطيع أن يفر والذى تناله الرماح كبار الصيد، والظاهر عموم هذا التخصيص (ليعلم الله) أى يعلمه علما تقوم به الحجة، وذلك إذا ظهر فى الوجود (فمن اعتدى) أى بقتل الصيد وهو محرم، والعذاب الأليم هنا فى الآخرة (لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) معنى حرم داخلين فى الاحرام وفى الحرم، والصيد هنا عام خصص منه الحديث: الغراب والحدأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور. وأدخل مالك فى الكلب العقور كل مايؤذى الناس من السباع وغيرها، وقاس الشافعى على هذه الخمسة: كل مالا يؤكل لحمه، ولفظ الصيد يدخل فيه ماصيد ومالم يصد مما شأنه أن يصاد وورد النهى هنا عن القتل قبل أن يصاد وبعد أن يصاد، وأما النهى عن الاصطياد فيؤخذ من قوله «وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما» (ومن قتله منكم متعمدا) مفهوم الآية يقتضى أن جزاء

Marfat.com

مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ

الصيد على المتعمد لا على الناسى ، وبذلك قال أهل الظاهر ، وقال جمهور الفقهاء المتعمد والناسى سواء فى وجوب الجزاء ، ثم اختلفوا فى قوله متعمدا على ثلاثة أقوال : أحدها أن المتعمد إنما ذكر ليناط به الوعيد فى قوله : ومن عاد فينتقم الله منه ، إذ لا وعيد على الناسى ، والثانى أنّ الجزاء على الناسى بالقياس على المتعمد ، والثالث أن الجزاء على المتعمد ثبت بالقرآن وأنّ الجزاء على الناسى ثبت بالسنة (فجزاء مثل ماقتل من النعم) المعنى فعليه جزاء ، وقرئ بإضافة جزاء إلى مثل ، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول به ، وقيل مثل زائدة ، كقولك أنا أكرم مثلك أى أكرمك ، وقرئ فجزاء بالتنوين ، ومثل بالرفع على البدل أو الصفة ، والنعم الإبل والبقر والغنم خاصة ، ومعنى الآية عند مالك والشافعى : أنّ من قتل صيدا وهو محرم أنّ عليه فى الفدية مايشبه ذلك الصيد فى الخلقة والمنظر ، ففى النعامة بدنة ، وفى حمار الوحش بقرة ، وفى الغزالة شاة ، فالمثلية على هذا هى فى الصورة والمقدار ، فإن لم يكن له مثل أطعم أو صام ، ومذهب أبى حنيفة أنّ المثل القيمة يقوم الصيد المقتول ويخير القاتل بين أن يتصدق بالقيمة أو يشترى بالقيمة من النعم مايهديه (يحكم به ذوا عدل) هذه الآية تقتضى أنّ التحكيم شرط فى إخراج الجزاء ، ولا خلاف فى ذلك ، فإن أخرج أحد الجزاء قبل الحكم عليه ، فعليه إعادته بالحكم إلا حمام مكة ، فإنه لا يحتاج إلى حكمين ، قاله مالك ، ويجب عند مالك التحكيم فيما حكمت فيه الصحابة ، وفيما لم يحكموا فيه ، لعموم الآية ، وقال الشافعى : يكتفى فى ذلك بما حكمت به الصحابة (هديا) يقتضى ظاهره أن مايخرج من النعم جزاء عن الصيد يجب أن يكون مما يجوز أن يهدى ، وهو الجذع من الضأن والثنىّ مما سواه ، وقال الشافعى يخرج المثل فى اللحم ولا يشترط السن (بالغ الكعبة) لم يرد الكعبة بعينها ، وإنما أراد الحرم ، ويقتضى أن يصنع بالجزاء مايصنع بالهدى من سوقه من الحلّ إلى الحرم ، وقال الشافعى وأبو حنيفة إن اشتراه فى الحرم أجزأه (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) عدد تعالى مايجب فى قتل المحرم للصيد ، فذكر أولا الجزاء من النعم ، ثم الطعام ثم الصيام ، ومذهب مالك والجمهور أنها على التخيير ، وهو الذى يقتضيه العطف بأو ، ومذهب ابن عباس أنها على الترتيب ، ولم يبين الله هنا مقدار الطعام ، فرأى العلماء أن يقدر الجزاء من النعم . لأنهم اختلفوا فى كيفية التقدير ، فقال مالك : يقدر الصيد المقتول نفسه بالطعام أو الدراهم ، ثم تقوم الدراهم بالطعام ، فينظر كم يساوى من طعام أو من دراهم وهو حىّ ، وقال بعض أصحاب مالك يقدر الصيد بالطعام أى يقال : كم كان يشبع الصيد من نفس ثم يخرج قدر شبعهم طعاما ، وقال الشافعى لا يقدر الصيد نفسه ، وإنما يقدر مثله ، وهو الجزاء الواجب على القاتل له (أو عدل ذلك صياما) تحتمل الإشارة بذلك أن تكون إلى الطعام وهو أحسن لأنه أقرب أو إلى الصيد ، واختلف فى تعديل الصيام بالطعام فقال مالك يكون مكان كل مد يوما ، وقال أبو حنيفة مكان كل مدين يوم ، وقيل مكان كل صاع يوما ، ولا يجب الجزاء ولا الإطعام ولا الصيام ، إلا بقتل الصيد لا بأخذه دون قتل لقوله من قتله ، وفى كل وجه يشترط حكم الحكمين ، وإنما لم يذكر الله فى الصيام والطعام استغناء بذكره فى الجزاء (ليذوق وبال أمره) الذوق هنا مستعار لأن حقيقته بحاسة اللسان ، والوبال سوء العاقبة ، وهو هنا مالزمه من

Marfat.com

الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَادُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ *
جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَٰئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *
مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَٰغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ * قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَٰأُولِي الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن
تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْئَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ

التكفير (عفا الله عما سلف) أى عما فعلتم فى الجاهلية من قتل الصيد فى الحرم (ومن عاد فينتقم الله منه) أى من عاد إلى قتل الصيد وهو محرم بعد النهى عن ذلك فينتقم الله منه بوجوب الكفارة عليه أو بعذابه الآخرة (أحل لكم صيد البحر) أحلّ الله بهذه الآية صيد البحر للحلال والمحرم، والصيد هنا المصيد، والبحر هو الماء الكثير: سواء كان ملحا أو عذبا، كالبرك ونحوها، وطعامه هو مايطفو على الماء وما قذف به البحر لأنّ ذلك طعام وليس بصيد، قاله أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وقال ابن عباس: طعامه ماملح منه وبقى (متاعا لكم وللسيارة) الخطاب بـكم للحاضرين فى البحر، والسيارة المسافرون أى هو متاع ماتدومون به (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما) الصيد هنا يحتمل أن يراد به المصدر أو الشيء المصيد أو كلاهما، فنشأ من هذا أن ماصاده المحرم فلا يحل له أكله بوجه، ونشأ الخلاف فيما صاد غيره، فإذا اصطاد حلال، فقيل يجوز للمحرم أكله، وقيل لايجوز إن اصطاده لمحرم، والأقوال الثلاثة مروية عن مالك، وإن اصطاد حرام لم يجز لغيره أكله عند مالك خلافا للشافعى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) أى أمرا يقوم للناس بالأمن والمنافع، وقيل موضع قيام بالمناسك ولفظ الناس هنا عام، وقيل أراد العرب خاصة، لأنهم الذين كانوا يعظمون الكعبة (والشهر الحرام) يريد جنس الأشهر الحرم الأربعة، لأنهم كانوا يكفون فيها عن القتال (والهدى) يريد أنه أمان لمن يسوقه لأنه يعلم أنه فى عبادة لم يأت لحرب (والقلائد) كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلد شيئا من السمر، وإذا رجع تقلد شيئا من أشجار الحرم، ليعلم أنه كان فى عبادة، فلا يتعرض له أحد بشىء، فالقلائد هنا هو ماتقلده المحرم من الشجر، وقيل أراد قلائد الهدى، قال سعيد ابن جبير: جعل الله هذه الأمور للناس فى الجاهلية وشدّد فى الإسلام (ذلك لتعلموا) الإشارة إلى جعل هذه الأمور قياما للناس، والمعنى جعل الله ذلك لتعلموا أن لله يعلم تفاصيل الأمور (لايستوى الخبيث والطيب) لفظ عام فى جميع الأمور من المكاسب والأعمال والناس وغير ذلك (لاتسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم) قيل سببها سؤال عبد الله بن حذافة من أبى، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أبوك حذافة، وقال آخر: أين أبى، قال فى النار، وقيل سببها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فقالوا يارسول الله أفى كل عام؟ فسكت، فأعادوا، قال لا، ولو قلت نعم لوجبت، فعلى الأول تسؤكم بالإخبار بما لايعجبكم، وعلى الثانى تسؤكم بتكليف مايشق عليكم، ويقوى هذا قوله عفا الله عنها: أى سكت عن ذكرها

Marfat.com

مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَـٰفِرِينَ ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَـٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ

ولم يطالبكم بها كقوله صلى الله عليه وسلم عفا الله عن الزكاة فى الخيل ، وقيل إن معنى عفا الله عنها : عفا عنكم فيما تقدم من سؤالكم فلا تعودوا إليه (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) فيه معنى الوعيد على السؤال : كأنه قال : لا تسألوا ، وإن سألتم أبدى لكم ما يسوؤكم ، والمراد بحين ينزل القرآن : زمان الوحى (قد سألها قوم من قبلكم) الضمير فى سألها راجع إلى المسئلة التى دل عليها لا تسألوا ، وهى مصدر ، ولذلك لم يتعدى بعن كما تعدى قوله إن تسألوا عنها ، وذلك أن بنى إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء ، فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا ، فالكفر هنا عبارة عن ترك ما أمروا به (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) لما سأل قوم عن هذه الأمور التى كانت فى الجاهلية هل تعظم لتعظيم الكعبة والهدى أخبرهم الله أنه لم يجعل شيئا من ذلك لعباده : أى لم يشرعه لهم ، وإنما الكفار جعلوا ذلك ، فأما البحيرة : فهى فعيلة بمعنى مفعولة من بحر إذا شق ، وذلك أن الناقة إذا أنتجت عشرة أبطن شقوا آذانها وتركوها ترعى ولا ينتفع بها وأما السائبة فكان الرجل يقول إذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقتى سائبة ، وجعلها كالبحيرة فى عدم الانتفاع بها ، وأما الوصيلة فكانوا إذا ولدت الناقة ذكرا وأنثى فى بطن واحد قالوا وصلت الناقة أخاها فلم يذبحوها ، وأما الحامى فكانوا إذا نتج من صلب الجمل عشرة بطون قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شىء (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) أى يكذبون عليه بتحريمهم ما لم يحرم الله (وأكثرهم لا يعقلون) الذين يفترون على الله الكذب هم الذين اخترعوا تحريم تلك الأشياء ، والذين لا يعقلون هم أتباعهم المقلدون لهم (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) أى يكفينا دين آبائنا (أو لو كان آباؤهم) قال الزمخشرى الواو واو الحال ، دخلت عليها همزة الإنكار ، كأنه قيل أحسبهم هذا وآباؤهم لا يعقلون . قال ابن عطية ألف التوقيف دخلت على واو العطف ، وقول الزمخشرى أحسن فى المعنى (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قيل إنها منسوخة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقيل إنها خطاب للمسلمين من ذرية الذين حرموا البحيرة وأخواتها ، كأنه يقول : لا يضركم ضلال أسلافكم إذا اهتديتم ، والقول الصحيح فيها ما ورد عن أبى ثعلبة الخشنى أنه قال : سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، فإذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بخويصة نفسك وذر عوامهم ، ومثل ذلك قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : ليس هذا بزمان هذه الآية قولوا الحق ما قبل منكم ، فإذا رد عليكم فعليكم أنفسكم (شهادة بينكم

Marfat.com

غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْآثِمِينَ ۞ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا

إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان) قال مكى هذه الآية أشكل آية فى القرآن إعرابا ، ومعنى ، وحكما ، ونحن نبين معناها على الجملة ، ثم نبين أحكامها وإعرابها على التفصيل ، وسببها أن رجلين خرجا إلى الشام ، وخرج معهما رجل آخر بتجارة ، فمرض فى الطريق فكتب كتابا قيد فيه كل ما معه ، وجعله فى متاعه وأوصى الرجلين أن يؤديا رحله إلى ورثته فمات فقدم الرجلان المدينة ، ودفعا رحله إلى ورثته . فوجدوا فيه كتابه وفقدوا منه أشياء قد كتبها ، فسألوهما فقالا لا ندرى هذ الذى قبضناه ، فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبقى الأمر مدة ، ثم عثر على إناء عظيم من فضة ، فقيل لمن وجد عنده من أين لك هذا، فقال اشتريته من فلان وفلان، يعنى الرجلين، فارتفع الأمر فى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أولياء الميت أن يحلفا فحلفا واستحقا ، فمعنى الآية : إذا حضر الموت أحد فى السفر، فليشهد عدلين بما معه ، فإن وقعت ريبة فى شهادتهما حلفا أنهما ما كذبا ولا بدلا ، فإن عثر بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا حلف رجلان من أولياء الميت ، وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما ، وشهادة بينكم مرفوع بالابتداء وخبره اثنان التقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو مقيم شهادة بينكم اثنان إذا حضر أى قارب الحضور ، والعامل فى إذا المصدر الذى هو شهادة ، وهذا على أن يكون إذا بمنزلة حين لا تحتاج جوابا ، ويجوز أن تكون شرطية ، وجوابها محذوف يدل عليه ما تقدم قبلها ، فإن المعنى : إذا حضر أحدكم الموت ، فينبغى أن يشهد حين الوصية ظرف العامل فيه حضر، ويكون بدلا من إذا (ذوا عدل) صفة للشاهدين منكم (أو آخران من غيركم) قيل معنى منكم من عشيرتكم وأقاربكم، ومن غيركم من غير العشيرة والقرابة وقال الجمهور منكم أى من المسلمين ، ومن غيركم من الكفار ، إذا لم يوجد مسلم، ثم اختلف على هذا هل هى منسوخة بقوله وأشهدوا ذوى عدل منكم فلا تجوز شهادة الكفار أصلا، وهو قول مالك والشافعى والجمهور أو هى محكمة وأن شهادة الكفار جائزة على الوجه فى السفر، وهو قول ابن عباس (إن أنتم ضربتم فى الأرض) أى سافرتم، وجواب إن محذوف يدل عليه ما تقدم قبلها، والمعنى إن ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت ، فشهادة بينكم شهادة اثنين (تحبسونهما) قال أبو على الفارسى . هو صفة لآخران . واعترض بين الصفة والموصوف بقوله : إن أنتم إلى قوله الموت ليفيد أن العدول إلى آخرين من غير الملة ، إنما يجوز لضرورة الضرب فى الأرض ، وحلول الموت فى السفر ، وقال الزمخشرى تحبسونهما استئناف كلام (من بعد الصلاة) قال الجمهور هى صلاة العصر ، فاللام للعهد ، لأنها وقت اجتماع الناس ، وبعدها أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالأيمان ، وقال من حلف على سلعة بعد صلاة العصر . وكان التحليف بعدها معروف عندهم ، وقال ابن عباس هى صلاة الكافرين فى دينهما لأنهما لا يعظمان صلاة العصر (فيقسمان بالله) أى يحلفان ؛ ومذهب الجمهور أن تحليف الشاهدين منسوخ ، وقد استحلفهما علىّ بن أبى طالب وأبو موسى الأشعرى (إن ارتبتم) أى شككتم فى صدقهما أو أمانتهما ، وهذه الكلمة اعتراض بين القسم والمقسوم عليه ، وجواب إن محذوف يدل عليه يقسمان (لا نشترى به ثمنا) هذا هو المقسوم عليه ، والضمير فى به للقسم ، وفى كان المقسم له : أى لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من

Marfat.com

استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين * ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين * يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب * إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة

الدنيا : أى لانحلف بالله كاذبين لأجل المال ، ولو كان من نقسم له قريبا لنا ، وهذا لأن عادة الناس الميل إلى أقاربهم (ولا نكتم شهادة الله) أى الشهادة التى أمر الله بحفظها وأدائها ، وإضافتها إلى الله تعظيما لها (فإن عثر على أنهما استحقا إثما) أى إن اطلع بعد ذلك على أنهما فعلا ماأوجب إثما . والإثم الكذب والخيانة واستحقاقه الأهلية الموصف به (فآخران يقومان مقامهما) أى اثنان من أولياء الميت ، يقومان مقام الشاهدين فى اليمين (من الذين استحق عليهم) أى من الذين استحق عليهم الإثم أو المال ، ومعناه من الذين جنا عليهم وهم أولياء الميت (الأوليان) تثنية أولى بمعنى أحق : أى الأحقان بالشهادة لمعرفتهما ، والأحقان بالمال : لقرابتهما ، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره هما الأوليان ، أو مبتدأ مؤخر تقديره الأوليان آخران يقومان ، أو بدل من الضمير فى يقومان ، ومنع الفارسى أن يسند استحق إلى الأوليان ، وأجازه ابن عطية ، وأما على قراءة استحق بفتح التاء والحاء على البناء للفاعل ، فالأوليان فاعل باستحق ، ومعنى استحق على هذا أخذ المال وجعل يده عليه والأوليان على هذا هما الشاهدان اللذان ظهرت خيانتهما : أى الأوليان بالتحليف والتعنيف والفضيحة ، وقرئ الأولين جمع أول . وهو مخفوض على الصفة للذين استحق عليهم ، أو منصوبا بإضمار فعل ، ووصفهم بالأولية لتقدمهم على الأجانب فى استحقاق المال وفى صدق الشهادة (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) أى يحلف هذان الآخران أن شهادتهما أحق : أى أصح من شهادة الشاهدين الذين ظهرت خيانتهما (إنا إذا لمن الظالمين) أى إن اعتدينا ، فإنا من الظالمين وذلك على وجه التبرئة ومثل قول الأولين إنا إذا لمن الآثمين (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) الإشارة بذلك إلى الحكم الذى وقع فى هذه القضية ومعنى أدنى : أقرب ، وعلى وجهها أى كما وقعت من غير تغيير ولا تبديل أو يخافوا (أن ترد أيمان بعد أيمانهم) أى يخافوا أن يحلف غيرهم بعدهم فيفتضحوا (يوم يجمع الله الرسل) هو يوم القيامة ، وانتصب الظرف بفعل مضمر أى ماذا أجابكم به الأمم من إيمان وكفر وطاعة ومعصية ، والمقصود بهذا السؤال توبيخ من كفر من الأمم ، وإقامة الحجة عليهم وانتصب ماذا أجبتم انتصاب مصدره ، ولو أريد الجواب ، لقيل بماذا أجبتم (قالوا لا علم لنا) إنما قالوا ذلك تأدبا مع الله فوكلوا العلم إليه قال ابن عباس : المعنى لا علم لنا إلا ما علمتنا ، وقيل معناه علمنا ساقط فى جنب علمك ويقوى ذلك قوله إنك أنت علام الغيوب ، لأن من علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر ، وقيل ذهلوا عن الجواب لهول ذلك اليوم ، وهذا بعيد ، لأن الأنبياء فى ذلك اليوم آمنون ، وقيل أرادوا بذلك توبيخ الكفار (إذ قال الله) يحتمل أن يكون إذ بدل من يوم يجمع ، ويكون هذا القول يوم القيامة أو يكون العامل

Marfat.com

وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ۝ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ *

فى إذ مضمرا ويحتمل على هذا أن يكون القول فى الدنيا أو يوم القيامة وإذا جعلناه يوم القيامة فقوله قال بمعنى يقول ، وقد تقدم تفسير ألفاظ هذه الآية فى آل عمران (فتنفخ فيها) الضمير المؤنث عائد على الكاف ، لأنها صفة للهيئة ، وكذلك الضمير فى تكون ، وكذلك الضمير المذكور فى قوله فى آل عمران فينفخ فيه عائد على الكاف أيضا ، لأنها بمعنى مثل وإن شئت قلت هو فى الموضعين عائد على الموصوف المحذوف الذى وصف بقوله كهيئة فتقديره فى التأنيث صورة ، وفى التذكير شخصا أو خلقا وشبه ذلك ، وقيل المؤنث يعود على الهيئة والمذكر يعود على الطير ، والطين ، وهو بعيد فى المعنى (بإذنى) كرره مع كل معجزة ردا على من نسب الربوبية إلى عيسى (وإذ كففت بنى إسرائيل عنك) يعنى اليهود حين هموا بقتله ، فرفعه الله إليه (وإذ أوحيت) معطوف على ماقبله ، فهو من جملة نعم الله على عيسى والوحى هنا يحتمل أن يكون وحى إلهام أو وحى كلام (واشهد) يحتمل أن يكون خطابا لله تعالى أو لعيسى عليه السلام (إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم) نداؤهم له باسمه : دليل على أنهم لم يكونوا يعظمونه كتعظيم المسلمين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنهم كانوا لاينادونه باسمه ، وإنما يقولون يارسول الله يانبى الله ، وقولهم ابن مريم : دليل على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقاد الصحيح من نسبته إلى أم دون والد ، بخلاف مااعتقده النصارى (هل يستطيع ربك) ظاهر هذا اللفظ أنهم شكوا فى قدرة الله تعالى على إنزال المائدة وعلى هذا أخذه الزمخشرى ، وقال ماوصفهم الله بالإيمان ، ولكن حكى دعواهم فى قولهم آمنا وقال ابن عطية وغيره : ليس كذلك لأنهم شكوا فى قدرة الله لكنه بمعنى هل يفعل ربك هذا ، وهل يقع منه إجابة إليه ، وهذا أرجح ، لأن الله أثنى على الحواريين فى مواضع من كتابه ، مع أن فى اللفظ بشاعة تنكر ، وقرئ تستطيع بتاء الخطاب ربك بالنصب أى هل تستطيع سؤال ربك ، وهذه القراءة لاتقتضى أنهم شكوا ، وبها قرأت عائشة رضى الله عنها . وقالت كان الحواريون أعرف بربهم من أن يقولوا : هل يستطيع ربك (أن ينزل علينا مائدة من السماء) موضع أن مفعول بقوله يستطيع على القراءة بالياء ، ومفعول بالمصدر ، وهو السؤال المقدر على القراءة بالتاء ، والمائدة هى التى عليها طعام ، فإن لم يكن عليها طعام فهى خوان (قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) فقوله لهم اتقوا الله : يحتمل أن يكون زجرا عن طلب المائدة . واقتراح الآيات ، ويحتمل أن يكون زجرا عن الشك الذى يقتضيه قولهم هل يستطيع ربك على مذهب الزمخشرى ، أو عن البشاعة التى فى اللفظ وإن لم يكن فيه شك ، وقوله إن كنتم مؤمنين : هو على ظاهره على مذهب الزمخشرى ، وأما على مذهب ابن عطية وغيره ، فهو تقريرهم

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ * قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ

كما تقول افعل كذا إن كنت رجلا ، ومعلوم أنه رجل ، وقيل إنّ هذه المقالة صدرت منهم فى أول الأمر قبل أن يروا معجزات عيسى (قالوا نريد أن نأكل منها) أى أكلا نتشرف به بين الناس ، وليس مرادهم شهوة البطن (وتطمئن قلوبنا) أى نعاين الآية فيصير إيماننا بالضرورة والمشاهدة ، فلا تعرض لنا الشكوك التى تعرض فى الاستدلال (ونعلم أن قد صدقتنا) ظاهره يقوى قول من قال إنهم إنما قالوا ذلك قبل تمكن إيمانهم ، ويحتمل أن يكون المعنى نعلم علما ضروريا لا يحتمل الشك (ونكون عليها من الشاهدين) أى نشهد بها عند من لم يحضرها من الناس (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) أجابهم عيسى إلى سؤال المائدة من الله ، وروى أنه لبس جبة شعر ورداء شعر ، وقام يصلى ويدعو ويبكى (تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) قيل نتخذ يوم نزولها عيدا يدور كل عام لأول الأمة ، ثم لمن بعدهم ، وقال ابن عباس . المعنى تكون مجتمعا لجميعنا أولنا وآخرنا فى يوم نزولها خاصة لا عيدا يدور (وآية منك) أى علامة على صدقى (قال الله إنى منزلها عليكم) أجابهم الله إلى ماطلبوا ، ونزلت المائدة عليها سمك وخبز ، وقيل زيتون وتمر ورمان وقال ابن عباس : كان طعام المائدة ينزل عليهم حيثما نزلوا وفى قصة المائدة قصص كثيرة غير صحيحة (فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا) عادة الله عز وجل عقاب من كفر بعد اقتراح آية فأعطيته ، ولما كفر بعض هؤلاء مسخهم الله خنازير ، قال عبدالله بن عمر أشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون والمنافقون (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله) قال ابن عباس والجمهور : هذا القول يكون من الله يوم القيامة على رؤس الخلائق ، ليرى الكفار تبرئة عيسى بمانسبوه إليه ، ويعلمون أنهم كانوا على باطل ، وقال السدى لما رفع الله عيسى إليه قالت النصارى ماقالوا ، وزعموا أنّ عيسى أمرهم بذلك ، وسأل الله حينئذ عن ذلك ، فقال سبحانك الآية ، فعلى هذا يكون إذ قال ماضيا فى معناه كما هو فى لفظه ، وعلى قول ابن عباس يكون بمعنى المستقبل (مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق) نفى يعضده دليل العقل لأنّ المحدث لا يكون إلها (إن كنت قلته فقد علمته) اعتذار وبراءة من ذلك القول ووكل العلم إلى الله لتظهر براءته ، لأن الله علم أنه لم يقل ذلك (تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك) أى تعلم معلومى ولا أعلم معلومك ، ولكنه سلك باللفظ مسلك المشاكلة ، فقال فى نفسك مقابلة لقوله فى نفسى وبقية قوله تعظيما لله ، وإخبار بما قال الناس فى الدنيا (أن اعبدوا) أن حرف عبارة وتفسير أو مصدرية بدل من الضمير فى

وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝

به (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فيها سؤالان الأول كيف قال وإن تغفر لهم وهم كفار والكفار لا يغفر لهم والجواب أن المعنى تسليم الأمر إلى الله وأنه إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه لأن الخلق عباده ، والمالك يفعل فى ملكه مايشاء ، ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار ، وإنما يقتضى جوازها فى حكمة الله تعالى وعزته ، وفرق بين الجواز والوقوع ، وأما على قول من قال إن هذا الخطاب لعيسى عليه السلام حين رفعه الله إلى السماء ، فلا إشكال ، لأن المعنى إن تغفر لهم بالتوبة ، وكانوا حينئذ أحياء ، وكل حيّ معرض للتوبة ، السؤال الثانى : مامناسبة قوله : فإنك أنت العزيز الحكيم ، لقوله وإن تغفر لهم والأليق مع ذكر المغفرة أن لو قيل ، فإنك أنت الغفور الرحيم ؟ والجواب من ثلاثة أوجه . الأول يظهر لى أنه لما قصد التسليم لله والتعظيم له ، كان قوله فإنك أنت العزيز الحكيم أليق ، فإن الحكمة تقتضى التسليم له والعزة تقتضى التعظيم له ، فإن العزيز هو الذى يفعل مايريد ؛ ولا يغلبه غيره ، ولا يمتنع عليه شىء أراده ، فاقتضى الكلام تفويض الأمر إلى الله فى المغفرة لهم أو عدم المغفرة لأنه قادر على كلا الأمرين لعزته وأيهما فعل فهو جميل لحكمته . الجواب الثانى قاله شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير إنما لم يقل الغفور الرحيم لئلا يكون فى ذلك تعريض فى طلب المغفرة لهم فاقتصر على التسليم والتفويض دون الطلب . إذ لا تطلب المغفرة للكفار ، وهذا قريب من قولنا . الثالث حكى شيخنا الخطيب أبو عبدالله بن رشيد عن شيخه إمام البلغاء فى وقته حازم بن حازم أنه كان يقف على قوله وإن تغفر لهم ويجعل فإنك أنت العزيز استئنافا ، وجواب إن فى قوله فإنهم عبادك . كأنه قال إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك على كل حال (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) عموم فى جميع الصادقين وخصوصا فى عيسى ابن مريم فإن فى ذلك إشارة إلى صدقه فى الكلام الذى حكاه الله عنه ، وقرأ غير نافع هذا يوم بالرفع على الابتداء أو الخبر ، وقرأ نافع بالنصب وفيه وجهان : أحدهما أن يكون يوم ظرف لقال ، فعلى هذا لا تكون الجملة معمول القول ، وإنما معموله هذا خاصة والمعنى قال الله هذا القصص أو الخبر فى يوم ، وهذا بعيد مزيل لرونق الكلام ، والآخر أن يكون هذا مبتدأ ، ويوم فى موضع خبره والعامل فيه محذوف تقديره هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم ، ولا يجوز أن يكون يوم مبنيا على قراءة نافع ، لأنه أضيف إلى معرب ، قاله الفارسى والزمخشرى

(تم الجزء الأول)

(ويليه الجزء الثانى : وأوله سورة الأنعام)

Marfat.com

فهرس

الجزء الأول من كتاب التسهيل

صفحة

٢ خطبة الكتاب

٤ المقدمة الأولى

١٥ المقدمة الثانية

٣٠ الكلام على الاستعاذة

٣٠ « على البسملة

٣٢ سورة أم القرآن

٣٥ سورة البقرة

٩٩ سورة آل عمران

١٢٨ سورة النساء

١٦٦ سورة المائدة

(تم الفهرس)

Marfat.com

كتاب التسهيل

لعلوم التنزيل

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم
محمد بن احمد بن جزي الكلبي
نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

الجزء الثاني

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

سـورة الأنعـام

مكية إلا الآيات ٢٠ و ٢٣ و ٩١ و ٩٣ و ١١٤ و ١٤١ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ فمدنية
وآياتها ١٦٥ نزلت بعد الحجر

بسم الله الرحمٰن الرحيم ۝ الحمد لله الذى خلق السمٰوٰت والأرض وجعل الظلمٰت والنور ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون ۝ هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون ۝
وهو الله فى السمٰوٰت وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ۝ وما تأتيهم من آية من آيٰت

﴿سورة الأنعام﴾

قال كعب : أول الأنعام هو أول التوراة (وجعل الظلمات والنور) جعل هنا بمعنى خلق ، والظلمات : الليل والنور النهار والضوء الذى فى الشمس والقمر وغيرهما ، وإنما أفرد النور لأنه أراد الجنس ، وفى الآية رد على المجوس فى عبادتهم للنار وغيرها من الأنوار ، وقولهم إن الخير من النور والشر من الظلمة ؛ فإن المخلوق لا يكون إلها ولا فاعلا لشىء من الحوادث (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) أى يسوون ويمثلون من قولك عدلت فلانا بفلان إذا جعلته نظيره وقرينه ودخلت ثم لتدل على استبعاد أن يعدلوا بربهم بعد وضوح آياته فى خلق السموات والأرض ، والظلمات والنور وكذلك قوله ثم أنتم تمترون استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه أحياهم وأماتهم ، وفى ضمن ذلك تعجيب من فعلهم وتوبيخ لهم ، والذين كفروا هنا عام فى كل مشرك . وقد يختص بالمجوس بدليل الظلمات والنور ، وبعبدة الأصنام ؛ لأنهم المجاورون للنبى صلى الله عليه وسلم وعليهم يقع الرد فى أكثر القرآن (خلقكم من طين) أى خلق أباكم آدم من طين (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) الأجل الأول الموت . والثانى يوم القيامة وجعله عنده : لأنه استأثر بعلمه ، وقيل الأول النوم ، والثانى الموت ، ودخلت ثم هنا لترتيب الأخبار . لا لترتيب الوقوع ، لأن القضاء متقدم على الخلق (وهو الله فى السموات وفى الأرض) يتعلق فى السموات بمعنى اسم الله ، فالمعنى كقوله : وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله ، كما يقال : أمير المؤمنين الخليفة فى المشرق والمغرب ، ويحتمل أن يكون المجرور فى موضع الخبر : فيتعلق باسم فاعل محذوف ، والمعنى على هذا قريب من الأول ، وقيل المعنى أنه فى السموات والأرض بعلمه كقوله : وهو معكم أينما كنتم ، والأول أرجح وأفصح ، لأن اسم الله جامع للصفات كلها من العلم والقدرة والحكمة ، وغير ذلك ، فقد جمعها مع الإيجاز ، ويترجح الثانى بأن سياق الكلام فى اطلاع الله تعالى وعلمه ، لقوله بعدها : يعلم سركم وجهركم ، وقيل يتعلق بمحذوف تقديره المعبود فى السموات وفى الأرض وهذا المحذوف صفة لله : واسم الله على هذا القول وعلى الأول هو خبر المبتدإ وأما إذا كان المجرور الخبر فاسم الله بدل من الضمير (وما تأتيهم من

ربهم إلا كانوا عنها معرضين * فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزءون *
ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكنهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا
وجعلنا الأنهر تجري من تحتهم فأهلكنهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا ءاخرين * ولو نزلنا عليك
كتبا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين * وقالوا لولا أنزل عليه
ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون * ولو جعلنه ملكا لجعلنه رجلا وللبسنا عليهم
ما يلبسون * ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون * قل سيروا
في الأرض ثم انظروا كيف كان عقبة المكذبين * قل لمن ما في السموت والأرض قل لله كتب على

آية من آيات ربهم) من الأولى زائدة ، والثانية للتبعيض ، أو لبيان الجنس (بالحق) يعني ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم (فسوف يأتيهم) الآية : وعيد بالعذاب والعقاب على استهزائهم (ألم يروا كم أهلكنا) حض للكفار على الاعتبار بغيرهم ، والقرن مائة سنة ، وقيل سبعون ، وقيل أربعون (مكناهم في الأرض) الضمير عائد على القرن ، لأنه في معنى الجماعة (مالم نمكن لكم) الخطاب لجميع أهل ذلك العصر من المؤمنين والكافرين (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) السماء هنا المطر والسحاب أو السماء حقيقة ، ومدرارا بناء مبالغة وتكثير من قولك درّ المطر إذا غزر (فأهلكناهم بذنوبهم) التقدير فكفروا وعصوا فأهلكناهم ، وهذا تهديد للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس) الآية : إخبار أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم أوضح الآيات ، والمراد بقوله فلمسوه بأيديهم لو بالغوا في تمييزه وتقليبه ليرتفع الشك لعاندوا بذلك ، يشبه أن يكون سبب هذه الآية قول بعضهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا أومن بك حتى تأتي بكتاب من السماء يأمرني بتصديقك ، وما أراني مع هذا أصدقك (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) حكاية عن طلب بعض العرب ، وروى أن العاصي بن وائل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود والأسود بن عبد يغوث قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد ، لو كان معك ملك (ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر) قال ابن عباس المعنى : لو أنزلنا ملكا فكفروا بعد ذلك لعجل لهم العذاب ، ففي الكلام على هذا حذف ، وقضي الأمر على هذا تعجيل أخذهم ، وقيل المعنى لو أنزلنا ملكا لماتوا من هول رؤيته فقضي الأمر على هذا موتهم (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) أي لو جعلنا الرسول ملكا لكان في صورة رجل ، لأنهم لا طاقة لهم على رؤية الملك في صورته (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أي لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم ، فإنهم لو رأوا الملك في صورة إنسان قالوا هذا إنسان وليس بملك (ولقد استهزئ برسل من قبلك) الآية : إخبار قصد به تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه (فحاق) أي أحاط بهم . وفي هذا الإخبار تهديد للكفار (قل سيروا في الأرض) الآية : حض على الاعتبار بغيرهم إذا رأوا منازل الكفار الذين هلكوا قبلهم (ثم انظروا) قال الزمخشري إن قلت : أي فرق بين قوله فانظروا ، وبين قوله ثم انظروا ؟ قلت : جعل النظر سببا عن السير في قوله : فانظروا . كأنه قال : سيروا لأجل النظر ، وأما قوله فسيروا

Marfat.com

نَفْسه الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ لَارَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَايُؤْمِنُونَ * وَلَهُ مَاسَكَنَ فِى الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا الْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ

فى الأرض ثم انظروا : فمعناه إباحة السير للتجارة وغيرها من المنافع ، وإيجاب النظر فى الهالكين رتبه على ذلك بثم ، لتباعد مابين الواجب والمباح (قل لمن مافى السموات والأرض قل لله) القصد بالآية إقامة البرهان على صحة التوحيد وإبطال الشرك ، وجاء ذلك بصفة الاستفهام لإقامة الحجة على الكفار فسأل أولا لمن مافى السموات والأرض ، ثم أجاب عن السؤال بقوله قل لله ، لأن الكفار يوافقون على ذلك بالضرورة فيثبت بذلك أن الإله الحق هو الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض ، وإنما يحسن أن يكون السائل مجيبا عن سؤاله ، إذا علم أن خصمه لا يخالفه فى الجواب الذى به يقيم الحجة عليه (كتب على نفسه الرحمة) أى قضاها وتفسير ذلك بقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض ، وفيه إن رحمتى سبقت غضبى ، وفى رواية تغلب غضبى (ليجمعنكم) مقطوع مما قبله ، وهو جواب لقسم محذوف ، وقيل هو تفسير الرحمة المذكورة تقديره أن يجمعكم . وهذا ضعيف لدخول النون الثقيلة فى غير موضعها ، فإنها لا تدخل إلا فى القسم أو فى غير الواجب (إلى يوم القيامة) قيل هنا إلى بمعنى فى وهو ضعيف . والصحيح أنها للغاية على بابها (الذين خسروا أنفسهم فهم لايؤمنون) الذين مبتدأ وخبره لايؤمنون : ودخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط قاله الزجاج وهو حسن ، وقال الزمخشرى الذين نصب على الذم أو رفع بخبر ابتداء مضمر ، وقيل هو بدل من الضمير فى ليجمعنكم وهو ضعيف ، وقيل منادى وهو باطل (وله ماسكن فى الليل والنهار) عطف على قوله قل لله ، ومعنى سكن : حل ، فهو من السكنى ، وقيل هو من السكون وهو ضعيف لأن الأشياء منها ساكنة ومتحركة فلا يعم . والمقصود عموم ملكه تعالى لكل شىء (قل أغير الله أتخذ وليا) إقامة حجة على الكفار ورد عليهم بصفات الله الكريم التى لايشاركه غيره فيها (أول من أسلم) أى من هذه الأمة لأن النبى صلى الله عليه وسلم سابق أمته إلى الإسلام (ولا تكونن) فى الكلام حذف تقديره وقيل لى : ولا تكونن من المشركين ، أو يكون معطوفا على معنى أمرت فلاحذف وتقديره أمرت بالإسلام ، ونهيت عن الإشراك (من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه) أى من يصرف عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه الله ، وقرئ يصرف بفتح الياء وفاعله الله (وذلك) إشارة إلى صرف العذاب أو إلى الرحمة (وإن يمسسك الله بضر) معنى يمسسك يصبك ، والضر المرض وغيره على العموم فى جميع المضرات ، والخير : العافية وغيرها على العموم أيضا ، والآية برهان على الوحدانية لانفراد الله تعالى

Marfat.com

أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ * وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً

بالضر والخير ، وكذلك مابعدهذا من الأوصاف براهين وردعلى المشركين (قل أى شيء أكبر شهادة) سؤال يقتضى جوابا ينبنى عليه المقصود، وفيه دليل على أن الله يقال فيه شيء لكن ليس كمثله شيء (قل الله شهيد بينى وبينكم) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون الله مبتدأ وشهيد خبره ، والآخر أن يكون تمام الجواب عندقوله: قل الله ، بمعنى أن الله أكبر شهادة، ثم يبتدئ على تقدير هو شهيد بينى وبينكم ، والأول أرجح لعدم الإضمار ، والثانى أرجح لمطابقته للسؤال، لأن السؤال بمنزلة من يقول: من أكبر الناس ؟ فيقال فى الجواب. فلان وتقديره فلان أكبر ، والمقصود بالكلام استشهاد بالله الذى هو أكبر شهادة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهادة الله بهذا هى علمه بصحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإظهار معجزته الدالة على نبوته (ومن بلغ) عطف على ضمير المفعول فى لأنذركم والفاعل يبلغ ضمير القرآن والمفعول محذوف يعود على من تقديره ، ومن بلغه والمعنى أوحى إلىّ هذا القرآن لأنذر به المخاطبين ، وهم أهل مكة ، وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة . قال سعيد ابن جبير : من بلغه القرآن فكأنما رأى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم، وقيل المعنى: ومن بلغ الحلم وهو بعيد (قل أئنكم لتشهدون) الآية : تقرير المشركين على شركهم، ثم تبرأ من ذلك بقوله : لا أشهد، ثم شهد الله بالوحدانية، وروى أنها نزلت بسبب قوم من الكفار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ما تعلم مع الله إلها آخر (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) تقدم فى البقرة (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) الذين مبتدأ وخبره فهم لا يؤمنون وقيل الذين نعت للذين آتيناهم الكتاب وهو فاسد لأن الذين أوتوا الكتاب ما استشهدبهم هنا إلا ليقيم الحجة على الكفار (ومن أظلم) لفظه استفهام ومعناه لا أحد أظلم (ممن افترى على الله) وذلك تنصل من الكذب على الله. وإظهار لبراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما نسبوه إليه من الكذب ، ويحتمل أن يريد بالافتراء ، على الله ما نسب إليه الكفار من الشركاء والأولاد (أو كذب بآياته) أى علاماته وبراهينه (أين شركاؤكم) يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ (تزعمون) أى تزعمون أنهم آلهة فحذفه لدلالة المعنى عليه ، والعامل فى يوم نحشرهم محذوف (ثم لم تكن فتنتهم) الفتنة هنا تحتمل أن تكون بمعنى الكفر أى لم تكن عاقبة كفرهم إلا جحوده والتبرؤ منه ، وقيل فتنتهم معذرتهم، وقيل كلامهم ، وقرئ فتنتهم بالنصب على خبر كان واسمها أن قالوا، وقرئ بالرفع على اسم كان وخبرها أن قالوا (والله ربنا ما كنا مشركين) جحود لشركهم، فإن قيل : كيف يجحدونه وقد قال الله ولا يكتمون الله حديثا، فالجواب أن ذلك يختلف باختلاف طوائف الناس واختلاف المواطن ، فيكتم قوم ويقر آخرون ، ويكتمون فى موطن ويقرون فى موطن آخر ، لأن يوم القيامة طويل ، وقد قال ابن عباس لما سئل عن هذا السؤال إنهم جحدوا طمعا فى النجاة فختم الله على أفواههم ، وتكلمت جوارحهم فلا يكتمون الله حديثا (ومنهم من

Marfat.com

أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ وَقَالُوٓا إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۞ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ اللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً

يستمع إليك) الضمير عائد على الكفار ، وأفرد يستمع وهو فعل جماعة حملا على لفظ من (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) أكنة جمع كنان ، وهو الغطاء ، وأن يفقهوه فى موضع مفعول من أجله تقديره : كراهة أن يفقهوه ، ومعنى الآية أن الله حال بينهم وبين فهم القرآن إذا استمعوه ، وعبر بالأكنة والوقر مبالغة ، وهى استعارة (أساطير الأولين) أى قصصهم وأخبارهم ، وهو جمع أسطار وأسطورة قال السهيلى حيث ماورد فى القرآن أساطير الأولين ، فإن قائلها هو النضر بن الحارث وكان قد دخل بلد فارس وتعلم أخبار ملوكهم ، فكان يقول حديثى أحسن من حديث محمد (وهم ينهون عنه وينأون عنه) هم عائد على الكفار ، والضمير فى عنه عائد على القرآن . والمعنى وهم ينهون الناس عن الإيمان ، وينأون هم عنه أى يبعدون ، والنأى هو البعد ، وقيل الضمير فى عنه يعود على النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعنى ينهون عنه ينهون الناس عن إذا ، وهم مع ذلك يبعدون عنه . والمراد بالآية على هذا أبو طالب ومن كان معه : يحمى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يسلم وفى قوله ينهون وينأون ضرب من ضروب التجنيس (ولو ترى إذ وقفوا على النار) جواب لو محذوف هنا ، وفى قوله ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ، وإنما حذف ليكون أبلغ ما يقدره السامع : أى لو ترى لرأيت أمرا شنيعا هائلا ، ومعنى وقفوا : حبسوا ، قاله ابن عطية ، ويحتمل أن يريد بذلك إذا دخلوا النار ، وإذا عاينوها وأشرفوا عليها ، ووضع إذ موضع إذا التحقيق وقوع الفعل حتى ه ماض (ياليتنا نرد ولا نكذب) قرئ برفع نكذب ونكون على الاستئناف والقطع على التمنى ، ومثله سيبويه بقولك دعنى ولا أعود أى وأنا لا أعود ، ويحتمل أن يكون حالا تقديره نرد غير مكذبين ، أو عطف على نرد . وقرئ بالنصب بإضمار أن بعد الواو فى جواب التمنى (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) المعنى ظهر لهم يوم القيامة فى صحائفهم ما كانوا يخفون فى الدنيا من عيوبهم وقبائحهم وقيل هى فى أهل الكتاب أى بدا لهم ما كانوا يخفون من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل هى فى المنافقين أى بدا لهم ما كانوا يخفون من الكفر ، وهذان القولان بعيدان ، فإن الكلام أوله ليس فى حق المنافقين ولا أهل الكتاب ، وقيل إن الكفار كانوا إذا وعظهم النبى صلى الله عليه وسلم خافوا وأخفوا ذلك الخوف لئلا يشعر بها أتباعهم ، فظهر لهم ذلك يوم القيامة (ولو ردوا لعادوا) إخبار بأمر لا يكون لو كان كيف كان يكون وذلك مما انفرد الله بعلمه (وإنهم لكاذبون) يعنى فى قولهم ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، ولا يصح أن يرجع إلى قولهم ياليتنا نرد ، لأن التمنى لا يحتمل الصدق ولا الكذب (وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا) حكاية عن قولهم فى إنكار البعث الأخروى (قال أليس

قَالُوا يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ

هذا بالحق) تقريرلهم وتوبيخ (قالوا ياحسرتنا على ما فرطنا فيها) الضمير فيها للحياة الدنيا لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يجر لها ذكر ، وقيل الساعة أي فرطنا في شأنها ، والاستعداد لها ، والأول أظهر (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) كناية عن تحمل الذنوب ، وقال على ظهورهم ، لأن العادة حمل الأثقال على الظهور ، وقيل إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة ، وروى في ذلك أن الكافر يركبه عمله بعد أن يتمثل له في أقبح صورة ، وأن المؤمن يركب عمله بعد أن يتصور له في أحسن صورة (ألا ساء ما يزرون) إخبار عن سوء ما يفعلون من الأوزار (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون) قرأ نافع يحزن حيث وقع بضم الياء من أحزن ، إلى قوله لايحزنهم الفزع الأكبر ، وقرأ الباقون بفتح الياء من حزن الثلاثي وهو أشهر في اللغة ، والذي يقولون : قولهم إنه ساحر ، شاعر ، كاهن (فإنهم لايكذبونك) من قرأ بالتشديد فالمعنى لا يكذبونك معتقدين لكذبك ، وإنما هم يجحدون بالحق مع علمهم به ، ومن قرأ بالتخفيف ، فقيل معناه لايجدونك كاذبا ، يقال أكذبت فلانا إذا وجدته كاذبا ، كما يقال أحمدته إذا وجدته محموداً ، وقيل هو بمعنى التشديد ، يقال كذب فلان فلانا وأكذبه بمعنى واحد ، وهو الأظهر لقوله بعد هذا يجحدون ، ويؤيد هذا ماروى أنها نزلت في أبي جهل فإنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم : إنا لانكفر بك ولكن نكذب ماجئت به . وأنه قال للأخنس بن شريق ، والله إن محمداً الصادق ، ولكني أحسده على الشرف (ولكن الظالمين) أي ولكنهم ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم (ولقد كذبت رسل من قبلك) الآية : تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ، وحض له على الصبر ، ووعد له بالنصر (ولا مبدل لكلمات الله) أي لمواعيده لرسله : كقوله ، ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ؛ وفي هذا تقوية للوعد (ولقد جاءك من نبإ المرسلين) أي من أخبارهم ويعني بذلك صبرهم ثم نصرهم ، وهذا أيضا تقوية للوعد والحض على الصبر ، وفاعل جاءك محذوف تقديره نبأ أو خلاف ، وقيل هو المجرور (وإن كان كبر عليك إعراضهم) الآية : مقصودها حمل النبي صلى الله عليه وسلم على الصبر والتسليم لما أراد الله بعباده من إيمان أو كفر ، فإنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان شديد الحرص على إيمانهم ، فقيل له إن استطعت أن تدخل في الأرض أو تصعد إلى السماء فتأتيهم بآية يؤمنون بسببها ، فافعل وأنت لاتقدر على ذلك ، فاستسلم لأمر الله . والنفق في الأرض . معناه منفذ تنفذ منه إلى ماتحت الأرض ، وحذف جواب إن لفهم المعنى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) حجة لأهل السنة على القدرية فلا تكونن من الجاهلين) أي من الذين يجهلون أن الله

Marfat.com

عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ

لو شاء لجمعهم على الهدى (إنما يستجيب الذين يسمعون) المعنى إنما يستجيب لك الذين يسمعون فيفهمون ويعقلون (والموتى يبعثهم الله) فيها ثلاث تأويلات : أحدهما أن الموتى عبارة عن الكفار بموت قلوبهم ، والبعث يراد به الحشر يوم القيامة ، فالمعنى أن الكفار فى الدنيا كالموت فى قلة سمعهم وعدم فهمهم ، فيبعثهم الله فى الآخرة ، وحينئذ يسمعون ، والآخر أن الموتى عبارة عن الكفار ، والبعث عبارة عن هدايتهم للفهم والسمع والثالث أن الموتى على حقيقته ، والبعث على حقيقته فهو إخبار عن بعث الموتى يوم القيامة (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه) الضمير فى قالوا للكفار ، ولولا عرض ، والمعنى أنهم طلبوا أن يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بآية على نبوته ، فإن قيل : فقد أتى بآية ومعجزاته كثيرة فلم طلبوا آية ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنهم لم يعتدوا بما أتى به : وكأنه لم يأت بشىء عندهم لعنادهم وجحدهم ، والآخر أنهم إنما طلبوا آية تضطرهم إلى الإيمان من غير نظر ولا تفكر (قل إن الله قادر على أن ينزل آية) جواب على قولهم ، وقد حكى هذا القول عنهم فى مواضع من القرآن وأجيب عليه بأجوبة مختلفة ، منها ما يقتضى الرد عليهم فى طلبهم الآيات فإنه قد أتاهم بآيات وتحصيل الحاصل لا ينبغى كقوله : قد بينا الآيات ، وكقوله : أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، ومنها ما يقتضى الإعراض عنهم ، لأن الخصم إذا تبين عناده سقطت مكالمته ، ويحتمل أن يكون من هذا قوله : إن الله قادر على أن ينزل آية ، ويحتمل أيضا أن يكون معناه قادر على أن ينزل آية تضطرهم إلى الإيمان (ولكن أكثرهم لا يعلمون) حذف مفعول يعلمون ، وهو يحتمل وجهين : أحدهما لا يعلمون أن الله قادر . والآخر لا يعلمون أن الله إنما منع الآيات التى تضطرهم إلى الإيمان لمصالح العباد ، فإنهم لو رأوها ولم يؤمنوا لعوقبوا بالعذاب (بجناحيه) تأكيد وبيان وإزالة للاستعارة المتعاهدة فى هذه اللفظة ، فقد يقال طائر للسعد والنحس (أمم أمثالكم) أى فى الخلق والرزق ، والحياة والموت ، وغير ذلك ، ومناسبة ذكر هذا لما قبله من وجهين : أحدهما أنه تنبيه على مخلوقات الله تعالى ، فكأنه يقول : تفكروا فى مخلوقاته ، ولا تطلبوا غير ذلك من الآيات ، والآخر : تنبيه على البعث ، كأنه يقول جميع الدواب والطير يحشر يوم القيامة كما تحشرون أنتم . وهو أظهر لقوله بعده ، ثم إلى ربهم يحشرون (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) أى ما غفلنا والكتاب هنا هو اللوح المحفوظ ، والكلام على هذا عام ، وقيل هو القرآن والكلام على هذا خاص : أى ما فرطنا فيه من شىء فيه هدايتكم والبيان لكم (ثم إلى ربهم يحشرون) أى تبعث الدواب والطيور يوم القيامة للجزاء والفصل بينهما (والذين كذبوا الآية: لما ذكر قدرته على بعث الخلق كلهم أتبعه بأن وصف من كذب بذلك بالصمم والبكم ، وقوله فى الظلمات

Marfat.com

تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ * قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ * قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّٰلِمُونَ * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * قُلْ لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ اللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ * وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ

يقوم مقام الوصف بالعمى (قل أرأيتكم) معناه أخبرونى. والضمير الثانى للخطاب، ولا محل له من الإعراب وجواب الشرط محذوف تقديره إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة من تدعون؟ ثم وقفهم على أنهم لا يدعون حينئذ إلا الله، ولا يدعون آلهتهم، والآية احتجاج عليهم، وإثبات للتوحيد، وإبطال للشرك (إن شاء) استثناء أى يكشف ما نزل بكم إن أراد، ويصيبكم به إن أراد (وتنسون ما تشركون) يحتمل أن يكون من النسيان أو الترك (فأخذناهم بالبأساء والضراء) كان ذلك على وجه التخفيف والتأديب (فلولا) هذا عرض وتحضيض وفيه دليل على نفع التضرع حين الشدائد (فلما نسوا) الآية: أى لما تركوا الاتعاظ بما ذكروا به من الشدائد فتح عليهم أبواب الرزق والنعم ليشكروا عليها فلم يشكروا فأخذهم الله (مبلسون) آيسون من الخير (دابر القوم) آخرهم. وذلك عبارة عن استئصالهم بالكلية (والحمد لله) شكر على هلاك الكفار فإنه نعمة على المؤمنين وقيل إنه إخبار على ما تقدم من الملاطفة فى أخذه لهم بالشر ليزدجروا أو بالخير ليشكروا حتى وجب عليهم العذاب بعد الإنذار والإعذار (قل أرأيتم) الآية. احتجاج على الكفار أيضا (يأتيكم به) الضمير عائد على المأخوذ (يصدفون) أى يعرضون (قل أرأيتكم) الآية: وعيد وتهديد، والبغتة ما لم يتقدم لهم شعور به، والجهرة ما بدت لهم مخايله، وقيل بغتة بالليل، وجهرة بالنهار (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) الآية: أى لا أدعى شيئا منكرا ولا يستبعد. إنما أنا نبى رسول كما كان غيرى من الرسل (الأعمى والبصير) مثال للضال والمهتدى (وأنذر به الذين يخافون) الضمير فى به يعود على ما يوحى والإنذار عام لجميع الناس وإنما خصص هنا بالذين يخافون، لأنه قد تقدم فى الكلام ما يقتضى اليأس من إيمان غيرهم فكأنه يقول أنذر الخائفين لأنه ينفعهم الإنذار، وأعرض عمن تقدم ذكره من الذين لا يسمعون ولا يعقلون

Marfat.com

يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ۝ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ۝ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم ۝ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ۝ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت

(ليس لهم من دونه ولىّ ولا شفيع) فى موضع الحال من الضمير فى يحشروا ، واستئناف إخبار (لعلهم يتقون) يتعلق بأنذر (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) الآية : نزلت فى ضعفاء المؤمنين . كبلال ، وعمار ابن ياسر ، وعبد الله بن مسعود ، وخباب وصهيب ، وأمثالهم ، وكان بعض المشركين من قريش قد قالوا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : لا يمكننا أن نختلط مع هؤلاء لشرفنا فلو طردتهم لاتبعناك ، فنزلت هذه الآية (بالغداة والعشى) قيل هى الصلاة بمكة قبل فرض الخمس وكانت غدوة وعشية ، وقيل هى عبارة عن دوام الفعل ، ويدعون هنا من الدعاء وذكر الله أو بمعنى العبادة (يريدون وجهه) إخبار عن إخلاصهم لله وفيه تزكية لهم (ماعليك من حسابهم من شىء) الآية : قيل الضمير فى حسابهم للذين يدعون ، وقيل للمشركين ، والمعنى على هذا لاتحاسب عنهم ، ولا يحاسبون عنك ، فلا تهتم بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم ، والأول أرجح ، لقوله وما أنا بطارد الذين آمنوا ، وقوله إن حسابهم إلا على ربى ، والمعنى على هذا أن الله هو الذى يحاسبهم فلأى شىء تطردهم (فتطردهم) هذا جواب النفى فى قوله ماعليك (فتكون من الظالمين) هذا جواب النهى فى قوله ولا تطرد أو عطف على فتطردهم (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أى ابتلينا الكفار بالمؤمنين ، وذلك أن الكفار كانوا يقولون أهؤلاء العبيد والفقراء من الله عليهم بالتوفيق للحق والسعادة دوننا ، ونحن أشراف أغنياء وكان هذا الكلام منهم على وجه الاستبعاد بذلك (أليس الله بأعلم بالشاكرين) رد على الكفار فى قولهم المتقدم (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) هم الذين نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن طردهم أمر بأن يسلم عليهم إكرامالهم وأن يؤنسهم بما بعد هذا (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أى حتمها وفى الصحيح: إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتى سبقت غضبى (أنه من عمل منكم سوءا) الآية ، وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وأصلح ، وهو خطاب للقوم المذكورين قبل ، وحكمها عام فيهم وفى غيرهم والجهالة قد ذكرت فى النساء ، وقيل نزلت بسبب أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرد الضعفاء عسى أن يسلم الكفار ، فلما نزلت لا تطرد ندم عمر على قوله وتاب منه فنزلت الآية ، وقرئ أنه بالفتح على البدل من الرحمة وبالكسر على الاستئناف ، وكذلك فإنه غفور رحيم بالكسر على الاستئناف وبالفتح خبر ابتداء مضمر تقديره فأمره أنه غفور رحيم ، وقيل تكرار الأولى لطول الكلام (وكذلك نفصل) الإشارة إلى ماتقدم من النهى عن الطرد وغير ذلك ، وتفصيل الآيات شرحها وبيانها (ولتستبين سبيل المجرمين) بتاء الخطاب ونصب السبيل على أنه مفعول به ، وقرئ بتاء التأنيث ورفع السبيل على أنه فاعل مؤنث وبالياء والرفع على تذكير

Marfat.com

إذًا وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَٰصِلِينَ ۝ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِىَ الْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّٰلِمِينَ ۝ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝ وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝ ثُمَّ رُدُّوٓا إِلَى اللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَٰسِبِينَ ۝ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّٰكِرِينَ ۝ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۝ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ

السبيل ، لأنه يجوز فيه التذكير والتأنيث (الذين تدعون) أى تعبدون (قد ضللت إذاً) أى إن اتبعت أهواءكم ضللت (على بينة) أى على أمر بين من معرفة ربى والهاء فى بينة للمبالغة أو للتأنيث (وكذبتم به) الضمير عائد على الرب أو على البينة (ماعندى ماتستعجلون به) أى العذاب الذى طلبوه فى قولهم : فأمطر علينا حجارة من السماء ، وقيل الآيات التى اقترحوها والأول أظهر (يقص الحق) من القصص وقرئ يقضى بالضاد المعجمة من القضاء وهو أرجح لقوله (وهو خير الفاصلين) أى الحاكمين (قل لو أن عندى ماتستعجلون به لقضى الأمر) أى لو كان عندى العذاب على التأويل الأول ، والآيات المقترحة على التأويل الآخر . لوقع الانفصال وزال النزاع لنزول العذاب أو لظهور الآيات (مفاتح الغيب) استعارة وعبارة عن التوصل إلى الغيب كما يتوصل بالمفاتح إلى مافى الخزائن ، وهو جمع مفتح بكسر الميم بمعنى مفتاح ، ويحتمل أن يكون جمع مفتح بالفتح وهو المخزن (ولا حبة فى ظلمات الأرض) تنبيه بها على غيرها لأنها أشد تغييبا من كل شىء (فى كتاب مبين) اللوح المحفوظ . وقيل علم الله (يتوفاكم بالليل) أى إذا نمتم . وفى ذلك اعتبار واستدلال على البعث الأخروى (ماجرحتم) أى ماكسبتم من الأعمال (يبعثكم فيه) أى يوقظكم من النوم ، والضمير عائد على النهار لأن غالب اليقظة فيه ، وغالب النوم بالليل (أجل مسمى) أجل الموت (حفظة) جمع حافظ وهم الملائكة الكاتبون (توفته رسلنا) أى الملائكة الذين مع ملك الموت (ثم ردوا) خروج من الخطاب إلى الغيبة والضمير لجميع الخلق (قل من ينجيكم) الآية : إقامة حجة ، وظلمات البر والبحر : عبارة عن شدائدهما وأهوالهما كما يقال لليوم الشديد مظلم (عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قيل الذى من فوق إمطار الحجارة ، ومن تحت الخسف ، وقيل من فوقكم : تسليط أكابركم ، ومن تحت أرجلكم : تسليط سفلاتكم ، وهذا بعيد (أو يلبسكم شيعا)

قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِى ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ
عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿
وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا
وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ
وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ

أى يخلطكم فرقا مختلفين (ويذيق بعضكم بأس بعض) بالقتال ، واختلف هل الخطاب بهذه الآية للكفار أو المؤمنين ؟ وروى أنه لما نزلت أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهه . فلما نزلت من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك . فلما نزلت أو يلبسكم شيعا ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : هذا أهون ، فقضى الله على هذه الأمة بالفتن والقتال إلى يوم القيامة (وكذب به قومك) الضمير عائد على القرآن . أو على الوعيد المتقدم . وقومك هم قريش (لست عليهم بوكيل) أى بحفيظ ومتسلط ، وفى ذلك متاركة نسختها آية القتال (لكل نبأ مستقر) أى فى غاية يعرف عندها صدق من كذبه (يخوضون فى آياتنا) فى الاستهزاء بها والطعن فيها (فأعرض عنهم) أى قم ولا تجالسهم (وإما ينسينك الشيطان) إما مركبة من إن الشرطية وما الزائدة ، والمعنى إن أنساك الشيطان النهى عن مجالستهم فلا تقعد بعد أن تذكر النهى (وما على الذين يتقون من حسابهم من شىء) الذين يتقون هم المؤمنون والضمير فى حسابهم للكفار والمستهزئين والمعنى ليس على المؤمنين شىء من حساب الكفار على استهزائهم وإضلالهم ، وقيل إن ذلك يقتضى إباحة جلوس المؤمنين مع الكافرين ، لأنهم شق عليهم النهى عن ذلك إذ كانوا لا بد لهم من مخالطتهم فى طلب المعاش وفى الطواف بالبيت وغير ذلك ، ثم نسخت بآية النساء ، وهى : وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله ، الآية ، وقيل إنها لا تقتضى إباحة القعود (ولكن ذكرى لعلهم يتقون) فيه وجهان أحدهما أن المعنى ليس على المؤمنين حساب الكفار ، ولكن عليهم تذكيرا لهم ، ووعظ ، وإعراب ذكرى على هذا نصب على المصدر وتقديره يذكرونهم ذكرى ، أو رفع على المبتدإ تقديره عليهم ذكرى ، والضمير فى لعلهم عائد على الكفار : أى يذكرونهم رجاء أن يتقوا أو عائد على المؤمنين أى يذكرونهم ليكون تذكيرهم ووعظهم تقوى الله . الوجه الثانى أن المعنى ليس نهى المؤمنين عن القعود مع الكافرين بسبب أن عليهم من حسابهم شىء وإنما هو ذكرى للمؤمنين ، وإعراب ذكرى على هذا خبر ابتداء مضمر تقديره : ولكن نهيهم ذكرى أو مفعول من أجله تقديره إنما نهوا ذكرى ، والضمير فى لعلهم على هذا للمؤمنين لا غير (وذر الذين) قيل إنها متاركة منسوخة بالسيف ، وقيل بل هى تهديد فلا متاركة ولا نسخ فيها (اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) أى اتخذوا الدين الذى كان ينبغى لهم لعبا ولهوا لأنهم سخروا منا واتخذوا الدين الذى يعتقدونه لعبا ولهوا لأنهم لا يؤمنون بالبعث فهم يلعبون ويلهون (وذكر به) الضمير عائد على الدين أو على القرآن (أن تبسل) قيل معناه أن تحبس ، وقيل تفضح ، وقيل تهلك وهو فى موضع مفعول من أجله أى ذكر به كراهة أن تبسل نفس (وإن تعدل كل عدل) أى وإن تعط كل فدية

Marfat.com

بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۞ قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا اللَّهُ
كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَٰطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ
وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۞ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ
السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ عَٰلِمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۞ فَلَمَّا جَنَّ
عَلَيْهِ الَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ الْءَافِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى

لا يؤخذ منها (قل أندعوا من دون الله) الآية: إقامة حجة وتوبيخ للكفار (ونرد على أعقابنا) أى نرجع من الهدى إلى الضلال وأصل الرجوع على العقب فى المشى، ثم استعير فى المعانى، وهذه جملة معطوفة على أندعوا، والهمزة فيه للإنكار والتوبيخ (كالذى استهوته الشياطين) الكاف فى موضع نصب على الحال من الضمير فى نرد: أى كيف نرجع مشبهين من استهوته الشياطين أو نعت لمصدر محذوف تقديره رداً كرد الذى، ومعنى استهوته الشياطين ذهبت به فى مهامه الأرض، وأخرجته عن الطريق فهو استفعال من هوى يهوى فى الأرض إذا ذهب فيها، وقال الفارسى: استهوى بمعنى أهوى ومثل استذل بمعنى أذل (حيران) أى ضال عن الطريق، وهو نصب على الحال من المفعول فى استهوته (له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا) أى لهذا المستهوى أصحاب وهم رفقة يدعونه إلى الهدى أى إلى أن يهدوه إلى الطريق، يقولون له ائتنا، وهو قد تاه وبعد عنهم فلا يجيبهم: وهذا كله تمثيل لمن ضل فى الدين عن الهدى، وهو يدعى إلى الإسلام فلا يجيب، وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق حين كان أبوه يدعوه إلى الإسلام، ويبطل هذا قول عائشة مانزل فى آل أبى بكر شىء من القرآن إلا براءتى (وأن أقيموا) عطف على لنسلم، أو على مفعول أمرنا (قوله الحق) مرفوع بالابتداء وخبره يوم يقول، وهو مقدم عليه والعامل فيه معنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال، واليوم بمعنى الحين وفاعل يكون مضمر، وهو فاعل كن أى حين يقول لشىء كن فيكون ذلك الشىء (يوم ينفخ فى الصور) ظرف لقوله له الملك كقوله لمن الملك اليوم، وقيل فى إعراب الآية غير هذا مما هو ضعيف أو تخليط (عالم الغيب والشهادة) خبر ابتداء مضمر (لأبيه آزر) هو اسم أبى إبراهيم، فإعرابه عطف بيان أو بدل، ومنع من الصرف للعجمة والعلمية، لا للوزن لأن وزنه فاعل نحو عابر وشالح، وقرئ بالرفع على النداء، وقيل إنه اسم صنم لأنه ثبت أن اسم أبى إبراهيم تارخ، فعلى هذا يحتمل أن يكون لقب به لملازمته له، أو أريد عابد آزر، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وذلك بعيد، ولا يبعد أن يكون له اثنان (نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) قيل إنه فرج الله السموات والأرض حتى رأى ببصره الملك الأعلى والأسفل، وهذا يحتاج إلى صحة نقل، وقيل رأى مايراه الناس من الملكوت، ولكنه وقع له بها من الاعتبار والاستدلال مالم يقع لأحد من أهل زمانه (وليكون) متعلق بمحذوف تقديره وليكون من الموقنين فعلنا به ذلك (فلما جن عليه الليل) أى ستره يقال جن عليه الليل وأجنه

Marfat.com

فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ * فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى اللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ

(رأى كوكبا قال هذا ربى) يحتمل أن يكون هذا الذى جرى لإبراهيم فى الكوكب والقمر والشمس أن يكون قبل البلوغ والتكليف . وقد روى أن أمه ولدته فى غار خوفا من نمروذ إذ كان يقتل الأطفال لأن المنجمين أخبروه أن هلاكه على يد صبى . ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه ، وأنه قال ذلك لقومه على وجه الرد عليهم والتوبيخ لهم ، وهذا أرجح لقوله بعد ذلك (إنى برىء مما تشركون) ولا يتصور أن يقول ذلك وهو منفرد فى الغار لأن ذلك يقتضى محاجة وردا على قومه ، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب ، فأراد أن يبين لهم الخطأ فى دينهم وأن يرشدهم إلى أن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحدا منها إلها لقيام الدليل على حدوثها وأن الذى أحدثها ودبر طلوعها وغروبها وأفولها هو الإله الحق وحده ، وقوله : هذا ربى قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل لأن ذلك أدعى إلى الحق وأقرب إلى رجوع الخصم ، ثم أقام عليهم الحجة بقوله . لا أحب الآفلين : أى لا أحب عبادة المتغيرين لأن التغير دليل على الحدوث . والحدوث ليس من صفة الإله ثم استمر على ذلك المنهاج فى القمر وفى الشمس . فلما أوضح البرهان . وأقام عليهم الحجة ، جاهرهم بالبراءة من باطلهم ، فقال إنى برىء مما تشركون ، ثم أعلن لعبادته لله وتوحيده له فقال : إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ، ووصف الله تعالى بوصف يقتضى توحيده وانفراده بالملك ، فإن قيل : لم احتج بالأفول دون الطلوع ، وكلاهما دليل على الحدوث لأنهما انتقال من حال إلى حال ؟ فالجواب أنه أظهر فى الدلالة ، لأنه انتقال مع اختفاء واحتجاب (أتحاجونى فى الله) أى فى الإيمان بالله وفى توحيده والأصل أتحاجوننى بنونين وقرئ بالتشديد على إدغام أحدهما فى الآخر ، وبالتخفيف على حذف أحدهما واختلف هل حذفت الأولى أو الثانية (ولا أخاف ما تشركون به) ما هنا بمعنى الذى ويريد بها الأصنام ، وكانوا قد خوفوه أن تصيبه أصنامهم بضر ، فقال لا أخاف منهم لأنهم لا يقدرون على شىء (إلا أن يشاء ربى شيئا) استثناء منقطع بمعنى لكن : أى إنما أخاف من ربى إن أراد بى شيئا (وكيف أخاف ما أشركتم) أى كيف أخاف شركاءكم الذين لا يقدرون على شىء وأنتم لا تخافون ما فيه كل خوف ، وهو إشراككم بالله وأنتم تنكرون على الأمن فى موضع الأمن ، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن فى موضع الخوف ، ثم أوقفهم على ذلك بقوله فأى الفريقين أحق بالأمن يعنى فريق المؤمنين ، وفريق الكافرين ، ثم أجاب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا) الآية : وقيل إن الذين

Marfat.com

دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ * وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ * وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ * وَهَٰذَا كِتَٰبٌ

آمنوا: استئناف، وليس من كلام إبراهيم (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) لما نزلت هذه الآية أشفق منها أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا وأينا لم يظلم نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنما ذلك كما قال لقمان لابنه: يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم (وتلك حجتنا) إشارة إلى ما تقدم من استدلاله واحتجاجه (ومن ذريته) الضمير لإبراهيم أو لنوح عليهما السلام، والأول هو الصحيح لذكر لوط وليس من ذرية إبراهيم (داود) عطف على نوحا أى وهدينا داود (وعيسى) فيه دليل على أن أولاد البنات يقال فيهم ذرية، لأن عيسى ليس له أب فهو ابن ابنة نوح (ومن آبائهم) فى موضع نصب عطف على كلا أى وهدينا بعض آبائهم (فإن يكفر بها هؤلاء) أى أهل مكة (وكلنا بها قوما) هم الأنبياء المذكورون، وقيل الصحابة وقيل كل مؤمن والأول أرجح لدلالة ما بعده على ذلك، ومعنى توكيلهم بها توفيقهم للإيمان بها والقيام بحقوقها (أولئك الذين هدى الله) إشارة إلى الأنبياء المذكورين (فبهداهم اقتده) استدل به من قال إن شرع من قبلنا شرع لنا فأما أصول الدين من التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فاتفقت فيه جميع الأمم والشرائع، وأما الفروع ففيها وقع الاختلاف بين الشرائع والخلاف هل يقتدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيها بمن قبله أم لا؟ والهاء فى اقتده للوقف فينبغى أن تسقط فى الوصل، ولكن من أثبتها فيه راعى ثبوتها فى خط المصحف (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عرفوه حق معرفته فى اللطف بعباده والرحمة لهم إذ أنكروا بعثه للرسل وإنزاله للكتب، والقائلون هم اليهود بدليل ما بعده، وإنما قالوا ذلك مبالغة فى إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وروى أن الذى قالها منهم مالك بن الضيف، فرد الله عليهم بأن ألزمهم ما لابد لهم من الإقرار به وهو إنزال التوراة على موسى. وقيل القائلون قريش، ولزموا ذلك لأنهم كانوا مقرين بالتوراة (وعلمتم مالم تعلموا) الخطاب لليهود أو لقريش على وجه إقامة الحجة والرد عليهم فى

أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ
وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ
وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ
أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ
تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ
مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * إِنَّ ٱللَّهَ
فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟

قولهم ماأنزل الله على بشر من شيء ، فإن كان لليهود ، فالذى علموه التوراة ، وإن كان لقريش فالذى علموه ماجاءبه محمد صلى الله عليه وسلم (قل الله) جواب من أنزل واسم الله مرفوع بفعل مضمر تقديره أنزله الله أو مرفوع بالابتداء (ولتنذر) عطف على صفة الكتاب (أم القرى) مكة ، وسميت أم القرى ، لأنها مكان أول بيت وضع للناس . ولأنه جاء أن الأرض دحيت منها ولأنها يحج إليها أهل القرى من كل فج عميق (أو قال أوحى إلىّ) هو مسيلمة وغيره من الكذابين الذين ادعوا النبوة (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) هو النضر بن الحرث لأنه عارض القرآن واللفظ عام فيه وفى غيره من المستهزئين (ولو ترى) جوابه محذوف تقديره : لرأيت أمراً عظيما ، والظالمون : من تقدم ذكره من اليهود والكذابين والمستهزئين ، فتكون اللام للعهد ، وأعم من ذلك فتكون للجنس (باسطوا أيديهم) أى تبسط الملائكة أيديهم إلى الكفار يقولون لهم أخرجوا أنفسكم ، وهذه عبارة عن التعنيف فى السياق والشدة فى قبض الأرواح (اليوم تجزون) يحتمل أن يريد ذلك الوقت بعينه أو الوقت الممتد من حينئذ إلى الأبد (الهون) الذلة (فرادى) منفردين عن أموالكم وأولادكم أو عن شركائهم ، والأول يترجح لقوله تركتم ما خولناكم : أى ما أعطيناكم من الأموال والأولاد ، ويترجح الثانى بقوله : ومانرى معكم شفعاءكم (تقطع بينكم) تفرق شملكم ومن قرأه بالرفع أسند الفعل إلى الظرف واستعمله استعمال الأسماء ، ويكون البين بمعنى الفرقة ، أو بمعنى الوصل ، ومن قرأه بالنصب : فالفاعل مصدر الفعل ، أو محذوف تقديره تقطع الاتصال بينكم (فالق الحب والنوى) أى يفلق الحب تحت الأرض لخروج النبات منها ، ويفلق النوى لخروج الشجر منها وقيل أراد الشقين الذين فى النواة والحنطة ، والأول أرجح لعمومه فى أصناف الحبوب (يخرج الحىّ) تقدم فى آل عمران (ومخرج الميت من الحىّ) معطوف على فالق (فالق الإصباح) أى الصبح فهو مصدر سمى به الصبح ، ومعنى فلقه أخرجه من الظلمات ، وقيل إن الظلمة هى التى تنفلق عن الصبح ، فالتقدير فالق ظلمة الإصباح (سكنا) أى يسكن فيه عن الحركات ويستراح (حسبانا) أى يعلم بهما حساب الأزمان والليل والنهار (ذلك تقدير العزيز العليم) ما أحسن ذكر هذين الإسمين هنا لأن العزيز يغلب كل شيء

بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون * وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر
ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون * وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء
فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون
والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون *
وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون * بديع
السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم * ذلكم

ويقهره ، وهو قد قهر الشمس والقمر وسخرهما كيف شاء ، والعليم لما فى تقدير الشمس والقمر والليل والنهار من العلوم والحكمة العظيمة وإتقان الصنعة (فى ظلمات البر والبحر) أى فى ظلمات الليل فى البر والبحر ، وأضاف الظلمة إليها لملابستها لها ، أو شبه الطرق المشتبهة بالظلمات (فمستقر ومستودع) من كسر القاف من مستقر فهو اسم فاعل ، ومستودع اسم مفعول ، والتقدير فمنكم مستقر ومستودع ، ومن فتحها : فهو اسم مكان أو مصدر ، ومستودع مثله ، والتقدير على هذا لكم مستقر ومستودع ، والاستقرار فى الرحم والاستيداع فى الصلب ، وقيل الاستقرار فوق الأرض والاستيداع تحتها (فأخرجنا به) الضمير عائد على الماء (فأخرجنا منه) الضمير عائد على النبات (خضرا) أى أخضر غضا ، وهو يتولد من أصل النبات من الفراخ (نخرج منه) الضمير عائد على الخضر (حبا متراكبا) يعنى السنبل لأن حبه بعضه على بعض ، وكذلك الرمان وشبهه (قنوان) جمع قنو ، وهو العنقود من التمر ، وهو مرفوع بالابتداء وخبره من النخل ، ومن طلعها بدل ، والطلع أول مايخرج من التمر فى أكمامه (دانية) أى قريبة سهلة التناول ، وقيل قريبة بعضها من بعض (وجنات من أعناب) بالنصب عطف على نبات كل شيء وقرئ فى غير السبع بالرفع عطف على قنوان (مشتبها وغير متشابه) نصب على الحال من الزيتون والرمان ، أو من كل ما تقدم من النبات ، والمشتبه والمتشابه بمعنى واحد أى من النبات مايشبه بعضه بعضا فى اللون والطعم والصورة ، ومنه مالا يشبه بعضه بعضا ، وفى ذلك دليل قاطع على الصانع المختار القدير العليم المريد (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) أى انظروا إلى ثمره أول مايخرج ضعيفا لامنفعة فيه ، ثم ينتقل من حال إلى حال حتى ينيع أى ينضج ويطيب (شركاء الجن) نصب الجن على أنه مفعول أول لجعلوا وشركاء مفعول ثان ، وقدم لاستعظام الإشراك ، أو شركاء مفعول أول ، والله فى موضع المفعول الثانى والجن بدل من شركاء والمراد بهم هنا الملائكة ، وذلك ردا على من عبدهم ؛ وقيل المراد الجن ، والإشراك بهم طاعتهم (وخلقهم) الواو للحال ، والمعنى الرد عليهم : أى جعلوا لله شركاء ، وهو خلقهم ، والضمير عائد على الجن ، أو على الجاعلين ، والحجة قائمة على الوجهين (وخرقوا له بنين وبنات) أى اختلقوا وزوروا ، والبنين قول النصارى فى المسيح ، واليهود فى عزير ، والبنات قول العرب فى الملائكة (بغير علم) أى قالوا ذلك بغير دليل ولا حجة بل بمجرد افتراء (بديع) ذكر معناه فى البقرة ، ورفعه على أنه خبر ابتداء مضمر أو مبتدأ وخبره : أنى يكون ، وفاعل تعالى ، والقصد به الرد على من نسب لله البنين والبنات ، وذلك من وجهين : أحدهما أن

Marfat.com

ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ * لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ * قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ

الولد لايكون إلامن جنس والده ، والله تعالى متعال عن الأجناس ، لأنه مبدعها ، فلايصح أن يكون له ولد والآخر أن الله خالق السموات والأرض ومن كان هكذا فهو غنى عن الولد وعن كل شيء (فاعبدوه) مسبب عن مضمون الجملة أى من كان هكذا فهو المستحق للعبادة وحده (لاتدركه الأبصار) يعنى فى الدنيا وأما فى الآخرة ، فالحق أن المؤمنين يرون ربهم بدليل قوله : إلى ربها ناظرة ، وقد جاءت فى ذلك أحاديث صحيحة صريحة ، لاتحتمل التأويل ، وقالت الأشعرية إن رؤية الله تعالى فى الدنيا جائزة عقلا ، لأن موسى سألها من الله ، ولا يسأل موسى ماهو محال ، وقد اختلف الناس هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه ليلة الإسراء أم لا (وهو يدرك الأبصار) قال بعضهم الفرق بين الرؤية والإدراك أن الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى غايته ، فلذلك نفى أن تدرك أبصار الخلق ربهم ، ولا يقتضى ذلك نفى الرؤية وحسن على هذا قوله وهو يدرك الأبصار لإحاطة علمه تعالى بالخفيات (اللطيف الخبير) أى لطيف عن أن تدركه الأبصار وهو الخبير بكل شيء ، وهو يدرك الأبصار (قد جاءكم بصائر) جمع بصيرة ، وهو نور القلب ، والبصر نور العين ، وهذا الكلام على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وما أنا عليكم بحفيظ (وليقولوا) متعلق بمحذوف تقديره ليقولوا صرفنا الآيات (درست) بإسكان السين وفتح التاء درست العلم وقرأته ، ودارست بالألف أى دارست العلم وتعلمت منه ، ودرست بفتح السين وإسكان التاء بمعنى قدمت هذه الآيات ودبرت (ولنبينه) الضمير للآيات وجاء مذكرا لأن المراد بها القرآن (وأعرض عن المشركين) إن كان معناه أعرض عما يدعونك إليه ؛ أو عن مجادلتهم فهو محكم ، وإن كان عن قتالهم وعقابهم فهو منسوخ وكذلك ما أنا عليكم بحفيظ وبوكيل (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) أى لا تسبوا آلهتهم فيكون ذلك سببا لأن يسبوا الله ، واستدل المالكية بهذا على سد الذرائع (قل إنما الآيات عند الله) أى هى بيد الله لابيدى (وما يشعركم) أى ما يدريكم ، وهو من الشعور بالشيء ، وما نافية أو استفهامية (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) من قرأ بفتح أنها فهو معمول يشعركم : أى ما يدريكم أن الآيات إذا جاءتهم لا يؤمنون بها ، نحن نعلم ذلك وأنتم لاتعلمونه وقيل لا زائدة ، والمعنى مايشعركم أنهم يؤمنون ، وقيل أن هنا بمعنى لعل فمن قرأ بالكسر فهى استئناف إخبار وتم الكلام فى قوله ومايشعركم أى مايشعركم مايكون منهم فعلى القراءة بالكسر يوقف على مايشعركم وأما على القراءة

كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ الْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوٓا إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ۞ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ الْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۞ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۞ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِ مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ

بالفتح فإن كانت مصدرية لم يوقف عليه لأنه عامل فيها وإن كانت بمعنى لعل فأجاز بعض الناس الوقف ومنعه شيخنا أبو جعفر بن الزبير ، لما فى لعل من معنى التعليل (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) أى نطبع عليها ونصدها عن الفهم فلا يفهمون (كما لم يؤمنوا) الكاف للتعليل أى نطبع على أفئدتهم وأبصارهم عقوبة لهم على أنهم لا يؤمنون به أول مرة ، ويحتمل أن تكون للتشبيه أى نطبع عليها إذا رأوا الآيات مثل طبعنا عليها أول مرة (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) الآية : رد عليهم فى قسمهم أنهم لو جاءتهم آية ليؤمنون بها أى لو أعطيناهم هذه الآيات التى اقترحوها وكل آية لم يؤمنوا إلا أن يشاء الله (قبلا) بكسر القاف وفتح الباء أى معاينة فنصبه على الحال ، وقرئ بضمتين ، ومعناه مواجهة : كقوله : قدمن قبل ، وقيل هو جمع قبيل بمعنى كفيل ، أى كفلا بتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا) الآية : تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم بالتأسى لغيره (شياطين الإنس والجن) أى المتمردين من الصنفين ، ونصب شياطين على البدل من عدوا ، إذ هو بمعنى الجمع أو مفعول أول ، وعدوا مفعول ثان (يوحى بعضهم إلى بعض) أى يوسوس ويلقى الشر (زخرف القول غرورا) مازينه من القول (ولو شاء ربك مافعلوه) الضمير عائد على وحيهم ، أو على عداوة الكفار (فذرهم) وعيد (وما يفترون) ما فى موضع نصب على أنها مفعول معه أو عطف على الضمير (ولتصغى) أى تميل وهو متعلق بمحذوف واللام لام الصيرورة (إليه) الضمير لوحيهم (وليقترفوا) يكتسبوا (أفغير الله) معمول لقول محذوف أى قل لهم (وتمت كلمت ربك) أى صحت والكلمات ما نزل على عباده من كتبه (صدقا وعدلا) أى صدقا فيما أخبر وعدلا فيما حكم (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) القصد بهذا الأمر إباحة ماذكر اسم الله عليه ، والنهى عما ذبح للنصب وغيرها ، وعن الميتة وهذا النهى يقتضيه دليل الخطاب من الأمر ، ثم صرح به فى قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ؛ وقد استدل بذلك من أوجب التسمية على الذبيحة وإنما جاء الكلام فى سياق تحريم الميتة وغيرها ،

Marfat.com

كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ * وَذَرُوا ظَٰهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ * وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ * أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي الظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ * فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ

فإن حملناه على ذلك لم يكن فيه دليل على وجوب التسمية فى ذبائح المسلمين ، وإن حملناه على عمومه كان فيه دليل على ذلك ، وقال عطاء : وهذه الآية أمر بذكر الله على الذبح والأكل والشرب (ومالكم ألا تأكلوا) المعنى أى غرض لكم فى ترك الأكل ، مما ذكر اسم الله عليه ، وقد بين لكم الحلال من الحرام (إلا ما اضطررتم اليه) استثناء بما حرم (وذروا ظاهر الإثم وباطنه) لفظ يعم أنواع المعاصى ؛ لأن جميعها إما باطن وإما ظاهر ؛ وقيل الظاهر الأعمال والباطن الاعتقاد (وإنه لفسق) الضمير لمصدر لا تأكلوا (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) سببها أن قوما من الكفار قالوا إنا نأكل ما قتلناه ، ولا نأكل ما قتل الله يعنون الميتة (أو من كان ميتا فأحييناه) الموت هنا عبارة عن الكفر ، والاحياء عبارة عن الايمان ، والنور : نور الايمان ، والظلمات الكفر ؛ فهى استعارات وفى قوله ميتا فأحييناه مطابقة وهى من أدوات البيان ، ونزلت الآية فى عمار بن ياسر ، وقيل فى عمر بن الخطاب والذى فى الظلمات أبو جهل ، ولفظها أعم من ذلك (كمن مثله) مثل هنا بمعنى صفة ، وقيل زائدة ، والمعنى كمن هو (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر) أى كما جعلنا فى مكة أكابرها ليمكروا فيها جعلنا فى كل قرية ، وإنما ذكر الأكابر ، لأن غيرهم تبع لهم ؛ والمقصود تسلية النبي صلى الله عليه وسلم (مجرميها) إعرابه مضاف اليه عند الفارسي وغيره ؛ وقال ابن عطية وغيره : إنه مفعول أول بجعلنا وأكابر مفعول ثان مقدم ؛ وهذا جيد فى المعنى ضعيف فى العربية ، لأن أكابر جمع أكبر وهو من أفعل فلا يستعمل إلا بمن أو بالاضافة (وقالوا لن نؤمن) الآية : قائل هذه المقالة أبو جهل ، وقيل الوليد بن المغيرة ، لأنه قال أنا أولى بالنبوة من محمد (الله أعلم حيث يجعل رسالته) رد عليهم فيما طلبوه ، والمعنى أن الله علم أن محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم أهل للرسالة ، فخصه بها وعلم أنهم ليسوا بأهل لها فحرمهم إياها ، وفى الآية من أدوات البيان الترديد لكونه ختم كلامهم باسم الله ثم رده فى أول كلامه (صغار) أى ذلة (يشرح صدره للإسلام) شرح الصدر وضيقه وحرجه : ألفاظ مستعارة ومن قرأ حرجا بفتح الراء فهو مصدر وصف به (كأنما يصعد فى السماء) أى كأنما يحاول الصعود إلى السماء ، وذلك غير ممكن ، فكذلك يصعب عليه الإيمان وأصل يصعد المشدد يتصعد ، وقرئ بالتخفيف

Marfat.com

عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * لَهُمْ دَارُ السَّلَٰمِ عِندَ
رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ
أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا الَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۞ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ الظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞
يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا
شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰفِرِينَ * ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ
مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ * وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۞ وَرَبُّكَ الْغَنِىُّ

(دار السلام) الجنة ، والسلام هنا يحتمل أن يكون اسم الله ، فأضافها إليه : لأنها ملكه وخلقه ، أو بمعنى السلامة والتحية (ويوم نحشرهم) العامل فى يوم محذوف تقديره اذكر ، وتقديره قلنا ، ويكون على هذا عاملا فى يوم وفى (يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس) أى أضللتم منهم كثيرا ، وجعلتموهم أتباعكم كما تقول استكثر الأمير من الجيش (استمتع بعضنا ببعض) استمتاع الجن بالإنس : طاعتهم لهم واستمتاع الإنس بالجن كقوله . وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ، فإن الرجل كان إذا نزل واديا قال أعوذ بصاحب هذا الوادى يعنى كبير الجن (وبلغنا أجلنا) هو الموت وقيل الحشر (إلا ما شاء الله) قيل الاستثناء من الكاف والميم فى مثواكم فما بمعنى من ، لأنها وقعت على صنف من الجن والإنس والمستثنى على هذا من آمن منهم . وقيل الاستثناء من مدة الخلود وهو الزمان الذى بين حشرهم إلى دخول النار ، وقيل الاستثناء من النار ، وهو دخولهم الزمهرير ، وقيل ليس المراد هنا بالاستثناء الإخراج ، وإنما هو على وجه الأدب مع الله . وإسناد الأمور إليه (نولى بعض الظالمين بعضا) أى نجعل بعضهم وليا لبعض ، وقيل يتبع بعضهم بعضا فى دخول النار ، وقيل نسلط بعضهم على بعض (ألم يأتكم رسل) تقرير للجن والإنس ، فقيل إن الجن بعث فيهم رسل منهم لظاهر الآية ، وقيل إنما الرسل من الإنس خاصة ، وإنما قال رسل منكم لأنه جمع الثقلين فى الخطاب (وشهدوا على أنفسهم) لا تنافى بينه وبين قولهم ما كنا مشركين ، لما تقدم هناك فإن قيل : لم كرر شهادتهم على أنفسهم ؟ فالجواب أن قولهم شهدنا على أنفسنا قول قالوه هم . وقوله شهدوا على أنفسهم ذم لهم وتقبيح لحالهم (ذلك) خبر ابتداء مضمر تقديره الأمر ذلك أو مفعول لفعل مضمر تقديره فعلنا ذلك ، والإشارة إلى بعث الرسل (أن لم يكن) تعليل لبعث الرسل ، وهو فى موضع مفعول من أجله ، أو بدل من ذلك (بظلم) فيه وجهان : أحدهما أن الله لم يكن ليهلك القرى دون بعث الرسل إليهم ، فيكون إهلاكهم ظلما إذ لم ينذرهم ، فهو كقوله : وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ، والآخر أن الله لا يهلك القرى بظلمهم إذا ظلموا ، دون أن ينذرهم ، ففاعل الظلم على هذا أهل القرى وغفلتهم عدم إنذارهم ، حكى الوجهين ابن عطية والزمخشرى والوجه الأول صحيح على مذهب المعتزلة ، ولا يصح على مذهب أهل السنة . لأن الله لو أهلك عباده بغير

ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ۞ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ * قُلْ يَٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَٰقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۞ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ وَقَالُوا مَا فِي

ذنب : لم يكن ظالما عندهم (ولكل درجات) منازل فى الجزاء على أعمالهم من الثواب والعقاب (من ذرية قوم) أى من ذرية أهل سفينة نوح أو من كان قبلهم إلى آدم (اعملوا على مكانتكم) الأمر هنا للتهديد ، والمكانة التمكن (فسوف تعلمون) تهديد (من تكون له) يحتمل أن تكون من موصولة فى موضع نصب على المفعولية أو استفهامية فى موضع رفع بالابتداء (عاقبة الدار) أى الآخرة أو الدنيا ، والأول أرجح لقوله : عقبى الدار جنات عدن (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا) الضمير فى جعلوا لكفار العرب قال السهيلى هم حىّ من خولان ، يقال لهم الأديم كانوا يجعلون من زروعهم وثمارهم ومن أنعامهم نصيبا لله ونصيبا لأصنامهم ومعنى ذرأ خلق وأنشأ ، فى ذلك ردّ عليهم ، لأن الله الذى خلقها وذرأها : هو مالكها لا رب غيره (بزعمهم) أى بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع وأكثر مايقال الزعم فى الكذب ، وقرئ بفتح الزاى وضمها وهما لغتان (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله) الآية كانوا إذا هبت لريح فخامت شيئا من الذى لله إلى الذى للأصنام أقروه ، وإن حملت شيئا من الذى للأصنام إلى الذى لله ردّوه وإذا أصابتهم سنة أكلوا نصيب الله وتحاموا نصيب شركائهم (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) كانوا يقتلون أولادهم بالوأد ويذبحونهم قربانا إلى الأصنام وشركاؤهم هنا هم الشياطين ، أو القائمون على الأصنام وقرأ الجمهور بفتح الزاى من زين على البناء للفاعل ، ونصب قتل على أنه مفعول وخفض أولادهم بالإضافة ورفع شركاؤهم على أنه فاعل بزين . والشركاء على هذه القراءة هم الذين زينوا القتل ، وقرأ ابن عباس بضم الزاى على البناء للمفعول ، ورفع قتل على أنه مفعول لم يسم فاعله ، ونصب أولادهم على أنه مفعول بقتل ، وخفض شركائهم على الإضافة إلى قتل إضافة المصدر إلى فاعله ، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله : أولادهم ، وذلك ضعيف فى العربية وقد سمع فى الشعر ، والشركاء على هذه القراءة هم القاتلون الأولاد (ليردوهم) أى ليهلكوهم وهو من الردى بمعنى الهلاك (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر) أى حرام ، وهو فعل بمعنى مفعول ، نحو ذبح ، فيستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع (لا يطعمها إلا من نشاء) أى لا يأكلها إلا من شاؤا وهم القائمون على الأصنام ، والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) أى لا تركب ، وهى السائبة وأخواتها (وأنعام

Marfat.com

بطون هٰذه الأنعٰم خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم
وصفهم إنه حكيم عليم * قد خسر الذين قتلوا أولٰدهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على
الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين * وهو الذي أنشأ جنٰت معروشٰت وغير معروشٰت والنخل والزرع
مختلفا أكله والزيتون والرمان متشٰبها وغير متشٰبه كلوا من ثمره إذا أثمر وءاتوا حقه يوم حصاده
ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين * ومن الأنعٰم حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوٰت
الشيطٰن إنه لكم عدو مبين * ثمٰنية أزوٰج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل ءآلذكرين حرم أم
الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صٰدقين * ومن الإبل اثنين ومن البقر
اثنين قل ءآلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصٰكم الله بهٰذا
فمن أظلم ممن افترىٰ على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظٰلمين * قل لا أجد في

لا يذكرون اسم الله عليها) قيل معناه لا يحج عليها فلا يذكر اسم الله بالتلبية ، وقيل لا يذكر اسم الله عليها إذا ذبحت (افتراء عليه) كانوا قد قسموا أنعامهم على هذه الأقسام ونسبوا ذلك إلى الله افتراء وكذبا ونصب على الحال أو مفعول من أجله ، أو مصدر مؤكد (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة) الآية : كانوا يقولون في أجنة البحيرة والسائبة ما ولد منها حيا فهو للرجال خاصة ولا يأكل منها النساء ، وما ولد منها ميتا اشترك فيه الرجال والنساء وأنث خالصة للحمل على المعنى وهي الأجنة وذكر محرم حملا على لفظ ما ويجوز أن تكون التاء للمبالغة (وحرموا ما رزقهم الله) أي البحيرة والسائبة وشبهها (جنات معروشات) مرفوعات على دعائم وشبهها (وغير معروشات) متروكات على وجه الأرض ، وقيل المعروشات ما غرسه الناس في العمران وغير معروشات : ما أنبته الله في الجبال والبراري (مختلفا أكله) في اللون والطعم والرائحة والحجم ، وذلك دليل على أن الخالق مختار مريد (وآتوا حقه يوم حصاده) قيل حقه هنا الزكاة وهو ضعيف لوجهين : أحدهما أن الآية مكية ، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة ، والآخر أن الزكاة لا تعطى يوم الحصاد ، وإنما تعطى يوم ضم الحبوب والثمار ، وقيل حقه ما يصدق به على المساكين يوم الحصاد ، وكان ذلك واجبا ثم نسخ بالعشر ، وقيل هو ما يسقط من السنبل ، والأمر على هذا للندب (حمولة وفرشا) عطف على جنات ، والحمولة الكبار ، والفرش الصغار : كالعجاجيل والفصلان وقيل الحمولة الإبل لأنها يحمل عليها ، والفرش الغنم لأنها تفرش للذبح ويفرش ما ينسج من صوفها (ثمانية أزواج) بدل من حمولة وفرشا ، وسماها أزواجا ، لأن الذكر زوج للأنثى والأنثى زوج للذكر (من الضأن اثنين) يريد الذكر والأنثى ، وكذلك فيما بعده (قل آلذكرين) يعني الذكر من الضأن والذكر من المعز ، ويعني بالأنثيين الأنثى من الضأن ، والأنثى من المعز ، وكذلك فيما بعده من الإبل والبقر والهمزة للإنكار (نبئوني بعلم) تعجيز وتوبيخ (افترى على الله كذبا) يعني في تحريم ما لم يحرم الله ، وذلك إشارة إلى العرب في

Marfat.com

مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ

تحريمهم أشياء كالبحيرة وغيرها (قل لا أجد) الآية تقتضى حصر المحرمات فيما ذكر ، وقد جاء فى السنة تحريم أشياء لم تذكرهنا كلحوم الحمر فذهب قوم إلى أن السنة نسخت هذا الحصر ، وذهب آخرون إلى أن الآية وردت على سبب فلا تقتضى الحصر ، وذهب آخرون إلى أن ماعدا ماذكر إنما نهى عنه على وجه الكراهة لا على وجه التحريم (أو فسقا) معطوف على المنصوبات قبله ، وهو ماأهل به لغير الله سماه فسقا لتوغله فى الفسق ، وقد تقدم الكلام على هذه المحرمات فى البقرة (كل ذى ظفر) هو ماله أصبع من دابة وطائر قاله الزمخشرى وقال ابن عطية : يراد به الإبل والأوز والنعام ونحوه من الحيوان الذى هو غير منفرج الأصابع أوله ظفر وقال الماوردى مثله ، وحكى النقاش عن ثعلب أن كل مالا يصيد فهو ذو ظفر وما يصيد فهو ذو مخلب ، وهذا غير مطرد ، لأن الأسد ذو ظفر (إلا ماحملت ظهورهما) يعنى مافى الظهور والجنوب من الشحم (أو الحوايا) هى المباعر ، وقيل المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوى فى البطن وواحد حوايا حوية على وزن فعلية فوزن حوايا على هذا فعائل كصحيفة وصحائف ، وقيل واحدها حاوية على وزن فاعلة فحوايا على هذا فواعل : كضاربة وضوارب ، وهو معطوف على مافى قوله : إلا ماحملت ظهورهما ، فهو من المستثنى من التحريم ، وقيل عطف على الظهور ، فالمعنى إلا ماحملت الظهور ، أو حملت الحوايا ، وقيل عطف على الشحوم ، فهو من المحرم (أو مااختلط بعظم) يريد مافى جميع الجسد (وإنا لصادقون) أى فيما أخبرنا به من التحريم ، وفى ذلك تعريض بكذب من حرم مالم يحرم الله (فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) أى إن كذبوك فيما أخبرت به من التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة إذ لا يعاجلكم بالعقوبة على شدة جرمكم ، وهذا كما تقول عند رؤية معصية ما أحلم الله : تريد لإمهاله عن مثل ذلك ثم أعقب وصفه بالرحمة الواسعة بقوله (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) أى لا تغتروا بسعة رحمته ، فإنه لا يرد بأسه عن مثلكم إما فى الدنيا أو فى الآخرة (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا) الآية : معناها أنهم يقولون إن شركهم وتحريمهم لما حرموا كان بمشيئة الله ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه ، فاحتجوا على ذلك بإرادة الله له ، وتلك نزغة جبرية ، ولا حجة لهم فى ذلك ، لأنهم مكلفون مأمورون ألا يشركوا بالله ، ولا يحللوا ما حرم الله ولا يحرموا ماحلل الله ، والارادة خلاف التكليف ، ويحتمل عندى أن يكون قولهم «لو شاء الله» قولا يقولونه فى الآخرة على وجه التمنى أن ذلك لم يكن كقولك إذا ندمت على شىء لو شاء الله ما كان هذا أى يتمنى أن ذلك لم يكن ، ويؤيد هذا أنه حكى قولهم بأداة الاستقبال ، وهى السين ، فذلك دليل على أنهم يقولونه فى المستقبل وهى الآخرة (قل هل

الذين من قبلهم حتىٰ ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنآ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ❋ قل فلله الحجة البالغة فلو شآء لهدىٰكم أجمعين ❋ قل هلم شهدآءكم الذين يشهدون أن الله حرم هٰذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهوآء الذين كذبوا بـٔايٰتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ۝ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسٰنا ولا تقتلوا

عندكم من علم) توقيف لهم وتعجيز (قل فلله الحجة البالغة) لما أبطل حجتهم أثبت حجة الله ليظهر الحق ويبطل الباطل (هلم) قيل هي بمعنى هات فهي متعدية ، وقيل بمعنى أقبل فهي غير متعدية ، وهي عند بعض العرب فعل يتصل به ضمير الاثنين والجماعة والمؤنث وعند بعضهم اسم فعل فيخاطب بها الواحد والاثنان والجماعة والمؤنث على حدسواء ، ومقصود الآية تعجيزهم عن إقامة الشهداء (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) أي إن كذبوا في شهادتهم وزوروا فلا تشهد بمثل شهادتهم (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) أمر الله نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم الله عليهم وذكر في هذه الآيات المحرمات التي أجمعت عليها جميع الشرائع ولم تنسخ قط في ملة ، وقال ابن عباس : هي الكلمات العشر التي أنزل الله على موسى (ألا تشركوا به شيئا) قيل أن هنا حرف عبارة وتفسير فلا موضع لها من الإعراب ولا ناهية جزمت الفعل ، وقيل أن مصدرية في موضع رفع تقديره : الأمر ألا تشركوا ، فلا على هذا نافية ، وقيل أن في موضع نصب بدلا من قوله ما حرم ، ولا يصح ذلك إلا إن كانت لا زائدة وإن لم تكن زائدة فسد المعنى لأن الذي حرم على ذلك يكون ترك الإشراك ، والأحسن عندي أن تكون أن مصدرية في موضع نصب على البدل ولا نافية ولا يلزم ماذكر من فساد المعنى ، لأن قوله ما حرم ربكم : معناه ما وصاكم به ربكم بدليل قوله في آخر الآية : ذلكم وصاكم به فضمن التحريم معنى الوصية . والوصية في المعنى أعم من التحريم لأن الوصية تكون بتحريم وبتحليل . وبوجوب وندب ، ولا ينكر أن يريد بالتحريم الوصية لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص وتريد به العموم ، كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص . إذ تقرر هذا . فتقدير الكلام : قل تعالوا أتل ما وصاكم به ربكم ، ثم أبدل منه على وجه التفسير له والبيان ، فقال أن لا تشركوا به شيئا أي وصاكم ألا تشركوا به شيئا ووصاكم بالإحسان بالوالدين ووصاكم أن لا تقتلوا أولادكم فجمعت الوصية ترك الإشراك وفعل الإحسان بالوالدين وما بعد ذلك ويؤيد هذا التأويل الذي تأولنا : أن الآيات اشتملت على أوامر : كالإحسان بالوالدين وقول العدل والوفاء في الوزن ، وعلى نواهي : كالإشراك وقتل النفس . وأكل مال اليتيم ، فلا بد أن يكون اللفظ المقدم في أولها لفظا يجمع الأوامر والنواهي ، لأنها أجملت فيه . ثم فسرت بعد ذلك . ويصلح لذلك لفظ الوصية لأنه جامع للأمر والنهي ، فلذلك جعلنا التحريم بمعنى الوصية ويدل على ذلك ذكر لفظ الوصية بعد ذلك ، وإن لم يتأول على ما ذكرناه : لزم في الآية إشكال . وهو عطف الأوامر على النواهي . وعطف النواهي على الأوامر ، فإن الأوامر طلب فعلها ، والنواهي طلب تركها ، وواو العطف تقتضي الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، ولا يصح ذلك إلا على الوجه الذي تأولناه من عموم الوصية للفعل والترك ، وتحتمل الآية عندي تأويلا آخر ، وهو أن يكون لفظ التحريم على ظاهره ، ويعم فعل المحرمات وترك

أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّـٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّـٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّـٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا

الواجبات لأن ترك الواجبات حرام (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) الإملاق الفاقة ، ومن هنا للتعليل تقديره من أجل إملاق ، وإنما نهى عن قتل الأولاد لأجل الفاقة ،لأن العرب كانوا يفعلون ذلك فخرج مخرج الغالب فلا يفهم منه إباحة قتلهم بغير ذلك الوجه (ماظهر منها وما بطن) قيل ماظهر : الزنا . ومابطن : اتخاذ الأخدان والصحيح أن ذلك عموم فى جميع الفواحش (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) فسره قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : زنى بعد إحصان ، أو كفر بعد إيمان ، أو قتل نفس بغير نفس (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن) النهى عن القرب يعم وجوه التصرف ، وفيه سد الذريعة ، لأنه إذا نهى عن أن يقرب المال ، فالنهى عن أكله أولى وأحرى ، والتى هى أحسن منفعة اليتيم وتثمير ماله (حتى يبلغ أشده) هو البلوغ مع الرشد ، وليس المقصود هنا السن وحده ، وإنما المقصود معرفته بمصالحه (لانكلف نفسا إلا وسعها) لما أمر بالقسط فى الكيل والوزن ، وقد علم أن القسط الذى لازيادة فيه ولا نقصان مما يجرى فيه الحرج ولا يتحقق الوصول إليه أمر بما فى الوسع من ذلك وعفا عما سواه (ولو كان ذا قربى) أى ولو كان المقول له أو عليه فى شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل ، فلا ينبغى أن يزيد ولا ينقص بل يعدل (وأن هذا صراطى مستقيما) الاشارة بهذا إلى ماتقدم من الوصايا أو إلى جميع الشريعة . وأن بفتح الهمزة والتشديد عطف على ماتقدم أو مفعول من أجله : أى فاتبعوه لأن هذا صراطى مستقيما . وقرئ بالكسر على الاستئناف ، وبالفتح والتخفيف على العطف ، وهى على هذا مخففة من الثقيلة (ولاتتبعوا السبل) الطرق المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان الباطلة ، ويدخل فيه أيضا البدع والأهواء المضلة ، وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم خط خطا ، ثم قال هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، ثم قال هذه كلها سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه (فتفرق بكم عن سبيله) أى تفرقكم عن سبيل الله والفعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة ولذلك شدده البزى (ثم آتينا) معطوف على وصاكم به ، فإن قيل : فإن إيتاء موسى الكتاب متقدم على هذه الوصية فكيف عطفه عليها بثم . فالجواب أن هذه الوصية قديمة لكل أمة على لسان نبيها ، فصح الترتيب ، وقيل إنها هنا لترتيب الاخبار والقول ، لا لترتيب الزمان (تماما على الذى أحسن) فيه ثلاث تأويلات : أحدها أن المعنى تماما للنعمة على الذى أحسن من قوم موسى ففاعل أحسن ضمير يعود على الذى ، والذى أحسن يراد به جنس المحسنين ، والآخر : أن المعنى تماما أى تفضلا ، أو جزاء على ما أحسن موسى عليه السلام من طاعة ربه

Marfat.com

لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ۝ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ * هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ * مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى

وتبليغ رسالته ، فالفاعل على هذا ضمير موسى عليه السلام والذى صفة لعمل موسى . والثالث تماما أى إكمالا على ما أحسن الله به إلى عباده ، فالعامل على هذا ضمير الله تعالى (أن تقولوا) فى موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تقولوا (على طائفتين) أهل التوراة والإنجيل (وإن كنا عن دراستهم لغافلين) أى لم ندرس مثل دراستهم ولم نعرف مادرسوا من الكتب فلا حجة علينا ، وأن هنا مخففة من الثقيلة (فقد جاءتكم بينة) إقامة حجة عليهم (صدف) أى أعرض (هل ينظرون) الآية : تقدمت نظيرتها فى البقرة (بعض آيات ربك) أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها ، فحينئذ لايقبل إيمان كافر ولاتوبة عاص ، فقوله لاينفع نفسا إيمانها يعنى أن إيمان الكافر لاينفعه حينئذ وقوله (أو كسبت فى إيمانها خيرا) يعنى أن من كان مؤمنا ولم يكسب حسنات قبل ظهور تلك الآيات . ثم تاب إذا ظهرت : لم ينفعه لأن باب التوبة يغلق حينئذ (قل انتظروا) وعيد (إن الذين فرقوا دينهم) هم اليهود والنصارى ، وقيل أهل الأهواء والبدع ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة قيل يارسول الله ومن تلك الواحدة ؟ قال من كان على ما أنا وأصحابى عليه ، وقرئ فارقوا أى تركوا (وكانوا شيعا) جمع شيعة أى متفرقين كل فرقة تتشيع لمذهبها (لست منهم فى شىء) أى أنت برىء منهم (عشر أمثالها) فضل عظيم على العموم فى الحسنات ، وفى العاملين ، وهو أقل التضعيف للحسنات فقد تنتهى إلى سبعمائة وأزيد (دينا قيما) بدل من موضع إلى صراط مستقيم . لأن أصله هدانى صراطا بدليل اهدنا الصراط ، والقيم فيعل من القيام وهو أبلغ من قائم وقرئ قيما بكسر القاف وتخفيف الياء وفتحها ، وهو على هذا مصدر وصف به (ملة إبراهيم) بدل من دينا ، أو عطف بيان (ونسكى) أى عبادتى ، وقيل ذبحى للبهائم ، وقيل حجى ، والأول أعم وأرجح

Marfat.com

لله رب العٰلمين * لا شريك له وبذٰلك أمرت وأنا أول المسلمين * قل أغير الله أبغى ربًا وهو رب كل شيء
ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون * وهو الذى جعلكم خلٰئف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجٰت ليبلوكم فى ما ءاتٰكم
إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم *

سورة الأعراف

مكية إلا من آية ١٦٣ إلى غاية آية ١٧٠ فمدنية : وآياتها ٢٠٦ نزلت بعد ص

بسم الله الرحمٰن الرحيم * المص * كتٰب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به
وذكرى للمؤمنين * اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلًا ما تذكرون *

(ومحياى ومماتى) أى أعمالى فى حين حياتى وعند موتى (لله) أى خالصا لوجهه وطلب رضاه ، ثم أكد ذلك بقوله لاشريك له : أى لا أريد بأعمالى غير الله فيكون نفيا للشرك الأصغر وهو الرياء ويحتمل أن يريد لا أعبد غير الله فيكون نفيا للشرك الأكبر (وبذلك أمرت) إشارة إلى الإخلاص الذى تقتضيه الآية قبل ذلك (وأنا أول المسلمين) لأنه صلى الله عليه وسلم سابق أمته (قل أغير الله أبغى ربا) تقرير وتوبيخ للكفار ، وسببها أنهم دعوه إلى عبادة آلهتهم (وهو رب كل شيء) برهان على التوحيد ونفى الربوبية عن غير الله (ولا تكسب كل نفس إلا عليها) رد على الكفار لأنهم قالوا له اعبد آلهتنا ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها فى دنياك وأخراك ، فنزلت هذه الآية : أى ليس كما قلتم ، وإنما كسب كل نفس عليها خاصة (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا يحمل أحد ذنوب أحد ، وأصل الوزر الثقل ، ثم استعمل فى الذنوب (خلائف) جمع خليفة : أى يخلف بعضكم بعضا فى السكنى فى الأرض أو خلائف عن الله فى أرضه ، والخطاب على هذا لجميع الناس ، وقيل لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم خلفوا الأمم المتقدمة (ورفع بعضكم) عموم فى المال والجاه والقوة والعلوم وغير ذلك مما وقع فيه التفضيل بين العباد (ليبلوكم فيما آتاكم) ليختبر شكركم على ما أعطاكم ، وأعمالكم فيما مكنكم فيه (إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) جمع بين التخويف والترجية . وسرعة عقابه تعالى : إما فى الدنيا بمن عجل أخذه ، أو فى الآخرة لأن كل آت قريب . ونسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا بفضله ورحمته

﴿ســـورة الاعراف﴾

(المص) تكلمنا على حروف الهجاء فى البقرة (حرج منه) أى ضيق من تبليغه مع تكذيب قومك . وقيل الحرج هنا الشك . فتأويله كقوله فلا تكن من الممترين (لتنذر) متعلق بأنزل (وذكرى) منصوب على المصدرية بفعل مضمر تقديره لتنذر وتذكر ذكرى ، لأن الذكر بمعنى التذكير ، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر ، أو مخفوض عطفا على موضع لتنذر أى للإنذار والذكرى (قليلا ما تذكرون) انتصب قليلا بتذكرون أى تذكرون تذكرا

Marfat.com

وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ

قليلا وما زائدة للتوكيد (هلكناها فجاءها بأسنا) قيل إنه من المقلوب تقديره : جاءها بأسنا فأهلكناها ، وقيل المعنى : أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا لأن مجيء البأس قبل الإهلاك فلا يصح عطفه عليه بالفاء ويحتمل أن فجاءها بأسنا استئنافا على وجه التفسير للإهلاك ، فلا يحتاج إلى تكلف ، والمراد أهلكنا أهلها فجاءهم ، ثم حذف المضاف بدليل أو هم قائلون (بياتا أو هم قائلون) بياتا مصدر فى موضع الحال بمعنى بائتين أى بالليل ، وقائلون من القائلة : أى بالنهار ، وقد أصاب العذاب بعض الكفار المتقدمين بالليل ، وبعضهم بالنهار . وأو هنا للتنويع (دعواهم) أى ماكان دعاؤهم واستغاثتهم إلا للاعتراف بأنهم ظالمون ، وقيل المعنى أن دعواهم هنا ماكانوا يدعونه من دينهم . فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين فى ذلك (أرسل إليهم) أسند الفعل إلى الجار والمجرور ، ومعنى الآية : أن الله يسأل الأمم عما أجابوا به رسلهم ، ويسأل الرسل عما أجيبوا به (فلنقصن عليهم) أى على الرسل والأمم (والوزن) يعنى وزن الأعمال (يومئذ) أى يوم يسئل الرسل وأممهم وهو يوم القيامة (بآياتنا يظلمون) أى يكذبون بها ظلما (خلقناكم ثم صورناكم) قيل المعنى أردنا خلقكم وتصويركم (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وقيل خلقنا أباكم آدم ثم صورناه ، وإنما احتيج إلى التأويل ليصح العطف (ألا تسجد) لا زائدة للتوكيد (إذ أمرتك) استدل به بعض الأصوليين على أن الأمر يقتضى الوجوب والفور ، ولذلك وقع العقاب على ترك المبادرة بالسجود (قال أنا خير منه) تعليل علل به إبليس امتناعه من السجود ، وهو يقتضى الاعتراض على الله تعالى فى أمره بسجود الفاضل للمفضول على زعمه ، وبهذا الاعتراض كفر إبليس إذ ليس كفره كفر جحود (فاهبط منها) أى من السماء (قال فبما أغويتنى) الفاء للتعليل وهى تتعلق بفعل قسم محذوف تقديره أقسم بالله بسبب إغوائك لى لأغوين بنى آدم ، وما مصدرية ، وقيل استفهامية ويبطله ثبوت الألف فى ما مع حرف الجر (صراطك) يريد طريق الهدى والخير وهو منصوب على الظرفية (ثم لآتينهم من بين أيديهم) الآية : أى من الجهات الأربع ، وذلك عبارة عن تسليطه على بنى آدم كيفما أمكنه ، وقال ابن عباس من بين أيديهم الدنيا ، ومن خلفهم الآخرة ، وعن أيمانهم

وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ * قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَاوُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ قَالَ ٱهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ * يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ *

الحسنات ، وعن شمائلهم السيئات (مذءوما) من ذأمه بالهمز إذا ذمه (مدحورا) أى مطرودا حيث وقع (فوسوس) إذا تكلم كلاما خفيا يكرره ، فمعنى وسوس لهما : ألقى لهما هذا الكلام (ليبدى لهما ماوورى عنهما من سوآتهما) أى ليظهر ماستر من عوراتهما واللام فى قوله ليبدى للتعليل إن كان فى انكشافهما غرض لإبليس ، أو للصيرورة إن وقع ذلك بغير قصد منه اليه (الشجرة) ذكرت فى البقرة (إلا أن تكونا ملكين) أى كراهة أن تكونا ملكين ، واستدل به من قال إن الملائكة أفضل من الأنبياء ، وقرىء ملكين بكسر اللام ، ويقوى هذه القراءة قوله وملك لا يبلى (وقاسمهما) أى حلف لهما إنه لمن الناصحين وذكر قسم إبليس بصيغة المفاعلة التى تكون بين الاثنين لأنه اجتهد فيه أو لأنه أقسم لهما وأقسما له أن يقبلا نصيحته (فدلاهما) أى أنزلهما إلى الأكل من الشجرة (بغرور) أى غرهما بحلفه لهما لأنهما ظنا أنه لا يحلف كاذبا (بدت لهما سوآتهما) أى زال عنهما اللباس وظهرت عوراتهما ، وكان لا يريانها من أنفسهما ، ولا أحدهما من الآخر ، وقيل كان لباسهما نور يحول بينهما وبين النظر (يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى يصلان بعضه ببعض ليستترا به (وناداهما ربهما) يحتمل أن يكون هذا النداء بواسطة ملك ، أو بغير واسطة (ربنا ظلمنا أنفسنا) اعتراف وطلب للمغفرة والرحمة ، وتلك هى الكلمات التى تاب الله عليه بها (اهبطوا) ومابعده مذكور فى البقرة (فيها تحيون) أى فى الأرض (لباسا) أى الثياب التى تستر ، ومعنى أنزلنا خلقنا ، وقيل المراد أنزلنا ما يكون عنه اللباس وهو المطر ، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة (ريشا) أى لباس الزينة وهو مستعار من ريش الطائر (ولباس التقوى) استعار للتقوى لباسا كقولهم ألبسك الله قميص تقواه ، وقيل لباس التقوى ما يتقى به فى الحرب من الدروع وشبهها ، وقرىء بالرفع على الابتداء أو خبره الجملة ، وهى ذلك خير (ذلك من آيات الله) الإشارة إلى ماأنزل من اللباس ، وهذه الآية واردة على

يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا فَعَلُوا فَـٰحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَـٰلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوٓا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۝ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَـٰتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ

وجه الاستطراد عقيب ماذكر من ظهور السوآت وخصف الورق عليها ليبين إنعامه على ماخلق من اللباس (ينزع عنهما لباسهما) أى كان سببا فى نزع لباسهما عنهما (من حيث لاترونهم) يعنى فى غالب الأمر ، وقد استدل به من قال إن الجن لا يرون وقد جاءت فى رؤيتهم أحاديث صحيحة ، فتحمل الآية على الأكثر جمعا بينها وبين الأحاديث (وإذا فعلوا فاحشة) قيل هى ما كانت العرب تفعله من الطواف بالبيت عراة الرجال والنساء ، ويحتمل العموم فى الفواحش (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) اعتذروا بعذرين باطلين أحدهما : تقليد آبائهم ، والآخر : افتراؤهم على الله (وأقيموا وجوهكم) قيل المراد إحضار النية . والإخلاص لله ، وقيل فعل الصلاة والتوجه فيها (عندكل مسجد) أى فى كل مكان سجود أو فى وقت كل سجود والأول أظهر ، والمعنى إباحة الصلاة فى كل موضع كقوله صلى الله عليه وسلم : جعلت لى الأرض مسجدا (كما بدأكم تعودون) احتجاج على البعث الأخروى بالبدأة الأولى (فريقا) الأول منصوب بهدى ، والثانى منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده (خذوا زينتكم) قيل المراد به الثياب الساترة ، واحتج به من أوجب ستر العورة فى الصلاة ، وقيل المراد به الزينة زيادة على الستر كالتجمل للجمعة بأحسن الثياب وبالسواك والطيب (وكلوا واشربوا) الأمر فيهما للإباحة ، لأن بعض العرب كانوا يحرمون أشياء من المآكل (ولا تسرفوا) أى لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة ، وقال الأطباء : إن الطب كله مجموع فى هذه الآية ، وقيل لا تسرفوا بأكل الحرام (قل من حرم زينة الله) إنكار لتحريمها وهو ما شرعه الله لعباده من الملابس والمآكل ، وكان بعض العرب إذا حجوا يجردون الثياب ويطوفون عراة ، ويحرمون الشحم واللبن ، فنزل ذلك ردا عليهم (خالصة يوم القيامة) أى الزينة والطيب فى الدنيا للذين آمنوا ولغيرهم ، وفى الآخرة خالصة لهم دون غيرهم ، وقرئ خالصة بالنصب على الحال ، والرفع على أنه خبر بعد خبر ، أو خبر ابتداء مضمر (والإثم) عام فى كل ذنب (وأن تقولوا على الله)

Marfat.com

أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ۝ يٰبنى ءادم إمّا يأتينّكم رسل منكم يقصّون عليكم ءايٰتى فمن اتقىٰ وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ والّذين كذّبوا بٔايٰتنا واستكبروا عنها أولٰئك أصحٰب النّار هم فيها خٰلدون ۝ فمن أظلم ممّن افترىٰ على الله كذبًا أو كذّب بٔايٰته أولٰئك ينالهم نصيبهم من الكتٰب حتّىٰ إذا جاءتهم رسلنا يتوفّونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلّوا عنّا وشهدوا علىٰ أنفسهم أنّهم كانوا كٰفرين ۝ قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجنّ والإنس فى النّار كلّما دخلت أمّة لعنت أختها حتّىٰ إذا ادّاركوا فيها جميعًا قالت أخرٰىهم لأولٰىهم ربّنا هٰؤلاء أضلّونا فٔاتهم عذابًا ضعفًا من النّار قال لكلّ ضعف ولٰكن لا تعلمون ۝ وقالت أولٰىهم لأخرٰىهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ۝ إنّ الّذين كذّبوا بٔايٰتنا واستكبروا عنها لا تفتّح لهم أبوٰب السّماء ولا يدخلون الجنّة حتّىٰ يلج الجمل فى سمّ الخياط وكذٰلك نجزى المجرمين ۝ لهم من جهنّم مهاد ومن فوقهم غواش وكذٰلك نجزى الظّٰلمين ۝ والّذين ءامنوا وعملوا الصّٰلحٰت لا نكلّف نفسًا إلّا وسعها أولٰئك أصحٰب الجنّة هم فيها خٰلدون ۝ ونزعنا ما فى صدورهم من غلّ تجرى من تحتهم الأنهٰر

أى تفتروا عليه فى التحريم وغيره (فإما يأتينكم) هى إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد، ولزمتها النون الشديدة المؤكدة، وجواب الشرط فمن اتقى الآية (فمن أظلم) ذكر فى الانعام (ينالهم نصيبهم من الكتاب) أى يصل اليهم ما كتب لهم من الأرزاق وغيرها (ضلوا عنا) أى غابوا (ادخلوا فى أمم) أى ادخلوا النار فى جملة أمم أو مع أمم (اداركوا) تلاحقوا واجتمعوا (قالت أخراهم لأولاهم) المراد بأولاهم الرؤساء والقادة، وأخراهم الأتباع والسفلة، والمعنى أن أخراهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأولاهم لأنهم أضلوهم، وليس المعنى أنهم قالوا لهم ذلك خطابا لهم، إنما هو كقولك قال فلان لفلان كذا: أى قاله عنه وإن لم يخاطبه به (وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل) أى لم يكن لكم علينا فضل فى الإيمان والتقوى يوجب أن يكون عذابنا أشد من عذابكم بل نحن وأنتم سواء (فذوقوا العذاب) من قول أولاهم لأخراهم أو من قول الله تعالى لجميعهم (لا تفتح لهم أبواب السماء) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يصعد عملهم إلى السماء، والثانى لا يدخلون الجنة، فإن الجنة فى السماء، والثالث لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين (حتى يلج الجمل فى سم الخياط) أى حتى يدخل الجمل فى ثقب الإبرة، والمعنى لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبداً، فلا يدخلونها أبدا (مهاد) فراش (غواش) أغطية (لا نكلف نفسا إلا وسعها) جملة اعتراض بين المبتدأ والخبر ليبين أن ما يطلب من الأعمال الصالحة ما فى الوسع والطاقة (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) أى من كان فى صدره غل لأخيه فى الدنيا نزعه منه

وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟
أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا
حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ۝ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا
بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ
أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ
قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا۟

فى الجنة وصاروا إخوانا أحبابا ، وإنما قال نزعنا بلفظ الماضى وهو مستقبل لتحقق وقوعه فى المستقبل حتى عبر عنه بما يعبر عن الواقع ، وكذلك كل ماجاء بعد هذا من الأفعال الماضية فى اللفظ وهى تقع فى الآخرة كقوله : نادى أصحاب الجنة ، ونادى أصحاب الأعراف ، ونادى أصحاب النار ، وغيرذلك (هدانا لهذا) إشارة إلى الجنة أو إلى ماأوجب من الإيمان والتقوى (أن تلكم الجنة) وأن قد وجدنا ، وأن لعنة ، وأن سلام : يحتمل أن يكون أن فى كل واحدة منها مخففة من الثقيلة ، فيكون فيها ضمير أو حرف عبارة وتفسير المعنى القول (ماوعدنا ربنا حقا) حذف مفعول وعد استغناء عنه بمفعول وعدنا أو لإطلاق الوعد فيتناول الثواب والعقاب (أذن مؤذن) أى أعلم معلم وهو ملك (وبينهما حجاب) أى بين الجنة والنار أو بين أصحابهما وهو أرجح لقوله : فضرب بينهم بسور (الأعراف) قال ابن عباس هو تل بين الجنة والنار ، وقيل سور الجنة (رجال) هم أصحاب الأعراف ورد فى الحديث أنهم قوم من بنى آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم يدخلوا الجنة ولا النار ، وقيل هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم ، فاستشهدوا ، فمنعوا من الجنة لعصيان آبائهم ، ونجوا من النار للشهادة (يعرفون كلا بسيماهم) أى يعرفون أهل الجنة بعلامتهم من بياض وجوههم ، ويعرفون أهل النار بعلامتهم من سواد وجوههم ، أو غير ذلك من العلامات (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) أى سلام أصحاب الأعراف على أهل الجنة (لم يدخلوها وهم يطمعون) أى أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون فى دخولها من بعد (وإذا صرفت أبصارهم) الضمير لأصحاب الأعراف أى إذا رأوا أصحاب النار دعوا الله أن لا يجعلهم معهم (ونادى أصحاب الأعراف رجالا) يعنى من الكفار الذين فى النار ، قالوا لهم ذلك على وجه التوبيخ (جمعكم) يحتمل أن يكون أراد جمعهم المال أو كثرتهم (وما كنتم تستكبرون) أى استكباركم على النار أو استكباركم على الرجوع إلى الحق ، فما هاهنا مصدرية وما فى قوله « ماأغنى » استفهامية أو نافية (أهؤلاء الذين أقسمتم) من كلام أصحاب الأعراف خطابا لأهل النار والإشارة بهؤلاء إلى أهل الجنة ، وذلك أن الكفار كانوا فى الدنيا يقسمون أن الله لا يرحم المؤمنين ولا يعبأ بهم فظهر خلاف ماقالوا ، وقيل هى من كلام الملائكة خطابا لأهل النار ، والإشارة بهؤلاء إلى أصحاب

Marfat.com

الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * وَنَادَىٰ أَصْحَٰبُ النَّارِ أَصْحَٰبَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَٰفِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَٰهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۞ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُمْ بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَّنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ ۞ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا

الأعراف (ادخلوا الجنة) خطابا لأهل الجنة إن كان من كلام أصحاب الأعراف تقديره قد قيل لهم ادخلوا الجنة ، أو خطابا لأهل الأعراف إن كان من كلام الملائكة (أن أفيضوا علينا من الماء) دليل على أن الجنة فوق النار (أو مما رزقكم الله) من سائر الأطعمة والأشربة (فاليوم ننساهم) أى نتركهم (كما نسوا) الكاف للتعليل (وما كانوا) عطف على كما نسوا : أى لنسيانهم وجحودهم (جئناهم بكتاب) يعنى القرآن (فصلناه على علم) أى علمنا كيف نفصله (إلا تأويله) أى هل ينتظرون إلا عاقبة أمره ، ومايؤول إليه أمره بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى قد تبين وظهر الآن أن الرسل جاؤابالحق (استوى على العرش) حيث وقع حمله قوم على ظاهره منهم ابن أبى زيد وغيره ، وتأوله قوم بمعنى قصد كقوله : ثم استوى إلى السماء ، ولو كان كذلك لقال ثم استوى إلى العرش ، وتأولها الأشعرية أن معنى استوى استولى بالملك والقدرة ، والحق الإيمان به من غير تكييف ، فإن السلامة فى التسليم ، ولله در مالك بن أنس فى قوله للذى سأله عن ذلك : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عن هذا بدعة ، وقد روى مثل قول مالك عن أبى حنيفة ، وجعفر الصادق ، والحسن البصرى ، ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون فى معنى الاستواء ، بل أمسكوا عنه ، ولذلك قال مالك السؤال عنه بدعة (يغشى الليل النهار) أى يلحق الليل بالنهار ، ويحتمل الوجهين . هكذا قال الزمخشرى ، وأصل اللفظة من الغشاء أى يجعل أحدهم غشاء الآخر يغطيه فتغطى ظلمة الليل ضوء النهار (يطلبه حثيثا) أى سريعا ، والجملة فى موضع الحال من الليل أى يطاب الليل النهار فيدركه (ألا له الخلق والأمر) قيل الخلق المخلوقات والأمر مصدر أمر يأمر ، وقيل الخلق مصدر خلق ، والأمر واحد الأمور : كقوله إلى الله تصير الأمور ، والكل صحيح (تبارك) من البركة ، وهو فعل غير منصرف لم تنطق له العرب بمضارع (تضرعا وخفية) مصدر فى موضع الحال وكذلك خوفا وطمعا ، وخفية من الإخفاء ، وقرئ خيفة من الخوف (المعتدين) المجاوزين للحد ، وقيل هنا هو رفع الصوت بالدعاء والتشطط

Marfat.com

فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ

فيه (وادعوه خوفا وطمعا) جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفا راجيا ، كما قال الله تعالى يرجون رحمته ويخافون عذابه فإن موجب الخوف معرفة سطوة الله وشدة عقابه ، وموجب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه ، قال تعالى نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الأليم ومن عرف فضل الله رجاه ومن عرف عذابه خافه ولذلك جاء في الحديث «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه» لاعتدلا إلا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه الخوف ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات وأن يغلب عليه الرجاء عند حضور الموت لقوله صلى الله عليه وسلم «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى» ، واعلم أن الخوف على ثلاث درجات : الأولى أن يكون ضعيفا يخطر على القلب ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر ، فوجود هذا كالعدم والثانية أن يكون قويا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة ، والثالثة أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس وهذا لا يجوز ، وخير الأمور أوسطها ، والناس في الخوف على ثلاث مقامات : فخوف العامة من الذنوب ، وخوف الخاصة من الخاتمة ، وخوف خاصة الخاصة من السابقة ، فإن الخاتمة مبنية عليها ، والرجاء على ثلاث درجات : الأولى رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك معصية فهذا هو الرجاء المحمود والثانية الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور ، والثالثة أن يقوى الرجاء حتى يبلغ الأمن ، فهذا حرام ، والناس في الرجاء على ثلاث مقامات : فمقام العامة رجاء ثواب الله ، ومقام الخاصة رجاء رضوان الله ، ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقا إليه (إن رحمت الله قريب من المحسنين) حذفت تاء التأنيث من قريب وهو خبر عن الرحمة على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو العفو أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي أو لأنه صفة موصوف محذوف وتقديره شيء قريب أو على تقدير النسب أي ذات قرب ، وقيل قريب هنا ليس خبر عن الرحمة وإنما هو ظرف لها (الرياح بشرا) قرئ الرياح بالجمع لأنها رياح المطر ، وقد اضطرد في القرآن جمعها إذا كانت الرحمة ، وإفرادها إذا كانت للعذاب ، ومنه ورد في الحديث «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» وقرئ بالإفراد ، والمراد الجنس وقرئ نشرا بفتح النون وإسكان الشين ، وهو على هذا مصدر في موضع الحال ، وقرئ بضمها وهو جمع نشر ، وقيل جمع منشور ، وقرئ بضم النون وإسكان الشين وهو تخفيف من الضم : كرسل ورسل ، وقرئ بالباء في موضع النون وهو من البشارة (بين يدي رحمته) أي قبل المطر (أقلت) حملت (سحابا ثقالا) لأنها تحمل الماء فتثقل به (سقناه) الضمير للسحاب (لبلد ميت) يعني لا نبات فيه من شدة القحط ، وكذلك معناه حيث وقع (فأنزلنا به الماء) الضمير للسحاب أو البلد ، على أن تكون الباء ظرفية (كذلك نخرج الموتى) تمثيل لإخراج الموتى من القبور وبإخراج الزرع من الأرض ، وقد وقع ذلك في القرآن في مواضع منها : كذلك النشور ، وكذلك الخروج (والبلد الطيب) هو الكريم من الأرض الجيد التراب (والذي خبث) بخلاف ذلك كالسبخة ونحوها (بإذن ربه) عبارة عن السهولة والطيب . والنكد

Marfat.com

لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ❋ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ❋ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❋ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ❋ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ❋ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ❋ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❋ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ

بخلاف ذلك ، فيحتمل أن يكون المراد مايقتضيه ظاهر اللفظ فتكون متممة المعنى الذى قبلها فى المطر ، أو تكون تمثيلا للقلوب ، فقيل على هذا الطيب . قلب المؤمن ، والخبيث : قلب الكافر وقيل هما للفهيم والبليد (من إله غيره) قرأ الكسائى بالخفض حيث وقع على اللفظ ، وقرأ غيره بالرفع على الموضع (عذاب يوم عظيم) يعنى يوم القيامة أو يوم هلاكهم (الملأ) أشراف الناس (ليس بى ضلالة) إنما قال ضلالة ولم يقل ضلال ، لأن الضلالة أخص من الضلال ، كما إذا قيل لك عندك تمر ، فتقول ماعندى تمرة فتعم بالنفى (أبلغكم) قرئ بالتشديد والتخفيف ، والمعنى واحد ، وهو فى موضع رفع صفة لرسول أو استئناف (أعلم من الله مالا تعلمون) أى من صفاته ورحمته وعذابه (أو عجبتم) الهمزة للإنكار ، والواو للعطف ، والمعطوف عليه محذوف ، كأنه قال أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم : أى على لسان رجل منكم (فى الفلك) متعلق بمعه والتقدير استقروا معه فى الفلك ويحتمل أن يتعلق بأنجيناه (عمين) جمع أعمى وهو من عمى القلب (أخاهم) أى واحد من قبيلتهم ، وهو عطف على نوحا ، وهودا بدل منه أو عطف بيان ، وكذلك أخاهم صالحا ومابعده ، وماهو مثله حيث وقع (الملأ الذين كفروا) قيدهنا بالكفر لأن فى الملأ من قوم هود من آمن وهو مرثد بن سعيد ، بخلاف قوم نوح ، فإنهم لم يكن فيهم مؤمن ، فأطلق لفظ الملأ (أمين) يحتمل أن يريد أمانته على الوحى أو أنهم قد كانوا عرفوه بالأمانة والصدق (خلفاء من بعد قوم نوح) أى خلفتموهم فى الأرض أو جعلكم ملوكا (وزادكم فى الخلق بسطة) كانوا عظام الأجسام فكان أقصرهم ستون ذراعا ، وأطولهم مائة ذراع (آلاء الله) نعمه حيث وقع (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده) استبعدوا توحيد

كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝

الله مع اعترافهم بربوبيته ، ولذلك قال لهم هود (قد وقع عليكم) أى حق عليكم ووجب عذاب من ربكم وغضب (أتجادلوننى فى أسماء سميتموها) يعنى الأصنام : أى تجادلوننى فى عبادة مسميات أسماء ، فنى الكلام حذف ، وأراد بقوله سميتموها أنتم وآباؤكم جعلتم لها أسماء ، فدل ذلك على أنها محدثة ، فلا يصح أن تكون آلهة ، أو سميتموها آلهة من غير دليل على أنها آلهة فقولكم باطل : فالجدال على القول الأول فى عبادتها ، وعلى القول الثانى فى تسميتها آلهة ، والمراد بالأسماء على القول الأول : المسمى ، وعلى القول الثانى : التسمية (دابر) ذكر فى الأنعام (بينة من ربكم) أى آية ظاهرة وهى الناقة ، وأضيفت إلى الله تشريفا لها ، أو لأنه خلقها من غير فحل . وكانوا قد اقترحوا على صالح عليه السلام أن يخرجها لهم من صخرة ، وعاهدوه أن يؤمنوا به إن فعل ذلك ، فانشقت الصخرة وخرجت منها الناقة وهم ينظرون ، ثم نتجت ولدا فآمن به قوم منهم وكفر به آخرون (لكم آية) أى معجزة تدل على صحة نبوة صالح ، والمجرور فى موضع الحال من آية ، لأنه لو تأخر لكان صفة (ولا تمسوها بسوء) أى لا تضربوها ولا تطردوها (وبوأكم فى الأرض) كانت أرضهم بين الشام والحجاز ، وقد دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام : لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا وأنتم باكون ، مخافة أن يصيبكم مثل الذى أصابهم (تتخذون من سهولها قصورا) أى تبنون قصورا فى الأرض البسيطة (وتنحتون الجبال بيوتا) أى تتخذون بيوتا فى الجبال ، وكانوا يسكنون القصور فى الصيف ، والجبال فى الشتاء ، وانتصب بيوتا على الحال وهو كقولك : خطت هذا الثوب قميصا (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا (إنا بالذى آمنتم به كافرون) إنما لم يقولوا إنا بما أرسل به كما قال الآخرون لئلا يكون اعترافا برسالته (فعقروا الناقة) نسب العقر إلى جميعهم لأنهم رضوا به ، وإن لم يفعله إلا واحد منهم وهو الأحيمر (الرجفة) الصيحة حيث وقعت ، وذلك أن الله أمر جبريل فصاح صيحة بين السماء والأرض

Marfat.com

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّٰصِحِينَ * وَلُوطًا إِذْ قَالَ
لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ الْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَٰلَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَآءِ
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۞ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۞
فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا امْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ۞
وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا
وَاذْكُرُوٓا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا
بِالَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ

فاتوا منها (جاثمين) حيث وقع أى قاعدين لا يتحركون (فتولى عنهم) الآية : يحتمل أن يكون توليه عنهم وقوله لهم حين عقروا الناقة قبل نزول العذاب بهم ، لأنه روى أنه خرج حينئذ من بين أظهرهم ، أو أن يكون ذلك بعد أن هلكوا ، وهو ظاهر الآية ، وعلى هذا خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجع عليهم ، وقوله : لا تحبون الناصحين : حكاية حال ماضية (إذ قال لقومه) العامل فى إذ أرسلنا المضمر ، أو يكون بدلا من لوط (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) أى لم يفعلها أحد من العالمين قبلكم ، ومن الأولى زائدة ، والثانية للتبعيض أو للجنس (فما كان جواب قومه) الآية : أى أنهم عدلوا عن جوابه على كلامه إلى الأمر بإخراجه وإخراج أهله (أناس يتطهرون) أى يتنزهون عن الفاحشة (من الغابرين) أى من الهالكين ، وقيل من الذين غبروا فى ديارهم فهلكوا ، أو من الباقين من أترابها يقال غبر بمعنى مضى ، وبمعنى بقى ، وإنما قال من الغابرين بجمع المذكر تغليبا للرجال الغابرين (وأمطرنا عليهم مطراً) يعنى الحجارة أصيب بها من كان منهم خارجا عن بلادهم ، وقلبت البلاد بمن كان فيها (بينة من ربكم) أى آية ظاهرة ، ولم تعين فى القرآن آية شعيب (فأوفوا الكيل والميزان) كانوا ينقصون فى الكيل والوزن ، فبعث شعيب ينهاهم عن ذلك ، والكيل هنا بمعنى المكيال الذى يكال به مناسبة للميزان كما جاء فى هود المكيال والميزان ، ويجوز أن يكون الكيل والميزان مصدرين (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) قيل هى نهى عن السلب وقطع الطريق ، وكان ذلك من فعلهم وكانوا يقعدون على الطريق يردون الناس عن اتباع شعيب ويوعدونهم إن اتبعوه (وتصدون) أى تمنعون الناس عن سبيل الله وهو الإيمان ، والضمير فى به للصراط أو لله (تبغونها عوجا) ذكر فى آل عمران (أو لتعودن فى ملتنا) أى

Marfat.com

كُنَّا كَـٰرِهِينَ * قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّـٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ * وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ * فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ * وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا وَٱتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا

ليكونن أحد الأمرين : إما إخراجهم ، أو عودهم إلى ملة الكفر ، فإن قيل : إن العود إلى الشيء يقتضى أنه قد كان فعل قبل ذلك فيقتضى قولهم لتعودن فى ملتنا أن شعيبا ومن كان معه كانوا أولا على ملة قومهم ، ثم خرجوا منها فطلب قومهم أن يعودوا اليها وذلك محال ، فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها فالجواب من وجهين : أحدهما قاله ابن عطية وهو أن عاد قد تكون بمعنى صار ، فلا يقتضى تقدم ذلك الحال الذى صار اليه ، والثانى قاله الزمخشرى وهو أن المراد بذلك الذين آمنوا بشعيب دون شعيب ، وإنما أدخلوه فى الخطاب معهم بذلك كما أدخلوه فى الخطاب معهم فى قولهم : لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك ، فغلبوا فى الخطاب بالعود الجماعة على الواحد ، وبمثل ذلك يجاب عن قوله إن عدنا فى ملتكم ، وما يكون لنا أن نعود فيها (قال أولو كنا كارهين) الهمزة للاستفهام والإنكار ، والواو للحال ، تقديره : أنعود فى ملتكم ويكون لنا أن نعود فيها ونحن كارهون (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم) أى إن عدنا فيها فقد وقعنا فى أمر عظيم من الافتراء على الله ، وذلك تبرأ من العود فيها (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) هذا استسلام لقضاء الله على وجه التأدب مع الله وإسناد الأمور اليه ، وذلك أنه لما تبرأ من ملتهم : أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عود وتركه ، فإن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء ، فإن قلت : إن ذلك يصح فى حق قومه وأما فى حق نفسه فلا فإنه معصوم من الكفر ، فالجواب : أنه قال ذلك تواضعا وتأدبا مع الله تعالى واستسلاما لأمره كقول نبينا صلى الله عليه وسلم «يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك» مع أنه قد علم أنه يثبته (ربنا افتح بيننا) أى احكم (كأن لم يغنوا فيها) أى كأن لم يقيموا فى ديارهم (فكيف آسى على قوم كافرين) أى كيف أحزن عليهم وقد استحقوا ما أصابهم من العذاب بكفرهم (بالبأساء والضراء) قد تقدم (بدلنا مكان السيئة الحسنة) أى أبدلنا البأساء والضراء بالنعيم اختبارا لهم فى الحالتين (حتى عفوا) أى كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم (قالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) أى قد جرى ذلك لآبائنا ولم يضرهم فهو بالاتفاق لا بقصد الاختبار (بركات من السماء والأرض) أى بالمطر والزرع (أوأمن) من

كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم
بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * تِلْكَ
الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ
كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ○ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ○
ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ *
وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ○ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ *
فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ○ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا

قرأ بإسكان الواو فهى أو العاطفة ، ومن قرأ بفتحها فهى واو العطف دخلت عليها همزة التوبيخ كما دخلت على الفاء فى قوله أفأمنوا مكر الله : أى استدراجه وأخذه للعبد من حيث لا يشعر (أولم يهد) أى أولم يتبين (للذين يرثون الأرض) أى يسكنونها (أن لو نشاء) هو فاعل أولم يهد ، ومقصود الآية الوعيد (ونطبع على قلوبهم) عطف على أصبناهم لأنه فى معنى المستقبل ، أو منقطع على معنى الوعيد وأجاز الزمخشرى أن يكون عطفا على يرثون الأرض أو على مادل عليه معنى أولم يهد كأنه قال يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الضمير لأهل القرى والمعنى وجدناهم ناقضين للعهود (حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق) من قرأ علىّ بالتشديد على أنها ياء المتكلم فالمعنى ظاهر ، وهو أن موسى قال حقيق عليه أن لا يقول على الله إلا الحق ، وموضع أن لا أقول على هذا رفع ، على أنه خبر حقيق ، وحقيق مبتدأ أو بالعكس ومن قرأ على بالتخفيف فموضع أن لا أقول خفض بحرف الجر ، وحقيق صفة لرسول ، وفى المعنى على هذا وجهان ، أحدهما أن على بمعنى الباء فمعنى الكلام رسول حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق ، والثانى أن معنى حقيق حريص ولذلك تعدى بعلى (قد جئتكم ببينة من ربكم) أى بمعجزة تدل على صدقى وهى العصا أو جنس المعجزات (فأرسل معى بنى إسرائيل) أى خلهم يذهبوا معى إلى الأرض المقدسة موطن آبائهم ، وذلك أنه لما توفى يوسف عليه السلام غلب فرعون على بنى إسرائيل واستعبدهم حتى أنقذهم الله على يد موسى ، وكان بين اليوم الذى دخل فيه يوسف مصر واليوم الذى دخله موسى أربعمائة عاما (ونزع يده فإذا هى بيضاء) وكان موسى عليه السلام شديد الأدمة فأظهر يده لفرعون ثم أدخلها فى جيبه ، ثم أخرجها وهى بيضاء شديدة البياض كاللبن أو أشد بياضا وقيل إنها كانت منيرة شفافة كالشمس ، وكانت ترجع بعد ذلك إلى لون بدنه (للناظرين) مبالغة فى وصف يده بالبياض وكان الناس يجتمعون للنظر إليها ، والتعجب منها (قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر

Marfat.com

لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝ قَالُوٓا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ ۝ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۝ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ۝ قَالَ أَلْقُوا
فَلَمَّآ أَلْقَوْا سَحَرُوٓا أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۝ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ
فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا صَٰغِرِينَ ۝ وَأُلْقِىَ
ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ

عليم) حكى هذا الكلام هنا عن الملأ وفى الشعراء عن فرعون ، كأنه قاله هووهم ، أو قاله هو ووافقوه عليه كعادة جلساء الملوك فى اتباعهم لما يقول الملك (يريد أن يخرجكم من أرضكم) أى يخرجكم منها بالقتال أو بالحيل ، وقيل المراد إخراج بنى إسرائيل وكانوا خداما لهم فتخرب الأرض بخروج الخدام والعمار منها (فماذا تأمرون) من قول الملأ أو من قول فرعون وهو من معنى المؤامرة أى المشاورة أو من الأمر وهو ضد النهى (أرجه) من قرأه بالهمزة فهو من أرجأت الرجل إذا أخرته فمعناه أخرهما حتى تنظر فى أمرهما ، وقيل المراد بالإرجاء هنا السجن ، ومن قرأ بغير همز فتحتمل أن تكون بمعنى المهموز وسهلت الهمزة ، أويكون بمعنى الرجاء أى أطمعه ، وأما ضم الهاء وكسرها فلغتان ، وأما إسكانها فلعله أجرى فيها الوصل مجرى الوقف (حاشرين) يعنى الشرطة أى جامعين للسحرة (وجاء السحرة فرعون) قيل هنا محذوف يدل عليه سياق الكلام وهو أنه بعث إلى السحرة (إن لنا لأجرا) من قرأه بهمزتين فهو استفهام ومن قرأه بهمزة واحدة فيحتمل أن يكون خبراً أواستفهاما حذفت منه الهمزة ، والأجر هنا : الأجرة ، طلبوها من فرعون إن غلبوا موسى ، فأنعم لهم فرعون بها وزادهم التقريب منه والجاه عنده (وإنكم لمن المقربين) عطف على معنى نعم كأنه قال نعطيكم أجراً ونقربكم ، واختلف فى عدد السحرة إختلافا متباينا من سبعين رجلا إلى سبعين ألفا وكل ذلك لاأصل له فى صحة النقل (إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين) خيروا موسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو يبدؤاهم بالقاء سحرهم فأمرهم أن يلقوا ، وانظر كيف عبروا عن إلقاء موسى بالفعل ، وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الإسمية ، إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون فيه (واسترهبوهم) اى خوفوهم بما أظهروا لهم من أعمال السحر (أن ألق عصاك) لما ألقاها صارت ثعبانا عظيما على قدر الجبل وقيل إنه طال حتى جاوز الفيل (تلقف) أى تبتلع (ما يأفكون) أى ماصوروا من إفكهم وكذبهم وروى أن الثعبان أكل ملء الوادى من حبالهم وعصيهم ومد موسى يده إليه فصار عصا كما كان ، فعلم السحرة أن ذلك ليس من السحر ، وليس فى قدرة البشر ، فآمنوا بالله وبموسى عليه السلام (لأقطعن أيديكم) الآية :

Marfat.com

وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ * وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ * قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا

وعيد من فرعون للسحرة وليس فى القرآن أنه أنفذ ذلك لكن روى أنه أنفذه عن ابن عباس وغيره ، وقد ذكر معنى من خلاف فى العقود (قالوا إنا إلى ربنا منقلبون) أى لا نبالى بالموت لانقلابنا إلى ربنا (وما تنتقم منا إلا أن آمنا) أى ما تعيب منا إلا إيماننا (ليفسدوا فى الأرض) أى يخربوا ملك فرعون وقومه ويخالفوا دينه (ويذرك) معطوف على ليفسدوا ، أو منصوب بإضمار أن بعد الواو (وآلهتك) قيل إن فرعون كان قد جعل للناس أصناما يعبدونها وجعل نفسه الإله الأكبر فلذلك قال أنا ربكم الأعلى ، فآلهتك على هذا هى تلك الأصنام ، وقرأ على بن أبى طالب وابن مسعود وابن عباس وإلهتك : أى عبادتك والتذلل لك (إن الأرض لله) تعليل للصبر ولذا أمرهم به يعنى أرض الدنيا هنا وفى قوله «ويستخلفكم فى الأرض» وقيل يعنى أرض فرعون فأشار لهم موسى أولا بالنصر فى قوله يورثها من يشاء من عباده ، ثم صرح فى قوله عسى ربكم الآية (فينظر كيف تعملون) حض على الاستقامة والطاعة بالسنين أى الجدب والقحط (فإذا جاءتهم الحسنة) الآية : إذا جاءهم الخصب والرخاء قالوا هذه لنا وبسعدنا ، ونحن مستحقون له وإذا جاءهم الجدب والشدة تطيروا بموسى : أى قالوا هذه بشؤمه ، فإن قيل لم قال إذا جاءتهم الحسنة بإذا وتعريف الحسنة وإن تصبهم سيئة بإن وتنكير السيئة ، فالجواب أن وقوع الحسنة كثير ، والسيئة وقوعها نادر فعرف الكثير الوقوع باللام التى للعهد ، وذكره بإذا لأنها تقتضى التحقيق وذكر السيئة بإن لأنها تقتضى الشك ونكرها للتعليل (ألا إنما طائرهم عند الله) أى إنما حظهم ونصيبهم الذى قدر لهم من الخير والشر عند الله ، وهو مأخوذ من زجر الطير ثم سمى به ما يصيب الإنسان ومقصود الآية الرد عليهم فيما نسبوا إلى موسى من الشؤم . مهما هى ما الشرطية ضمت إليها ما الزائدة نحو أينما ، ثم قلبت الألف هاء ، وقيل هى اسم بسيط غير مركب . والضمير فى به يعود على مهما ، وإنما قالوا من آية على تسمية موسى لها آية ، أو على وجه التهكم (فأرسلنا عليهم الطوفان) روى أنه كان مطرا شديدا دائما مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم ، وكادوا يهلكون وامتنعوا من الزراعة وقيل هو الطاعون (والجراد) هو المعروف أكل زروعهم وثمارهم حتى أكل ثيابهم

Marfat.com

عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَٰمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ۝ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ الْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا الَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ۝ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَٰمُوسَى اجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ۝ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ

وأبوابهم وسقف بيوتهم (والقمل) قيل هى صغار الجراد ، وقيل البراغيث ، وقيل السوس ، وقرئ القمل بفتح القاف والتخفيف ، فهى على هذا القمل المعروف ، وكانت تتعلق بلحومهم وشعورهم (والضفادع) هى المعروفة كثرت عندهم حتى امتلأت بها فرشهم وأوانيهم وإذا تكلم أحدهم وثبت الضفدع إلى فمه (والدم) صارت مياههم دما فكان يستسقى من البئر القبطى والإسرائيلى فى إناء واحد فيخرج مايلى القبطى دما ، ومايلى الإسرائيلى ماء (ولما وقع عليهم الرجز) أى العذاب وهى الأشياء المتقدمة وكانوا مهما نزل بهم أمر منها عاهدوا موسى على أن يؤمنوا به إن كشفه عنهم ، فلما كشفه عنهم نقضوا العهد وتمادوا على كفرهم (بما عهد عندك) بدعائك إليه ووسائلك ، والباء تحتمل أن تكون للقسم وجوابه لنؤمنن لك أو يتعلق بادع لنا أى توسل إليه بما عهد عندك (فى اليم) البحر حيث وقع (القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو إسرائيل (مشارق الأرض ومغاربها) الشام ومصر (باركنا فيها) أى بالخصب وكثرة الأرزاق (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل) أى تمت لهم واستقرت ، والكلمة هنا ماقضى لهم فى الأزل ، وقيل هى قوله : ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض (وما كانوا يعرشون) أى يبنون ، وقيل هى الكروم وشبهها فهو على الأول من العرش وعلى الثانى من العريش (قالوا ياموسى اجعل لنا إلها) أى اجعل لنا صنما نعبده كما يعبد هؤلاء أصنامهم ولما تم خبر موسى مع فرعون ابتدأ خبره مع بنى إسرائيل من هنا إلى قوله وإذ نتقنا الجبل (متبر) من التبار وهو الهلاك (وهو فضلكم على العالمين) وما بعده مذكور فى البقرة (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) روى أن الثلاثين هى شهر ذى القعدة والعشر بعدها هى العشر الأول من ذى الحجة ، وذلك تفصيل الأربعين المذكورة فى البقرة (ميقات ربه) أى ماوقت له من الوقت لمناجاته

أَخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّـٰكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ

فى الطور (اخلفنى) أى كن خليفتى على بنى إسرائيل مدة مغيبى (قال رب أرنى) لما سمع موسى كلام الله طمع فى رؤيته ، فسألها كما قال الشاعر :

وأفرح ما يكون الشوق يوما * إذا دنت الديار من الديار

واستدلت الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزة عقلا ، وأنها لو كانت محالا لم يسألها موسى ، فإن الأنبياء عليهم السلام يعلمون ما يجوز على الله وما يستحيل ، وتأول الزمخشرى طلب موسى الرؤية بوجهين : أحدهما أنه إنما سأل ذلك تبكيتا لمن خرج معه من بنى إسرائيل الذين طلبوا الرؤية فقالوا أرنا الله جهرة ؛ فقال موسى ذلك ليسمعوا الجواب بالمنع فيتأولوا ، والآخر أن معنى أرنى أنظر إليك : عرفنى نفسك تعريفا واضحا جليا وكلا الوجهين بعيد ، والثانى أبعد وأضعف . فإنه لو لم يكن المراد الرؤية لم يقل له انظر إلى الجبل الآية (قال لن ترانى) قال مجاهد وغيره إن الله قال لموسى لن ترانى ، لأنك لا تطيق ذلك ولكن سأتجلى للجبل الذى هو أقوى منك وأشد ، فإن استقر وأطاق الصبر لهيبتى أمكن أن ترانى أنت ، وإن لم يطق الجبل فأحرى ألا تطيق أنت ، فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثالا لموسى ، وقال قوم المعنى سأتجلى لك على الجبل وهذا ضعيف يبطله قوله فلما تجلى ربه للجبل فإذا تقرر هذا ، فقوله تعالى لن ترانى نفى الرؤية ، وليس فيه دليل على أنها محال ، فإنه إنما جعل علة النفى عدم إطاقة موسى الرؤية لا لاستحالتها ، ولو كانت الرؤية مستحيلة ، لكان فى الجواب زجر وإغلاظ كما قال الله لنوح فلا تسئلن ماليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين ، فهذا المنع من رؤية الله إنما هو فى الدنيا لضعف البنية البشرية عن ذلك ، وأما فى الآخرة ، فقد صرح بوقوع الرؤية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلا ينكرها إلا مبتدع ، وبين أهل السنة والمعتزلة فى مسئلة الرؤية تنازع طويل ، وفى هذه القصة قصص كثيرة تركنها لعدم صحتها ، ولما فيه من الأقوال الفاسدة (جعله دكا) أى مدكوكا فهو مصدر بمعنى مفعول كقولك ضربت الأمير ، والدك والدق : أخوان ، وهو التفتت ، وقرئ دكاء بالمد والهمز أى أرضا دكا وقيل ذهب أعلى الجبل وبقى أكثره ، وقيل تفتت حتى صار غبارا ، وقيل ساخ فى الأرض وأفضى إلى البحر (وخر موسى صعقا) أى مغشيا عليه (تبت إليك) معناه تبت من سؤال الرؤية فى الدنيا وأنا لا أطيقها (وأنا أول المؤمنين) أى أول قومه أو أهل زمانه ، أو على وجه المبالغة فى السبق إلى الإيمان (اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) هو عموم يراد به الخصوص ، فإن جميع الرسل قد شاركوه فى الرسالة ، واختلف هل كلم الله غيره من الرسل أم لا ، والصحيح أنه كلم نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليلة الإسراء (فخذ ما آتيتك) تأديبا أى اقنع بما أعطيتك من رسالتى وكلامى ولا تطلب غير ذلك (وكتبنا له فى الألواح) أى ألواح التوراة وكانت سبعة ، وقيل عشرة

مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ۞ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۞ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ * وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ

وقيل اثنان وقيل كانت من زمردة وقيل من ياقوت ، وقيل من خشب (من كل شيء) عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجون إليه في دينهم ، وكذلك تفصيلا لكل شيء ، وموضع كل شيء نصب على أنه مفعول كتبنا ، وموعظة بدل منه (فخذها بقوة) أي بجد وعزم ، والضمير للتوراة (يأخذوا بأحسنها) أي فيها ما هو حسن وأحسن منه كالقصاص مع العفو ، وكذلك سائر المباحات مع المندوبات (سأريكم دار الفاسقين) أي دار فرعون وقومه وهو مصر ، ومعنى أريكم كيف أقفرت منهم لما هلكوا ، وقيل منازل عاد وثمود ومن هلك من الأمم المتقدمة ليعتبروا بها ، وقيل جهنم ، وقرأ ابن عباس سأورثكم بالثاء المثلثة من الوراثة . وهي على هذا مصدر لقوله وأورثناها بني إسرائيل (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض) الآيات : يحتمل هنا أن يراد بها القرآن وغيره من الكتب أو العلامات والبراهين . والصرف يراد به حدهم عن فهمها وعن الإيمان بها عقوبة لهم على تكبرهم ، وقيل الصرف منعهم من إبطالها (ولقاء الآخرة) يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به أي ولقاؤهم الآخرة . أو من إضافة المصدر إلى الظرف (واتخذ قوم موسى) هم بنو إسرائيل (من بعده) أي من بعد غيبته في الطور (من حليهم) بضم الحاء والتشديد جمع حلي نحو ثدي وثدي ، وقرئ بكسر الحاء الإتباع وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام ، والحلي هو اسم ما يتزين به من الذهب والفضة (جسدا) أي جسما دون روح ، وانتصابه على البدل (له خوار) الخوار هو صوت البقر ، وكان السامري قد قبض قبضة من تراب أثر فرس جبريل يوم قطع البحر ، فقذفه في العجل فصار له خوار ، وقيل كان إبليس يدخل في جوف العجل فيصيح فيه فيسمع له خوار (ألم يروا أنه لا يكلمهم) رد عليهم ، وإبطال لمذهبهم الفاسد في عبادته (اتخذوه) أي اتخذوه إلها ، فحذف المفعول الثاني للعلم به . وكذلك حذف من قوله واتخذ قوم موسى (سقط في أيديهم) أي ندموا يقال سقط في يد فلان إذا عجز عما يريد أو وقع فيما يكره (أسفا) شديد الحزن على ما فعلوه ، وقيل شديد الغضب كقوله فلما آسفونا (بئسما خلفتموني) أي قمتم مقامي ، وفاعل بئس مضمر يفسره ما واسم المذموم محذوف ، والمخاطب بذلك إما القوم الذين عبدوا العجل مع السامري حيث عبدوا غير الله في غيبة موسى عنهم ، أو رؤساء بني إسرائيل كهارون عليه السلام حيث لم يكفوا الذين

Marfat.com

وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ۝ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّٰحِمِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ۝ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ۝ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ

عبدوا العجل (أعجلتم أمر ربكم) معناه أعجلتم عن أمر ربكم ، وهو انتظار موسى حتى يرجع من الطور ، فإنهم لما رأوا أن الأمر قد تم ظنوا أن موسى عليه السلام قد مات فعبدوا العجل (وألقى الألواح) طرحها لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله من عبادة العجل (وأخذ برأس أخيه) أى شعر رأسه (يجره إليه) لأنه ظن أنه فرط فى كف الذين عبدوا العجل (ابن أم) كان هارون شقيق موسى ، وإنما دعاه بأمه ، لأنه أدعى إلى العطف والحنو ، وقرئ ابن أم بالكسر على الإضافة إلى ياء المتكلم ، وحذفت الياء بالفتح تشبيها بخمسة عشر جعل الاسمان اسما واحدا فبنى (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) أى لا تظن أنى منهم أو لا تجد على فى نفسك ما تجد عليهم يعنى أصحاب العجل (غضب من ربهم وذلة) أى غضب فى الآخرة وذلة فى الدنيا (ولما سكت عن موسى الغضب) أى سكن ، وكذلك قرأ بعضهم ، وقال الزمخشرى قوله سكت مثل كأن الغضب كان يقول له ألق الألواح وجر برأس أخيك ، ثم سكت عن ذلك (وفى نسختها) أى فيما ينسخ منها ، والنسخة فعلة بمعنى مفعول (لربهم يرهبون) أى يخافون ، ودخلت اللام لتقدم المفعول كقوله للرؤيا تعبرون ، وقال المبرد تتعلق بمصدر تقديره رهبتهم لربهم (واختار موسى قومه) أى من قومه (سبعين رجلا) حملهم معه إلى الطور يسمعون كلام الله لموسى فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الرجفة عقابا لهم على قولهم ، وقيل إنما أخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل أو لسكوتهم على عبادته ، والأول أرجح لقوله فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ويحتمل أن تكون رجفة موت أو إغماء ، والأول أظهر لقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم (لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى) يحتمل أن تكون لو هنا للتمنى أى تمنوا أن يكون هو وهم قد ماتوا قبل ذلك ، لأنه خاف من تشغيب بنى إسرائيل عليه إن رجع إليهم دون هؤلاء السبعين ، ويحتمل أن يكون قال ذلك على وجه التضرع والاستسلام لأمر الله كأنه قال : لو شئت أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت فإنا عبيدك وتحت قهرك ، وأنت تفعل ما تشاء ، ويحتمل أن يكون قالها على وجه التضرع والرغبة كأنه قال لو شئت أن تهلكنا قبل اليوم لفعلت ، ولكنك عافيتنا وأبقيتنا فافعل معنا الآن ما وعدتنا وأحى هؤلاء القوم الذين أخذتهم الرجفة (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أى أتهلكنا وتهلك سائر بنى إسرائيل بما فعل السفهاء الذين

الْغَـٰفِرِينَ * وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ

طلبوا الرؤية والذين عبدوا العجل ، فمعنى هـذا إدلاء بحجته ، وتبرؤ من فعل السفهاء ، ورغبـة إلى الله أن لايعم الجميع بالعقوبة (إن هى إلا فتنتك) أى الأمور كلها بيدك (تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) ومعنى هـذا : اعتذار عن فعل السفهاء ، فإنه كان بقضاء الله ومشيئته (إنا هدنا إليك) أى تبنا ، وهـذا الكلام الذى قاله موسى عليه السلام إنمـا هو استعطاف ورغبة إلى الله وتضرع إليه ، ولا يقتضى شيئا ممـا توهم الجهال فيـه من الجفاء فى قوله : أتهلكنا بمـا فعل السفهاء منا لأنا قد بينا أنه إنمـا قال ذلك استعطافا لله وبراءة من فعل السفهاء (قال عذابى أصيب به من أشاء) قيل الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة ، والصحيح أنه عموم يندرجون فيه مع غيرهم ، وقرئ من أساء . بالسين وفتح الهمزة من الإساءة ، وأنكرها بعض المقرئين وقال إنها تصحيف (ورحمتى وسعت كل شىء) يحتمل أن يريد رحمته فى الدنيا فيكون خصوصا فى الرحمة وعموما فى كل شىء لأن المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصى : تنالهم رحمة الله ونعمته فى الدنيا ، ويحتمل أن يريد رحمة الآخرة فيكون خصوصا فى كل شىء ، لأن الرحمة فى الآخرة مختصة بالمؤمنين ، ويحتمل أن يريد جنس الرحمة على الإطلاق ، فيكون عموما فى الرحمـة ، وفى كل شىء (فسأكتبها للذين يتقون) إن كانت الرحمة المذكورة رحمة الآخرة فهى بلا شك مختصة بهؤلاء الذين كتبها الله لهم وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن كانت رحمة الدنيا ، فهى أيضا مختصة بهم لأن الله نصرهم على جميع الأمم ، وأعلا دينهم على جميع الأديان ، ومكن لهم فى الأرض ما لم يمـكن لغيرهم وإن كانت على الإطلاق : فقوله سأكتبها تخصيص الإطلاق (والذين هم بآياتنا يؤمنون) أى يؤمنون بجميع الكتب والأنبياء ، وليس ذلك لغير هذه الأمة (الذين يتبعون الرسول) هذا الوصف خصص أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال بعضهم : لمـا قال الله ورحمتى وسعت كل شىء طمع فيها كل أحد حتى إبليس ، فلما قال فسأكتبها للذين يتقون فيئس إبليس لعنه الله ، وبقيت اليهود والنصارى (النبى الأمى) أى الذى لايقرأ ولا يكتب وذلك من أعظم دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم كأنه أتى بالعلوم الجمة من غير قراءة ولا كتابة ، ولذلك قال تعالى : وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ، قال بعضهم : الأمى منسوب إلى الأم وقيل إلى الأمة (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل) ضمير الفاعل فى يجدونه لبنى إسرائيل ، وكذلك الضمير فى عندهم ، ومعنى يجدونه يجدون نعتـه وصفته ولنذكر هنا ماورد فى التوراة والإنجيل وأخبار المتقدمين من ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

فمن ذلك ماورد فى البخارى وغيره أن فى التوراة من صفة النبى صلى الله عليه وآله وسلم : يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزاً للأميين أنت عبدى ورسولى أسميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق لاتجزى بالسيئة السيئة ، ولـكن تعفو وتصفح ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فيفتح به عيونا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا

ومن ذلك مافى التوراة مما أجمع عليه أهل الكتاب وهو باق بأيديهم إلى الآن إن الملك نزل على إبراهيم فقال له : فى هذا العام يولد لك غلام اسمه إسحاق ، فقال إبراهيم يارب ليت إسماعيل يعيش يخدمك فقال الله لإبراهيم ذلك لك قد استجيب لك فى إسماعيل وأنا أباركه وأنميه وأكبره وأعظمه بماذ ماذ ، وتفسير هذه الحروف محمد

ومن ذلك فى التوراة إن الرب تعالى جاء فى طورسيناء ، وطلع من ساعد وظهر من جبال فاران ، ويعنى بطورسيناء موضع مناجاة موسى عليه السلام ، وساعد موضع عيسى وفاران هى مكة موضع مولد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ومبعثه . ومعنى ماذكر من مجئ الله وطلوعه وظهوره هو ظهور دينه على يد الأنبياء الثلاثة المنسوبين لتلك المواضع . وتفسير ذلك ما فى كتاب شعيا خطابا لمكة : قومى فأزهرى مصباحك فقد دنا وقتك وكرامة الله طالعة عليك ، فقد تخلل الأرض الظلام ، وعلا على الأمم المصاب ، والرب يشرق عليك إشراقا ، ويظهر كرامته عليك ، تسير الأمم إلى نورك ، والملوك إلى ضوء طلوعك ، ارفعى بصرك إلى ماحولك ، وتأملى فإنهم مستجمعون عندك ، وتحج اليك عساكر الأمم وفى بعض كتبهم لقد تقطعت السماء من بهاء محمد المحمود ، وامتلأت الأرض من حمده . لأنه ظهر بخلاص أمته

ومن ذلك فى التوراة أن هاجر أم إسماعيل لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك فقال لها ياهاجر أين تريدين ومن أين أقبلت فقالت أهرب من سيدتى سارة ، فقال لها ارجعى إلى سارة وستحبلين وتلدين ولدا اسمه إسماعيل وهو يكون عين الناس ، وتكون يده فوق الجميع ، وتكون يد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع ، ووجه دلالة هذا الكلام على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أن هذا الذى وعدها به الملك من أن يد ولدها فوق الجميع وأن يد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع إنما ظهرت ببعث النبى محمد صلى الله عليه وسلم وظهور دينه وعلو كلمته ، ولم يكن ذلك لاسماعيل ولا لغيره قبل محمد صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك أيضا فى التوراة أن الرب يقيم لهم نبيا من إخوتهم ، وأى رجل لم يسمع ذلك الكلام الذى يؤديه ذلك النبى عن الله فينتقم الله منه ، ودلالة هذا الكلام ظاهرة بأن أولاد إسماعيل هم إخوة أولاد إسحاق ، وقد انتقم الله من اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم كبنى قريظة وبنى قينقاع وغيرهم

ومن ذلك فى التوراة : إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام وقد أجبت دعاءك فى إسماعيل ، وباركت عليه وسيلد اثنى عشر عظيما ، وأجعله لأمة عظيمة

ومن ذلك فى الإنجيل أن المسيح قال للحواريين إنى ذاهب عنكم وسيأتيكم الفارقليط الذى لا يتكلم من قبل نفسه إنما يقول كما يقال له وبهذا وصف الله سبحانه نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى قوله «وماينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى» وتفسير الفارقليط أنه مشتق من الحمد واسم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم محمد وأحمد وقيل معنى الفارقليط الشافع المشفع

ومن ذلك فى التوراة : مولده بمكة أومسكنه بطيبة وأمته الحمادون . وبيان ذلك أن أمته يقرؤن الحمد لله فى صلاتهم مرارا كثيرة فى كل يوم وليلة ، وعن شهر بن حوشب مثل ذلك فى إسلام كعب الأحبار ، وهو من اليمن من حمير أن كعبا أخبره بأمره وكيف كان ذلك . وقيل كان أبوه من مؤمنى أهل التوراة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان من عظمائهم وخيارهم ، قال كعب وكان من أعلم الناس بما

Marfat.com

أنزل الله على موسى من التوراة ، وبكتب الأنبياء ، ولم يكن يدخر عنى شيئا مما كان يعلم ، فلما حضرته الوفاة دعانى ، فقال يابنى : قد علمت أنى لم أكن أدخر عنك شيئا مما كنت أعلم ، إلا أنى حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبى يبعث ، وقد أظل زمانه ، فكرهت أن أخبرك بذلك فلا آمن عليك بعد وفاتى أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتتبعه ؛ وقدقطعتهما من كتابك وجعلتهما فى هذه الكوة التى ترى وطينت عليهما . فلا تتعرض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا وأقرهما فى موضعهما حتى يخرج ذلك النبى ، وإذا خرج فاتبعه وانظر فيهما ، فإن الله يزيدك بهذا خيرا . فلما مات والدى لم يكن شىء أحب إلى من أن ينقضى المأتم حتى أنظر مافى الورقتين فلما انقضى المأتم فتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، لا نبى بعده، مولده بمكة ومهاجره بطيبة ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يجزى بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ويصفح أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال وتتذلل بالتكبير ألسنتهم ، وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه ، يغسلون فروجهم بالماء ويأتزرون على أوساطهم وأناجيلهم فى صدورهم ويأكلون قربانهم فى بطونهم ويؤجرون عليها وتراحمهم بينهم تراحم نبى الأم والأب ، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم ، وهم السابقون المقربون والشافعون المشفع لهم ، فلما قرأت هذا قلت فى نفسى : والله ماعلمنى شيئا خيرا لى من هذا فمكثت ماشاء الله حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم وبينى وبينه بلاد بعيدة منقطعة لاأقدر على إتيانه ، وبلغنى أنه خرج فى مكة فهو يظهر مرة ويستخفى مرة ، فقلت هو هذا وتخوفت ما كان والدى حذرنى وخوفنى من ذكر الكذابين ، وجعلت أحب أن أتبين وأتثبت فلم أزل بذلك حتى بلغنى أنه أتى المدينة فقلت فى نفسى إنى لأرجو أن يكون إياه وجعلت ألتمس السبيل اليه فلم يقدر لى حتى بلغنى أنه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت فى نفسى لعله لم يكن الذى كنت أظن ، ثم بلغنى أن خليفة قام مقامه ، ثم لم ألبث إلا قليلا حتى جاءتنا جنوده فقلت فى نفسى لا أدخل فى هذا الدين حتى أعلم أهم الذين كنت أرجو وأنتظر وأنظر كيف سيرتهم وأعمالهم ، وإلى ماتكون عاقبتهم فلم أزل أدفع ذلك وأؤخره لأتبين وأتثبت حتى قدم علينا عمر بن الخطاب ، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرهم ووفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر فحدثت نفسى بالدخول فى دين الإسلام ، فوالله إنى ذات ليلة فوق سطح إذا برجل من المسلمين يتلو كتاب الله حتى أتى على هذه الآية يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ، فلما سمعت هذه الآية خشيت الله ألا أصبح حتى يحول وجهى فى قفاى ، فما كان شىء أحب إلىّ من الصباح ، فغدوت على عمر فأسلمت حين أصبحت ، وقال كعب لعمر عند انصرافهم إلى الشام يا أمير المؤمنين إنه مكتوب فى كتاب الله إن هذه البلاد التى كان فيها بنو إسرائيل ، وكانوا أهلها مفتوحة على يد رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين سره مثل علانيته وعلانيته مثل سره ، وقوله لايخالف فعله ، والقريب والبعيد عنده فى الحق سواء وأتباعه رهبان بالليل وأسد بالنهار ، متراحمون متواصلون متباذلون ، فقال له عمر : ثكلتك أمك ، أحق ماتقول ؟ قال إى والذى أنزل التوراة على موسى والذى يسمع ما تقول إنه لحق ، فقال عمر الحمد لله الذى أعزنا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم برحمته التى وسعت كل شىء ، ومن ذلك كتاب فروة بن عمر الجذامى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ملوك العرب

Marfat.com

بالشام ، فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد رسول الله من فروة بن عمر إنى مقر بالإسلام مصدق، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله وأنه الذى بشر به عيسى ابن مريم عليه السلام، فأخذه هرقل لما بلغه إسلامه وسجنه فقال والله لا أفارق دين محمد أبداً فإنك تعرف أنه النبي الذى بشر به عيسى ابن مريم ، ولكنك حرصت على ملكك وأحببت بقاءه فقال قيصر صدق والإنجيل ، يشهد لهذا ما خرجه البخارى ومسلم من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل وسؤال هرقل عن أحواله وأخلاقه صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبر بها علم أنه رسول الله ، وقال إنه يملك موضع قدمى ولو خلصت إليه لغسلت قدميه ، ومن حديث زيد بن أسلم عن أبيه وهو عندنا بالإسناد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج زمان الجاهلية مع ناس من قريش فى التجارة إلى الشام ، قال فإنى لفى سوق من أسواقها إذا أنا ببطريق قد قبض على عنقى فذهبت أنازعه فقيل لى لا تفعل فإنه لا نصيف لك منه فأدخلنى كنيسة فإذا تراب عظيم ملقى فجاءنى بزنبيل ومجرفة فقال لى أنقل ما ههنا فجعلت أنظر كيف أصنع ، فلما كان من الهاجرة وافانى وعليه ثوب أرى سائر جسده منه ، فقال أثنك على ما أرى ما نقلت شيئا ، ثم جمع يديه فضرب بهما دماغى فقلت واثكل أمك يا عمر أبلغت ما أرى ثم وثبت إلى المجرفة فضربت بها هامته فنثرت دماغه ثم واريته فى التراب وخرجت على وجهى لا أدرى أين أسير فسرت بقية يومى وليلتى من الغد إلى الهاجرة فانتهيت إلى دير فاستظللت بفنائه فخرج إلىّ رجل منه فقال لى يا عبدالله ما يقعدك هنا ، فقلت أضللت أصحابى ، فقال لى ما أنت على طريق وإنك لتنظر بعينى خائف ، فادخل فأصب من الطعام واسترح فدخلت فأتانى بطعام وشراب وأطعمنى ، ثم صعد فىّ النظر وصوّبه ، فقال قد علم والله أهل الكتاب أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب منى ، وإنى لأرى صفتك الصفة التى تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه ، فقلت يا هذا لقد ذهبت بى فى غير مذهب ، فقال لى ما اسمك فقلت عمر ابن الخطاب ، فقال أنت والله صاحبنا فاكتب لى على ديرى هذا وما فيه ، فقلت يا هذا إنك قد صنعت إلىّ صنيعة فلا تكدرها ، فقال إنما هو كتاب فى رق ، فان كنت صاحبنا فذلك ، وإلا لم يضرك شىء فكتبت له على ديره وما فيه ، فأتانى بثياب ودراهم فدفعها إلىّ ثم أوكف أتاناً فقال لى أتراها فقلت نعم ، قال سر عليها فانك لا تمر بقوم إلا سقوها وعلفوها وأضافوك فاذا بلغت مأمنك فاضرب وجهها مدبرة فانهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إلىّ قال فركبتها فكان كما قال حتى لحقت بأصحابى وهم متوجهون إلى الحجاز ، فضربتها مدبرة وانطلقت معهم ، فلما وافى عمر الشام فى زمان خلافته جاءه ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب دير العرس فلما رآه عرفه ، فقال قد جاء مالا مذهب لعمر عنه ، ثم أقبل على أصحابه فحدثهم بحديثه فلما فرغ منه أقبل على الراهب فقال هل عندكم من نفع المسلمين ، قال نعم يا أمير المؤمنين ، قال إن أضفتم المسلمين ومرضتموهم وأرشدتموهم فعلنا ذلك قال نعم يا أمير المؤمنين فوفى له عمر رضى الله عنه ورحمه . وعن سيف يرفعه إلى سالم بن عبدالله قال : لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال السلام عليك يا فاروق ، أنت صاحب إيلياء ؛ والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء

ومن ذلك أن عمرو بن العاصى قدم المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أرسله إلى عمان واليا عليها فجاءه يوما يهودى من يهود عمان فقال له أنشدك بالله ، من أرسلك إلينا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال اليهودى والله إنك لتعلم أنه

Marfat.com

عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ * وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب

رسول الله ، قال عمرو اللهم نعم ، فقال اليهودي لئن كان حقا ما تقول لقد مات اليوم فلما سمع عمرو ذلك جمع أصحابه وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهودي أن النبيّ صلى الله عليه وسلم مات فيه . ثم خرج فأخبر بموت النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى الطريق ووجده قد مات فى ذلك اليوم صلى الله تعالى عليه وسلم وبارك وشرف وكرم (ومن ذلك أن وفد غسان قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيهم أبو بكر الصديق فقال لهم من أنتم ؟ قالوا رهط من غسان قدمنا على محمد لنسمع كلامه ، فقال لهم انزلوا حيث تنزل الوفود ، ثم ائتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه ، فقالوا وهل نقدر على كلامه كما أردنا فتبسم أبو بكر ، وقال إنه ليطوف بالأسواق ويمشي وحده ولا شرطة معه ويرغب من يراه منه فقالوا لأبى بكر من أنت أيها الرجل ، فقال أنا أبو بكر بن أبي قحافة ، فقالوا أنت تقوم بهذا الأمر بعده فقال أبو بكر الأمر إلى الله ، فقال لهم كيف تخدعون عن الاسلام وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته ، وأنه آخر الأنبياء ثم لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) يحتمل أن يكون هذا من وصف النبي صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، فتكون الجملة فى موضع الحال من ضمير المفعول فى يجدونه ، أو تفسير لما كتب من ذكره أو يكون استئناف وصف من الله تعالى غير مذكور فى التوراة والإنجيل (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) مذهب مالك أن الطيبات هى الحلال ، وأن الخبائث هى الحرام ، ومذهب الشافعي أن الطيبات هى المستلذات إلا ما حرمه الشرع منها كالخمر والخنزير ، وأن الخبائث هى المستقذرات : كالخنافس والعقارب وغيرها (ويضع عنهم إصرهم) وهو مثل لما كلفوا فى شرعهم من المشقات كقتل الأنفس فى التوبة ؛ وقطع موضع النجاسة من الثوب ، وكذلك الأغلال عبارة عما منعت منه شريعتهم كتحريم الشحوم وتحريم العمل يوم السبت وشبه ذلك (وعزروه) أى منعوه بالنصر حتى لا يقوى عليه عدو (واتبعوا النور الذى أنزل معه) هو القرآن أو الشرع كله ، ومعنى معه مع بعثه ورسالته (إنى رسول الله إليكم جميعا) تفسيره قوله صلى الله عليه وسلم وكان كل نبيّ يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة فإعراب جميعا حال من الضمير فى إليكم (الذى له ملك السموات والأرض) نعت لله أو منصوب على المدح بإضمار فعل أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر (يؤمن بالله وكلماته) هى الكتب التى أنزلها الله عليه وعلى غيره من الأنبياء (ومن قوم موسى أمة) هم الذين ثبتوا حين تزلزل غيرهم فى عصر موسى أو الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فى عصره (وقطعناهم) أى فرقناهم (أسباطا) السبط فى بنى إسرائيل كالقبيلة فى العرب وانتصابه على البدل من اثنتى عشرة لا على التمييز فإن تمييز اثنتى عشرة

Marfat.com

بِعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ * وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ

لا يكون إلا مفردا، وقال الزمخشري على التمييز، لأن كل قبيلة أسباطا لا سبط (فانبجست) أي انفجرت إلا أن الانبجاس أخف من الانفجار وقال القزويني الانبجاس: أول الانفجار (وظللنا عليهم الغمام) ومابعده إلى قوله بما كانوا يظلمون مذكور في البقرة ﴿تنبيه﴾ وقع الاختلاف في اللفظ بين هذا الموضع من هذه السورة وبين سورة البقرة في قوله انفجرت وانبجست وقوله وإذ قلنا ادخلوا، وإذ قيل لهم اسكنوا وقوله وكلوا بالواو وفكلوا بالفاء، فقال الزمخشري: لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هنالك تناقض، وعللها شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير في كتاب ملاك التأويل وصاحب الدرة بتعليلات منها قوية وضعيفة وفيها طول فتركناها لطولها (واسئلهم) أي اسأل اليهود على جهة التقرير والتوبيخ (عن القرية) قيل هي إيلياء، وقيل هي طبرية، وقيل مدين (حاضرة البحر) قريبة منه أو على شاطئه (إذ يعدون في السبت) أي يتجاوزون حد الله فيه، وهو اصطيادهم يوم السبت، وقد نهوا عنه وموضع إذ بدل من القرية والمراد أهلها وهو بدل اشتمال أو منصوب بكانت أو بحاضرة (إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) كانت الحيتان تخرج من البحر يوم السبت حتى تصل إلى بيوتهم ابتلاء لهم إذ كان صيدها عليهم حراما في يوم السبت، وتغيب عنهم في سائر الأيام، وسبتهم مصدر من قولك سبت اليهودي يسبت إذا عظم يوم السبت، ومعنى شرعا ظاهرة قريبة منهم يقال شرع منا فلان إذا دنا وإذ في قوله إذ تأتيهم منصوب بيعدون، أو بدل من إذ يعدون (وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما) الآية: افترقت بنو إسرائيل ثلاث فرق: فرقة عصت يوم السبت بالصيد وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت القوم وفرقة سكتت واعتزلت، فلم تنه ولم تعص، وأن هذه الفرقة لما رأت مهاجرة الناهية وطغيان العاصية قالوا للفرقة الناهية: لم تعظون قوما يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم. فقالت الناهية نهاهم معذرة إلى الله ولعلهم يتقون، فهلكت الفرقة العاصية، ونجت الناهية، واختلف في الثالثة هل هلكت لسكوتها أو نجت لاعتزالها وتركها العصيان (بعذاب بئيس) أي شديد، وقرئ بالهمز وتركه، وقرئ على وزن فعيل وعلى وزن فيعل وكلها من معنى البؤس (فلما عتوا عما نهوا عنه) أي لما تكبروا عن ما نهوا عنه (قلنا لهم كونوا قردة

قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم

خاسئين) ذكر فى البقرة ، والمعنى أنهم عذبوا أولا بعذاب شديد فعتوا بذلك فمسخوا قردة ، وقيل فلما عتوا تكرار لقوله فلما نسوا ، والعذاب البئيس هو المسخ (تأذن ربك) عزم ، وهو من الإيذان بمعنى الإعلام (ليبعثن عليهم) الآية أى يسلط عليهم ، ومن ذلك أخذ الجزية ، وهوانهم فى جميع البلاد (وقطعناهم فى الأرض) أى فرقناهم فى البلاد ، ففى كل بلدة فرقة منهم ، فليس لهم إقليم يملكونه (منهم الصالحون) هم من أسلم كعبد الله بن سلام أو من كان صالحا من المتقدمين منهم (بالحسنات والسيئات) أى بالنعم والنقم (فخلف من بعدهم خلف) أى حدث بعدهم قوم سوء ، والخلف بسكون اللام ذم ، وبفتحها مدح ، والمراد من حدث من اليهود بعد المذكورين ، وقيل المراد النصارى (يأخذون عرض هذا الأدنى) أى عرض الدنيا (ويقولون سيغفر لنا) ذلك اغترار منهم وكذب (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحال يرجون المغفرة وهم يعودون إلى مثل فعلهم (ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق) إشارة إلى كذبهم فى قولهم سيغفر لنا وإعراب ألا يقولوا عطف بيان على ميثاق الكتاب أو تفسير له أو تكون أن حرف عبارة وتفسير (والذين يمسكون بالكتاب) قرئ بالتشديد والتخفيف ؛ وهما بمعنى واحد ، وإعراب الذين عطف على الذين يتقون ، أو مبتدأ وخبره إنا لا نضيع أجر المصلحين ، وأقام ذكر المصلحين مقام الضمير ، لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب (وإذ نتقنا الجبل فوقهم) أى اقتلعنا الجبل ورفعناه فوق بنى إسرائيل وقلنا لهم خذوا التوراة حين أبوا من أخذها ، وقد تقدم فى البقرة تفسير الظلة وخذوا ما آتيناكم بقوة (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) الآية : فى معناها قولان : أحدهما أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم ، فأقروا بذلك والتزموه ، روى هذا المعنى عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من طرق كثيرة وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم ، والثانى أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم فى الدنيا وأما إشهادهم فمعناه أن الله نصب لبنى آدم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكأنه أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلسان الحال بلى أنت ربنا ، والأول هو الصحيح لتواتر الأخبار به ، إلا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها ، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر ، وإنما تطابقه بتأويل وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم ، ولفظ الآية يقتضى أن أخذ الذرية من بنى آدم ، والجمع

Marfat.com

بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ

بينهما أنه ذكر بنى آدم فى الآية والمراد آدم كقوله : ولقد خلقناكم ثم صورناكم : الآية ، وعلى تأويل لقد خلقنا أباكم آدم من صورته ، وقال الزمخشرى : إن المراد ببنى آدم أسلاف اليهود ، والمراد بذريتهم من كان فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى الصحيح المشهور أن المراد جمع بنى آدم حسبما ذكرناه (قالوا بلى شهدنا) قولهم بلى إقرار منهم بأن الله ربهم ، فإن تقديره أنت ربنا ، فإن بلى بعد التقرير تقتضى الإثبات ، بخلاف نعم فإنها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضى الإيجاب وإذا وردت بعد التقرير تقتضى النفى ، ولذلك قال ابن عباس فى هذه الآية لو قالوا نعم لكفروا ، وأما قولهم شهدنا : فمعناه شهدنا بربوبيتك فهو تحقيق لربوبية الله وأداء لشهادتهم بذلك عند الله ، وقيل إن شهدنا من قول الله والملائكة أى شهدنا على بنى آدم باعترافهم (أن تقولوا يوم القيامة) فى موضع مفعول من أجله : أى فعلنا ذلك كراهية أن تقولوا ، فهو من قول الله لا من قولهم ، وقرئ بالتاء على الخطاب لبنى آدم ، وبالياء على الإخبار عنهم (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) قال ابن مسعود : هو رجل من بنى إسرائيل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين داعيا إلى الله فرشاه الملك وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل ، وأضل الناس بذلك وقال ابن عباس هو رجل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء كان عنده اسم الله الأعظم ، فلما أراد موسى قتال الكنعانيين وهم الجبارون : سألوا من بلعم أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى فألحوا عليه حتى دعا عليه ألا يدخل المدينة ودعا عليه موسى فالآيات التى أعطيها على هذا القول : هى اسم الله الأعظم وعلى قول ابن مسعود هى ما علمه موسى من الشريعة ، وقيل كان عنده من صحف إبراهيم ، وقال عبدالله بن عمرو بن العاصى : هو أمية بن أبى الصلت ، وكان قد أوتى علما وحكمة وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر ، ثم رجع عن ذلك ومات كافرا ، وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم كاد أمية بن أبى الصلت أن يسلم ، فالآية على هذا ما كان عنده من العلم والانسلاخ عبارة عن البعد والانفصال منها كالانسلاخ من الثياب والجلد (ولو شئنا لرفعناه بها) أى لرفعنا منزلته بالآيات التى كانت عنده (ولكنه أخلد إلى الأرض) عبارة عن فعله لما سقطت به منزلته عند الله (فمثله كمثل الكلب) أى صفته كصفة الكلب ، وذلك غاية فى الخسة والرداءة (إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) اللهث هو تنفس بسرعة وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان ، وأكثر ما يعترى ذلك الحيوانات مع الحر والتعب ، وهى حالة دائمة للكلب ، ومعنى إن تحمل عليه إن تفعل معه ما يشق عليه من طرد أو غيره أو تتركه دون أن تحمل عليه ، فهو يلهث على كل حال ، ووجه تشبيه ذلك الرجل به أنه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال ، فضلالته على كل حال

Marfat.com

ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۞ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ۞ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ * وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُولَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ * وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ۞ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ

كما أن لهث الكلب على كل حال وقيل إن ذلك الرجل خرج لسانه على صدره فصار مثل الكلب فى صورته ولهثه حقيقة (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى صفة المكذبين كصفة الكلب فى لهثه وكصفة الرجل المشبه به لأنهم إن أنذروا لم يهتدوا ، وإن تركوا لم يهتدوا ، وشبههم بالرجل فى أنهم رأوا الآيات والمعجزات فلم تنفعهم ، كما أن الرجل لم ينفعه ما كان عنده من الآيات (ساء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم) الآية : قدم هذا المفعول للاختصاص والحصر (كثيرا من الجن والإنس) هم الذين علم الله أنهم يدخلون النار بكفرهم ، فأخبر أنه خلقهم لذلك كما جاء فى قوله هؤلاء للجنة ولا أبالى ، وهؤلاء للنار ولا أبالى (لا يبصرون بها) ليس المعنى نفى السمع والبصر جملة ، وإنما المعنى نفيها عما ينفع فى الدين (ولله الأسماء الحسنى) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة . وسبب نزول الآية : أن أبا جهل لعنه الله سمع بعض الصحابة يقرأ فيذكر الله مرة ، والرحمن أخرى ، فقال يزعم محمد أن الإله واحد وها هو يعبد آلهة كثيرة ، فنزلت الآية مبينة أن تلك الأسماء الكثيرة هى لمسمى واحد ، والحسنى مصدر وصف به أو تانيث أحسن وحسن أسماء الله هى أنها صفة مدح وتعظيم وتحميد (فادعوه بها) أى سموه بأسمائه ، وهذا إباحة لإطلاق الأسماء على الله تعالى ، فأما ما ورد منها فى القرآن أو الحديث ، فيجوز إطلاقه على الله إجماعا وأما مالم يرد وفيه مدح لا تتعلق به شبهة ، فأجاز أبو بكر بن الطيب إطلاقه على الله ومنع ذلك أبو الحسن الأشعرى وغيره ، ورأوا أن أسماء الله موقوفة على ما ورد فى القرآن والحديث ، وقد ورد فى كتاب الترمذى عدتها أعنى تعيين التسعة والتسعين ، واختلف المحدثون هل تلك الأسماء المعدودة فيه مرفوعة إلى النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أو موقوفة على أبى هريره ، وإنما الذى ورد فى الصحيح كونها تسعة وتسعين من غير تعيين (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) قيل معنى ذروا اتركوهم لا تحاجوهم ولا تتعرضوا لهم ، فالآية على هذا منسوخة بالقتال ، وقيل معنى ذروا الوعيد والتهديد كقوله : وذرنى والمكذبين ، وهو الأظهر لما بعده وإلحادهم فى أسماء الله : هو ما قال أبو جهل فنزلت الآية بسببه ، وقيل تسميته بما لا يليق ، وقيل تسمية الأصنام باسمه كاشتقاقهم اللات من الله ، والعزى من العزيز (وممن خلقنا أمة) الآية روى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : هذه الآية لكم ، وقد تقدم مثلها لقوم موسى (سنستدرجهم) الاستدراج استفعال من الدرجة أى نسوقهم إلى الهلاك شيئا بعد شىء وهم لا يشعرون ،

إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ

والإملاء هو الإمهال مع إرادة العقوبة (إن كيدي متين) سمى فعله بهم كيدا لأنه شبيه بالكيد فى أن ظاهره إحسان وباطنه خذلان (أو لم يتفكروا مابصاحبهم من جنة) يعنى بصاحبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنفى عنه مانسب له المشركون من الجنون، ويحتمل أن يكون قوله مابصاحبهم من جنة معمولا لقوله أو لم يتفكروا فيوصل به، والمعنى: أو لم يتفكروا فيعلمون أن مابصاحبهم من جنة، ويحتمل أن يكون الكلام قد تم فى قوله: أولم يتفكروا ثم ابتدأ إخبار استئنافا لقوله مابصاحبهم من جنة، والأول أحسن (أو لم ينظروا) يعنى نظر استدلال (ماخلق الله) عطف على الملكوت ويعنى بقوله من شيء: جميع المخلوقات إذ جميعها دليل على وحدانية خالقها (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) أن الأولى مخففة من الثقيلة، وهى عطف على الملكوت، وأن الثانية مصدرية فى موضع رفع بعسى، وأجلهم يعنى موتهم، والمعنى لعلهم يموتون عن قريب، فينبغى لهم أن يسارعوا إلى النظر فيما يخلصهم عند الله قبل حلول الأجل (فبأى حديث بعده) الضمير للقرآن (يسألونك عن الساعة) السائلون اليهود أو قريش. وسميت القيامة ساعة لسرعة حسابها كقوله: وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب (أيان مرساها) معنى أيان: متى، ومرساها: وقوعها وحدوثها، وهى من الإرساء بمعنى الثبوت (قل إنما علمها عند ربى) أى استأثر الله بعلم وقوعها ولم يطلع عليه أحد (لايجليها لوقتها إلا هو) معنى يجليها يظهرها، فهو من الجلاء ضد الخفاء، واللام فى لوقتها ظرفية: أى عند وقتها، والمعنى لايظهر الساعة عند مجيء وقتها إلا الله (ثقلت فى السموات والأرض) فى معناه ثلاثة أقوال: الأول ثقلت على أهل السموات والأرض لهيبتها عندهم وخوفهم منها، والثانى ثقلت على أهل السموات والأرض أنفسها لتفطر السماء فيها وتبديل الأرض، والثالث معنى ثقلت: أى ثقل علمها أى خفى (يسألونك كأنك حفى عنها) الحفى بالشيء هو المهتبل به المعتنى به، والمعنى: يسألونك عنها كأنك حفى بعلمها وقيل المعنى يسألونك عنها كأنك حفى بهم لقرابتك منهم، فعنها على هذين القولين يتعلق بيسئلونك، وقيل المعنى يسألونك كأنك حفى بالسؤال عنها (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) براءة من علم الغيب، واستدلال على عدم علمه (وما مسنى السوء) عطف على لاستكثرت من الخير أى لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير، واحترست من السوء ولكن لا أعلمه فيصبنى ماقدر لى من الخير والشر، وقيل إن قوله وما مسنى السوء: استئناف إخبار، والسوء على هذا هو الجنون واتصاله بما قبله أحسن (لقوم يؤمنون) يجوز أن يتعلق ببشير ونذير معا أى أبشر المؤمنين

إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۞ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا

وأنذرهم ، وخص بهم البشارة والنذارة ، لأنهم هم الذين ينتفعون بها ، ويجوز أن يتعلق بالبشارة وحدها ، ويكون المتعلق بنذير محذوف أي نذير للكافرين ، والأول أحسن (من نفس واحدة) يعني آدم (زوجها) يعني حواء (ليسكن إليها) يميل إليها ويستأنس بها (تغشاها) كناية عن الجماع (حملت حملا خفيفا) أي خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحوامل من حملهن من الأذى والكرب ، وقيل الحمل الخفيف المني في فرجها (فمرت به) قيل معناه استمرت به إلى حين ميلاده ، وقيل معناه قامت وقعدت (فلما أثقلت) أي ثقل حملها وصارت به ثقيلة (لئن آتيتنا صالحا) أي ولدا صالحا سالما في بدنه (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) أي لما آتاهما ولدا صالحا كما طلبا : جعل أولادهما له شركاء فالكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وكذلك فيما آتاهما : أي فيما آتى أولادهما وذريتهما ، وقيل إن حواء لما حملت جاءها إبليس وقال لها : إن أطعتيني وسميت ما في بطنك عبد الحارث ، فسأخلصه لك ، وكان اسم إبليس الحارث ، وإن عصيتيني في ذلك قتلته ، فأخبرت بذلك آدم ، فقال لها إنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة ، فلما ولدت مات الولد ثم حملت مرة أخرى فقال لها إبليس مثل ذلك ، فعصته فمات الولد ثم حملت مرة ثالثة فسمياه عبد الحارث طمعا في حياته ، فقوله جعلا له شركاء فيما آتاهما : أي في التسمية لا غير ، لا في عبادة غير الله ، والقول الأول أصح لثلاثة أوجه : أحدها أنه يقتضي براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره ، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والثاني أنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته لقوله تعالى : فتعالى الله عما يشركون بضمير الجمع ، والثالث أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح . وهو غير موجود في تلك القصة ، وقيل من نفس واحدة هو قصي بن كلاب وزوجته وجعلا له شركاء أي سموا أولادهما عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف ، وهذا القول بعيد لوجهين أحدهما أن الخطاب على هذا خاص بذرية قصي من قريش والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم ، والآخر أن قوله وجعل منها زوجها ، فإن هذا يصح في حواء لأنها خلقت من ضلع آدم ، ولا يصح في زوجة قصي (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون) هذه الآية رد على المشركين من بني آدم ، والمراد بقوله ما لا يخلق شيئا الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله ، والمعنى أنها مخلوقة غير خالقة ، والله تعالى خالق غير مخلوق فهو الإله وحده (ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون) يعني أن الأصنام لا ينصرون من عبدهم ، ولا ينصرون أنفسهم فهم في غاية العجز والذلة ، فكيف يكونون آلهة (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم) يعني أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى أن تهدي أو إلى أن تهدى ، لأنها جمادات (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) تأكيد وبيان لما قبلها ، فإن قيل : لم قال أم أنتم صامتون فوضع الجملة الإسمية موضع الجملة الفعلية وهلا قال أو صمتم ؟ فالجواب إن صمتم عن دعاء الأصنام كانت حالة مستمرة ، فعبر هنا

Marfat.com

لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ * إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۞ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ *

بجملة إسمية لتقتضى الاستمرار على ذلك (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) رد على المشركين بأن آلهتهم عباد؛ فكيف يعبد العبد معربه (فادعوهم فليستجيبوا) أمر على جهة التعجيز (ألهم أرجل يمشون بها) ومابعده: معناه أن الأصنام جمادات عادمة للحس والجوارح والحياة والقدرة، ومن كان كذلك: لايكون إلها، فإن من وصف الإله الإدراك والحياة والقدرة؛ وإنما جاء هذا البرهان بلفظ الاستفهام، لأن المشركين مقرون أن أصنامهم لاتمشى ولاتبطش، ولاتبصر، ولاتسمع، فلزمته الحجة، والهمزة فى قوله «ألهم» للاستفهام مع التوبيخ، وأم فى المواضع الثلاثة تضمنت معنى الهمزة، ومعنى بل وليست عاطفة (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) المعنى استنجدوا أصنامكم لمضرتى والكيد علىّ، ولا تؤخرونى، فإنكم وأصنامكم لاتقدرون على مضرتى، ومقصد الآية الرد عليهم ببيان عجز أصنامهم وعدم قدرتها على المضرة، وفيها إشارة إلى التوكل على الله والاعتصام به وحده وأن غيره لايقدر على شىء ثم أفصح بذلك فى قوله (إن ولي الله) الآية: أى هو حافظى وناصرى منكم فلا تضرونى ولو حرصتم أنتم وآلهتكم على مضرتى، ثم وصف الله بأنه الذى أنزل الكتاب، وبأنه يتولى الصالحين، وفى هذين الوصفين استدلال على صدق النبى صلى الله عليه وسلم بإنزال الكتاب عليه، وبأن الله تولى حفظه، ومن تولى حفظه فهو من الصالحين والصالح لابد أن يكون صادقا فى قوله ولا سيما فيما يقوله عن الله (والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم) الآية: ردّ على المشركين، وقد تقدم معناه (وإن تدعوهم إلى الهدى لايسمعوا) يحتمل أن يريد الأصنام فيكون تحقيراً لهم، ورداً على من عبدها، فإنها جمادات لاتسمع شيئا، فيكون المعنى كالذى تقدم، أو يريد الكفار، ووصفهم بأنهم لايسمعون يعنى سماعا ينتفعون به، لإفراط نفورهم، أو لأن الله طبع على قلوبهم (وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون) إن كان هذا من وصف الأصنام، فقوله ينظرون مجاز، وقوله لايبصرون حقيقة، لأن لهم صورة الأعين وهم لايرون بها شيئا، وإن كان من وصف الكفار فينظرون حقيقة ولا يبصرون مجازا على وجه المبالغة كما وصفهم بأنهم لايسمعون (خذ العفو) فيه قولان أحدهما أن المعنى خذ من الناس فى أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ماتيسر لا مايشق عليهم، لئلا ينفروا فالعفو على هذا بمعنى السهل والصفح عنهم، وهو ضد الجهل والتكليف كقول الشاعر ۞ خذى العفو منى تستديمى مودتى ۞

والآخر أن المعنى خذ من الصدقات ماسهل على الناس فى أموالهم أو ما فضل لهم، وذلك قبل فرض الزكاة، فالعفو على هذا بمعنى السهل أو بمعنى الكثرة (وأمر بالعرف) أى بالمعروف وهو فعل الخير وقيل العفو الجارى بين الناس من العوائد، واحتج المالكية بذلك على الحكم بالعوائد (وأعرض عن الجاهلين) أى لاتكافئ السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم واحلم عنهم، ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله صلى الله تعالى

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ

عليه وآله وسلم جبريل عنها ، فقال لا أدرى حتى أسأل : ثم رجع فقال يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وعن جعفر الصادق : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فيها بمكارم الأخلاق ، وهى على هذا ثابتة الحكم وهو الصحيح ، وقيل كانت مداراة للكفار ، ثم نسخت بالقتال (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) نزغ الشيطان وسوسته بالتشكيك فى الحق والأمر بالمعاصى أو تحريك الغضب ، فأمر الله بالاستعاذة منه عند ذلك كما ورد فى الحديث أن رجلا اشتد غضبه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما به : نعوذ بالله من الشيطان الرجيم (طائف من الشيطان) معناه لمة منه ، كما جاء إن للشيطان لمة وللملك لمة ، ومن قرأ طائف بالألف ، فهو اسم فاعل ومن قرأ طيف بياء ساكنة ، فهو مصدر أو تخفيف من طيف المشدد ، كميت وميت (تذكروا) حذف مفعوله ليعم كل ما يذكر من خوف عقاب الله ، أو رجاء ثوابه أو مراقبته والحياء منه . أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه والنظر والاعتبار وغير ذلك (فإذا هم مبصرون) هو من بصيرة القلب (وإخوانهم يمدونهم فى الغى) الضمير فى إخوانهم للشياطين ، وأريد بقوله طائف من الشيطان : الجنس ، ولذلك أعيد عليه ضمير الجماعة وإخوانهم هم الكفار ، ومعنى يمدونهم : يكونون مددا لهم : يعضدونهم ، وضمير المفعول فى يمدونهم للكفار ، وضمير الفاعل للشيطان ، ويحتمل أن يريد بالإخوان : الشياطين ، ويكون الضمير فى إخوانهم للكفار ، والمعنى على الوجهين : أن الكفار يمدهم الشيطان وقرئ يمدونهم بضم الياء وفتحها ، والمعنى واحد ، وفى الغى يتعلق بيمدونهم ، وقيل يتعلق بإخوانهم كما تقول إخوة فى الله ، أو فى الشيطان (ثم لا يقصرون) أى لا يقصر الشياطين عن إمداد إخوانهم الكفار أو لا يقصر الكفار عن غيهم . وفى الآية من إدراك البيان لزوم ما لا يلزم بالالتزام الصاد قبل الراء فى مبصرون ولا يقصرون (وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها) الضمير فى لم تأتهم للكفار ، ولولا هنا عوض ، وفى معنى اجتبيتها قولان : أحدهما اخترعتها من قبل نفسك ، فالآية على هذا من القرآن ، وكان النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يتأخر عنه الوحى أحيانا ، فيقول الكفار هلا جئت بقرآن من قولك ، والآخر معناه طلبتها من الله ، وتخيرتها عليه ، فالآية على هذا معجزة ، أى يقولون اطلب المعجزة من الله (قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربى معناه لا أخترع القرآن على القول الأول ولا أطلب آية من الله على القول الثانى (هذا بصائر) أى علامات هدى والاشارة إلى القرآن (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) فيه ثلاثة أقوال ؛ أحدها أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام فى الصلاة ، والثانى أنه الإنصات للخطبة ، والثالث أنه الإنصات لقراءة القرآن على الاطلاق وهو الراجح لوجهين : أحدهما أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه ، والثانى أن الآية مكية ، والخطبة إنما

Marfat.com

وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۝

سـورة الأنفال

مدنية إلا من آية ٣٠ إلى غاية آية ٣٦ فمكية وآياتها ٧٥ نزلت بعد البقرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ *

شرعت بالمدينة (لعلكم ترحمون) قال بعضهم الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن لهذه الآية (واذكر ربك نفسك) يحتمل أن يريد الذكر بالقلب دون اللسان أو الذكر باللسان سرا، فعلى الأول يكون قوله: ودون الجهر من القول؛ عطف متغاير أى حالة أخرى، وعلى الثانى يكون بيانا وتفسيرا للأول (بالغدو والآصال) أى فى الصباح والعشى والآصال جمع أصل والأصل جمع أصيل، قيل المراد صلاة الصبح والعصر، وقيل فرض الخمس والأظهر الإطلاق (إن الذين عند ربك) هم الملائكة عليهم السلام، وفى ذكرهم تحريض للمؤمنين وتعريض للكفار (وله يسجدون) قدم المجرور لمعنى الحصر أى لا يسجدون إلا لله والله أعلم

سـورة الأنفال

نزلت هذه السورة فى غزوة بدر وغنائمها (يسألونك عن الأنفال) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والسائلون هم الصحابة، والأنفال هى الغنائم، وذلك أنهم كانوا يوم بدر ثلاث فرق: فرقة مع النبى صلى الله عليه وسلم فى العريش تحرسه، وفرقة اتبعوا المشركين فقتلوهم وأسروهم، وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكرهم لما انهزموا، فلما انجلت الحرب واجتمع الناس رأت كل فرقة أنها أحق بالغنيمة من غيرها، واختلفوا فيما بينهم، فنزلت الآية ومعناها يسئلونك عن حكم الغنيمة ومن يستحقها، وقيل الأنفال هنا ما ينفله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادة على حظه، وقد اختلف الفقهاء هل يكون ذلك التنفيل من الخمس وهو قول مالك، أو من الأربعة الأخماس، أو من رأس النغمة، قبل إخراج الخمس (قل الأنفال لله والرسول) أى الحكم فيهما لله والرسول لا لكم (وأصلحوا ذات بينكم) أى اتفقوا وائتلفوا، ولا تنازعوا، وذات هنا بمعنى الأحوال، قاله الزمخشرى، وقال ابن عطية يراد بها فى هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته وقال الزبيرى إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب (وأطيعوا الله ورسوله) يريد فى الحكم فى الغنائم، قال عبادة بن الصامت نزلت فينا أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت أخلاقنا، فنزع الله الأنفال من أيدينا، وجعلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها على السواء، فكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين (إنما المؤمنون) الآية: أى الكاملون الإيمان فإنما هنا للتأكيد والمبالغة والحصر (وجلت قلوبهم) أى خافت وقرأ أبى بن كعب فزعت (زادتهم إيمانا) أى قوى تصديقهم ويقينهم

Marfat.com

أُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ۞ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۞ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۞ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ

خلافاً لمن قال إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وإن زيادته إنما هي بالعمل (لهم درجات) يعنى فى الجنة (كما أخرجك ربك) فيه ثلاث تأويلات أحدها أن تكون الكاف فى موضع رفع على أنه خبر مبتدإ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعنى أن حالهم فى كراهة تنفيل الغنائم كحالهم فى حالة خروجك للحرب ، والثانى أن يكون فى موضع الكاف نصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدر فى قوله الأنفال لله والرسول أى استقرت الأنفال لله والرسول استقراراً مثل استقرار خروجك ، والثالث أن تتعلق الكاف بقوله يجادلونك (من بيتك) يعنى مسكنه بالمدينة إذ أخرجه الله لغزوة بدر (وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) أى كرهوا قتال العدو ، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها أموال عظيمة ، ومعها أربعون راكباً فأخبر بذلك جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فخرج بالمسلمين فسمع بذلك أهل مكة فاجتمعوا وخرجوا فى عدد كثير ليمنعوا عيرهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله قد وعدكم إحدى الطائفتين ، إما العير وإما قريش ، فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فقالوا العير أحب إلينا من لقاء العدو ، فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر ، وهذا أبو جهل قد أقبل ، فقال له سعد بن عبادة : امض لما شئت فإنا متبعوك وقال سعد بن معاذ والذى بعثك بالحق لو خضت هذا البحر لخضناه معك فسر بنا على بركة الله (يجادلونك فى الحق بعد ما تبين) كان جدالهم فى لقاء قريش بإيثارهم لقاء العير إذ كانت أكثر أموالا وأقل رجالا ؛ وتبين الحق : هو إعلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأنهم ينصرون (كأنما يساقون إلى الموت) تشبيه لحالهم فى إفراط جزعهم من لقاء قريش (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين) يعنى قريش أو عيرهم ، والعامل فى إذ محذوف تقديره اذكروا (أنها لكم) بدل من إحدى الطائفتين (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) الشوكة عبارة عن السلاح . سميت بذلك لحدتها ، والمعنى تحبون أن تلقوا الطائفة التى لا سلاح لها وهى العير (أن يحق الحق) يعنى يظهر الإسلام بقتل الكفار وإهلاكهم يوم بدر (ليحق الحق) متعلق بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك وليس تكرارا للأول لأن الأول مفعول يريد ، وهذا تعليل لفعل الله تعالى ، ويحتمل أن يريد بالحق الأول الوعد بالنصرة ، وبالحق الثانى الإسلام فيكون المعنى أن نصرهم . ليظهر الإسلام ، ويؤيد هذا قوله : ويبطل الباطل أى يبطل الكفر (إذ تستغيثون ربكم) إذ بدل من إذ يعدكم : وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق أو بفعل مضمر واستغاثتهم دعاؤهم بالغوث والنصر (بمدكم) أى مكثركم (مردفين) من قولك ردفه إذا تبعه ، وأردفته إياه إذا أتبعته إياه والمعنى يتبع بعضهم بعضا ، فمن قرأه بفتح الدال فهو اسم مفعول ، ومن قرأه بالكسر فهو

Marfat.com

بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝

اسم فاعل ، وصح معنى القراءتين لأن الملائكة المنزلين يتبع بعضهم بعضاً فمنهم تابعون ومتبوعون (وماجعله الله) الضمير عائد على الوعد ، أوعلى الإمداد بالملائكة (إذ يغشيكم النعاس) إذ بدل من إذ يعدكم أومنصوب بالنصر ، أو بما عند الله من معنى النصر ، أو بإضمار فعل تقديره اذكر ، ومن قرأ يغشاكم بضم الياء والتخفيف فهو من أغشى ، ومن قرأ بالضم والتشديد فهو من غشى المشدد ، وكلاهما يتعدى إلى مفعولين فنصب النعاس على أنه المفعول الثانى ، والمعنى يغطيكم به فهو استعارة ، من الغشاء ، ومن قرأ بفتح الياء والشين فهو من غشى المتعدى إلى واحد أى ينزل عليكم النعاس (أمنة منه) أى أمناً ، والضمير المجرور يعود على الله تعالى ، وانتصاب أمنة على أنه مفعول من أجله قال ابن مسعود النعاس عند حضور القتال علامة أمن من العدو (وينزل عليكم من السماء ماء) تعديد لنعمة أخرى ، وذلك أنهم عدموا الماء فى غزوة بدر قبل وصولهم إلى بدر ، وقيل بعد وصولهم ، فأنزل الله لهم المطر حتى سالت الأودية (ليطهركم به) كان منهم من أصابته جنابة فتطهر بماء المطر ، وتوضأ به سائرهم ، وكانوا قبله ليس عندهم ماء للطهر ولا للوضوء (ويذهب عنكم رجز الشيطان) كان الشيطان قد ألقى فى نفوس بعضهم وسوسة بسبب عدم الماء ، فقالوا نحن أولياء الله وفينا رسوله فكيف نبقى بلا ماء ، فأنزل الله المطر وأزال عنهم وسوسة الشيطان (وليربط على قلوبكم) أى يثبتها بزوال ما وسوس لها الشيطان وبتنشيطها وإزالة الكسل عنها (ويثبت به الأقدام) الضمير فى به عائد على الماء ، وذلك أنهم كانوا فى رملة دهسة لا يثبت فيها قدم ، فلما نزل المطر تلبدت وتدقت الطريق ، وسهل المشى عليها والوقوف ، وروى أن ذلك المطر بعينه صعب الطريق على المشركين فتبين أن ذلك من لطف الله (إذ يوحى) يحتمل أن يكون ذلك بدلا من إذ المتقدمة كما أنها بدل من التى قبلها ، أو يكون العامل فيه يثبت (فثبتوا الذين آمنوا) يحتمل أن يكون التثبيت بقتال الملائكة مع المؤمنين أو بأقوال مؤنسة مقوية للقلب قالوها إذا تصوروا بصور بنى آدم أو بإلقاء الأمن فى نفوس المؤمنين (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) يحتمل أن يكون من خطاب الله للملائكة فى شأن غزوة بدر تكميلا لتثبيت المؤمنين ، أواستئناف إخبار عما يفعله الله فى المستقبل (فاضربوا فوق الأعناق) يحتمل أيضا أن يكون خطابا للملائكة أو للمؤمنين ، ومعنى فوق الأعناق أى على الأعناق ، حيث المفصل بين الرأس والعنق لأنه مذبح ، والضرب فيها يطير الرأس ، وقيل المراد الرءوس ، لأنها فوق الأعناق ، وقيل المراد الأعناق وفوق زائدة (كل بنان) قيل هى المفاصل ، وقيل الأصابع وهو الأشهر فى اللغة ، وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال فأمكن أسره وقتله (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) الإشارة إلى ما أصاب

Marfat.com

ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِىَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَٰفِرِينَ * إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَآءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

الكفار يوم بدر ، والباء للتعليل ، وشاقوا من الشقاق وهو العداوة والمقاطعة (ذلكم فذوقوه) الخطاب هنا للكفار ، وذلكم مرفوع تقديره ذلكم العقاب أو العذاب ، ويحتمل أن يكون منصوبا بقوله : فذوقوه ، كقولك زيدا فاضربه (وأن للكافرين) عطف على ذلكم على تقدير رفعه ، أونصبه ، أو مفعول معه . والواو بمعنى مع (زحفا) حال من الذين كفروا ، أو من الفاعل فى لقيتم ، ومعناه متقابلى الصفوف والأشخاص ، وأصل الزحف الاندفاع (فلا تولوهم الأدبار) نهى عن الفرار مقيدا بأن يكون الكفار أكثر من مثلى المسلمين حسبما يذكره فى موضعه (ومن يولهم يومئذ) أى يوم اللقاء فى أى عصر كان (إلا متحرفا لقتال) هو الكر بعد الفر ليرى عدوه أنه منهزم ، ثم يعطف عليه ، وذلك من الخداع فى الحرب (أو متحيزا إلى فئة) أى منحازا إلى جماعة من المسلمين ، فإن كانت الجماعة حاضرة فى الحرب ، فالتحيز إليها جائز باتفاق ، واختلف فى التحيز إلى المدينة ، والإمام والجماعة إذا لم يكن شيئا من ذلك حاضرا . ويروى عن عمر بن الخطاب ، أنه قال : أنا فئة لكل مسلم ، وهذا إباحة لذلك ، والفرار من الذنوب الكبائر ، وانتصب قوله متحرفا على الاستثناء من قوله ومن يولهم . وقال الزمخشرى انتصب على الحال وإلا لغو ، ووزن متحيز متفيعلا ، ولو كان على متفعل لقال متحوز ، لأنه من حاز يحوز (فلم تقتلوهم) أى لم يكن قتلهم فى قدرتكم لأنهم أكثر منكم وأقوى ولكن الله قتلهم بتأييدكم عليهم وبالملائكة (ومارميت إذ رميت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ يوم بدر قبضة من تراب وحصى ورمى بها وجوه الكفار فانهزموا ، فمعنى الآية أن ذلك من الله فى الحقيقة (بلاء حسنا) يعنى الأجر والنصر والغنيمة (موهن) من الوهن وهو الضعف ، وقرئ بالتشديد والتخفيف وهو بمعنى واحد (إن تستفتحوا) الآية : خطاب لكفار قريش ، وذلك أنهم كانوا قد دعوا الله أن ينصر أحب الطائفتين إليه ، وروى أن الذى دعا بذلك أبو جهل فنصر الله المؤمنين ، وفتح لهم ، ومعنى إن تستفتحوا تطلبوا الفتح ، ويحتمل أن يكون الفتح الذى طلبوه بمعنى النصر أو بمعنى الحكم ، وقيل إن الخطاب للمؤمنين (فقد جاءكم الفتح) إن كان الخطاب للكفار فالفتح هنا بمعنى الحكم : أى قد جاءكم الحكم الذى حكم الله عليكم بالهزيمة والقتل والأسر ، وإن كان الخطاب للمؤمنين ، فالفتح هنا يحتمل أن يكون بمعنى الحكم ، لأن الله حكم لهم ، أو بمعنى النصر (وإن تنتهوا) أى ترجعوا عن الكفر وهذا يدل على أن الخطاب للكفار (وإن تعودوا نعد) أى إن تعودوا إلى الاستفتاح أو القتال نعد لقتالكم والنصر عليكم (ولا تولوا عنه) الضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو للأمر

Marfat.com

قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا
لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ
خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ
النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ * يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ۝ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَاكِرِينَ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَإِذْ
قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَمَا كَانَ

بالطاعة (وأنتم تسمعون) أى تسمعون القرآن والمواعظ (كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) هم الكفار سمعوا بآذانهم دون قلوبهم فسماعهم كلا سماع (إن شر الدواب) أى كل من يدب، والمقصود أن الكفار شر الخلق، قال ابن قتيبة: نزلت هذه الآية فى بنى عبد الدار، فإنهم جدوا فى القتال مع المشركين (لما يحييكم) أى للطاعة، وقيل للجهاد لأنه يحيا بالنصر (يحول بين المرء وقلبه) قيل يميته، وقيل يصرف قلبه كيف يشاء فينقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان وشبه ذلك (فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) أى لا تصيب الظالمين وحدهم، بل تصيب معهم من لم يغير المنكر ولم ينه عن الظلم. وإن كان لم يظلم، وحكى الطبرى أنها نزلت فى على بن أبى طالب، وعمار بن ياسر، وطلحة والزبير، وأن الفتنة ما جرى لهم يوم الجمل، ودخلت النون فى تصيبن لأنه بمعنى النهى (إذ أنتم قليل) الآية: أى حين كانوا بمكة وآواكم بالمدينة، وأيدكم بنصره فى بدر وغيرها (لا تخونوا الله) نزلت فى قصة أبى لبابة حين أشار إلى بنى قريظة أن ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الذبح، وقيل المعنى لا تخونوا بغلول الغنائم ولفظها عام (وتخونوا أماناتكم) عطف على لا تخونوا أو منصوب (يجعل لكم فرقانا) أى تفرقة بين الحق والباطل وذلك دليل على أن التقوى تنور القلب، وتشرح الصدر، وتزيد فى العلم والمعرفة (وإذ يمكر بك الذين كفروا) عطف على إذ أنتم قليل، أو استئناف، وهى إشارة إلى اجتماع قريش بدار الندوة بمحضر إبليس فى صورة شيخ نجدى الحديث بطوله (ليثبتوك) أى ليسجنونك (قالوا قد سمعنا) قيل نزلت فى النضر بن الحارث كان قد تعلم من أخبار فارس والروم فإذا سمع القرآن وفيه أخبار الأنبياء قال لو شئت لقلت مثل هذا، وقيل هى فى سائر قريش (أساطير الأولين) أى أخبارهم المسطورة (وإذ قالوا اللهم) الآية: قالها النضر بن الحارث أو سائر قريش لما كذبوا النبى صلى الله عليه وسلم دعوا على أنفسهم إن كان أمره

ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ

هو الحق ، والصحيح أن الذى دعا بذلك أبو جهل رواه البخارى ومسلم فى كتابيهما وانتصب الحق لأنه خبر كان وقال الزمخشرى معنى كلامهم جحود أى إن كان هذا هو الحق فعاقبنا على إنكاره ، ولكنه ليس بحق فلا نستوجب عقابا ، وليس مرادهم الدعاء على أنفسهم ، إنما مرادهم نفى العقوبة عن أنفسهم (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) إكراما للنبى صلى الله عليه وسلم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) أى لو آمنوا واستغفروا فان الاستغفار أمان من العذاب ، قال بعض السلف : كان لنا أمانان من العذاب وهما وجود النبى صلى الله عليه وسلم والاستغفار ، فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم ذهب الأمان الواحد ، وبقى الآخر ، وقيل الضمير فى يعذبهم للكفار ، وفى وهم يستغفرون للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم (وما لهم ألا يعذبهم الله) المعنى أى شىء يمنع من عذابهم وهم يصدون أى يمنعون المؤمنين من المسجد الحرام والجملة فى موضع الحال وذلك من الموجب لعذابهم (وما كانوا أولياءه) الضمير للمسجد الحرام أو لله تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) المكاء التصفير بالفم ، والتصدية التصفيق باليد . وكانوا يفعلونهما إذا صلى المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم (ينفقون أموالهم) الآية نزلت فى إنفاق قريش فى غزوة أحد وقيل إنها نزلت فى أبى سفيان بن حرب فانه استأجر العير من الأحباش فقاتل بهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد (تكون عليهم حسرة) أى يتأسفون على إنفاقها من غير فائدة أو يتأسفون فى الآخرة (ثم يغلبون) إخبار بالغيب (ليميز الله الخبيث من الطيب) معنى يميز يفرق بين الخبيث والطيب والخبيث هنا الكفار والطيب المؤمنون وقيل الخبيث ما أنفقه الكفار ، والطيب ما أنفقه المؤمنون ، واللام فى ليميز على هذا تتعلق بيغلبون ، وعلى الأول بيحشرون (فيركمه) أى يضمه ويجعل بعضه فوق بعض (إن ينتهوا) يعنى عن الكفر إلى الإسلام لأن الإسلام يجب ماقبله ، ولا تصح المغفرة إلا به (وإن يعودوا) يعنى إلى القتال (فقد مضت سنة الأولين) تهديد بما جرى لهم يوم بدر وبما جرى للأمم السالفة (حتى لا تكون فتنة) الفتنة هنا الكفر ، فالمعنى قاتلوهم حتى لا يبقى كافر ، وهو كقوله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (واعلموا

Marfat.com

وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ

أنما غنمتم من شيء) لفظه عام يراد به الخصوص لأن الأموال التي تؤخذ من الكفار منها ما يخمس: وهو ما أخذ على وجه الغلبة بعد القتال، ومنها ما لا يخمس بل يكون جميعه لمن أخذه، وهو ما أخذه من كان ببلاد الحرب من غير إيجاف. وما طرحه العدو خوف الغرق، ومنها ما يكون جميعه للإمام يأخذ منه حاجته، ويصرف سائره في مصالح المسلمين وهي الفيء الذي لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب (فإن لله خمسه) الآية: اختلف في قسم الخمس على هذه الأصناف فقال قوم يصرف على ستة أسهم سهم لله في عمارة الكعبة، وسهم للنبي صلى الله عليه وسلم في مصالح المسلمين، وقيل للوالي بعده: وسهم لذوي القربى الذين لا تحل لهم الصدقة، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل وقال الشافعي على خمسة أسهم، ولا يجعل لله سهما مختصا، وإنما بدأ عنده بالله، لأن الكل ملكه، وقال أبو حنيفة على ثلاثة أسهم: لليتمى، والمساكين، وابن السبيل، وقال مالك الخمس إلى اجتهاد الإمام يأخذ منه كفايته ويصرف الباقي في المصالح (إن كنتم آمنتم بالله) راجع إلى ما تقدم والمعنى إن كنتم مؤمنين فاعلموا ما ذكر الله لكم من قسمة الخمس، واعملوا بحسب ذلك ولا تخالفوه (وما أنزلنا على عبدنا) يعني النبي صلى الله عليه وسلم والذي أنزل عليه القرآن والنصر (يوم الفرقان) أي التفرقة بين الحق والباطل وهو يوم بدر (التقى الجمعان) يعني المسلمين والكفار (إذ أنتم بالعدوة الدنيا) العامل في إذ التقى والعدوة شفير الوادي، وقرئ بالضم والكسر وهما لغتان، والدنيا القريبة من المدينة والقصوى البعيدة (والركب أسفل منكم) يعني العير التي كان فيها أبو سفيان، وكان قد نكب عن الطريق خوفا من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان جمع قريش المشركين قد حال بين المسلمين وبين العير (ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد) أي لو تواعدتم مع قريش ثم علمتم كثرتهم وقلتكم لاختلفتم ولم تجتمعوا معهم أو لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم مثل ما اتفق بتيسير الله ولطفه (ليهلك من هلك عن بينة) أي يموت من مات ببدر عن إعذار وإقامة الحجة عليه ويعيش من عاش بعد البيان له، وقيل ليهلك من يكفر ويحيي من يؤمن، وقرئ من حي بالإظهار والإدغام وهما لغتان (إذ يريكهم الله) الآية: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى الكفار في نومه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فقويت أنفسهم (لفشلتم) أي جبنتم عن اللقاء (وإذ يريكموهم) الآية معناها أن الله أظهر كل طائفة قليلة في عين الأخرى ليقع التجاسر على القتال (ريحكم)

Marfat.com

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ
وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ
ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى
ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا
عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا
عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ۝ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ
فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْخَآئِنِينَ ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوٓا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ

أى قوتكم ونشاطكم، وذلك استعارة (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) يعنى كفار قريش حين خرجوا لبدر (بطرا) أى عتواً وتكبراً (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) الآية: لما خرجت قريش الى بدر تصور لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك فقال لهم إنى جار لكم من قومى وكانوا قد خافوا من قومه ووعدهم بالنصر (نكص) أى رجع إلى ورائه (إنى أرى ما لا ترون) رأى الملائكة تقاتل (يقول المنافقون) الذين كانوا بالمدينة وقيل الذين كانوا مع الكفار وهم نفر من قريش منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس ابن الفاكه بن المغيرة والحارث بن ربيعة بن الأسود وعلى بن أمية بن خلف والعاصى بن أمية بن الحجاج وكانوا قد أسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة (غر هؤلاء دينهم) أى اغترّ المسلمون بدينهم فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) ذلك فيمن قتل يوم بدر (وأدبارهم) أى إستاههم، وقيل ظهورهم (وذوقوا) هذا من قول الملائكة لهم تقديره ويقولون لهم ذوقوا والقول المحذوف معموله معطوف على يضربون، ويحتمل أن يكون مابعده من قول الملائكة أو يكون مستأنفا (ذلك بأن الله) تقديره عند سيبويه الأمر ذلك، والباء سببية، والمعنى أن الله لا يغير نعمة على عبيده حتى يغيروا هم بالكفر والمعاصى (كدأب) ذكر فى آل عمران (الذين عاهدت منهم) يريد بنى قريظة (فشرد بهم من خلفهم) أى افعل بهم من النقمة ما يزجر غيرهم (وإما تخافن من قوم خيانة) أى نقضا للعهد (فانبذ إليهم) أى ردّ العهد الذى بينك وبينهم والمفعول محذوف تقديره فانبذ إليهم عهدهم (على سواء)

Marfat.com

ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٥ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ٥ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٥ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٥ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا۟

أى على معادلة ، وقيل معناه إن تستوى معهم فى العلم بنقض العهد (ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا) أى لا تظن أنهم فاتوا ونجوا بأنفسهم (أنهم لا يعجزون) أى لا يفوتون فى الدنيا ولا فى الآخرة (وأعدوا لهم) الضمير للذين ينبذ لهم العهد أو للذين لا يعجزون ، وحكمه عام فى جميع الكفار (من قوة) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ألا إن القوة الرمى » (ومن رباط الخيل) قال الزمخشرى الرباط اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله وقال ابن عطية رباط الخيل جمع ربط أو مصدر (عدو الله وعدوكم) يعنى الكفار (وآخرين) يعنى المنافقين ، وقيل بنى قريظة ، وقيل الجن لأنها تنفر من صهيل الخيل ، وقيل فارس ، والأول أرجح لقوله مردوا على النفاق (لا تعلمونهم الله يعلمهم) قال السهيلى : لا ينبغى أن يقال فيهم شىء ، لأن الله تعالى قال لا تعلمونهم ، فكيف يعلمهم أحد ، وهذا لا يلزم ، لأن معنى قوله لا تعلمونهم : لا تعرفونهم : أى لا تعرفون آحادهم وأعيانهم وقد يعرف صنفهم من الناس ، ألا ترى أنه قال مثل ذلك فى المنافقين (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) السلم هنا المهادنة ، والآية منسوخة بآية القتال فى براءة ، لأن مهادنة كفار العرب لا تجوز (وألف بين قلوبهم) قيل المراد بين قلوب الأوس والخزرج إذ كانت بينهما عداوة فذهبت بالإسلام ، واللفظ عام (ومن اتبعك من المؤمنين) عطف على اسم الله ، وقال الزمخشرى مفعول معه والواو بمعنى مع أى حسبك وحسب من اتبعك الله (إن يكن منكم عشرون صابرون) الآية : إخبار يتضمن وعدا بشرط الصبر ووجوب ثبوت الواحد للعشرة ثم نسخ بثبوت الواحد للاثنين (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) أى يقاتلون على غير دين ولا بصيرة فلا يثبتون (ما كان لنبى أن يكون له أسرى) لما أخذ الأسرى يوم بدر أشار أبو بكر بحياتهم ، وأشار عمر بقتلهم . فنزلت الآية عتابا على استبقائهم (حتى يثخن فى الأرض) أى يبالغ فى القتال (تريدون عرض الدنيا) عتاب لمن رغب فى فداء الأسرى (لولا كتاب من الله سبق) الكتاب ماقضاه الله فى الأزل من العفو عنهم ، وقيل ماقضاه الله

مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ
اللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ
خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُولَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن
وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِى الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى الْأَرْضِ وَفَسَادٌ
كَبِيرٌ ۞ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا
الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞

من تحليل الغنائم لهم (فيما أخذتم) يريد به الأسرى وفداؤهم ، ولما نزلت الآية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : لو نزل عذاب ما نجا منه غيرك يا عمر (فكلوا مما غنمتم) إباحة للغنائم ولفداء الأسارى (إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا) أى إن علم فى قلوبكم إيمانا جبر عليكم ما أخذ منكم من الفدية ، قال العباس فىّ نزلت وكان قد افتدى يوم بدر ثم أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال ما لا يقدر أن يحمله ، فقال قد أعطانى الله خيراً مما أخذ منى ، وأنا أرجو أن يغفر لى (وإن يريدوا خيانتك) الآية تهديد لهم (إن الذين آمنوا) إلى آخر السورة مقصدها بيان منازل المهاجرين والأنصار والذين آمنوا ولم يهاجروا والذين هاجروا بعد الحديبية ، فبدأ أولا بالمهاجرين ، ثم ذكر الأنصار وهم الذين آووا ونصروا ، وأثبت الولاية بينهم . وهى ولاية التعاون والتناصر ، وقيل هى ولاية الميراث ثم نسخت بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (وإن استنصروكم) لما نفى الولاية بين المؤمنين الذين هاجروا وبين المؤمنين الذين لم يهاجروا : أمر بنصرهم إن استنصروا بالمؤمنين : إلا إذا استنصروا على قوم بينهم وبين المؤمنين عهد فلا ينصرونهم عليهم (إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض) إلا هنا مركبة من إن الشرطية ولا النافية والضمير فى تفعلوه لولاية المؤمنين ومعاونتهم أو لحفظ الميثاق الذى فى قوله : إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، أو النصر الذى فى قوله فعليكم النصر ، والمعنى إن لم تفعلوا ذلك تكن فتنة (والذين آمنوا وهاجروا) الآية : ثناء على المهاجرين والأنصار ، ووعد لهم ، والرزق الكريم فى الجنة (والذين آمنوا من بعد) يعنى الذين هاجروا بعد الحديبية وبيعة الرضوان (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) قيل هى ناسخة للتوارث بين المهاجرين والأنصار ، قال مالك ليست فى الميراث ، وقال أبو حنيفة هى فى الميراث وأوجب بها ميراث الخال والعمة وغيرهما من ذوى الأرحام (فى كتاب الله) أى القرآن وقيل اللوح المحفوظ .

Marfat.com

سورة التوبة

مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان وآياتها ١٢٩ : نزلت بعد المائدة

بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَٰفِرِينَ * وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ

﴿سورة براءة﴾

وتسمى سورة التوبة ، وتسمى أيضا الفاضحة : لأنها كشفت أسرار المنافقين ، واتفقت المصاحف والقراء على إسقاط البسملة من أولها ، واختلف فى سبب ذلك ، فقال عثمان بن عفان اشتبهت معانيها بمعانى الأنفال وكانت تدعى القرينتين فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك قرنت بينهما فوضعتهما فى السبع الطوال وكان الصحابة قد اختلفوا هل هما سورتان أو سورة واحدة فتركت البسملة بينهما لذلك وقال على بن أبى طالب البسملة أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ، فلذلك لم تبدأ بالأمان (براءة من الله ورسوله) المراد بالبراءة التبرؤ من المشركين وارتفاع براءة على أنه خبر ابتداء أو مبتدأ (إلى الذين عاهدتم من المشركين) تقدير الكلام براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، فمن وإلى يتعلقان بمحذوف لا ببراءة ، وإنما أسند العهد إلى المسلمين فى قوله عاهدتم ، لأن فعل النبى صلى الله عليه وسلم لازم للمسلمين ، فكأنهم هم الذين عاهدوا المشركين ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد عاهد المشركين إلى آجال محدودة ، فمنهم من وفى فأمر الله أن يتم عهده إلى مدته ، ومنهم من نقض ، أو قارب النقض فجعل له أجل أربعة أشهر ، وبعدها لا يكون له عهد (فسيحوا فى الأرض) أى سيروا آمنين أربعة أشهر وهى الأجل الذى جعل لهم ، واختلف فى وقتها فقيل هى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، لأن السورة نزلت حينئذ وذلك عام تسعة ، وقيل هى من عيد الأضحى إلى تمام العشر الأول من ربيع الآخر ، لأنهم إنما علموا بذلك حينئذ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث تلك السنة أبا بكر الصديق يحج بالناس ثم بعث بعده على بن أبى طالب فقرأ على الناس سورة براءة يوم عرفة وقيل يوم النحر (غير معجزى الله) أى لا تفوتونه (وأذان) أى إعلام بتبرئ الله تعالى ورسوله من المشركين (إلى الناس) جعل البراءة مختصة بالمعاهدين من المشركين ، وجعل الإعلام بالبراءة عاما لجميع الناس : من عاهد ، ومن لم يعاهد ، والمشركين وغيرهم (الحج الأكبر) هو يوم عرفة أو يوم النحر ، وقيل أيام الموسم كلها ، وعبر عنها بيوم كقولك يوم صفين والجمل ، وكانت أياما كثيرة (أن الله برىء من المشركين) تقديره أذان بأن الله برىء ، وحذفت الباء تخفيفا ، وقرئ إن الله بالكسر ، لأن الأذان فى معنى القول (ورسوله) ارتفع بالعطف على الضمير فى برىء ، أو بالعطف على موضع اسم إن ، أو بالابتداء وخبره محذوف وقرئ بالنصب عطف على اسم إن ، وأما الخفض فلا يجوز فيه العطف على المشركين لأنه معنى فاسد ويجوز على الجوار أو القسم ، وهو مع ذلك بعيد والقراءة به شاذة (فإن تبتم) يعنى التوبة من الكفر (إلا الذين

الذين كفروا بعذاب أليم * إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم
أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين * فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلوٰة وءاتوا الزكوٰة
فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم * وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم
أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون * كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين
عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين * كيف وإن يظهروا
عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون ۞ اشتروا بآيات
الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون ۞ لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم
المعتدون ۞ فإن تابوا وأقاموا الصلوٰة وءاتوا الزكوٰة فإخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون *
وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ۞

عاهدتم) يريد الذين لم ينقضوا العهد (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) يعنى الأشهر الأربعة التى جعلت لهم ، فمن قال إنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم فهى الحرم المعروفة زاد فيها شوال ونقص رجب ، وسميت حرما تغليبا للأكثر ومن قال إنها إلى ربيع الثانى : فسميت حرما لحرمتها ومنع القتال فيها حينئذ (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) ناسخة لكل موادعة فى القرآن وقيل إنها نسخت أيضا فإما منا بعد وإما فداء ، وقيل بل نسختها هى فيجوز المن والفداء (وخذوهم) معناه الأسر ، والأخيذ هو الأسير (كل مرصد) كل طريق ونصبه على الظرفية (فإن تابوا) يريد من الكفر ، ثم قرن بالإيمان الصلاة والزكاة ، فذلك دليل على قتال تارك الصلاة والزكاة كما فعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، والآية فى معنى قوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» (فخلوا سبيلهم) تأمين لهم (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره) هو من الجوار أى استأمنك فأمنه حتى يسمع القرآن ليرى هل يسلم أم لا (ثم أبلغه مأمنه) أى إن لم يسلم فرده إلى موضعه ، وهذا الحكم ثابت عند قوم ، وقال قوم نسخ بالقتال (كيف يكون للمشركين عهد) لفظ استفهام ، ومعناه استنكار واستبعاد (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) قيل المراد قريش ، وقيل قبائل بنى بكر (فما استقاموا) ما ظرفية (كيف) تأكيد للأولى ، وحذف الفعل بعدها للعلم به تقديره كيف يكون لهم عهد (لا يرقبوا) أى لا يراعوا (إلا ولا ذمة) الإل القرابة ، وقيل الحلف ، والذمة العهد (وأكثرهم فاسقون) استثنى من قضى له بالإيمان (أئمة الكفر) أى رؤساء أهله قيل إنهم أبو جهل لعنه الله ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وسهيل بن عمرو ، وحكى ذلك الطبرى وهو ضعيف لأن أكثر هؤلاء كان قد مات قبل نزول هذه السورة ، والأحسن أنها على العموم (لا أيمان

Marfat.com

أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَـٰهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَـٰجِدَ اللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ۝ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُولَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَآجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَـٰهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْفَآئِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ * يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوٓا ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَـٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَـٰٓئِكَ

لهم) أى لا أيمان لهم يوفون بها ، وقرئ لا إيمان بكسر الهمزة (لعلهم ينتهون) يتعلق بقاتلوا (وهموا بإخراج الرسول) قيل يعنى إخراجه من المدينة حين قاتلوه بالخندق وأحد ، وقيل يعنى إخراجه من مكة إذا تشاوروا فيه بدار الندوة ثم خرج هو بنفسه (وهم بدءوكم أول مرة) يعنى إذايتهم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بمكة (يعذبهم الله بأيديكم) يريد بالقتل والأسر وفى ذلك وعد للمسلمين بالظفر (قوم مؤمنين) قيل إنهم خزاعة والإطلاق أحسن (ويتوب الله) استئناف إخبار فإن الله يتوب على بعض هؤلاء الكفار فيسلم (أم حسبتم) الآية : معناها أن الله لا يتركهم دون تمحيص يظهر فيه الطيب من الخبيث ، وأم هنا بمعنى بل والهمزة ، (يعلم الله) أى يعلم ذلك موجبا لتقوم به الحجة (وليجة) أى بطانة (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) أى ليس لهم ذلك بالحق والواجب وإن كانوا قد عمروها تغليبا وظلما ، ومن قرأ مساجد بالجمع أراد جميع المساجد ، ومن قرأ بالتوحيد أراد المسجد الحرام (شاهدين على أنفسهم بالكفر) أى أن أحوالهم وأقوالهم تقتضى الإقرار بالكفر ، وقيل الإشارة إلى قولهم فى التلبية لاشريك لك إلا شريك هو لك (أجعلتم سقاية الحاج) الآية : سببها أن قوما من قريش افتخروا بسقاية الحاج ، وبعمارة المسجد الحرام ؛ فبين الله أن الجهاد أفضل من ذلك ، ونزلت الآية فى على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة افتخروا فقال أنا صاحب البيت وعندى مفاتحه ، وقال العباس : أنا صاحب السقاية ، وقال على لقد أسلمت قبل الناس وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تتخذوا آباءكم) الآية قيل نزلت فيمن ثبط عن الهجرة

Marfat.com

هُمُ الظَّٰلِمُونَ ۞ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ اللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ ۞ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ الْكَٰفِرِينَ ۞ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ قَٰتِلُوا۟ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ

ولفظها عام وكذلك حكمها (فتربصوا) وعيد لمن آثر أهله أو ماله أو مسكنه على الهجرة والجهاد (بأمره) قيل يعنى فتح مكة ، وقيل هو إشارة إلى عذاب أو عقاب (ويوم حنين) عطف على مواطن أو منصوب بفعل مضمر . وهذا أحسن لوجهين : أحدهما أن قوله إذ أعجبتكم كثرتكم مختص بحنين ، ولا يصح فى غيره من المواطن فيضعف عطف يوم حنين على المواطن للاختلاف الذى بينهما فى ذلك . والآخر أن المواطن ظرف مكان ، ويوم حنين ظرف زمان فيضعف عطف أحدهما على الآخر ، إلا أن يريد بالمواطن الأوقات ، وحنين اسم علم لموضع عرف برجل اسمه حنين وانصرف لأنه مذكر (إذ أعجبتكم كثرتكم) كانوا يومئذ اثنا عشر ألفا فقال بعضهم : لن نغلب اليوم من قلة فأراد الله إظهار عجزهم ففر الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بقى على بغلته فى نفر قليل ، ثم استنصر بالله وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه ، ونادى بأصحابه فرجعوا اليه وهزم الله الكفار وقصة حنين مذكورة فى السير (بما رحبت) أى ضاقت على كثرة اتساعها وما هنا مصدرية (وأنزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة (ثم يتوب الله) إشارة إلى إسلام هوازن الذين قاتلوا المسلمين بحنين (إنما المشركون نجس) قيل إن نجاستهم بكفرهم وقيل بالجنابة (فلا يقربوا المسجد الحرام) نص على منع المشركين وهم عبدة الأوثان من المسجد الحرام ، فأجمع العلماء على ذلك . وقاس مالك على المشركين جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ، وقاس على المسجد الحرام سائر المساجد ، فمنع جميع الكفار من جميع المساجد وجعلها الشافعى عامة فى الكفار خاصة بالمسجد الحرام فمنع جميع الكفار دخول المسجد الحرام خاصة وأباح لهم دخول غيره . وقصرها أبو حنيفة على موضع النص فمنع المشركين خاصة من دخول المسجد الحرام خاصة وأباح لهم دخول سائر المساجد وأباح دخول أهل الكتاب فى المسجد الحرام وغيره (بعد عامهم هذا) يريد عام تسعة من الهجرة حين حج أبو بكر بالناس ، وقرأ عليهم على سورة براءة (وإن خفتم عيلة) أى فقرا ، كان المشركون يجلبون الأطعمة إلى مكة فخاف الناس قلة القوت بها إذ منع المشركون منها ، فوعدهم الله بأن يغنيهم من فضله ، فأسلمت العرب كلها وتمادى جلب الأطعمة إلى مكة ثم فتح الله سائر الأمصار (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) أمر بقتال أهل الكتاب ونفى عنهم الإيمان بالله لقول اليهود عزير ابن الله ، وقول النصارى

Marfat.com

أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۞ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۞ ٱتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا

المسيح ابن الله ، ونفى عنهم الإيمان باليوم الآخر لأن اعتقادهم فيه فاسد ، فإنهم لا يقولون بالمعاد والحساب (ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله) لأنهم يستحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك (ولا يدينون دين الحق) أى لا يدخلون فى الإسلام (من الذين أوتوا الكتاب) بيان للذين أمر بقتالهم وحين نزلت هذه الآية خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى غزوة تبوك لقتال النصارى (حتى يعطوا الجزية) اتفق العلماء على قبول الجزية من اليهود والنصارى ، ويلحق بهم المجوس ، لقوله صلى الله عليه وسلم : سنوا بهم سنة أهل الكتاب ، واختلفوا فى قبولها من عبدة الأوثان والصابئين ولا تؤخذ من النساء والصبيان والمجانين ، وقدرها عند مالك أربعة دنانير على أهل الذهب ، وأربعون درهما على أهل الورق ، ويؤخذ ذلك من كل رأس (عن يد) فيه تأويلان : أحدهما دفع الذمى لها بيده لا يبعثها مع أحد ولا يمطل بها كقولك يداً بيد ، الثانى عن استسلام وانقياد كقولك ألقى فلان بيده (وهم صاغرون) أذلاء (وقالت اليهود عزير ابن الله) قال ابن عباس إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود ، وهم سلام بن مشكم ، ونعمان بن أوفى ، وشاس بن قيس ، ومالك بن الصيف ، وقيل لم يقلها إلا فنحاص ، ونسب ذلك إلى جميعهم لأنهم متبعون لمن قالها ، والظاهر أن جماعتهم قالوها إذ لم ينكروها حين نسبت إليهم ، وكان سبب قولهم ذلك أنهم فقدوا التوراة فحفظها عزيرا وحده فعلمها لهم فقالوا ما علم الله عزيرا التوراة إلا أنه ابنه ، وعزير مبتدأ ، وابن الله خبره ، ومنع عزير التنوين لأنه أعجمى لا ينصرف وقيل بل هو منصرف وحذف التنوين لالتقاء الساكنين وهذا ضعيف ، وأما من نونه فجعله عربيا (وقالت النصارى المسيح ابن الله) قال أبو المعالى : أطبقت النصارى على أن المسيح إله وابن إله وذلك كفر شنيع (بأفواههم) يتضمن معنيين أحدهما إلزامهم هذه المقالة والتأكيد فى ذلك ، والثانى أنهم لا حجة لهم فى ذلك ، وإنما هو مجرد دعوى كقولك لمن تكذبه هذا قول بلسانك (يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل) معنى يضاهؤن يشابهون ، فإن كان الضمير لليهود والنصارى ، فالإشارة بقوله الذين كفروا من قبل المشركين من العرب إذ قالوا الملائكة بنات الله ، وهم أول كافر . أو للصابئين أو لأمم متقدمة وإن كان الضمير المعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى ، فالذين كفروا من قبل هم أسلافهم المتقدمون (قاتلهم الله) دعاء عليهم ، وقيل معناه لعنهم الله (أنى يؤفكون) تعجب كيف يصرفون عن الحق والصواب (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا) أى أطاعوهم كما يطاع الرب وإن كانوا لم يعبدوهم (والمسيح) معطوف على الأحبار والرهبان (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا) أى أمرهم بذلك عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم (يريدون أن يطفؤا نور الله) أى يريدون أن يطفؤا نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وماجاء به من عبادة الله وتوحيده (بأفواههم) إشارة

Marfat.com

إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۞ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ إِلَّا تَنفِرُوا

إلى أفواهم كقولهم ساحر وشاعر ، وفيه أيضا إشارة إلى ضعف حيلتهم فيما أرادوا (ليظهره على الدين) الضمير للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أو للدين ، وإظهاره جعله أعلى الأديان وأقواها حتى يعم المشارق والمغارب ، وقيل ذلك عند نزول عيسى ابن مريم حتى لا يبقى إلا دين الإسلام (ليأكلون أموال الناس بالباطل) هو الرشا على الأحكام وغير ذلك (والذين يكنزون الذهب والفضة) ورد فى الحديث أن كل ما أديت زكاته فليس بكنز ، وما لم تؤد زكاته فهو كنز ، وقال أبوذر وجماعة من الزهاد كلما فضل عن حاجة الإنسان فهو كنز (ولا ينفقونها) الضمير للأموال والكنوز التى يتضمنها المعنى ، وقيل هى الفضة ، واكتفى فى ذلك عن الذهب إذ الحكم فيهما واحد (يوم يحمى) العامل فى الظرف أليم أو محذوف (عليها) الضمير يعود على ما يعود عليه ضمير ينفقونها (اثنا عشر شهرا) هى الأشهر المعروفة أولها المحرم وآخرها ذو الحجة ، وكان الذى جعل المحرم أول شهر من العام عمر بن الخطاب رضى الله عنه (فى كتاب الله) أى فى اللوح المحفوظ ، وقيل فى القرآن والأول أرجح لقوله يوم خلق السموات والأرض (منها أربعة حرم) هى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم (ذلك الدين القيم) يعنى أن تحريم الأشهر الحرم هو الدين المستقيم ، دين إبراهيم وإسماعيل ، وكانت العرب قد تمسكت به حتى غيره بعضهم (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) الضمير فى قوله فيهن للأشهر الحرم تعظيما لأمرها وتغليظا للذنوب فيها ، وإن كان الظلم ممنوعا فى غيرها ، وقيل الضمير للاثنى عشر شهرا ، أو الزمان كله ، والأول أظهر (وقاتلوا المشركين كافة) أى قاتلوهم فى الأشهر الحرم ، فهذا نسخ لتحريم القتال فيها ، وكافة حال من الفاعل أو المفعول (إنما النسيء) وهو تأخير حرمة الشهر إلى الشهر الآخر ، وذلك أن العرب كانوا أصحاب حروب وإغارات ، وكانت محرمة عليهم فى الأشهر الحرم فيشق عليهم تركها فيجعلونها فى شهر حرام ويحرمون شهرا آخر بدلا منه ، وربما أحلوا المحرم وحرموا صفر حتى تكمل فى العام أربعة أشهر محرمة (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) أى تارة يحلون وتارة يحرمون ، ولم يرد العام حقيقة (ليواطئوا عدة ما حرم الله) أى ليوافقوا عدد الأشهر الحرم وهى أربعة (فيحلوا ما حرم الله) يعنى إحلالهم القتال فى الأشهر الحرم (مالكم إذا قيل لكم

Marfat.com

يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ *

انفروا) عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك (اثاقلتم إلى الأرض) عبارة عن تخلفهم . وأصل اثاقلتم تثاقلتم (إلا تنفروا يعذبكم) شرط وجزاء وهو العذاب فى الدنيا والآخرة (إلا تنصروه فقد نصره الله) شرط وجواب ، والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن قيل : كيف ارتبط هذا الشرط مع جوابه ؟ فالجواب أن المعنى : إن لم تنصروه أنتم فسينصره الله الذى نصره حين كان ثانى اثنين ، فدل بقوله نصره الله على نصره فى المستقبل (إذ أخرجه الذين كفروا) يعنى خروجه من مكة مهاجرا إلى المدينة ؛ وأسند إخراجه إلى الكفار ، لأنهم فعلوا معه من الأذى مااقتضى خروجه (ثانى اثنين) هو أبو بكر الصديق (إذ يقول لصاحبه لاتحزن) يعنى أبا بكر (إن الله معنا) يعنى بالنصر واللطف (فأنزل الله سكينته عليه) الضمير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقيل لأبى بكر ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم نزل معه السكينة ، ويضعف ذلك بأن الضمائر بعدها للرسول عليه السلام (وأيده بجنود لم تروها) يعنى الملائكة يوم بدر وغيره (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يريد إذلالها ودحضها (وكلمة الله هى العليا) قيل هى لا إله إلا الله ، وقيل الدين كله (انفروا خفافا وثقالا) أمر بالتنفير إلى الغزو ، والخفة استعارة لمن يمكنه السفر بسهولة ، والثقل من يمكنه بصعوبة ، وقال بعض العلماء الخفيف الغنى والثقيل الفقير ، وقيل الخفيف الشاب ، والثقيل الشيخ ، وقيل الخفيف النشيط ، والثقيل الكسلان ، وهذه الأقوال أمثلة فى الثقل والخفة ، وقيل إن هذه الآية منسوخة بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية (لوكان عرضا قريبا) الآية : نزلت هى وكثير مما بعدها فى هذه السورة فى المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، وذلك أنها كانت إلى أرض بعيدة وكانت فى شدة الحر وطيب الثمار والظلال ، فثقلت عليهم فأخبر الله فى هذه الآية أن السفر لوكان لعرض من الدنيا ، أو إلى مسافة قريبة لفعلوه (بعدت عليهم الشقة) أى الطريق والمسافة (وسيحلفون بالله) إخبار بغيب وهو أنهم يعتذرون بأعذار كاذبة ويحلفون (يهلكون أنفسهم) أى يوقعونها فى الهلاك بحلفهم الكاذبة ، أو تخلفهم عن الغزو (عفا الله عنك لم أذنت لهم) الآية : كان بعض المنافقين قد استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى التخلف عن غزوة تبوك فأذن لهم ، فعاتبه الله تعالى على إذنه له ، وقدم العفو على العتاب إكراما له صلى الله عليه وسلم وقيل إن قوله عفا الله عنك ليس لذنب ولا عتاب ولكنه استفتاح كلام كما يقول أصلحك الله (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) كانوا قد قالوا استأذنوه فى القعود ، فإن أذن لنا قعدنا ، وإن لم يأذن لنا قعدنا ، وإنما كان يظهر الصدق من الكذب لو لم يأذن لهم ، فحينئذ كان يقعد

لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۝ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَٰعِدِينَ ۝ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا فِى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَٰفِرِينَ ۝ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَٰنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا إِنَّا

العاصى والمنافق ويسافر المطيع (لايستأذنك الذين يؤمنون بالله) الآية : لايستأذنك فى التخلف عن الغزو لغير عذر من يؤمن بالله واليوم الآخر (وارتابت قلوبهم) أى شكت ، ونزلت الآية فى عبد الله بن أبىّ بن سلول والجد بن قيس (ولوأرادوا الخروج) الآية . أى لو كانت لهم نية فى الغزو والاستعداد له قبل أوانه (انبعاثهم) أى خروجهم (فثبطهم) أى كسر عزمهم وجعل فى قلوبهم الكسل (وقيل اقعدوا) يحتمل أن يكون القائل لهم اقعدوا هو الله تعالى ، وذلك عبارة عن قضائه عليهم بالقعود ، ويحتمل أن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض (مع القاعدين) أى مع النساء والصبيان وأهل الأعذار ، وفى ذلك ذم لهم لاختلاطهم فى القعود مع هؤلاء (لوخرجوا فيكم مازادوكم إلاخبالا) أى شرا وفسادا (ولأوضعوا) أى أسرعوا السير ، والإيضاع سرعة السير ، والمعنى أنهم يسرعون للفساد والنميمة (خلالكم) أى بينكم (يبغونكم الفتنة) أى يحاولون أن يفتنوكم (سماعون لهم) وقيل يسمعون أخبارهم وينقلونها إليهم (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أى طلبوا الفساد ، وروى أنها نزلت فى عبدالله بن أبى ابن سلول وأصحابه من المنافقين (وقلبوا لك الأمور) أى دبروها من كل وجه ، فأبطل الله سعيهم (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى) لما دعا النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى غزوة تبوك قال الجد بن قيس وكان من المنافقين : ائذن لى فى القعود ولا تفتنى برؤية بنى الأصفر فإنى لاأصبر عن النساء (ألافى الفتنة سقطوا) أى وقعوا فى الفتنة التى فروا منها (إن تصبك حسنة تسؤهم) الحسنة هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك (يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) أى قد حذرنا وتأهبنا من قبل (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) أى ماقدر وقضى ، وهذا رد على المنافقين (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) أى هل تنتظرون بنا إلا إحدى أمرين : إما الظفر والنصر ، وإما الموت فى سبيل الله وكل واحد من الخصلتين حسن (بعذاب من عنده) المصائب وماينزل من السماء أو عذاب الآخرة (أو بأيدينا) يعنى القتل (فتربصوا) تهديد (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) تضمن الأمر هنا معنى الشرط ،

Marfat.com

مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ * قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ
نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ *
فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ *
وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا
إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَآ إِذَا هُمْ
يَسْخَطُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَآ ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّآ
إِلَى اللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝ إِنَّمَا الصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَٰرِمِينَ
وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ

فاحتاج إلى جواب : والمعنى لن يتقبل منكم سواء أنفقتم طوعا أو كرها ، والطوع والكره عموم فى الإنفاق أى لن يتقبل على كل حال (ومامنعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا) تعليل لعدم قبول نفقاتهم بكفرهم ، ويحتمل أن يكون إنهم كفروا فاعل مامنعهم، أو فى موضع مفعول من أجله والفاعل الله (إنما يريد الله ليعذبهم بها) قيل العذاب فى الدنيا بالمصائب ، وقيل ماألزموا من أداء الزكاة (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) إخبار بأنهم يموتون على الكفر (ويحلفون بالله إنهم لمنكم) أى من المؤمنين (يفرقون) يخافون (لو يجدون ملجأ) أى مايلجأ إليه من المواضع (أومغارات) هى الغيران فى الجبال (أومدخلا) وزنه مفتعل من الدخول ومعناه نفق أوسرب فى الأرض (يجمحون) أى يسارعون (ومنهم من يلمزك فى الصدقات) أى يعيبك على قسمتها والآية فى المنافقين كالتى قبلها وبعدها ؛ وقيل فى ذى الخويصرة الذى قال اعدل يامحمد فإنك لم تعدل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم،ويلك إن لم أعدل فمن يعدل الحديث، (ولوأنهم رضوا) الآية : ترغيب لهم فيما هوخير لهم ، وجواب لو محذوف تقديره لكان ذلك خيرا لهم (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) الآية : إنما هنا تقتضى حصر الصدقات وهى الزكاة فى هذه الأصناف الثمانية فلا يجوز أن يعطى منها غيرهم ، ومذهب مالك أن تفريقها فى هؤلاء الأصناف إلى اجتهاد الإمام ، فله أن يجعلها فى بعض دون بعض ، ومذهب الشافعى أنه يجب أن تقسم على جميع هذه الأصناف بالسواء ، واختلف العلماء هل الفقير أشد حاجة من المسكين أو بالعكس ؟ فقيل هما سواء ، وقيل الفقير الذى يسأل الناس ويعلم حاله ، والمسكين ليس كذلك (والعاملين عليها) أى الذين يقبضونها ويفرقونها (والمؤلفة قلوبهم) كفار يعطون ترغيبا فى الإسلام ، وقيل هم مسلمون يعطون ليتمكن إيمانهم ، واختلف هل بقى حكمهم أوسقط للاستغناء عنهم (وفى الرقاب) يعنى العبيد يشترون و يعتقون (والغارمين) يعنى من عليه دين ، ويشترط أن يكون استدان فى غير فساد ولاسرف (وفى سبيل الله) يعنى الجهاد فيعطى منها المجاهدون ويشترى منها آلات الحرب واختلف هل تصرف فى بناء الأسوار وإنشاء الأساطيل (وابن السبيل) هو الغريب المحتاج (فريضة) أى

Marfat.com

قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۝ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ * يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ * الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ

حقا محدودا : ونصبه على المصدر . فإن قيل . لم ذكر مصرف الزكاة فى تضاعيف ذكر المنافقين ، فالجواب أنه حصر مصرف الزكاة فى تلك الأصناف ليقطع طمع المنافقين فيها ، فاتصلت هذه الآية فى المعنى بقوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات الآية (ومنهم الذين يؤذون النبي) يعنى من المنافقين وإذايتهم للنبى صلى الله عليه وسلم بالأقوال والأفعال (ويقولون هو أذن) أى يسمع كل مايقال له ويصدقه ، ويقال إن قائل هذه المقالة هو نبيل بن الحارث وكان من مردة المنافقين وقيل عتاب بن قيس (قل أذن خير لكم) أى يسمع الخير والحق (ويؤمن للمؤمنين) أى يصدقهم يقال آمنت لك إذا صدقتك ، ولذلك تعدى هذا الفعل باللام وتعدى يؤمن بالله بالباء (ورحمة) بالرفع عطف على أذن ، وبالخفض على خير (يحلفون) يعنى المنافقين (والله ورسوله أحق أن يرضوه) تقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، فهما جملتان حذف الضمير من الثانية لدلالة الأولى عليها . وقيل إنما وحد الضمير لأن رضا الله ورسوله واحد (من يحادد الله) يعنى من يعادى ويخالف (فإن له) إن هنا مكررة تأكيداً للأولى ، وقيل بدل منها ، وقيل التقدير فواجب أن له ، فهى فى موضع خبر مبتدأ محذوف (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم) يعنى فى شأنهم سورة على النبى صلى الله عليه وسلم والضمائر فى عليهم وتنبئهم وقلوبهم تعود على المنافقين ، وقال الزمخشرى إن الضمير فى عليهم وتنبئهم للمؤمنين ، وفى قلوبهم للمنافقين ، والأول أظهر (قل استهزؤا) تهديد (إن الله مخرج ماتحذرون) صنع ذلك بهم فى هذه السورة ، لأنها فضحتهم (إنما كنا نخوض ونلعب) نزلت فى وديعة بن ثابت بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال هذا يريد أن يفتح قصور الشام هيهات هيهات ، فسأله عن ذلك فقال إنما كنا نخوض ونلعب (إن نعف عن طائفة منكم) كان رجل منهم اسمه مخشن تاب ومات شهيداً (بعضهم من بعض) نفى لأن يكونوا من المؤمنين (ويقبضون أيديهم) كناية عن البخل (نسوا الله) أى غفلوا عن ذكره (فنسيهم) تركهم من رحمته وفضله (وعد الله المنافقين) الأصل فى الشر أن يقال أوعد ، وإنما يقال فيه وعد إذا صرح بالشر (والكفار) يعنى المجاهرين بالكفر (كالذين من قبلكم) خطاب للمنافقين والكاف فى موضع نصب والتقدير فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم ، أو فى موضع خبر مبتدأ تقديره أنتم كالذين

Marfat.com

أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلقهم فاستمتعتم بخلقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعملهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخسرون ۝ ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبرهيم وأصحب مدين والمؤتفكت أتتهم رسلهم بالبينت فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * والمؤمنون والمؤمنت بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ۝ وعد الله المؤمنين والمؤمنت جنت تجرى من تحتها الأنهر خلدين فيها ومسكن طيبة فى جنت عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم * يأيها النبى جهد الكفار والمنفقين واغلظ عليهم ومأوىهم جهنم وبئس المصير ۝ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلمهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغنىهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا

من قبلكم (وخضتم) أى خلطتم وهو مستعار من الخوض فى الماء ، ولا يقال إلا فى الباطل من الكلام (كالذى خاضوا) تقديره كالخوض الذى خاضوا ، وقيل كالذين خاضوا ؛ فالذى هنا على هذا بمعنى الجميع (ألم يأتهم) الآية : تهديد لهم بما أصاب الأمم المتقدمة (والمؤتفكات) يعنى مدائن قوم لوط (بالبينات) أى بالمعجزات (بعضهم أولياء بعض) فى مقابلة قوله المنافقون بعضهم من بعض ولكنه خص المؤمنين بالوصف بالولاية (جنات عدن) قيل عدن هى مدينة الجنة وأعظمها ، وقال الزمخشرى هو اسم علم (ورضوان من الله أكبر) أى رضوان من الله أكبر من كل ماذكر وذلك معنى ماذكر فى الحديث إن الله تعالى يقول لأهل الجنة أتريدون شيئا أزيدكم ، فيقولون ياربنا أى شىء تزيدنا ؟ فيقول رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا (جاهد الكفار والمنافقين) جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان مالم يظهر مايدل على كفرهم ؛ فإن ظهر منهم ذلك فحكمهم كحكم الزنديق ، وقد اختلف هل يقتل أم لا (واغلظ عليهم) الغلظة ضد الرحمة والرأفة ، وقد تكون بالقول والفعل وغيرذلك (يحلفون بالله ماقالوا) نزلت فى الجلاس بن سويد ، فإنه قال إن كان مايقول محمد حقا فنحن شر من الحمير ، فبلغ ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقرأه عليه لحلف أنه ماقاله (ولقد قالوا كلمة الكفر) يعنى ماتقدم من قول الجلاس لأن ذلك يقتضى التكذيب (وكفروا بعد إسلامهم) لم يقل بعد إيمانهم ، لأنهم كانوا يقولون بألسنتهم آمنا ولم يدخل الإيمان فى قلوبهم (وهموا بما لم ينالوا) هم الجلاس بقتل من بلغ تلك الكلمة عنه ، وقيل هم بقتل النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وقيل الآية نزلت فى عبد الله بن أبىّ بن سلول ، وكلمة الكفر التى قالها قوله سمن كلبك يأكلك ، وهمه بما لم يناله قوله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل (ومانقموا إلا أن أغناهم الله) أى ماعابوا إلا الغنى الذى كان حقه أن يشكروا عليه ، وذلك فى الجلاس أو فى عبد الله بن أبىّ (فإن يتوبوا) فتح الله لهم باب التوبة فتاب

Marfat.com

يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَـٰنَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّـٰلِحِينَ * فَلَمَّا ءَاتَـٰهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَآ أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّـٰمُ الْغُيُوبِ * الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَـٰتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَـٰسِقِينَ * فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوٓا أَن يُجَـٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَآءً بِمَا كَانُوا

الجلاس وحسن حاله (ومنهم من عاهد الله) الآية : نزلت فى ثعلبة بن حاطب ، وذلك أنه قال يارسول الله ادع الله أن يكثر مالى فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه ، فأعاد عليه حتى دعا له فكثر ماله فتشاغل به حتى ترك الصلوات ثم امتنع من أداء الزكاة ، فنزلت فيه الآية فجاء بزكاته إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه ولم يأخذها منه ، وقال إن الله أمرنى أن لا آخذ زكاتك ثم لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان (بخلوا به) إشارة إلى منعه الزكاة (فأعقبهم نفاقا) عقوبة على العصيان بما هو أشد منه (إلى يوم يلقونه) حكم بوفاته على النفاق (الذين يلمزون المطوعين) نزلت فى المنافقين حين تصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقالوا ماهذا إلا رياء وأصل المطوعين المتطوعين والمراد به هنا من تصدق بكثير (والذين لايجدون إلا جهدهم) هم الذين لا يقدرون إلا على القليل فيتصدقون به نزلت فى أبى عقيل تصدق بصاع من تمر، فقال المنافقون إن الله غنى عن صدقة هذا (فيسخرون منهم) أى يستخفون بهم (سخر الله منهم) تسمية للعقوبة باسم الذنب (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) يحتمل معنيين . أحدهما أن يكون لفظه أمر ، ومعناه الشرط ، ومعناه إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ، كما جاء فى سورة المنافقين ، والآخر أن يكون تخيير كأنه قال إن شئت فاستغفر لهم ، وإن شئت فلا تستغفر لهم ، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم ، وهذا أرجح لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خيرنى فاخترت ، وذلك حين قال عمر أتصلى على عبد الله بن أبى وقد نهاك الله عن الصلاة عليه (سبعين مرة) ذكرها على وجه التمثيل للعدد الكثير (فرح المخلفون) أى الذين خلفهم الله عن بدر وأقعدهم عنه ، وفى هذا تحقير وذم لهم ، ولذلك لم يقل المتخلفون (بمقعدهم) أى بقعودهم (خلاف رسول الله) أى بعده حين خرج إلى تبوك ، فخلاف على هذا ظرف ، وقيل هو مصدر من خلف فهو على هذا مفعول من أجله (وقالوا لا تنفروا فى الحر) قائل هذه المقالة رجل من بنى سلمة ممن صعب عليه السفر إلى تبوك فى الحر (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) أمر بمعنى الخبر فضحكهم القليل فى الدنيا مدة بقائهم فيها وبكاؤهم الكثير فى الآخرة ؛ وقيل هو بمعنى الأمر أى يجب أن يكونوا يضحكون قليلا ويبكون كثيرا

يكسبون * فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا
معى عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين * ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم
على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون * ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله
أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون * وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع
رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين * رضوا بأن يكونوا مع الخوالف
وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون * لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك
لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون * أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز
العظيم * وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا
منهم عذاب أليم * ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا
لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم * ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد

فى الدنيا لما وقعوا فيه (إلى طائفة منهم) إنما لم يقل اليهم ، لأن منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف (لن تخرجوا معى أبدا) عقوبة لهم فيها خزى وتوبيخ (أول مرة) يعنى فى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) أى مع القاعدين وهم النساء والصبيان (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) نزلت فى شأن عبد الله بن أبى ابن سلول ، وصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه حين مات ، وروى أنه صلى عليه فنزلت الآية ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما تقدم ليصلى عليه جاءه جبريل فجبذ ثوبه ، وتلا عليه : ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يصل عليه (وإذا أنزلت سورة) قيل يعنى براءة والأرجح أنه على الإطلاق (أن آمنوا) أن هنا مفسرة (استأذنك أولو الطول منهم) أى أولو الغنى والمال الكثير (لكن الرسول) الآية أى إن تخلف هؤلاء فقد جاهد الرسول ومن معه (الخيرات) تعم منافع الدارين وقيل هى الحور العين لقوله خيرات حسان (وجاء المعذرون) هم المعتذرون ثم أدغمت التاء فى الذال ونقلت حركتها إلى العين واختلف هل كانوا فى اعتذارهم صادقين أو كاذبين وقيل هم المقصرون من عذر فى الأمر إذا قصر فيه ولم يجد فوزنه على هذا المفعلون وروى أنها نزلت فى قوم من غفار (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) هم قوم لم يجاهدوا ولم يعتذروا عن تخلفهم فكذبوا فى دعواهم الإيمان (سيصيب الذين كفروا منهم) أى من المعذرين (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) هذا رفع للحرج عن أهل الأعذار الصحيحة من ضعف البدن والفقر إذا تركوا الغزو وقيل إن الضعفاء هنا هم النساء والصبيان وهذا بعيد (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) قيل نزلت فى بنى مقرن وهم ستة إخوة صحبوا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقيل فى عبد الله بن مغفل المزنى (إذا نصحوا لله) يعنى بنياتهم وأقوالهم وإن لم يخرجوا

Marfat.com

مَـآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْـهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِـدُوا مَا يُنفِقُونَ * إِنَّمَـا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَـآءُ رَضُوا بِأَن يَـكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْـكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَـكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَـكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَـا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءً بِمَـا كَانُوا يَـكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَـكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَـٰسِقِينَ * الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْـدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَـآ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَـكِيمٌ ۞ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَـٰتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَٰتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَالسَّـٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَـٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَمِمَّنْ حَوْلَـكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْـلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ۞ وَءَاخَرُونَ

للغزو (ما على المحسنين من سبيل) وصفهم بالمحسنين لأنهم نصحوا لله ورسوله ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) قيل هم بنو مقرن وقيل ابن مغفل وقيل سبعة نفر من بطون شتى وهم البكاؤن ومعنى لتحملهم على الإبل وجواب إذا يحتمل أن يكون قلت (لا أجد ما أحملكم) أو تولوا إذا رجعتم يعني من غزوة تبوك (لن نؤمن لكم) لن نصدقكم (من أخباركم) نعت لمحذوف وهو المفعول الثاني تقديره قد نبأنا الله جملة من أخباركم (الأعراب أشد كفرا ونفاقا) هم أهل البوادي من العرب (وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله) يعني أنهم أحق أن لا يعلموا الشرائع لبعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) أي تثقل عليهم الزكاة والنفقة في سبيل الله ثقل المغرم الذي ليس بحق عليه (ويتربص بكم الدوائر) أي ينتظر بكم مصائب الدنيا (عليهم دائرة السوء) خبر أو دعاء (وصلوات الرسول) أي دعواته لهم وهو عطف على قربات أي يقصدون بنفقاتهم التقرب إلى الله واغتنام دعاء الرسول لهم وقيل نزلت في بني مقرن (والسابقون الأولون) قيل هم من صلى للقبلتين وقيل من شهد بدرا وقيل من حضر بيعة الرضوان (والذين اتبعوه) سائر الصحابة ويدخل في ذلك التابعون ومن بعدهم إلى يوم القيامة بشرط الإحسان (مردوا على النفاق) أي اجترؤا عليه وقيل أقاموا عليه (سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) العذاب العظيم هو عذاب النار وأما المرتان قبله فالثانية منهما عذاب القبر والأولى عذابهم بإقامة الحدود عليهم وقيل بفضيحتهم بالنفاق (وآخرون

ٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ◦ وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ◦ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ

اعترفوا بذنوبهم) الآية : قيل إنها نزلت فى أبى لبابة فعمله الصالح الجهاد وعمله السيء نصيحته لبنى قريظة وقيل هو لمن تخلف عن تبوك من المؤمنين فعملهم الصالح ماسبق لهم وعملهم السيء تخلفهم عن تبوك وروى أنهم ربطوا أنفسهم إلى سوارى المسجد وقالوا لا نحل أنفسنا حتى يحلنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هى عامة فى الأمة إلى يوم القيامة قال بعضهم مافى القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه الآية (خذ من أموالهم صدقة) قيل نزلت فى المتخلفين الذين ربطوا أنفسهم لما تاب الله عليهم قالوا يارسول الله إنا نريد أن نتصدق بأموالنا فنزلت هذه الآية وأخذ ثلث أموالهم وقيل هى الزكاة المفروضة فالضمير على العموم لجميع المسلمين (تطهرهم وتزكيهم بها) خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى موضع صفة لصدقة أو حال من الضمير فى خذ (وصلّ عليهم) أى ادع لهم (سكن لهم) أى تسكن به نفوسهم فهو عبارة عن صحة الاعتقاد أو عن طمأنينة نفوسهم إذا علموا أن الله تاب عليهم (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) الضمير فى يعلموا للتائبين من التخلف وقيل للذين تخلفوا ولم يتوبوا وقيل عام وفائدة الضمير المؤكد تخصيص الله تعالى بقبول التوبة دون غيره (ويأخذ الصدقات) قيل معناه يأمر بها وقيل يقبلها من عباده (وآخرون مرجون لأمر الله) قيل هم الثلاثة الذين خلفوا قبل أن يتوب الله عليهم وقيل هم الذين بنوا مسجد الضرار ، وقرئ مرجئون بالهمز وتركه وهما لغتان ومعناه التأخير (والذين اتخذوا مسجدا) قرئ الذين بغير واو صفة لقوله وآخرون مرجون أو على تقديرهم الذين وهذه القراءة جارية على قول من قال فى المرجون لأمر الله هم أهل مسجد الضرار ، وقرئ والذين بالواو عطف على آخرون مرجون وهذه القراءة جارية على قول من قال فى المرجئين أنهم الثلاثة الذين خلفوا (ضرارا وكفرا) كانوا بنو عمرو بن عوف من الأنصار قد بنوا مسجد قباء وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتيه ويصلى فيه لحسدهم على ذلك قومهم بنو غنم بن عوف وبنو سالم بن عوف فبنوا مسجدا آخر مجاورا له ليقطعوا الناس عن الصلاة فى مسجد قباء وذلك هو الضرار الذى قصدوا وسألوا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يأتيه ويصلى لهم فيه فنزلت عليه فيه هذه الآية (وتفريقا بين المؤمنين) أرادوا أن يتفرق المؤمنون عن مسجد قباء (وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) أى انتظارا لمن حارب الله ورسوله وهو أبو عامر الراهب الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفاسق وكان من أهل المدينة فلما قدمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاهد بالكفر والنفاق ثم خرج إلى مكة

Marfat.com

لَكَـٰذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ۝ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ

لحزب الأحزاب من المشركين فلما فتحت مكة خرج إلى الطائف فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام ليستنصر بقيصر فهلك هناك وكان أهل مسجد الضرار يقولون إذا قدم أبو عامر المدينة يصلى فى هذا المسجد والإشارة بقوله من قبل إلى ما فعل معه الأحزاب (وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى) أى الخصلة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله فأكذبهم الله فى ذلك (لا تقم فيه أبداً) نهى عن إتيانه والصلاة فيه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بطريقه (لمسجد أسس على التقوى) قيل هو مسجد قباء ، وقيل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وقد روى ذلك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) كانوا يستنجون بالماء ونزلت فى الأنصار على قول من قال إن المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد المدينة ، ونزلت فى بنى عمرو بن عوف خاصة على قول من قال إن المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد قباء (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار) الآية : استفهام بمعنى التقرير ، والذى أسس على التقوى والرضوان : مسجد المدينة أو مسجد قباء ، والذى أسس على شفا جرف هار : هو مسجد الضرار ، وتأسيس البناء على التقوى والرضوان : هو بحسن النية فيه ، وقصد وجه الله ، وإظهار شرعه ، والتأسيس على شفا جرف هار : هو بفساد النية ، وقصد الرياء ، والتفريق بين المؤمنين ، فذلك على وجه الاستعارة والتشبيه البديع ، ومعنى شفا جرف : طرفه ، ومعنى هار : ساقط أو واهى ، بحيث أشفى على السقوط ، وأصل هار : هائر ، فهو من المقلوب ، لأن لامه جعلت فى موضع العين (فانهار به فى نار جهنم) أى طاح فى جهنم ، وهذا ترشيح للمجاز ، فإنه لما شبه بالجرف وصف بالانهيار الذى هو من شأن الجرف ، وقيل إن ذلك حقيقة ، وأنه سقط فى نار جهنم وخرج الدخان من موضعه ، والصحيح أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أمر بهدمه فهدم (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم) أى لا يزال فى قلوب أهل مسجد الضرار ريبة من بنيانه : أى شك فى الإسلام بسبب بنيانه ، لاعتقادهم صواب فعلهم : أو غيظ بسبب هدمه (إلا أن تقطع قلوبهم) أى إلا أن يموتوا (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) قيل إنها نزلت فى بيعة العقبة وحكمها عام فى كل مؤمن مجاهد فى سبيل الله إلى يوم القيامة ، قال بعضهم ما أكرم الله ، فإن أنفسنا هو خلقها ، وأموالنا هو رزقها ، ثم وهبها لنا ، ثم اشتراها منا بهذا الثمن الغالى ، فإنها لصفقة رابحة (يقاتلون فى سبيل الله) جملة فى موضع الحال بيان للشراء (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) قال بعضهم ناهيك عن بيع : البائع فيه

Marfat.com

التَّـٰئِبُونَ ... السَّـٰجِدُونَ ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ * مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ * وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ * لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

رب العلا والثمن جنة المأوى ، والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم (التائبون) ومابعده : أوصاف للمؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم : تقديره هم التائبون (السائحون) قيل معناه الصائمون ، ويقال ساح فى الأرض : أى ذهب (ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) نزلت فى شأن أبى طالب فإنه لما امتنع أن يقول لاإله إلاالله عند موته ، قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والله لأستغفرن لك مالم أنه عنك ، فكان يستغفرله حتى نزلت هذه الآية ، وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم استأذن ربه أن يستغفر لأمه فنزلت الآية ، وقيل إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لآبائهم المشركين فنزلت الآية (وماكان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة) المعنى لاحجة لكم أيها المؤمنون فى استغفار إبراهيم لأبيه ، فإن ذلك لم يكن إلالوعد تقدم . وهو قوله سأستغفر لك ربى (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) قيل تبين له ذلك بموت أبيه على الكفر . وقيل لأنه نهى عن الاستغفارله (لأواه) قيل كثيرالدعاء ، وقيل موقن ، وقيل فقيه ، وقيل كثيرالذكر لله ، وقيل كثير التأوه من خوف الله (وماكان الله ليضل قوما) الآية : نزلت فى قوم من المسلمين استغفروا المشركين من غير إذن ، فخافوا على أنفسهم من ذلك فنزلت الآية تأنيسا لهم أى ماكان الله ليؤاخذكم بذلك قبل أن يبين لكم المنع من ذلك (فى ساعة العسرة) يعنى حين محاولة غزوة تبوك ، والساعة هنا بمعنى الحين والوقت ، وإن كان مدة ، والعسرة الشدة وضيق الحال (من بعد ماكاديزيغ قلوب فريق منهم) يعنى تزيغ عن الثبات على الإيمان ، أو عن الخروج فى تلك الغزوة لما رأوا من الضيق والمشقة ، وفى كاد ضمير الأمر والشأن ، أو ترتفع بها القلوب (ثم تاب عليهم) يعنى على هـذا الفريق أى رجع بهم عما كادوا يقعون فيه (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر ومن غير نفاق ولاقصد للمخالفة ، فلمارجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عتب عليهم ، وأمر أن لايكلمهم أحد ، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم فبقوا على ذلك مدة إلى أن أنزل الله توبتهم ، وقدروى حديثهم فى البخارى ومسلم والسير ، ومعنى خلفوا هنا : أى عن الغزوة ، وقال كعب بن مالك معناه

Marfat.com

ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ۞ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ۞ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون * وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون * يأيها الذين ءامنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار

خلفوا عن قبول الضر ، وليس بالتخلف عن الغزو يقوى ذلك كونه جعل إذا ضاقت غاية للتخلف (ضاقت عليهم الأرض) عبارة عما أصابهم من الغم والخوف من الله (ثم تاب عليهم ليتوبوا) أى رجع بهم ليستقيموا على التوبة (وكونوا مع الصادقين) يحتمل أن يريد صدق اللسان إذ كانوا هؤلاء الثلاثة قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب فنفعهم الله بذلك ، ويحتمل أن يريد أعم من صدق اللسان وهو الصدق فى الأقوال والأفعال والمقاصد والعزائم ، والمراد بالصادقين المهاجرون لقول الله فى الحشر للفقراء المهاجرين ، إلى قوله : هم الصادقون وقد احتج بها أبو بكر الصديق على الأنصار يوم السقيفة ، فقال نحن الصادقون ، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا أى تابعين لنا (ما كان لأهل المدينة) الآية : عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك من أهل يثرب ومن جاورها من قبائل العرب (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أى لا يمتنعوا من اقتحام المشقات التى تحملها هو صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم (ذلك بأنهم لا يصيبهم) تعليل لما يجب من عدم التخلف (ظمأ) أى عطش (ولا نصب) أى تعب (ولا مخمصة) أى جوع (ولا يطؤون) أى بأرجلهم أو بدوابهم (ولا ينالون من عدو نيلا) عموم فى كل ما يصيب الكفار (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) قال ابن عباس : هذه الآية فى البعوث إلى الغزو والسرايا : أى لا ينبغى خروج جميع المؤمنين فى السرايا ، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه . ولذلك عاتبهم فى الآية المتقدمة على التخلف عنه ، فالآية الأولى فى الخروج معه صلى الله عليه وسلم ، وهذه فى السرايا التى كان يبعثها ، وقيل هى ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع فهو دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين ، وقيل هى فى طلب العلم ومعناها : أنه لا تجب الرحلة فى طلب العلم على الجميع ، بل على البعض لأنه فرض كفاية (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) تحضيض على نفر بعض المؤمنين للجهاد أو لطلب العلم (ليتفقهوا فى الدين) إن قلنا إن الآية فى الخروج إلى طلب العلم ، فالضمير فى يتفقهوا للفرقة التى تنفر أى ترحل ، وكذلك الضمير فى ينذروا وفى رجعوا : أى ليعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم من الرحلة ، وإن قلنا إن الآية فى السرايا ، فالضمير فى يتفقهوا للفرقة التى تقعد فى المدينة ولا تخرج مع السرايا ، وأما الضمير فى رجعوا فهو للفرقة التى خرجت مع السرايا (لعلهم يحذرون) الضمير للقوم (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أمر بقتال الأقرب فالأقرب على تدريج ، وقيل إنها إشارة إلى قتال الروم بالشام ، لأنهم كانوا أقرب الكفار إلى أرض العرب ، وكانت أرض العرب قد

Marfat.com

وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۞ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ۞ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۞ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞

عمها الإسلام ، وكانت العراق حينئذ بعيدة (وإذا ماأنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا) أى من المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه إيمانا على وجه الاستخفاف بالقرآن كأنهم يقولون أى عجب فى هذا وأى دليل فى هذا (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا) وذلك لما يتجدد عندهم من البراهين والأدلة عند نزول كل سورة (وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) المرض عبارة عن الشك والنفاق والمعنى زادتهم رجسا إلى رجسهم أو زادتهم كفرا ونفاقا إلى كفرهم ونفاقهم (يفتنون فى كل عام) قيل يفتنون أى يختبرون بالأمراض والجوع ، وقيل بالأمر بالجهاد ، واختار ابن عطية أن يكون المعنى يفضحون بما يكشف من سرائرهم (نظر بعضهم إلى بعض) أى تغامزوا وأشار بعضهم إلى بعض على وجه الاستخفاف بالقرآن ثم قال بعضهم لبعض هل يراكم من أحد كأن سبب خوفهم أن ينقل عنهم ذلك وقيل معنى نظر بعضهم إلى بعض على وجه التعجب مما ينزل فى القرآن من كشف أسرارهم ثم قال بعضهم لبعض (هل يراكم من أحد) أى هل رأى أحوالكم فنقلها عنكم أو علمت من غير نقل فهذا أيضا على وجه التعجب (ثم انصرفوا) يحتمل أن يراد الانصراف بالأبدان ، أو الانصراف بالقلوب عن الهدى (صرف الله قلوبهم) دعاء أو خبر (بأنهم قوم لا يفقهون) تعليل لصرف قلوبهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، والخطاب للعرب أو لقريش خاصة أى من قبيلتكم حيث تعرفون حسبه وصدقه وأمانته أو لبنى آدم كلهم: أى من جنسكم وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء أى من أشرفكم (عزيز عليه ماعنتم) أى يشق عليه عنتكم ، والعنت: هو مايضرهم فى دينهم أو دنياهم ، وعزيز صفة للرسول ، وماعنتم فاعل بعزيز ، وما مصدرية أو ماعنتم مصدر ، وعزيز خبر مقدم والجملة فى موضع الصفة (حريص عليكم) أى حريص على إيمانكم وسعادتكم (بالمؤمنين رؤف رحيم) سماه الله هنا باسمين من أسمائه (فإن تولوا فقل حسبى الله) أى إن أعرضوا عن الإيمان ، فاستعن بالله وتوكل عليه وقيل إن هاتين الآيتين نزلتا بمكة

ســـــورة يونس

مكية إلا الآيات ٤٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ فمدنية وآياتها ١٠٩ نزلت بعد الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْحَكِيمِ ۝ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ فِى اخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ

ســـــورة يونس عليه السلام

(الر) تكلمنا فى أول البقرة على حروف الهجاء التى فى أوائل السور (تلك آيات الكتاب) إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات، والكتاب هنا القرآن (الحكيم) من الحكمة أو من الحكم أو من الأحكام للأمر أى أحكمه الله (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس) الهمزة للانكار، وعجبا خبر كان، وأن أوحينا اسمها، وأن أنذر: تفسير للوحى. والمراد بالناس هنا كفار قريش وغيرهم، وإلى رجل هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعنى الآية: الرد على من استبعد النبوة أو تعجب من أن يبعث الله رجلا (قدم صدق) أى عمل صالح قدموه، وقال ابن عباس السعادة السابقة لهم فى اللوح المحفوظ (قال الكافرون إن هذا لسحر مبين) يعنون ما جاء به من القرآن، وقرئ لساحر يعنون به النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ويحتمل أن يكون كلامهم هذا تفسير لما ذكر قبل من تعجبهم من النبوة، ويكون خبرا مستأنفا (إن ربكم الله) تعريف بالله وصفاته ليعبدوه ولا يشركوا به، وفيه رد على من أنكر النبوة كأنه يقول إنما أدعوكم إلى عبادة ربكم الذى خلق السموات والأرض فكيف تنكرون ذلك وهو الحق المبين (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) أى ما يشفع إليه أحد إلا بعد أن يأذن هو له فى الشفاعة، وفى هذا رد على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم (وعد الله حقا) نصب وعد على المصدر المذكور المؤكد للرجوع إلى الله، ونصب حقا على المصدر المؤكد لوعد الله (إنه يبدأ الخلق ثم يعيده) أى يبدؤه فى الدنيا ويعيده بعد الموت فى الآخرة. والبداءة دليل على العودة (ليجزى) تعليل للعودة وهى البعثة (بالقسط) أى بعدله فى جزائهم أو بقسطهم فى أعمالهم الصالحة (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا) وصف أفعال الله وقدرته وحكمته والضياء أعظم من النور (وقدره منازل) الضمير للقمر والمعنى قدر سيره فى منازل (والحساب) يعنى حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالى (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) أى

Marfat.com

وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ◦ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوٰةِ
الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ◦ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ◦ إِنَّ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ◦ دَعْوَاهُمْ فِيهَا
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ◦ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ
اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ◦ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ
الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ◦ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ◦ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ ◦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ
مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ * قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * فَمَنْ

ماخلقه عبثا ، والإشارة بذلك إلى ماتقدم من المخلوقات (إن الذين لايرجون لقاءنا) قيل معنى يرجون هنا يخافون ، وقيل لايرجون حسن لقائنا ، فالرجاء على أصله ، وقيل لايرجون : لايتوقعون أصلا ، ولا يخطر ببالهم (ورضوا بالحياة الدنيا) أى قنعوا أن تكون حظهم ونصيبهم (واطمأنوا بها) أى سكنت أنفسهم عن ذكر الانتقال عنها (والذين هم عن آياتنا غافلون) يحتمل أن تكون هى الفرقة الأولى ، فيكون من عطف الصفات ، أو تكون غيرها (يهديهم ربهم بإيمانهم) أى يسددهم بسبب إيمانهم إلى الاستقامة أو يهديهم فى الآخرة إلى طريق الجنة ، وهو أرجح لما بعده (دعواهم فيها) أى دعاؤهم (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم) أى لو يعجل الله للناس الشر كما يحبون تعجيل الخير لهلكوا سريعا ، ونزلت الآية عند قوم فى دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده ، وقيل نزلت فى الذين قالوا : إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء (وإذا مس الإنسان الضر دعانا) عتاب فى ضمنه نهى لمن يدعو الله عند الضر . ويغفل عنه عند العافية (لجنبه) أى مضطجعا ، وروى أنها نزلت فى أبى حذيفة بن المغيرة لمرض كان به (ولقد أهلكنا القرون) إخبار ضمنه وعيد للكفار (لننظر) معناه ليظهر فى الوجود فتقوم عليكم الحجة به (وإذا تتلى عليهم) يعنى على قريش (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم) أى ماتلوته إلا بمشيئة الله ، لأنه من عنده وما هو من عندى (ولا أدراكم به) أى ولا أعلمكم به (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) أى بقيت بينكم أربعين سنة قبل البعث ماتكلمت فى هذا حتى جاءنى من عند الله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا)

Marfat.com

أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون * ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض
سبحنه وتعالى عما يشركون * وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضى بينهم فيما فيه يختلفون * ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إنى معكم
من المنتظرين * وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر فى آياتنا قل الله أسرع مكرا
إن رسلنا يكتبون ما تمكرون * هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح
طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم
دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشكرين * فلما أنجهم إذا هم يبغون
فى الأرض بغير الحق يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متع الحيوة الدنيا ثم إلينا مرجعكم
فننبئكم بما كنتم تعملون * إنما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلنه من السماء فاختلط به نبات

تنصل من الافتراء على الله وبيان لبراءته صلى الله عليه وآله وسلم مما نسبوه إليه من الكذب وإشارة إلى كذبهم على الله فى نسبة الشركاء له (أو كذب بآياته) بيان لظلمهم فى تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) الضمير فى يعبدون لكفار العرب ، ومالا يضرهم ولا ينفعهم هى الأصنام (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله) كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم (قل أتنبؤن الله بما لا يعلم) رد عليهم فى قولهم بشفاعة الأصنام ، والمعنى أن شفاعة الأصنام ليست بمعلومة لله الذى هو عالم بما فى السموات والأرض ، وكل ماليس بمعلوم لله فهو عدم محض ليس بشىء فقوله أتنبئون الله تقريرلهم على وجه التوبيخ والتهكم أى كيف تعلمون الله بما لا يعلم (وما كان الناس إلا أمة واحدة) تقدم فى البقرة فى قوله كان الناس أمة واحدة (ولولا كلمة سبقت) يعنى القضاء (ويقولون لولا أنزل عليه آية) كانوا يطلبون آية من الآيات التى اقترحوها ، ولقد نزل عليه آيات عظام فما اعتدوا بها لعنادهم وشدة ضلالهم (قل إنما الغيب لله) إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل لا يطلع على ذلك أحد (فانتظروا) أى انتظروا نزول مااقترحتموه (إنى معكم من المنتظرين) أى منتظر لعقابكم على كفركم (وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء) هذه الآية فى الكفار وتضمنت النهى لمن كان كذلك من غيرهم ، والمكر هنا الطعن فى آيات الله وترك شكره ، ومكر الله الموصوف بالسرعة هو عقابه لهم سماه مكرا مشاكلة لفعلهم ، وتسمية للعقوبة باسم الذنب (وجرين بهم) الضمير المؤنث فى جرين للفلك ، والضمير فى بهم للناس ، وفيه الخروج من الخطاب إلى الغيبة ، وهو يسمى الالتفات ، وجواب إذا كنتم : قوله جاءتها ريح عاصف ، وقوله دعوا الله ، قال الزمخشرى هو بدل من ظنوا ، ومعناه دعوا الله وحده وكفروا بمن دونه (متاع الحياة الدنيا) رفع على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره : وذلك

Marfat.com

ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ
عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝
وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ
وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا
وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ
شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ۝ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟
كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ * قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ

متاع . أو يكون خبر إنما بغيكم ، ويختلف الوقف باختلاف الإعراب (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) معنى الآية تحقير الدنيا وبيان سرعة فنائها وشبهها بالمطر الذى يخرج به النبات ، ثم تصيب ذلك النبات آفة عند حسنه وكماله (مما يأكل الناس) كالزرع والفواكه . (والأنعام) يعنى المرعى التى ترعاها من العشب وغيره (أخذت الأرض زخرفها) تمثيل بالعروس إذا تزينت بالحلى والثياب (قادرون عليها) أى متمكنون من الانتفاع بها (أتاها أمرنا) أى بعض الجوائح كالريح ، والصر ، وغير ذلك (فجعلناها حصيدا) أى جعلنا زرعها كالذى حصد وإن كان لم يحصد (كأن لم تغن) كأن لم تنعم (والله يدعو إلى دار السلام) أى إلى الجنة ، وسميت دار السلام أى دار السلامة من العناء والتعب ، وقيل السلام هنا اسم الله : أى يدعو إلى داره (ويهدى من يشاء) ذكر الدعوة إلى الجنة عامة مطلقة والهدايا خاصة بمن يشاء (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله ، وقيل الحسنى جزاء الحسنة بعشر أمثالها والزيادة التضعيف فوق ذلك إلى سبعمائة ، والأول أصح لوروده فى الحديث وكثرة القائلين به (قتر) أى غبار يغير الوجه (والذين كسبوا السيئات) مبتدأ على حذف مضاف تقديره جزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أو على تقدير لهم جزاء سيئة بمثلها ، أو معطوفا على الذين أحسنوا . ويكون جزاء سيئة مبتدأ وخبره بمثلها (مالهم من الله من عاصم) أى لا يعصمهم أحد من عذاب الله (قطعا من الليل مظلما) من قرأ بفتح الطاء فهو جمع قطعة وإعراب مظلما على هذه القراءة : حال من الليل ، ومن قرأ قطعا بإسكان الطاء ، فمظلما صفة له أو حال من الليل (مكانكم) تقديره الزموا مكانكم أى لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل الله بكم (فزيلنا بينهم) أى فرقنا (تبلو كل نفس ما أسلفت) أى تختبر بما قدمت من الأعمال وقرئ تتلو بتاءين بمعنى تتبع أو تقرأه فى المصاحف (قل من يرزقكم) الآية : احتجاج على الكفار بحجج كثيرة واضحة

Marfat.com

فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۞ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۞ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۞ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا

لا محيص لهم عن الإقرار بها (يخرج الحي من الميت) مذكور فى آل عمران (ربكم الحق) أى الثابت الربوبية بخلاف ما تعبدون من دونه (فماذا بعد الحق إلا الضلال) أى عبادة غير الله ضلال بعد وضوح الحق، وتدل الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة فى علم الاعتقادات، إذ الحق فيها فى طرف واحد، بخلاف مسائل الفروع (كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا) المعنى كما حق الحق فى الاعتقادات كذلك حقت كلمة ربك على الذين عتوا وتمردوا فى كفرهم أنهم لا يؤمنون، والكلمات يراد بها القدر والقضاء (قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده) الآية: احتجاج على الكفار. فإن قيل: كيف يحتج عليهم بإعادة الخلق، وهم لا يعترفون بها؟ فالجواب، أنهم معترفون أن شركاءهم لا يقدرون على الابتداء ولا على الإعادة، وفى ذلك إبطال لربوبيتهم، وأيضا فوضعت الإعادة موضع المتفق عليه لظهور برهانها (أمن لا يهدى) بتشديد الدال معناه لا يهتدى فى نفسه، فكيف يهدى غيره، وقرئ بالتخفيف بمعنى يهدى غيره والقراءة الأولى أبلغ فى الاحتجاج (فما لكم) ما استفهامية معناها تقرير وتوبيخ ولكم خبرها ويوقف عليه (كيف تحكمون) أى تحكمون بالباطل فى عبادتكم لغير الله (وما يتبع أكثرهم إلا ظنا) أى غير تحقيق، لأنه لا يستند إلى برهان (إن الظن لا يغنى من الحق شيئا) ذلك فى الاعتقادات إذ المطلوب فيها اليقين بخلاف الفروع (تصديق الذى بين يديه) مذكور فى البقرة (أم يقولون) أم هنا بمعنى بل والهمزة (فأتوا بسورة) تعجيزلهم وإقامة حجة عليهم (من استطعتم) يعنى من شركائكم وغيرهم من الجن والإنس (من دون الله) أى غير الله (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) أى سارعوا إلى التكذيب بما لم يفهموه ولم يعلموا تفسيره (ولما يأتهم تأويله) أى علم تأويله ويعنى بتأويله الوعيد الذى لهم فيه (ومنهم من يؤمن به) الآية: فيها قولان أحدهما إخبار بما يكون منهم فى المستقبل وأن بعضهم يؤمن وبعضهم يتمادى على الكفر، والآخر أنها إخبار عن حالهم أن منهم من هو مؤمن به ويكتم إيمانه، ومنهم من هو مكذب (فقل لى عملى) الآية: موادعة منسوخة بالقتال (من يستمعون إليك)

Marfat.com

تعملون * ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ۝ ومنهم من ينظر إليك
أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ۝ إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون *
ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما
كانوا مهتدين ۝ وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ۝
ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون * ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم
صادقين * قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون * قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون * أثم إذا
ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون ۝ ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا
بما كنتم تكسبون * ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين ۝ ولو أن لكل نفس
ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ۝
ألا إن لله ما في السماوات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ۝ هو يحيي ويميت وإليه
ترجعون ۝ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين *

أي يستمعون القرآن . وجمع الضمير بالحمل على معنى من (أفأنت تسمع الصم) المعنى أتريد أن تسمع الصم وذلك لا يكون . لا سيما إذا انضاف إلى الصمم عدم العقل (أفأنت تهدي العمي) المعنى أتريد أن تهدي العمي ، وذلك لا يكون لا سيما إذا انضاف إلى عدم البصر عمى البصيرة ، والصمم والعمى عبارة عن قلة فهمهم (لم يلبثوا إلا ساعة) تقليل لمدة بقائهم في الدنيا أو في القبور (ويتعارفون بينهم) يعني يوم الحشر فهو على هذا حال من الضمير في يلبثوا (وإما نرينك) شرط جوابه وإلينا مرجعهم . والمعنى إن أريناك بعض عذابهم في الدنيا فذلك وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا مرجعهم (ثم الله شهيد) ذكرت ثم لترتيب الأخبار ، لا لترتيب الأمر ، قاله ابن عطية ، وقال الزمخشري : ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب ، فالترتيب على هذا صحيح (فإذا جاء رسولهم) قيل مجيئه في الآخرة للفصل ، وقيل مجيئه في الدنيا وبعثه (ويقولون متى هذا الوعد) كلام فيه استبعاد واستخفاف (بياتا) أي بالليل (ماذا يستعجل منه المجرمون) المعنى أي شيء يستعجلون من العذاب وهو ما لا طاقة لكم به ، وقوله ماذا جواب إن أتاكم ، والجملة متعلقة بأرأيتم (أثم إذا ما وقع آمنتم به) دخلت همزة التقرير على ثم العاطفة ، والمعنى إذا وقع العذاب وعاينتموه آمنتم به الآن ، وذلك لا ينفعكم لأنكم كنتم تستعجلونه مكذبين به (ويستنبئونك أحق هو) أي يسألونك هل الوعيد حق أو هل الشرع والدين حق ، والأول أرجح ، لقوله وما أنتم بمعجزين : أي لا تفوتون من الوعيد (قل إي) أي نعم (ظلمت) صفة لنفس أي لو ملك الظالم الدنيا لافتدى بها من عذاب الآخرة (وأسروا الندامة) أي أخفوها

Marfat.com

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم
مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ۞ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۞ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ
مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۞ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ

فى نفوسهم ، وقيل أظهروها (موعظة من ربكم) يعنى القرآن (وشفاء لما فى الصدور) أى يشفى ما فيها من الجهل والشك (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) يتعلق بفضل بقوله فليفرحوا ، وكرر الباء فى قوله فبذلك تأكيدا والمعنى الأمر أن يفرحوا بفضل الله وبرحمته لا بغيرهما ، والفضل والرحمة عموم ، وقد قيل الفضل الإسلام ، والرحمة القرآن (هو خير مما يجمعون) أى فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق) الآية : مخاطبة لكفار العرب الذين حرموا البحيرة والسائبة وغير ذلك (قل آلله أذن لكم) متعلق بأرأيتم ، وكرر قل للتأكيد ، ولما قسم الأمر إلى إذن الله لهم وافترائهم ثبت افتراؤهم ، لأنهم معترفون أن الله لم يأذن لهم فى ذلك (وما ظن) وعيد للذين يفترون (يوم القيامة) ظرف منصوب بالظن ، والمعنى : أى شىء يظنون أن يفعل بهم فى ذلك اليوم (وما تكون فى شأن) الشأن الأمر ، والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ، والمراد هو وجميع الخلق ، ولذلك قال فى آخرها : وما تعملون من عمل بمخاطبة الجماعة ، ومعنى الآية إحاطة علم الله بكل شىء (وما تتلوا منه من قرآن) الضمير عائد على القرآن وإن لم يتقدم ذكره لدلالة ما بعده عليه ، كأنه قال : ما تتلوا شيئا من القرآن ، وقيل يعود على الشأن ، والأول أرجح ، لأن الإضمار قبل الذكر تفخيم للشىء (إذ تفيضون فيه) يقال أفاض الرجل فى الأمر إذا أخذ فيه بجد (وما يعزب) ما يغيب (مثقال ذرة) وزنها والذرة صغار النمل ، قال الزمخشرى ، إن قلت لم قدمت الأرض على السماء بخلاف سورة سبأ ، فالجواب أن السماء تقدمت فى سبأ لأن حقها التقديم ، وقدمت الأرض هنا لما ذكرت الشهادة على أهل الأرض (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) من قرأهما بالفتح فهو عطف على لفظ مثقال ، ومن قرأهما بالرفع فهو عطف على موضعه أو رفع بالابتداء أولياء الله اختلف الناس فى معنى الولى اختلافا كثيرا ، والحق فيه ما فسره الله بعد هذا بقوله . الذين آمنوا وكانوا يتقون ، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولى ، وإعراب الذين آمنوا صفة للأولياء ، أو منصوب على التخصيص ، أو مرفوع بإضمارهم الذين ولا يكون ابتداء مستأنفا لئلا ينقطع مما قبله (لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة) أما بشرى الآخرة فهى الجنة اتفاقا ، وأما بشرى الدنيا فهى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له ، روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل محبة الناس للرجل الصالح ، وقيل ما بشر به فى القرآن من الثواب (لا تبديل لكلمات الله)

Marfat.com

لكلمٰت الله ذٰلك هو الفوز العظيم ، ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم ، ألا إن لله من
فى السمٰوٰت ومن فى الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا
يخرصون ، هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن فى ذٰلك لآيٰت لقوم يسمعون ، قالوا
اتخذ الله ولدا سبحٰنه هو الغنى له ما فى السمٰوٰت وما فى الأرض إن عندكم من سلطٰن بهٰذا أتقولون على
الله ما لا تعلمون ، قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، متٰع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم
نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون * واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يٰقوم إن كان كبر
عليكم مقامى وتذكيرى بآيٰت الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة
ثم اقضوا إلى ولا تنظرون * فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون
من المسلمين * فكذبوه فنجينٰه ومن معه فى الفلك وجعلنٰهم خلٰئف وأغرقنا الذين كذبوا بآيٰتنا فانظر

أى لا تغيير لأقواله ولا خلف لمواعيده ، وقد استدل ابن عمر على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبدله (ولا يحزنك قولهم) يعنى ما يقوله الكفار من التكذيب (إن العزة لله) إخبار فى ضمنه وعد للنبى صلى الله عليه وسلم بالنصر ، وتسلية له (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن) فيها وجهان : أحدهما أن تكون ما نافية وأوجبت بقوله إلا الظن وكرر إن يتبعون توكيدا ، والمعنى ما يتبع الكفار إلا الظن ، والوجه الثانى أن تكون ما استفهامية ، ويتم الكلام عند قوله شركاء ، والمعنى أى شىء يتبعون على وجه التحقير لما يتبعونه ، ثم ابتدأ الإخبار بقوله إن يتبعون إلا الظن ، والعامل فى شركاء على الوجهين يدعون (لتسكنوا فيه) من السكون وهو ضد الحركة (والنهار مبصرا) أى مضيئا تبصرون فيه الأشياء (قالوا اتخذ الله ولدا) الضمير للنصارى ولمن قال إن الملائكة بنات الله (هو الغنى) وصف يقتضى نفى الولد والرد على من نسبه إليه ، لأن الغنى المطلق لا يفتقر إلى اتخاذ ولد (له ما فى السموات وما فى الأرض) بيان وتأكيد للغنى ، وباقى الآية توبيخ للكفار ووعيد لهم (متاع فى الدنيا) تقديره لهم متاع فى الدنيا (نوح) روى أن اسمه عبد الغفار ، وإنما سمى نوحا لكثرة نوحه على نفسه من خوف الله (كبر عليكم) أى صعب وشق (مقامى) أى قيامى لوعظكم والكلام معكم ، وقيل معناه مكانى يعنى نفسه ، كقولك فعلت ذلك لمكان فلان (فأجمعوا) بقطع الهمزة من أجمع الأمر إذا عزم عليه ، وقرئ بألف وصل من الجمع (وشركاءكم) أى ما تعبدون من دون الله وإعرابه مفعول معه أو مفعول بفعل مضمر تقديره ادعوا شركاءكم ، وهذا على القراءة بقطع الهمزة وأما على الوصل فهو معطوف (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أى لا يكون قصدكم إلى هلاكى مستورا ولكن مكشوفا تجاهروننى به وهو من قولك غم الهلال إذا لم يظهر ، والمراد بقوله أمركم فى الموضعين إهلاككم لنوح عليه السلام ، أى لا تقصروا فى إهلاكى إن قدرتم على ذلك (ثم اقضوا إلى) أى انفذوا فيما تريدون ، ومعنى الآية أن نوحا عليه السلام قال لقومه إن صعب عليكم دعائى لكم إلى الله فاصنعوا بى غاية ما تريدون وإنى لا أبالى بكم لتوكلى

Marfat.com

كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُنذَرِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ بِـَٔايَٰتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ه فَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ * قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّٰحِرُونَ ه قَالُوٓا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَآءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ه وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ه فَلَمَّا جَآءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ه فَلَمَّآ أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ * فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ه وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا

على الله وثقتي به سبحانه (وجعلناهم خلائف) أي يخلفون من هلك بالغرق (ثم بعثنا من بعده رسلا) يعني هودا وصالحا وإبراهيم وغيرهم (أسحر هذا) قيل إنه معمول أتقولون، فهو من كلام قوم فرعون وهذا ضعيف لأنهم كانوا يصممون على أنه سحر لقولهم: إن هذا لسحر مبين، فكيف يستفهمون عنه، وقيل إنه من كلام موسى تقريرا أو توبيخا لهم فيوقف على قوله أتقولون للحق لما جاءكم، ويكون معمول أتقولون محذوف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر ويدل على هذا المحذوف ما حكى عنهم من قولهم إن هذا لسحر مبين، فلما تم الكلام ابتدأ موسى توبيخهم بقوله: أسحر هذا ولا يفلح الساحرون، وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير رحمه الله (لتلفتنا) أي لتصرفنا وتردنا عن دين آبائنا (وتكون لكما الكبرياء) أي الملك، والخطاب لموسى وأخيه عليهما السلام (ما جئتم به السحر) ما موصولة مرفوعة بالابتداء والسحر الخبر وقرئ آلسحر بالاستفهام فما على هذا استفهامية، والسحر خبر ابتداء مضمر (ويحق الله الحق) يحتمل أن يكون من كلام موسى أو إخبار من الله تعالى (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه) الضمير عائد على موسى ومعنى الذرية شبان وفتيان من بني إسرائيل آمنوا به على خوف من فرعون، وقيل إن الضمير عائد على فرعون، فالذرية على هذا من قوم فرعون، وروي في هذا أنها امرأة فرعون وخازنته وامرأة خازنه، وهذا بعيد، لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور (على خوف من فرعون وملئهم) الضمير يعود على الذرية أي آمنت الذرية من بني إسرائيل على خوف من فرعون وملإ من بني إسرائيل لأن الأكابر من بني إسرائيل كانوا يمنعون أولادهم من الإيمان خوفا من فرعون، وقيل يعود على فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له (أن يفتنهم) بدل من فرعون (لعال في الأرض) أي

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ، وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ، وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن
تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ
ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ
وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ
سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ
أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِ بَنُوٓا إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ
عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ
عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ، وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَآءَهُمُ
الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ

متكبر قاهر (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أى لا تمكنهم من عذابنا فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ماعذبناهم فيفتنون بذلك (أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً) أى اتخذ لهم بيوتاً للصلاة والعبادة ، وقيل إنه أراد الإسكندرية (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى مساجد وقيل موجهة إلى جهة القبلة ، فان قيل لم خص موسى وهارون بالخطاب فى قوله أن تبوآ . ثم خاطب معهما بنو إسرائيل فى قوله واجعلوا ، فالجواب أن قوله تبوآ من الأمور التى يختص بها الأنبياء وأولوا الأمر (وبشر المؤمنين) أمر لموسى عليه السلام ، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم (ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء بلفظ الأمر ، وقيل اللام لام كى وتتعلق بقوله آتيت (اطمس على أموالهم) أى أهلكها (واشدد على قلوبهم) أى اجعلها شديدة القسوة (فلا يؤمنوا) جواب للدعاء الذى هو اشدد ، ودعاء بلفظ النفى (قال قد أجيبت دعوتكما) الخطاب لموسى وهارون على أنه لم يذكر الدعاء إلا عن موسى وحده لكن كان موسى يدعو وهارون يؤمن على دعائه ، (فاستقيما) أى اثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة إلى الله (فأتبعهم فرعون) أى لحقهم يقال تبعه حتى أتبعه ، هكذا قال الزمخشرى ،وقال ابن عطية أتبع بمعنى تبع ، وأما اتبع بالتشديد فهو طلب الأثر سواء أدرك أو لم يدرك (لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل) يعنى الله عز وجل،وفى لفظ فرعون بجهلة وتعنت لأنه لم يصرح باسم الله(آ الآن وقد عصيت قبل) أى قيل له أتؤمن الساعة فى وقت الاضطرار وذلك لا يقبل منك (ننجيك)أى نبعدك مما جرى لقومك من الوصول إلى قعر البحر، وقيل نلقيك على نجوة من الأرض أى على موضع مرتفع(ببدنك)أى بجسدك جسدا بدون روح،وقيل بدرعك،وكانت له درع من ذهب يعرف بها والمحذوف فى موضع الحال والباء للمصاحبة (لتكون لمن خلفك آية) أى لمن وراءك آية وهم بنو إسرائيل (مبوأ صدق) منزلا حسناً وهو مصر والشام (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) قيل يريد اختلافهم فى دينهم وقيل اختلافهم فى أمر محمد صلى

Marfat.com

الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَآءَتْهُمْ
كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا كَشَفْنَا
عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْىِ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ * وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا
أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى
الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى الْءَايَٰتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ *
فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوٓا إِنِّى مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ * ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا

الله عليه وسلم (فإن كنت فى شك) قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه و آله وسلم ، والمراد غيره ، وقيل ذلك كقول القائل لابنه : إن كنت ابنى فبرنى مع أنه لايشك أنه ابنه ، ولكن من شأن الشك أن يزول بسؤال أهل العلم، فأمره بسؤالهم ، قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ، وقال الزمخشرى إن ذلك على وجه الفرض والتقدير ، أى إن فرضت أن تقع فى شك فاسأل (مما أنزلنا إليك) قيل يعنى القرآن أو الشرع بجملته ، وهذا أظهر ، وقيل يعنى ماتقدم من أن بنى إسرائيل مااختلفوا إلا من بعد ماجاءهم الحق (فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) يعنى الذين يقرؤن التوراة والانجيل ، قال السهيلى هم عبد الله بن سلام ومخيرق ومن أسلم من الأحبار ، وهذا بعيد ، لأن الآية مكية ، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة ، فحمل الآية على الإطلاق أولى (فلا تكونن) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره (حقت كلمة ربك) أى قضى أنهم لا يؤمنون (فلولا كانت قرية آمنت) لولا هنا للتحضيض بمعنى هلا ، وقرئ فى الشاذ هلا ، والمعنى هلا كانت قرية من القرى المتقدمة آمنت قبل نزول العذاب فنفعها إيمانها : إذ لاينفع الإيمان بعد معاينة العذاب كما جرى لفرعون (إلا قوم يونس) استثناء من القرى ، لأن المراد أهلها ، وهو استثناء منقطع بمعنى : ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب ، ويجوز أن يكون متصلا ، والجملة فى معنى النفى كأنه قال ما آمنت قرية إلا قوم يونس ، وروى فى قصصهم أن يونس عليه السلام أنذرهم بالعذاب ، فلما رأوه قد خرج من بين أظهرهم علموا أن العذاب ينزل بهم فتابوا وتضرعوا إلى الله تعالى فرفعه عنهم (ومتعناهم إلى حين) يريد إلى آجالهم المكتوبة فى الأزل (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) الهمزة للإنكار أى أتريد أنت أن تكره الناس فى إدخال الإيمان فى قلوبهم وتضطرهم إلى ذلك ، وليس ذلك إليك إنما هو بيد الله ، وقيل المعنى أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يؤمنوا أوكان هذا فى صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد ثم نسخت بالسيف (انظروا) أمر بالاعتبار والنظر فى آيات الله (وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) يعنى من قضى الله عليه أنه لا يؤمن ، وما نافية أو استفهامية يراد بها النفى (فهل ينتظرون) الآية : تهديد (حقا علينا) اعتراض بين العامل

Marfat.com

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ * قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّـٰلِمِينَ ۝ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَـٰكِمِينَ *

سـورة هود

مكية إلا الآيات ١٢ و ١٧ و ١١٤ فمدنية وآياتها ١٢٣ نزلت بعد سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ * الٓر كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝

ومعموله وهما كذلك ، وننج المؤمنين (وأن أقم وجهك) الوجه هنا بمعنى القصد والدين (وما أنا عليكم بوكيل) منسوخ بالقتال ، وكذلك قوله واصبر حتى يحكم الله وعد بالنصر والظهور على الكفار

سـورة هود عليه السلام

(الر) (كتاب) يعني القرآن ، وهو خبر ابتداء مضمر (أحكمت) أى أتقنت فهو من الإحكام للشيء (ثم فصلت) قيل معناه بينت وقيل قطعت سورة سورة ، وثم هنا ليست للترتيب فى الزمان ، وإنما هي لترتيب الأحوال : كقولك فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل (ألا تعبدوا إلا الله) أن مفسرة وقيل مصدرية فى موضع مفعول من أجله ، أو بدل من الآيات أو يكون كلاما مستأنفا منقطعا عما قبله على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويدل على ذلك قوله إننى لكم منه نذير وبشير (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) أى استغفروه مما تقدم من الشرك والمعاصى ، ثم ارجعوا إليه بالطاعة والاستقامة عليها (يمتعكم متاعا حسنا) أى ينفعكم فى الدنيا بالأرزاق ، والنعم ، والخيرات ، وقيل هو طيب عيش المؤمن برجائه فى الله ورضاه بقضائه ، لأن الكافر قد يتمتع فى الدنيا بالأرزاق (إلى أجل مسمى) يعنى إلى الموت (ويؤت كل ذى فضل فضله) أى يعطى فى الآخرة كل ذى عمل جزاء عمله ، والضمير يحتمل أن يعود على الله تعالى أو على ذى فضل (وإن تولوا) خطاب

Marfat.com

أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۞ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۞ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۞ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَآ

للناس وهو فعل مستقبل حذفت منه إحدى التاءين (عذاب يوم كبير) يعني يوم القيامة أو غيره كيوم بدر (ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه) قيل كان الكفار إذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يردون إليه ظهورهم لئلا يرونه من شدة البغض والعداوة، والضمير فى منه على هذا يعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل إن ذلك عبارة عما تنطوى عليه صدورهم من البغض والغل. وقيل هو عبارة عن إعراضهم لأن من أعرض عن شىء انثنى عنه وانحرف والضمير فى منه على هذا يعود على الله تعالى أى يريدون أن يستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله ولا المؤمنون على ما فى قلوبهم (ألا حين يستغشون ثيابهم) أى يجعلونها أغشية وأغطية كراهية لاستماع القرآن، والعامل فى حين يعلم ما يسرون، وقيل المعنى يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم، فيوقف عليه على هذا، ويكون يعلم استئنافا (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها) وعد وضمان صادق، فإن قيل: كيف قال على الله بلفظ الوجوب، وإنما هو تفضل، لأن الله لا يجب عليه شىء؟ فالجواب: أنه ذكره كذلك تأكيدا فى الضمان. لأنه لما وعد به صار واقعا لا محالة لأنه لا يخلف الميعاد (ويعلم مستقرها ومستودعها) المستودع صلب الأب والمستقر بطن المرأة وقيل المستقر المكان فى الدنيا والمستودع القبر (وكان عرشه على الماء) دليل على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض (ليبلوكم) أى ليختبركم اختبارا تقوم به الحجة عليكم، لأنه كان عالما بأعمالكم قبل خلقكم ويتعلق ليبلوكم بخلق (سحر مبين) يحتمل أن يشيروا إلى القرآن، أو إلى القول بالبعث يعنون أنه باطل كبطلان السحر (ولئن أخرنا عنهم العذاب) يحتمل أن يريد عذاب الدنيا أو الآخرة (إلى أمة معدودة) أى إلى وقت محدود (ليقولن ما يحبسه) أى أى شىء يمنع هذا العذاب الموعود به، وقولهم ذلك على وجه التكذيب والاستخفاف (ولئن أذقنا) الآية: ذم لمن يقنط عند الشدائد، ولمن يفتخر ويتكبر عند النعم، والرحمة هنا والنعماء يراد بهما الخيرات الدنيوية، والإنسان عام يراد به الجنس والاستثناء على هذا متصل، وقيل المراد بالإنسان الكافر فالاستثناء منقطع (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك)

أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن

الآية : كان الكفار يقترحون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتى بكنز أو يأتى معه ملك ، وكانوا يستهزؤون بالقرآن فقال الله تعالى له : فلعلك تارك أن تلقى إليهم بعض ما أنزل إليك ويثقل عليك تبليغهم من أجل استهزائهم ، أولعلك يضيق صدرك من أجل أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، والمقصود بالآية تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عن قولهم حتى يبلغ الرسالة ، ولا يبالى بهم ، وإنما قال ضائق ، ولم يقل ضيق ليدل على اتساع صدره عليه السلام وقلة ضيقه (إنما أنت نذير) أى ليس عليك إلا الإنذار والتبليغ والله هو الوكيل الذى يقضى بما شاء من إيمانهم أو كفرهم (أم يقولون افتراه) أم هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة والضمير فى افتراه لما يوحى إليه (قل فأتوا بعشر سور مثله) تحداهم أولا بعشر سور فلما بان عجزهم تحداهم بسورة واحدة فقال فأتوا بسورة من مثله ، والمماثلة المطلوبة فى فصاحته وعلومه (مفتريات) صفة لعشر سور ، وذلك مقابلة لقولهم افتراه ، وليست المماثلة فى الافتراء (وادعوا من استطعتم) أى استعينوا بمن شئتم (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) فيها وجهان: أحدهما أن تكون مخاطبة من الله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين : أى إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتموهم إليه من معارضة القرآن فاعلموا أنه من عند الله ، وهذا على معنى دوموا على علمكم بذلك أو زيدوا يقينا به ، والثانى أن يكون خطابا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم للكفار أى إن لم يستجب من تدعونه من دون الله إلى شىء من المعارضة ولا قدر جميعكم عليه ؛ فاعلموا أنه من عند الله ، وهذا أقوى من الأول لقوله : فهل أنتم مسلمون ، ومعنى بعلم الله : بإذنه ، أو بما لا يعلمه إلا الله من الغيوب وقوله فهل أنتم مسلمون لفظه استفهام ، ومعناه استدعاء إلى الإسلام وإلزام للكفار أن يسلموا لما قام الدليل على صحة الإسلام لعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) الآية : نزلت فى الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة إذ هم لا يصدقون بها ، وقيل نزلت فى أهل الربا من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا حسبما ورد فى الحديث فى القارئ والمنفق والمجاهد الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك إنهم أول من تسعر بهم النار ، والأول أرجح لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقرآن فإنما قصد بهذه الآية أولئك (نوف إليهم أعمالهم فيها) نوف إليهم أجور أعمالهم بما يغبطهم فيها من الصحة والرزق ، والضمير فى فيها يعود على الدنيا والمجرور متعلق بقوله نوف أو بأعمالهم (وحبط ما صنعوا فيها) الضمير فى فيها هنا يعود على الآخرة إن تعلق المجرور بحبط ويعود على الدنيا إن تعلق بصنعوا (أفمن كان على بينة من ربه) الآية معادلة لما تقدم ، والمعنى أفمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه ، والمراد بمن كان على بينة من ربه : النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون لقوله بعد ذلك : أولئك يؤمنون به ، ومعنى البينة البرهان العقلى والأمر

رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ * ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا

الجلى (ويتلوه شاهد منه) الضمير فى يتلوه للبرهان وهو البينة ولمن كان على بينة من ربه ، والضمير فى منه للرب تعالى ، ويتلوه هنا بمعنى يتبعه والشاهد يريد به القرآن فالمعنى يتبع ذلك البرهان شاهد من الله وهو القرآن ، فيزيد وضوحه وتعظم دلالته ، وقيل إن الشاهد المذكور هنا هو علىّ بن أبى طالب (ومن قبله كتاب موسى) أى ومن قبل ذلك الكتاب الشاهد كتاب موسى ، وهو أيضاً دليل آخر متقدم ، وقد قيل أقوال كثيرة فى معنى هذه الآية وأرجحها ما ذكرنا (ومن الأحزاب) أى من أهل مكة (ويقول الأشهاد) جمع شاهد كأصحاب ، ويحتمل أن يكون من الشهادة فيراد به الملائكة والأنبياء أو من الشهود بمعنى الحضور ، فيراد به كل من حضر الموقف (ويبغونها عوجا) أى يطلبون اعوجاجها أو يصفونها بالاعوجاج (لم يكونوا معجزين) أى لا يفلتون (يضاعف لهم العذاب) إخبار عن تشديد عذابهم وليس بصفة لأولياء (ما كانوا يستطيعون السمع) الآية : ما نافية والضمير للكفار ، والمعنى وصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون كقوله : ختم الله على قلوبهم الآية ، وقيل غير ذلك ، وهو بعيد (لاجرم) أى لابد ولا شك (أخبتوا) أى خشعوا وقيل أنابوا (مثل الفريقين) يعنى المؤمنين والكافرين (كالأعمى والأصم والبصير والسميع) شبه الكفار بالأعمى والأصم ، وشبه المؤمنين بالبصير والسميع فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثالين ، وتمثيل للكافرين بمثالين ، وقيل التقدير كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع ، فالواو لعطف الصفات فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثال واحد وهو من جمع بين السمع والبصر ، وتمثيل للكفار بمثال واحد وهو من جمع بين العمى والصمم (عذاب يوم أليم) وصف اليوم بالأليم على وجه المجاز لوقوع الألم فيه (أراذلنا) جمع أرذل وهم سفلة الناس ، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم جهلا منهم واعتقاد أن الشرف هو بالمال

Marfat.com

بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ۞ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ۞ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۞ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ۞ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن

والجاه ، وليس الأمر كما اعتقدوا ، بل المؤمنون كانوا أشرف منهم على حال فقرهم وخمولهم فى الدنيا ، وقيل إنهم كانوا حاكة وحجامين ، واختار ابن عطية أنهم أرادوا أنهم أراذل فى أفعالهم لقول نوح : وما علمى بما كانوا يعملون (بادى الرأى) أى أول الرأى من غير نظر ولا تدبير ، وبادى منصوب على الظرفية . أصله وقت حدوث أول رأيهم ، والعامل فيه اتبعوك على أصح الأقوال ، والمعنى اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبت ، وقيل هو صفة لبشرا مثلنا : أى غير مثبت فى الرأى (ومانرى لكم علينا من فضل) أى من مزية وشرف ، والخطاب لنوح عليه السلام ومن معه (على بينة من ربى) أى على برهان وأمر جلىّ ، وكذلك فى قصة صالح وشعيب (وآتانى رحمة من عنده) يعنى النبوة (فعميت عليكم) أى خفيت عليكم ، والفاعل على هذا البينة أو الرحمة (أنلزمكموها) أى أنكرهكم على قبولها قهرا وهذا هو جواب أرأيتم : ومعنى الآية أن نوحا عليه السلام قال لقومه أرأيتم إن هدانى الله وأضلكم أأجبركم على الهدى وأنتم له كارهون (لا أسألكم عليه مالا) الضمير فى عليه عائد على التبليغ (وما أنا بطارد الذين آمنوا) يقتضى أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء (إنهم ملاقوا ربهم) المعنى أنه يجازيهم على إيمانهم (من ينصرنى من الله إن طردتهم) أى من يدفع عنى عقاب الله إن ظلمتهم بالطرد (ولا أقول لكم عندى خزائن الله) الآية : أى لا أدعى ماليس لى فتنكرون قولى (تزدرى) أى تحتقر من قولك زريت الرجل إذا قصرت به ، والمراد بالذين تزدرى أعينهم ضعفاء المؤمنين (إنى إذا لمن الظالمين) أى إن قلت المؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا ، والخير هنا يحتمل أن يريد به خير الدنيا والآخرة (جادلتنا) الجدال هو المخاصمة والمراجعة فى الحجة (فأتنا بما تعدنا) أى بالعذاب (ولا ينفعكم نصحى) الآية : جزاء قوله إن أردت أن أنصح لكم ، هو مادل عليه قوله نصحى وجزاء قوله إن كان الله يريد أن يغويكم : هو مادل عليه قوله لا ينفعكم نصحى ، فتقديرها : إن أراد الله أن يغويكم لن ينفعكم نصحى إن نصحت لكم ، ثم استأنف قوله هو ربكم ، ولا يجوز أن يكون ربكم هو جواب الشرط (أم يقولون افتراه) الآية : الضمير فى يقولون لكفار قريش ، وفى افتراه لمحمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، هذا قول جميع المفسرين ، واختار

Marfat.com

قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۝ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ

ابن عطية أن تكون فى شأن نوح عليه السلام ، فيكون الضمير فى يقولون لقوم نوح . وفى افترائه لنوح لئلا يعترض مابين قصة نوح بغيرها وهو بعيد (إجرامى) أى ذنبى (فلا تبتئس) أى فلا تحزن (واصنع الفلك بأعيننا) أى تحت نظرنا وحفظنا (ووحينا) أى وتعليمنا لك كيف تصنع الفلك (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) أى لاتشفع لى فيهم ، فإنى قد قضيت عليهم بالغرق (كلما) يحتمل أن يكون جوابها سخروا منه . أو قال إن تسخروا (فسوف تعلمون) تهديد ومن يأتيه منصوب بتعلمون (عذاب يخزيه) هو الغرق والعذاب المقيم عذاب النار (حتى إذا جاء أمرنا) غاية لقوله ويصنع الفلك (وفار التنور) أى فار بالماء وجعل الله تلك العلامة لنوح ليركب حينئذ فى السفينة ، والمراد بالتنور الذى يوقد فيه عند ابن عباس وغيره ، وروى أنه كان تنور آدم خلص إلى نوح ، وقيل التنور وجه الأرض (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) المراد بالزوجين الذكر والأنثى من الحيوان ، وقرئ من كل بغير تنوين فعمل احمل فى اثنين ومن قرأ بالتنوين عمل احمل فى زوجين وجعل اثنين نعت له على جهة التأكيد (وأهلك) أى قرابتك ، وهو معطوف على ماعمل فيه احمل (إلا من سبق عليه القول) أى من قضى عليه بالعذاب فهو مستثنى من أهله ، والمراد بذلك ابنه الكافر وامرأته (ومن آمن) معطوف على أهلك ، أى احمل أهلك ومن آمن من غيرهم (وما آمن معه إلا قليل) قيل كانوا ثمانين وقيل عشرة وقيل ثمانية (وقال اركبوا فيها) الضمير فى قال لنوح ، والخطاب لمن كان معه ، والضمير فى فيها للسفينة ، وروى أنهم ركبوا فيها أول يوم من رجب ، واستقرت على الجودى يوم عاشوراء (بسم الله مجراها ومرساها) اشتقاق مجراها من الجرى ، واشتقاق مرساها من الإرساء ، وهو الثبوت . أو من وقوف السفينة . ويمكن أن يكونا ظرفين الزمان أو المكان ، أو مصدرين ، ويحتمل الإعراب من وجهين : أحدهما أن يكون اسم الله فى موضع الحال من الضمير فى اركبوا ، والتقدير اركبوا متبركين باسم الله أو قائلين بسم الله ، فيكون مجراها ومرساها على هذا ظرفين للزمان بمعنى وقت إجرائها وإرسائها أو ظرفين للمكان ، ويكون العامل فيه مافى قوله بسم الله من معنى الفعل فى موضع خبر ويكون قوله بسم الله متصلا مع ماقبله ، والجملة كلام واحد ، والوجه الثانى : أن يكون كلامين فيوقف على اركبوا فيها ويكون بسم الله فى موضع خبر ، ومجراها ومرساها مبتدأ بمعنى المصدر أى إجراؤها وإرساؤها ويكون بسم الله على هذا مستأنفا غير متصل بما قبله ولكنه من كلام نوح حسبما روى أن نوحا كان إذا أراد أن يجرى بالسفينة قال بسم الله فتجرى ، وإذا أراد وقوفها قال بسم الله فتقف (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال) روى أن الماء طبق مابين السماء والأرض فصار الكل

Marfat.com

كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يبنى اركب معنا ولا تكن مع الكفرين * قال سآوى إلى جبل
يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين *
وقيل يأرض ابلعى ماءك ويسماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً
للقوم الظلمين * ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحكمين *
قال ينوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صلح فلا تسئلن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من
الجهلين * قال رب إنى أعوذ بك أن أسئلك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخسرين *
قيل ينوح اهبط بسلم منا وبركت عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب

كالبحر قال ابن عطية وهذا ضعيف ، وأين كان الموج كالجبال على هذا . وصوبه الزمخشرى ، وقال كانت تجرى فى موج كالجبال قبل التطبيق ، وقبل أن يغمر الماء الجبال (ونادى نوح ابنه) كان اسمه كنعان ، وقيل يام وكان له ثلاث بنون سواه وهم سام وحام ويافث ، ومنهم تناسل الخلق (فى معزل) أى فى ناحية (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) يحتمل أربعة أوجه : أحدها أن يكون عاصم اسم فاعل ومن رحم كذلك بمعنى الراحم فالمعنى لا عاصم إلا الراحم وهو الله تعالى . والثانى أن يكون عاصم بمعنى ذى عصمة أى معصوم ومن رحم : بمعنى مفعول أى من رحم الله . فالمعنى لا معصوم إلا من رحمه الله ، والاستثناء على هذين الوجهين متصل ، والثالث أن يكون عاصم اسم فاعل ومن رحم بمعنى المفعول ، والمعنى لا عاصم من أمر الله لكن من رحمه الله فهو المعصوم ، والرابع عكسه والاستثناء على هذين منقطع (ابلعى ماءك) عبارة عن جفوف الأرض من الماء (أقلعى) أى أمسكى عن المطر وروى أنها أمطرت من كل موضع منها (وغيض الماء) أى نقص (وقضى الأمر) أى تم وكمل (واستوت على الجودى) أى استقرت السفينة على الجودى وهو جبل بالموصل (وقيل بعداً) أى هلاكا ، وانتصب على المصدر (ونادى نوح ربه) يحتمل أن يكون هذا النداء قبل الغرق فيكون العطف من غير ترتيب ، أو يكون بعده (قال رب إن ابنى من أهلى) أى وقد وعدتنى أن تنجى أهلى (قال يانوح إنه ليس من أهلك) أى ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم ، لأنه كافر ، وقال الزمخشرى : لم يكن ابنه ولكنه خانته أمه ، وكان لغير رشده وهذا ضعيف . لأن الأنبياء عليهم السلام قد عصمهم الله من أن تزنى نساؤهم ولقوله ونادى نوح ابنه (إنه عمل غير صالح) فيه ثلاث تأويلات على قراءة الجمهور : أحدها أن يكون الضمير فى إنه لسؤال نوح نجاة ابنه ، والثانى أن يكون الضمير لابن نوح وحذف المضاف من الكلام تقديره إنه ذو عمل غير صالح ، والثالث أن يكون الضمير لابن نوح ، وعمل : مصدر وصف به مبالغة كقولك رجل صوم ، وقرأ الكسائى عمل بفعل ماض وغير صالح بالنصب ، والضمير على هذا لابن نوح بلا إشكال (فلا تسألن ما ليس لك به علم) أى لا تطلب منى أمراً لا تعلم أصواب هو أم غير صواب ، حتى تقف على كنهه ، فإن قيل : لم سمى نداءه سؤالا ، ولا سؤال فيه ؟ فالجواب أنه تضمن السؤال وإن لم يصرح به (إنى أعظك أن تكون من الجاهلين) أن فى موضع مفعول من أجله تقديره أعظك كراهة أن تكون من الجاهلين ، وليس فى ذلك وصف له بالجهل ، بل فيه

Marfat.com

أليم * تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة
للمتقين * وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون * يا قوم
لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون * ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه
يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين * قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن
بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد
الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي
وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم * فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت
به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ * ولما جاء أمرنا نجينا

ملاطفة وإكرام (اهبط بسلام منا) أى اهبط من السفينة بسلامة (وعلى أمم ممن معك) أى ممن معك فى السفينة واختار الزمخشرى أن يكون المعنى من ذرية من معك ، ويعنى به المؤمنين إلى يوم القيامة ، فمن على هذا لابتداء الغاية ، والتقدير على أمم ناشئة ممن معك ، وعلى الأول تكون من لبيان الجنس (وأمم سنمتعهم) يعنى نمتعهم متاع الدنيا وهم الكفار إلى يوم القيامة (تلك من أنباء الغيب) إشارة إلى القصة ، وفى الآية دليل على أن القرآن من عند الله لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يعلم ذلك قبل الوحى (إن أنتم إلا مفترون) يعنى فى عبادتهم لغير الله (يرسل السماء عليكم مدرارا) السماء هنا المطر ومدرارا بناء تكثير من الدر يقال در المطر واللبن وغيره ، وفى الآية دليل على أن الاستغفار والتوبة سبب لنزول الأمطار ، وروى أن عادا كان حبس عنهم المطر ثلاث سنين ، فأمرهم بالتوبة والاستغفار ووعدهم على ذلك بالمطر ، والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الكفر ، ثم عن الذنوب ، لأن التوبة من الذنوب لا تصح إلا بعد الإيمان (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أى بمعجزة ، وذلك كذب منهم وجحود أو يكون معناه بآية تضطرنا إلى الإيمان بك ، وإن كان قد أتاهم بآية نظرية (عن قولك) أى بسبب قولك (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) معناه ما نقول إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون لما سببتها ونهيتنا عن عبادتها (فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون) هذا أمر بمعنى التعجيز أى لا تقدرون أنتم ولا آلهتكم على شىء ، ثم ذكر سبب قوته فى نفسه وعدم مبالاته بهم ، فقال إنى توكلت على الله الآية (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) أى هى فى قبضته وتحت قهره ، والأخذ بالناصية تمثيل لذلك ، وهذه الجملة تعليل لقوة توكله على الله وعدم مبالاته بالخلق (إن ربى على صراط مستقيم) يريد أن أفعال الله جميلة وقوله صدق ووعده حق ، فالاستقامة تامة (فإن تولوا فقد أبلغتكم) أصل تولوا هنا تتولوا لأنه فعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة ، فإن قيل : كيف وقع الإبلاغ جوابا للشرط ، وقد كان الإبلاغ قبل التولى ؟ فالجواب : أن المعنى إن تولوا فلا عتب على لأنى قد أبلغتكم رسالة ربى (ولا تضرونه شيئا) أى لا تنقصونه شيئا : أى إذا أهلككم واستخلف غيركم (ولما جاء أمرنا) إن قيل

Marfat.com

هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ
وَاتَّبَعُوٓا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ وَأُتْبِعُوا فِى هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا
لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۝ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ
وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝ قَالُوا يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ
أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ۝ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ
لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۝ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا
فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۝ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ
خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُ ۝ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ
أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ۝ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن

لم قال هنا وفى قصة شعيب ولما بالواو وقال فى قصة صالح ولوط فلما بالفاء؟ فالجواب على ماقال الزمخشرى أنه وقع ذلك فى قصة صالح ولوط بعد الوعيد فجىء بالفاء التى تقتضى التسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد بخلاف قصة هود وشعيب، فإنه لم يتقدم ذلك فيهما فعطف بالواو (ونجيناهم من عذاب غليظ) يحتمل أن يريد به عذاب الآخرة، ولذلك عطفه على النجاة الأولى التى أراد بها النجاة من الريح، ويحتمل أن يريد بالثانى أيضا الريح، وكرره إعلاما بأنه عذاب غليظ، وتعديدا للنعمة فى نجاتهم (وعصوا رسله) فى جميع الرسل هنا وجهان: أحدهما أن من عصى رسولا واحدا لزمه عصيان جميعهم فإنهم متفقون على الإيمان بالله وعلى توحيده، والثانى أن يراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرسا واحدا (ألا إن عادا كفروا ربهم) هذا تشنيع لكفرهم وتهويل بحرف التنبيه وبتكرار اسم عاد (ألا بعدا) أى هلاكا وهذا دعاء عليهم وانتصابه بفعل مضمر، فإن قيل: كيف دعا عليهم بالهلاك بعد أن هلكوا؟ فالجواب أن المراد أنهم أهل لذلك (لعاد قوم هود) بيان لأن عادا اثنان: إحداهما قوم هود، والأخرى إرم (هو أنشأكم من الأرض) لأن آدم خلق من تراب (واستعمركم فيها) أى جعلكم تعمرونها، فهو من العمران للأرض، وقيل هو من العمر نحو استبقاكم من البقاء (قد كنت فينا مرجوا) أى كنا نرجو أن ننتفع بك حتى قلت ماقلت، وقيل المعنى كنا نرجو أن تدخل فى ديننا (فى داركم) أى بلدكم (ثلاثة أيام) قيل إنها الخميس والجمعة والسبت، لأنهم عقروا الناقة يوم الأربعاء، وأخذهم العذاب يوم الأحد (ومن خزى يومئذ) معطوف على نجينا أى نجيناهم من خزى يومئذ (جاثمين) ذكر فى الأعراف (كأن لم يغنوا فيها) أى كأن لم يقيموا فيها والضمير للدار، وكذلك فى قصة شعيب (ولقد جاءت رسلنا) الرسل هنا الملائكة (إبراهيم بالبشرى)

جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝ فَلَمَّا رَءَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۝ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۝ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۝ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ۝ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۝ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝

بشروه بالولد (قالوا سلاما) نصب على المصدر والعامل فيه فعل مضمر تقديره سلمنا عليكم سلاما (قال سلام) تقديره عليكم سلام وسلام عليكم ، وهذا على أن يكون بمعنى التحية ، وإنما رفع جوابه ليدل على إثبات السلام، فيكون قد حياهم بأحسن مما حيوه ، ويحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة ، ونصب الأول لأنه بمعنى الطلب ، ورفع الثانى لأنه فى معنى الخبر (فما لبث أن جاء) أى ما لبث مجيئه بل عجل وما نافية وأن جاء فاعل لبث (بعجل حنيذ) أى مشوى ، وفعيل هنا بمعنى مفعول (نكرهم) أى أنكرهم ولم يعرفهم ، يقال نكر وأنكر بمعنى واحد (وأوجس منهم خيفة) قيل إنه لم يعرفهم فخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه ، وقيل عرف أنهم ملائكة ولكن خاف أن يكونوا أرسلوا بما يخاف فأمنوه بقولهم لا تخف (وامرأته قائمة) قيل قائمة خلف الستر ، وقيل قائمة فى الصلاة ، وقيل قائمة تخدم القوم ، واسمها سارة (فضحكت) قيل معناه حاضت وهو ضعيف . وقال الجمهور هو الضحك المعروف واختلفوا من أى شىء ضحكت ، فقيل سرورا بالولد الذى بشرت به ففى الكلام على هذا تقديم وتأخير وقيل سرورا بالأمن بعد الخوف ، وقيل سرورا بهلاك قوم لوط (فبشرناها بإسحاق) أسند البشارة إلى ضمير الله تعالى ، لأنها كانت بأمره (ومن وراء إسحاق يعقوب) أى من بعده وهو ولده ، وقيل الوراء ولد الولد ويعقوب بالرفع مبتدأ ، وبالفتح معطوف على إسحاق (قالت يا ويلتا) الألف فيه مبدلة من ياء المتكلم ، وكذلك فى يا لهفى ويا أسفى ويا عجبا ، ومعناه التعجب من الولادة ، وروى أنها كانت حينئذ بنت تسع وتسعين سنة ، وإبراهيم ابن مائة سنة (رحمة الله وبركاته عليكم) يحتمل الدعاء والخبر (أهل البيت) أى أهل بيت إبراهيم ، وهو منصوب بفعل مضمر على الاختصاص أو منادى (حميد) أى محمود (مجيد) من المجد وهو العلو والشرف (أيجادلنا) هو جواب لما على أن يكون المضارع فى موضع الماضى أو على تقدير ظل أو أخذ يجادلنا ويكون يجادلنا مستأنفا والجواب محذوف ، ومعنى جداله كلامه مع الملائكة فى رفع العذاب عن قوم لوط ، وقد ذكر فى اللغات (حليم) وفى براءة أواه (يا إبراهيم أعرض عن هذا) أى قلنا يا إبراهيم أعرض عن هذا يعنى عن المجادلة فيهم فقد نفذ القضاء بعذابهم (ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم) الرسل هم الملائكة ومعنى سىء بهم أصابه سوء وضجر لما ظن أنه من بنى آدم وخاف عليهم من قومه (يوم عصيب) أى شديد (وجاءه قومه يهرعون إليه) أى يسرعون وكانت امرأة لوط قد أخبرتهم بنزول الأضياف عنده ، فأسرعوا ليعملوا بهم عملهم الخبيث (من قبل كانوا يعملون السيئات) أى كانت عادتهم إتيان الفواحش فى الرجال (قال يا قوم هؤلاء بناتى) المعنى فتزوجوهن ،

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۞ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۞
قَالُوا يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ
مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۞ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۞ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ
يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۞ وَيَـٰقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ

وإنما قال ذلك لبقى أضيافه ببناته ، وقيل اسم بناته الواحدة رثيا ، والأخرى غوثا وأن اسم امرأته الهالكة والهة ، واسم امرأة نوح والقة (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) أى مالنا فيهم أرب (وإنك لتعلم مانريد) يعنون نكاح الذكور (قال لو أن لى بكم قوة) جواب لو محذوف تقديره : لو كانت لى قدرة على دفعكم لفعلت ، ويحتمل أن تكون لو للتمنى (أو آوى إلى ركن شديد) معنى آوى ألجأ ، والمراد بالركن الشديد ما يلجأ إليه من عشيرة وأنصار يحمونه من قومه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يرحم الله أخى لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد : يعنى إلى الله والملائكة (قالوا يالوط إنا رسل ربك) الضمير فى قالوا للملائكة ، والضمير فى لن يصلوا لقوم لوط ، وذلك أن الله طمس على أعينهم حينئذ (فأسر بأهلك) أى اخرج بهم بالليل ، فإن العذاب ينزل بأهل هذه المدائن ، وقرئ فاسر بوصل الألف وقطعها ، وهما لغتان يقال سرى وأسرى (بقطع من الليل) أى قطعة منه (ولا يلتفت منكم أحد) نهوا عن الالتفات لئلا تتفطر أكبادهم على قريتهم ، وقيل يلتفت معناه يلتوى (إلا امرأتك) قرئ بالنصب والرفع ، فالنصب استثناء من قوله فأسر بأهلك ، فيقتضى هذا أنه لم يخرجها مع أهله ، والرفع بدل من ولا يلتفت منكم أحد ، وروى على هذا أنه أخرجها معه ، وأنها التفتت وقالت ياقوماه فأصابها حجر فقتلها (إن موعدهم الصبح) أى وقت عذابهم الصبح (أليس الصبح بقريب) ذكر أنهم لما قالوا إن موعدهم الصبح قال لهم لوط هلا عذبوا الآن ، فقالوا له أليس الصبح بقريب (جعلنا عاليها سافلها) الضمير المدائن روى أن جبريل أدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط واقتلعها فرفعها حتى سمع أهل السماء صراخ الديكة ونباح الكلاب ، ثم أرسلها مقلوبة (وأمطرنا عليها حجارة) أى على المدائن ، والمراد أهلها روى أنه من كان منهم خارج المدائن أصابته حجارة من السماء ، وأما من كان فى المدائن فهلك لما قلبت (من سجيل) قيل معناه من ماء وطين ، وإنما كان من الآجر المطبوخ وقيل من سجله إذا أرسله ، وقيل هو لفظ أعجمى (منضود) أى مضموم بعضه فوق بعض (مسومة عند ربك) معناه معلمة بعلامة ، روى أنه كان فيها بياض وحمرة ، وقيل كان فى كل حجر اسم صاحبه (وماهى من الظالمين ببعيد) الضمير للحجارة والمراد بالظالمين كفار قريش ، فهذا تهديد لهم أى ليس الرمى بالحجارة ببعيد منهم لأجل كفرهم ، وقيل الضمير للمدائن ، فالمعنى ليست ببعيدة منهم أفلا يعتبرون بها كقوله «ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء» وقيل إن الظالمين على العموم (إنى أراكم بخير) يعنى رخص الأسعار وكثرة الأرزاق (عذاب

مُفْسِدِينَ ۝ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ۝ قَالُوا يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ۝ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝ وَيَـٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَـٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ۝ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَيَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۝ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟

يوم محيط) يوم القيامة أو يوم عذابهم في الدنيا (بقيت الله خير لكم) أى ما أبقاه الله لكم من رزقه ونعمته (أصلاتك تأمرك) الصلاة هى المعروفة ونسب الأمر إليها مجاز كقوله «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» والمعنى أصلاتك تأمرك أن نترك عبادة الأوثان ، وإنما قال الكفار هذا على وجه الاستهزاء (أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء) يعنون ما كانوا عليه من بخس المكيال والميزان ، وأن نفعل عطف على أن نترك (إنك لأنت الحليم الرشيد) قيل إنهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء ، وقيل معناه الحليم الرشيد عند نفسك (ورزقنى منه رزقا حسنا) أى سالما من الفساد الذى أدخلتم أنتم فى أموالكم ، وجواب أرأيتم محذوف يدل عليه المعنى وتقديره : أرأيتم إن كنت على بينة من ربى أيصلح لى ترك تبليغ رسالته (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) يقال خالفنى فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه ، وخالفنى عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده (وياقوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح) أى لا يكسبنكم عداوتى أن يصيبكم مثل عذاب الأمم المتقدمة ، وشقاقى فاعل . وأن يصيبكم مفعول (وما قوم لوط منكم ببعيد) يعنى فى الزمان لأنهم كانوا أقرب الأمم الهالكين إليهم ، ويحتمل أن يراد ببعيد فى البلاد (ما نفقه) أى ما نفهم (وإنا لنراك فينا ضعيفا) أى ضعيف الانتصار والقدرة ، وقيل نحيل البدن ، وقيل أعمى (ولولا رهطك لرجمناك) الرهط القرابة والرجم بالحجارة أو بالسب (أرهطى أعز عليكم من الله) هذا توبيخ لهم فإن قيل إنما وقع كلامهم فيه وفى رهطه وأنهم هم الأعزة دونه فكيف طابق جوابه كلامهم ؟ فالجواب أن تهاونهم به وهو رسول الله تهاون بالله فلذلك قال أرهطى أعز عليكم من الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) الضمير فى اتخذتموه لله تعالى أو لدينه وأمره . والظهرى ما يطرح وراء الظهر ولا يعبأ به ، وهو منسوب إلى الظهر بتغيير النسب (اعملوا على مكانتكم) تهديد ومعنى مكانتكم تمكنكم فى الدنيا وعزتكم فيها (من يأتيه عذاب يخزيه) عذاب الدنيا والآخرة (وارتقبوا) تهديد (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أى

الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ۝ كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ۝ ولقد أرسلنا موسى
بآياتنا وسلطان مبين ۝ إلى فرعون وملإيه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ۝ يقدم قومه يوم
القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود ۝ وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ۝
ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ۝ وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم
آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب ۝ وكذلك أخذ ربك
إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ۝ إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم
مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما نؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم
شقي وسعيد * فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض
إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد * وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات
والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ * فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد

بالمعجزات (وسلطان مبين) أي برهان بين (يقدم قومه) أي يتقدم قدامهم في النار كما كانوا في الدنيا يتبعونه على الضلال والكفر (فأوردهم النار) الورود هنا بمعنى الدخول، وذكره بلفظ الماضي لتحقق وقوعه (ويوم القيامة) عطف على في هذه فإن المراد به في الدنيا (بئس الرفد المرفود) أي العطية المعطاة (قائم وحصيد) باق وداثر (فما أغنت عنهم آلهتهم) حجة على التوحيد ونفي الشريك (تتبيب) أي تخسير (يوم مجموع له الناس) أي يجمعون فيه للحساب والثواب والعقاب، وإنما عبر باسم المفعول دون الفعل ليدل على ثبوت الجمع لذلك اليوم. لأن لفظ مجموع أبلغ من لفظ يجمع (يوم مشهود) أي يحضره الأولون والآخرون (يوم يأت) العامل في الظرف لا تكلم أو فعل مضمر؛ وفاعل يأت ضمير يعود على يوم مشهود وقال الزمخشري يعود على الله تعالى كقوله «أو يأتي ربك» ويعضده عود الضمير عليه في قوله بإذنه (فمنهم شقي وسعيد) الضمير يعود على أهل الموقف الذين دل عليهم قوله لا تكلم نفس (زفير وشهيق) الزفير إخراج النفس، والشهيق رده وقيل الزفير صوت المحزون، والشهيق صوت الباكي، وقيل الزفير من الحلق، والشهيق من الصدر (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض) فيه وجهان أحدهما أن يراد به سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة أبدا، والآخر أن يكون عبارة عن التأبيد كقول العرب مالاح كوكب وماناح الحمام وشبه ذلك مما يقصد به الدوام (إلا ما شاء ربك) في هذا الاستثناء ثلاثة أقوال: قيل إنه على طريق التأدب مع الله كقولك إن شاء الله، وإن كان الأمر واجبا، وقيل المراد به زمان خروج المذنبين من النار، ويكون الذين شقوا على هذا يعم الكفار والمذنبين، وقيل استثنى مدة كونهم في الدنيا وفي البرزخ، وأما الاستثناء في أهل الجنة فيصح فيه القول الأول والثالث دون الثاني (غير مجذوذ) أي غير مقطوع (فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء) المرية الشك والإشارة إلى عبدة

ءاباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ۝ ولقد ءاتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة
سبقت من ربك لقضى بينهم وإنهم لفى شك منه مريب ۝ وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما
يعملون خبير ۞ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ۝ ولا تركنوا إلى الذين
ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ۝ وأقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من
الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ۞ واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ۝ فلولا
كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين
ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ۝ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ۞ ولو شاء ربك
لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ۝ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن

الأصنام أى لا تشك فى فساد دين هؤلاء. (مايعبدون إلا كما يعبد آباؤهم) أى هم متبعون لآبائهم تقليدا من غير برهان (وإنا لموفوهم نصيبهم) يعنى من العذاب (كلمة سبقت) يعنى القدر وذلك أن الله قضى أن يفصل بينهم يوم القيامة فلا يفصل فى الدنيا (وإن كلا) قرئ بتشديد إن وبتخفيفها، وإعمالها عمل الثقيلة، والتنوين فى كل عوضا من المضاف إليه يعنى كلهم، واللام فى لما موطئة للقسم، وما زائدة، وليوفينهم خبر إن. وقرئ لما بالتشديد على أن تكون إن نافية، ولما بمعنى إلا (ليوفينهم ربك أعمالهم) أى جزاء أعمالهم (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) يعنى الكفار، وقيل إنهم الظلمة من الولاة وغيرهم (ثم لا تنصرون) مستأنف غير معطوف، وإنما قال ثم لبعد النصرة (وأقم الصلاة) الآية: يراد بها الصلوات المفروضة. فالطرف الأول الصبح والطرف الثانى الظهر والعصر، والزلف من الليل المغرب والعشاء (إن الحسنات يذهبن السيئات) لفظه عام، وخصصه أهل التأويل بأن الحسنات الصلوات الخمس، ويمكن أن يكون ذلك على وجه التمثيل. روى أن رجلا قبل امرأة ثم ندم فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وصلى معه الصلاة؛ فنزلت الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم: أين السائل، فقال هاأنذا؛ فقال قد غفر لك. فقال الرجل ألى خاصة أو للمسلمين عامة، فقال بل للمسلمين عامة، والآية على هذا مدنية، وقيل إن الآية كانت قبل ذلك ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم للرجل مستدلا بها. فالآية على هذا مكية كسائر السورة، وإنما تذهب الحسنات عند الجمهور الصغائر إذا اجتنبت الكبائر (ذلك) إشارة إلى الصلوات، أو إلى كل ما تقدم من وعظ ووعد ووعيد (فلولا) تحضيض بمعنى هلا (أولوا بقية) أى أولو خير ودين بقى لهم دون غيرهم (إلا قليلا ممن أنجينا منهم) استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون ينهون عن الفساد فى الأرض، وقيل هو متصل فإن الكلام الذى قبله فى حكم النفى كأنه قال: ما كان فيهم من ينهى عن الفساد فى الأرض إلا قليلا، على أن الوجه فى مثل هذا البدل ويجوز فيه النصب (الذين ظلموا) يعنى الذين لم ينهوا عن الفساد (بظلم) هذا المجرور فى موضع الحال من ربك والمعنى أنه لا يهلك أهل القرى ظالما لهم، تعالى الله عن ذلك (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعنى مؤمنة لا خلاف

Marfat.com

جهنم من الجنة والناس أجمعين * وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين * وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون * وانتظروا إنا منتظرون ◦ ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ◦

سورة يوسف

مكية إلا الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٧ فمدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم * الر تلك آيات الكتاب المبين ◦ إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون ◦ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرءان وإن كنت من قبله لمن الغافلين ◦ إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ◦ قال يا بنى لا تقصص رءياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين ◦ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ءال يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل

بينهم فى الإيمان (ولا يزالون مختلفين) يعنى فى الأديان والملل والمذاهب (ولذلك خلقهم) قيل الإشارة إلى الاختلاف، وقيل إلى الرحمة وقيل إليهما (وكلا نقص) انتصب كلا بنقص وما بدل من كلا (وجاءك فى هذه الحق) الإشارة إلى السورة (اعملوا، وانتظروا) تهديدلهم وإقامة حجة عليهم

سورة يوسف عليه السلام

(الكتاب المبين) يعنى القرآن، والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين، فيكون غير متعد، أو يكون متعديا بمعنى أنه أبان الحق أى أظهره (لعلكم) يتعلق بأنزلناه أو بعربيا (أحسن القصص) يعنى قصة يوسف، أو قصص الأنبياء على الإطلاق، والقصص يكون مصدرا أو اسم مفعول بمعنى المقصوص، فإن أريد به هنا المصدر فمفعول نقص محذوف، لأن ذكر القرآن يدل عليه (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) الضمير فى قبله للقصص أى من الغافلين عن معرفته. وفى هذا احتجاج على أنه من عند الله لكونه جاء به من غير تعليم (إذ قال) العامل فيه اذكر المضمر. أو القصص (ياأبت) أى ياأبى والتاء للمبالغة، وقيل للتأنيث وكسرت دلالة على ياء المتكلم والتاء عوض من ياء المتكلم (رأيتهم لى ساجدين) كرر الفعل لطول الكلام وأجرى الكواكب والشمس والقمر مجرى العقلاء فى ضمير الجماعة لما وصفها بفعل من يعقل، وهو السجود وتأويل الكواكب فى المنام إخوته، والشمس والقمر أبواه؛ وسجودهم له تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو ملك (لا تقصص رؤياك على إخوتك) إنما قال ذلك لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته فخاف عليه من الحسد (يجتبيك) يختارك (ويعلمك من تأويل الأحاديث) قيل هى عبارة الرؤيا، واللفظ أعم من ذلك (آل يعقوب)

Marfat.com

إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ❋ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۞ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۞ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۞ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ❋ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۞ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۞ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۞ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۞ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۞

يعنى ذريته (آيات للسائلين) أى لمن سأل عنها ، روى أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف أو أمروا قريشا أن يسألوه عنها ، فهم السائلون على هذا . واللفظ أعم من ذلك (ليوسف وأخوه) هو بنيامين ، وهو أصغر من يوسف ، ويقال إنه شقيق يوسف ، وكان أصغر أولاد يعقوب (ونحن عصبة) أى جماعة نقدر على النفع والضر بخلاف الصغيرين ، والعصبة : العشرة فما فوقها إلى الأربعين (إن أبانا لفى ضلال مبين) أى خطأ وخروج عن الصواب بإفراط حبه ليوسف وأخيه (يخل لكم وجه أبيكم) أى لا يشارككم غيره فى محبته لكم وإقباله عليكم (قوما صالحين) أى بالتوبة والاستقامة وقيل هو صلاح حالهم مع أبيهم (قال قائل منهم) هو يهوذا ، وقيل روبيل (غيابت الجب) غوره وما غاب منه (السيارة) جمع سيار ، وهم القوم الذين يسيرون فى الأرض للتجارة ، وغيرها (إن كنتم فاعلين) أى هذا هو الرأى إن فعلتموه (مالك لاتأمنا على يوسف) أى لم تخاف عليه منا ، وقرأ السبع تأمنا ، بالإدغام والإشمام ، لأن أصله بضم النون الأولى (يرتع) من قرأه بكسر العين فهو من الرعى أى من رعى الإبل ، أو من رعى بعضهم لبعض ، وحراسته ، ومن قرأه بالإسكان ، فهو من الرتع وهو الإقامة فى الخصب والتنعم ، والتاء على هذا أصلية ، ووزن الفعل يفعل ، ووزنه على الأول نفتعل ، ومن قرأ يرتع ويلعب بالياء فالضمير ليوسف ، ومن قرأ بالنون فالضمير للمتكلمين وهم إخوته ، وإنما قالوا نلعب ، لأنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء ، وكان اللعب من المباح للتعلم كالمسابقة بالخيل (وأجمعوا) أى عزموا ، وجواب لما محذوف ، وقيل إنه أجمعوا ، أو وأوحينا على زيادة الواو (وأوحينا) يحتمل أن يكون هذا الوحى بواسطة ملك ، أو بإلهام ، والضمير فى إليه ليوسف ، وقيل ليعقوب والأول هو الصحيح ، (وهم لا يشعرون) فى موضع الحال من لتنبئنهم أى لا يشعرون حين تنبئهم فيكون خطابا ليوسف عليه السلام ، أو من أوحينا أى لا يشعرون حين أوحينا إليه فيكون خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم (نستبق) أى نجرى على أقدامنا لننظر أينا يسبق (وما أنت بمؤمن لنا) أى بمصدق لمقالتنا (ولو كنا صادقين) أى لا تصدقنا ولو كنا عندك من أهل الصدق ، فكيف وأنت تتهمنا ، وقيل معناه لا تصدقنا وإن

Marfat.com

وَجَآءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ

كنا صادقين فى هذه المقالة ، فذلك على وجه المغالطة منهم ، و لأول أظهر (وجاؤا على قميصه بدم كذب أى ذى كذب أو وصف بالمصدر مبالغة ، وروى أنهم لطخوا قميصه بدم جدى ، وقالوا ليعقوب هذا دمه فى قميصه فقال لهم : مال الذئب أكله ولم يخرق قميصه ، فاستدل بذلك على كذبهم (سولت) أى زينت (فصبر جميل) وعد من نفسه بالصبر ، وارتفاعه على أنه مبتدأ تقديره صبر جميل أمثل ، أو خبر مبتدإ تقديره شأنى صبر جميل (وجاءت سيارة) روى أن هؤلاء السيارة من مدين ، وقيل هم أعراب (واردهم) الوارد هوالذى يستقى الماء لجماعة ، ونقل السهيلى أن اسم هذا الواردمالك بن دعر من العرب العاربة ، ولم يكن له ولد فسأل يوسف أن يدعو له بالولد فدعا له فرزقه الله اثنى عشر ولدا ، أعقب كل واحد منهم قبيلة (قال يابشراى) أى نادى البشرى كقولك ياحسرة ، وأضافها إلى نفسه ، وقرئ يابشرى بحذف ياء المتكلم ، والمعنى كذلك وقيل على هذه القراءة نادى رجلا منهم اسمه بشرى ، وهذا بعيد ، ولما أدلى الوارد الحبل فى الجب تعلق به يوسف فحينئذ قال يابشراى هذا غلام (وأسروه بضاعة) الضمير الفاعل للسيارة والضمير المفعول ليوسف أى أخفوه من الرفقة ، أوقالوا لهم دفعه لنا قوم لنبيعه لهم بمصر (وشروه) أى باعوه ، والضمير أيضا الذين أخذوه ، وقيل الضمير لإخوة يوسف وأنهم رجعوا إليه فقالوا للسيارة هذا عبدنا (بثمن بخس) أى ناقص عن قيمته ، وقيل البخس هنا الظلم (دراهم معدودة) عبارة عن قلتها (وكانوا) الضمير الذين أخذوه أو لإخوته (وقال الذى اشتراه) يعنى العزيز ، وكان حاجب الملك وخازنه ، وقال السهيلى اسمه قطفير (من مصر) هو البلد المعروف ، ولذلك لم ينصرف ، وكان يوسف قد سبق إلى مصر فنودى عليه فى السوق حتى بلغ ثمنه ووزنه ذهبا ، وقيل فضة فاشتراه العزيز (تأويل الأحاديث) قد تقدم (والله غالب على أمره) فى عود الضمير وجهان : أحدهما أن يعود على الله فالمعنى أنه يفعل مايشاء لا راد لأمره ، والثانى أنه يعود على يوسف أى يدبر الله أمره بالحفظ له والكرامة (بلغ أشده) قيل الأشد البلوغ ، وقيل ثمان عشرة سنة ؛ وقيل ثلاث وثلاثون ، وقيل أربعون (حكما) هى الحكمة والنبوة (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) أى طلبت منه مايكون من الرجل إلى المرأة وهى زليخا امرأة العزيز (وغلقت الأبواب) روى أنها كانت سبعة أبواب (هيت لك) اسم فعل معناه تعال وأقبل ، وقرئ بفتح الهاء وكسرها وبفتح التاء وضمها . والمعنى فى ذلك كله واحد ، وحركة التاء للبناء ، وأمامن قرأ بالهمز فهوفعل من تهيأت كقولك جئت

مَثْوَاىَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ ۝ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۝ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ

(معاذ الله) منصوب على المصدرية ، والمعنى أعوذ بالله (إنه ربى) يحتمل أن يكون الضمير لله تعالى ، أو للذى اشتراه ؛ لأن السيد يقال له رب ، فالمعنى لا ينبغى لى أن أخونه (إنه لا يفلح الظالمون) الضمير للأمر والشأن، ويحتمل ذلك فى الأول أى الضمير (ولقد همت به وهمّ بها) أكثر الناس الكلام فى هذه الآية حتى ألفوا فيها التآليف ، فمنهم مفرط ومفرط ، وذلك أن منهم من جعل همّ المرأة وهمّ يوسف من حيث الفعل الذى أرادته وذكروا فى ذلك روايات من جلوسه بين رجليها وحله التكة وغير ذلك مما لا ينبغى أن يقال به لضعف نقله ولنزاهة الأنبياء عن مثله ، ومنهم من جعل أنها همت به لتضربه على امتناعه وهم بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها وهو بعيد يرده قوله لولا أن رأى برهان ربه ، ومنهم من جعل همها به من حيث مرادها وهمه بها ليدفعها ، وهذا أيضا بعيد لاختلاف سياق الكلام ، والصواب إن شاء الله : أنها همت به من حيث مرادها وهمّ بها كذلك لكنه لم يعزم على ذلك ولم يبلغ إلى ماذكر من حل التكة وغيرها بل كان همه خطرة خطرت على قلبه لم يطعها ولم يتابعها ، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى برهان ربه ، ولا يقدح هذا فى عصمة الأنبياء لأن الهم بالذنب ليس بذنب ولا نقص عليه فى ذلك ، فإنه من همّ بذنب ثم تركه كتبت له حسنة (لولا أن رأى برهان ربه) جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها ، وإنما حذف لأن قوله همّ بها يدل عليه ، وقد قيل إن « هم بها » هو الجواب ، وهذا ضعيف لأن جواب لولا لا يتقدم عليها ، واختلف فى البرهان الذى رآه ، فقيل ناداه جبريل يا يوسف أتكون فى ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء ، وقيل رأى يعقوب ينهاه ، وقيل تفكر فاستبصر ، وقيل رأى زليخا غطت وجه صنم لها حياء منه ، فقال أنا أولى أن أستحى من الله (كذلك لنصرف) الكاف فى موضع نصب متعلقة بفعل مضمر ، التقدير ثبتناه مثل ذلك التثبيت ، أو فى موضع رفع تقديره الأمر مثل ذلك (السوء والفحشاء) خيانة سيده والوقوع فى الزنا (المخلصين) قرئ بفتح اللام حيث وقع أى الذين أخلصهم الله لطاعته ، وبالكسر أى الذين أخلصوا دينهم لله (واستبقا الباب) معناه سبق كل واحد منهما صاحبه إلى الباب فقصد هو الخروج والهروب عنها ، وقصدت هى أن ترده ، فإن قيل كيف قال هنا الباب بالإفراد وقد قال بالجمع وغلقت الأبواب ؟ فالجواب أن المراد هنا الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار (وقدت قميصه من دبر) أى قطعته من ورائه ، وذلك أنها قبضت قميصه من خلفه لترده فتمزق القميص ، والقد القطع بالطول ، والقطع بالعرض (وألفيا سيدها) أى وجدا زوجها عند الباب (قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن) لما رأت الفضيحة عكست القضية ، وادعت أن يوسف راودها عن نفسها فذكرت جزاء كل من فعل ذلك على العموم ، ولم تصرح بذكر يوسف لدخوله فى العموم ، وبناء على أن الذنب ثابت عليه بدعواها وماجزاء يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية (قال هى راودتنى عن نفسى) برأ نفسه من دعواها (وشهد

Marfat.com

أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَـٰذِبِينَ ۞ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ ۞ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۞ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِئِينَ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۞ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا

شاهد) قيل هو ابن عمها وقيل كان طفلا فى المهد فتكلم ، وكونه من أهلها أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف ، وكونه لم يتكلم قط ، ثم تكلم بذلك كرامة ليوسف عليه السلام ، والتقدير شهد شاهد فقال ، أو ضمنت الشهادة معنى القول (إن كان قميصه قدمن قبل فصدقت) لأنها كانت تدافعه فتقد قميصه من قبل (وإن كان قميصه قدمن دبر فكذبت) لأنها جذبته إلى نفسها حين فر منها فقدت قميصه من دبر (فلما رأى قميصه قدمن دبر) فاعل رأى زوجها أوالشاهد (إنه من كيدكن) الضمير للأمر أولقولها ماجزاء (يوسف أعرض عن هذا) أى اكتمه ولاتحدث به ، ويوسف منادى حذف منه حرف النداء لأنه قريب ، وفى حذف الحرف إشارة إلى تقريبه وملاطفته (واستغفرى لذنبك) خطاب لها ، وذلك من كلام زوجها أو من كلام الشاهد (من الخاطئين) جاء بلفظ التذكير ، ولم يقل من الخاطئات تغليبا للذكور (وقال نسوة فى المدينة) أى فى مصر ، روى أنهن خمس نسوة : امرأة الساقى ، وامرأة الخباز ، وامرأة صاحب الدواب ، وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب (فتاها) أى خادمها ، والفتى يقال بمعنى الشاب ، وبمعنى الخادم (شغفها) بلغ شغاف قلبها وهو غلافه ، وقيل السويداء منه ، وقيل الشغاف داء يصل إلى القلب (سمعت بمكرهن) أى بقولهن وسماه مكرا لأنه كان فى خفية ، وقيل كانت قد استكتمتهن سرها فأفشينه عليها (وأعتدت لهن متكأ) أى أعتدت لهن مايتكأ عليه من الفرش ونحوها ، وقيل المتكأ طعام ، وقرئ فى الشاذ متكا بسكون التاء وتنوين الكاف ، وهو الأترج ، وإعطاؤها السكاكين لهن يدل على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج ، وقيل كان لحما (وقالت اخرج عليهن) أمر ليوسف ، وإنما أطاعها لأنه كان مملوك زوجها (أكبرنه) أى عظمن شأنه وجماله ، وقيل معنى أكبرن حضن ، والهاء للسكت ، وهذا بعيد جدا (وقطعن أيديهن) أى اشتغلن بالنظر إليه وبهتن من جماله حتى قطعن أيديهن وهن لايشعرن كما يقطع الطعام (حاش لله) معناه براءة وتنزيه : أى تنزيه لله وتعجب من قدرته على خلقة مثله ، وحاش فى باب الاستثناء تخفض على أنها حرف ، وأجاز المبرد النصب بها على أن تكون فعلا ، وأما هنا فقال أبو على الفارسى إنها فعل ، والدليل على ذلك من وجهين : أحدهما أنها دخلت على لام الخبر وهو اللام فى قوله لله ، ولا يدخل الحرف على حرف ، والآخر أنها حذفت منها الألف على قراءة الجماعة والحروف لايحذف منها شىء وقرأها أبو عمرو بالألف على الأصل وإنما تحذف من الأفعال كقولك لم يك ولا أدرى ، والفاعل بحاش ضمير يعود على يوسف تقديره بعد يوسف عن الفاحشة لخوف الله ، وقال الزمخشرى إن حاش وضع موضع المصدر كأنه قال تنزيها ، ثم قال الله ليبين من ينزه قال وإنما حذف منه

Marfat.com

بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۞ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّٰغِرِينَ ۞ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَٰهِلِينَ ۞ فَاسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ۞ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۞ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۞ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۞ يَٰصَٰحِبَىِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَٰحِدُ الْقَهَّارُ ۞ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ

التنوين مراعاة لأصله من الحرفية (ماهذا بشرا) أخرجنه من البشر وجعلنه من الملائكة مبالغة فى وصف الحسن (إن هذا إلا ملك كريم قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) توبيخ لهن على اللوم (فاستعصم) أى طلب العصمة وامتنع مما أرادت منه (أصب إليهن) أى أميل وكلامه هذا تضرع إلى الله (ثم بدا لهم) أى ظهر والفاعل محذوف تقديره رأى والضمير فى لهم لزوجها وأهلها أو من تشاور معه فى ذلك (رأوا الآيات) أى الأدلة على براءته (ودخل معه السجن فتيان) أى شابان، وقيل هنا محذوف لابد منه وهو فسجنوه، وكان يوسف قد قال لأهل السجن إنى أعبر الرؤيا، وكذلك سأله الفتيان عن منامهما، وقيل إنهما استعملاها ليجرباه، وقيل رأيا ذلك حقا (أعصر خمرا) قيل فيه سمى العنب خمرا بما يؤول إليه وقيل هى لغة (إنا نراك من المحسنين) قيل معناه فى تأويل الرؤيا، وقيل إحسانه إلى أهل السجن (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه) الآية: تقتضى أنه وصف لهما نفسه بكثرة العلم ليجعل ذلك وصلة إلى دعائهما لتوحيد الله، وفيه وجهان: أحدهما أنه قال يخبرهما بكل ما يأتيهما فى الدنيا من طعام قبل أن يأتيهما، وذلك من الإخبار بالغيوب الذى هو معجزة الأنبياء، والآخر أنه قال لا يأتيكما طعام فى المنام إلا أخبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله فى الدنيا (ذلكما مما علمنى ربى) روى أنهما قالا له من أين لك هذا العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم، فقال: ذلكما مما علمنى ربى (إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) يحتمل أن يكون هذا الكلام تعليلا لما قبله من قوله علمنى ربى أو يكون استئنافا (يا صاحبى السجن) نسبهما إلى السجن إما لأنهما سكناه أو لأنهما صاحباه فيه، كأنه قال ياصاحبى فى السجن (أأرباب متفرقون) الآية: دعاهما إلى توحيد الله، وأقام عليهما الحجة رغبة فى إيمانهما (ما تعبدون من دونه إلا أسماء) أوقع الأسماء هنا موقع المسميات والمعنى سميتم مالا يستحق الألوهية آلهة ثم عبدتموها

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَٰصَٰحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ، وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ الشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ * وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ، قَالُوٓا أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ، وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ، يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا

(من سلطان) أى حجة وبرهان (فيسقى ربه خمراً) يعنى الملك (وقال للذى ظن أنه ناج منهما) الظن هنا يحتمل أن يكون بمعنى اليقين ، لأن قوله قضى الأمر يقتضى ذلك ، أو يكون على بابه ، لأن عبارة الرؤيا ظن (اذكرنى عند ربك) يعنى الملك (فأنساه الشيطان ذكر ربه) قيل الضمير ليوسف أى نسى فى ذلك الوقت أن يذكر الله ، ورجا غيره فعاقبه الله على ذلك بأن لبث فى السجن ، وقيل الضمير للذى نجا منهما وهو الساقى أى نسى ذكر يوسف عند ربه ، فأضاف الذكر إلى ربه إذ هو عنده ، والرب على هذا التأويل الملك (بضع سنين) البضع من الثلاثة إلى العشرة ، وقيل إلى التسعة ، وروى أن يوسف عليه السلام سجن خمس سنين أولا ثم سجن بعد قوله ذلك سبع سنين (وقال الملك) هو ملك مصر الذى كان العزيز خادما له واسمه ريان بن الوليد ، وقيل مصعب بن الريان ، وكان من الفراعنة ، وقيل إنه فرعون موسى عمر أربعمائة سنة حتى أدركه موسى وهذا بعيد (إنى أرى سبع بقرات سمان) يعنى فى المنام (عجاف) أى ضعاف فى غاية الهزال (يا أيها الملأ) خطاب لجلسائه وأهل دولته (الرؤيا تعبرون) أى تعرفون تأويلها ، يقال عبرت الرؤيا بتخفيف الباء وأنكر بعضهم التشديد ، وهو مسموع من العرب ، وأدخلت اللام على المفعول به لما تقدم عن الفعل (قالوا أضغاث أحلام) أى تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس ووسوسة شيطان بحيث لا يعبر ، وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات ، واحده ضغث ، فإن قيل : لم قال أضغاث أحلام بالجمع ، وإنما كانت الرؤيا واحدة ؟ فالجواب أن هذا كقولك فلان يركب الخيل وإن ركب فرسا واحدا (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) إما أن يريدوا تأويل الأحلام الباطلة أو تأويل الأحلام على الإطلاق وهو الأظهر (وقال الذى نجا منهما) هو ساقى الملك (وادكر بعد أمة) أى بعد حين (يوسف أيها الصديق) يقدر قبله محذوف لابد منه وهو فأرسلوه فقال يا يوسف ، وسماه صديقا لأنه كان قد جرب صدقه فى تعبير الرؤيا وغيرها ، والصديق مبالغة من الصدق (أفتنا فى سبع بقرات) أى فيمن رأى سبع بقرات وكان الملك قد رأى سبع بقرات سمان أكلتهن سبع عجاف فعجب كيف علتهن وكيف وسعت فى بطونهن ، ورأى سبع سنبلات خضر ، وقد التفت بها سبع يابسات حتى غطت خضرتها (تزرعون سبع سنين) هذا تعبير للرؤيا ،

Marfat.com

مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَالِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَاقَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَالِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَابَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَاخَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَاعَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْئَٰنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَالِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَايَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ

وذلك أنه عبر البقرات السمان بسبع سنين مخصبة وعبر البقرات العجاف بسبع سنين مجدبة فكذلك السنبلات الخضر واليابسة (دأبا) بسكون الهمزة وفتحها مصدر دأب على العمل إذا داوم عليه ، وهو مصدر فى موضع الحال (فما حصدتم فذروه فى سنبله) هذا رأى أرشدهم يوسف إليه . وذلك أن أرض مصر لا يبقى فيها الطعام عامين ، فعلمهم حيلة يبقى بها من السنين المخصبة إلى السنين المجدبة ، وهى أن يتركوه فى سنبله غير مدروس ، فإن الحبة إذا بقيت فى غشائها انحفظت (إلا قليلا مما تأكلون) أى لا تدرسوا منه إلا ما يحتاج إلى الأكل خاصة (سبع شداد) يعنى سبع سنين ذات شدة وجوع (يأكلن ماقدمتم لهن) أى تأكلون فيهن ما اخترتم من الطعام فى سنبله ، وأسند الأكل إلى السنين مجازا (مما تحصنون) أى تخزنون وتخبئون (ثم يأتى من بعد ذلك عام) هذا زيادة على ما تقتضيه الرؤيا ، وهو الإخبار بالعام الثامن (يغاث الناس) يحتمل أن يكون من الغيث أى يمطرون ، أو من الغوث : أى يفرج الله عنهم (وفيه يعصرون) أى يعصرون الزيتون والعنب والسمسم وغير ذلك مما يعصر (وقال الملك ائتونى به) قيل هنا محذوف ، وهو فرجع الرسول إلى الملك فقص عليه مقالة يوسف فرأى علمه وعقله ، فقال ائتونى به (قال ارجع إلى ربك فاسأله) لما أمر الملك بإخراج يوسف من السجن وإتيانه إليه أراد يوسف أن يبرئ نفسه مما نسب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها . وأن يعلم الملك وغيره أنه سجن ظلما فذكر طرفا من قصته لينظر الملك فيها فيتبين له الأمر . وكان هذا الفعل من يوسف صبرا وحلما ، إذ لم يجب إلى الخروج من السجن ساعة دعى إلى ذلك بعد طول المدة ، ومع ذلك فإنه لم يذكر امرأة العزيز رعيا لذمام زوجها وسترا لها ، بل ذكر النسوة اللاتى قطعن أيديهن (قال ماخطبكن) الآية جمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن ، فسألهن عن قصة يوسف ، وأسند المراودة إلى جميعهن ، لأنه لم يكن عنده علم بأن امرأة العزيز هى التى راودته وحدها (قلن حاش لله) تبرئة ليوسف أو تبرئة لأنفسهن من مراودته وتكون تبرئة ليوسف بقولهن : ماعلمنا عليه من سوء (الآن حصحص الحق) أى تبين وظهر ، ثم اعترفت على نفسها بالحق (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) قيل إنه من كلام امرأة العزيز متصلا بما قبله ، والضمير فى يعلم وأخنه على هذا ليوسف عليه السلام أى ليعلم يوسف أنى لم أكذب عليه فى حال غيبته . والإشارة بذلك إلى توبتها وإقرارها ، وقيل إنه من كلام يوسف عليه السلام ، فالضمير للعزيز أى لم أخنه فى زوجته فى غيبته ، بل تعففت عنها والإشارة بذلك إلى توقفه عن الخروج من السجن حتى تظهر براءته (وما أبرئ نفسى) اختلف أيضا هل هو من كلام امرأة العزيز ، أو من كلام يوسف . فإن كان من كلامها فهو اعتراف

Marfat.com

النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ * وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ

بعد الاعتراف ، وإن كان من كلامه فهو اعتراف بما هم به على وجه حطوره على قلبه . لا على وجه العزم والقصد ، وقاله فى عموم الأحوال على وجه التواضع (إن النفس لأمارة بالسوء) النفس هنا للجنس والنفوس ثلاثة أنواع : أمارة بالسوء ، ولوّامة وهى التى تلوم صاحبها ومطمئنة (إلا مارحم ربى) استثناء من النفس إذ هى بمعنى النفوس أى الأنفس المرحومة وهى المطمئنة ، فما على هذا بمعنى الذى . ويحتمل أن تكون ظرفية أى إلا حين رحمة الله (أستخلصه لنفسى) أى أجعله خاصتى وخلاصتى قال أولا ائتونى به فلما تبين له حاله قال أستخلصه لنفسى (فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) أى فلما رأى حسن كلامه وعرف وفور عقله وعلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين . والمكين من التمكين ، والأمين من الأمانة (قال اجعلنى على خزائن الأرض) لما فهم يوسف من الملك أنه يريد تصريفه والاستعانة به قال له ذلك ، وإنما طلب منه الولاية رغبة منه فى العدل وإقامة الحق والإحسان ، وكان هذا الملك كافرا ، ويستدل بذلك على أنه يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يصلح بعض الأحوال ، وقيل إن الملك أسلم ، وأراد بقوله خزائن الأرض : أرض مصر إذ لم يكن للملك غيرها ، والخزائن كل مايخزن من طعام ومال وغير ذلك (إنى حفيظ عليم) صفتان تعمان وجوه المعرفة والضبط للخزائن وقيل حفيظ للحساب عليم بالألسن ، واللفظ أعم من ذلك ، ويستدل بذلك أنه يجوز للرجل أن يعرف بنفسه ويمدح نفسه بالحق إذا جهل أمره وإذا كان فى ذلك فائدة (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض) الإشارة بذلك إلى ماتقدم من جميل صنع الله به ، وروى أن الملك ولاه فى موضع العزيز وأسند إليه جميع الأمور حتى تغلب على أمره وأن امرأة العزيز شاخت وافتقرت فتزوجها يوسف ودعا الله فرد عليها جمالها وشبابها وأنه باع من أهل مصر فى أعوام القحط الطعام بالدنانير والدراهم فى السنة الأولى حتى لم يبق لهم شىء منها ، ثم بالحلى ، ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى تملكهم جميعا ثم أعتقهم ورد عليهم أملاكهم (نصيب برحمتنا من نشاء) الرحمة هنا يرادبها الدنيا وكذلك الأجر فى قوله ولا نضيع أجر المحسنين بدليل قوله بعد ذلك ولأجر الآخرة خير ، فأخبر تعالى أن رحمته فى الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن وكافر ومطيع وعاص ، وأن المحسن لابد له من أجره فى الدنيا ، فالأول فى المشيئة ، والثانى واقع لامحالة . ثم أخبر أن أجر الآخرة خير من ذلك كله : للذين آمنوا ، وكانوا يتقون ، وفى الآية إشارة إلى أن يوسف عليه السلام جمع الله له بين خيرى الدنيا والآخرة (وجاء إخوة يوسف) كان سبب مجيئهم أنهم أصابتهم مجاعة فى بلادهم ، فخرجوا إلى مصر ليشتروا من الطعام الذى ادخره يوسف (فعرفهم وهم له منكرون) إنما أنكروه لبعد العهد به وتغيير سنه أو لأنه كان متلثما ، روى أنهم دخلوا عليه وهو على هيئة عظيمة من الملك وأنه سألهم

بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ * فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ * قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ۝ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ۝ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ

عن أحوالهم ، وأخبروه أنهم تركوا أخالهم ، فحينئذ قال لهم ائتونى بأخ لكم من أبيكم وهو بنيامين شقيق يوسف (ولما جهزهم بجهازهم) الجهاز مايحتاج إليه المسافر من زاد وغيره ، والمراد به هنا الطعام الذى باع منهم (خير المنزلين) أى المضيفين (وإنا لفاعلون) أى نفعل ذلك لامحالة (وقال لفتيانه) جمع فتى وهو الخادم سواء كان حرا أو عبدا (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) أمر أن يجعلوا البضاعة التى اشتروا منه بها الطعام فى أوعيتهم (لعلهم يعرفونها) أى لعلهم يعرفون اليد والكرامة فى رد البضاعة إليهم ، وليس الضمير للبضاعة (لعلهم يرجعون) أى لعل معرفتهم بها تدعوهم إلى الرجوع وقصد برد البضاعة إليهم مع الطعام استئلافهم بالإحسان إليهم (منع منا الكيل) إشارة إلى قولهم وإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى فهو خوف من المنع فى المستقبل (نكتل) وزنه نفتعل من الكيل (مانبغى) ما استفهامية ونبغى بمعنى نطلب ، والمعنى أى شىء نطلبه بعد هذه الكرامة وهى رد البضاعة مع الطعام ، ويحتمل أن تكون مانافية ونبغى من البغى : أى لا نتعدى على أخينا ولا نكذب على الملك (ونمير أهلنا) أى نسوق لهم الطعام (ونزداد كيل بعير) يريدون بعير أخيهم إذ كان يوسف لايعطى إلا كيل بعير من الطعام لإنسان فأعطاهم عشرة أبعرة ومنعهم الحادى عشر لغيبة صاحبه حتى يأتى والبعير الجمل (ذلك كيل يسير) إن كانت الإشارة إلى الأحمال فالمعنى أنها قليلة لاتكفيهم حتى يضاف إليها كيل بعير ، وإن كانت الإشارة إلى كيل بعير ، فالمعنى أنه يسير على يوسف أى قليل عنده أو سهل عليه ، فلا يمنعهم منه (حتى تؤتون موثقا من الله) أراد أن يحلفوا له ولتأتننى به جواب اليمين (إلا أن يحاط بكم) أى إلا أن تغلبوا فلا تطيقون الإتيان به (يابنى لاتدخلوا من باب واحد) خاف عليهم من العين إن دخلوا مجتمعين إذ كانوا أهل جمال وهيبة (ماكان يغنى عنهم) جواب لما والمعنى أن ذلك

Marfat.com

ءاوى إليه أخاه قال إنى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ۝ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون ۝ قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون ۝ قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم ۝ قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين ✽ قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ۝ قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين ۝ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا

لا يدفع ماقضاه الله (إلا حاجة) استثناء منقطع ، والحاجة هنا هى شفقته عليهم ووصيته لهم (آوى إليه أخاه) أى ضمه (قال إنى أنا أخوك) أخبره بأنه أخوه، واستكتمه ذلك (فلا تبتئس) أى لا تحزن فهو من البؤس (بما كانوا يعملون) الضمير لإخوة يوسف ، ويعنى مافعلوا بيوسف وأخيه ، ويحتمل أن يكون لفتيانه : أى لا تبالى بما تراه من تحيلى فى أخذك (جعل السقاية فى رحل أخيه) السقاية هى الصواع ، وهى إناء يشرب فيه الملك ويأكل فيه الطعام، وكان من فضة، وقيل من ذهب، وقصد بجعله فى رحل أخيه أن يحتال على إمساكه معه إذ كان شرع يعقوب أن من سرق استعبده المسروق له (ثم أذن مؤذن) أى نادى مناد (أيتها العير) أى أيتها الرفقة (إنكم لسارقون) خطاب لإخوة يوسف ، وإنما استحل أن يرميهم بالسرقة لما فى ذلك من المصلحة من إمساك أخيه ، وقيل إن حافظ السقاية نادى: إنكم لسارقون ، بغير أمر يوسف وهذا بعيد لتفتيش الأوعية (ولمن جاء به حمل بعير) أى لمن جبره ورده حمل بعير من طعام على وجه الجعل (وأنا به زعيم) أى ضامن لحمل البعير لمن ردّ الصواع، وهذا من كلام المنادى (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض) أى استشهدوا بعلمهم لما ظهر لهم من ديانتهم فى دخولهم أرضهم حتى كانوا يجعلون الأكمة فى أفواه إبلهم لئلا تنال زروع الناس (قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين) أى قال فتيان يوسف ما جزاء آخذ الصواع إن كنتم كاذبين فى قولكم وما كنا سارقين ، فالضمير فى قوله جزاؤه يعود على الآخذ المفهوم من الكلام (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه) المعنى أن إخوة يوسف أفتوا فيما سئلوا عنه فقالوا جزاء السارق أن يستعبد ، ويؤخذ فى السرقة ، وأما الإعراب فيحتمل وجهين : الأول : أن يكون جزاؤه الأول مبتدأ ومن مبتدأ ثان وهى شرطية أو موصولة ، وخبرها فهو جزاؤه، والجملة خبر جزاؤه الأول، والوجه الثانى : أن يكون من خبر المبتدأ الأول على حذف مضاف، وتقديره جزاؤه أخذ من وجد فى رحله وتم الكلام. ثم قال فهو جزاؤه أى هذا الحكم جزاؤه (وكذلك نجزى الظالمين) من كلام إخوة يوسف أى هذا حكمنا فى السراق ، وقد كان هذا الحكم فى أول الإسلام ، ثم نسخ بقطع الأيدى (فبدأ بأوعيتهم) هذا تمكين للحيلة ورفع للتهمة (ثم استخرجها من وعاء أخيه) ليصح له بذلك إمساكه معه، وإنما أنث الصواع فى هذا الموضع لأنه سقاية ، أو لأن الصواع يذكر ويؤنث (كذلك كدنا ليوسف) أى صنعنا له هذا الصنع (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) أى فى شرعه أو عادته ، لأنه إنما كان جزاء السارق عنده أن يضرب ويضاعف عليه الغرم ، ولكن حكم فى هذه القضية آل يعقوب (نرفع درجات من نشاء) يعنى الرفعة بالعلم بدليل مابعده (وفوق كل ذى علم عليم) أى

أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۞ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۞ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ۞ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۞ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ۞ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا

فوق كل عالم من هو أعلم منه من البشر ، أو الله عز وجل (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) الضمير فى قالوا لإخوة يوسف ، وأشاروا الى يوسف ، ومعنى كلامهم إن يسرق بنيامين ، فقد سرق أخوه يوسف من قبل ، فهذا الأمر إنما صدر من ابنى راحيل لامنا ، وقصدوا بذلك رفع المعرة عن أنفسهم ، ورموا بها يوسف وشقيقه ، واختلف فى السرقة التى رموا بها يوسف على ثلاثة أقوال : الأول أن عمته ربته ، فأراد والده أن يأخذه منها ، وكانت تحبه ولا تصبر عنه ، فجعلت عليه منطقة لها ، ثم قالت إنه أخذها فاستعبدته بذلك وبقى عندها إلى أن ماتت ، والثانى أنه أخذ صنما لجده والد أمه فكسره ، والثالث أنه كان يأخذ الطعام من دار أبيه ويعطيه المساكين (فأسرها يوسف فى نفسه) قال الزمخشرى الضمير للجملة التى بعد ذلك وهى قوله أنتم شرّ مكانا ، والمعنى قال فى قوله أنتم شر مكانا وقال ابن عطية : الضمير للحرارة التى وجد فى نفسه من قولهم فقد سرق أخ له من قبل وأسر كراهية مقالتهم ثم جاهرهم بقوله أنتم شر مكانا أى لسوء أفعالكم (والله أعلم بما تصفون) إشارة إلى كذبهم فيما وصفوه به من السرقة (إن له أبا شيخا كبيرا) استعطافا وكانوا قد أعلموه بشدة محبة أبيه فيه (فخذ أحدنا مكانه) على وجه الضمان والاسترهان ، والانقياد ، وهذا هو الأظهر لقوله معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده (من المحسنين) أى أحسنت إلينا فيما فعلت معنا من قبل أو على الإطلاق (استيئسوا) أى يئسوا (خلصوا نجيا) أى انفردوا عن غيرهم يناجى بعضهم بعضا ، والنجى يكون بمعنى المناجى أو مصدرا (قال كبيرهم) قيل كبيرهم فى السن وهو روبيل ، وقيل كبيرهم فى الرأى وهو شمعون ، وقيل يهوذا (ومن قبل ما فرطتم فى يوسف) تحتمل « ما » وجوها : الأول أن تكون زائدة ، والثانى أن تكون مصدرية ومحلها الرفع بالابتداء تقديره وقع من قبل تفريطكم فى يوسف ، والثالث أن تكون موصولة ومحلها أيضا الرفع كذلك ، والأول أظهر (فلن أبرح الأرض) يريد الموضع الذى وقعت فيه القصة (ارجعوا إلى أبيكم) من قول كبيرهم ، وقيل من قول يوسف وهو بعيد (إن ابنك سرق) قرأ الجمهور بفتح الراء والسين ، وروى عن الكسائى سرق بضم السين وكسر وتشديد الراء أى نسبت له السرقة (وما شهدنا إلا بما علمنا) أى قولنا لك إن ابنك : إنما هو شهادة بما علمنا من ظاهر ما جرى (وما كنا للغيب حافظين) أى لا نعلم الغيب هل ذلك حق فى نفس الأمر ، أم لا ، إذ يمكن أن يدس الصواع فى رحله من غير علمه وقال الزمخشرى المعنى ما شهدنا إلا بما علمنا من سرقته وتيقناه ، لأن الصواع استخرج من وعائه ، وما كنا للغيب حافظين

Marfat.com

فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون ۝ قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم ۝ وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ۝ قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين ۝ قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ۝ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ۝ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين ۝ قال هل علمتم ما فعلتم

أي ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق ، وقراءة سرق بالفتح تعضد قول الزمخشري ، والقراءة بالضم تعضد القول الأول (واسأل القرية) تقديره واسأل أهل القرية ، وكذلك أهل العير . يعنون الرفقة ، هذا هو قول الجمهور وقيل المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ولا يبعد أن تخبره الجمادات لأنه نبي والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز ، والقرية هنا هي مصر (قال بل سولت لكم) قبله محذوف تقديره : فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له هذا الكلام فقال بل سولت الآية (بهم جميعا) يعني يوسف وأخاه بنيامين ، وأخاهم الكبير الذي قال لن أبرح الأرض (وتولى عنهم) لما لم يصدقهم ، أعرض عنهم ورجع إلى التأسف (وقال يا أسفى على يوسف) تأسف على يوسف دون أخيه الثاني والثالث ، الذاهبين ، لأن حزنه عليه كان أشد لإفراط محبته ولأن مصيبته كانت السابقة (وابيضت عيناه من الحزن) أي من البكاء الذي هو ثمرة الحزن ، فقيل إنه عمي ، وقيل إنه كان يدرك إدراكا ضعيفا ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يعقوب حزن حزن سبعين ثكلى وأعطي أجر مائة شهيد ، وما ساء ظنه بالله قط (فهو كظيم) قيل إنه فعيل بمعنى فاعل أي كاظم لحزنه لا يظهره لأحد ، ولا يشكو إلا لله وقيل بمعنى مفعول كقوله ، إذ نادى وهو مكظوم ، أي مملوء القلب بالحزن أو بالغيظ على أولاده ، وقيل الكظيم : الشديد الحزن (تالله تفتؤ) أي لا تفتؤ ، والمعنى لا تزال ، وحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالإثبات : لأنه لو كان إثباتا لكان مؤكدا باللام والنون (حرضا) أي مشرفا على الهلاك (قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) رد عليهم في تفنيدهم له : أي إنما أشكو إلى الله لا إليكم ولا إلى غيركم ، والبث : أشد الحزن (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي أعلم من لطفه ورأفته ورحمته ما يوجب حسن ظني به وقوة رجائي فيه (يا بني اذهبوا) يعني إلى الأرض التي تركتم بها أخويكم (فتحسسوا من يوسف وأخيه) أي تعرفوا خبرهما ، والتحسس طلب الشيء بالحواس السمع والبصر ، وإنما لم يذكر الولد الثالث ، لأنه بقي هناك اختيارا منه ، ولأن يوسف وأخاه كانا أحب إليه (ولا تيأسوا من روح الله) أي من رحمة الله (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) إنما جعل اليأس من صفة الكافر ، لأن سببه تكذيب الربوبية أو جهلا بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته (فلما دخلوا عليه) أي على يوسف وقيل هذا محذوف تقديره فرجعوا إلى مصر (الضر) يريدون به المجاعة أو الهم على إخوتهم (ببضاعة مزجاة) يعنون الدراهم التي جاؤا بها لشراء الطعام ، والمزجاة القليلة ، وقيل الرديئة ، وقيل الناقصة ، وقيل إن بضاعتهم كانت عروضا

Marfat.com

يُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَـٰهِلُونَ ۞ قَالُوٓا أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ قَالُوا تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ۞ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ ٱذْهَبُوا بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۞ قَالُوا تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۞ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ قَالُوا يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ۞ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ

فلذلك قالوا هذا (وتصدق علينا) قيل يعنون بما بين الدراهم الجياد ودراهمهم ، وقيل أوف لنا الكيل الذى هو حقنا وزدنا على حقنا ، وسموا الزيادة صدقة ، ويقتضى هذا أن الصدقة كانت حلالا الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل تصدق علينا برد أخينا إلينا (إن الله يجزى المتصدقين) قال النقاش : هو من المعاريض وذلك أنهم كانوا يعتقدون أنه كافر ، لأنهم لم يعرفوه ، فظنوا أنه على دين أهل مصر ، فلو قالوا إن الله يجزيك بصدقتك كذبوا ، فقالوا لفظا يوهم أنهم أرادوه وهم لم يريدوه (قال هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه) لما شكوا إليه رقهم وعرفهم بنفسه ، وروى أنه كان يكلمهم وعلى وجهه لثام ، ثم أزال اللثام ليعرفوه ، وأراد بقوله مافعلتم بيوسف وأخيه : التفريق بينهما فى الصغر ، ومضرتهم ليوسف وإذايتهم أخيه من بعده ، فإنهم كانوا يذلونه ويشتمونه (إذأنتم جاهلون) اعتذار عنهم ، فيحتمل أن يريد الجهل بقبح مافعلوه أوجهل الشباب (قالوا أئنك لأنت يوسف) قرئ بالاستفهام والخبر ، فالخبر على أنهم عرفوه ؛ والاستفهام على أنهم توهموا أنه هو ولم يحققوه (من يتق ويصبر) قيل إنه أراد من يتق فى ترك المعصية ، ويصبر على السجن ، واللفظ أعم من ذلك (آثرك الله علينا) أى فضلك (لخاطئين) أى عاصين . وفى كلامهم استعطاف واعتراف (لا تثريب عليكم) عفو جميل ، والتثريب التعنيف والعقوبة ، وقوله اليوم راجع إلى ماقبله فيوقف عليه ، وهو يتعلق بالتثريب أو بالمقدر فى عليكم من معنى الاستقرار ؛ وقيل إنه يتعلق بيغفر ، وهذا بعيد لأنه تحكم على الله ؛ وإنما يغفر دعاء ، فكأنه أسقط حق نفسه بقوله لا تثريب عليكم اليوم ، ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقه (اذهبوا بقميصى) روى أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله له حين أخرج من النار ، وكان من ثياب الجنة ، ثم صار لإسحاق ، ثم ليعقوب ، ثم دفعه يعقوب ليوسف ، وهذا يحتاج إلى سند يوثق به ، والظاهر أنه كان قميص يوسف الذى بمنزلة قميص كل أحد (يأت بصيرا) الظاهر أنه علم ذلك بوحى من الله (فصلت العير) أى خرجت من مصر متوجهة إلى يعقوب (قال أبوهم إنى لأجد ريح يوسف) كان يعقوب ببيت المقدس ، ووجد ريح القميص وبينهما مسافة بعيدة (لولا أن تفندون) أى تلوموننى أو تردون على قولى ، وقيل معناه تقولون ذهب عقلك لأن الفند هو الخرف (فى ضلالك القديم) أى ذهابك عن الصواب بإفراط محبتك فى يوسف قديما (فلما أن جاء البشير) روى أن البشير يهوذا لأنه كان جاء بقميص الدم فقال لإخوته : إنى ذهبت إليه بقميص القرحة فدعونى أذهب إليه بقميص الفرحة (قال سوف أستغفر لكم ربى) وعدهم بالاستغفار لهم ، فقيل سوفهم إلى السحر لأن

Marfat.com

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّـٰلِحِينَ ۞ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ * وَمَآ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ * وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ * وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۞ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۞ أَفَأَمِنُوٓا أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ

الدعاء يستجاب فيه ، وقيل إلى ليلة الجمعة (فلما دخلوا على يوسف) هنا محذوفات يدل عليها الكلام ، وهى فرحل يعقوب بأهله حتى بلغوا يوسف (آوى إليه أبويه) أى ضمهما ، وأراد بالأبوين أباه وأمه ، وقيل أباه وخالته لأن أمه كانت قد ماتت ، وسمى الخالة على هذا أما (إن شاء الله) راجع إلى الأمن الذى فى قوله آمنين (رفع أبويه على العرش) أى على سرير الملك (وخروا له سجدا) كان السجود عندهم تحية وكرامة لا عبادة (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل) يعنى حين رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له ، وكان بين رؤياه وبين ظهور تأويلها ثمانون عاما ، وقيل أربعون (أحسن بى) يقال أحسن إليه وبه (أخرجنى من السجن) إنما لم يقل أخرجنى من الجب لوجهين : أحدهما أن فى ذكر الجب خزى لإخوته وتعريفهم بما فعلوه فترك ذكره توقيرا لهم والآخر أنه خرج من الجب إلى الرق ، ومن السجن إلى الملك ، فالنعمة به أكثر (وجاء بكم من البدو) أى من البادية وكانوا أصحاب إبل وغنم فعد من النعم مجيئهم للحاضرة (نزغ الشيطان) أى أفسد وأغوى (لطيف لما يشاء) أى لطيف التدبير لما يشاء من الأمور (من الملك) من للتبعيض ، لأنه لم يعطه إلا بعض ملك الدنيا بل بعض ملك مصر (توفنى مسلما) لما عدد النعم التى أنعم الله بها عليه اشتاق إلى لقاء ربه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم ، فدعا بالموت وقيل ليس ذلك دعاء بالموت ، وإنما دعا أن الله يتم عليه النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله (ذلك من أنباء الغيب) احتجاج على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإخباره بالغيوب (وما كنت لديهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم تأكيدا لحجته والضمير لإخوة يوسف (إذ أجمعوا) أى عزموا (وهم يمكرون) يعنى فعلهم بيوسف (وما أكثر الناس) عموم لأن الكفار أكثر من المؤمنين وقيل أراد أهل مكة (ولو حرصت بمؤمنين) اعتراض أى لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم (وما تسألهم عليه من أجر) أى لست تسألهم أجرا على الإيمان فيثقل عليهم بسبب ذلك وهكذا معناه حيث وقع (وكأين من آية) يعنى المخلوقات والحوادث الدالة على الله سبحانه (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) نزلت فى كفار العرب الذين يقرون بالله ويعبدون معه غيره ، وقيل فى أهل الكتاب لقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله (غاشية) هى ما يغشى ويعم (قل هذه

السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝

سورة الرعد

مدنية وآياتها ٤٣ نزلت بعد سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الْمر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

سبيلي) إشارة إلى شريعة الإسلام (أدعو إلى الله على بصيرة) أي أدعو الناس إلى عبادة الله وأنا على بصيرة من أمري وحجة واضحة (أنا ومن اتبعني) أنا تأكيد للضمير في أدعو، ومن اتبعني معطوف عليه وعلى بصيرة في موضع الحال وقيل أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبره فعلى هذا يوقف على قوله أدعو إلى الله، وهذا ضعيف (وسبحان الله) تقديره وأقول سبحان الله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) ردّ على من أنكر أن يكون النبي من البشر، وقيل فيه إشارة إلى أنه لم يبعث رسولا من النساء (من أهل القرى) أي من أهل المدن لا من أهل البوادي، فإن الله لم يبعث رسولا من أهل البادية لجفائهم (حتى إذا استيأس الرسل) متصل بالمعنى بقوله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا إلى قوله عاقبة الذين من قبلهم، ويأسهم: يحتمل أن يكون من إيمان قومهم أو من النصر، والأول أحسن (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرئ بتشديد الذال وتخفيفها، فأما التشديد فالضمير في ظنوا وكذبوا للرسل، والظن يحتمل أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين: أي علم الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيئسوا من إيمانهم، وأما التخفيف، فالضميران فيه للقوم المرسل إليهم أي ظنوا أن الرسل قد كذبوهم فيما ادعوه من الرسالة، أو من النصرة عليهم (في قصصهم) الضمير للرسل على الإطلاق أو ليوسف وإخوته (ما كان حديثاً يفترى) يعني القرآن (ولكن تصديق الذي بين يديه) تقدم معناه في البقرة

سورة الرعد

(تلك آيات الكتاب) أي آيات هذه السورة ويحتمل أن يريد آيات الكتب على الإطلاق ويحتمل أن يريد القرآن على الإطلاق وهذا بعيد لتكرار القرآن بعد ذلك (والذي أنزل إليك) يعني القرآن وإعرابه مبتدأ وخبره الحق (بغير عمد) أي بغير شيء تقف عليه إلا قدرة الله (ترونها) قيل الضمير للسموات وترونها على هذا في موضع الحال أو استئنافا

Marfat.com

كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ

وقيل الضمير للعمد أى ليس لها عمد مرئية فيقتضى المفهوم من أن لها عمدا لا ترى وقيل إن عمدها جبل قاف المحيط بالدنيا ، وقال الجمهور لاعمد لها البتة فالمراد نفى العمد ونفى رؤيتها (ثم استوى على العرش) ثم هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب وقوع الأمر ، فإن العرش كان قبل خلق السموات ، وتقدم الكلام على الاستواء فى الأعراف (يدبر الأمر) يعنى أمر الملكوت (يفصل الآيات) يعنى آيات كتبه (مد الأرض) يقتضى أنها بسيطة لا مكورة ، وهو ظاهر الشريعة ، وقد يترتب لفظ البسط والمد مع التكوير لأن كل قطعة من الأرض ممدودة على حدتها ، وإنما التكوير لجملة الأرض (رواسى) يعنى الجبال الثابتة (زوجين اثنين) يعنى صنفين من الثمر : كالأسود والأبيض ، والحلو والحامض ، فإن قيل : تقتضى الآية أنه تعالى خلق من كل ثمرة صنفين ، وقد خلق من كثير من الثمرات أصناف كثيرة ، والجواب : أن ذلك زيادة فى الاعتبار وأعظم فى الدلالة على القدرة ، فذكر الاثنين ، لأن دلالة غيرهما من باب أولى ، وقيل إن الكلام تم فى قوله من كل الثمرات ثم ابتدأ بقوله جعل فيها زوجين يعنى الذكر والأنثى والأول أحسن (يغشى الليل النهار) أى يلبسه إياه فيصير له كالغشاء ، وذلك تشبيه (قطع متجاورات) يعنى قطع متلاصقة ومع تلاصقها ، فإن أرضها تتنوع إلى طيب وردىء وصلب ورخو ، وغير ذلك ، وكل ذلك دليل على الصانع المختار المريد القادر (صنوان وغير صنوان) الصنوان هى النخلات الكثيرة ويكون أصلها واحد وغير الصنوان المفترق فردا فردا ، وواحد الصنوان صنو (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل) حجة وبرهان على أنه تعالى قدير ومريد لأن اختلاف مذاقها وأشكالها وألوانها مع اتفاق الماء الذى تسقى به : دليل على القدرة والإرادة ، وفى ذلك رد على القائلين بالطبيعة (وإن تعجب فعجب قولهم) أى إن تعجب يامحمد فإن إنكارهم للبعث حقيق أن يتعجب منه ، فإن الذى قدر على إنشاء ما ذكرنا من السموات والأرض والثمار قادر على إنشاء الخلق بعد موتهم (أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد) هذا هو قول الكفار المنكرين للبعث ، واختلف القراء فى هذا الموضع وفى سائر المواضع التى فيها استفهامان ، وهى أحد عشر موضعا ، أولها هذا ، وفى الإسراء موضعان ، وفى المؤمنين موضع ، وفى النمل موضع ، وفى العنكبوت موضع ، وفى الم السجدة موضع ، وفى الصافات موضعان وفى الواقعة موضع ، وفى النازعات موضع ، فمنهم من قرأ بالاستفهام فى الأول والثانى ومنهم من قرأ بالاستفهام فى الأول فقط وهو نافع ومنهم من قرأ بالاستفهام فى الثانى فقط ، وأصل الاستفهام فى المعنى ، وإنما هو عن الثانى فى مثل هذا الموضع ، فإن همزة الاستفهام معناها الإنكار ، وإنما أنكروا أن يكونوا خلقا جديدا ولم ينكروا أن يكونوا ترابا ، فمن قرأ بالاستفهام فى الثانى فقط فهو على الأصل ومن قرأ بالاستفهام فى

فِى أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَـٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ * اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ * عَـٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ * سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِالَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِالنَّهَارِ * لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ

الأول ، فالقصد بالاستفهام الثانى ، ومن قرأ بالاستفهام فيهما فذلك للتأكيد (وأولئك الأغلال فى أعناقهم) يحتمل أن يريد الأغلال فى الآخرة فيكون حقيقة أو يريد أنهم ممنوعون من الإيمان كقولك إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا ، فيكون مجازاً يجرى مجرى الطبع والختم على القلوب (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) أى بالنقمة قبل العافية ، والمعنى أنهم طلبوا العذاب على وجه الاستخفاف (وقد خلت من قبلهم المثلات) جمع مثلة على وزن تمرة وهى العقوبة العظيمة التى تجعل الإنسان مثلا ، والمعنى كيف يطلبون العذاب وقد أصابت العقوبات الأمم الذين كانوا قبلهم أفلا يخافون مثل ذلك (وإن ربك لذوا مغفرة للناس على ظلمهم) يريد ستره وإمهاله فى الدنيا للكفار والعصاة ، وقيل يريد مغفرته لمن تاب ، والأول أظهر هنا (ويقول الذين كفروا) الآية : اقترحوا نزول آية على النبى صلى الله عليه وآله وسلم من نزول ملك معه أوشبه ذلك ، ولم يعتبروا بالقرآن ولا بغيره من الآيات العظام التى جاء بها ، وذلك منهم معاندة (إنما أنت منذر) أى إنما عليك إنذارهم ، وليس عليك أن تأتيهم بآية إنما ذلك إلى الله (ولكل قوم هاد) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن يراد بالهادى الله تعالى ، فالمعنى إنما عليك الإنذار والله هو الهادى لمن يشاء إذا شاء ، والوجه الثانى أن يريد بالهادى النبى صلى الله عليه وسلم ، فالمعنى إنما أنت نبى منذر ، ولكل قوم هاد من الأنبياء ينذرهم فليس أمرك ببدع ولا مستنكر . الثالث روى أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا المنذر وأنت يا علىّ الهادى (الله يعلم ماتحمل كل أنثى) كقوله يعلم مافى الأرحام ، وهى من الخمس التى لا يعلمها إلا الله ، ويعنى يعلم هل هو ذكر أو أنثى أو تام أو خداج أو حسن أو قبيح ، أو غير ذلك (وما تغيض الأرحام وما تزداد) معنى تغيض تنقص ، ومعنى تزداد من الزيادة ، وقيل إن الإشارة بدم الحيض فإنه يقل ويكثر وقيل للولد فالغيض السقط ، أو الولادة لأقل من تسعة أشهر ، والزيادة إبقاؤه أكثر من تسعة أشهر ، ويحتمل أن تكون مافى قوله ماتحمل وماتغيض وما تزداد : موصولة أو مصدرية (سواء منكم من أسر القول ومن جهر) المعنى إن الله يسمع كل شىء ، فالجهر والإسرار عنده سواء وفى هذا وما بعده تقسيم ، وهو من أدوات البيان ، فإنه ذكر أربعة أقسام ، وفيه أيضاً مطابقة (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) المعنى سواء عند الله المستخفى بالليل وهو فى غاية الاختفاء مع السارب بالنهار وهو فى غاية الظهور ومعنى السارب المتصرف فى سربه بالفتح : أى فى طريقه ووجهه ، والسارب والمستخفى اثنان قصد التسوية بينهما فى اطلاع الله عليهما مع تباين حالهما ، وقيل إن المستخفى بالليل والسارب بالنهار : صفتان لموصوف

اللهَ إنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿

واحد يستخفي بالليل ويظهر بالنهار ، ويعضد هذا كونه قال وسارب ، فعطفه عطف الصفات ولم يقل ومن هو سارب بتكرار من كما قال ، من أسر القول ومن جهر به ، إلا أن جعلهما اثنين أرجح ليقابل من أسر القول ومن جهر به ، فيكمل التقسيم إلى أربعة على هذا ، ويكون قوله وسارب عطف على الجملة وهو قوله ومن هو مستخف لا على مستخف وحده (له معقبات) المعقبات هنا جماعة الملائكة ، وسميت معقبات لأن بعضهم يعقب بعضاً ، والضمير فى له يعود على من المتقدمة ، كأنه قال لمن أسر ومن جهر ، ولمن استخفى ومن ظهر له معقبات ، وقيل يعود على الله وهو قول ضعيف لأن الضمائر التى بعده تعود على العبد باتفاق (يحفظونه) صفة للمعقبات ، وهذا الحفظ يحتمل أن يراد به حفظ أعماله أو حفظه وحراسته من الآفات (من أمر الله) صفة المعقبات أى معقبات من أجل أمر الله أى أمرهم بحفظه ، وقرئ بأمر الله ، وهذه القراءة تعضد ذلك ، ولا يتعلق من أمر الله على هذا ليحفظونه ، وقيل يتعلق به على أنهم يحفظونه من عقوبة الله إذا أذنب بدعائهم له واستغفارهم (إن الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعم (حتى يغيروا ما بأنفسهم) بالمعاصى فيقتضى ذلك أن الله لا يسلب النعم ولا يترك النقم إلا بالذنوب (يريكم البرق خوفاً وطمعاً) الخوف يكون مع البرق من الصواعق والأمور الهائلة ، والطمع فى المطر الذى يكون معه (السحاب الثقال) وصفها بالثقل ، لأنها تحمل الماء (ويسبح الرعد بحمده) الرعد اسم ملك وصوته المسموع تسبيح ، وقد جاء فى الأثر أن صوته زجر للسحاب ، فعلى هذا يكون تسبيحه غير ذلك (ويرسل الصواعق) قيل إنه إشارة إلى الصاعقة التى نزلت على أربد الكافر وقتلته حين هم بقتل النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو وأخوه عامر بن الطفيل واللفظ أعم من ذلك (وهم يجادلون فى الله) يعنى الكفار ، والواو للاستئناف أو للحال (شديد المحال) أى شديد القوة ، والمحال مشتق من الحيلة ، فالميم زائدة ، ووزنه مفعل ، وقيل معناه شديد المكر من قولك : محل بالرجل إذا مكر به ، فالميم على هذا أصلية ووزنه فعال وتأويل المكر على هذا القول كتأويله فى المواضع التى وردت فى القرآن (له دعوة الحق) قيل هى لا إله إلا الله ، والمعنى أن دعوة العباد بالحق لله ودعوتهم بالباطل لغيره (والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء) يعنى بالذين : ما عبدوا من دون الله من الأصنام وغيرها ، والضمير فى يدعون للكفار ، والمعنى أن المعبودين لا يستجيبون لمن عبدهم (إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) شبه إجابة الأصنام لمن عبدهم بإجابة الماء لمن بسط إليه كفيه وأشار إليه بالإقبال إلى فيه ولا يبلغ فمه على هذا أبداً لأن الماء جماد لا يعقل المراد ، فكذلك

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ
عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ
زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا
الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۝ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا

الأصنام ، والضمير فى قوله وما هو للماء ، وفى بيالغه للفم (ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها) من لا تقع إلا على من يعقل فهى هنا يراد بها الملائكة والإنس والجن فإذا جعلنا السجود بمعنى الانقياد لأمر الله وقضائه فهو عام فى الجميع : من شاء منهم ومن أبى ، ويكون طوعا لمن أسلم وكرها لمن كره وسخط ، وإن جعلنا السجود هو المعروف بالجسد ، فيكون لسجود الملائكة والمؤمنين من الإنس والجن طوعا ، وأما الكره فهو سجود المنافق وسجود ظل الكافر (وظلالهم) معطوف على من والمعنى أن الظلال تسجد غدوة وعشية وسجودها انقيادها للتصرف بمشيئة الله سبحانه وتعالى (قل الله) جواب عن السؤال المتقدم ، وهو من رب السموات والأرض ، وإنما جاء الجواب والسؤال من جهة واحدة ، لأنه أمر واضح لا يمكن جحده ولا المخالفة فيه ، ولذلك أقام به الحجة على المشركين بقوله : أفاتخذتم من دونه أولياء (قل هل يستوى الأعمى والبصير) الأعمى تمثيل للكافر والبصير تمثيل للمؤمن (الظلمات) الكفر (والنور) الإيمان ، وذلك كله على وجه التشبيه والتمثيل (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) أم هنا بمعنى بل والهمزة ، وخلقوا صفة لشركاء ، والمعنى أن الله وقفهم هل خلق شركاؤهم خلقا كخلق الله فحملهم ذلك واشتباهه بما خلق الله على أن جعلوا إلها غير الله ، ثم أبطل ذلك بقوله «قل الله خالق كل شيء» فحصل الرد عليهم (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الآية : هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه ، فمثل الحق وأهله بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به الأودية ، وينتفع به أهل الأرض ، وبالذهب والفضة والحديد والصفر وغيرها من المعادن التى ينتفع بها الناس ، وشبه الباطل فى سرعة اضمحلاله وزواله بالزبد الذى يرى به السيل ويريد تلك المعادن التى يطفو فوقها إذا أذيبت ، وليس فى الزبد منفعة ، وليس له دوام (بقدرها) يحتمل أن يريد ماقدر لها من الماء ، ويحتمل أن يريد بقدر ماتحتمله على قدر صغرها وكبرها (زبدا رابيا) الزبد مايحمله السيل من غثاء ونحوه والرابى المنتفخ الذى ربى ومنه الربوة (ومما يوقدون) المجرور فى موضع خبر المقدم ، والمبتدأ زبد مثله : أى ينشأ من الأشياء التى يوقد عليها زبد مثل زبد السيل (ابتغاء حلية أو متاع) الذى يوقد عليه ابتغاء الحلى : هو الذهب والفضة ، والذى يوقد عليه ابتغاء متاع هو الحديد والرصاص والنحاس والصفر وشبه ذلك ، والمتاع مايستمتع الناس به فى مرافقهم وحوائجهم (يضرب الله الحق والباطل) أى يضرب أمثال الحق والباطل (جفاء) يجفاه السيل أى يرمى به (وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) يريد الخالص من الماء ومن تلك الأحجار (للذين استجابوا لربهم الحسنى) الذين استجابوا هم المؤمنون ، وهذا

Marfat.com

لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۝ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۝ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۝ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۝ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ

استئناف كلام ، والحسنى الجنة ، وإعرابها مبتدأ وخبرها للذين استجابوا ، وللذين استجابوا مبتدأ وخبره لو أن لهم مافى الأرض الآية فيوقف على الأمثال ، وعلى الحسنى ، وقيل للذين استجابوا يتعلق بيضرب ، والحسنى مصدر من معنى استجابوا : أى استجابوا الاستجابة الحسنى، والذين لم يستجيبوا معطوف على الذين استجابوا ، والمعنى : يضرب الله الأمثال للطائفتين ، وعلى هذا إنما يوقف على والذين لم يستجيبوا له (سوء الحساب) أى المناقشة والاستقصاء (أفمن يعلم) تقرير . والمعنى أسواء من آمن ومن لم يؤمن ، والأعمى هنا من لم يؤمن بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل إنها نزلت فى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وأبى جهل لعنه الله (يصلون ما أمر الله به أن يوصل) القرابات وغيرها (ويدرءون بالحسنة السيئة) قيل يدفعون الشرك بقول لا إله إلا الله ، وقيل يدفعون من أساء إليهم بالتى هى أحسن ، والأظهر يفعلون الحسنات فيدرؤن بها السيئات كقوله إن الحسنات يذهبن السيئات ، وقيل إن هذه الآية نزلت فى الأنصار ، ثم هى عامة فى كل مؤمن اتصف بهذه الصفات (عقبى الدار) يعنى الجنة ، ويحتمل أن يريد بالدار : الآخرة وأضاف العقبى إليها لأنها فيها ، ويحتمل أن يريد بالدار الدنيا ، وأضاف العقبى إليها لأنها عاقبتها (جنات عدن) بدل من عقبى الدار أو خبر ابتداء مضمر تفسير العقبى الدار (ومن صلح) أى من كان صالحاً (سلام عليكم) أى يقولون لهم سلام عليكم (بما صبرتم) يتعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم ويجوز أن يتعلق بسلام أى ليسلم عليكم بما صبرتم (والذين ينقضون عهد الله) إلى آخر الآية أوصاف مضادة كما تقدم وقيل إنها فى الخوارج ، والأظهر أنها فى الكفار (سوء الدار) يحتمل أن يراد بها الدنيا والآخرة (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع على من يشاء، يضيق على من يشاء وهذا تفسيره حيث وقع (وفرحوا بالحياة الدنيا) إخبار فى ضمنه ذم وتسفيه لمن فرح بالدنيا لذلك حقرها بقوله وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع ، أى قليل بالنظر إلى الآخرة (قل إن الله يضل من يشاء) خرج به مخرج التعجب منهم لما طلبوا آية أى قد جاءكم محمد

مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۝ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ * وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ * أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ

صلى الله عليه وسلم بالقرآن وآيات كثيرة فعميتم عنها، وطلبتم غيرها وتماديتم على الكفر لأن الله يضل من يشاء مع ظهور الآيات وقد يهدي من يشاء دون ذلك (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) بدل من من أناب، أوخبر ابتداء مضمر والذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل ثان، أو مبتدأ (طوبى) مصدر من طاب كبشرى ومعناها أصابت خيراً وطيباً، وقيل هي شجرة في الجنة، وإعرابها مبتدأ (كذلك أرسلناك) الكاف تتعلق بالمعنى الذي في قوله يضل من يشاء ويهدي من يشاء (وهم يكفرون بالرحمن) قيل إنها نزلت في أبي جهل وقيل نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية، فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال قائلهم نحن لا نعرف الرحمن، وهذا ضعيف، لأن الآية نزلت قبل ذلك ولأن تلك القصة إنما أنكروا فيها التسمية فقط، ومعنى الآية أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم (متاب) مفعل من التوبة وهو اسم مصدر (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) الآية: جواب لو محذوف تقديره لو أن قرآنا على هذه الصفة من تسيير الجبال، وتقطيع الأرض وتكليم الموتى لم يؤمنوا به، فالمعنى كقوله لا يؤمنوا ولو جاءتهم كل آية، وقيل تقديره: ولو أن قرآنا على هذه الصفة لكان هذا القرآن الذي هو غاية في التذكير ونهاية في الإنذار كقوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا، وقيل هو متعلق بما قبله والمعنى، وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال (أفلم ييأس) معناه أفلم يعلم وهي لغة هوازن (ولا يزال الذين كفروا) يعني كفار قريش (قارعة) يعني مصيبة في أنفسهم وأولادهم وأموالهم. أو غزوات المسلمين إليهم (أو تحل) الفاعل ضمير القارعة. والمعنى إما أن تصيبهم، وإما أن تقرب منهم، وقيل التاء للخطاب، والفاعل ضمير المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم، والأول أظهر (حتى يأتي وعد الله) هو فتح مكة. وقيل قيام الساعة (ولقد استهزئ) الآية مقصدها تأنيس وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا حيث وقع (فأمليت) أي أمهلتهم (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) هو الله تعالى أي حفيظ رقيب على عمل كل أحد، والخبر محذوف تقديره: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق أن يعبد أم غيره، ويدل على ذلك قوله أم جعلوا لله شركاء (قل سموهم) أي اذكروا أسماءهم (أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض) المعنى أن الله لا يعلم

Marfat.com

تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ۝ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ۝ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ

لنفسه شركاء وإذا لم يعلمهم هو فليسوا بشيء ، فكيف تفترون الكذب فى عبادتهم ، وتعبدون الباطل ، وذلك كقولك : قل لى من زيد أم هو أقل من أن يعرف فهو كالعدم (أم بظاهر من القول) المعنى أتسمونهم شركاء بظاهر اللفظ من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) يعنى بالقتل والأسر والخوف وغير ذلك (مثل الجنة) هنا وفى القتال صفتها وليس بضرب مثل لها والخبر عند سيبويه محذوف مقدم تقديره فيما يتلى عليكم صفة الجنة ، وقال الفراء الخبر مؤخر وهو تجرى من تحتها الأنهار (أكلها دائم) يعنى ما يؤكل فيها من الثمرات وغيرها والأكل بضم الهمزة المأكول ، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها ، والأكل بفتح الهمزة المصدر (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك) يعنى من أسلم من اليهود والنصارى كعبدالله بن سلام والنجاشى وأصحابه وقيل يعنى المؤمنين والكتاب على هذا القرآن (ومن الأحزاب) قيل هم بنو أمية ، وبنو المغيرة من قريش والأظهر أنها فى سائر كفار العرب ، وقيل هم اليهود والنصارى لأنهم لا ينكروا القصاص والأشياء التى فى كتبهم ، وإنما ينكرون البعض مما لا يعرفونه أو حرفوه (قل إنما أمرت أن أعبد الله) وجه اتصاله بما قبله أنه جواب المنكرين ، ورد عليهم كأنه قال إنما أمرت بعبادة الله وتوحيده . فكيف تنكرون هذا (مآب) مفعل من الأوب وهو الرجوع ، أى مرجعى فى الآخرة أو مرجعى بالتوبة (وجعلنا لهم أزواجا وذرية) رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر أو يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من النساء والذرية ، فالمعنى لست ببدع فى ذلك ، بل أنت كمن تقدم من الرسل (وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله) رد على الذين اقترحوا الآيات (لكل أجل كتاب) قال الفراء لكل كتاب أجل بالعكس وهذا لا يلزم بل المعنى صحيح من غير عكس أى لكل أجل كتاب كتبه الله فى اللوح المحفوظ (يمحوا الله ما يشاء ويثبت) قيل يعنى ينسخ ما يشاء من القرآن والأحكام ، ويثبت منها ما يشاء ، وقيل هى فى آجال بنى آدم ، وذلك أن الله تعالى قدر فى ليلة القدر وقيل فى ليلة النصف من شعبان بكتب أجل من يموت فى ذلك العام فيمحوه من ديوان الأحياء ، ويثبت من لا يموت فى ذلك العام ، وقيل إن المحو والإثبات على العموم فى جميع الأشياء ، وهذا ترده القاعدة المتقررة أن القضاء لا يبدل ، وأن علم الله لا يتغير ، فقال بعضهم المحو والإثبات

Marfat.com

الكتاب * وإن ما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب * أولم يروا
أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب * وقد مكر الذين من
قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار * ويقول الذين كفروا
لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب *

سورة إبراهيم عليه السلام

مكية إلا آيتى ٢٨ و ٢٩ فمدنيتان وآياتها ٥٢ نزلت بعد سورة نوح

بسم الله الرحمن الرحيم * الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى
صراط العزيز الحميد * الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد *
الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك فى ضلال بعيد *
وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز

فى كل شىء إلا فى السعادة والشقاوة الأخروية ، والآجال (وعنده أم الكتاب) أصل كل كتاب ، وهو اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه مقادير الأشياء كلها (وإن ما نرينك) إن شرط دخلت عليها ما المؤكدة وجوابها ، فإنما . (أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) الاتيان هنا بالقدرة والأمر ، والأرض أرض الكفار ونقصها هو بما يفتح الله على المسلمين منها والمعنى أو لم يروا ذلك فيخافوا أن نمكنك منهم ، وقيل الأرض جنس ، ونقصها بموت الناس ، وهلاك الثمرات وخراب البلاد وشبه ذلك (لا معقب لحكمه) المعقب الذى يكر على الشىء فيبطله (فلله المكر جميعا) تسمية للعقوبة باسم الذنب (وسيعلم الكافر) تهديد ، والمراد بالكافر الجنس بدليل قراءة الكفار بالجمع ، وعقبى الدار الدنيا والآخرة (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) أمره الله أن يستشهد الله على صحة نبوته وشهادة الله له هى علمه بذلك وإظهاره الآيات الدالة على ذلك (ومن عنده علم الكتاب) معطوف على اسم الله على وجه الاستشهاد به ، وقيل المراد عبد الله بن سلام ومن أسلم من اليهود والنصارى الذين يعلمون صفته صلى الله عليه وسلم من التوراة والإنجيل ، وقيل المراد المؤمنون الذين يعلمون علم القرآن ودلالته على النبوة ، وقيل المراد الله تعالى فهو الذى عنده علم الكتاب ، ويضعف هذا ، لأنه عطف صفة على موصوف ، ويقويه قراءة ومن عنده بمن الجارة وخفض عنده

سورة إبراهيم عليه السلام

(لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ، والظلمات الكفر والجهل ، والنور الإيمان والعلم (بإذن ربهم) أى بأمره وهو إرساله (إلى صراط العزيز الحميد) بدل من إلى النور (الله) قرئ بالرفع وهو مبتدأ أو خبر مبتدأ مضمر ، وبالخفض بدل (يستحبون) أى يؤثرون (ويبغونها) قد ذكر (بلسان قومه) أى بلغتهم وكلامهم (أن

Marfat.com

ٱلْحَكِيمُ ، وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ، وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ، وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ، وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ * أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرَدُّوٓا أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ، قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا

أخرج) أن مفسرة أومصدرية على تقدير بأن (وذكرهم بأيام الله) أى عقوباته للأمم المتقدمة ، وقيل إنعامه على بنى إسرائيل ، واللفظ يعم النعم والنقم ، وعبر عنها بالأيام لأنها كانت فى أيام ، وفى ذلك تعظيم لها كقولهم يوم كذا ويوم كذا (ويذبحون أبناءكم) ذكرهنا بالواو ، ليدل على أن سوء العذاب غير الذبح أو أعم من ذلك ثم جر الذبح كقوله وملائكته وجبريل وميكال ذكر فى البقرة بغير واو تفسير للعذاب (وإذ تأذن ربكم) من كلام موسى ، وتأذن بمعنى أذن أى أعلم كقولك توعد وأوعد وإعلام الله مقترن بإنفاذ ما أعلم به (لئن شكرتم لأزيدنكم) هذا معمول تأذن لأنه يتضمن معنى قال ، ويحتمل أن تكون الزيادة من خير الدنيا أو من الثواب فى الآخرة أو منهما (ولئن كفرتم) يحتمل أن يريد كفر النعم أو الكفر بالإيمان والأول أرجح لمقابلته بالشكر (لايعلمهم إلا الله) عبارة عن كثرتهم كقوله، وقرونا بين ذلك كثيرا (فردوا أيديهم فى أفواههم) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن الضمائر لقوم الرسل . والمعنى أنهم ردوا أيديهم فى أفواه أنفسهم غيظا من الرسل كقوله، عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، أو استهزاء وضحكا : كمن غلبه الضحك فوضع يده على فمه ، والثانى أن الضمائر لهم ، والمعنى أنهم ردوا أيديهم فى أفواه أنفسهم إشارة على الأنبياء بالسكوت ، والثالث أنهم ردوا أيديهم فى أفواه الأنبياء تسكيتا لهم ، وردا لقولهم (أفى الله شك) المعنى أفى وجود الله شك أو أفى إلهيته شك ، وقيل فى وحدانيته ، والهمزة للتقرير والتوبيخ لأنه لايحتمل الشك لظهور الأدلة ، ولذلك وصفه بعد بقوله : فاطر السموات والأرض (من ذنوبكم) قيل إن من زائدة ، ومنع سيبويه زيادتها فى الواجب وهى عنده للتبعيض ، ومعناه أن يغفر للكافر إذا أسلم ماتقدم من ذنبه قبل الإسلام ، ويبقى مايذنب بعده فى المشيئة فوقعت المغفرة فى البعض ولم يأت فى القرآن غفران بعض الذنوب إلا للكافر كهذا الموضع ، والذى فى الأحقاف وسورة نوح وجاء للمؤمنين بغير من كالذى فى الصف (ويؤخركم إلى أجل مسمى) قال الزمخشرى وأهل مذهبه من المعتزلة : معناه يؤخركم إن آمنتم إلى آجالكم ، وإن لم تؤمنوا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ، وهذا بناء على قولهم بالأجلين ، وأهل السنة يأبون هذا ، فإن الأجل عندهم واحد محتوم،

Marfat.com

فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۞ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۞ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۞ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۞ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۞ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۞ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ

(قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا) يحتمل أن يكون قولهم استبعادا لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة أو يكون إحالة لنبوة البشر ، والأول أظهر لطلبهم البرهان فى قولهم فأتونا بسلطان مبين ولقول الرسل . ولكن الله يمن على من يشاء من عباده أى بالتفضيل بالنبوة (وما لنا ألا نتوكل على الله) والمعنى أى شىء يمنعنا من التوكل على الله (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) إن قيل لم كرر الأمر ؟ فالجواب عندى أن قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون راجع إلى ما تقدم من طلب الكفار بسلطان مبين أى حجة ظاهرة ، فتوكل الرسل فى ورودها على الله ، وأما قوله فليتوكل المتوكلون : فهو راجع إلى قولهم ولنصبرن على ما آذيتمونا أى نتوكل على الله فى دفع أذاكم وقال الزمخشرى إن هذا الثانى فى معنى الثبوت ، على التوكل (أو لتعودن فى ملتنا) أو هنا بمعنى إلا أن ، أو على أصلها ، لوقوع أحد الشيئين ، والعود هنا بمعنى الصيرورة . وهو كثير فى كلام العرب ولا يقتضى أن الرسل ، كانوا فى ملة الكفار قبل ذلك (خاف مقامى) فيه ثلاثة أوجه هنا وفى ولمن خاف مقام ربه فى الرحمن فالأول أن معناه مقام الحساب فى القيامة والثانى : أن معناه قيام الله على عباده بأعمالهم والثالث أن معناه خافنى وخاف ربه ، على إقحام المقام أو على التعبير به عن الذات (واستفتحوا) الضمير للرسل أى استنصروا بالله وأصله طلب الفتح وهو الحكم (جبار) أى قاهر أو متكبر (عنيد) مخالف للانقياد (من ورائه) فى الموضعين والوراء هنا بمعنى ما يستقبل من الزمان ، وقيل معناه هنا أمامه وهو بعيد (ويسقى) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ويسقى ، وإنما ذكر هذا السقى تجريدا بعد ذكر جهنم ، لأنه من أشد عذابها (يتجرعه ولا يكاد يسيغه) أى يتكلف جرعه وتصعب عليه إساغته ونفى كاد يقتضى وقوع الإساغة بعد جهد ، ومعنى يسيغه يبتلعه (ويأتيه الموت من كل مكان) أى يجد مثل ألم الموت وكربته من جميع الجهات (وما هو بميت) أى لا يراح بالموت (مثل الذين كفروا) مذهب سيبويه والفراء فيه كقولهما فى مثل الجنة التى فى الرعد والقتال والخبر عند سيبويه محذوف تقديره فيما يتلى عليكم والخبر عند الفراء الجملة التى بعده ، والمثل هنا بمعنى الشبيه (أعمالهم كرماد) تشبيها بالرماد فى ذهابها وتلاشيها (فى يوم عاصف) أى شديد الريح والعصوف فى الحقيقة من صفة الريح (لا يقدرون مما كسبوا على شىء)

Marfat.com

شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَٰلُ الْبَعِيدُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَٰؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَىٰنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ۝ وَقَالَ الشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ ۝ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۝ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝ أَلَمْ

أى لايرون له منفعة (وبرزوا لله) أى ظهروا ومعنى الظهور هنا خروجهم من القبور ، وقيل معناه صاروا بالبراز ، وهى الأرض المتسعة (تبعا) جمع تابع أومصدر وصف به مبالغة ، أو على حذف مضاف (من عذاب الله من شيء) من الأولى للبيان ، والثانية للتبعيض ، ويجوز أن يكونا للتبعيض معاقاله الزمخشرى ، والأظهر أن الأولى للبيان ، والثانية زائدة والمعنى هل أنتم دافعون أو متحملون عنا شيئا من عذاب الله (محيص) أى مهرب حيث وقع ، ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسم مكان (وقال الشيطان) يعنى إبليس الأقدم ، روى أنه يقوم خطيبا بهذا الكلام يوم القيامة أوفى النار يقوله لأهلها (لما قضى الأمر) إن كان كلام إبليس فى القيامة بمعنى قضى الأمر تعين قوم للنار وقوم للجنة وإن كان فى النار فمعنى قضى الأمر حصل أهل النار فى النار وأهل الجنة فى الجنة (إلا أن دعوتكم) استثناء منقطع (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى) أى ما أنا بمغيثكم وما أنتم فمغيثين لى (بما أشركتمون) ما مصدرية : أى بإشراككم لى مع الله فى الطاعة (من قبل) يتعلق بأشركتمون ويحتمل أن يتعلق بكفرتم ، والأول أظهر وأرجح (إن الظالمين) استئناف من كلام الله تعالى ، ويحتمل أن يكون حكاية عن إبليس (بإذن ربهم) يتعلق بأدخل أو بخالدين ، والأول أحسن (كلمة طيبة) ابن عباس وغيره هى لا إله إلا الله وقيل كل حسنة (كشجرة طيبة) هى النخلة فى قول الجمهور ، واختار ابن عطية أنها شجرة غير معينة إلا أنها كل ما اتصف بتلك الصفات (وفرعها فى السماء) أى فى الهواء ، وذلك عبارة عن طولها (تؤتى أكلها كل حين) الحين فى اللغة وقت غير محدود وقد تقترن به قرينة تحده ، وقيل فى كل حين كل سنة لأن النخلة تطعم فى كل سنة ، وقيل غير ذلك (ومثل كلمة خبيثة) هى كلمة الكفر ، وقيل كل كلمة قبيحة (كشجرة خبيثة) هى الحنظلة عند الجمهور ، واختار ابن عطية أنها غير معينة (اجتثت) أى اقتلعت وحقيقة

تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ * قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۝ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى

الاجتثاث أخذ الجثة ، وهذا فى مقابلة قوله أصلها ثابت (بالقول الثابت) هو لا إله إلا الله ، والإقرار بالنبوة (فى الحياة الدنيا) أى إذا فتنوا لم يزلوا (وفى الآخرة) هو عند السؤال فى القبر عند الجمهور (بدلوا نعمة الله كفرا) نعمة الله هنا هو محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ودينه : أنعم الله به على قريش فكفروا النعمة ولم يقبلوها ، والتقدير بدلوا شكر نعمة الله كفرا (وأحلوا قومهم) أى من أطاعهم واتبعهم (دار البوار) فسرها بقوله جهنم (يقيموا الصلاة وينفقوا) هى جواب شرط فقد يتضمنه قوله قل تقديره إن تقل لهم أقيموا يقيموا ، ومعمول القول على هذا محذوف ، وقيل جزم بإضمار لام الأمر تقديره ليقيموا (ولا خلال) من الخلة وهى المودة (إن الإنسان) يريد الجنس (البلد آمنا) ذكر فى البقرة (واجنبنى) أى امنعنى ، والماضى منه جنب ، يقال جنب وجنب بالتشديد ، وأجنب بمعنى واحد (وبنىّ) يعنى بنىّ من صلبى وفيهم أجيبت دعوته وأما أعقاب بنيه فعبدوا الأصنام (ومن عصانى) يعنى من عصاه بغير الكفر وبالكفر ثم تاب منه ، فهو الذى يصح أن يدعى له بالمغفرة ولكنه ذكرا للفظ بالعموم لما كان عليه السلام من الرحمة للخلق وحسن الخلق (أسكنت من ذريتى) يعنى ابنه إسماعيل عليه السلام لما ولدته أمه هاجر غارت منها سارة زوجة إبراهيم فحمله مع أمه من الشام إلى مكة (بواد) يعنى مكة ، والوادى ما بين جبلين وإن لم يكن فيه ماء (عند بيتك المحرم) يعنى الكعبة فإما أن يكون البيت أقدم من إبراهيم على ما جاء فى بعض الروايات ، وإما أن يكون إبراهيم قد علم أنه سيبنى هناك بيتا (ليقيموا الصلاة) اللام يحتمل أن تكون لام الأمر بمعنى الدعاء أو لام كى وتتعلق بأسكنت وجمع الضمير يدل على أنه قد كان علم أن ابنه يعقوب هناك نسلا (تهوى إليهم) أى تسير بجد وإسراع ولهذه الدعوة حبب الله حج البيت إلى الناس على أنه قال من الناس بالتبعيض ، قال بعضهم : لو قال أفئدة الناس لحجته فارس والروم (وارزقهم من الثمرات) أى ارزقهم فى ذلك الوادى مع أنه غير ذى زرع وأجاب الله دعوته

Marfat.com

أَنَّهُ من شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ۞ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ۞ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ۞ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ۞ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ * وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ۞ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۞ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ

لجعل مكة يجبى إليها ثمرات كل شيء (وما يخفى على الله) الآية: يحتمل أن تكون من كلام الله تعالى، أو حكاية عن إبراهيم (وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق) روى أنه ولد له إسماعيل وهو ابن مائةوسبع عشرة عاما، وروى أقل من هذا، وإسماعيل أسن من إسحق (ربنا وتقبل دعاء) إن أراد بالدعاء الطلب والرغبة فمعنى القبول: الاستجابة، وإن أراد بالدعاء العبادة، فالقبول على حقيقته (ربنا اغفر لى ولوالدى) قيل إنما دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين بشرط إسلامهما، والصحيح أنه دعا لهما قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله حسبما ورد فى براءة (ولا تحسبن الله غافلا) هذا وعيد للظالمين وهم الكفار على الأظهر، فإن قيل لمن هذا الخطاب هنا وفى قوله ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله، فالجواب أنه يحتمل أن يكون خطابا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أولغيره، فإن كان لغيره فلا إشكال وإن كان له فهو مشكل لأن النبى صلى الله عليه وسلم لايحسب أن الله غافلا، وتأويل ذلك بوجهين: أحدهما أن المراد الثبوت على علمه بأن الله غيرغافل وغيرمخلف وعده، والآخرأن المرادإعلامه بعقوبة الظالمين فمقصد الكلام الوعيدلهم(تشخص فيه الأبصار) أى تحد النظر من الخوف (مهطعين) قيل الإهطاع الإسراع، وقيل شدة النظر من غير أن يطرف (مقنعى رؤسهم) قيل الإقناع هو رفع الرأس، وقيل خفضه من الذلة (لايرتد إليهم طرفهم) أى لايطرفون بعيونهم من الحذر والجزع (وأفئدتهم هواء) أىمنحرفة لاتعى شيئامن شدة الجزع فشبهها بالهواء فى تعريفه من الأشياء، ويحتمل أن يريد مضطربة فى صدورهم (يوم يأتيهم العذاب) يعنى يوم القيامة، وانتصاب يوم على أنه مفعول ثان لأنذر، ولايجوز أن يكون ظرفا (أولم تكونوا) تقديره يقال لهم أولم تكونوا الآية (مالكم من زوال) هو المقسم عليه، ومعنى من زوال أى من الأرض بعدالموت أى حلفتم أنكم لاتبعثون (وعند الله مكرهم) أى جزاء مكرهم (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) إن هنا نافية، واللام لام الجحود، والجبال يراد بها الشرائع والنبوات شبهت بالجبال فى ثبوتها، والمعنى تحقير مكرهم لأنه لاتزول منه تلك الجبال الثابتة الراسخة؛ وقرأ الكسائى لتزول بفتح اللام ورفع تزول، وإن على هذه القراءة مخففة من الثقيلة، واللام للتأكيد، والمعنى تعظيم مكرهم أى أن مكرهم من شدته تزول منه الجبال، ولكن

إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنْتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۞ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۞ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۞ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ *

سورة الحجر

مكية إلا آية ٨٧ فمدنية وآياتها ٩٩ نزلت بعد سورة يوسف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۞ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ * ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَٰبٌ

الله عصم ووقى منه (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) يعنى وعد النصر على الكفار. فإن قيل هلا قال مخلف رسله وعده، ولم قدم المفعول الثانى على الأول؟ فالجواب أنه قدم الوعد ليعلم أنه لا يخالف الوعد أصلا على الإطلاق، ثم قال رسله ليعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس، فكيف يخلف وعد رسله وخيرة خلقه فقدم الوعد أولا بقصد الإطلاق، ثم ذكر الرسل لقصد التخصيص (يوم تبدل الأرض غير الأرض) العامل فى الظرف ذوا انتقام أو محذوف، وتبديل الأرض بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقى هكذا ورد فى الحديث الصحيح (والسموات) تبديلها بانشقاقها وانتشار كواكبها، وخسوف شمسها وقمرها وقيل تبدل أرضا من فضة، وسماء من ذهب وهذا ضعيف (وترى المجرمين) يعنى الكفار (مقرنين فى الأصفاد) أى مربوطين فى الأغلال (سرابيلهم) أى قمصهم والسربال القميص (من قطران) متعلق بمحذوف أى جعل الله فيه ذلك وهو الذى تهيأ به الإبل وللنار فيه اشتعال شديد، فلذلك جعل الله قمص أهل النار منه (ليجزى) يتعلق بمحذوف أى فعل الله ذلك ليجزى (هذا بلاغ) إشارة إلى القرآن أو إلى ما تضمنته هذه السورة (ولينذروا) معطوف على محذوف تقديره لينصحوا به ولينذروا (وليذكر أولو الألباب) أى هذا الذكر لأولى العقول وهم أهل العلم رضى الله عنهم

سورة الحجر

(تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) يحتمل أن يريد بالكتاب الكتب المتقدمة، وعطف القرآن عليها، والظاهر أنه القرآن وعطفه عطف الصفات (ربما) قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان. وما حرف كافة لرب، ومعنى رب التقليل، وقد تكون للتكثير، وقيل إن هذه منه، وقيل إنما عبر عن التكثير بأداة التقليل على وجه التهكم كقوله: قد نرى تقلب وجهك فى السماء، وقد يعلم ما أنتم عليه، وقيل إن معنى التقليل فى هذه أنهم لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة لوجب أن يسارعوا إليه. فكيف وهم يودونه مرارا كثيرة ولا تدخل إلا على الماضى (يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) قيل إن ذلك عند الموت. وقيل

معلوم ، ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ، وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ، لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ، ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين * إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ، ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ، وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون * كذلك نسلكه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ، ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ،

فى القيامة ، وقيل إذا خرج عصاة المسلمين من النار ، وهذا هو الأرجح لحديث روى فى ذلك (ذرهم) ومابعده تهديد (كتاب معلوم) أى وقت محدود (وقالوا ياأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون) الضمير فى قالوا لكفار قريش ، وقولهم نزل عليه الذكر يعنون على وجه الاستخفاف ، أى بزعمك ودعواك (لو ما تأتينا بالملائكة) لوما عرض وتحضيض ، والمعنى أنهم طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالملائكة معه (ما ننزل الملائكة إلا بالحق) رد عليهم فيما اقترحوا ، والمعنى أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق من الوحى والمصالح ، التى يريدها الله ، لا باقتراح مقترح واختيار كافر ، وقيل الحق هنا العذاب (وما كانوا إذا منظرين) إذاً حرف جواب وجزاء ، والمعنى لو أنزل الملائكة لم يؤخر عذاب هؤلاء الكفار ، الذين اقترحوا نزولهم ، لأن من عادة الله أن من اقترح آية فرآها ولم يؤمن أنه يعجل له العذاب ، وقد علم الله ، أن هؤلاء القوم يؤمن كثير منهم ، ويؤمن أعقابهم فلم يفعل بهم ذلك (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الذكر هنا هو القرآن وفى قوله إنا نحن نزلنا الذكر رداً لإنكارهم واستخفافهم فى قولهم : يا أيها الذى نزل عليه الذكر ولذلك أكده بنحن واحتج عليه بحفظه ، ومعنى حفظه حراسته عن التبديل والتغيير كما جرى فى غيره من الكتب ، فتولى الله حفظ القرآن فلم يقدر أحد على الزيادة فيه ولا النقصان منه ولا تبديله بخلاف غيره من الكتب ، فإن حفظها موكول إلى أهلها لقوله بما استحفظوا من كتاب الله (فى شيع الأولين) الشيع جمع شيعة وهى الطائفة التى تتشيع لمذهب أو رجل (كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين) معنى نسلكه ندخله ، والضمير فى نسلكه يحتمل أن يكون للاستهزاء الذى دل عليه قوله به يستهزؤن أو يكون للقرآن أى نسلكه فى قلوبهم فيستهزؤا به ، ويكون قوله كذلك تشبيها للاستهزاء المتقدم ، ولا يؤمنون به تفسيرا لوجه إدخاله فى قلوبهم ، والضمير فى به للقرآن (وقد خلت سنة الأولين) أى تقدمت طريقتهم على هذه الحالة من الكفر والاستهزاء حتى هلكوا بذلك ، فى الكلام تهديد لقريش (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا) الضمائر لكفار قريش المعاندين المحتوم عليهم بالكفر وقيل الضمير فى ظلوا وفى يعرجون للملائكة وفى قالوا للكفار ، ومعنى يعرجون يصعدون ، والمعنى أن هؤلاء الكفار لو رأوا أعظم آية لقالوا إنها تخييل أو سحر ، وقرئ سكرت بالتشديد والتخفيف ، ويحتمل أن يكون مشتقا من السكر ، فيكون معناه أحيرت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته أو من السكر وهو السد فيكون معناه منعت أبصارنا

Marfat.com

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ۝ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۝ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۞ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ۞ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَٰرِثُونَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَـْٔخِرِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ وَالْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ۝ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ الْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ ۞ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ

من النظر (بروجا) يعنى المنازل الاثنى عشر (إلا من استرق السمع) استثناء من حفظ السموات فهو فى موضع نصب (من كل شىء موزون) أى مقدر بقدر ، فالوزن على هذا استعارة وقيل المراد مايوزن حقيقة كالذهب والأطعمة ، والأول أعم وأحسن (ومن لستم له برازقين) يعنى البهائم والحيوانات ومن معطوف على معايش وقيل على الضمير فى لكم ، وهذا ضعيف فى النحو لأنه عطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض وهو قوى فى المعنى أى جعلنا فى الأرض معايش لكم وللحيوانات (وإن من شىء إلا عندنا خزائنه) قيل يعنى المطر ، واللفظ أعم من ذلك ، والخزائن المواضع الخازنة ، وظاهر هذا أن الأشياء موجودة قد خلقت ، وقيل ذلك تمثيل ، والمعنى وإن من شىء إلا نحن قادرون على إيجاده وتكوينه (بقدر معلوم) أى بمقدار محدود (وأرسلنا الرياح لواقح) يقال لقحت الناقة والشجرة إذا حملت فهى لاقحة وألقحت الريح الشجر فهى ملقحة ولواقح جمع لاقحة ، لأنها تحمل الماء أو جمع ملحقة على حذف الميم الزائدة (ولقد علمنا المستقدمين) الآية : يعنى الأولين والآخرين من الناس ، وذكر ذلك على وجه الاستدلال على الحشر الذى ذكر بعد ذلك فى قوله وإن ربك هو يحشرهم لأنه إذا أحاط بهم علماً لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم ، وقيل يعنى من استقدم ولادة وموتاً ومن تأخر ، وقيل من تقدم إلى الإسلام ومن تأخر عنه (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال) الإنسان هنا هو آدم عليه السلام ، والصلصال الطين اليابس الذى يصلصل أى يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار (من حمأ مسنون) الحمأ الطين الأسود ، والمسنون المتغير المنتن ، وقيل إنه من أسن الماء إذا تغير ، والتصريف يرد هذا القول ، وموضع من حمأ صفة لصلصال : أى صلصال كائن من حمأ (والجان خلقناه) يراد به جنس الشياطين ، وقيل إبليس الأول ، وهذا أرجح لقوله من قبل وتناسلت الجن من إبليس وهو للجن كآدم للناس (السموم) شدة الحر (خالق بشرا) يعنى آدم عليه السلام (ونفخت فيه من روحى) يعنى الروح التى فى الجسد ، وأضاف الله تعالى الروح إلى نفسه إضافة ملك إلى مالك أى من الروح

أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۞ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۞ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۞ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ ادْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۞ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ * نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۞ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۞ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۞ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۞ قَالُوا بَشَّرْنَٰكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَٰنِطِينَ ۞ قَالَ وَمَن

الذى هو لى وخلق من خالق ، وتقدم الكلام على سجود الملائكة فى البقرة (فاخرج منها) أى من الجنة أو من السماء (قال رب) يقتضى إقراره بالربوبية وأن كفره كان بوجه غير الجحود ، وهو اعتراضه على الله فى أمره بالسجود لآدم (إلى يوم الوقت المعلوم) اليوم الذى طلب إبليس أن ينظر إليه هو يوم القيامة ، وقيل الوقت المعلوم الذى أنظر إليه هو يوم النفخ فى الصور النفخة الأولى حين يموت من فى السموات ومن فى الأرض وكان سؤال إبليس الانتظار إلى يوم القيامة جهلا منه ومغالطة إذ سأل مالا سبيل إليه لأنه لو أعطى ما سأل لم يمت أبدا لأنه لا يموت أحد بعد البعث فلما سأل مالا سبيل إليه : أعرض الله عنه ، وأعطاه الانتظار إلى النفخة الأولى (فبما أغويتنى) الباء للسببية أى لأغوينهم بسبب إغوائك لى ، وقيل للقسم كأنه قال بقدرتك على إغوائى لأغوينهم ، والضمير لذرية آدم (قال هذا صراط علىّ مستقيم) القائل لهذا هو الله تعالى ، والإشارة بهذا إلى نجاة المخلصين من إبليس وأنه لا يقدر عليهم أو إلى تقسيم الناس إلى غوىّ ومخلص (إلا عبادك) يحتمل أن يريد بالعباد جميع الناس ، فيكون قوله إلا من اتبعك استثناء متصل أو يريد بالعباد المخلصين فيكون الاستثناء منقطعا (وإن جهنم لموعدهم) الضمير للغاوين (لها سبعة أبواب) روى أنها سبعة أطباق فى كل طبقة باب ، فأعلاها المذنبين من المسلمين والثانى لليهود ، والثالث للنصارى ، والرابع للصابئين والخامس للمجوس، والسادس للمشركين ، والسابع للمنافقين (ادخلوها) تقديره يقال لهم ادخلوها والسلام يحتمل أن يكون التحية أو السلامة (إخوانا) يعنى أخوة المودة والإيمان (متقابلين) أى يقابل بعضهم بعضاً على الأسرة (نصب) أى تعب (نبىء عبادى) الآية : أعلمهم والآية آية ترجية وتخويف (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) ضيف هنا واقع على جماعة وهم الملائكة الذين جاءوا إلى إبراهيم بالبشرى (وجلون) أى خائفون ، والوجل الخوف (لا توجل) أى لا تخف (إنا نبشرك بغلام عليم) هو إسحاق (قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر) المعنى أبشرتمونى بالولد مع أنى قد كبرسنى،

Marfat.com

يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۞ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۞ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۞ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۞ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۞ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ۞ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۞ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۞ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ۞ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ۞ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ۞ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۞ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۞ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً

وكان حينئذ ابن مائة سنة ، وقيل أكثر (فبم تبشرون) قال ذلك على وجه التعجب من ولادته فى كبره أو على وجه الاستبعاد ، ولذلك قرئ تبشرون ، بتشديد النون وكسرها على إدغام نون الجمع فى نون الوقاية وبالكسر والتخفيف على حذف إحدى النونين وبالفتح وهى نون الجمع (قالوا بشرناك بالحق) أى باليقين الثابت فلا تستبعده ولا تشك فيه (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) دليل على تحريم القنوط ، وقرئ يقنط بفتح النون وكسرها وهما لغتان (قال فما خطبكم) أى ماشأنكم، وبأى شيء جئتم (إلى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (إلا آل لوط) يحتمل أن يكون استثناء من قوم لوط فيكون منقطعاً لوصف القوم بالاجرام، ولم يكن آل لوط مجرمين ويحتمل أن يكون استثناء من الضمير فى المجرمين، فيكون متصلا كأنه قال إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط فلم يجرموا (إلا امرأته) استثناء من آل لوط ، فهو استثناء من استثناء وقال الزمخشرى إنما هو استثناء من الضمير المجرور فى قوله لمنجوهم ، وذلك هو الذى يقتضيه المعنى (قدرنا إنها لمن الغابرين) الغابر يقال بمعنى الباقى ، وبمعنى الذاهب وإنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم ، وهو لله وحده لما لهم من القرب والاختصاص بالله ، لاسيما فى هذه القضية ، كما تقول خاصة الملك للملك دبرنا كذا ويحتمل أن يكون حكاية عن الله (قوم منكرون) أى لانعرفهم (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى جئناك بالعذاب لقومك ومعنى يمترون يشكون فيه (واتبع أدبارهم) أى كن خلفهم أى فى ساقتهم حتى لا يبقى منهم أحد وليكونوا قدامه ، فلا يشتغل قلبه بهم لو كانوا وراءه لخوفه عليهم (ولا يلتفت منكم أحد) تقدم فى هود (وامضوا حيث تؤمرون) قيل هى مصر وقيل حيث هنا للزمان إذ لم يذكر مكان (وقضينا إليه ذلك الأمر) هو من القضاء والقدر ، وإنما تعدى بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا وقيل معناه أعلمناه بذلك الأمر (أن دابر هؤلاء مقطوع) هذا تفسير لذلك الأمر ، ودابر القوم أصلهم ، والإشارة إلى قوم لوط (مصبحين) فى الموضعين أى إذا أصبحوا ودخلوا فى الصباح (وجاء أهل المدينة يستبشرون) المدينة هى سدوم واستبشار أهلها بالأضياف طمعاً أن ينالوا منهم الفاحشة (قالوا أولم ننهك عن العالمين) كانوا قد نهوه أن يضيف أحداً (قال هؤلاء بناتى) دعاهم إلى تزويج بناته ليقى بذلك أضيافه (لعمرك) قسم والعمر الحياة ، ففى ذلك كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم ، لأن الله أقسم بحياته ، أوقيل هو من قول الملائكة للوط وارتفاعه بالابتداء وخبره محذوف تقديره لعمرك قسمى واللام للتوطئة (إنهم لفى

مِّن سِجِّيلٍ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۞ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ الْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۞ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ * وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۞ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۞ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۞ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّٰقُ الْعَلِيمُ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ۞ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقُلْ إِنِّي أَنَا

سكرتهم يعمهون) الضمير لقوم لوط ، وسكرتهم ضلالهم وجهلهم ، ويعمهون أى يتحيرون (فأخذتهم الصيحة) أى صيحة جبريل وهى أخذه لهم (مشرقين) أى داخلين فى الشروق وهو وقت بزوغ الشمس ، وقد تقدم تفسير مابعد هذا من قصتهم فى هود (المتوسمين) أى للمتفرسين ، ومنه فراسة المؤمن ، وقيل للمعتبرين ، وحقيقة التوسم النظر إلى السيمة (وإنها لبسبيل مقيم) أى بطريق ثابت يراه الناس والضمير المدينة المهلكة (وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين) أصحاب الأيكة قوم شعيب والأيكة الغيضة من الشجر لما كفروا أضرمها الله عليهم نارا (وإنهما لبإمام مبين) الضمير فى إنهما قيل إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب ، فالإمام على هذا الطريق : أى إنهما بطريق واضح يراه الناس ، وقيل الضمير للوط وشعيب أى إنهما على طريق من الشرع واضح والأول أظهر (أصحاب الحجر) هم ثمود قوم صالح ، والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام (المرسلين) ذكره بالجمع وإنما كذبوا واحدا منهم وفى ذلك تأويلان أحدهما أن من كذب واحدا من الأنبياء لزمه تكذيب الجميع لأنهم جاءوا بأمر متفق من التوحيد ، والثانى أنه أراد الجنس كقولك فلانا يركب الخيل ، وإن لم يركب إلا فرسا واحدا (وآتيناهم آياتنا) يعنى الناقة ، وماكان فيها من العجائب (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) النحت النقر بالمعاويل وشبهها فى الحجر والعود وشبه ذلك وكانوا ينقرون بيوتهم فى الجبال (آمنين) يعنى آمنين من تهدم بيوتهم لوثاقتها ، وقيل آمنين من عذاب الله (إلا بالحق) يعنى أنها لم تخلق عبثا (فاصفح الصفح الجميل) قيل إن الصفح الجميل هو الذى ليس معه عقاب ولا عتاب ، وفى الآية مهادنة للكفار منسوخة بالسيف (ولقد آتيناك سبعا من المثانى) يعنى أم القرآن لأنها سبع آيات ، وقيل يعنى السور السبع الطوال ، وهى البقرة وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال مع براءة ، والأول أرجح لوروده فى الحديث ، والمثانى مشتق من التثنية وهى التكرير ، لأن الفاتحة تكرر قراءتها فى الصلاة ، ولأن غيرها من السور تكرر فيها القصص وغيرها ، وقيل هى مشتقة من الثناء ، لأن فيها ثناء على الله ، ومن يحتمل أن تكون للتبعيض أو لبيان الجنس ، وعطف القرآن على السبع المثانى لأنه يعنى ماسواها من القرآن فهو عموم بعد الخصوص (لا تمدن عينيك) أى لا تنظر إلى ما متعناهم به فى الدنيا كأنه يقول قد آتيناك السبع المثانى والقرآن العظيم ، فلا تنظر إلى الدنيا ، فإن الذى أعطيناك أعظم منها (أزواجا منهم) يعنى أصنافا من الكفار

Marfat.com

النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۝ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۝ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ۝ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّٰجِدِينَ ۝ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝

سورة النحل

مكية إلا الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية وآياتها ١٢٨ نزلت بعد الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * أَتَىٰٓ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ يُنَزِّلُ الْمَلَٰٓئِكَةَ

(ولا تحزن عليهم) أى لا تتأسف لكفرهم (واخفض جناحك) أى تواضع ولن (المؤمنين) والجناح هنا استعارة (كما أنزلنا على المقتسمين) الكاف من كما متعلقة بقوله أنا النذير أى أنذر قريشا عذابا مثل العذاب الذى أنزل على المقتسمين ، وقيل متعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك كتابا كما أنزلنا على المقتسمين ، واختلف فى المقتسمين فقيل هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه ، فاقتسموا إلى قسمين ، وقيل هم قريش اقتسموا أبواب مكة فى الموسم ، فوقف كل واحد منهم على باب ، يقول أحدهم هو شاعر ، ويقول الآخر هو ساحر ، وغير ذلك (الذين جعلوا القرآن عضين) أى أجزاء ، وقالوا فيه أقوالا مختلفة وواحد عضين عضة وقيل هو من العضه وهو السحر ، والعاضه الساحر ، والمعنى على هذا أنه سحر ، والكلمة محذوفة اللام ولامها على القول الأول واو وعلى الثانى هاء (فوربك لنسئلنهم أجمعين) إن قيل : كيف يجمع بين هذا وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان ؟ فالجواب أن السؤال المثبت هو على وجه الحساب والتوبيخ ، وأن السؤال المنفى هو على وجه الاستفهام المحض لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها (فاصدع بما تؤمر) أى صرح به وأنفذه (إنا كفيناك المستهزئين) يعنى قوما من أهل مكة أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعى النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا خمسة : الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل ، والأسود بن عبد المطلب ، والأسود بن عبد يغوث وعدى بن قيس ، وقصة هلاكهم مذكورة فى السير ، وقيل الذين قتلوا ببدر كأبى جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وعقبة بن معيط أبى وغيرهم ، والأول أرجح ، لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتأنيس (حتى يأتيك اليقين) أى الموت .

سورة النحل

(أتى أمر الله) قيل يعنى القيامة ، وقيل النصر على الكفار ، وقيل عذاب الكفار فى الدنيا ، ووضع الماضى موضع المستقبل لتحقق وقوع الأمر ولقربه ، وروى أنها لما نزلت وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فلما قال

Marfat.com

بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِٱلْحَقِّ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ
وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ
بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ * وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ * هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ
بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ

فلا تستعجلوه سكن (ينزل الملائكة بالروح) أى بالنبوة وقيل بالوحى (خلق الإنسان من نطفة) أى من نطفة المنى ، والمراد جنس الإنسان (فإذا هو خصيم مبين) فيه وجهان أحدهما أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه والثانى يخاصم فى ربه ودينه ، وهذا فى الكفار والأول أعم (لكم فيها دفء) أى ما يتدفأ به ، يعنى ما يتخذ من جلود الأنعام وأصوافها من الثياب ، ويحتمل أن يكون قوله لكم متعلقاً بما قبله أو بما بعده ويختلف الوقوف باختلاف ذلك (ومنافع) يعنى شرب ألبانها والحرث بها وغير ذلك (ومنها تأكلون) يحتمل أن يريد بالمنافع ماعدا الأكل فيكون الأكل أمراً زائداً عليها أو يريد بالمنافع الأكل وغيره ثم جرد ذكر الأكل لأنه أعظم المنافع (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) الجمال حسن المنظر وحين تريحون يعنى حين تردونها بالعشى إلى المنازل ، وحين تسرحون حين تردونها بالغداة إلى الرعى ، وإنما قدم تريحون على تسرحون لأن جمال الأنعام بالعشى أكثر لأنها ترجع وبطونها ملأى وضروعها حافلة (وتحمل أثقالكم يعنى الأمتعة وغيرها وقيل أجساد بنى آدم (إلى بلد) أى إلى أى بلد توجهتم ، وقيل يعنى مكة (بشق الأنفس) أى بمشقة (لتركبوها وزينة) استدل بعض الناس به على تحريم أكل الخيل والبغال والحمير ، لكونه علل خلقتها بالركوب والزينة دون الأكل ونصب زينة على أنه مفعول من أجله ، وهو معطوف على موضع لتركبوها (ويخلق ما لا تعلمون) عبارة على العموم أى أن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها ، وكل ما ذكر فى هذه الآية شيئاً مخصوصاً فهو على وجه المثال (وعلى الله قصد السبيل) أى على الله تقويم طريق الهدى بنصب الأدلة وبعث الرسل والمراد بالسبيل هنا الجنس ، ومعنى القصد القاصد الموصل ، وإضافته إلى السبيل من إضافة الصفة إلى الموصوف (ومنها جائر) الضمير فى منها يعود على السبيل إذ المراد به الجنس ومعنى الجائر : الخارج عن الصواب : أى ومن الطريق جائر كطريق اليهود والنصارى وغيرهم (ماء لكم) يحتمل أن يتعلق لكم بأنزل أو يكون فى موضع خبر لشراب ، أو صفة لماء (ومنه شجر) يعنى ما ينبت بالمطر من الشجر (فيه تسيمون) أى ترعون أنعامكم (وما ذرأ لكم فى الأرض) يعنى الحيوان والأشجار والثمار وغير ذلك (مختلفاً ألوانه) أى

Marfat.com

يذكرون * وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ۝ وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ۝ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ۝ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون * وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم * والله يعلم ما تسرون وما تعلنون * والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ۝ إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون * لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب

أصنافه وأشكاله (لحما طريا) يعنى الحوت (حلية تلبسونها) يعنى الجواهر والمرجان (مواخر فيها) جمع ماخرة يقال مخرت السفينة ، والمخر شق الماء ، وقيل صوت جرى الفلك بالرياح (لتبتغوا من فضله) يعنى فى التجارة وهو معطوف على لتأكلوا (وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم) الرواسى الجبال ، واللفظ مشتق من رسا إذا ثبت . وأن تميد فى موضع مفعول من أجله ، والمعنى أنه ألقى الجبال فى الأرض لئلا تميد الأرض وروى أنه لما خلق الله الأرض جعلت تميد فقالت الملائكة لا يستقر على ظهر هذه أحد فأصبحت وقد أرسيت بالجبال (وأنهارا) قال ابن عطية أنهارا منصوب بفعل مضمر تقديره وجعل أو خلق أنهارا قال وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل على أن ألقى أخص من جعل وخلق : ولو كانت ألقى بمعنى خلق : لم يحتج إلى هذا الإضمار (وسبلا) يعنى الطرق (وعلامات) يعنى ما يستدل به على الطرق من الجبال والمناهل وغير ذلك ، وهو معطوف على أنهارا وسبلا قال ابن عطية هو نصب على المصدر أى لعلكم تعتبرون ، وعلامات أى عبرة وأعلاما (وبالنجم هم يهتدون) يعنى الاهتداء بالليل فى الطرق ، والنجم هنا جنس ، وقيل المراد الثريا والفرقدان ، فان قيل: قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب وقدم فيه النجم كأنه يقول وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون : فمن المراد بهم؟ فالجواب أنه أراد قريشا لأنهم كان لهم فى الاهتداء بالنجم فى سيرهم علم لمن يكن لغيرهم ، وكان الاعتبار ألزم لهم فخصصوا ، قال ذلك الزمخشرى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) تقرير يقتضى الرد على من عبد غير الله . وإنما عبر عنهم بمن لأن فيهم من يعقل ومن لا يعقل ، أو مشاكلة لقوله أفمن يخلق (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ذكر من أول السورة إلى هنا أنواعا من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال بها على وحدانيته ، ولذلك أعقبها بقوله (أفمن يخلق كمن لا يخلق، وفيها أيضا تعداد لنعمه على خلقه ولذلك أعقبها بقوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ثم أعقب ذلك بقوله إن الله لغفور رحيم: أى يغفر لكم التقصير فى شكر نعمه (والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) نفى عن الأصنام صفات الربوبية ، وأثبت لهم أضدادها ، وهى أنهم مخلوقون غير خالقين ، وغير أحياء وغير عالمين بوقت البعث ، فلما قام البرهان ، على بطلان ربوبيتهم أثبت الربوبية لله وحده ، فقال: إلهكم إله واحد (أموات غير أحياء) أى لم تكن لهم حياة قط ولا تكون ، وذلك أغرق فى موتها ممن تقدمت له حياة ثم مات ، ثم يعقب موته حياة (وما يشعرون أيان يبعثون) الضمير فى يشعرون الأصنام وفى يبعثون للكفار الذين عبدوهم ، وقيل إن الضميرين للكفار (قلوبهم منكرة) أى تنكر وحدانية الله عز وجل (لا جرم) أى لا بد ولا شك ،

Marfat.com

الْمُسْتَكْبِرِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْىَ الْيَوْمَ وَالسُّوٓءَ عَلَى الْكَٰفِرِينَ ۝ الَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ فَادْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ۝ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا

وقيل إن لانفى لما تقدم ، وجرم معناه وجب ، أو حق ، وأن فاعلة بجرم (أساطير الأولين) أى ماسطره الأولون ، وكان النضر بن الحارث قد اتخذ كتاب تواريخ ، وكان يقول إنما يحدث محمد بأساطير الأولين ، وحديثى أجمل من حديثه ، وماذا يجوز أن يكون اسما واحدا مركبا من ما وذا ، ويكون منصوبا بأنزل أو أن تكون ما استفهامية فى موضع رفع بالابتداء ، وذا بمعنى الذى ، وفى أنزل ضمير محذوف (ليحملوا أوزارهم) اللام لام العاقبة والصيرورة : أى قالوا أساطير الأولين ، فأوجب ذلك أن حملوا أوزارهم وأوزار غيرهم ، ويحتمل أن تكون لام الأمر (بغير علم) حال من المفعول فى يضلونهم ، أو من الفاعل (فأتى الله بنيانهم من القواعد) الآية : قيل المراد بالذين من قبلهم نمروذ ، فإنه بنى صرحا ليصعد فيه إلى السماء بزعمه ، فلما علا فيه فرسخين هدمه الله وخر سقفه عليه ، وقيل المراد بالذين من قبلهم كل من كفر من الأمم المتقدمة ، ونزلت به عقوبة الله فالبنيان والسقف والقواعد على هذا تمثيل (ويقول أين شركائى) توبيخ للمشركين وأضاف الشركاء إلى نفسه أى على زعمكم ودعواكم ، وفيه تهكم بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) أى تعادون من أجلهم فمن قرأ بكسر النون فالمفعول ضمير المتكلم وهو الله عز وجل ، ومن قرأ بفتحها فالمفعول محذوف تقديره تعادون المؤمنين من أجلهم (قال الذين أوتوا العلم) هم الأنبياء والعلماء من كل أمة ، وقيل يعنى الملائكة ، واللفظ أعم من ذلك (ظالمى أنفسهم) حال من الضمير المفعول فى تتوفاهم (فألقوا السلم) أى استسلموا للموت (ما كنا نعمل من سوء) أى قالوا ذلك ، ويحتمل قولهم لذلك أن يكونوا قصدوا الكذب اعتصاما به كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين أو يكونوا أخبروا على حسب اعتقادهم فى أنفسهم فلم يقصدوا الكذب ، ولكنه كذب فى نفس الأمر (بلى) من قول الملائكة للكفار : أى قد كنتم تعلمون السوء (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) لما وصف مقالة الكفار الذين قالوا أساطير الأولين : قابل ذلك بمقالة المؤمنين ، فإن قيل : لم نصب جواب المؤمنين وهو قولهم خيرا ، ورفع جواب الكافرين وهو أساطير الأولين ؟ فالجواب : أن قولهم خيرا منصوب بفعل مضمر تقديره أنزل خيرا ، ففى ذلك اعتراف بأن الله أنزله ، وأما أساطير الأولين فهو خبر ابتداء مضمر تقديره هو أساطير الأولين فلم يعترفوا بأن الله أنزله فلا وجه لنصبه ، ولو كان منصوبا لكان الكلام متناقضا لأن قولهم أساطير الأولين يقتضى التكذيب بأن الله أنزله ، والنصب بفعل مضمر يقتضى التصديق بأن الله أنزله ، لأن تقديره أنزل ، فإن قيل : يلزم مثل هذا فى الرفع ، لأن تقديره هو أساطير الأولين فإنه غير مطابق للسؤال الذى هو ماذا أنزل ربكم ، فالجواب : أنهم عدلوا بالجواب

Marfat.com

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۞ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۞ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ۞ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا

عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين ، ولم ينزله الله (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) ارتفع حسنة بالابتداء وللذين خبره ، والجملة بدل من خيرا ، وتفسير للخير الذى قالوا ، وقيل هى استئناف كلام الله تعالى ، لا من كلام الذين قالوا خيراً (جنات عدن) يحتمل أن يكون هو اسم الممدوح بنعم ، فيكون مبتدأ وخبره فيما قبله أو خبر ابتداء مضمر ، ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره يدخلونها أو مضمر تقديره لهم جنات عدن (هل ينظرون) أى ينتظرون ، والضمير للكفار وإلا أن تأتيهم الملائكة يعنى لقبض أرواحهم (أو يأتى أمر ربك) يعنى قيام الساعة أو العذاب فى الدنيا (فأصابهم سيئات ما عملوا) أى أصابهم جزاء سيئات ما عملوا (وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون) أى أحاط بهم العذاب الذى كانوا به يستهزءون ، وهذا تفسيره حيث وقع (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء) قالوا ذلك على وجه المجادلة والمخاصمة والاحتجاج على صحة فعلهم أى أن فعلنا هو بمشيئة الله فهو صواب ، ولو شاء الله أن لا نفعله ما فعلناه ، والرد عليهم بأن الله نهى عن الشرك ولكنه قضى على من يشاء من عباده . ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك فى الآخرة على وجه التمنى فإن «لو» تكون للتمنى والمعنى على هذا أنهم لما رأوا العذاب تمنوا أن يكونوا لم يعبدوا غيره ولم يحرموا ما أحل الله من البحيرة وغيرها (فإن الله لا يهدى من يضل) قرئ بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول أى لا يهدى غير الله من يضله الله وقرئ يهدى بفتح الياء وكسر الدال ، والمعنى على هذا لا يهدى الله من قضى بإضلاله (وما لهم من ناصرين) الضمير عائد على من يضل ، لأنه فى معنى الجمع (بلى) رد على الذين أقسموا لا يبعث الله من يموت أى أنه يبعثه (ليبين لهم الذى يختلفون فيه) اللام تتعلق بما دل عليه بلى أى يبعثهم ليبين لهم ، وهذا برهان أيضا على

أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِى اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ بِالْبَيِّنَٰتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَٰلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ۝

البعث ، فإن الناس مختلفون فى أديانهم ومذاهبهم فيبعثهم الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه (إنما قولنا لشىء الآية : برهان أيضاً على البعث لأنه داخل تحت قدرة الله تعالى (والذين هاجروا فى الله) يعنى الذين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة ، لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعدها ، وقيل نزلت فى أبى جندل بن سهيل وخبره مذكور فى السير فى قصة الحديبية ، وهذا بعيد لأن السورة نزلت قبل ذلك (لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) وعد أن ينزلهم بقعة حسنة وهى المدينة التى استقروا بها ، وقيل إن حسنة صفة لمصدر : أى نبوئنهم تبوئة حسنة وقرئ لنثوبنهم بالثاء من الثواب (الذين صبروا) وصف للذين هاجروا ، ويحتمل إعرابه أن يكون نعتاً أو على تقدير هم الذين أو مدح الذين (إلا رجالا) رد على من استبعد أن يكون الرسول من البشر (فاسألوا أهل الذكر) يعنى أحبار اليهود والنصارى أى لأن جميعهم يشهدون أن الرسول من البشر (بالبينات والزبر) يتعلق بأرسلنا الذى فى أول الآية على التقديم والتأخير فى الكلام ، أو بأرسلنا مضمراً وبيوحى أو بتعلمون (وأنزلنا إليك الذكر) يعنى القرآن (لتبين للناس ما نزل إليهم) يحتمل أن يريد لتبين القرآن بسردك نصه وتعليمه للناس ، أو لتبين معانيه بتفسير مشكله ، فيدخل فى هذا مابينته السنة من الشريعة (أفأمن الذين مكروا السيئات) يعنى كفار قريش عند جمهور المفسرين ، والسيئات تحتمل وجهين : أحدهما أن يريد به الأعمال السيئات : أى المعاصى فيكون مكروا يتضمن معنى عملوا ، والآخر أن يريد بالمكرات السيئات مكرهم بالنبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيكون المكر على بابه (أو يأخذهم فى تقلبهم) يعنى فى أسفارهم (فما هم بمعجزين) أى بمفلتين حيث وقع (أو يأخذهم على تخوف) فيه وجهان أحدهما أن معناه على تنقص أى ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئاً بعد شىء حتى يهلكوا من غير أن يهلكهم جملة واحدة ، ولهذا أشار بقوله ، فإن ربكم لرؤوف رحيم ، لأن الأخذ هكذا أخف من غيره ، وقد كان عمر بن الخطاب أشكل عليه معنى التخوف فى الآية حتى قال له رجل من هذيل التخوف التنقص فى لغتنا ، والوجه الثانى أنه من الخوف أى يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا هم ذلك ، فيأخذهم بعد أن توقعوا العذاب وخافوه ذلك خلاف قوله وهم لا يشعرون (أو لم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفيأ ظلاله) معنى الآية اعتبار بانتقال الظل ، ويعنى بقوله ما خلق الله من شىء : الأجرام التى لها ظلال من الجبال والشجر والحيوان

Marfat.com

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَآبَّةٍ وَالْمَلَٰئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَلَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ۞ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۞ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۞ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا

وغير ذلك ، وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظلها إلى جهة ، ومن الزوال إلى الليل إلى جهة أخرى ، ثم يمتد الظل ويعم بالليل إلى طلوع الشمس ، وقوله يتفيؤ من الفيء وهو الظل الذى يرجع بعكس ما كان غدوة ، وقال رؤبة بن العجاج يقال بعد الزوال ظل وفىء ، ولا يقال قبله إلا ظل ، فى لفظة يتفيؤ هنا تجوز ما لوقوع الخصوص فى موضع العموم لأن المقصود الاعتبار من أول النهار إلى آخره ، فوضع يتفيؤ ، وضع ينتقل أو يميل والضمير فى ظلاله يعود على ما أو على شىء (عن اليمين والشمائل) يعنى عن الجانبين أى يرجع الظل من جانب إلى جانب ، واليمين بمعنى الأيمان ، واستعار هنا الأيمان والشمائل للأجرام ، فان اليمين والشمائل إنما هما فى الحقيقة للإنسان (سجدا لله) حال من الظلال ، وقال الزمخشرى حال من الضمير فى ظلاله إذ هو بمعنى الجمع لأنه يعود على قوله من شىء ، فعلى الأول يكون السجود من صفة الظلال ، وعلى الثانى يكون من صفة الأجرام واختلف فى معنى هذا السجود ، فقيل عبر به عن الخضوع والانقياد ، وقيل هو سجود حقيقة (وهم داخرون) أى صاغرون وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة) يحتمل أن يكون من دابة بيان لما فى السموات وما فى الأرض معا لأن كل حيوان يصح أن يوصف بأنه يدب ، ويحتمل أن يكون بيانا لما فى الأرض خاصة وإنما قال ما فى السموات وما فى الأرض ليعم العقلاء وغيرهم ، ولو قال من فى السموات لم يدخل فى ذلك غير العقلاء قاله الزمخشرى (والملائكة) إن كان قوله من دابة بيانا لما فى السموات والأرض ، فقد دخل الملائكة فى ذلك ، وكرر ذكرهم تخصيصا لهم بالذكر وتشريفا وإن كان من دابة لما فى الأرض خاصة فلم تدخل الملائكة فى ذلك فعطفهم على ماقبلهم (يخافون ربهم من فوقهم) هذا إخبار عن الملائكة) وهو بيان نفى الاستكبار ، ويحتمل أن يريد فوقية القدرة والعظمة أو يكون من المشكلات التى يمسك عن تأويلها ، وقيل معناه يخافون أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم (لا تتخذوا إلهين اثنين) وصف الإلهين باثنين تأكيدا وبيانا للمعنى وقيل إن اثنين مفعول أول وإلهين مفعول ثان ، فلا يكون فى الكلام تأكيد (فإياى فارهبون) خرج من الغيبة إلى التكلم ، لأن الغائب هو المتكلم ، وإياى مفعول بفعل مضمر ، ولا يعمل فيه فارهبون لأنه قد أخذ معموله (وله الدين واصبا) أى واجبا وثابتا ، وقيل دائما ، وانتصابه على الحال من الدين (وما بكم من نعمة فمن الله) يحتمل أن تكون الواو للاستئناف أو للحال فيكون الكلام متصلا بما قبله : أى كيف تتقون غير الله ، وما بكم من نعمة فمنه وحده (فإليه تجأرون) أى ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرع (ليكفروا بما آتيناهم) اللام لام الأمر على وجه التهديد لقوله بعده : فتمتعوا فسوف تعلمون ، فعلى هذا يبتدئ بها ، وقيل هى لام العاقبة ، فعلى هذا توصل بما قبلها لأنها فى الأصل لام كى ، وذلك بعيد فى المعنى . والكفر هنا يحتمل أن يريد به كفر النعم لقوله بما

Marfat.com

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ۝ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ۝ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ

آتيناهم ، أو كفر الجحود والشرك لقوله بربهم يشركون (فتمتعوا) يريد التمتع فى الدنيا ، وذلك أمر على وجه التهديد (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) الضمير فى يجعلون لكفار العرب فإنهم كانوا يجعلون للأصنام نصيبا من ذبائحهم وغيرها ، والمراد بقوله لما لا يعلمون الأصنام ، والضمير فى لا يعلمون للكفار أى لا يعلمون ربوبيتهم ببرهان ولا بحجة ، وقيل الضمير فى لا يعلمون الأصنام أى الأشياء غير عالمة وهذا بعيد (ويجعلون لله البنات) إشارة إلى قول الكفار إن الملائكة بنات الله ، ثم نزه تعالى نفسه عن ذلك بقوله (سبحانه ولهم ما يشتهون) المعنى أنهم يجعلون لأنفسهم ما يشتهون يعنى بذلك الذكور من الأولاد ، وأما الإعراب فيجوز أن يكون ما يشتهون مبتدأ وخبره المجرور قبله ، وأن يكون مفعولا بفعل مضمر تقديره ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون ، وأن يكون معطوفا على البنات على أن هذا يمنعه البصريون ، لأنه من باب ضربتنى وكان يلزم عندهم أن يقال لأنفسهم (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم) إخبار عن حال العرب فى كراهتهم البنات ، وظل هنا يحتمل أن تكون على بابها ، أو بمعنى صار ، والسواد عبارة عن العبوس والغم ، وقد يكون معه سواد حقيقة ، وكظيم قد ذكر فى يوسف (يتوارى من القوم) أى يستخفى من أجل سوء ما بشر به (أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب) المعنى يدبر وينظر هل يمسك الأنثى التى بشر بها على هوان وذلها ، أو يدفنها فى التراب حية ، وهى الموءودة ، وهذا معنى يدسه فى التراب (مثل السوء) أى صفة السوء من الحاجة إلى الأولاد وغير ذلك من صفة الافتقار والنقص (ولله المثل الأعلى) أى الوصف الأعلى من الغنى عن كل شىء والنزاهة عن صفات المخلوقين (ولو يؤاخذ) يعنى لو يعاقبهم فى الدنيا (بظلمهم) أى بكفرهم ومعاصيهم (ما ترك عليها) الضمير للأرض (من دابة) يعم بنى آدم وغيرهم وهذا يقتضى أن تهلك الحيوانات بذنوب بنى آدم ، وقد ورد ذلك فى الأثر ، وقيل يعنى بنى آدم خاصة (ويجعلون لله ما يكرهون) يعنى البنات (أن لهم الحسنى) أن بدل من الكذب ، والحسنى هنا قيل هى الجنة ، وقيل ذكور الأولاد (وأنهم مفرطون) بكسر الراء والتخفيف من الإفراط : أى متجاوزون الحد فى المعاصى ، أو بفتح الراء والتخفيف من الفرط أى معجلون إلى النار ، وبكسر الراء والتشديد من التفريط (فهو وليهم اليوم) يحتمل أن يريد باليوم وقت نزول الآية أو يوم القيامة (وهدى ورحمة) معطوفان على

Marfat.com

الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ۝ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ

موضع لتبين ، وانتصبا على أنهما مفعول من أجله : أى لأجل البيان والهدى والرحمة (نسقيكم) بفتح النون وضمها لغتان ، يقال سقى وأسقى (مما فى بطونه) الضمير الأنعام ، وإنما ذكر لأنه مفرد بمعنى الجمع كقولهم ثوب أخلاق لأنه اسم جنس ، وإذا أنث فهو جمع نعم (من بين فرث ودم) الفرث هى مافى الكرش من الغدد ، والمعنى أن الله يخلق اللبن متوسطا بين الفرث والدم يكتنفانه ، ومع ذلك فلا يغيران له لونا ولا طعما ولا رائحة ، ومن فى قوله مما فى بطونه للتبعيض قوله من بين فرث لابتداء الغاية (سائغا للشاربين) يعنى سهلا للشرب حتى قيل لم يغص أحد قط باللبن (ومن ثمرات النخيل والأعناب) المجرور يتعلق بفعل محذوف تقديره نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أى من عصيرها ، ويدل عليه نسقيكم الأول أو يكون من ثمرات معطوف على مما فى بطونها أو يتعلق من ثمرات بتتخذون ، وكرر منه توكيدا أو يكون تتخذون صفة لمحذوف تقديره شيئا تتخذون (سكرا) يعنى الخمر ، ونزل ذلك قبل تحريمها فهى منسوخة بالتحريم ، وقيل إن هذا على وجه المنة بالمنفعة التى فى الخمر ، ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم ، فلا نسخ ، وقيل السكر المائع من هاتين الشجرتين كالخل والرب والرزق الحسن : العنب والتمر والزبيب (وأوحى ربك إلى النحل) الوحى هنا بمعنى الإلهام ، فإن الوحى على ثلاثة أنواع : وحى كلام، ووحى منام، ووحى إلهام (أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) أن مفسرة للوحى الذى أوحى إلى النحل ، وقد جعل الله بيوت النحل فى هذه الثلاثة الأنواع إما فى الجبال وكواها ، وإما فى متجوف الأشجار وإما فيما يعرش بنى آدم من الأجباح والحيطان ونحوها ومن فى المواضع الثلاثة للتبعيض لأن النحل إنما تتخذ بيوتا فى بعض الجبال ، وبعض الشجر ، وبعض الأماكن وعرش معناه هيأ أو بنى ، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من الأغصان والخشب (ثم كلى من كل الثمرات) عطف كلى على اتخذى ، ومن للتبعيض ، وذلك أنها إنما تأكل النوار من الأشجار ، وقيل المعنى من كل الثمرات التى تشتهيها (فاسلكى سبل ربك) يعنى الطرق فى الطيران ، وأضافها إلى الرب لأنها ملكه وخلقه (ذللا) أى مطيعة منقادة ويحتمل أن يكون حالا من السبل ، قال مجاهد لم يتعرض قط على النحل طريق أو حالا من النحل أى منقادة لما أمرها الله به (يخرج من بطونها شراب) يعنى العسل (مختلفا ألوانه) أى منه أبيض وأصفر وأحمر (فيه شفاء للناس) الضمير للعسل ، لأن أكثر الأدوية مستعملة من العسل كالمعاجين والأشربة النافعة من الأمراض وكان ابن عمر يتداوى به من كل شىء ، فكأنه أخذه على العموم وعلى ذلك الحديث عن النبى صلى الله عليه

Marfat.com

الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَضَرَبَ اللَّهُ

وسلم أن رجلا جاء إليه ، فقال إن أخى يشتكى بطنه ، فقال اسقه عسلا ، فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع ، قال فاذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك ، فسقاه فشفاه الله عز وجل (إلى أرذل العمر) أى إلى أخسه وأحقره ، وهو الهرم وقيل حده خمسة وسبعين عاما ، وقيل ثمانون ، والصحيح أنه لا يحصر إلى مدة معينة ، وأنه يختلف بحسب الناس (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) اللام لام الصيرورة أى يصير إذا هرم لا يعلم شيئا بعد أن كان يعلم قبل الهرم ، وليس المراد نفى العلم بالكلية ، بل ذلك عبارة عن قلة العلم لغلبة النسيان ، وقيل المعنى لئلا يعلم زيادة على علمه شيئا (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) الآية فى معناها قولان : أحدهما أنها احتجاج على الوحدانية كأنه يقول أنتم لا تسوون بين أنفسكم وبين مماليككم فى الرزق ، ولا تجعلونهم شركاء لكم ، فكيف تجعلون عبيدى شركاء لى . والآخر أنها عتاب وذم لمن لا يحسن إلى مملوكه حتى يرد ما رزقه الله عليه كما جاء فى الحديث : أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ، والأول أرجح (أبنعمت الله يجحدون) الجحد هنا على المعنى الأول إشارة إلى الإشراك بالله ، وعبادة غيره ، وعلى المعنى الثانى إشارة إلى جنس المماليك فيما يجب لهم من الإنفاق (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعنى الزوجات ، ومن أنفسكم يحتمل أن يريد من نوعكم وعلى خلقتكم ، أو يريد أن حواء خلقت من ضلع آدم ، وأسند ذلك إلى بنى آدم لأنهم من ذريته (وحفدة) جمع حافد قال ابن عباس : هم أولاد البنين . وقيل الأصهار وقيل الخدم ، وقيل البنات إلا أن لفظ المذكور لا يدل عليهم ، والحفدة فى اللغة الخدمة (ويعبدون من دون الله) الآية : توبيخ للكفار ، ورد عليهم فى عبادتهم الأصنام ، وهى لا تملك لهم رزقا ، وانتصب رزقا لأنه مفعول بيملك ، ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسما لما يرزق ، فإن كان مصدرا فإعراب شيئاً مفعول به ، لأن المصدر نصيب المفعول ، وإن كان اسما فإعراب شيئا بدل منه (ولا يستطيعون) الضمير عائد على ما لأن المراد به الإلهة ، ونفى الاستطاعة بعد نفى الملك ، لأن نفيها أبلغ فى الذم (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا) الآية : مثل لله تعالى والأصنام ، فالأصنام كالعبد المملوك الذى لا يقدر على شىء ، والله تعالى له الملك ، وبيده الرزق ويتصرف فيه كيف يشاء ، فكيف يسوى بينه وبين الأصنام ، وإنما قال لا يقدر على شىء لأن بعض العبيد يقدرون على بعض الأمور كالمكاتب والمأذون له (ومن رزقناه) من هنا نكرة موصوفة ، والمراد بها من هو حر قادر كأنه قال وحرا رزقناه ليطابق عبدا ، ويحتمل أن تكون موصولة (هل

Marfat.com

مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَـٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَـٰرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِى جَوِّ السَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِى ذَالِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم

يستوون) أى هل يستوى العبيد والأحرار الذين ضرب لهم المثل (الحمد لله) شكرا لله على بيان هذا المثال ووضوح الحق (بل أكثرهم لا يعلمون) يعنى الكفار (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) الآية : مثل لله تعالى وللأصنام كالذى قبله ، والمقصود منهما إبطال مذاهب المشركين ، وإثبات الوحدانية لله تعالى ، وقيل إن الرجل الأبكم أبو جهل ، والذى يأمر بالعدل عمار بن ياسر ، والأظهر عدم التعيين (وهو كلّ على مولاه) الكلّ الثقيل يعنى أنه عيال على وليه أو سيده ، وهو مثل للأصنام والذى يأمر بالعدل هو الله تعالى (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب) بيان لقدرة الله على إقامتها ، وأن ذلك يسير عليه كقوله : ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ، وقيل المراد سرعة إتيانها (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) الأمهات جمع أم زيدت فيه الهاء فرقا بين من يعقل ومن لا يعقل ، وقرئ بضم الهمزة وبكسرها إتباعا للكسرة قبلها (فى جو السماء) أى فى الهواء البعيد من الأرض (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) السكن مصدر يوصف به ، وقيل هو فعل بمعنى مفعول ومعناه ما يسكن فيه كالبيوت أو يسكن إليه (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) يعنى الأدم من القباب وغيرها (تستخفونها) أى تجدونها خفيفة (يوم ظعنكم ويوم إقامتكم) يعنى فى السفر والحضر ، واليوم هنا بمعنى الوقت ويقال ظعن الرجل إذا رحل ، وقرئ ظعنكم بفتح العين ، وإسكانها تخفيفا (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الأصواف للغنم ، والأوبار للإبل ، والأشعار للمعز والبقر (أثاثا) الأثاث متاع البيت من البسط وغيرها ، وانتصابه على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره جعل (ومتاعا إلى حين) أى إلى وقت غير معين ، ويحتمل أن يريد إلى أن تبلى وتفنى أو إلى أن تموت (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) أى نعمة عددها الله عليهم بالظل ، لأن الظل مطلوب فى بلادهم محبوب لشدة حرها ، ويعنى بما خلق من الشجر وغيرها (وجعل لكم من الجبال أكنانا) الأكنان جمع كن ، وهو ما بقى من المطر والريح وغير ذلك ، ويعنى بذلك الغيران والبيوت المنحوتة فى الجبال (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر) السرابيل هى الثياب من القمص وغيرها ، وذكر وقاية الحر ولم يذكر وقاية البرد ، لأن وقاية الحر أهم عندهم لحرارة بلادهم ، وقيل لأن ذكر أحدهما يغنى عن ذكر الآخر (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعنى دروع الحديد (يعرفون نعمت الله)

Marfat.com

بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ٥ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَٰفِرُونَ ٥ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ٥ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ٥ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَٰنِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ

إشارة إلى ماذكر من النعم من أول السورة إلى هنا والضمير فى يعرفون للكفار، وإنكارهم لنعم الله إشراكهم به وعبادة غيره ، وقيل نعمة الله هنا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ويوم نبعث من كل أمة شهيداً) أى يشهد عليهم بإيمانهم وكفرهم (ثم لايؤذن للذين كفروا) أى لايؤذن لهم فى الاعتذار (ولاهم يستعتبون) أى لايسترضون ، وهو من العتبى بمعنى الرضى (ولاهم ينظرون) يحتمل أن يكون بمعنى التأخير أو بمعنى النظر : أى لاينظر الله إليهم (فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون) الضمير فى القول للمعبودين والمعنى أنهم كذبوهم فى قولهم أنهم كانوا يعبدونهم ، كقولهم ما كنتم إيانا تعبدون ، فإن قيل: كيف كذبوهم وهم قد كانوا يعبدونهم ؟ فالجواب أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم ، فكأن عبادتهم لم تكن عبادة ، ويحتمل أن يكون تكذيبهم لهم فى تسميتهم شركاء لله ، لا فى العبادة (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) أى استسلموا له وانقادوا (زدناهم عذاباً فوق العذاب) روى أن الزيادة فى العذاب هى حيات وعقارب كالبغال تلسعهم (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) يعنى بالعدل : فعل الواجبات ، وبالإحسان : المندوبات ، وذلك فى حقوق الله تعالى وفى حقوق المخلوقين ، قال ابن مسعود : هذه أجمع آية فى كتاب الله تعالى (وإيتاء ذى القربى) الإيتاء مصدر آتى بمعنى أعطى ، وقد دخل ذلك فى العدل والإحسان ، ولكنه جرده بالذكر اهتماما به (وينهى عن الفحشاء) قيل يعنى الزنا ، واللفظ أعم من ذلك (والمنكر) هو أعم من الفحشاء ، لأنه يعم جميع المعاصى (والبغى) يعنى الظلم (ولا تنقضوا الأيمان) هذا فى الأيمان التى فى الوفاء بها خير ، وأما ما كان تركه أولى ، فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير منه ، كما جاء فى الحديث ، أو تكون الأيمان هنا ما يحلفه الإنسان فى حق غيره ، أو معاهدة لغيره (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أى رقيباً ومتكفلا بوفائكم بالعهد ، وقيل إن هذه الآية نزلت

مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۞ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ قُلْ

فى بيعة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل فيما كان بين العرب من حلف فى الجاهلية (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها) شبه الله من يحلف ولم يف بيمينه بالمرأة التى تغزل غزلا قوياً ثم تنقضه ، وروى أنه كان بمكة امرأة حمقاء تسمى ريطة بنت سعد ، كانت تفعل ذلك وبها وقع التشبيه ، وقيل إنما شبه بامرأة غير معينة (أنكاثاً) جمع نكث وهو ما ينكث أى ينقض ، وانتصابه على الحال (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) الدخل الدغل ، وهو قصد الخديعة (أن تكون أمة هى أربى من أمة) أن فى موضع المفعول من أجله : أى بسبب أن تكون أمة ، ومعنى أربى : أكثر عدداً أو أقوى ، ونزلت الآية فى العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى ، فإذا جاءها قبيلة أقوى منها غدرت بالأولى وحالفت الثانية ، وقيل الإشارة بالأربى هنا الى كفار قريش إذ كانوا حينئذ أكثر من المسلمين (إنما يبلوكم الله به) الضمير للأمر بالوفاء ، أو لكون أمة هى أربى من أمة ، فإن بذلك يظهر من يحافظ على الوفاء أو لا (فتزل قدم بعد ثبوتها) استعارة فى الرجوع عن الخير إلى الشر ، وإنما أفرد القدم ونكرها : لاستعظام الزلل فى قدم واحدة فكيف فى أقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) يعنى فى الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) يدل على أن الآية فيمن بايع النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم (ولكم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلا) الثمن القليل عرض الدنيا ، وهذا نهى لمن بايع النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أن ينكث لأجل ضعف الإسلام حينئذ وقوة الكفار ورجاء الانتفاع فى الدنيا إن رجع عن البيعة (ما عندكم ينفد) أى يفنى (فلنحيينه حياة طيبة) يعنى فى الدنيا ، قال ابن عباس هى الرزق الحلال ، وقيل هى القناعة ، وقيل هى حياة الآخرة (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) ظاهر اللفظ أن يستعاذ بعد القراءة ، لأن الفاء تقتضى الترتيب ، وقد شذ قوم فأخذوا بذلك ، وجمهور الأمة على أن الاستعاذة قبل القراءة . وتأويل الآية : إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا) أى ليس له عليهم سبيل ولا يقدر على إضلالهم (إنما سلطانه على الذين يتولونه) أى يتخذونه ولياً (والذين هم به مشركون) الضمير لإبليس ، والباء سببية (وإذا

نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْكَٰذِبُونَ ۝ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِالْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ

بدلنا آية مكان آية) التبديل هنا النسخ ، كان الكفار اذا نسخت آية يقولون هذا افتراء ولوكان من عند الله لم يبدل (والله أعلم بما ينزل) جملة اعتراض بين الشرط وجوابه وفيها رد على الكفار أى الله أعلم بما يصلح للعباد فى وقت ثم ما يصلح لهم بعد ذلك (قل نزله روح القدس) يعنى جبريل (بالحق) أى مع الحق فى أوامره ونواهيه وأخباره ، ويحتمل أن يكون قوله بالحق بمعنى حقاً ، أو بمعنى أنه واجب النزول (أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) كان بمكة غلام أعجمى اسمه يعيش ، وقيل كانا غلامين اسم أحدهما جبر والآخر يسار ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام ، فقالت قريش هذان يعلمان محمداً (لسان الذى يلحدون إليه أعجمى) اللسان هنا بمعنى اللغة والكلام ، ويلحدون من ألحد إذا مال ، وقرئ بفتح الياء من لحد ، وهما بمعنى واحد ، وهذا ردّ عليهم فإن الشخص الذى أشاروا إليه أنه يعلمه أعجمى اللسان ؛ وهذا القرآن عربى فى غاية الفصاحة ، فلا يمكن أن يأتى به أعجمى (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لايهديهم الله) هذا فى حق من علم الله منه أنه لا يؤمن كقوله : إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ، فاللفظ عام يراد به الخصوص ، كقوله : إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم الآية ، وقال ابن عطية : المعنى إن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بالله ولكنه قدم فى هذا الترتيب وأخرتهكماً بتقبيح أفعالهم (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) ردّ على قولهم إنما أنت مفتر : يعنى إنما يليق الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يخاف الله وأما من يؤمن بالله فلا يكذب عليه (فأولئك هم الكاذبون) الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالله : أى هم الذين عادتهم الكذب لأنهم لا يبالون بالوقوع فى المعاصى ، ويحتمل أن يكون الكذب المنسوب إليهم قولهم إنما أنت مفتر (من كفر بالله) الآية : من شرطية فى موضع رفع بالابتداء ، وكذلك من فى قوله من شرح ، لأنه تخصيص من الأول ، وقوله فعليهم غضب : جواب عن الأولى والثانية ، لأنهما بمعنى واحد ، أو يكون جواباً للثانية ، وجواب الأولى محذوف يدل عليه جواب الثانية ، وقيل من كفر بدل من الذين لا يؤمنون أو من المبتدأ فى قوله أولئك هم الكاذبون ، أو من الخبر (إلا من أكره) استثنى من قوله من كفر ، وذلك أن قوما ارتدوا عن الإسلام ، فنزلت فيهم الآية ، وكان فيهم من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر ، وهو يعتقد الإيمان منهم عمار بن ياسر ، وصهيب ، وبلال فعذرهم الله . روى أن عمار بن ياسر شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع به من العذاب وماتسامح به من القول ، فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم : كيف تجد قلبك ، قال أجده مطمئنا بالإيمان ، قال فأجبهم بلسانك ، فإنه لايضرك ، وهذا الحكم فى من أكره بالنطق على الكفر ، وأما الإكراه على فعل هو كفر كالسجود للصنم فاختلف هل تجوز الإجابة إليه أم لا ؟ فأجازه الجمهور ، ومنعه قوم وكذلك قال مالك : لا يلزم المكره يمين ولا طلاق ولا عتق ولا شيء فيما بينه وبين الله ، ويلزمه ما كان من

Marfat.com

غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَٰهَدُوا وَصَبَرُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ

حقوق الناس ، ولا تجوز الإجابة إليه كالإكراه على قتل أحد أو أخذ ماله (ذلك بأنهم استحبوا الحيوة الدنيا) الإشارة إلى العذاب ، والباء للتعليل ، فعلل عذابهم بعلتين : أحدهما إيثارهم الحياة الدنيا ، والأخرى أن الله لا يهديهم (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا) قرأه الجمهور فتنوا بضم الفاء : أى عذبوا فالآية على هذا فى عمار وشبهه من المعذبين على الإسلام ، وقرأ ابن عامر بفتح الفاء : أى عذاب المسلمين ، فالآية على هذا فيمن عذب المسلمين ، ثم هاجر وجاهد كالحضرمى وأشباهه (إن ربك من بعدها لغفور رحيم) كرر إن ربك توكيداً ، والضمير فى بعدها يعود على الأفعال المذكورة وهى الهجرة والجهاد والصبر (يوم تأتى) يحتمل أن يتعلق بغفور رحيم أو بمحذوف تقديره اذكر وهذا أظهر (كل نفس) النفس هنا بمعنى الجملة كقولك إنسان ، والنفس فى قوله عن نفسها بمعنى الذات المعينة التى نقيضها الغير أى تجادل عن ذاتها لا عن غيرها كقولك جاء زيد نفسه وعينه (تجادل عن نفسها) أى تحتج وتعتذر ، فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ؟ فالجواب أن الحال مختلف باختلاف المواطن والأشخاص (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة) الآية . قيل إن القرية المذكورة مكة كانت بهذه الصفة التى ذكرها الله (فكفرت بأنعم الله) يعنى بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فأصابهم الجدب والخوف من غزو النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وقيل إنما قصد قرية غير معينة أصابها ذلك فضرب الله بها مثلا لمكة ، وهذا أظهر ، لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم ، والضمير فى قوله فكفرت وأذاقها : يراد بها أهل القرية بدليل قوله بما كانوا يصنعون (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) الإذاقة هنا واللباس مستعاران ، أما الإذاقة فقد كثر استعمالها فى البلايا ، حتى صارت كالحقيقة ، وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف لاشتمالهما على اللباس ومباشرتهما له كمباشرة الثوب (ولقد جاءهم رسول منهم) إن كان المراد بالقرية مكة ، فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والعذاب الذى أخذهم القحط وغيره وإن كانت القرية غير معينة ، فالرسول من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما ، والعذاب ما أصابهم من الهلاك (فكلوا) وما بعده مذكور فى البقرة (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) هذه

وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ، وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ، مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ، إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَٰهُ وَهَدَٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، وَءَاتَيْنَٰهُ فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ، ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الآية مخاطبة للعرب الذين أحلوا أشياء وحرموا أشياء كالبحيرة وغيرها ماذكر فى سورة المائدة والأنعام، ثم يدخل فيها كل من قال هذا حلال أو حرام بغير علم ، وانتصب الكذب بلا تقولوا أو يكون قوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب وما فى قوله بما تصف موصولة ويجوز أن ينتصب الكذب بقوله تصف وتكون ماعلى هذا مصدرية ويكون قوله هذا حلال وهذا حرام معمول لا تقولوا (متاع قليل) يعنى عيشهم فى الدنيا أو انتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم (وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك من قبل) يعنى قوله فى الأنعام حرمنا كل ذى ظفر إلى آخر الآية ، فذكر ماحرم على المسلمين وماحرم على اليهود ، ليعلم أن تحريم ماعدا ذلك افتراء على الله كما فعلت العرب (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) هذه الآية تأنيس لجميع الناس وفتح باب التوبة (إن إبراهيم كان أمة) فيه وجهان : أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم بكماله وجمعه لصفات الخير كقول الشاعر «فليس على الله بمستنكر ، أن يجمع العالم فى واحد » والآخر أن يكون أمة بمعنى إمام كقوله إنى جاعلك للناس إماما ، قال ابن مسعود والأمة معلم الناس الخير، وقد ذكر معنى القانت والحنيف (وآتيناه فى الدنيا حسنة) يعنى لسان الصدق ، وأن جميع الأمم متفقون عليه ، وقيل يعنى المال والأولاد (لمن الصالحين) أى من أهل الجنة (ولم يكن من المشركين) نفى عنه الشرك لقصد الرد على المشركين من العرب الذين كانوا ينتمون اليه (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أمر موسى بنى إسرائيل أن يجعلوا يوم الجمعة مختصا للعبادة فرضى بعضهم بذلك ، وقال أكثرهم بل يكون يوم السبت ، فألزمهم الله يوم السبت ، فاختلافهم فيه هو ماذكر والسبت على هذا هو اليوم ، وقيل اختلافهم فيه : هو أن منهم من حرم الصيد فيه ، ومنهم من أحله ، فعاقبهم الله بالمسخ قردة ، فالمعنى : إنما جعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه ، والسبت على هذا مصدر من سبت إذا عظم يوم السبت ، قاله الزمخشرى ، وتقتضى الآية أن السبت لم يكن من ملة إبراهيم عليه السلام (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) المراد بالسبيل هنا الإسلام ، والحكمة هى الكلام الذى يظهر صوابه ، والموعظة هى الترغيب والترهيب ، والجدال هو الرد على المخالف ، وهذه الأشياء الثلاثة يسميها

Marfat.com

ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ * وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ *

أهل العلوم العقلية بالبرهان والخطابة والجدال ، وهذه الآية تقتضى مهادنة نسخت بالسيف ، وقيل إن الدعاء إلى الله بهذه الطريقة من التلطف والرفق غير منسوخ ، وإنما السيف لمن لا تنفعه هذه الملاطفة من الكفار وأما العصاة فهى فى حقهم محكمة إلى يوم القيامة باتفاق (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) المعنى إن صنع بكم صنع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه ، والعقوبة فى الحقيقة إنما هى الثانية ، وسميت الأولى عقوبة لمشاكلة اللفظ ، ويحتمل أن يكون عاقبتم بمعنى أصبتم عقبى : كقوله فى الممتحنة فعاقبتم بمعنى غنمتم فيكون فى الكلام تجنيس ، وقال الجمهور : إن الآية نزلت فى شأن حمزة بن عبد المطلب لما بقر المشركون بطنه يوم أحد ، قال النبى صلى الله عليه وسلم والله لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين منهم ، فنزلت الآية فكفر النبى صلى الله عليه وسلم عن يمينه وترك ما أراد من المثلة ؛ ولا خلاف أن المثلة حرام ، وقد وردت الأحاديث بذلك ؛ ويقتضى ذلك أنها مدنية ، ويحتمل أن تكون الآية عامة ، ويكون ذكرهم لحمزة على وجه المثال ، وتكون على هذا مكية كسائر السورة ؛ واختلف العلماء فيمن ظلمه رجل فى مال ثم ائتمن الظالم المظلوم على مال هل يجوز له خيانته فى القدر الذى ظلمه ، فأجاز ذلك قوم لظاهر الآية ، ومنعه مالك لقوله صلى الله عليه وسلم أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) هذا ندب إلى الصبر وترك عقوبة من أساء إليك فإن العقوبة مباحة ، وتركها أفضل ، والضمير راجع للصبر ، ويحتمل أن يريد بالصابرين هنا العموم ، أو يراد به المخاطبون كأنه قال خير لكم (واصبر وما صبرك إلا بالله) هذا عزم على النبى صلى الله عليه وسلم فى خاصته على الصبر ، ويروى أنه قال لأصحابه أما أنا فأصبر كما أمرت ، فماذا تصنعون ؟ قالوا نصبر كما ندبنا ثم أخبره أنه لا يصبر إلا بمعونة الله ؛ وقد قيل إن ما فى هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ بالسيف ، وهذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال ، وأما إن كان الصبر يراد به ترك المثلة التى فعل مثلها بحمزة فذلك غير منسوخ (ولا تحزن عليهم) أى لا تتأسف لكفرهم (ولا تك فى ضيق مما يمكرون) أى لا يضق صدرك بمكرهم ، والضيق بفتح الضاد تخفيف من ضيق كميت وميت ، وقرئ بالكسر وهو مصدر ، ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدران (إن الله مع الذين اتقوا) يريد أنه معهم بمعونته ونصره (والذين هم محسنون) الإحسان هنا يحتمل أن يراد به فعل الحسنات ، والمعنى الذى أشار له النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهذا هو الأظهر ، لأنه رتبة فوق التقوى .

Marfat.com

ســـورة الإسراء

مكية إلا الآيات ٢٦ و ٣٢ و ٣٣ و ٥٧ ومن آية ٧٣ إلى غاية آية ٨٠
فمدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ

ســـورة الإسراء

(سبحان الذى أسرى بعبده) معنى سبحان تنزه ، وهو مصدر غير منصرف ، وأسرى وسرى لغتان ، وهو فعل غير متعد ، واختار ابن عطية أن يكون أسرى هنا متعديا أى أسرى الملائكة بعبده وهو بعيد ، والعبد هنا هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما وصفه بالعبودية تشريفا له وتقريبا (ليلا) إن قيل : مافائدة قوله ليلا مع أن السرى هو السير بالليل ؟ فالجواب : أنه أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء ، وأنه أسرى به فى بعض الليل مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أبلغ فى الأعجوبة (من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا) يعنى بالمسجد الحرام مسجد مكة المحيط بالكعبة ، وقد روى فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : بينما أنا نائم فى الحجر إذ جاءنى جبريل ، وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء فى بيته ، فالمسجد الحرام على هذا مكة أى بلد المسجد الحرام ؛ وأما المسجد الأقصى فهو بيت المقدس الذى بإيلياء ، وسمى الأقصى لأنه لم يكن وراءه حينئذ مسجد ، ويحتمل أن يريد بالأقصى الأبعد ؛ فيكون المقصد إظهار العجب فى الإسراء إلى هذا الموضع البعيد فى ليلة ، واختلف العلماء فى كيفية الإسراء ، فقال الجمهور : كان بجسد النبى صلى الله عليه وسلم وروحه ، وقال قوم كان بروحه خاصة وكانت رؤيا نوم حق ، فحجة الجمهور أنه لو كان مناماً لم تنكره قريش ولم يكن فى ذلك ما يكذب به الكفار ، ألا ترى قول أم هانىء له لاتخبر بذلك فيكذبك قومك ، وحجة من قال إن الإسراء كان مناما قوله تعالى : وما جعلنا الرؤيا التى أريناك ، وإنما يقال الرؤيا فى المنام ، ويقال فيما يرى بالعين رؤية ، وفى الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : بينما أنا بين النائم واليقظان وذكر الإسراء ، وقال فى آخر الحديث فاستيقظت وأنا فى المسجد الحرام وجمع بعض الناس بين الأدلة فقال الإسراء كان مرتين : أحدهما بالجسد والآخر بالروح، وأن الإسراء بالجسد كان من مكة إلى بيت المقدس، وهو الذى أنكرته قريش ، وأن الإسراء بالروح كان إلى السموات السبع ليلة فرضت الصلوات الخمس ولقى الأنبياء فى السموات (الذى باركنا حوله) صفة للمسجد الأقصى ، والبركة حوله بوجهين : أحدهما ما كان فيه وفى نواحيه من الأنبياء، والآخر: كثرة مافيه من الزروع والأشجار التى خص الله بها الشام (لنريه من آياتنا) أى لنرى محمدا صلى الله عليه وسلم تلك الليلة من العجائب ، فإنه رأى السموات والجنة والنار وسدرة المنتهى والملائكة والأنبياء وكلمه الله تعالى حسبما ورد فى أحاديث الإسراء ، وهى فى مصنفات الحديث فأغنى ذلك عن ذكرها هنا (وجعلناه هدى) يحتمل أن يعود الضمير على الكتاب أو على موسى (ألا تتخذوا من دونى وكيلا) أى

Marfat.com

أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا * ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا * وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَآءِيلَ فِى الْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَٰلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ

ربا تكلون إليه أمركم، وأن يحتمل أن تكون مصدرية أو مفسرة (ذرية من حملنا مع نوح) نداء، وفى ندائهم بذلك تلطف وتذكير بنعمة الله، وقيل هى مفعول تتخذوا، ويتعين معنى ذلك على قراءة من قرأ يتخذ بالياء ويعنى بمن حملنا مع نوح أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث، ونساؤهم ومنهم تناسل الناس بعد الطوفان (إنه كان عبدا شكورا) أى كثير الشكر كان يحمد الله على كل حال، وهذا تعليل لما تقدم أى كونوا شاكرين كما كان أبوكم نوح (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب) قيل إن قضينا هنا بمعنى علمنا وأخبرنا، كما قيل فى وقضينا إليه ذلك الأمر، والكتاب على هذا التوراة، وقيل قضينا إليه من القضاء والقدر، والكتاب على هذا اللوح المحفوظ الذى كتبت فيه مقادير الأشياء وإلى بمعنى على (لتفسدن فى الأرض مرتين) هذه الجملة بيان للمقضى، وهى فى موضع جواب قضينا إذا كان من القضاء والقدر لأنه جرى مجرى القسم، وإن كان بمعنى أعلمنا فهو جواب قسم محذوف تقديره والله لتفسدن، والجملة فى موضع معمول قضينا، والمرتان المشار إليهما إحداهما قتل زكريا والأخرى قتل يحي عليهما السلام (ولتعلن علوا كبيرا) من العلو وهو الكبر والتخيل (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا) معناه أنهم إذا أفسدوا فى المرة الأولى بعث الله عليهم عباداله لينتقم منهم على أيديهم، واختلف فى هؤلاء العبيد فقيل جالوت وجنوده وقيل بختنصر ملك بابل (فجاسوا خلال الديار) أى ترددوا بينهما بالفساد، وروى أنهم قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة. وخربوا المساجد وسبوا منهم سبعين ألفا (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أى الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم، ويعنى رجوع الملك إلى بنى إسرائيل واستنقاذ أسراهم، وقتل بختنصر، وقيل قتل داود لجالوت (أكثر نفيرا) أى أكثر عددا، وهو مصدر من قولك نفر الرجل إذا خرج مسرعا، أو جمع نفر (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) أحسنتم الأول بمعنى الحسنات، والثانى بمعنى الإحسان كقولك أحسنت إلى فلان، ففيه تجنيس، واللام فيه بمعنى إلى، وكذلك اللام فى قوله: وإن أسأتم فلها (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم) يعنى إذا أفسدوا فى المرة الأخيرة بعث الله عليهم أولئك العباد للانتقام منهم فالآخرة صفة للمرة، ومعنى يسوؤا يجعلونها تظهر فيها آثار الشر والسوء كقوله: سيئت وجوه الذين كفروا، واللام لام كى، هى تتعلق ببعثنا المحذوف لدلالة الأول عليه، وقيل هى لام الأمر (وليدخلوا المسجد) يعنى بيت المقدس (وليتبروا) من التبار، وهو الإهلاك وشدة الفساد (ماعلوا) مامفعول ليتبروا: أى يهلكوا ماغلبوا عليه من البلاد، وقيل إن ما ظرفية أى يفسدوا مدة علوهم (عسى ربكم أن يرحمكم) خطاب لبنى إسرائيل ومعناه ترجية لهم بالرحمة إن تابوا بعد الرحمة الثانية (وإن عدتم عدنا) خطاب لبنى إسرائيل: أى إن عدتم إلى الفساد عدنا إلى

عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا * إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * وَيَدْعُ الْإِنسَٰنُ بِالشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ عَجُولًا * وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا * وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا

عقابكم، وقد عادوا فبعث الله عليهم محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته يقتلونهم ويذلونهم إلى يوم القيامة (حصيرا) أى سجنا وهو من الحصر، وقيل أراد به ما يفرش ويبسط كالحصير المعروف (يهدى للتى هى أقوم) أى الطريقة والحالة التى هى أقوم، وقيل يعنى لا إله إلا الله، واللفظ أعم من ذلك (. يدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير) المعنى ذم، وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وأنهم يدعون بالشر فى ذلك الوقت كما يدعون بالخير فى وقت التثبت، وقيل إن الآية نزلت فى النضر بن الحارث حين قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية، وقد تقدم أن الصحيح فى قائلها إنه أبو جهل (وكان الإنسان عجولا) الإنسان هنا وفى الذى قبله اسم جنس، وقيل يعنى هنا آدم وهو بعيد (فمحونا آية الليل) فيه وجهان: أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان فى أنفسهما، فتكون الإضافة فى آية الليل وآية النهار كقولك مسجد الجامع أى الآية التى هى الليل، والآية التى هى النهار ومحو آية الليل على هذا كونه مظلما، والوجه الثانى أن يراد بآية الليل القمر وآية النهار الشمس، ومحو آية الليل على هذا كون القمر لم يجعل له ضوء كضوء الشمس (وجعلنا آية النهار مبصرة) يحتمل أن يريد النهار بنفسه أو الشمس ومعنى مبصرة تبصر فيها الأشياء (لتبتغوا فضلا من ربكم) أى لتتوصلوا بضوء النهار إلى التصرف فى معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الليل والنهار أو بسير الشمس (والقمر عدد السنين والحساب) الأشهر والأيام (وكل شيء فصلناه تفصيلا) انتصب كل بفعل مضمر، والتفصيل البيان (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه) انتصب كل بفعل مضمر، والطائر هنا العمل، والمعنى أن عمله لازم له، وقيل إن طائره ما قدر عليه، وله من خير وشر، والمعنى على هذا أن كل ما يلقى الإنسان قد سبق به القضاء، وإنما عبر عن ذلك بالطائر، لأن العرب كانت عادتها التيمن والتشاؤم بالطير، وقوله فى عنقه أى هو كالقلادة أو الغل لا ينفك عنه (كتاباً يلقاه منشوراً) يعنى صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات (اقرأ كتابك) تقديره يقال له اقرأ (حسيباً) أى محاسباً أو من الحساب بمعنى العدد (ولا تزر وازرة وزر أخرى) معناه حيث وقع لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، والوزر فى اللغة الثقل والحمل، ويراد به هنا الذنوب، ومعنى تزر تحمل وزر أخرى: أى وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين حتى

تَدْمِيرًا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۝ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ

نبعث رسولا) قيل إن هذا فى حكم الدنيا أى أن الله لا يهلك أمة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسول إليهم ، وقيل هو عام فى الدنيا والآخرة وأن الله لا يعذب قوما فى الآخرة إلا وقد أرسل إليهم رسولا فكفروا به وعصوه ، ويدل على هذا قوله « كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ، قالوا بلى » ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفترات ، واستدل أهل السنة بهذه الآية على أن التكاليف لا يلزم العباد إلا من الشرع لا من مجرد العقل (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) فى تأويل أمرنا هنا ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون فى الكلام حذف تقديره أمرنا مترفيها بالخير والطاعة فعصوا وفسقوا ، والثانى أن يكون أمرنا عبارة عن القضاء عليهم بالفسق أى قضينا عليهم بالفسق ففسقوا ، والثالث أن يكون أمرنا بمعنى كثرنا واختاره أبو على الفارسى ، وأما على قراءة آمرنا بمد الهمزة فهو بمعنى كثرنا ، وأما على قراءة أمّرنا بتشديد الميم ، فهو من الإمارة أى جعلناهم أمراء ففسقوا ، والمترف الغنى المنعم فى الدنيا (فحق عليها القول) أى القضاء الذى قضاه الله (وكم أهلكنا من القرون) القرن مائة سنة ، وقيل أربعون (من كان يريد العاجلة) الآية : فى الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يؤمنون بالآخرة على أن لفظها أعم من ذلك . والمعنى أنهم يعجل الله لهم حظا من الدنيا بقيدين أحدهما تقييد المقدار المعجل بمشيئة الله ، والآخر تقييد الشخص المعجل له بإرادة الله ، ولمن نريد بدل من له وهو بدل بعض من كل (مدحورا) أى مبعدا أو مهانا (وسعى لها سعيها) أى عمل لها عملها (كلا نمد) انتصب كلا بنمد وهو من المدد ومعناه نزيدهم من عطائنا (هؤلاء وهؤلاء) بدل من كلا ، والإشارة إلى الفريقين المتقدمين (من عطاء ربك) يعنى رزق الدنيا ، وقيل من الطاعات لمن أراد الآخرة ومن المعاصى لمن أراد الدنيا ، والأول أظهر (محظورا) أى ممنوعا (فضلنا بعضهم على بعض) يعنى فى رزق الدنيا (لا تجعل) خطاب لواحد ، والمراد به جميع الخلق ، لأن المخاطب غير معين (مذموما) أى يذمه الله وخيار عباده (مخذولا) أى غير منصور (وقضى ربك) أى حكم وألزم وأوجب أو أمر ، ويدل على ذلك ما فى مصحف ابن مسعود «ووصى ربك» (ألا تعبدوا) أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا (إما يبلغن عندك) هى إن الشرطية دخلت عليها ما المؤكدة وجوابها فلا تقل لهما أف والمعنى الوصية ببر الوالدين إذا كبرا أو كبر أحدهما وإنما خص حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما ومعنى عندك : أى فى بيتك وتحت كنفك (أف) حيث وقعت اسم فعل معناها قول مكروه ، يقال عند الضجر ونحوه

لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۞ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ۞ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۞ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۞ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۞ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ۞ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۞ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ

وإنما المراد بها أقل كلمة مكروهة تصدر من الإنسان ، فنهى الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين، فأولى وأحرى ألا يقال لهما مافوق ذلك ، ويجوز فى أف الكسر والفتح والضم ، وهى حركات بناء ، وأما تنوينها فهو للتنكير (ولا تنهرهما) من الانتهار وهو الإغلاظ فى القول (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) استعارة فى معنى التواضع لهما والرفق بهما ، فهو كقوله اخفض جناحك للمؤمنين ، وأضافه إلى الذل مبالغة فى المعنى كأنه قال الجناح الذليل ، ومن فى قوله من الرحمة للتعليل أى من أجل إفراط الرحمة لهما والشفقة عليهما (للأوابين) قيل معناه الصالحين ، وقيل المسبحين ، وهو مشتق من الأوبة بمعنى الرجوع ، فحقيقته الراجعين إلى الله (وآت ذا القربى حقه) خطاب لجميع الناس لصلة قرابتهم والإحسان إليهم ، وقيل هو خطاب خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم أن يؤتى قرابته حقهم من بيت المال ، والأول أرجح (وإما تعرضن) الآية : معناه إن أعرضت عن ذوى القربى والمساكين وابن السبيل إذا لم تجد ما تعطيهم ، فقل لهم كلاما حسنا وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سأله أحد فلم يكن عنده ما يعطيه أعرض عنه ، حياء منه ، فأمر بحسن القول مع ذلك وهو أن يقول رزقكم الله وأعطاكم الله وشبه ذلك ، والميسور مشتق من اليسر (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) مفعول من أجله يحتمل أن يتعلق بقوله « وإما تعرضن عنهم » والمعنى على هذا : أنه يعرض عنهم انتظاراً لرزق يأتيه ، فيعطيه إياهم ، فالرحمة على هذا هو ما يرتجيه من الرزق أو يتعلق بقوله (فقل لهم قولا ميسورا) أى ابتغ رحمة ربك بقول ميسور والرحمة على هذا هى الأجر والثواب (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) استعارة فى معنى غاية البخل كأن البخيل حبست يده عن الإعطاء وشدت إلى عنقه (ولا تبسطها كل البسط) استعارة فى معنى غاية الجود فنهى الله عن الطرفين : وأمر بالتوسط بينهما : كقوله « إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا » (ملوما) أى يلومك صديقك على كثرة عطائك وإضرارك بنفسك ، أو يلومك من يستحق العطاء لأنك لم تترك ما تعطيه ، أو يلومك سائر الناس على التبذير فى العطاء (محسورا) أى منقطعا بك لاشىء عندك وهو من قولهم حسر السفر البعير إذا أتعبه حتى لم تبق له قوة (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء فلا تهتم بما تراه من ذلك ، فإن الله أعلم بمصالح عباده (ولا تقتلوا أولادكم) ذكر فى الأنعام (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) الحق الموجب لقتل النفس هو ما ورد فى الحديث من

كَانَ مَنصُورًا ۝ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۝ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۝ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۝ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ

قوله صلى الله عليه وآله وسلم «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفس أخرى ، وتتصل بهذه الأشياء أشياء أخر لأنها فى معناها كالحرابة وترك الصلاة ومنع الزكاة (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) المظلوم هنا من قتل بغير حق ، والولى هو ولى المقتول وسائر العصبة ، وليس النساء من الأولياء عند مالك ، والسلطان الذى جعل الله له : هو القصاص ، أو تخييره بين العفو والقصاص (فلا يسرف فى القتل) نهى عن أن يسرف ولى المقتول بأن يقتل غير قاتل وليه أو يقتل اثنين بواحد وغير ذلك من وجوه التعدى ، وقرئ فلا تسرف بالتاء خطابا للقاتل ، أو لولىّ المقتول (إنه كان منصورا) الضمير للمقتول أو لوليه ، ونصره هو القصاص (ولا تقربوا مال اليتيم) ذكر فى الأنعام قال بعضهم لا تقربوا ولا تقتلوا معطوفان على ألا تعبدوا ، والظاهر أنهما مجزومان بالنهى بدليل قوله بعدها : ولا تقف ولا تمش ، ويصح أن تكون معطوفات إذا جعلنا ألا تعبدوا مجزوما على النهى وأن مفسرة (وأوفوا بالعهد) عام فى العهود مع الله ومع الناس (إن العهد كان مسئولا) يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون فى معنى الطلب : أى يطلب الوفاء به ، والثانى أن يكون المعنى يسأل عنه يوم القيامة ، هل وفى به أم لا (وزنوا بالقسطاس) قيل القسطاس الميزان ، وقيل العدل وقرئ بكسر القاف وهى لغة (وأحسن تأويلا) أى أحسن عاقبة ومآلا ، وهو من آل إذا رجع (ولا تقف ما ليس به علم) المعنى لا تقل ما لا تعلم من ذم الناس وشبه ذلك ، واللفظ مشتق من قفوته إذا اتبعته (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) أولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد وإنما عاملها معاملة العقلاء فى الإشارة بأولئك ، لأنها حواس لها إدراك والضمير فى عنه يعود على كل ويتعلق عنه بمسئولا ، والمعنى أن الإنسان يسأل عن سمعه وبصره وفؤاده ، وقيل الضمير يعود على ما ليس لك به علم والمعنى على هذا أن السمع والبصر والفؤاد هى التى تسأل عما ليس لها به علم وهذا بعيد (ولا تمش فى الأرض مرحا) المرح الخيلاء والكبر فى المشية ، وقيل هو إفراط السرور بالدنيا وإعرابه مصدر فى موضع الحال (إنك لن تخرق الأرض) أى لن تجعل فيها خرقا بمشيك عليها ، والخرق هو القطع ، وقيل معناه لا تقدر أن تستوفى جميعها بالمشى ، والمراد بذلك تعليل النهى عن الكبر والخيلاء أى إذا كنت أيها الإنسان لا تقدر على خرق الأرض ، ولا على مطاولة الجبال ، فكيف تتكبر وتختال فى مشيك ، وإنما الواجب عليك التواضع (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) الإشارة إلى ما تقدم من المنهيات والمكروه هنا بمعنى الحرام ، لا على اصطلاح الفقهاء فى أن المكروه دون الحرام وإعراب مكروها نعت

Marfat.com

وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَـٰئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا
يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا * سُبْحَـٰنَهُ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا
يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا * تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَـٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ
وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي
الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا * نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ
إِذْ يَقُولُ الظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا * انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا * وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا

لسيئه أو بدل منها ، أو خبر ثان لكان (أفأصفاكم ربكم بالبنين) خطاب على وجه التوبيخ للعرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله، والمعنى: كيف يجعل لكم الأعلى من النسل وهو الذكور، ويتخذ لنفسه الأدنى وهو البنات ومعنى أصفاكم: خصكم (قولا عظيما) أى عظيم النكر والشناعة (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا) هذا احتجاج على الوحدانية ، وفى معناه قولان : أحدهما أن المعنى لو كان مع الله آلهة لابتغوا سبيلا إلى التقرب إليه بعبادته وطاعته ، فيكون من جملة عباده ، والآخر لابتغوا سبيلا إلى إفساد ملكه ومعاندته فى قدرته ، ومعلوم أن ذلك لم يكن فلا إله إلا هو (تسبح له السموات السبع والأرض) الآية : اختلف فى كيفية هذا التسبيح فقيل هو تسبيح بلسان الحال أى بما تدل عليه صنعتها من قدرة وحكمة ، وقيل إنه تسبيح حقيقة وهذا أرجح لقوله لا تفقهون تسبيحهم (جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) فى معناه قولان: أحدهما أن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستره من الكفار إذا أرادوا به شراً، ويحجبه منهم والآخر أنه يحجب الكفار عن فهم القرآن ، وهذا أرجح لما بعده، والمستور هنا قيل معناه مستور عن أعين الخلق لأنه من لطف الله وكفايته فهو من المغيبات ، وقيل معناه ساتر (أكنة أن يفقهوه) جمع كنان وهو الغطاء، وأن يفقهوه مفعول من أجله تقديره كراهة أن يفقهوه ، وهذه استعارات فى إضلالهم (وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) معناه إذا ذكرت فى القرآن وحدانية الله تعالى فر المشركون من ذلك ، لما فيه من رفض آلهتهم وذمها ونفوراً مصدر فى موضع الحال (نحن أعلم بما يستمعون به) كانوا يستمعون القرآن على وجه الاستهزاء ، والضمير فى به عائد على ما : أى نعلم ما يستمعون به من الاستهزاء (وإذ هم نجوى) جماعة يتناجون أو ذو نجوى ، والنجوى كلام السر (رجلا مسحوراً) قيل معناه جن فسحر وقيل معناه ساحر ، وقيل هو من السحر بفتح السين وهى الرئة : أى بشر إذا سحر مثلكم وهذا بعيد (أنظر كيف ضربوا لك الأمثال) أى مثلوك بالساحر، والشاعر، والمجنون (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) إلى الهدى؛ ونزلت الآية فى الوليد بن المغيرة ، وأصحابه من الكفار (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) الآية معناها إنكار للبعث ، واستبعادهم

Marfat.com

مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ◦ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا * وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَٰنَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنْسَٰنِ عَدُوًّا مُبِينًا ◦ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا * وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ◦ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ◦ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ

أن يخلقهم الله خلقا جديدا بعد فنائهم ، والرفات الذى بلى حتى صار غبارا أو فتاتا ، وقد ذكر فى الرعد اختلاف القراء فى الاستفهامين (قل كونوا حجارة أو حديدا) المعنى لو كنتم حجارة أو حديدا لقدرنا على بعثكم وإحيائكم مع أن الحجارة والحديد أصلب الأشياء وأبعدها عن الرطوبة التى فى الحياة ، فأولى وأحرى أن يبعث أجسادكم ويحيى عظامكم البالية فذكر الحجارة والحديد تنبيها بهما على ماهو أسهل فى الحياة منهما ، ومعنى قوله كونوا أى كونوا فى الوهم والتقدير ، وليس المراد به التعجيز كما قال بعضهم فى ذلك (أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) قيل يعنى السموات والأرض والجبال ، وقيل بل أحال على فكرتهم عموما فى كل ماهو كبير عندهم : أى لو كنتم حجارة أو حديدا أو شيئا أكبر عندكم من ذلك وأبعد عن الحياة لقدرنا على بعثكم (فسينغضون إليك رؤسهم) أى يحركونها تحريك المستبعد للشىء والمستهزئ (ويقولون متى هو) أى متى يكون البعث (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) الدعاء هنا عبارة عن البعث بالنفخ فى الصور والاستجابة عبارة عن قيامهم من القبور طائعين منقادين وبحمده فى موضع الحال أى حامدين له ، وقيل معنى بحمده بأمره (وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) يعنى لبثتم فى الدنيا أو فى القبور (وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن) العباد هنا المؤمنون أمرهم أن يقول بعضهم لبعض كلاما لينا عجيبا ، وقيل أن يقولوه للمشركين ، ثم نسخ بالسيف وإعراب يقولوا كقوله يقيموا الصلاة فى إبراهيم ، وقد ذكر ذلك (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) قيل يعنى الملائكة ، وقيل عيسى وأمه وعزير ، وقيل نفر من الجن كان العرب يعبدونهم ، والمعنى أنهم لايقدرون على كشف الضر عنكم ، فكيف تعبدونهم (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) المعنى أن أولئك الآلهة الذين تدعون من دون الله يبتغون القربة إلى الله ، ويرجونه ، ويخافونه ، فكيف تعبدونهم معه ، وإعراب أولئك مبتدأ والذين تدعون صفة له ويبتغون خبره ، والفاعل فى يدعون ضمير للكفار ، وفى يبتغون للآلهة المعبودين وقيل إن الضمير فى يدعون ويبتغون للأنبياء المذكورين قبل فى قوله : ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ، والوسيلة هى مايتوسل به ويتقرب (أيهم أقرب) بدل من الضمير فى يبتغون أى يبتغى الوسيلة من هو أقرب منهم ، فكيف بغيره : أو ضمن يبتغون معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله

Marfat.com

يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَالِكَ فِى الْكِتَابِ مَسْطُورًا * وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ

بالاجتهاد فى طاعته ، ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يتوسلون بأنهم أقرب إلى الله (محذورا) من الحذر وهو الخوف (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) يحتمل هذا الهلاك وجهين : أحدهما أن يكون بالموت والفناء الذى لا بد منه ، والآخر أن يكون بأمر من الله يأخذ المدينة دفعة فيهلكها ، وهذا أظهر ، لأن الأول معلوم لا يفتقر إلى الإخبار به ، والهلاك والتعذيب المذكوران فى الآية هما فى الحقيقة لأهل القرى أى مهلكو أهلها أو معذبوهم ، وروى أن هلاك مكة بالحبشة ، والمدينة بالجوع ، والكوفة بالترك ، والأندلس بالخيل ، وسئل الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عن غرناطة ، فقال أصابها العذاب يوم قتل الموحدين بها فى ثورة ابن هود ، وأما هلاك قرطبة وأشبيليه وطيطله وغيرها بأخذ الروم لها (فى الكتاب مسطورا) يعنى اللوح المحفوظ (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) الآيات يراد بها هنا التى يقترحها الكفار فإذا رأوها ولم يؤمنون أهلكهم الله وسبب الآية أن قريشا اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، فأخبر الله أنه لم يفعل ذلك لئلا يكذبوا فيهلكوا ، وعبر بالمنع عن ترك ذلك ، وأن نرسل فى موضع نصب وأن كذب فى موضع رفع ثم ذكر ناقة ثمود تنبيها على ذلك لأنهم اقترحوها وكانت سبب هلاكهم ، ومعنى مبصرة : بينة واضحة الدلالة (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) إن أراد بالآيات هنا المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من العذاب العاجل وهو الإهلاك وإن أراد المعجزات غير المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من عذاب الآخرة ليراها الكافر فيؤمن ، وقيل المراد بالآيات هنا الرعد والزلازل والكسوف وغير ذلك من المخاوف (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) المعنى اذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش يعنى بشرناك بقتلهم يوم بدر وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر ، وإنما قال أحاط بلفظ الماضى وهو لم يقع لتحقيقه وصحة وقوعه بعد ، وقيل المعنى أحاط بالناس فى منعك وحمايتك منهم كقوله : والله يعصمك من الناس (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) اختلف فى هذه الرؤيا فقيل إنها الإسراء ، فمن قال إنه كان فى اليقظة ، فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين ، ومن قال إنه كان فى المنام فالرؤيا منامية ، والفتنة على هذا تكذيب الكفار بذلك وارتداد بعض المسلمين حينئذ ، وقيل إنها رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه هزيمة الكفار وقتلهم ببدر ، والفتنة على هذا تكذيب قريش بذلك ، وقيل إنه رأى أنه يدخل مكة فعجل فى سنة الحديبية فرد عنها فافتتن بعض المسلمين بذلك ؛ وقيل رأى فى المنام أن بنى أمية يصعدون على منبره فاغتم بذلك (والشجرة الملعونة فى القرآن) يعنى شجرة الزقوم ، وهى معطوفة على الرؤيا أى جعل الرؤيا والشجرة فتنة للناس ، وذلك أن قريشا لما سمعوا أن فى جهنم شجرة زقوم سخروا من ذلك وقالوا كيف تكون شجرة فى النار والنار تحرق الشجر ، وقال أبو جهل ما أعرف الزقوم إلا التمر بالزبد ، فإن قيل : لم لعنت شجرة الزقوم فى القرآن ؟ فالجواب أن المراد لعنة آكلها ، وقيل اللعنة بمعنى الإبعاد لأنها فى أصل الجحيم (ونخوفهم) الضمير لكفار قريش (طينا) تمييز أو حال من من أو من مفعول خلقت (قال أرأيتك

Marfat.com

فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ۞ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ۞ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۞ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۞ رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۞ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا * أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ أَمِنتُمْ أَن

هذا الذى كرمت علىّ) الكاف من أرأيتك للخطاب لا موضع لها من الإعراب ، وهذا مفعول بأرأيت ، والمعنى أخبرنى عن هذا الذى كرمته علىّ أى فضلته وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ، وقال ابن عطية أرأيتك هذا بمعنى أتأملت ونحوه لا بمعنى أخبرنى (لأحتنكن ذريته) معناه لأستولين عليهم ولأقودنهم وهومأخوذ من تحنيك الدابة ، وهو أن يشد على حنكها بحبل فتنقاد (قال اذهب) قال ابن عطية اذهب وما بعده من الأوامر : صيغة أمر على وجه التهديد ، وقال الزمخشرى ليس المراد الذهاب الذى هو ضد المجىء ، وإنما معناه امض لشأنك الذى اخترته خذلانا له وتخلية ، ويحتمل عندى أن يكون معناه للطرد والإبعاد (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) كان الأصل أن يقال جزاؤهم بضمير الغيبة ، ليرجع إلى من اتبعك ، ولكنه ذكره بلفظ المخاطب تغليبا للمخاطب على الغائب ، وليدخل إبليس معهم (جزاء موفورا) مصدر فى موضع الحال والموفور المكمل (واستفزز) أى اخدع واستخف (بصوتك) قيل يعنى الغناء والمزامير ، وقيل الدعاء إلى المعاصى (وأجلب عليهم) أى هول ، وهو من الجلبة وهى الصياح (بخيلك ورجلك) الخيل هنا يرادبها الفرسان الراكبون على الخيل ، والرجل جمع راجل وهو الذى يمشى على رجليه فقيل هو مجاز واستعارة بمعنى افعل جهدك ، وقيل إن له من الشيطان خيلا ورجلا ، وقيل المراد فرسان الناس ورجالتهم المتصرفون فى الشر (وشاركهم فى الأموال والأولاد) مشاركته فى الأموال بكسبها من الربا وإنفاقها فى المعاصى وغير ذلك ، ومشاركته فى الأولاد هى بالاستيلاد بالزنا وتسمية الولد عبد شمس وعبد الحارث وشبه ذلك (وعدهم) يعنى المواعدة الكاذبة من شفاعة الأصنام وشبه ذلك (إن عبادى) يعنى المؤمنين الذين يتوكلون على الله بدليل قوله بعد ذلك : وكفى بربك وكيلا ونحوه : إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (يزجى لكم الفلك) أى يجريها ويسيرها والفلك هنا جمع وابتغاء الفضل فى التجارة وغيرها (الضرّ فى البحر) يعنى خوف الغرق (ضل من تدعون إلا إياه) ضل هنا بمعنى تلف وفقد : أى تلف عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه إلا الله وحده فلجأتم إليه حينئذ دون غيره . فكيف تبدون غيره وأنتم لا تجدون فى تلك الشدة إلا إياه (وكان الإنسان كفورا)

Marfat.com

يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا * وَإِن كَادُوا

أى كفورا بالنعم ، والإنسان هنا جنس (أفأمنتم) الهمزة للتوبيخ والفاء للعطف أى أنجوتم من البحر فأمنتم الخسف فى البر (حاصبا) يعنى حجارة أو ريحا شديدة ترمى بالحصباء (وكيلا) أى قائما بأموركم وناصرا لكم (قاصفا من الريح) يعنى الذى يقصف ما يأتى أى يكسره (تبيعا) أى مطالبا يطالبنا بما فعلنا بكم : أى لاتجدون من ينصركم منا كقوله ولا يخاف عقباها (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) يعنى فضلهم على الجن وعلى سائر الحيوان ، ولم يفضلهم على الملائكة ، ولذلك قال : على كثير وأنواع التفضيل كثيرة لاتحصى : وقد ذكر المفسرون منها كون الإنسان يأكل بيده ، وكونه منتصب القامة ، وهذه أمثلة (بإمامهم) قيل يعنى بنبيهم ، يقال بأمة فلان ، وقيل يعنى كتابهم الذى أنزل عليهم ، وقيل كتابهم الذى فيه أعمالهم (ولا يظلمون فتيلا) الفتيل هو الخيط الذى فى شق نواة التمرة ، والمعنى أنهم لا يظلمون من أعمالهم قليلا ولا كثيرا ، فعبر بأقل الأشياء تنبيها على الأكثر (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى) الإشارة بهذه إلى الدنيا ، والعمى يراد به عمى القلب : أى من كان فى الدنيا أعمى عن الهدى ، والصواب فهو فى يوم القيامة أعمى : أى حيران يائس من الخير ، ويحتمل أن يريد بالعمى فى الآخرة عمى البصر : كقوله ونحشره يوم القيامة أعمى ، وإنما جعل الأعمى فى الآخرة أضل سبيلا ، لأنه حينئذ لا ينفعه الاهتداء ، ويجوز فى أعمى الثانى : أن يكون صفة للأول ، وأن يكون من الأفعال التى للتفضيل ، وهذا أقوى لقوله وأضل سبيلا فعطف أضل الذى هو من أفعل من كذا على ما هو شبهه ، قال سيبويه . لا يجوز أن يقال هو أعمى من كذا ولكن إنما يمتنع ذلك فى عمى البصر ، لا فى عمى القلب (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك) الآية : سببها أن قريشا قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم اقبل بعض أمرنا ونقبل بعض أمرك ، وقيل إن ثقيفا طلبوا من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يؤخرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللات والعزى ، والآية على هذا القول مدنية (لتفترى علينا غيره) الافتراء هنا يراد به المخالفة لما أوحى إليه من القرآن وغيره (وإذاً لاتخذوك خليلا) أى لو فعلت ما أرادوا منك لاتخذوك خليلا (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) لولا تدل على امتناع شىء لوجود غيره ، فدلت هنا على امتناع مقاربة النبى صلى الله عليه وسلم الركون إليهم لأجل تثبيت الله له وعصمته ، وكدت تقتضى نفى الركون ، لأن معنى كاد فلان يفعل كذا أى أنه لم يفعله فانتفى الركون إليهم ومقاربته ، فليس فى ذلك نقص من جانب النبى صلى الله عليه وسلم لأن التثبيت منعه

لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ✱ وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ۝ وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَٰطِلُ إِنَّ الْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ✱ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ✱ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ✱ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ

من مقاربة الركون ، ولولم يثبته الله لكانت مقاربته للركون إليهم شيئا قليلا ، وأما منع التثبيت فلم يركن قليلا ولا كثيرا ، ولا قارب ذلك (إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أي ضعف عذابهما لوفعل ذلك (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض) الضمير لقريش كانوا قدهموا أن يخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، وذلك قبل الهجرة ، فالأرض هنا يراد بها مكة لأنها بلده (وإذاً لايلبثون خلفك إلا قليلا) أي لوأخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك بمكة إلاقليلا فلماخرج النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا من مكة إلى المدينة لأجل إذاية قريش له ولأصحابه لم يبقوا بعد ذلك إلا قليلا ، وقتلوا يوم بدر (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) انتصب سنة على المصدر، ومعناه العادة أي هذه عادة الله مع رسله (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر) هذه الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة ، فدلوك الشمس زوالها ، والإشارة إلى الظهر والعصر ، وغسق الليل ظلمته وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء ، وقرآن الفجر صلاة الصبح ، وانتصب قرآن الفجر بالعطف على موضع اللام في قوله لدلوك الشمس ، فإن اللام فيه ظرفية بمعنى علم ، وقيل هو عطف على الصلاة ، وقيل مفعول بفعل مضمر تقديره اقرأ قرآن الفجر ، وإنما عبر عن صلاة الصبح بقرآن الفجر لأن القرآن يقرأ فيها أكثر من غيرها لأنها تصلى بسورتين طويلتين (إن قرآن الفجر كان مشهودا) أي تشهده ملائكة الليل والنهار فيجتمعون فيه إذ تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) لما أمر بالفرائض أمر بعدها بالنوافل ، ومن للتبعيض ، والضمير في به للقرآن والتهجد السهر وهو ترك الهجود ، ومعنى الهجود : النوم فالتفعل هنا للخروج عن الشيء كالتحرج والتأثم : في الخروج عن الإثم والحرج (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) يعني الشفاعة يوم القيامة ، وانتصب مقاما على الظرف (وقل رب أدخلني مدخل صدق) الآية : المدخل : دخوله إلى المدينة والمخرج خروجه من مكة ، وقيل المدخل في القبر ، والمخرج إلى البعث ، واختار ابن عطية أن يكون على العموم في جميع الأمور (سلطانا نصيرا) قيل معناه حجة تنصرني بها وتظهر بها صدقي ، وقيل قوة ورياسة تنصرني بها على الأعداء وهذا أظهر (وقل جاء الحق وزهق الباطل) الحق الإيمان والباطل الكفر (وننزل من القرآن ماهو شفاء) من للتبعيض ، أو لبيان الجنس ، والمراد بالشفاء أنه يشفي القلوب من الريبة والجهل ، ويحتمل أن يريد نفعه من الأمراض بالرقي والتعويذ (وإذا أنعمنا على الإنسان) الآية : المراد بالإنسان هنا الجنس ، لأن ذلك من سجية الإنسان ، وقيل

Marfat.com

أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ۝ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝
وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ
عَلَيْكَ كَبِيرًا ۝ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝
وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ
الْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِاللَّهِ وَالْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝ أَوْ يَكُونَ لَكَ

إنما يراد الكافر لأنه هو الذى يعرض عن الله (ونأى بجانبه) أى بعد وذلك تأكيد وبيان للإعراض، وقرئ ناء وهو بمعنى واحد (كل يعمل على شاكلته) أى مذهبه وطريقته التى تشاكله (ويسئلونك عن الروح) السائلون اليهود، وقيل قريش بإشارة اليهود، والروح هنا عند الجمهور هو الذى فى الجسم، وقد يقال فيه النفس وقيل الروح هنا جبريل وقيل القرآن والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك (قل الروح من أمر ربى) أى من الأمور التى استأثر الله بها ولم يطلع عليها خلقه، وكانت اليهود قد قالت لقريش اسألوه عن الروح، فإن لم يجبكم فيه بشيء فهو نبىّ وذلك أنه كان عندهم فى التوراة أن الروح مما انفرد الله بعلمه، وقال ابن بريدة: لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعرف الروح، ولقد كثر اختلاف الناس فى النفس والروح، وليس فى أقوالهم فى ذلك مايعول عليه (وماأوتيتم من العلم إلاقليلا) خطاب عام لجميع الناس، لأن علمهم قليل بالنظر إلى علم الله وقيل خطاب لليهود خاصة والأول أظهر لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم بالروح (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك) أى إن شئنا ذهبنا بالقرآن فمحوناه من الصدور والمصاحف وهذه الآية متصلة المعنى بقوله وما أوتيم من العلم إلا قليلا: أى فى قدرتنا أن نذهب بالذى أوحينا إليك فلا يبقى عندك شيء من العلم (وكيلا) أى من يتوكل بإعادته ورده بعد ذهابه (إلا رحمة من ربك) يحتمل أن يكون استثناء متصلا فمعنى أن رحمة ربك ترد القرآن بعد ذهابه لوذهب أو استثناء منقطعا بمعنى أن رحمة ربك تمسكه عن الذهاب (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) عجز الخلق عن الإتيان بمثله لما تضمنه من العلوم الإلهية والبراهين الواضحة والمعانى العجيبة التى لم يمكن الناس يعلمونها، ولا يصلون إليها، ثم جاءت فيه على الكمال، وقال أكثر الناس إنهم عجزوا عنه لفصاحته وحسن نظمه ووجوه إعجازه كثيرة قد ذكرنا فى غير هذا منها خمسة عشر وجها (ظهيرا) أى معينا (ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى بينا لهم كل شيء من العلوم النافعة، والبراهين القائمة، والحجج الواضحة، وهذا يدل على أن إعجاز القرآن بما فيه من المعانى والعلوم كما ذكرنا (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) الكفور الجحود، وانتصب بقوله أبى لأنه فى معنى النفى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) الذين قالوا هذا القول هم أشراف قريش طلبوا من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنواعا من خوارق العادات، وهى التى ذكرها الله فى هذه الآية، وقيل إن الذى قاله عبدالله بن أبى أمية بن المغيرة، وكان ابن عمة النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، ثم أسلم بعد ذلك والينبوع العين، قالوا له إن مكة قليلة الماء ففجر لنا فيها عينا من

Marfat.com

بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى السَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝ قُل لَّوْ كَانَ فِى الْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ۝ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ۝ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۝ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ قَتُورًا ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝

الماء (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) إشارة إلى قوله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء وكسفا بفتح السين جمع كسفة وهى القطعة ، وقرئ بالإسكان : أى قطعا واحدا (قبيلا) قيل معناه مقابلة ومعاينة وقيل ضامنا شاهدا بصدقك ، والقبالة فى اللغة الضمان (بيت من زخرف) أى من ذهب (قل سبحان ربى) تعجب من اقتراحاتهم ، أو تنزيه لله عن قولهم تأتى بالله ، وعن أن يطلب منه هذه الأشياء التى طلبها الكفار ، لأن ذلك سوء أدب (هل كنت إلا بشرا رسولا) أى إنما أنا بشر ، فليس فى قدرتى شىء مما طلبتم ، وأنا رسول فليس على إلا التبليغ (إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) المعنى أن الذى منع الناس من الإيمان إنكارهم لبعث الرسول من البشر (قل لو كان فى الأرض ملائكة) الآية : معناها أنه لو كان أهل الأرض ملائكة لكان الرسول إليهم ملكا ، ولكنهم بشر ، فالرسول إليهم بشر من جنسهم ومعنى مطمئنين ساكنين فى الأرض (شهيدا بينى وبينكم) ذكر فى الأنعام (عميا وبكما وصما) قيل هى استعارة بمعنى أنهم يوم القيامة حيارى ، وقيل هى حقيقة وأنهم يكونون عميا وبكما وصما حين قيامهم من قبورهم (كلما خبت) معناه فى اللغة سكن لهبها ، والمراد هنا كلما أكلت لحومهم فسكن لهبها بدلوا أجسادا أخر ، ثم صارت ملتهبة أكثر مما كانت (وقالوا أئذا كنا عظاما) استبعاد للحشر وقد تقدم معنى الرفات والكلام فى الاستفهامين (أولم يروا أن الله) الآية احتجاج على الحشر ، فإن السموات والأرض أكبر من الإنسان فكما قدر الله على خلقها فأولى وأحرى أن يقدر على إعادة جسد الإنسان بعد فنائه ، والرؤية فى الآية ، رؤية قلب (أجلا لا ريب فيه) القيامة أو أجل الموت (قل لو أنتم تملكون) لو حرف امتناع ولا يليها الفعل إلا ظاهرا أو مضمرا فلا بد من فعل يقدر هنا بعدها تقديره تملكون ثم فسره بتملكون الظاهر ، وأنتم تأكيد للضمير الذى فى تملكون المضمر (خزائن رحمة ربى) أى الأموال والأرزاق ، إذا لأمسكتم خشية الإنفاق) أى لو ملكتم الخزائن لأمسكتم عن الإعطاء خشية الفقر ، فالمراد بالانفاق عاقبة الإنفاق وهو الفقر ، ومفعول أمسكتم محذوف ، وقال الزمخشرى

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ۝ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۝ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝

لامفعول له لأن معناه بخاتم من قولهم للبخيل ممسك ، ومعنى الآية وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر ، بخلاف وصف الله تعالى بالجود والغنى (تسع آيات) بينات الخمس منها الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، والأربع انقلاب العصا حية ، وإخراج يده بيضاء ، وحل العقدة من لسانه ، وفلق البحر وقد عد فيها رفع الطور فوقه ، وانفجار الماء من الحجر على أن يسقط اثنان من الأخر ، وقد عد فيها أيضا السنون ، والنقص من الثمرات ، روى أن بعض اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال : ألا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تمشى ببرىء إلى السلطان ليقتله ، ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنات ، ولا تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود ألا تعدوا فى السبت (فاسئل بنى إسرائيل) أى اسأل المعاصرين لك من بنى إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقينا ، والآية على هذا خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقال الزمخشرى إن المعنى قلنا لموسى اسأل بنى إسرائيل من فرعون أى اطلب منه أن يرسلهم معك ، فهو كقوله : أن أرسل معنا بنى إسرائيل ، فلا يرد قوله اسأل لموسى على إضمار القول ، وقال أيضا : يحتمل أن يكون المعنى : اسأل بنى إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك ، وهذا أيضا على أن يكون الخطاب لموسى ، والأول أظهر (إذجاءهم) الضمير لبنى إسرائيل ، والمراد آباؤهم الأقدمون والعامل فى إذ على القول الأول آتينا موسى أو فعل مضمر ، والعامل فيه على قول الزمخشرى القول المحذوف (مسحورا) هنا وفى الفرقان : أى سحرت واختلط عقلك ، وقيل ساحر (لقد علمت) بفتح التاء خطاب لفرعون ، والمعنى أنه علم أن الله أنزل الآيات ، ولكنه كفرها عنادا كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والإشارة بهؤلاء إلى الآيات مثبورا أى مهلوكا ، وقيل مغلوبا ، وقيل مصروفا عن الخير ، قابل موسى قول فرعون إنى لأظنك ياموسى مسحورا بقوله . وإنى لأظنك يافرعون مثبورا (فأراد أن يستفزهم من الأرض) أى أرض مصر (اسكنوا الأرض) يعنى أرض الشام (لفيفا) أى جميعا مختلطين (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) الضمير للقرآن وبالحق معناه فى الموضعين بالواجب من المصلحة والسداد وقيل معنى الأول كذلك : ومعنى الثانى ضد الباطل . أى بالحق فى إخباره وأوامره ونواهيه (وقرآنا فرقناه) انتصب بفعل مضمر يدل عليه فرقناه ، ومعناه بيناه وأوضحناه (على مكث) قيل معناه على تمهل وترتيل فى قراءته ، وقيل على طول مدة نزوله شيئا شيئا من حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم إلى وفاته ، وذلك عشرون سنة ، وقيل ثلاث وعشرون (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) أمر باحتقارهم وعدم الاكتراث بهم ، كأنه يقول سواء آمنتم أولم تؤمنوا لكونكم لستم بحجة ، وإنما الحجة أهل العلم من قبله ، وهم المؤمنون من أهل الكتاب (إن الذين

Marfat.com

وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۩ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۩

سورة الكهف

مكية إلا آية ٣٨ ومن آية ٨٣ إلى غاية آية ١٠١ فمدنية وآياتها ١١٠ نزلت بعد الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۩ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۩ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا

أوتوا العلم من قبله) يعني المؤمنين من أهل الكتاب وقيل الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة : كزيد بن عمرو بن نوفل ، وورقة بن نوفل ، والأول أظهر ، وهذه الجملة تعليل لما تقدم ، والمعنى : إن لم تؤمنوا به أنتم ، فقد آمن به من هو أعلم منكم (ويخرون الأذقان) أي لناحية الأذقان كقولهم خرّ لليدين وللفم ، والأذقان جمع ذقن ، وهو أسفل الوجه حيث اللحية ، وإنما كرر يخرون للأذقان، لأن الأول للسجود ، والآخر للبكاء (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) سببها أن الكفار سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يا الله يا رحمن ، فقالوا إن كان محمد ليأمرنا بدعاء إله واحد وهاهو يدعو إلهين ، فنزلت الآية مبينة أن قوله الله أو الرحمن اسما لمسمى واحد، وأنه مخير في الدعاء بأيّ الاسمين شاء ، والدعاء في الآية بمعنى التسمية كقولك دعوت ولدي زيدا لا بمعنى النداء (أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) أيّا اسم شرط منصوب بتدعوا ، والتنوين فيه عوض من المضاف إليه ، وما زائدة للتأكيد والضمير في به لله تعالى ، وهو المسمى لا الاسم ، والمعنى أيّ هذين الاسمين تدعو فحسن ، لأن الله له الأسماء الحسنى فوضع قوله لله الأسماء الحسنى موضع الحال ، وهو في المعنى تعليل للجواب ؛ لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) المخافتة هي الإسرار ، وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر بالقرآن في الصلاة فسمعه المشركون ، فسبوا القرآن ومن أنزله ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوسط بين الإسرار والجهر ليسمع أصحابه الذين يصلون معه ولا يسمع المشركون ، وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها ، واجعل منها سرا وجهرا حسبما أحكمته السنة ، وقيل الصلاة هنا الدعاء (ولم يكن له وليّ من الذل) أي ليس له ناصر يمنعه من الذل لأنه تعالى عزيز لا يفتقر إلى وليّ يحميه ، فنفي الولاية على هذا المعنى لأنه غنيّ عنها ، ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده ، وحكى الطبري أن قوله لم يتخذ ولدا رد على النصارى واليهود والذين نسبوا لله ولدا . وقوله ولم يكن له شريك : رد على المشركين ، وقوله ولم يكن له وليّ من الذلّ رد على الصابئين في قولهم لولا أولياء الله لذل الله ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (وكبره) معطوف على قل ، ويحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب وهو التعظيم ، أو باللسان وهو قوله أن يقول الله أكبر مع قوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية

سورة الكهف

(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) العبد هنا هو النبي صلى الله عليه وسلم ، ووصفه بالعبودية تشريفا له

Marfat.com

شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ

وإعلاما باختصاصه وقربه ، والكتاب القرآن (ولم يجعل له عوجا) العوج بكسر العين فى المعانى التى لا تحس وبالفتح فى الأشخاص كالعصا ونحوها ، ومعناه عدم الاستقامة ، وقيل فيه هنا معناه لا تناقض فيه ولا خلل ، وقيل لم يجعله مخلوقا ، واللفظ أعم من ذلك (قيما) أى مستقيما ، وقيل قيما على الخلق بأمر الله تعالى ، وقيل قيما على سائر الكتب بتصديقها ، وانتصابه على الحال من الكتاب ، والعامل فيه أنزل ، ومنع الزمخشرى ذلك للفصل بين الحال وذى الحال ، واختار أن العامل فيه فعل مضمر تقديره جعله قيما (لينذر بأسا شديدا) متعلق بأنزل أو بقيما ، والفاعل به ضمير الكتاب أو النبى صلى الله عليه وسلم ، والبأس العذاب ، وحذف المفعول الثانى وهو الناس كما حذف المفعول الآخر من قوله وينذر الذين لدلالة المعنى على المحذوف (من لدنه) أى من عنده ، والضمير عائد على الله تعالى (أجرا حسنا) يعنى الجنة (ماكثين فيه) أى دائمين ، وانتصابه على الحال من الضمير فى لهم (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) هم النصارى لقولهم فى عيسى واليهود لقولهم فى عزير وبعض العرب لقولهم فى الملائكة (وما لهم به من علم) الضمير عائد على قولهم ، أو على الولد (كبرت كلمة) انتصب على التمييز على الحال ويعنى بالكلمة قولهم اتخذ الله ولدا : وعلى هذا يعود الضمير فى كبرت (فلعلك باخع نفسك) أى قاتلها بالحزن والأسف ، والمعنى تسلية النبى صلى الله عليه وسلم عن عدم إيمانهم (على آثارهم) استعارة فصيحة : كأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو يتبع آثارهم تأسفا عليهم ، وانتصب أسفا على أنه مفعول من أجله ، والعامل فيه باخع نفسك (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) يعنى ما يصلح للتزين كالملابس والمطاعم والأشجار والأنهار وغير ذلك (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) أى لنختبرهم أيهم أزهد فى زينة الدنيا (وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) المعنى إخبار بفناء الدنيا وزينتها ، والصعيد هو التراب ، والجرز : الأرض التى لا نبات فيها : أى سيفنى ما على الأرض من الزينة وتبقى كالأرض التى لا نبات فيها ، بعد أن كانت خضراء بهجة (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أم هنا استفهام ، والمعنى أحسبت أنهم عجب بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب ، والكهف الغار الواسع ، والرقيم : اسم كلبهم ، وقيل هو لوح رقمت فيه أسماؤهم على باب الكهف ، وقيل كتاب فيه شرعهم ودينهم ، وقيل هو القرية التى كانت بإزاء الكهف ، وقيل الجبل الذى فيه الكهف ، وقال ابن عباس لا أدرى ما الرقيم (إذ أوى الفتية إلى الكهف) نذكر من قصتهم على وجه الاختصار ما لا غنى عنه ، إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة فى كثير مما نقلوا ، وذلك أنهم كانوا قوما مؤمنين ، وكان ملك بلادهم كافر يقتل كل مؤمن ، ففروا بدينهم ، ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه ويستخفوا من الملك وقومه ، فأمر الملك باتباعهم ، فانتهى المتبعون لهم إلى الغار فوجدوهم وعرفوا الملك بذلك فوقف

Marfat.com

أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا
أَمَدًا ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا
فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ۝ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ
وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ۝ وَتَرَى

عليه فى جنده وأمر بالدخول إليهم ، فهاب الرجال ذلك وقالوا له دعهم يموتوا جوعا وعطشا ، وكان الله قد ألقى عليهم قبل ذلك نوما ثقيلا ، فبقوا على ذلك مدة طويلة ثم أيقظهم الله ، وظنوا أنهم لبثوا يوما أو بعض يوم فبعثوا أحدهم يشترى لهم طعاما بدراهم كانت لهم فعجب لها البائع وقال هذه الدراهم من عهد فلان الملك فى قديم الزمان من أين جاءتك ، وشاع الكلام بذلك فى الناس ، وقال الرجل إنما خرجت أنا وأصحابى بالأمس فأوينا إلى الكهف ، فقال هؤلاء الفتية الذين ذهبوا فى الزمان القديم فمشوا إليهم فوجدوهم موتى ، وأما موضع كهفهم ، فقيل إنه بمقربة من فلسطين وقال : قوم إنه الكهف الذى بالأندلس بمقربة من لوشة من جهة غرناطة ، وفيه موتى ومعهم كلب ، وقد ذكر ابن عطية ذلك ، وقال إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد ، وقريب منهم بناء يقال له الرقيم قد بقى بعض جدرانه ، وروى أن الملك الذى كانوا فى زمانه اسمه دقيوس ، وفى تلك الجهة آثار مدينة يقال لها مدينة دقيوس والله أعلم ، ومما يبعد ذلك ماروى أن معاوية مر عليهم وأراد الدخول إليهم ، ولم يدخل معاوية الأندلس قط ، وأيضا فإن الموتى التى فى غار لوشة يراهم الناس ، ولم يدرك أحد منهم الرعب ، الذى ذكر الله فى أصحاب الكهف (فضربنا على آذانهم فى الكهف) عبارة عن إلقاء النوم عليهم ، وقال الزمخشرى : المعنى ضربنا على آذانهم حجابا ثم حذف هذا المفعول (سنين عددا) أى كثيرة (ثم بعثناهم) أى أيقظناهم من نومهم (لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) أى لنعلم علما يظهر فى الوجود لأن الله قد كان علم ذلك ، والمراد بالحزبين الذين اختلفوا فى مدة لبثهم ، فالحزب الواحد : أصحاب الكهف والحزب الآخر القوم الذين بعث الله أصحاب الكهف فى مدتهم وقيل إن الحزبين معا أصحاب الكهف إذ كان بعضهم قد قال لبثنا يوما أو بعض يوم ، وقال بعضهم ربكم أعلم بما لبثتم ، وأحصى فعل ماض وأمدا مفعول به ، وقيل أحصى اسم للتفضيل ، وأمدا تمييز ، وهذا ضعيف ، لأن أفعل من التى للتفضيل لا يكون من فعل رباعى إلا فى الشاذ (وربطنا على قلوبهم) أى قوينا عزمهم وألهمناهم الصبر (إذ قاموا) يحتمل أن يريد قيامهم من النوم أو قيامهم بين يدى الملك الكافر لما آمنوا ولم يبالوا به (لقد قلنا إذا شططا) أى لو دعونا من دونه إلها لقلنا قولا شططا ، والشطط الجور والتعدى (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) تحضيض بمعنى التعجيز أنهم لا يأتون بحجة بينة على عبادة غير الله (وإذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين عزموا على الفرار بدينهم (وما يعبدون) عطف على المفعول فى اعتزلتموهم : أى تركتموهم وتركتم مايعبدون (إلا الله) أى مايعبدون من دون الله ، وإلا هنا بمعنى غير ، وهذا استثناء متصل إن كان قومهم يعبدن الله ويعبدون معه غيره ، ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله وفى مصحف ابن مسعود «ومايعبدون

الشَّمْسَ اذا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَاذا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ◦ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَـٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم

من دون الله (فأووا إلى الكهف) هذا الفعل هو العامل فى إذاعتزلتموهم ، والمعنى أن بعضهم قال لبعض إذا فارقنا الكفار فلنجعل الكهف لنا مأوى ونتكل على الله فهو يرحمنا ويرفق بنا (مرفقا) بفتح الميم وكسرها مايرتفق به وينتفع (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) قيل هنا كلام محذوف تقديره فأوى القوم إلى الكهف ومكثوا فيه ، وضرب الله على آذانهم ، ومعنى تزاور تميل وتروغ ، ومعنى تقرضهم تقطعهم : أى تبعد عنهم ، وهو بمعنى القطع ، وذات اليمين والشمال أى جهته ، ومعنى الآية أن الشمس لاتصيبهم عند طلوعها ولا عند غروبها لئلا يحترقوا بحرها ، فقيل إن ذلك كرامة لهم وخرق عادة ، وقيل كان باب الكهف شماليا يستقبل بنات نعش ، فلذلك لاتصيبهم الشمس ، والأول أظهر لقوله « ذلك من آيات الله » (وهم فى فجوة منه) أى فى موضع واسع ، وذلك مفتح لإصابة الشمس ، ومع ذلك حجبها الله عنهم (ذلك من آيات الله) الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرق عادة ، وإن كان لكون بابهم إلى الشمال فالإشارة إلى أمرهم بجملته (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) أيقاظا جمع يقظ وهو المنتبه كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون فيحسبهم من يراهم أيقاظا وفى قوله أيقاظا ورقود مطابقة ، وهى من أدوات البيان (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) أى نقلبهم من جانب إلى جانب ، ولولا ذلك لأكلتهم الأرض وكان هذا التقليب من فعل الله وملائكته ، وهم لاينتبهون من نومهم ، وروى أنهم كانوا يقلبون مرتين فى السنة ، وقيل من سبع سنين إلى مثلها (وكلبهم باسط ذراعيه) قيل إنه كان كلبا لأحدهم يصيد به ، وقيل كان كلبا لراع مروا عليه فصحبهم وتبعه كلبه وأعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضى" لأنه حكاية حال (بالوصيد) أى بباب الكهف ، وقيل عتبته وقيل البناء (ولملئت منهم رعبا) ذلك لما ألبسهم الله من الهيبة ، وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وقيل لوحشة مكانهم ، وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف ، فأراد الدخول إليه فقال له ابن عباس لاتستطيع ذلك ، قد قال الله لمن هو خير منك : لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ، فبعث ناسا إليهم ، فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فأحرقتهم (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) أى كما أنمناهم كذلك بعثناهم ليسأل بعضهم بعضا ، واللام فى ليتساءلوا لام الصيرورة (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة ، فأنكر على من قال يوما أو بعض يوم ، ولكنه لم يعلم مقدارها فأسند علمها إلى الله (فابعثوا أحدكم بورقكم) الورق الفضة ، وكانت دراهم تزودوها حين خروجهم إلى الكهف ، ويستدل بذلك على أن التزود للمسافر أفضل من تركه ، ويستدل ببعث أحدهم على جواز الوكالة ، فإن قيل : كيف

Marfat.com

بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن
تُفْلِحُوٓا إِذًا أَبَدًا ۝ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ
أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۞ سَيَقُولُونَ
ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ۞ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاىْءٍ

اتصل بعث أحدهم بتذكر مدة لبثهم ؟ فالجواب أنهم كانوا قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم فابعثوا أحدكم (إلى المدينة) قيل إنها طرسوس (أزكى طعاما) قيل أكثر ، وقيل أحل ، وقيل إنه أراد شراء زبيب ، وقيل تمر (وليتلطف) فى اختفائه وتحيله (إن يظهروا عليكم يرجموكم) أى إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة ، وقيل المعنى يرجموكم بالقول ، والأول أظهر (وكذلك أعثرنا عليهم) أى كما أنمناهم وبعثناهم أطلعنا الناس عليهم (ليعلموا) الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب الكهف : أى أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة ليستدلوا بذلك على صحة البعث من القبور (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) العامل فى إذ أعثرنا أو مضمر تقديره اذكر والمتنازعون هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون فى أصحاب الكهف ، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء ، وقيل تنازعوا هل تحشر الأجساد أو الأرواح بالأجساد ، فأراهم الله حال أصحاب الكهف ليعلموا أن الأجساد تحشر (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا) أى على باب كهفهم إما ليطمس آثارهم أو ليحفظهم ويمنعهم ممن يريد أخذهم أو أخذ تربتهم تبركا ، وإما ليكون علما على كهفهم ليعرف به (قال الذين غلبوا على أمرهم) قيل يعنى الولاة ، وقيل يعنى المسلمين لأنهم كانوا أحق بهم من الكفار فبنوا على باب الكهف مسجداً لعبادة الله (سيقولون) الضمير لمن كان فى زمان النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من اليهود أو غيرهم ممن تكلم فى أصحاب الكهف (رجما بالغيب) أى ظنا وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمى (سبعة وثامنهم كلبهم) قال قوم إن الواو واو الثمانية لدخولها هنا وفى قوله : سبع ليال وثمانية أيام ، وفى قوله فى أهل الجنة «وفتحت أبوابها» وفى قوله فى براءة «والناهون عن المنكر» ، وقال البصريون لا تثبت واو الثمانية وإنما الواو هنا كقوله : جاء زيد وفى يده سيف قال الزمخشرى وفائدتها التوكيد والدلالة على أن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم صدقوا وأخبروا بحق ، بخلاف الذين قالوا ثلاثة ورابعهم كلبهم ، والذين قالوا خمسة وسادسهم كلبهم ، وقال ابن عطية دخلت الواو فى آخر إخبار عن عددهم لتدل على أن هذا نهاية ماقيل ولو سقطت لصح الكلام ، وكذلك دخلت السين فى قوله سيقولون الأول ، ولم تدخل فى الثانى والثالث استغناء بدخولها فى الأول (ما يعلمهم إلا قليل) أى لا يعلم عدتهم إلا قليل من الناس ، وهم من أهل الكتاب ، قال ابن عباس : أنا من ذلك القليل ، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم ، لأنه قال فى الثلاثة والخمسة رجما بالغيب ، ولم يقل ذلك فى سبعة وثامنهم كلبهم (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا) لا تمار : من المراء وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج ، والمعنى لا تمار أهل الكتاب فى عدة أصحاب الكهف إلا مراء ظاهرا أى غير متعمق فيه من غير مبالغة ولا تعنيف فى الرد عليهم (ولا تستفت فيهم منهم

إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا * وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا تِسْعًا * قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

أحدا) أى لا تسأل أحدا من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف ، لأن الله قد أوحى إليك فى شأنهم مايغنيك عن السؤال (ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) سببها أن قريشا سألوا اليهود عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا لهم اسألوه عن فتية ذهبوا فى الزمان الأول وهم أصحاب الكهف ، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها وهو ذو القرنين ، وعن الروح ، فإن أجابكم فى الاثنين وسكت عن الروح فهو نبى فسألوه فقال غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فأمسك عنه الله الوحى خمسة عشر يوما فأوجف به كفار قريش وتكلموا فى ذلك ، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف فقص عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذى القرنين ، وأنزل الله عليه هذه الآية تأديبا لهم وتعليما ، فأمره بالاستثناء بمشيئة الله فى كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل ، وقوله غدا يريد به الزمان المستقبل لا اليوم الذى بعد يومه خاصة ، وفى الكلام حذف يقتضيه المعنى وتقديره : ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن تقول إن شاء الله أو تقول إلا أن يشاء الله ، والمعنى أن يعلق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته ويبرأ هو من الحول والقوة ، وقيل إن قوله إلا أن يشاء الله بقوله لا تقولن . والمعنى لا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه ، فالمشيئة على هذا راجعة إلى القول لا إلى الفعل ، ومعناها إباحة القول بالإذن فيه ، حكى ذلك الزمخشرى ، وحكاه ابن عطية ، وقال إنه من الفساد بحيث كان الواجب ألا يحكى (واذكر ربك إذا نسيت) قال ابن عباس الإشارة بذلك إلى الاستثناء أى استثن بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولا ، وذلك على مذهبه ، فإن الاستثناء فى اليمين ينفع بعد سنة ، وأما مذهب مالك والشافعى فإنه لا ينفع إلا إن كان متصلا باليمين ، وقيل معنى الآية اذكر ربك إذا غضبت ، وقيل اذكر إذا نسيت شيئا ليذكرك مانسيت ، والظاهر أن المعنى اذكر ربك إذا نسيت ذكره أى ارجع إلى الذكر إذا غفلت عنه واذكره فى كل حال ، ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يذكر الله على كل أحيانه (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا) هذا كلام أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقوله ، والإشارة بهذا إلى خبر أصحاب الكهف أى عسى الله أن يؤتينى من الآيات والحجج ماهو أعظم فى الدلالة على نبوتى من خبر أصحاب الكهف واللفظ يقتضى أن المعنى : عسى أن يوفقنى الله تعالى من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشد من خبر أصحاب أهل الكهف وأقرب إلى الله ، وقيل إن الإشارة بهذا إلى المنسى أى إذا نسيت شيئا فقل عسى أن يهدينى الله إلى شىء آخر هو أرشد من المنسى (ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) فى هذا قولان أحدهما أنه حكاية عن أهل الكتاب يدل على ذلك مافى قراءة ابن مسعود : وقالوا لبثوا فى كهفهم . وهو معطوف على سيقولون ثلاثة فقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) رد عليهم فى هذا العدد المحكى عنهم ، والقول الثانى أنه من كلام الله تعالى ، وأنه بيان لما أجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ، ومعنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا على هذا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم ، وقد أخبر بمدة لبثهم . فإخباره هو الحق لأنه أعلم من الناس ، وكان قوله قل الله أعلم احتجاجا على صحة ذلك

Marfat.com

وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَالَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ

الإخبار ، وانتصب سنين على البدل من ثلاثمائة أوعطف بيان ، أو على التمييز وذلك على قراءة التنوين فى ثلاثمائة وقرئ بغير تنوين على الإضافة ووضع الجمع موضع المفرد (أبصر به وأسمع) أى ماأبصره وماأسمعه ، لأن الله يدرك الخفيات كما يدرك الجليات (مالهم) الضمير لجميع الخلق أو المعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم (ولا يشرك فى حكمه أحدا) هو خبر عن القراءة بالياء والرفع وقرئ بالتاء والجزم على النهى (لامبدل لكلماته) يحتمل أن يراد بالكلمات هنا القرآن ، فالمعنى لا يبدل أحد القرآن ولا يغيره ، ويحتمل أن يريد بالكلمات القضاء والقدر (ملتحدا) أى ملجأ تميل إليه (واصبر نفسك) أى احبسها صابرا (مع الذين يدعون ربهم) هم فقراء المسلمين : كبلال وخباب وصهيب وكان الكفار قد قالوا له اطرد هؤلاء نجالسك نحن ، فنزلت الآية (بالغداة والعشى) قيل المراد الصلوات الخمس ، وقيل الدعاء على الإطلاق (ولا تعد عيناك عنهم) أى لا تتجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا ، وقال الزمخشرى يقال عداه إذا جاوزه ، فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف ، وإنما تعدى هنا بعن لأنه تضمن معنى نبت عينه عن الرجل إذا احتقره (تريد زينة الحياة الدنيا) جملة فى موضع الحال فهى متصلة بما قبلها ، وهى فى معنى تعليل الفعل المنهى عنه فى قوله ولا تعد عيناك عنهم : أى لا تبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا (أغفلنا قلبه) أى جعلناه غافلا أو وجدناه غافلا ، وقيل يعنى أنه عيينة بن حصين الفزارى ، والأظهر أنها مطلقة من غير تقييد (فرطا) من التفريط والتضييع ، أو من الإفراط والإسراف (وقل الحق من ربكم) أى هذا هو الحق (فمن شاء فليؤمن) لفظه أمر وتخيير : ومعناه أن الحق قد ظهر فليختر كل إنسان لنفسه : إما الحق الذى ينجيه ، أو الباطل الذى يهلكه ، ففى ضمن ذلك تهديد (سرادقها) السرادق فى اللغة ماأحاط بالشىء كالسور والجدار ، وأما سرادق جهنم فقيل حائط من نار ، وقيل دخان (كالمهل) وهو دردى الزيت إذا انتهى حره روى ذلك عن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وقيل ماأذيب من الرصاص وشبهه (مرتفقا) أى شىء يرتفق به ، فهو من الرفق ، وقيل يرتفق عليه فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء (أولئك لهم) خبر إن ، وإنا لانضيع : اعتراض ، ويجوز أن يكونا خبرين أو يكون إنا لانضيع الخبر، وأولئك استئناف ، ويقوم العموم فى قوله من أحسن مقام الضمير الرابط ، أو يقدر من أحسن عملا منه ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إنها نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان

Marfat.com

فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ
أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا
نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۞ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ
لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا
مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۞ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا *
لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۞ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن

وعلىّ رضى الله عنهم (أساور) جمع أسوار وسوار ، وهو مايجعل فى اليد ، وقيل أساور جمع أسورة وأسورة جمع سوار (من سندس وإستبرق) السندس : رقيق الديباج والإستبرق الغليظ منه (الأرائك) الأسرة والفرش (واضرب لهم) الضمير للكفار الذين قالوا أطرد فقراء المسلمين وللفقرا الذين أرادوا طردهم : أى مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين ، وهما أخون من بنى إسرائيل : أحدهما مؤمن ، والآخر كافر : ورثا مالا عن أبيهما ، فاشترى الكافر بماله جنتين ، وأنفق المؤمن ماله فى طاعة الله حتى افتقر فعير الكافر بفقره فأهلك الله مال الكافر ، وروى أن اسم المؤمن تمليخا ، واسم الكافر فطروس ، وقيل كانا شريكين اقتسما المال فاشترى أحدهما بماله جنتين وتصدق الآخر بماله (أكلها) بضم الهمزة اسم لما يؤكل ، ويجوز ضم الكاف وإسكانها (ولم تظلم) أى لم تنقص (وكان له ثمر) بضم الثاء والميم أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك ، قاله ابن عباس وقتادة ، وقيل هو الذهب والفضة خاصة ، وهو من ثمر ماله إذا أكثره ويجوز إسكان الميم تخفيفا ، وأما بفتح الثاء والميم ، فهو المأكول من الشجر ، ويحتمل المعنى الآخر (وهو يحاوره) أى يراجعه فى الكلام (وأعز نفرا) يعنى الأنصار والخدم (ودخل جنته) أفرد الجنة هنا ، لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين إذ لا يمكن دخول الجنتين دفعة واحدة (وهو ظالم لنفسه) إما بكفره وإما بمقابلته لأخيه ، فإنها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لأخيه (وقال ما أظن أن تبيد هذه أبدا) يحتمل أن تكون الإشارة إلى السموات والأرض وسائر المخلوقات ، فيكون قائلا ببقاء هذا الوجود كافراً بالآخرة أو تكون الإشارة إلى جنته فيكون قوله إفراطا فى الاغترار وقلة التحصيل (ولئن رددت إلى ربى) إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم أخى : لأجدن فى الآخرة خيراً من جنتى فى الدنيا ، وقرئ خيراً منهما بضمير الاثنين للجنتين ، وبضمير الواحد للجنة (منقلباً) أى مرجعاً (أكفرت بالذى خلقك من تراب) أى خلق منه أباك آدم ، وإنما جعله كافراً لشكه فى البعث (سواك رجلا) كما تقول سواك إنسانا ، ويحتمل أن يقصد الرجولية على وجه تعديد النعمة فى أن لم يكن أنثى (لكنا هو الله ربى) قرأ الجمهور بإثبات الألف فى الوقف وحذفها فى الوصل ، والأصل على هذا لكن أنا ، ثم ألقيت حركة الهمزة على الساكن قبلها ، وحذفت ثم أدغمت النون فى النون ، وقرأ ابن عامر بإثبات الألف فى الوصل والوقف ، ويتوجه ذلك بان تكون لحقتها نون الجماعة التى فى خرجنا وضربنا ، ثم أدغمت النون فى النون (ولولا

Marfat.com

أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۞ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۞ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ۞ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۞ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۞ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ۞ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۞ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۞ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۞ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ

إذ دخلت جنتك الآية : وصية من المؤمن للكافر ، ولولا تحضيض (فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك) يحتمل أن يريد فى الدنيا أو الآخرة (حسبانا) أى أمراً مهلكا كالحر والبرد ونحو ذلك (صعيدا زلقا) الصعيد وجه الأرض والزلق الذى لا يثبت فيه قدم يعنى أنه تذهب أشجاره ونباته (وغورا) أى غائرا ذاهبا وهو مصدر وصف به (وأحيط بثمره) عبارة عن هلاكها (يقلب كفيه) عبارة عن تلهفه وتأسفه وندمه (وهى خاوية على عروشها) يريد أن السقف وقعت وهى العروش ثم تهدمت الحيطان عليها والحيطان على العروش وقيل إن كرومها المعروشة سقطت على عروشها ، ثم سقطت الكروم عليها (ويقول ياليتنى لم أشرك) قال ذلك على وجه التمنى لما هلك بستانه ، أو على وجه التوبة من الشرك (هنالك) ظرف يحتمل أن يكون العامل فيه منتصرا ، أو يكون فى موضع خبر (الولاية لله) بكسر الواو بمعنى الرياسة والملك ، وبفتحها من الموالاة والمودة (وخيرعقبا) أى عاقبة (فاختلط) الباء سببية ، والمعنى : صار به النبات مختلطا : أى ملتفا بعضه ببعض من شدة تكاثفه (فأصبح هشيما) أى متفتتا ، وأصبح هنا بمعنى صار (تذروه الرياح) أى تفرقه ومعنى المثل تشبيه الدنيا فى سرعة فنائها بالزرع فى فنائه بعد خضرته (المال والبنون) الآية : هذا من الجمع بين شيئين فى خبر واحد ، وذلك من أدوات البيان ، وقرئ زينتا بالتثنية لأنه خبر عن اثنين ، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة لأنها مصدر (والباقيات الصالحات) هى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هذا قول الجمهور ، وقد روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل الصلوات الخمس ، وقيل الأعمال الصالحات على الإطلاق (نسير الجبال) أى نحملها ، ومنه قوله : وهى تمر مر السحاب ، وبعد ذلك تصير هباء (وترى الأرض بارزة) أى ظاهرة لزوال الجبال عنها (وحشرناهم) قال الزمخشرى إنما جاء حشرناهم بلفظ الماضى بعد قوله نسير للدلالة على أن حشرناهم قبل تسيير الجبال ليعاينوا تلك الأهوال (فلم نغادر) أى لم نترك (صفا) أى صفوفا فهو إفراد تنزل منزلة الجمع ، وقد جاء فى الحديث إن أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون صفا (لقد جئتمونا) يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ (كما خلقناكم) أى حفاة عراة

Marfat.com

مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا الْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَـٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ۝ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۝ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِىَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا * وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوٓا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَـٰدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوٓا ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا هُزُوًا ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

غرلا (ووضع الكتاب) يعنى صحائف الأعمال ، فالكتاب اسم جنس (كان من الجن) كلام مستأنف جرى مجرى التعليل لإباية إبليس عن السجود ، وظاهر هذا الموضع يقتضى أن إبليس لم يكن من الملائكة ، وأن استثناءه منهم استثناء منقطع ، فإن الجن صنف غير الملائكة ، وقد يجيب عن ذلك من قال إنه كان من الملائكة بأن كان هنا بمعنى صار : أى خرج من صنف الملائكة إلى صنف الجن ، أو بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن وهم الذين خلقوا من نار (ففسق عن أمر ربه) : أى خرج عن ما أمر به ، والفسق فى اللغة الخروج (أفتتخذونه وذريته أولياء) : هذا توبيخ ووعظ، وذرية إبليس هم الشياطين، واتخاذهم أولياء بطاعتهم فى عصيان الله والكفر به (ما أشهدتهم) الضمير للشياطين على وجه التحقير بهم أو للكفار أو لجميع الخلق ، فيكون فيه رد على المنجمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتخرصة (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أى معينا ومعنى المضلين الذين يضلون العباد وذلك يقوى أن المراد الشياطين (ويوم يقول نادوا شركائى) يقول هذا للكفار على وجه التوبيخ لهم ، وأضاف تعالى الشركاء إلى نفسه على زعمهم ، وقد بين هذا بقوله الذين زعمتم (موبقا) أى مهلكا ، وهو اسم موضع أو مصدر من وبق الرجل إذا هلك وقد قيل إنه واد من أودية جهنم والضمير فى بينهم المشركين وشركائهم (فظنوا أنهم مواقعوها) الظن هنا بمعنى اليقين (مصرفا) أى معدلا ينصرفون اليه (جدلا) أى مخاصمة ومدافعة بالقول ويقتضى سياق الكلام ذم الجدل وسببها فيما قيل مجادلة النضر ابن الحارث، على أن الإنسان هنا يراد به الجنس (وما منع الناس أن يؤمنوا) الآية : معناها أن المانع للناس من الإيمان والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة ، وهى الإهلاك فى الدنيا أو يأتيهم العذاب يعنى عذاب الآخرة ومعنى قبلا معاينة وقرئ بضمتين وهو جمع قبيل : أى أنواعا من العذاب (ليدحضوا) أى ليبطلوا (وما أنذروا هزوا) يعنى العذاب وما موصولة ، والضمير محذوف تقديره أنذروه أو مصدرية

أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا * وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا * وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا * وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ

(إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) هذه عقوبة على الإعراض المحكي عنهم أو تعليل لهم والأكنة جمع كنان وهو الغطاء والوقر الصمم وهما على وجه الاستعارة فى قلة فهمهم للقرآن وعدم استجابتهم للإيمان (فلن يهتدوا إذا أبدا) يريد به من قضى الله أنه لا يؤمن (لو يؤاخذهم) الضمير لكفار قريش أو لسائر الناس لقوله ولو يؤاخذ الله الناس والجملة خبر المبتدأ والغفور ذو الرحمة صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة، ويحتمل أن يكون الغفور هو الخبر، ويؤاخذهم بيان لمغفرته ورحمته، والأول أظهر (بل لهم موعد) قيل هو الموت وقيل عذاب الآخرة وقيل يوم بدر (موئلا) أى ملجأ يقال وأل الرجل إذا لجأ (وتلك القرى) يعنى عادا وثمود وغيرهم من المتقدمين، والمراد هنا أهل القرى ولذلك قال أهلكناهم وفى ضمن هذا الإخبار تهديد لكفار قريش (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أى وقتا معلوما، والمهلك هنا بضم الميم وفتح اللام اسم مصدر من أهلك، فالمصدر على هذا مضاف للمفعول لأن الفعل متعدى، وقرئ بفتح الميم من هلك، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل (وإذ قال موسى لفتاه) هذا ابتداء قصة موسى مع الخضر، وهو موسى ابن عمران نبي الله وقال قوم هو موسى آخر وذلك باطل رده ابن عباس وغيره ويدل الحديث على بطلانه وفتاه هو يوشع بن نون وهو ابن أخت موسى وهو من ذرية يوسف عليه السلام والفتى هنا بمعنى الخديم وسبب القصة فيما روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح أن موسى عليه السلام خطب يوما فى بنى إسرائيل فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك فقال لا فأوحى الله إليه أن بل عبدنا الخضر أعلم منك فقال يارب دلنى على السبيل إلى لقائه فأوحى الله إليه أن يحمل حوتا فى مكتل ويسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فإذا فقد الحوت فإن الخضر هناك ففعل موسى ذلك حتى لقيه (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين قال موسى هذا الكلام وهو سائر أى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين فحذف خبر لا أبرح اختصارا لدلالة المعنى عليه ومعنى لا أبرح هنا لا أزال لأن حقيقة لا أبرح تقتضى الإقامة فى الموضع وكان موسى حين قالها على سفر لا يريد إقامة ومجمع البحرين عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه وهو بحر الأندلس وقيل هو مجمع بحر فارس وبحر الروم فى المشرق (أو أمضى حقبا) أى زمانا طويلا، والحقب بضم القاف وإسكانها ثمانون سنة وقيل زمان غير محدود وقيل هى جمع حقبة وهى السنة (فلما بلغ مجمع بينهما) الضمير فى بلغا لموسى وفتاه والضمير فى بينهما للبحرين (نسيا حوتهما) نسب النسيان إليهما وإنما كان النسيان من الفتى وحده كما تقول فعل بنو فلان كذا إذا فعله واحد منهم وقيل نسى الفتى أن يقدمه ونسى موسى أن يأمره فيه

أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ
عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ
رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ
صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّىٰ

بشيء (فاتخذ سبيله فى البحر سربا) فاعل اتخذ الحوت ، والمعنى أنه سار فى البحر فقيل إن الحوت كان ميتا مملوحا ثم صار حيا بإذن الله ووقع فى الماء فسار فيه وقال ابن عباس إنما حيي الحوت لأنه مسه ماء عين يقال لها عين الحياة مامست قط شيأ إلا حيي وفى الحديث أن الله أمسك جرية الماء عن الحوت فصار مثل السراب وهو المسلك فى جوف الأرض وذلك معجزة لموسى عليه السلام وقيل اتخذ الحوت سبيله فى البحر سربا حتى وصل إلى البحر فعام على العادة ويرد هذا ماورد فى الحديث (فلما جاوزا) أى جاوزا الموضع الذى وصف له وهو الصخرة التى نام عندها فسار الحوت فى البحر بينما كان موسى نائما وكان ذهاب الحوت أمارة القائه للخضر فلما استيقظ موسى أصابه الجوع فقال لفتاه آتنا غداءنا (نصبا) أى تعبا (قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) قال الزمخشرى أرأيت هنا بمعنى أخبرنى ثم قال ، فإن قلت ماوجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا وفإنى نسيت الحوت لامتعلق له ؟ فالجواب أنه لما طالب موسى الحوت ذكر يوشع مارأى منه وما اعتراه من نسيانه فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك فكأنه قال أرأيت ما دهانى إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت فحذف بعض الكلام (نسيت الحوت) أى نسيت أن أذكر لك مارأيت من ذهابه فى البحر وتقديره نسيت ذكر الحوت (أن أذكره) بدل من الهاء فى أنسانيه وهو بدل اشتمال (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع أى اتخذ الحوت سبيله فى البحر عجبا للناس أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجبا أى تعجب هو منه وإعراب عجبا مفعول ثان لاتخذ مثل سربا وقيل إن الكلام تم عند قوله فى البحر ثم ابتدأ التعجب فقال عجبا وذلك بعيد (قال ذلك ما كنا نبغ) أى فقد الحوت هو ما كنا نطلب لأنه أمارة على وجدان الرجل (فارتدا على آثارهما قصصا) أى رجعا فى طريقهما يقصان أثرهما الأول لئلا يخرجا عن الطريق (فوجدا عبدا من عبادنا) هو الخضر (آتيناه رحمة) يعنى النبوة على قول من قال إن الخضر نبيّ وقيل إنه ليس بنبيّ ولكنه وليّ وتظهر نبوته من هذه القصة . أنه فعل أشياء لا يعملها إلا بوحى واختلف أيضا هل مات أو هو حيّ إلى الآن ويذكر كثيرا من الصلحاء أنهم يرونه ويكلمهم (وعلمناه من لدنا علما) فى الحديث أن موسى وجد الخضر مسجى بثوبه فقال له السلام عليك فرفع رأسه وقال وأنى بأرضك السلام قال له من أنت قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم قال أولم يكن لك فى بنى إسرائيل مايشغلك عن السفر إلى هنا قال بلى ولكنى أحببت لقاءك وأن أتعلم منك قال إنى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه أنا (قال له موسى هل أتبعك) الآية : مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع وكذلك ينبغى أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلم منه (رشدا) قرئ بضم الراء وإسكان الشين وبفتحها والمعنى واحد ، وانتصب على أنه مفعول ثان بتعلمنى أو حال من الضمير فى أتبعك (فانطلقا) الضمير

Marfat.com

إِذَا رَكِبَا فِى السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ

لموسى والخضر وفى الحديث أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر حتى مرت بهما سفينة فعرفها الخضر فحمل فيها بغير نوال أى بغير أجرة (خرقها) روى أن الخضر أزال لوحين من ألواحها (شيئا إمرا) أى عظيما وقيل منكراً (فانطلقا) يعنى بعد نزولهما من السفينة فمرا بغلمان يلعبون وفيهم غلام وضيء الصورة فاقتلع الخضر رأسه ، وقيل ذبحه ، وقيل أخذ صخرة فضرب بها رأسه والأول هو الصحيح لوروده فى الحديث الصحيح وروى أن اسم الغلام جيسورا بالجيم ، وقيل بالحاء المهملة قال الزمخشرى إن قلت لم قال خرقها بغير فاء ، وقال فقتله بالفاء؛ والجواب أن خرقها جواب الشرط وقتله من جملة الشرط معطوف عليه والخبر قال أقتلت نفسا ، فإن قيل لم خولف بينهما ؟ فالجواب : أن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام (نفسا زكية) قيل إنه كان لم يبلغ فمعنى زكية ليس له ذنب وقيل إنه كان بالغا ولكنه لم ير له الخضر ذنبا (بغير نفس) يقتضى أنه لو كان قد قتل نفسا لم يكن بقتله بأس على وجه القصاص ، وهذا يدل على أن الغلام كان بالغا فإن غير البالغ لا يقتل وإن قتل نفسا (شيئا نكرا) أى منكرا وهو أبلغ من قوله إمراً ويجوز ضم الكاف وإسكانها (قال ألم أقل لك) بزيادة لك فيه من الزجر والإغلاظ ماليس فى قوله أولا ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا (بعدها) الضمير للقصة وإن لم يتقدم لها ذكر ولكن سياق الكلام يدل عليها (قد بلغت من لدنى عذرا) أى قد أعذرت إلىّ فأنت معذور عندى وفى الحديث كانت الأولى من موسى نسيانا (أتيا أهل قرية) قيل هى أنطاكية ، وقيل برقة وقال أبو هريرة وغيره هى بالأندلس ويذكر أنها الجزيرة الخضراء وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسبتة (استطعما أهلها) أى طلبا منهم طعاما (جدارا يريد أن ينقضّ) أن يسقط وإسناده الإرادة إلى الجدار مجاز ومثل ذلك كثير فى كلام العرب وحقيقته أنه قارب أن ينقضّ ووزن ينقضّ ينفعل وقيل يفعل بالتشديد كيحمرّ (فأقامه) قيل إنه هدمه ثم بناه وقيل مسحه بيده وأقامه فقام (لو شئت لتخذت عليه أجرا) أى قال موسى للخضر لو شئت لاتخذت عليه أجرا أى طعاما نأكله (قال هذا فراق بينى وبينك) إنما قال له هذا لأجل شرطه فى قوله « إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى » على أن قوله « لو شئت لاتخذت عليه أجرا » ليس بسؤال ولكن فى ضمنه أمر بأخذ الأجرة عليه لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام والبين هنا ليس بظرف وإنما معناه الوصلة والقرب ، وقال الزمخشرى الأصل هذا فراق

فِى الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ◦ وَأَمَّا الْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ◦ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ◦ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ◦ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ◦ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ◦ فَأَتْبَعَ

بيني وبينك بتنوين فراق ونصب بيني على الظرفية ثم أضيف المصدر إلى الظرف والإشارة بقوله هذا إلى السؤال الثالث ، الذى أوجب الفراق ، (أما السفينة فكانت لمساكين) قيل إنهم تجار ولكنه قال فيهم مساكين على وجه الإشفاق عليهم ، لأنهم كانوا يغصبون سفينتهم أو لكونهم فى لجج البحر ، وقيل كانوا إخوة عشرة،منهم خمسة عاملون بالسفينة ، وخمسة ذوو عاهات لاقدرة لهم وقرئ مساكين بتشديد السين، أي بمسكون السفينة (وكان وراءهم) قيل معناه قدامهم ، وقرأ ابن عباس أمامهم ، وقال ابن عطية إن وراءهم على بابه ولكن روعى به الزمان فالوراء هو المستقبل والأمام هو الماضى (كل سفينة غصبا) عموم معناه الخصوص فى الجياد والصحاح من السفن ، ولذلك قرأ ابن مسعود يأخذ كل سفينة صالحة ، وقيل: إن اسم هذا الملك هدد بن بدد وهذا يفتقر إلى نقل صحيح ، وفى الكلام تقديم وتأخير ، لأن قوله (فأردت أن أعيبها) مؤخر فى المعنى عن ذكر غصبها لأن خوف الغصب سبب فى أنه عابها وإنما قدم للعناية به (وأما الغلام) روى أنه كان كافراً ، وروى أنه كان يفسد فى الأرض ، (فخشينا أن يرهقهما) المتكلم بذلك الخضر وقيل إنه من كلام الله وتأويله على هذا فكرهنا ، وقال ابن عطية إنه من نحو ماوقع فى القرآن من عسى ولعل ، وإنما هو فى حق المخاطبين ومعنى يرهقهما طغيانا وكفرا ، يكلفهما ذلك والمعنى أن يحملهما حبه على اتباعها أو يضر بهما لمخالطته مع مخالفته لهما (خيرا منه) أى غلاما آخر خيرا من الغلام المذكور المقتول (زكاة) أى طهارة وفضيلة فى دينه (وأقرب رحما) أى رحمة وشفقة ، فقيل المعنى أن يرحمهما ، وقيل : يرحمانه (لغلامين يتيمين) اليتيم من فقد أبويه قبل البلوغ ، وروى أن اسم الغلامين أصرم وصريم ، واسم أبيهما كاشح وهذا يحتاج إلى صحة نقل (كنز لهما) قيل مال عظيم ، وقيل كان علما فى صحف مدفونة ، والأول أظهر (وكان أبوهما صالحا) قيل إنه الأب السابع ، وظاهر اللفظ أنه الأقرب (فأراد ربك) أسند الإرادة هنا إلى الله لأنها فى أمر مغيب مستأنف لايعلم مايكون منه إلا الله ، وأسند الخضر إلى نفسه فى قوله فأردت أن أعيبها لأنها لفظة عيب ، فتأدب بأن لايسندها إلى الله وذلك كقول إبراهيم عليه السلام « وإذا مرضت فهو يشفين » فأسند المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تأدبا ، واختلف فى قوله فأردنا أن يبدلهما هل هو مسند إلى ضمير الخضر أو إلى الله ، (وما فعلته عن أمرى) هذا دليل على نبوة الخضر ، لأن المعنى أنه فعل بأمر الله أو بوحى (ويسئلونك عن ذى القرنين) السائلون اليهود ، أو قريش بإشارة اليهود ، وذو القرنين هو الإسكندر الملك ، وهو يونانى وقيل رومى وكان رجلا صالحا ، وقيل كان نبيا ، وقيل كان ملكا بفتح اللام والصحيح أنه ملك بكسر اللام واختلف

Marfat.com

سَبَباً ۝ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَـٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً ۝ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً ۝ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَلَهُ جَزَآءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً ۝ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً ۝ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً ۝ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً ۝ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً ۝ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ۝ قَالُوا يَـٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً ۝ قَالَ

لم سمى ذو القرنين فقيل كان له ضفيرتان من شعرهما قرناه ، فسمى بذلك وقيل لأنه بلغ المشرق والمغرب وكأنه حاز قرنى الدنيا (إنا مكنا له فى الأرض) التمكين له أنه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلهم (آتيناه من كل شىء سببا) أى علما وفهما ، يتوصل به إلى معرفة الأشياء والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو غير ذلك (فأتبع سببا) أى طريقا يوصله (وجدها تغرب فى عين حمئة) قرئ بالهمز على وزن فعلة أى ذات حمأة وقرئ بالياء على وزن فاعلة وقد اختلف فى ذلك معاوية وابن عباس فقال ابن عباس حمئة وقال معاوية حامية فبعثا إلى كعب الأحبار ليخبرهما بالأمر فقال أما العربية فأنتما أعلم بها منى ، ولكن أجد فى التوراة أنها تغرب فى ماء وطين فوافق ذلك قراءة ابن عباس ومعنى حامية حارة ، ويحتمل أن يكون بمعنى حمية ولكن سهلت همزته ويتفق معنى القراءتين وقد قيل يمكن أن يكون فيها حمئة وتكون حارة لحرارة الشمس فتكون جامعة للوضعين ، ويجتمع معنى القراءتين (قلنا ياذا القرنين) استدل بهذا من قال إن ذا القرنين نبى لأن هذا القول وحى ويحتمل أن يكون بإلهام فلا يكون فيه دليل على نبوته (إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا) كانوا كفارا فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل أو يدعوهم إلى الإسلام ، فيحسن إليهم وقيل الحسن هنا هو الأسر وجعله حسنا بالنظر إلى القتل (قال أما من ظلم فسوف نعذبه) اختار أن يدعوهم إلى الإسلام فمن تمادى على الكفر قتله ومن أسلم أحسن إليه والظلم هنا الكفر والعذاب القتل وأراد بقوله عذابا نكرا عذاب الآخرة (فله جزاء الحسنى) المراد بالحسنى الجنة أو الأعمال الحسنة (وسنقول له من أمرنا يسرا) وعدهم بأن ييسر عليهم (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) هؤلاء القوم هم الزنج وهم أهل الهند ومن وراءهم ومعنى لم نجعل الآية أنهم ليس لهم بنيان إذ لا تحمل أرضهم البناء وإنما يدخلون من حر الشمس فى أسراب تحت الأرض وقال ابن عطية الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم وقيل الستر اللباس فكانوا على هذا لا يلبسون الثياب (كذلك) أى أمر ذى القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيما لأمره وقيل إن كذلك راجع لما قبله أى لم نجعل لهم سترا كما جعلنا لكم من المبانى والثياب ، وقيل المعنى وجد عندها قوما كذلك أى مثل القوم الذين وجدوا عند مغرب الشمس وفعل معهم مثل فعله (بين السدين) أى الجبلين وهما جبلان فى طرف الأرض وقرئ بالفتح والضم وهما بمعنى واحد ، وقيل ما كان من خلقة الله فهو مضموم وما كان من فعل الناس فهو مفتوح (وجد من دونهما قوما) قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) عبارة عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس فهم لا يفقهون القول

Marfat.com

مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ
ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا
لَهُۥ نَقْبًا ۝ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ۝ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ۝ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ۝ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ
فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ
إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ۝ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ

إلا بالإشارة أو نحوها (يأجوج ومأجوج) قبيلتان من بنى آدم فى خلقهم تشويه منهم مفرط الطول ومفرط القصر (مفسدون فى الأرض) لفسادهم بالقتل والظلم وسائر وجوه الشر، وقيل كانوا يأكلون بنى آدم (فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) هذا استفهام فى ضمنه عرض ورغبة، والخرج الجباية ويقال فيه خراج وقد قرئ بهما، فعرضوا عليه أن يجعلوا له أجرا ليقيم بهما السد (قال مامكنى فيه ربى خير) أى مابسط الله لى من الملك خير من خرجكم فلا حاجة لى به ولكن أعينونى بقوة الأبدان وعمل الأيدى (ردما) أى حاجزا حصينا والردم أعظم من السد (ساوى بين الصدفين) أى بين الجبلين (قال انفخوا) يريد نفخ الكير أى أوقدوا النار على الحديد (قطرا) أى نحاسا مذابا وقيل هو الرصاص، وروى أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل البنيان من زبر الحديد حتى ملأ به مابين الجبلين ثم أفرغ عليه النحاس المذاب (فما اسطاعوا أن يظهروه) أصل اسطاعوا استطاعوا حذفت التاء تخفيفا والضمير فى يظهروه للسد، ومعنى يظهروه يعلوه ويصعدوا على ظهره فالمعنى أن يأجوج ومأجوج لا يقدرون أن يصعدوا على السد لارتفاعه ولا ينقبوه لقوته (قال هذا رحمة من ربى) القائل ذو القرنين وأشار إلى الردم (فإذا جاء وعد ربى) يعنى القيامة جعله دكا أى مبسوطا مسوى بالأرض (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) الضمير فى تركنا لله عز وجل، ويومئذ يحتمل أن يريد به يوم القيامة لأنه قد تقدم ذكره فالضمير فى قوله بعضهم على هذا لجميع الناس، أو يريد بقوله يومئذ يوم كمال السد والضمير فى قوله بعضهم على هذا ليأجوج ومأجوج، والأول أرجح لقوله بعد ذلك ونفخ فى الصور فيتصل الكلام ويموج عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم (ونفخ فى الصور) الصور هو القرن الذى ينفخ فيه يوم القيامة حسبما جاء فى الحديث ينفخ فيه إسرافيل نفختين إحداهما للصعق والأخرى للقيام من القبور (وعرضنا جهنم) أى أظهرناها (كانت أعينهم فى غطاء) عبارة عن عمى بصائرهم وقلوبهم وكذلك لا يستطيعون سمعا (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء) يعنى أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم أنهم يقولون أنت ولينا من دونهم، والعباد هنا من عبد مع الله ممن لا يريد ذلك كالملائكة وعيسى ابن مريم (أعتدنا) أى يسرنا (نزلا) ما ييسر للضيف والقادم عند نزوله والمعنى أن جهنم لهم بدل النزل كما أن الجنة نزل فى قوله «كانت لهم جنات الفردوس نزلا»، ويحتمل أن يكون النزل موضع النزول (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) الآية فى كفار العرب كقوله كفروا بآيات ربهم

Marfat.com

لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ۝ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا
لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۝ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ
أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝

ولقائه وقيل فى الرهبان لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم وهى لا تقبل منهم وفى قوله يحسبون أنهم يحسنون تجنيس وهو الذى يسمى تجنيس التصحيف (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أى ليس لهم حسنة توزن لأن أعمالهم قد حبطت (جنات الفردوس) هى أعلا الجنة حسبما ورد فى الحديث ولفظ الفردوس أعجمى معرب (حولا) أى تحولا وانتقالا (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى) الآية إخبار عن اتساع علم الله تعالى والكلمات هى المعانى القائمة بالنفس وهى المعلومات فمعنى الآية لو كتب علم الله بمداد البحر لنفد البحر ولم ينفد علم الله وكذلك لو جىء ببحر آخر مثله وذلك لأن البحر متناه وعلم الله غير متناه (بمثله مددا) أى زيادة والمدد هو ما يمد به الشىء أى يكثر (فمن كان يرجو لقاء ربه) إن كان الرجاء هنا على بابه فالمعنى يرجو حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول ، وإن كان الرجاء بمعنى الخوف فالمعنى يخاف سوء لقاء ربه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) يحتمل أن يريد الشرك بالله وهو عبادة غيره فيكون راجعا إلى قوله يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد أو يريد الرياء لأنه الشرك الأصغر واللفظ يحتمل الوجهين ولا يبعد أن يحمل على العموم فى المعنيين والله أعلم

﴿ تمّ الجزء الثانى ، ويليه الجزء الثالث ﴾

﴿ وأوله سورة مريم ﴾

Marfat.com

فهرس

الجزء الثانى من كتاب التسهيل

صفحة

٢	سورة الأنعام
٢٨	« الأعراف
٦٠	« الأنفال
٧٠	« التوبة
٨٩	« يونس عليه السلام
١٠٠	« هود عليه السلام
١١٤	« يوسف عليه السلام
١٢٩	« الرعد
٣٧١	« إبراهيم عليه السلام
١٤٣	« الحجر
١٤٩	« النحل
١٦٦	« الإسراء
١٨١	« الكهف

(تمّ الفهرس)

Marfat.com

Marfat.com

كتاب التسهيل

بحقات

لعلوم التنزيل

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

الجزء الثالث

الناشر

دار الكتاب العربي

بيروت - لبنان

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة مريم

مكية إلا آيتى ٥٨ و ٧١ فمدنيتان وآياتها ٩٨ نزلت بعد فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ كهيعص ۞ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۞ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۞ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۞ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۞ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ

سورة مريم

(كهيعص) قد تكلمنا فى أول البقرة على حروف الهجاء، وقيل فى هذا إن الكاف من كريم أو كبير أو كاف ، والهاء من هادى ، والياء من علىّ ، والعين من عزيز أو عليم ، والصاد من صادق ، وكان على بن أبى طالب يقول فى دعائه : يا كهيعص ، فيحتمل أن تكون الجملة عنده اسما من أسماء الله تعالى ، أو ينادى بالأسماء التى اقتطعت منها هذه الحروف (ذكر) تقديره هذا ذكر (عبده زكريا) وصفه بالعبودية تشريفا له وإعلاما له بتخصيصه وتقريبه ، ونصب عبده على أنه مفعول لرحمة ، فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل ، ونصب المفعول ، وقيل هو مفعول بفعل مضمر ، تقديره رحمة عبده وعلى هذا يوقف على ما قبله وهذا ضعيف ، وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له (إذ نادى ربه) يعنى دعاه (نداء خفيا) أخفاه لأنه يسمع الخفى كما يسمع الجهر ، ولأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص وأبعد من الرياء ، ولئلا يلومه الناس على طلب الولد (وهن العظم) أى ضعف (واشتعل) استعارة للشيب من اشتعال النار (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أى قد سعدت بدعائى لك فيما تقدم ، فاستجب لى فى هذا فتوسل إلى الله بإحسانه القديم إليه (وإنى خفت الموالى) يعنى الأقارب قيل خاف أن يرثوه دون نسله، وقيل خاف أن يضيعوا الدين من بعده (من ورائى) أى من بعدى (عاقرا) أى عقيما (فهب لى من لدنك وليا) يعنى وارثا يرثنى ، قيل يعنى وراثة المال ، وقيل وراثة العلم والنبوة ، وهو أرجح لقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : نحن معاشر الأنبياء لا نورث وكذلك (يرث من آل يعقوب) العلم والنبوة ، وقيل الملك ، ويعقوب هنا هو يعقوب بن إسحاق على الأصح (رضيا) أى مرضيا فهو فعيل بمعنى مفعول (سميا) يعنى من سمى باسمه ، وقيل مثيلا ونظيرا ، والأول أحسن هنا (أنى يكون لى غلام) تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته فسأل ذلك أولا لعلمه بقدرة الله عليه ، وتعجب منه

امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ۞ قال كذٰلك قال ربك هو علىّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تك
شيئا ۞ قال رب اجعل لى ءاية قال ءايتك ألا تكلم الناس ثلٰث ليال سويا ۞ فخرج على قومه من المحراب
فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ۞ يٰيحيى خذ الكتٰب بقوة وءاتينٰه الحكم صبيا ۞ وحنانا من
لدنا وزكوٰة وكان تقيا ۞ وبرا بوٰلديه ولم يكن جبارا عصيا ۞ وسلٰم عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم
يبعث حيا ۞ واذكر فى الكتٰب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ۞ فاتخذت من دونهم حجابا
فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ۞ قالت إنى أعوذ بالرحمٰن منك إن كنت تقيا ۞ قال إنما أنا
رسول ربك لأهب لك غلٰما زكيا ۞ قالت أنى يكون لى غلٰم ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ۞ قال
كذٰلك قال ربك هو علىّ هين ولنجعله ءاية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا ۞ فحملته فانتبذت به

لأنه نادر فى العادة ، وقيل سأله وهو فى سنّ من يرجوه ، وأجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ (عتيا) قيل يبسا فى الأعضاء والمفاصل ، وقيل مبالغة فى الكبر (كذلك) الكاف فى موضع رفع أى الأمر كذلك تصديقاله فيماذكر من كبره وعقم امرأته ، وعلى هذا يوقف على قوله كذلك ثم يبتدأ قال ربك ، وقيل إن الكاف فى موضع نصب بقال ، وذلك إشارة إلى مبهم يفسره : هو علىّ هين (اجعل لى آية) أى علامة على حمل امرأته (سويا) أى سليما غير أخرس وانتصابه على الحال من الضمير فى تكلم ، والمعنى أنه لا يكلم الناس مع أنه سليم من الخرس ، وقيل إن سويا يرجع إلى الليالى أى مستويات (فأوحى إليهم) أى أشار ، وقيل كتبه فى التراب إذ كان لا يقدر على الكلام (أن سبحوا) قيل معناه صلوا ، والسبحة فى اللغة الصلاة ، وقيل قولوا سبحان الله (يايحيى) التقدير قال الله ليحيى بعد ولادته (خذ الكتاب) يعنى التوراة (بقوة) أى فى العلم به والعمل به (وآتيناه الحكم صبيا) قيل الحكم معرفة الأحكام ، وقيل الحكمة ، وقيل النبوة (وحنانا) قيل معناه رحمة وقال ابن عباس لا أدرى ما الحنان (وزكاة) أى طهارة ، وقيل ثناء كما يزكى الشاهد (واذكر فى الكتاب مريم) خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والكتاب القرآن (إذ انتبذت من أهلها) أى اعتزلت منهم وانفردت عنهم (مكانا شرقيا) أى إلى جهة الشرق ولذلك يصلى النصارى إلى المشرق (أرسلنا إليها روحنا) يعنى جبريل ، وقيل عيسى ، والأول هو الصحيح لأن جبريل هو الذى تمثل لها باتفاق (قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) لما رأت الملك الذى تمثل لها فى صورة البشر ، قد دخل عليها خافت أن يكون من بنى آدم ، فقالت له هذا الكلام ، ومعناه إن كنت ممن يتقى الله فابعد عنى ، فإنى أعوذ بالله منك ، وقيل إن تقيا اسم رجل معروف بالشرّ عندهم وهذا ضعيف وبعيد (لأهب لك غلاما زكيا) الغلام الزكىّ هو عيسى عليه السلام ، وقرئ ليهب بالياء ، والفاعل فيه هو ضمير الرب سبحانه وتعالى ، وقرئ بهمزة التكلم ، وهو جبريل ، وإنما نسب الهبة إلى نفسه ، لأنه هو الذى أرسله الله بها أو يكون قال ذلك حكاية عن الله تعالى (ولم أك بغيا) البغىّ هى المرأة المجاهرة بالزنا ووزن بغىّ فعول (ولنجعله آية) الضمير للولد واللام

Marfat.com

مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَاهَا
مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا *
فَكُلِى وَاشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِى إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ
إِنسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ
وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ آتَانِىَ

تتعلق بمحذوف تقديره لنجعله آية فعلنا ذلك (فحملته) يعنى فى بطنها وكانت مدة حملها ثمانية أشهر ، وقال ابن عباس حملته وولدته فى ساعة (مكانا قصيا) أى بعيدا ، وإنما بعدت حياء من قومها أن يظنوا بها الشر (فأجاءها) معناه ألجأها وهو منقول من جاء بهمزة التعدية (المخاض) أى النفاس (إلى جذع النخلة) روى أنها احتضنت الجذع لشدة وجع النفاس (قالت ياليتنى مت) إنما تمنت الموت خوفا من إنكار قومها وظنهم بها الشر ووقوعهم فى ذمها ، وتمنى الموت جائز فى مثل هذا ، وليس هذا من تمنى الموت لضر نزل بالبدن فإنه منهى عنه (وكنت نسيا) النسى الشيء الحقير الذى لا يؤبه له ، ويقال بفتح النون وكسرها (فناداها من تحتها) قرئ من بفتح الميم وكسرها ، وقد اختلف على كلتا القراءتين ، هل هو جبريل أو عيسى ، وعلى أنه جبريل قيل إنه كان تحتها كالقابلة ، وقيل كان فى مكان أسفل من مكانها (أن لا تحزنى) تفسير للنداء ، فأن مفسرة (سريا) جدولا وهى ساقية من ماء كان قريبا من جذع النخلة ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم فسره بذلك ، وقيل يعنى عيسى فإن السرى الرجل الكريم (وهزى إليك بجذع النخلة) كان جذعا يابسا فخلق الله فيه الرطب كرامة لها وتأنيسا ، وقد استدل بعض الناس بهذه الآية على أن الإنسان ينبغى له أن يتسبب فى طلب الرزق ، لأن الله أمر مريم بهز النخلة ، والباء فى بجذع زائدة كقوله : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة (تساقط عليك رطبا جنيا) الفاعل بتساقط النخلة ، وقرئ بالياء والفاعل على ذلك الجذع ، ورطبا تمييز والجنى معناه الذى طاب وصلح ، لأن يجتنى (فكلى واشربى) أى كلى من الرطب ، واشربى من ماء الجدول ، وهو السرى (وقرى عينا) أى طيبى نفسا بما جعل الله لك من ولادة نبى كريم أو من تيسير المأكول والمشروب (فإما ترين) هى إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد ، وترين فعل خوطبت به المرأة ودخلت عليه النون الثقيلة للتأكيد (نذرت الرحمن صوما) أى صمتا عن الكلام ، وقيل يعنى الصيام لأن من شرطه فى شريعتهم الصمت ، وإنما أمرت بالصمت صيانة لها عن الكلام مع المتهمين لها ، ولأن عيسى تكلم عنها فإخبارها بأنها نذرت الصمت بهذا الكلام ، وقيل بالإشارة ، ولا يجوز فى شريعتنا نذر الصمت (فأتت به قومها) لما رأت الآيات : علمت أن الله سيبين عذرها فجاءت به من المكان القصى إلى قومها (شيئا فريا) أى شنيعا وهو من الفرية (ياأخت هارون) كان هارون عابدا من بنى إسرائيل شبهت به مريم فى كثرة العبادة فقيل لها أخته بمعنى أنها شبهه ، وقيل كان أخاها من أبيها ، وكان رجلا صالحا ، وقيل هو هارون النبى أخو موسى وكانت من ذريته ، فأخت على هذا كقولك أخو بنى فلان أى واحد منهم ، ولا يتصور على هذا القول أن تكون أخته من النسب حقيقة ، فإن

الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَادُمْتُ حَيًّا ۝ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۝ وَالسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّٰلِمُونَ الْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا

بين زمانهما دهراً طويلا (فأشارت إليه) أى إلى ولدها ليتكلم وصمتت هى كما أمرت (كان فى المهد صبيا) كان بمعنى يكون والمهد هو المعروف ، وقيل المهد هنا حجرها (آتانى الكتاب) يعنى الإنجيل ، أوالتوراة والإنجيل (مباركا) من البركة وقيل نفاعا ، وقيل معلم للخير واللفظ أعم من ذلك (وأوصانى بالصلاة والزكاة) هما المشروعتان ، وقيل الصلاة هنا الدعاء ، والزكاة : التطهير من العيوب (وبرا) معطوف على مباركا ، روى أن عيسى تكلم بهذا الكلام وهو فى المهد ، ثم عاد إلى حالة الأطفال على عادة البشر ، وفى كلامه هذا رد على النصارى ، لأنه اعترف أنه عبد الله ورد على اليهود لقوله : وجعلنى نبيا (والسلام علىّ) أدخل لام التعريف هنا لتقدم السلام المنكر فى قصة يحيى ، فهو كقولك : رأيت رجلا فأكرمت الرجل ، وقال الزمخشرى : الصحيح أن هذا التعريف تعريض بلعنة من اتهم مريم كأنه قال السلام كله علىّ لا عليكم ، بل عليكم ضده (قول الحق) بالرفع خبر مبتدإ تقديره هذا قول الحق أو بدل أو خبر بعد خبر ، وبالنصب على المدح بفعل مضمر أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدم (فيه يمترون) أى يختلفون فهو من المراء ، أو يشكون فهو من المرية ، والضمير لليهود والنصارى (وأن الله ربى) من كلام عيسى وقرئ بفتح الهمزة تقديره ولأن الله ربى وربكم فاعبدوه ، وبكسرها لابتداء الكلام ، وقيل هو من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، والمعنى يامحمد قل لهم ذلك عيسى ابن مريم وأن الله ربى وربكم والأول أظهر (فاختلف الأحزاب) هذا ابتداء إخبار ، والأحزاب اليهود والنصارى ، لأنهم اختلفوا فى أمر عيسى اختلافا شديدا فكذبه اليهود وعبده النصارى ، والحق خلاف أقوالهم كلها (من بينهم) معناه من تلقائهم ومن أنفسهم وأن الاختلاف لم يخرج عنهم (من مشهد يوم عظيم) يعنى يوم القيامة (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) أى ماأسمعهم وماأبصرهم يوم القيامة على أنهم فى الدنيا فى ضلال مبين (يوم الحسرة) هو يوم يؤتى بالموت فى صورة كبش فيذبح ثم يقال ياأهل الجنة خلود لاموت ويا أهل النار خلود لاموت ، وقيل هو يوم القيامة وانتصاب يوم على المفعولية ، لاعلى الظرفية (وهم فى غفلة) يعنى فى الدنيا فهو متعلق بقوله فى ضلال مبين أو بأنذرهم (صديقا) بناء مبالغة من الصدق أو من

Marfat.com

يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ۞ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۞ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۞ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ۞ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ۞ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ۞ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ۞ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۞ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۞ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۞ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۞ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ۞ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۞ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۞ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۞ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۞ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ

التصديق ، ووصفه بأنه صدّيق قبل الوحى نبئ بعده ، ويحتمل أنه جمع الوصفين (مالا يسمع ولا يبصر) يعنى الأصنام (صراطا سويا) أى قويما (لأرجمنك) قيل يعنى الرجم بالحجارة وقيل الشتم (واهجرنى مليا) أى حينا طويلا ، وعطف اهجرنى على محذوف تقديره احذر رجمى لك (قال سلام عليك) وداع مفارقة ، وقيل مسالمة لاتحية لأن ابتداء الكافر بالسلام لايجوز (سأستغفر لك) وعد وهو الذى أشير إليه بقوله عن موعدة وعدها إياه قال ابن عطية ، معناه سأدعو الله أن يهديك فيغفر لك بإيمانك ، وذلك لأن الاستغفار للكافر لايجوز ، وقيل وعده أن يستغفر له مع كفره ، ولعله كان لم يعلم أن الله لا يغفر للكفار حتى أعلمه بذلك ، ويقوى هذا القول قوله واغفر لأبى إنه كان من الضالين ، ومثل هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم لأبى طالب لأستغفرن لك مالم أنه عنك (حفيا) أى بارا متلطفا (وأعتزلكم وما تدعون) أى ما تعبدون (إسحاق ويعقوب) هما ابنه وابن ابنه وهبهما الله له عوضا من أبيه وقومه الذين اعتزلهم (من رحمتنا) النبوة ، وقيل المال والولد . واللفظ أعم من ذلك لسان صدق يعنى الثناء الباقى عليهم إلى آخر الدهر (مخلصا) بكسر اللام أى أخلص نفسه وأعماله لله وبفتحها أى أخلصه الله للنبوة والتقريب (وكان رسولا نبيا) النبى أعم من الرسول لأن النبى كل من أوحى الله إليه ولا يكون رسولا حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوة فكل رسول نبىّ وليس كل نبى رسولا (وناديناه) هو تكليم الله له (الطور) وهو الجبل المشهور بالشام (الأيمن) صفة للجانب وكان على يمين موسى حين وقف عليه ويحتمل أن يكون من اليمن (نجيا) النجى فعيل وهو المنفرد بالمناجاة وقيل هو من المناجاة ، والأول أصح (من رحمتنا) من سببية أو للتبعيض وأخاه على الأول مفعول وعلى الثانى بدل (إنه كان صادق الوعد) روى أنه وعد رجلا إلى مكان فانتظره فيه سنة ، وقيل الإشارة إلى صدق وعده فى قصة الذبح فى قوله ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، وهذا يدل على قول من قال إن الذبيح هو إسماعيل (إدريس) هو أول نبىّ بعث إلى أهل الأرض بعد آدم . وهو أول من خط بالقلم . ونظر فى علم النجوم

Marfat.com

النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝ جَنَّٰتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ۝ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا * رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا * وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ

وخاط الثياب ، وهو من أجداد نوح عليه السلام (ورفعناه مكانا عليا) قال ابن عباس رفعه الله إلى السماء وهناك مات ، وفى حديث الإسراء وإنه فى السماء الرابعة ، وقيل يعنى رفعة النبوة وتشريف منزلته . والأول أشهر ورجحه الحديث (أولئك) إشارة إلى كل من ذكر فى هذه السورة من زكريا إلى إدريس (من النبيين) من هنا للبيان ، والتى بعدها للتبعيض (من ذرية آدم) يعنى نوحا وإدريس (وممن حملنا) يعنى إبراهيم (ومن ذرية إبراهيم) يعنى إسماعيل وإسحاق ويعقوب (وإسرائيل) يعنى أن من ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكريا ويحيى (وممن هدينا) يحتمل العطف على من الأولى أو الثانية (بكيا) جمع باك ووزنه فعول (فخلف من بعدهم خلف) يقال فى عقب الخير خلف بفتح اللام وفى عقب الشر خلف بالسكون وهو المعنى هنا واختلف فيمن المراد بذلك . فقيل النصارى لأنهم خلفوا اليهود ، وقيل كل من كفر وعصى من بعد بنى إسرائيل (أضاعوا الصلوة) قيل تركوها ، وقيل أخرجوها عن أوقاتها (يلقون غيا) الغى الخسران ، وقد يكون بمعنى الضلال فيكون على حذف مضاف تقديره يلقون جزاء غىّ (إلا من تاب) استثناء يحتمل الاتصال والانقطاع (بالغيب) أى أخبرهم من ذلك بما غاب عنهم (مأتيا) وزنه مفعول ، فقيل إنه بمعنى فاعل ، لأن الوعد هو الذى يأتى وقيل إنه على بابه لأن الوعد هو الجنة وهم يأتونها (لغوا) يعنى ساقط الكلام (إلا سلاما) استثناء منقطع (بكرة وعشيا) قيل المعنى أن زمانهم يقدر بالأيام والليالى ، إذ ليس فى الجنة نهار ولا ليل ، وقيل المعنى أن الرزق يأتيهم فى كل حين يحتاجون إليه ، وعبر عن ذلك بالبكرة والعشى على عادة الناس فى أكلهم (وما نتنزل إلا بأمر ربك) حكاية قول جبريل حين غاب عن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال له أبطأت عنى واشتقت إليك فقال إنى كنت أشوق ولكنى عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست ونزلت هذه الآية (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) أى له ما قدامنا وما خلفنا وما نحن فيه من الجهات والأماكن . فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله ، وقيل ما بين أيدينا : الدنيا إلى النفخة الأولى فى الصور ، وما خلفنا : الآخرة ، وما بين ذلك : ما بين النفختين وقيل ما مضى من أعمارنا وما بقى منها ، والحال التى نحن فيها ، والأول أكثر مناسبة لسياق الآية (وما كان ربك نسيا) هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول وقيل بمعنى الترك . والأول أظهر (هل تعلم له سميا) أى مثيلا ونظيرا

Marfat.com

يَكُ شَيْئًا ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ
أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا
مَقْضِيًّا ۝ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ۝ قُلْ

فهو من المسامى والمضاهى ، وقيل من تسمى باسمه ، لأنه لم يتسم باسم الله غيرالله تعالى (ويقول الإنسان أئذامامت لسوف أخرج حيا) هذه حكاية قول من أنكر البعث من القبور ، والإنسان هنا جنس يراد به الكفار ، وقيل إن القائل لذلك أبىّ بن خلف ، وقيل أمية بن خلف والهمزة التى دخلت على أئذامامت للإنكار والاستبعاد ، واللام فى قوله لسوف : سيقت على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى ، والإخراج يراد به البعث (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل) احتجاج على صحة البعث ، ورد على من أنكره ، لأن النشأة الأولى دليل على الثانية (لنحشرنهم والشياطين) يعنى قرناءهم من الشياطين الذين أضلوهم ، والواو للعطف أو بمعنى مع فيكون الشياطين مفعول معه (جثيا) جمع جاث ، ووزنه مفعول من قولك جثا الرجل إذا جلس جلسة الذليل الخائف (ثم لننزعن من كل شيعة) الشيعة : الطائفة من الناس التى تتفق على مذهب أو اتباع إنسان ، ومعنى الآية أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها فيقدمه إلى النار ، وقال بعضهم المعنى نبدأ بالأكبر جرما فالأكبر جرما (أيهم) اختلف فى إعرابه ، فقال سيبويه هو مبنى على الضم لأنه حذف العائد عليه من الصلة ، وكأن التقدير أيهم أشد فوجب البناء ، وقال الخليل هو مرفوع على الحكاية تقديره الذى يقال له أشد ، وقال يونس علق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء (أولى بها صليا) الصلى : مصدر صلى النار ، ومعنى الآية : أن الله يعلم من هو أولى بأن يصلى العذاب (وإن منكم إلا واردها) خطاب لجميع الناس عند الجمهور ، فأما المؤمنون فيدخلونها ولكنها تخمد فلا تضرهم ، فالورود على هذا بمعنى الدخول كقوله حصب جهنم أنتم لها واردون ، وأوردهم النار ، وقيل الورود بمعنى القدوم عليها كقوله ورد ماء مدين ، والمراد بذلك جواز الصراط وقيل الخطاب للكفار فلا إشكال (حتما) أى أمرا لا بد منه (ثم ننجى الذين اتقوا) إن كان الورود بمعنى الدخول فنجاة الذين اتقوا بكون النار عليهم بردا وسلاما ، ثم بالخروج منها وإن كان بمعنى المرور على الصراط فنجاتهم بالجواز والسلامة من الوقوع فيها (أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) الفريقان هم المؤمنون والكفار ، والمقام اسم مكان من قام ، وقرئ بالضم من أقام ، والندىّ المجلس ، ومعنى الآية : أن الكفار قالوا المؤمنين : نحن خير منكم مقاما : أى أحسن حالا فى الدنيا ، وأجمل مجلسا فنحن أكرم على الله منكم (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) كم مفعول بأهلكنا ، ومعنى الآية : رد على الكفار فى قولهم المذكور : أى ليس حسن الحال فى الدنيا دليلا على الكرامة عند الله ، لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالا منكم فى الدنيا (هم أحسن) قال الزمخشرى هذه الجملة فى موضع نصب صفة لكم (أثاثا) أى متاع البيت ، وقال ابن عطية هو اسم عام فى المال العين والعروض والحيوان ، وهو اسم جمع ، وقيل هو جمع ، واحده أثاثة (ورئيا) بهمزة ساكنة قبل الياء : معناه منظر حسن ، وهو من الرؤية ، والرئى اسم المرئى ، وقرئ بتشديد

Marfat.com

مَن كَانَ فِى الضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا * وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝ أَفَرَءَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا * كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۝ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا الشَّيَٰطِينَ عَلَى الْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۝ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۝ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝ لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا * وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا *

الياء من غير همز ، وهو تخفيف من الهمز ، فالمعنى متفق ، وقيل هو من رى الشارب أى التنعم بالمشارب والمآكل، وقرأ ابن عباس زيا بالزاى (فليمدد له الرحمن مدا) أى يمهله ويملى له ، واختلف هل هذا الفعل دعاء أوخبر سيق بلفظ الأمر تأكيدا (حتى) هنا غاية المد فى الإضلال (إما العذاب) يعنى عذاب الدنيا (شر مكانا وأضعف جندا) فى مقابلة قولهم خير مقاما وأحسن نديا (والباقيات الصالحات) ذكر فى الكهف (خير مردا) أى مرجعا وعاقبة (أفرأيت الذى كفر) هو العاصى بن وائل (وقال لأوتين مالا وولدا) كان قد قال ائن بعثت كما يزعم محمد ليكونن لى هناك مالا وولدا (أطلع الغيب) الهمزة للإنكار ، والرد على العاصى فى قوله (كلا) رد له عن كلامه (سنكتب مايقول) إنما جعله مستقبلا لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب فى المستقبل (ونمد له من العذاب مدا) أى نزيده فيه (ونرثه مايقول) أى نرث الأشياء التى قال إنه يؤتاها فى الآخرة ، وهى المال والولد ووراثتها هى بأن يهلك العاصى ويتركها ، وقد أسلم ولداه هشام وعمرو رضى الله عنهما (ويأتينا فردا) أى بلا مال ولا ولد ولا ولى ولا نصير (سيكفرون بعبادتهم) قيل إن الضمير فى يكفرون للكفار وفى عبادتهم للمعبودين ، فالمعنى كقولهم ما كنا مشركين ، وقيل إن الضمير فى يكفرون للمعبودين ، وفى عبادتهم للكفار ، فالمعنى كقولهم ما كنتم إيانا تعبدون (ويكونون عليهم ضدا) معناه يكون لهم خلاف ما أملوه منهم فيصير العز الذى أملوه ذلة ، وقيل معناه أعداء (أرسلنا الشياطين على الكافرين) تضمن معنى سلطانا ، ولذلك تعدى بعلى (تؤزهم أزا) أى تزعجهم إلى الكفر والمعاصى (فلا تعجل عليهم) أى لا تستبطئ عذابهم وتطلب تعجيله (إنما نعد لهم عدا) أى نعد مدة بقائهم فى الدنيا . وقيل نعد أنفاسهم (وفدا) قيل معناه ركبانا ، ومعنى الوفد لغة القادمون وعادتهم الركوب فلذلك قيل ذلك ، وقيل مكرمون ، لأن العادة إكرام الوفود (وردا) معناه عطاشا لأن من يرد الماء لا يرده إلا للعطش (لا يملكون الشفاعة) الضمير يحتمل أن يكون للكفار ، والمعنى لا يملكون أن يشفعوا لهم ، ويكون من اتخذ : استثناء منقطعا بمعنى لكن ، أو يكون الضمير للمتقين فالاستثناء متصل ، والمعنى لا يملكون أن يشفعوا إلا لمن اتخذ عهدا أو لا يملكون أن يشفع منهم إلا من اتخذ عهدا ، أو يكون الضمير للفريقين إذ قد ذكروا قبل ذلك ؛ فالاستثناء أيضا متصل ، ومن اتخذ : يحتمل أن يراد به

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ، تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ، أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ، وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ، إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ، وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ، إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ، فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ، وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا *

سورة طه

مكية إلا آيتى ١٣ و ١٣١ فمدنيتان وآياتها ١٣٥ نزلت بعد مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ ، إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ * تَنزِيلًا مِّمَّنْ

الشافع أو المشفوع له (عهدا) يريد به الإيمان والأعمال الصالحة ، ويحتمل أن يريد به الإذن فى الشفاعة . وهذا أرجح لقوله لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ، والظاهر أن ذلك إشارة إلى شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى الموقف حين ينفرد بها ويقول غيره من الأنبياء نفسى نفسى (شيئا إدا) أى شيئا صعبا (يتفطرن منه) أى يتشققن من قول الكفار : اتخذ الله ولدا (هدا) أى انهداما (أن دعوا) أى من أجل أن دعوا (للرحمن ولدا) وقرئ ولدا بضم الواو وإسكان اللام ، وهى لغة (إن كل من فى السموات والأرض) رد على مقالة الكفار ، والمعنى أن الكل عبيده ، فكيف يكون أحدهم ولداله ، وإن نافية ، وكل مبتدأ وخبره آتى الرحمن (سيجعل لهم الرحمن ودا) هى المحبة والقبول الذى يجعله الله فى القلوب لمن شاء من عباده ، وقيل إنها نزلت فى على بن أبى طالب رضى الله عنه (يسرناه بلسانك) الضمير للقرآن وبلسانك أى بلغتك (قوما لدا) جمع ألد ، وهو الشديد الخصومة والمجادلة ، والمراد بذلك قريش ، وقيل معناه فجارا (أو تسمع لهم ركزا) هو الصوت الخفى ، والمعنى أنهم لم يبق منهم أثر ، وفى ذلك تهديد لقريش

سورة طه

قيل فى طه إنه من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يارجل ، وانظر الكلام على حروف الهجاء فى أول سورة البقرة (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) قيل إن النبى صلى الله عليه وسلم قام فى الصلاة حتى تورمت قدماه ، فنزلت الآية تخفيفا عنه ، فالشقاء على هذا إفراط التعب فى العبادة ، وقيل المراد به التأسف على كفر الكفار ، واللفظ عام فى ذلك كله ، والمعنى أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء فى الدنيا والآخرة لأنه أنزل عليه القرآن الذى هو سبب السعادة (إلا تذكرة) نصب على الاستثناء المنقطع ، وأجاز ابن عطية أن يكون بدلا من موضع لتشقى إذ هو فى موضع مفعول من أجله ، ومنع ذلك الزمخشرى لاختلاف الجنسين ، ويصح أن ينتصب بفعل مضمر تقديره أنزلناه تذكرة (تنزيلا) نصب على المصدرية والعامل فيه مضمر وما أنزلنا وبدأ السورة بلفظ المتكلم فى قوله ما أنزلنا ثم رجع إلى الغيبة فى قوله تنزيلا ممن خلق الأرض الآية : وذلك هو الالتفات

Marfat.com

خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَٰوَاتِ الْعُلَى ۞ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۞ لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ۞ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۞ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۞ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَعَلِّي ءَاتِيكُم مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ۞ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ۞ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۞ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي ۞ إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۞ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ۞

(والسموات العلى) جمع عليا (على العرش استوى) تكلمنا عليه فى الأعراف (الثرى) هو فى اللغة التراب الندى ، والمراد به هنا الأرض (وإن تجهر) مطابقة هذا الشرط لجوابه كأنه يقول إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك لأنه يعلم السر وأخفى (يعلم السر وأخفى) السر الكلام الخفى ، والأخفى ما فى النفس ، وقيل السر ما فى نفوس البشر ، والأخفى ما انفرد الله بعلمه (الأسماء الحسنى) تكلمنا عليها فى الأعراف (وهل أتاك) لفظ استفهام والمراد به التنبيه (إذ رأى) العامل فى إذ حديث لأن فيه معنى الفعل وكان من قصة موسى أنه رحل بأهله من مدين يريد مصر فسار بالليل واحتاج إلى نار فقدح بزناده فلم ينقدح ، فرأى نارا فقصد إليها فناداه الله ، وأرسله إلى فرعون (آنست نارا) أى رأيت (بقبس) هو الجذوة من النار تكون على رأس العود والقصبة ونحوها (أو أجد على النار هدى) يعنى هدى إلى الطريق من دليل أو غيره (فاخلع نعليك) قيل إنما أمر بخلع نعليه ، لأنهما كانتا من جلد حمار ميت ، فأمر بخلع النجاسة ، واختار ابن عطية أن يكون أمر بخلعهما للتأدب ويعظم البقعة المباركة ويتواضع فى مقام مناجاة الله وهذا أحسن (الوادى المقدس) أى المطهر (طوى) فى معناه قولان : أحدهما أنه اسم الوادى ، وإعرابه على هذا بدل ، ويجوز تنوينه على أنه مكان وترك صرفه على أنه بقعة ، والثانى أن معناه مرتين ، فإعرابه على هذا مصدر : أى قدس الوادى مرة بعد مرة أو نودى موسى مرة بعد مرة (وأقم الصلاة لذكرى) قيل المعنى لتذكرنى فيها ، وقيل لأذكرك بها ، فالمصدر على الأول مضاف للمفعول وعلى الثانى مضاف للفاعل ، وقيل معنى لذكرى : عند ذكرى كقوله أقم الصلاة لدلوك الشمس : أى عند دلوك الشمس ، وهذا أرجح ؛ لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم استدل بالآية : على وجوب الصلاة على الناسى إذا ذكرها (أكاد أخفيها) اضطرب الناس فى معناه ، فقيل أخفيها بمعنى أظهرها ، وأخفيت هذا من الأضداد ، وقال ابن عطية : هذا قول مختل ، وذلك أن المعروف فى اللغة أن يقال : أخفى بالألف من الإخفاء وخفى بغير ألف بمعنى أظهر فلو كان بمعنى الظهور لقال أخفيها بفتح همزة المضارع ، وقد قرئ بذلك فى الشاذ ، وقال الزمخشرى قد جاء فى بعض اللغات أخفى بمعنى خفى : أى أظهر ، فلا يكون هذا القول مختلا على هذه اللغة ، وقيل أكاد بمعنى أريد ، فالمعنى أريد إخفاءها وقيل إن المعنى إن الساعة آتيـــة أكاد ، وتم هنا الكلام بمعنى أكاد أنفذها لقربها ، ثم استأنف الإخبار فقال أخفيها ، وقيل المعنى أكاد أخفيها عن نفسى فكيف عنكم ، وهذه الأقوال ضعيفة ، وإنما الصحيح أن

Marfat.com

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝
قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ۝ وَاضْمُمْ
يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۝ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا الْكُبْرَى ۝ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِي ۝ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝ وَاجْعَل
لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝ هَٰرُونَ أَخِي ۝ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۝ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝ وَنَذْكُرَكَ
كَثِيرًا ۝ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۝ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ۝ إِذْ أَوْحَيْنَا
إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۝ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ

المعنى أن الله أبهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحد ، حتى أنه كاد أن يخفى وقوعها لإبهام وقتها ، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها ، فالأخفى على معناه المعروف فى اللغة ، وكاد على معناها من مقاربة الشىء دون وقوعه وهذا المعنى هو اختيار المحققين (لتجزى) يتعلق بآتية (بما تسعى) أى بما تعمل (فلا يصدنك عنها) الضمير للساعة : أى لا يصدنك عن الإيمان بها والاستعداد لها ، وقيل الضمير للصلاة وهو بعيد ، والخطاب لموسى عليه السلام ، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك بعيد (فتردى) معناه تهلك ، والردى هو الهلاك وهذا الفعل منصوب فى جواب لا يصدنك (وما تلك بيمينك ياموسى) إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله فى العصا من قلبها حية فمعنى السؤال تقرير أنها عصى فيتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها ، وبعد أن قلبها ، وقيل إنما سأله ليؤنسه ويبسطه بالكلام (وأهش بها على غنمى) معناه أضرب بها الشجر لينتشر الورق للغنم (مآرب) أى حوائج (حية تسعى) أى تمشى (سيرتها الأولى) يعنى أنه لما أخذها عادت كما كانت أول مرة ، وانتصب سيرتها على أنه ظرف أو مفعول بإسقاط حرف الجر (واضمم يدك إلى جناحك) الجناح هنا الجنب أى تحت الإبط ، وهو استعارة من جناح الطائر (تخرج بيضاء) روى أن يده خرجت وهى بيضاء كالشمس (من غير سوء) يريد من غير برص ولا عاهة (لنريك من آياتنا الكبرى) يحتمل أن تكون الكبرى مفعول لنريك ، وأن تكون صفة الآيات ويختلف المعنى على ذلك (اشرح لى صدرى) إن قيل لم قال اشرح لى ويسر لى ، مع أن المعنى يصح دون قوله لى ؟ فالجواب أن ذلك تأكيد وتحقيق للرغبة (واحلل عقدة من لسانى) العقدة هى التى اعترته بالجمرة حين جعلها فى فيه وهو صغير حين أراد فرعون أن يجترّبه ، وإنما قال عقدة بالتنكير لأنه طلب حل بعضها ليفقهوا قوله ولم يطلب الفصاحة الكاملة (وزيرا) أى معينا ، وإعراب هارون بدل أو مفعول أول (أزرى) أى ظهرى والمراد القوة ومنه فآزره أى قواه (قال قد أوتيت سؤلك) أى قد أعطيناك كل ما طلبت من الأشياء المذكورة (إذ أوحينا إلى أمك) يحتمل أن يكون وحى كلام بواسطة ملك ، أو وحى إلهام كقوله : وأوحى ربك إلى النحل (ما يوحى) إبهام يراد به تعظيم الأمر (أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم) الضمير الأول لموسى والثانى للتابوت أو لموسى واليم البحر ، والمراد به هنا النيل ، وكان فرعون قد ذكر له أن هلاكه وخراب ملكه على يد غلام من بنى إسرائيل ، فأمر

Marfat.com

وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ
إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ
مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۝
ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ
عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ۝ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ
ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝

بذبح كل ولد ذكر يولد لهم ، فأوحى الله إلى أم موسى أن تلقيه فى التابوت وتلقى التابوت فى البحر ففعلت ذلك ، وكان فرعون فى موضع يشرف على النيل ، فرأى التابوت فأمر به فسيق إليه وامرأته معه ففتحه فأشفقت عليه امرأته وطلبت أن تتخذه ولدا فأباح لها ذلك (يأخذه عدو لى وعدو له) هو فرعون (محبة منى) أى أحببتك ، وقيل أراد محبة الناس فيه إذ كان لا يراه أحد إلا أحبه ، وقيل أراد محبة امرأة فرعون ورحمتها له ، وقوله منى : يحتمل أن يتعلق بقوله ألقيت ، أو يكون صفة لمحبة فيتعلق بمحذوف (ولتصنع على عينى) أى تربى ويحسن إليك بمرأى منى وحفظ ، والعامل فى لتصنع محذوف (إذ تمشى أختك) العامل فى إذ تصنع أو ألقيت ، أو فعل مضمر تقديره ومننا عليك (فتقول هل أدلكم على من يكفله) كان لا يقبل ثدى امرأة فطلبوا له مرضعة ، فقالت أخته ذلك ليرد إلى أمه (وقتلت نفسا) يعنى القبطى الذى وكزه فقضى عليه (فنجيناك من الغم) يعنى الخوف من أن يطلب بثأر المقتول (وفتناك فتونا) أى اختبرناك اختبارا حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوة والرسالة ، وقيل خلصناك من محنة بعد محنة ، لأنه خلصه من الذبح ثم من البحر ، ثم من القصاص بالقتل ، والفتون : يحتمل أن يكون مصدرا أو جمع فتنة (فلبثت سنين) يعنى الأعوام العشرة التى استأجره فيها شعيب (جئت على قدر) أى بميقات محدود قدره الله لنبوتك (واصطنعتك لنفسى) عبارة عن الكرامة والتقريب أى استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتى وإحسانى (ولا تنيا) أى لا تضعفا ولا تقصرا ، والونى هو الضعف عن الأمور والتقصير فيها (أن يفرط) أى يعمل بالشر (فأرسل معنا بنى إسرائيل) أى سرحهم ، وكانوا تحت يد فرعون وقومه ، فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله وتسريح بنى إسرائيل (ولا تعذبهم) كان يعذبهم بذبح أبنائهم وتسخيرهم فى خدمته وإذلالهم (قد جئناك بآية) يعنى قلب العصا حية وإخراج اليد بيضاء ، وإنما وحدها وهما آيتان ، لأنه أراد إقامة البرهان وهو معنى واحد (والسلام على من اتبع الهدى) يحتمل أن يريد التحية أو السلامة (قال فمن ربكما ياموسى) أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه ، لأنه الأصل فى النبوة وأخوه تابع له (الذى أعطى كل شىء خلقه) المعنى أن الله أعطى خلقه كل شىء يحتاجون إليه فخلقه على هذا بمعنى المخلوقين ، وإعرابه مفعول أول ، وكل شىء

Marfat.com

قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ۝ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۝ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ

مفعول ثان ، وقيل المعنى أعطى كل شيء خلقته وصورته : أي أكمل ذلك وأتقنه فالخلق على هذا بمعنى الخلقة وإعرابه مفعول ثان ، وكل شيء مفعول أول ، والمعنى الأول أحسن (ثم هدى) أي هدى خلقه إلى التوصل لما أعطاهم وعلمهم كيف ينتفعون به (قال فما بال القرون الأولى) يحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولى محاجة ومناقضة لموسى : أي ما بالها لم تبعث كما زعم موسى أو ما بالها لم تكن على دين موسى أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسى في قوله : أن العذاب على من كذب وتولى ، ويحتمل أن يكون قال ذلك قطعا للكلام الأول وروغانا عنه وحيرة لما رأى أنه مغلوب بالحجة ولذلك أضرب موسى عن الكلام في شأنها ، فقال علمها عند ربي ، ثم عاد إلى وصف الله رجوعا إلى الكلام الأول (في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (الذي جعل لكم الأرض مهدا) أي فراشا ، وانظر كيف وصف موسى ربه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتصف بها لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز ، ولو قال له هو القادر أو الرازق وشبه ذلك لأمكن فرعون أن يغالطه ويدعى ذلك لنفسه (وسلك لكم فيها سبلا) أي نهج لكم فيها طرقا تمشون فيها (فأخرجنا) يحتمل أن يكون من كلام موسى على تقدير يقول الله عز وجل فأخرجنا ، ويحتمل أن يكون كلام موسى تم عند قوله وأنزل من السماء ماء ثم ابتدأ كلام الله (فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) أي أصنافا مختلفة (كلوا وارعوا أنعامكم) المعنى أنها تصلح لأن تؤكل وترعاها الأنعام ، وعبر عن ذلك بصيغة الأمر لأنه أذن في ذلك فكأنه أمر به (لأولى النهى) أي العقول واحدها نهية (منها خلقناكم) الضمير الأرض يريد خلقة آدم من تراب (وفيها نعيدكم) يعني بالدفن عند الموت (ومنها نخرجكم) يعني عند البعث (أريناه آياتنا) يعني الآيات التي رآها فرعون وهي تسع آيات ، وليس يريد جميع آيات الله على العموم ، فالإضافة في قوله آياتنا تجري مجرى التعريف بالعهد : أي آياتنا التي أعطينا موسى كلها ، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفا (فاجعل بيننا وبينك موعدا) يحتمل أن يكون الموعد اسم مصدر أو اسم زمان أو اسم مكان ويدل على أنه اسم مكان قوله مكانا سوى ، ولكن يضعف بقوله موعدكم يوم الزينة . لأنه أجاب بظرف الزمان ، ويدل على أن الموعد اسم زمان قوله يوم الزينة ولكن يضعف بقوله مكانا سوى . ويدل على أنه اسم مصدر بمعنى الوعد قوله لا نخلفه ، لأن الإخلاف إنما يوصف به الوعد لا الزمان ولا المكان . ولكن يضعف ذلك بقوله مكانا وبقوله يوم الزينة ، فلابد على كل وجه من تأويل أو إضمار ويختلف إعراب قوله مكانا باختلاف تلك الوجوه فأما إن كان الموعد اسم مكان فيكون قوله موعدا ومكانا مفعولين لقوله اجعل ، ويطابقه قوله يوم الزينة

Marfat.com

النَّاسُ ضُحًى ۞ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ۞ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ۞ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ۞ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ۞ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ۞ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۞ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۞ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۞ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ۞ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۞ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ۞ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ

من طريق المعنى ، لا من طريق اللفظ ، وذلك أن الاجتماع فى المكان يقتضى الزمان ضرورة ، وإن كان الموعد اسم زمان فينتصب قوله مكانا على أنه ظرف زمان ، والتقدير موعدا كائنا فى مكان وإن كان الموعد اسم مصدر فينتصب مكانا على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد ، أو بفعل من معناه ؛ ويطابقه قوله يوم الزينة على حذف مضاف تقديره موعدكم وعد يوم الزينة ، وقرأ الحسن يوم الزينة بالنصب وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقدير محذوف (مكانا سوى) معناه مستوى فى القرب منا ومنكم ، وقيل معناه مستوى الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع ، وقرئ بكسر السين وضمها ، والمعنى متفق (يوم الزينة) يوم عيد لهم وقيل يوم عاشوراء (وأن يحشر) عطف على الزينة ، فهو فى موضع خفض أو على اليوم فهو فى موضع رفع وقصد موسى أن يكون موعدهم عند اجتماع الناس على رؤس الأشهاد لتظهر معجزته ويستبين الحق للناس (فيسحتكم) معناه يهلككم ، يقال سحت وأسحت ، وقد قرئ بفتح الياء وضمها ، والمعنى متفق (قالوا إن هذان لساحران) قرئ إن هذين بالياء ولا إشكال فى ذلك ، وقرئ بتخفيف إن وهى مخففة من الثقيلة ، وارتفع بعدها هذان بالابتداء ، وأما قراءة نافع وغيره بتشديد إن ورفع هذان ، فقيل إن هنا بمعنى نعم فلا تنصب ، ومنه ماروى فى الحديث أن الحمد لله بالرفع ، وقيل اسم إن ضمير الأمر والشأن تقديره إن الأمر ، وهذان لساحران مبتدأ وخبر فى موضع خبر إن ، وقيل جاء القرآن فى هذه الآية بلغة بنى الحرث بن كعب وهو إبقاء التثنية بالألف حال النصب والخفض ، وقالت عائشة رضى الله عنها هذا مما لحن فيه كتاب المصحف (ويذهبا بطريقتكم المثلى) أى يذهب بسيرتكم الحسنة (فأجمعوا كيدكم) أى اعزموا وأنفذوه (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) استدل بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخييل لا حقيقة ، وقال بعضهم إن حيلة السحرة فى سعى الحبال والعصى هى أنهم حشوها بالزئبق ، وأوقدوا تحتها نارا وغطوا النار لئلا يراها الناس ، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيهم ، وقيل جعلوها للشمس ، فلما أحس الزئبق بحر النار أو الشمس سال ، وهو فى حشو الحبال والعصى فحملها فتخيل للناس أنها تمشى فألقى موسى عصاه فصارت ثعبانا فابتلعتها (إنما صنعوا كيد

Marfat.com

فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ، قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ، إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ، إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ، وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُولَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ، جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ * وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ * فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ، وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ * يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ، كُلُوا مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ، وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ * وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ * قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ، قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا

ساحر) ما هنا موصولة وهى اسم إن وكيد خبرها (آمنا برب هارون وموسى) قدم هارون لتعادل رؤس الآى (من خلاف) أى قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (والذى فطرنا) معطوف على ماجاءنا من البينات ، وقيل هى واو القسم (هـذه الحياة) نصب على الظرفيـة أى إنما قضاؤك فى هـذه الدنيا (إنه من يأت ربه مجرما) قيل إن هنا وما بعده من كلام السحرة لفرعون على وجه الموعظة ، وقيل هو من كلام الله (أن أسر بعبادى) يعنى بنى إسرائيل ، وأضافهم إلى نفسه تشريفا لهم ، وكانوا فيما قيل ستمائة ألف (يبسا) أى يابسا ، وهو مصـدر وصف به (لاتخاف دركا ولا تخشى) أى لاتخاف أن يدركك فرعون وقومه ، ولا تخشى الغرق فى البحر (ماغشيهم) إبهام لقصد التهويل (وما هدى) إن قيل إن قوله وأضل فرعون قومه يغنى عن قوله وماهدى ، فالجواب أنه مبالغة وتأكيد ، وقال الزمخشرى هو تهكم بفرعون فى قوله . وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (يابنى إسرائيل) خطاب لهم بعد خروجهم من البحر ، وإغراق فرعون ، وقيل هو خطاب لمن كان منهم فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأول أظهر (وواعدناكم جانب الطور الأيمن) لما أهلك الله فرعون وجنوده أمر موسى وبنى إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور سيناء ليكلم فيه ربه ، والطور هو الجبل ، واختلف هل هذا الطور هو الذى رأى فيه موسى النار فى أول نبوته ، أوهو غيره (ونزلنا عليكم المن والسلوى) ذكر فى البقرة (فقد هوى) أى هلك ، وهو استعارة من السقوط من علو إلى سفل (وإنى لغفار لمن تاب) المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بد والمغفرة للمؤمن الذى لم يتب فى مشيئة الله عند أهل السنة ، وقالت المعتزلة لايغفر إلا لمن تاب (ثم اهتدى) أى استقام ودام على الإيمان والتوبة والعمل الصالح ، ويحتمل أن يكون الهدى هنا عبارة عن نور وعلم يجعله الله فى قلب من تاب وآمن وعمل صالحا ، (وما أعجلك عن

Marfat.com

قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۝ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى * قَالُوا مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۝ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ

قومك ياموسى) قصص هذه الآية أن موسى عليه السلام لما أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور تقدم هو وحده مبادرة إلى أمر الله ، وطالبا لرضاه ، وأمر بنى إسرائيل أن يسيروا بعده ، واستخلف عليهم أخاه هارون ، فأمرهم السامرىّ حينئذ بعبادة العجل ، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه قال له الله تعالى : ماأعجلك عن قومك ، وإنما سأل الله موسى عن سبب استعجاله دون قومه ليخبره موسى بأنهم يأتون على أثره فيخبره الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل ، وقيل سأله على وجه الإنكار لتقدمه وحده دون قومه فاعتذر موسى بعذرين : أحدهما أن قومه على أثره : أى قريب منه ، فلم يتقدم عليهم بكثير فيوجب العتاب ، والثانى أنه إنما تقدم طالبا لرضا الله (وأضلهم السامرىّ) كان السامرىّ رجلا من بنى إسرائيل يقال إنه ابن خال موسى ، وقيل لم يكن منهم وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها سامرة ، وكان ساحراً منافقا (فرجع موسى إلى قومه) يعنى رجع من الطور بعد إكمال الأربعين يوما التى كلمه الله فيها (أسفا) ذكر فى الأعراف (ألم يعدكم ربكم وعداً حسنا) يعنى ماوعدهم من الوصول إلى الطور (أفطال عليكم العهد) يعنى المدة وهذا الكلام توبيخ لهم (بملكنا) قرئ بالفتح والضم والكسر ، ومعناه ماأخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا ، ولكن غلبنا بكيد السامرىّ فيحتمل أنهم اعتذروا بقلة قدرتهم وطاقتهم ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم ، واعتذروا بقلة ملكهم لأنفسهم فى النظر وعدم توفيقهم للرأى السديد ، ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر (حملنا أوزارا من زينة القوم) الأوزار هنا الأحمال سميت أوزارا لثقلها ، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار أى الذنوب وزينة القوم هى حلىّ القبط قوم فرعون كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم ، وقيل أخذوه بعد هلاكهم فقال لهم السامرىّ : اجمعوا هذا الحلىّ فى حفرة حتى يحكم الله فيه ، ففعلوا ذلك وأوقد السامرىّ نارا على الحلىّ وصاغ منه عجلا وقيل بل خلق الله منه العجل من غير أن يصنعه السامرى ، ولذلك قال لموسى قد فتنا قومك من بعدك (فقذفناها) أى قذفنا أحمال الحلىّ فى الحفرة (فكذلك ألقى السامرىّ) كان السامرىّ قد رأى جبريل عليه السلام ، فأخذ من وطء فرسه قبضة من تراب وألقى الله فى نفسه أنه إذا جعلها على شيء مواتا صار حيوانا فألقاها على العجل نخار العجل أى صاح صياح العجول . فالمعنى أنهم قالوا كما ألقينا الحلى فى الحفرة ألقى السامرىّ قبضة التراب (جسداً) أى جسما بلا روح ، والخوار صوت البقر (فقالوا هذا إلهكم) أى قال ذلك بنو إسرائيل بعضهم لبعض (فنسى) يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون من كلام بنى إسرائيل والفاعل موسى : أى نسى موسى إلهه هنا ، وذهب يطلبه فى الطور ، والنسيان على هذا بمعنى الذهول ، والوجه الثانى : أن يكون من كلام الله تعالى ، والفاعل على هذا السامرىّ : أى نسى دينه وطريق الحق ، والنسيان على هذا المعنى : الترك (أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا) معناه لايردّ عليهم كلاما إذا

Marfat.com

لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۝ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَـٰنُ فَاتَّبِعُونِى
وَأَطِيعُوٓا أَمْرِى ۝ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۝ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ
ضَلُّوٓا ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۝ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ
بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ۝ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ۝ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ۝ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى الْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ
لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى الْيَمِّ

كلموه وذلك ردّ عليهم فى دعوى الربوبية له ، وقرئ يرجع بالرفع ، وأن مخففة من الثقيلة ، وبالنصب وهى مصدرية (قال ياهارون مامنعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن) لازائدة للتأكيد ، والمعنى مامنعك أن تتبعنى فى المشى إلى الطور ، أو تتبعنى فى الغضب لله وشدّة الزجر لمن عبد العجل وقتالهم بمن لم يعبده (قال يابن أم) ذكر فى الأعراف (لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى) كان موسى قد أخذ بشعر هارون ولحيته من شدّة غضبه لما وجد بنى إسرائيل قد عبدوا العجل (إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل) أى لو قاتلت من عبد العجل منهم بمن لم يعبده لقلت فرقت جماعتهم وأدخلت العداوة بينهم ، وهذا على أن يكون معنى قوله تتبعنى فى الزجر والقتال ولو اتبعتك فى المشى إلى الطور لاتبعنى بعضهم دون بعض فتفرقت جماعتهم وهذا على أن يكون معنى تتبعنى فى المشى إلى الطور (ولم ترقب قولى) يعنى قوله له : اخلفنى فى قومى وأصلح (قال فما خطبك ياسامرى) أى قال موسى ماشأنك ولفظ الخطب يقتضى الانتهار ،لأنه يستعمل فى المكاره (قال بصرت بما لم يبصروا به) أى رأيت مالم يروه يعنى جبريل عليه السلام وفرسه (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أى قبضت قبضة من تراب من أثر فرس الرسول وهو جبريل ، وقرأ ابن مسعود «من أثر فرس الرسول» وإنما سمى جبريل بالرسول ، لأن الله أرسله إلى موسى ، والقبضة مصدر قبض ، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير ، ويقال قبض بالضاد المعجمة إذا أخذ بأصابعه وكفه ، وبالصاد المهملة : إذا أخذ بأطراف الأصابع وقد قرئ كذلك فى الشاذ (فنبذتها) أى ألقيتها على الحلى ، فصار عجلا أو على العجل فصار له خوار (فإن لك فى الحياة أن تقول لامساس) عاقب موسى عليه السلام السامرى بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته ، ومكالمته وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته لامساس : أى لامماسة ولا إذاية ، وروى أنه كان إذا مسه أحد أصابت الحمى له والذى مسه فصار هو يبعد عن الناس وصار الناس يبعدون عنه (وإن لك موعدا) يعنى العذاب فى الآخرة وهذا تهديد ووعيد (ظلت) أصله ظللت ، حذفت إحدى اللامين والأصل فى معنى ظل : أقام بالنهار ، ثم استعمل فى الدأب على الشىء ليلا ونهاراً (لنحرقنه) من الإحراق بالنار ، وقرئ بفتح النون وضم الراء بمعنى نبرده بالمبرد ، وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى ، لأن الذهب لايفنى بالإحراق بالنار ، والصحيح أن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته ، فيصح حمل قراءة الجماعة على ذلك (ثم لننسفنه فى اليم نسفا) أى نلقيه فى البحر ، والنسف تفريق الغبار ونحوه

نَسْفًا ۞ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۞ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۞ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ۞ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ۞ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۞ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۞ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۞ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۞ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۞ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۞ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۞ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ

(إنما إلهكم الله) الآية : من كلام موسى لبني إسرائيل (كذلك نقص عليك) مخاطبة من الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وأنباء ماقد سبق : أخبار المتقدمين (ذكرا) يعني القرآن (من أعرض عنه) يعني إعراض تكذيب به (وزرا) الوزر في اللغة الثقل ، ويعني هنا العذاب لقوله « خالدين فيه » أو الذنوب لأنها سبب العذاب (وساء لهم يوم القيامة حملا) شبه الوزر بالحمل لثقله ، قال الزمخشري ساء تجري مجرى بئس ، ففاعلها مضمر يفسره حملا ، وقال غيره فاعلها مضمر يعود على الوزر (يوم ينفخ في الصور) أي ينفخ الملك في القرن ، وقرئ ننفخ بالنون أي بأمرنا (زرقا) أي زرق الألوان كالسواد ، وقيل زرق العيون من العمى (يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا) أي يقول بعضهم لبعض في السر إن لبثتم في الدنيا إلا عشر ليال وذلك لاستقلالهم مدة الدنيا ، وقيل يعنون لبثهم في القبور (يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما) أي يقول أعلمهم بالأمور ، فالإضافة إليهم إن لبثتم إلا يوما واحدا فاستقل المدة أشد مما استقلها غيره (ينسفها ربي) أي يجعلها كالغبار ثم يفرقها (فيذرها قاعا صفصفا) الضمير في يذرها للجبال ، والمراد موضعها من الأرض ، والقاع الصفصف : المستوي من الأرض الذي لا ارتفاع فيه (لاترى فيها عوجا) المعروف في اللغة أن العوج بالكسر في المعاني ، وبالفتح في الأشخاص والأرض شخص ، فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح ، وإنما قاله بالكسر مبالغة في نفيه ، فإن الذي في المعاني أدق من الذي في الأشخاص ، فنفاه ليكون غاية في نفي العوج من كل وجه (ولا أمتا) الأمت : هو الارتفاع اليسير (يتبعون الداعي) يعني الذي يدعو الخلق إلى الحشر (لاعوج له) أي لا يعوج أحد عن اتباعه والمشي نحو صوته ، أو لاعوج لدعوته لأنها حق (همسا) هو الصوت الخفي (لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) يحتمل أن يكون الاستثناء متصلا ، ومن في موضع نصب بتنفع ، وهي واقعة على المشفوع له ، فالمعنى لا تنفع الشفاعة أحدا إلا من أذن له الرحمن في أن يشفع له ، وأن يكون الاستثناء منقطعا ومن واقعة على الشافع ، والمعنى لكن من أذن له الرحمن يشفع (ورضي له قولا) إن أريد بمن أذن له الرحمن المشفوع فيه ، فاللام في له بمعنى لأجله ، أي رضي قول الشافع لأجل المشفوع فيه ، وإن أريد الشافع فالمعنى رضي له قوله في الشفاعة (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) الضميران

Marfat.com

ظُلْمًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا * وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۝ فَتَعَـٰلَى اللَّهُ الْمَـلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۝ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ اجْتَبَـٰهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ

لجميع الخلق ، والمعنى ذكر فى آية الكرسى (ولا يحيطون به علما) قيل المعنى لايحيطون بمعلوماته كقوله ولايحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ، والصحيح عندى أن المعنى لايحيطون بمعرفة ذاته إذ لايعرف الله على الحقيقة إلا الله ، ولوأراد المعنى الأول لقال ولايحيطون بعلمه ، ولذلك استثنى إلا بماشاء هناك ولم يستثن هنا (وعنت الوجوه) أى ذلت يوم القيامة (ولا هضما) أى بخسا ونقصا لحسناته (أو يحدث لهم ذكرا) أى تذكرا ، وقيل شرفا وهو هنا بعيد (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) أى إذا أقرأك جبريل القرآن فاستمع إليه واصبر حتى يفرغ وحينئذ تقرأه أنت فالآية : كقوله لاتحرك به لسانك لتعجل به ، وقيل كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا أوحى إليه القرآن يأمر بكتبه فى الحين ، فأمر بأن يتأنى حتى تفسرله المعانى ، والأول أشهر (عهدنا إلى آدم) أى وصيناه أن لا يأكل من الشجرة (فنسى) يحتمل أن يكون النسيان الذى هو ضد الذكر ، فيكون ذلك عذراً لآدم أو يريد الترك ، وقال ابن عطية : ولا يمكن غيره ، لأن الناسى لاعقاب عليه ، وقد تقدم الكلام على قصة آدم وإبليس فى البقرة (فلايخرجنكما من الجنة فتشقى) أى لاتطيعاه فيخرجكما من الجنة فجعل المسبب موضع السبب وخص آدم بقوله فتشقى لأنه كان المخاطب أولا ، والمقصود بالكلام ، وقيل لأن الشقاء فى معيشة الدنيا مختص بالرجال (لا تظمأ فيها ولا تضحى) الظمأ هو العطش ، والضحى هو البروز للشمس (يخصفان) ذكر فى الأعراف وكذلك الشجرة وأكل آدم منها ذكر ذلك فى البقرة (اهبطا خطاب لآدم وحواء (فإما يأتينكم) هى إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة وجوابها فمن اتبع (فلا يضل ولايشقى) أى لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة (معيشة ضنكا) أى ضيقة ، فقيل إن ذلك فى الدنيا ، فإن الكافر ضيق المعيشة لشدة حرصه وإن كان واسع الحال ، وقد قال بعض الصوفية لا يعرض أحد عن ذكر الله إلاأظلم عليه وقته وتكدر عليه عيشه ، وقيل إن ذلك فى البرزخ ، وقيل فى جهنم بأكل الزقوم ، وهذا

حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ۝ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى النُّهَىٰ ۝ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۝ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآئِ الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ۝ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ

ضعيف لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة (ونحشره يوم القيامة أعمى) أى يعنى أعمى البصر (فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) من الترك لا من الذهول (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أى عذاب جهنم أشد وأبقى من العيشة الضنك ومن الحشر أعمى (أفلم يهدلهم) معناه أفلم يتبين لهم ، والضمير لقريش والفاعل بيهد مقدر تقديره أولم يهدلهم الهدى أو الأمر ، وقال الزمخشرى الفاعل الجملة التى بعده ، وقيل الفاعل ضمير الله عز وجل ، ويدل عليه قراءة أفلم نهد بالنون ، وقال الكوفيون الفاعل كم (يمشون فى مساكنهم) يريد أن قريشا يمشون فى مساكن عاد وثمود ، ويعاينون آثار هلاكهم (لأولى النهى) أى ذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما) الكلمة هنا القضاء السابق . والمعنى لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب لزاما : أى واقعابهم (وأجل مسمى) معطوف على كلمة : أى لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب لزاما وإنما أخره لتعتدل رؤس الآى ، والمراد بالأجل المسمى يوم بدر . وبذلك ورد تفسيره فى البخارى ، وقيل المراد به أجل الموت ، وقيل القيامة (وسبح) يحتمل أن يريد بالتسبيح الصلاة ، أو قول سبحان الله وهو ظاهر اللفظ (بحمد ربك) فى موضع الحال أى وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح ، ويحتمل أن يكون المعنى سبح تسبيحا مقرونا بحمد ربك فيكون أمرا بالجمع بين قوله سبحان الله وقوله الحمد لله ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض (قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) إشارة إلى الصلوات الخمس عند من قال إن معنى فسبح : الصلاة ، فالتى قبل طلوع الشمس الصبح ، والتى قبل غروبها الظهر والعصر ، ومن آناء الليل المغرب والعشاء الآخرة وأطراف النهار المغرب والصبح ، وكرر الصبح فى ذلك تأكيدا للأمر بها . وسمى الطرفين أطرافا لأحد وجهين : إما على نحو فقد صغت قلوبكما ، وإما أن يجعل النهار للجنس ، فلكل يوم طرف ، وآناء الليل ساعاته ، واحدها إنى (ولا تمدن عينيك) ذكر فى الحجر ومد العينين هو تطويل النظر فى ذلك دليل على أن النظر غير الطويل معفو عنه (زهرة الحياة الدنيا) شبه نعم الدنيا بالزهر وهو النوار ، لأن الزهر له منظر حسن ، ثم يذبل ويضمحل ، وفى نصب زهرة خمسة أوجه أن ينتصب بفعل مضمر على الذم ، أو يضمن متعنا معنى أعطينا ، ويكون زهرة مفعولا ثانيا له ، أو يكون بدلا من موضع الجار والمجرور أو يكون بدلا من أزواجا على تقدير ذوى زهرة أو ينتصب على الحال (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم (لانسألك رزقا) أى لانسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك فتفرغ أنت وأهلك للصلاة فنحن

Marfat.com

نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ * وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ *
وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ
وَنَخْزَىٰ * قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ *

سورة الأنبياء

مكية وآياتها ١١٢ نزلت بعد سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ * اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم
مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۞ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَـٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ
أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۞ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ بَلْ قَالُوا

نرزقك ، وكان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمركم الله ، ويتلو هذه الآية (أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى) البينة هنا البرهان ، والصحف الأولى هى التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله ، والضمير فى قالوا وفى أولم تأتهم لقريش لما اقترحوا آية على وجه العناد والتعنت : أجابهم الله بهذا الجواب ، والمعنى قد جاءكم برهان ما فى التوراة والإنجيل من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، فلأى شىء تطلبون آية أخرى ، ويحتمل أن يكون المعنى قد جاءكم القرآن وفيه من العلوم والقصص ما فى الصحف الأولى ، فذلك بينة وبرهان على أنه من عند الله (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) الآية : معناها لو أهلكنا هؤلاء الكفار قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم لاحتجوا على الله بأن يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا ، ولولا هنا عرض فقامت عليهم الحجة ببعثه صلى الله عليه وسلم (قل كل متربص) أى قل كل واحد منا ومنكم منتظر لما يكون من هذا الأمر (فتربصوا) تهديد (الصراط السوى) المستقيم

سورة الأنبياء عليهم السلام

(اقترب للناس حسابهم) الناس لفظ عام ، وقال ابن عباس : المراد به هنا المشركون من قريش بدليل ما بعد ذلك ، لأنه من صفاتهم ، وإنما أخبر عن الساعة بالقرب ، لأن الذى مضى من الزمان قبلها أكثر مما بقى لها ولأن كل آت قريب (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعنى بالذكر القرآن ، ومحدث : أى محدث النزول (وأسروا النجوى الذين ظلموا) الواو فى أسروا ضمير فاعل يعود على ما قبله ، والذين ظلموا : بدل من الضمير ، وقيل إن الفاعل هو الذين ظلموا ، وجاء ذلك على لغة من قال أكلونى البراغيث ، وهى لغة بنى الحارث بن كعب ، وقال سيبويه لم تأت هذه اللغة فى القرآن ويحتمل أن يكون الذين ظلموا منصوباً بفعل مضمر على الذم أو خبر ابتداء مضمر ، والأول أحسن (هل هذا إلا بشر مثلكم) هذا الكلام فى موضع نصب بدل من النجوى ، لأنه هو الكلام الذى تناجوا به ، والبشر المذكور فى الآية هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قال ربى يعلم القول) إخبار بأنه ما تناجوا به على أنهم أسروه ، فإن قيل هلا قال يعلم السر مناسبة لقوله أسروا النجوى؟ فالجواب : أن القول يشمل السر والجهر

Marfat.com

أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَا أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن

لحصل به ذكر السر وزيادة (بل قالوا أضغاث أحلام) أى أخلاط منامات ، وحكى عنهم هذه الأقوال الكثيرة ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم (كما أرسل الأولون) أى كما جاء الرسل المتقدمون بالآيات فليأتنا محمد بآية فالتشبيه فى الإتيان بالمعجزة (ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها) لما قالوا فليأتنا بآية أخبرهم الله أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات فلما رأوها ولم يؤمنوا أهلكوا ، ثم قال (أفهم يؤمنون) أى أن حالهم فى عدم الإيمان وفى الهلاك كحال من قبلهم ، ويحتمل أن يكون المعنى : أن كل قرية هلكت لم تؤمن فهؤلاء كذلك ولا يكون على هذا جواباً لقولهم فليأتنا بآية بل يكون إخبارا مستأنفاً على وجه التهديد ؛ وأهلكناها فى موضع الصفة لقرية ، والمراد أهل القرية (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا) ردّ على قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم والمعنى أن الرسل المتقدمين رجالا من البشر فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولا (أهل الذكر) يعنى أحبار أهل الكتاب (وماجعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام) أى ماجعلنا الرسل أجساداً غير طاعمين ، ووحد الجسد لإرادة الجنس ، ولا يأكلون الطعام صفة لجسد ، وفى الآية ردّ على قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام (ومن نشاء) يعنى المؤمنين (فيه ذكركم) أى شرفكم وقيل تذكيركم (قصمنا) أى أهلكنا ، وأصله من قصم الظهر أى كسره (من قرية) يريد أهل القرية ؛ قال ابن عباس : هى قرية باليمن يقال لها حضور بعث الله إليهم نبياً فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل ، وظاهر اللفظ أنه على العموم لأن كم للتكثير ، فلا يريد قرية معينة (يركضون) عبارة عن فرارهم ، فيحتمل أن يكونوا ركبوا الدواب وركضوها لتسرع الجرى أو شبهوا فى سرعة جريهم على أرجلهم بمن يركض الدابة (لاتركضوا) أى قيل لهم لاتركضوا والقائل لذلك هم الملائكة قالوه تهكما بهم ، أو رجال بختنصر إن كانت القرية المعينة قالوا ذلك لهم خداعاً ليرجعوا فيقتلوهم (أترفتم) أى نعمتم (لعلكم تسئلون) تهكم بهم وتوبيخ أى ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون عما جرى عليكم ، ويحتمل أن يكون تسئلون بمعنى يطلب لكم الناس معروفكم وهذا أيضاً تهكم (قالوا ياويلنا) الآية اعتراف وندم حين لم ينفعهم (حصيداً خامدين) شبهوا فى هلاكهم بالزرع المحصود ، ومعنى خامدين : موتى وهو تشبيه بخمود النار (لاعبين) حال منفية أى ماخلقنا السموات

Marfat.com

لَدُنَّآ إن كُنَّا فَٰعلينَ * بَلْ نَقْذِفُ بالحَقِّ عَلَى البَٰطلِ فَيَدْمَغُهُ فَإذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ * وَلَهُ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ اللَّهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ

والأرض لأجل اللعب بل للاعتبار بها ، والاستدلال على صانعها (لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا) اللهو فى لغة اليمن : الولد ، وقيل المرأة ، ومن لدنا : أى من الملائكة ، فالمعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ ولداً لاتخذناه من الملائكة ، لا من بنى آدم ، فهو رد على من قال إن المسيح ابن الله وعزير ابن الله ، والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب لاتصاله بقوله لاعبين ، وقال الزمخشرى المعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ لهواً لكان ذلك فى قدرتنا ولكن ذلك لا يليق بنا لأنه مناقض للحكمة ، وفى كلا القولين نظر (إن كنا فاعلين) يحتمل أن تكون إن شرطية وجوابها فيما قبلها ، أو نافية ، والأول أظهر (بل نقذف بالحق على الباطل) الحق عام فى القرآن والرسالة والشرع وكل ماهو حق ، والباطل عام فى أضداد ذلك (فيدمغه) أى يقمعه ويبطله ، وأصله من إصابة الدماغ (ومن عنده) يعنى الملائكة (ولا يستحسرون) أى لايعيون ولا يملون (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون) أم هنا للإضراب عما قبلها ، والاستفهام على وجه الإنكار لما بعدها من الأرض يتعلق بينشرون والمعنى أن الآلهة التى اتخذها المشركون لا يقدرون أن ينشروا الموتى من الأرض فليست بآلهة فى الحقيقة لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) هذا برهان على وحدانية الله تعالى ، والضمير فى قوله فيهما للسموات والأرض ، وإلا الله صفة لآلهة ، وإلا بمعنى غير ، فاقتضى الكلام أمرين أحدهما نفى كثرة الآلهة ، ووجوب أن يكون الإله واحداً ، والأمر الثانى : أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره ، ودل على ذلك قوله إلا الله ، وأما الأول فكانت الآية تدل عليه لو لم تذكر هذه الكلمة ، وقال كثير من الناس فى معنى الآية : إنها دليل على التمانع الذى أورده الأصوليون ، وذلك أنا لو فرضنا إلهين فأراد أحدهما شيئاً وأراد الآخر نقيضه ، فإما أن تنفذ إرادة كل واحد منهما وذلك محال لأن النقيضين لا يجتمعان ، وإما أن لا تنفذ إرادة واحد منهما ، وذلك أيضاً محال ، لأن النقيضين لا يرتفعان معاً ، ولأن ذلك يؤدى إلى عجزهما وقصورهما ، فلا يكونان إلهين ، وإما أن ينفذ إرادة واحد منهما دون الآخر ، فالذى تنفذ إرادته هو الإله ، والذى لا تنفذ إرادته ليس بإله ، فالإله واحد . وهذا الدليل إن سلمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه ، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصح من دليل التمانع ، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع فى التدبير وقصد المغالبة ، ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان لمدينة واحدة ، ولا واليان لخطة واحدة (لا يسئل عما يفعل) لأنه مالك كل شىء والمالك يفعل فى ملكه مايشاء ، ولأنه حكيم ، فأفعاله كلها جارية على الحكمة (وهم يسئلون) لفقد العلتين (أم اتخذوا من دونه آلهة) كرر هذا الإنكار استعظاما للشرك ومبالغة فى تقبيحه لأن قبله من صفات الله مايوجب توحيده وليناط به ما ذكر بعده من تعجيز المشركين وأنهم ليس لهم على الشرك برهان لامن جهة العقل ولا من جهة الشرع

هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۝ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝

(هاتوا برهانكم) تعجيز لهم وقد تكلمنا على هاتوا فى البقرة (هذا ذكر من معى وذكر من قبلى) رد على المشركين والمعنى هذا الكتاب الذى معى والكتب التى من قبلى ليس فيهما مايقتضى الإشراك بالله ، بل كلها متفقة على التوحيد (وما أرسلنا) الآية : رد على المشركين ، والمعنى أن كل رسول إنما أتى بلا إله إلا الله (عباد مكرمون) يعنى الملائكة وهم الذين قال فيهم بعض الكفار أنهم بنات الله ، فوصفهم بالعبودية لأنها تناقض البنوة ، ووصفهم بالكرامة ، لأن ذلك هو الذى غر الكفار حتى قالوا فيهم ماقالوا (لا يسبقونه بالقول) أى لا يتكلمون حتى يتكلم هو تأدبا معه (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) أى لمن ارتضى أن يشفع له ، ويحتمل أن تكون هذه الشفاعة فى الآخرة أو فى الدنيا وهى استغفارهم لمن فى الأرض (مشفقون) أى خائفون (ومن يقل منهم) الآية على فرض أن لو قالوا ذلك ، ولكنهم لا يقولونه ، وإنما مقصد الآية الرد على المشركين وقيل إن الذى قال إنى إله هو إبليس لعنه الله (كانتا رتقا ففتقناهما) الرتق مصدر وصف به ، ومعناه الملتصق بعضه ببعض الذى لا صدع فيه ولا فتح ، والفتق الفتح فقيل كانت السموات ملصقة بالأرض ففتقها الله بالهواء ، وقيل كانت السموات ملتصقة بعضها ببعض والأرضون كذلك ففتقهما الله سبعا سبعا والرؤية فى قوله أولم ير على هذا رؤية قلب ، وقيل فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات ، فالرؤية على هذا رؤية عين (وجعلنا من الماء كل شىء حى) أى خلقنا من الماء كل حيوان ويعنى بالماء المنىّ وقيل الماء الذى يشرب لأنه سبب لحياة الحيوان ، ويدخل فى ذلك النبات باستعارة (رواسى) يعنى الجبال (أن تميد) تقديره كراهية أن تميد (فجاجا) يعنى الطرق الكبار ، وإعرابه عند الزمخشرى حال من السبل ، لأنه صفة تقدمت على النكرة (لعلهم يهتدون) يعنى فى طرقهم وتصرفاتهم (سقفا محفوظا) أى حفظ من السقوط ومن الشياطين (عن آياتها معرضون) يعنى الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك (كل فى فلك يسبحون) التنوين فى كل عوض عن الإضافة أى كلهم فى فلك يسبحون يعنى الشمس والقمر دون الليل والنهار ، إذ لا يوصف الليل والنهار بالسبح فى الفلك فالجملة فى موضع حال من الشمس والقمر أو مستأنفا ، فإن قيل : لفظ كلّ ويسبحون جمع ، فكيف يعنى الشمس والقمر وهما اثنان ؟ فالجواب : أنه أراد جنس مطالعها كل يوم وليلة وهى كثيرة

Marfat.com

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ * خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ

قاله الزمخشري وقال القزوني: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة، وعبر عنهما بضمير الجماعة العقلاء في قوله يسبحون، لأنه وصفهم بفعل العقلاء وهو السبح، فإن قيل: كيف قال في فلك، وهي أفلاك كثيرة؟ فالجواب أنه أراد كل واحد يسبح في فلكه، وذلك كقولهم: كساهم الأمير حلة أي كسا كل واحد منهم حلة، ومعنى الفلك جسم مستدير، وقال بعض المفسرين إنه من موج، وذلك بعيد، والحق أنه لا يعلم صفته وكيفيته إلا بإخبار صحيح عن الشارع، وذلك غير موجود، ومعنى يسبحون يجرون، أو يدورون، وهو مستعار من السبح بمعنى العوم في الماء، وقوله كل في فلك من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) سببها أن الكفار طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم بأنه بشر يموت، وقيل إنهم تمنوا موته ليشمتوا به، وهذا أنسب لما بعده (أفإن مت فهم الخالدون) موضع دخول الهمزة فهم الخالدون وتقدمت لأن الاستفهام له صدر الكلام (كل نفس ذائقة الموت) أي كل نفس مخلوقة لا بد لها أن تذوق الموت، والذوق هنا استعارة (ونبلوكم بالشر والخير) أي نختبركم بالفقر والغنى والصحة والمرض وغير ذلك من أحوال الدنيا ليظهر الصبر على الشر والشكر على الخير، أو خلاف ذلك (فتنة) مصدر من معنى نبلوكم (أهذا الذي يذكر آلهتكم) أي يذكرهم بالذم دلت على ذلك قرينة الحال، فإن الذكر قد يكون بذم أو مدح، والجملة تفسير للهزء أي يقولون أهذا الذي (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) الجملة في موضع الحال أي كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن، فهم أحق بالملامة، وقيل معنى بذكر الرحمن تسميته بهذا الاسم، لأنهم أنكروها، والأول أغرق في ضلالهم (خلق الإنسان من عجل) خلق شديد الاستعجال وجاءت هذه العبارة للمبالغة: كقولهم خلق حاتم من جود، والإنسان هنا جنس، وسبب الآية: أن الكفار استعجلوا الآيات التي اقترحوها والعذاب الذي طلبوه، فذكر الله هذا توطئة لقوله فلا تستعجلون، وقيل المراد هنا آدم لأنه لما وصلت الروح إلى صدره أراد أن يقوم. وهذا ضعيف، وقيل من عجل: أي من طين، وهذا أضعف (سأريكم آياتي) وعيد وجواب على ما طلبوه من التعجيل (ويقولون) الآية: تفسير لاستعجالهم (الوعد) القيامة وقيل نزول العذاب بهم (لو يعلم) جواب لو محذوف (حين) مفعول به ليعلموا: أي لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم العذاب لآمنوا وما استعجلوا (بل تأتيهم) الضمير الفاعل للنار، وقيل للساعة (تبهتهم) أي تفجؤهم (ولا هم ينظرون) أي لا يؤخرون عن العذاب (ولقد استهزئ) الآية تسلية بالتأسي (فحاق) أي أحاط (من يكلؤكم) أي من

رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ * أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ * بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ الْغَٰلِبُونَ * قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِالْوَحْىِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ * وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ * وَنَضَعُ الْمَوَٰزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ * وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَٰلِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ

يحفظكم من أمر الله ، ومن استفهامية ، والمعنى تهديد ، وإقامة حجة ، لأنهم لو أجابوا عن هذا السؤال لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ ، ثم جاء قوله (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) بمعنى أنهم إذا سئلوا عن ذلك السؤال لم يجيبوا عنه لأنهم تقوم عليهم الحجة إن أجابوا ، ولكنهم يعرضون عن ذكر الله : أى عن الجواب الذى فيه ذكر الله ، وقال الزمخشرى معنى الإضراب هنا أنهم معرضون عن ذكره فضلا عن أن يخافوا بأسه (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) أى تمنعهم من العذاب ، وأم هنا للاستفهام ، والمعنى الإنكار والنفى ، وذلك أنه لما سألهم عمن يكلؤهم : أخبر بعد ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم ثم احتج عن ذلك بقوله : لا يستطيعون نصر أنفسهم ، فإن من لا ينصر نفسه أولى أن لا ينصر غيره (ولا هم منا يصحبون) الضمير للكفار : أى لا يصحبون منا بنصر ولا حفظ (بل متعنا هؤلاء وآباءهم) أى متعناهم بالنعم والعافية فى الدنيا فطغوا بذلك ونسوا عقاب الله ، والإضراب ببل عن معنى الكلام المتقدم : أى لم يحملهم على الكفر والاستهزاء نصر ولا حفظ ، بل حملهم على ذلك أنا متعناهم وآباءهم (ننقصها من أطرافها) ذكر فى الرعد (ولا يسمع الصم الدعاء) إشارة إلى الكفار ، والصم استعارة فى إفراط إعراضهم (نفحة) أى خطرة وفيها تقليل العذاب ، والمعنى أنهم لو رأوا أقل شىء من عذاب الله لأذعنوا واعترفوا بذنوبهم (ونضع الموازين القسط) أى العدل ، وإنما أفرد القسط وهو صفة للجمع ، لأنه مصدر وصف به كالعدل والرضا ، وعلى تقدير ذوات القسط ، ومذهب أهل السنة أن الميزان يوم القيامة حقيقة له كفتان ولسان وعمود توزن فيه الأعمال ، والخفة والثقل متعلقة بالأجسام ، إما صحف الأعمال ، أو ما شاء الله ، وقالت المعتزلة : إن الميزان عبارة عن العدل فى الجزاء (ليوم القيامة) ، وقال ابن عطية تقديره لحساب يوم القيامة ، أو لحكمة ، فهو على حذف مضاف وقال الزمخشرى هو كقولك كتبت الكتاب لست خلون من الشهر (مثقال حبة) أى وزنها والرفع على أن كان تامة ، والنصب على أنها ناقصة واسمها مضمر (الفرقان) هنا التوراة ، وقيل التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحجة (وهذا ذكر) يعنى القرآن (رشده) أى إرشاده إلى توحيد الله وكسر الأصنام وغير ذلك (من قبل) أى قبل موسى وهارون ، وقيل آتيناه رشده قبل النبوة (وكنا به

التَّمَاثِيلُ الَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۞ قَالُوا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۞ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ قَالُوٓا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّٰعِبِينَ ۞ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّٰهِدِينَ ۞ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۞ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۞ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّٰلِمِينَ ۞ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَٰهِيمُ ۞ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۞ قَالُوٓا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ۞ فَرَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّٰلِمُونَ ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۞ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا

عالمين) أى علمناه أنه يستحق ذلك (التماثيل) يعنى الأصنام وكانت على صور بنى آدم (وجدنا آباءنا) اعتراف بالتقليد من غير دليل (قالوا أجئتنا بالحق) أى هل الذى تقول حق أم مزاح ، وانظر كيف عبر عن الحق بالفعل ، وعن اللعب بالجملة الإسمية ، لأنه أثبت عندهم (فطرهن) أى خلقهن ، والضمير للسموات والأرض ، أو التماثيل ، وهذا أليق بالرد عليهم (بعد أن تولوا مدبرين) يعنى خروجهم إلى عيدهم (جذاذاً) أى فتاتاً ، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح ، وهو من الجذ بمعنى القطع (إلا كبيراً لهم) ترك الصنم الكبير لم يكسره وعلق القدوم فى يده (لعلهم إليه يرجعون) الضمير للصنم الكبير أى يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم ، فيظهر لهم أنه لا يقدر على شىء ، وقيل الضمير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ، أى يرجعون إليه فيبين لهم الحق (قالوا من فعل هذا) قبله محذوف تقديره فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة ، فقالوا من فعل هذا (فتى يذكرهم) أى يذكرهم بالذم وبقوله لأكيدن أصنامكم (يقال له إبراهيم) قيل إن إعراب إبراهيم منادى ، وقيل خبر ابتداء مضمر ، وقيل رفع على الإهمال ، والصحيح أنه مفعول لم يسم فاعله ، لأن المراد الاسم لا المسمى وهذا اختيار ابن عطية والزمخشرى (لعلهم يشهدون) أى يشهدون عليه بما فعل أو يحضرون عقوبتنا له (قال بل فعله كبيرهم) قصد إبراهيم عليه السلام بهذا القول تبكيتهم وإقامة الحجة عليهم ، كأنه يقول إن كان إلهاً فهو قادر على أن يفعل ، وإن لم يقدر فليس بإله ولم يقصد الإخبار المحض ، لأنه كذب ، فإن قيل : فقد جاء فى الحديث إن ابراهيم كذب ثلاث كذبات: أحدها قوله فعله كبيرهم ، فالجواب أن معنى ذلك أنه قال قولا ظاهره الكذب ، وإن كان القصد به معنى آخر ، ويدل على ذلك قوله (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) لأنه أراد به أيضا تبكيتهم وبيان ضلالهم (فرجعوا إلى أنفسهم) أى رجعوا إليها بالفكرة والنظر ، أو رجعوا إليها بالملامة (فقالوا إنكم أنتم الظالمون) أى الظالمون لأنفسكم فى عبادتكم مالا ينطق ولا يقدر على شىء أو الظالمون لإبراهيم فى قولكم عنه إنه لمن الظالمين ، وفى تعنيفه على أعين الناس (ثم نكسوا على رءوسهم) استعارة لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة (فقالوا لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) أى فكيف تأمرنا بسؤالهم فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون ،

Marfat.com

وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۝ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ۝ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۝ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ۝ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا

وهم مع ذلك يعبدونهم فهذه غاية الضلال فى فعلهم ، وغاية المكابرة والمعاندة فى جدالهم ، ويحتمل أن يكون نكسوا على رءوسهم بمعنى رجوعهم من المجادلة إلى الانقطاع فإن قولهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون : إعتراف يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة ، ويحتمل على هذا أن يكون نكسوا على رءوسهم حقيقة : أى أطرقوا من الخجل لما قامت عليهم الحجة (أف لكم) تقدم الكلام على أف فى الإسراء (قالوا حرقوه) لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلب عليه بالظلم (قلنا يانار كونى برداً وسلاماً) أى ذات برد وسلام ، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة ، واختلف كيف بردت النار فقيل أزال الله عنها مافيها من الحر ، والإحراق ، وقيل دفع عن جسم إبراهيم حرها وإحراقها مع ترك ذلك فيها ، وقيل خلق بينه وبينها حائلا ، ومعنى السلام هنا السلامة ، وقد روى أنه لولم يقل سلاماً لهلك إبراهيم من البرد وقد أضربنا عما ذكره الناس فى قصة إبراهيم لعدم صحته ، ولأن ألفاظ القرآن لاتقتضيه (إلى الأرض التى باركنا فيها) هى الشام خرج إليها من العراق، وبركتها بخصبها وكثرة الأنبياء فيها (نافلة) أى عطية ، والتنفيل العطاء ، وقيل سماه نافلة : لأنه عطاء بغير سؤال ، فكأنه تبرع ، وقيل الهبة إسحاق ، والنافلة يعقوب ، لأنه سأل إسحاق بقوله هب لى من الصالحين فأعطى يعقوب زيادة على ماسأل ، واختار بعضهم على هذا الوقف على إسحاق لبيان المعنى ، وهذا ضعيف لأنه معطوف على كل قول (يهدون بأمرنا أى يرشدون الناس بإذننا (ولوطا) قيل إنه انتصب بفعل مضمر يفسره آتيناه والأظهر أنه انتصب بالعطف على موسى وهارون أو إبراهيم وانتصب ونوحا وداود وسليمان وما بعدهم بالعطف أيضا ، وقيل بفعل مضمر تقديره اذكر (آتيناه حكما) أى حكما بين الناس : أو حكمة (من القرية) هى سدوم من أرض الشام (وأدخلناه فى رحمتنا) أى فى الجنة أو فى أهل رحمتنا (نادى من قبل) أى دعا قبل إبراهيم ولوط (من الكرب) يعنى من الغرق (ونصرناه من القوم) تعدى نصرناه بمن لأنه مطاوع انتصر المتعدى بمن ، أو تضمن معنى نجيناه أو أجرناه (وداود وسليمان) كان داود نبيا ملكا ، وكان ابنه سليمان ابن أحد عشر عاما (فى الحرث) قيل زرع ، وقيل كرم ، والحرث يقال فيهما (إذ نفشت) رعت فيه بالليل

Marfat.com

وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۝ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ
فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ۝ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ

(لحكمهم) الضمير لداود وسليمان والمتخاصمين، وقيل لداود وسليمان خاصة، على أن يكون أقل الجمع اثنان (ففهمناها سليمان) تخاصم إلى دواد رجلان دخلت غنم أحدهما على زرع الآخر بالليل فأفسدته فقضى داود بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم، ووجه هذا الحكم أن قيمة الزرع كانت مثل قيمة الغنم فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب، فأخبراه بما حكم به أبوه، فدخل عليه فقال يانبي الله لو حكمت بغير هذا كان أرفق للجميع، قال وماهو؟ قال يأخذ صاحب الغنم الأرض ليصلحها حتى يعود زرعها كما كان، ويأخذ صاحب الزرع الغنم وينتفع بألبانها وصوفها ونسلها، فإذا أكمل الزرع ردت الغنم إلى صاحبها، والأرض بزرعها إلى ربها، فقال له داود: وفقت يابني، وقضى بينهما بذلك، ووجه حكم سليمان أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء مافات من الزرع، وواجب على صاحب الغنم أن يعمل فى الحرث حتى يزول الضرر والنقصان، ويحتمل أن يكون ذلك إصلاحا لا حكما، واختلف الناس هل كان حكمهما بوحى أو اجتهاد فمن قال كان باجتهاد أجاز الاجتهاد للأنبياء، وروى أن داود رجع عن حكمه لما تبين له أن الصواب خلافه، وقد اختلف فى جواز الاجتهاد فى حق الأنبياء، وعلى القول بالجواز اختلف، هل وقع أم لا؟ وظاهر قوله ففهمناها سليمان: أنه كان باجتهاد فخص الله به سليمان ففهم القضية، ومن قال كان بوحى جعل حكم سليمان ناسخا لحكم داود، وأما حكم إفساد المواشى الزرع فى شرعنا، فقال مالك والشافعى ؓ يضمن أرباب المواشى ما أفسدت بالليل دون النهار للحديث الوارد فى ذلك، وعلى هذا يدل حكم داود وسليمان، لأن النفش لا يكون إلا بالليل، وقال أبو حنيفة: لا يضمن ماأفسدت بالليل ولا بالنهار، لقوله صلى الله عليه وسلم: العجماء جرحها جبار (وكلا آتيناه حكما وعلما) قيل يعنى فى هذه النازلة، وأن داود لم يخطئ فيها، ولكنه رجع إلى ماهو أرجح، ويدل على هذا القول أن كل مجتهد مصيب، وقيل بل يعنى حكما وعلما فى غير هذه النازلة، وعلى هذا القول فإنه أخطأ فيها، وأن المصيب واحد من المجتهدين (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) كان هذا التسبيح قول سبحان الله، وقيل الصلاة معه إذا صلى، وقدم الجبال على الطير، لأن تسبيحها أغرب إذ هى جماد (وكنا فاعلين) أى قادرين على أن نفعل هذا، وقال ابن عطية: معناه كان ذلك فى حقه لأجل أن داود استوجب ذلك مناصفة (صنعة لبوس) يعنى دروع الحديد، وأول من صنعها داود عليه السلام، وقال ابن عطية اللبوس فى اللغة السلاح وقال الزمخشرى اللبوس اللباس (لتحصنكم من بأسكم) أى لتقيكم فى القتال وقرئ بالياء والتاء والنون، فالنون لله تعالى، والتاء للصنعة، والياء لداود أو للبوس (فهل أنتم شاكرون) لفظ استفهام، ومعناه استدعاء إلى الشكر (ولسليمان الريح عاصفة) عطف الريح على الجبال، والعاصفة هى الشديدة فإن قيل: كيف يقال عاصفة وقال فى ص رخاء أى لينة؟ فالجواب: أنها كانت فى نفسها لينة طيبة، وكانت تسرع فى جريها كالعاصف فجمعت الوصفين، وقيل كانت رخاء فى ذهابه، وعاصفة فى رجوعه إلى وطنه، لأن عادة المسافرين الإسراع فى الرجوع؛ وقيل كانت تشتد إذا رفعت البساط وتلين إذا حملته (إلى الأرض التى باركنا فيها) يعنى أرض الشام وكانت مسكنه وموضع ملكه فخص فى الآية الرجوع إليها لأنه يدل على الانتقال منها (يغوصون له) أى

Marfat.com

عَـٰلِمِينَ ۝ وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ۝ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ
رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ ۝ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ
إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ * وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ
أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّآ
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ

يدخلون فى الماء ليستخرجوا له الجواهر من البحار (عملا دون ذلك) أقل من الغوص كالبنيان والخدمة (وكنا لهم حافظين) أى نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره ، أو نحفظهم من إفساد ما صنعوه ، وقيل معناه عالمين بعددهم (وأيوب إذ نادى ربه) كان أيوب عليه السلام نبيا من الروم ، وقيل من بنى إسرائيل ، وكان له أولاد ومال كثير فأذهب الله ماله فصبر ، ثم أهلك الأولاد فصبر ، ثم سلط البلاء[١] على جسمه فصبر إلى أن مر به قومه فشمتوا به ، فحينئذ دعا الله تعالى ، على أن قوله مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ليس تصريحا بالدعاء ، ولكنه ذكر نفسه بما يوجب الرحمة ووصف ربه بغاية الرحمة ليرحمه ، فكان فى ذلك من حسن التلطف ما ليس فى التصريح بالطلب (فكشفنا ما به من ضر) لما استجاب الله له أنبع له عينا من ماء فشرب منه واغتسل فبرئ من المرض والبلاء (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) روى أن الله أحيا أولاده الموتى ورزقهم مثلهم معهم فى الدنيا وقيل فى الآخرة ، وقيل ولدت امرأته مثل عدد أولاده الموتى ومثلهم معهم ، وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله (رحمة من عندنا) أى رحمة لأيوب ، وذكرى لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر ، ويحتمل أن تكون الرحمة والذكرى معا للعابدين (وذا الكفل) قيل هو إلياس وقيل زكريا ، وقيل نبى بعث إلى رجل واحد ، وقيل رجل صالح غير نبى ، وسمى ذا الكفل : أى ذا الحظ من الله وقيل لأنه تكفل لليسع بالقيام بالأمر من بعده (وذا النون) هو يونس عليه السلام ، والنون هو الحوت نسب إليه لأنه التقمه (إذ ذهب مغاضبا) أى مغاضبا لقومه إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون حتى أدركه ضجر منهم فخرج عنهم ، ولذلك قال الله ولا تكن كصاحب الحوت ، ولا يصح قول من قال مغاضبا لربه (فظن أن لن نقدر عليه) أى ظن أن نضيق عليه ، فهو من معنى قوله قدر عليه رزقه ، وقيل هو من القدر والقضاء : أى ظن أن لن نضيق عليه بعقوبة ، ولا يصح قول من قال إنه من القدرة (فنادى فى الظلمات) قيل هذا الكلام محذوف لبيانه فى غير هذه الآية ، وهو أنه لما خرج ركب السفينة فرمى فى البحر فالتقمه الحوت فنادى فى الظلمات ، وهى ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ويحتمل أنه عبر بالظلمة عن بطن الحوت لشدة ظلمته كقوله وتركهم فى ظلمات (أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) أن مفسرة أو مصدرية على تقدير نادى بأن ، والظلم الذى اعترف به كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم (ونجيناه من الغم) يعنى من بطن الحوت وإخراجه إلى البر (وكذلك ننجى المؤمنين) يحتمل أن يكون مطلقا أو لمن دعا بدعاء يونس ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة أخى يونس ذى النون ما دعا بها مكروب إلا استجيب له (لا تذرنى

---

(١) المراد بالبلاء المرض الذى أصابه وهو مرض باطنى لا تنفر منه الطباع البشرية لعصمة الأنبياء من ذلك

إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِى الْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ ❁ وَالَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَابْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ❁ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ❁ وَتَقَطَّعُوٓا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ❁ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ❁ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ❁ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ❁ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ❁ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ❁ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً

فرداً) أى بلا ولد ولا وارث (وأنت خير الوارثين) إن لم ترزقنى وارثا فأنت خير الوارثين ، فهو استسلام لله (وأصلحنا له زوجه) يعنى ولدت بعد أن كانت عقيما ، واسم زوجته أشياع ، قاله السهيلى (يسارعون فى الخيرات) والضمير للأنبياء المذكورين (رغبا ورهبا) الرغب الرجاء ، والرهب الخوف ، وقيل الرغب أن ترفع إلى السماء بطون الأيدى ، والرهب أن ترفع ظهورها (والتى أحصنت فرجها) هى مريم بنت عمران ومعنى أحصنت من العفة أى أعفته عن الحرام والحلال ، كقولها لم يمسسنى بشر (فنفخنا فيها من روحنا) أى أجرينا فيها روح عيسى لما نفخ جبريل فى جيب درعها ، ونسب الله النفخ إلى نفسه لأنه كان بأمره والروح هنا هو الذى فى الجسد ، وأضاف الله الروح إلى نفسه للتشريف أو للملك (آية) أى دلالة ، ولذلك لم يثن (إن هذه أمتكم) أى ملتكم ملة واحدة ، وهو خطاب للناس كافة ، أو للمعاصرين لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم : أى إنما بعث الأنبياء المذكورون بما أمرتم به من الدين ، لأن جميع الأنبياء متفقون فى أصول العقائد (فتقطعوا أمرهم) أى اختلفوا فيه ، وهو استعارة من جعل الشىء قطعا ، والضمير للمخاطبين ، قيل فالأصل تقطعتم (فلا كفران لسعيه) أى لا إبطال ثواب عمله (وإنا له كاتبون) أى نكتب عمله فى صحيفته (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) قرئ حرام بكسر الحاء وهو بمعنى حرام ، واختلف فى معنى الآية ، فقيل حرام بمعنى ممتنع على قرية أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة ، أو ممتنع على قرية أهلكها الله أن يرجعوا إلى الدنيا ، ولا زائدة فى الوجهين ، وقيل حرام بمعنى حتم واقع لا محالة ، ويتصور فيه الوجهان ، وتكون لا نافية فيهما أى حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة أو حتم عدم رجوعهم إلى الدنيا وقيل المعنى ممتنع على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه فى الآخرة ، ولا على هذا نافية أيضا ، ففيه رد على من أنكر البعث (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) حتى هنا حرف ابتداء أو غاية متعلقة بيرجعون ، وجواب إذا : فإذا هى شاخصة ، وقيل الجواب ياويلنا لأن تقديره يقولون ياويلنا ، وفتحت يأجوج ومأجوج أى فتح سدها فحذف المضاف (وهم من كل حدب ينسلون) الحدب المرتفع من الأرض ، وينسلون : أى يسرعون ، والضمير ليأجوج ومأجوج : أى يخرجون من كل طريق لكثرتهم ، وقيل لجميع الناس (الوعد الحق) يعنى القيامة (فإذا هى شاخصة) إذا هنا للمفاجأة ، والضمير عند سيبويه ضمير القصة ، وعند الفراء ، الأبصار ، وشاخصة من الشخوص وهو إحداد النظر من الخوف (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب

مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰٓ أُولَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۞ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ۞ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ يَوْمَ نَطْوِى السَّمَآءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۞ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّٰلِحُونَ ۞ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ۞ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۞ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ

جهنم) هذا خطاب للمشركين ، والحصب : ما توقد به النار : كالحطب وقرأ عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه «حطب جهنم » ، والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها تحرق فى النار توبيخا لمن عبدها (واردون) الورود هنا الدخول (زفير) ذكر فى هود (لا يسمعون) قيل يجعلون فى توابيت من نار فلا يسمعون شيئا ، وقيل يصمهم الله كما يعميهم (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) سبقت أى قضيت فى الأزل ، والحسنى السعادة ، ونزلت الآية لما اعترض ابن الزبعرى على قوله : إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، فقال إن عيسى وعزير والملائكة قد عبدوا ، فالمعنى إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد ، واللفظ مع ذلك على عمومه فى كل من سبقت له السعادة (حسيسها) أى صوتها (الفزع الأكبر) أهوال القيامة على الجملة ، وقيل ذبح الموت وقيل النفخة الأولى فى الصور لقوله ففزع من السموات ومن فى الأرض (كطى السجل للكتب) السجل الصحيفة والكتاب مصدر : أى كما يطوى السجل ليكتب فيه ، أو ليصان الكتاب الذى فيه ، وقيل السجل رجل كاتب وهذا ضعيف ، وقيل هو ملك فى السماء الثانية ترفع إليه الأعمال ، وهذا أيضا ضعيف (كما بدأنا أول خلق نعيده) أى كما قدرنا على البداءة نقدر على الإعادة ، فهو كقوله قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وقيل المعنى نعيدهم على الصورة التى بدأناهم كما جاء فى الحديث : يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا ، ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده ، والكاف متعلقة بقوله نعيده (فاعلين) تأكيداً لوقوع البعث (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) فى الزبور هنا قولان : أحدهما أنه كتاب داود ، والذكر هنا على هذا التوراة التى أنزل الله على موسى ، وما فى الزبور من ذكر الله تعالى ، والقول الثانى أن الزبور جنس الكتب التى أنزلها الله على جميع الأنبياء ، والذكر على هذا هو اللوح المحفوظ : أى كتب الله هذا فى الكتاب الذى أفرد له بعد ما كتبه فى اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها ، والأول أرجح ، لأن إطلاق الزبور على كتاب داود أظهر وأكثر استعمالا ، ولأن الزبور مفرد فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع ، ولأن النص قد ورد فى زبور داود بأن الأرض يرثها الصالحون (أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) الأرض هنا على الإطلاق فى مشارق الأرض ومغاربها ، وقيل الأرض المقدسة ، وقيل أرض الجنة ، والأول أظهر ، والعباد الصالحون : أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ففى الآية ثناء عليهم ، وإخبار بظهور غيب مصداقه فى الوجود إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) هذا خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه تشريف عظيم ، وانتصب رحمة على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول ،

Marfat.com

إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ * إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ۝ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝

ســـورة الحج

مدنية إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ فبين مكة والمدينة وآياتها ٧٨ نزلت بعد النور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ

والمعنى على هذا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الرحمة ، ويحتمل أن يكون مصدرا فى موضع الحال من ضمير الفاعل تقديره : أرسلناك راحمين للعالمين ، أو يكون مفعولا من أجله ، والمعنى على كل وجه : أن الله رحم العالمين بإرسال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى ، والنجاة من الشقاوة العظمى ، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة فى الآخرة والأولى ، وعلمهم بعد الجهالة وهداهم بعد الضلالة ، فإن قيل : رحمة للعالمين عموم والكفار لم يرحموا به فالجواب من وجهين : أحدهما أنهم كانوا معرضين الرحمة به لو آمنوا فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم ، والآخر أنهم رحموا به لكونهم لم يعاقبوا بمثل ماعوقب به الكفار المتقدمون من الطوفان والصيحة وشبه ذلك (آذنتكم على سواء) أى أعلمتكم بالحق على استواء فى الإعلام وتبليغ إلى جميعكم لم يختص به واحد دون آخر (وإن أدرى أقريب أم بعيد ماتوعدون) إن هنا وفى الموضع الآخر نافية ، وأدرى فعل علق عن معموله لأنه من أفعال القلوب وما بعده فى موضع المعمول من طريق المعنى فيجب وصله معه ، والهمزة فى قوله أقريب للتسوية لا لمجرد الاستفهام ، وقيل يوقف على إن أدرى فى الموضعين ، ويبتدأ بما بعده ، وهذا خطأ لأنه يطلب مابعده (لعله فتنة) الضمير لإمهالهم وتأخير عقوبتهم (ومتاع إلى حين) أى الموت أو القيامة (المستعان على ماتصفون) أى أستعين به على الصبر على ماتصفون من الكفر والتكذيب

ســـورة الحج

(اتقوا ربكم) تكلمنا على التقوى فى أول البقرة (إن زلزلة الساعة) أى شدتها وهولها كقوله وزلزلوا ، أو تحريك الأرض حينئذ كقوله إذا زلزلت الأرض زلزالها ، والجملة تعليل الأمر بالتقوى ، واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك فى الدنيا بين يدى القيامة ، أو بعد أن تقوم القيامة ، والأرجح أن ذلك قبل القيامة ، لأن فى ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل لا بعد القيامة (يوم ترونها) العامل فى الظرف تذهل ، والضمير للزلزلة ، وقيل الساعة ، وذلك ضعيف لما ذكرنا إلا أن يريد ابتداء أمرها (تذهل) الذهول هو الذهاب عن الشىء مع دهشة (مرضعة) إنما لم يقل مرضع ، لأن المرضعة هى التى

Marfat.com

اللهِ شَدِيدٌ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ

فى حال الإرضاع ملقمة ثديها للصبى ، والمرضع التى شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع فى حال وصفها به ، فقال مرضعة ليكون ذلك أعظم فى الذهول إذ تنزع ثديها من فم الصبى حينئذ (وترى الناس سكارى) تشبيه بالسكارى من شدة الغمّ (وما هم بسكارى) فى الحقيقة السكر . وقرئ سكرى والمعنى متفق (ومن الناس من يجادل فى الله) نزلت فى النضر بن الحارث ، وقيل فى أبى جهل ، وهى تتناول كل من اتصف بذلك (شيطان مريد) أى شديد الإغواء . ويحتمل أن يريد شيطان الجن أو الإنس (كتب) تمثيل لثبوت الأمر كأنه مكتوب ، ويحتمل أن يكون بمعنى قضى كقولك كتب الله أنه فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله وفى أنه عطف عليه وقيل تأكيد (من تولاه) أى تبعه أو اتخذه وليا ، والضمير فى عليه وفى أنه فى الموضعين وفى تولاه للشيطان ، وفى يضله ، ويهديه للمتولى له ، ويحتمل أن تكون تلك الضمائر أولا لمن يجادل (يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث) الآية : معناها إن شككتم فى البعث الأخروى فزوال ذلك الشك أن تنظروا فى ابتداء خلقتكم فتعلموا أن الذى قدر على أن خلقكم أول مرة : قادر على أن يعيدكم ثانى مرة ، وأن الذى قدر على إخراج النبات من الأرض بعد موتها : قادر على أن يخرجكم من قبوركم (خلقناكم من تراب) إشارة إلى خلق آدم ، وأسند ذلك إلى الناس لأنهم من ذريته وهو أصلهم (من علقة) العلقة قطعة من دم جامدة (من مضغة) أى قطعة من لحم (مخلقة) المخلقة التامة الخلقة ، وغير المخلقة الغير التامة : كالسقط ، وقيل المخلقة المسوّاة السالمة من النقصان (لنبين لكم) اللام تتعلق بمحذوف تقديره ذكرنا ذلك لنبين لكم قدرتنا على البعث (ونقر) فعل مستأنف (إلى أجل مسمى) يعنى وقت وضع الحمل وهو يختلف وأقله ست أشهر إلى ما فوق ذلك (نخرجكم طفلا) أفرده لأنه أراد الجنس ، أو أراد نخرج كل واحد منكم طفلا (لتبلغوا أشدكم) هو كمال القوة والعقل والتمييز . وقد اختلف فيه من ثمانى عشرة سنة إلى خمس وأربعين (أرذل العمر) ذكر فى النحل (هامدة) يعنى لا نبات فيها (اهتزت) تحركت بالنبات وتخلخلت أجزاؤها لما دخلها الماء (وربت) انتفخت (زوج بهيج) أى صنف عجيب (ذلك بأن الله هو الحق) أى ذلك المذكور من أمر الإنسان والنبات حاصل ، بأن الله هو الحق ، هكذا قدره الزمخشرى ، والباء على هذا سببية . وبهذا المعنى أيضا فسره ابن عطية ، ويلزم على هذا أن لا يكون قوله : وأن الساعة آتية : معطوفا على ذلك ، لأنه ليس بسبب لما ذكر ، فقال ابن عطية قوله أن الساعة ليس بسبب لما ذكر ، ولكن المعنى أن الأمر مرتبط بعضه ببعض ، أو على تقدير والأمر أن الساعة وهذان الجوابان اللذان ذكر ابن عطية ضعيفان : أما قوله إن الأمر مرتبط بعضه ببعض فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف ، والعطف لا يصح ، وأما قوله على تقدير الأمر أن الساعة . فذلك استئناف

ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن
فِى ٱلْقُبُورِ * وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ
لِّلْعَبِيدِ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ
خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ * يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ * يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى

وقطع للكلام الأول ، ولاشك أن المقصود من الكلام الأول : هو إثبات الساعة فكيف يجعل ذكرها مقطوعا مما قبله ، والذى يظهر لى أن الباء ليست بسببية ، وإنما يقدر لها فعل تتعلق به ويقتضيه المعنى ؛ وذلك أن يكون التقدير ذلك الذى تقدم من خلقة الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو الحق ، وأنه يحيى الموتى ، وبأن الساعة آتية فيصح عطف وأن الساعة على ما قبله بهذا التقدير ، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله ذلك مما استدل عليها بخلقة الإنسان والنبات (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فيمن نزلت فيه الأولى وقيل فى الأخنس بن شريق (ثانى عطفه) كناية عن المتكبر المعرض (له فى الدنيا خزى) إن كانت فى النضر بن الحارث : فالخزى أسره ثم قتله، وكذلك قتل أبى جهل (ذلك بما قدمت يداك) أى يقال له ذلك بما فعلت وبعدل الله ، لأنه لا يظلم العباد (من يعبد الله على حرف) نزلت فى قوم من الأعراب كان أحدهم اذا أسلم فاتفق له مايعجبه فى ماله وولده قال هذا دين حسن ، وإن اتفق له خلاف ذلك تشاءم به وارتد عن الإسلام ، فالحرف هنا كناية عن المقصد ، وأصله من الانحراف عن الشىء ، أو من الحرف بمعنى الطرف أى أنه فى طرف من الدين لا فى وسطه (خسر الدنيا والآخرة) خسارة الدنيا بما جرى عليه فيها ، وخسارة الآخرة بارتداده وسوء اعتقاده (مالا يضره) يعنى الأصنام ويدعو بمعنى يعبد فى الموضعين (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) فيها إشكالان : الأول فى المعنى وهو كونه وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع ، ثم وصفها بأن ضرها أقرب من نفعها فنفى الضر ثم أثبته، فالجواب أن الضر المنفى أولا يراد به مايكون من فعلها وهى لا تفعل شيئا ، والضر الثانى يراد به مايكون بسببها من العذاب وغيره ، والاشكال الثانى دخول اللام على من وهى فى الظاهر مفعول واللام لا تدخل على المفعول ، وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه : أحدها أن اللام مقدمة على موضعها ، كأن الأصل أن يقال يدعو من لضره أقرب من نفعه ، فموضعها الدخول على المبتدإ ، والثانى أن يدعو هنا كرر تأكيدا ليدعو الأول وتم الكلام عنده ، ثم ابتدأ قوله لمن ضره ، فمن مبتدأ وخبره لبئس المولى، وثالثها أن معنى يدعو يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى مضرة الأصنام فدخلت اللام على مبتدإ فى أول الكلام (المولى) هنا بمعنى الولى (العشير) الصاحب فهو من العشيرة (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية : لما ذكر أن

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ * وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي

الأصنام لا تنفع من عبدها ، قابل ذلك بأن الله ينفع من عبده بأعظم النفع ، وهو دخول الجنة (فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع) السبب هنا الحبل ، والسماء هنا سقف البيت وشبهه من الأشياء التى تعلق منها الحبال ، والقطع هنا يراد به الاختناق بالحبل ، يقال قطع الرجل إذا اختنق ، ويحتمل أن يراد به قطع الرجل من الأرض بعد ربط الحبل فى العنق ، وربطه فى السقف ، والمراد بالاختناق هنا ما يفعله من اشتد غيظه وحسرته أو طمعا فيما لا يصل إليه ، كقوله للحسود : مت كمدا ، أو اختنق ؛ فإنك لا تقدر على غير ذلك ، وفى معنى الآية قولان الأول أن الضمير فى ينصره لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والمعنى على هذا من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمدا فليختنق بحبل ، فإن الله ناصره ولا بد على غيظ الكفار ، فوجب الاختناق هو الغيظ من نصرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والقول الثانى أن الضمير فى ينصره عائد على من ، والمعنى على هذا من ظن بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله : فليختنق وليمت بغيظه ، فإنه لا يقدر على غير ذلك ، فوجب الاختناق على هذا القنوط والسخط من القضاء وسوء الظن بالله حتى ييأس من نصره ، ولذلك فسر بعضهم أن لن ينصره الله بمعنى أن لن يرزقه ، وهذا القول أرجح من الأول لوجهين : أحدهما أن هذا القول مناسب لمن يعبد الله على حرف ، لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنط حتى ظن أن الله لن ينصره ، فيكون هذا الكلام متصلا بما قبله : ويدل على ذلك قوله قبل هذه الآية : إن الله يفعل ما يريد : أى الأمور بيد الله فلا ينبغى لأحد أن يتسخط من قضاء الله ولا ينقلب إذا أصابته فتنة ، والوجه الثانى ، أن الضمير فى ينصره على هذا القول يعود على ما تقدمه وأما على القول الأول فلا يعود على مذكور قبله لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يذكر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه ولا يدل سياق الكلام عليه دلالة ظاهرة (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) الكيد هنا يراد به اختناقه ، وسمى كيدا لأنه وضعه موضع الكيد ، إذ هو غاية حيلته ، والمعنى إذا خنق نفسه فلينظر هل يذهب ذلك ما يغيظه من الأمر ، أى ليس يذهبه (وكذلك أنزلناه) الضمير للقرآن أى مثل هذا أنزلنا القرآن كله (آيات بينات وأن الله يهدى من يريد) قال ابن عطية أن فى موضع خبر الابتداء والتقدير الأمر أن الله ، وهذا ضعيف ، لأن فيه تكلف إضمار وقطع للكلام عن المعنى الذى قبله ، وقال الزمخشرى التقدير لأن الله يهدى من يريد أنزلناه كذلك آيات بينات ، فجعل أن تعليلا للإنزال ، وهذا ضعيف للفصل بينهما بالواو والصحيح عندى أن قوله وأن الله معطوف على آيات بينات ، لأنه مقدر بالمصدر ، فالتقدير أنزلناه آيات بينات وهدى لمن أراد الله أن يهديه (والصابئين) ذكر فى البقرة ، وكذلك الذين هادوا (والمجوس) هم الذين يعبدون النار ، ويقولون : إن الخير من النور والشر من الظلمة (والذين أشركوا) هم الذين يعبدون الأصنام من العرب وغيرهم (إن الله يفصل بينهم) هذه الجملة هى خبر إن الذين آمنوا والذين هادوا الآية ، وكررت مع الخبر للتأكيد ، وفصل الله بينهم بأن يبين لهم أن الإيمان هو الحق ، وسائر الأديان باطلة ، وبأن

Marfat.com

السَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا
فِى رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۝ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِى بُطُونِهِمْ
وَالْجُلُودُ ۝ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝
إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ

يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار (يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض) دخل فى هذا من فى السموات من الملائكة ومن فى الأرض من الملائكة والجن ولم يدخل الناس فى ذلك لأنه ذكرهم فى آخر الآية ، إلاأن يكون ذكرهم فى آخرها على وجه التجريد ، وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف لأنه لايصح فى حق الشمس والقمر وماذكر بعدهما ، وإنما المراد به الانقياد ثم إن الانقياد يكون على وجهين أحدهما الانقياد لطاعة الله طوعا ، والآخر الانقياد لما يجرى الله على المخلوقات فى أفعاله وتدبيره شاؤا أو أبوا (وكثير من الناس) إن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لطاعة الله ، فيكون كثير من الناس معطوفا على ما قبله من الأشياء التى تسجد ويكون قوله وكثير حق عليه العذاب مستأنفا يراد به من لا ينقاد للطاعة ويوقف على قوله وكثير من الناس ، وهذا القول هو الصحيح ؛ وإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاء الله وتدبيره فلايصح تفضيل الناس على ذلك إلى من يسجد ومن لايسجد لأن جميعهم يسجد بذلك المعنى ، وقيل إن قوله وكثير من الناس معطوف على ما قبله ثم عطف عليه كثير حق عليه العذاب فالجميع على هذا يسجد وهذا ضعيف لأن قوله حق عليه العذاب يقتضى ظاهره أنه إنما حق عليه العذاب بتركه للسجود ، وتأوله الزمخشرى على هذا المعنى ، بأن إعراب كثير من الناس فاعل بفعل مضمر تقديره يسجد سجود طاعة أو مرفوع بالابتداء وخبره محذوف تقديره مثاب وهذا تكلف بعيد (هذان خصمان) الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم ويدل على ذلك ماذكر قبلها من اختلاف الناس فى أديانهم ، وهو قول ابن عباس ، وقيل نزلت فى على ابن أبى طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فالآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات ، والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة ، والمراد به هنا الجماعة ؛ والإشارة بهذان إلى الفريقين (اختصموا فى ربهم) أى فى دينه وفى صفاته والضمير فى اختصموا لجماعة الفريقين (فالذين كفروا) الآية : حكم بين الفريقين بأن جعل للكفار النار وللمؤمنين الجنة المذكورة بعد هذا (قطعت لهم ثياب من نار) أى فصلت على قدر أجسادهم ، وهو مستعار من تفصيل الثياب (الحميم) الماء الحار (يصهر به مافى بطونهم) أى يذاب ، وذلك أن الحميم إذا صب على رؤسهم وصل حره إلى بطونهم فأذاب ما فيها ، وقيل معنى يصهر ينضج (مقامع) جمع مقمعة أى مقرعة (من حديد) يضربون بها ، وقيل هى السياط (من غم) بدل من المجرور قبله (وذوقوا) التقدير يقال لهم ذوقوا (من أساور من ذهب) من لبيان الجنس أو للتبعيض وفسرنا الأساور فى الكهف (ولؤلؤا)

Marfat.com

وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝

بالنصب مفعول بفعل مضمر أى يعطون لؤلؤا ، أو معطوف على موضع من أساور إذ هو مفعول ، وبالخفض معطوف على أساور أو على ذهب (الطيب من القول) قيل هو لا إله إلا الله ، واللفظ أعم من ذلك (صراط الحميد) أى صراط الله ، فالحميد اسم الله ، ويحتمل أن يريد الصراط الحميد ، وأضاف الصفة إلى الموصوف كقولك مسجد الجامع (إن الذين كفروا) خبره محذوف يدل عليه قوله نذقه من عذاب أليم ، وقيل الخبر يصدون على زيادة الواو ، وهذا ضعيف ، وإنما قال يصدون بلفظ المضارع ليدل على الاستمرار على الفعل (سواء) بالرفع مبتدأ وخبره مقدر والجملة فى موضع المفعول الثانى لجعلنا ، وقرئ بالنصب على أنه المفعول الثانى والعاكف فاعل به (العاكف فيه والباد) العاكف المقيم فى البلد والبادى القادم عليه من غيره والمعنى أن الناس سواء فى المسجد الحرام لا يختص به أحد دون أحد وذلك إجماع ، وقال أبو حنيفة حكم سائر مكة فى ذلك كالمسجد الحرام ، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء ، وليس لأحد فيها ملك ، والمراد عنده بالمسجد الحرام جميع مكة ، وقال مالك وغيره ليست الدور فى ذلك كالمسجد ، بل هى متملكة (بإلحاد بظلم) الإلحاد الميل عن الصواب ، والظلم هنا عام فى المعاصى من الكفر إلى الصغائر ، لأن الذنوب فى مكة أشد منها فى غيرها ، وقيل هو استحلال الحرام ومفعول يرد محذوف تقديره من يرد أحداً أو من يرد شيئاً ، وبإلحاد بظلم : حالان مترادفان ، وقيل المفعول قوله بإلحاد على زيادة الباء (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت العامل فى إذ مضمر تقديره اذكر وبوأنا أصله من باء بمعنى رجع ، ثم ضوعف ليتعدى ، واستعمل بمعنى أنزلنا فى الموضع كقوله تبوئ المؤمنين ، إلا أن هذا المعنى يشكل هنا لقوله لإبراهيم لتعدى الفعل باللام ، وهو يتعدى بنفسه حتى قيل اللام زائدة ، وقيل معناه هيأنا ، وقيل جعلنا ، والبيت هنا الكعبة ، وروى أنه كان آدم يعبد الله فيه ، ثم درس بالطوفان ، فدل الله إبراهيم عليه السلام على مكانه ، وأمره ببنيانه (أن لا تشرك) أن مفسرة ، والخطاب لإبراهيم عليه السلام ، وإنما فسرت تبوئة البيت بالنهى عن الإشراك ، والأمر بالتطهير ، لأن التبوئة إنما قصدت لأجل العبادة التى تقتضى ذلك (طهرا بيتى) عام فى التطهير من الكفر والمعاصى والأنجاس وغير ذلك (والقائمين) يعنى المصلين (وأذن فى الناس بالحج) خطاب لإبراهيم ، وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والأول هو الصحيح ، روى أنه لما أمر بالأذان بالحج : صعد على جبل أبى قبيس ، ونادى : أيها الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت فحجوا ، فسمعه كل من يحج إلى يوم القيامة وهم فى أصلاب آبائهم وأجابه فى ذلك الوقت كل شىء من جماد وغيره . لبيك اللهم لبيك ، فجرت التلبية على ذلك (يأتوك رجالا) جمع راجل أى ماشيا على رجليه (وعلى كل ضامر) الضامر يراد به كل ما يركب من فرس وناقة وغير ذلك وإنما وصفه بالضمور لأنه لا يصل إلى البيت إلا بعد ضموره ، وقوله وعلى كل ضامر حال معطوف على حال كأنه قال رجالا وركبانا ، واستدل

Marfat.com

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۝ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۝ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي

بعضهم بتقديم الرجال فى الآية على أن المشى إلى الحج أفضل من الركوب ، واستدل بعضهم بسقوط ذكر البحر بهذه الآية ، على أنه يسقط فرض الحج على من يحتاج إلى ركوب البحر (يأتين) صفة لكل ضامر ، لأنه فى معنى الجمع (من كل فج عميق) أى طريق بعيد (منافع لهم) أى بالتجارة ، وقيل أعمال الحج وثوابه ، واللفظ أعم من ذلك (ويذكروا اسم الله) يعنى التسمية عند ذبح البهائم ونحرها وفى الهدايا والضحايا، وقيل يعنى الذكر على الإطلاق ، وإنما قال اسم الله ، لأن الذكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء (فى أيام معلومات) هى عند مالك يوم النحر وثانيه وثالثه خاصة لأن هذه هى أيام الضحايا عنده ، ولم يجز ذبحها بالليل لقوله فى أيام وقيل الأيام المعلومات عشر ذى الحجة ويوم النحر والثلاثة بعده ، وقيل عشر ذى الحجة خاصة ، وأما الأيام المعدودات فهى الثلاثة بعد يوم النحر ، فيوم النحر من المعلومات لا من المعدودات واليومان بعده من المعلومات والمعدودات ورابع النحر من المعدودات لا من المعلومات (فكلوا منها) ندب أو إباحة ويستحب أن يأكل الأقل من الضحايا ويتصدق بالأكثر (البائس) الذى أصابه البؤس وقيل هو المتكفف وقيل الذى يظهر عليه أثر الجوع (ثم ليقضوا تفثهم) التفث فى اللغة الوسخ فالمعنى ليقضوا إزالة تفثهم بقص الأظفار والاستحداد وسائر خصال الفطرة والتنظف بعد أن يحلوا من الحج ، وقيل التفث أعمال الحج ، وقرئ بكسر اللام وإسكانها ، وهى لام الأمر وكذلك وليوفوا وليطوفوا (وليطوفوا) المراد هنا طواف الإفاضة عند جميع المفسرين وهو الطواف الواجب (بالبيت العتيق) أى القديم ، لأنه أول بيت وضع للناس وقيل العتيق الكريم ، كقولهم : فرس عتيق ، وقيل أعتق من الجبابرة أى منع منهم ، وقيل العتيق هو الذى لم يملكه أحد قط (ذلك) هنا وفى الموضع الثانى مرفوع على تقدير الأمر ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه ، ثم يقول هذا وقد كان كذا ، وأجاز بعضهم الوقف على قوله ذلك فى ثلاثة مواضع من هذه السورة وهى هذا و« ذلك ومن يعظم شعائر الله » و« ذلك ومن يشرك بالله » ، لأنها جملة مستقلة أو هو خبر ابتداء مضمر ، والأحسن وصلها بما بعدها عند شيخنا أبى جعفر بن الزبير ، لأن ما بعدها ليس كلاما أجنبيا ، ومثلها « ذلك ومن عاقب » و« ذلكم فذوقوه » فى الأنفال ، و« هذا وإن للطاغين » فى ص (حرمات الله) جمع حرمة ، وهو ما لا يحل هتكه من جميع الشريعة ، فيحتمل أن يكون هنا على العموم ، أو يكون خاصا بما يتعلق بالحج لأن الآية فيه (فهو خير له) أى التعظيم للحرمات خير (إلا ما يتلى عليكم) يعنى ما حرمه فى غير هذا الموضع كالميتة (الرجس من الأوثان) من لبيان الجنس كأنه قال الرجس الذى هو الأوثان ، والمراد النهى عن عبادتها أو عن الذبح تقربا إليها كما كانت العرب تفعل (قول الزور) أى الكذب ، وقيل شهادة الزور (فكأنما خر من السماء) الآية ، تمثيل للمشرك بمن أهلك نفسه أشد الهلاك (سحيق) أى بعيد (شعائر الله) قيل هى الهدايا

Marfat.com

به الريح فى مكان سحيق * ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب * لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق * ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين * الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها

فى الحج وتعظيمها بأن تختار سمانا عظاما غالية الأثمان ، وقيل مواضع الحج كعرفات ومنى والمزدلفة ، وتعظيمها إجلالها وتوقيرها والقصد اليها ، وقيل الشعائر أمور الدين على الإطلاق وتعظيمها القيام بها وإجلالها (فإنها من تقوى القلوب) الضمير عائد على الفعلة التى يتضمنها الكلام وهى مصدر يعظم ، وقال الزمخشرى : التقدير : فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب ، فحذفت هذه المضافات (لكم فيها منافع) من قال إن شعائر الله هى الهدايا ، فالمنافع بها شرب لبنها وركوبها لمن اضطر إليها ، والأجل المسمى نحرها . ومن قال إن شعائر الله مواضع الحج ، فالمنافع التجارة فيها أو الأجر ، والأجل المسمى : الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة (ثم محلها إلى البيت العتيق) من قال إن شعائر الله الهدايا فحلها موضع نحرها وهى منى ومكة ، وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم وهو المقصود بالهدى ، وثم على هذا القول ليست للترتيب فى الزمان لأن محلها قبل نحرها ، وإنما هى لترتيب الجمل ، ومن قال إن الشعائر مواضع الحج ، فحلها مأخوذ من إحلال المحرم : أى آخر ذلك كله الطواف بالبيت يعنى طواف الإفاضة إذ به يحل المحرم من إحرامه ومن قال إن الشعائر أمور الدين على الاطلاق فذلك لا يستقيم مع قوله محلها إلى البيت (ولكل أمة جعلنا منسكا) أى لكل أمة مؤمنة ، والمنسك اسم مكان أى موضعها لعباداتهم ، ويحتمل أن يكون اسم مصدر بمعنى عبادة ، والمراد بذلك الذبائح لقوله «ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام» بخلاف ما يفعله الكفار من الذبح تقربا إلى الأصنام (فإلهكم إله واحد) فى وجه اتصاله بما قبله وجهان : أحدهما أنه لما ذكر الأمم المتقدمة خاطبها بقوله فإلهكم إله واحد أى هو الذى شرع المناسك لكم ولمن تقدم قبلكم ، والثانى أنه إشارة إلى الذبائح أى إلهكم إله واحد فلا تذبحوا تقربا لغيره (المخبتين) الخاشعين وقيل المتواضعين ، وقيل نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وكذلك قوله بعد ذلك وبشر المحسنين واللفظ فيهما أعم من ذلك (وجلت) خافت (والبدن) جمع بدنة ، وهو ما أشعر من الإبل ، واختلف هل يقال للبقرة بدنة ، وانتصابه بفعل مضمر (من شعائر الله) واحدها شعيرة ، ومن للتبعيض ، واستدل بذلك من قال إن شعائر الله المذكورة أو على العموم فى أمور الدين (لكم فيها خير) قيل الخير هنا المنافع المذكورة قبل ، وقيل الثواب ، والصواب العموم فى خير الدنيا والآخرة (صواف) معناه قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن ، وهى منصوبة على الحال من الضمير المجرور ، ووزنه فواعل ، وواحده صافة (وجبت جنوبها) أى سقطت إلى الأرض عند موتها ، يقال وجب

Marfat.com

لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ

الحائط وغيره إذا سقط (القانع) معناه السائل ، وهو من قولك قنع الرجل بفتح النون : إذا سأل ، وقيل معناه المتعفف عن السؤال ، فهو على هذا من قولك قنع بالكسر إذا رضى بالقليل (والمعترّ) المعترض بغير سؤال ، ووزنه مفتعل ، يقال اعتررت بالقوم إذا تعرّضت لهم ، فالمعنى أطعموا من سأل ومن لم يسأل ممن تعرض بلسان حاله ، وأطعموا من تعفف عن السؤال بالكلية ، ومن تعرض للعطاء (كذلك سخرناها لكم) أى كما أمرناكم بهذا كله سخرناها لكم ، وقال الزمخشرى التقدير مثل التخيير الذى علمتم سخرناها لكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) المعنى لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء ، وإنما تصلون إليه بالتقوى أى بالإخلاص لله ، وقصد وجه الله بما تذبحون وتنحرون من الهدايا ، فعبر عن هذا المعنى بلفظ ينال مبالغة وتأكيداً ، لأنه قال لن تصل لحومها ولا دماؤها إلى الله ، وإنما تصل بالتقوى منكم ، فإن ذلك هو الذى طلب منكم ، وعليه يحصل لكم الثواب ، وقيل كان أهل الجاهلية يضرجون البيت بالدماء فأراد المسلمون فعل ذلك فنهوا عنه ونزلت الآية (كذلك سخرها لكم) كرر للتأكيد (لتكبروا الله) قيل يعنى قول الذابح بسم الله والله أكبر ، واللفظ أعم من ذلك (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) كان الكفار يؤذون المؤمنين بمكة ، فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرهم وأذاهم . وحذف مفعول يدافع ليكون أعظم وأعم ، وقرئ يدافع بالألف ، ويدفع بسكون الدال من غير الألف ، وهما بمعنى واحد أجريت فاعل مجرى فعل من قولك عاقبة الأمر ، وقال الزمخشرى : يدافع : معناه يبالغ فى الدفع عنهم ، لأنه للمبالغة ، وفعل المغالبة أقوى (إن الله لا يحب كل خوان كفور) الخوان مبالغة فى خائن ، والكفور مبالغة فى كافر ، قال الزمخشرى هذه الآية علة لما قبلها (أذن للذين يقاتلون) هذه أول آية نزلت فى الإذن فى القتال ، ونسخت الموادعة مع الكفار ، وكان نزولها عند الهجرة ، وقرئ أذن بضم الهمزة على البناء لما لم يسم فاعله ، وبالفتح على البناء للفاعل وهو الله تعالى ، والمعنى أذن لهم فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه ، وقرئ يقاتلون بفتح التاء وكسرها (بأنهم ظلموا) أى بسبب أنهم ظلموا (الذين أخرجوا من ديارهم) يعنى الصحابة فإن الكفار آذوهم وأضروا بهم حتى اضطروهم إلى الخروج من مكة ، فمنهم من هاجر إلى أرض الحبشة ، ومنهم من هاجر إلى المدينة ونسب الإخراج إلى الكفار لأن الكلام فى معرض إلزامهم الذنب ووصفهم بالظلم (إلا أن يقولوا ربنا الله) قال ابن عطية هو استثناء منقطع لا يجوز فيه البدل عند سيبويه ، وقال الزمخشرى أن يقولوا : فى محل الجر على الابدال من حق (ولولا دفع الله الناس) الآية تقوية للإذن فى القتال وإظهار للمصلحة التى فيه كأنه يقول لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين ، وقيل المعنى : لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة ، والأول أليق بسياق الآية ، وقرئ دفاع بالألف مصدر دافع ،

يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ * وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ

وبغير ألف مصدر دفع (لهدمت) قرئ بالتخفيف والتشديد للمبالغة (صوامع) جمع صومعة بفتح الميم وهى موضع العبادة وكانت للصابئين ولرهبان النصارى ، ثم سمى بها فى الإسلام موضع الأذان ، والبيع جمع بيعة بكسر الباء وهى كنائس النصارى والصلوات كنائس اليهود ، وقيل هى مشتركة لكل أمة ، والمراد بها مواضع الصلوات ، والمساجد للمسلمين ، فالمعنى لولا دفع الله لاستولى الكفار على أهل الملل المتقدمة فى أزمانهم ، ولاستولى المشركون على هذه الأمة فهدموا مواضع عباداتهم (يذكر فيها اسم الله) الضمير لجميع ماتقدم من المتعبدات ، وقيل للمساجد خاصة (ولينصرن الله من ينصره) أى من ينصر دينه وأولياءه ، وهو وعد تضمن الحض على القتال (الذين إن مكناهم) الآية : قيل يعنى أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل الصحابة ، وقيل الخلفاء الأربعة لأنهم الذين مكنوا فى الأرض بالخلافة ففعلوا ماوصفهم الله به (وإن يكذبوك) الآية ضمير الفاعل لقريش ، والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم على وجه التسلية له والوعيد لهم (نكير) مصدر بمعنى الإنكار (على عروشها) العروش السقف فإن تعلق الجار بخاوية : فالمعنى أن العروش سقطت ثم سقطت الحيطان عليها فهى فوقها ، وإن كان الجار والمجرور فى موضع الحال : فالمعنى أنها خاوية مع بقاء عروشها (بئر معطلة) أى لايستقى الماء منها لهلاك أهلها ، وروى أن هذه البئر هى الرس ، وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود ، والأظهر أنه لم يرد التعيين ، لقوله «كأين من قرية» ، وهذا اللفظ يراد به التكثير (وقصر مشيد) أى مبنى بالشيد وهو الجص ، وقيل المشيد المرفوع البنيان (قلوب يعقلون) دليل على أن العقل فى القلب خلافا للفلاسفة فى قولهم العقل فى الدماغ (فإنها لاتعمى الأبصار) أى لاتعمى الأبصار عمى يعتد به ، وإنما العمى الذى يعتد به عمى القلوب ، وإن هؤلاء القوم ماعميت أبصارهم ولكن عميت قلوبهم ، فالمعنى الأول لقصد المبالغة ، والثانى خاص بهؤلاء القوم (التى فى الصدور) مبالغة كقوله يقولون بأفواههم (ويستعجلونك بالعذاب) الضمير لكفار قريش (ولن يخلف الله وعده) إخبار يتضمن الوعيد بالعذاب ، وسماه وعدا ؛ لأن المراد به مفهوم (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) المعنى أن يوما من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا ، ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف

Marfat.com

أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ۝ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ الْجَحِيمِ ۝ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى الشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَـٰتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّـٰلِمِينَ لَفِى

يوم وذلك خمسمائة سنة وقيل المعنى إن يوما واحدا من أيام العذاب كألف سنة لطول العذاب فإن أيام البؤس طويلة ، وإن كانت فى الحقيقة قصيرة ، وفى كل واحد من الوجهين تهديد للذين استعجلوا العذاب ، إلا أن الأول أرجح ، لأن الألف سنة فيه حقيقة ، وقيل إن اليوم المذكور فى الآية هو يوم من الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض (وكأين من قرية) ذكر أولا القرى التى أهلكها بغير إملاء ، وذكر هنا التى أهلكها بعد الإملاء ، والإملاء هو الإمهال مع إرادة المعاقبة فيما بعد ، وعطف هذه الجملة بالواو على الجمل المعطوفة قبلها بالواو ، وقال فى الأولى فكأين لأنه بدل من قوله فكيف كان نكير (سعوا فى آياتنا) أى سعوا فيها بالطعن عليها ، وهو من قولك سعى فى الأمر إذا جد فيه لقصد إصلاحه أو إفساده (معاجزين) بالألف : أى مغالبين ، لأنهم قصدوا عجز صاحب الآيات ، والآيات تقتضى عجزهم ، فصارت مفاعلة ، وقرئ بالتشديد من غير ألف ومعناه أنهم يعجزون الناس عن الإسلام أى يثبطونهم عنه (من رسول ولا نبى) النبى أعم من الرسول فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا ، فقدم الرسول لمناسبته لقوله أرسلنا وأخر النبى لتحصيل العموم ، لأنه لو اقتصر على رسول لم يدخل فى ذلك من كان نبيا غير رسول (إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته) سبب هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ سورة والنجم بالمسجد الحرام بحضر المشركين والمسلمين فلما بلغ إلى قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان ، تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى ، فسمع ذلك المشركون ففرحوا به وقالوا هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد واختلف فى كيفية إلقاء الشيطان ، فقيل إن الشيطان هو الذى تكلم بذلك ، وظن الناس أن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم هو المتكلم به لأنه قرب صوته من صوت النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى التبس الأمر على المشركين وقيل إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى تكلم بذلك على وجه الخطأ والسهو ؛ لأن الشيطان ألقاه ووسوس فى قلبه حتى خرجت تلك الكلمة على لسانه من غير قصد ، والقول الثانى أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة ، والقول الأول أرجح ، لأن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم معصوم فى التبليغ ، فمعنى الآية أن كل نبى وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان ، واختلف فى معنى تمنى وأمنيته فى هذه الآية فقيل تمنى بمعنى تلا ، والأمنية : التلاوة : أى إذا قرأ الكتاب ألقى الشيطان من عنده فى تلاوته ، وقيل هو من التمنى بمعنى حب الشىء ، وهذا المعنى أشهر فى اللفظ : أى تمنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم مقاربة قومه واستئلافهم ، وألقى الشيطان ذلك فى هذه الأمنية ليعجبهم ذلك (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يبطله كقولك نسخت الشمس الظل (ليجعل) متعلق بقوله ينسخ ويحكم (للذين فى قلوبهم مرض) أى أهل الشك (والقاسية

شقاق بعيد ۝ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين ءامنوا إلى صراط مستقيم ۝ ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ۝ الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين ءامنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم ❋ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين ۝ والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ❋ ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم ۝ ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور ۝ ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وأن الله سميع بصير ۝ ذلك بأن الله هو الحق وأن مايدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير ۝ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير ۝ له مافى

قلوبهم) المكذبون ، وقيل الذين فى قلوبهم مرض عامة الكفار ، والقاسية قلوبهم أشد كفرا وعتوا كأبى جهل (وإن الظالمين لفى شقاق بعيد) يعنى بالظالمين المذكورين قبل ، ولكنه جعل الظاهر موضع المضمر ، ليقضى عليهم بالظلم ، والشقاق : العداوة ، ووصفه ببعيد ، لأنه فى غاية الضلال والبعد عن الخير (الذين أوتوا العلم) قيل يعنى الصحابة ، واللفظ أعم من ذلك (أنه الحق) الضمير عائد على القرآن ، وقال الزمخشرى هو لتمكين الشيطان من الإلقاء (فتخبت) أى تخشع (فى مرية منه) الضمير للقرآن ، أو للنبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أو الإلقاء (يوم عقيم) يعنى يوم بدر ، ووصفه بالعقيم لأنه لا ليلة لهم بعده ولا يوم ، لأنهم يقتلون فيه ، وقيل هو يوم القيامة ، والساعة مقدماته ، ويقوى ذلك قوله : الملك يومئذ لله ، ثم قسم الناس إلى قسمين : أصحاب الجحيم وأصحاب النعيم (قتلوا أوماتوا) روى أن قوما قالوا يارسول الله قد علمنا ما أعطى الله لمن قتل من الخيرات ، فما لمن مات معك ، فنزلت الآية معلمة أن الله يرزق من قتل ومن مات معا ، ولا يقتضى ذلك المساواة بينهم لأن تفضيل الشهداء ثابت (رزقا حسنا) يحتمل أن يريد به الرزق فى الجنة بعد يوم القيامة ، أو رزق الشهداء فى البرزخ ، والأول أرجح ، لأنه يعم الشهداء والموتى (مدخلا) يعنى الجنة (ذلك) تقديره هنا : الأمر ذلك كما يقول الكاتب هذا وقد كان كذا إذا أراد أن يخرج إلى حديث آخر (ومن عاقب بمثل ماعوقب به) سمى الابتداء عقوبة باسم الجزاء عليها تجوزا كما تسمى العقوبة أيضا باسم الذنب ووعد بالنصر لمن بغى عليه (إن الله لعفو غفور) إن قيل مامناسبة هذين الوصفين للمعاقبة ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أن فى ذكر هذين الوصفين إشعار بأن العفو أفضل من العقوبة ، فكأنه حض على العفو ، والثانى أن فى ذكرهما إعلاما بعفو الله عن المعاقب حين عاقب ، ولم يأخذ بالعفو الذى هو أولى (ذلك بأن الله يولج الليل) أى ذلك النصر بسبب أن الله قادر ، ومن آيات قدرته أنه يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل ، ومعنى الإيلاج هنا أنه يدخل ظلمة هذا فى مكان ضوء هذا ، ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا ، وقيل الإيلاج هو ما ينقص من أحدهما ويزيد فى الآخر (ذلك بأن الله هو الحق) أى ذلك الوصف الذى وصف الله به هو

Marfat.com

السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَهُوَ الَّذِى أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ۝ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ

بسبب أنه الحق (فتصبح الأرض مخضرة) تصبح هنا بمعنى تصير، وفهم بعضهم أنه أراد صبيحة ليلة المطر، فقال لا تصبح الأرض مخضرة إلا بمكة، والبلاد الحارة، وأما على معنى تصير فذلك عام فى كل بلد، والفاء للعطف، وليست بجواب، ولو كانت جوابا لقوله ألم تر لنصبت الفعل، وكان المعنى نفى خضرتها وذلك خلاف المقصود، وإنما قال تصبح بلفظ المضارعة ليفيد بقاءها كذلك مدة (سخر لكم ما فى الأرض) يعنى البهائم والثمار والمعادن وغير ذلك (أن تقع) فى موضع مفعول على تقدير عن أن تقع، وقال الزمخشرى كراهة أن تقع فهو مفعول من أجله (إلا بإذنه) يحتمل أن يريد يوم القيامة، فجعل طى السماء كوقوعها أو يريد بإذنه لو شاء متى شاء (أحياكم) أى أوجدكم بعد العدم، وعبر عن ذلك بالحياة لأن الإنسان قبل ذلك تراب فهو جماد بلا روح، ثم أحياه بنفخ الروح (ثم يميتكم) بعنى الموت المعروف (ثم يحييكم) يعنى البعث (لكفور) أى جحود للنعمة (منسكا) هو اسم مصدر لقوله ناسكوه ولو كان اسم مكان لقال ناسكون فيه (فلا ينازعنك) ضمير الفاعل للكفار، والمعنى: أنه لا ينبغى منازعة النبى صلى الله عليه وسلم، لأن الحق قد ظهر بحيث لا يسع النزاع فيه، فجاء الفعل بلفظ النهى والمراد غير النهى، وقيل إن المعنى لا تنازعهم فينازعوك فحذف الأول لدلالة الثانى عليه، ويحتمل أن يكون نهيا لهم عن المنازعة على ظاهر اللفظ (فى الأمر) أى فى الدين والشريعة أو فى الذبائح (وادع إلى ربك) أى ادع الناس إلى عبادة ربك (وإن جادلوك) الآية: تقتضى موادعة منسوخة بالقتال (إن ذلك فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ، والإشارة بذلك إلى معلومات الله (إن ذلك على الله يسير) يحتمل أن تكون الإشارة بذلك إلى كتب المعلومات فى الكتاب، أو إلى الحكم فى الاختلاف والأول أظهر (ما لم ينزل به سلطانا) يعنى الأصنام؛ والسلطان هنا: الحجة والبرهان، وما ليس لهم به علم: قيل إنه يعنى ما ليس لهم به علم ضرورى، فنفى أولا البرهان النظرى، ثم العلم الضرورى، وليس اللفظ بظاهر فى هذا المعنى بل الأحسن نفى العلم الضرورى والنظرى معا (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) أى الإنكار لما يسمعون فالمنكر مصدر: كالمكرم بمعنى الإكرام ويعرف ذلك فى وجوههم بعبوسها وإعراضها (يسطون) من السطوة

Marfat.com

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَاقَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ يَعْلَمُ مَابَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ

وهى سرعة البطش (النار وعدها الله) يحتمل أن تكون النار مبتدأ ، ووعدها الله خبرا أو يكون النار خبرا بتداء مضمر كأن قائلا قال ماهو ، فقيل هو النار ، ويكون وعدها الله استئنافا وهذا أظهر (ضرب مثل) أى ضربه الله لإقامة الحجة على المشركين (لن يخلقوا ذبابا) تنبيه بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأحرى والمعنى أن الأصنام التى تعبدونها لا تقدر على خلق الذباب ولا غيره ، فكيف تعبد من دون الله الذى خلق كل شىء ، ثم أوضح عجزهم بقوله (ولو اجتمعوا له) أى لو تعاونوا على خلق الذباب لم يقدروا عليه (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) بيان أيضا لعجز الأصنام بحيث لو اختطف الذباب منهم شيئا لم يقدروا على استنقاذه منه على حال ضعفه ، وقد قيل إن المراد بما يسلب الذباب منهم الطيب الذى كانت تجعله العرب على الأصنام واللفظ أعم من ذلك (ضعف الطالب والمطلوب) المراد بالطالب الأصنام وبالمطلوب الذباب لأن الأصنام تطلب من الذباب ما سلبته منها . وقيل الطالب الكفار والمطلوب الأصنام . لأن الكفار يطلبون الخير منهم (وماقدروا الله حق قدره) أى ماعظموه حق تعظيمه (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر (اركعوا واسجدوا) فى هذه الآية سجدة عند الشافعى وغيره للحديث الصحيح الوارد فى ذلك خلافا للمالكية (واعبدوا ربكم) عموم فى العبادة بعد ذكر الصلاة التى عبر عنها بالركوع والسجود ، وإنما قدمها لأنها أهم العبادات (وافعلوا الخير) قيل المراد صلة الرحم ، وقال ابن عطية هى فى الندب فيما عدا الواجبات ، واللفظ أعم من ذلك كله (وجاهدوا فى الله) يحتمل أن يريد جهاد الكفار ، أو جهاد النفس والشيطان أو الهوى ، أو العموم فى ذلك (حق جهاده) قيل إنه منسوخ كنسخ حق تقاته بقوله ما استطعتم ، وفى ذلك نظر ، وإنما أضاف الجهاد إلى الله ليبين بذلك فضله واختصاصه بالله (اجتباكم) أى اختاركم من بين الأمم (من حرج) أى مشقة ، وأصل الحرج الضيق (ملة أبيكم إبراهيم) انتصب ملة بفعل مضمر تقديره أعنى بالدين ملة إبراهيم ، أو التزموا ملة إبراهيم وقال الفراء انتصب على تقدير حذف الكاف كأنه قال كملة ، وقال الزمخشرى انتصب بمضمون ما تقدم : كأنه قال وسع عليكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم ، ثم حذف المضاف ، فإن قيل : لم يكن إبراهيم أبا للمسلمين كلهم ، فالجواب : أنه أبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبا لأمته لأن أمة الرسول فى حكم أولاده ، ولذلك قريش وأزواجه أمهاتهم ، وهو أب لهم . وأيضا فإن قريشا وأكثر العرب من ذرية إبراهيم ، وهم أكثر الأمة فاعتبرهم دون غيرهم (هو سماكم) الضمير لله تعالى ومعنى من قبل فى الكتب المتقدمة ، وفى هذا أى فى القرآن ، وقيل الضمير لإبراهيم والإشارة إلى

شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝

سورة المؤمنون

مكية وآياتها ١١٨ نزلت بعد الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ

قوله : ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، ومعنى من قبل على هذا : من قبل وجودكم ، وهنا يتم الكلام على هذا القول ويكون قوله «وفى هذا» مستأنفا : أى وفى هذا البلاغ ، والقول الأول أرجح وأقل تكلفا ، ويدل عليه قراءة أبيّ بن كعب : الله سماكم المسلمين (شهيدا عليكم) تقدم معنى هذه الشهادة فى البقرة (فأقيموا الصلاة) الظاهر أنها المكتوبة لاقترانها مع الزكاة (هو مولاكم) معناه هنا وليكم وناصركم بدلالة ما بعد ذلك

سورة المؤمنون

(الذين هم فى صلاتهم خاشعون) الخشوع حالة فى القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولى جل جلاله ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرع وقد عدّ بعض الفقهاء الخشوع فى فرائض الصلاة ، لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها ، وقد جاء فى الحديث لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها ، والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب ، فقد يحضر القلب ولا يخشع (عن اللغو معرضون) اللغو هنا الساقط من الكلام كالسب واللهو ، والكلام بما لا يعنى ، وتعدد أنواع المنهى عنه من الكلام عشرون نوعا ، ومعنى الإعراض عنه : عدم الاستماع إليه والدخول فيه ، ويحتمل أن يريد أنهم لا يتكلمون به ، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضى ذلك من باب أولى وأحرى (للزكاة فاعلون) أى مؤدون ، فإن قيل : لم قال فاعلون ولم يقل مؤدون ؟ فالجواب : أن الزكاة لها معنيان أحدهما الفعل الذى يفعله المزكى أى أداء ما يجب على المال ، والآخر المقدار المخرج من المال كقولك هذه زكاة مالى ، والمراد هنا الفعل لقوله «فاعلون» ويصح المعنى الآخر على حذف تقديره هم لأداء الزكاة فاعلون (على أزواجهم) هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله غير ملومين أى لا يلامون على أزواجهم ويمكن أن يتعلق بقوله حافظون على أن يكون على بمعنى عن (أو ما ملكت أيمانهم) يعنى النساء المملوكات ، قال الزمخشرى إنما قال «ما ملكت» ولم يقل «من» لأن الإناث يجرين مجرى غير العقلاء (وراء ذلك) يعنى ما سوى الزوجات والمملوكات (لأماناتهم وعهدهم) يحتمل أن يريد أمانة الناس وعهدهم وأمانة الله وعهده فى دينه أو العموم ، والأمانة أعم من العهد

Marfat.com

رَٰعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَـٰئِكَ هُمُ الْوَٰرِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا الْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَـٰلِقِينَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ۝ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ

لأنها قد تكون بعهد وبغير عهد متقدم (راعون) أى حافظون لها قائمون بها (على صلواتهم يحافظون) المحافظة عليها هي فعلها في أوقاتها مع توفية شروطها ، فإن قيل: كيف كرر ذكر الصلوات أولا وآخرا؟ فالجواب: أنه ليس بتكرار ، لأنه قد ذكر أولا الخشوع فيها وذكر هنا المحافظة عليها ، فهما مختلفان ، وأضاف الصلاة فى الموضعين إليهم دلالة على ثبوت فعلهم لها (الوارثون) أى المستحقون للجنة ، فالميراث استعارة . وقيل إن الله جعل لكل إنسان مسكنا فى الجنة ومسكنا فى النار . فيرث المؤمنون مساكن الكفار فى الجنة (الفردوس) مدينة الجنة وهى جنة الأعناب ، وأعاد الضمير عليها مؤنثا على معنى الجنة (ولقد خلقنا الإنسان) اختلف هل يعنى آدم ، أو جنس بنى آدم (من سلالة من طين) السلالة : هى ما يسل من الشيء : أى ما يستخرج منه ، ولذلك قيل إنها الخلاصة ، والمراد بها هنا القطعة التى أخذت من الطين وخلق منها آدم ، فإن أراد بالإنسان آدم : فالمعنى أنه خلق من تلك السلالة المأخوذة من الطين . ولكن قوله بعد هذا (ثم جعلناه نطفة) لابد أن يراد به بنو آدم ، فيكون الضمير يعود على غير من ذكر أولا ، ولكن يفسره سياق الكلام ، وإن أراد بالإنسان ابن آدم فيستقيم عود الضمير عليه ، ويكون معنى خلقه من سلالة من طين : أى خلق أصله وهو أبوه آدم ويحتمل عندى أن يراد بالإنسان الجنس الذى يعمّ آدم وذريته ، فأجمل ذكر الإنسان أولا ثم فصله بعد ذلك إلى الخلقة المختصة بآدم : وهى من طين ، وإلى الخلقة المختصة بذريته . وهى النطفة، فإن قيل : ما الفرق بين من ومن ؟ فالجواب على ما قال الزمخشرى : أن الأولى للابتداء ، والثانية للبيان . كقوله من الأوثان (فى قرار مكين) يعنى رحم الأم ، ومعنى مكين : متمكن وذلك فى الحقيقة من صفة النطفة المستقرة ، لا من صفة المحل المستقر فيه ، ولكنه كقولك طريق سائر : أى يسير الناس فيه ، وقد تقدم تفسير النطفة والمضغة والعلقة فى أول الحج (خلقا آخر) قيل هو نفخ الروح فيه ، وقيل خروجه إلى الدنيا ، وقيل استواء الشباب وقيل على العموم من نفخ الروح فيه إلى موته (فتبارك الله) هو مشتق من البركة ، وقيل معناه تقدس (أحسن الخالقين) أى أحسن الخالقين خلقا ، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه ، وفسر بعضهم الخالقين بالمقدرين فرارا من وصف المخلوق بأنه خالق ، ولا يجب أن ينفى عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع كقوله « وإذ تخلق من الطين » ، وإنما الذى يجب أن ينفى عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم ، فهذا هو الذى انفرد الله به (سبع طرائق) يعنى السموات . وسماها طرائق لأن بعضها طورق فوق بعض كمطارقة النعل ، وقيل يعنى الأفلاك لأنها طرق للكواكب (وما كنا عن الخلق غافلين) يحتمل أن يريد بالخلق المخلوقين أو المصدر

بِهِ لَقَـٰدِرُونَ ۞ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ۞ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ۞ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ۞ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۞ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۞ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۞ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ

(ماء بقدر) يعنى المطر الذى ينزل من السماء فتكون منه العيون والأنهار فى الأرض، وقيل يعنى أربعة أنهار وهى النيل، والفرات، ودجلة، وسيحان، ولا دليل على هذا التخصيص، ومعنى بقدر: بمقدار معلوم لا يزيد عليه ولا ينقص منه (وشجرة تخرج من طور سيناء) يعنى الزيتون، وإنما خص النخيل والأعناب والزيتون بالذكر: لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع، وطور سيناء جبل بالشام وهو الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام وينسب الزيتون إليه لأنها فيه كثيرة وسيناء اسم جبل أضافه إليه كقوله: جبل أحد، وقرئ بفتح السين ولم ينصرف للتأنيث اللازم، وقرئ بالكسر، ولم ينصرف للعجمة أو للتأنيث مع التعريف، لأن فعلاء بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث، وقيل معناه مبارك، وقيل ذو شجرة، ويلزم على ذلك صرفه (تنبت بالدهن) يعنى الزيت، وقرئ تنبت بفتح التاء، فالمجرور على هذا فى موضع الحال. كقولك جاء زيد بسلاحه، وقرئ بضم التاء وكسر الباء، وفيه ثلاثة أوجه: الأول أن أنبت بمعنى نبت والثانى حذف المفعول تقديره تنبت ثمرتها بالدهن والثالث زيادة الباء (وصبغ للآكلين) الصبغ الغمس فى الإدام (فى الأنعام) هى الإبل والبقر والغنم والمقصود بالذكر الإبل، لقوله «وعليها وعلى الفلك تحملون» وقد تقدم فى النحل ذكر المنافع التى فيها وتذكيرها وتأنيثها (ماهذا إلا بشر) استبعدوا أن تكون النبوة لبشر؛ فياعجباً منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر (يريد أن يتفضل) أى يطلب الفضل والرياسة عليكم (ماسمعنا بهذا) أى بمثل مادعاهم إليه من عبادة الله، أو بمثل الكلام الذى قال لهم، وهذا يدل على أنه كان قبل نوح فترة طويلة (به جنة) أى جنون. فانظر اختلاف قولهم فيه: فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة، وتارة إلى الجنون (حتى حين) أى إلى وقت لم يعينوه، ولكن أرادوا وقت زوال جنونه على قولهم، أو وقت موته (انصرنى بما كذبون) تضمن هذا دعاء عليهم، لأن نصرته إنما هى بإهلاكهم وقد تقدم فى هود تفسير بأعيننا ووحينا، وفار التنور، ولاتخاطبنى (اسلك فيها)

وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۞ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۞ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۞ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ۞ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۞ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۞ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ۞ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ۞ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ

أى أدخل فيها ، وقد تقدم تفسير زوجين اثنين (وإن كنا لمبتلين) إن مخففة من الثقيلة ، ومبتلين : اسم فاعل من ابتلى ، ويحتمل أن يكون بمعنى الاختبار ، أو إنزال البلاء (قرنا آخرين) قيل إنهم عاد ورسولهم هود ، لأنهم الذين يلون قوم نوح ، وقيل إنهم ثمود ورسولهم صالح ، وهذا أصح لقوله:فأخذتهم الصيحة ، وثمود هم الذين أهلكوا بالصيحة،وأما عاد فأهلكوا بالريح (من قومه) قدم هذا المجرور على قوله الذين كفروا لئلا يوهم أنه متصل بقوله الحياة الدنيا بخلاف قوله : قال الملأ الذين كفروا من قومه في غير هذا الموضع (أترفناهم) أى نعمناهم (بشر مثلكم) يحتمل أنهم قالوا ذلك لإنكارهم أن يكون نبيّ من البشر ، أو قالوه أنفة من اتباع بشر مثلهم ، وكذلك قال قوم نوح (أيعدكم) استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد (أنكم مخرجون) كرر أن تأكيداً للأولى ؛ ومخرجون خبر عن الأولى (هيهات هيهات لما توعدون) هذا من حكاية كلامهم ، وهيهات اسم فعل بمعنى بعد ، وقال الغزنوى هى للتأسف والتأوه ، ويجوز فيه الفتح والضم والكسر والإسكان ، وتارة يجىء فاعله دون لام كقوله ، فهيهات هيهات العقيق وأهله ، وتارة يجىء باللام كهذه الآية،قال الزجاج فى تفسيره: البعد لما توعدون ، فنزله منزلة المصدر ، قال الزمخشرى : وفيه وجه آخر وهى أن تكون اللام لبيان المستبعد ماهو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام فى هيت لك لبيان المهيت به (إن هى إلا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة إلا حياتنا الدنيا،فوضع هى موضع الحياة لدلالة الخبر عليها (نموت ونحيا) أى يموت بعض ويولد بعض ، فينقرض قرن ويحدث قرن آخر ومرادهم إنكارهم البعث (عما قليل) ما زائدة،وقيل صفة للزمان والتقدير عن زمان قليل يندمون (فجعلناهم غثاء) يعنى هالكين كالغثاء والغثاء مايحمله السيل من الورق وغيره مما يبلى ويسود ، فشبه به الهالكين (فبعدا) مصدر وضع موضع الفعل بمعنى بعدوا: أى هلكوا،والعامل فيه مضمر لايظهر (تترا) مصدر ووزنه فعلى،ومعناه التواتر والتتابع،وهو موضوع موضع الحال: أى متواترين واحداً بعد واحد،فمن قرأه بالتنوين : فألفه للإلحاق،ومن قرأه بغير تنوين : فألفه للتأنيث فلم ينصرف ، وتأنيثه لأن الرسل جماعة والتاء الأولى فيه بدل من واو هى فاء الكلمة

فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ
فَٱسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۝ فَقَالُوٓا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ۝ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا
مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ
إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ
هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝ فَتَقَطَّعُوٓا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝
فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ * أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ *
إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝

(وجعلناهم أحاديث) أى يتحدث الناس بما جرى عليهم ويحتمل أن يكون جمع حديث أو جمع أحدوثة ، وهذا أليق لأنها تقال فى الشر (قوما عالين) أى متكبرين (وقومهما لنا عابدون) أى خادمون متذللون (لعلهم يهتدون) الضمير لبنى إسرائيل لا لقوم فرعون، لأنهم هلكوا قبل إنزال التوراة (وآويناهما إلى ربوة) الربوة الموضع المرتفع من الأرض ، ويجوز فيها فتح الراء وضمها وكسرها ، واختلف فى موضع هذه الربوة ، فقيل بيت المقدس ، وقيل بغوطة دمشق ، وقيل بفلسطين (ذات قرار ومعين) القرار المستوى من الأرض فمعناه أنها بسيطة يمكن فيها الحرث والغراسة ، وقيل إن القرار هنا الثمار والحبوب ، والمعين الماء الجارى ، فقيل إنه مشتق من قولك معن الماء إذا كثر ، فالميم على هذا أصلية ، ووزنه فعيل ، وقيل إنه مشتق من العين ، فالميم زائدة ، ووزنه مفعول (ياأيها الرسل) هذا النداء ليس على ظاهره ، لأن الرسل كانوا فى أزمنة متفرقة ، وإنما المعنى أن كل رسول فى زمانه خوطب بذلك ، وقيل الخطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأقامه مقام الجماعة وهذا بعيد (كلوا من الطيبات) أى من الحلال ، فالأمر على هذا للوجوب ، أو من المستلذات فالأمر للإباحة (وأن هذه أمتكم أمة واحدة) قرئ إن بالكسر على الاستئناف وبالفتح على معنى لأن ، وهى متعلقة بقوله آخرا « فاتقون » وقيل تتعلق بفعل مضمر تقديره واعلموا ، والأمة هنا الدين ، وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره (فتقطعوا أمرهم) أى افترقوا واختلفوا ، والضمير لأمم الرسل المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم (زبرا) جمع زبور : وهو الكتاب ، والمعنى أنهم افترقوا فى اتباع الكتب ، فاتبعت طائفة التوراة ، وطائفة الإنجيل ، وغير ذلك ، ووضعوا كتابا من عند أنفسهم (فذرهم فى غمرتهم) الضمير لقريش ، والغمرة الجهل والضلال ، وأصلها من غمرة الماء (حتى حين) هنا يوم بدر أو يوم موتهم (أيحسبون) الآية : رد عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خير لهم وأنهم سبب لرضا الله عنهم (نسارع لهم) هذا خبر أن ، والضمير الرابط محذوف تقديره نسارع به (بل لا يشعرون) أى لا يشعرون أن ذلك استدراج لهم ، ففيه معنى التهديد (يؤتون ما آتوا) قيل معناه يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل إنه عام فى جميع أفعال البر أى يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۞ أُولَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۞ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ۞ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ۞ لَا تَجْـَٔرُوا ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۞ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۞ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ۞ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا

وقد روت عائشة هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إلا أنها قرأت يؤتون ما أتوا بالقصر ، فيحتمل أن يكون الحديث تفسيراً لهذه القراءة ، وقيل إنه عام فى الحسنات والسيئات : أى يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله (أنهم إلى ربهم راجعون) أن فى موضع المفعول من أجله ، أو فى موضع المفعول بوجلت ، إذ هى فى معنى خائفة (أولئك يسارعون فى الخيرات) فيه معنيان : أحدهما أنهم يبادرون إلى فعل الطاعات ، والآخر أنهم يتعجلون ثواب الخيرات ، وهذا مطابق للآية المتقدمة ، لأنه أثبت فيهم مانفى عن الكفار من المسارعة (وهم لها سابقون) فيه المعنيان المذكوران فى يسارعون للخيرات ، وقيل معناه سبقت لهم السعادة فى الأزل (لا نكلف نفسا إلا وسعها) يعنى أن هذا الذى وصف به الصالحون غير خارج عن الوسع والطاقة ، وقد تقدم الكلام على تكليف ما لا يطاق فى البقرة (ولدينا كتاب) يعنى صحائف الأعمال ، فى الكلام تهديد وتأمين من الظلم والحيف (فى غمرة من هذا) أى فى غفلة من الدين بجملته ومن القرآن ، وقيل من الكتاب المذكور ، وقيل من الأعمال التى وصف بها المؤمنون (ولهم أعمال من دون ذلك) أى لهم أعمال سيئة دون الغمرة التى هم فيها ، فالمعنى أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال ، والإشارة بذلك على هذا إلى الغمرة ، وإنما أشار إليها بالتأكيد لأنها فى معنى الكفر ، وقيل الإشارة إلى قوله من هذا : أى لهم أعمال سيئة غير المشار إليه حسبما اختلف فيه (هم لها عاملون) قيل هى إخبار عن أعمالهم فى الحال ، وقيل عن الاستقبال ، وقيل المعنى أنهم يتمادون على عملها حتى يأخذهم الله فحمل ، حتى إذا أخذنا مترفيهم ، غاية لقوله عاملون (مترفيهم) أى أغنياؤهم وكبراؤهم (إذا هم يجأرون) أى يستغيثون ويصيحون ، فإن أراد بالعذاب قتل المترفين يوم بدر : فالضمير فى يجأرون لسائر قريش : أى صاحوا وناحوا على القتلى ، وإن أراد بالعذاب شدائد الدنيا أو عذاب الآخرة : فالضمير لجميعهم (لا تجأروا اليوم) تقديره يقال لهم يوم العذاب لا تجأروا ويحتمل أن يكون هذا القول حقيقة ، وأن يكون بلسان الحال ولفظه نهى ، ومعناه : أن الجؤار لا ينفعهم (على أعقابكم تنكصون) أى ترجعون إلى وراء وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات وهى القرآن (مستكبرين به) قيل إن الضمير عائد على المسجد الحرام وقيل إنه على الحرم وإن لم يذكر ؛ ولكنه يفهم من سياق الكلام والمعنى أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام لأنهم أهله وولاته ، وقيل إنه عائد على القرآن من حيث ذكرت الآيات ، والمعنى على هذا أن القرآن يحدث لهم عتوا وتكبرا ، وقيل إنه يعود على النبى صلى الله عليه وسلم وهو على هذا متعلق بسامراً (سامراً) مشتق من السمر وهو الجلوس بالليل للحديث ، وكانت قريش تجتمع بالليل فى المسجد فيتحدثون وكان أكثر حديثهم سب النبى صلى الله عليه وسلم ، وسامر امفرد بمعنى الجمع ، وهو منصوب

Marfat.com

رَسُولَهُم فَهُم لَهُ مُنكِرُونَ * أَم يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَل جَآءَهُم بِالحَقِّ وَأَكثَرُهُم لِلحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهوَاءَهُم لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرضُ وَمَن فِيهِنَّ بَل أَتَينَاهُم بِذِكرِهِم فَهُم عَن ذِكرِهِم مُعرِضُونَ * أَم تَسأَلُهُم خَرجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيرٌ وَهُوَ خَيرُ الرَّازِقِينَ * وَإِنَّكَ لَتَدعُوهُم إِلَى صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ * وَلَو رَحِمنَاهُم وَكَشَفنَا مَا بِهِم مِن ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغيَانِهِم يَعمَهُونَ * وَلَقَد أَخَذنَاهُم بِالعَذَابِ فَمَا استَكَانُوا لِرَبِّهِم وَمَا يَتَضَرَّعُونَ * حَتَّى إِذَا فَتَحنَا عَلَيهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ

على الحال فمن جعل الضمير فى به للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فالمعنى أنهم سامرون بذكره وسبه (تهجرون) من قرأ بضم التاء وكسر الجيم فمعناه تقولون الهجر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام ، ومن قرأ بفتح التاء وضم الجيم فهو من الهجر بفتح الهاء أى تهجرون الإسلام ، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، أو من قولك هجر المريض إذا هذى أى تقولون اللغو من القول (أفلم يدبروا القول) يعنى القرآن ، وهذا توبيخ لهم (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) معناه أن النبوة ليست ببدع فينكرونها بل قد جاءت آباؤهم الأولين فقد كانت النبوة لنوح وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم (أم لم يعرفوا رسولهم) المعنى أم لم يعرفوا محمداً صلى الله عليه وسلم ويعلموا أنه أشرفهم حسبا وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأرجحهم عقلا ، فكيف ينسبونه إلى الكذب أو إلى الجنون ، أو غير ذلك من النقائص ، مع أنه جاءهم بالحق الذى لا يخفى على كل ذى عقل سليم ، وأنه عين الصواب (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض) الاتباع هنا استعارة ، والحق هنا يراد به الصواب والأمر المستقيم ، فالمعنى لو كان الأمر على ما تقتضى أهواؤهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السموات والأرض كقوله «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» وقيل إن الحق فى الآية هو الله تعالى ، وهذا بعيد فى المعنى ، وإنما حمله عليه أن جعل الاتباع حقيقة ولم يفهم فيه الاستعارة ، وإنما الحق هنا هو المذكور فى قوله «بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون» (بل أتيناهم بذكرهم) يحتمل أن يكون بتذكيرهم ووعظهم أو بفخرهم وشرفهم وهذا أظهر (أم تسألهم خرجا) الخرج هو الأجرة ويقال فيه خراج والمعنى واحد ، وقرئ بالوجهين فى الموضعين فهو كقوله أم تسألهم أى لست تسألهم أجرا فيثقل عليهم اتباعك (فخراج ربك خير) أى رزق ربك خير من أموالهم فهو يرزقك ويغنيك عنهم (عن الصراط لناكبون) أى عادلون ومعرضون عن الصراط المستقيم (ولو رحمناهم) الآية : قال الأكثرون : نزلت هذه الآية حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش بالقحط فنالهم الجوع حتى أكلوا الجلود وغيرها ، فالمعنى رحمناهم بالخصب وكشفنا ما بهم من ضر الجوع والقحط : لتمادوا على طغيانهم ، وفى هذا عندى نظر ، فإن الآية مكية باتفاق ، وإنما دعا النبى صلى الله عليه وسلم على قريش بعد الهجرة حسبما ورد فى الحديث ، وقيل المعنى لو رحمناهم بالرد إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه ، وهذا القول لا يلزم عليه الزم على الآخر ، ولكنه خرج عن معنى الآية (ولقد أخذناهم بالعذاب) قيل إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط وأن الباب ذا العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا يوم بدر ، وهذا مردود بأن العذاب الذى أصابهم إنما كان بعد بدر ، وقيل إن العذاب الذى أخذهم هو يوم بدر ، والباب المتوعد به هو القحط ، وقيل الباب ذو العذاب الشديد: عذاب الآخرة ، وهذا أرجح ، ولذلك وصفه بالشدة لأنه أشد من عذاب الدنيا، وقال : إذا هم فيه مبلسون : أى

شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ * وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ * بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا

يائسون من الخير، وإنما يقع لهم اليأس فى الآخرة كقوله «ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون» (فما استكانوا) أى ما تذللوا لله عز وجل، وقد تقدم الكلام على هذه الكلمة فى آخر آل عمران (وما يتضرعون) إن قيل: هلا قال فما استكانوا وما تضرعوا، أو فما يستكينون وما يتضرعون باتفاق الفعلين فى الماضى أو فى الاستقبال؟ فالجواب: أن ما استكانوا عند العذاب الذى أصابهم، وما يتضرعون حتى يفتح عليهم باب عذاب شديد فنفى الاستكانة فيما مضى، ونفى التضرع فى الحال والاستقبال (قليلا ما تشكرون) ما زائدة، وقليلا صفة لمصدر محذوف تقديره شكرا قليلا تشكرون، وذكر السمع والبصر والأفئدة ـ وهى القلوب ـ لعظم المنافع التى فيها فيجب شكر خالقها ومن شكره: توحيده واتباع رسوله عليه الصلاة والسلام، ففى ذكرها تعديد نعمة وإقامة حجة (ذرأكم فى الأرض) أى نشركم فيها (وله اختلاف الليل والنهار) أى هو فاعله ومختص به فاللام على هذا للاختصاص، وقد ذكر فى البقرة معنى اختلاف الليل والنهار (بل قالوا مثل ما قال الأولون) أى قالت قريش مثل قول الأمم المتقدمة، ثم فسر قولهم بإنكارهم البعث، وإليه الإشارة بقولهم: لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا، وقد ذكر الاستفهامان فى الرعد، وأساطير الأولين فى الأنعام (قل لمن الأرض ومن فيها) هذه الآيات توقيف لهم على أمور لا يمكنهم الإقرار بها، وإذا أقروا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة (سيقولون لله) قرئ فى الأول لله باللام بإجماع، جوابا لقوله لمن الأرض، وكذلك قرأ الجمهور الثانى والثالث، وذلك على المعنى لأن قوله من رب السموات فى معنى لمن هى، وقرأ أبو عمرو الثانى والثالث بالرفع على اللفظ (ملكوت) مصدر وفى بنائه مبالغة (يجير ولا يجار عليه) الاجارة المنع من الاهانة، يقال أجرت فلانا على فلان إذا منعته من مضرته وإهانته، فالمعنى أن الله تعالى يغيث من شاء ممن شاء ولا يغيث أحد منه أحدا (فأنى تسحرون) أى تخدعون عن الحق والخادع لهم الشيطان، وذلك تشبيه بالسحر فى التخليط والوقوع فى الباطل، ورتب هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج فقال أولا أفلا تذكرون، ثم قال ثانيا أفلا تتقون، وذلك أبلغ، لأن فيه زيادة تخويف، ثم قال ثالثاً فأنى تسحرون وفيه من التوبيخ ما ليس فى غيره (وإنهم لكاذبون) يعنى فيما ينسبون لله من الشركاء والأولاد ولذلك رد عليهم بنفى ذلك (إذاً لذهب كل إله بما خلق) هذا برهان على

Marfat.com

لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ۞ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ
مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ۞ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۞ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ
ٱلشَّيَٰطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۞ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ
صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ

الوحدانية ، وبيانه أن يقال لو كان مع الله إلها آخر لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر ، واستبد كل واحد منهما بملكه وطلب غاية الآخر والعلو عليه كما ترى حال ملوك الدنيا ولكن لما رأينا جميع المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض حتى كأن العالم كله كرة واحدة : علمنا أن مالكه ومدبره واحد ، لا إله غيره وليس هذا البرهان بدليل التمانع كما فهم ابن عطية وغيره ، بل هو دليل آخر ، فإن قيل : إذ لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب ، فكيف دخلت هنا ولم يتقدم قبلها شرط ولا سؤال سائل ؟ فالجواب : أن الشرط محذوف تقديره لو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله ، وهو جواب للكفار الذين وقع الرد عليهم (عالم الغيب) بالرفع خبر ابتداء ، وبالخفض صفة لله (قل رب إما تريني ما يوعدون) الآية : معناه أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظالمين إن قضى أن يرى ذلك ، وفيها تهديد للظالمين وهم الكفار ، وإن شرطية وما زائدة ، وجواب الشرط فلا تجعلني ، وكرر قوله رب مبالغة في الدعاء والتضرع (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) قيل التي هي أحسن لا إله إلا الله ، والسيئة الشرك ، والأظهر أنه أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق وهو محكم غير منسوخ ، وإنما نسخ ما يقتضيه من مسالمة الكفار (من همزات الشياطين) يعني نزغاته ووساوسه ، وقيل يعني الجنون ، واللفظ أعم من ذلك (أن يحضرون) معناه أن يكونوا معه ، وقيل يعني حضورهم عند الموت (حتى إذا جاء أحدهم الموت) قال ابن عطية : حتى هنا حرف ابتداء : أي ليست غاية لما قبلها ، وقال الزمخشري حتى تتعلق بيصفون : أي لا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت (قال رب ارجعون) يعني الرجوع إلى الدنيا ، وخاطب به مخاطبة الجماعة للتعظيم ، قال ذلك الزمخشري وغيره . ومثله قول الشاعر ۞ ألا فارحمون يا آل محمد ۞ وقيل إنه نادى ربه ثم خاطب الملائكة (فيما تركت) قيل يعني فيما تركت من المال ، وقيل فيما تركت من الإيمان فهو كقوله : أو كسبت في إيمانها خيرا ، والمعنى أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا ليؤمن ويعمل صالحا في الإيمان الذي تركه أول مرة (كلا) ردع له عما طلب (إنها كلمة هو قائلها) يعني قوله ۞ رب ارجعون لعلي أعمل صالحا ، فسمى هذا الكلام كلمة وفي تأويل معناه ثلاثة أقوال : أحدها أن يقول هذه الكلمة لا محالة لإفراط ندمه وحسرته فهو إخبار بقوله ، والثاني أن المعنى أنها كلمة يقولها ولا تنفعه ولا تغني عنه شيئا ، والثالث أن يكون المعنى أنه يقولها كاذبا فيها ، ولو رجع إلى الدنيا لم يعمل صالحا (ومن ورائهم) أي فيما يستقبلون من الزمان والضمير للجماعة المذكورين في قوله جاء أحدهم (برزخ) يعني المدة التي بين الموت والقيامة ، وهي تحول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وأصل البرزخ الحاجز بين شيئين (فلا أنساب بينهم) المعنى أنه ينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التي بين القرابة لاشتغال كل أحد بنفسه

Marfat.com

أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُ
فَأُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ۞ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ۞ أَلَمْ تَكُنْ
ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۞ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ * رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا
مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ۞ قَالَ اخْسَـُٔوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۞ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا
فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۞
إِنِّى جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ * قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا
أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ الْعَآدِّينَ ۞ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا
وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَـٰلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۞ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ
إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَـٰفِرُونَ ۞ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ
خَيْرُ الرَّٰحِمِينَ ۞

كقوله (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) فتكون الأنساب كأنها معدومة (ولا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل أحد بنفسه ، فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » فالجواب أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى ثم يتساءلون بعد ذلك فإن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف كثيرة (تلفح وجوههم النار) أى تصيبهم بالإحراق (كالحون) الكلوح انكشاف الشفتين عن الأسنان ، وكثيرا ما يجرى ذلك للكلاب ، وقد يجرى للكباش إذا شويت رؤسها ، وفى الحديث إن شفة الكافر ترتفع فى النار حتى تبلغ وسط رأسه ، وفى ذلك عذاب وتشويه (غلبت علينا شقوتنا) أى ما قدر عليهم من الشقاء . وقرئ شقاوتنا ، والمعنى واحد (قال اخسؤا) كلمة تستعمل فى زجر الكلاب ، ففيها إهانة وإبعاد (ولا تكلمون) أى لا تكلمون فى رفع العذاب فحينئذ ييأسون من ذلك ، أعاذنا الله من ذلك برحمته (سخريا) بضم السين من السخرة بمعنى التخديم ، وبالكسر من السخر بمعنى الاستهزاء ، وقد يقال هذا بالضم ، وقرئ هنا بالوجهين لاحتمال المعنيين ، على أن معنى الاستهزاء هنا أليق لقوله « وكنتم منهم تضحكون » (كم لبثتم فى الأرض) يعنى فى جوف الأرض أمواتا ، وقيل أحياء فى الدنيا ، فأجابوا بأنهم لبثوا يوما أو بعض يوم لاستقصارهم المدة أو لما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدون شيئا (فاسأل العادين) أى اسئل من يقدر على أن يعد ، وهو من عوفى مما ابتلوا به أو يعنون الملائكة (إن لبثتم إلا قليلا) معناه أنه قليل بالنسبة إلى بقائهم فى جهنم خالدين أبدا (عبثا) أى باطلا ، والمعنى إقامة حجة على الحشر للثواب والعقاب (لا برهان له به) أى لا حجة ولا دليل ، والجملة صفة لقوله إلها آخر ، وجواب الشرط (فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) الضمير للأمر والشأن ، وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين وختمها بعدم فلاح الكافرين ، ليبين البون بين الفريقين والله أعلم

Marfat.com

سورة النور

مدنيه وآياتها ٦٤ نزلت بعد الحشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ

سورة النور

(سورة أنزلناها) السورة خبر ابتداء مضمر ، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره فيما أنزل عليكم سورة ، وأنزلناها صفة للسورة ، وفرضناها : أى فرضنا الأحكام التى فيها وقرئ بالتشديد للمبالغة (آيات بينات) يعنى مافيها من المواعظ والأحكام والأمثال ، وقيل معنى بينات هنا ليس فيها مشكل (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الزانية والزانى يراد بهما الجنس ، وقدم الزانية لأن الزنا كان حينئذ فى النساء أكثر ، فإنه كان منهن إماء وبغايا يجاهرن بذلك ، وإعراب الزانى والزانية كإعراب : السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما، وقد ذكر فى المائدة ، وهذه الآية ناسخة بإجماع لما فى سورة النساء من الإمساك فى البيوت فى الآية الواحدة ومن الأذى فى الأخرى ، ثم إن لفظ هذه الآية عند مالك ليس على عمومه ، فإن جلد المائدة إنما هو حد الزانى والزانية إذا كانا مسلمين حرين غير محصنين ، فيخرج منها الكفار ، فيردون إلى أهل دينهم ، ويخرج منها العبد والأمة والمحصن والمحصنة ، فأما العبد والأمة : فحدهما خمسون جلدة سواء كانا محصنين أو غير محصنين ، وأما المحصنان الحران فحدهما الرجم هذا على مذهب مالك ، وأما الكلام على الآية بالنظر إلى سائر المذاهب ، فاعلم أن لفظ هذه الآية ظاهره العموم فى المسلمين والكافرين ، وفى الأحرار والعبيد والإماء ، وفى المحصن وغير المحصن ، ثم إن العلماء خصصوا من هذا العموم أشياء ، منها باتفاق ، ومنها باختلاف ، فأما الكفار فرأى أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدهم جلد مائة أحصنوا أو لم يحصنوا : أخذا بعموم الآية ، ورأى الشافعى أن حدهم كحد المسلمين الجلد إن لم يحصنوا ، والرجم إن أحصنوا أخذاً بالآية ، وبرجم النبى صلى الله عليه وسلم لليهودى واليهودية إذ زنيا ، ورأى مالك أن يردوا إلى أهل دينهم لقوله تعالى : فى سورة النساء « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم » فخص نساء المسلمين على أنها قد نسختها هذه ، ولكن بقيت فى محلها ، وأما العبد والأمة : فرأى أهل الظاهر أن حد الأمة خمسون جلدة لقوله تعالى « فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب » وأن حد العبد الجلد مائة لعموم الآية ، وقال غيرهم يجلد العبد خمسين بالقياس على الأمة ، إذ لا فرق بينهما ، وأما المحصن فقال الجمهور حده الرجم فهو مخصوص فى هذه الآية ، وبعضهم يسمى هذا التخصيص نسخاً ، ثم اختلفوا فى المخصص أو الناسخ ، فقيل الآية التى ارتفع لفظها وبقى حكمها وهى قوله « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » وقيل الناسخ لها السنة الثابتة فى الرجم ، وقال أهل الظاهر وعلى بن أبى طالب : يجلد المحصن بالآية ، ثم يرجم بالسنة فجمعوا عليه الحدين ، ولم يجعلوا الآية منسوخة ، ولا مخصصة ، وقال الخوارج لارجم أصلا فإن الرجم ليس فى كتاب الله ، ولا يعتد بقولهم ، وظاهر الآية الجلد دون تغريب ، وبذلك قال أبو حنيفة ، وقال مالك الجلد والتغريب سنة للحديث ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب

Marfat.com

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن

عام ، ولا تغريب على النساء ولا على العبيد عند مالك ، وصفة الجلد عند مالك فى الظهر والمجلود جالس وقال الشافعى يفرق على جميع الأعضاء والمجلود قائم ، وتستر المرأة بثوب لا يقيها الضرب ، ويجرد الرجل عند مالك وقال قوم يجلد على قميص (ولا تأخذكم بهما رأفة) قيل يعنى فى إسقاط الحد : أى أقيموه ولابد ، وقيل فى خفيف الضرب ، وقيل فى الوجهين . فعلى القول الأول يكون الضرب فى الزنا كالضرب فى القذف غير مبرح ، وهو مذهب مالك والشافعى ، وعلى القول الثانى والثالث يكون الضرب فى الزنا أشد ، واختلف هل يجوز أن يجمع مائة سوط يضرب بها مرة واحدة فمنعه مالك وأجازه أبو حنيفة لما ورد فى قصة أيوب عليه السلام ، وأجازه الشافعى للمريض لورود ذلك فى الحديث (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) المراد بذلك توبيخ الزناة والغلظة عليهم ، واختلف فى أقل ما يجزئ من الطائفة فقيل أربعة اعتباراً بشهادة الزنا وهو قول ابن أبى زيد ، وقيل عشرة ، وقيل اثنين وهو مشهور مذهب مالك ، وقيل واحد (الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة) الآية : معناها ذم الزناة وتشنيع الزنا ، وأنه لا يقع فيه إلا زان أو مشرك ولا يوافقه عليه من النساء إلا زانية أو مشركة ، وينكح على هذا بمعنى يجامع ، وقيل معناها لا يحل لزان أن يتزوج إلا زانية أو مشركة ، ولا يحل لزانية أن تتزوج إلا زانيا أو مشركا ، ثم نسخ هذا الحكم وأبيح لهما التزوج ممن شاؤا ، والأول هو الصحيح (وحرم ذلك على المؤمنين) الإشارة بذلك إلى الزنا أى حرم الزنا على المؤمنين وقيل الاشارة إلى تزوج المؤمن غير الزانى بزانية ، فإن قوما منعوا أن يتزوجها ، وهذا على القول الثانى فى الآية قبلها وهو بعيد ، وأجاز تزويجها مالك وغيره ، وروى عنه كراهته (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) هذا حد القذف وهو الفرية التى عبر الله عنها بالرمى والمحصنات يراد بهن هنا العفائف من النساء ، وخصهن بالذكر لأن قذفهن أكثر وأشنع من قذف الرجال ، ودخل الرجال فى ذلك بالمعنى إذ لا فرق بينهم ، وأجمع العلماء على أن حكم الرجال والنساء هنا واحد ، وقيل إن المعنى يرمون الأنفس المحصنات فيعم اللفظ على هذا النساء والرجال ، ويحتاج هنا إلى الكلام فى القذف والقاذف والمقذوف والشهادة فى ذلك ، فأما القذف فهو الرمى بالزنا اتفاقا . أو بفعل قوم لوط عند مالك والشافعى لعموم لفظ الرمى فى الآية ، خلافا لأبى حنيفة ، أو النفى من النسب ، ومذهب مالك أن التعريض بذلك كله كالتصريح خلافا للشافعى وأبى حنيفة ، وأما القاذف فيحد : سواء كان مسلماً أو كافراً لعموم الآية ، وسواء كان حرا أو عبدا إلا أن العبد والأمة إنما يحدان أربعين عند الجمهور فنصفوا حدهما قياسا على تنصيفه فى الزنا خلافا للظاهرية ، ولا يحد الصبى ولا المجنون لكونهما غير مكلفين ، وأما المقذوف فمذهب مالك أنه يشترط فيه الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والبراءة عما رمى به ، والتمكن من الوطء تحرزا من المجبوب وشبهه ، فلا يحد عنده من قذف صبيا أو كافراً أو مجبوبا أو عبداً ومن لا يمكنه الوطء وقد قيل يحد من قذف واحدا منهم لعموم الآية واتفقوا على اشتراط البراءة مما رمى به وأما الشهادة التى

بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ

تسقط حد القذف ، فهى أن يشهد شاهدان عدلان بأن المقذوف عبدا أو كافرا ويشهد أربعة شهود ذكور عدول على المعاينة لما قذف به كالمرود فى المكحلة ، ويؤدون الشهادة مجتمعين (إلا الذين تابوا) تقدم قبل هذا الاستثناء ثلاثة أحكام ، وهى الحد ورد شهادة القاذف وتفسيقه ، فاتفق على أن الاستثناء راجع إلى التفسيق وأن ذلك يزول عنه بالتوبة ، واتفق على أنه لا يرجع إلى الحد وأنه لا يسقط عنه بالتوبة ، واختلف هل يرجع إلى رد الشهادة أم لا فقال مالك إذا تاب قبلت شهادته ، خلافا لأبى حنيفة ، وتوبته هو صلاح حاله فى دينه وقيل إكذاب نفسه (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) هذه الآية فى قذف الرجل لامرأته فيجب اللعان بذلك ، وسببها أن رجلا قال يارسول الله الرجل يجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع ، فسكت عنه نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم عاد فقال مثل ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفى صاحبتك فأتنى بها فأتى بها فتلاعنا وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وموجب اللعان عند مالك شيئان : أحدهما أن يدعى الزوج أنه رأى امرأته تزنى ، والآخر أن ينفى حملها ويدعى الاستبراء قبله ، فإذا تلاعن الزوج تعلقت به ثلاثة أحكام نفى حد القذف عنه ، وانتفاء نسب الولد ، ووجوب حد الزنا عليها إن لم تلاعن ، فإن تلاعنت سقط الحد عنها ، ولفظ الآية عام فى الزوجات الحرائر والمماليك ، والمسلمات والكافرات والعدول وغيرهم . وبذلك أخذ مالك واشترط فى الزوج الاسلام واشترط أبو حنيفة أن يكونا مسلمين حرين عدلين (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) أى يقول الزوج أربع مرات أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزنى أو أشهد بالله ماهذا الحمل منى ولقد زنت وإنى فى ذلك لمن الصادقين ، ثم يقول فى الخامسة لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، وزاد أشهب أن يقول أشهد بالله الذى لا إله إلا هو ، وانتصب أربع شهادات بالله على المصدرية ، والعامل فيه شهادة أحدهم وقرئ بالرفع وهو خبر شهادة أحدهم ، وقوله بالله وإنه لمن الصادقين من صلة أربع شهادات أو من صلة شهادة أحدهم (والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) قرئ بنصب الخامسة هنا وفى الموضع الثانى ، وانتصب بفعل مضمر تقديره ويشهد الخامسة ، أو بالعطف على أربع شهادات على قراءة النصب ، وقرئ بالرفع على الابتداء أو عطف على أربع شهادات بقراءة الرفع ، وقرئ أن لعنة ، وأن غضب : بتشديد أن ، ونصب اسمها وتخفيفها ورفع اللعنة والغضب على الابتداء (ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين) العذاب هنا حد الزنا أى يدفعه التعان المرأة ، وهى أن تقول أربع مرات أشهد بالله مازنيت ، وإنه فى ذلك لمن الكاذبين ، ثم تقول فى الخامسة : غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، ويتعلق بالتعانها ثلاثة أحكام : دفع الحد عنها ، والتفريق بينها وبين زوجها ، وتأبيد الحرمة (ولولا فضل الله) جواب لو محذوف هنا

Marfat.com

مِنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ
لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝ لَّوْلَا
جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم

وفى الموضع الآخر تقديره لولا فضل الله عليكم لآخذكم ، أو نحو هذا (إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم) الإفك : أشد الكذب ، ونزلت هذه الآية وما بعدها إلى تمام ستة عشر آية فى شأن سيدتنا عائشة رضى الله عنها وفى براءتها مما رماها به أهل الإفك وذلك أن الله برأ أربعة بأربعة برأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذى ذهب بثوبه وبرأ مريم بكلام ولدها فى حجرها وبرأ عائشة من الإفك بإنزال القرآن فى شأنها ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية القصوى فى الاعتناء بها والكرامة لها والتشديد على من قذفها وقد خرج حديث الإفك البخارى ومسلم وغيرهما ، واختصاره أن عائشة خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المصطلق فضاع لها عقد فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس ، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطل . فرآها فنزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة ، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش ، فقال أهل الإفك فى ذلك ما قالوا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال ما بال رجال رموا أهلى والله ما علمت على أهلى إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا [illegible] وسأل جارية عائشة ، فقالت : والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر . والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين ، ولم يذكر فى الحديث من أهل الإفك إلا أربعة ، وهم عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين ، وحمنة بنت جحش ، ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت ، وقيل إن حسانا لم يكن منهم وارتفاع عصبة لأنه خبر إن ، واختار ابن عطية أن يكون عصبة بدلا من الضمير فى جاؤا ، ويكون الخبر لا تحسبوه شرا لكم على تقدير إن حديث الذين جاؤا بالإفك ، والأول أظهر (بل هو خير لكم) خطاب المسلمين . والخير فى ذلك من خمسة أوجه : تبرئة أم المؤمنين ، وكرامة الله لها بإنزال الوحى فى شأنها ، والأجر الجزيل لها [illegible] عليها ، وموعظة المؤمنين ، والانتقام من المفترين (والذى تولى كبره) هو عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق ، وقيل الذى بدأ بهذه الفرية غير معين والعذاب العظيم هنا يحتمل أن يراد به الحد أو عذاب الآخرة (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) لولا هنا عرض والمعنى أنه كان ينبغى المؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمر على أنفسهم فإن كان ذلك يبعد فى حقهم فهو فى حق عائشة أبعد لفضلها ، وروى أن هذا النظر وقع لأبى أيوب الأنصارى . فقال لزوجته : أكنت أنت تفعلين ذلك . قالت لا والله ، قال فعائشة أفضل منك ؟ قالت نعم ، فإن قيل : لم قال سمعتموه بلفظ الخطاب ، ثم عدل إلى لفظ الغيبة فى قوله ظن المؤمنون ، ولم يقل ظننتم ؟ فالجواب أن ذلك التفات قصد به المبالغة والتصريح بالإيمان الذى يوجب أن لا يصدق المؤمن على المؤمن شرا (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) لولا هنا عرض ، والضمير فى جاؤا لأهل الإفك ، ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء (أفضتم فيه) يقال أفاض فى الحديث وخاض فيه إذا أكثر الكلام فيه (إذ تلقونه بألسنتكم) العامل فى إذ قوله مسكم أو أفضتم ، ومعنى تلقونه : يأخذه بعضكم من بعض ، وفى هذا الكلام وفى الذى قبله وبعده عتاب لهم على خوضهم

Marfat.com

مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ۝ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا

فى حديث الإفك ، وإن كانوا لم يصدقوه ، فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره والترك له بالكلية ، فعاتبهم على ثلاثة أشياء ، وهى : تلقيه بالألسنة : أى السؤال عنه وأخذه من المسؤل والثانى قولهم ذلك ، والثالث أنهم حسبوه هينا وهو عند الله عظيم ، وفائدة قوله بألسنتكم وبأفواهكم الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم (ولولا إذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا) أى كان الواجب أن يبادروا إلى إنكار هذا الحديث أول سماعهم له ، ولولا أيضا فى هذه الآية عرض ، وكان حقها أن يليها الفعل من غير فاصل بينهما ، ولكنه فصل بينهما بقوله إذ سمعتموه لأن الظروف يجوز فيها مالا يجوز فى غيرها ، والقصد بتقديم هذا الظرف الاعتناء به ، وبيان أنه كان الواجب المبادرة إلى إنكار الكلام فى أول وقت سمعتموه ، ومعنى مايكون لنا ماينبغى لنا ولا يحل لنا أن نتكلم بهذا (سبحانك) تنزيه لله عن أن تكون زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ماقال أهل الإفك ، وقال الزمخشرى : هو بمعنى التعجب من عظيم الأمر ، والاستبعاد له ، والأصل فى ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجائب (بهتان عظيم) البهتان أن يقال فى الإنسان ماليس فيه والغيبة أن يقال مافيه (أن تعودوا لمثله) تقديره يعظكم كراهة أن تعودوا لمثله ، ثم عظم الأمر وأكده بقوله إن كنتم مؤمنين (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين أحبوا أن يشيع حديث الإفك ، ثم هو عام فى غيرهم ممن اتصف بصفتهم ، والعذاب فى الدنيا الحد ، وأما عذاب الآخرة ، فقد ورد فى الحديث أن من عوقب فى الدنيا على ذنب لم يعاقب عليه فى الآخرة فأشكل اجتماع الحد مع عذاب الآخرة فى هذا الموضع ، فيحتمل أن يكون القاذف يعذب فى الآخرة ولا يسقط الحد عنه عذاب الآخرة بخلاف سائر الحدود ، أو يكون هذا مختصاً بمن قذف عائشة ، فإنه روى عن ابن عباس أنه قال : من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض فى أمر عائشة أو يكون لمن مات مصراغير تائب ، أو يكون للمنافقين (خطوات الشيطان) ذكر فى البقرة (الفحشاء والمنكر) ذكر فى النحل (زكى) أى تطهر من الذنوب ، وصلح دينه (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى) معنى يأتل يحلف ، فهو من قولك آليت إذا حلفت ، وقيل معناه يقصر فهو من قولك

Marfat.com

وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۝ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝

ألوت أى قصرت ومنه لا يألونكم خبالا، والفضل هنا يحتمل أن يريد به الفضل فى الدين أو الفضل فى المال وهو أن يفضل له عن مقدار ما يكفيه، والسعة هى اتساع المال، ونزلت الآية بسبب أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح لما تكلم فى حديث الإفك وكان ينفق عليه لمسكنته؛ ولأنه قريبه، وكان ابن بنت خالته، فلما نزلت الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان، وكفر عن يمينه. قال بعضهم هذه أرجى آية فى القرآن لأن الله أوصى بالإحسان إلى القاذف، ثم إن لفظ الآية على عمومه فى أن لا يحلف أحد على ترك عمل صالح (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) أى كما تحبون أن يغفر الله لكم كذلك اغفروا أنتم لمن أساء إليكم، ولما نزلت قال أبو بكر رضى الله عنه إنى لأحب أن يغفر الله لى، ثم رد النفقة إلى مسطح (المحصنات الغافلات) معنى المحصنات هنا العفائف ذوات الصون، ومعنى الغافلات السليمات الصدور، فهو من الغفلة عن الشر (لعنوا فى الدنيا والآخرة) هذا الوعيد للقاذفين لعائشة ولذلك لم يذكر فيه توبة، قال ابن عباس كل مذنب تقبل توبته إذا تاب إلا من خاض فى حديث عائشة وقيل الوعيد لكل قاذف، والعذاب العظيم يحتمل أن يريد به الحد أو عذاب الآخرة (يوم تشهد) العامل فيه يوفيهم، وكرر يومئذ توكيدا وقيل العامل فيه عذاب أو فعل مضمر (دينهم الحق) أى جزاؤهم الواجب لهم (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) هذه الآية تدل على أن ماقبلها فى المنافقين، لأن المؤمن قد علم فى الدنيا أن الله هو الحق المبين، ومعنى المبين الظاهر الذى لا شك فيه (الخبيثات للخبيثين) الآية: معناها أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وأن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، ففى ذلك رد على أهل الإفك، لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو أطيب الطيبين فزوجته أطيب الطيبات، وقيل المعنى أن الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس ففيه أيضا رد على أهل الإفك، وقيل معناه أن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس، والإشارة بذلك إلى أهل الإفك: أى أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلا خبيث مثلهم (أولئك مبرؤن مما يقولون) الإشارة بأولئك إلى الطيبين والطيبات والضمير فى يقولون للخبيثات والخبيثين والمراد تبرئة عائشة رضى الله عنها مما رميت به (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) هذه الآية أمر بالاستئذان فى غير بيت الداخل، فيعم بذلك بيوت الأقارب وغيرهم، وقد جاء فى الحديث الأمر بالاستئذان على الأم خيفة أن يراها عريانة، ومعنى تستأنسوا: تستأذنوا وهو مأخوذ من قولك آنست الشىء إذا علمته. فالاستئناس: أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا؟ وقيل هو مأخوذ من الأنس ضد الوحشة؛ وقرأ ابن عباس حتى تستأذنوا. والاستئذان واجب. وأما السلام فلا ينتهى إلى الوجوب، واختلف

Marfat.com

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ * قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ

أيهما يقدم . فقيل يقدم السلام ثم يستأذن فيقول السلام عليكم ، ثم يقول أأدخل ، وقيل يقدم الاستئذان لتقدمه فى الآية ، وليس فى الآية عدد الاستئذان ، وجاء فى الحديث أن يستأذن ثلاث مرات ، وهو تفسير للآية (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم) سبب هذه الآية أنه لما نزلت آية الاستئذان تعمق قوم فكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلمون ويستأذنون ، فأباحت هذه الآية دخولها بغير استئذان ، واختلف فى البيوت غير المسكونة فى هذه الآية ، فقيل هى الفنادق التى فى الطرق ولا يسكنها أحد بل هى موقوفة ليأوى إليها كل ابن سبيل ، والمتاع على هذا التمتع بالنزول فيها والمبيت وغير ذلك ، وقيل هى الخرب التى تدخل للبول والغائط ، والمتاع على هذا حاجة الإنسان ، وقيل هى حوانيت القيسارية والمتاع على هذا الثياب والبسط وشبهها ، وهذا القول خطأ لأن الاستئذان فى الحوانيت واجب بإجماع (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) إعرابها كإعراب يقيموا الصلاة فى إبراهيم ، وقد ذكر ومن أبصارهم للتبعيض ، والمراد غض البصر عما يحرم ، والاقتصار به على ما يحل ، وقيل معنى التبعيض فيه أن النظرة الأولى لا حرج فيها ، ويمنع ما بعدها ، وأجاز الأخفش أن تكون من زائدة ، وقيل هى لابتداء الغاية لأن البصر مفتاح القلب والغض المأمور به هو عن النظر إلى العورة ، أو إلى ما لا يحل من النساء أو إلى كتب الغير وشبه ذلك مما يستر وحفظ الفروج المأمور به : هو عن الزنا ، وقيل أراد ستر العورة ، والأظهر أن الجميع مراد (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) تؤمر المرأة بغض بصرها عن عورة الرجل وعن عورة المرأة إجماعا ، واختلف هل يجب عليها غض بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبى أم لا ، وعن سائر جسد المرأة أم لا ، فعلى القول بذلك تشتمل الآية عليه ، والكلام فى حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) نهى عن إظهار الزينة بالجملة ثم استثنى الظاهر منها ، وهو ما لا بد من النظر إليه عند حركتها أو إصلاح شأنها وشبه ذلك ، فقيل إلا ما ظهر منها يعنى الثياب فعلى هذا يجب ستر جميع جسدها ، وقيل الثياب والوجه والكفان ، وهذا مذهب مالك لأنه أباح كشف وجهها وكفيها فى الصلاة وزاد أبو حنيفة القدمين (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الجيوب هى التى تقول لها العامة أطواق ، وسببها أن النساء كن فى ذلك الزمان يلبسن ثيابا واسعات الجيوب يظهر منها صدورهن ، وكن إذا غطين رؤسهن بالأخمرة سدلنها من وراء الظهر ، فيبقى الصدر والعنق والآذان لا ستر عليها ، فأمرهن الله بلى الأخمرة على الجيوب ليستر جميع ذلك (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن) الآية : المراد بالزينة هنا الباطنة ، فلما

أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ التَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَٰتِ النِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَنكِحُوا الْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّـٰلِحِينَ

ذكر فى الآية قبلها ماأباح أن يراه غير ذوى المحرم من الزينة الظاهرة ، وذكر فى هذه ماأباح أن يراه الزوج وذوى المحارم من الزينة الباطنة ، وبدأ بالبعولة وهم الأزواج لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا ، ثم ثنى بذوى المحارم وسوى بينهم فى إبداء الزينة ، ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب . والمراد بالآباء كل من له ولادة من والد وجد ، وبالأبناء كل من عليه ولادة من ولد وولد ولد ، ولم يذكر فى هذه الآية من ذوى المحارم : العم والخال ومذهب جمهور العلماء جواز رؤيتهما للمرأة ، لأنهما من ذوى المحارم ، وكره ذلك قوم ، وقال الشافعى إنما لم يذكر العم والخال لئلا يصفا زينة المرأة لأولادهما (أو نسائهن) يعنى جميع المؤمنات ، فكأنه قال أو صنفهن ويخرج عن ذلك نساء الكفار (أو ماملكت أيمانهن) يدخل فى ذلك الإماء المسلمات والكتابيات ، وأما العبيد : ففيهم ثلاثة أقوال : منع رؤيتهم لسيدتهم وهو قول الشافعى ، والجواز وهو قول ابن عباس وعائشة ، والجواز بشرط أن يكون العبد وغدا وهو مذهب مالك ، وإنما أخذ جوازه من قوله « أو التابعين غير أولى الإربة » ، واختلف هل يجوز أن يراها عبد زوجها وعبد الأجنبى أم لا ؟ على قولين (أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال) شرط فى رؤية غير ذوى المحارم شرطين : أحدهما أن يكونا تابعين ، ومعناه أن يتبع لشىء يعطاه كالوكيل والمتصرف ، ولذلك قال بعضهم هو الذى يتبعك وهمته بطنه ، والآخر أن لا يكون لهم إربة فى النساء كالخصى والمخنث والشيخ الهرم والأحمق ، فلا يجوز رؤيتهم للنساء إلا باجتماع الشرطين ، وقيل بأحدهما ، ومعنى الإربة الحاجة إلى الوطء (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أراد بالطفل الجنس ، ولذلك وصفه بالجمع ، ويقال طفل مالم يراهق الحلم ويظهروا معناه يطلعون بالوطء على عورات النساء ، فمعناه الذين لم يطؤا النساء ... الذين لايدرون ماعورات النساء ، وهذا أحسن (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن) روى أن امرأة كان لها خلخالان ، فكانت تضرب بهما ليسمعهما الرجال ، فنهى الله عز وجل عن ذلك . قال الزجاج إسماع صوت الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون) التوبة واجبة على كل مؤمن مكلف بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وفرائضها ثلاثة : الندم على الذنب من حيث عصى به ذو الجلال ، لا من حيث أضر ببدن أو مال ، والإقلاع عن الذنب فى أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان ، والعزم أن لا يعود إليها أبدا ومهما قضى عليه بالعود أحدث عزما مجددا ، وآدابها ثلاثة : الاعتراف بالذنب مقرونا بالانكسار ، والإكثار من التضرع والاستغفار ، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات ، ومراتبها سبع : فتوبة الكفار من الكفر ، وتوبة المخلطين من الذنوب الكبائر ، وتوبة العدول من الصغائر ، وتوبة العابدين من الفترات ، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات ، وتوبة أهل الورع من الشبهات ، وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات . والبواعث على التوبة سبعة : خوف العقاب ، ورجاء الثواب ، والخجل

Marfat.com

مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ

من الحساب ، ومحبة الحبيب ، ومراقبة الرقيب القريب ، وتعظيم بالمقام ، وشكر الإنعام (وأنكحوا الأيامى منكم) الأيامى جمع أيم ومعناه الذين لا أزواج لهم رجالا كانوا أو نساء أبكاراً أو ثيبات ، والخطاب هنا للأولياء والحكام أمرهم الله بتزويج الأيامى ، فاقتضى ذلك النهى عن عضلهن من التزويج ، وفى الآية دليل على عدم استقلال النساء بالإنكاح ؛ واشتراط الولاية فيه ، وهو مذهب مالك والشافعى خلافا لأبى حنيفة (والصالحين من عبادكم وإمائكم) يعنى الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناثهم ، وقال الزمخشرى : الصالحين بمعنى الصلاح فى الدين ، قال وإنما خصهم الله بالذكر ليحفظ عليهم صلاحهم والمخاطبون هنا ساداتهم؛ ومذهب الشافعى أن السيد يجبر على تزويج عبيده على هذه الآية خلافا لمالك ، ومذهب مالك أن السيد يجبر عبده وأمته على النكاح خلافا للشافعى (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) وعد الله بالغنى للفقراء الذين يتزوجون لطلب رضا الله ، ولذلك قال ابن مسعود التمسوا الغنى فى النكاح (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله) أمر بالاستعفاف وهو الاجتهاد فى طلب العفة من الحرام لمن لا يقدر على التزوج ، فقوله لا يجدون نكاحا معناه لا يجدون استطاعة على التزوج بأى وجه تعذر التزوج ، وقيل معناه لا يجدون صداقا للنكاح ، والمعنى الأول أعم ، والثانى أليق بقوله حتى يغنيهم الله من فضله (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم) الكتاب هنا مصدر بمعنى الكتابة ، وهى مقاطعة العبد على مال منجم فإذا أداه خرج حرآ ، وإن عجز بقى رقيقا ، وقيل إن الآية نزلت بسبب حويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه ، وحكمها مع ذلك عام فأمر الله سادات العبيد أن يكاتبوهم إذا طلبوا الكتابة ، وهذا الأمر على الندب عند مالك والجمهور ، وقال الظاهرية وغيرهم هو على الوجوب وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأنس بن مالك حين سأله مملوكه سيرين الكتابة فتلكأ أنس فقال له عمر لتكاتبنه أو لأوجعنك بالدرة ، وإنما حمله مالك على الندب لأن الكتابة كالبيع ، فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها ، واختلف هل يجبر السيد عبده على الكتابة أم لا ؟ على قولين فى المذهب (إن علمتم فيهم خيرآ) الخير هنا القوة على أداء الكتابة بأى وجه كان ، وقيل هو المال الذى يؤدى منه كتابته من غير أن يسأل أموال الناس ، وقيل هو الصلاح فى الدين (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) هذا أمر بإعانة المكاتب على كتابته واختلف فيمن المخاطب بذلك فقيل هو خطاب للناس أجمعين ، وقيل للولاة ، والأمر على هذين القولين للندب ، وقيل هو خطاب لسادات المكاتبين ، وهو على هذا القول ندب عند مالك ، ووجوب عند الشافعى فإن كان الأمر للناس ، فالمعنى أن يعطوهم صدقات من أموالهم ، وإن كان للولاة فيعطوهم من الزكاة ، وإن كان للسادات فيحطوا عنهم من كتابتهم ، وقيل يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة ، وعلى القول بالحط من الكتابة اختلف فى مقدار ما يحط ، فقيل الربع ، وروى ذلك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

Marfat.com

الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا
مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

وقيل الثلث ، وقال مالك والشافعي : لاحد فى ذلك ، بل أقل ماينطلق عليه اسم شيء ، إلا أن الشافعي يجبره على ذلك ، ولايجبره مالك ، وزمان الحط عنه فى آخر الكتابة عند مالك ، وقيل فى أول نجم (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) معنى البغاء الزنا ، نهى الله المسلمين أن يجبروا مملوكاتهم على ذلك وسبب الآية أن عبدالله ابن أبيّ ابن سلول المنافق كان له جاريتان ، فكان يأمرهما بالزنا للكسب منه وللولادة ، ويضربهما على ذلك ، فشكتا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله (إن أردن تحصنا) هذا الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا إذ لايتصور إكراههن إلا إذا أردن التحصن وهو التعفف ، وقيل هو راجع إلى قوله وأنكحوا الأيامى وذلك بعيد (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) يعني ماتكسبه الأمة بفرجها ، وماتلده من الزنا ؛ ويتعلق لتبتغوا بقوله لاتكرهوا (ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) المعنى غفور لهن رحيم بهن لايؤاخذهن بالزنا ، لأنهن أكرهن عليه ، ويحتمل أن يكون المعنى غفور رحيم للسيد الذي يكرههن إذا تاب من ذلك (آيات مبينات) بفتح الياء : أي بينها الله ؛ وبالكسر مبينات للأحكام والحلال والحرام (ومثلا) يعني ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم فى تحريم الزنا ، لأنه كان حراما فى كل ملة أو فى براءة عائشة كما برأ يوسف ومريم (الله نور السموات والأرض) النور يطلق حقيقة على الضوء الذي يدرك بالأبصار ، ومجازا على المعاني التي تدرك بالقلوب ، والله ليس كمثله شيء ، فتأويل الآية الله ذو نور السموات والأرض ؛ ووصف نفسه بأنه نور كما تقول زيد كرم إذا أردت المبالغة فى أنه كريم ، فإن أراد بالنور المدرك بالأبصار ، فمعنى نور السموات والأرض أنه خلق النور الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم ، أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود ، فإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء ، ومن هذا المعنى قرأ عليّ بن أبي طالب « الله نوّر السموات والأرض » بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو : أي جعل فيهما النور ، وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب ، فمعنى نور السموات والأرض جاعل النور فى قلوب أهل السموات والأرض ولهذا قال ابن عباس : معناه هادي أهل السموات والأرض (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) المشكاة هي الكوة غير النافذة تكون فى الحائط ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة ، وقيل المشكاة العمود الذي يكون المصباح على رأسه ، والأول أصح وأشهر ، والمعنى صفة نور الله فى وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على أعظم مايتصوره البشر من الإضاءة والإنارة ، وإنما شبه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم ، لأن ذلك غاية مايدركه الناس من الأنوار ، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه وقيل الضمير فى نوره عائد على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل على القرآن ، وقيل على المؤمن ، وهذه الأقوال ضعيفة لأنه لم يتقدم مايعود عليه الضمير ، فإن قيل : كيف يصح أن يقال الله نور السموات والأرض فأخبر أنه هو النور ، ثم أضاف النور إليه فى قوله مثل نوره ، والمضاف عين المضاف إليه ؟ فالجواب أن ذلك يصح مع التأويل الذي قدمناه أي الله ذو نور السموات والأرض ، أو كما تقول زيد كرم ، ثم تقول ينعش الناس بكرمه

Marfat.com

الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَٰرُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَالَّذِينَ

(المصباح فى زجاجة) المصباح هو الفتيل بناره ، والمعنى أنه فى قنديل من زجاج لأن الضوء فيه أزهر ، لأنه جسم شفاف (الزجاجة كأنها كوكب درىّ) شبه الزجاجة فى إنارتها بكوكب درىّ ، وذلك يحتمل معنيين إما أن يريد أنها تضىء بالمصباح الذى فيها ، وإما أن يريد أنها فى نفسها شديدة الضوء لصفائها ورقة جوهرها ، وهذا أبلغ لاجتماع نورها مع نور المصباح ، والمراد بالكوكب الدرىّ أحد الدرارى المضيئة : كالمشترى ، والزهرة ، وسهيل ، ونحوها ، وقيل أراد الزهرة ، ولادليل على هذا التخصيص ، وقرأ نافع درى بضم الدال وتشديد الياء بغير همزة ولهذه القراءة وجهان : إما أن ينسب الكوكب إلى الدرّ لبياضه وصفائه ، أو يكون مسهلا من الهمز ، وقرئ بالهمز وكسر الدال وبالهمز وضم الدال ، وهو مشتق من الدرء بمعنى الدفع (يوقد من شجرة مباركة زيتونة) من قرأ يوقد بالياء أو توقد بالفعل الماضى فالفعل مسند إلى المصباح ، ومن قرأ توقد بالتاء والفعل المضارع فهو مسند إلى الزجاجة ، والمعنى : توقد من زيت شجرة مباركة ، ووصفها بالبركة لكثرة منافعها ، أو لأنها تنبت فى الأرض المباركة وهى الشام (لاشرقية ولاغربية) قيل يعنى أنها بالشام فليست من شرق الأرض ولامن غربها ، وأجود الزيتون زيتون الشام ، وقيل هى منكشفة تصيبها الشمس طول النهار ، فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية ، ولا للغرب فتسمى غربية بل هى غربية شرقية ، لأن الشمس تستدير عليها من الشرق والغرب ، وقيل إنها فى وسط دوحة لا فى جهة الشرق من الدوحة ولا فى جهة الغرب ، وقيل إنها من شجرة الجنة ولو كانت فى الدنيا لكانت شرقية أو غربية (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار) مبالغة فى وصف صفائه وحسنه (نور على نور) يعنى اجتماع نور المصباح وحسن الزجاجة وطيب الزيت ، والمراد بذلك كمال النور الممثل به (يهدى الله لنوره من يشاء) أى يوفق الله من يشاء لإصابة الحق (فى بيوت) يعنى المساجد ، وقيل بيوت أهل الإيمان من مساجد أو مساكن ، والأول أصح ، والجار يتعلق بما قبله : أى كمشكاة فى بيوت ، أو توقد فى بيوت ، وقيل بما بعده وهو يسبح ، وكرر الجار بعد ذلك تأكيدا ، وقيل بمحذوف : أى سبحوا فى بيوت أذن الله أن ترفع ، والمراد بالإذن الأمر ، ورفعها بناؤها ، وقيل تعظيمها (بالغدو والآصال) أى غدوة وعشية وقيل أراد الصبح والعصر وقيل صلاة الضحى والعصر (رجال) فاعل يسبح على القراءة بكسر الباء ، وأما على القراءة بالفتح فهو مرفوع بفعل مضمر يدل عليه الأول (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) أى لا تشغلهم ، ونزلت الآية فى أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إليها ، والبيع من التجارة ، ولكنه خصه بالذكر تجريدا كقوله : فاكهة ونخل ورمان ، أو أراد بالتجارة الشراء (تتقلب فيه القلوب والأبصار) أى تضطرب

Marfat.com

كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفه
حسابه والله سريع الحساب * أو كظلمات فى بحر لجى يغشه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات
بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور * ألم تر أن الله
يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ٥

من شدة الهول والخوف ، وقيل تفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد العمى ، لأن الحقائق تنكشف حينئذ ، والأول أصح كقوله : وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وفى قوله «تتقلب فيه القلوب» تجنيس (ليجزيهم الله) متعلق بماقبله ، أو بفعل من معنى ماقبله (أحسن ماعملوا) تقديره جزاء أحسن ماعملوا (ويزيدهم من فضله) يعنى زيادة على ثواب أعمالهم (بغير حساب) ذكر فى البقرة (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) لما ذكر الله حال المؤمنين أعقب ذلك بمثالين لأعمال الكافرين : الأول يقتضى حال أعمالهم فى الآخرة ، وأنها لاتنفعهم ، بل يضمحل ثوابها كما يضمحل السراب ، والثانى يقتضى حال أعمالهم فى الدنيا ، وأنها فى غاية الفساد والضلال كالظلمات التى بعضها فوق بعض ، والسراب هو مايرى فى الفلوات من ضوء الشمس فى الهجيرة حتى يظهر كأنه ماء يجرى على وجه الأرض والقيعة جمع قاع وهو المنبسط من الأرض ، وقيل بمعنى القاع وليس بجمع (يحسبه الظمآن ماء) الظمآن العطشان : أى يظن العطشان أن السراب ماء ، فيأتيه ليشربه ، فإذا جاءه خاب ماأمل ، وبطل ماظن ، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه ، فإذا كان يوم القيامة لم تنفعه فهى كالسراب (حتى إذا جاءه) ضمير الفاعل للظمآن ، وضمير المفعول للسراب أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله (لم يجده شيئا) أى شيئا ينتفع به أو شيئا موجودا على العموم لأنه معدوم ، ويحتمل أن يكون ضمير الفاعل للظمآن وضمير المفعول للسراب . أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله (ووجد الله عنده) ضمير الفاعل فى وجد للكافر ، والضمير فى عنده لعمله ، والمعنى وجد الله عنده بالجزاء ، أو وجد زبانية الله (أو كظلمات) هذا هو المثال الثانى ، وهو عطف على قوله كسراب ، والمشبه بالظلمات أعمال الكافر : أى هم من الضلال والحيرة فى مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب (فى بحر لجى) منسوب إلى اللج ، وهو معظم الماء ، وذهب بعضهم إلى أن أجزاء هذا المثال قوبلت بأجزاء الممثل به : فالظلمات أعمال الكافر ، والبحر اللجى صدره ، والموج جهله ، والسحاب الغطاء الذى على قلبه ، وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة وفى وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغة كما أن وصف النور المذكور قبلها مبالغة (إذا أخرج يده لم يكد يراها) المعنى مبالغة فى وصف الظلمة ، والضمير فى أخرج ومابعده للرجل الذى وقع فى الظلمات الموصوفة واختلف فى تأويل الكلام : فقيل المعنى إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها ، فنفى الرؤية ومقاربتها ، وقيل بل رآها بعد عسر وشدة ، لأن كاد إذا نفيت تقتضى الإيجاب ، وإذا أوجبت تقتضى النفى ، وقال ابن عطية : إنما ذلك إذا دخل حرف النفى على الفعل الذى بعدها فأما إذا دخل حرف النفى على كاد كقوله لم يكد ، فإنه يحتمل النفى والايجاب (ومن لم يجعل الله له نورا) أى من لم يهده الله لم يهتد ، فالنور كناية عن الهدى ، والإيمان فى الدنيا ، وقيل أراد فى الآخرة أى من لم يرحمه الله فلا رحمة له ، والأول أليق بما قبله (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات ومن فى الأرض) الرؤية هنا بمعنى العلم والتسبيح التنزيه والتعظيم وهو من العقلاء بالنطق ، وأما تسبيح الطير وغيرها مما لا يعقل ، فقال الجمهور إنه حقيقى ، ولا يبعد أن

Marfat.com

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا
فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُ عَن
مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَٰرِ ۝ يُقَلِّبُ اللَّهُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِى الْأَبْصَٰرِ ۝ وَاللَّهُ
خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ أَرْبَعٍ
يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ * وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُولَٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۝
وَإِذَا دُعُوٓا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوٓا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝
أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوٓا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ
قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَن
يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَآئِزُونَ ۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ

يلهمها الله التسبيح ، كما يلهمها الأمور الدقيقة التى لا يهتدى إليها العقلاء ، وقيل تسبيحه ظهور الحكمة فيه (صافات) يصففن أجنحتهن فى الهواء (كل قد علم) الضمير فى علم لله ، أو لكل، والضمير فى صلاته وتسبيحه لكل (يزجى) معناه يسوق، والإزجاء إنما يستعمل فى سوق كل ثقيل كالسحاب (ركاما) متكاثف بعضه فوق بعض (الودق) المطر (من خلاله) أى من بينه، وهو جمع خلل كجبل وجبال (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) قيل إن الجبال هنا حقيقة وأن الله جعل فى السماء جبالا من برد ، وقيل إنه مجاز كقولك عند فلان جبال من مال أو علم: أى هى فى الكثرة كالجبال ، ومن فى قوله «من السماء» لابتداء الغاية ، وفى قوله «من جبال» كذلك ، وهى بدل من الأولى ، وتكون للتبعيض ، فتكون مفعول ينزل ، ومن فى قوله من برد: لبيان الجنس أو للتبعيض فتكون مفعول ينزل ، وقال الأخفش هى زائدة ، وذلك ضعيف ، وقوله «فيها» صفة للجبال ، والضمير يعود على السماء (سنا برقه) السنا بالقصر الضوء ، وبالمد المجد والشرف (يقلب الله الليل والنهار) أى يأتى بهذا بعد هذا (خلق كل دابة) يعنى بنى آدم والبهائم والطير لأن ذلك كله يدب (من ماء) يعنى المنى ، وقيل الماء الذى فى الطين الذى خلق منه آدم وغيره (على بطنه) كالحيات والحوت (ويقولون آمنا) الآية : نزلت فى المنافقين ، وسببها أن رجلا من المنافقين كانت بينه وبين يهودى خصومة ، فدعاه اليهودى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه، ودعاه إلى كعب بن الأشرف (مذعنين) أى منقادين طائعين لقصد الوصول إلى حقوقهم (أفى قلوبهم مرض) توقيف يراد به التوبيخ ، وكذلك ما بعده (أن يحيف) معناه أن يجور ، والحيف الميل ، وأسنده إلى الله ، لأن الرسول إنما يحكم بأمر الله وشرعه (إنما كان قول المؤمنين) الآية . معناها إنما الواجب أن يقول المؤمنون : سمعنا وأطعنا إذا دعوا إلى الله ورسوله ، وجعل الدعاء إلى الله من حيث هو إلى شرعه (ومن يطع الله ورسوله) الآية : قال ابن عباس : معناها من

لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم

يطع الله فى فرائضه ورسوله فى سنته (ويخشى الله) فيما مضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل ، وسأل بعض الملوك عن آية كافية جامعة فذكرت له هذه الآية ، وسمعها بعض بطارقة الروم فأسلم ، وقال إنها جمعت كل ما فى التوراة والإنجيل (وأقسموا) أى حلفوا ، والضمير للمنافقين (جهد أيمانهم) أى بالغوا فى اليمين وأكدوها (ليخرجن) يعنى إلى الغزو (قل لا تقسموا) نهى عن اليمين الكاذبة لأنه قد عرف أنهم يحلفون على الباطل (طاعة معروفة) مبتدأ وخبره محذوف أى طاعة معروفة أمثل وأولى بكم ، أو خبر مبتدأ محذوف أى المطلوب منكم طاعة معروفة لا يشك فيها (عليه ما حمل) يعنى تبليغ الرسالة (وعليكم ما حملتم) يعنى السمع والطاعة واتباع الشريعة (ليستخلفنهم فى الأرض) وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة ، وقيل إن المراد بالآية : خلافة أبى بكر وعثمان وعلىّ رضى الله عنهم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، وانتهت الثلاثون إلى آخر خلافة علىّ ، فإن قيل . أين القسم الذى جاء قوله « ليستخلفنهم » جوابا له ؟ فالجواب أنه محذوف تقديره : وعدهم الله وأقسم ، أو جعل الوعد بمنزلة القسم لتحققه (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) قيل المراد بالذين ملكت أيمانكم : الرجال خاصة ، وقيل النساء خاصة ، لأن الرجال يستأذنون فى كل وقت وقيل الرجال والنساء (والذين لم يبلغوا الحلم) يعنى الأطفال غير البالغين (ثلاث مرات) نصب على الظرفية لأنهم أمروا بالاستئذان فى ثلاثة مواطن ، فمعنى الآية أن الله أمر المماليك والأطفال بالاستئذان فى ثلاثة أوقات ، وهى قبل الصبح وحين القائلة وسط النهار ، وبعد صلاة العشاء الأخيرة ، لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها متجردين للنوم فى غالب أمرهم ، وهذه الآية محكمة ؛ وقال ابن عباس : ترك الناس العمل بها ، وحملها بعضهم على الندب (تضعون ثيابكم) يعنى تتجردون (الظهيرة) وسط النهار (ثلاث عورات) جمع عورة من الانكشاف كقوله بيوتنا عورة ، ومن رفع ثلاث فهو خبر ابتداء مضمر تقديره هذه الأوقات ثلاث عورات لكم : أى تنكشفون فيها ، ومن نصبه فهو بدل من ثلاث مرات (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدمة أى ليس عليكم

Marfat.com

بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

ولا على المماليك والأطفال جناح فى ترك الاستئذان فى غير المواطن الثلاثة (طوافون عليكم) تقديره المماليك والأطفال طوافون عليكم ، فلذلك يؤمر بالاستئذان فى كل وقت (بعضكم على بعض) بدل من طوافون: أى بعضكم يطوف على بعض وقال الزمخشرى هو مبتدأ أى بعضكم يطوف على بعض أو فاعل بفعل مضمر (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا) لما أمر الأطفال فى الآية المتقدمة بالاستئذان فى ثلاثة أوقات ، وأباح لهم الدخول بغير إذن فى غيرها : أمرهم هنا بالاستئذان فى جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال (والقواعد من النساء) جمع قاعد وهى العجوز ، فقيل هى التى قعدت عن الولد ، وقيل التى قعدت عن التصرف ، وقيل التى إذا رأيتها استقذرتها (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أباح الله لهذا الصنف من العجائز مالم يبح لغيرهن من وضع الثياب ، قال ابن مسعود إنما أبيح لهن وضع الجلباب الذى فوق الخمار والرداء ، وقال بعضهم : إنما ذلك فى منزلها الذى يراها فيه ذوو محارمها (غير متبرجات بزينة) إنما أباح الله لهن وضع الثياب بشرط ألا يقصدن إظهار زينة ، والتبرج هو الظهور (وأن يستعففن خير لهن) المعنى أن الاستعفاف عن وضع الثياب المذكورة خير لهن من وضعها والأولى لهن أن يلتزمن ما يلتزم شباب النساء من الستر (ليس على الأعمى حرج) الآية اختلف فى المعنى الذى رفع الله فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض فى هذه الآية ، فقيل هو فى الغزو أى لا حرج عليهم فى تأخيرهم عنه ، وقوله «ولا على أنفسكم» مقطوع من الذى قبله على هذا القول كأنه قال : ليس على هؤلاء الثلاثة حرج فى ترك الغزو ، ولا عليكم حرج فى الأكل ، وقيل الآية كلها فى معنى الأكل ، واختلف الذاهبون إلى ذلك ، فقيل إن أهل هذه الأعذار كانوا يتجنبون الأكل مع الناس لئلا يتقذرهم الناس ، فنزلت الآية مبيحة لهم الأكل مع الناس ، وقيل إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو خلفوا أهل هذه الأعذار فى بيوتهم ، وكانوا يتجنبون أكل مال الغائب ، فنزلت الآية فى ذلك ، وقيل إن الناس كانوا يتجنبون الأكل معهم تقذرا ، فنزلت الآية ، وهذا ضعيف . لأن رفع الحرج عن أهل الأعذار لا عن غيرهم ، وقيل إن رفع الحرج عن هؤلاء الثلاثة فى كل ما تمنعهم عنه أعذارهم من الجهاد وغيره (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أباح الله تعالى للإنسان الأكل فى هذه البيوت المذكورة فى الآية ، فبدأ ببيت الرجل نفسه ، ثم ذكر القرابة على ترتيبهم ولم يذكر فيهم الابن ، لأنه دخل فى قوله من بيوتكم ، لأن بيت ابن الرجل بيته ، لقوله عليه الصلاة والسلام : أنت ومالك لأبيك ، واختلف العلماء فيما ذكر فى هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة فذهب قوم إلى أنه منسوخ ، وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلا بإذنه والناسخ قوله تعالى : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وقوله عليه الصلاة والسلام : لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه ،

Marfat.com

أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ
لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ
شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ
بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

وقيل الآية محكمة ، ومعناها إباحة الأكل من بيوت القرابة إذا أذنوا فى ذلك ، وقيل بإذن وبغير إذن (أو ماملكتم مفاتحه) يعنى الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازن أموال ساداتهم ، فأباح لهم الأكل منها ، وقيل المراد ماملك الإنسان من مفاتح نفسه وهذا ضعيف (أوصديقكم) الصديق يقع على الواحد والجماعة ، كالعدو ، والمراد به هنا جمع ليناسب ماذكر قبله من الجموع فى قوله آبائكم وأمهاتكم وغير ذلك ، وقرن الله الصديق بالقرابة ، لقرب مودته ، وقال ابن عباس: الصديق أوكد من القرابة (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) إباحة للأكل فى حال الاجتماع والانفراد ، لأن بعض العرب كان لايأكل وحده أبدا خيفة من البخل ، فأباح لهم الله ذلك (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى إذا دخلتم بيوتا مسكونة ، فسلموا على من فيها من الناس ، وإنما قال على أنفسكم بمعنى صنفكم كقوله ، ولا تلمزوا أنفسكم ، وقيل المعنى إذا دخلتم بيوتا خالية فسلموا على أنفسكم بأن يقول الرجل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وقيل يعنى بالبيوت المساجد ، والأمر بالسلام على من فيها ، فإن لم يكن فيها أحد فيسلم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الملائكة وعلى عباد الله الصالحين (وإذا كانوا معه على أمر جامع) الآية : الأمر الجامع هو مايجمع الناس للمشورة فيه ، أو للتعاون عليه . ونزلت هذه الآية فى وقت حفر الخندق بالمدينة ، فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون فى الانصراف لضرورة ، وكان المنافقون يذهبون بغير استئذان (لبعض شأنهم) أى لبعض حوائجهم (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) فى معناها ثلاثة أقوال الأول أن الدعاء هنا يراد به دعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم إياهم ليجتمعوا إليه فى أمر جامع أو فى قتال وشبه ذلك ، فالمعنى أن إجابتكم له إذا دعاكم واجبة عليكم بخلاف إذا دعا بعضكم بعضا ، فهو كقوله تعالى : استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ، ويقوى هذا القول مناسبته لما قبله من الاستئذان والأمر الجامع ، والقول الثانى أن المعنى لاتدعوا الرسول عليه السلام باسمه كما يدعو بعضكم بعضا باسمه بل قولوا يارسول الله أو يانبى الله تعظيما ودعاء بأشرف أسمائه ، وقيل المعنى لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض : أى دعاؤه عليكم يجاب فاحذروه ، ولفظ الآية بعيد من هذا المعنى على أن المعنى صحيح (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) الذين ينصرفون عن حفر الخندق ، واللواذ الروغان والمخالفة ، وقيل الانصراف فى خفية (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) الضمير لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، واختلف فى عن هنا ،

Marfat.com

يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ *

سـورة الفرقان

مكية إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فمدنية وآياتها ٧٧ نزلت بعد يس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا * ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا * وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا * وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوٓا أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى

فقيل إنها زائدة وهذا ضعيف ، وقال ابن عطية : معناه يقع خلافهم بعد أمره كما تقول : كان المطر عن ريح ، قال الزمخشرى يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه وخالفه عن الأمر إذا صد الناس عنه ، فمعنى يخالفون عن أمره يصدون الناس عنه ، فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف (فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) الفتنة فى الدنيا بالرزايا أو بالفضيحة أو القتل أو العذاب فى الآخرة (قد يعلم ما أنتم عليه) دخلت قد للتأكيد ، وفى الكلام معنى الوعيد ، وقيل معناها التقليل على وجه التهكم والخطاب لجميع الخلق ، أو المنافقين خاصة (ويوم يرجعون إليه) يعنى المنافقين ، والعامل فى الظرف بينهم .

سـورة الفرقان

(تبارك) من البركة وهو فعل مختص بالله تعالى لم ينطق له بالمضارع (على عبده) يعنى محمداً صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وذلك على وجه التشريف له والاختصاص (ليكون للعالمين نذيرا) الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم أو للقرآن ، والأول أظهر وقوله « للعالمين » عموم يشمل الجن والإنس ممن كان فى عصره ، وممن يأتى بعده إلى يوم القيامة ، وتضمن صدر هذه السورة إثبات النبوة والتوحيد ، والرد على من خالف فى ذلك (فقدره تقديرا) الخلق عبارة عن الإيجاد بعد العدم ، والتقدير عبارة عن إتقان الصنعة ، وتخصيص كل مخلوق بمقداره ، وصفته ، وزمانه ومكانه ، ومصلحته ، وأجله ، وغير ذلك (واتخذوا) الضمير لقريش وغيرهم ممن أشرك بالله تعالى (وأعانه عليه قوم آخرون) يعنون قوما من اليهود منهم عداس ويسار وأبو فكيهة الرومى (فقد جاؤا ظلما وزورا) أى ظلموا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما نسبوا إليه وكذبوا فى ذلك عليه (وقالوا أساطير الأولين) أى ماسطره الأولون فى كتبهم ، وكان الذى يقول هذه المقالة النضر بن الحارث (اكتتبها) أى كتبها له كاتب ، ثم صارت تملى عليه ليحفظها . وهذا حكاية كلام الكفار ، وقال الحسن إنها من قول الله على وجه الرد عليهم ، ولو كان ذلك لقال أكتتبها بفتح الهمزة لمعنى الإنكار ،

Marfat.com

يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى
فِى الْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا
وَقَالَ الظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۞ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ۞ تَبَارَكَ الَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۞
بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۞ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۞
وَإِذَآ أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۞ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۞
قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ۞ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ

وقد يجوز حذف الهمزة فى مثل هذا وينبغى على قول الحسن أن يوقف على أساطير الأولين (قل أنزله الذى يعلم السر) ردّ على الكفار فى قولهم ويعنى بالسر: ما أسرّه الكفار من أقوالهم، أو يكون ذلك على وجه التنصل والبراءة مما نسبه الكفار إليه من الافتراء أى أن الله يعلم سرى فهو العالم بأنى ما افتريت عليه، بل هو أنزله علىّ، فإن قيل ما مناسبة قوله «إنه كان غفوراً رحيما» لما قبله؟ فالجواب أنه لما ذكر أقوال الكفار: أعقبها بذلك، لبيان أنه غفور رحيم فى كونه لم يعجل عليهم بالعقوبة بل أمهلهم، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام) الآية: قال هذا الكلام قريش طعنا على النبى صلى الله عليه وسلم وقد ردّ الله عليهم بقوله «وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق» وقولهم «هذا الرسول» على وجه التهكم كقول فرعون إن رسولكم الذى أرسل إليكم، أو يعنون الرسول بزعمه، ثم ذكر ما اقترحوا من الأمور فى قولهم: لولا أنزل إليه ملك وما بعده، ثم وصفهم بالظلم، وقد ذكرنا معنى مسحوراً فى سبحان (ضربوا لك الأمثال) أى قالوا فيك تلك الأقوال (فلا يستطيعون سبيلا) أى لا يقدرون على الوصول إلى الحق لبعدهم عنه وإفراط جهلهم (خيراً من ذلك) الإشارة إلى ما ذكره الكفار من الكنز والجنة فى الدنيا (جنات تجرى من تحتها الأنهار) يعنى جنات الآخرة وقصورها وقيل يعنى جنات، وقصوراً فى الدنيا، ولذلك قال إن شاء (إذا رأتهم) أى إذا رأتهم جهنم وهذه الرؤية يحتمل أن تكون حقيقة أو مجازاً بمعنى صارت منهم بقدر ما يرى على البعد (سمعوا لها تغيظاً وزفيرا) التغيظ لا يسمع وإنما المسموع، وإنما المسموع أصوات دالة عليه ففى لفظه تجوز، والزفير أول صوت الحمار (مكانا ضيقاً) تضيق عليهم زيادة فى عذابهم (مقرنين) أى مربوط بعضهم إلى بعض، وروى أن ذلك بسلاسل من النار (دعوا هنالك ثبورا) الثبور الويل وقيل الهلاك، ومعنى دعائهم ثبورا: أنهم يقولون يا ثبوراه كقول القائل واحسرتاه وا أسفاه (لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً) تقديره يقال لهم ذلك أو يكون حالهم يقتضى ذلك وإن لم يكن ثم قول وإنما دعوا ثبوراً كثيراً لأن عذابهم دائم، فالثبور يتجدد عليهم فى كل حين (قل أذلك خير أم جنة الخلد) إنما جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار، لأن الكلام توقيف وتوبيخ، وإنما

Marfat.com

عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ۞ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ۞ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًۢا بُورًا ۞ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۞ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ

يمنع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك فى المعنى إذا كان الكلام خبرا (وعداً مسئولا) أى سأله المؤمنين أو الملائكة فى قولهم وأدخلهم جنات عدن ، وقيل معناه وعداً : واجب الوقوع لأنه حتمه (فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء) القائل لذلك هو الله عز وجل ، والمخاطب هم المعبودون مع الله على العموم . وقيل الأصنام خاصة ، والأول أرجح لقوله « ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون » وقوله « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » (أم هم ضلوا السبيل) أم هنا معادلة لما قبلها، والمعنى أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تضلوهم أنتم ، ولأجل ذلك بين هذا المعنى بقوله « هم » ليتحقق إسناد الضلال إليهم ، فإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالأمور ليوبخ الكفار الذين عبدوهم (قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) القائلون لهذا هم المعبودون : قالوه على وجه التبرى ممن عبدهم كقولهم أنت ولينا من دونهم ، والمراد بذلك توبيخ الكفار يومئذ ، وإقامة الحجة عليهم (ولكن متعتهم وآباءهم) معناه أن إمتاعهم بالنعم فى الدنيا كان سبب نسيانهم لذكر الله وعبادته (قوما بورا) أى هالكين ، وهو من البوار وهو الهلاك ، واختلف هل هو جمع بائر أو مصدر وصف به ولذلك يقع على الواحد والجماعة (فقد كذبوكم بما تقولون) هذا خطاب خاطب الله به المشركين يوم القيامة أى قد كذبكم آلهتكم التى عبدتم من دون الله ، وتبرؤا منكم وقيل هو خطاب للمعبودين . أى كذبوكم فى هذه المقالة لما عبدوكم فى الدنيا ، وقيل هو خطاب للمسلمين : أى قد كذبكم الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشريعة ، وقرئ بما يقولون بالياء من أسفل ، والباء فى قوله بما تقولون على القراءة بالتاء بدل من الضمير فى كذبوكم ، وعلى القراءة بالياء كقولك كتبت بالقلم ، أو كذبوكم بقولهم (فما يستطيعون صرفاً ولا نصرا) قرئ فما تستطيعون بالتاء فوق ، ويحتمل على هذا أن يكون الخطاب للمشركين أو للمعبودين؛ والصرف على هذين الوجهين صرف العذاب عنهم ، أو يكون الخطاب للمسلمين والصرف على هذا رد التكذيب ، وقرئ بالياء وهو مسند إلى المعبودين أو إلى المشركين والصرف صرف العذاب (ومن يظلم منكم) خطاب للكفار وقيل للمؤمنين وقيل على العموم (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) تقديره وما أرسلنا رسلا أو رجالا قبلك ، وعلى هذا المفعول المحذوف يعود الضمير فى قوله إلا إنهم ليأكلون الطعام ، وهذه الآية رد على الكفار فى استبعادهم بعث رسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) هذا خطاب لجميع الناس لاختلاف أحوالهم ، فالغنى فتنة للفقير ،

Marfat.com

أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَـٰئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَـٰئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا * وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا * أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا * وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَـٰئِكَةُ تَنزِيلًا * الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا * وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا * وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَـٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا * وَكَذَٰلِكَ

والصحيح فتنة للمريض، والرسول فتنة لغيره ممن يحسده ويكفر به (أتصبرون) تقديره لننظر هل تصبرون (لايرجون لقاءنا) قيل معناه لايخافون، والصحيح أنه على بابه لأن لقاء الله يرجى ويخاف (لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) اقترح الكفار نزول الملائكة أو رؤية الله، وحينئذ يؤمنون فرد الله عليهم بقوله لقد استكبروا الآية: أى طلبوا مالا ينبغى لهم أن يطلبوه، وقوله فى أنفسهم كما تقول فلان عظيم فى نفسه أى عند نفسه أو بمعنى أنهم أضمروا الكفر فى أنفسهم (يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ للمجرمين) لما طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لابشرى لهم يوم يرونهم. فالعامل فى يوم معنى لابشرى، ويومئذ بدل (ويقولون حجرا محجورا) الضمير فى يقولون إن كان للملائكة، فالمعنى أنهم يقولون للمجرمين حجرا محجورا أى حرام عليكم الجنة أو البشرى، وإن كان الضمير للمجرمين، فالمعنى أنهم يقولون حجراً بمعنى عوذاً لأن العرب كانت تتعوذ بهذه الكلمة مما تكره، وانتصابه بفعل متروك إظهاره نحو معاذ الله (وقدمنا إلى ماعملوا) أى قصدنا إلى أعمالهم فلفظ القدوم مجاز، وقيل هو قدوم الملائكة أسنده الله إلى نفسه لأنه عن أمره (فجعلناه هباء منثورا) عبارة عن عدم قبول ماعملوا من الحسنات كإطعام المساكين وصلة الأرحام وغير ذلك، وأنها لاتنفعهم لأن الإيمان شرط فى قبول الأعمال، والهباء هى الأجرام الدقيقة من الغبار التى لا تظهر إلا حين تدخل الشمس على موضع ضيق كالكوة، والمنثور المتفرق (خير مستقرا) جاء هنا التفضيل بين الجنة والنار، لأن هذا مستقر وهذا مستقر (وأحسن مقيلا) هو مفعل من النوم فى القائلة وإن كانت الجنة لانوم فيها، ولكن جاء على ماتتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة فى الأمكنة الباردة، وقيل إن حساب الخلق يكمل فى وقت ارتفاع النهار، فيقيل أهل الجنة فى الجنة، وأهل النار فى النار (ويوم تشقق السماء بالغمام) هو يوم القيامة وانشقاق السماء: انفطارها، ومعنى بالغمام أى يخرج منها الغمام، وهو السحاب الرقيق الأبيض وحينئذ تنزل الملائكة إلى الأرض (ويوم يعض الظالم على يديه) عض اليدين كناية عن الندم والحسرة، والظالم هنا عقبة بن أبى معيط، وقيل كل ظالم والظلم هنا الكفر (مع الرسول) هو محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، أو اسم جنس على العموم (ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) روى أن عقبة جنح إلى الإسلام فنهاه أبى بن خلف وأمية بن خلف فهو فلان، وقيل إن عقبة نهى أبى بن خلف عن الإسلام، فالظالم على هذا أبى وفلان عقبة، وإن كان الظالم على العموم ففلانا على العموم أى خليل كل

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ
جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝
الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ۝ فَقُلْنَا اذْهَبَآ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا * وَقَوْمَ
نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَٰبَ
الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ۝ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ۝ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِىٓ

كافر (وكان الشيطان للإنسان خذولا) يحتمل أن يكون هذا من قول الظالم أو ابتداء إخبار من قول الله تعالى ، ويحتمل أن يريد بالشيطان إبليس أو الخليل المذكور (وقال الرسول) قيل إن هذا حكاية قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى الدنيا ، وقيل فى الآخرة (مهجورا) من الهجر بمعنى البعد والترك وقيل من الهجر بضم الهاء أى قالوا فيه الهجر حين قالوا إنه شعر وسحر والأول أظهر (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا) العدو هنا جمع ، والمراد تسلية النبى صلى الله عليه وسلم بالتأسى بغيره من الأنبياء (وكفى بربك هاديا ونصيراً) وعد لمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالهدى والنصرة (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) هذا من اعتراضات قريش لأنهم قالوا لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل (كذلك لنثبت به فؤادك) هذا جواب لهم تقديره أنزلناه كذلك مفرقا لنثبت به فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم لحفظه : ولو نزل جملة واحدة لتعذر عليه حفظه لأنه أمى لا يقرأ ، فحفظ المفرق عليه أسهل . وأيضا فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضى أن ينزل كل جزء منه عند حدوث سببه ، وأيضا منه ناسخ ومنسوخ ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملة واحدة (ورتلناه ترتيلا) أى فرقناه تفريقا فإنه نزل بطول عشرين سنة وهذا الفعل معطوف على الفعل المقدر الذى يتعلق به كذلك وبه يتعلق لنثبت (ولا يأتونك بمثل) الآية معناها لا يوردون عليك سؤالا أو اعتراضا إلا أتيناك فى جوابه بالحق ، والتفسير الحسن الذى يذهب اعتراضهم ويبطل شبهتهم (الذين يحشرون على وجوههم) يعنى الكفار ، وحشرهم على وجوههم حقيقة لأنه جاء فى الحديث قيل يارسول الله : كيف يحشر الكافر على وجهه : قال أليس الذى أمشاه فى الدنيا على رجليه قادرا على أن يمشيه فى الآخرة على وجهه (شرّ مكانا) يحتمل أن يريد بالمكان المنزلة والشرف أو الدار والمسكن فى الآخرة (وزيرا) معينا (إلى القوم) يعنى فرعون وقومه ، وفى الكلام حذف تقديره : فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم (كذبوا الرسل) تأويله كما ذكر فى قوله فى هود فعصوا رسله (وأعتدنا للظالمين) يحتمل أن يريد بالظالمين من تقدم ووضع هذا الاسم الظاهر موضع المضمر لقصد وصفهم بالظلم ، أو يريد الظالمين على العموم (وأصحاب الرس) معنى الرس فى اللغة البئر ، واختلف فى أصحاب الرس : فقيل هم من بقية ثمود وقيل من أهل اليمامة ، وقيل من أهل أنطاكية ، وهم أصحاب يس ، واختلف فى قصتهم فقيل بعث الله إليهم نبيا فرموه فى بئر فأهلكهم الله ، وقيل كانوا حول بئر لهم فانهارت بهم فهلكوا (وقرونا بين ذلك كثيرا) يقتضى التكثير

أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا * وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۝ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ۝ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ

والإبهام ، والإشارة بذلك إلى المذكور قبل من الأمم (ضربناله الأمثال) أى بيناله (تبرنا) أى أهلكنا (ولقد أتوا على القرية) الضمير فى أتوا لقريش وغيرهم من الكفار ، والقرية قرية قوم لوط ، ومطر السوء الحجارة ثم وقفهم على رؤيتهم لها لأنها فى طريقهم إلى الشام ، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كفرهم بالنشور ويرجون كقوله يرجون لقاءنا ، وقد ذكر (أهذا الذى) حكاية قولهم على وجه الاستهزاء . فالجملة فى موضع مفعول لقول محذوف يدل عليه هذا ، وقوله « إن كاد ليضلنا» استئناف جملة أخرى وتم كلامهم ، واستأنف كلام الله تعالى فى قوله «وسوف يعلمون» الآية على وجه التهديد لهم (اتخذ إلهه هواه) أى أطاع هواه حتى صار كأنه له إله (بل هم أضل) لأن الأنعام ليس لها عقول وهؤلاء لهم عقول ضيعوها ، ولأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب مايضرها ، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب ، ولا يخافون أضر الأشياء وهو العقاب (ألم تر إلى ربك) أى إلى صنع ربك وقدرته (مد الظل) قيل مده من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأن الظل حينئذ على الأرض كلها ، واعترضه ابن عطية لأن ذلك الوقت من الليل ، ولا يقال ظل بالليل ، واختار أن مد الظل من الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير ، وقيل معنى مد الظل : أى جعله يمتد وينبسط (ولو شاء لجعله ساكنا) أى ثابتا غير زائل لكنه جعله يزول بالشمس ، وقيل معنى ساكن غير منبسط على الأرض ، بل يلتصق بأصل الحائط والشجرة ونحوها (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) قيل معناه أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها فى سيرها على الظل متى يتسع ومتى ينقبض ومتى يزول عن مكان إلى آخر فيبنون على ذلك انتفاعهم به وجلوسهم فيه ، وقيل معناه لولا الشمس لم يعرف أن الظل شىء لأن الأشياء لم تعرف إلا بأضدادها (ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا) قبضه نسخه وإزالته بالشمس ؛ ومعنى يسيرا شيئا بعد شىء لا دفعة واحدة ، فإن قيل : مامعنى ثم فى هذه المواضع الثلاثة ؟ فالجواب أنه يحتمل أن تكون للترتيب فى الزمان أى جعل الله هذه الأحوال حالا بعد حال ، أو تكون لبيان التفاضل بين هذه الأحوال الثلاثة وأن الثانى أعظم من الأول ، والثالث أعظم من الثانى (الليل لباسا) شبه ظلام الليل باللباس لأنه يستر كل شىء كاللباس (والنوم سباتا) قيل راحة وقيل موتا لقوله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها ويدل عليه مقابلته بالنشور (الرياح بشرا) ذكر فى الأعراف (ماء طهورا) مبالغة فى طاهر وقيل معناه مطهر للناس فى الوضوء وغيره . وبهذا المعنى يقول الفقهاء : ماء طهورا ، أى مطهر ، وكل مطهر طاهر ، وليس كل

Marfat.com

أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا * الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ

طاهر مطهر (أناسى) قيل جمع إنسى، وقيل جمع إنسان، والأول أصح (ولقد صرفناه) الضمير للقرآن، وقيل للمطر وهو بعيد (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) أى لو شئنا لخففنا عنك أثقال الرسالة ببعث جماعة من الرسل ولكنا خصصناك بها كرامة لك فاصبر (وجاهدهم به) الضمير للقرآن أو لما دل عليه الكلام المتقدم (مرج البحرين) اضطرب الناس فى هذه الآية لأنه لا يعلم فى الدنيا بحر ملح وبحر عذب وإنما البحار المعروفة ماؤها ملح، قال ابن عباس أراد بالبحر الملح الأجاج بحر الأرض، والبحر العذب الفرات بحر السحاب، وقيل البحر الملح البحر المعروف، والبحر العذب مياه الأرض، وقيل البحر الملح جميع الماء الملح من الآبار وغيرها، والبحر العذب هو مياه الأرض من الأنهار والعيون. ومعنى العذب البالغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة، والأجاج نقيضه، واختلف فى معنى مرجهما، فقيل جعلهما متجاورين متلاصقين. وقيل أسال أحدهما فى الآخر (وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) أى فاصلا يفصل بينهما وهو ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان، وقيل البرزخ يعلمه الله ولا يراه البشر (خلق من الماء بشرا) إن أراد بالبشر آدم فالمراد بالماء الماء الذى خلق به مع التراب فصار طينا، وإن أراد بالبشر بنى آدم. فالمراد بالماء المنىّ الذى يخلقون منه (فجعله نسبا وصهرا) النسب والصهر يعمان كل قربى: أى كل قرابة. والنسب أن يجتمع إنسان مع آخر فى أب أو أم قرب ذلك أو بعد، والصهر هو الاختلاط بالنكاح، وقيل أراد بالنسب الذكور أى ذوى نسب ينتسب إليهم، وأراد بالصهر الإناث: أى ذوات صهر يصاهر بهن، وهو كقوله «فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى» (وكان الكافر على ربه ظهيرا) الكافر هنا الجنس، وقيل المراد أبو جهل، والظهير المعين أى يعين الشيطان على ربه بالعداوة والشرك، ولفظه يقع للواحد والجماعة كقوله «والملائكة بعد ذلك ظهير» (قل ما أسألكم عليه من أجر) أى لا أسألكم على الإيمان أجرة ولا منفعة (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) معناه إنما أسألكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالتقرب إليه وعبادته. فالاستثناء منقطع. وقيل المعنى أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالصدقة، فالاستثناء على هذا متصل، والأول أظهر، وفى الكلام محذوف تقديره إلا سؤال من شاء وشبه ذلك (وتوكل على الحىّ الذى لا يموت) قرأ هذه الآية بعض السلف فقال لا ينبغى لذى عقل أن يثق بعدها بمخلوق فإنه يموت (وسبح بحمده) أى قل سبحان الله وبحمده، والتسبيح التنزيه عن كل ما لا يليق به، ومعنى بحمده أى بحمده أقول ذلك، ويحتمل أن يكون المعنى سبحه متلبسا بحمده. فهو أمر بأن يجمع بين التسبيح والحمد (وكفى به بذنوب

Marfat.com

الرَّحْمَٰنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝
تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً
لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ
قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا
كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝

عباده خبيرا) يحتمل أن يكون المراد بهذا بيان حلمه وعفوه عن عباده مع علمه بذنوبهم أو يكون المراد تهديد العباد لعلم الله بذنوبهم (استوى على العرش) ذكر في الأعراف (الرحمن) خبر ابتداء مضمر ، أو بدل من الضمير في استوى (فاسأل به خبيرا) فيه معنيان : أحدهما وهو الأظهر : أن المراد اسأل عنه من هو خبير عارف به ، وانتصب خبيرا على المفعولية ، وهذا الخبير المسؤل هو جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب والباء في قوله به : يحتمل أن تتعلق بخبيرا ، أو تتعلق بالسؤال ، ويكون معناها على هذا معنى عن . والمعنى الثاني ، أن المراد اسأل بسؤاله خبيرا أي إن سألته تعالى تجده خبيرا بكل شيء ، فانتصب خبيرا على الحال . وهو كقولك لو رأيت فلانا رأيت به أسدا : أي رأيت برؤيته أسدا (قالوا وما الرحمن) لما ذكر الرحمن في القرآن أنكرته قريش ، وقالوا لا نعرف الرحمن ، وكان مسيلمة الكذاب قد تسمى بالرحمن ، فقالوا على وجه المغالطة إنما الرحمن الرجل الذي باليمامة (أنسجد لما تأمرنا) تقديره لما تأمرنا أن نسجد له (وزادهم نفورا) الضمير المفعول في زادهم يعود على المقول وهو اسجدوا للرحمن (بروجا) يعني المنازل الاثني عشر ، وقيل الكواكب العظام (سراجا) يعني الشمس ، وقرئ بضم السين والراء على الجمع : يعني جميع الأنوار ثم خص القمر بالذكر تشريفا (جعل الليل والنهار خلفة) أي يخلف هذا هذا ، وقيل هو من الاختلاف ، لأن هذا أبيض وهذا أسود ، والخلفة اسم الهيئة : كالركبة والجلسة ، والأصل جعلهما ذوي خلفة (لمن أراد أن يذكر) قيل معناه يعتبر في المصنوعات ، وقيل معناه يتذكر لما فاته من الصلوات وغيرها في الليل فيستدركه في النهار أو فاته بالنهار فيستذكره بالليل ، وهو قول عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما (وعباد الرحمن) أي عباده المرضيون عنده ، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة ، وعباد مبتدأ وخبره الذين يمشون ، أو قوله في آخر السورة أولئك يجزون الغرفة (الذين يمشون على الأرض هونا) أي رفقا ولينا بحلم ووقار ، ويحتمل أن يكون ذلك وصف مشيهم على الأرض أو وصف أخلاقهم في جميع أحوالهم ، وعبر بالمشي على الأرض عن جميع تصرفهم مدة حياتهم (قالوا سلاما) أي قالوا قولا سديدا ليدفع الجاهل برفق ، وقيل معناه قالوا للجاهل سلاما أي هذا اللفظ بعينه بمعنى سلمنا منكم قال بعضهم هذه الآية منسوخة بالسيف ، وإنما يصح النسخ في حق الكفار ، وأما الإغضاء عن السفهاء والحلم عنهم فمستحسن غير منسوخ (إن عذابها) وما بعده يحتمل أن يكون من كلامهم أو من كلام الله عز وجل (كان غراما) أي هلاكا وخسرانا ، وقيل ملازما (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) الاقتار هو التضييق في النفقة والشح وضده الاسراف فنهى عن الطرفين وأمر بالتوسط بينهما

Marfat.com

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَٰعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝ أُولَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝

وهو القوام ، وذلك فى الانفاق فى المباحات وفى الطاعات . وأما الانفاق فى المعاصى فهو إسراف ، وإن قل (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) أى عقابا ، وقيل الأثام الإثم فمعناه يلق جزاء أثام ؛ وقيل الأثام : وادفى جهنم . والإشارة بقوله ذلك إلى ماذكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا (ويخلد فيه مهانا) قيل نزلت فى الكفار لأنهم المخلدون فى النار بإجماع ، فكأنه قال الذين يجمعون بين الشرك والقتل والزنا ، وقيل نزلت فى المؤمنين الذين يقتلون النفس ويزنون ، فأما على مذهب المعتزلة فالخلود على بابه ، وأما على مذهب أهل السنة فالخلود عبارة عن طول المدة (إلا من تاب) إن قلنا الآية فى الكفار فلا إشكال فيها ، لأن الكافر إذا أسلم صحت توبته من الكفر والقتل والزنا ، وإن قلنا إنها فى المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصح ، واختلف هل تصح توبة المسلم من القتل أم لا (يبدل الله سيئاتهم حسنات) قيل يوفقهم الله لفعل الحسنات بدلا عما عملوا من السيئات ، وقيل إن هذا التبديل فى الآخرة : أى يبدل عقاب السيئات بثواب الحسنات (يتوب إلى الله متابا) أى متابا مقبولا مرضيا عند الله كما تقول لقد قلت يافلان قولا أى قولا حسنا (لا يشهدون الزور) أى لا يشهدون بالزور وهو الكذب فهو من الشهادة ، وقيل معناه لا يحضرون مجالس الزور واللهو فهو على هذا من المشاهدة والحضور والأول أظهر (وإذا مروا باللغو مروا كراما) اللغو هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه ، ومعنى مروا كراما أى أعرضوا عنه واستحيوا ولم يدخلوا مع أهله تنزيها لأنفسهم عن ذلك (لم يخروا عليها صما وعميانا) أى لم يعرضوا عن آيات الله بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم ، فالنفى للصمم والعمى لا للخرور عليها (قرة أعين) قيل معناه اجعل أزواجنا وذريتنا مطيعين لك ، وقيل أدخلهم معنا الجنة ، واللفظ أعم من ذلك (واجعلنا للمتقين إماما) أى قدوة يقتدى بنا المتقون فإمام مفرد يراد به الجنس ، وقيل هو جمع آم أى متبع (الغرفة) يعنى غرفة الجنة فهى اسم جنس (قل مايعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم) يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية ، وفى معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال : الأول : أن المعنى إن الله لا يبالى بكم لولا عبادتكم له فالدعاء بمعنى العبادة وهذا قريب من معنى قوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » الثانى : أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال ، والمعنى لا يبالى الله بكم ، ولكن يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه ويكون على هذين القولين خطابا

Marfat.com

ســـورة الشعراء

مكية إلا آية ١٩٧ ومن آية ٢٢٤ إلى آخر السورة فمدنية وآياتها ٢٢٧ نزلت بعد الواقعة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ طسٓمٓ ۞ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۞ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۞ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۞ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۞ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ۞ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۞ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ۞ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا

لجميع الناس من المؤمنين والكافرين لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه أو خطابا للمؤمنين خاصة لأنهم هم الذين يدعون الله ويعبدونه ، ولكن يضعف هذا بقوله « فقد كذبتم » الثالث : أنه خطاب للكفار خاصة والمعنى على هذا : مايعبأ بكم ربى لولا أن يدعوكم إلى دينه ، والدعاء على هذا بمعنى الأمر بالدخول فى الدين ، وهو مصدر مضاف إلى المفعول ، وأما على القول الأول والثانى فهو مصدر مضاف إلى الفاعل (فقد كذبتم) هذا خطاب لقريش وغيرهم من الكفار دون المؤمنين (فسوف يكون لزاما) أى سوف يكون العذاب لزاما ثابتا وأضمر العذاب وهو اسم كان لأنه جزاء التكذيب المتقدم ، واختلف هل يراد بالعذاب هنا القتل يوم بدر ، أو عذاب الآخرة .

ســـورة الشعراء

(طسم) تكلمنا على حروف الهجاء فى أول سورة البقرة ، ويخص هذا أنه قيل الطاء من ذى الطول ، والسين من السميع أو السلام ، والميم من الرحيم أو المنعم (باخع) ذكر فى الكهف (فظلت أعناقهم لها خاضعين) الأعناق جمع عنق وهى الجارحة المعروفة ، وإنما جمع خاضعين جمع العقلاء لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء ، ولأنه وصفها بفعل لايكون إلا من العقلاء ، وقيل الأعناق الرؤساء من الناس شبهوا بالأعناق كما يقال لهم رؤس وصدور ، وقيل هم الجماعات من الناس ، فلا يحتاج جمع خاضعين إلى تأويل (محدث) يعنى به محدث الإتيان (فسيأتيهم) الآية : تهديد (من كل زوج) أى من كل صنف من النبات فيعم ذلك الاقوات والفواكه والأدوية والمرعى ، ووصفه بالكرم لما فيه من الحسن ومن المنافع (إن فى ذلك لآية) الإشارة إلى ما تقدم من النبات وإنما ذكره بلفظ الإفراد لأنه أراد أن فى كل واحد آية أو إشارة إلى مصدر قوله أنبتنا (ويضيق صدرى) بالرفع عطف على أخاف ، أو استئناف ، وقرئ بالنصب عطفا على يكذبون (فأرسل إلى هارون) أى اجعله معى رسولا أستعين به (ولهم علىّ ذنب) يعنى قتله للقبطى (قال كلا) أى لاتخف أن يقتلوك (إنا معكم) خطاب لموسى

Marfat.com

بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۞ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۞ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ ۞ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ الضَّآلِّينَ ۞ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۞ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَٰلَمِينَ ۞ قَالَ رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۞ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۞ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۞ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۞ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۞ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ۞ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن

وأخيه ومن كان معهما . أوعلى جعل الاثنين جماعة (مستمعون) لفظه جمع ، وورد مورد تعظيم الله تعالى، ويحتمل أن تكون الملائكة هى التى تسمع بأمر الله ، لأن الله لا يوصف بالاستماع ، وإنما يوصف بالسمع والأول أحسن ، وتأويله : أن فى الاستماع اعتناء واهتماما بالأمر ليست فى صفة سامعون والخطاب فى قوله معكم لموسى وهارون وفرعون وقومه ، وقيل لموسى وهارون خاصة على معاملة الاثنين معاملة الجماعة وذلك على قول من يرى أن أقل الجمع اثنان (إنا رسول ربك) إن قيل لم أفرده وهما اثنان ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أن التقدير كل واحد منا رسول . الثانى أنهما جعلا كشخص واحد لاتفاقهما فى الشريعة ، ولأنهما أخوان فكأنهما واحد . الثالث أن رسول هنا مصدر وصف به ، فلذلك أطلق على الواحد والاثنين والجماعة ، فإنه يقال رسول بمعنى رسالة ، بخلاف قوله إنا رسولا ، فإنه بمعنى الرسل (أن أرسل معنا بنى إسرائيل) أى أطلقهم (قال ألم نربك فينا وليدا) قصد فرعون بهذا الكلام المن على موسى والاحتقار له (وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين) قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسى عليه السلام ويعنى بالفعلة : قتله للقبطى . والواو فى قوله وأنت إن كانت للحال فقوله من الكافرين معناه كافرا بهذا لدين الذى جئت به لأن موسى إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة ، وقد كان قبل ذلك مؤمنا ، ولم يعلم بذلك فرعون ، وقيل معناه من الكافرين بنعمتى ، وإن كانت الواو للاستئناف : فيحتمل أن يريد من الكافرين بدينى ، ومن الكافرين بنعمتى (قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين) القائل هنا هو موسى عليه السلام ، والضمير فى قوله فعلتها لقتله القبطى ، واختلف فى معنى قوله من الضالين ، فقيل معناه من الجاهلين بأن وكزتى تقتله ، وقيل معناه من الناسين ، فهو كقوله « أن تضل إحداهما » وقوله « إذاً » صلة فى الكلام ، وكأنها بمعنى حينئذ ، قال ذلك ابن عطية (ففررت منكم) أى من فرعون وقومه ، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفرده فى قوله « تمنها على أن عبدت » (وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل) معنى عبدت ذللت واتخذتهم عبيدا ، فمعنى هذا الكلام أنك عددت نعمة على تعبيد بنى إسرائيل وليست فى الحقيقة بنعمة إنما كانت نقمة لأنك كنت تذبح أبناءهم ولذلك وصلت أنا إليك فربيتنى ، فالإشارة بقوله تلك إلى التربية وأن عبدت فى موضع رفع عطف بيان على تلك أو فى موضع نصب على أنه مفعول من أجله ، وقيل معنى الكلام تربيتك نعمة على لأنك عبدت بنى إسرائيل وتركتنى فهى فى المعنى الأول إنكار لنعمته وفى الثانى اعتراف بها (قال لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين) لما أظهر فرعون الجهل

Marfat.com

كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ

بالله فقال : ومارب العالمين ؛ أجابه موسى بقوله رب السموات والأرض ، فقال ألا تستمعون : تعجبا من جوابه فزاد موسى فى إقامة الحجة بقوله : ربكم ورب آبائكم الأولين لأن وجود الإنسان وآبائه أظهر الأدلة عند العقلاء وأعظم البراهين فإن أنفسهم أقرب الأشياء إليهم فيستدلون بها على وجود خالقهم ، فلما ظهرت هذه الحجة حاد فرعون عنها ونسب موسى إلى الجنون مغالطة منه ، وأيد الازدراء والتهكم فى قوله رسولكم الذى أرسل إليكم فزاد موسى فى إقامة الحجة بقوله رب المشرق والمغرب ، لأن طلوع الشمس وغروبها آية ظاهرة لا يمكن أحداً جحدها ولا أن يدعيها لغير الله ، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجة على نمروذ ، فلما انقطع فرعون بالحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فهدده بالسجن ، فأقام موسى عليه الحجة بالمعجزة ، وذكرها له بتلطف طمعاً فى إيمانه ، فقال « أولو جئتك بشىء مبين » والواو واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام وتقديره أتفعل بى ذلك ولو جئتك بشىء مبين ، وقد تقدم فى الأعراف ذكر العصا واليد ، وماذا تأمرون ، وأرجه ، وحاشرين فإن قيل : كيف قال أولا إن كنتم موقنين ، ثم قال آخرا إن كنتم تعقلون ؟ فالجواب أنه لاين أولا طمعاً فى إيمانهم ، فلما رأى منهم العناد والمغالطة : وبخهم بقوله إن كنتم تعقلون ، وجعل ذلك فى مقابلة قول فرعون إن رسولكم لمجنون (لميقات يوم) هو يوم الزينة (نتبع السحرة) أى نتبعهم فى نصرة ديننا لا فى عمل السحر ، لأن عمل السحر كان حراماً (بعزة فرعون) قسم أقسموا به ، وقد تقدم فى الأعراف تفسير ما يأفكون ، وما بعد ذلك (لا ضير) أى لا يضرنا ذلك لأننا ننقلب إلى الله (أسر بعبادى) يعنى بنى إسرائيل (إنكم متبعون) إخبار باتباع فرعون (لشرذمة قليلون) الشرذمة الطائفة من الناس ، وفى هذا احتقار لهم على

Marfat.com

لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ۝ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَكُنُوزٍ
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ
إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ
كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۝ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ۝ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ۝
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ
قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝ أَوْ
يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ أَنتُمْ
وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي
وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۝

أنه روى أنهم كانوا ستمائة ألف ، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير (فأخرجناهم من جنات وعيون) يعنى التى بمصر ، والعيون الخلجان الخارجة من النيل ، وكانت ثم عيون فى ذلك الزمان ، وقيل يعنى الذهب والفضة وهو بعيد (ومقام كريم) مجالس الأمراء والحكام ، وقيل المنابر ، وقيل المساكن الحسان (كذلك) فى موضع خفض صفة لمقام أو فى موضع نصب على تقدير أخرجناهم مثل ذلك الإخراج ، أو فى موضع رفع على أنه خبر ابتداء تقديره الأمر كذلك (وأورثناها بنى إسرائيل) أى أورثهم الله مواضع فرعون بمصر على أن التواريخ لم يذكر فيها ملك بنى إسرائيل لمصر ، وإنما المعروف أنهم ملكوا الشام فتأويله على هذا أورثهم مثل ذلك بالشام (فأتبعوهم) أى لحقوهم ، وضمير الفاعل لفرعون وقومه ، وضمير المفعول لبنى إسرائيل (مشرقين) معناه داخلين فى وقت الشروق وهو طلوع الشمس ، وقيل معناه نحو المشرق وانتصابه على الحال (تراء الجمعان) وزن تراءى تفاعل ، وهو منصوب من الرؤية ، والجمعان جمع موسى وجمع فرعون أى رأى بعضهم بعضا (فانفلق) تقدير الكلام فضرب موسى البحر فانفلق (كل فرق) أى كل جزء منه والطود الجبل ، وروى أنه صار فى البحر اثنى عشر طريقاً لكل سبط من بنى إسرائيل طريق (وأزلفنا ثم الآخرين) يعنى بالآخرين فرعون وقومه ، ومعنى أزلفنا قربناهم من البحر ليغرقوا ، وثم هنا ظرف يراد به حيث انفلاق البحر وهو بحر القلزم (ماتعبدون) إنما سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام ليبين لهم أن مايعبدونه ليس بشىء ، ويقيم عليهم الحجة (قالوا نعبد أصناما) إن قيل لم صرحوا بقولهم نعبد ، مع أن السؤال وهو قوله ماتعبدون يغنى عن التصريح بذلك ، وقياس مثل هذا الاستغناء بدلالة السؤال كقوله : ما أنزل ربكم : قالوا خيراً ، فالجواب أنهم صرحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة الأصنام ، ثم زادوا قولهم فنظل لها عاكفين مبالغة فى ذلك (بل وجدنا آباءنا) اعتراف بالتقليد المحض (إلا رب العالمين) استثناء منقطع وقيل

Marfat.com

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۞ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۞ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۞ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ۞ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۞ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۞ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۞ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۞ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ۞ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۞ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۞ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۞ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ۞ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۞ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۞ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ

متصل لأن فى آبائهم من عبد الله تعالى (وإذا مرضت فهو يشفين) أسند المرض إلى نفسه وأسند الشفاء إلى الله تأدباً مع الله (أن يغفر لى خطيئتى) قيل أراد كذباته الثلاثة الواردة فى الحديث وهى قوله فى سارة زوجته هى أختى، وقوله «إنى سقيم»، وقوله «بل فعله كبيرهم»، وقيل أراد الجنس على الإطلاق، لأن هذه الثلاثة من المعاريض فلا إثم فيها (لسان صدق) ثناء جميلا (يوم لا ينفع) وما بعده منقطع عن كلام إبراهيم، وهو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون أيضا من كلام إبراهيم (إلا من أتى الله بقلب سليم)، قيل سليم من الشرك والمعاصى، وقيل الذى يلقى ربه وليس فى قلبه شيئا غيره وقيل بقلب لديغ من خشية الله، والسليم هو اللديغ لغة، وقال الزمخشرى هذا من بدع التفاسير، وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون متصلا فيكون من أتى الله مفعولا بقوله لا ينفع، والمعنى على هذا أن المال لا ينفع إلا من أنفقه فى طاعة الله، وأن البنين لا ينفعون إلا من علمهم الدين وأوصاهم بالحق، ويحتمل أيضا أن يكون متصلا، ويكون قوله من أتى الله بدلا من قوله مال ولا بنون على حذف مضاف تقديره إلا مال من أتى الله وبنوه ويحتمل أن يكون منقطعا بمعنى لكن (وأزلفت الجنة) أى قربت (للغاوين) يعنى المشركين بدلالة ما بعده (فكبكبوا فيها) كبكبوا مضاعف من كب كررت حروفه دلالة على تكرير معناه: أى كبهم الله فى النار مرة بعد مرة، والضمير للأصنام، والغاوون هم المشركون، وقيل الضمير للمشركين، والغاوون هم الشياطين (نسويكم برب العالمين) أى نجعلكم سواء معه (وما أضلنا إلا المجرمون) يعنى كبراءهم، وأهل الجرم والجراءة منهم (حميم) أى خالص الود، قال الزمخشرى جمع الشفعاء ووحد الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة. وقلة الأصدقاء (كذبت قوم نوح المرسلين) أسند الفعل إلى القوم، وفيه علامة التأنيث، لأن القوم فى معنى الجماعة والأمة، فإن قيل: كيف قال المرسلين بالجمع وإنما كذبوا نوحا وحده؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه أراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل وإنما لم يركب إلا فرسا واحدا، والآخر أن من كذب نبيا واحدا فقد كذب جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأن قولهم واحد ودعوتهم

Marfat.com

وَأَطِيعُونِ * قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ * فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ * إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ * فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ * فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

سواء ، وكذلك الجواب فى كذبت عاد المرسلين وغيره (واتبعك الأرذلون) جمع أرذل ، وقد تقدم الكلام عليه فى قوله أراذلنا فى هود (وما أنا بطارد المؤمنين) يعنى الذين سموهم أرذلين ، فإن الكفار أرادوا من نوح أن يطردهم كما أرادت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطرد عمار بن ياسر وصهيبا وبلالا وأشباههم من الضعفاء (المرجومين) يحتمل أن يريدوا الرجم بالحجارة ، أو بالقول وهو الشتم (فافتح بيني وبينهم) أى احكم بيننا (فى الفلك المشحون) أى المملوء (بكل ريع) الريع المكان المرتفع وقيل الطريق (آية) يعنى المبانى الطوال وقيل أبراج الحمام (مصانع) جمع مصنع وهو ما أتقن صنعه من المبانى ، وقيل مأخذ الماء (أمدكم بأنعام) الآية تفسير لقوله أمدكم بما تعلمون فأبهم أولا ثم فسره (خلق الأولين) بضم الخاء واللام أى عادتهم والمعنى أنهم قالوا ماهذا الذى عليه من ديننا إلا عادة الناس الأولين ، وقرى بفتح الخاء وإسكان اللام ، ويحتمل على هذا وجهين : أحدهما أنه بمعنى الخلقة والمعنى ماهذه الخلقة التى نحن عليها إلا خلقة الأولين والآخر أنها من الاختلاق بمعنى الكذب ، والمعنى ماهذا الذى جئت به إلا كذب الأولين (أتتركون) تخويف لهم معناه أتطمعون أن تتركوا فى النعم على كفركم (ونخل طلعها هضيم) الطلع عنقود التمر

وَأَطِيعُونِ ۞ وَلَا تُطِيعُوٓا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۞ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۞ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۞ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ ۞ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۞ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَـٰدِمِينَ ۞ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ۞ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَـٰلَمِينَ ۞ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ۞ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ۞ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ۞ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ۞ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عَجُوزًا فِى الْغَـٰبِرِينَ ۞ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ۞ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞

فى أول نباته قبل أن يخرج من الكم ، والهضيم : اللين الرطب ، فالمعنى طلعها يتم ويرطب ، وقيل هو الرخص أول مايخرج ، وقيل الذى ليس فيه نوى ، فإن قيل : لم ذكر النخل بعد ذكر الجنات والجنات تحتوى على النخل ؟ فالجواب : أن ذلك تجريد كقوله فاكهة ونخل ورمان ، ويحتمل أنه أراد الجنات التى ليس فيها نخل ثم عطف عليها النخل (وتنحتون) ذكر فى الأعراف (فارهين) قرئ بألف وبغير ألف وهو منصوب على الحال من الفاعل فى تنحتون ، وهو مشتق من الفراهة وهى النشاط والكيس ، وقيل معناه أقوياء وقيل أشرين بطرين (من المسحرين) مبالغة فى المسحورين ، وهو من السحر بكسر السين ، وقيل من السحر بفتح السين وهى الرؤية ، والمعنى على هذا إنما أنت بشر (لها شرب) أى حظ من الماء (فأصبحوا نادمين) لما تغيرت ألوانهم حسبما أخبرهم صالح عليه السلام ندموا حين لاتنفعهم الندامة (فأخذتهم الصيحة) التى ماتوا منها وهى العذاب المذكور هنا (من القالين) أى من المبغضين ، وفى قوله قال ومن القالين : ضرب من ضروب التجنيس (مما يعملون) أى نجنى من عقوبة عملهم أواعصمنى من عملهم والأول أرجح (إلا عجوزا) يعنى امرأة لوط (فى الغابرين) ذكر فى الأعراف وكذلك أمطرنا (أصحاب الأيكة) قرئ بالهمز وخفض التاء مثل الذى فى الحجر وق ، ومعناه الغيضة من الشجر ، وقرئ هنا وفى ص : بفتح اللام والتاء ، فقيل إنه مسهل من الهمز ، وقيل إنه اسم بلدهم ، ويقوى هذا : القول بأنه على هذه القراءة بفتح التاء غير منصرف ، يدل على ذلك أنه اسم علم ، وضعف ذلك الزمخشرى ، وقال إن الأيكة اسم لايعرف (إذ قال لهم شعيب) لم يقل هنا أخوهم كما قال فى قصة نوح وغيره ، وقيل إن شعيبا بعث إلى مدين ، وكان من قبيلتهم ، فلذلك قال وإلى مدين أخاهم شعيبا ، وبعث أيضا إلى أصحاب الأيكة ولم يكن منهم فلذلك لم يقل أخوهم ، فكان شعيبا على هذا

Marfat.com

وَمَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۝ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۝ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ وَاتَّقُوا الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ۝ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۝ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَٰذِبِينَ ۝ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝ وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ۝ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۝ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ۝ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝

مبعوثا إلى القبيلتين وقيل إن أصحاب الأيكة مدين ولكنه قال أخوهم حين ذكرهم باسم قبيلتهم ، ولم يقل أخوهم حين نسبهم إلى الأيكة التى هلكوا فيها تنزيها لشعيب عن النسبة إليها (من المخسرين) أى من الناقصين للكيل والوزن (بالقسطاس) الميزان المعتدل (والجبلة) يعنى القرون المتقدمة (عذاب يوم الظلة) هى سحابة من نار أحرقتهم ، فأهلك الله مدين بالصيحة ، وأهلك أصحاب الأيكة بالظلة ، فإن قيل : لم كرر قوله إن فى ذلك لآية مع كل قصة ؟ فالجواب : أن ذلك أبلغ فى الاعتبار ، وأشد تنبيها للقلوب وأيضا فإن كل قصة منها كأنها كلام قائم مستقل بنفسه ، فختمت بما ختمت به صاحبتها (وإنه لتنزيل رب العالمين) الضمير للقرآن (الروح الأمين) يعنى جبريل عليه السلام (على قلبك) إشارة إلى حفظه إياه ، لأن القلب هو الذى يحفظ (بلسان عربىّ) يعنى كلام العرب هو متعلق بنزل أو المنذرين (وإنه لفى زبر الأولين) المعنى أن القرآن مذكور فى كتب المتقدمين ففى ذلك دليل على صحته ثم أقام الحجة على قريش بقوله (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل) بأنه من عند الله آية لكم وبرهان ، والمراد من أسلم من بنى إسرائيل كعبدالله بن سلام وقيل الذين كانوا يبشرون بمبعثه عليه الصلاة والسلام (ولو نزلناه على بعض الأعجمين) الآية جمع أعجم ، وهو الذى لا يتكلم سواء كان إنسانا أو بهيمة أو جمادا والأعجمى : المنسوب إلى الأعجم . وقيل بمعنى الأعجم ، ومعنى الآية : أن القرآن لو نزل على من لا يتكلم ، ثم قرأه عليهم لا يؤمنوا لإفراط عنادهم ، ففى ذلك تسلية للنبىّ صلى الله عليه وسلم على كفرهم به مع وضوح برهانه (كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين) معنى سلكناه . أدخلناه . والضمير للتكذيب الذى دل عليه ما تقدم من الكلام . أو للقرآن أى سلكناه فى قلوبهم مكذبا به ، وتقدير قوله : كذلك مثل هذا السلك سلكناه ، والمجرمين : يحتمل أن يريد به قريشا أو الكفار المتقدمين ولا يؤمنون : تفسير للسلك الذى سلكه فى قلوبهم (فيقولوا هل نحن منظرون) تمنوا أن يؤخروا حين لم

Marfat.com

أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ۝ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ۝ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ۝ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝ أَلَمْ

ينفعهم التمنى (أفبعذابنا يستعجلون) توبيخ لقريش على استعجالهم بالعذاب فى قولهم «فأمطر علينا حجارة من السماء» وشبه ذلك (أفرأيت إن متعناهم سنين) المعنى أن مدة إمهالهم لا تغنى مع نزول العذاب بعدها، وإن طالت مدة سنين، لأن كل ماهو آت قريب، قال بعضهم «سنين» يريد به عمر الدنيا (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) المعنى أن الله لم يهلك قوما إلا بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولا فأنذرهم فكذبوه (ذكرى) منصوب على المصدر من معنى الإنذار أو على الحال من الضمير فى منذرون، أو على المفعول من أجله، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر (وما تنزلت به الشياطين) الضمير للقرآن، وهو رد على من قال إنه كهانة نزلت به الشياطين على محمد (وما ينبغى لهم وما يستطيعون) أى ما يمكنهم ذلك ولا يقدرون عليه ولفظ ماينبغى تارة يستعمل بمعنى لا يمكن وتارة بمعنى لا يليق (إنهم عن السمع لمعزولون) تعليل لكون الشياطين لا يستطيعون الكهانة لأنهم منعوا من استراق السمع منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان أمر الكهان كثيراً منتشراً قبل ذلك (وأنذر عشيرتك الأقربين) عشيرة الرجل هم قرابته الأدنون، ولما نزلت هذه الآية أنذر النبى صلى الله عليه وآله وسلم قرابته فقال يابنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يابنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، ثم نادى كذلك ابنته فاطمة وعمته صفية، قال الزمخشرى فى معناه قولان أحدهما أنه أمر أن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس، والآخر أنه أمر أن لا يأخذه ما يأخذ القريب من الرأفة بقريبه ولا يخافهم بالإنذار (واخفض جناحك) عبارة عن لين الجانب والرفق، وعن التواضع (الذى يراك حين تقوم) أى حين تقوم فى الصلاة، ويحتمل أن يريد سائر التصرفات (وتقلبك فى الساجدين) معطوف على الضمير المفعول فى قوله يراك، والمعنى أنه يراك حين تقوم وحين تسجد، وقيل معناه يرى صلاتك مع المصلين، ففى ذلك إشارة إلى الصلاة مع الجماعة، وقيل يرى تقلب بصرك فى المصلين خلفك لأنه عليه الصلاة والسلام كان يراهم من وراء ظهره (تنزل على كل أفاك أثيم) هذا جواب السؤال المتقدم وهو قوله هل أنبئكم على من تنزل الشياطين والأفاك الكذاب، والأثيم الفاعل للإثم يعنى بذلك الكهان، وفى هذا رد على من قال إن الشياطين تنزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالكهانة، لأنها لا تنزل إلا على أفاك أثيم، وكان صلى الله عليه وآله وسلم على غاية الصدق والبر (يلقون السمع) معناه يستمعون والضمير يحتمل أن يكون للشياطين بمعنى أنهم يستمعون إلى الملائكة، أو يكون للكهان بمعنى أنهم يستمعون إلى الشياطين، وقيل يلقون بمعنى يلقون المسموع،

Marfat.com

تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالَا يَفْعَلُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝

سورة النمل

مكية وآياتها ٩٣ نزلت بعد سورة الشعراء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ

والضمير يحتمل أيضا على هذا أن يكون للشياطين ، لأنهم يلقون الكلام إلى الكهان أو يكون للكهان لأنهم يلقون الكلام إلى الناس (وأكثرهم كاذبون) يعنى الشياطين أو الكهان لأنهم يكذبون فيما يخبرون به عن الشياطين (والشعراء يتبعهم الغاوون) لما ذكر الكهان ذكر الشعراء ليبين أن القرآن ليس بكهانة ولا شعر لتباين مابين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة ، وأراد الشعراء الذين يلقون من الشعر مالا ينبغى كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك ، وقيل أراد شعراء الجاهلية ، وقيل شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم ، والغاوون قيل هم رواة الشعر وقيل هم سفهاء الناس الذين تعجبهم الأشعار لما فيها من اللغو والباطل ، وقيل هم الشياطين (فى كل واد يهيمون) استعارة وتمثيل أى يذهبون فى كل وجه من الكلام الحق والباطل ، ويفرطون فى التجوز حتى يخرجوا إلى الكذب (إلا الذين آمنوا) الآية : استثناء من الشعراء يعنى بهم شعراء المسلمين كحسان بن ثابت وغيره ممن اتصف بهذه الأوصاف ، وقيل إن هذه الآية مدنية (ذكروا الله) قيل معناه ذكروا الله فى أشعارهم ، وقيل يعنى الذكر على الإطلاق (وانتصروا من بعد ماظلموا) إشارة إلى ما قاله حسان بن ثابت وغيره من الشعراء فى هجو الكفار بعد أن هجا الكفار النبى صلى الله عليه وسلم (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) وعيد للذين ظلموا والظلم هنا بمعنى الاعتداء على الناس لقوله من بعد ماظلموا وعمل ينقلبون فى أى لتأخره ، وقيل : إن العامل فى أى سيعلم

سورة النمل

(تلك آيات القرآن وكتاب مبين) عطف الكتاب على القرآن كعطف الصفات بعضها على بعض ، وإن كان الموصوف واحدا (هدى وبشرى) فى موضع نصب على المصدر أو فى موضع رفع على أنه خبر ابتداء مضمر (وهم بالآخرة هم يوقنون) تحتمل هذه الجملة أن تكون معطوفة فتكون بقية صلة الذين أو تكون مستأنفة وتمت الصلة قبلها ، ورجح الزمخشرى هذا (يعمهون) يتحيرون (سوء العذاب) يعنى فى الدنيا وهو القتل يوم بدر ، ويحتمل أن يريد عذاب الآخرة ، والأول أرجح لأنه ذكر الآخرة بعد ذلك (لتلقى القرآن) أى

Marfat.com

قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَن بُورِكَ مَن فِى النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ اللهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ۝
يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ
يَـٰمُوسَىٰ لَاتَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ ۝ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝
وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَـٰسِقِينَ ۝ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ
مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ

تعطاه (آنست) ذكر فى طه، وكذلك قبس، والشهاب النجم شبه القبس به، وقرئ بإضافة شهاب إلى قبس وبالتنوين على البدل أو الصفة، فإن قيل: كيف قال هنا سآتيكم وفى الموضع الآخر لعلى آتيكم، والفرق بين الترجى والتسويف أن التسويف متيقن الوقوع بخلاف الترجى؟ فالجواب أنه قد يقول الراجى: سيكون كذا؛ إذا قوى رجاؤه (تصطلون) معناه تستدفئون بالنار من البرد، ووزنه تفتعلون، وهو مشتق من صلى بالنار والطاء بدل من التاء (أن بورك من فى النار ومن حولها) أن مفسرة، وبورك من البركة، ومن فى النار: يعنى من فى مكان النار ومن حولها: من حول مكانها: يريد الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام، قال الزمخشرى: والظاهر أنه عام فى كل من كان فى تلك الأرض وفى ذلك الوادى وما حوله من أرض الشام (وسبحان الله) يحتمل أن يكون مما قيل فى النداء لموسى عليه السلام، أو يكون مستأنفا وعلى كلا الوجهين قصد به تنزيه الله عما عسى أن يخطر ببال السامع من معنى النداء، أو فى قوله بورك من فى النار لأن المعنى نودى أن بورك من فى النار، إذ قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه (وألق عصاك) هذه الجملة معطوفة على قوله بورك من فى النار، لأن المعنى يؤدى إلى أن بورك من فى النار، وأن ألق عصاك وكلاهما تفسير للنداء (كأنها جان) الجان الحية، وقيل الحية الصغيرة، وعلى هذا يشكل قوله فإذا هى ثعبان، والجواب: أنها ثعبان فى جرمها، جان فى سرعة حركتها (ولم يعقب) لم يرجع أو لم يلتفت (إلا من ظلم) استثناء منقطع تقديره لكن من ظلم من سائر الناس، لا من المرسلين، وقيل إنه متصل على القول بتجويز الذنوب عليهم وهذا بعيد لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب وأيضا فإن تسميتهم ظالمين شنيع على القول بتجويز الذنوب عليهم (بدل حسنا) أى عمل صالحا (فى جيبك) ذكر فى طه (فى تسع آيات) متصل بقوله ألق وأدخل، تقديره نيسر لك ذلك فى جملة تسع آيات، وقد ذكرت الآيات التسع فى الإسراء (إلى فرعون) متعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام تقديره اذهب بالآيات التسع إلى فرعون (مبصرة) أى ظاهرة واضحة الدلالة وأسند الإبصار لها مجازا، وهو فى الحقيقة لمتأملها (واستيقنتها أنفسهم) يعنى أنهم جحدوا بها مع أنهم تيقنوا أنها الحق فكفرهم عناد، ولذلك قال فيه ظلما، والواو فيه واو الحال، وأضمرت بعدها قد علوا يعنى تكبروا (وورث سليمان داود) أى ورث عنه النبوة والعلم والملك (علمنا منطق الطير) أى فهمنا من أصوات الطير المعانى التى فى نفوسها (وأوتينا من كل شىء) عموم معناه الخصوص، والمراد

Marfat.com

إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ۝ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ۝ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

بهذا اللفظ التكثير : كقولك فلان يقصده كل أحد ، وقوله علمنا وأوتينا : يحتمل أن يريد نفسه وأباه أو نفسه خاصة على وجه التعظيم ، لأنه كان ملكا (وحشر لسليمان جنوده) اختلف الناس فى عدد جنود سليمان اختلافا شديدا تركنا ذكره لعدم صحته (فهم يوزعون) أى يكفون ويراد أولهم إلى آخرهم ، ولا بد لكل ملك أو حاكم من وزعة يدفعون الناس (حتى إذا أتوا على وادى النمل) ظاهر هذا أن سليمان وجنوده كانوا مشاة بالأرض أو ركبانا حتى خافت منهم ا ل، ويحتمل أنهم كانوا فى الكرسى المحمول بالريح ، وأحست النملة بنزولهم فى وادى النمل (قالت نملة) النمل حيوان فطن قوى الحس يدخر قوته ويقسم الحبة بقسمين . لئلا تنبت ، ويقسم حبة الكسبرة على أربع قطع لأنها تنبت إذا قسمت قسمين ، ولإفراط إدراكها قالت هذا القول ، وروى أن سليمان سمع كلامها ، وكان بينه وبينها ثلاثة أميال ، وهذا لا يسمعه البشر إلا من خصه الله بذلك (ادخلوا) خاطبتهم مخاطبة العقلاء لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء (لا يحطمنكم) يحتمل أن يكون جوابا للأمر أو نهيا بدلا من الأمر لتقارب المعنى (وهم لا يشعرون) الضمير لسليمان وجنوده ، والمعنى اعتذار عنهم لو حطموا النمل أى لو شعروا بهم لم يحطموهم (فتبسم ضاحكا) تبسم لأحد أمرين : أحدهما سروره بما أعطاه الله ؛ والآخر ثناء النملة عليه وعلى جنوده ، فإن قولها وهم لا يشعرون : وصف لهم بالتقوى والتحفظ من مضرة الحيوان (وتفقد الطير) اختلف الناس فى معنى تفقده للطير ، فقيل ذلك لعنايته بأمور ملكه ، وقيل لأن الطير كانت تظله فغاب الهدهد فدخلت الشمس عليه من موضعه (أم كان من الغائبين) أم منقطعة فإنه نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره ، فقال مالى لا أرى الهدهد أى لا أراه ولعله حاضر وستره ساتر ، ثم علم بأنه غائب فأخبر بذلك (لأعذبنه) روى أن تعذيبه للطير كان بنتف ريشه (بسلطان مبين) أى حجة بينة (فمكث) أى أقام ، ويجوز فتح الكاف وضمها ، وبالفتح قرأ عاصم ، والفعل يحتمل أن يكون مسنداً إلى سليمان عليه السلام أو إلى الهدهد وهو أظهر (غير بعيد) يعنى زمان قريب (أحطت) أى أحطت علما بما لم تعلمه (من سبإ) يعنى قبيلة من العرب ، وجدهم الذى يعرفون به : سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ومن صرفه أراد الحى أو الأب ، ومن لم يصرفه أراد القبيلة أو البلدة ، وقرئ بالتسكين لتوالى الحركات ، وعلى القراءة بالتنوين يكون فى قوله من سبإ بنبإ ضرب من أدوات البيان ، وهو التجنيس (وجدت امرأة تملكهم) المرأة بلقيس بنت شراحيل : كان أبوها ملك اليمن ولم يكن له ولد غيرها ، فغلبت بعده على الملك ، والضمير فى تملكهم يعود على سبإ ، وهم قومها (من كل

عظيم ۝ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ۝ ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ۝ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم * قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ۝ اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ۝ قالت يا أيها الملؤ إنى ألقى إلى كتاب كريم ۝ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين * قالت يا أيها الملؤ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون ۝ قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين * قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون * وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون * فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل

شىء) عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجه الملك (ولها عرش عظيم) يعنى سرير ملكها ، ووقف بعضهم على عرش ثم ابتدأ عظيم وجدتها على تقدير : عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله . وهذا خطأ ، وإنما حمله عليه الفرار من وصف عرشها بالعظمة (أن لا يسجدوا لله) من كلام الهدهد أو من كلام الله ، وقرأ الجمهور بالتشديد ، وأن فى موضع نصب على البدل من أعمالهم ، أو فى موضع خفض على البدل من السبيل ، أو يكون التقدير لا يهتدون لأن يسجدوا بحذف اللام ، وزيادة لا . وقرئ بالتخفيف على أن تكون لا حرف تنبيه وأن تكون الياء حرف نداء فيوقف عليها بالألف على تقدير ياقوم ثم يبتدأ اسجدوا (يخرج الخبء) الخبء فى اللغة الخفى وقيل معناه هنا الغيب ، وقيل يخرج النبات من الأرض واللفظ يعم كل خفى ، وبه فسره ابن عباس (ثم تول عنهم) أى تنح إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون . وروى أنه دخل عليها من كوة فألقى إليها الكتاب وتوارى فى الكوة ، وقيل إن التقدير انظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم فهو من المقلوب والأول أحسن (ماذا يرجعون) من قوله يرجع بعضهم إلى بعض القول (قالت يأيها الملؤ) قبل هذا الكلام محذوف تقديره : فألقى الهدهد إليها الكتاب فقرأته ، ثم جمعت أهل ملكها فقالت لهم يأيها الملأ (كتاب كريم) وصفته بالكرم لأنه من عند سليمان ، أو لأن فيه اسم الله ، أو لأنه مختوم كما جاء فى الحديث كرم الكتاب ختمه (من سليمان) يحتمل أن يكون هذا نص الكتاب بدأ فيه بالعنوان ، وأن يكون من كلامها : أخبرتهم أن الكتاب من سليمان (وأتونى مسلمين) يحتمل أن يكون من الانقياد بمعنى مستسلمين ، أو يكون من الدخول فى الإسلام (أولو قوة) يحتمل أن يريد قوة الأجساد أو قوة الملك والعدد (وكذلك يفعلون) من كلام الله عز وجل تصديقا لقولها فيوقف على ماقبله ، أو من كلام بلقيس تأكيدا للمعنى الذى أرادته ، وتعنى كذلك يفعل هؤلاء بنا (وإنى مرسلة إليهم بهدية) قالت لقومها إنى أجرب هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال ، فإن كان ملكا دنيويا : أرضاه المال ، وإن كان نبيا لم يرضه المال ، وإنما يرضيه دخولنا فى دينه فبعثت إليه هدية عظيمة وصفها الناس واختصرنا وصفها لعدم صحته (أتمدونن بمال) إنكار للهدية لأن الله أغناه عنها بما أعطاه (بل أنتم بهديتكم تفرحون) أى أنتم محتاجون إليها فتفرحون بها وأنا لست

Marfat.com

أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۞ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۞ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَت

كذلك (ارجع اليهم) خطاب للرسول، وقيل للهدهد، والأول أرجح، لأن قوله فلما جاء سليمان مسند إلى الرسول (لاقبل لهم بها) أى لاطاقة لهم بها (قال يأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) القائل سليمان، والملأ جماعة من الجن والإنس، وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين، لأنه وصف له بعظمة فأراد أن يأخذه قبل أن يسلموا فيمنع إسلامهم من أخذ أموالهم، فمسلمين على هذا من الدخول فى دين الإسلام، وقيل إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين ليظهر لهم قوته، فمسلمين على هذا بمعنى منقادين (قال عفريت) روى عن وهب بن منبه أن اسم هذا العفريت الكودن (قبل أن تقوم من مقامك) قبل أن تقوم من موضع الحكم، وكان يجلس من بكرة إلى الظهر، وقيل معناه قبل أن تستوى من جلوسك قائماً (قال الذى عنده علم من الكتاب) هو آصف بن برخيا، وكان رجلا صالحا من بنى إسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم وقيل هو الخضر، وقيل هو جبريل، والأول أشهر، وقيل سليمان وهذا بعيد (آتيك به) فى الموضعين: يحتمل أن يكون فعلا مستقبلا أو اسم فاعل (قبل أن يرتد إليك طرفك) الطرف العين فالمعنى على هذا قبل أن تغض بصرك إذا نظرت إلى شىء وقيل الطرف تحريك الأجفان إذا نظرت (فلما رآه مستقرا عنده) قيل هنا محذوف تقديره: فجاءه الذى عنده علم من الكتاب بعرشها، ومعنى مستقرا عنده حاصلا عنده وليس هذا بمستقر الذى يقدر النحويون تعلق المجرورات به خلافا لمن فهم ذلك (يشكر لنفسه) أى منفعة الشكر لنفسه (قال نكروا لها عرشها) تنكيره تغيير وصفه وستر بعضه، وقيل الزيادة فيه والنقص منه، وقصد بذلك اختبار عقلها وفهمها (أتهتدى) يحتمل أن يريد تهتدى لمعرفة عرشها، أو للجواب عنه إذا سئلت أو الإيمان (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) كان عرشها قد وصل قبلها إلى سليمان فأمر بتنكيره، وأن يقال لها أهكذا عرشك أى أمثل هذا عرشك لئلا تفطن أنه هو، فأجابته بقولها: كأنه هو جوابا عن السؤال، ولم تقل هو تحرزا من الكذب أو من التحقيق فى محل الاحتمال (وأوتينا العلم من قبلها) هذا من كلام سليمان وقومه لما رأوها قد آمنت قالوا ذلك اعترافا بنعمة الله عليهم فى أن آتاهم العلم قبل بلقيس وهداهم الإسلام قبلها، والجملة معطوفة على كلام محذوف تقديره قد أسلمت هى وعلمت وحدانية الله وصحة النبوة وأوتينا نحن العلم قبلها (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) هذا يحتمل أن يكون من كلام سليمان وقومه، أو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون وما كانت تعبد، فاعلا أو مفعولا، فإن كان فاعلا: فالمعنى صدها ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول فى الإسلام

تَعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ۞ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۞ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ۞ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۞ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ۞ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ

حتى إلى هذا الوقت ، وإن كان مفعولا : فهو على إسقاط حرف الجر ، والمعنى صدها الله أو سليمان عن ما كانت تعبد من دون الله فدخلت فى الإسلام (قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) الصرح فى اللغة هو القصر ، وقيل صحن الدار ، روى أن سليمان أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصرا من زجاج أبيض وأجرى الماء من تحته ، وألقى فيه دواب البحر من السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما رأته حسبته لجة ، واللجة الماء المجتمع كالبحر ، فكشفت عن ساقيها لتدخله لما أمرت بدخوله ، وروى أن الجن كرهوا تزوج سليمان لها ، فقالوا له إن عقلها مجنون ، وإن رجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش فوجدها عاقلة واختبر ساقها بالصرح فلما كشفت عن ساقيها وجدها أحسن الناس ساقا فتزوجها وأقرها على ملكها باليمن ، وكان يأتيها مرة فى كل شهر ، وقيل أسكنها معه بالشام (قال إنه صرح ممرد من قوارير) لما ظنت أن الصرح لجة ماء وكشفت عن ساقيها لتدخل الماء قال لها سليمان إنه صرح ممرد ، والممرد الأملس ، وقيل الطويل ، والقوارير جمع قارورة وهى الزجاجة (قالت رب إنى ظلمت نفسى) تعنى بكفرها فيما تقدم (وأسلمت مع سليمان) هذا ضرب من ضروب التجنيس (فريقين يختصمون) الفريقان من آمن ومن كفر ؛ واختصامهم : اختلافهم وجدالهم فى الدين (لم تستعجلون) أى لم تطلبون العذاب قبل الرحمة ، أو المعصية قبل الطاعة (قالوا اطيرنا بك) أى تشاءمنا بك وكانوا قد أصابهم القحط (قال طائركم عند الله) أى السبب الذى يحدث عنه خيركم أو شركم : هو عند الله وهو قضاؤه وقدره ، وذلك رد عليهم فى تطيرهم ونسبتهم ما أصابهم من القحط إلى صالح عليه السلام (وكان فى المدينة) يعنى مدينة ثمود (يفسدون فى الأرض) قيل إنهم كانوا يقرضون الدنانير والدراهم ولفظ الفساد أعم من ذلك (تقاسموا بالله) أى حلفوا بالله ، وقيل إنه فعل ماض وذلك ضعيف ، والصحيح أنه فعل أمر قاله بعضهم لبعض وتعاقدوا عليه (لنبيتنه وأهله) أى لنقتلنه وأهله بالليل وهذا هو الفعل الذى تحالفوا عليه (ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله) أى نتبرأ من دمه إن طلبنا به وليه ، ومهلك يحتمل أن يكون اسم مصدر أو زمان أو مكان فإن قيل إن قولهم ماشهدنا مهلك أهله يقتضى التبرى من دم أهله دون التبرى من دمه ، فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنهم أرادوا ماشهدنا مهلكه ومهلك أهله ، وحذف مهلكه لدلالة قولهم لنبيتنه وأهله ، والثانى أن أهل الإنسان قد يراد به هو وهم لقوله «وأغرقنا آل فرعون» يعنى فرعون وقومه ، الثالث : أنهم قالوا مهلك أهله خاصة ليكونوا صادقين ، فإنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معا ، وأرادوا التعريض فى كلامهم لئلا

Marfat.com

لَا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ
وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ
إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ
الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ * قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ
خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ
بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا
أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ

يكذبوا (وإنا لصادقون) يحتمل أن يكون قولهم وإنا لصادقون مغالطة مع اعتقادهم أنهم كاذبون ، ويحتمل أنهم قصدوا وجها من التعريض ليخرجوا به عن الكذب ، وقد ذكرناه فى الجواب الثالث عن مهلك أهله ، وهو أنهم قصدوا أن يقتلوا صالحا وأهله معاً ، ثم يقولون ماشهدنا مهلك أهله وحدهم وإنا لصادقون فى ذلك بل يعنون أنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معاً وعلى ذلك حمله الزمخشرى (أنا دمرناهم وقومهم) روى أن الرهط الذين تقاسموا على قتل صالح اختفوا ليلا فى غار قريبا من داره ليخرجوا منه إلى داره بالليل فوقعت عليهم صخرة فأهلكتهم ثم هلك قومهم بالصيحة ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض ، ونجا صالح ومن آمن به (وأنتم تبصرون) قيل معناه تبصرون بقلوبكم أنها معصية وقيل تبصرون بأبصاركم لأنهم كانوا ينكشفون بفعل ذلك ولا يستتر بعضهم من بعض ، وقيل تبصرون آثار الكفار قبلكم وما نزل بهم من العذاب « يتطهرون » « والغابرين » « وأمطرنا » قد ذكر (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر الله رسوله أن يتلو الآيات المذكورة بعد هذا ، لأنها براهين على وحدانيته وقدرته ، وأن يستفتح ذلك بحمده ، والسلام على من اصطفاه من عباده كما تستفتح الخطب والكتب وغيرها بذلك تيمنا بذكر الله . قال ابن عباس يعنى بعباده الذين اصطفى الصحابة ، واللفظ يعم الملائكة والأنبياء والصحابة والصالحين (آلله خير أما يشركون) على وجه الرد على المشركين فدخلت خير التى يراد بها التفضيل لتبكيتهم وتعنيفهم مع أنه معلوم أنه لا خير فيما أشركوا أصلا ، ثم أقام عليهم الحجة بأن الله هو الذى خلق السموات والأرض وبغير ذلك مما ذكره إلى تمام هذه الآيات ، وأعقب كل برهان منها بقوله أإله مع الله على وجه التقرير لهم على أنه لم يفعل ذلك كله إلا الله وحده فقامت عليهم الحجة بذلك وفيها أيضا نعم يجب شكرها فقامت بذلك أيضا وأم فى قوله خير أما يشركون متصلة عاطفة ، وأم فى المواضع التى بعده منقطعة بمعنى بل والهمزة (قوم يعدلون) أى يعدلون عن الحق والصواب أو يعدلون بالله غيره أى يجعلون له عديلا ومثيلا (رواسى) يعنى الجبال (البحرين) ذكر فى الفرقان (يجيب المضطر) قيل هو المجهود ، وقيل الذى

Marfat.com

إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلا ما تذكرون ۝ أمن يهديكم فى ظلمت البر والبحر ومن يرسل الريح بشرا بين يدى رحمته أءله مع الله تعلى الله عما يشركون ۝ أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهنكم إن كنتم صدقين ۝ قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون ۝ بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم

لاحول له ولا قوة ، واللفظ مشتق من الضرر : أى الذى أصابه الضر أو من الضرورة أى الذى ألجأته الضرورة إلى الدعاء (خلفاء الأرض) أى خلفاء فيها تتوارثون سكناها (أمن يهديكم) يعنى الهداية بالنجوم والطرقات (بشرا) ذكر فى الأعراف (من السماء والأرض) الرزق من السماء المطر ومن الأرض النبات (هاتوا برهانكم) تعجيز المشركين (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) هذه الآية تقتضى انفراد الله تعالى بعلم الغيب ، وأنه لا يعلمه سواه ، ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها من زعم أن محمداً يعلم الغيب فقد أعظم الفرية على الله ، ثم قرأت هذه الآية ، فإن قيل : فقد كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يخبر بالغيوب وذلك معدود فى معجزاته ، فالجواب : أنه صلى الله عليه وسلم قال إنى لا أعلم الغيب إلا ماعلمنى الله ، فإن قيل : كيف ذلك مع ماظهر من إخبار الكهان والمنجمين وأشباههم ، بالأمور المغيبة ؟ فالجواب : أن إخبارهم بذلك عن ظن ضعيف أو عن وهم لا عن علم ، وإنما اقتضت الآية نفى العلم ، وقد قيل إن الغيب فى هذه الآية يراد به متى تقوم الساعة ، لأن سبب نزولها أنهم سألوا عن ذلك ، ولذلك قال وما يشعرون أيان يبعثون ، فعلى هذا يندفع السؤال الأول ، والثانى لأن علم الساعة انفرد به الله تعالى لقوله تعالى «قل إنما علمها عند الله» ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : فى خمس لا يعلمها إلا الله ، ثم قرأ «إن الله عنده علم الساعة» إلى آخر السورة ، فإن قيل : كيف قال إلا الله بالرفع على البدل والبدل لا يصح إلا إذا كان الاستثناء متصلا ويكون مابعد إلا من جنس ماقبلها والله تعالى ليس ممن فى السموات والأرض باتفاق فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون إنه فوق السموات والأرض ، والقائلين بنفى الجهة يقولون إن الله تعالى ليس بهما ولا فوقهما ولا داخلا فيهما ولا خارجا عنهما فهو على هذا استثناء منقطع ، فكان يجب أن يكون منصوبا ؟ فالجواب من أربعة أوجه : الأول أن البدل هنا جاء على لغة بنى تميم فى البدل ، وإن كان منقطعا كقولهم مافى الدار أحد إلا حمار بالرفع والحمار ليس من الأحدين وهذا ضعيف ، لأن القرآن أنزل بلغة الحجاز لا بلغة بنى تميم ، والثانى أن الله فى السموات والأرض بعلمه كما قال «وهو معكم أينما كنتم» يعنى بعلمه ، فجاء البدل على هذا المعنى وهذا ضعيف ، لأن قوله فى السموات والأرض وقعت فيه لفظة فى الظرفية الحقيقية ، وهى فى حق الله على هذا المعنى للظرفية المجازية ولا يجوز استعمال لفظة واحدة فى الحقيقة والمجاز فى حالة واحدة عند المحققين ، الجواب الثالث أن قوله من فى السموات والأرض يراد به كل موجود فكأنه قال من فى الوجود فيكون الاستثناء على هذا متصلا ، فيصح الرفع على البدل ، وإنما قال من فى السموات والأرض جريا على منهاج كلام العرب فهو لفظ خاص يراد به ماهو أعم منه : الجواب الرابع أن يكون الاستثناء متصلا على أن يتأول من فى السموات فى حق الله كما يتأول قوله «أأمنتم من فى السماء» وحديث

Marfat.com

فى شكّ مِّنْها بل هُم مِّنْها عَمُونَ ۝ وَقَالَ الذين كفروا أءذا كنّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَآ أئنّا لمخرجون ۝ لقد وُعدنا هذا نحن وءاباؤنا من قبل إن هذآ إلّا أساطير الأولين ۝ قُل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ۝ ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مّما يمكرون ۝ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ۝ قُل عسىٰٓ أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون ۝ وإنّ ربّك لذو فضل على النّاس ولكنّ أكثرهم لا يشكرون ۝ وإنّ ربّك ليعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون ۝ وما من غآئبة فى السّمآء والأرض إلّا فى كتاب مّبين ۝ إنّ هذا القرءان يقصّ على بنىٓ إسرآءيل أكثر الّذى هم فيه يختلفون ۝ وإنّه لهدى ورحمة لّلمؤمنين ۝ إنّ ربّك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ۝ فتوكّل على الله إنّك على الحقّ المبين ۝ إنّك لا تسمع الموتىٰ ولا تسمع الصّمّ الدّعآء إذا ولّوا مدبرين ۝ ومآ أنت بهدى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلّا من يؤمن بـٔاياتنا فهم مّسلمون ۝ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دآبّة مّن الأرض تكلّمهم أنّ النّاس

الجارية وشبه ذلك (وما يشعرون أيان يبعثون) أى لا يشعرون من فى السموات والأرض متى يبعثون ، لأنّ علم الساعة مما انفرد به الله ، روى أن سبب نزول هذه الآية أن قريشا سألوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم متى الساعة (بل اداراك علمهم فى الآخرة) وزن ادارك تفاعل ثم سكنت التاء وأدغمت فى الدال واجتلبت ألف الوصل ، والمعنى تتابع علمهم بالآخرة وتناهى إلى أن يكفروا بها ، أو تناهى إلى أن لا يعلموا وقتها وقرئ أدرك بهمزة قطع على وزن أفعل ، والمعنى على هذا يدرك علمهم فى الآخرة أى يعلمون فيها الحق ، لأنهم يشاهدون حينئذ الحقائق ، فقوله فى الآخرة على هذا ظرف ، وعلى القراءة الأولى بمعنى الباء (عمون) جمع عم ، وهو من عمى القلوب (ردف لكم) أى تبعكم ، واللام زائدة ، أو ضمن معنى قرب وتعدى باللام ، ومعنى الآية أنهم استعجلوا العذاب بقولهم متى هذا الوعد ، فقيل لهم عسى أن يكون قرب لكم بعض العذاب الذى تستعجلون وهو قتلهم يوم بدر (غائبة) الهاء فيه للمبالغة : أى ما من شىء فى غاية الخفاء إلا وهو عند الله فى كتاب (إنك لا تسمع الموتى) شبه من لا يسمع ولا يعقل بالموتى فى أنهم لا يسمعون وإن كانوا أحياء ، ثم شبههم بالصم وبالعمى وإن كانوا صحاح الحواس ، وأكد عدم سماعهم بقوله إذا ولوا مدبرين ، لأن الأصم إذا أدبر وبعد عن الداعى زاد صممه وعدم سماعه بالكلية (وإذا وقع القول عليهم) أى إذا حان وقت عذابهم الذى تضمنه القول الأزلى من الله فى ذلك وهو قضاؤه ، والمعنى إذا قربت الساعة أخرجنا لهم دابة من الأرض ، وخروج الدابة من أشراط الساعة ، وروى أنها تخرج من المسجد الحرام ، وقيل من الصفا ، وأن طولها ستون ذراعا ، وقيل هى الجساسة التى وردت فى الحديث (تكلمهم) قيل تكلمهم ببطلان الأديان كلها إلا دين الإسلام ، وقيل تقول لهم ألا لعنة الله على الظالمين ، وروى أنها تسم الكافر وتخطم أنفه وتسود وجهه وتبيض وجه المؤمن (إن الناس) من قرأ بكسر الهمزة فهو ابتداء كلام ،

Marfat.com

كَانُوا بِآيَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوا
قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ۝
أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا الَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ
فَفَزِعَ مَن فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ۝ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً
وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝ مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا
وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝ وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝
إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ وَأَنْ أَتْلُوَا
الْقُرْءَانَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِ
فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝

ومن قرأ بالفتح فهو مفعول تكلمهم : أى تقول لهم إن الناس كانوا بآ تنا لا يوقنون ، أو مفعول من أجله تقديره تكلمهم ، لأن الناس لا يوقنون ثم حذفت اللام ، ويحتمل قوله لا يوقنون بخروج الدابة ، ولا يوقنون بالآخرة وأمور الدين ، وهذا أظهر (فهم يوزعون) أى يساقون بعنف (أماذا كنتم تعملون) أم استفهامية ، والمعنى إقامة الحجة عليهم كأنه قيل لهم إن كان لكم عمل أو حجة فهاتوها (ووقع القول عليهم) أى حق العذاب عليهم أو قامت الحجة عليهم (فهم لا ينطقون) إنما يسكتون لأن الحجة قد قامت عليهم وهذا فى بعض مواطن القيامة ، وقد جاء أنهم يتكلمون فى مواطن (ليسكنوا فيه) ذكر فى يونس (ينفخ فى الصور) ذكر فى الكهف (إلا من شاء الله) قيل هم الشهداء ، وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزائيل عليهم السلام (داخرين) صاغرين متذللين (تحسبها جامدة) أى قائمة ثابتة (وهى تمر) يكون مرورها فى أول أحوال يوم القيامة ، ثم ينسفها الله فى خلال ذلك فتكون كالعهن ثم تصير هباء منبثا (صنع الله) مصدر ، والعامل فيه محذوف ، وقيل هو منصوب على الإغراء : أى انظروا صنع الله (من جاء بالحسنة فله خير منها) قيل إن الحسنة لا إله إلا الله ، واللفظ أعم ، ومعنى خير منها أن له بالحسنة الواحدة عشراً (من فزع يومئذ) من نون فزع فتح الميم من يومئذ ومن أسقط التنوين للإضافة قرأ بفتح الميم على البناء أو بكسرها على الإعراب (ومن جاء بالسيئة) السيئة هنا الكفر والمعاصى التى قضى الله بتعذيب فاعلها (هذه البلدة) يعنى مكة (الذى حرمها) أى جعلها حرما آمنا لا يقاتل فيها أحد ولا ينتهك حرمتها ، ونسب تحريمها هنا إلى الله لأنه بسبب قضائه وأمره ، ونسبه النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى إبراهيم عليه السلام فى قوله إن إبراهيم حرم مكة . لأن إبراهيم هو الذى أعلم الناس بتحريمها ، فليس بين الحديث والآية تعارض وقد جاء فى حديث آخر أن مكة حرمها الله يوم خلق السموات والأرض (ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين) أى إنما على الإنذار والتبليغ (سيريكم

سورة القصص

مكية إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فمدنية وآية ٨٥ فبالجحفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * طسٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ۝ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ
بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي
نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَٰرِثِينَ *
وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝
فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَٰطِـِٔينَ ۝ وَقَالَتِ
امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ
أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ

آياته) وعيد بالعذاب الذى يضطرهم إلى معرفة آيات الله إما فى الدنيا أو فى الآخرة

سورة القصص

(علا فى الأرض) أى تكبر وطغا (شيعا) أى فرقا مختلفين فجعل فرعون القبط ملوكا وبنى إسرائيل خداما لهم ، وهم الطائفة الذين استضعفهم ، وأراد الله أن يمن عليهم ويجعلهم أئمة : أى ولاة فى الأرض أرض فرعون وقومه (هامان) هو وزير فرعون (وأوحينا إلى أم موسى) اختلف هل كان هذا الوحى بإلهام أو منام أو كلام بواسطة الملك ، وهذا أظهر لثقتها بما أوحى إليها وامتثالها ما أمرت به (فإذا خفت عليه) أى إذا خفت عليه أن يذبحه فرعون لأنه كان يذبح أبناء بنى إسرائيل لما أخبره الكهان أن هلاكه على يد غلام منهم (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط اللقاء من غير قصد ، روى أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت فى البحر وهو النيل فأمرت أن يساق لها ففتحته فوجدت فيه صبيا فأحبته ، وقالت لفرعون : هذا قرة عين لى ولك (ليكون لهم عدوا) اللام لام العاقبة وتسمى أيضا لام الصيرورة (لا تقتلوه) روى أن فرعون همّ بذبحه إذ توسم أنه من بنى إسرائيل ، فقالت امرأته لا تقتلوه (وهم لا يشعرون) أى لا يشعرون أن هلاكهم يكون على يديه . والضمير الفاعل لفرعون وقومه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أى ذاهلا لا عقل معها ، وقيل فارغا من الصبر وقيل فارغا من كل شىء إلا من همّ موسى ، وقيل فارغا من وعد الله : أى نسيت ما أوحى إليها ، وقيل فارغا من الحزن إذ لم يغرق وهذا بعيد لما بعده وقيل فارغا من كل شىء إلا من ذكر الله وقرئ فزعا بالزاى من الفزع (إن كادت لتبدى به) أى تظهر أمره ، وفى الحديث كادت أم موسى أن تقول وا ابناه وتخرج صائحة على وجهها (ربطنا على قلبها) أى رزقناها الصبر (لتكون من المؤمنين) أى من المصدقين بالوعد الذى وعدها الله (وقالت

Marfat.com

فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۞ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ۞ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰٓ

لأخته قصيه) أى اتبعيه ، والقص طلب الأثر ، فخرجت أخته تبحث عنه فى خفية (فبصرت به عن جنب) أى رأته من بعيد ولم تقرب منه لئلا يعلموا أنها أخته ، وقيل معنى عن جنب : عن شوق إليه ، وقيل معناه أنها نظرت إليه كأنها لاتريده (وهم لايشعرون) أى لايشعرون أنها أخته (وحرمنا عليه المراضع) أى منع منها بأن بغضها الله له ، والمراضع جمع مرضعة ، وهى المرأة التى ترضع ، أوجمع مرضع بفتح الميم والضاد : وهوموضع الرضاع يعنى الثدى (من قبل) أى من أول مرة (فقالت هل أدلكم) القائلة أخته تخاطب آل فرعون (فرددناه إلى أمه) لما منعه الله من المراضع وقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت الآية : جاءت بأمه فقبل ثديها ، فقال لها فرعون ومن أنت منه فما قبل ثدى امرأة إلا ثديك ؟ فقالت إنى امرأة طيبة اللبن ، فذهبت به إلى بيتها وقرت عينها بذلك وعلمت أن وعد الله حق فى قوله إنا رادوه إليك (بلغ أشده) ذكر فى يوسف (واستوى) أى كمل عقله ، وذلك مع الأربعين سنة (ودخل المدينة) يعنى مصر وقيل قرية حولها . والأول أشهر (على حين غفلة) قيل فى القائلة وقيل بين العشاءين . وقيل يوم عيد ، وقيل كان قد جفا فرعون وخاف على نفسه فدخل مختفياً متخوفاً (هذا من شيعته) الذى من شيعته من بنى إسرائيل ، والذى من عدوه من القبط (فوكزه موسى) أى ضربه ، والوكز الدفع بأطراف الأصابع وقيل بجمع الكف (فقضى عليه) أى قتله ، ولم يرد أن يقتله ولكن وافقت وكزته الأجل . فندم وقال هذا من عمل الشيطان أى إن الغضب الذى أوجب ذلك كان من الشيطان . ثم اعترف واستغفر فغفر الله له ، فإن قيل : كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافراً ؟ فالجواب أنه لم يؤذن له فى قتله ولذلك يقول يوم القيامة إنى قتلت نفساً لم أومر بقتلها (قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيراً للمجرمين) الظهير المعين ، والباء سببية ، والمعنى بسبب إنعامك على لا أكون ظهيراً للمجرمين ، فهى معاهدة عاهدموسى عليها ربه ، وقيل الباء باء القسم وهذا ضعيف لأن قوله فلن أكون لايصلح لجواب القسم ، وقيل جواب القسم محذوف تقديره وحق نعمتك لأتوبن فلن أكون ظهيراً للمجرمين ، وقيل الباء للتحليف : أى اعصمنى بحق نعمتك على فلن أكون ظهيراً للمجرمين ويحتج بهذه الآية على المنع من صحبة ولاة الجور (يترقب) فى الموضعين أى يستحس هل يطلبه أحد (يستصرخه) أى

إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ۞ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ۞ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّٰصِحِينَ ۞ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ۞ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ السَّبِيلِ ۞ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۞ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۞ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى اسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُ

يستغيث به ، لق موسى الإسرائيلى الذى قاتل القبطى بالأمس يقاتل رجلا آخر من القبط فاستغاث بموسى لينصره كما نصره بالأمس فعظم ذلك على موسى وقال له إنك لغوى مبين (فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما) الضمير فى أراد وفى يبطش لموسى ، وفى قال للإسرائيلى ، والمعنى لما أراد موسى أن يبطش بالقبطى الذى هو عدو له وللإسرائيلى : ظن الإسرائيلى أنه يريد أن يبطش به إذ قال له إنك لغوى مبين ، فقال الإسرائيلى لموسى : أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس ، وقيل الضمير فى أراد للإسرائيلى ، والمعنى فلما أراد الإسرائيلى أن يبطش موسى بالقبطى ولم يفعل موسى ذلك لندامته على قتله الآخر بالأمس فنصح الإسرائيلى ، فقال له أتريد أن تقتلنى فاشتهر خبر قتله للآخر إلى أن وصل إلى فرعون (وجاء رجل) قيل إنه مؤمن آل فرعون ، وقيل غيره (يسعى) أى يسرع فى مشيه ليدرك موسى فينصحه (إن الملأ يأتمرون بك) يتشاورون وقيل يأمر بعضهم بعضاً بقتلك كما قتلت القبطى (ولما توجه تلقاء مدين) أى قصد بوجهه ناحية مدين وهى مدينة شعيب عليه السلام (قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) أى وسط الطريق يعنى طريق مدين إذ كان قد خرج فاراً بنفسه ، وكان لا يعرف الطريق ، وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام وقيل أراد سبيل الهدى وهذا أظهر ، ويدل كلامه هذا على أنه كان عارفا بالله قبل نبوته (ولما ورد ماء مدين) أى وصل إليه وكان بئراً (يسقون) أى يسقون مواشيهم (امرأتين) روى أن اسمهما ليا وصفوريا ، وقيل صفيرا وصفرا (تذودان) أى تمنعان الناس عن غنمهما ، وقيل تذودان غنمهما عن الماء حتى يسقى الناس ، وهذا أظهر لقولهما لا نسقى حتى يصدر الرعاء : أى كانت عادتهما ألا يسقيا غنمهما إلا بعد الناس لقوة الناس وضعفهما ، أو لكراهتهما التزاحم مع الناس (يصدر) بضم الياء وكسر الدال فعل متعد ، والمفعول محذوف تقديره حتى يصدر الرعاء مواشيهم ، وقرئ بفتح الياء وضم الدال أى ينصرفون عن الماء (وأبونا شيخ كبير) أى لا يستطيع أن يباشر سقى غنمه ، وهذا الشيخ هو شعيب عليه السلام فى قول الجمهور ، وقيل ابن أخيه ، وقيل رجل صالح ليس من شعيب بنسب (فسقى لهما) أى أدركته شفقته عليهما فسقى غنمهما ، وروى أنه كان على فم البئر صخرة لا يرفعها إلا ثلاثون رجلا فرفعها وحده (تولى إلى الظل) أى جلس فى الظل . وروى أنه كان ظل سمرة (إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير) طلب من الله ما يأكله وكان قد

Marfat.com

وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۞ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ۞ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۞ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۞ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۞ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ

اشتد عليه الجوع (فجاءته إحداهما) قبل هذا كلام محذوف تقديره فذهبتا إلى أبيهما سريعتين ، وكانت عادتهما الإبطاء فى السقى فأخبرتاه بما كان من أمر سقى الرجل لهما فأمر إحداهما أن تدعوه له فجاءته ، واختلف هل التى جاءته الصغرى أو الكبرى (على استحياء) روى أنها سترت وجهها بكم درعها والمجرور يتعلق بما قبله وقيل بما بعده وهو ضعيف (وقص عليه القصص) أى ذكر له قصته (لا تخف) أى قد نجوت من فرعون وقومه لأن بلد مدين لم يكن من ملك فرعون (استأجره) أى اجعله أجيراً لك (إن خير من استأجرت القوى الأمين) هذا الكلام حكمة جامعة بليغة ، روى أن أباها قال لها من أين عرفت قوته وأمانته ، قالت أما قوته ففى رفعه الحجر عن فم البئر : وأما أمانته فإنه لم ينظر إلى (قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى) زوجته التى دعته ، واختلف هل زوجه الكبرى أو الصغرى ، واسم التى زوجه صفور ، وقيل صفوريا ، ومن لفظ شعيب حسن أن يقال فى عقود الأنكحة : أنكحه إياها أكثر من أن يقال أنكحها إياه (على أن تأجرنى ثمانى حجج) أى أزوجك بنتى على أن تخدمنى ثمانية أعوام ، قال مكى : فى هذه الآية خصائص فى النكاح ، منها أنه لم يعين الزوجة ، ولا حد أول الأمد ، وجعل المهر إجارة . قلت فأما التعيين فيحتمل أن يكون عند عقد النكاح بعد هذه المراودة ، وقد قال الزمخشرى إن كلامه معه لم يكن عقد نكاح ، وإنما كان مواعدة وأما ذكر أول الأمد ، فالظاهر أنه من حين العقد ، وأما النكاح بالإجارة فظاهر من الآية ، وقد قرره شرعنا حسبما ورد فى الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم الرجل قد زوجتكها على ما معك من القرآن : أى على أن تعلمها ما عندك من القرآن ، وقد أجاز النكاح بالإجارة الشافعى وابن حنبل وابن حبيب للآية والحديث ، ومنعه مالك (فإن أتممت عشراً فمن عندك) جعل الأعوام الثمانية شرطا ، ووكل العامين إلى مروءة موسى ، فوفى له العشر ، وقيل وفى العشرة وعشرا بعدها ، وهذا ضعيف لقوله (فلما قضى موسى الأجل) أى الأجل المذكور (وسار بأهله) الأهل هنا الزوجة مشى بها إلى مصر (جذوة) أى قطعة ، ويجوز كسر الجيم وضمها ، وقد ذكر آنس ، والطور ، وتصطلون (شاطئ الواد) جانبه والأيمن صفة للشاطئ اليمين ، ويحتمل أن يكون من اليمن فيكون صفة للوادى (من الشجرة) روى أنها كانت عوسجة (جان) ذكر فى النمل

Marfat.com

وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۝ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۝ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ ۝ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى

(اسلك يدك فى جيبك) أى أدخلها فيه ، والجيب هو فتح الجبة من حيث يخرج الإنسان رأسه (واضمم إليك جناحك) الجناح اليد أو الإبط أو العضد أمره الله لما خاف من الحية أن يضمه إلى جنبه ليخف بذلك خوفه فإن من شأن الإنسان إذا فعل ذلك فى وقت فزعه أن يخف خوفه ، وقيل ذلك على وجه المجاز ، والمعنى أنه أمر بالعزم على ما أمر به : كقوله اشدد حيازمك واربط جأشك (من الرهب) أى من أجل الرهب ، وهو الخوف ، وفيه ثلاثة لغات فتح الراء والهاء ، وفتح الراء وإسكان الهاء ، وضم الراء وإسكان الهاء (فذانك برهانان) أى حجتان والإشارة إلى العصا واليد (إلى فرعون) يتعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام (ردءا) أى معينا ، وقرئ بالهمز وبغير همز على التسهيل من المهموز أو يكون من أرديت أى زدت (سنشد عضدك بأخيك) استعارة فى المعونة (بآياتنا) يحتمل أن يتعلق بقوله نجعل أو بيصلون أو بالغالبون (فأوقد لى ياهامان على الطين) أى اصنع الآجر لبنيان الصرح الذى رام أن يصعد منه إلى السماء ، وروى أنه أول من عمل الآجر ، وكان هامان وزير فرعون وانظر ضعف عقولهما وعقول قومهما وجهلهم بالله تعالى فى كونهم طمعوا أن يصلوا إلى السماء ببنيان الصرح ، وقد روى أنه عمله وصعد عليه ورمى بسهم إلى السماء فرجع مخضوبا بدم وذلك فتنة له ولقومه وتهكم بهم ، ثم قال (وإنى لأظنه من الكاذبين) يعنى فى دعوى الرسالة، والظن هنا يحتمل أن يكون على بابه ، أو بمعنى اليقين (أئمة يدعون إلى النار) أى كانوا يدعون الناس إلى الكفر الموجب للنار (من المقبوحين) أى من المطرودين المبعدين ، وقيل قبحت وجوههم ، وقيل

Marfat.com

وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ۝ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ

قبح مايفعل بهم وما يقال لهم (وما كنت بجانب الغربى) خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد به إقامة حجة لإخباره بحال موسى وهو لم يحضره والغربى المكان الذى فى غربى الطور ، وهو المكان الذى كلم الله فيه موسى والأمر المقضى إلى موسى هو النبوة ومن الشاهدين معناه من الحاضرين هنالك (ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر) المعنى لم تحضر يا محمد للاطلاع على هذه الغيوب التى تخبر بها ، ولكنها صارت إليك بوحينا فكان الواجب على الناس المسارعة إلى الإيمان بك ، ولكن تطاول الأمر على القرون التى أنشأناها فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم فكفروا بك ، وقيل المعنى لكنا أنشأنا قرونا بعد زمان موسى فتطاول عليهم العمر وطالت الفترة فأرسلناك على فترة من الرسل (ثاويا) أى مقيما (إذ نادينا) يعنى تكليم موسى ، والمراد بذلك إقامة حجة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضرا حينئذ (ولكن رحمة) انتصب على المصدر ، أو على أنه مفعول من أجله والتقدير : ولكن أرسلناك رحمة منا لك ورحمة للخلق بك (ولولا أن تصيبهم مصيبة) لو هنا حرف امتناع ولولا الثانية عرض وتحضيض ، والمعنى لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسل ، وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار وإقامة الحجة عليهم ، لئلا يقولوا : ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (فلما جاءهم الحق) يعنى القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى) يعنون إنزال الكتاب عليه من السماء جملة واحدة ، وقلب العصا حية وفلق البحر وشبه ذلك (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) هذا رد عليهم فيما طلبوه . والمعنى أنهم كفروا بما أوتى موسى فلو آتينا محمدا مثل ذلك لكفروا به ، ومن قبل على هذا يتعلق بقوله أوتى موسى ، ويحتمل أن يتعلق بقوله أو لم يكفروا ، إن كانت الآية فى بنى إسرائيل . والأول أحسن (قالوا ساحران تظاهرا) يعنون موسى وهارون . أو موسى ومحمداً صلى الله عليه وسلم والضمير فى أو لم يكفروا وفى قالوا لكفار قريش وقيل لآبائهم ، وقيل لليهود والأول أظهر وأصح لأنهم المقصودون بالرد عليهم (فأتوا بكتاب) أمر على وجه التعجيز لهم (أهدى منهما) الضمير يعود على كتاب موسى وكتاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فإن لم يستجيبوا لك) قد علم أنهم لا يستجيبون للإتيان بكتاب هو أهدى منهما أبدا ، ولكنه ذكره بحرف إن مبالغة فى إقامة الحجة عليهم :

أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۝ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ۝ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا

كقوله : فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم : المعنى إن لم يأتوا بكتاب فاعلم أن كفرهم عناد واتباع أهوائهم لا بحجة وبرهان (ولقد وصلنا لهم القول) الضمير لكفار قريش ، وقيل لليهود والأول أظهر ؛ لأن الكلام من أوله معهم ، والقول هنا القرآن ، ووصلنا لهم : أبلغناه لهم ، أو جعلناه موصلا بعضه ببعض (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) يعنى من أسلم من اليهود ، وقيل النجاشي وقومه ، وقيل نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة وهم عشرون رجلا فآمنوا به ، والضمير فى قبله للقرآن ، وقولهم إنه الحق : تعليل لإيمانهم ، وقولهم إنا كنا من قبله مسلمين : بيان لأن إسلامهم قديم لأنهم وجدوا ذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم قبل أن يبعث (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأعتقها وتزوجها (بما صبروا) يعنى صبرهم على إذاية قومهم لهم لما أسلموا أو غير ذلك من أنواع الصبر (ويدرؤون بالحسنة السيئة) أى يدفعون ، ويحتمل أن يريد بالسيئة ما يقال لهم من الكلام القبيح ، وبالحسنة ما يجاوبون به من الكلام الحسن ، أو يريد سيئات أعمالهم وحسناتها كقوله إن الحسنات يذهبن السيئات (وإذا سمعوا اللغو) يعنى ساقط الكلام (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) هذا على وجه التبرى والبعد من القائلين للغو (سلام عليكم) معناه هنا المتاركة والمباعدة لا التحية أو كأنه سلام الانصراف والبعد (لا نبتغى الجاهلين) أى لا نطلبهم للجدال والمراجعة فى الكلام (إنك لا تهدى من أحببت) نزلت فى أبى طالب إذ دعاه النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول عند موته لا إله إلا الله فقال لولا أن يعايرنى بها قريش لأقررت بها عينك ومات على الكفر ، ولفظ الآية مع ذلك على عمومه (ولكن الله يهدى من يشاء) لفظ عام ، وقيل أراد به العباس بن عبد المطلب (وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) القائلون لذلك قريش ، وروى أن الذى قالها منهم الحارث بن عامر بن نوفل ، والهدى هو الإسلام ، ومعناه الهدى على زعمك ، وقيل إنهم قالوا قد علمنا أن الذى تقول حق ، ولكن إن اتبعناك تخطفتنا العرب : أى أهلكونا بالقتال لمخالفة دينهم (أو لم نمكن لهم حرما آمنا) هذا رد عليهم فيما اعتذروا به من تخطف الناس لهم ، والمعنى أن الحرم لا تتعرض له العرب بقتال ولا يمكن الله أحدا من إهلاك أهله فقد كانت العرب يغير بعضهم على بعض ، وأهل الحرم آمنون من ذلك (يجبى إليه ثمرات كل شىء) أى

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَٰرِثِينَ ۝ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى الْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۝ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ۝ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ

تجلب إليه الأرزاق مع أنه واد غير ذى زرع (بطرت معيشتها) معنى بطرت طغت وسفهت . ومعيشتها: نصب على التفسير مثل سفه نفسه، أو على إسقاط حرف الجر تقديره بطرت فى معيشتها أو يتضمن معنى بطرت كفرت (إلا قليلا) يعنى قليلا من السكنى، أو قليلا من الساكنين: أى لم يسكنها بعد إهلاكها إلا مارًا على الطريق ساعة (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا) أم القرى مكة لأنها أول ما خلق الله من الأرض، ولأن فيها بيت الله. والمعنى أن الله أقام الحجة على أهل القرى بأن بعث سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم فى أم القرى، فإن كفروا أهلكهم بظلمهم بعد البيان لهم وإقامة الحجة عليهم (وما أوتيتم من شىء) الآية: تحقير للدنيا وتزهيد فيها وترغيب فى الآخرة (أفمن وعدناه) الآية: إيضاح لما قبلها من البون بين الدنيا والآخرة، والمراد بمن وعدناه المؤمنين. وبمن متعناه الكافرين. وقيل سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وأبو جهل. وقيل حمزة وأبو جهل، والعموم أحسن لفظا. ومعنى من المحضرين أى من المحضرين فى العذاب (ويوم يناديهم) العامل فى الظرف مضمر وفاعل ينادى الله تعالى. ويحتمل أن يكون نداؤه بواسطة أو بغير واسطة، والمفعول به المشركون (أين شركائى) توبيخ للمشركين ونسبهم إلى نفسه على زعمهم، ولذلك قال الذين كنتم تزعمون، فحذف المفعول وتقديره تزعمون أنهم شركاء لى أو تزعمون أنهم شفعاء لكم (قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا) معنى حق عليهم القول وجب عليهم العذاب، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبراؤهم. والإشارة بقولهم هؤلاء الذين أغوينا: إلى أتباعهم من الضعفاء، فإن قيل: كيف الجمع بين قولهم أغوينا وبين قولهم تبرأنا إليك، فإنهم اعترفوا بإغوائهم، وتبرءوا مع ذلك منهم؟ فالجواب أن إغواءهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك، والمعنى أنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه ولكن لم يكونوا يعبدوننا إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها فتبرأنا إليك من عبادتهم لنا. فتحصل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغووا الضعفاء وتبرءوا من أن يكونوا هم آلهتهم فلا تناقض فى الكلام، وقد قيل فى معنى الآية غير هذا مما هو تكلف بعيد (لو أنهم كانوا يهتدون) فيه أربعة أوجه: الأول أن المعنى لو أنهم كانوا يهتدون فى الدنيا لم يعبدوا الأصنام. والثانى لو أنهم كانوا يهتدون لم يعذبوا

مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۝ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ۝ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ

والثالث لو أنهم كانوا يهتدون فى الآخرة لحيلة يدفعون بها العذاب لفعلوا فلو على هذه الأقوال حرف امتناع وجوابها محذوف . والرابع أن يكون لو للتمنى : أى تمنوا لو كانوا مهتدين (ماذا أجبتم المرسلين) أى أهل صدقتم المرسلين أو كذبتموهم (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) عميت عبارة عن حيرتهم ، والأنباء الأخبار أى أظلمت عليهم الأمور فلم يعرفوا مايقولون (فهم لا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا عن الأنباء لأنهم قد تساووا فى الحيرة والعجز عن الجواب (وربك يخلق مايشاء ويختار) قيل سببها استغراب قريش لاختصاص سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة ، فالمعنى أن الله يخلق مايشاء ، ويختار لرسالته من يشاء من عباده ، ولفظها أعم من ذلك ، والأحسن حمله على عمومه : أى يختار مايشاء من الأمور على الإطلاق ، ويفعل مايريد (ما كان لهم الخيرة) ما نافية ، والمعنى ما كان للعباد اختيار إنما الاختيار والإرادة لله وحده . فالوقف على قوله ويختار ، وقيل إن ما مفعولة بيختار ، ومعنى الخيرة على هذا الخير والمصلحة ، وهذا يجرى على قول المعتزلة ، وذلك ضعيف لرفع الخيرة على أنها اسم كان ، ولو كانت ما مفعولة : لكان اسم كان مضمرا يعود على ما ؛ وكانت الخيرة منصوبة على أنها خبر كان ، وقد اعتذر عن هذا من قال إن ما مفعولة بأن يقال تقدير الكلام يختار ما كان لهم الخيرة فيه ، ثم حذف الجار والمجرور وهذا ضعيف . وقال ابن عطية يتجه أن تكون ما مفعولة إذا قدرنا كان تامة ، ويوقف على قوله ما كان : أى يختار كل كائن ، ويكون «لهم الخيرة» جملة مستأنفة ، وهذا بعيد جدا (يعلم ما تكن صدورهم) أى ماتخفيه قلوبهم وعبر عن القلب بالصدر ، لأنه يحتوى عليه (له الحمد فى الأولى والآخرة) قيل إن الحمد فى الآخرة قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده أو قولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، وفى ذكر الأولى مع الآخرة مطابقة (سرمدا) أى دائما ، والمراد بالآيات إثبات الوحدانية وإبطال الشرك ، فإن قيل كيف قال يأتيكم بضياء ، وهلا قال يأتيكم بنهار فى مقابلة قوله يأتيكم بليل ؟ فالجواب أنه ذكر الضياء لجملة مافيه من المنافع والعبر (لتسكنوا فيه) أى فى الليل (ولتبتغوا من فضله) أى فى النهار ، ففى الآية لف ونشر (ونزعنا من كل أمة شهيدا) أى أخرجنا من كل أمة شهيدا منهم يشهد عليهم بأعمالهم

فبغىٰ عليهم وءاتينٰه من الكنوز مآ إنّ مفاتحه لتنوأُ بالعصبة أُولى القوّة إذ قال له قومه لا تفرح إنّ الله لا يحبّ الفرحين * وابتغ فيمآ ءاتٰك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كمآ أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إنّ الله لا يحبّ المفسدين * قال إنمآ أُوتيته علىٰ علم عندى أو لم يعلم أنّ الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشدّ منه قوّة وأكثر جمعاً ولا يُسئل عن ذنوبهم المجرمون *

وهو نبيهم ، لأن كل نبي يشهد على أمته (هاتوا برهانكم) أى هاتوا حجتكم على ما كنتم عليه من الكفر ، وذلك إعذار لهم وتوبيخ وتعجيز (إن قارون كان من قوم موسى) أى من بنى إسرائيل ، وكان ابن عم موسى وقيل ابن عمته ، وقيل ابن خالته (فبغى عليهم) أى تكبر وطغى ومن ذلك كفره بموسى عليه السلام (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة) المفاتح هى التى يفتح بها ، وقيل هى الخزائن ، والأول أظهر ، والعصبة جماعة الرجال من العشرة إلى الأربعين ، وتنوء معناه تثقل ، يقال ناء به الحمل : إذا أثقله ، وقيل معنى تنوء تنهض بتحامل وتكلف والوجه على هذا أن يقال إن العصبة تنوء بالمفاتح لكنه قلب كما جاء قلب الكلام عن العرب كثيرا ، ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول (لا تفرح) الفرح هنا هو الذى يقود إلى الإعجاب والطغيان ، ولذلك قال إن الله لا يحب الفرحين ، وقيل السرور بالدنيا ، لأنه لا يفرح بها إلا من غفل عن الآخرة ويدل على هذا قوله ولا تفرحوا بما آتاكم (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أى اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال ، وذلك بفعل الحسنات والصدقات (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى لا تضيع حظك من دنياك وتمتع بها مع عملك للآخرة ، وقيل معناه لا تضيع عمرك بترك الأعمال الصالحات . فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما هو بما يعمل فيها من الخير ، فالكلام على هذا وعظ ، وعلى الأول إباحة للتمتع بالدنيا لئلا ينفر عن قبول الموعظة (وأحسن كما أحسن الله إليك) أى أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى (قال إنما أوتيته على علم عندى) لما وعظه قومه أجابهم بهذا على وجه الرد عليهم والروغان عما ألزموه من الموعظة ، والمعنى أن هذا المال إنما أعطاه الله لى بالاستحقاق له بسبب علم عندى استوجبته به واختلف فى هذا العلم فقيل إنه علم الكيمياء ، وقيل التجارب الأمور والمعرفة بالمكاسب ، وقيل حفظه التوارة ، وهذا بعيد ، لأنه كان كافرا ، قيل المعنى إنما أوتيته على علم من الله وتخصيص خصنى به ، ثم جعل قوله عندى كما تقول فى ظنى واعتقادى (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون) هذا رد عليه فى اغتراره بالدنيا وكثرة جمعه للمال أو جمعه للخدم ، والأول أظهر (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) فى معناه قولان : أحدهما أنه متصل بما قبله ، والضمير فى ذنوبهم يعود على القرون المتقدمة والمجرمون من بعدهم أى لا يسأل المجرمون عن ذنوب من تقدمهم من الأمم الهالكة لأن كل أحد إنما يسأل عن ذنوبه خاصة . والثانى أنه إخبار عن حال المجرمين فى الآخرة ؛ وأنهم لا يسألون عن ذنوبهم لكونهم يدخلون النار من غير حساب . والصحيح أنهم يحاسبون على ذنوبهم ويسئلون عنها لقوله « فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون » وأن هذا السؤال المنفى السؤال على وجه الاختبار وطلب التعريف ، لأنه لا يحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه لكن يسألون على وجه التوبيخ ، وحيثما ورد فى القرآن إثبات السؤال فى الآخرة ، فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ ، وحيثما ورد نفيه فهو على وجه

Marfat.com

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا الصَّٰبِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَٰفِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ الْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ۝ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَا تَدْعُ

الاستخبار والتعريف، ومنه قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان (فخرج على قومه فى زينته) فى ثياب حمر، وقيل فى عبيده وحاشيته، واللفظ أعم من ذلك (ويلكم) زجر الذين تمنوا مثل حال قارون (ولا يلقاها إلا الصابرون) الضمير عائد على الخصال التى دل عليها الكلام المتقدم، وهى الإيمان والعمل الصالح، وقيل على الكلمة التى قالها الذين أوتوا العلم: أى لا تصدر الكلمة إلا عن الصابرين، والصبر هنا إمساك النفس عن الدنيا وزينتها (فخسفنا به وبداره الأرض) روى أن قارون لما بغى على بنى إسرائيل وآذى موسى دعا موسى عليه السلام عليه فأوحى الله إليه أن قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه وفى أتباعه، فقال موسى: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب فاستغاثوا بموسى فقال يا أرض خذيهم حتى تم بهم الخسف (مكانه) أى منزلته فى المال والعزة (بالأمس) يحتمل أن يريد به اليوم الذى كان قبل ذلك اليوم أو ما تقدم من الزمان القريب (ويكأن) مذهب سيبويه أن وى حرف تنبيه، ثم ذكرت بعدها كأن، والمعنى على هذا أنهم تنبهوا لخطئهم فى قولهم يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون، ثم قالوا كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر: أى ما أشبه الحال بهذا، وقال الكوفيون ويك هو ويلك حذفت منها اللام لكثرة الاستعمال، ثم ذكرت بعدها أن، والمعنى ألم يعلموا أن الله وقيل ويكأن كلمة واحدة معناها ألم تعلم (علوا فى الأرض) أى تكبرا وطغيانا لا رفعة المنزلة، فإن إرادتها جائزة (فرض عليك القرآن) أى أنزله عليك وأثبته، وقيل المعنى أعطاك القرآن، والمعنى متقارب، وقيل فرض عليك أحكام القرآن، فهى على حذف مضاف (لرادك إلى معاد) المعاد الموضع الذى يعاد إليه، فقيل يعنى مكة، والآية نزلت حين الهجرة، ففيها وعد بالرجوع إلى مكة وفتحها، وقيل يعنى الآخرة فمعناها إعلام بالحشر، وقيل يعنى الجنة (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب) أى ما كنت تطمع أن تنال النبوة، ولا أن ينزل عليك الكتاب ولكن الله رحمك بذلك ورحم الناس بنبوتك. والاستثناء بمعنى لكن فهو منقطع. ويحتمل أن يكون متصلا. والمعنى ما أنزل عليك الكتاب إلا رحمة من ربك لك ورحمة للناس، ورحمة على هذا مفعول من أجله أو حال، وعلى الأول منصوب على

مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝

سورة العنكبوت

مكية إلا من آية ١ إلى غاية ١١ فمدنية وآياتها ٦٩ نزلت بعد الروم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ * مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا

الاستثناء (وادع إلى ربك) يحتمل أن يكون من الدعاء بمعنى الرغبة ، أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله ، فالمفعول محذوف على هذا تقديره ادع الناس (ولا تدع) أى لا تعبد (مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شىء هالك إلا وجهه) الآية . أى إلا إياه والوجه هنا عبارة عن الذات

سورة العنكبوت

(الٓمٓ) ذكر فى البقرة (أحسب الناس أن يتركوا) نزلت فى قوم من المؤمنين كانوا بمكة مستضعفين منهم عمار بن ياسر وغيره ، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام فضاقت صدورهم بذلك وآنسهم الله بهذه الآية ووعظهم وأخبرهم أن ذلك اختبار ليوطنوا أنفسهم على الصبر على الأذى والثبوت على الإيمان فأعلمهم الله تعالى أن تلك سيرته فى عباده يسلط الكفار على المؤمنين ليمحصهم بذلك ، ويظهر الصادق فى إيمانه من الكاذب ، ولفظها مع ذلك عام ، فحكمها على العموم فى كل من أصابته فتنة من مصيبة أو مضرة فى النفس والمال وغير ذلك ، ومعنى حسب ظن ، وأن يتركوا مفعولها . والهمزة للإنكار وهم لا يفتنون فى موضع الحال من الضمير فى يتركوا تقديره غير مفتونين ، وأن يقولوا : تعليل فى موضع المفعول من أجله (فليعلمن الله الذين صدقوا) أى يعلم صدقهم علما ظاهرا فى الوجود ، وقد كان علمه فى الأزل والصدق والكذب فى الآية يعنى بهما صحة الإيمان والثبوت عليه ، أو ضد ذلك (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) أم معادلة لقوله أحسب الناس ، والمراد بالذين يعملون السيئات الكفار الذين يعذبون المؤمنين ، ولفظها مع ذلك عام فى كل كافر أو عاص ، ومعنى يسبقونا يفوتون من عقابنا ويعجزوننا ، فمعنى الكلام نفى سبقهم كما أن معنى الآية قبلها نفى ترك المؤمنين بغير فتنة (من كان يرجو لقاء الله) الآية : تسلية المؤمنين ، ووعد لهم بالخير فى الدار الآخرة ، والرجاء هنا على بابه ، وقيل هو بمعنى الخوف ، وأجل الله هو الموت ، ومعنى الآية من كان يرجو ثواب الله فليصبر فى الدنيا على المجاهدة فى طاعة الله حتى يلقى الله فيجازيه فإن لقاء الله قريب الإتيان وكل ما هو آت قريب (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) أى منفعة جهاده فإنما هى لنفسه ، فان الله لا تنفعه طاعة العباد ، والجهاد هنا يحتمل أن يراد به القتال ، أو جهاد

Marfat.com

تُطِعْهُمَآ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى الصَّٰلِحِينَ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ الْعَٰلَمِينَ ۞ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَٰفِقِينَ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۞ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۞ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا

النفس (حسنا) منصوب بفعل مضمر تقديره ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه حسنا ، أومصدرا من معنى وصينا أي وصية حسنة (وإن جاهداك لتشرك بى) الآية نزلت فى سعد بن أبى وقاص ، وأنه لما أسلم حلفت أمه أن لا تستظل بظل حتى يكفر ، وقيل نزلت فى غيره ممن جرى له مثل ذلك فأمرهم الله بالثبات على الإسلام وألا يطيعوا الوالدين إذا أمروهم بالكفر ، وعبر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغة (ومن الناس من يقول آمنا بالله) نزلت فى قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم ، فإذا عذبهم الكفار رجعوا عن الإيمان ، فإذا نصر الله المؤمنين قالوا! إنا كنا معكم ، فمعنى أوذى فى الله أوذى بسبب إيمانه بالله ، وفتنة الناس ، تعذيبهم وقيل نزلت فى عياش بن أبى ربيعة أخى أبى جهل لأمه (اتبعوا سبيلنا) أى قال الكفار للمؤمنين اكفروا كما كفرنا ونحمل نحن عنكم الإثم والعقاب إن كان ، وروى أن قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة حكاه المهدوى ، وقولهم ولنحمل خطاياكم : جزاء قولهم اتبعوا سبيلنا ، ولكنهم ذكروه على وجه الأمر للمبالغة ولما كان معنى الخبر صحة تكذيبهم فيه أخبره الله أنهم كاذبون : أى لا يحملون أوزار هؤلاء ، بل يحملون أوزار أنفسهم وأوزار أتباعهم من الكفار (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما) الظاهر أنه لبث هذه المدة بعد بعثه ، ويحتمل أن يكون ذلك من أول ولادته ، وروى أنه بعث وهو ابن أربعين سنة ، وأنه عمر بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فإن قيل : لم قال ألف سنة ، ثم قال إلا خمسين عاما ، فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى؟ فالجواب أن ذلك كراهة لتكرار لفظ السنة ، فإن التكرار مكروه إلا اذا قصد به تفخيم أو تهويل (وجعلناها آية) يحتمل أن يعود الضمير على السفينة ، أو على النجاة ، أو على القصة ، بكمالها (وتخلقون إفكا) هو من الخلقة يريد بنحت الأصنام فسماه خلقة على وجه التجوز ، وقيل هو من اختلاق الكذب (لا يملكون لكم رزقا) الآية : احتجاج على الوحدانية ونفى الشركاء ، فإن قيل : لم نكر الرزق أولا ، ثم عرفه فى قوله فابتغوا عند الله الرزق؟ فالجواب : أنه نكره فى قوله لا يملكون لكم رزقا لقصد العموم فى النفى فإن النكرة فى سياق النفى تقتضى العموم ثم عرفه بعد ذلك لقصد العموم فى طلب الرزق كله من الله ، لأنه لا يقتضى العموم ، فى سياق

Marfat.com

فَٱبْتَغُوا عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ * أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ * وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِى وَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ * فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ

الإثبات إلا مع التعريف فكأنه قال ابتغوا الرزق كله عند الله (وإن يكذبوك) الآية يحتمل أن تكون من كلام إبراهيم أو من كلام الله تعالى، ويحتمل مع ذلك أن يراد به وعيد الكفار وتهديدهم، أو يراد به تسلية النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن تكذيب قومه له بالتأسي بغيره من الأنبياء الذين كذبهم قومهم (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) يقال بدأ الله الخلق وأبدأه بمعنى واحد، وقد جاءت اللغتان في هذه السورة، والمعنى أو لم ير الكفار أن الله خلق الخلق فيستدلون بالخلقة الأولى على الإعادة في الحشر، فقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدأ، لأن المعنى فيهما مختلف لأن رؤية البداءة بالمشاهدة، بخلاف الإعادة فإنها تعلم بالنظر والاستدلال، وإنما هو معطوف على الجملة كلها وقد قيل إنه يريد إعادة النبات، وإبدائه، وعلى هذا يكون ثم يعيده عطفاً على يبدئ لاتفاق المعنى، والأول أحسن وأليق بمقاصد الكلام (إن ذلك على الله يسير) يعني إعادة الخلق وهي حشرهم ثم أمرهم بالسير في الأرض ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها على قدرته على حشرهم، ولذلك ختمها بقوله إن الله على كل شيء قدير (وإليه تقلبون) أي ترجعون (وما أنتم بمعجزين) أي لا تفوتون من عذاب الله وليس لكم مهرب في الأرض ولا في السماء (أولئك يئسوا من رحمتي) يحتمل أن يكون إياسهم في الآخرة، أو يكون وصف حالهم في الدنيا، لأن الكافر يائس من رحمة الله، والمؤمن راج خائف، وهذا الكلام من قوله: أو لم يروا، إلى هنا: يحتمل أن يكون خطاباً لمحمد صلى الله عليه وسلم معترضاً بين قصة إبراهيم، ويحتمل أن يكون خطاباً لإبراهيم وبعد ذلك ذكر جواب قومه له (مودة بينكم) نصب مودة على أنها مفعول من أجله أو مفعول ثان لاتخذتم، ورفعها على أنها خبر ابتداء مضمر أو خبر إن وتكون ما موصولة ونصب بينكم على الظرفية، وخفضه بالإضافة (فآمن له لوط) تضمن آمن معنى انقاد، ولذلك تعدى باللام (وقال إني مهاجر إلى ربي) القائل لذلك إبراهيم، وقيل لوط، وهاجرا من بلادهما بأرض بابل إلى الشام (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم،

والكتب وءاتينه أجره فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصلحين ۝ ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفحشة ما سبقكم بها من أحد من العلمين ۝ أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصدقين ۝ قال رب انصرنى على القوم المفسدين ۝ ولما جاءت رسلنا إبرهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظلمين ۝ قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغبرين ۝ ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغبرين ۝ إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ۝ ولقد تركنا منها ءاية بينة لقوم يعقلون ۝ وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ۝ فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جثمين ۝ وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مسكنهم وزين لهم الشيطن أعملهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ۝ وقرون وفرعون وهمن ولقد جاءهم موسى بالبينت فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سبقين ۝ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا

وعلى ذريته أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور والفرقان (وتقطعون السبيل) قيل أراد قطع الطرق للسلب والقتل، وقيل أراد قطع سبيل النسل بترك النساء وإتيان الرجال (وتأتون فى ناديكم المنكر) النادى المجلس الذى يجتمع فيه الناس والمنكر فعلهم بالرجال، وقيل إذايتهم للناس (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) الرسل هنا الملائكة والبشرى بشارة إبراهيم بالولد وهو قوله «فبشروه بغلام حليم» أو بشارته بنصر سيدنا لوط والأول أظهر (أهل هذه القرية) يعنى قرية سيدنا لوط (قال إن فيها لوطاً) ليس إخباراً بأنه فيها وإنما قصد نجاة سيدنا لوط من العذاب الذى يصيب أهل القرية وبراءته من الظلم الذى وصفوه به، فكأنه قال: كيف تهلكون أهل القرية وفيها لوط، وكيف تقولون إنهم ظالمون وفيهم لوط (من الغابرين) قد ذكر وكذلك سىء بهم (رجزاً من السماء) أى عذابا (وارجوا اليوم الآخر) قيل الرجاء هنا الخوف، وقيل هو على بابه (ولا تعثوا فى الأرض) يعنى نقصهم المكيال والميزان (الرجفة) هى الصيحة (وقد تبين لكم من مساكنهم) أى آثار مساكنهم باقية تدل على ما أصابهم (وكانوا مستبصرين) قيل معناه لهم بصيرة فى كفرهم وإعجاب به، وقيل لهم بصيرة فى الإيمان، ولكنهم كفروا عنادا، وقيل معنى مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا (وما كانوا سابقين) أى لم يفوتونا (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) الحاصب الحجارة، والحاصب أيضا الريح الشديدة، ويحتمل عندى أنه أراد به المعنيين، لأن قوم سيدنا لوط أهلكوا بالحجارة، وعاد أهلكوا بالريح، وإن حملناه

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ * خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ * ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ * وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا

على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر ، وقد أجاز كثير من الناس استعمال اللفظ الواحد فى معنيين كقوله «إن الله وملائكته يصلون على النبى» ويقوى ذلك هنا لأن المقصود هنا ذكر عموم أخذ أصناف الكفار (ومنهم من أخذته الصيحة) يعنى ثمود ومدين (ومنهم من خسفنا به الأرض) يعنى قارون (ومنهم من أغرقنا) يعنى قوم نوح وفرعون وقومه (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) شبه الله الكافرين فى عبادتهم للأصنام بالعنكبوت فى بنائها بيتا ضعيفا ، فكان ما اعتمدت عليه العنكبوت فى بيتها ليس بشىء فكذلك ما اعتمدت عليه الكفار من آلهتهم ليس بشىء لأنهم لا ينفعون ولا يضرون (أوهن البيوت) أى أضعفها (لوكانوا يعلمون) أى لوكانوا يعلمون أن هذا مثالهم (إن الله يعلم مايدعون من دونه من شىء) ما موصولة بمعنى الذى مفعولة للفعل الذى قبلها وقيل هى نافية ، والفعل معلق عنها والمعنى على هذا لستم تدعون من دون الله شيئا له بال ، فلا يصلح أن يسمى شيئا (بالحق) أى بالواجب لا على وجه العبث واللعب (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) إذا كان المصلى خاشعا فى صلاته متذكراً لعظمة من وقف بين يديه حمله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر فكأن الصلاة ناهية عن ذلك (ولذكر الله أكبر) قيل فيه ثلاثة معان : الأول أن المعنى أن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات ، وسماها بذكر الله ، لأن ذكر الله أعظم ما فيها ، كأنه أشار بذلك إلى تعليل نهيها عن الفحشاء والمنكر ، لأن ذكر الله فيها هو الذى ينهى عن الفحشاء والمنكر : الثانى أن ذكر الله على الدوام أكبر فى النهى عن الفحشاء والمنكر من الصلاة لأنها فى بعض الأوقات دون بعض : الثالث أن ذكر الله أكبر أجراً من الصلاة ومن سائر الطاعات ، كما ورد فى الحديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، قالوا بلى قال ذكر الله (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن) أى لا تجادلوا كفار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم فى الدين إلا بالتى هى أحسن ، لا بضرب ولا قتال ، وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد ، ثم نسخ بالسيف ، ومعنى إلا الذين ظلموا : أى ظلموكم ، وصرحوا بإذاية نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل معنى الآية : لا تجادلوا من أسلم من أهل الكتاب فيما حدثوكم به من الأخبار إلا بالتى هى أحسن ، ومعنى إلا الذين ظلموا على هذا من بقى منهم على كفره ، والمعنى الأول أظهر (وقولوا آمنا) هذا وما بعده يقتضى مواعدة ومسالمة ، وهى منسوخة بالسيف ، ويقتضى أيضا الإعراض عن مكالمتهم ، وفى الحديث : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل

Marfat.com

وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ٥ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ * وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ
وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ٥ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ
بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ٥ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٥
قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ
أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ٥ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن
تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ٥

إليكم ، فإن كان باطلا لم تصدقوهم ، وإن كان حقاً لم تكذبوهم (وكذلك أنزلنا إليك الكتاب) أى كما أنزلنا الكتاب على من قبلك أنزلناه عليك (فالذين آتيناهم الكتاب) يعنى عبد الله بن سلام وأمثاله ممن أسلم من اليهود والنصارى (ومن هؤلاء من يؤمن به) أراد بالذين أوتوا الكتاب أهل التوراة والإنجيل وأراد بقوله من هؤلاء من يؤمن به كفار قريش، وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب المتقدمين من أهل التوراة والإنجيل وأراد بهؤلاء المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم منهم كعبدالله بن سلام (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب) هذا احتجاج على أن القرآن من عند الله ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقرأ ولا يكتب ، ثم جاء بالقرآن ، فإن قيل : مافائدة قوله بيمينك ؟ فالجواب أن ذلك تأكيد للكلام ، وتصوير المعنى المراد (إذاً لارتاب المبطلون) أى لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرق الشك إلى الكفار فكانوا يقولون لعله تعلم هذا الكتاب أوقرأه ، وقيل وجه الاحتجاج أن أهل الكتاب كانوا يجدون فى كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أمى لا يقرأ ولا يكتب ، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة ، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفا للصفة التى وصفه الله بها عندهم ، والمذهب الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأ قط ولا كتب وقال الباجى وغيره : أنه كتب لظاهر حديث الحديبية ، وهذا القول ضعيف (بل هو آيات) الضمير للقرآن ، والإضراب بيل عن كلام محذوف تقديره ليس الأمر كما حسب الظالمون والمبطلون (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب) المعنى كيف يطلبون آية والقرآن أعظم الآيات وأوضحها دلالة على صحة النبوة فهلا اكتفوا به عن طلب الآيات (قل كفى بالله) ذكر معناه فى الرعد وفى الأنعام (ويستعجلونك بالعذاب) الضمير للكفار يعنى قولهم ائتنا بما تعدنا ، وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك (ولولا أجل مسمى) أى لولا أن الله قدر لعذابهم أجلا مسمى لجاءهم به حين طلبوه (وليأتينهم بغتة) يحتمل أن يريد القتل الذى أصابهم يوم بدر أو الجوع الذى أصابهم بتوالى القحط ، أو يريد عذاب الآخرة ، وهذا أظهر لقوله : وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (يوم يغشاهم العذاب) أى يحيط بهم . والعامل فى الظرف محذوف ، أو محيطة (إن أرضى

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَٰمِلِينَ ۝ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ۝ وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝

واسعة) تحريض على الهجرة من مكة إذ كان المؤمنون يلقون فيها أذى الكفار، وترغيباً فى غيرها من أرض الله فحينئذ هاجروا إلى أرض الحبشة، ثم إلى المدينة (لنبوئنهم أى ننزلهم، وقرئ نثوينهم بالثاء المثلثة من الثوى وهو الإقامة فى المنزل (وكأين من دابة لاتحمل رزقها) أى كم من دابة ضعيفة لا تقدر على حمل رزقها، ولكن الله يرزقها مع ضعفها والقصد بالآية تقوية لقلوب المؤمنين إذ خافوا الفقر والجوع فى الهجرة إلى بلاد الناس: أى كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم (ولئن سألتهم) فى الموضعين: إقامة حجة عليهم (فأنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الحق (قل الحمد لله) حمدا لله على ظهور الحجة، ويكون المعنى إلزامهم أن يحمدوا الله لما اعترفوا أنه خالق السموات والأرض (بل أكثرهم لايعقلون) إضراب عن كلام محذوف تقديره يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به ولكنهم لايعقلون (لهى الحيوان) أى الحياة الدائمة التى لا موت فيها، ولفظ الحيوان مصدر كالحياة (فاذا ركبوا فى الفلك) الآية: إقامة حجة عليهم بدعائهم حين الشدائد، ثم يشركون به فى حال الرخاء. (ليكفروا) أمر على وجه التهديد أو على وجه الخذلان والتخلية كما تقول لمن تنصحه فلا يقبل نصحك اعمل ما شئت (أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا) الضمير لكفار قريش، والحرم الآمن: مكة، لأنها كانت لا تغير عليها العرب كما تغير على سائر البلاد ولا ينتهك أحد حرمتها (ويتخطف الناس من حولهم) عبارة عما يصيب غير أهل مكة من القتال أو أخذ الأموال (والذين جاهدوا فينا) يعنى جهاد النفس من الصبر على إذاية الكفار واحتمال الخروج عن الأوطان وغير ذلك، وقيل يعنى القتال، وذلك ضعيف، لأن القتال لم يكن مأموراً به حين نزول الآية (لنهدينهم سبلنا) أى لنوفقنهم لسبيل الخير (وإن الله لمع المحسنين) المعنى أنه معهم باعانته ونصره

Marfat.com

سورة الروم

مكية إلا آية ١٧ فمدنية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۞ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ

سورة الروم

(غلبت الروم) أى هزم كسرى ملك الفرس جيش ملك الروم، وسميت الروم باسم جدهم وهو روم ابن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم (فى أدنى الأرض) قيل هى الجزيرة، وهى بين الشام والعراق وهى أدنى أرض الروم إلى فارس، وقيل فى أدنى أرض العرب منهم وهى أطراف الشام (وهم من بعد غلبهم سيغلبون) إخبار بأن الروم سيغلبون الفرس (فى بضع سنين) البضع ما بين الثلاث إلى التسع (ويومئذ يفرح المؤمنون) روى أن غلب الروم فارس وقع يوم بدر، وقيل يوم الحديبية، نفرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش وقيل فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس، لأن الروم أهل كتاب فهم أقرب إلى الإسلام، كذلك فرح الكفار من قريش بنصر الفرس على الروم لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب فهم أقرب إلى كفار قريش، وروى أنه لما فرح الكفار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه، فقال إن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون وراهنهم على عشرة قلاص إلى ثلاث سنين وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم زدهم فى الرهن واستزدهم فى الأجل، فجعل القلاص مائة، والأجل تسعة أعوام وجعل معه أبى ابن خلف مثل ذلك، فلما وقع الأمر على ما أخبر به أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبى بن خلف، إذ كان قد مات وجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تصدق بها (وعد الله) مصدر مؤكد كقوله له على ألف درهم عرفا، لأن معناه اعترفت له بها اعترافا (يعلمون ظاهرا) قيل معناه يعلمون ما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول فهم فى ذلك مثل البهائم، وقيل الظاهر ما يعلم بأوائل العقول، والباطن ما يعلم بالنظر والدليل، وقيل هو من الظهور بمعنى العلو فى الدنيا. وقيل ظاهر بمعنى زائل ذاهب، والأظهر أنه أراد بالظاهر المعرفة بأمور الدنيا ومصالحها لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة. وذلك يقتضى عدم معرفتهم بها، وانظر كيف نفى العلم عنهم أولا، ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة. وقال بعض أهل البيان: إن هذا من المطابقة لاجتماع النفى والإثبات، وجعل بعضهم العلم المثبت كالعدم لقلة منفعته فهو على هذا بيان للنفى (أولم يتفكروا فى أنفسهم) يحتمل معنيين: أحدهما أن تكون النفس ظرفا للفكرة فى خلق السموات والأرض كأنه قال أولم يتفكروا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السموات والأرض إلا بالحق، والثانى أن يكون المعنى أولم يتفكروا فى ذواتهم

مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ * وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ * وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ

وخلقتهم ليستدلوا بذلك على الخالق ، ويكون قوله ماخلق الآية : استئناف كلام ، والمعنى الأول أظهر (وأثاروا الأرض) أى حرثوها (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى) معنى السوآى : هلاك الكفار ، ولفظ السوآى تأنيث الأسوأ : كما أن الحسنى تأنيث الأحسن ، وقرئ عاقبة بالرفع على أنه اسم كان . والسوآى خبرها ، وقرئ بنصب عاقبة على أنها خبر كان ، والسوآى اسمها ، وأن كذبوا مفعول من أجله ، ويحتمل أن تكون السوآى مصدر أساءوا (يبلس المجرمون) الإبلاس السكون فى شرمع اليأس من الخير (يتفرقون) معناه فى المنازل والجزاء (تحبرون) تنعمون من الحبور وهو السرور والنعيم ، وقيل تكرمون (سبحان الله) هذا تعليم للعباد أى قولوا سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (وعشيا وحين تظهرون) أى حين تدخلون فى وقت الظهيرة وهى وسط النهار ، وقوله وله الحمد فى السموات والأرض : اعتراض بين المعطوفات ، وقيل أراد بذلك الصلوات الخمس ، فحين تمسون : المغرب والعشاء ، وحين تصبحون : الصبح ، وعشيا : العصر ، وحين تظهرون الظهر (يخرج الحىّ) ذكر فى آل عمران (ويحيى الأرض) أى ينبت فيها النبات (وكذلك تخرجون) أى كما يخرج الله النبات من الأرض كذلك يخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة (تنتشرون) أى تتصرفون فى الدنيا (من أنفسكم أزواجا) أى صنفكم وجنسكم ، قيل أراد خلقة حواء من ضلع آدم ، وخاطب الناس بذلك لأنهم ذرية آدم (مودة ورحمة) قيل المودة الجماع . والرحمة الولد ، والعموم أحسن وأبلغ (واختلاف ألسنتكم) أى لغاتكم (وألوانكم) يعنى البياض والسواد ، وقيل يعنى أصنافكم ،

Marfat.com

يَسْمَعُونَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ۞ وَلَهُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَٰنِتُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۞ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا

والأول أظهر (خوفا وطمعا) ذكر فى الرعد (أن تقوم السماء والأرض) معناه تثبت أو يقوم تدبيرها (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) إذا الأولى شرطية ، والثانية فجائية وهى جواب الأولى ، والدعوة فى هذه الآية قوله للموتى قوموا بالنفخة الثانية فى الصور ، ومن الأرض يتعلق بقوله تخرجون أو بقوله دعاكم ، على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعو كقولك دعوتك من الجبل إذا كان المدعو فى الجبل (قانتون) ذكر فى البقرة (وهو أهون عليه) أى الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخلقة الأولى ، وهذا تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث ، فإن من صنع صنعة أول مرة كانت أسهل عليه ثانى مرة ، ولكن الأمور كلها متساوية عند الله ، فإن كل شىء على الله يسير (وله المثل الأعلى) أى الوصف الأعلى الذى يصفه به أهل السموات والأرض (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء) هذا هو المثل المضروب معناه أنكم أيها الناس لا يشاركم عبيدكم فى أموالكم ولا يستوون معكم فى أحوالكم ، فكذلك الله تعالى لا يشارك عبيده فى ملكه ، ولا يماثله أحد فى ربوبيته ، فذكر حرف الاستفهام ومعناه التقرير على النفى ودخل فى النفى قوله «فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم : أى لستم فى أموالكم سواء مع عبيدكم ، ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم ، لأن العبيد عندكم أقل وأذل من ذلك (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم) الإضراب ببل عما تضمنه معنى الآية المتقدمة كأنه يقول ليس لهم حجة فى إشراكهم بالله بل اتبعوا فى ذلك أهواءهم بغير علم (فأقم وجهك للدين) هو دين الإسلام ، وإقامة الوجه فى الموضعين من السورة عبارة عن الإقبال عليه والإخلاص فيه فى قوله أقم ، والقيم ضرب من ضروب التجنيس (فطرت الله) منصوب على المصدر : كقوله صبغة الله أو مفعولا بفعل مضمر تقديره الزموا فطرة الله ، أو عليكم فطرة الله ، ومعناه خلقة الله ، والمراد به دين الإسلام ، لأن الله خلق الخلق عليه ، إذ هو الذى تقتضيه عقولهم السليمة ، وإنما كفر من كفر لعارض أخرجه عن أصل فطرته ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه (لا تبديل لخلق الله) يعنى بخلق الله الفطرة التى خلق الناس عليها من الإيمان ، ومعنى أن الله لا يبدلها أى لا يخلق الناس على غيرها ولكن يبدلها شياطين الإنس والجن بعد الخلقة الأولى ، أو

Marfat.com

الصَّلوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝
وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝
لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ
يُشْرِكُونَ ۝ وَإِذَآ أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۝
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ فَـَٔاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ
حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن
رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِىٓ أَمْوَٰلِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ

يكون المعنى أن تلك الفطرة لا ينبغى للناس أن يبدلوها ، فالنفى على هذا حكم لا خبر وقيل إنه على الخصوص فى المؤمنين أى لا تبديل لفطرة الله فى حق من قضى الله أنه يثبت على إيمانه ، وقيل إنه نهى عن تبديل الخلقة كخصاء الفحول من الحيوان وقطع آذانها وشبه ذلك (منيبين إليه) منصوب على الحال من قوله أقم وجهك لأن الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم، والمراد هو وأمته ، ولذلك جمعهم فى قوله منيبين، وقيل هو حال من ضمير الفاعل المستتر فى الزموا فطرة الله ،وقيل هو حال من قوله فطر الناس وهذا بعيد (واتقوه) وما بعده معطوف على أقم وجهك أو على العامل فى فطرة الله وهو الزموا المضمر (من الذين فرقوا دينهم) المجرور بدل من المجرور قبله، ومعنى فرقوا دينهم : جعلوه فرقاً أى اختلفوا فيه ، وقرئ: فارقوا من المفارقة أى تركوه ، والمراد بالمشركين هنا أصناف الكفار ، وقيل هم المسلمون الذين تفرقوا فرقا مختلفة ، وفى لفظ المشركين هنا تجوز بعيد ، ولعل قائل هذا القول إنما قاله فى قول الله فى الأنعام «إن الذين فرقوا دينهم» فإنه ليس هناك ذكر المشركين (وإذ مسّ الناس ضر) الآية : إنحاء على المشركين ، لأنهم يدعون الله فى الشدائد ويشركون به فى الرخاء (ليكفروا) ذكر فى النحل (أم أنزلنا عليهم سلطانا) أم هنا منقطعة بمعنى بل ، والسلطان الحجة ، وكلامه مجاز كما تقول نطق بكذا ، والمعنى ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم (وإذا أذقنا الناس رحمة) إنحاء على من يفرح ويبطر إذا أصابه الخير ، ويقنط إذا أصابه الشر ، وانظر كيف قال هنا إذا ، وقال فى الشر إن تصبهم سيئة ، لأن إذا للقطع بوقوع الشرط ، بخلاف إن فإنها للشك فى وقوعه ، ففى ذلك إشارة إلى أن الخير الذى يصيب به عباده أكثر من الشرّ (بما قدمت أيديهم) المعنى أن ما يصيب الناس من المصائب ، فإنه بسبب ذنوبهم (فآت ذا القربى حقه) يعنى صلة رحم القرابة بالإحسان والمودة ، ولو بالكلام الطيب (وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس) الآية : معناها كقوله «يمحق الله الربا ويربى الصدقات» ، أى ما أعطيتم من أموالكم على وجه الربا فلا يزكو عند الله ، وما آتيتم من الصدقات : فهو الذى يزكو عند الله وينفعكم به ، وقيل المراد أن يهب الرجل الرجل أو يهدى له ليعوض له أكثر من ذلك فهذا وإن كان جائزاً فانه لا ثواب فيه وقرئ «وما آتيتم» بالمد بمعنى أعطيتم وبالقصر يعنى جئتم أى فعلتموه ، وقرئ لتربوا بالتاء المضمومة وليربو بالياء

Marfat.com

ٱلْمُضْعِفُونَ * ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ۝ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ * مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ * لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ * فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ

مفتوحة ونصب الواو (فأولئك هم المضعفون) المضعف ذو الإضعاف من الحسنات ، وفى هذه الجملة التفات لخروجه من الغيبة إلى الخطاب ، وكان الأصل أن يقال وما آتيتم من زكاة فأنتم المضعفون ، وفيه أيضا حذف ، لأنه لابد من ضمير يرجع الى ما ، وتقديره المضعفون به أو فمؤتوه هم المضعفون (ظهر الفساد فى البر والبحر) قيل البر البلاد البعيدة من البحر ، والبحر هو البلاد التى على ساحل البحر ، وقيل البر اللسان والبحر القلب وهذا ضعيف ، والصحيح أن البر والبحر المعروفان ، فظهور الفساد فى البر بالقحط والفتن وشبه ذلك ، وظهور الفساد فى البحر بالغرق وقلة الصيد وكساد التجارات وشبه ذلك ، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان (لامردّ له) أى لارجوع له ولا بد من وقوعه (من الله) يتعلق بقوله يأتى أو بقوله لامردّ له أى لا يردّه الله (يومئذ يصدعون) من الصدع وهو الفرقة أى يتفرقون : فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير (فلأنفسهم يمهدون) أى يوطنون وهو استعارة من تمهيد الفراش ونحوه ، والمعنى أنهم يعملون ما ينتفعون به فى الآخرة (ليجزى) يتعلق بيمهدون أو يصدعون ، أو بمحذوف (مبشرات) أى تبشر بالمطر (وليذيقكم) عطف على مبشرات كأنه قال ليبشركم وليذيقكم ويحتمل أن يتعلق بمحذوف تقديره ليذيقكم (من رحمته) أرسلها (وكان حقاً) انتصب حقا لأنه خبر كان واسمها نصر المؤمنين ، وقيل اسمها مضمر يعود على مصدر انتقمنا : أى وكان الانتقام حقا ، فعلى هذا يوقف على حقا ويكون نصر المؤمنين مبتدأ وهذا ضعيف (تثير سحابا) أى تحركها وتنشرها (كسفا) أى قطعا ، وقرئ بإسكان السين وهما بناءان للجمع ، وقيل معنى الإسكان أن السحاب قطعة واحدة (الودق) هو المطر (من خلاله) الخلال الشقاق الذى بين بعضه وبعض لأنه متخلل الأجزاء والضمير يعود على السحاب (من

Marfat.com

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ۝ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ الْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۝ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝

قبله) كرر للتأكيد وليفيد سرعة تقلب قلوب الناس من القنوط إلى الاستبشار (لمبلسين) أى قانطين كقوله ينزل الغيث من بعد ماقنطوا (فرآه مصفرا) الضمير للنبات الذى ينبته الله بالمطر، والمعنى لئن أرسل الله ريحا فاصفر به النبات لكفر الناس بالقنوط والاعتراض على الله، وقيل الضمير للريح، وقيل للسحاب والأول أحسن فى المعنى (فإنك لاتسمع الموتى) الآية: استعارة فى عدم سماع الكفار للمواعظ والبراهين، فشبه الكفار بالموتى فى عدم إحساسهم (خلقكم من ضعف) الضعف الأول كون الإنسان من ماء مهين، وكونه ضعيف فى حال الطفولية، والضعف الثانى الأخير الهرم، وقرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان (مالبثوا غير ساعة) هذا جواب القسم، ومعناه أنهم يحلفون أنهم مالبثوا فى القبور تحت التراب إلا ساعة أى مالبثوا فى الدنيا إلا ساعة، وذلك لاستقصار تلك المدة (كذلك كانوا يؤفكون) أى مثل هذا الصرف كانوا يصرفون فى الدنيا عن الصدق والتحقيق حتى يروا الأشياء على ما هى عليه (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون ردوا مقالة الكفار التى حلفوا عليها (فى كتاب الله) يعنى اللوح المحفوظ أو علم الله، والمجرور على هذا يتعلق بقوله لبثتم، وقيل يعنى القرآن، فعلى هذا يتعلق هذا المجرور بقوله أوتوا العلم، وفى الكلام تقديم وتأخير، وتقديره على هذا قال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله أى العلماء بكتاب الله وقولهم لقد لبثتم: خطاب للكفار، وقولهم فهذا يوم البعث: تقرير لهم، وهو فى المعنى جواب لشرط مقدر تقديره إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث (ولا هم يستعتبون) من العتبى بمعنى الرضا: أى ولا يرضون وليست استفعل هنا للطلب (إن وعد الله حق) يعنى ما وعد من النصر على الكفار (ولا يستخفنك من الخفة: أى لا تضطرب لكلامهم

Marfat.com

ســـورة لقمان

مكية إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنية وآياتها ٣٤ نزلت بعد الصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ النَّعِيمِ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ

ســـورة لقمان

(الكتاب الحكيم) ذكر فى يونس (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) هو الغناء ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : شراء المغنيات وبيعهن حرام ، وقرأ هذه الآية ، وقيل نزلت فى قرشى اشترى جارية مغنية تغنى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالشراء على هذا حقيقة ، وقيل نزلت فى النضر ابن الحارث وكان قد تعلم أخبار فارس ، فذلك هو لهو الحديث ، وشراء لهو الحديث استحبابه وسماعه ، فالشراء على هذا مجاز ، وقيل لهو الحديث : الطبل ، وقيل الشرك ، ومعنى اللفظ يعم ذلك كله ، وظاهر الآية أنه لهو مضاف إلى الكفر بالدين واستخفاف ، لقوله تعالى «ليضل عن سبيل الله» الآية ، وأن المراد شخص معين لوصفه بعد ذلك بجملة أوصاف (بغير عمد ترونها) ذكر فى الرعد (أن تميد بكم) أى لئلا تميد بكم (لقمان) رجل ينطق بالحكمة واختلف هل هو نبىّ أم لا ؟ وفى الحديث لم يكن لقمان نبيا ، ولكن كان عبداً حسن اليقين أحب الله فأحبه ، فمنّ عليه بالحكمة ، روى أنه كان ابن أخت أيوب أو ابن خالته ، وروى أنه كان قاضى بنى إسرائيل ، واختلف فى صناعته ، فقيل كان نجارا ، وقيل خياطا ، وقيل راعى غنم ، وكان ابنه كافرا فما زال يوصيه حتى أسلم ، وروى أن اسم ابنه ثاران (ووصينا الإنسان) هذه الآية والتى بعدها اعتراض فى أثناء وصية لقمان لابنه على وجه التأكيد لما فى وصية لقمان من النهى عن الشرك بالله ، ونزلت الآية فى سعد بن أبى وقاص وأمه حسبما ذكرنا فى العنكبوت (حملته أمه وهنا على وهن) أى ضعفاً على ضعف ، لأن الحمل كلما عظم ازدادت الحامل به ضعفاً ، وانتصاب وهنا بفعل مضمر تقديره تهن وهنا (وفصاله) أى فطامه ، وأشار بذلك إلى غاية مدة الرضاع (أن اشكر) تفسير للوصية واعترض بينها وبين تفسيرها بقوله وفصاله فى عامين

حميدٌ ۝ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۝ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ

ليبين ما تكابده الأم بالولد مما يوجب عظم حقها ، ولذلك كان حقها أعظم من حق الأب (يابنى) الآية : رجع إلى كلام لقمان ، والتقدير : وقال لقمان يابنىّ (مثقال حبة من خردل) أى وزنها ، والمراد بذلك أن الله يأتى بالقليل والكثير من أعمال العباد فعبر بحبة الخردل ليدل على ما هو أكثر (فى صخرة) قيل المراد الصخرة التى عليها الأرض ، وهذا ضعيف ، وإنما معنى الكلام أن مثقال خردلة من الأعمال أو من الأشياء ولو كانت فى أخفى موضع كجوف صخرة ، فإن الله يأتى بها يوم القيامة وكذلك لو كانت فى السموات أو فى الأرض (واصبر على ما أصابك) أمر بالصبر على المصائب عموماً . وقيل المعنى ما يصيب من يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر (من عزم الأمور) يحتمل أن يريد مما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب أو من مكارم الأخلاق التى يعزم عليها أهل الحزم والجد ولفظ العزم مصدر يراد به المفعول أى من معزومات الأمور (ولا تصعر خدك للناس) الصعر فى اللغة الميل أى لا تول الناس خدك وتعرض عنهم تكبراً عليهم (مرحا) ذكر فى الإسراء (مختالا) من الخيلاء (واقصد فى مشيك) أى اعتدل فيه ولا تتسرع إسراعاً يدل على البطش والخفة ، ولا تبطئ إبطاء يدل على الفخر والكبر (نعمه ظاهرة وباطنة) الظاهرة الصحة والمال وغير ذلك ، والباطنة النعم التى لا يطلع عليها الناس ومنها ستر القبيح من الأعمال ، وقيل الظاهرة نعم الدنيا ، والباطنة نعم العقبى ، واللفظ أعم من ذلك كله (ومن الناس من يجادل) نزلت فى النضر بن الحارث وأمثاله (أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى النار (ومن يسلم وجهه إلى الله) يسلم أى

Marfat.com

فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور ◦ نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ◦ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ◦ لله ما فى السموات والأرض إن الله هو الغنى الحميد * ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ◦ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير ◦ ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ◦ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير ◦ ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ◦ وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور ◦ يا أيها

يخاص أو يستسلم أو ينقاد، والوجه هنا عبارة عن القصد (بالعروة الوثق) ذكر فى البقرة (قل الحمد لله) وما بعده ذكر فى العنكبوت (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام) الآية إخبار بكثرة كلمات الله والمراد اتساع علمه ومعنى الآية أن شجر الأرض لو كانت أقلاما، والبحر لو كان مداداً يصب فيه سبعة أبحر صباداً تماو كتبت بذلك كلمات الله لنفدت الأشجار والبحار ولم تنفد كلمات الله، لأن الأشجار والبحار متناهية، وكلمات الله غير متناهية، فإن قيل: لم لم يقل والبحر مداداً كما قال فى الكهف قل لو كان البحر مداداً؟ فالجواب: أنه أغنى عن ذلك قوله يمده لأنه من قولك مد الدواة وأمدها، فان قيل لم قال من شجرة ولم يقل من شجر باسم الجنس الذى يقتضى العموم؟ فالجواب أنه أراد تفصيل الشجر إلى شجرة شجرة حتى لا يبقى منها واحدة، فإن قيل: لم قال كلمات الله ولم يقل كلم الله بجمع الكثرة؟ فالجواب أن هذا أبلغ لأنه إذا لم تنفد الكلمات مع أنه جمع قلة، فكيف ينفد الجمع الكثير وروى أن سبب الآية أن اليهود قالوا قد أوتينا التوراة وفيها العلم كله فنزلت الآية لتدل أن ما عندهم قليل من كثير، والآية على هذا مدنية، وقيل إن سببها أن قريشا قالوا إن القرآن سينفد (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) بيان لقدرة الله على بعث الناس ورد على من استبعد ذلك (يولج الليل فى النهار) أى يدخل كلا منهما فى الآخر بما يزيد فى أحدهما وينقص من الآخر أو بإدخال ظلمة الليل على ضوء النهار وإدخال ضوء النهار على ظلمة الليل (إلى أجل مسمى) يعنى يوم القيامة (ذلك بأن الله) يحتمل أن تكون الباء سببية، أو يكون المعنى ذلك بأن الله شاهد هو الحق (بنعمة الله) يحتمل أن يريد بذلك ما تحمله السفن من الطعام والتجارات والباء للإلصاق أو المصاحبة، أو يريد الريح فتكون الباء سببية (صبار شكور) مبالغة فى صابر وشاكر (كالظلل) جمع ظلة وهو ما يعلوك من فوق شبه الموج بذلك إذا ارتفع وعظم حتى علا فوق الإنسان (فمنهم مقتصد) المقتصد المتوسط فى الأمر، فيحتمل أن يريد كافرا متوسطا فى كفره لم يسرف فيه أو مؤمنا متوسطا فى إيمانه، لأن الإخلاص الذى عليه فى البحر كان يزول عنه وقيل معنى مقتصد مؤمن ثبت فى البر على ما عاهد الله عليه فى البحر (ختار) أى غدار شديد الغدر، وذلك أنه جحد نعمة الله غدراً (لا يجزى

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۞ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ *

ســـورة السجدة

مكية إلا من آية ١٦ إلى غاية ٢٠ فمدنية وآياتها ٣٠ نزلت بعد المؤمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الٓمٓ ۞ تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۞ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۞ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۞ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ الْغَيْبِ

والد عن ولده) أى لا يقضى عنه شيئا ، والمعنى أنه لا ينفعه ولا يدفع عنه مضرة (ولا مولود) أى ولد فكما لا يقدر الوالد لولده على شىء كذلك لا يقدر الولد لوالده على شىء (الغرور) الشيطان وقيل الأمل والتسويف (علم الساعة) أى متى تكون ، فإن ذلك مما انفرد الله بعلمه ، ولذلك جاء فى الحديث : مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية (ماذا تكسب غدا) يعنى من خير أوشر أومال أوولد أوغير ذلك

ســـورة السجدة

(تنزيل الكتاب) يعنى القرآن (لاريب فيه) أى لاشك أنه من عند الله عز وجل ، ونفى الريب على اعتقاد أهل الحق وعلى ماهو الأمر فى نفسه لا على اعتقاد أهل الباطل (من رب العالمين) يتعلق بتنزيل (أم يقولون) الضمير لقريش وأم بمعنى بل والهمزة (لتنذر) يتعلق بما قبله أو بمحذوف (ماأتاهم من نذير) يعنى من الفترة من زمن عيسى وقد جاء الرسل قبل ذلك إبراهيم وغيره ، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولا ينذرهم ليقيم الحجة عليهم (استوى على العرش) قد ذكر فى الأعراف (مالكم من دونه من ولى ولا شفيع) نفى الشفاعة على وجهين أحدهما الشفاعة للكفار وهى معدومة على الإطلاق ، والآخر : أن الشفاعة المؤمنين لا تكون إلا بإذن الله كقوله « مامن شفيع إلا من بعد إذنه » (يدبر الأمر) أى واحد الأمور ، وقيل المأمور به من الطاعات ، والأول أصح (من السماء إلى الأرض) أى ينزل مادبره وقضاه من السماء إلى الأرض (ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) قال ابن عباس المعنى ينفذ الله ماقضاه من السماء إلى الأرض ثم يعرج اليه خبر ذلك فى يوم من أيام الدنيا مقداره لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام فالألف ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء ، وقيل إن الله يلقى إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر وهو يوم من أيام الله ، فإذا

Marfat.com

وَالشَّهَٰدَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ وَقَالُوٓا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ۝ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

فرغت ألقى إليهم مثلها ، فالمعنى أن الأمور تنفذ عنده لهذه المدة ، ثم تصير إليه آخراً لأن عاقبة الأمور إليه ، فالعروج على هذا عبارة عن مصير الأمور إليه (عالم الغيب والشهادة) الغيب ماغاب عن المخلوقين ، والشهادة ماشاهدوه (أحسن كل شيء خلقه) أي أتقن جميع المخلوقات ، وقرئ بإسكان اللام على البدل (وبدأ خلق الإنسان من طين) يعنى آدم عليه السلام (نسله) يعنى ذريته (من سلالة من ماء مهين) يعنى المنىّ ، والسلالة مشتقة من سل يسل ، فكأن الماء يسل من الإنسان ، والمهين الضعيف (ثم سواه) أى قومه (ونفخ فيه من روحه) عبارة عن إيجاد الحياة فيه ، وأضيفت الروح إلى الله إضافة ملك إلى ملك ، وقد يراد بها الاختصاص ، لأن الروح لايعلم كنهه إلا الله (أئذا ضللنا فى الأرض) أى تلفنا وصرنا ترابا ، ومعنى هذا الكلام المحكى عن الكفار استبعاد البعث ، والعامل فى إذا معنى قولهم إنا لفى خلق جديد تقديره نبعث (يتوفاكم ملك الموت) اسمه عزرائيل وتحت يده ملائكة (ولو ترى) يحتمل أن تكون لو للتمنى وتأويله فى حق الله كتأويل الترجى . وقد ذكر . أو تكون للامتناع وجوابها محذوف تقديره ولو ترى حال المجرمين فى الآخرة لرأيت أمرا مهولا (ناكسوا رءوسهم) عبارة عن الذل والغم والندم (ربنا أبصرنا وسمعنا) تقديره يقولون ربنا قد علمنا الحقائق (لو شئنا لآتينا كل نفس هداها) يعنى أنه لو أراد أن يهدى جميع الخلائق لفعل ، فإنه قادر على ذلك بأن يجعل الإيمان فى قلوبهم ويدفع عنهم الشيطان والشهوات ، ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء (فذوقوا بما نسيتم) أى يقال لهم ذوقوا ، والنسيان هنا بمعنى الترك (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أى ترتفع والمعنى يتركون مضاجعهم بالليل من كثرة صلاتهم النوافل ، ومن صلى العشاء والصبح فى جماعة فقد أخذ بحظه من هذا (فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين) يعنى أنه لايعلم أحد مقدار مايعطيهم الله من النعيم وقرئ أخفى بإسكان الياء على أن يكون فعل المتكلم وهو الله تعالى (أفمن كان مؤمنا) الآية : يعنى المؤمنين

الصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ

والفاسقين على العموم ، وقيل يعني عليّ بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط (فذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) الذى نعت بالعذاب ، ولذلك أعاد عليه الضمير المذكور فى قوله به ، فإن قيل : لم وصف هنا العذاب وأعاد عليه الضمير ، ووصف فى سبأ النار وأعاد عليها الضمير ، وقال عذاب النار التى كنتم بها تكذبون ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنه خص العذاب فى السجدة بالوصف اعتناء به لما تكرر ذكره فى قوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ، والثانى أنه قدم فى السجدة ذكر النار ، فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير ، لكنه جعل الظاهر مكان المضمر فكما لا يوصف المضمر لم يوصف ماقام مقامه وهو النار ، ووصف العذاب ولم يصف النار ، الثالث وهو الأقوى أنه امتنع فى السجدة وصف النار فوصف العذاب ، وإنما امتنع وصفها لتقدم ذكرها ، فإنك إذا ذكرت شيئا ثم كررت ذكره لم يجز وصفه ، كقولك رأيت رجلا فأكرمت الرجل ، فلا يجوز وصفه لئلا يفهم أنه غيره (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) يعنى الجوع ومصائب الدنيا وقيل القتل يوم بدر ، وقيل عذاب القبر وهذا بعيد لقوله « لعلهم يرجعون » (إنا من المجرمين منتقمون) هذا وعيد لمن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ، وكان الأصل أن يقول إنا منه منتقمون ، ولكنه وضع المجرمين موضع المضمر ليصفهم بالإجرام ، وقدم المجرور على منتقمون للمبالغة (فلا تكن فى مرية من لقائه) المرية الشك ، والضمير لموسى : أى لا تمتر فى لقائك موسى ليلة الإسراء وقيل المعنى لاتشك فى لقاء موسى والكتاب الذى أنزل عليه ، والكتاب على هذا التوراة ، وقيل الكتاب هنا جنس ، والمعنى : لقد آتينا موسى الكتاب فلا تشك أنت فى لقائك الكتاب الذى أنزل عليك ، وعبر باللقاء عن إنزال الكتاب كقوله « وإنك لتلقى القرآن » (يفصل بينهم) الضمير لجميع الخلق ، وقيل لبنى إسرائيل خاصة (أولم يهد لهم) ذكر فى طه (يمشون فى مساكنهم) الضمير فى يمشون لأهل مكة : أى يمشون فى مساكن القوم المهلكين : كقوله « وقد تبين لكم من مساكنهم » وقيل الضمير للمهلكين : أى أهلكناهم وهم يمشون فى مساكنهم ، والأول أحسن ، لأن فيه حجة على أهل مكة (الأرض الجرز) يعنى التى لا نبات فيها من شدة العطش

Marfat.com

وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ۝

سـورة الاحزاب

مدنية وآياتها ٧٣ نزلت بعد آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ

(متى هذا الفتح) أي الحكم بين المسلمين والكفار في الآخرة ، وقيل يعني فتح مكة ، وهذا بعيد لقوله (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ، وذلك في الآخرة ، وقيل يعني فتح مكة ، لأن من آمن يوم فتح مكة نفعه إيمانه (فأعرض عنهم) منسوخ بالسيف (وانتظر إنهم منتظرون) أي انتظر هلاكهم إنهم ينتظرون هلاكك ، وفي هذا تهديد لهم

سـورة الأحزاب

(يأيها النبي) نداء فيه تكريم له ، لأنه ناداه بالنبوة ، ونادى سائر الأنبياء بأسمائهم (اتق الله) أي دم على التقوى وزد منها (ولا تطع الكافرين والمنافقين) أي لا تقبل أقوالهم وإن أظهروا أنها نصيحة ، ويعني بالكافرين المظهرين للكفر وبالمنافقين الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر وروى أن الكافرين هنا . أبيّ بن خلف ، والمنافقين هنا : عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، والعموم أظهر (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) قال ابن عباس ، كان في قريش رجل يقال له ذو القلبين لشدة فهمه ، فنزلت الآية نفيا لذلك ، ويقال إنه ابن أخطا ، وقيل جميل بن معمر ، وقيل إنما جاء هذا اللفظ توطئة لما بعده من النفي أي كما لم يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم ولا أدعياءكم أبناءكم (اللائى تظاهرون منهن) أي تقولون للزوجة : أنت عليّ كظهر أمي ، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنى التحريم ويأتى حكمه في المجادلة وإنما تعدى هذا الفعل بمن لأنه يتضمن معنى يتباعدون منهن (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) الأدعياء جمع دعيّ ، وهو الذي يدعى ولد فلان وليس بولده ، وسببها أمر زيد بن حارثة : وذلك أنه كان فتى من كلب فسباه بعض العرب وباعه من خديجة فوهبته للنبي صلى الله عليه وسلم فتبناه ؛ فكان يقال له زيد بن محمد حتى أنزلت هذه الآية (ذلكم قولكم) الإشارة إلى نسبة الدعي إلى غير أبيه ، أو إلى كل ما تقدم من المنفيات ، وقوله (بأفواهكم) تأكيد لبطلان القول (ادعوهم لآبائهم) الضمير للأدعياء أي انسبوهم لآبائهم الذين ولدوهم

ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ
بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ
مَسْطُورًا ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا
مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟
نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا *
إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝

(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) يقتضي أن يحبوه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أكثر مما يحبون أنفسهم وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم (وأزواجه أمهاتهم) جعل الله تعالى لأزواج النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم حرمة الأمهات في تحريم نكاحهن ووجوب مبرتهن، ولكن أوجب حجبهن عن الرجال (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) هذا نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بأخوة الاسلام، وبالهجرة وقد تكلمنا عليها في الأنفال (في كتاب الله) يحتمل أن يريد القرآن أو اللوح المحفوظ (من المؤمنين) يحتمل أن يكون بيانا لأولى الأرحام أو يتعلق بأولى: أي أولوا الأرحام أولى بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بذوي أرحام (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا) يريد الاحسان إلى الأولياء الذين ليسوا بقرابة ونفعهم في الحياة، والوصية لهم عند الموت، فذلك جائز ومندوب إليه، وإن لم يكونوا قرابة، وأما الميراث فللقرابة خاصة، واختلف هل يعني بالأولياء المؤمنين خاصة أو المؤمنين والكافرين (في الكتاب مسطورا) يعني القرآن أو اللوح المحفوظ (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) هو الميثاق بتبليغ الرسالة والقيام بالشرائع، وقيل هو الميثاق الذي أخذه حين أخرج بني آدم من صلب آدم كالذر، والأول أرجح لأنه هو المختص بالأنبياء (ومنك ومن نوح) قد دخل هؤلاء في جملة النبيين ولكنه خصهم بالذكر تشريفاً لهم، وقدم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم تفضيلا له (ميثاقا غليظا) يعني الميثاق المذكور، وإنما كرره تأكيدا وليصفه بأنه غليظ أي وثيق ثابت يجب الوفاء به (ليسأل الصادقين) اللام تحتمل أن تكون لام كي أو لام الصيرورة، والصدق هنا يحتمل أن يكون الصدق في الأقوال أو الصدق في الأفعال والعزائم ويحتمل أن يريد بالصادقين الأنبياء وغيرهم من المؤمنين (اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود) هذه الآية وما بعدها نزلت في قصة غزوة الخندق، والجنود المذكورة هم قريش ومن كان معهم من الكفار، وسماهم الله في هذه السورة الأحزاب وكانوا نحو عشرة آلاف حاصروا المدينة وحفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندق حولها ليمنعهم من دخولها (فأرسلنا عليهم ريحا) أرسل الله عليهم ريح الصبا فأطفأت نيرانهم وأكفأت قدورهم ولم يمكنهم معها قرار فانصرفوا خائبين (وجنودا لم تروها) يعني الملائكة (إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم) أي حصروا المدينة من أعلاها ومن أسفلها، وقيل معنى من فوقكم أهل نجد لأن أرضهم فوق المدينة ومن أسفل منكم أهل مكة وسائر تهامة (وإذ زاغت الأبصار) أي مالت عن مواضعها وذلك عبارة عن شدة الخوف (وبلغت

هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيداً ۝ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ۝ وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً ۝ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْها وَما تَلَبَّثُوا بِها إِلَّا يَسِيراً ۝ وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَكانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا ۝ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً ۝ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ

القلوب الحناجر) جمع حنجرة وهي الحلق وبلوغ القلب إليها مجاز، وهو عبارة عن شدة الخوف، وقيل بل هي حقيقة لأن الرئة تنتفخ من شدة الخوف فتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلي الحنجرة (وتظنون بالله الظنونا) أى تظنون أن الكفار يغلبونكم وقد وعدكم الله بالنصر عليهم، فأما المنافقون فظنوا ظن السوء وصرحوا به، وأما المؤمنون فربما خطرت لبعضهم خطرة مما لا يمكن البشر دفعها ثم استبصروا ووثقوا بوعد الله، وقرأ نافع: الظنونا، والرسولا، والسبيلا، بالألف فى الوصل وفى الوقف، وقرئ بإسقاطها فى الوصل والوقف، وبإثباتها فى الوقف دون الوصل فأما إسقاطها فهو الأصل وأما إثباتها فلتعديل رءوس الآى لأنها كالقوافى، وتقتضى هذه العلة أن تثبت فى الوقف خاصة، وأما من أثبتها فى الحالين، فإنه أجرى الوصل مجرى الوقف هنالك ابتلى المؤمنون) أى اختبروا أو أصابهم بلاء، والعامل فى الظرف ابتلى وقيل ماقبله (وزلزلوا) أصل الزلزلة شدة التحريك وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب (وإذ يقول المنافقون) روى أنه معتب بن قشير (وإذ قالت طائفة) قال السهيلى الطائفة تقع على الواحد فما فوقه والمراد هنا أوس بن قبطى (يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا) يثرب اسم المدينة وقيل اسم البقعة التى المدينة فى طرف منها، ومقام اسم موضع من القيام أى لاقرار لكم هنا يعنون موضع القتال وقرئ بالضم وهو اسم موضع من الاقامة وقولهم فارجعوا أى إلى منازلكم بالمدينة ودعوا القتال (ويستأذن فريق منهم النبى) أى يستأذنوه فى الانصراف والمستأذن أوس بن قبطى وعشيرته وقيل بنو حارثة (إن بيوتنا عورة) أى منكشفة للعدو وقيل خالية للسراق فكذبهم الله فى ذلك (ولودخلت عليهم من أقطارها) أى لو دخلت عليهم المدينة من جهاتها (ثم سئلوا الفتنة) يريد بالفتنة الكفر أو قتال المسلمين (لآتوها) قرئ بالقصر بمعنى جاؤا اليها وبالمد بمعنى أعطوها من أنفسهم (وما تلبثوا بها) الضمير للمدينة (قديعلم الله) دخلت قد على الفعل المضارع بمعنى التهديد وقيل للتعليل على وجه التهكم (المعوقين منكم) أى الذين يعوقون الناس عن الجهاد ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم (والقائلين لإخوانهم هلم إلينا) هم المنافقة الذين قعدوا بالمدينة عن الجهاد وكانوا يقولون لقرابتهم أو للمنافقون مثلهم هلم إلى الجلوس معنا بالمدينة وترك القتال، وقد ذكر هلم فى الأنعام (ولا يأتون البأس إلا قليلا) البأس القتال، وقليلا صفة لمصدر محذوف تقديره إلا إتيانا قليلا، أو مستثنى من فاعل يأتون: أى إلا قليلا منهم

Marfat.com

إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۝ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۝ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۝ لِّيَجْزِيَ

(أشحة عليكم) أشحة جمع شحيح بوزن فعيل معناه يشحون بأنفسهم فلا يقاتلون ، وقيل يشحون بأموالهم ، وقيل معناه أشحة عليكم وقت الحرب أي يشفقون أن يقتلوا ونصب أشحة على الحال من القائلين ، أو على المعوقين ، أو من الضمير في يأتون ، أو نصب على الذم (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك) أي إذا اشتد الخوف من الأعداء نظر إليك هؤلاء في تلك الحالة ولاذوا بك من شدة خوفهم (تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) عبارة عن شدة خوفهم (فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) السلق بالألسنة عبارة عن الكلام بكلام مستكره ، ومعنى حداد فصحاء قادرين على الكلام وإذا نصركم الله فزال الخوف رجع المنافقون إلى إذايتكم بالسب وتنقيص الشريعة ، وقيل إذا غنمتم طلبوا من الغنائم (أشحة على الخير) أي يشحون بفعل الخير وقيل يشحون بالمغانم ، وانتصابه هنا على الحال من الفاعل في سلقوكم (لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم) ليس المعنى أنها حبطت بعد ثبوتها ، وإنما المعنى أنها لم تقبل لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال ، وقيل إنهم نافقوا بعد أن آمنوا ، فالإحباط على هذا حقيقة (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) الأحزاب هنا هم كفار قريش ومن معهم ، فالمعنى أن المنافقين من شدة جزعهم يظنون أن الأحزاب لم ينصرفوا عن المدينة وهم قد انصرفوا (وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب) معنى يودوا يتمنوا ، وبادون خارجون في البادية والأعراب هم أهل البوادي من العرب فمعنى الآية أنه إن أتى الأحزاب إلى المدينة مرة أخرى تمنى هؤلاء المنافقون من شدة جزعهم أن يكونوا في البادية مع الأعراب وأن لا يكونوا في المدينة بل غائبين عنها يسألون من ورد عليهم عن أنبائكم (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي قدوة تقتدون به صلى الله عليه وسلم في اليقين والصبر وسائر الفضائل ، وقرئ أسوة بضم الهمزة والمعنى واحد (هذا ما وعدنا الله ورسوله) قيل إن هذا الوعد ما أعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر بحفر الخندق من أن الكفار ينزلون ، وأنهم ينصرفون خائبين ، وقيل إنه قول الله تعالى «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء» الآية ، فعلموا أنهم يبتلون ثم ينصرون (فمنهم من قضى نحبه) يعني قتل شهيدا قال أنس بن مالك يعني عمى أنس بن النضر . وقيل يعني حمزة بن عبد المطلب ، وقضاء النحب عبارة عن الموت عند ابن عباس وغيره ، وقيل قضى نحبه : وفى العهد الذي عاهد الله عليه ، ويدل على هذا ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «طلحة ممن قضى نحبه» وهو لم يقتل حينئذ (ومنهم من ينتظر) المفعول

Marfat.com

ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلدَّارَ

محذوف : أى ينتظر أن يقضى نحبه ، أو ينتظر الشهادة فى سبيل الله على قول ابن عباس ، أو ينتظر الحصول فى أعلى مراتب الإيمان والصلاح على القول الآخر (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم) الصياصى هى الحصون ، ونزلت الآية فى يهود بنى قريظة ، وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا عهده وصاروا مع قريش فلما انصرفت قريش عن المدينة حصر رسول الله بنى قريظة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بأن يقتل رجالهم ويسبى نساؤهم وذريتهم (فريقا تقتلون) يعنى الرجال وقتل منهم يومئذ كل من أنبت وكانوا بين ثمانمائة أو تسعمائة (وتأسرون فريقا) يعنى النساء والذرية (أورثكم أرضهم) يعنى أرض بنى قريظة قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين (وأرضا لم تطؤها) هذا وعد بفتح أرض لم يكن المسلمون قد وطؤها حينئذ وهى مكة واليمن والشام والعراق ومصر ، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وماوراءها إلى أقصى المشرق والمغرب ، ويحتمل عندى أن يريد أرض بنى قريظة ، لأنه قال أورثكم بالفعل الماضى وهى التى كانوا أخذوها حينئذ ، وأما غيرها من الأرضين ، فإنما أخذها بعد ذلك فلو أرادها لقال يورثكم إنما كررها بالعطف ليصفها بقوله لم تطؤها : أى لم تدخلوها قبل ذلك (يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) الآية : سببها أن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم تغايرن حتى غمه ذلك وقيل طلبن منه الملابس ونفقات كثيرة ، وكان أزواجه يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسودة بنت زمعة ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، وأم سلمة بنت أبى أمية ، وأربع من غير قريش وهم ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وصفية بنت حيىّ من بنى إسرائيل وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث من بنى المصطلق (فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا) أصل تعال أن يقوله من كان فى موضع مرتفع لمن فى موضع منخفض ثم استعملت بمعنى أقبل فى جميع الأمكنة ؛ وأمتعكن من المتعة وهى الإحسان إلى المرأة إذا طلقت والسراح الطلاق ، فمعنى الآية أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخير نساءه بين الطلاق والمتعة إن أرادوا زينة الدنيا ، وبين البقاء فى عصمته إن أرادوا الآخرة ، فبدأ صلى الله عليه وسلم بعائشة : فاختارت البقاء فى عصمته، ثم تبعها سائرهن فى ذلك ، فلم يقع طلاق، وقالت عائشة : خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعد ذلك طلاقا، وإذا اختارت المخيرة الطلاق : فمذهب مالك أنه ثلاث وقيل طلقة بائنة ، وقيل طلقة رجعية ووصف السراح بالجميل : يحتمل أن يريد أنه دون الثلاث ، أو يريد أنه ثلاث ، وجماله حسن الرعى والثناء

ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۞ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

وحفظ العهد (للمحسنات منكن) من للبيان لا للتبعيض، لأن جميعهن محسنات (بفاحشة مبينة) قيل يعنى الزنا، وقيل يعنى عصيان زوجهن عليه الصلاة والسلام، أو تكليفه مايشق عليه، وقيل عموم فى المعاصى (يضاعف لها العذاب ضعفين) أى يكون عذابها فى الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين، وإنما ذلك لعلو رتبتهن، لأن كل أحد يطالب على مقدار حاله، وقرئ يضاعف بالياء ورفع العذاب على البناء للمفعول وبالنون ونصب العذاب على البناء للفاعل (ومن يقنت منكن لله ورسوله) قرئ بالياء حملا على لفظ من وبالتاء حملا على المعنى، وكذلك تعمل، والقنوت هنا بمعنى الطاعة (نؤتها أجرها مرتين) أى يضاعف لها ثواب الحسنات (رزقا كريما) يعنى الجنة، وقيل فى الدنيا، والأول هو الصحيح (لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) فضلهن الله على النساء بشرط التقوى، وقد حصل لهن التقوى فحصل التفضيل على جميع النساء، إلا أنه يخرج من هذا العموم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون لشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها (فلا تخضعن بالقول) نهى عن الكلام اللين الذى يعجب الرجال ويميلهن إلى النساء (فى قلبه مرض) أى فجور وميل للنساء، وقيل هو النفاق، وهذا بعيد فى هذا الموضع (وقلن قولا معروفا) هو الصواب من الكلام أو الذى ليس فيه شىء مما نهى عنه (وقرن فى بيوتكن) قرئ بكسر القاف، ويحتمل وجهين: أن يكون من الوقار أو من القرار فى الموضع، ثم حذفت الراء الواحدة كما حذفت اللام فى ظلت، وأما القراءة بالفتح فمن القرار فى الموضع على لغة من يقول قررت بالكسر أقر بالفتح، والمشهور فى اللغة عكس ذلك، وقيل هى من قار يقار إذا اجتمع ومعنى القرار أرجح، لأن سودة رضى الله عنها قيل لها لم لا تخرجين فقالت أمرنا الله بأن نقر فى بيوتنا، وكانت عائشة إذا قرأت هذه الآية تبكى على خروجها أيام الجمل، وحينئذ قال لها عمر: إن الله أمرك أن تقرى فى بيتك (ولا تبرجن) التبرج إظهار الزينة (تبرج الجاهلية الأولى) أى مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن من الانكشاف والتعرض للنظر، وجعلها أولى بالنظر إلى حال الإسلام، وقيل الجاهلية الأولى ما بين آدم ونوح، وقيل ما بين موسى وعيسى (الرجس) أصله النجس، والمراد به هنا النقائص والعيوب (أهل البيت) منادى أو منصوب على التخصيص، وأهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم: هم أزواجه وذريته وأقاربه كالعباس وعلىّ وكل من حرمت عليه الصدقة، وقيل المراد هنا أزواجه خاصة، والبيت على هذا المسكن، وهذا ضعيف لأن الخطاب بالتذكير، ولو أراد ذلك لقال عنكن وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية فى خمسة: فى ولد علىّ وفاطمة والحسن

Marfat.com

تَطْهِيرًا ۝ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ

والحسين (واذكرن) خطاب لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصهن بعد دخولهن مع أهل البيت ، وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة أو التذكر بالقلب ، وآيات الله هى القرآن والحكمة هى السنة (إن المسلمين والمسلمات) الآية : سببها أن بعض النساء قلن ذكر الله الرجال ولم يذكرنا ، فنزل فيها ذكر النساء (والمؤمنين والمؤمنات) الإسلام هو الانقياد، والإيمان هو التصديق، ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه باختلاف المعنى كقوله « لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » وبالاتفاق لاجتماعهما كقوله « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين » الآية ، وبالعموم فيكون الإسلام أعم ، لأنه بالقلب والجوارح ، والإيمان أخص لأنه بالقلب خاصة ، وهذا هو الأظهر فى هذا الموضع (والقانتين والقانتات) يحتمل أن يكون بمعنى العبادة أو الطاعة (والصادقين والصادقات) يحتمل أن يكون من صدق القول أو من صدق العزم (وما كان لمؤمن) الآية : معناها أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيار مع الله ورسوله بل يجب عليهم التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله والضمير فى قوله من أمرهم : راجع إلى الجمع الذى يقتضيه قوله لمؤمن ولا مؤمنة لأن معناه العموم فى جميع المؤمنين والمؤمنات ، وهذه الآية توطئة للقصة المذكورة بعدها ، وقيل سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة ليزوجها لمولاه زيد بن حارثة ، فكرهت هى وأهلها ذلك فلما نزلت الآية قالوا رضينا يارسول الله ، واختلف هل هذه المخطوبة زينب بنت جحش أو غيرها ، وقد قيل إنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط (وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه) هو زيد بن حارثة الكلبى ، وإنعام الله عليه بالإسلام وغيره وإنعام النبى صلى الله عليه وسلم بالعتق وكانت عند زيد زينب بنت جحش وهى بنت أميمة عمة النبى صلى الله عليه وسلم ، فشكا زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء معاشرتها وتعاظمها عليه ، وأراد أن يطلقها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك زوجك واتق الله ، يعنى فيما وصفها به من سوء المعاشرة واتق الله ولا تطلقها فيكون نهيا عن الطلاق على وجه التنزيه ، كما قال عليه الصلاة والسلام : أبغض المباح إلى الله الطلاق (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) الذى أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر جائز مباح لا إثم فيه ولا عتب ولكنه خاف أن يسلط الله عليهم ألسنتهم وينالوا منه ، فأخفاه حياء وحشمة وصيانة لعرضه ، وذلك أنه روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان حريصا على أن يطلق زيد زينب ليتزوجها هو صلى الله عليه وسلم لقرابتها منه ولحسبها ، فقال أمسك عليك زوجك وهو يخفى الحرص عليها خوفا من كلام

Marfat.com

وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ۝ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ

الناس لئلا يقولوا تزوج امرأة ابنه إذكان قد تبناه . فالذى أخفاه صلى الله عليه وسلم هو إرادة تزوجها فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزوجها . فقالت عائشة : لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحى لكتم هذه الآية لشدتها عليه ، وقيل إن الله كان أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد ، فالذى أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أعلمه الله به من ذلك (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) لم يذكر أحد من الصحابة فى القرآن باسمه غير زيد بن حارثة ، والوطر الحاجة ، قال ابن عطية : ويراد به هنا الجماع ، والأحسن أن يكون أعم من ذلك : أى لما لم يبق لزيد فيها حاجة زوجها الله من نبيه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وأسند الله تزويجها إليه تشريفا لها . ولذلك كانت زينب تفتخر على نساء النبى صلى الله عليه وسلم وتقول إن الله زوجنى نبيه من فوق سبع سموات . واستدل بعضهم بقوله زوجناكها على أن الأولى أن يقال فى كتاب الصداق أنكحه إياها بتقديم ضمير الزوج على ضمير الزوجة كما فى الآية (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم) المعنى أن الله زوج زينب امرأة زيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلم المؤمنين أن تزوج نساء أدعيائهم حلال لهم فإن الأدعياء ليسوا لهم بأبناء حقيقة (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له) المعنى أن تزوج النبى صلى الله عليه وسلم لزينب بعد زيد حلال لا حرج فيه ولا إثم ولا عتاب ، وفى ذلك رد على من تكلم فى ذلك من المنافقين . وفرض هنا بمعنى قسم له (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) أى عادة الله فى الأنبياء المتقدمين أن ينالوا ما أحل الله لهم . وقيل الإشارة بذلك إلى داود فى تزوجه للمرأة التى جرى له فيها ما جرى ، والعموم أحسن . ونصب سنة على المصدر ، أو على إضمار فعل أو على الإغراء (الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا من قبل ، وهم الأنبياء أو رفع على إضمار مبتدإ ، أو نصب بإضمار فعل (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) هذا رد على من قال فى زيد بن حارثة زيد ابن محمد ، فاعترض على النبى صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد ، وعموم النفى فى الآية لا يعارضه وجود الحسن والحسين ، لأنه صلى الله عليه وسلم ليس أبا لهما فى الحقيقة لأنهما ليسا من صلبه ، وإنما كانا ابنى بنته ، وأما ذكور أولاده فماتوا صغارا فليسوا من الرجال (وخاتم النبيين) أى آخرهم فلا نبى بعده صلى الله عليه وسلم وقرئ بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم ، وبالفتح بأنهم ختموا به فهو كالخاتم والطابع لهم ، فإن قيل إن عيسى ينزل فى آخر الزمان فيكون بعده عليه الصلاة والسلام ، فالجواب أن النبوة أوتيت عيسى قبله عليه الصلاة والسلام ، وأيضا فإن عيسى يكون إذا نزل على شريعته عليه الصلاة والسلام ، فكأنه واحد من أمته (اذكروا الله ذكرا كثيرا) اشترط الله الكثرة فى الذكر حيثما أمر به بخلاف سائر الأعمال ، والذكر يكون بالقلب وباللسان وهو

Marfat.com

اللّهُ بكلِّ شيءٍ عليماً * يَـٰٓأَيُّهَا الذين ءامنوا اذكروا اللّه ذكرًا كثيرًا ۝ وسبّحوه بكرةً وأصيلاً ۝ هو الذي يصلّي
عليكم وملَـٰٓئكته ليخرجكم من الظلمٰت إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً ۝ تحيّتهم يوم يلقونه سلٰمٌ وأعدّ
لهم أجرًا كريمًا ۝ يَـٰٓأَيُّهَا النبيّ إنّآ أرسلنٰك شٰهدًا ومبشّرًا ونذيرًا ۝ وداعيًا إلى اللّه بإذنه وسراجًا منيرًا ۝
وبشّر المؤمنين بأنّ لهم من اللّه فضلاً كبيرًا ۝ ولا تطع الكٰفرين والمنٰفقين ودع أذٰهم وتوكّل على اللّه
وكفىٰ باللّه وكيلاً ۝ يَـٰٓأَيُّهَا الذين ءامنوٓا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلّقتموهنّ من قبل أن تمسّوهنّ فما لكم
عليهنّ من عدّة تعتدّونها فمتّعوهنّ وسرّحوهنّ سراحًا جميلًا ۝ يَـٰٓأَيُّهَا النبيّ إنّآ أحللنا لك أزوٰجك التي
ءاتيت أجورهنّ وما ملكت يمينك ممّآ أفاء اللّه عليك وبنات عمّك وبنات عمّٰتك وبنات خالك وبنات
خٰلٰتك التي هاجرن معك وامرأةً مؤمنةً إن وهبت نفسها للنبيّ إن أراد النبيّ أن يستنكحها خالصةً لك من

على أنواع كثيرة من التهليل والتسبيح والحمد والتكبير وذكر أسماء الله تعالى (وسبحوه بكرة وأصيلا) قيل إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر ، والأظهر أنه أمر بالتسبيح فى أول النهار وآخره ، وقال ابن عطية أراد فى كل الأوقات لحد النهار بطرفيه (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم) هذا خطاب للمؤمنين ، وصلاة الله عليهم رحمة لهم ، وصلاة الملائكة عليهم دعاؤهم لهم ، فاستعمل لفظ يصلى فى المعنيين على اختلافهما وقيل إنه على حذف مضاف تقديره وملائكته يصلون (تحيتهم يوم يلقونه سلام) قيل يعنى يوم القيامة ، وقيل فى الجنة وهو الأرجح لقوله وتحيتهم فيها سلام ، ويحتمل أن يريد تسليم بعضهم على بعض أو قول الملائكة لهم سلام عليكم طبتم (إنا أرسلناك شاهدا) أى يشهد على أمته (وداعيا إلى الله بإذنه) أى بأمر الله وإرساله (وسراجا منيرا) استعارة للنور الذى يتضمنه الدين (ودع أذاهم) يحتمل وجهين أحدهما لا تؤذهم فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين بآية السيف ، والآخر احتمل إذايتهم لك وأعرض عن أقوالهم ، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) الآية : معناه سقوط العدّة عن المطلقة قبل الدخول فالنكاح فى الآية هو العقد والمس هو الجماع ، وتعتدونها من العدد (فمتعوهن) هذا يقتضى متعة المطلقة قبل الدخول سواء فرض لها أو لم يفرض لها صداق وقوله تعالى فى البقرة «وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم» يقتضى أن المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها وقد اختلف هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة أو منسوخة بها ويمكن الجمع بينهما بأن تكون آية البقرة مبينة لهذه مخصصة لعمومها (يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن) فى معناها قولان أحدهما أن المراد أزواجه اللاتى فى عصمته حينئذ كعائشة وغيرها ، وكان قد أعطاهن مهورهن ، والآخر أن المراد جميع النساء ، فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يعطى مهرها وهذا أوسع من الأول (وما ملكت يمينك) أباح الله له مع الأزواج السرارى بملك اليمين ويعنى بقوله أفاء الله عليك : الغنائم (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك) يعنى قرابته

Marfat.com

دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۝

من جهة أبيه ومن جهة أمه ، وكان له عليه الصلاة والسلام أعمام وعمات إخوة لأبيه ، ولم يكن لأمه عليه الصلاة والسلام أخ ولا أخت ، وإنما يعنى بخاله وخالاته عشيرة أمه وهم بنو زهرة ، ولذلك كانوا يقولون نحن أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قال إن المراد بقوله أحللنا لك أزواجك : من كانت فى عصمته : فهو عطف عليهن ، وإباحة لأن يتزوج قرابته زيادة على من كان فى عصمته ، ومن قال إن المراد جميع النساء فهو تجريد منهن على وجه التشريف بعد دخول هؤلاء فى العموم (اللاتى هاجرن معك) تخصيص تحرز به ممن لم يهاجر كالطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى) أباح الله له صلى الله عليه وسلم من وهبت له نفسها من النساء ، واختلف هل وقع ذلك أم لا ؟ فقال ابن عباس : لم تكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة إلا بنكاح أو ملك يمين ، لا بهبة نفسها ، ويؤيد هذا قراءة الجمهور إن وهبت بكسر الهمزة أى إن وقع ، وقيل قد وقع ذلك ، وهو على هذا القول قرئ أن وهبت بفتح الهمزة ، واختلف على هذا القول فيمن هى التى وهبت نفسها فقيل ميمونة بنت الحارث ، وقيل زينب بنت خزيمة أم المساكين ، وقيل أم شريك الأنصارية ، وقيل أم شريك العامرية (خالصة لك من دون المؤمنين) أى هبة المرأة نفسها مزية خاصة بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره ، وانظر كيف رجع من الغيبة إلى الخطاب ليخص المخاطب وحده ، وقيل إن خالصة يرجع إلى كل ما تقدم من النساء المباحات له صلى الله عليه وسلم لأن سائر المؤمنين قصروا على أربع نسوة ، وأبيح له عليه الصلاة والسلام أكثر من ذلك ، ومذهب مالك أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد بخلاف أبى حنيفة ، وإعراب خالصة مصدر أو حال أو صفة لامرأة (قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم) يعنى أحكام النكاح من الصداق والولى والاقتصار على أربع وغير ذلك (لكيلا يكون عليك حرج) يتعلق بالآية التى قبله أى بينا أحكام النكاح لئلا يكون عليك حرج أو لئلا يظن بك أنك فعلت مالا يجوز ، وقال الزمخشرى يتعلق بقوله خالصة لك (ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء) معنى ترجى تؤخر وتبعد ، ومعنى تؤوى تضم وتقرب . واختلف فى المراد بهذا الإرجاء والإيواء ، فقيل إن ذلك فى القسمة بينهن : أى تكثر لمن شئت ، وتقلل لمن شئت ، وقيل إنه فى الطلاق أى تمسك من شئت وتطلق من شئت ؛ وقيل معناه تتزوج من شئت ، وتترك من شئت ، والمعنى على كل قول توسعة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وإباحة له أن يفعل مايشاء ، وقد اتفق الناقلون على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل فى القسمة بين نسائه : أخذا منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له ، والضمير فى قوله منهن : يعود على أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم خاصة أو على كل ما أحل الله له على حسب الخلاف المتقدم (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) فى معناه قولان : أحدهما من كنت عزلته من نسائك فلا جناح عليك فى رده بعد عزله ، والآخر من ابتغيت ومن عزلت سواء فى إباحة ذلك فمن للتبعيض على القول الأول وأما على القول الثانى فنحو قولك من لقيك ومن لم يلقك سواء (ذلك أدنى أن تقر أعينهن) أى إذا علمن أن هذا

لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَآءُ مِن بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ۝ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَـٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ

حكم الله قرّت به أعينهن ورضين به ، وزال ما كان بهنّ من الغيرة ، فإن سبب نزول هذه الآية ماوقع لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم من غيرة بعضهن على بعض (لايحل لك النساء من بعد) فيه قولان : أحدهما لايحل لك النساء غير اللاتى فى عصمتك الآن ولا تزيد عليهن ، قال ابن عباس لما خيرهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترن الله ورسوله جازاهن الله على ذلك ، بأن حرم غيرهن من النساء كرامة لهنّ ، والقول الثانى : لايحل لك النساء غير الأصناف التى سميت ، والخلاف هنا يجرى على الخلاف فى المراد بقوله . إنا أحللنا لك أزواجك : أى لايحل لك غير من ذكر حسبما تقدم ، وقيل معنى لايحل لك النساء : لايحل لك اليهوديات والنصرانيات من بعد المسلمات المذكورات وهذا بعيد ، واختلف فى حكم هذه الآية ، فقيل إنها منسوخة بقوله إنا أحللنا لك أزواجك على القول بأن المراد جميع النساء ، وقيل إن هذه الآية ناسخة لتلك على القول بأن المراد من كان فى عصمته ، وهذا هو الأظهر لما ذكرنا عن ابن عباس ، ولأن التسع فى حقه عليه الصلاة والسلام كالأربع فى حق أمته (ولاأن تبدل بهن من أزواج) معناه لايحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلا منها ، وقيل معناه ما كانت العرب تفعله من المبادلة فى النساء بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر عن زوجته له ، وهذا ضعيف (ولو أعجبك حسنهن) فى هذا دليل على جواز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوجها (إلا ماملكت يمينك) المعنى أن الله أباح له الإماء ، والاستثناء فى موضع رفع على البدل من النساء أو فى موضع نصب على الاستثناء من الضمير فى حسنهن (لاتدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام) سبب هذه الآية مارواه أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش أولم عليها فدعا الناس ، فلما طعموا قعد نفر فى طائفة من البيت فثقل ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فخرج ليخرجوا بخروجه ومر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم فى مكانهم ، فانصرف فخرجوا عن ذلك ، وقال ابن عباس نزلت فى قوم كانوا يتحينون طعام النبى صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يطبخ ثم يأكلون ولايخرجون ، فأمروا أن لايدخلوا حتى يؤذن لهم ، وأن ينصرفوا إذا أكلوا ، قلت : والقول الأول أشهر ، وقول ابن عباس أليق بمافى الآية من النهى عن الدخول حتى يؤذن لهم ، فعلى قول ابن عباس فى النهى عن الدخول حتى يؤذن لهم والقول الأول فى النهى عن القعود بعد الأكل ، فإن الآية تضمنت الحكمين (غير ناظرين إناه) أى غير منتظرين لوقت الطعام ، والإنا الوقت ، وقيل إنا الطعام نضجه وإدراكه ، يقال أنى يأنى إناه (ولكن إذا دعيتم فادخلوا) أمر بالدخول بعد الدعوة ، وفى ذلك تأكيد للنهى عن الدخول قبلها (فإذا طعمتم فانتشروا) أى انصرفوا ، قال بعضهم هذا أدب أدّب الله به الثقلاء ، وقالت عائشة رضى الله عنها : حسبك من الثقلاء أن الله لم يحتملهم (ولا مستأنسين لحديث) معطوف على غير ناظرين ، أو تقديره ولاتدخلوا مستأنسين ، ومعناه النهى عن أن يطلبوا الجلوس للأنس بحديث بعضهم مع بعض ، أو يستأنسوا لحديث أهل البيت ، واستئناسهم : تسمعهم وتجسسهم (إنّ ذلكم كان يؤذى النبىّ) يعنى جلوسهم للحديث أو دخولهم بغير إذن (فيستحيي منكم) تقديره

Marfat.com

منكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا * إِن تُبْدُوا شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۞ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ۞ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۞ إِنَّ

يستحي من إخراجكم ، بدليل قوله : والله لا يستحيي من الحق : أى أن إخراجكم حق لا يتركه الله (، إذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) المتاع الحاجة من الأثاث وغيره ، وهذه الآية نزلت فى احتجاب أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم . وسببها مارواه أنس من قعود القوم يوم الوليمة فى بيت زينب ، وقيل سببها أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يحجب نساءه نزلت الآية موافقة لقول عمر ، قال بعضهم لما نزلت فى أمهات المؤمنين «وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، كن لا يجوز للناس كلامهن إلا من وراء حجاب ، ولا يجوز أن يراهن متنقبات ولا غير متنقبات . فخصصن بذلك دون سائر النساء (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) يريد أنقى من الخواطر التى تعرض للرجال فى أمر النساء والنساء فى أمر الرجال (ولا تنكحوا أزواجه) سببها أن بعض الناس قالوا لو مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لتزوجت عائشة فحرم الله على الناس تزوج نسائه بعده كرامة له صلى الله عليه وآله وسلم (لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن) الآية : لما أوجب الله الحجاب أباح لهن الظهور لذوى محارمهن من القرابة وهم : الآباء ، والأبناء ، والإخوة ، وأولادهم ، وأولاد الأخوات (ولا نسائهن) قيل يريد بالنساء القرابة والمصرفات لهن ، وقيل يريد نساء جميع المؤمنات ، ويقوى الأول تخصيص النساء بالإضافة لهن ، ويقوى الثانى أنهن كن لا يحتجبن من النساء على الإطلاق (وما ملكت أيمانهن) واختلف فيمن أبيح لهن الظهور له من ملك اليمين ، فقيل الإماء دون العبيد ، وقيل الإماء والعبيد ، وهو أولى بلفظ الآية . ثم اختلف من ذهب إلى هذا فقال قوم من ملكنه من العبيد دون من ملكه غيرهن ، وهذا هو الظاهر من لفظ الآية ، وقال قوم جميع العبيد كن فى ملكهن أو فى ملك غيرهن (إن الله وملائكته يصلون على النبى) هذه الآية تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرنا معنى صلاة الله وصلاة الملائكة فى قوله يصلى عليكم وملائكته (صلوا عليه وسلموا تسليما) الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فرض إسلاميّ فالأمر به محمول على الوجوب ، وأقله مرة فى العمر ، وأما حكمها فى الصلاة : فمذهب الشافعى أنها فرض تبطل الصلاة بتركه ، ومذهب مالك أنها سنة وصفتها ماورد فى الحديث الصحيح اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وقد اختلفت الروايات فى ذلك اختلافا كثيرا أما السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل أن يريد السلام عليه فى التشهد فى الصلاة أو السلام عليه حين لقائه ، وأما السلام عليه بعد موته فقد قال صلى الله عليه وسلم من سلم علىّ قريبا سمعته ، ومن سلم علىّ بعيدا أبلغته ، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء (إن الذين يؤذون الله ورسوله) إذاية الله هى

Marfat.com

الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ۝ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا * يَسْأَلُكَ النَّاسُ

بالإشراك به ونسبة الصاحبة والولد له ، وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء ، وقيل إنها على حذف مضاف تقديره يؤذون أولياء الله ، والأول أرجح ، لأنه ورد فى الحديث يقول الله تعالى « يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني ، ويكذبني وليس له أن يكذبني ، أما شتمه إياى فقوله إن لى صاحبة وولدا ، وأما تكذيبه إياي فقوله لا يعيدنى كما بدأنى » وأما إذاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهى التعرض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال ، وقال ابن عباس ، نزلت فى الذين طعنوا عليه حين أخذ صفية بنت حيي (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) الآية : فى البهتان وهو ذكر الإنسان بما ليس فيه ، وهو أشد من الغيبة ، مع أن الغيبة محرمة ، وهى ذكره ما فيه مما يكره (ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء ، وكان ذلك داعيا إلى نظر الرجال لهن فأمرهن الله بإدناء الجلابيب ليسترن بذلك وجوههن ويفهم الفرق بين الحرائر والإماء ، والجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار ، وقيل هو الرداء ، وصورة إدنائه عند ابن عباس أن تلويه على وجهها حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها وقيل أن تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها ، وقيل أن تغطى نصف وجهها (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أى ذلك أقرب إلى أن يعرف الحرائر من الإماء فإذا عرف أن المرأة حرة لم تعارض بما تعارض به الأمة ، وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم من هى إنما المراد أن يفرق بينها وبين الأمة لأنه كان بالمدينة إماء يعرفن بالسوء ، وربما تعرض لهن السفهاء (لئن لم ينته المنافقون) الآية : تضمنت وعيد هؤلاء الأصناف إن لم ينتهوا ، وقيل إنهم لم ينتهوا : ولم ينفذ الوعيد عليهم ففى ذلك دليل على بطلان القول بوجوب إنفاذ الوعيد فى الآخرة ، وقيل إنهم انتهوا وستروا أمرهم ، فكف عنهم إنفاذ الوعيد ، والمنافقون هم الذين يظهرون الإيمان ويخفون الكفر ، والذين فى قلوبهم مرض : قوم كان فيهم ضعف إيمان ، وقلة ثبات عليه ، وقيل هم الزناة : كقوله فيطمع الذى فى قلبه مرض ، والمرجفون فى المدينة : قوم كانوا يشيعون أخبار السوء ويخوفون المسلمين ، فيحتمل أن تكون هذه الأصناف متفرقة ، أو تكون داخلة فى جملة المنافقين ، ثم جردها بالذكر (لنغرينك بهم) أى نسلطك عليهم وهذا هو الوعيد (ثم لا يجاورونك فيها) ذلك لأنه ينفيهم أو يقتلهم ، والضمير المجرور للمدينة (إلا قليلا) يحتمل أن يريد إلا جوارا قليلا أو وقتا قليلا أو عددا قليلا منهم ، والإعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات ، فقليلا على الاحتمال الأول مصدر ، وعلى الثانى ظرف ، وعلى الثالث منصوب على الاستثناء (ملعونين) نصب على الذم ، أو بدل من قليلا على الوجه الثالث ، أو حال من

Marfat.com

عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا * إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ
سَعِيرًا ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا
اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ، وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ
الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ
عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ، إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن
يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ، لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

ضمير الفاعل فى يجاورونك تقديره سينفون ملعونين (أينما ثقفوا أخذوا) أى حيث ماظفر بهم أسروا ، والأخذ الأسر (سنة الله) أى عادته ونصب على المصدر (فى الذين خلوا من قبل) أى عادته فى المنافقين من الأمم المتقدمة وقيل يعنى الكفار من بدر ، لأنهم أسروا وقتلوا (تكون قريبا) إنما قال قريبا بالتذكير والساعات مؤنثة على تقدير شيئاقريبا أوزمانا قريبا ، أولأن تأنيثها غيرحقيق (يوم تقلب وجوههم فى النار) العامل فى يوم قوله يقولون أولايجدون أو محذوف ، وتقليب وجوههم : تصريفها فى جهة النار كما تدور البضعة فى القدر إذا غلت من جهة إلى جهة ، أوتغيرها عن أحوالها (لاتكونوا كالذين آذوا موسى) هم قوم من بنى إسرائيل ، وإذايتهم له : ماورد فى الحديث أن بنى إسرائيل كانوا يغتسلون عراة وكان موسى يستتر منهم إذا اغتسل فقالوا إنه لآدر ، فاغتسل موسى يوما وحده وجعل ثيابه على حجر ففر الحجر بثيابه ، واتبعه موسى وهو يقول ثوبى حجر ثوبى حجر ، فمر فى أتباعه على ملأ من بنى إسرائيل فرأوه سليما مما قالوا ، فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا ، وقيل إذايتهم له أنهم رموه بأنه قتل أخاه هارون ، فبعث الله ملائكة فحملته حتى رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثر فبرأ الله موسى ، وروى أن الله أحياه فأخبرهم ببراءة موسى ، والقول الأول هو الصحيح لوروده فى الحديث الصحيح (قولا سديدا) قيل يعنى لاإله إلاالله ، واللفظ أعم من ذلك (إناعرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) الأمانة هى التكاليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصى، وقيل هى الأمانة فى الأموال ، وقيل غسل الجنابة ، والصحيح العموم فى التكاليف، وعرضها على السموات والأرض والجبال يحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون الله خلق لها إدرا كافعرضت عليها الأمانة حقيقة فأشفقت منها وامتنعت من حملها ، والثانى أن يكون المراد تعظيم شأن الأمانة ، وأنها من الثقل بحيث لو عرضت على السموات والأرض والجبال ، لأبين من حملها وأشفقن منها ، فهذا ضرب من المجاز كقولك عرضت الحمل العظيم على الدابة فأبت أن تحمله ، والمراد أنها لاتقدر على حمله (وحملها الإنسان) أى التزم الانسان القيام بالتكاليف مع شدة ذلك وصعوبته على الأجرام التى هى أعظم منه . ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول ، والانسان هنا جنس ، وقيل يعنى آدم ، وقيل قابيل الذى قتل أخاه (ليعذب) اللام للصيرورة ، فإن حمل الأمانة : كان سبب تعذيب

Marfat.com

وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـٰتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٭

ســـورة سبإ

مكية إلا آية ٦ فمدنية وآياتها ٥٤ نزلت بعد لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ٭ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ٭ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ٭ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ٭ لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ أُولَـٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٭ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ٭ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَٰطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٭ وَقَالَ الَّذِينَ

المنافقين والمشركين ، ورحمة للمؤمنين

ســـورة سبأ

(وله الحمد فى الآخرة) يحتمل أن يكون الحمد الأول فى الدنيا والثانى فى الآخرة ، وعلى هذا حمله الزمخشرى ويحتمل عندى أن يكون الحمل الأول للعموم والاستغراق ، فجمع الحمد فى الدنيا والآخرة ، ثم جرد منه الحمد فى الآخرة كقوله فاكهة ونخل ورمان ، ثم إن الحمد فى الآخرة يحتمل أن يريد به الجنس أو يريد به قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين أو الحمد لله الذى صدقنا وعده (مايلج فى الأرض) أى يدخل فيها من المطر والأموات وغير ذلك (وما يخرج منها) من النبات وغيره (وماينزل من السماء) من المطر والملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك (وما يعرج فيها) أى يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها (وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة) روى أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان بن حرب (لا يعزب) أى لا يغيب ولا يخفى (ولا أصغر) معطوف على مثقال ؛ وقال الزمخشرى هو مبتدأ ، لأن حرف الاستثناء من حروف العطف ، ولا خلاف بين القراء السبعة فى رفع أصغر وأكبر فى هذا الموضع ، وقد حكى ابن عطية الخلاف فيه عن بعض القراء السبعة ، وإنما الخلاف فى يونس (فى كتاب مبين) يعنى اللوح المحفوظ (ليجزى) متعلق بقوله لتأتينكم أو بقوله لا يعزب أو بمعنى قوله فى كتاب مبين (والذين سعوا) مبتدأ وخبره الجملة بعده ، وقال ابن عطية: هو معطوف على الذين الأول . وقد ذكر فى الحج معنى سعوا ، ومعاجزين (أليم) بالرفع صفة لعذاب ، وبالخفض صفة لرجز (ويرى) معطوف على ليجزى أو مستأنف ، وهذا أظهر (الذين أوتوا العلم) هم الصحابة أو من أسلم من أهل الكتاب ، أو على العموم (الحق) مفعول ثان ليرى ، لأن الرؤيا هنا بالقلب بمعنى العلم والضمير ضمير فصل (وقال الذين كفروا) أى قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنى محمداً صلى الله

كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ
جِنَّةٌ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ
عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ
فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ
عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝ يَعْمَلُونَ

عليه وسلم (ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد) معنى مزقتم أى بليتم فى القبور وتقطعت أوصالكم وكل ممزق مصدر، والخلق الجديد: هو الحشر فى القيامة، والعامل فى إذا معنى إنكم لفى خلق جديد. لأن معناه تبعثون إذا مزقتم، وقيل العامل فيه فعل مضمر مقدر قبلها وذلك ضعف، وإنكم لفى خلق جديد معمول ينبئكم وكسرت اللام التى فى خبرها ومعنى الآية أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بليتم فى الأرض، ومرادهم استبعاد الحشر (أفترى على الله) هذا من جملة كلام الكفار، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل وبقيت الهمزة مفتوحة غير ممدودة (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب) هذا رد عليهم: أى أنه لم يفتر على الله الكذب وليس به جنة بل هؤلاء الكفار فى ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب. ويحتمل أن يريد بالعذاب عذاب الآخرة، أو العذاب فى الدنيا بمعاندة الحق، ومحاولة ظهور الباطل (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) الضمير فى يروا للكفار المنكرين للبعث، وجعل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم. لأنهما محيطتان بهم، والمعنى ألم يروا السماء والأرض فيعلمون أن الذى خلقهما قادر على بعث الناس بعد موتهم، ويحتمل أن يكون المعنى تهديد لهم ثم فسره بقوله إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء: أى أفلم يروا إلى السماء والأرض أنهما محيطتان بهم فيعلمون أنهم لا مهرب لهم من الله (إن فى ذلك لآية) الإشارة إلى إحاطة السماء بهم أو إلى عظمة السماء والأرض بأن فيهما آية تدل على البعث (يا جبال أوبى معه) تقديره: قلنا يا جبال، والجملة تفسير للفضل. ومعنى أوبى سبحى، وأصله من التأويب، وهو الترجيع، لأنه كان يرجع التسبيح فترجعه معه: وقيل هو من التأويب بمعنى السير بالنهار. وقيل كان ينوح فتساعده الجبال بصداها، والطير بأصواتها (والطير) بالنصب عطف على موضع يا جبال، وقيل مفعول معه. وقيل معطوف على فضلا، وقرئ بالرفع عطف على لفظ يا جبال (وألنا له الحديد) أى جعلناه له لينا بغير نار كالطين والعجين، وقيل لان له الحديد لشدة قوته (سابغات) هى الدروع الكاسية.(وقدر فى السرد) معنى السرد هنا نسج الدروع، وتقديرها أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها، وقيل لا يجعل المسمار دقيقا ولا غليظا (واعملوا صالحا) خطاب لداود وأهله (ولسليمان الريح) بالنصب على تقدير وسخرنا، وقرئ بالرفع على الابتداء (غدوها شهر ورواحها شهر) أى كانت تسير به بالغداة مسيرة شهر، وبالعشى مسيرة شهر فكان يجلس على سريره وكان من خشب يحمل فيها روى أربعة آلاف فارس، فترفعه الريح ثم تحمله (وأسلنا له عين القطر) قال ابن عباس كانت تسيل له

Marfat.com

لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ

باليمين عين من نحاس يصنع منها ما أحب ، والقطر النحاس ، وقيل القطر الحديد والنحاس وماجرى مجرى ذلك : كان يسيل له منه أربعة عيون ، وقيل المعنى أن الله أذاب له النحاس بغير نار كما صنع بالحديد لداود (نذقه من عذاب السعير) يعنى نار الآخرة ، وقيل كان معه ملك يضربهم بصوت من نار (محاريب) هى القصور ، وقيل المساجد وتماثيل قيل إنها كانت على غير صور الحيوان وقيل على صور الحيوان وكان ذلك جائزا عندهم (كالجواب) جمع جابية وهى البركة التى يجتمع فيها الماء (راسيات) أى ثابتات فى مواضعها لعظمها (اعملوا آل داود شكراً) حكاية ماقيل لآل داود ، وانتصب شكرا على أنه مفعول من أجله ، أو مصدر فى موضع الحال تقديره شاكرين أو مصدر من المعنى لأن العمل شكر تقديره اشكروا شكرا أو مفعول به (وقليل من عبادى الشكور) يحتمل أن يكون مخاطبة لآل دواد أو مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم (دابة الأرض تأكل منسأته) المنسأة هى العصا ، وقرئ بهمز وبغير همز ، ودابة الأرض هى الأرضة وهى السوسة التى تأكل الخشب وغيره وقصص الآية أن سليمان عليه السلام دخل قبة من قوارير وقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك سنة لم يعلم أحد بموته حتى وقعت العصا فخر إلى الأرض واختصرنا كثيرا مما ذكره الناس فى هذه القصة لعدم صحته (تبينت الجن) من تبين الشىء إذا ظهر ، وما بعدها بدل من الجن ، والمعنى ظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب ، وقيل تبينت بمعنى علمت ، وأن وما بعدها مفعول به على هذه والمعنى علمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب ، وتحققوا أن ذلك بعد التباس الأمر عليهم ، أو علمت الجن أن كفارهم لا يعلمون الغيب ، وأنهم كاذبون فى دعوى ذلك (فى العذاب المهين) يعنى الخدمة التى كانوا يخدمون سليمان وتسخيره لهم فى أنواع الأعمال ، والمعنى لو كانت الجن تعلم الغيب ماخفى عليهم موت سليمان (لقد كان لسبإ فى مسكنهم آية) سبأ قبيلة من العرب سميت باسم أبيها الذى تناسلت منه ، وقيل باسم أمها ، وقيل باسم موضعها ، والأول أشهر ، لأنه ورد فى الحديث وكانت مساكنهم بين الشام واليمن (جنتان عن يمين وشمال) كان لهم واد وكانت الجنتان عن يمينه وشماله وجنتان بدل من آية أو مبتدأ أو خبر مبتدأ محذوف (كلوا) تقديره قيل لهم كلوا من رزق ربكم قالت لهم ذلك الأنبياء ، وروى أنهم بعث لهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم (بلدة طيبة) أى كثيرة الأرزاق طيبة الهواء سليمة من الهوام (فأعرضوا) أى أعرضوا عن شكر الله أو عن طاعة الأنبياء (فأرسلنا عليهم سيل العرم) كان لهم سد يمسك الماء ليرتفع فتسقى به الجنتان ، فأرسل الله على السد الجرذ وهى دويبة خربته فيبست الجنتان ، وقيل لما خرب السد حمل السيل الجنتان وكثير من الناس واختلف فى معنى العرم : فقيل هو السد ، وقيل هو اسم ذلك الوادى بعينه ، وقيل معناه الشديد ، فكأنه صفة

Marfat.com

نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۞ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۞ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۞ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ۞ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۞ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ

للسيل من العرامة ، وقيل هو الجرذ الذي خرب السد ، وقيل المطر الشديد (أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل) الأكل بضم الهمزة المأكول ، والخمط شجر الأراك ، وقيل كل شجرة ذات شوك ، والأثل شجر يشبه الطرفا والسدر شجر معروف ، وإعراب خمط بدل من أكل أو عطف بيان وقرئ بالإضافة وأثل عطف على الأكل لا على خمط ، لأن الأثل لا أكل له ، والمعنى أنه لما أهلكت الجنتان المذكورتان قيل أبدلهم الله منها جنتين بضد وصفهما في الحسن والأرزاق (وهل نجازي إلا الكفور) معناه لا يناقش ويجازي بمثل فعله إلا الكفور لأن المؤمن قد يسمح الله له ويتجاوز عنه (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة) هذه الآية وما بعدها وصف حال سبأ قبل مجيء السيل وهلاك جناتهم ، ويعني بالقرى التي باركنا فيها الشام ، والقرى الظاهرة قرى متصلة من بلادهم إلى الشام ، ومعنى ظاهرة يظهر بعضها من بعض لاتصالها ، وقيل مرتفعة في الآكام ، وقال ابن عطية خارجة عن المدن كما تقول بظاهر المدينة أي خارجها (وقدرنا فيها السير) أي قسمنا مراحل السفر ، وكانت القرى متصلة فكان المسافر يبيت في قرية ويصبح في أخرى ولا يخاف جوعا ولا عطشا ، ولا يحتاج إلى حمل زاد ، ولا يخاف من أحد (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) قرئ باعد وبعد بالتخفيف والتشديد على وجه الطلب ، والمعنى أنهم بطروا النعمة وملوا العافية ، وطلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة ليمشوا في المفاوز ويتزودوا الأسفار ، فعجل الله إجابتهم وقرئ باعد بفتح العين على الخبر والمعنى أنهم قالوا إن الله باعد بين قراهم ، وذلك كذب وجحد للنعمة (وظلموا أنفسهم) يعني بقولهم باعد بين أسفارنا أو بذنوبهم على الإطلاق (ومزقناهم كل ممزق) أي فرقناهم في البلاد حتى ضرب المثل بفرقتهم ، فقيل تفرقوا أيدي سبا ، وفي الحديث إن سبا أبو عشرة من القبائل ، فلما جاء السيل على بلادهم تفرقوا فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) أي وجد ظنه فيهم صادقا يعني قوله لأغوينهم ، وقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين (قل ادعوا الذين زعمتم) تعجيز للمشركين وإقامة حجة عليهم ويعني بالذين زعمتم آلهتهم ، ومفعول زعمتم محذوف أي زعمتم أنهم آلهة أو زعمتم أنهم شفعاء ، وروى أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشا (من شرك) أي نصيب والظهير المعين (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) المعنى لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن الله أن يشفع فإنه لا يشفع أحد إلا بإذنه ، وقيل المعنى لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الله أن يشفع فيه ، والمعنى أن الشفاعة على كل وجه لا تكون إلا بإذن الله ، في ذلك رد على المشركين الذين كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم)

Marfat.com

رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ۞ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ

تظاهرت الأحاديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن هذه الآية في الملائكة عليهم السلام فإنهم إذا سمعوا الوحي إلى جبريل يفزعون لذلك فزعا عظيما ، فإذا زال الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق ، ومعنى فزع عن قلوبهم زال عنها الفزع والضمير في قلوبهم وفي قالوا للملائكة ، فإن قيل : كيف ذلك ولم يتقدم لهم ذكر يعود الضمير عليه ؟ فالجواب أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله «ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له » لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فذكر الشفاعة يقتضي ذكر الشافعين ، فعاد الضمير على الشفعاء الذين دل عليهم لفظ الشفاعة ، فإن قيل : بم اتصل قوله حتى إذا فزع عن قلوبهم ولأي شيء وقعت حتى غائية ؟ فالجواب أنه اتصل بما فهم من الكلام من أن ثم انتظارا للإذن ، وفزعا وتوقفا حتى يزول الفزع بالإذن في الشفاعة ، ويقرب هذا في المعنى من قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ولم يفهم بعض الناس اتصال هذه الآية بما قبلها فاضطربوا فيها حتى قال بعضهم هي في الكفار بعد الموت ، ومعنى فزع عن قلوبهم رأوا الحقيقة ، فقيل لهم ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق فيقرون حين لا ينفعهم الإقرار ، والصحيح أنها في الملائكة لورود ذلك في الحديث ، ولأن القصد الرد على الكفار الذين عبدوا الملائكة ، فذكر شدة خوف الملائكة من الله وتعظيمهم له (قل من يرزقكم) سؤال قصد به إقامة الحجة على المشركين (قل الله) جواب عن السؤال بما لا يمكن المخالفة فيه ، ولذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) هذه ملاطفة وتنزل في المجادلة إلى غاية الإنصاف كقولك الله يعلم أن أحدنا على حق وأن الآخر على باطل ولا تعين بالتصريح أحدهما ولكن تنبه الخصم على النظر حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل ، والمقصود من الآية أن المؤمنين على هدى وأن الكفار على ضلال مبين (قل لا تسألون عما أجرمنا) إخبار يقتضي مسالمة نسخت بالسيف (يفتح بيننا) أي يحكم ، والفتاح الحاكم (قل أروني الذين ألحقتم به شركاء) إقامة حجة على المشركين ، والرؤية هنا رؤية قلب فشركاء مفعول ثالث ، والمعنى أروني بالدليل والحجة من هم له شركاء عندكم ، وكيف وجه الشركة ، وقيل هي رؤية بصر ، وشركاء حال من المفعول في ألحقتم كأنه قال أين الذين تعبدون من دونه وفي قوله أروني تحقير للشركاء وازدراء بهم ، وتعجيز للمشركين ، وفي قوله كلا ردع لهم عن الإشراك ، وفي وصف الله بالعزيز الحكيم : رد عليهم بأن شركاءهم ليسوا كذلك (وما أرسلناك إلا كافة للناس) المعنى أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ، وهذه إحدى الخصال التي أعطاه الله دون سائر الأنبياء ، وإعراب كافة حال من الناس قدمت للاهتمام ، هكذا قال ابن عطية ، وقال الزمخشري ذلك خطأ لأن تقدم حال المجرور

إن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْءَانِ وَلَا بِالَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ الظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوٓا أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِالَّتِى

عليه لا يجوز ، وتقديره عنده: وما أرسلناك إلا رسالة عامة للناس ، فكافة صفة للمصدر المحذوف، وقال الزجاج المعنى أرسلناك جامعا للناس فى الإنذار والتبشير ، فجعله حالا من الكاف ، والتاء على هذا للمبالغة كالتاء فى راوية وعلامة (قل لكم ميعاد يوم) يعنى يوم القيامة ، أو نزول العذاب بهم فى الدنيا ، وهو الذى سألوا عنه على وجه الاستخفاف ، فقالوا متى هذا الوعد (ولا بالذى بين يديه) يعنى الكتب المتقدمة كالتوراة والإنجيل وإنما قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما فى التوراة من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل الذى بين يديه يوم القيامة وهذا خطأ وعكس لأن الذى بين يدى الشىء هو ما تقدم عليه (ولو ترى) جواب لو محذوف تقديره لرأيت أمرا عظيما (يرجع بعضهم إلى بعض القول) أى يتكلمون ويجيب بعضهم بعضا (بل كنتم مجرمين) أى كفرتم باختياركم لا بأمرنا (بل مكر الليل والنهار) المعنى أن المستضعفين قالوا للمستكبرين بل مكركم بنا فى الليل والنهار سبب كفرنا وإعراب مكر مبتدأ وخبره محذوف ، أو خبر ابتداء مضمر ، وأضاف مكر إلى الليل والنهار على وجه الاتساع . ويحتمل أن يكون إضافة إلى المفعول أو إلى الفاعل على وجه المجاز: كقولهم نهاره صيام وليله قيام أى يصام فيه ويقام ، ودلت الإضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار ، فإن قيل : لم أثبت الواو فى قول الذين استضعفوا دون قول الذين استكبروا ؟ فالجواب أنه قد تقدم كلام الذين استضعفوا قبل ذلك فعطف عليه كلامهم الثانى ، ولم يتقدم للذين استكبروا كلام آخر فيعطف عليه (وأسروا الندامة) أى أخفوها فى نفوسهم ، وقيل أظهروها فهو من الأضداد ، والضمير لجميع المستضعفين والمستكبرين (مترفوها) يعنى أهل الغنى والتنعم فى الدنيا وهم الذين يبادرون إلى تكذيب الأنبياء ، والقصد بالآية تسلية النبى صلى الله عليه وسلم على تكذيب أكابر قريش له (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) الضمير لقريش أو للمترفين المتقدمين : قاسوا أمر الدنيا على الآخرة ، وظنوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد فى الدنيا لا يعذبهم فى الآخرة (قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) إخبار يتضمن الرد عليهم بأن بسط الرزق وقبضه فى الدنيا معلق بمشيئة الله ، فقد يوسع الله على الكافر وعلى العاصى ويضيق على المؤمن والمطيع ، وبالعكس . فليس

تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ * وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ٥ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ * فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٥ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ٥ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ

فى ذلك دليل على أمر الآخرة (زلفى) مصدر بمعنى القرب كأنه قال تقربكم قربى (إلا من آمن) استثناء من المفعول فى تقربكم ، والمعنى أن الأموال لاتقرب إلا المؤمن الصالح الذى ينفقها فى سبيل الله ، وقيل الاستثناء منقطع ، والأول أحسن (جزاء الضعف) يعنى تضعيف الحسنات إلى عشرة أمثالها فما فوق ذلك (يبسط الرزق) الآية : كررت لاختلاف القصد . فإن القصد بالأول على الكفار ، والقصد هنا ترغيب المؤمنين بالإنفاق (فهو يخلفه) الخلف قد يكون بمال أو بالثواب (أنت ولينا من دونهم) براءة من أن يكون لهم رضا بعبادة المشركين لهم ، وليس فى ذلك نفى لعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الجن) عبادتهم للجن طاعتهم لهم فى الكفر والعصيان ، وقيل كانوا يدخلون فى جوف الأصنام فيعبدون بعبادتها ، ويحتمل أن يكون قوم عبدوا الجن لقوله وجعلوا لله شركاء الجن (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) الآية : فى معناها وجهين : أحدهما ليس عندهم كتب تدل على صحة أقوالهم ، ولا جاءهم نذير يشهد بما قالوه ؛ فأقوالهم باطلة إذ لا حجة لهم عليها ، فالقصد على هذا رد عليهم ، والآخر أنهم ليس عندهم كتب ولا جاءهم نذير فهم محتاجون إلى من يعلمهم وينذرهم ، ولذلك بعث الله إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، فالقصد على هذا إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) المعشار العشر ، وقيل عشر العشر ، والأول أصح ، والضمير فى بلغوا الكفار قريش ، وفى آتيناهم للكتب المتقدمة أى أن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين من القوة والأموال ، وقيل الضمير فى بلغوا المتقدمين ، وفى آتيناهم لقريش : أى ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة ، والأول أصح وهو نظير قوله كانوا أشد منهم قوة (فكيف كان نكير) أى إنكارى يعنى عقوبة الكفار المتقدمين . وفى ذلك تهديد لقريش (قل إنما أعظكم بواحدة) أى بقضية واحدة تقريبا عليكم (أن تقوموا لله) هذا تفسير القضية الواحدة وأن تقوموا بدل أو عطف بيان أو خبر ابتداء مضمر ، ومعناه أن تقوموا للنظر فى أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم قياما خالصا لله تعالى ليس

Marfat.com

وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۞ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۞ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۞ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۞ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۞ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۞ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۞ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

فيه اتباع هوى ولا ميل . وليس المراد بالقيام هنا القيام على الرجلين إنما المراد القيام بالأمر والجد فيه (مثنى وفرادى) حال من الضمير فى تقوموا ، والمعنى أن تقوموا اثنين اثنين المناظرة فى الأمر وطلب التحقيق وتقوموا واحداً واحداً لإحضار الذهن واستجماع الفكرة ثم تتفكروا فى أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتعلموا أن ما به من جنة لأنه جاء بالحق الواضح ، مع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدل على رجاحة عقله ومتانة علمه ، وأنه بالغ فى الحكمة مبلغاً عظيما ، فيدل ذلك على أنه ليس بمجنون ولا مفتر على الله (ما بصاحبكم من جنة) متصل بما قبله على الأصح : أى تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة . وقيل هو استئناف (قل ماسألتكم عليه من أجر فهو لكم) هذا كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتنى شيئا فخذه ، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئا ، ولكنه يريد البراءة من عطائه ، وكذلك معنى هذا ، فهو كقولك قل ما أسألكم عليه من أجر (قل إن ربى يقذف بالحق) القذف الرمى ويستعار للإلقاء ، فالمعنى يلقى الحق إلى أصفيائه أو يرمى الباطل بالحق فيذهبه (علام الغيوب) خبر ابتداء مضمر أو بدل من الضمير فى يقذف أو من اسم إن على الموضع (قل جاء الحق) يعنى الاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد) الباطل الكفر ، ونفى الابداء والاعادة ، على أنه لايفعل شيئا ولا يكون له ظهور أو عبارة عن ذهابه كقوله جاء الحق وزهق الباطل . وقيل الباطل الشيطان (إنه سميع قريب) يعنى قربه تعالى بعلمه وإحاطته (ولو ترى إذ فزعوا) جواب لو محذوف تقديره لرأيت أمراً عظيما ، أومعنى فزعوا أسرعوا إلى الهروب . والفعل ماض بمعنى الاستقبال ، وكذلك مابعده من الأفعال ، ووقت الفزع البعث ، وقيل الموت ، وقيل يوم بدر (فلا فوت) أى لا يفوتون الله إذ هربوا (وأخذوا من مكان قريب) يعنى من الموقف إلى النار إذا بعثوا . أومن ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا . أومن أرض بدر إلى القليب . والمراد على كل قول سرعة أخذهم (وقالوا آمنا به) أى قالوا ذلك عند أخذهم والضمير المجرور لله تعالى أو للنبى صلى الله عليه وسلم ، أو للقرآن أو للإسلام (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) التناوش بالواو التناول إلا أن التناوش تناول قريب سهل لشيء قريب . وقرئ بهمز الواو فيحتمل أن يكون المعنى واحداً ويكون المهموز بمعنى الطلب . ومعنى الآية استبعاد وصولهم إلى مرادهم . والمكان البعيد : عبارة عن تعذر مقصودهم فإنهم يطلبون مالا يكون . أويريدون أن يتناولوا مالا ينالون وهورجوعهم إلى الدنيا أو انتفاعهم بالايمان حينئذ (وقد كفروا به) الضمير يعود على ماعاد عليه قولهم آمنا به (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) يقذفون فعل ماض فى المعنى معطوف على كفروا ، ومعناه أنهم يرمون بظنونهم فى

مَايَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ۝

سـورة فاطر

مكية وآياتها ٤٥ نزلت بعد الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ❀ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ❀ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ❀ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ الَّذِينَ كَفَرُوا

الأمور المغيبة فيقولون لا بعث ولا جنة ولا نار ، ويقولون فى الرسول عليه الصلاة والسلام إنه ساحر أو شاعر . والمكان البعيد هنا عبارة عن بطلان ظنونهم وبعد أقوالهم عن الحق (وحيل بينهم وبين مايشتهون) أى حيل بينهم وبين دخول الجنة ، وقيل حيل بينهم وبين الإنتفاع بالإيمان حينئذ ، وقيل حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها (كما فعل بأشياعهم من قبل) يعنى الكفار المتقدمين وجعلهم أشياعهم لاتفاقهم فى مذاهبهم ومن قيل يحتمل أن يتعلق بفعل ، أو بأشياعهم على حسب معنى ماقبله (فى شك مريب) هو أقوى الشك وأشده إظلاما

سـورة فاطر

(جاعل الملائكة رسلا) أى وسائط بين الله وبين الأنبياء متصرفين فى أمر الله (مثنى وثلاث ورباع) صفات للأجنحة ولم ينصرف للعدل والوصف ، والمعنى أن الملائكة منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة أجنحة ، ومنهم من له أربعة أجنحة (يزيد فى الخلق مايشاء) قيل يعنى حسن الصوت ، وقيل حسن الوجه ، وقيل حسن الحظ ، والأظهر أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة ، أو يكون على الإطلاق فى كل زيادة فى المخلوقين (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) الفتح عبارة عن العطاء والإمساك عبارة عن المنع ، والإرسال الإطلاق بعد المنع والرحمة ، كل مايمن الله به على عباده من خيرى الدنيا والآخرة فمعنى الآية : لامانع لما أعطى الله ولا معطى لما منع الله ، فإن قيل لم أنث الضمير فى قوله فلا ممسك لها وذكره فى قوله فلا مرسل له وكلاهما يعود على ما الشرطية ، فالجواب : أنه لما فسر من الأولى بقوله من رحمة أنثه لتأنيث الرحمة ، وترك الآخر على الأصل من التذكير (من بعده) أى من بعد إمساكه (هل من خالق غير الله) رفع غير على الصفة لخالق على الموضع وخفضه صفة على الرفع ورزق السماء المطر ورزق الأرض النبات ، والمعنى تذكير بنعم الله وإقامة حجة على المشركين ، ولذلك أعقبه بقوله لا إله إلا هو (وإن يكذبوك) الآية : تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم

لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ
فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَاللَّهُ الَّذِىٓ أَرْسَلَ الرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ۝ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ
وَالْعَمَلُ الصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝ وَاللَّهُ
خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن

على تكذيب قومه كأنه يقول إن يكذبوك فلا تحزن لذلك فإن الله سينصرك عليهم كما كذبت رسل من قبلك فنصرهم الله (الغرور) الشيطان، وقيل التسويف (أفمن زين له سوء عمله) توقيف وجوابه محذوف تقديره: أفمن زين له سوء عمله كمن لم يزين له، ثم بنى على ذلك مابعده، فالذى زين له سوء عمله هو الذى أضله الله، ومن لم يزين له سوء عمله هو الذى هداه الله (فلاتذهب نفسك عليهم حسرات) تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عن حزنه لعدم إيمانهم، لأن ذلك بيد الله (كذلك النشور) أى الحشر، والمعنى كما يحيى الله الأرض بالنبات كذلك يحيى الموتى (من كان يريد العزة) الآية تحتمل ثلاثة معان: أحدها وهو الأظهر من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله، فإن العزة كلها لله، والثانى من كان يريد العزة بمغالبة الاسلام فلله العزة جميعاً. فالمغالب له مغلوب، والثالث من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعا (إليه يصعد الكلم الطيب) قيل يعنى لاإله إلا الله، واللفظ يعم ذلك وغيره من الذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن، وتعليم العلم: فالعموم أولى (والعمل الصالح يرفعه) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن ضمير الفاعل فى يرفعه: الله، وضمير المفعول للعمل الصالح، فالمعنى على هذا أن الله يرفع العمل الصالح: أى يتقبله ويثيب عليه، والثانى أن ضمير الفاعل للكلام الطيب، وضمير المفعول للعمل الصالح، والمعنى على هذا لا يقبل عمل صالح إلا ممن له كلام طيب، وهذا يصح إن قلنا إن الكلم الطيب لاإله إلا الله، لأنه لا يقبل العمل إلا من موحد. والثالث أن ضمير الفاعل للعمل الصالح، وضمير المفعول للكلم الطيب، والمعنى على هذا أن العمل الصالح هو الذى يرفع الكلم الطيب فلا يقبل الكلم إلا ممن له عمل صالح، روى هذا المعنى عن ابن عباس واستبعده ابن عطية وقال لم يصح عنه لأن اعتقاد أهل السنة أن الله يتقبل من كل مسلم قال وقد يستقيم بأن يتأول أن الله يزيد فى رفعه وحسن موقعه (يمكرون السيئات) لايتعدى مكر فتأويله يمكرون المكرات السيئات فتكون السيئات مصدراً أو تضمن يمكرون معنى يكتسبون فتكون السيئات مفعولا والاشارة هنا إلى مكر قريش برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين اجتمعوا فى دار الندوة وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يخرجوه (ومكر أولئك هو يبور) البوار الهلاك أو الكساد ومعناه هنا أن مكرهم يبطل ولا ينفعهم (ثم جعلكم أزواجا) أى أصنافا وقيل ذكرانا وإناثا وهذا أظهر (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب) التعمير طول العمر والنقص قصره والكتاب اللوح المحفوظ فإن قيل إن التعمير والنقص لايجتمعان لشخص واحد فكيف

Marfat.com

مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى

أعاد الضمير فى قوله ولا ينقص من عمره على الشخص المعمر فالجواب من ثلاثة أوجه الأول وهو الصحيح أن المعنى ما يعمر من أحد ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب فوضع من معمر موضع من أحد وليس المراد شخصاً واحداً وإنما ذلك كقولك لا يعاقب الله عبدا ولا يثيبه إلا بحق والثانى أن المعنى لا يزاد فى عمر إنسان ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب وذلك أن يكتب فى اللوح المحفوظ أن فلانا إن تصدق فعمره ستون سنة وإن لم يتصدق فعمره أربعون ، وهذا ظاهر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلة الرحم تزيد فى العمر ، إلا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين وليس مذهب الأشعرية ، وقد قال كعب حين طعن عمر : لو دعا الله لزاد فى أجله ، فأنكر الناس عليه فاحتج بهذه الآية والثالث أن التعمير هو كتب ما يستقبل من العمر والنقص هو كتب ما مضى منه فى اللوح المحفوظ وذلك حق كل شخص (وما يستوى البحران) قد فسرنا البحرين الفرات والأجاج فى الفرقان ، وسائغ فى النحل ، والقصد بالآية التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده وقال الزمخشرى إن المعنى أن الله ضرب للبحرين الملح والعذب مثلين للمؤمن والكافر وهذا بعيد (لحماً طريا) يعنى الحوت (حلية تلبسونها) يعنى الجوهر والمرجان ، فإن قيل : إن الحلية لا تخرج إلا من البحر الملح دون العذب فكيف قال ومن كل أى من كل واحد منهما ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أن ذلك تجوز فى العبارة كما قال «يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم» والرسل إنما هى من الإنس الثانى أن المرجان إنما يوجد فى البحر الملح حيث تنصب أنهار الماء العذب أو ينزل المطر فلما كانت الأنهار والمطر وهى البحر العذب تنصب فى البحر الملح كان الإخراج منهما جميعا . الثالث زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب وهذا قول يبطله الحس (مواخر) ذكر فى النحل (يولج) ذكر فى لقمان (قطمير) هو القشر الرقيق الأبيض الذى على نوى التمر والمعنى أن الأصنام لا يملكون أقل الأشياء فكيف أكثرها (يكفرون بشرككم) أى بإشراككم فالمصدر مضاف للفاعل وكفر الأصنام بالشرك يحتمل أن يكون بكلام يخلقه الله عندها أو بقرينة الحال (ولا ينبئك مثل خبير) أى لا يخبرك بالأمر مخبر مثل مخبر عالم به يعنى نفسه تعالى فى إخباره أن الأصنام يكفرون يوم القيامة بمن عبدهم (أنتم الفقراء إلى الله) خطاب لجميع الناس وإنما عرف الفقر بالألف واللام ليدل على اختصاص الفقر بجنس الناس وإن كان غيرهم فقراء ولكن فقراء الناس أعظم ثم وصف نفسه بأنه الغنى فى مقابلة وصفهم بالفقر ووصفه بأنه

Marfat.com

اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا
تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ وَمَا يَسْتَوِي
الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۝ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ
إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ

الحميد ليدل على جوده وكرمه الذي يوجب أن يحمده عباده (وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء) الحمل عبارة عن الذنوب والمثقلة الثقيلة الحمل أو النفس الكثيرة الذنوب والمعنى أنها لودعت أحدا إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يحمل عنها وحذف مفعول إن تدع لدلالة المعنى وقصد العموم وهذه الآية بيان وتكميل لمعنى قوله ولاتزر وازرة وزر أخرى (ولوكان ذاقربى) المعنى ولوكان المدعو ذا قربى ممن دعاه إلى حمل ذنوبه لم يحمل منه شيئا لأن كل واحد يقول نفسي نفسي (إنما تنذر الذين يخشون ربهم) المعنى أن الإنذار لاينفع إلا الذين يخشون ربهم وليس المعنى اختصاصهم بالإنذار (بالغيب) في موضع حال من الفاعل في يخشون أي يخشون ربهم وهم غائبون عن الناس فخشيتهم حق لارياء (وما يستوى الأعمى والبصير) تمثيل للكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولاالنور) تمثيل للكفر والإيمان (ولاالظل ولاالحرور) تمثيل للثواب والعقاب وقيل الظل الجنة والحرور النار. والحرور في اللغة شدة الحر بالنهار والليل والسموم بالنهار خاصة (وما يستوى الأحياء ولاالأموات) تمثيل لمن آمن فهو كالحي ومن لم يؤمن فهو كالميت (إن الله يسمع من يشاء) عبارة عن هداية الله لمن يشاء (وما أنت بمسمع من في القبور) عبارة عن عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ فشبههم بالموتى في عدم إحساسهم وقيل المعنى أن أهل القبور وهم الموتى حقيقة لايسمعون فليس عليك أن تسمعهم وإنما بعثت للأحياء وقد استدلت عائشة بالآية على أن الموتى لايسمعون وأنكرت ماورد في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر حين جعلوا في القليب ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث بأن الموتى في القبور إذا ردت إليهم أرواحهم إلى أجسادهم سمعوا وإن لم ترد لم يسمعوا (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) معناه أن الله قد بعث إلى كل أمة نبيا يقيم عليهم الحجة، فإن قيل: كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فترات وأزمنة طويلة ألاترى أن بين عيسى ومحمدا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ستمائة سنة لم يبعث فيها نبي؟ فالجواب أن دعوة عيسى ومن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغتهم فقامت عليهم الحجة. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله لتنذر قوما ماأتاهم من نذير من قبلك؟ فالجواب أنهم لم يأتهم نذير معاصر لهم فلا يعارض ذلك من تقدم قبل عصرهم وأيضا فإن المراد بقوله وإن من أمة إلا خلا فيها نذير أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليست ببدع فلاينبغي أن تنكر لأن الله أرسله كما أرسل من قبله والمراد بقوله لتنذر قوما ماأتاهم من نذير من قبلك أنهم محتاجون إلى الإنذار لكونهم لم يتقدم من ينذرهم فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما (وإن يكذبوك) الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم للتأسي (نكير) ذكر في سبأ (ثمرات مختلفا ألوانها) يريد الصفرة

وَبِالْكِتَـٰبِ الْمُنِيرِ * ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَآبِّ وَالْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَـٰٓؤُا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۞ وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَـٰبِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ۞ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَـٰبَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۞ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ

والحمرة وغير ذلك من الألوان وقيل يريد الأنواع والأول أظهر لذكره البيض والحمر والسود بعد ذلك وفى الوجهين دليل على أن الله تعالى فاعل مختار ، يخلق مايشاء ويختار وفيه رد على الطبائعيين لأن الطبيعة لايصدر عنها إلا نوع واحد (جدد) جمع جدة وهى الخطط والطرائق فى الجبال (وغرابيب) جمع غربيب وهو الشديد السواد وقدم الوصف الأبلغ وكان حقه أن يتأخر لقصد التأكيد ولأن ذلك كثيرا مايأتى فى كلام العرب (كذلك) يتعلق بما قبله فيتم الوقف عليه والمعنى أن من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه مثل الجبال المختلف ألوانها والثمرات المختلف ألوانها وذلك كله استدلال على قدرة الله وإرادته (إنما يخشى الله من عباده العلماء) يعنى العلماء بالله وصفاته وشرائعه علما يوجب لهم الخشية من عذابه وفى الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه وإذا لم يعرفه لم يخف منه فلذلك خص العلماء بالخشية (إن الذين يتلون كتاب الله) أى يقرؤن القرآن وقيل معنى يتلون يتبعون والخبر يرجون تجارة أو محذوف (لن تبور) أى لن تكسد ويعنى بالتجارة طلب الثواب (ويزيدهم من فضله) توفية الأجور وهو مايستحقه المطيع من الثواب والزيادة التضعيف فوق ذلك، وقيل الزيادة النظر إلى وجه الله (مصدقا لما بين يديه) تقدم فى البقرة (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا) يعنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم والتوريث عبارة عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسرين هذه الأصناف الثلاثة فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالظالم لنفسه العاصى والسابق التقى والمقتصد بينهما وقال الحسن : السابق من رجحت حسناته على سيئاته ، والظالم لنفسه من رجحت سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وجميعهم يدخلون الجنة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ، وقيل الظالم الكافر والمقتصد المؤمن العاصى والسابق التقى فالضمير فى منهم على هذا يعود على العباد وأما على القول الأول فيعود على الذين اصطفينا وهو أرجح وأصح لوروده فى الحديث ، وجلالة القائلين به، فإن قيل: لم قدم الظالم ووسط المقتصد وأخر السابق ؟ فالجواب : أنه قدم الظالم لنفسه رفقاً به لئلا ييئس وأخر السابق لئلا يعجب بنفسه ، وقال

Marfat.com

مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۝ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝

الزمخشري : قدم الظالم لكثرة الظالمين وأخر السابق لقلة السابقين (ذلك هو الفضل الكبير) إشارة إلى الاصطفاء (جنات عدن) بدل من الفضل أو خبر مبتدأ تقديره ثوابهم جنات عدن أو مبتدأ تقديره لهم جنات عدن (يدخلونها) ضمير الفاعل يعود على الظالم ، والمقتصد ، والسابق ، على القول بأن الآية في هذه الأمة : وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصة وقال الزمخشري : إنه يعود على السابق خاصة وذلك على قول المعتزلة في الوعيد (أساور) ذكر في الحج (أذهب عنا الحزن) قيل هو عذاب النار ، وقيل أهوال القيامة وقيل همو م الدنيا والصواب العموم في ذلك كله (دار المقامة) هي الجنة والمقامة هي الإقامة ، والموضع وإنما سميت الجنة دار المقامة ، لأنهم يقومون فيها ولا يخرجون منها (نصب) النصب تعب البدن واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب البدن (يصطرخون) يفتعلون من الصراخ أي يستغيثون فيقولون ربنا أخرجنا وفي قولهم غير الذي كنا نعمل اعتراف بسوء عملهم وتندم عليه (أو لم نعمركم) الآية توبيخ لهم وإقامة حجة عليهم وقيل إن مدة التذكير ستون سنة وقيل أربعون وقيل البلوغ والأول أرجح لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمره الله ستين سنة فقد أعذر اليه في العمر (وجاءكم النذير) يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل يعني الشيب لأنه نذير بالموت والأول أظهر (إنه عليم بذات الصدور) أي بما تضمره الصدور وتعتقده ، وقال الزمخشري ذات هنا تأنيث ذو بمعنى صاحب لأن المضمرات تصحب الصدور (خلائف) ذكر في الأنعام (مقتا) المقت احتقار الإنسان وبغضه لأجل عيوبه أو ذنوبه (قل أرأيتم شركاءكم) الآية احتجاج على المشركين وإبطال لمذهبهم (أم لهم شرك) أي نصيب (على بينة) أي على أمر جلي والضمير في أتيناهم يحتمل أن يكون للأصنام أو للمشركين وهذا أظهر في المعنى والأول أليق بما قبله من الضمائر (أن تزولا) في موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تزولا أو مفعول به لأن يمسك بمعنى يمنع (ولئن زالتا) أي لو فرض زوالهما لم يمسكهما أحد وقيل أراد زوالهما يوم القيامة عند طي

Marfat.com

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ۝

سورة يس

مكية إلا آية ٤٥ فمدنية وآياتها ٨٣ نزلت بعد الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝

السماء وتبديل الأرض ونسف الجبال (من بعده) أى من بعد تركه الإمساك (وأقسموا بالله) الضمير لقريش وذلك أنهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى جاءتهم الرسل فكذبوهم والله لئن جاءنا رسول لنكونن أهدى منهم (إحدى الأمم) يعنى اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم (استكبارا) بدل من نفورا أو مفعول من أجله (ومكر السيء) هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك مسجد الجامع وجانب الغربى والأصل أن يقال المكر السيء (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) أى لا يحيط وبال المكر السيء إلا بمن مكره ودبره ، وقال كعب لابن عباس إن فى التوراة من حفر حفرة لأخيه وقع فيها فقال ابن عباس أنا أجد هذا فى كتاب الله : ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله (فهل ينظرون إلا سنة الأولين) أى هل ينتظرون إلا عادة الأمم المتقدمة فى أخذ الله لهم وإهلاكهم بتكذيبهم للرسل (وما كان الله ليعجزه من شيء) أى لا يفوته شيء ولا يصعب عليه (ما ترك على ظهرها من دابة) الضمير للأرض والدابة عموم فى كل ما يدب، وقيل أراد بنى آدم خاصة (إلى أجل مسمى) يعنى يوم القيامة وباقى الآية وعد ووعيد :

سورة يس

قد تكلمنا فى البقرة على حروف الهجاء وقيل فى يس إنه من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يا إنسان (تنزيل) بالرفع خبر ابتداء مضمر وبالنصب مصدر أو مفعول بفعل مضمر (لتنذر قوما) هم قريش ويحتمل أن يدخل معهم سائر العرب وسائر الأمم (ما أنذر آباؤهم) ما نافية والمعنى لم يرسل إليهم ولا لآبائهم رسول ينذرهم ، وقيل المعنى لتنذر قوما مثل ما أنذر آباؤهم ، فما على هذا موصولة بمعنى الذى أو مصدرية والأول أرجح لقوله (فهم غافلون) يعنى أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم وتكون بمعنى قوله ما أتاهم من نذير من قبلك

Marfat.com

إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون ۝ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا
فأغشيناهم فهم لا يبصرون ۝ وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ۝ إنما تنذر من اتبع الذكر
وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم ۝ إنا نحن نحى الموتى ونكتب ماقدموا وءاثارهم وكل
شىء أحصيناه فى إمام مبين ۝ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ۝ إذ أرسلنا إليهم
اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون ۝ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن

ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدمين فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم ولا آباؤهم الأقربون (لقد حق القول) أى سبق القضاء (إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) الآية : فيها ثلاثة أقوال : الأول أنها عبارة عن تماديهم على الكفر ومنع الله لهم من الإيمان ، فشبههم بمن جعل فى عنقه غل يمنعه من الالتفات وغطى على بصره فصار لا يرى ، والثانى أنها عبارة عن كفهم عن إذاية النبى صلى الله عليه وسلم حين أراد أبو جهل أن يرميه بحجر فرجع عنه فزعا مرعوبا ، والثالث أن ذلك حقيقة فى حالهم فى جهنم ، والأول أظهر وأرجح لقوله قبلها «فهم لا يؤمنون» وقوله بعدها «وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» (فهى إلى الأذقان) الذقن هى طرف الوجه حيث تنبت اللحية ، والضمير للأغلال ، وذلك أن الغل حلقة فى العنق ، فإذا كان واسعا عريضا وصل إلى الذقن فكان أشد على المغلول ، وقيل الضمير للأيدى على أنها لم يتقدم لها ذكر ، ولكنها تفهم من سياق الكلام ، لأن المغلول تضم يداه فى الغل إلى عنقه ، وفى مصحف ابن مسعود . إنا جعلنا فى أيديهم أغلالا فهى إلى الأذقان . وهذه القراءة تدل على هذا المعنى ، وقد أنكره الزمخشرى (فهم مقمحون) يقال قمح البعير إذا رفع رأسه ، وأقمحه غيره إذا فعل به ذلك ، والمعنى أنهم لما اشتدت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرت رءوسهم إلى الارتفاع ، وقيل معنى مقمحون ممنوعون من كل خير (وجعلنا من بين أيديهم سدا) الآية : السد الحائل بين الشيئين ، وذلك عبارة عن منعهم من الإيمان (فأغشيناهم) أى غطينا على أبصارهم وذلك أيضا مجاز يراد به إضلالهم (وسواء عليهم) الآية : ذكرنا معناها وإعرابها فى البقرة (إنما تنذر من اتبع الذكر) المعنى أن الإنذار لا ينفع إلا من اتبع الذكر وهو القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) معناه كقولك إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وقد ذكرناه فى فاطر (إنا نحن نحى الموتى) أى نبعثهم يوم القيامة ، وقيل إحياؤهم إخراجهم من الشرك إلى الايمان ، والأول أظهر (ونكتب ماقدموا وآثارهم) أى ماقدموا من أعمالهم وما تركوه بعدهم كعلم علموه أو تحبيس حبسوه ، وقيل الأثر هنا : الخطا إلى المساجد ، وجاء ذلك فى الحديث (إمام مبين) أى فى كتاب وهو اللوح المحفوظ أو صحائف الأعمال (واضرب لهم مثلا) الضمير لقريش ، ومثلا وأصحاب القرية مفعولان باضرب على القول بأنها تتعدى إلى مفعولين ، وهو الصحيح والقرية أنطاكية (إذ جاءها المرسلون) هم من الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه الصلاة والسلام يدعون الناس إلى عبادة الله ، وقيل بل هم رسل أرسلهم الله ، ويدل على هذا قول قومهم ماأنتم إلا بشر مثلنا ، فإن هذا إنما يقال لمن ادعى أن الله أرسله (فعززنا بثالث) أى قوينا الاثنين برسول ثالث ، قيل اسمه شمعون (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) إنما أكدوا الخبر هنا باللام لأنه جواب المنكرين بخلاف

Marfat.com

من شيء إن أنتم إلا تكذبون • قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون • وما علينا إلا البلاغ المبين • قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم • قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون • وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين • اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون • ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون * أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون * إني إذا لفي ضلال مبين • إني آمنت بربكم فاسمعون • قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون • بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين • وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين • إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون • يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون * ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون

الموضع الأول فإنه إخبار مجرد (قالوا إنا تطيرنا بكم) أى تشاءمنا بكم، وأصل اللفظة من زجر الطير ليستدل على مايكون من شر أو خير. وإنما تشاءموا بهم لأنهم جاؤهم بدين غير دينهم وقيل وقع فيهم الجذام لما كفروا، وقيل قحطوا (قالوا طائركم معكم) أى قال الرسل لأهل القرية شؤمكم معكم: أى إنما الشؤم الذى أصابكم بسبب كفركم لا بسببنا (أئن ذكرتم) دخلت همزة الاستفهام على حرف الشرط، وفى الكلام حذف تقديره أتطيرون أن ذكرتم (يسعى) أى يسرع بجده ونصيحته، وقيل اسمه حبيب النجار (اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون) أى هؤلاء المرسلون لا يسألونكم أجرة على الإيمان فلا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم وتربحون معهم الاهتداء فى دينكم (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) المعنى أى شىء يمنعنى من عبادة ربى وهذا توقيف وإخبار عن نفسه قصد به البيان لقومه، ولذلك قال وإليه ترجعون فخاطبهم (إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم) هذا وصف الآلهة، والمعنى كيف أتخذ من دون الله آلهة لا يشفعون ولا ينقذوننى من الضر (إنى إذاً لفى ضلال مبين) أى إن اتخذت آلهة غير الله فإنى لفى ضلال مبين (إنى آمنت بربكم فاسمعون) خطاب لقومه أى اسمعوا قولى واعملوا بنصيحتى، وقيل خطاب للرسل ليشهدوا له (قيل ادخل الجنة) قيل هنا محذوف يدل عليه الكلام، وروى فى الأثر وهو أن الرجل لما نصح قومه قتلوه فلما مات قيل له ادخل الجنة. واختلف هل دخلها حين موته كالشهداء أوهل ذلك بمعنى البشارة بالجنة ورؤيته لمقعده منها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) تمنى أن يعلم قومه بغفران الله له على إيمانه فيؤمنون، ولذلك ورد فى الحديث أنه نصح لهم حياً وميتاً، وقيل أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه وينفعهم ذلك (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) المعنى أن الله أهلكهم بصيحة صاحها جبريل ولم يحتج فى تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء لأنهم أهون من ذلك، وقيل المعنى ما أنزل الله على قومه ملائكة رسلا كما قالت قريش لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ولفظ الجند أليق بالمعنى الأول، وكذلك ذكر الصيحة بعد ذلك (وما كنا منزلين) ما كنا لننزل جنداً من السماء على أحد (فإذاهم خامدون) أى ساكنون لا يتحركون

أنهم إليهم لا يرجعون ۝ وإن كل لما جميع لدينا محضرون ۝ وءاية لهم الأرض الميتة أحيينها وأخرجنا
منها حبا فمنه يأكلون ۝ وجعلنا فيها جنت من نخيل وأعنب وفجرنا فيها من العيون ۝ ليأكلوا من ثمره
وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ۝ سبحن الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم
ومما لا يعلمون ۝ وءاية لهم اليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ۝ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير
العزيز العليم ۝ والقمر قدرنه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ۝ لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر
ولا اليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ۝ وءاية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون ۝ وخلقنا

ولا ينطقون (ياحسرة على العباد) نداء للحسرة كأنه قال ياحسرة احضرى فهذا وقتك ، وهذا التفجع عليهم استعارة فى معنى التهويل والتعظيم لما فعلوا من استهزائهم بالرسل ، ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة أو المؤمنين من الناس . وقيل المعنى ياحسرة العباد على أنفسهم (ألم يروا) الضمير لقريش أو للعباد على الإطلاق والرؤية هنا بمعنى العلم (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) قرئ لما بالتخفيف وهى لام التأكيد دخلت على ما المزيدة وإن على هذا مخففة من الثقيلة ، وقرئ بالتشديد وهى بمعنى إلا ، وإن على هذا نافية (وما عملته أيديهم) ما معطوفة على ثمره أى ليأكلوا من الثمر وما عملته أيديهم بالحرث والزراعة والغراسة ، وقيل ما نافية وقرئ ما عملت من غير هاء وما على هذا معطوفة (الأزواج) يعنى أصناف المخلوقات ثم فسرها بقوله مما تنبت الأرض وما بعده . فمن فى المواضع الثلاثة للبيان (ومما لا يعلمون) يعنى أشياء لا يعلمها بنو آدم كقوله ويخلق ما لا تعلمون (نسلخ منه النهار) أى نجرده منه وهى استعارة (والشمس تجرى لمستقر لها) أى لحد موقت تنتهى إليه من فلكها وهى نهاية جريها إلى أن ترجع فى المنقلبين الشتاء والصيف ، وقيل مستقرها وقوفها كل وقت زوال ، بدليل وقوف الظل حينئذ . وقيل مستقرها يوم القيامة حين تكور ، وفى الحديث مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها ، وهذا أصح الأقوال لوروده عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ، وقرئ لا مستقر لها أى لا تستقر عن جريها (والقمر قدرناه منازل) قرئ بالرفع على الابتداء أو عطف على الليل ، وبالنصب على إضمار فعل ، ولا بد فى قدرناه من حذف تقديره قدرنا سيره منازل ، ومنازل القمر ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة واحدة منها من أول الشهر ثم يستتر فى آخر الشهر ليلة أو ليلتين . وقال الزمخشرى وهذه المنازل هى مواضع النجوم : وهى السرطان ، البطين ، الثريا ، الدبران ، الهقعة الهنعة ، الذراع ، النثرة ، الطرف ، الجبهة ، الزبرة ، الصرفة ، العوى ، السماك ، الغفر ، الزبانى ، الإكليل ، القلب ، الشولة ، النعائم ، البلدة ، سعد الذابح ، سعد بلع ، سعد السعود ، سعد الأخبية ، فرغ الدلو المقدم ، فرغ الدلو المؤخر ، بطن الحوت (حتى عاد كالعرجون القديم) العرجون هو غصن النخلة شبه القمر به إذا انتهى فى نقصانه والتشبيه فى ثلاثة أوصاف : وهى الرقة ، والانحناء ، والصفرة ، ووصفه بالقديم لأنه حينئذ تكون له هذه الأوصاف (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر) المعنى لا يمكن الشمس أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو نوره ، وهكذا قال بعضهم ويحتمل أن يريد أن سير الشمس فى الفلك بطىء فإنها تقطع الفلك فى سنة وسير

Marfat.com

لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا
عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ
أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً

القمر سريع ، فإنه يقطع الفلك فى شهر و البطىء لايدرك السريع (ولا الليل سابق النهار) يعنى أن كل واحد منهما جعل الله له وقتا موقتا واحدا معلوما لا يتعداه فلا يأتى الليل حتى ينفصل النهار ، كما لا يأتى النهار حتى ينفصل الليل ، ويحتمل أن يريد أن آية الليل وهى القمر لاتسبق آية النهار وهى الشمس : أى لاتجتمع معه فيكون المعنى كالذى قيل فى قوله « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر » فحصل من ذلك أن الشمس لاتجتمع مع القمر وأن القمر لايجتمع مع الشمس (وكل فى فلك يسبحون) ذكر فى الأنبياء (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون) معنى المشحون المملوء ، والفلك هنا يحتمل أن يريد به جنس السفن أو سفينة نوح عليه السلام ، وأما الذرية فقيل إنه يعنى الآباء الذين حملهم الله فى سفينة نوح عليه السلام ، وسمى الآباء ذرية لأنها تناسلت منهم ، وأنكر ابن عطية ذلك ، وقال إنه يعنى النساء ، وهذا بعيد ، والأظهر أنه أراد بالفلك جنس السفن ، فيعنى جنس بنى آدم ، وإنما خص ذريتهم بالذكر لأنه أبلغ فى الامتنان عليهم ، ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة ، وإن أراد بالفلك سفينة نوح فيعنى بالذرية من كان فى السفينة ، وسماهم ذرية ، لأنهم ذرية آدم ونوح ، فالضمير فى ذريتهم على هذا النوع بنى آدم كأنه يقول الذرية منهم (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) إن أراد بالفلك سفينة نوح فيعنى بقوله من مثله سائر السفن التى يركبها سائر الناس ، وإن أراد بالفلك جنس السفن فيعنى بقوله من مثله الإبل وسائر المركوبات ، فتكون المماثلة على هذا فى أنه مركوب لاغير ، والأول أظهر ، لقوله وإن نشأ نغرقهم ، ولا يتصور هذا فى المركوبات غير السفن (فلا صريخ لهم) أى لامغيث لهم ولا منقذ لهم من الغرق (إلا رحمة منا) قال الكسائى نصب رحمة على الاستثناء كأنه قال إلا أن نرحمهم ، وقال الزجاج نصب رحمة على المفعول من أجله كأنه قال إلا لأجل رحمتنا إياهم (ومتاعا إلى حين) يعنى آجالهم (وإذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم) الضمير لقريش ، وجواب إذا محذوف تقديره أعرضوا يدل عليه إلا كانوا عنها معرضين ، والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة ، وقيل ما بين أيديهم عذاب الأمم المتقدمة ، وما خلفهم عذاب الآخرة (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) كان النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يحضون على الصدقات وإطعام المساكين فيجيبهم الكفار بهذا الجواب ، وفى معناه قولان : أحدهما أنهم قالوا كيف نطعم المساكين ولو شاء الله أن يطعمهم لأطعمهم ومن حرمهم الله نحن نحرمهم ، وهذا كقولهم كن مع الله على المدبر ، والآخر أن قولهم رد على المؤمنين ، وذلك أن المؤمنين كانوا يقولون إن الأمور كلها بيد الله . فكأن الكفار يقولون لهم لو كان كما تزعمون لأطعم الله هؤلاء فما بالكم تطلبون إطعامهم منا ، ومقصدهم فى الوجهين احتجاج لبخلهم ومنعهم الصدقات واستهزاء بمن حضهم على الصدقات (إن أنتم إلا فى ضلال مبين) يحتمل أن يكون من بقية كلامهم خطابا للمؤمنين أو يكون

Marfat.com

وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝ قَالُوا يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝ وَٱمْتَٰزُوا ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ۝ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَلَوْ نَشَآءُ

من كلام الله خطابا للكافرين (ويقولون متى هذا الوعد) يعنون يوم القيامة أونزول العذاب بهم (ماينظرون إلا صيحة واحدة) أى ماينتظرون إلا صيحة واحدة وهى النفخة الأولى فى الصور وهى نفخة الصعق (تأخذهم وهم يخصمون) أى يتكلمون فى أمورهم وأصل يخصمون يختصمون، ثم أدغم، وقرئ بفتح الخاء وبكسرها واختلاس حركتها (فلا يستطيعون توصية) أى لا يقدرون أن يوصوا بمالهم وما عليهم لسرعة الأمر (ولا إلى أهلهم يرجعون) أى لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم لسرعة الأمر (ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) هذه النفخة الثانية وهى نفخة القيام من القبور ، والأجداث هى القبور ، وينسلون يسرعون المشى ، وقيل يخرجون (قالوا ياويلنا) الويل منادى أو مصدر (من بعثنا من مرقدنا) المرقد يحتمل أن يكون اسم مصدر أو اسم مكان قال أبىّ بن كعب ومجاهد: إن البشر ينامون نومة قبل الحشر، قال ابن عطية هذا غير صحيح الإسناد ، وإنما الوجه فى معنى قولهم من مرقدنا: أنها استعارة وتشبيه به يعنى أن قبورهم شبهت بالمضاجع لكونهم فيها على هيئة الرقاد ، وإن لم يكن رقاد فى الحقيقة (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) هذا مبتدأ وما بعده خبر وقيل إن هذا صفة لمرقدنا وما وعد الرحمن مبتدأ محذوف الخبر وهذا ضعيف ، ويحتمل أن يكون هذا الكلام من بقية كلامهم أو من كلام الله أو الملائكة أو المؤمنين يقولونها للكفار على وجه التقريع (إن كانت إلا صيحة واحدة) يعنى النفخة الثانية وهى نفخة القيام (إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل) قيل هو افتضاض الأبكار ، وقيل سماع الأوتار ، والأظهر أنه عام فى الاشتغال باللذات (فاكهون) قرئ بالألف ومعناه أصحاب فاكهة ، وبغير ألف وهو من الفكاهة بمعنى الراحة والسرور (فى ظلال) جمع ظل، وبالضم جمع ظلة ، (على الأرائك) جمع أريكة وهى السرير (ولهم مايدعون) أى مايتمنون ، وقيل معناه أن مايدعون به يأتيهم (سلام) مبتدأ ، وقيل بدل مما يدعون (قولا) مصدر مؤكد ، والمعنى: أن السلام عليهم قول من الله بواسطة الملك أو بغير واسطة (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى انفردوا عن المؤمنين ، وكونوا على حدة (جبلا كثيرا) الجبل الأمة العظيمة ، وقال الضحاك: أقلها عشرة آلاف ولا نهاية لأكثرها ، وقرئ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام ، وبضمهما مع التخفيف ، وبضم الجيم وإسكان الباء ، وهى لغات

Marfat.com

لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ۝ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ۝ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ

بمعنى واحد (اليوم نختم على أفواههم) أى نمنعهم من الكلام فتنطق أعضاؤهم يوم القيامة (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) هذا تهديد لقريش ، والطمس على الأعين هو العمى ، والصراط الطريق وأنى استفهام يراد به النفى . فمعنى الآية لو نشاء لأعميناهم فلو راموا أن يمشوا على الطريق لم يبصروه ، وقيل يعنى عمى البصائر أى لو نشاء لختمنا على قلوبهم فالطريق على هذا استعارة بمعنى الإيمان والخير (ولو نشاء لمسخناهم) هذا تهديد بالمسخ ، فقيل معناه المسخ قردة وخنازير وحجارة ، وقيل معناه لو نشاء لجعلناهم مقعدين مبطولين لا يستطيعون تصرفا ، وقيل إن هذا التهديد كله بما يكون يوم القيامة ، والأظهر أنه فى الدنيا (على مكانتهم) المكانة المكان ، والمعنى لو نشاء لمسخناهم مسخا يقعدهم فى مكانهم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) أى إذا مسخوا فى مكانهم لم يقدروا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا (ومن نعمره ننكسه فى الخلق) أى نحول خلقته من القوة إلى الضعف ، ومن الفهم إلى البله وشبه ذلك كما قال تعالى « ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة » وإنما قصد بذكر ذلك هنا للاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار كما قدر على تنكيس الإنسان إذا هرم (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) الضميران لمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وذلك رد على الكفار فى قولهم إنه شاعر ، وكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا ينظم الشعر ولا يزنه ، وإذا ذكر بيت شعر كسر وزنه ، فإن قيل . قد روى عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب وروى أيضا عنه صلى الله عليه وسلم : هل أنت إلا أصبع دميت ، وفى سبيل الله مالقيت ، وهذا الكلام على وزن الشعر فالجواب أنه ليس بشعر وأنه لم يقصد به الشعر ، وإنما جاء موزونا بالاتفاق لا بالقصد ، فهو كالكلام المنثور ، ومثل هذا يقال فى مثل ماجاء فى القرآن من الكلام الموزون ويقتضى قوله « وما ينبغى له » تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن الشعر لما فيه من الأباطيل وإفراط التجاوز حتى يقال إن الشعر أطيبه أكذبه ، وليس كل الشعر كذلك فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « إن من الشعر لحكمة » وقد أكثر الناس فى ذم الشعر ومدحه ، وإنما الانصاف قول الشافعى الشعر كلام والكلام منه حسن ومنه قبيح (إن هو إلا ذكر) الضمير للقرآن يعنى أنه ذكر لله أو تذكير للناس أو شرف لهم (لينذر من كان حيا) أى حىّ القلب والبصيرة (ويحق القول على الكافرين) أى يجب عليهم العذاب (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما) مقصد الآية تعديد النعم وإقامة الحجة ، والأيدى هنا عند أهل التأويل عبارة عن القدرة ، وعند أهل التسليم من المتشابه الذى يجب الإيمان به وعلمه عند الله (فمنها ركوبهم) الركوب بفتح الراء هو المركوب (ولهم فيها منافع) يعنى الأكل منها والحمل عليها والانتفاع بالجلود والصوف وغيره (ومشارب) يعنى الألبان (لا يستطيعون نصرهم) الضمير فى يستطيعون الأصنام ، وفى نصرهم المشركين ، ويحتمل العكس ، ولكن الأول أرجح فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لينصروهم : أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم فخاب أملهم

أَفَلَا يَشْكُرُونَ * وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ۝ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝

(وهم لهم جند محضرون) الضمير الأول للمشركين والثانى للأصنام يعنى أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصبون لهم حتى أنهم لهم كالجند وقيل بالعكس بمعنى أن الأصنام جند محضرون لعذاب المشركين فى الآخرة والأول أرجح لأنه تقبيح لحال المشركين (فلا يحزنك قولهم) تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم معالة لما بعدها (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة براهين على الحشر يوم القيامة ورد على من أنكر ذلك، والنطفة هى نطفة المنى التى خلق الإنسان منها ولا شك أن الإله الذى قدر على خلق الإنسان من نطفة قادر على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث، وسبب الآية أن العاصى بن وائل جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال يا محمد من يحيى هذا وقيل إن الذى جاء بالعظم أمية بن خلف وقيل أبى بن خلف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم (فإذا هو خصيم مبين) أى متكلم قادر على الخصام يبين ما فى نفسه بلسانه (وضرب لنا مثلا) إشارة إلى قول الكافرين من يحيى هذا العظم (ونسى خلقه) أى نسى الاستدلال بخلقته الأولى على بعثه والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول أو الترك (وهى رميم) أى بالية متفتتة (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) استدلال بالخلقة الأولى على البعث (وهو بكل خلق عليم) أى يعلم كيف يخلق كل شىء فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها والخلق هنا يحتمل أن يكون مصدرا أو بمعنى المخلوق (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) هذا دليل آخر على إمكان البعث وذلك أن الذين أنكروه من الكفار والطبائعيين قالوا طبع الموت يضاد طبع الحياة فكيف تصير العظام حية. فأقام الله عليهم الدليل من الشجر الأخضر الممتلىء ماء مع مضادة طبع الماء للنار ويعنى بالشجر زناد العرب وهو شجر المرخ والعفار فإنه يقطع من كل واحد منهما غصنا أخضر يقطر منه الماء فيسحق المرخ على العفار فتنقدح النار بينهما قال ابن عباس ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب ولكنه فى المرخ والعفار أكثر (أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) هذا دليل آخر على البعث بأن الإله الذى قدر على خلق السموات والأرض على عظمهما وكبر أجرامهما قادر على أن يخلق أجساد بنى آدم بعد فنائها والضمير فى مثلهم يعود على الناس (وهو الخلاق العليم) ذكر فى هذين الاسمين أيضا استدلال على البعث وكذلك فى قوله إنما أمره إذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون لأن هذا عبارة عن قدرته على جميع الأشياء ولا شك أن الخلاق العليم القدير لا يصعب عليه إعادة الأجساد (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء) فى هذا استدلال على البعث وتنزيه لله عما نسبه الكفار إليه من العجز عن البعث فإنهم ما قدروا الله حق قدره وكل من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه وتعالى.

ســـورة الصافات

مكية وآياتها ١٨٢ نزلت بعد الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۝ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۝ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ

ســـورة الصافات

(والصافات صفا) تقديره والجماعات الصافات ثم اختلف فيها فقيل هى الملائكة التى تصف فى السماء صفوفا لعبادة الله وقيل هو من يصف من بنى آدم فى الصلوات والجهاد والأول أرجح لقوله حكاية عن الملائكة وإنا لنحن الصافون (فالزاجرات زجراً) هى الملائكة تزجر السحاب وغيرها وقيل الزاجرون بالمواعظ من بنى آدم وقيل هى آيات القرآن المتضمنة للزجر عن المعاصى (فالتاليات ذكراً) هى الملائكة تتلو القرآن والذكر وقيل هم التالون للقرآن والذكر من بنى آدم وهى كلها أشياء أقسم الله بها على أنه واحد (ورب المشارق) يعنى مشارق الشمس وهى ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فإنها تشرق كل يوم من أيام السنة فى مشرق منها وتغرب فى مغرب، واستغنى بذكر المشارق عن ذكر المغارب لأنها معادلة لها فتفهم من ذكرها (بزينة الكواكب) قرئ بإضافة الزينة إلى الكواكب والزينة تكون مصدراً واسماً لما يزان به فإن كان مصدراً فهو مضاف إلى الفاعل تقديره بأن زينة الكوكب اسماً أو مضاف إلى المفعول تقديره بأن زينا الكواكب وإن كانت اسماً فالإضافة بيان للزينة وقرئ بتنوين زينة وخفض الكواكب على البدل ونصب الكواكب على أنها مفعول بزينة أو بدل من موضع زينة (وحفظاً) منصوب على المصدر تقديره وحفظناها حفظاً أو مفعول من أجله والواو زائدة أو محمول على المعنى لأن المعنى إنا جعلنا الكواكب زينة للسماء وحفظا (مارد) أى شديد الشر (لا يسمعون إلى الملأ الأعلى) الضمير فى يسمعون للشياطين والملأ الأعلى هم الملائكة الذين يسكنون فى السماء والمعنى أن الشياطين منعت من سماع أحاديث الملائكة وقرئ يسمعون بتشديد السين والميم ووزنه يتفعلون والسمع طلب السماع فنفى السماع على القراءة الأولى ونفى طلبه على القراءة بالتشديد والأول أرجح لقوله «إنهم عن السمع لمعزولون» ولأن ظاهر الأحاديث أنهم يستمعون لكنهم لا يسمعون شيئاً منذ بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم يرمون بالكواكب (ويقذفون) أى يرجمون يعنى بالكواكب وهى التى يراها الناس تنقض قال النقاش ومكى ليست الكواكب الراجمة للشياطين بالكواكب الجارية فى السماء لأن تلك لا ترى حركتها وهذه الراجمة ترى حركتها لقربها منا قال ابن عطية وفى هذا نظر (دحورا) أى طرداً وإبعاداً وإهانة لأن الدحر الدفع بعنف وإعرابه مفعول من أجله أو مصدر من يقذفون على المعنى أو مصدر فى موضع الحال تقديره مدحورين (عذاب واصب) أى دائم لأنهم يرجمون

Marfat.com

مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝ وَقَالُوا
إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝ قُلْ نَعَمْ
وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ۝ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ
الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ
صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ

بالنجوم فى الدنيا ثم يقذفون فى جهنم ، (إلا من خطف الخطفة) من فى وضع رفع بدل من الضمير فى قوله لا يسمعون والمعنى لا تسمع الشياطين أخبار السماء إلا الشيطان الذى خطف الخطفة (شهاب ثاقب) أى شديد الإضاءة (فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا) الضمير لكفار قريش والاستفتاء نوع من السؤال وكأنه سؤال من يعتبر قوله ويجعل حجة لأن جوابهم عن السؤال مما تقوم به الحجة عليهم ومن خلقنا يراد به ما تقدم ذكره من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب وقيل يراد به ما تقدم من الأمم والأول أرجح لقراءة ابن مسعود أم من عددنا ومقصد الآية إقامة الحجة عليهم فى إنكارهم البعث فى الآخرة كأنه يقول هذه المخلوقات أشد خلقاً منكم فكما قدرنا على خلقهم كذلك نقدر على إعادتكم بعد فنائكم (إنا خلقناهم من طين لازب) اللازب اللازم أى يلزم ما جاوره ويلصق به ووصفه بذلك يراد به ضعف خلقة بنى آدم ، (بل عجبت ويسخرون) أى عجبت يا محمد من ضلالهم وإعراضهم عن الحق أو عجبت من قدرة الله على هذه المخلوقات العظام المذكورة وقرئ عجبت بضم التاء وأشكل ذلك على من يقول إن التعجب مستحيل على الله فتأولوه بمعنى أنه جعله على حال يتعجب منها الناس وقيل تقديره قل يا محمد عجبت وقد جاء التعجب من الله فى القرآن والحديث كقوله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من شاب ليس له صبوة وهو صفة فعل وإنما جعلوه مستحيلا على الله لأنهم قالوا إن التعجب استعظام خفى سببه والصواب أنه لا يلزم أن يكون خفى السبب بل هو لمجرد الاستعظام فعلى هذا لا يستحيل على الله (ويسخرون) تقديره وهم يسخرون منك أو من البعث (واذا رأوا آية يستسخرون) الآية هنا العلامة كانشقاق القمر ونحوه وروى أنها نزلت فى مشرك اسمه ركانة أراه النبى صلى الله عليه وسلم آيات فلم يؤمن ويستسخرون معناه يسخرون فيكون فعل واستعمل بمعنى واحد وقيل معناه يستدعى بعضهم بعضاً لأن يسخر وقيل يبالغون فى السخرية (أئذا كنا تراباً) الآية: معناها استبعادهم البعث وقد تقدم الكلام على الاستفهامين فى الرعد (أو آباؤنا) بفتح الواو (دخلت همزة الإنكار على واو العطف وقرئ بالإسكان عطفا بأو (قل نعم وأنتم داخرون) أى قل تبعثون والداخر الصاغر الذليل (زجرة واحدة) هى النفخة فى الصور للقيام من القبور (فإذا هم ينظرون) يحتمل أن يكون من النظر بالأبصار أو من الانتظار أى ينتظرون ما يفعل بهم (فهذا يوم الدين) يحتمل أن يكون من كلامهم مثل الذى قبله أو مما يقال لهم مثل الذى بعده (احشروا) الآية: خطاب للملائكة خاطبهم به الله تعالى أو خاطب به بعضهم بعضا (وأزواجهم) يعنى نساؤهم المشركات وقيل يعنى أصنامهم وقرناءهم من الجن والإنس (وما كانوا يعبدون) يعنى الأصنام والآدميين الذين كانوا يرضون بذلك (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) أى دلوهم على طريق جهنم ليدخلوها (إنهم مسئولون) يعنى إنهم يسألون عن أعمالهم توبيخا لهم وقيل يسألون

بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالُوٓا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۝ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ۝ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ۝ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ * فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝ إِنَّا كَذَالِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝ إِنَّهُمْ كَانُوٓا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ * بَلْ جَآءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ۝

عن قول لا إله إلا الله والأول أرجح لأنه أهم ويحتمل أن يسألوا عن عدم تناصرهم على وجه التهكم بهم فيكون مسئولون عاملا فيما بعده والتقدير يقال لهم مالكم لا ينصر بعضكم بعضا وقد كنتم فى الدنيا تقولون نحن جميع منتصر (مستسلمون) أى منقادون عاجزون عن الانتصار (قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) الضمير فى قالوا للضعفاء من الكفار خاطبوا الكبراء منهم فى جهنم أو الإنس خاطبوا الجن واليمين هنا يحتمل ثلاث معان الأول أن يراد بها طريق الخير والصواب وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين كما أن العبارة عن الشر بالشمال والمعنى أنهم قالوا لهم إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فتصدوننا عنه والثانى أن يراد به القوة والمعنى على هذا أنكم كنتم تأتوننا بقوتكم وسلطانكم فتأمروننا بالكفر وتمنعوننا من الإيمان والثالث أن يراد بها اليمين التى يحلف بها أى كنتم تأتوننا بأن تحلفوا لنا أنكم على الحق فنصدقكم فى ذلك ونتبعكم (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) الضمير فى قالوا للكبراء من الكفار أو للشياطين والمعنى أنهم قالوا لأتباعهم ليس الأمر كما ذكرتم بل كفرتم باختياركم (فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون) أى وجب العذاب علينا وعليكم، وإنا لذائقون: معمول القول وحذف معمول ذائقون تقديره وجب القول بأنا ذائقون العذاب (فأغويناكم إنا كنا غاوين) أى دعوناكم إلى الغى، لأنا كنا على غى (فإنهم يومئذ فى العذاب مشتركون) أى إن المتبوعين والأتباع مشتركون فى عذاب النار (يقولون إنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) الضمير فى يقولون لكفار قريش، ويعنون بشاعر مجنون: محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فرد الله عليهم بقوله (بل جاء بالحق) أى جاء بالتوحيد والإسلام، وهو الحق (وصدق المرسلين) الذين جاؤا قبله: لأنه جاء بمثل ما جاؤا به، ويحتمل المعنى أن يكون صدقهم لأنهم أخبروا بنبوته فظهر صدقهم لما بعث عليه الصلاة والسلام (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع بمعنى لكن، وقرئ مخلصين بفتح اللام وكسرها فى كل موضع، وقد تقدم تفسيره (على سرر متقابلين) السرر جمع سرير، وتقابلهم فى بعض الأحيان للسرور بالأنس، وفى بعض الأحيان ينفرد كل واحد بقصره (يطاف عليهم بكأس من معين) الذين يطوفون عليهم الولدان، حسبما ورد فى الآية الأخرى، والكأس الإناء الذى فيه خمر قاله ابن عباس، وقيل الكأس إناء واسع الفم، ليس له مقبض، سواء كان فيه خمر أم لا، والمعين: الجارى الكثير، ووزنه فعيل، والميم فيه أصلية، وقيل هو مشتق من العين، والميم زائدة، ووزنه مفعول (لذة) أى ذات لذة، فوصفها بالمصدر

لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۝ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَـٰمِلُونَ ۝ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ۝

اتساعا (لافيها غول) الغول: اسم عام فى الأذى والضير، ومنه يقال غاله يغوله: إذا أهلكه. وقيل الغول وجع فى البطن، وقيل صداع فى الرأس، وإنما قدم المجرور هنا تعريضا بخمر الدنيا، لأن الغول فيها (ولاهم عنها ينزفون) أى لا يسكرون من خمر الجنة، ومنه النزيف، وهو السكران، وعن هنا سببية، كقولك فعلته عن أمرك، أى لا ينزفون بسبب شربها (قاصرات الطرف) معناه أنهن قصرن أعينهن على النظر إلى أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهن (عين) جمع عيناء، وهو الكبيرة العينين فى جمال (كأنهن بيض مكنون) قيل شبههن فى اللون ببيض النعام، فإنه بياض خالطه صفرة حسنة، وكذلك قال امرئ القيس ۝ كبكر مقناة البياض بصفرة ۝ وقيل إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلى الرقيق، وهو المكنون المصون تحت القشرة الأولى، وقيل أراد الجوهر المصون (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) هذا إخبار عن تحدث أهل الجنة قال الزمخشرى هذه الجملة معطوفة على يطاف عليهم، والمعنى أنهم يشربون فيتحدثون على الشراب، بما جرى لهم فى الدنيا (إنى كان لى قرين) قيل إن هذا القائل وقرينه من البشر، مؤمن وكافر وقيل إن قرينه كان من الجن (يقول أئنك لمن المصدقين) معناه أنه كان يقول له على وجه الإنكار أتصدق بالدنيا والآخرة (لمدينون) أى مجازون ومحاسبون على الأعمال، ووزنه مفعول، وهو من الدين، بمعنى الجزاء والحساب (قال هل أنتم مطلعون) أى قال ذلك القائل لرفقائه فى الجنة، أو للملائكة أو لخدامه، هل أنتم مطلعون على النار لأريكم ذلك العزيز فيها، وروى أن فى الجنة كوى ينظرون أهلها منها إلى النار (فى سواء الجحيم) أى فى وسطها (قال تالله إن كدت لتردين) أى تهلكنى بإغوائك، والردى الهلاك، وهذا خطاب خاطب به المؤمن قرينه الذى فى النار (من المحضرين) فى العذاب (أفما نحن بميتين) هذا من كلام المؤمن، خطاب لقرينه أو خطابا لرفقائه فى الجنة ولهذا قال نحن فأخبر عن نفسه وعنهم ويحتمل أن يكون من كلامه وكلامهم جميعا (إن هذا لهو الفوز العظيم) يحتمل أن يكون من كلام المؤمن، أو من كلامه وكلام رفقائه فى الجنة أو من كلام الله تعالى، وكذلك يحتمل هذه الوجوه فى قوله «لمثل هذا فليعمل العاملون» والأول أرجح فيه أن يكون من كلام الله تعالى لأن الذى بعده من كلام الله فيكون متصلا به، ولأن الأمر بالعمل إنما هو حقيقة فى الدنيا ففيه تحضيض على العمل الصالح (أذلك خير أم شجرة الزقوم) الإشارة بذلك إلى نعيم الجنة، وكل ما ذكر من وصفها، وقال الزمخشرى الإشارة إلى قوله رزق معلوم، والنزل الضيافة، وقيل الرزق الكثير وجاء التفضيل هنا بين شيئين ليس بينهما اشتراك، لأن الكلام تقرير وتوبيخ (إنا جعلناها فتنة للظالمين) قيل سببها أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم، قالوا كيف يكون فى النار شجرة، والنار تحرق

Marfat.com

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۝ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝
ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ۝ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ ۝ فَهُمْ عَلَىٰ
ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ۝ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ۝ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
الْمُنْذَرِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ۝ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝
وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى الْعَٰلَمِينَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ۝
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ۝ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۝ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ ۝

الشجر . فالفتنة على هذا الابتلاء فى الدنيا وقيل معناه ، عذاب الظالمين فى الآخرة ، والمراد بالظالمين هنا الكفار (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) أى تنبت فى قعر جهنم وترتفع أغصانها إلى دركاتها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) الطلع ثمر النخل فاستعير لشجرة الزقوم وشبه برءوس الشياطين مبالغة فى قبحه وكراهته ، لأنه قد تقرر فى نفوس الناس كراهتها وإن لم يروها ، ولذلك يقال للقبيح المنظر وجه شيطان وقيل رؤس الشياطين شجرة معروفة باليمن ، وقيل هو صنف من الحيات (لشوبا من حميم) أى مزاجا من ماء حار ، فإن قيل : لم عطف هذه الجملة بثم ، فالجواب من وجهين : أحدهما أنه لترتيب تلك الأحوال فى الزمان ، فالمعنى أنهم يملؤن البطون من شجر الزقوم ، وبعد ذلك يشربون الحميم ، والثانى أنه لترتيب مضاعفة العذاب فالمعنى أن شربهم للحميم أشد مما ذكر قبله (يهرعون) الإهراع الإسراع الشديد (ولقد نادانا نوح) أى دعانا فالمعنى دعاؤه بإهلاك قومه ونصرته عليهم (من الكرب العظيم) يعنى الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) أهل الأرض كلهم من ذرية نوح لأنه لما غرق الناس فى الطوفان ونجا نوح ومن كان معه فى السفينة ، تناسل الناس من أولاده الثلاثة ، سام وحام ويافث (وتركنا عليه فى الآخرين) معناه أبقينا عليه ثناء جميلا فى الناس إلى يوم القيامة (سلام على نوح فى العالمين) هذا التسليم من الله على نوح عليه السلام ، وقيل إن هذه الجملة مفعول تركنا وهى محكية أى تركنا هذه الكلمة ، تقال له يعنى أن الخلق يسلمون عليه فيبتدأ بالسلام على القول الأول ، لا على الثانى والأول أظهر ومعنى فى العالمين على القول الأول تخصيصه بالسلام عليه بين العالمين ، كما تقول أحب فلانا فى الناس أى أحبه خصوصا من بين الناس ومعناه على القول الثانى : أن السلام عليه ثابت فى العالمين ، وهذا الخلاف يجرى حيث ما ذكر ذلك فى هذه السورة (وإن من شيعته لإبراهيم) الشيعة الصنف المتفق ، فمعنى من شيعته من على دينه فى التوحيد ، والضمير يعود على نوح وقيل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأول أظهر (إذ جاء ربه) عبارة عن إخلاصه وإقباله على الله تعالى ، بكليته وقيل المراد المجىء بالجسد (بقلب سليم) أى سليم من الشرك ، والشك وجميع العيوب (أئفكا آلهة دون الله تريدون) الإفك الباطل وإعرابه هنا مفعول من أجله ، وآلهة مفعول به وقيل أئفكا مفعول به وآلهة بدل منه وقيل أئفكا مصدر فى موضع الحال ، تقديره آفكين أى كاذبين والأول أحسن

فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ
ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ۝ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا
فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ۝ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِى

(فما ظنكم برب العالمين) المعنى أى شيء تظنون برب العالمين، أن يعاقبكم به وقد عبدتم غيره أو أى شيء تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره كما تقول ماظنك بفلان إذا قصدت تعظيمه، فالمقصد على المعنى الأول تهديد وعلى الثانى تعظيم لله وتوبيخ لهم (فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم) روى أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه فدعوه إلى الخروج معهم، فحينئذ قال إنى سقيم ليمتنع عن الخروج معهم، فيكسر أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم وفى تأويل ذلك ثلاثة أقوال الأول أنها كانت تأخذه الحمى فى وقت معلوم، فنظر فى النجوم ليرى وقت الحمى، واعتذر عن الخروج لأنه سقيم من الحمى. والثانى أن قومه كانوا منجمين وكان هو يعلم أحكام النجوم فأوهمهم أنه استدل بالنظر فى علم النجوم أنه يسقم، فاعتذر بما يخاف من السقم عن الخروج معهم والثالث أن معنى نظر فى النجوم أنه نظر وفكر فيما يكون من أمره معهم فقال إنى سقيم والنجوم على هذا ماينجم من حاله معهم، وليست بنجوم السماء، وهذا بعيد وقوله إنى سقيم على حسب هذه الأقوال يحتمل أن يكون حقا لا كذب فيه ولا تجوز أصلا، ويعارض هذا ماورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن إبراهيم كذب ثلاث كذبات، أحدها: قوله إنى سقيم، ويحتمل أن يكون كذبا صراحا، وجاز له ذلك لهذا الاحتمال لأنه فعل ذلك من أجل الله إذ قصد كسر الأصنام، ويحتمل أن يكون من المعاريض فإن أراد أنه سقيم فيما يستقبل لأن كل إنسان لابد له أن يمرض، أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم وتكذيبهم له وهذان التأويلان أولى، لأن نفى الكذب بالجملة معارض للحديث، والكذب الصراح لايجوز على الأنبياء، عند أهل التحقيق. أما المعاريض فهى جائزة (فتولوا عنه مدبرين) أى تركوه إعراضا عنه وخرجوا إلى عيدهم، وقيل إنه أراد بالسقم الطاعون وهو داء يعدى فخافوا منه وتباعدوا عنه مخافة العدوى (فراغ) أى مال (فقال ألا تأكلون) إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام (ضربا باليمين) أى يمين يديه وقيل بالقوة وقيل بالحلف، وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم، والأول أظهر وأليق بالضرب وضربا مصدر فى موضع الحال (يزفون) أى يسرعون (قال أتعبدون ماتنحتون) أى تنجرون والنحت النجارة إشارة إلى صنعهم الأصنام من الحجارة والخشب (والله خلقكم وماتعملون) ذهب قوم إلى أن مامصدرية، والمعنى الله خلقكم وأعمالكم وهذه الآية عندهم قاعدة فى خلق أفعال العباد، وقيل إنها موصولة بمعنى الذى والمعنى الله خلقكم وخلق أصنامكم التى تعملونها وهذا أليق بسياق الكلام وأقوى فى قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام، وقيل إنها نافية، وقيل إنها استفهامية، وكلاهما باطل (قالوا ابنوا له بنيانا) قيل البنيان فى موضع النار، وقيل بل كان للمنجنيق، الذى رمى عنه (فأرادوا به كيدا) يعنى حرقه بالنار (فجعلناهم الأسفلين) أى المغلوبين (وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين) قيل إنه قال هذا بعد خروجه من النار، وأراد أنه ذاهب أى مهاجر إلى الله فهاجر إلى أرض الشام، وقيل إنه قال ذلك قبل أن يطرح فى النار وأراد أنه ذاهب إلى ربه بالموت لأنه ظن أن النار تحرقه وسيهدين على القول الأول يعنى الهدى إلى صلاح

Marfat.com

مِنَ الصَّـٰلِحِينَ ، فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى الْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّـٰبِرِينَ ۞ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْبَلَـٰٓؤُا الْمُبِينُ ۞ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ ۞ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۞ كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۞

الدين والدنيا ، وعلى القول الثانى إلى الجنة ، وقالت المتصوفة معناه إنى ذاهب إلى ربى بقلبى أى مقبل على الله بكليتى تاركا سواه (رب هب لى من الصالحين) يعنى ولدا من الصالحين (فبشرناه بغلام حليم) أى عاقل واختلف الناس فى هذا الغلام المبشر به فى هذا الموضع وهو الذبيح ، هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين هو إسماعيل وحجتهم من ثلاثة أوجه الأول أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أنا ابن الذبيحين يعنى إسماعيل عليه السلام ووالده عبدالله حين نذر والده عبدالمطلب أن ينحره إن يسر الله له أمر زمزم ففداه بمائة من الإبل والثانى أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح وبشرناه بإسحق فدل ذلك على أن الذبيح غيره والثالث أنه روى أن إبراهيم جرت له قصة الذبح بمكة وإنما كان معه بمكة إسماعيل وذهب علىّ بن أبى طالب وابن مسعود وجماعة من التابعين إلى أن الذبيح إسحاق وحجتهم من وجهين الأول أن البشارة المعروفة لإبراهيم بالوادى إنما كانت بإسحاق لقوله فبشرناها باسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، والثانى أنه روى أن يعقوب كان يكتب من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله (فلما بلغ معه السعى) يريد بالسعى هنا العمل والعبادة ، وقيل المشى وكان حينئذ ابن ثلاثة عشر سنة (قال يابنىّ إنى أرى فى المنام أنى أذبحك) يحتمل أن يكون رأى فى المنام الذبح وهو الفعل أو أمر فى المنام أنه يذبحه والأول أظهر فى اللفظ هنا ، والثانى أظهر فى قوله افعل ما تؤمر ورؤيا الأنبياء حق فوجب عليه الامتثال على الوجهين (فانظر ماذا ترى) إن قيل لم شاوره فى أمر هو حتم من الله ؟ فالجواب : أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ولكن ليعلم ماعنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه على الصبر فأجابه بأحسن جواب (فلما أسلما) أى استسلما وانقادا لأمر الله (وتله للجبين) أى صرعه بالأرض على جبينه وللانسان جبينان حول الجبهة ، وجواب لما محذوف عند البصريين تقديره ، فلما أسلما كان ما كان من الأمر العظيم ، وقال الكوفيون جوابها تله والواو زائدة ، وقال بعضهم جوابها : ناديناه والواو زائدة (قد صدقت الرؤيا) يحتمل أنه يريد بقلبك أى كانت عندك رؤيا صادقة فعملت بحسبها ويحتمل أن يريد صدقتها بعملك أى وفيت حقها من العمل . فان قيل إنه أمر بالذبح ولم يذبح ، فكيف قيل له صدقت الرؤيا ؟ فالجواب أنه قد بذل جهده إذ قد عزم على الذبح ولو لم يفده الله لذبحه ولكن الله هو الذى منعه من ذبحه لما فداه فامتناع ذبح الولد إنما كان من الله وبأمر الله وقد قضى إبراهيم ما عليه (البلاء المبين) أى الاختبار البين الذى يظهر به طاعة الله أو المحنة البينة الصعوبة (وفديناه بذبح عظيم) الذبح اسم لما يذبح وأراد به هنا الكبش الذى فدى به ، وروى أنه من كباش الجنة ، وقيل إنه الكبش الذى قرب به ولد آدم ووصفه بعظيم لذلك أو لأنه من عند الله أو لأنه متقبل . وروى فى القصص أن الذبيح قال لإبراهيم اشدد رباطى لئلا أضطرب ، واصرف بصرك عنى

وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ، ولقد مننا على موسى وهارون ، ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ، ونصرناهم فكانوا هم الغالبين ، وآتيناهما الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم ، وتركنا عليهما فى الآخرين ، سلام على موسى وهارون ، إنا كذلك نجزى المحسنين * إنهما من عبادنا المؤمنين ، وإن إلياس لمن المرسلين ، إذ قال لقومه ألا تتقون ، أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين ، الله ربكم ورب آبائكم الأولين ، فكذبوه فإنهم لمحضرون ، إلا عباد الله المخلصين ، وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على إل ياسين ، إنا كذلك نجزى المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين ، وإن لوطا لمن المرسلين ، إذ نجيناه وأهله أجمعين * إلا عجوزا فى الغابرين ، ثم دمرنا الآخرين ، وإنكم لتمرون عليهم مصبحين ، وبالليل أفلا تعقلون * وإن يونس لمن المرسلين ، إذ أبق إلى الفلك المشحون * فساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوت وهو مليم ، فلولا

لئلا ترحمنى وأنه أمر الشفرة على حلقه فلم تقطع فحينئذ جاءه الكبش من عند الله وقد أكثر الناس فى قصص هذه الآية وتركناه لعدم صحة (كذلك نجزى المحسنين) إن قيل لم قال هنا فى قصة إبراهيم كذلك دون قوله إنا ، وقال فى غيرها إنا ، فالجواب أنه قد تقدم فى قصة إبراهيم نفسها : إنا كذلك فأغنى عن تكرار إنا (ولقد مننا على موسى وهارون) يعنى بالنبوة وغير ذلك (من الكرب العظيم) يعنى الغرق أو تعذيب فرعون وإذلاله لهم (ونصرناهم) الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما وقيل على موسى وهارون خاصة وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم وهذا ضعيف (وآتيناهما الكتاب المستبين) يعنى التوراة ومعنى المستبين البين ، وفى هذه الآية ومابعدها نوع من أدوات البيان وهو الترصيع (وإن إلياس لمن المرسلين) إلياس من ذرية هارون وقيل إنه إدريس وقد أخطأ من قال إنه إلياس المذكور فى أجداد النبى صلى الله عليه وآله وسلم (أتدعون بعلا) البعل فى اللغة الرب بلغة أهل اليمن وقيل بعل اسم صنم يقال له بعلبك (سلام على آل ياسين) آل هنا على هذه القراءة بمعنى أهل ياسين اسم لإلياس ، وقيل لأبيه ، وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقرئ إلياسين بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة على هذا جمع إلياس أو منسوب لإلياس حذفت منه الياء كما حذفت من أعجمين ، وقيل سمى كل واحد من آل ياسين إلياس ثم جمعهم وقيل هو لغة فى إلياس (عجوز فى الغابرين) قد ذكر (وإن يونس لمن المرسلين) قد ذكرنا قصته فى يونس والأنبياء (إذ أبق إلى الفلك المشحون) أى هرب إلى السفينة والفلك هنا واحد والمشحون المملوء ، وسبب هروبه غضبه على قومه حين لم يؤمنوا ، وقيل إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم فى يوم معين حسبما أعلمه الله ، فلما رأوا قومه مخايل العذاب آمنوا ، فرفع الله عنهم العذاب فخاف أن ينسبوه إلى الكذب فهرب (فساهم فكان من المدحضين) معنى ساهم ضارب القرعة والمدحض المغلوب فى القرعة والحجة وسبب مقارعته أنه لما ركب السفينة ، وقفت ولم تجر ، فقالوا إنما وقفت من حدث أحدثه أحدنا فنقترع لنرى على من تخرج

Marfat.com

أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ فَنَبَذْنَٰهُ بِالْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝ فَـَٔامَنُوا فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ۝ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ۝ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ۝ فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ

القرعة فنطرحه فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فطرحوه فى البحر (فالتقمه الحوت وهو مليم) أى فعل مايلام عليه وذلك خروجه بغير أن يأمره الله بالخروج (فلولا أنه كان من المسبحين) تسبيحه هو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين حسبما حكى الله عنه فى الأنبياء وقيل هو قوله سبحان الله وقيل هو الصلاة ، واختلف على هذا هل يعنى صلاته فى بطن الحوت أو قبل ذلك واختلف فى مدة بقائه فى بطن الحوت فقيل ساعة وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعون يوما (فنبذناه بالعراء) العراء الأرض الفضاء التى لاشجر فيها ، ولاظل وقيل يعنى الساحل (وهو سقيم) روى أنه كان كالطفل المولود بضعة لحم (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) أى أنبتناها فوقه لتظله وتقيه حر الشمس ، واليقطين ، القرع وإنما خصه الله به لأنه يجمع برد الظل ولين اللمس وكبر الورق وأن الذباب لايقربه فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لايحتمل الذباب وقيل اليقطين كل شجرة لاساق لها كالبقول والقرع والبطيخ ، والأول أشهر (وأرسلناه إلى مائة ألف) يعنى رسالته الأولى التى أبق بعدها وقيل هذه رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت والأول أشهر (أويزيدون) قيل أو هنا بمعنى بل ، وقرأ ابن عباس ، بل يزيدون ، وقيل هى بمعنى الواو وقيل هى الابهام وقيل المعنى أن البشر إذا نظر إليهم يتردد فيقول هم مائة ألف أو يزيدون واختلف فى عددهم فقيل مائة وعشرون ألفا وقيل مائة وثلاثون ألفا وقيل مائة وأربعون ألفا وقيل مائة وسبعون ألفا (فآمنوا فتمتعناهم إلى حين) روى أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم ، وفرقوا بينهم وبين الأمهات وناحوا وتضرعوا إلى الله وأخلصوا فرفع الله العذاب عنهم إلى حين : يعنى لانقضاء آجالهم وقد ذكر الناس فى قصة يونس أشياء كثيرة أسقطناها لضعف صحتها (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) قال الزمخشرى إن هذا معطوف على قوله فاستفتهم الذى فى أول السورة وإن تباعد مابينهما والضمير المفعول لقريش وسائر الكفار أى اسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور وتلك قسمة ضيزى ثم قررهم على مازعموا من أن الملائكة إناث ورد عليهم بقوله وهم شاهدون ، ويحتمل أن يكون بمعنى الشهادة ، أو بمعنى الحضور أى أنهم لم يحضروا ذلك ولم يعلموه ثم أخبر عن كذبهم فى قولهم ولد الله ثم قررهم على مازعموا من أن الله اصطفى لنفسه البنات ؛ وذلك كله رد عليهم وتوبيخ لهم ، تعالى الله عن أقوالهم علوا كبيرا (أصطفى) دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل (مالكم) هذا استفهام معناه التوبيخ وهى فى موضع رفع بالابتداء والمجرور بعدها خبرها فينبغى الوقف على قوله مالكم (أم لكم سلطان مبين) أى برهان بين (فأتوا بكتابكم) تعجيز لهم لأنهم ليس لهم كتاب يحتجون به (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا)

Marfat.com

إن كنتم صادقين ۝ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ۝ سبحان الله عما يصفون ۝
إلا عباد الله المخلصين ۝ فإنكم وما تعبدون ۝ ما أنتم عليه بفاتنين ۝ إلا من هو صال الجحيم ۝ وما منا
إلا له مقام معلوم ۝ وإنا لنحن الصافون ۝ وإنا لنحن المسبحون ۝ وإن كانوا ليقولون ۝ لو أن عندنا
ذكرا من الأولين ۝ لكنا عباد الله المخلصين ۝ فكفروا به فسوف يعلمون ۝ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا

الضمير فى جعلوا لكفار العرب وفى معنى الآية قولان: أحدهما أن الجنة هنا الملائكة وسميت بهذا الاسم لأنه مشتق من الاجتنان وهو الاستتار والملائكة مستورين عن أعين بنى آدم كالجن والنسب الذى جعلوه بينهم وبين الله قولهم إنهم بنات الله، والقول الثانى أن الجن هنا الشياطين، وفى النسب الذى جعلوه بينه وبينهم قولان: أحدهما أن بعض الكفار قالوا إن الله والشياطين أخوان، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والآخر أن بعضهم قال إن الله نكح فى الجن فولدت له الملائكة سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) من قال إن الجن الملائكة فالضمير فى قوله إنهم لمحضرون يعود على الكفار أى قد علمت الملائكة أن الكفار محضرون فى العذاب ومن قال إن الجن الشياطين فالضمير يعود عليهم أى قد علمت الشياطين أنهم محضرون فى العذاب (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين أو من الفاعل فى يصفون والمعنى لكن عباد الله المخلصين لا يحضرون فى العذاب أو لكن عباد الله المخلصين يصفونه بما هو أهله (فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم) هذا خطاب للكفار والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها وما تعبدون عطف على الضمير فى إنكم ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع ومعنى فاتنين مضلين والضمير فى عليه يعود على ما تعبدون وعلى سببية معناها التعليل ومن هو مفعول بفاتنين والمعنى إنكم أيها الكفار وكل ما تعبدونه لا تضلون أحداً إلا من قضى الله أنه يصلى الجحيم أى لا تقدرون على إغواء الناس إلا بقضاء الله وقال الزمخشرى الضمير فى عليه يعود على الله تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم) هذا حكاية كلام الملائكة عليهم السلام، تقديره ما منا ملك إلا وله مقام معلوم، وحذف الموصوف لفهم الكلام، والمقام المعلوم: يحتمل أن يراد به المكان الذى يقومون فيه، لأن منهم من هو فى السماء الدنيا، وفى الثانية، وفى السموات، وحيث شاء الله، ويحتمل أن يراد به المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف (وإنا لنحن الصافون) أى الواقفون فى العبادة صفوفاً، ولذلك أمر المسلمون بتسوية الصفوف فى صلاتهم ليقتدوا بالملائكة، وليس أحد من أهل الملل يصلون صفوفاً إلا المسلمون (وإنا لنحن المسبحون) قيل معناه المصلون، لأن الصلاة يقال لها تسبيح، وقيل معناه القائلون سبحان الله، وفى هذا الكلام الذى قالته الملائكة رد على من قال إنهم بنات الله وشركاء له، لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتنزيه له، ويدل هذا الكلام أيضا على أن المراد بالجن قبل هذا الملائكة، وقيل إنه هذا كله من كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكلام المسلمين، والأول أشهر (وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين) الضمير لكفار قريش وسائر العرب، والمعنى أنهم كانوا قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم يقولون لو أرسل الله إلينا رسولا وأنزل علينا كتابا لكنا عباد الله المخلصين (فكفروا به) الضمير للذكر أو لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لأن المعنى يقتضى ذلك وإن لم يتقدم له ذكر (فسوف يعلمون) تهديد ووعيد لهم على كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون

Marfat.com

الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ۝ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝

سورة ص

مكية وآياتها ٨٨ نزلت بعد القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِن

المعنى سبق القضاء بأن المرسلين منصورون على أعدائهم (وإن جندنا لهم الغالبون) هذا النصر والغلبة بظهور الحجة والبرهان، وبهزيمة الأعداء في القتال، وبالسعادة في الآخرة (فتول عنهم حتى حين) أي أعرض عنهم. وذلك موادعة منسوخة بالسيف. والحين هنا يراد به يوم بدر، وقيل حضور آجالهم، وقيل يوم القيامة (وأبصر فسوف يبصرون) هذا وعد للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (أفبعذابنا يستعجلون) إشارة إلى قولهم متى هذا الوعد وأمطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك (فإذا نزل بساحتهم) الساحة الفناء حول الدار. والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإنسان من محظور وسوء (فساء صباح المنذرين) الصباح مستعمل في ورود الغارات والرزايا، ومقصد الآية التهديد بعقاب يحل بهم بعد أن أنذروا فلم ينفعهم الإنذار، وذلك تمثيل بقوم أنذرهم ناصح بأن جيشا يحل بهم فلم يقبلوا نصحه حتى جاءهم الجيش وأهلكهم (وأبصر) كرر الأمر بالتولي عنهم والوعد والوعيد على وجه التأكيد، وقيل أراد بالوعيد الأول عذاب الدنيا، وبالثاني عذاب الآخرة، فإن قيل: لم قال أولا أبصرهم، وقال هنا أبصر، فحذف الضمير المفعول؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه اكتفى بذكره أولا عن ذكره ثانيا فحذفه اقتصارا، والآخر أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدم وغيرهم كأنه قال أبصر جميع الكفار بخلاف الأول، فإنه في قريش خاصة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما وصفه به الكفار مما لا يليق به، فإنه حكى عنهم في هذه السورة أقوالا كثيرة شنيعة، والعزة إن أراد بها عزة الله: فمعنى رب العزة، ذو العزة، وأضافها إليه لاختصاصه بها، وإن أراد بها عزة الأنبياء والمؤمنين: فمعنى رب العزة مالكها وخالقها، ومن هذا قال محمد بن سحنون: من حلف بعزة الله، فان أراد صفة الله فهي يمين، وإن أراد العزة التي أعطى عباده فليست بيمين، ثم ختم هذه السورة بالسلام على المرسلين (والحمد لله رب العالمين) فأما السلام على المرسلين فيحتمل أن يريد به التحية أو سلامتهم من أعدائهم، ويكون ذلك تكميلا لقوله إنهم لهم المنصورون، وأما الحمد لله. فيحتمل أن يريد به الحمد لله على ما ذكر في هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك، ويحتمل أن يريد الحمد لله على الإطلاق

سورة داود عليه السلام

(ص) تكلمنا على حروف الهجاء في البقرة ويختص بهذا أنه قال فيه معناه صدق محمد، وقيل هو حرف

قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۞ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۞ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۞ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۞ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۞ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن

من اسم الله الصمد أو صادق الوعد، أو صانع المصنوعات (والقرآن ذى الذكر) هذا قسم جوابه محذوف تقديره إن القرآن من عند الله، وإن محمداً لصادق وشبه ذلك. وقيل جوابه فى قوله ص إذ هو بمعنى صدق محمد، وقيل جوابه إن كل إلا كذب الرسل وهذا بعيد، وقيل جوابه إن ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا أبعد، ومعنى ذى الذكر ذى الشرف. والذكر بمعنى الموعظة أو ذكر الله وما يحتاج اليه من الشريعة (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) الذين كفرا يعنى قريشا، وبل للإضراب عن كلام محذوف وهو جواب القسم أى إن كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزة والشقاق، والعزة التكبر، والشقاق العداوة وقصد المخالفة، وتنكيرهما للدلالة على شدتهما وتفاخم الكفار فيهما (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) إخبار يتضمن تهديداً لقريش (فنادوا ولات حين مناص) المعنى أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك، ولات بمعنى ليس وهى لا النافية زيدت عليها علامة التأنيث، كما زيدت فى ربت وثمت، ولا تدخل لات إلا على زمان واسمها مضمر، وحين مناص خبرها، والتقدير ليس الحين الذى دعوا فيه حين مناص، والمناص المفر والنجاة من قولك ناص ينوص إذا فر (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) الضمير لقريش والمنذر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أى استبعدوا أن يبعث الله رسولا منهم، ويحتمل أن يريد من قبيلتهم أو يريد من البشر مثلهم (وقال الكافرون) كان الأصل وقالوا ولكن وضع الظاهر موضع المضمر قصداً لوصفهم بالكفر (أجعل الآلهة إلها واحداً) هذا إنكار منهم للتوحيد، وسبب نزول هذه الآيات أن قريشا اجتمعوا وقالوا لأبى طالب: كف ابن أخيك عنا فإنه يعيب ديننا ويذم آلهتنا ويسفه أحلامنا فكلمه أبو طالب فى ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم وتدين لهم بها العرب، فقالوا نعم وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله، فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا: أجعل الآلهة إلها واحدا (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا) انطلاق الملأ عبارة عن خروجهم عن أبى طالب وقيل عبارة عن تفرقهم فى طرق مكة وإشاعتهم للكفر، وأن امشوا: معناه يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم ولا تطيعوا محمداً فيما يدعو إليه من عبادة الله وحده (إن هذا الشىء يراد) هذا أيضا مما حكى الله من كلام قريش وفى معناه وجهان: أحدهما أن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد أى إن هذا التوحيد شىء يراد منا الانقياد إليه، والآخر أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم أى إن هذا لشىء ينبغى أن يراد ويتمسك به أو أن هذا شىء يريده الله منا لما قضى علينا به والأول أرجح لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه فيكون الكلام على نسق واحد (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة) هذا أيضا مما حكى الله عنهم من كلامهم أى ما سمعنا بالتوحيد فى الملة الآخرة، والمراد بالملة الآخرة ملة النصارى لأنها بعد ملة موسى وغيره وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد، وقيل المراد ملة قريش أى ما سمعنا بهذا فى الملة التى أدركنا عليها آباءنا، وقيل المراد الملة المنتظرة إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكهان أن رسولا يبعث يكون آخر الأنبياء (إن هذا

Marfat.com

بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۝ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۝ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۝ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۝ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ۝ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝ وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ۝ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ

إلا اختلاق) هذا أيضا مما حكى من كلامهم والإشارة إلى التوحيد و الإسلام ومعنى الاختلاف الكذب (أنزل عليه الذكر من بيننا) الهمزة للإنكار، والمعنى أنهم أنكروا أن يخص الله محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بإنزال القرآن عليه دونهم (بل هم فى شك من ذكرى) هذا رد عليهم والمعنى أنهم ليست لهم حجة ولا برهان بل هم فى شك من معرفة الله وتوحيده، فلذلك كفروا، ويحتمل أن يريد بالذكر القرآن (بل لما يذوقوا عذاب) هذا وعيد لهم وتهديد، والمعنى أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وأذعنوا للحق (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) هذا رد عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة، والمعنى أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوة من شاؤا، ويمنعوا من شاؤا بل يعطيها الله لمن يشاء ثم وصف نفسه بالعزيز الوهاب، لأن العزيز يفعل ما يشاء، والوهاب ينعم على من يشاء فلا حجة لهم فيما أنكروا (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) هذا أيضا رد عليهم، والمعنى أم لهم الملك فيتصرفون فيه كيف شاؤا، بل مالك الملك يفعل فى ملكه ما يشاء، وأم الأولى منقطعة بمعنى بل وهمزة الإنكار، وأما أم الثانية فيحتمل أن تكون كذلك أو تكون عاطفة معادلة لما قبلها (فليرتقوا فى الأسباب) هذا تعجيز لهم، وتهكم بهم، ومعنى يرتقوا يصعدوا، والأسباب هنا السلالم والطرق وشبه ذلك مما يوصل به إلى العلو، وقيل هى أبواب السماء، والمعنى إن كان لهم ملك السموات والأرض فليصعدوا إلى العرش ويدبروا الملك (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) هذا وعيد بهزيمتهم فى القتال وقد هزموا يوم بدر وغيره، وما هنالك صفة لجند وفيها معنى التحقير لهم، والإشارة بهنالك إلى حيث وصفوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء، وقيل الإشارة إلى الارتقاء فى الأسباب وهذا بعيد؛ وقيل الإشارة إلى موضع بدر، ومن الأحزاب معناه من جملة الأحزاب الذين تعصبوا للباطل فهلكوا (وفرعون ذى الأوتاد) قال ابن عباس كانت له أوتاد وخشب يلعب بها وعليها، وقيل كانت له أوتاد يسمرها فى الناس لقتلهم، وقيل أراد المبانى العظام الثابتة، ورجحه ابن عطية، وقال الزمخشرى إن ذلك استعارة فى ثبات الملك كقول القائل: فى ظل ملك ثابت الأوتاد (وأصحاب الأيكة) قد ذكر (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة) ينظر هنا بمعنى ينتظر، وهؤلاء يعنى قريشا والصيحة الواحدة النفخة فى الصور وهى نفخة الصعق، وقيل الصيحة عبارة عما أصابهم من قتل أو شدة، والأول أظهر، وقد روى تفسيرها بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم (ما لها من فواق) فيه ثلاثة أقوال: الأول ما لها رجوع أى لا يرجعون بعدها إلى الدنيا وهو على هذا مشتق من الإفاقة، الثانى ما لها من ترداد: أى إنما هى واحدة لا ثانية لها: الثالث ما لها من تأخير ولا توقف مقدار فواق ناقة وهى ما بين حلبتى اللبن، وهذا القول الثالث إنما يجرى على قراءة فواق بالضم لأن فواق الناقة

لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۞ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۞ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۞ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ۞ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا

بالضم ، والقولان الأولان على الفتح والضم (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) القط فى اللغة له معنيان : أحدهما الكتاب ، والآخر النصيب ، وفى معناه هنا ثلاثة أقوال : أحدها نصيبنا من الخير : أى دعوا أن يعجله الله لهم فى الدنيا والآخر نصيبهم من العذاب ، فهو كقولهم أمطر علينا حجارة من السماء . الثالث صحائف أعمالنا (اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب) الأيد القوة ، وكان داود جمع قوة البدن وقوة الدين والملك والجنود ، والأواب : الرجاع إلى الله ، فإن قيل : ما المناسبة بين أمر الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على أقوال الكفار وبين أمره له بذكر داود ؟ فالجواب عندى أن ذكر داود ومن بعده من الأنبياء فى هذه السورة فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ووعد له بالنصر وتفريج الكرب وإعانة له على ما أمر به من الصبر ، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال ، وشدة ملكه ، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب ، ثم الخاتمة له فى الآخرة بالزلفى وحسن المآب ، فكأنه يقول يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم كذلك ننعم عليك ، فاصبر ولا تحزن على مايقولون ، ثم ذكر ما أعطى سليمان من الملك العظيم وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزلفى وحسن المآب ، ثم ذكر من ذكر بعد ذلك من الأنبياء والمقصد ذكر الإنعام عليهم لتقوية قلب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأيضا فإن داود وسليمان وأيوب أصابتهم شدائد ثم فرجها الله عنهم ، وأعقبها بالخير العظيم ، فأمر سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بذكرهم ليعلمه أنه يفرج عنه ما يلاقى من إذاية قومه ويعقبها بالنصر والظهور عليهم ، فالمناسبة فى ذلك ظاهرة وقال ابن عطية : المعنى : اذكر داود ذا الأيدى فى الدين فتأس به وتأيد كما تأيد ، وأجاب الزمخشرى عن السؤال فإنه قال كأن الله قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم اصبر على مايقولون ، وعظم أمر المعصية فى أعين الكفار بذكر قصة داود ، وذلك أنه نبى كريم عند الله ثم زل زلة فوبخه الله عليها فاستغفر وأناب ، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم ، وهذا الجواب لا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع داود عليه السلام حيث جعله مثالا يهدد الله به الكفار وصرح بأنه زل وأن الله وبخه على زلته ، ومعاذ الله من ذكر الأنبياء بمثل هذا (والإشراق) يعنى وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس : أى تضىء ويصفر شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها (محشورة) أى مجموعة (كلٌّ له أواب) أى كل مسبح لأجل تسبيح داود ، ويحتمل أن يكون أواب هنا بمعنى رجاع أى ايرجع إلى أمره (وآتيناه الحكمة) قيل يعنى النبوة ، وقيل العلم والفهم وقيل الزبور (وفصل الخطاب) قال ابن عباس هو فصل القضاء بين الناس بالحق ، وقال علىّ بن أبى طالب هو إيجاب اليمين على المدعى عليه والبينة على المدعى . وقيل أراد قول أما بعد فإنه أول من قالها ، وقال الزمخشرى : معنى فصل الخطاب البين من الكلام الذى يفهمه من يخاطب به ، وهذا المعنى اختاره ابن عطية ، وجعله من قوله تعالى « إنه لقول فصل » (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب) جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام تنبيها

عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ

للمخاطب ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة التى ينبغى أن يلقى البال لها والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة كقولك عدل وزور واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة ، وروى أنهما جبريل وميكائيل بعثهما الله ليضرب بهما المثل لداود فى نازلة وقع هو فى مثلها ، فأفتى بفتيا هى واقعة عليه فى نازلته ولما شعر وفهم المراد أناب واستغفر ، وسنذكر القصة بعد هذا ، ومعنى تسوروا المحراب علوا على سوره ودخلوه ، والمحراب الموضع الأرفع من القصر أو المسجد وهو موضع التعبد ، ويحتمل أن يكون المتسور المحراب اثنين فقط ، لأن نفس الخصومة إنما كانت بين اثنين فقط فتجىء الضمائر فى تسوروا ، ودخلوا ، وفزع منهم : على وجه التجوز والعبارة عن الاثنين بلفظ الجماعة ، وذلك جائز على مذهب من يرى أن أقل الجمع اثنان ، ويحتمل أنه جامع كل واحد من الخصمين جماعة فيقع على جميعهم خصم ، وتجىء الضمائر المجموعة حقيقة ، وعلى هذا عول الزمخشرى (إذ دخلوا على داود ففزع منهم) العامل فى إذ هنا تسوروا ، وقيل هى بدل من الأولى ، وأما إذ الأولى فالعامل فيها أتاك أو تسوروا ورد الزمخشرى ذلك ، وقال إن العامل فيها محذوف تقديره : هل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا ، وإنما فزع داود منهم لأنهم دخلوا عليه بغير إذن ودخلوا من غير الباب ، وقيل إن ذلك كان ليلا (خصمان بغى بعضنا على بعض) تقديره نحن خصمان ، ومعنى بغى تعدى (ولا تشطط) أى لا تجر علينا فى الحكم ، يقال أشطط الحاكم إذا جار ، وقرئ فى الشاذ لاتشطط بفتح التاء : أى لا تبعد عن الحق ، يقال شطط إذا بعد (سواء الصراط) اى وسط الطريق ، ويعنى القصد والحق الواضح (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب) هذه حكاية كلام أحد الخصمين ، والأخوة هنا أخوة الدين ، والنعجة فى اللغة تقع على أنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضأن ، وهى هنا عبارة عن المرأة ، ومعنى أكفلنيها أملكها لى وأصله اجعلها فى كفالتى ، وقيل اجعلها كفلى أى نصيبى ، ومعنى عزنى فى الخطاب أى غلبنى فى الكلام والمحاورة يقال عز فلان فلانا إذا غلبه وهذا الكلام تمثيل للقصة التى وقع داود فيها . وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديما وحديثا حتى قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : من حدث بما يقول هؤلاء القصاص فى أمر داود عليه السلام جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله ، ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عليه السلام : روى أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته ، وكانت لهم عادة فى ذلك لا ينكرونها ، وقد جاء عن الأنصار فى أول الإسلام شىء من ذلك ، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة رجل فأعجبته فسأله النزول عنها ففعل وتزوجها داود عليه السلام فولد له منها سليمان عليه السلام ، وكان لداود تسع وتسعون امرأة فبعث الله إليه ملائكة مثالا لقصته ، فقال أحدهما إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة إشارة إلى التسع والتسعين امرأة التى كانت لدواد ، ولى نعجة واحدة إشارة إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلا تلك المرأة الواحدة ، فقال أكفلنيها إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته فأجابه داود عليه السلام بقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ، فقامت الحجة عليه بذلك ، فتبسم الملكان عند ذلك

كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۞ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ

وذهبا ولم يرهما ، فشعر داود أن ذلك عتاب من الله له على ما وقع فيه (فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب) ولا تقتضى هذه القصة على هذه الرواية أن داود عليه السلام وقع فيما لا يجوز شرعا ، وإنما عوتب على أمر جائز كان ينبغى له أن يتنزه عنه لعلوّ مرتبته ومتانة دينه ، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب عليه غيرهم كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وأيضا فإنه كان له تسع وتسعون امرأة فكان غنيا عن هذه المرأة فوقع العتاب على الاستكثار من النساء ، وإن كان جائزا ، وروى هذا الخبر على وجه آخر ، وهو أن داود انفرد يوما فى محرابه للتعبد فدخل عليه طائر من كوة فوقع بين يديه فأعجبه فمد يده ليأخذه فطار على الكوة فصعد داود ليأخذه فرأى من الكوة امرأة تغتسل عريانة فأعجبته ثم انصرف فسأل عنها فأخبر أنها امرأة رجل من جنده وأنه خرج للجهاد مع الجند فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يقدم ذلك الرجل يقاتل عند التابوت وهو موضع قل ما تخلص أحد منه فقدم ذلك الرجل فقاتل حتى قتل شهيدا فتزوج داود امرأته فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل وتزوجه امرأته بعده مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة سواها ، وقيل إن داود هم بذلك كله ولم يفعله ، وإنما وقعت المعاتبة على همه بذلك ، وروى أن السبب فيما جرى له مثل ذلك أنه أعجب بعلمه وظهر منه ما يقتضى أنه لا يخاف الفتنة على نفسه ففتن بتلك القصة ، وروى أيضا أن السبب فى ذلك أنه تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، والتزم أن يبتلى كما ابتلوا فابتلاه الله بما جرى له فى تلك القصة (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) سؤال مصدر مضاف إلى المفعول ، وإنما تعدى بإلى لأنه تضمن معنى الإضافة كأنه قال بسؤال نعجتك مضافة أو مضمومة إلى نعاجه ، فإن قيل : كيف قال له داود لقد ظلمك قبل أن يثبت عنده ذلك فالجواب أنه روى أن الآخر اعترف بذلك وحذف ذكر اعترافه اختصارا ، ويحتمل أن يكون قوله لقد ظلمك على تقدير صحة قوله ، وقد قيل إن قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك قبل أن يسمع حجة الآخر كانت خطيئته التى استغفر منها وأناب (وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض) الخلطاء هم الشركاء فى الأموال ، ولكن الخلطة أعم من الشركة . ألا ترى أن الخلطة فى المواشى ليست بشركة فى رقابها وقصد داود بهذا الكلام الوعظ للخصم الذى بغى ، والتسلية بالتأسى للخصم الذى بغى عليه (وقليل ما هم) ما زائدة للتأكيد (وظن داود أنما فتناه) ظن هنا بمعنى شعر بالأمر ، وقيل بمعنى أيقن ، وفتناه معناه اختبرناه (وخر راكعا وأناب) معنى خر ألقى بنفسه إلى الأرض ، وإنما حقيقة ذلك فى السجود ، فقيل إن الركوع هنا بمعنى السجود ، وقيل خر من ركوعه ساجدا بعد أن ركع ، ومعنى أناب تاب ، وروى أنه بقى ساجدا أربعين يوما يبكى حتى نبت البقل من دموعه ، وهذا الموضع فيه سجدة عند مالك خلافا للشافعى ، إلا أنه اختلف فى مذهب مالك هل يسجد عند قوله وأناب ، أو عند قوله وحسن مآب (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) الزلفى القربة والمكانة الرفيعة ، والمآب المرجع فى الآخرة (ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض) تقديره

يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ◦ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ * كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ◦ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ◦ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ◦ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ◦ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ *

قال الله ياداود ، وخلافة داود بالنبوة والملك ، قال ابن عطية : لايقال خليفة الله إلا لنبى ، وأما الملوك والخلفاء فكل واحد منهم خليفة الذى قبله ، وقول الناس فيهم خليفة الله تجوز (وما خلقنا السماء والأرض ومابينهما باطلا) أى عبثا بل خلقهما الله بالحق للاعتبار بهما والاستدلال على خالقهما (ذلك ظن الذين كفروا) المعنى أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خلقة السموات والأرض عندهم باطلا بغير الحكمة ، فان الحكمة فى ذلك إنما تظهر فى الجزاء الأخروى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض) أم هنا استفهامية يراد بها الإنكار : أى أن الله لايجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار ، بل يجازى كل واحد بعمله لتظهر حكمة الله فى الجزاء ، ففى ذلك استدلال على الحشر والجزاء وفيه أيضا وعد ووعيد (إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) الصافنات جمع صافن وهو الفرس الذى يرفع إحدى رجليه أو يديه ويقف على طرف الأخرى ، وقيل الصافن هو الذى يسوى يديه ، والصفن علامة على فراهة الفرس ، والجياد السريعة الجرى واختلف الناس فى قصص هذه الآية ، فقال الجمهور إن سليمان عليه السلام عرضت عليه خيل كان ورثها عن أبيه وقيل أخرجتها له الشياطين من البحر ، وكانت ذوات أجنحة ، وكانت ألف فرس ، وقيل أكثر فتشاغل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العشى «العصر» فأسف لذلك ، وقال ردوا على الخيل وطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف حتى عقرها لما كانت سبب فوات الصلاة ولم يترك منها إلا اليسير فأبدله الله أسرع منها وهى الريح ، وأنكر بعض العلماء هذه الرواية ، وقال تفويت الصلاة ذنب لايفعله سليمان وعقر الخيل لغير فائدة لايجوز ، فكيف يفعله سليمان عليه السلام ؟ وأى ذنب للخيل فى تفويت الصلاة وقال بعضهم : إنما عقرها ليأكلها الناس ، وكان زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقربا إلى الله ، وقال بعضهم لم تفته الصلاة ولا عقر الخيل ، بل كان يصلى فعرضت عليه الخيل فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها فلما فرغ من صلاته قال ردوها على فطفق يمسح عليها بيده كرامة لها ومحبة ، وقيل إن المسح عليها كان وسما فى سوقها وأعناقها بوسم حبس فى سبيل الله (فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) معنى هذا يختلف على حسب الاختلاف فى القصة ، فأما الذين قالوا إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة فاختلفوا فى هذا على ثلاثة أقوال : أحدها أن الخير هنا يراد به الخيل ، وزعموا أن الخيل يقال لها خير ، وأحببت بمعنى آثرت أو بمعنى فعل يتعدى بعن كأنه قال آثرت حب الخيل فشغلنى عن ذكر ربى ، والآخر أن الخير هنا يراد به المال لأن الخيل وغيرها مال فهو كقوله تعالى «أو ترك خيرا» أى مالا ، والثالث

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ، قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ، وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ

أن المفعول محذوف ، وحب الخير مصدر والتقدير أحببت هذه الخيل مثل حب الخير فشغلني عن ذكر ربي وأما الذين قالوا كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها فالمعنى أنه قال إني أحببت حب الخير الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي ، وشغلني ذلك عن النظر إلى الخيل (حتى توارت بالحجاب) الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذكرها ، ولكنها تفهم من سياق الكلام وذكر العشى يقتضيها ، والمعنى حتى غابت الشمس ، وقيل إن الضمير للخيل ، ومعنى توارت بالحجاب دخلت اصطبلاتها والأول أشهر وأظهر (ردوها علىّ) أي قال سليمان ردوا الخيل علىّ (فطفق مسحا بالسوق والأعناق) السوق جمع ساق يعني سوق الخيل وأعناقهم : أي جعل يمسحها مسحا ، وهذا المسح يختلف على حسب الاختلاف المتقدم ، هل هو قطعها وعقرها أو مسحها باليد محبة لها ، أو وسمها للتحبيس (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) تفسير هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف في قصتها ، وفي ذلك أربعة أقوال : الأول أن سليمان كان له خاتم ملكه وكان فيه اسم الله ، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء توقيرا لاسم الله تعالى ، فنزعه يوما ودفعه إلى جارية فتمثل لها جنىّ في صورة سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له ، روى أن اسمه صخر فقعد على كرسىّ سليمان يأمر وينهى والناس يظنون أنه سليمان ، وخرج سليمان فارا بنفسه فأصابه الجوع فطلب حوتا ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه ، وكان الجنى قد رماه في البحر فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه ففتنة سليمان على هذا هي ما جرى له من سلب ملكه ، والجسد الذي ألقى على كرسيه هو الجنىّ الذي قعد عليه وسماه جسداً . لأنه تصور في صورة إنسان ، ومعنى أناب رجع إلى الله بالاستغفار والدعاء أو رجع إلى ملكه ، والقول الثاني أن سليمان كان له امرأة يحبها وكان أبوها ملكا كافراً قد قتله سليمان فسألته أن يضع لها صورة أبيها فأطاعها في ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواريها وصار صنما معبودا في داره وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يوما ، فلما علم به كسره فالفتنة على هذا عمل الصورة ، والجسد هو الصورة والقول الثالث أن سليمان كان له ولدا وكان يحبه حبا شديدا فقالت الجن إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا في السخرة أبدا فلم يشعر إلا وولده ميت على كرسيه فالفتنة على هذا حبه الولد ، والجسد هو الولد لما مات وسمى جسداً لأنه جسد بلا روح ، القول الرابع أنه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ، ولم يقل إن شاء الله ، فلم تحمل إلا واحدة جاءت بشق إنسان فالفتنة على هذا كونه لم يقل إن شاء الله ، والجسد هو شق الإنسان الذي ولد له ، فأما القول الأول فضعيف من طريق النقل مع أنه يبعد ما ذكر فيه من سلب ملك سليمان وتسليط الشياطين عليه ، وأما القول الثاني فضعيف أيضا مع أنه يبعد أنه يعبد صنم في بيت نبي ، أو يأمر نبي بعمل صنم ، وأما القول الثالث فضعيف أيضا ، وأما القول الرابع فقد روى في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير الآية (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) قدم الاستغفار على طلب الملك لأن أمور الدين كانت عندهم أهم من الدنيا فقدم الأولى والأهم ، فإن قيل : لأي شيء قال لا ينبغي لأحد من بعدي ، وظاهر هذا طلب الانفراد به حتى قال فيه الحجاج

Marfat.com

وَغَوَّاصٍ ۝ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ ۝ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝ وَاذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ الشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِى الْأَلْبَٰبِ ۝ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ وَاذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ

إنه كان حسوداً ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه إنما قال ذلك لئلا يجرى عليه مثل ماجرى من أخذ الجنى الملك ، فقصد أن لا يسلب ملكه عنه فى حياته ويصير إلى غيره ، والآخر أنه طلب ذلك ليكون معجزة ودلالة على نبوته (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب) معنى رخاء لينة طيبة ، وقيل طائعة له ، وقد ذكرنا الجمع بين هذا وبين قوله عاصفة فى الأنبياء ، وحيث أصاب : أى حيث قصد وأراد (والشياطين كل بناء وغواص) الشياطين معطوف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين أى سخرنا له الريح والشياطين من يبنى منهم ومن يغوص فى البحر (وآخرين مقرنين فى الأصفاد) أى آخرين من الجن موثقون فى القيود والأغلال (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك) الإشارة إلى الملك الذى أعطاه الله له ، والمعنى أن الله قال له أعط من شئت وامنع من شئت ، وقيل المعنى امنن على من شئت من الجن بالإطلاق من القيود ، وأمسك من شئت منهم فى القيود ، والأول أحسن وهو قول ابن عباس (بغير حساب) يحتمل ثلاثة معان : أحدها أنه لا يحاسب فى الآخرة على مافعل ، والآخر بغير تضييق عليك فى الملك ، والثالث بغير حساب ولا عدد بل خارج عن الحصر (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قد ذكر فى قصة داود (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب) قد ذكرنا قصة أيوب عليه السلام فى الأنبياء والنصب يقال بضم النون وإسكان الصاد : وبفتح النون وإسكان الصاد وبضم النون والصاد وبفتحهما ، ومعناه واحد وهو المشقة ، فإن قيل : لم نسب ماأصابه من البلاء إلى الشيطان فالجواب من أربعة أوجه : أحدها أن سبب ذلك كان من الشيطان ، فإنه روى أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكرا فلم يغيره ، وقيل إنه كانت له شاة فذبحها وطبخها ، وكان له جار جائع فلم يعط جاره منها شيئا ، والثانى أنه أراد ماوسوس له الشيطان فى مرضه من الجزع وكراهة البلاء ، فدعا إلى الله أن يدفع عنه وسوسة الشيطان بذلك ، والثالث أنه روى أن الله سلط الشيطان عليه ليفتنه فأهلك ماله فصبر وأهلك أولاده فصبر وأصابه الجذام [1] والمرض الشديد فصبر فنسب ذلك إلى الشيطان لتسليط الشيطان عليه ، والرابع روى أن الشيطان لقى امرأته فقال لها قولى لزوجك إن سجد لى سجدة أذهبت مابه من المرض فذكرت المرأة ذلك لأيوب ، فقال لها ذاك عدو الله الشيطان وحينئذ دعا (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) التقدير قلنا له اركض برجلك فضرب الأرض برجله فنبعت له عين ماء صافية باردة فشرب منها فذهب كل مرض كان داخل جسده واغتسل منها فذهب ماكان فى ظاهر جسده ، وروى أنه ركض الأرض مرتين فنبع له عينان فشرب من أحدهما واغتسل من الأخرى (ووهبنا له أهله) ذكر فى الأنبياء (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) الضغث القبضة من القضبان ، وكان أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته

---

(١) الحق أن سيدنا أيوب لم يصبه الجذام وإنما أصابه مرض باطنى لاينفر منه الناس لعصمة الأنبياء من ذلك

Marfat.com

وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ۝ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ۝ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ۝ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ۝ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۝ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ۝ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ۝ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۝ هَٰذَا فَوْجٌ

مائة سوط إذا برئ من مرضه ، وكان سبب ذلك ماذكرته له من إلقاء الشيطان ، وقوله لها إن سجدلى زوجك أذهبت مابه من المرض ، فأمره أن يأخذ ضغثا فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة فيبر فى يمينه ، وقد ورد مثل هذا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فى حد رجل زنى وكان مريضا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذق نخلة فيه شماريخ مائة فضرب به ضربة واحدة ذكر ذلك أبو داود والنسائى ، وأخذ به بعض العلماء ، ولم يأخذ به مالك ولا أصحابه (أولى الأيدى والأبصار) الأيدى جمع يد وذلك عبارة عن قوتهم فى الأعمال الصالحات ، وإنما عبر عن ذلك بالأيدى ، لأن الأعمال أكثر ماتعمل بالأيدى ، وأما الأبصار فعبارة عن قوة فهمهم وكثرة علمهم من قولك أبصر الرجل إذا تبينت له الأمور ، وقيل الأيدى جمع يد بمعنى النعمة ومعناه أولوا النعم التى أسداها الله إليهم من النبوة والفضيلة ، وهذا ضعيف لأن اليد بمعنى النعمة أكثر مايجمع على أيادى ، وقرأ ابن مسعود أولوا الأيد بغير ياء ، فيحتمل أن تكون الأيدى محذوفة الياء ، أو يكون الأيد بمعنى القوة : كقوله « داود ذا الأيد » (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) معنى أخلصناهم جعلناهم خالصين لنا ، أو أخلصناهم دون غيرهم ، وخالصة صفة حذف موصوفها تقديره بخصلة خالصة ، وأما الباء فى قوله بخالصة فإن كان أخلصناهم بمعنى جعلناهم خالصين ، فالباء سببية للتعليل ، وإن كان أخلصناهم بمعنى خصصناهم فالباء لتعدية الفعل ، وقرأ نافع بإضافة خالصة إلى ذكرى من غير تنوين ، وقرأ غيره بالتنوين على أن تكون ذكر بدلا من خالصة على وجه البيان والتفسير لها ، والدار يحتمل أن يريد به الآخرة أو الدنيا ، فإن أراد به الآخرة ففى المعنى ثلاثة أقوال : أحدها أن ذكرى الدار يعنى به ذكرهم للآخرة وجهنم فيها والآخر أن معناه تذكيرهم للناس بالآخرة ، وترغيبهم للناس فيها عند الله ، والثالث أن معناه ثواب الآخرة : أى أخلصناهم بأفضل مافى الآخرة ، والأول أظهر ، وإن أراد بالدار الدنيا فالمعنى حسن الثناء والذكر الجميل فى الدنيا كقوله لسان صدق (الأخيار) جمع خير بتشديد الياء أو خير المخفف من خير كميت مخفف من ميت (وذا الكفل) ذكر فى الأنبياء (هذا ذكر) الإشارة إلى ماتقدم فى هذه السورة من ذكر الأنبياء ، وقيل الإشارة إلى القرآن بجملته ، والأول أظهر وكأن قوله هذا ذكر ختام للكلام المتقدم ، ثم شرع بعده فى كلام آخر كما يتم المؤلف بابا ثم يقول فهذا باب ثم يشرع فى آخر (قاصرات الطرف) ذكر فى الصافات (أتراب) يعنى أسنانهن سواء يقال فلان ترب فلان إذا كان مثله فى السن ، وقيل إن أسنانهن وأسنان أزواجهن سواء (ماله من نفاد) أى ماله من فناء ولا انفضاء (هذا وإن للطاغين لشر مآب) تقديره الأمر هذا : لما تم ذكر أهل الجنة ختمه بقوله هذا ثم ابتدأ وصف

Marfat.com

مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۝ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۝ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۝ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ۝ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ

أهل النار ، ويعنى بالطاغين الكفار (هذا فليذوقوه حميم وغساق) هذا مبتدأ وخبره حميم ، فليذوقوه اعتراف بينهما ، والحميم الماء الحار والغساق قرئ بتخفيف السين وتشديدها وهو صديد أهل النار، وقيل ما يسيل من عيونهم ، وقيل هو عذاب لا يعلمه إلا الله (وآخر من شكله أزواج) آخر معطوف على حميم وغساق تقديره وعذاب آخر قيل يعنى الزمهرير ، ومعنى من شكله من مثله ونوعه أى من مثل العذاب المذكور ، وأزواج معناه أصناف وهو صفة للحميم والغساق والعذاب الآخر والمعنى أنهما أصناف من العذاب ، وقال ابن عطية : آخر مبتدأ . واختلف فى خبره ، فقيل تقديره ولهم عذاب آخر وقيل أزواج مبتدأ ومن شكله خبر أزواج ، والجملة خبر آخر ، وقيل أزواج خبر الآخر ، ومن شكله فى موضع الصفة وقرئ أخر بالجمع وهو أليق أن يكون أزواج خبره لأنه جمع مثله (هذا فوج مقتحم معكم) الفوج جماعة من الناس والمقتحم الداخل فى زحام وشدة وهذا من كلام خزنة النار خاطبوا به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أولا ثم دخل بعدهم أتباعهم وهو الفوج المشار إليه ، وقيل هو كلام أهل النار بعضهم لبعض والأول أظهر (لا مرحبا بهم) أى لا يلقون رحبا ولا خيرا ، وهو دعاء من كلام رؤساء الكفار: أى لا مرحبا بالفوج الذين هم أتباع لهم (قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم) هذا حكاية كلام الأتباع الرؤساء لما قالوا لهم لا مرحبا بهم ، أجابوهم بقولهم بل أنتم لا مرحبا بكم (أنتم قدمتموه لنا) هذا أيضا من كلام الأتباع خطابا الرؤساء، وهو تعليل لقولهم بل أنتم لا مرحبا بكم، والضمير فى قدمتموه للعذاب ، ومعنى قدمتموه أوجبتموه لنا بما قدمتم فى الدنيا من إغوائنا وأمركم لنا بالكفر (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار) هذا أيضا من كلام الأتباع دعوا إلى الله تعالى أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب فهو كقولهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا فى النار والضعف زيادة المثل (قالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار) الضمير فى قالوا لرؤساء الكفار ، وقيل للطاغين والرجال هم ضعفاء المؤمنين ، وقيل إن القائلين لذلك أبو جهل لعنه الله وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأمثالهم وأن الرجال المذكورين هم عمار وبلال وصهيب وأمثالهم واللفظ أعم من ذلك والمعنى أنهم قالوا فى جهنم مالنا لا نرى فى النار رجالا كنا فى الدنيا نعدهم من الأشرار (أتخذناهم سخريا) قرئ أتخذناهم بهمزة قطع ومعناها توبيخ أنفسهم على اتخاذهم المؤمنين سخريا ، وقرئ بألف وصل على أن يكون الجملة صفة لرجال وقرئ سخريا بضم السين من التسخير بمعنى الخدمة وبالكسر بمعنى الاستهزاء (أم زاغت عنهم الأبصار) هذا يحتمل ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون معادلا لقولهم مالنا لا نرى رجالا ، والمعنى مالنا لا نراهم فى جهنم نهم ليسوا فيها أم هم فيها ولكن زاغت عنهم أبصارنا ومعنى زاغت عنهم مالت فلم نرهم . الثانى أن يكون معادلا لقولهم أتخذناهم سخريا والمعنى أتخذناهم سخريا . وأم زاغت الأبصار على هذا : مالت عن النظر إليهم احتقاراً لهم . الثالث أن تكون أم منقطعة بمعنى بل والهمزة فلا تعادل شيئاً مما قبلها (إن ذلك لحق) الإشارة إلى ما تقدم من حكاية أقوال أهل النار

إلاَّ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۞ قُلْ هُوَ نَبَؤُا عَظِيمٌ ۞ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۞ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۞ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ الْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّآ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَـٰفِرِينَ * قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَامَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ۞ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ۞ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۞ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۞ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ۞ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا مِنَ

ثم فسره بقوله (تخاصم أهل النار) وإعراب تخاصم بدل من حق أو خبر مبتدأ مضمر (قل هو نبأ عظيم) النبأ الخبر ويعنى به ما تضمنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة ، وقيل هو القرآن ، وقيل هو يوم القيامة والأول أعم وأرجح (ما كان لى من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون) الملأ الأعلى هم الملائكة ومقصد الآية الاحتجاج على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر بأمور لم يكن يعلمها قبل ذلك ، والضمير فى يختصمون للملأ الأعلى واختصامهم هو فى قصة آدم حين قال لهم إنى جاعل فى الأرض خليفة حسبما تضمنته قصته فى مواضع من القرآن ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى فقال : لا أدرى قال فى الكفارات وهى إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد الحديث بطوله ، وقيل الضمير فى يختصمون للكفار : أى يختصمون فى الملأ الأعلى فيقول بعضهم هم بنات الله ، ويقولون آخرون هم آلهة تعبد ، وهذا بعيد (إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين) إذ بدل من إذ يختصمون ، وقد ذكرنا فى البقرة معنى سجود الملائكة لآدم ، ومعنى كفر إبليس وذكرنا فى الحجر معنى قوله تعالى «من روحى» (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ) الضمير فى قال لله عز وجل ، وبيدىّ من المتشابه الذى ينبغى الإيمان به وتسليم علم حقيقته إلى الله ، وقال المتأولون هو عبارة عن القدرة ، وقال القاضى أبو بكر بن الطيب إن اليد والعين والوجه صفات زائدة على الصفات المتقررة ، قال ابن عطية وهذا قول مرغوب عنه ، وحكى الزمخشرى أن معنى خلقت بيدى خلقت بغير واسطة (أستكبرت أم كنت من العالين) دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل لحذفت ألف الوصل ، وأم هنا معادلة ، والمعنى أستكبرت الآن أم كنت قديما ممن يعلو ويستكبر ، وهذا على جهة التوبيخ له (رجيم) أى لعين مطرود (إلى يوم الوقت المعلوم) يعنى القيامة ، وقد تقدم الكلام على ذلك فى الحجر (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين) الباء للقسم ، أقسم إبليس بعزة الله أن يغوى بنى آدم (قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) الضمير فى قال هنا لله تعالى ، والحق الأول مقسم به وهو منصوب بفعل مضمر كقولك الله لأفعلن ، وجوابه لأملأن جهنم ، وقرئ بالرفع وهو مبتدأ ، أو خبر مبتدأ مضمر تقديره الحق يمينى ، وأما الحق الثانى

الْمُتَكَلِّفِينَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ۝

سورة الزمر

مكية إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ فمدنية وآياتها ٧٥ نزلت بعد سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن

فهو مفعول بأقول ، وقوله والحق أقول جملة اعتراض بين القسم وجوابه على وجه التأكيد للقسم (وما أنا من المتكلفين) أى الذين يتصنعون ويتحيلون بما ليسوا من أهله (ولتعلمن نبأه بعد حين) هذا وعيد أى لتعلمن صدق خبره بعد حين والحين يوم القيامة أو موتهم أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره

سورة الزمر

(تنزيل الكتاب) تنزيل مبتدأ وخبره من الله أو خبر ابتداء مضمر تقديره هذا تنزيل ، ومن الله على هذا الوجه يتعلق بتنزيل أو يكون خبراً بعد خبر أو خبر مبتدأ آخر محذوف والكتاب هنا القرآن أو السورة واختار ابن عطية أن يراد به جنس الكتب المنزلة وأما الكتاب الثانى فهو القرآن باتفاق (بالحق) يحتمل معنيين أحدهما أن يكون معناه متضمنا الحق ، والثانى أن يكون معناه بالاستحقاق والوجوب (مخلصاً له الدين) أى لا يكون فيه شرك أكبر ولا أصغر وهو الرياء (ألا لله الدين الخالص) قيل معناه من حقه ومن واجبه أن يكون له الدين الخالص ويحتمل أن يكون معناه إن الدين الخالص هو دين الله وهو الإسلام الذى شرعه لعباده ولا يقبل غيره ومعنى الخالص الصافى من شوائب الشرك ، وقال قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله ، وقال الحسن هو الإسلام وهذا أرجح لعمومه (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يريد بالأولياء الشركاء المعبودين ، ويحتمل أن يريد بالذين اتخذوا الكفار العابدين لهم أو الشركاء المعبودين والأول أظهر لأنه يحتاج على الثانى إلى حذف الضمير العائد على الذين تقديره الذين اتخذوهم ويكون ضمير الفاعل فى اتخذوا عائداً على غير مذكور وارتفاع الذين على الوجهين بالابتداء وخبره إما قوله إن الله يحكم بينهم أو المحذوف المقدر قبل قوله ما نعبدهم لأن تقديره يقولون ما نعبدهم والأول أرجح لأن المعنى به أكمل (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) هذه الجملة فى موضع معمول قول محذوف والقول فى موضع الحال أو فى موضع بدل من صلة الذين ، وقرأ ابن مسعود قالوا ما نعبدهم بإظهار القول أى يقول الكفار ما نعبد هؤلاء الآلهة إلا ليقربونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده ويعنى بذلك الكفار الذين عبدوا الملائكة أو الذين عبدوا الأصنام أو الذين عبدوا عيسى أو عزير فإن جميعهم قالوا هذه المقالة ومعنى زلفى قربى فهو مصدر من يقربونا (إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار) إشارة إلى كذبهم فى قولهم ليقربونا إلى الله وقوله لا يهدى فى تأويله وجهان : أحدهما لا يهديه فى حال كفره والثانى أن ذلك مخصص بمن قضى عليه بالموت على الكفر أعاذنا الله من ذلك وهذا تأويل : لا يهدى القوم الظالمين والكافرين حيثما وقع (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق

Marfat.com

يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ
اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ

مايشاء) الولد يكون على وجهين أحدهما بالولادة الحقيقية وهذا محال على الله تعالى لا يجوز فى العقل والثانى التبنى بمعنى الاختصاص والتقريب كما يتخذ الانسان ولد غيره ولدا لإفراط محبته له وذلك ممتنع على الله بإخبار الشرع فان قوله وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا يعم نفى الوجهين فمعنى الآية على ما أشار إليه ابن عطية: لو أراد الله أن يتخذ ولداً على وجه التبنى لاصطفى لذلك مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته ولكنه لم يرد ذلك ولا فعله ، وقال الزمخشرى معناه: لو أراد الله اتخاذ الولد لامتنع ذلك ولكنه يصطفى من عباده من يشاء على وجه الاختصاص والتقريب لا على وجه اتخاذه ولداً فاصطفى الملائكة وشرفهم بالتقريب فحسب الكفار أنهم أولاده ثم زادوا على ذلك أن جعلوهم إناثا فأفرطوا فى الكفر والكذب على الله وملائكته (سبحانه هو الله الواحد القهار) نزه تعالى نفسه من اتخاذ الولد ثم وصف نفسه بالواحد لأن الوحدانية تنافى اتخاذ الولد لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه ولا جنس له لأنه واحد ووصف نفسه بالقهار ليدل على نفى الشركاء والأنداد لأن كل شىء مقهور تحت قهره تعالى فكيف يكون شريكا له ثم أتبع ذلك بما ذكره من خلقة السموات والأرض وما بينهما ليدل على وحدانيته وقدرته وعظمته (يكور الليل على النهار) التكوير اللف واللى ومنه كور العمامة التى يلتوى بعضها على بعض وهو هنا استعارة ، ومعناه: على ما قال ابن عطية يعيد من هذا على هذا ، فكأن الذى يطيل من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزءا فيستره وكأن الذى ينقص يدخل فى الذى يطول فيستتر فيه ويحتمل أن يكون المعنى أن كل واحد منهما يغلب الآخر اذا طرأ عليه فشبه فى ستره له بثوب يلف على الآخر (لأجل مسمى) يعنى يوم القيامة (خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم عليه السلام (ثم جعل منها زوجها) يعنى حواء خلقها من ضلع آدم ، فإن قيل: كيف عطف قوله ثم جعل على خلقكم بثم التى تقتضى الترتيب والمهلة ولا شك أن خلقة حواء كانت قبل خلقة بنى آدم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول وهو المختار أن العطف إنما هو على معنى قوله واحدة لا على خلقكم كأنه قال خلقكم من نفس كانت واحدة ثم خلق منها زوجها بعد وحدتها الثانى أن ثم لترتيب الأخبار لا لترتيب الوجود. الثالث أنه يعنى بقوله خلقكم إخراج بنى آدم من صلب أبيهم كالذر وذلك كان قبل خلقه حواء (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) يعنى المذكورة فى الأنعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وسماها أزواجا لأن الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر وأما أنزل ففيه ثلاثة أوجه: الأول أن الله خلق أول هذه الأزواج فى السماء ثم أنزلها. الثانى أن معنى أنزل قضى وقسم، فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه. الثالث أنه أنزل المطر الذى ينبت به النبات فتعيش منه هذه الأنعام فعبر بإنزالها عن إنزال أرزاقها وهذا بعيد (خلقا من بعد خلق) يعنى أن الإنسان يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن يتم خلقه ثم ينفخ فيه الروح (فى ظلمات ثلاث) هى البطن والرحم والمشيمة ، وقيل صلب الأب

Marfat.com

اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿﴾ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿﴾ قُلْ إِنِّي

والرحم والمشيمة والأول أرجح لقوله بطون أمهاتكم ولم يذكر الصلب (إن تكفروا فإن الله غني عنكم) أي لا يضره كفركم (ولا يرضى لعباده الكفر) تأول الأشعرية هذه الآية على وجهين: أحدهما أن الرضا بمعنى الإرادة ويعني بعباده من قضى الله له بالإيمان والوفاة عليه، فهو كقوله إن عبادي ليس لك عليهم سلطان والآخر أن الرضا غير الإرادة والعباد على هذا على العموم أي لا يرضى الكفر لأحد من البشر وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم فهو لم يرضه دينا ولا شرعا وأراده وقوعا ووجودا وأما المعتزلة فإن الرضا عندهم بمعنى الإرادة والعباد على العموم جريا على قاعدتهم في القدر وأفعال العباد (وإن تشكروا يرضه لكم) هذا عموم والشكر الحقيق يتضمن الإيمان (ولا تزر وازرة) ذكر في الإسراء (وإذا مس الإنسان ضر) الآية: يراد بالإنسان هنا الكافر بدليل قوله وجعل له أندادا، والقصد بهذه الآية عتاب وإقامة حجة، فالعتاب على الكفر وترك دعاء الله وإقامة الحجة على الإنسان بدعائه إلى الله، في الشدائد، فإن قيل لم قال هنا وإذا مس بالواو وقال بعدها فإذا مس بالفاء؟ فالجواب: أن الذي بالفاء مسبب عن قوله اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة فجاء بفاء السببية قاله الزمخشري وهو بعيد (ثم إذا خوله نعمة منه) خوله أعطاه والنعمة هنا يحتمل أن يريد بها كشف الضر المذكور أو أي نعمة كانت (نسي ما كان يدعو إليه من قبل) يحتمل أن تكون ما مصدرية أي نسي دعاءه أو تكون بمعنى الذي والمراد بها الله تعالى (أمن هو قانت) بتخفيف الميم على إدخال همزة الاستفهام على من وقيل هي همزة النداء والأول أظهر، وقرئ بتشديدها على إدخال أم على من ومن مبتدأ وخبره محذوف وهو المعادل للاستفهام تقديره أم من هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو ما ذكر قبله وما ذكر بعده وهو قوله «هل يستوي الذين يعلمون» والقنوت هنا بمعنى الطاعة والصلاة بالليل، وآناء الليل ساعاته (قل يا عباد الذين آمنوا) الآية نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة ومعناها التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) يحتمل أن يتعلق في هذه الدنيا بأحسنوا والمعنى الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنة في الآخرة، أو يتعلق بحسنة والحسنة على هذا حسن الحال والعافية في الدنيا والأول أرجح (وأرض الله واسعة) يراد البلاد المجاورة للأرض التي هاجروا منها والمقصود من ذلك الحض على الهجرة (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) هذا يحتمل وجهين أحدهما أن الصابر يوفى أجره ولا يحاسب على أعماله فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب والثاني أن أجر الصابرين بغير حصر بل أكثر من

Marfat.com

أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ۝ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ۝ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

أن يحصر بعدد أو وزن وهذا قول الجمهور (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) اللام هنا يجوز أن تكون زائدة أو للتعليل ويكون المفعول على هذا محذوف، فإن قيل: كيف عطف أمرت على أمرت والمعنى واحد؟ فالجواب أن الأول أمر بالعبادة والإخلاص والثاني أمر بالسبق إلى الإسلام فهما معنيان اثنان وكذلك قوله قل الله أعبد ليس تكرارا لقوله أمرت أن أعبد الله لأن الأول إخبار بأنه مأمور بالعبادة والثاني إخبار بأنه يفعل العبادة وقدم اسم الله تعالى للحصر واختصاص العبادة به وحده (فاعبدوا ماشئتم من دونه) هذا تهديد ومبالغة في الخذلان والتخلية لهم على ما هم عليه (ظلل) جمع ظلة بالضم وهو ماغشى من فوق كالسقف فقوله من فوقهم بين وأما من تحتهم فسماه ظلة لأنه سقف لمن تحتهم فإن جهنم طبقات وقيل سماه ظلة لأنه يلتهب ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) قيل إنها نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير إذ دعاهم أبو بكر الصديق إلى الإيمان فآمنوا وقيل نزلت في أبي ذر وسلمان وهذا ضعيف لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة والآية مكية والأظهر أنها عامة. والطاغوت كل ماعبد من دون الله، وقيل الشياطين (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) قيل يستمعون القول على العموم فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام وقيل يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن من الانتصار وشبه ذلك وقيل هو الذي يستمع حديثا فيه حسن وقبيح فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه وهذا قول ابن عباس وهو الأظهر وقال ابن عطية هو عام في جميع الأقوال والقصد الثناء على هؤلاء ببصائر ونظر سديد يفرقون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ، فيتبعون الأحسن من ذلك، وقال الزمخشري مثل هذا المعنى (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار) فيها وجهان: أحدهما أن يكون الكلام جملة واحدة تقديره: أفمن حق عليه كلمة العذاب أأنت تنقذه، فوضع من في النار موضع المضمر، والهمزة في قوله أفأنت هي الهمزة التي في قوله أفمن وهي همزة الإنكار كررت للتأكيد، والثاني أن يكون التقدير أفمن حق عليه كلمة العذاب تتأسف عليه فحذف الخبر ثم استأنف قوله أفأنت تنقذ من في النار، وعلى هذا

Marfat.com

لذكرى لأولى الألباب ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين ۝ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ۝ أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ۝ كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ۝ فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ۝ ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ۝ قرآنا عربيا

يوقف على العذاب، والأول أرجح لعدم الإضمار (فسلكه ينابيع فى الأرض) معنى سلكه أدخله وأجراه والينابيع جمع ينبوع وهو العين ، وفى هذا دليل على أن ماء العيون من المطر (مختلفا ألوانه) أى أصنافه كالقمح والأرز والفول وغير ذلك ، وقيل ألوانه الخضرة والحمرة وشبه ذلك ، وفى الوجهين دليل على الفاعل المختار ورد على أهل الطبائع (أفمن شرح الله صدره للإسلام) تقديره أفمن شرح الله صدره كالقاسى قلبه ، وروى أن الذى شرح الله صدره للإسلام علىّ بن أبى طالب وحمزة ، والمراد بالقاسية قلوبهم أبو لهب وأولاده ، واللفظ أعم من ذلك (من ذكر الله) قال الزمخشرى من هنا سببية أى قلوبهم قاسية من أجل ذكر الله ، وهذا المعنى بعيد ، ويحتمل عندى أن يكون قاسية تضمن معنى خالية ، فلذلك تعدى بمن ، والمعنى أن قلوبهم خالية من ذكر الله (الله نزل أحسن الحديث) يعنى القرآن (كتابا) بدل من أحسن أو حال منه (متشابها) معناه هنا أنه يشبه بعضه بعضا فى الفصاحة والنطق بالحق ، وأنه ليس فيه تناقض ولا اختلاف (مثانى) جمع مثان أى تثنى فيه القصص وتكرر، ويحتمل أن يكون مشتقا من الثناء ، لأنه يثنى فيه على الله ، فإن قيل : مثانى جمع فكيف وصف به المفرد ؟ فالجواب : أن القرآن ينقسم فيه إلى سور وآيات كثيرة فهو جمع بهذا الاعتبار، ويجوز أن يكون كقولهم برمة أعشار، وثوب أخلاق ، أو يكون تمييزا من متشابها كقولك حسن شمائل (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) إن قيل : كيف تعدى تلين بإلى ؟ فالجواب أنه تضمن معنى فعل تعدى بإلى كأنه قال تميل أو تسكن أو تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله. فإن قيل: لم ذكرت الجلود أولا وحدها ثم ذكرت القلوب بعد ذلك معها ؟ فالجواب : أنه لما قال أولا تقشعر ذكر الجلود وحدها ، لأن القشعريرة من وصف الجلود لا من وصف غيرها ، ولما قال ثانيا تلين ذكر الجلود والقلوب ، لأن اللين توصف به الجلود والقلوب : أما لين القلوب فهو ضد قسوتها وأما لين الجلود فهو ضد قشعريرتها فاقشعرت أولا من الخوف. ثم لانت بالرجاء (ذلك هدى الله) يحتمل أن تكون الإشارة إلى القرآن أو إلى الخشية واقشعرار الجلود (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) الخبر محذوف كما تقدم فى نظائره تقديره أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب . ومعنى يتقى يلقى النار بوجهه ليكفها عن نفسه ، وذلك أن الإنسان إذا لقى شيأ من المخاوف استقبله بيديه ، وأيدى هؤلاء مغلولة ، فاتقوا النار بوجوههم (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون من الكفر والعصيان (قرآنا عربيا) نصب على الحال أو بفعل مضمر على المدح

غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ . ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ۝ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝

(غير ذى عوج) أى ليس فيه تضاد ولا اختلاف ولا عيب من العيوب التى فى كلام البشر، وقيل معناه غير مخلوق وقيل غير ذى لحن ، فإن قيل : لم قال غير ذى عوج ولم يقل غير معوج ؟ فالجواب : أن قوله غير ذى عوج أبلغ فى نفى العوج عنه كأنه قال ليس فيه شىء من العوج أصلا (رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى متنازعون متظالمون ، وقيل متشاجرون وأصله من قولك رجل شكس إذا كان ضيق الصدر ، والمعنى ضرب هذا المثل لبيان حال من يشرك بالله ومن يوحده ، فشبه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه ، والمملوك بينهم فى أسوإ حال وشبه من يوحد الله بمملوك لرجل واحد ، فمعنى قوله (سالما لرجل) أى خالصا له وقرئ سلما بغير ألف والمعنى واحد (إنك ميت وإنهم ميتون) فى هذا وعد للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ووعيد للكفار فإنهم إذا ماتوا جميعا وصاروا إلى الله فاز من كان على الحق وهلك من كان على الباطل وفيه أيضا إخبار بأنه صلى الله عليه وسلم سيموت لئلا يختلف الناس فى موته كما اختلفت الأمم فى غيره وقد جاء أنه لما مات صلى الله عليه وسلم أنكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه موته حتى احتج عليه أبو بكر الصديق بهذه الآية فرجع إليها (تختصمون) قيل يعنى الاختصام فى الدماء وقيل فى الحقوق والأظهر أنه اختصام النبى صلى الله عليه وسلم مع الكفار فى تكذيبهم له فيكون من تمام ماقبله ويحتمل أن يكون على العموم فى اختصام الخلائق فيما بينهم من المظالم وغيرها (فمن أظلم ممن كذب على الله) المعنى لا أحد أظلم ممن كذب على الله ويريد بالكذب على الله هنا مانسبوا إليه من الشركاء والأولاد (وكذب بالصدق) أى كذب بالإسلام والشريعة (والذى جاء بالصدق وصدق به) قيل الذى جاء بالصدق النبى صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر وقيل الذى جاء بالصدق جبريل والذى صدق به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذى جاء بالصدق الأنبياء والذى صدق به المؤمنون واختار ابن عطية أن يكون على العموم وجعل الذى للجنس كأنه قال الفريق الذى لأنه فى مقابلة من كذب على الله وكذب بالصدق والمراد به العموم (أليس الله بكاف عبده) تقوية لقلب محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وإزالة للخوف الذى كان الكفار يخوفونه (ولئن سألتهم) الآية احتجاج

Marfat.com

قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ

على التوحيد ورد على المشركين (هل هن كاشفات ضره) الآية رد على المشركين وبرهان على الوحدانية وري أن سببها أن المشركين خوفوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من آلهتهم فنزلت الآية مبينة أنهم لا يقدرون على شيء، فإن قيل: كيف قال كاشفات وممسكات بالتأنيث؟ فالجواب أنها لا تعقل فعاملها معاملة المؤنث وأيضا ففي تأنيثها تحقير لها وتهكم بمن عبدها (اعملوا على مكانتكم) تهديد ومسالمة منسوخة بالسيف (بالحق) ذكر في أول السورة (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) هذه الآية اعتبار ومعناها أن الله يتوفى النفوس على وجهين: أحدهما وفاة كاملة حقيقية وهي الموت، والآخر وفاة النوم لأن النائم كالميت في كونه لا يبصر ولا يسمع ومنه قوله «وهو الذي يتوفاكم بالليل» وتقديرها ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها (فيمسك التي قضى عليها الموت) أي يمسك الأنفس التي قضى عليها بالموت الحقيقي ومعنى إمساكها أنه لا يردها الى الدنيا (ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) أي يرسل الأنفس النائمة وإرسالها هو ردها الى الدنيا، والأجل المسمى هو أجل الموت الحقيقي، وقد تكلم الناس في النفس والروح وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق، والصحيح أن هذا مما استأثر الله بعلمه لقوله «قل الروح من أمر ربي» (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) أم هنا بمعنى بل وهمزة الإنكار والشفعاء هم الأصنام وغيرها، لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (قل أو لو كانوا) دخلت همزة الاستفهام على واو الحال تقديره يشفعون وهم لا يملكون شيئا ولا يعقلون (قل لله الشفاعة جميعا) أي هو مالكها، فلا يشفع أحد إليه إلا بإذنه وفي هذا رد على الكفار في قولهم إن الأصنام تشفع لهم (وإذا ذكر الله وحده) الآية: معناها أن الكفار يكرهون توحيد الله ويحبون الإشراك به، ومعنى اشمأزت انقبضت من شدة الكراهة، وروى أن هذه الآية نزلت حين قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة النجم، فألقى الشيطان في أمنيته حسبما ذكرنا في الحج، فاستبشر الكفار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللات والعزى، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان استكبروا واشمأزوا (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) أي ظهر لهم يوم القيامة خلاف ما كانوا

Marfat.com

اللهِ مَالَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ۝ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ فَإِذَا مَسَّ
الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝
قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ
هَـٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ

يظنون لأنهم كانوا يظنون ظنونا كاذبة. قال الزمخشري: المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم أي ظهر لهم من عذاب الله مالم يكن في حسابهم فهو كقوله في الوعد « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين » وقيل معناها عملوا أعمالا حسبوها حسنات، فإذا هي سيئات وقال الحسن: ويل لأهل الربا من هذه الآية وهذا على أنها في المسلمين والظاهر أنها في الكفار (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) معنى حاق حل ونزل وقال ابن عطية وغيره إن هذا على حذف مضاف تقديره حاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزؤن، ويحتمل أن يكون الكلام دون حذف وهو أحسن، ومعناه حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزؤن لأنهم كانوا في الدنيا يستهزؤن، إذا خوفوا بعذاب الله، ويقولون متى هذا الوعد (قال إنما أوتيته على علم) يحتمل وجهين أحدهما وهو الأظهر: أن يريد على علم مني بالمكاسب والمنافع، والآخر على علم الله باستحقاقي لذلك وإنما هنا تحتمل وجهين: أحدهما وهو الأظهر: أن تكون ما كافة وعلى علم في موضع الحال، والآخر أن تكون ما اسم إن وعلى علم خبرها وإنما قال أوتيته بالضمير المذكر وهو عائد على النعمة للحمل على المعنى (بل هي فتنة) رد على الذي قال إنما أوتيته على علم (قد قالها الذين من قبلهم) يعني قارون وغيره (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) قال علي بن أبي طالب وابن مسعود هذه أرجى آية في القرآن، وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية، واختلف في سببها فقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة وقيل نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا، ففتنوا فافتتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم، وهذا قول عمر بن الخطاب: وقد كتب بها إلى هشام بن العاصي، لما جرى له ذلك وقيل نزلت في قوم من أهل الجاهلية، قالوا: ماينفعنا الإسلام لأننا قد زنينا، وقتلنا النفوس فنزلت الآية فيهم ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره وذلك أن الذين أسرفوا على أنفسهم إن أراد بهم الكفار فقد اجتمعت الأمة على أنهم إذا أسلموا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام يجب ما قبله، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم بل يخلدهم في النار وإن أراد به العصاة من المسلمين فإن العاصي إذا تاب غفر له ذنوبه، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له فالمغفرة المذكورة في هذه الآية، يحتمل أن يريد بها المغفرة للكفار إذا أسلموا أو للعصاة إذا تابوا أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة، والظاهر أنها نزلت في الكفار وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلموا

Marfat.com

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٭ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ٭ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ٭
أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ٭ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي
لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٭ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ٭ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ
آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٭ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم
مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ٭ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٭
اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ٭ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ٭ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ٭ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن

والدليل على أنها فى الكفار ماذكر بعدها إلى قوله قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (واتبعوا أحسن ماأنزل إليكم من ربكم) يعنى اتبعوا القرآن وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض لأنه حسن كله . إنما المعنى أن يتبعوا بأعمالهم مافيه من الأوامر . ويجتنبوا مافيه من النواهى فالتفضيل الذى يقتضيه أحسن إنما هو فى الاتباع وقيل يعنى اتبعوا الناسخ دون المنسوخ وهذا بعيد (أن تقول نفس) فى موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تقول نفس وإنما ذكر النفس لأن المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكفار (فى جنب الله) أى فى حق الله وقيل فى أمر الله وأصله من الجنب بمعنى الجانب ثم استعير لهذا المعنى (الساخرين) أى المستهزئين (بلى) جواب للنفس التى حكى كلامها ولا يجاوب ببلى إلا النفى وهى هنا جواب لقوله لو أن الله هدانى لكنت من المتقين لأنه فى معنى النفى لأن لو حرف امتناع وتقرير الجواب بل قد جاءك الهدى من الله بإرساله الرسل وإنزاله الكتب وقال ابن عطية هى جواب لقوله لو أن لى كرة فإن معناه يقتضى أن العمر يتسع للنظر فقيل له بلى على وجه الرد عليه والأول أليق بسياق الكلام لأن قوله قد جاءتك آياتى تفسير لما تضمنته بلى (وجوههم مسودة) يحتمل أن يريد سواد اللون حقيقة أو يكون عبارة عن شدة الكرب (بمفازتهم) أصله من الفوز والتقدير بسبب فوزهم وقيل معناه بفضائلهم (وهو على كل شىء وكيل) أى قائم بتدبير كل شىء (مقاليد) مفاتيح وقيل خزائن واحدها مقليد وقيل إقليد وقيل لا واحد لها من لفظها وأصلها كلمة فارسية . وقال عثمان بن عفان سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مقاليد السموات والأرض فقال هى لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير فإن صح هذا الحديث فمعناه أن من قال هذه الكلمات صادقا مخلصا نال الخيرات والبركات من السموات والأرض لأن هذه الكلمات توصل إلى ذلك فكأنها مفاتيح له (والذين كفروا) الآية قال الزمخشرى إنها متصلة بقوله وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم وما بينهما من الكلام اعتراض (أفغير الله) منصوب بأعبد (تأمرونى) حذفت إحدى النونين

قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ٭ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٭ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ٭ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٭ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ

تخفيفاً وقرئ بإدغام إحدى النونين فى الأخرى (لئن أشركت ليحبط عملك) دليل على إحباط عمل المرتد مطلقا خلافا للشافعى فى قوله لايحبط عمله إلا إذا مات على الكفر فإن قيل الموحى إليهم جماعة والخطاب بقوله لئن أشركت لواحد: فالجواب أنه أوحى إلى كل واحد منهم على حدته ، فإن قيل: كيف خوطب الأنبياء بذلك وهم معصومون من الشرك ، فالجواب أن ذلك على وجه الفرض والتقدير أى لو وقع منهم شرك لحبطت أعمالهم لكنهم لم يقع منهم شرك بسبب العصمة ويحتمل أن يكون الخطاب لغيرهم وخوطبوا هم ليدل المعنى على غيرهم بالطريق الأولى (وما قدروا الله حق قدره) أى ماعظموه حق تعظيمه ولاوصفوه بما يجب له ولا نزهوه عما لايليق به والضمير فى قدروا لقريش وقيل لليهود (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) المقصود بهذا تعظيم جلال الله والرد على الكفار الذين ماقدروا الله حق قدره ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم فى غيرها من المشكلات فقالت المتأولة إن القبضة واليمين عبارة عن القدرة وقال ابن الطيب إنها صفة زائدة على صفات الذات وأما السلف الصالح فسلموا علم ذلك إلى الله ورأوا أن هذا من المتشابه الذى لايعلم علم حقيقته إلا الله وقد قال ابن عباس مامعناه إن الأرض فى قبضته والسموات مطويات كل ذلك بيمينه . وقال ابن عمر مامعناه: إن الأرض فى قبضة اليد الواحدة والسموات مطويات باليمين الأخرى لأن كلتا يديه يمين (ونفخ فى الصور) هو القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل وهذه النفخة نفخة الصعق وهو الموت وقد قيل إن قبلها نفخة الفزع ولم تذكر فى هذه الآية (إلا من شاء الله) قيل يعنى جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت ثم يميتهم الله بعد ذلك وقيل استثناء الأنبياء وقيل الشهداء (ثم نفخ فيه أخرى) هى نفخة القيام (قيام ينظرون) قيل إنه من النظر وقيل من الانتظار أى ينتظرون ما يفعل بهم (ووضع الكتاب) يعنى صحائف الأعمال وإنما وحدها لأنه أراد الجنس وقيل هو اللوح المحفوظ (وجيء بالنبيين) ليشهدوا على قومهم (والشهداء) يحتمل أن يكون جمع شاهد أو جمع شهيد فى سبيل الله والأول أرجح لأن فيه الوعيد معنى ولأنه أليق بذكر الأنبياء الشاهدين والمراد على هذا أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يشهدون على الناس وقيل يعنى الملائكة الحفظة (وقضى بينهم) الضمير لجميع الخلق (زمرا) فى الموضعين جمع زمرة وهى الجماعة من الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل أشد نجم فى السماء إضاءة ثم هم بعد

جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ۝ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَـٰمِلِينَ * وَتَرَى الْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ۝

ذلك منازل (خزنتها) جمع خازن حيث وقع (كلمة العذاب) يعنى القضاء السابق بعذابهم (وفتحت أبوابها) إنما قال فى الجنة وفتحت أبوابها بالواو وقال فى النار فتحت بغير واو لأن أبواب الجنة كانت مفتحة قبل مجىء أهلها والمعنى حتى إذا جاؤها وأبوابها مفتحة فالواو واو الحال وجواب إذا على هذا محذوف وأما أبواب النار فإنها فتحت حين جاؤها فوقع قوله فتحت جواب الشرط فكأنه بغير واو وقال الكوفيون الواو فى أبواب الجنة واو الثمانية لأن أبواب الجنة ثمانية وقيل الواو زائدة وفتحت هو الجواب (وأورثنا الأرض) يعنى أرض الجنة والوراثة هنا استعارة كأنهم ورثوا موضع من لم يدخل الجنة (نتبوأ) أى ننزل من الجنة حيث نشاء ونتخذه مسكنا (حافين من حول العرش) أى محدقين به دائرين حوله (وقضى بينهم) الضمير لجميع الخلق كالموضع الأول، ويحتمل هنا أن يكون للملائكة والقضاء بينهم توفية أجورهم على حسب منازلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) يحتمل أن يكون القائل لذلك الملائكة أو جميع الخلق أو أهل الجنة: لقوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

(تم الجزء الثالث، ويليه الجزء الرابع وأوله: سورة غافر)

فهرس الجزء الثالث من كتاب التسهيل

صفحة		صفحة		صفحة	
٢	سورة مريم	٨٣	سورة الشعراء	١٣٢	سورة الأحزاب
١٠	« طه	٩٢	« النمل	١٤٦	« سبأ
٢٢	« الأنبياء	١٠٢	« القصص	١٥٤	« فاطر
٣٤	« الحج	١١٣	« العنكبوت	١٦٠	« يس
٤٨	« المؤمنون	١٢٠	« الروم	١٦٨	« الصافات
٥٨	« النور	١٢٦	« لقمان	١٧٨	« ص
٧٤	« الفرقان	١٢٩	« السجدة	١٩٠	« الزمر

Marfat.com

كتاب التسهيل

لعلوم التنزيل

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

محمد بن احمد بن جزي الكلبي

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

الجزء الرابع

الناشر

دار الكتاب العربي

بيروت - لبنان

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة غافر

مكية إلا آيتى ٥٦ و ٥٧ فمدنيتان وآياتها ٨٥ نزلت بعد الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حم ۝ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ

سورة غافر

(حم) تقدم الكلام على حروف الهجاء، وتختص حم بأن معناها: حم الأمر، أى قضى، وقال ابن عباس «الر» و «حم» و «ن» هى حروف الرحمن (تنزيل الكتاب) ذكر فى الزمر (ذى الطول) أى ذى الفضل والإنعام، وقيل الطول الغنى والسعة (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) جعل لا يغررك بمعنى لا يحزنك ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (والأحزاب) يراد بهم عاد وثمود وغيرهم (ليأخذوه) أى ليقتلوه (ليدحضوا) أى ليبطلوا به الحق (حقت كلمة ربك) أى وجب قضاؤه (ومن حوله) عطف على الذين يحملون (ويؤمنون به) إن قيل مافائدة قوله ويؤمنون به، ومعلوم أن حملة العرش ومن حوله يؤمنون بالله؟ فالجواب أن ذلك إظهار لفضيلة الإيمان وشرفه، قال ذلك الزمخشرى، وقال إن فيه فائدة أخرى وهى أن معرفة حملة العرش بالله تعالى من طريق النظر والاستدلال كسائر الخلق لا بالرؤية، وهذه نزعته إلى مذهب المعتزلة فى استحالة رؤية الله (وسعت كل شىء رحمة وعلماً) أصل الكلام وسعت رحمتك وعلمك كل شىء، فالسعة فى المعنى مسندة إلى الرحمة والعلم وإنما أسندتا إلى الله تعالى فى اللفظ لقصد المبالغة فى وصف الله تعالى بهما كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شىء (وقهم السيآت) يحتمل أن يكون المعنى قهم السيئات نفسها

وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ
مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ۝ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا
بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ
لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ۝ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝ فَادْعُوا
اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَٰفِرُونَ ۝ رَفِيعُ الدَّرَجَٰتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن

بحيث لا يفعلونها أو يكون المعنى قهم جزاء السيآت فلا تؤاخذهم بها (إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) المقت البغض الذى يوجبه ذنب أوعيب وهذه الحال تكون للكفار عنددخولهم النار فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم أى مقت بعضهم بعضاً ويحتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه فتناديهم الملائكة وتقول لهم مقت الله لكم فى الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم فقوله لمقت الله مصدر مضاف إلى الفاعل وحذف المفعول لدلالة مفعول مقتكم عليه وقوله إذ تدعون ظرف العامل فيه مقت الله عاما من طريق المعنى ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحو لأن مقت الله مصدر فلا يجوز أن يفصل بينه وبين بعض صلته فيحتاج أن يقدر للظرف عامل وعلى هذا أجاز بعضهم الوقف على قوله أنفسكم والابتداء بالظرف وهذا ضعيف لأن المراعى المعنى وقد جعل الزمخشرى مقت الله عاما فى الظرف ولم يعتبر الفصل (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) هذه الآية كقوله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فالموتة الأولى عبارة عن كونهم عدما أو كونهم فى الأصلاب أو فى الأرحام ، والموتة الثانية الموت المعروف والحياة الأولى حياة الدنيا ، والحياة الثانية حياة البعث فى القيامة وقيل الحياة الأولى حياة الدنيا والثانية الحياة فى القبر ، والموتة الأولى الموت المعروف ، والموتة الثانية بعد حياة القبر ، وهذا قول فاسد لأنه لا بد من الحياة للبعث فتجىء الحياة ثلاث مرات فإن قيل كيف اتصال قولهم أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين بما قبله فالجواب أنهم كانوا فى الدنيا يكفرون بالبعث فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك فأقروا به حينئذ ليرضوا الله بإقرارهم حينئذ فقولهم أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين إقرار بالبعث على أكمل الوجوه طمعا منهم أن يخرجوا عن المقت الذى مقتهم الله إذ كانوا يدعون إلى الإسلام فيكفرون (فاعترفنا بذنوبنا) الفاء هنا رابطة معناها التسبب ، فإن قيل كيف يكون قولهم أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين سببا لاعترافهم بالذنوب ؟ فالجواب أنهم كانوا كافرين بالبعث فلما رأوا الإماتة والإحياء قد تكرر عليهم علموا أن الله قادر على البعث فاعترفوا بذنوبهم وهى إنكار البعث وما أوجب لهم إنكاره من المعاصى فإن من لم يؤمن بالآخرة لا يبالى بالوقوع فى المعاصى (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم) الباء سببية للتعليل والإشارة بذلكم يحتمل أن تكون للعذاب الذى هم فيه أو إلى مقت الله لهم أو مقتهم لأنفسهم والأحسن أن تكون إشارة إلى ما يقتضيه سياق الكلام وذلك أنهم لما قالوا فهل إلى خروج من سبيل كأنهم قيل لهم لا سبيل إلى الخروج فالإشارة بقوله ذلكم إلى عدم خروجهم من النار (يريكم آياته) يعنى العلامات الدالة عليه من مخلوقاته ومعجزات رسله (وينزل لكم من السماء رزقا) يعنى المطر (رفيع الدرجات) يحتمل أن يكون المعنى مرتفع الدرجات فيكون بمعنى العالى أو رافع

Marfat.com

يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ۝ يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار ۝ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ۝ وأنذرهم يوم الآزفة إذ
القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ۝ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ۝
والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء إن الله هو السميع البصير ۝ أولم يسيروا فى
الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم
الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ۝ ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم
الله إنه قوى شديد العقاب ۝ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ۝ إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا
ساحر كذاب ۝ فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد
الكافرين إلا فى ضلال ۝ وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم

درجات عباده فى الجنة وفى الدنيا (يلقى الروح) يعنى الوحى (من أمره) يحتمل أن يريد الأمر الذى هو واحد الأمور أو الأمر بالخبر فعلى الأول تكون من للتبعيض أو لابتداء الغاية وعلى الثانى تكون لابتداء الغاية أو بمعنى الباء (يوم التلاق) يعنى يوم القيامة وسمى بذلك لأن الخلائق يلتقون فيه وقيل لأنه يلتقى فيه أهل السموات والأرض وقيل لأنه يلتقى الخلق مع ربهم ، والفاعل فى ينذر ضمير يعود على من يشاء أو على الروح أو على الله (لمن الملك اليوم) هذا من كلام الله تعالى تقريرا للخلق يوم القيامة فيجيبونه ويقولون لله الواحد القهار وقيل بل هو الذى يجيب نفسه لأن الخلق يسكتون هيبة له وقيل إن القائل لمن الملك اليوم ملك (يوم الآزفة) يعنى القيامة ومعناه القريبة (إذ القلوب لدى الحناجر) معناه أن القلوب قد صعدت من الصدور لشدة الخوف حتى بلغت الحناجر فيحتمل أن يكون ذلك حقيقة أو مجاز عبر به عن شدة الخوف والحناجر جمع حنجرة وهى الحلق (كاظمين) أى محزونين حزنا شديدا كقوله فهو كظيم وقيل معناه يكظمون حزنهم أى يطمعون أن يخفوه والحال تغلبهم وانتصابه على الحال من أصحاب القلوب لأن معناه قلوب الناس أو من المفعول فى أنذرهم أو من القلوب وجمعها جمع المذكر لما وصفها بالكظم الذى هو من أفعال العقلاء (ما للظالمين من حميم) أى صديق مشفق (ولا شفيع يطاع) يحتمل أن يكون نفى الشفاعة وطاعة الشفيع أو نفى طاعة الشفيع خاصة . كقولك ما جاءنى رجل صالح فنفيت الصلاح وإن كان قد جاءك رجل غير صالح ، والأول أحسن لأن الكفار ليس لهم من يشفع فيهم (يعلم خائنة الأعين) أى استراق النظر والخائنة مصدر بمعنى الخيانة أو وصف للنظرة وهذا الكلام متصل بما تقدم من ذكر الله واعتراض فى أثناء ذلك بوصف القيامة لما استطرد اليه من قوله لينذر يوم التلاق (وسلطان مبين) حجة ظاهرة وهى المعجزات (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) هذا القتل غير القتل الذى كانوا يقتلونه أولا قبل ميلاد موسى (وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه) المعنى أنه لا يبالى بدعاء موسى لربه ، ولا يخاف من ذلك إن قتله . ويظهر من قوله ذرونى أنه كان فى الناس من ينازعه فى قتل موسى ، وذلك يدل على أن فرعون كان قد اضطرب أمره بظهور معجزات

Marfat.com

أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۞ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۞ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۞ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۞

موسى (أو أن يظهر فى الأرض الفساد) يعنى فساد أحوالهم فى الدنيا ، وقرئ وأن يظهر بالواو وبأو ويظهر بفتح الياء ورفع الفساد على الفاعلية وبضم الياء ونصب الفساد على المفعولية (وقال موسى إنى عذت) الآية لما سمع موسى ماهمّ به فرعون من قتله استعاذ بالله فعصمه الله منه ، وقال من كل متكبر ليشمل فرعون وغيره وليكون فيه وصف لغير فرعون بذلك الوصف القبيح (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) قيل اسم هذا الرجل حبيب وقيل حزقيل ، وقيل شمعون بالشين المعجمة ، وروى أن هذا الرجل المؤمن كان ابن عم فرعون ، فقوله من آل فرعون صفة للمؤمن ، وقيل كان من بنى إسرائيل ، فقوله من آل فرعون على هذا يتعلق بقوله يكتم إيمانه ، والأول أرجح لأنه لايحتاج فيه إلى تقديم وتأخير ، ولقوله « فمن ينصرنا من بأس الله » لأن هذا كلام قريب شفيق ، ولأن بنى إسرائيل حينئذ كانوا أذلاء بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل هذا الكلام ، و (أن يقول) فى موضع المفعول من أجله تقديره أتقتلونه من أجل أن يقول ربى الله (وإن يك كاذبا فعليه كذبه) أى إن كان موسى كاذبا فى دعوى الرسالة فلا يضركم كذبه ، فلا يشىء تقتلونه . فإن قيل : كيف قال وإن يك كاذبا بعد أن كان قد آمن به ؟ فالجواب أنه لم يقل ذلك على وجه التكذيب له وإنما قاله على وجه الفرض والتقدير ، وقصد بذلك المحاجة لقومه . فقسم أمر موسى إلى قسمين ، ليقيم عليهم الحجة فى ترك قتله على كل وجه من القسمين (وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) قيل إن بعض هنا بمعنى كل وذلك بعيد ، وإنما قال بعض ولم يقل كل مع أن الذى يصيبهم هو كل مايعدهم ليلاطفهم فى الكلام ، ويبعد عن التعصب لموسى ، ويظهر النصيحة لفرعون وقومه ، فيرتجى إجابتهم للحق (وقال الذى آمن) هو المؤمن المذكور أولا وقيل هو موسى عليه السلام وهذا بعيد ، وإنما توهموا ذلك لأنه صرح هنا بالإيمان وكان كلام المؤمن أولا غير صريح بل كان فيه تورية وملاطفة لقومه ، إذ كان يكتم إيمانه ، والجواب : أنه كتم إيمانه أول الأمر ثم صرح به بعد ذلك ، وجاهرهم مجاهرة ظاهرة ، لما وثق بالله حسبما حكى الله من كلامه إلى قوله « فستذكرون ماأقول لكم وأفوض أمرى إلى الله » (يوم التناد) يعنى يوم القيامة وسمى بذلك لأن المنادى ينادى الناس ، وذلك قوله «يوم ندعو كل أناس» وقيل لأن بعضهم ينادى بعضا ، أى ينادى أهل الجنة

Marfat.com

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ

أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وينادى أهل النار أن أفيضوا علينا من الماء (يوم تولون مدبرين) أى منطلقين إلى النار وقيل هاربين من النار (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) قيل هو يوسف بن يعقوب وقيل هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب والبينات التى جاء بها يوسف لم تعين لنا، واختلف هل أدركه فرعون موسى أو فرعون آخر قبله لأن كل من ملك مصر يقال له فرعون (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) كلامهم هذا لا يدل على أنهم مؤمنون برسالة يوسف، وإنما مرادهم لم يأت أحد يدعى الرسالة بعد يوسف، قاله ابن عطية، وقال الزمخشرى: إنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته (الذين يجادلون) بدل من مسرف مرتاب وإنما جاز إبدال الجمع من المفرد، لأنه فى معنى الجمع كأنه قال كل مسرف (كبر مقتا) فاعل كبر مصدر يجادلون، وقال الزمخشرى: الفاعل ضمير من هو مسرف (الأسباب) الأسباب هنا الطرق وقيل الأبواب، وكررها للتفخيم وللبيان (فأطلع) بالرفع عطف على أبلغ وبالنصب بإضمار أن فى جواب لعل لأن الترجى غير واجب، فهو كالتمنى فى انتصاب جوابه، ولا نقول إن لعل أشربت معنى ليت كما قال بعض النحاة (تباب) أى خسران (متاع) أى يتمتع به قليلا، فإن قيل لم كرر المؤمن نداء قومه مرارا؟ فالجواب: أن ذلك لقصد التنبيه لهم وإظهار الملاطفة والنصيحة، فإن قيل لم جاء بالواو فى قوله ويا قوم فى الثالث دون الثانى؟ فالجواب: أن الثانى بيان للأول وتفسير فلم يصح عطفه عليه بخلاف الثالث فإنه كلام آخر فصح عطفه عليه (ماليس لى به علم) أى ليس لى علم بربوبيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنه قال وأشرك ما ليس بإله وإذا لم يكن إلها لم يصح علم بربوبيته (لاجرم) أى لابد ولا شك (ليس له دعوة) قال ابن عطية ليس له قدر ولا حق،

أَمْرِى إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ ۞ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۞ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۞ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۞ قَالُوٓا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَٱدْعُوا وَمَا دُعَـٰٓؤُا ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ۞ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ۞ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۞ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۞ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ

يجب أن يدعى اليه كأنه قال أتدعوننى إلى عبادة مالا خطر له فى الدنيا ، ولا فى الآخرة ، ويحتمل اللفظ أن يكون معناه ليس له دعوة قائمة أى لايدعى أحد إلى عبادته (فوقاه الله سيئات مامكروا) دليل على أن من فوض أمره إلى الله عز وجل كان الله معه (النار يعرضون عليها) النار بدل من سوء العذاب ، أو مبتدأ أو خبر مبتدأ مضمر ، وعرضهم عليها من حين موتهم إلى يوم القيامة ، وذلك مدة البرزخ بدليل قوله ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ، واستدل أهل السنة بذلك على صحة ماورد من عذاب القبر ، وروى أن أرواحهم فى أجواف طيور سود تروح بهم وتغدو إلى النار (غدوا وعشيا) قيل معناه فى كل غدوة وعشية من أيام الدنيا وقيل المعنى على تقدير مابين الغدوة والعشية لأن الآخرة لاغدوة فيها ولا عشية (لخزنة جهنم) إن قيل هلا قال الذين فى النار لخزنتها فلم صرح باسمها؟ فالجواب أن فى ذكر جهنم تهويلا ليس فى ذكر الضمير (وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) يحتمل أن يكون من كلام خزنة جهنم فيكون متصلا بقوله فادعوا أو يكون من كلام الله تعالى استئنافا (إنا لننصر رسلنا) قيل إن هذا خاص فيمن أظهره الله على الكفار وليس بعام لأن من الأنبياء من قتله قومه كزكريا ويحيى ، والصحيح أنه عام ، والجواب عما ذكروه أن زكريا ويحيى لم يكونا من الرسل إنما كانا من الأنبياء الذين ليسوا بمرسلين وإنما ضمن الله نصر الرسل خاصة لانصر الأنبياء كلهم (ويوم يقوم الأشهاد) يعنى يوم القيامة والأشهاد جمع شاهد أو شهيد ويحتمل أن يكون بمعنى الحضور أو الشهادة على الناس أو الشهادة فى سبيل الله والأظهر أنه بمعنى الشهادة على الناس لقوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) يحتمل أنهم لايعتذرون أو يعتذرون ولكن لاتنفعهم معذرتهم والأول أرجح لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون فنفى الاعتذار والانتفاع به (إن وعد الله حق) يعنى وعده لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالنصر والظهور على أعدائه الكفار (بالعشى والإبكار) قيل العشى صلاة العصر والإبكار صلاة الصبح وقيل العشى بعد العصر إلى الغروب والإبكار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس (إن الذين يجادلون) يعنى كفار قريش (إن فى

Marfat.com

يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۞ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ

صدورهم إلا كبر) أى تكبر وتعاظم يمنعهم من أن يتبعوك أو ينقادوا إليك وقيل كبرهم أنهم أرادوا النبوة لأنفسهم ورأوا أنهم أحق بها والأول أظهر لأن إرادتهم النبوة لأنفسهم حسد والأول هو الكبر (ماهم ببالغيه) أى لا يبلغون مايقتضيه كبرهم من الظهور عليك ومن نيل النبوة (فاستعذ بالله) أى استعذ من شرهم لأنهم أعداءك واستعذ من مثل حالهم فى الكبر والحسد واستعذ بالله فى جميع أمورك على الإطلاق (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) الخلق هنا مصدر مضاف إلى المفعول والمراد به الاستدلال على البعث لأن الإله الذى خلق السموات والأرض على كبرها قادر على إعادة الأجسام بعد فنائها وقيل المراد توبيخ الكفار المتكبرين كأنه قال خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس فما بال هؤلاء يتكبرون على خالقهم وهم من أصغر مخلوقاته وأحقرهم والأول أرجح لوروده فى مواضع من القرآن لأنه قال بعده إن الساعة لآتية لا ريب فيها فقدم الدليل ثم ذكر المدلول (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) الدعاء هنا هو الطلب والرغبة وهذا وعد مقيد بالمشيئة وهى موافقة القدر لمن أراد أن يستجيب له وقيل ادعونى هنا بمعنى اعبدونى بدليل قوله بعده إن الذين يستكبرون عن عبادتى وقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ثم تلا الآية وأستجب لكم على هذا القول بمعنى أغفر لكم أو أعطيكم أجوركم والأول أظهر ويكون قوله ويستكبرون عن عبادتى بمعنى يستكبرون عن الرغبة إلىّ كما قال صلى الله عليه وآله وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء هو العبادة فمعناه أن الدعاء والرغبة إلى الله هى العبادة لأن الدعاء يظهر فيه افتقار العبد وتضرعه إلى الله (داخرين) أى صاغرين (لتسكنوا فيه) ذكر فى يونس (ورزقكم من الطيبات) يعنى المستلذات لأنه إذا جاء ذكر الطيبات فى معرض الإنعام فيراد به المستلذات وإذا جاء فى معرض التحليل والتحريم فيراد به الحلال والحرام (الحمد لله رب العالمين) هذا متصل بما قبله قال ذلك ابن عطية والزمخشرى تقديره ادعوه مخلصين قائلين الحمد لله رب العالمين ولذلك قال ابن عباس من قال لا إله إلا الله فليقل الحمد لله رب العالمين ويحتمل

الْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۝ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ هُوَ الَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ۝ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ إِذِ الْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَالسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِى الْحَمِيمِ ثُمَّ فِى النَّارِ يُسْجَرُونَ ۝ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَٰفِرِينَ ۝ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۞ ادْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ۝ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِىَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا

أن يكون الحمد لله استئنافا (ثم يخرجكم طفلا) أراد الجنس ولذلك أفرد لفظه مع أن الخطاب لجماعة (ثم لتبلغوا أشدكم) ذكر الأشد فى سورة يوسف عليه السلام واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما لتبلغوا أجلا مسمى فتعلق بمحذوف آخر تقديره فعل ذلك بكم لتبلغوا أجلا مسمى وهو الموت أو يوم القيامة (ألم تر إلى الذين يجادلون) يعنى كفار قريش وقيل هم أهل الأهواء كالقدرية وغيرهم وهذا مردود بقوله الذين كذبوا بالكتاب إلا إن جعلته منقطعا مما قبله وذلك بعيد (إذ الأغلال فى أعناقهم) العامل فى إذ يعلمون وجعل الظرف الماضى من الموضع المستقبل لتحقق الأمر (يسحبون فى الحميم) أى يجرون والحميم الماء الشديد الحرارة (ثم فى النار يسجرون) هذا من قولك سجرت التنور اذا ملأته بالنار، فالمعنى أنهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب فى التنور، ولذلك قال مجاهد فى تفسيره توقد بهم النار (تمرحون) من المرح وهو الأشر والبطر وقيل الفخر والخيلاء (فبئس مثوى المتكبرين) إن قيل قياس النظم أن يقول بئس مدخل الكافرين لأنه تقدم قبله ادخلوا. فالجواب: أن الدخول المؤقت بالخلود فى معنى الثوى (فإما نرينك بعض الذى نعدهم) أصل إما نرينك إن نريك ودخلت ما الزائدة بعد إن الشرطية، وجواب الشرط محذوف تقديره إن أريناك بعض الذى نعدهم من العذاب قرت عينك بذلك وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا يرجعون، فننتقم منهم أشد الانتقام (منهم من قصصنا عليك) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول وفى حديث آخر أربعة آلاف، وفى حديث أبى ذر إن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا منهم الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر: فذكر الله بعضهم فى القرآن، فهم الذين قص عليه ولم يذكر سائرهم فهم الذين لم يقصص عليه (فإذا جاء أمر الله قضى بالحق) قال الزمخشرى: أمر الله القيامة، وقال ابن عطية: المعنى إذا أراد

Marfat.com

تأكلون ۝ ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ۝ ويريكم ءايته فأى ءايت الله تنكرون ۝ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وءاثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ۝ فلما جاءتهم رسلهم بالبينت فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فلما رأوا بأسنا قالوا ءامنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ۝ فلم يك ينفعهم إيمنهم لما رأوا بأسنا سنت الله التى قد خلت في عباده وخسر هنالك الكفرون ❋

سورة فصلت

مكية وآياتها ٥٤ نزلت بعد غافر

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ حم ۝ تنزيل من الرحمن الرحيم ۝ كتب فصلت ءايته قرءانا عربيا لقوم يعلمون ۝ بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ❋ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفى

الله إرسال رسول قضى ذلك ويحتمل أن يريد بأمر الله إهلاك المكذبين للرسل لقوله (وخسر هنالك المبطلون) هنالك في الموضعين يراد به الوقت والزمان وأصله ظرف مكان ثم وضع موضع ظرف الزمان (الأنعام) هي الإبل والبقر والضأن والمعز ، فقوله لتركبوا منها يعنى الإبل ومنها تأكلون يعنى اللحوم والمنافع منها اللبن والصوف وغير ذلك (ولتبلغوا عليها حاجة) يعنى قطع المسافة البعيدة وحمل الأثقال على الإبل،وتحملون يريد الركوب عليها وإنما كرره بعد قوله : لتركبوا منها لأنه أراد الركوب الأول المتعارف في القرى والبلدان وبالحمل عليها الأسفار البعيدة ، قاله ابن عطية (ويريكم آياته) هذا عموم بعد ما قدم من الآيات المخصوصة ولذلك وبخهم بقوله فأى آيات الله تنكرون (فرحوا بما عندهم من العلم) الضمير يعود على الأمم المكذبين وفي تفسير علمهم وجوه : أحدها أنه ما كانوا يعتقدون من أنهم لا يبعثون ولا يحاسبون ، والثاني أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها ، والثالث أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرائع وقيل الضمير يعود على الرسل ، أى فرحوا بما أعطاهم الله من العلم بالله وشرائعه أو بما عندهم من العلم بأن الله ينصرهم على من يكذبهم وأما الضمير في وحاق بهم فيعود على الكفار باتفاق ولذلك ترجح أن يكون الضمير في فرحوا يعود عليهم ليتسق الكلام (سنة الله) انتصب على المصدرية والله سبحانه أعلم

سورة حم السجدة

(فصلت) أى بينت وقيل قطعت إلى سور وآيات (قرآنا عربيا) منصوب بفعل مضمر على التخصيص أو حال أو مصدر (لقوم يعلمون) معناه يعلمون الأشياء ويعقلون الدلائل إذا نظروا فيها وذلك هو العلم الذى يوجب التكاليف وقيل معناه يعلمون الحق والإيمان فالأول عام وهذا خاص ، والأول أولى لقوله

Marfat.com

ءاذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون ۝ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلٰهكم إلٰه واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين ۝ الذين لا يؤتون الزكوٰة وهم بالآخرة هم كافرون ۝ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ۝ قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذٰلك رب العالمين ۝ وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ۝ ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها

فاعرض أكثرهم لأن الإعراض ليس من صفة المؤمنين ، وقيل يعلمون لسان العرب فيفهمون القرآن إذ هو بلغتهم ، وقوله لقوم يتعلق بتنزيل أو فصلت والأحسن أن يكون صفة لكتاب (فهم لا يسمعون) أى لا يقبلون ولا يطيعون وعبر عن ذلك بعدم السماع على وجه المبالغة (فى أكنة) جمع كنان وهو الغطاء ، (ومن بيننا وبينك حجاب) عبارة عن بعدهم عن الإسلام (فاعمل إننا عاملون) قيل معناه اعمل على دينك إننا عاملون على ديننا فهى متاركة ، وقيل اعمل فى إبطال أمرنا إننا عاملون فى إبطال أمرك . فهو تهديد (الذين لا يؤتون الزكاة) هى زكاة المال وإنما خصها بالذكر لصعوبتها على الناس ولأنها من أركان الإسلام وقيل يعنى بالزكاة التوحيد وهذا بعيد وإنما حمله على ذلك لأن الآيات مكية ، لم تفرض الزكاة إلا بالمدينة والجواب أن المراد النفقة فى طاعة الله مطلقا وقد كانت مأمورا بها بمكة (أجر غير ممنون) أى غير مقطوع من قولك ، مننت الحبل إذا قطعته وقيل غير منقوص ، قيل غير محصور ، وقيل لا يمن عليهم به لأن المن يكدر الإحسان (أندادا) أى أمثالا وأشباها من الأصنام وغيرها (رواسى) يعنى الجبال (وبارك فيها) أكثر خيرها (وقدر فيها أقواتها) أى أرزاق أهلها ومعاشهم وقيل يعنى أقوات الأرض من المعادن وغيرها من الأشياء التى بها قوام الأرض والأول أظهر (فى أربعة أيام) يريد أن الأربعة كملت باليومين الأولين فخلق الأرض فى يومين وجعل فيها ما ذكر فى يومين ، فتلك أربعة أيام وخلق السموات فى يومين فتلك ستة أيام حسبما ذكر فى مواضع كثيرة ولو كانت هذه الأربعة الأيام زيادة على اليومين المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانية أيام بخلاف ما ذكر فى المواضع الكثيرة (سواء) بالنصب مصدر تقديره استوت استواء قاله الزمخشرى ، وقال ابن عطية انتصب على الحال (للسائلين) قيل معناه لمن سأل عن أمرها وقيل معناه للطالبين لها ، ويعنى بالطلب على هذا حاجة الخلق إليها ، وحرف الجر يتعلق بمحذوف على القول الأول تقديره يبين ذلك لمن سأل عنه ويتعلق بقدر على القول الثانى (ثم استوى إلى السماء) أى قصد إليها ، ويقتضى هذا الترتيب : أن الأرض خلقت قبل السماء ، فإن قيل كيف الجمع بين ذلك وبين قوله « والأرض بعد ذلك دحاها » فالجواب أنها خلقت قبل السماء ، ثم دحيت بعد ذلك (وهى دخان) روى أنه كان العرش على الماء فأخرج إليه من الماء دخان فارتفع فوق الماء وأيبس الماء فصار أرضا ، ثم خلق السموات من الدخان المرتفع (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) هذه عبارة عن لزوم طاعتهما كما يقول الملك لمن تحت يده افعل كذا شئت أو أبيت أى لا بد لك من فعله ، وقيل تقديره ائتيا طوعا وإلا أتيتما كرها ومعنى هذا الإتيان تصويرهما على الكيفية التى أرادها الله وقوله لها ائتيا مجاز وهو عبارة عن تكوينه

Marfat.com

قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۞ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ۞ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ * وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ

لها وكذلك قولها أتينا طائعين عبارة عن أنهما لم يمتنعا عليه حين أراد تكوينهما وقيل بل ذلك حقيقة وأنطق الله الأرض والسماء بقولها أتينا طائعين وإنما جمع طائعين جمع العقلاء لوصفهما بأوصاف العقلاء (فقضاهن سبع سموات) أى صنعهن والضمير للسموات السبع وانتصابها على التمييز تفسيرا للضمير وأعاد عليها ضمير الجماعة المؤنثة لأنها لا تعقل فهو كقولك الجذوع انكسرت وجمعهما جمع المفكر العاقل فى قوله طائعين لأنه وصفهما بالطوع وهو فعل العقلاء فعاملهما معاملتهم فهو كقولك رأيتهم لى ساجدين وأعاد ضمير التثنية فى قوله قالتا أتينا لأنه جعل الأرض فرقة والسماء أخرى (وأوحى فى كل سماء أمرها) أى أوحى إلى سكانها من الملائكة وإليها نفسها ماشاء من الأمور التى بها قوامها وصلاحها وأضاف الأمر إليها لأنه فيها (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) يعنى الشمس والقمر والنجوم وهى زينة للسماء الدنيا سواء كانت فيها أو فيما فوقها من السموات (وحفظا) تقديره وحفظناها حفظا ويجوز أن يكون مفعولا من أجله على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا (فإن أعرضوا) الضمير لقريش (صاعقة) يعنى واقعة واحدة شديدة وهى مستعارة من صاعقة النار وقرئ صعقة بإسكان العين وهى الواقعة من قولك صعق الرجل (إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) معنى مابين الأيدى المتقدم، ومعنى ماخلف المتأخر، فمعنى الآية: أن الرسل جاؤهم فى الزمان المتقدم واتصلت نذارتهم إلى زمان عاد وثمود حتى قامت عليهم الحجة بذلك من بين أيديهم ثم جاءتهم رسل آخرون عند اكتمال أعمارهم فذلك من خلفهم قاله ابن عطية وقال الزمخشرى معناه أتوهم من كل جانب فهو عبارة عن اجتهادهم فى التبليغ إليهم وقيل أخبروهم بما أصاب من قبلهم فذلك مابين أيديهم وأنذروهم مايجرى عليهم فى الزمان المستقبل وفى الآخرة فذلك من خلفهم (أن لا تعبدوا إلا الله) أن حرف عبارة وتفسير أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا إلا الله (فإنا بما أرسلتم به كافرون) ليس فيه اعتراف الكفار بالرسالة وإنما معناه بما أرسلتم على قولكم ودعواكم وفيه تهكم (ريحا صرصرا) قيل إنه من الصرّ وهو شدة البرد فمعناه باردة وقيل إنه من قولك صرصر إذا صوت فمعناه لها صوت هائل (فى أيام نحسات) معناه من النحس وهو ضد السعد وقيل شديدة البرد وقيل متتابعة والأول أرجح، وروى أنها كانت آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وقرئ نحسات بإسكان الحاء وكسرها فأما الكسر فهو جمع نحس وهو صفة وأما الإسكان فتخفيف من الكسر على وزن فعل أو وصف بالمصدر (وأما ثمود فهديناهم) أى بيناهم فهو بمعنى البيان لا بمعنى الإرشاد (فهم يوزعون) أى يدفعون بعنف

Marfat.com

فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ۝ ونجينا الذين ءامنوا وكانوا
يتقون ۝ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ۝ حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون ۝ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم
أول مرة وإليه ترجعون ۝ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن
ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ۝ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ۝
فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين * وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين
أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ۝
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه لعلكم تغلبون * فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا
ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ۝ ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا
بئاياتنا يجحدون * وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا

(وجلودهم) يعنى الجلود المعروفة وقيل هو كناية عن الفروج والأول أظهر (وما كنتم تستترون) الآيات يحتمل أن تكون من كلام الجلود أو من كلام الله تعالى أو الملائكة ، وفى معناه وجهان : أحدهما لم تقدروا أن تستتروا من سمعكم وأبصاركم وجلودكم لأنها ملازمة لكم فلم يمكنكم احتراس من ذلك فشهدت عليكم ، والآخر لم تتحفظوا من شهادة سمعكم وأبصاركم وجلودكم ، لأنكم لم تبالوا بشهادتها ولم تظنوا أنها تشهد عليكم ، وإنما استترتم لأنكم ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ، وهذا أرجح لاتساق ما بعده معه ولما جاء فى الحديث الصحيح عن ابن مسعود : أنه قال اجتمع ثلاثة نفر قرشيان وثقفى قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم ، فتحدثوا بحديث فقال أحدهم أترى الله يسمع ما قلنا ، فقال : الآخر إنه يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا فقال الآخر : إن كان يسمع منا شيئاً فإنه يسمعه كله فنزلت الآية (أرداكم) أى أهلككم من الردى بمعنى الهلاك (وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين) هو من العتب بمعنى الرضا أى إن طلبوا العتبى ليس فيهم من يعطاها (وقيضنا لهم قرناء) أى يسرنا لهم قرناء سوء من الشياطين وغواة الإنس (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) ما بين أيديهم ما تقدم من أعمالهم ، وما خلفهم ما هم عازمون عليه أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة ، والتكذيب بها (وحق عليهم القول) أى سبق عليهم القضاء بعذابهم (فى أمم) أى فى جملة أمم . وقيل فى بمعنى مع (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) روى أن قائل هذه المقالة أبو جهل بن هشام لعنه الله (والغوا فيه) المعنى لا تسمعوا إليه ، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات وإنشاد الشعر وشبه ذلك حتى لا يسمعه أحد . وقيل معناه قعوا فيه وعيبوه (أرنا اللذين أضلانا) يقولون هذا إذا دخلوا جهنم . وقولهم مستقبل ذكر بلفظ الماضى لتحققه ، ومعنى اللذين أضلانا : كل من أغوانا

لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۞ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۞ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي

من الجن والإنس ، وقيل المراد ولد آدم الذى سن القتل وإبليس الذى أمر بالكفر والعصيان وهذا باطل لأن ولد آدم مؤمن عاصي وإنما طلب هؤلاء من أضلهم بالكفر (تحت أقدامنا) أى فى أسفل طبقة من النار (ثم استقاموا) قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، استقاموا على قولهم ربنا الله ، فصح إيمانهم ودام توحيدهم وقال عمر بن الخطاب المعنى استقاموا على الطاعة وترك المعاصى وقول عمر أكمل وأحوط وقول أبى بكر أرجح لما روى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال قد قالها قوم ثم كفروا فمن مات عليها فهو ممن استقام ، وقال بعض الصوفية : معنى استقاموا أعرضوا عما سوى الله وهذه حالة الكمال على أن اللفظ لا يقتضيه (تتنزل عليهم الملائكة) يعنى عند الموت (ولكم فيها) الضمير للآخرة (ماتدعون) أى ماتطلبون (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله) أى لا أحد أحسن قولا منه ويدخل فى ذلك كل من دعا إلى عبادة الله أو طاعته على العموم ، وقيل : المراد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل المؤذنون وهذا بعيد لأنها مكية ، وإنما شرع الأذان بالمدينة ولكن المؤذنون يدخلون فى العموم (وما يلقاها) الضمير يعود على الخلق الجميل الذى يتضمنه قوله ادفع بالتى هى أحسن (ذو حظ عظيم) أى حظ من العقل والفضل وقيل حظ عظيم فى الجنة (وإما ينزغنك) إن شرطية دخلت عليها ما الزائدة ونزغ الشيطان وساوسه وأمره بالسوء (الذى خلقهن) الضمير يعود على الليل والنهار والشمس والقمر ، لأن جماعة مالا يعقل كجماعة المؤنث أو كالواحدة المؤنثة ، وقيل إنما يعود على الشمس والقمر وجمعهما لأن الاثنين جمع وهذا بعيد ، (الذين عند ربك) الملائكة (لا يسئمون) أى لا يملون (الأرض خاشعة) عبارة عن قلة النبات (اهتزت) ذكر فى الحج (إن الذى أحياها لمحيى الموتى) تمثيل واحتجاج على صحة البعث (إن الذين يلحدون فى آياتنا) أى يطعنون عليها وهذا الإلحاد هو بالتكذيب وقيل باللغو فيه حسبما تقدم فى السورة (أفمن يلقى فى النار)

Marfat.com

النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۞ لَّا يَأْتِيهِ الْبَـٰطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۞ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـٰبَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۞ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ

الآية : قيل إن المراد بالذى يلقى فى النار أبو جهل وبالذى يأتى آمناً عثمان بن عفان وقيل عمار بن ياسر واللفظ أعم من ذلك (اعملوا ماشئتم) تهديد لا إباحة (إن الذين كفروا بالذكر) الذكر هنا القرآن باتفاق وخبر إن محذوف تقديره ضلوا أو هلكوا ، وقيل خبرها أولئك ينادون من مكان بعيد ، وذلك بعيد (وإنه لكتاب عزيز) أى كريم على الله ، وقيل منيع من الشيطان (لا يأتيه الباطل) أى ليس فيما تقدمه ما يبطله ولا يأتى بعده ما يبطله والمراد على الجملة أنه لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) فى معناه قولان : أحدهما ما يقول الله لك من الوحى والشرائع ، إلا مثل ما قال للرسل من قبلك ، والآخر ما يقول لك الكفار من التكذيب والأذى إلا مثل ما قالت الأمم المتقدمون لرسلهم فالمراد على هذا تسلية النبى صلى الله عليه وسلم بالتأسى ، والمراد على القول الأول أنه عليه الصلاة والسلام أتى بما جاءت به الرسل فلا تنكر رسالته (إن ربك لذو مغفرة) يحتمل أن يكون مستأنفاً ، أو يكون هو المقول فى الآية المتقدمة وذلك على القول الأول ، وأما على القول الثانى فهو مستأنف منقطع عما قبله ، (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته) الأعجمى الذى لا يفصح ولا يبين كلامه سواء كان من العرب أو من العجم والعجمى الذى ليس من العرب فصيحاً كان أو غير فصيح ، ونزلت الآية بسبب طعن قريش فى القرآن ، فالمعنى أنه لو كان أعجمياً لطعنوا فيه وقالوا هلا كان مبيناً فظهر أنهم يطعنون فيه على أى وجه كان (ءأعجمى وعربى) هذا من تمام كلامهم والهمزة للإنكار ، والمعنى : أنه لو كان القرآن أعجمياً لقالوا قرآن أعجمى ورسول عربى ، أو مرسل إليه عربى ، وقيل إنما طعنوا فيه لما فيه من الكلمات العجمية ، كسجين وإستبرق فقالوا قرآن أعجمى وعربى ، أى مختلط من كلام العرب والعجم ، وهذا يجرى على قراءة أعجمى بفتح العين (فى آذانهم وقر) عبارة عن إعراضهم عن القرآن فكأنهم صم لا يسمعون وكذلك (وهو عليهم عمى) عبارة عن قلة فهمهم له (أولئك ينادون من مكان بعيد) فيه قولان : أحدهما عبارة عن قلة فهمهم فشبههم بمن ينادى من مكان بعيد فهو لا يسمع الصوت ولا يفقه ما يقال ، والثانى أنه حقيقة فى يوم القيامة ، أى ينادون من مكان بعيد ليسمعوا أهل الموقف توبيخهم ، والأول أليق بالكنايات التى قبلها (كلمة سبقت من ربك)

Marfat.com

يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا ءَاذَنَّٰكَ مَامِنَّا مِن شَهِيدٍ ۝ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَالَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝

يعنى القدر (إليه يرد علم الساعة) أى علم زمان وقوعها ، فإذا سئل أحد عن ذلك قال : الله هو الذى يعلمها (من أكمامها) جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها (ويوم يناديهم أين شركائى) العامل فى يوم محذوف والمراد به يوم القيامة ، والضمير للمشركين وقوله أين شركائى توبيخ لهم ، وأضاف الشركاء إلى نفسه على زعم المشركين ، كأنه قال الشركاء الذين جعلتم لى (قالوا آذناك مامنا من شهيد) المعنى : أنهم قالوا أعلمناك مامنا من يشهد اليوم بأن لك شريكا لأنهم كفروا يوم القيامة بشركائهم (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أى ضل عنهم شركاؤهم بمعنى أنهم لا يرونهم حينئذ فما على هذا موصولة أوضل عنهم قولهم الذى كانوا يقولون من الشرك ، فما على هذا مصدرية (وظنوا مالهم من محيص) الظن هنا بمعنى اليقين ، والمحيص المهرب : أى علموا أنهم لامهرب لهم من العذاب وقيل يوقف على ظنوا ، ويكون مالهم : استئنافا ، وذلك ضعيف (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير) أى لا يمل من الدعاء بالمال والعافية وشبه ذلك ، ونزلت الآية فى الوليد بن المغيرة ، وقيل فى غيره من الكفار واللفظ أعم من ذلك (ليقولن هذا لى) أى هذا حق الواجب لى ، وليس تفضلا من الله ولا يقول هذا إلا كافر ، ويدل على ذلك قوله (وما أظن الساعة قائمة) وقوله (ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى) معناه إن بعثت تكون لى الجنة وهذا تخرص وتكبر ، وروى أن الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة (ونأى بجانبه) ذكر فى الإسراء (دعاء عريض) أى كثير ، وذكر الله هذه الأخلاق على وجه الذم لها (قل أرأيتم إن كان من عند الله) الآية معناها أخبرونى إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به ألستم فى شقاق بعيد فوضع قوله من أضل موضع الخطاب لهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) الضمير لقريش وفيها ثلاثة أقوال : أحدها أن الآيات فى الآفاق هى فتح الأقطار للمسلمين والآيات فى أنفسهم هى فتح مكة فجمع ذلك وعدا للمسلمين بالظهور ، وتهديدا للكفار ، واحتجاجا عليهم بظهور الحق وخمول الباطل ، والثانى أن الآيات فى الآفاق هى ما أصاب الأمم المتقدمة من الهلاك وفى أنفسهم يوم بدر . الثالث أن الآيات فى الآفاق : هى خلق السماء ومافيها من العبر والآيات ، وفى أنفسهم خلقة بنى آدم وهذا ضعيف لأنه قال سنريهم بسين الاستقبال ، وقد كانت السموات وخلقة بنى آدم مرئية والأول هو الراجح (إنه لحق) الضمير للقرآن أو للإسلام (محيط) أى محيط بعلمه وقدرته وسلطانه

Marfat.com

ســـورة الشورى

مكية إلا الآيات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ فمدنية وآياتها ٥٣ نزلت بعد فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حم ۝ عسق ۝ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ

ســـورة الشورى

(حم عسق) الكلام فيه كسائر حروف الهجاء حسبما تقدم في سورة البقرة ، وقد حكى الطبري أن رجلا سأل ابن عباس عن حم عسق فأعرض عنه ، فقال حذيفة إنما كرهها ابن عباس لأنها نزلت في رجل من أهل بيته اسمه عبد الله يبني مدينة على نهر من أنهار المشرق ثم يخسف الله بها في آخر الزمان ، والرجل على هذا أبو جعفر المنصور والمدينة بغداد وقد ورد في الحديث الصحيح أنها يخسف بها (كذلك يوحي إليك) الكاف نعت لمصدر محذوف والإشارة بذلك إلى ما تضمنه القرآن أو السورة ، وقيل الإشارة لقوله حم عسق فإن الله أنزل هذه الأحرف بعينها في كل كتاب أنزله ، وفي صحة هذا نظر (الله العزيز الحكيم) اسم الله فاعل بيوحي ، وأما على قراءة يوحى بالفتح فهو فاعل بفعل مضمر دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الذي أوحى فقيل الله (تكاد السموات يتفطرن) أي يتشققن من خوف الله وعظيم جلاله ، وقيل من قول الكفار اتخذ الله ولدا ، فهي كالآية التي في مريم قال ابن عطية : وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثقل ونحوه : مردود لأن الله تعالى لا يوصف به (من فوقهن) الضمير للسموات والمعنى يتشققن من أعلاهن ، وذلك مبالغة في التهويل ، وقيل الضمير للأرضين وهذا بعيد ، وقيل الضمير للكفار كأنه قال من فوق الجماعات الكافرة التي من أجل أقوالها تكاد السموات يتفطرن ، وهذا أيضا بعيد (ويستغفرون لمن في الأرض) عموم يراد به الخصوص لأن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض ، فهي كقوله ويستغفرون للذين آمنوا . وقيل إن يستغفرون للذين آمنوا نسخ هذه الآية ، وهذا باطل ، لأن النسخ لا يدخل في الأخبار ، ويحتمل أن يريد بالاستغفار طلب الحلم عن أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم ، ومعناه الإمهال ، لهم وأن لا يعاجلوا بالعقوبة فيكون عاما ، فإن قيل : ما وجه اتصال قوله والملائكة يسبحون الآية : بما قبلها ؟ فالجواب أنا إن فسرنا تفطر السموات بأنه من عظمة الله فإنه يكون تسبيح الملائكة أيضا تعظيما له فينتظم الكلام ، وإن فسرنا تفطرها بأنه من كفر بني آدم فيكون تسبيح الملائكة تنزيها لله تعالى عن كفر بني آدم وعن أقوالهم القبيحة (أم القرى) هي مكة ، والمراد أهلها ، ولذلك عطف عليه من حولها يعني من الناس (يوم الجمع) يعني يوم القيامة

هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝ فَاطِرُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَٰبَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝ فَلِذَٰلِكَ

وسمى بذلك لأن الخلائق يجتمعون فيه (أم اتخذوا) أم منقطعة . والأولياء هنا المعبودون من دون الله (فحكمه إلى الله) أى ما اختلفتم فيه أنتم والكفار من أمر الدين فحكمه إلى الله بأن يعاقب المبطل ويثيب المحق أو مااختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم كقوله فردوه إلى الله والرسول (من أنفسكم أزواجا) يعنى الإناث (ومن الأنعام أزواجا) يحتمل أن يريد الإناث أو الأصناف (يذرؤكم فيه) معنى يذرؤكم يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن ، وقيل يكثركم ، والضمير المجرور يعود على الجعل الذى يتضمنه قوله جعل لكم ، وهذا كما تقول كلمت زيدا كلاما أكرمته فيه . وقيل الضمير للتزويج الذى دل عليه قوله أزواجاً ، وقال الزمخشرى تقديره يذرؤكم فى هذا التدبير . وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجا ، والضمير فى يذرؤكم خطاب للناس والأنعام غلب فيه العقلاء على غيرهم ، فإن قيل : لم قال يذرؤكم فيه وهلا قال يذرؤكم به ؟ فالجواب : أن هذا التدبير جعل كالمنبع والمعدن للبث والتكثير قاله الزمخشرى (ليس كمثله شيء) تنزيه لله تعالى عن مشابهة المخلوقين ، قال كثير من الناس الكاف زائدة للتأكيد ، والمعنى ليس مثله شيء ، وقال الطبرى وغيره ليست بزائدة ، ولكن وضع مثله موضع هو ، والمعنى ليس كهو شيء قال الزمخشرى : وهذا كما تقول مثلك لا يبخل ، والمراد أنت لا تبخل . فنفى البخل عن مثله والمراد نفيه عن ذاته (مقاليد) قد ذكر (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا) اتفق دين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع جميع الأنبياء فى أصول الاعتقادات ، وذلك هو المراد هنا ، ولذلك فسره بقوله أن أقيموا الدين يعنى إقامة الإسلام الذى هو توحيد الله وطاعته ، والإيمان برسله وكتبه وبالدار الآخرة ، وأما الأحكام الفروعية فاختلفت فيها الشرائع فليست تراد هنا (أن أقيموا) يحتمل أن تكون أن فى موضع نصب بدلا من قوله ماوصى أو فى موضع خفض بدلا من به أو فى موضع رفع على خبر ابتداء مضمر أو تكون مفسرة لا موضع لها من الإعراب (كبر على المشركين ماتدعوهم إليه) أى صعب الإسلام على المشركين (الله يجتبى إليه من يشاء) الضمير فى إليه يعود على الله تعالى وقيل على الدين (وما تفرقوا) يعنى أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم (ولولا كلمة) يعنى القضاء السابق بأن لا يفصل بينهم فى الدنيا (وإن الذين أورثوا الكتاب) يعنى المعاصرين لسيدنا

Marfat.com

فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ وَالَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ اللَّهُ الَّذِىٓ أَنزَلَ الْكِتَـٰبَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَآ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِى السَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ ۝ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُ ۝ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِى الْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ

محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى ، وقيل يعني العرب ، والكتاب على هذا القرآن (فى شك منه) الضمير للكتاب ، أو للدين أو لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فلذلك فادع) أى إلى ذلك الذى شرع الله فادع الناس فاللام بمعنى إلى والإشارة بذلك إلى قوله شرع لكم من الدين أو إلى قوله ما تدعوهم إليه وقيل إن اللام بمعنى أجل والإشارة إلى التفرق والاختلاف أى لأجل ما حدث من التفرق ادع إلى الله وعلى هذا يكون قوله واستقم معطوفا وعلى الأول يكون مستأنفا فيوقف على فادع. استقم (كما أمرت) أى دم على ما أمرت به من عبادة الله وطاعته وتبليغ رسالته (ولا تتبع أهواءهم) الضمير للكفار وأهواؤهم ما كانوا يحبون من الكفر والباطل كله (وأمرت لأعدل بينكم) قيل يعنى العدل فى الأحكام إذا تخاصموا إليه ، ويحتمل أن يريد العدل فى دعائهم إلى دين الإسلام أى أمرت أن أحملكم على الحق (لا حجة بيننا وبينكم) أى لا جدال ولا مناظرة . فإن الحق قد ظهر وأنتم تعاندون (والذين يحاجون فى الله) أى يجادلون المؤمنين فى دين الإسلام ، ويعنى كفار قريش ، وقيل اليهود (من بعد ما استجيب له) الضمير يعود على الله أى من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا فى دينه ، وقيل يعود على الدين وقيل على محمد صلى الله عليه وسلم ، والأول أظهر وأحسن (حجتهم داحضة) أى زاهقة باطلة (أنزل الكتاب) يعنى جنس الكتاب (بالحق) أى بالواجب أو متضمنا الحق (والميزان) قال ابن عباس وغيره يعنى العدل ، ومعنى إنزال العدل . إنزال الأمر به فى الكتب المنزلة ، وقيل يعنى الميزان المعروف . فإن قيل : ما وجه اتصال ذكر الكتاب والميزان بذكر الساعة؟ فالجواب أن الساعة يوم الجزاء والحساب ، فكأنه قال اعدلوا وافعلوا الصواب قبل اليوم الذى تحاسبون فيه على أعمالكم (لعل الساعة قريب) جاء قريب ، بالتذكير لأن تأنيث الساعة غير حقيقى ، ولأن المراد به وقت الساعة (يستعجل بها) أى يطلبون تعجيلها استهزاء بها وتعجيزاً للمؤمنين (يمارون) أى يجادلون ويخالفون (يرزق من يشاء) يعنى الرزق الزائد على المضمون لكل حيوان فى قوله : وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها : أى ما تقوم به الحياة . فإن هذا على العموم لكل حيوان طول عمره والزائد خاص بمن شاء الله (حرث الآخرة) عبارة عن العمل لها وكذلك حرث الدنيا وهو مستعار من حرث الأرض لأن الحراث يعمل وينتظر المنفعة بما عمل (نزد له فى حرثه) عبارة عن تضعيف الثواب (نؤته منها) أى نؤته منها ما قدر له لأن كل أحد لا بد أن يصل إلى ما قسم

Marfat.com

وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تَرَى الظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ
بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝
ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ
وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ
يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ
عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ

له (وماله فى الآخرة من نصيب) هذا للكفار، أو لمن كان يريد الدنيا خاصة، ولا رغبة له فى الآخرة (أم لهم شركاء) أم منقطعة للإنكار والتوبيخ، والشركاء الأصنام وغيرها، وقيل الشياطين (شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) الضمير فى شرعوا للشركاء، وفى لهم للكفار، وقيل بالعكس والأول أظهر ولم يأذن بمعنى لم يأمر، والمراد بما شرعوا من البواطل فى الاعتقادات وفى الأعمال كالبحيرة والوصيلة وغير ذلك (ولولا كلمة الفصل) أى لولا القضاء السابق بأن لايقضى بينهم فى الدنيا لقضى بينهم فيها (ترى الظالمين مشفقين) يعنى فى الآخرة (ذلك الذى يبشر الله عباده) تقديره يبشر به وحذف الجار والمجرور (إلا المودة فى القربى) فيه أربعة أقوال: الأول أن القربى بمعنى القرابة، وفى بمعنى من أجل، والمعنى لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودونى لأجل القرابة التى بينى وبينكم فالمقصد على هذا استعطاف قريش ولم يكن فيهم بطن إلا وبينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم قرابة: الثانى أن القربى بمعنى الأقارب، أو ذوى القربى والمعنى إلا أن تودوا أقاربى وتحفظونى فيهم، والمقصد على هذا وصية بأهل البيت: الثالث أن القربى قرابة الناس بعضهم من بعض، والمعنى أن تودوا أقاربكم، والمقصود على هذا وصية بصلة الأرحام: الرابع أن القربى التقرب إلى الله، والمعنى إلا أن تتقربوا إلى الله بطاعته، والاستثناء على القول الثالث والرابع منقطع، وأما على الأول والثانى فيحتمل الانقطاع لأن المودة ليست بأجر، ويحتمل الاتصال على المجاز كأنه قال لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فجعل المودة كالأجر (يقترف) أى يكتسب (نزد له فيها حسنا) يعنى مضاعفة الثواب (أم يقولون) أم منقطعة للإنكار والتوبيخ (فإن يشأ الله يختم على قلبك) فالمقصد بهذا قولان: أحدهما أنه رد على الكفار فى قولهم أفترى على الله كذباً: أى لو افتريت على الله كذباً لختم على قلبك ولكنك لم تفتر على الله كذبا فقد هداك وسددك، والآخر أن المراد إن يشأ الله يختم على قلبك بالصبر على أقوال الكفار وتحمل أذاهم (ويمح الله الباطل) هذا فعل مستأنف غير معطوف على ماقبله لأن الذى قبله مجزوم وهذا مرفوع فيوقف على ماقبله ويبدأ به، وفى المراد به وجهان أحدهما أنه من تمام ماقبله: أى لو افتريت على الله كذبا لختم على قلبك ومحا الباطل الذى كنت تفتريه لو افتريت. والآخر أنه وعد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يمحو الله الباطل وهو الكفر ويحق الحق وهو الإسلام (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) عن هنا بمعنى من، وكأنه قال التوبة الصادرة من عباده وقبول

Marfat.com

وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ۝ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ۝ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ

التوبة على ثلاثة أوجه : أحدها التوبة من الكفر فهى مقبولة قطعا والثانى التوبة من مظالم العباد فهى غير مقبولة حتى ترد المظالم أو يستحل منها والثالث التوبة من المعاصى التى بين العبد وبين الله فالصحيح أنها مقبولة بدليل هذه الآية وقيل إنها فى المشيئة (ويعفو عن السيئات) العفو مع التوبة على حسب ماذكرنا وأما العفو دون التوبة فهو على أربعة أقسام الأول العفو عن الكفر وهو لا يكون أصلا والثانى العفو عن مظالم العباد وهو كذلك والثالث العفو عن الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر وهو حاصل باتفاق الرابع العفو عن الكبائر فمذهب أهل السنة فى المشيئة ومذهب المعتزلة أنها لا تغفر إلا بالتوبة (ويستجيب الذين آمنوا) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معنى يستجيب يجيب والذين آمنوا مفعول والفاعل ضمير يعود على الله تعالى أى يجيبهم فيما يطلبون منه وقال الزمخشرى أى أصله يستجيب للذين آمنوا لحذف اللام والثانى أن معناه يجيب والذين آمنوا فاعل أى يستجيب المؤمنون لربهم باتباع دينه والثالث أن معناه يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم واستفعل على هذا على بابه من الطلب والأول أرجح لدلالة قوله ويزيدهم من فضله ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل (ويزيدهم من فضله) أى يزيدهم مالا يطلبون زيادة على الاستجابة فيما طلبوا وهذه الزيادة روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنها الشفاعة والرضوان (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض) أى بغى بعضهم على بعض وطغوا لأن الغنى يوجب الطغيان وقال بعض الصحابة فينا نزلت لأنا نظرنا إلى أموال الكفار فتمنيناها (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا) قيل لعمر رضى الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال الآن يمطرون وأخذ ذلك من هذه الآية ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اشتدى أزمة تنفرجى (وينشر رحمته) قيل يعنى المطر فهو تكرار للمعنى الأول بلفظ آخر وقيل يعنى الشمس وقيل بالعموم (ومابث فيهما من دابة) لا إشكال لأن الدواب فى الأرض وأما فى السماء فقيل يعنى الملائكة وقيل يمكن أن تكون فى السماء دواب لا نعلمها نحن وقيل المعنى أنه بث فى أحدهما فذكر الاثنين كما تقول فى بنى فلان كذا وإنما هو فى بعضهم (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) يريد جمع الخلق فى الحشر يوم القيامة (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المعنى أن المصائب التى تصيب الناس فى أنفسهم وأموالهم إنما هى بسبب الذنوب قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا يصيب ابن آدم خدش عود أو عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفوا الله عنه أكثر وقرئ بما كسبت بغير فاء على أن يكون ما أصابكم بمعنى الذى وقرئ بالفاء على أن يكون ما أصابكم شرطا (بمعجزين) قد ذكر (الجوارى) جمع جارية وهى السفينة (كالأعلام)

Marfat.com

فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ * وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ * فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٭ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٭ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ

جمع علم وهو الجبل (إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) الضمير فى يظللن للجوارى وفى ظهره للجر ، أى لو أراد الله أن يسكن الرياح لبقيت السفن واقفة على ظهر البحر فالمقصود تعديد النعمة فى إرسال الرياح أو تهديد بإسكانه (أو يوبقهن بما كسبوا) عطف على يسكن الريح ، ومعنى يوبقهن يهلكهن بالغرق من شدة الرياح العاصفة والضمير فيه للسفن، وفى كسبوا لركابها من الناس والمعنى أنه لو شاء لأغرقها بذنوب الناس (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ما لهم من محيص) أى يعلمون أنه لا مهرب لهم من الله وقرئ يعلم بالرفع على الاستئناف ، وبالنصب واختلف فى إعرابه على قولين: أحدهما أنه نصب بإضمار أن بعد الواو لما وقعت بعد الشرط والجزاء لأنه غير واجب وأنكر ذلك الزمخشرى وقال إنه شاذ فلا ينبغى أن يحمل القرآن عليه ، والثانى قول الزمخشرى إنه معطوف على تعليل محذوف تقديره ، لينتقم منهم ويعلم ، قال ونحوه من المعطوف على التعاليل المحذوف فى القرآن كثير ، ومنه قوله ولنجعله آية للناس (كبائر الإثم) ذكرنا الكبائر فى النساء. وقيل كبائر الإثم: هو الشرك، والفواحش: هى الزنا واللفظ أعم من ذلك (والذين استجابوا لربهم) قيل يعنى الأنصار لأنهم استجابوا لما دعاهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام ، ويظهر لى أن هذه الآية إشارة إلى ذكر الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ، لأنه بدأ أولا بصفات أبى بكر الصديق ، ثم صفات عمر بن الخطاب ثم صفات عثمان بن عفان ثم صفات على بن أبى طالب ، فكونه جمع هذه الصفات ورتبها على هذا الترتيب يدل على أنه قصد بها من اتصف بذلك فأما صفات أبى بكر فقوله : الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، وإنما جعلناها صفة أبى بكر وإن كان جميعهم متصفا بها لأن أبا بكر كانت له فيها مزية لم تكن لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان الأمة لرجحهم وقال صلى الله عليه وسلم أنا مدينة الإيمان وأبو بكر بابها وقال أبو بكر لو كشف الغطاء لما ازددت إلا يقينا والتوكل إنما يقوى بقوة الإيمان . أما صفات عمر فقوله : والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش لأن ذلك هو التقوى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا مدينة التقوى وعمر بابها وقوله وإذا ما غضبوا هم يغفرون ، وقوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله نزلت فى عمر ، وأما صفات عثمان فقوله : والذين استجابوا لربهم لأن عثمان لما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الايمان تبعه وبادر إلى الاسلام وقوله وأقاموا الصلاة ، لأن عثمان كان كثير الصلاة بالليل ، وفيه نزلت أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الآية : وروى أنه كان يحيى الليل بركعة يقرأ فيها القرآن كله ، وقوله وأمرهم شورى بينهم لأن عثمان ولى الخلافة بالشورى ، وقوله ومما رزقناهم ينفقون ، لأن عثمان كان كثير النفقة فى سبيل الله ويكفيك أنه جهز جيش العسرة ، وأما صفة على فقوله والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ، لأنه لما

هُمْ يَنْتَصِرُونَ ۝ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ۝ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ۝ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ

قاتلته الفئة الباغية قاتلها انتصارا للحق ، وانظر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المقاتلين لعلى الفئة الباغية حسبما ورد فى الحديث الصحيح أنه قال لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية فذلك هو البغى الذى أصابه وقوله « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » إشارة إلى فعل الحسن بن علىّ حين بايع معاوية ، وأسقط حق نفسه ليصلح أحوال المسلمين ، ويحقن دماءهم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فى الحسن إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقوله ولمن انتصر بعد ظلمه ، فأولئك ماعليهم من سبيل إشارة إلى انتصار الحسين بعد موت الحسن ، وطلبه للخلافة وانتصاره من بنى أمية ، وقوله « إنما السبيل على الذين يظلمون الناس » إشارة إلى بنى أمية ، فإنهم استطالوا على الناس كما جاء فى الحديث عنهم ، أنهم جعلوا عباد الله خولا ومال الله دولا ويكفيك من ظلمهم أنهم كانوا يلعنون على بن أبى طالب على منابرهم ، وقوله « ولمن صبر وغفر » الآية إشارة إلى صبر أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم على ما نالهم من الضر والذل ، طول مدة بنى أمية (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمى العقوبة باسم الذنب وجعلها مثلها تحرزا من الزيادة عليها (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) هذا يدل على أن العفو عن الظلمة أفضل من الانتصار ، لأنه ضمن الأجر فى العفو ، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة فى قوله « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل » وقيل إن الانتصار أفضل ، والأول أصح فإن قيل كيف ذكر الانتصار فى صفات المدح فى قوله « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » والمباح لامدح فيه ولاذم ، فالجواب : من ثلاثة أوجه أحدها أن المباح قد يمدح لأنه قيام بحق لا بباطل ، والثانى أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظلم تحرزا ممن بدأ بالظلم فكأن المدح إنما هو بترك الابتداء بالظلم ، والثالث إن كانت الإشارة بذلك إلى على بن أبى طالب حسبما ذكرنا فانتصاره محمود ، لأن قتال أهل البغى واجب لقوله تعالى « فقاتلوا التى تبغى » (يعرضون عليها) أى على النار (خاشعين من الذل) عبارة عن الذل والكآبة ، ومن الذل يتعلق بخاشعين (ينظرون من طرف خفى) فيه قولان : أحدهما أنه عبارة عن الذل ، لأن نظر الذليل بمهابة واستكانة والآخر أنهم يحشرون عميا فلا ينظرون بأبصارهم ، وإنما ينظرون بقلوبهم واستبعد هذا ابن عطية والزمخشرى : والطرف يحتمل أن يريد به العين أو يكون مصدرا (يوم القيامة) يتعلق بقال أو بخسروا (ألا إن الظالمين) يحتمل أن يكون من كلام الذين آمنوا أو مستأنفا من كلام الله تعالى (لامرد له)

Marfat.com

ٱللَّهِ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ۝ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ۝ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ۝ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝

ذكر فى الروم (من نكير) أى إنكار يعنى لاتنكرون أعمالكم (يهب لمن يشاء إناثا) قدم الإناث اعتناء بهن وتأنيسا لمن وهبهن له. قال واثلة بن الأسقع من يمن المرأة تبكيرها بأنثى قبل الذكر، لأن الله بدأ بالإناث وقال بعضهم: نزلت هذه الآية فى الأنبياء عليهم السلام فشعيب ولوط كان لهما إناث دون ذكور وإبراهيم كان له ذكور دون إناث، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم جمع الإناث والذكور ويحيى كان عقيما والظاهر أنها على العموم فى جميع الناس، إذ كل واحد منهم لايخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التى ذكر وفى الآية من أدوات البيان التقسيم (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا) الآية: بين الله تعالى فيها كلامه لعباده وجعله على ثلاثة أوجه أحدها الوحى المذكور أولا وهو الذى يكون بإلهام أومنام والآخر أن يسمعه كلامه من وراء حجاب الثالث الوحى بواسطة الملك وهوقوله أويرسل رسولا يعنى ملكا فيوحى بإذنه مايشاء إلى النبى وهذا خاص بالأنبياء والثانى خاص بموسى وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم إذكلمه الله ليلة الإسراء وأما الأول فيكون للأنبياء والأولياء كثيرا وقد يكون لسائر الخلق ومنه وأوحى ربك إلى النحل ومنه منامات الناس (أو يرسل رسولا) قرئ يرسل، ويوحى بالرفع على تقدير أو هو يرسل وبالنصب عطفا على وحيا لأن تقديره أن يوحى عطف على أن المقدرة (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الروح هنا القرآن والمعنى مثل هذا الوحى وهو بإرسال ملك أوحينا إليك القرآن والأمر هنايحتمل أن يكون واحد الأمور أو يكون من الأمر بالشىء (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان) المقصد بهذا شيئان أحدهما تعداد النعمة عليه صلى الله عليه وسلم بأن علمه الله مالم يكن يعلم والآخر احتجاج على نبوته لكونه أتى بما لم يكن يعلمه ولا تعلمه من أحد. فإن قيل أما كونه لم يكن يدرى الكتاب فلا إشكال فيه وأما الإيمان ففيه إشكال لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل مبعثهم. فالجواب أن الإيمان يحتوى على معارف كثيرة وإنما كمل له معرفتها بعد بعثه وقد كان مؤمنا بالله قبل ذلك فالإيمان هنا يعنى به كمال المعرفة وهى التى حصلت له بالنبوة (ولكن جعلناه نورا) الضمير للقرآن

ســـــورة الزخرف

مكية إلا آية ٥٤ فمدنية وآياتها ٨٩ نزلت بعد الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم ه حم ه والكتاب المبين * إنا جعلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون ه وإنه فى
أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ه أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين ه وكم أرسلنا من نبى فى
الأولين وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزءون ه فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين ه ولئن
سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ه الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل
لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ه والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون ه
والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ه لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة

ســـــورة الزخرف

(والكتاب المبين) يعنى القرآن والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين ، أو المبين لغيره (وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) أم الكتاب . اللوح المحفوظ والمعنى أن القرآن وصف فى اللوح بأنه على حكيم ، وقيل المعنى أن القرآن نسخ بجملته فى اللوح المحفوظ ومنه كان جبريل ينقله فوصفه الله بأنه على حكيم لكونه مكتوب فى اللوح المحفوظ والأول أظهر وأشهر (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) الهمزة للإنكار والمعنى أنمسك عنكم الذكر ونضرب من قولك أضربت عن كذا إذا تركته والذكر يراد به القرآن أو التذكير والوعظ وصفحا فيه وجهان : أحدهما أنه بمعنى الإعراض ، تقول صفحت عنه إذا أعرضت عنه فكأنه قال أنترك تذكيركم إعراضا عنكم وإعراب صفحا على هذا مصدر من المعنى أو مفعول من أجله أو مصدر فى موضع الحال والآخر أن يكون بمعنى العفو والغفران ، فكأنه يقول أنمسك عنكم الذكر عفوا عنكم وغفرانا لذنوبكم وإعراب صفحا على هذا مفعول من أجله أو مصدر فى موضع الحال (أن كنتم قوما مسرفين) قرئ بكسر الهمزة على الشرط والجواب فى الكلام الذى قبله وقرئ بالفتح على أنه مفعول من أجله (أشد منهم بطشا) الضمير لقريش وهم المخاطبون بقوله أن كنتم قوما مسرفين ، فإن قيل كيف قال إن كنتم على الشرط بحرف إن التى معناها الشك ومعلوم أنهم كانوا مسرفين ، فالجواب أن فى ذلك إشارة إلى توبيخهم على الإسراف وتجهيلهم فى ارتكابه فكأنه شىء لا يقع من عاقل فلذلك وضع حرف التوقع فى موضع الواقع (ومضى مثل الأولين) أى تقدم فى القرآن ذكر حال الأولين وكيفية إهلاكهم لما كفروا (ولئن سألتهم) الآية احتجاج على قريش لأنهم كانوا يعترفون أن الله هو الذى خلق السموات والأرض وكانوا مع اعترافهم بذلك يعبدون غيره ، ومقتضى جوابهم أن يقولوا خلقهن الله ، فلما ذكر هذا المعنى جاءت العبارة عن الله بالعزيز العليم لأن اعترافهم بأنه خلق السموات والأرض يقتضى أن يعترفوا بأنه عزيز عليم ، وأما قوله الذى جعل لكم فهو من كلام الله لا من كلامهم (مهاداً) أى فراشاً على وجه التشبيه (سبلا) أى طرقا تمشون فيها (ماء بقدر) أى بمقدار ووزن معلوم وقيل معناه بقضاء (كذلك تخرجون) تمثيل للخروج من القبور بخروج النبات من الأرض (الأزواج كلها)

Marfat.com

رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَـٰنَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝
وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ۝ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَـٰكُم بِالْبَنِينَ ۝ وَإِذَا
بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ
غَيْرُ مُبِينٍ ۝ وَجَعَلُوا الْمَلَـٰٓئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ الرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۝

يعنى أصناف الحيوان والنبات وغير ذلك (لتستووا على ظهوره) الضمير يعود على ماتركبون (ثم تذكروا نعمة ربكم) يحتمل أن يكون هذا لذكر بالقلب أو باللسان، ويحتمل أن يريد النعمة فى تسخير هذا المركوب أو النعمة على الاطلاق، وكان بعض السلف اذا ركب دابة يقول الحمد لله الذى هدانا للإسلام، ثم يقول سبحان الذى سخر لنا هذا (وما كنا له مقرنين) أى مطيقين وغالبين (وإنا إلى ربنا لمنقلبون) اعتراف بالحشر فإن قيل مامناسبة هذا للركوب؟ فالجواب: أن راكب السفينة أو الدابة متعرض للهلاك بما يخاف من غرق السفينة أو سقوطه عن الدابة، فأمر بذكر الحشر ليكون مستعدا للموت الذى قد يعرض له وقيل يذكر عند الركوب ركوب الجنازة، (وجعلوا له من عباده جزءا) الضمير فى جعلوا لكفار العرب، وفى له لله تعالى وهذا الكلام متصل بقوله ولئن سألتهم الآية والمعنى أنهم جعلوا الملائكة بنات الله فكأنهم جعلوا جزءا من عباده نصيباً له وحظادون سائر عباده وقال الزمخشرى معناه أنهم جعلوا الملائكة جزءا منه وقال بعض اللغويين الجزء فى اللغة الإناث واستشهد على ذلك ببيت شعر قال الزمخشرى وذلك كذب على اللغة والبيت موضوع (أم اتخذ مما يخلق بنات) أم للإنكار والرد على الذين قالوا إن الملائكة بنات الله ومعنى أصفاكم خصكم أى كيف يتخذ لنفسه البنات وهن أدنى، أصفاكم بالبنين وهم أعلا (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) أى إذا بشر بالأنثى وقد ذكر هذا المعنى فى النحل والمراد أنهم يكرهون البنات فكيف ينسبونها إلى الله تعالى عن قولهم (أو من ينشؤا فى الحلية) المراد بمن ينشأ فى الحلية النساء والحلية هى الحلى من الذهب والفضة وشبه ذلك ومعنى ينشأ فيها يكبر وينبت فى استعمالها وقرئ ينشأ بضم الياء وتشديد الشين بمعنى يربى فيها والمقصد الرد على الذين قالوا الملائكة بنات الله كأنه قال أجعلتم لله من ينشأ فى الحلية وذلك صفة النقص ثم أتبعها بصفة نقص أخرى وهى قوله وهو فى الخصام غير مبين يعنى أن الأنثى إذا خاصمت أو تكلمت لم تقدر أن تبين حجتها لنقص عقلها وقل ماتجد امرأة إلا تفسد الكلام وتخلط المعانى فكيف ينسب لله من يتصف بهذه النقائص وإعراب ينشأ مفعول بفعل مضمر تقديره أجعلتم لله من ينشأ أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره أو من ينشأ فى الحلية خصصتم به الله (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) الضمير فى جعلوا الكفار العرب فحكى عنهم ثلاثة أقوال شنيعة أحدها أنهم نسبوا إلى الله الولد، والآخر أنهم نسبوا إليه البنات دون البنين، والثالث أنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثا، وقرئ عند الرحمن بالنون، والمراد به قرب الملائكة وتشريفهم كقوله والذين عند ربك، وقرئ عباد بالياء جمع عبد والمراد به أيضا الاختصاص والتشريف (أشهدوا خلقهم) هذا رد على العرب فى قولهم إن الملائكة إناثا، والمعنى هم لم يشهدوا خلق الملائكة، فكيف يقولون ماليس لهم به علم؟ (ستكتب شهادتهم ويسئلون) أى تكتب شهادتهم التى شهدوا بها على الملائكة، ويسئلون عنها يوم القيامة

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم
بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ۝ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ۝ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا
مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ۝ قَالَ
أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ۝ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ
سَيَهْدِينِ ۝ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ

(وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) الضمير فى قالوا للكفار ، وفى عبدناهم للملائكة . وقال ابن عطية الأصنام والأول أظهر وأشهر ، والمعنى احتجاج احتج به الذين عبدوا الملائكة ، وذلك أنهم قالوا لو أراد الله أن لانعبدهم ماعبدناهم ، فكونه يمهلنا وينعم علينا : دليل على أنه يرضى عبادتنا لهم ، ثم رد الله عليهم بقوله (مالهم بذلك من علم) يعنى أن قولهم بلا دليل وحجة ، وإنما هو تخرص منهم (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل القرآن ، وهذا أيضا رد عليهم لكونهم ليس لهم كتاب يحتجون به (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة) أى على دين وطريقة ، والمعنى أنهم ليس لهم حجة ، وإنما هم مقلدو آبائهم (وكذلك ما أرسلنا من قبلك) الآية المعنى كما اتبع هؤلاء الكفار آباءهم بغير حجة اتبع كل من كان قبلهم من الكفار آباءهم بغير حجة بل بطريق التقليد المذموم (قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) هذا رد على الذين اتبعوا آباءهم ، والمعنى قل لهم أتتبعونهم ولو جئتكم بدين أهدى من الدين الذى وجدتم عليه آباءكم ، وقرئ قال أو لو جئتكم ، والفاعل ضمير يعود على النذير المتقدم ، وأما قراءة قل بالأمر فهو خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يقول ذلك لقريش وقيل هو للنذير المتقدم أمره الله أن يقول ذلك لقومه ، والأول أظهر ، وعلى هذا تكون هذه الجملة اعتراضا بين قصة المتقدمين ، فإن قوله قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون حكاية عن الكفار المتقدمين ، وكذلك قوله فانتقمنا منهم : يعنى من المتقدمين (إننى براء) أى برىء وبراء فى الأصل مصدر ثم استعمل صفة ، ولذلك استوى فيه الواحد والجماعة كعدل وشبهه (إلا الذى فطرنى) يحتمل أن يكون استثناء منقطعا ، وذلك إن كانوا لا يعبدون الله ، أو يكون متصلا إن كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره ، وإعرابه على هذا بدل مما تعبدون فهو فى موضع خفض أو منصوب على الاستثناء فهو فى موضع نصب (سيهدين) قال هنا سيهدين ، وقال مرة أخرى فهو يهدين ، ليدل على أن الهداية فى الحال والاستقبال (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) ضمير الفاعل فى جعلها يعود على إبراهيم عليه السلام ، وقيل على الله تعالى ، والأول أظهر ، والضمير يعود على الكلمة التى قالها وهى إننى براء مما تعبدون ، ومعناها التوحيد ، ولذلك قيل يعود على الإسلام لقوله هو سماكم المسلمين من قبل ، وقيل يعود على لا إله إلا الله ، والمعنى متقارب : أى جعل إبراهيم تلك الكلمة ثابتة فى ذريته لعل من أشرك منهم يرجع إلى التوحيد ، والعقب هو الولد وولد الولد ما تناسلا أبدا (بل متعت هؤلاء وآباءهم) الإشارة بهؤلاء إلى قريش ، وهذا الكلام متصل بما قبله ، لأن قريشا من عقب إبراهيم عليه السلام

Marfat.com

مُّبِينٌ ۞ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۞ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۞ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۞ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۞ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۞ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۞ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۞ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۞

فالمعنى لكن هؤلاء ليسوا ممن بقيت الكلمة فيهم ، بل متعتهم بالنعم والعافية فلم يشكروا عليها واشتغلوا بها عن عبادة الله (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) الضمير فى قالوا لقريش ، والقريتان مكة والطائف ، ومن القريتين معناها من إحدى القريتين كقولك يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان : أى من أحدهما ، وقيل معناه على رجل من رجلين من القريتين ، فالرجل الذى من مكة الوليد بن المغيرة ، وقيل عتبة بن ربيعة ، والرجل الذى من الطائف عروة بن مسعود ، وقيل حبيب بن عمير ، ومعنى الآية أن قريشا استبعدوا نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، واقترحوا أن ينزل على أحد هؤلاء ، وصفوه بالعظمة يريدون الرئاسة فى قومه وكثرة ماله، فرد الله عليهم بقوله (أهم يقسمون رحمت ربك) يعنى أن الله يخص بالنبوة من يشاء من عباده على ما تقتضيه حكمته وإرادته ، وليس ذلك بتدبير المخلوقين ، ولا بإرادتهم، ثم أوضح ذلك بقوله (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) أى كما قسمنا المعايش فى الدنيا كذلك قسمنا المواهب الدينية ، وإذا كنا لم نهمل الحظوظ الفانية الحقيرة ، فأولى وأحرى أن لا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) وهو من التسخير فى الخدمة : أى رفعنا بعضهم فوق بعض ليخدم بعضهم بعضا (ورحمت ربك خير مما يجمعون) هذا تحقير للدنيا ، والمراد برحمة ربك هنا النبوة وقيل الجنة (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) الآية : تحقير أيضا للدنيا ، ومعناها لولا أن يكفر الناس كلهم لجعلنا للكفار سقفا من فضة ، وذلك لهوان الدنيا على الله كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها جرعة ماء (ومعارج عليها يظهرون) المعارج الأدراج والسلالم ، ومعنى يظهرون يرتفعون ، ومنه «فما استطاعوا أن يظهروه» والسرر جمع سرير ، والزخرف الذهب ، وقيل أثاث البيت من الستور والنمارق وشبه ذلك وقيل هو التزويق والنقش وشبه ذلك من التزيين كقولك «حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت» (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا) يعش من قولك عشى الرجل إذا أظلم بصره ، والمراد به هنا ظلمة القلب والبصيرة ، وقال الزمخشرى يعشى بفتح الشين إذا حصلت الآفة فى عينيه ، ويعشو بضم الشين إذا نظر نظرة الأعشى وليس به آفة ، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك عمى وتعامى ، فمعنى القراءة بالضم يتجاهل ويجحد مع معرفته بالحق ، والظاهر أن ذلك عبارة عن الغفلة وإهمال النظر ،

Marfat.com

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ۝ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۝ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ۝ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا

وذكر الرحمن ، وقال الزمخشري يريد به القرآن ، وقال ابن عطية يريد به ما ذكر الله به عباده من المواعظ ، فالمصدر مضاف إلى الفاعل ، ويحتمل عندي أن يريد ذكر العبد لله ، ومعنى الآية : أن من غفل عن ذكر الله يسر الله له شيطانا يكون له قرينا ، فتلك عقوبة على الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان كما أن من داوم على الذكر تباعد عنه الشيطان (وإنهم ليصدونهم عن السبيل) الضمير فى إنهم للشياطين ، وضمير المفعول فى يصدونهم لمن يعش عن ذكر الرحمن ، وجمع الضميرين لأن المراد به جمع (حتى إذا جاءنا) قرئ جاءنا بضمير الاثنين وهما من يعش وشيطانه ، وقرئ بغير ألف على أنه ضمير واحد وهو من يعش ، والضمير فى قال لمن يعش ، وقيل للشيطان (بعد المشرقين) فيه قولان . أحدهما أنه يعنى المشرق والمغرب ، وغلب أحدهما فى التشبيه ، كما قيل القمران ، والآخر أنه يعنى المشرقين والمغربين ، وحذف المغربين لدلالة المشرقين عليه (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون) هذا كلام يقال للكفار فى الآخرة ، ومعناه أنهم لا ينفعهم إشتراكهم فى العذاب ولا يجدون راحة التأسى التى يجدها المكروب فى الدنيا إذا رأى غيره قد أصابه مثل الذى أصابه ، والفاعل فى ينفعكم قوله « أنكم فى العذاب مشتركون ، وإذ ظلمتم : تعليل معناه بسبب ظلمكم ، وقيل الفاعل مضمر وهو التبرى الذى يقتضيه قوله « ياليت بينى وبينك بعد المشرقين » وأنكم على هذا تعليل ، والأول أرجح (أفأنت تسمع الصم) الآية : خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والمراد بالصم والعمى الكفار إذ كانوا لا يعقلون براهين الإسلام (فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون) إما مركبة من إن الشرطية وما الزائدة ، ومقصد الآية وعيد للكفار ، والمعنى إن عجلنا وفاتك قبل الانتقام منهم فإنا سننتقم منهم بعد وفاتك ، وإن أخرنا وفاتك إلى حين الانتقام منهم فإنا عليهم مقتدرون ، وهذا الانتقام يحتمل أن يريد به قتلهم يوم بدر وفتح مكة وشبه ذلك من الانتقام فى الدنيا أو يريد به عذاب الآخرة ، وقيل إن الضمير فى منهم منتقمون المسلمين ، وأن معنى ذلك أن الله قضى أن ينتقم منهم بالفتن والشدائد ، وأنه أكرم نبيه عليه السلام بأن توفاه قبل أن يرى الانتقام من أمته ، والأول أشهر وأظهر (وإنه لذكر لك ولقومك) الضمير فى إنه للقرآن أو للإسلام ، والذكر هنا بمعنى الشرف ، وقوم النبى صلى الله عليه وآله وسلم هم قريش وسائر العرب ، فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها وصارت منهم الخلافة والملك ، وورد عن ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الأمر بعده لقريش ، ويحتمل أن يريد بالذكر التذكير والموعظة ، فقومه على هذا أمته كلهم وكل من بعث إليهم (وسوف تسئلون) أى تسئلون عن العمل بالقرآن وعن شكر الله عليه (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) إن قيل كيف أمر النبى صلى الله عليه

Marfat.com

من دون الرحمٰن ءالهة يعبدون ه ولقد أرسلنا موسىٰ بئايٰتنآ إلىٰ فرعون وملإيه فقال إنى رسول رب العٰلمين ه فلما جآءهم بئايٰتنآ إذا هم منها يضحكون ه وما نريهم من ءاية إلا هى أكبر من أختها وأخذنٰهم بالعذاب لعلهم يرجعون ه وقالوا يٰأيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون ه فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون ه ونادىٰ فرعون فى قومه قال يٰقوم أليس لى ملك مصر وهٰذه الأنهٰر تجرى من تحتى أفلا تبصرون ه أم أنا خير من هٰذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين * فلولآ ألقى

وآله وسلم أن يسأل الرسل المتقدمين وهو لم يدركهم ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنه رآهم ليلة الإسراء . الثانى أن المعنى اسأل أمة من أرسلنا قبلك . الثالث أنه لم يرد سؤالهم حقيقة ، وإنما المعنى أن شرائعهم متفقة على توحيد الله بحيث لو سئلوا أهل مع الله آلهة يعبدون لأنكروا ذلك ودانوا بالتوحيد (وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها) الآيات هنا المعجزات كقلب العصا حية ، وإخراج اليد بيضاء وقيل البراهين والحجج العقلية ، والأول أظهر ومعنى أكبر من أختها أنها فى غاية الكبر والظهور ولم يرد تفضيلها على غيرها من الآيات ، إنما المعنى أنها إذا نظرت وجدت كبيرة ، وإذا نظرت غيرها وجدت كبيرة فهو كقول الشاعر :

ه من تلق منهم فقل لاقيت سيدهم ه هكذا قال الزمخشرى ، ويحتمل عندى أن يريد ما نريهم من آية إلا هى أكبر مما تقدمها ، فالمراد أكبر من أختها المتقدمة عليها (وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك) ظاهر كلامهم هذا التناقض ، فإن قولهم يا أيها الساحر يقتضى تكذيبهم له وقولهم ادع لنا ربك يقتضى تصديقه ، والجواب من وجهين : أحدهما أن القائلين لذلك كانوا مكذبين ، وقولهم ادع لنا ربك : يريدون على قولك وزعمك وقولهم إننا لمهتدون وعد نووا خلافه ، والآخر : أنهم كانوا مصدقين ، وقولهم يأيها الساحر إما أن يكون عندهم غير مذموم ، لأن السحر كان علم أهل زمانهم وكأنهم قالوا يأيها العالم ، وإما أن يكون ذلك اسما قد ألفوا تسمية موسى به من أول ما جاءهم فنطقوا به بعد ذلك من غير اعتقاد معناه (ونادى فرعون فى قومه) يحتمل أنه ناداهم بنفسه أوأمر منادياً ينادى فيهم (قال ياقوم أليس لى ملك مصر) قصد بذلك الافتخار على موسى ، ومصر هى البلد المعروف وما يرجع إليه ، ومنتهى ذلك من نهر إسكندرية إلى أسوان بطول النيل (وهذه الأنهار تجرى من تحتى) يعنى الخلجان الكبار الخارجة من النيل كانت تجرى تحت قصره ، وأعظمها أربعة أنهار : نهر الإسكندرية وتنيس ودمياط ، ونهر طولون (أفلا تبصرون أم أنا خير) مذهب سيبويه أن أم هنا متصلة معادلة ، والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون ، ثم وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فإنهم عنده بصراء ، وهذا من وضع السبب موضع المسبب ، وكان الأصل أن يقول أفلا تبصرون أم تبصرون ، ثم اقتصر على أم وحذف الفعل الذى بعدها واستأنف قوله ، أنا خير على وجه الإخبار ويوقف على هذا القول على أم وهذا ضعيف ، وقيل أم بمعنى بل فهى منقطعة (مهين) أى ضعيف حقير قاله الزمخشرى وغيره (ولا يكاد يبين) إشارة إلي ما بقى فى لسان موسى من أثر الجمرة ، وذلك أنها كانت قد أحدثت فى لسانه عقدة ، فلما دعا أن تحل أجيبت دعوته وبقى منها أثر كان معه لكنة ،

عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَٰئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۝ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ

فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ۝ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا

إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝ وَقَالُوا ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝ إِنْ هُوَ

وقيل يعني العيّ في الكلام ، وقوله ولا يكاد يبين : يقتضي أنه كان يبين، لأن كاد إذا نفيت تقتضي الإثبات (فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب) يريد لولا ألقاها الله إليه كرامة له ودلالة على نبوته . والأسورة جمع سوار وأسوار ، وهو ما يجعل في الذراع من الحلي . وكان الرجال حينئذ يجعلونه (مقترنين) أي مقترنين به لا يفارقونه أو متقارنين بعضهم مع بعض ليشهدوا له ويقيموا الحجة (فاستخف قومه) أي طلب خفتهم بهذه المقالة واستهوى عقولهم (آسفونا) أي أغضبونا (فجعلناهم سلفاً ومثلا للآخرين) السلف بفتح السين واللام جمع سالف ، وقرئ بضمها جمع سليف ومعناه متقدم : أي تقدم قبل الكفار ليكون موعظة لهم ، ومثلا يعتبرون به لئلا يصيبهم مثل ذلك (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) روى عن ابن عباس وغيره في تفسيره هذه الآية أنه لما نزل في القرآن ذكر عيسى ابن مريم والثناء عليه ، قالت قريش ما يريد محمد إلا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى فهذا كان صدودهم من ضربه مثلا ، حكى ذلك ابن عطية والذي ضرب المثل على هذا هو الله في القرآن ، ويصدون بمعنى يعرضون ، وقال الزمخشري : لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك ، وقال عبد الله بن الزبعرى أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم ، فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبيّ وتثني عليه خيراً وقد علمت أن النصارى عبدوه فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه ، ففرحت قريش بذلك وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، ونزلت هذه الآية ، فالمعنى على هذا لما ضرب ابن الزبعرى عيسى مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعبادة النصارى إياه إذا قريش من هذا المثل يصدون أي يضحكون ويصيحون من الفرح ، وهذا المعنى إنما يجرى على قراءة يصدون بكسر الصاد بمعنى الضجيج والصياح (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون بهو عيسى ، والمعنى أنهم قالوا آلهتنا خير أم عيسى ، فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه لأنه خير من آلهتنا ، وهذا الكلام من تمام ما قبله على ما ذكره الزمخشري في تفسير الآية التي قبله ، وأما على ما ذكر ابن عطية فهذا ابتداء معنى آخر ، وحكى الزمخشري في معنى هذه الآية قولا آخر ، وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدمياً ونحن عبدنا الملائكة وقالوا آلهتنا وهم الملائكة خير أم عيسى فمقصدهم تفضيل آلهتهم على عيسى . وقيل إن قولهم أم هو : يعنون به محمداً صلى الله عليه وسلم ، فإنهم لما قالوا إنما يريد محمد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى قالوا أآلهتنا خير أم هو يريدون تفضيل آلهتهم على محمد . والأظهر أن المراد بهو عيسى وهو قول الجمهور ويدل على ذلك تقدم ذكره (ماضربوه لك إلا جدلا) أي ماضربوا لك هذا المثال إلا على وجه الجدل وهو أن

إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَاءِيلَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۝ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ۝ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ

يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره سواء غلبه بحق أو بباطل ، فإن ابن الزبعرى وأمثاله ممن لايخفى عليه أن عيسى لم يدخل فى قوله تعالى حصب جهنم ، ولكنهم أرادوا المغالطة ، فوصفهم الله بأنهم قوم خصمون (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) يعنى عيسى والإنعام عليه بالنبوة والمعجزات وغير ذلك (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون) فى معناها قولان : أحدهما لو نشاء لجعلنا بدلا منكم ملائكة يسكنون الأرض ويخلفون فيها بنى آدم ، فقوله منكم يتعلق ببدل المحذوف أو بيخلفون، والآخر لو نشاء لجعلنا منكم أى لولدنا منكم أولادا ملائكة يخلفونكم فى الأرض كما يخلفكم أولادكم ، فإنا قادرون على أن نخلق من أولاد الناس ملائكة فلا تنكروا أن خلقنا عيسى من غير والد، حكى ذلك الزمخشرى.(وإنه لعلم للساعة) الضمير لعيسى وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل للقرآن ، فأما على القول بأنه لعيسى أو لمحمد.فالمعنى أنه شرط من أشراط الساعة يوجب العلم بها فسمى الشرط علما لحصول العلم به ، ولذلك قرئ لعلم بفتح العين واللام : أى علامة وأما على القول بأنه للقرآن : فالمعنى أنه يعلمكم بالساعة (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) إنما بين البعض دون الكل لأن الأنبياء إنما يبينون أمور الدين لا أمور الدنيا ، وقيل بعض بمعنى كل وهذا ضعيف (فاختلف الأحزاب) ذكر فى مريم (هل ينظرون إلا الساعة) أى ينتظرون ، والضمير لقريش أو للأحزاب (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) الأخلاء جمع خليل وهو الصديق ، وإنما يعادى الخليل خليله يوم القيامة ، لأن الضرر دخل عليه من صحبته ، ولذلك استثنى المتقين ، لأن النفع دخل على بعضهم من بعض (ياعباد) الآية . تقديره يقول الله يوم القيامة للمتقين ياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون (تحبرون) أى تنعمون وتسرون (وهم فيه مبلسون) أى يائسون من الخير (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك) المعنى أنهم طلبوا الموت ليستريحوا من

وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ۝ أَمْ أَبْرَمُوٓا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۝ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَـٰبِدِينَ ۝ سُبْحَـٰنَ رَبِّ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِى فِى السَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى الْأَرْضِ إِلَـٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝ وَتَبَارَكَ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ

العذاب ، وروى أن مالكا يبقى بعد ذلك ألف سنة وحينئذ يقول لهم إنكم ما كثون أى دائمون فى النار (لقد جئناكم بالحق) الآية من كلام الله تعالى لأهل النار ، أو من كلام الله لقريش فى الدنيا (أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون) الضمير لكفار قريش ، والمعنى أنهم إن أحكموا كيد النبى صلى الله عليه وسلم فإنا محكمون نصره وحمايته (أم يحسبون) الآية : روى أنها نزلت فى الأخنس بن شريق والأسود بن عبد يغوث اجتمعا وقال الأخنس أترى الله يسمع سرنا ، فقال الآخر يسمع نجوانا ولا يسمع سرنا (سرهم ونجواهم) السرّ ما يحدث الإنسان به نفسه أو غيره فى خفية ، والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم (بلى) أى نسمع ورسلنا مع ذلك تكتب ما يقولون والرسل هنا الملائكة الحافظون للأعمال (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) فى تأويل الآية أربعة أقوال : الأول أنها احتجاج ورد على الكفار على تقدير قولهم ، ومعناها لو كان للرحمن ولد كما يقول الكفار لكنت أنا أول من يعبد ذلك الولد كما يعظم خدم الملك ولد الملك لتعظيم والده ، ولكن ليس للرحمن ولد فلست بعابد إلا الله وحده ، وهذا نوع من الأدلة يسمى دليل التلازم لأنه علق عبادة الولد بوجوده ووجوده محال فعبادته محال ، ونظير هذا أن يقول المالكى إذا قصد الرد على الحنفى فى تحريم النبيذ . إن كان النبيذ غير مسكر فهو حلال لكنه مسكر فهو حرام ، القول الثانى إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبد الله وحده وكذبكم فى قولكم أن له ولدا ، والعابدين على هذين القولين بمعنى العبادة ، القول الثالث أن العابدين بمعنى المنكرين : يقال عبد الرجل إذا أنف وتكبر وأنكر الشىء ، والمعنى إن زعمتم أن للرحمن ولدا فأنا أول المنكرين لذلك ، وإن على هذه الأقوال الثلاثة شرطية ، القول الرابع قال قتادة وابن زيد إن هنا نافية بمعنى ما كان للرحمن ولد وتم الكلام ، ثم ابتدأ قوله فأنا أول العابدين ، والأول هو الصحيح لأنه طريقة معروفة فى البراهين والأدلة ، وهو الذى عول عليه الزمخشرى ، وقال الطبرى هو ملاطفة فى الخطاب ونحوه قوله تعالى «وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين» وقال ابن عطية منه قوله تعالى فى مخاطبة الكفار «أين شركائى» يعنى شركائى على قولكم (فذرهم) الآية موادعة منسوخة بالسيف (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) أى هو الإله لأهل الأرض وأهل السماء والمجرور يتعلق بإله لأن فيه معنى الوصفية (وعنده علم الساعة) أى علم زمان وقوعها (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) أى لا يملك كل من عبد من دون الله أن يشفع عند الله ، لأن الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، فهو المالك للشفاعة وحده (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) اختلف هل يعنى بمن شهد بالحق الشافع أو المشفوع فيه ، فإن أراد المشفوع فيه فالاستثناء منقطع والمعنى لا يملك المعبودون شفاعة لكن من شهد بالحق وهو عالم

Marfat.com

يعلمون * ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ، وقيله يـرب إن هـٰؤلاء قوم لا يؤمنون ، فاصفح عنهم وقل سلٰم فسوف يعلمون ،

ســـورة الدخان

مكية وآياتها ٥٩ نزلت بعـــد الزخرف

بسم الله الرحمٰن الرحيم ، حم ، والكتٰب المبين ، إنـآ أنزلنٰه فى ليلة مبٰركة إنا كنا منذرين ، فيهـا يفرق كل أمر حكيم ، أمرا من عندنـآ إنا كنا مرسلين ، رحمة من ربك إنه هو السميع العليم رب السمٰوٰت والأرض وما بينهمآ إن كنتم موقنين ، لآ إلٰه إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب ءابـآئكم الأولين ، بل هم

به فهو الذى يشفع فيه ، ويحتمل على هذا أن يكون من شهد مفعولا بالشفاعة على إسقاط حرف الجر تقديره الشفاعة فيمن شهد بالحق ، وإن أراد بمن شهد بالحق الشافع فيحتمل أن يكون الاستثناء منقطعا وأن يكون متصلا إلا فيمن عبد عيسى والملائكة ، والمعنى على هذا لا يملك المعبودون شفاعة إلا من شهد بالحق (وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) القيل مصدر كالقول ، والضمير يعود على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقرئ قيله بالنصب والخفض وقرئ فى غير السبع بالرفع ، فأما النصب فقيل هو معطوف على سرهم ونجواهم ، وقيل هو معطوف على موضع الساعة لأنها مفعول أضيف إلى المصدر وقيل معطوف على مفعول محذوف تقديره يكتبون أقوالهم وقيله ، وأما الخفض فقيل إنه معطوف على لفظ الساعة ، ويحتمل أن يكون معطوفا على قوله بالحق ، وأما على الرفع فقيـل إنه مبتدأ وخبره مابعـده ، وضعف الزمخشرى ذلك كله وقال إنه من باب القسم فالنصب والخفض على إضمار حرف القسم كقولك الله لأضربن زيدا والرفع كقولهم أيمن الله ولعمرك ، وجواب القسم قوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون كأنه قال أقسم بقيله أن هؤلاء قوم لا يؤمنون (فاصفح عنهم) منسوخ بالسيف (وقل سلام) تقديره أمرى سلام : أى مسالمة ، وقيل سلام عليكم على جهة الموادعة وهو منسوخ على الوجهين (فسوف تعلمون) تهديد

ســـورة الدخان

(والكتاب المبين) ذكر فى الزخرف وهو قسم جوابه إنا أنزلناه ، وقيل إنا كنا منذرين وهو بعيد (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) يعنى ليلة القدر من رمضان وكيفية إنزاله فيها أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم نزل به جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم شيئا بعد شىء وقيل معناه أنه ابتدأ إنزاله فى ليلة القدر ، وقيل يعنى بالليلة المباركة ليلة النصف من شعبان وذلك باطل ، لقوله « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » مع قوله « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » (فيها يفرق كل أمر حكيم) معنى يفرق يفصل ويخلص ، والأمر الحكيم أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم فى ذلك العام نسخ من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر ليتمثل الملائكة ذلك بطول السنة القابلة ، وقيل إن هذا يكون ليلة النصف من شعبان وهذا باطل لما قدمنا (أمرا من عندنا) مفعول بفعل مضمر على الاختصاص قاله الزمخشرى ، وقال ابن عطية نصب على المصدر ، وقيل على الحال (مرسلين) إرسال الرسل عليهم السلام ، وقيل

فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝ أَنْ أَدُّوٓا إِلَىَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ۞ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِى فَاعْتَزِلُونِ ۝ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ۝ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَـٰكِهِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا

من إرسال الرحمة والأول أظهر (فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين) فى هذا قولان أحدهما قول على بن أبى طالب وابن عباس أن الدخان يكون قبل يوم القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين وهو من أشراط الساعة، وروى حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أول أشراط الساعة الدخان والثانى قول ابن مسعود إن الدخان عبارة عما أصاب قريشا حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجدب فكان الرجل يرى دخانا بينه وبين السماء من شدة الجوع قال ابن مسعود خمس قد مضين: الدخان واللزام والبطشة والقمر والدوم (هذا عذاب أليم) يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى، أو من قول الناس لما أصابهم الدخان، وهذا أظهر لأن ما بعده من كلامهم باتفاق فيكون الكلام متناسقا (أنى لهم الذكرى) هذا من كلام الله تعالى ومعناه استبعاد تذكير الكفار مع تكذيبهم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم، والواو فى قوله وقد جاءهم واو الحال (رسول مبين) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم (وقالوا معلم) أى يعلمه بشر (البطشة الكبرى) قال ابن عباس هى يوم القيامة، وقال ابن مسعود هى يوم بدر (ورسول كريم) يعنى موسى عليه السلام (أن أدوا إلىّ عباد الله) أن هنا مفسرة نائب مناب القول، وأدوا فعل أمر من الأداء وعباد الله مفعول به وهم بنو إسرائيل، والمعنى أرسلوا بنى إسرائيل كما قال فى طه «أرسل معنا بنى إسرائيل» وقيل عباد الله منادى، والمعنى أدوا إلىّ الطاعة والإيمان ياعباد الله، والأول أظهر (وألا تعلوا) أى لا تتكبروا (بسلطان) أى حجة وبرهان (أن ترجمون) اختلف هل معناه الرجم بالحجارة أو السب والأول أظهر (فاعتزلون) أى اتركون وخلوا سبيلى (فأسر بعبادى) هذا أمر من الله لموسى عليه السلام والعباد هنا بنو إسرائيل أى اخرج بهم بالليل (إنكم متبعون) إخبار أن فرعون وجنوده يتبعونهم (واترك البحر رهوا) أى ساكنا على هيئته وقيل يابسا وروى أن موسى لما جاوز البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق، فقال الله له اتركه كما هو ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا فيه، وقيل معنى رهوا سهلا، وقيل منفرجا (وعيون) يحتمل أن يريد الخلجان الخارجة من النيل وكانت ثم عيون فى ذلك الزمان، وقيل يعنى الذهب والفضة وهو بعيد (ومقام كريم) فيه قولان المنابر والمساكن الحسان (ونعمة) من التنعم بالأرزاق وغيرها (فاكهين) أى متنعمين، وقيل فرحين

Marfat.com

ءاخرين ۝ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ۝ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ۝ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَءَاتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ۝ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۝ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ

وقيل أصحاب فاكهة (كذلك) فى موضع نصب أى مثل ذلك الإخراج أخرجناهم ، أوفى موضع رفع تقديره الأمر كذلك (وأورثناها قوما آخرين) يعنى بنى إسرائيل حكاه الزمخشرى والماوردى وضعفه ابن عطية قال لأنه لم يروفى مشهور التواريخ أن بنى إسرائيل رجعوا إلى مصر فى ذلك الزمان ، وقد قال الحسن إنهم رجعوا إليها ، ويدل على أن المراد بنو إسرائيل قوله فى الشعراء وأورثناها بنى إسرائيل (فما بكت عليهم السماء والأرض) فيه ثلاثة أقوال : الأول أنه عبارة عن تحقيرهم ، وذلك أنه إذا مات رجل خطير قالت العرب فى تعظيمه بكت عليه السماء والأرض على وجه المجاز والمبالغة ، فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم أحقر من أن يبالى بهم . الثانى قيل إذا مات المؤمن بكى عليه من الأرض موضع عبادته ومن السماء موضع صعود عمله، فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم كفار أو ليس لهم عمل صالح: الثالث أن المعنى ما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض ، والأول أفصح وهو منزع معروف فى كلام العرب (وكانوا منظرين) أى مؤخرين (من فرعون) بدل من العذاب (عاليا) أى متكبراً (اخترناهم على علم) أى كنا عالمين بأنهم مستحقون لذلك (على العالمين) أى على أهل زمانهم (بلاء مبين) أى اختبار (إن هؤلاء) يعنى كفار قريش (فأتوا بآبائنا) خاطبت قريش بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه على وجه التعجيز ، روى أنهم طلبوا أن يحيى لهم قصى بن كلاب يسألوه عن أحوال الآخرة (أهم خير أم قوم تبع) كان تبع ملك من حمير وكان مؤمنا وقومه كفاراً فذم الله قومه ولم يذمه ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى ، ومعنى الآية أقريش أشد وأقوى أم قوم تبع والذين من قبلهم من الكفار ، وقد أهلكنا قوم تبع وغيرهم لما كفروا فكذلك نهلك هؤلاء ، فمقصود الكلام تهديد (والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع : وقيل هو مبتدأ فيوقف على ما قبله والأول أصح (لاعبين) حال منفية ذكرت فى الأنبياء (يوم لا يغنى مولى عن مولى) المولى هنا يعم الولى والقريب وغير ذلك من الموالى (إلا من رحم الله) استثناء منقطع إن أراد بقوله ولاهم ينصرون الكفار ، ومتصل إن أراد بذلك جميع الناس (طعام الأثيم) أى الفاجر وهو من الإثم ، وقيل يعنى أباجهل فالألف واللام للعهد والأظهر أنها للجنس

Marfat.com

سَوَآءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۝ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝

سورة الجاثية

مكية إلا آية ١٤ فمدنية وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حم ۝ تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَٰتِهِ يُؤْمِنُونَ * وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ

فتعم أبا جهل وغيره (كالمهل) هو دردى الزيت ، وقيل مايذاب من الرصاص وغيره (فاعتلوه) أى سوقوه بتعنيف (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) المصبوب فى الحقيقة إنما هو الحميم وهو الماء الحار ، ولكن جعل المصبوب هنا العذاب المضاف إلى الحميم مجازاً لأن ذلك أبلغ وأشد تهويلا . وقد جاء الأصل فى قوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم (ذق إنك أنت العزيز الكريم) يقال هذا للكافر على وجه التوبيخ والتهكم به أى كنت العزيز الكريم عند نفسك ، وروى أن أبا جهل قال مابين جبليها أعزمنى ولا أكرم فنزلت الآية (تمترون) تفتعلون من المرية وهى الشك (فى مقام أمين) قرئ بضم الميم أى موضع إقامة ، وفتحها أى موضع قيام والمراد به الجنة والأمين من الأمن أى مأمون فيه ، وقيل من الأمنة وصف به المكان مجازاً (من سندس وإستبرق) السندس الرقيق من الديباج والإستبرق الغليظ منه (كذلك) فى موضع رفع أى الأمر كذلك ، أو فى موضع نصب أى مثل ذلك زوجناهم (يدعون فيها) أى يدعون خدامهم (إلا الموتة الأولى) استثناء منقطع ، والمعنى لايذوقون فيها الموت : لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى خاصة قبل ذلك . ولولا قوله فيها لكان متصلا لعموم لفظ الموت . وقيل إلا هنا بمعنى بعد وذلك ضعيف (يسرناه) أى سهلناه والضمير للقرآن (بلسانك) أى بلغتك وهى لسان العرب (فارتقب إنهم مرتقبون) أى ارتقب نصرنا لك وإهلاكهم فإنهم مرتقبون ضد ذلك ، ففيه وعد له ووعيد لهم .

سورة الجاثيه

(تنزيل) ذكر فى الزمر وما بعد ذلك تنبيه على الاعتبار بالموجودات وقد ذكر معناه فى مواضع (ويل لكل أفاك أثيم)

ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ مِن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۞ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝

الأفاك مبالغة من الإفك وهو الكذب ، والأثيم من الإثم ، وقيل إنها نزلت فى النضر بن الحارث ولفظها على العموم (يصر) أى يدوم على حاله من الكفر ، وإنما عطفه بثم لاستعظام الإصرار على الكفر بعد سماعه آيات الله واستبعاد ذلك فى العقل والطبع (وإذا علم من آياتنا) أى إذا بلغه منها شىء ولم يرد العلم الحقيقى (من ورائهم جهنم) كقوله من ورائه عذاب غليظ ، وقد ذكر فى إبراهيم (وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض) يعنى الشمس والقمر والملائكة وبنى آدم والحيوانات والنبات وغير ذلك (جميعا منه) أى كل نعمة فمن الله تعالى ، والمجرور فى موضع الحال أو خبر ابتداء مضمر ، وقرأ ابن عباس منه (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله) أمر الله المؤمنين أن يتجاوزوا عن الكفار ولا يؤاخذوهم إذا آذوهم ، وكان ذلك فى صدر الإسلام ، قيل إنها منسوخة بالسيف ، وقيل ليست بمنسوخة لأن احتمال الأذى مندوب إليه على كل حال ، وأما القتال على الإسلام فليس من ذلك ، وروى أن الآية نزلت فى عمر بن الخطاب شتمه رجل من الكفار فأراد عمر أن يبطش به ، وأيام الله هى نعمه ، فالرجاء على أصله ، وقيل أيام الله عبارة عن عقابه ، فالرجاء بمعنى الخوف ويغفروا مجزوم فى جواب شرط مقدر دل عليه قل ، قال الزمخشرى حذف معمول القول ، والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) فاعل يجزى ضمير يعود على الله ، وقرئ بنون المتكلم ، وقال ابن عطية إن الآية وعيد ، فالقوم على هذا هم الذين لايرجون أيام الله ويكسبون يعنى السيئات ، وقال الزمخشرى القوم هم الذين آمنوا وجزاؤهم الثواب بما كانوا يكسبون بكظم الغيظ واحتمال المكروه (على العالمين) ذكر فى البقرة (بينات من الأمر) أى معجزات من أمر الدين (جعلناك على شريعة من الأمر) أى ملة ودين (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين

هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّـاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَـاتُهُمْ سَـآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَـآ إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ

آمنوا) أم هنا للإنـكار ، واجترحوا اكتسبوا ، والمراد بالذين اجترحوا السيئات الكفار لمقابلتـه بالذين آمنوا ، ولأن الآية مكية : وقد يتناول لفظها المذنبين من المؤمنين ولذلك يذكر أن الفضيل بن عياض قرأها بالليل فما زال يرددها ويبكى طول الليـل ويقول لنفسه من أى الفريقين أنت ، ومعناها إنـكار ماحسبه الـكفار من أن يكونوا هم والمؤمنون سواء فى المحيا والممات ، وفى تأويلها مع ذلك قولان : أحدهما أن المراد ليس المؤمنون سواء مع الـكفار لا فى المحيا ولا فى الممات ، فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة ، والـكفار عاشوا على الـكفر والمعصية وكذلك ملتهم ليست سواء ، والقول الآخر أنهم استووا فى المحيا فى أمور الدنيا من الصحة والرزق فلا يستوون فى الممات ، بل يسعد المؤمنون ويشقى الـكافرون ، فالمراد بها إثبات الجزاء فى الآخرة وتفضيل المؤمنين على الكافرين فى الآخرة ، وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح فيكون معنى الآية كقوله « أفنجعل المسلمين كالمجرمين » وكقوله « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار » (سواء محياهم ومماتهم) هذه الجملة بدل من الـكاف فى قوله كالذين آمنوا وهى مفسرة للتشبيه ، وهى داخلة فيما أنـكره الله مما حسبه الـكفار وقيل هى كلام مستأنف ؛ والمعنى على هذا أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء وأن محيا الـكفار ومماتهم سواء لأن كل واحد يموت على ما عاش عليه ، وهذا المعنى بعيد ، والصحيح أنها من تمام ما قبلها على المعنى الذى اخترناه ، وأما إعرابها فمن قرأ سواء بالرفع فهو مبتدأ وخبره محياهم ومماتهم والجملة بدل من الجار والمجرور الواقع مفعولا ثانيا لنجعل ، ومن قرأ سواء بالنصب فهو حال أو مفعول ثان لنجعل ، ومحياهم فاعل بسواء ، لأنه فى معنى مستوى (ساء ما يحكمون) أى ساء حكمهم فى تسويتهم بين أنفسهم وبين المؤمنين (لتجزى كل نفس بمـا كسبت) معطوف على قوله بالحق ، لأن فيه معنى التعليل ، أو على تعليل محذوف تقديره خلق الله السموات والأرض ليدل بهما على قدرته ولتجزى كل نفس بمـا كسبت (اتخذ إلهه هواه) أى أطاعه حتى صار له كالإله (وأضله الله على علم) أى على علم من الله سابق ، وقيل على علم من هذا الضال بأنه على ضلال ، ولـكنه يتبع الضلال معاندة (ختم) ذكر فى البقرة (فمن يهديه من بعد الله) قال ابن عطية فيه حذف مضاف تقديره من بعد إضلال الله إياه ، ويحتمل أن يريد فمن يهديه غير الله (وقالوا) الضمير لمن اتخذ إلهه هواه أو لقريش (نموت ونحيا) فيه أربع تأويلات : أحدها أنهم أرادوا يموت قوم ويحيا قوم ، والآخر نموت نحن ويحيا أولادنا ، الثالث نموت حين كنا عدما أو نطفا ، ونحيا فى الدنيا ، والرابع نموت الموت المعروف ، ونحيا قبله فى الدنيا فوقع فى اللفظ تقديم وتأخير ، ومقصودهم على كل وجه إنكار الآخرة ، ويظهر أنهم كانوا على مذهب الدهرية

مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا ائْتُوا بِئَابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ۞ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۞ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ * ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۞ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۞ وَلَهُ الْكِبْرِيَآءُ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *

بقولهم وما يهلكنا إلا الدهر ، فرد الله عليهم بقوله وما لهم بذلك من علم الآية (قالوا ائتوا بآبائنا) ذكر فى الدخان (قل الله يحييكم) الآية : رد على المنكرين للحشر والاستدلال على وقوعه بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة (وترى كل أمة جاثية) أى تجثو على الركب وتلك هيئة الخائف الذليل (كل أمة تدعى إلى كتابها) أى إلى صحائف أعمالها ، وقيل الكتاب المنزل عليها ، والأول أرجح لقوله « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق » الآية : فإن قيل : كيف أضاف الكتاب تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى ؟ فالجواب : أنه أضافه إليهم لأن أعمالهم ثابتة فيه ، وأضافه إلى الله تعالى لأنه مالكه ، وأنه هو الذى أمر الملائكة أن يكتبوه (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أى نأمر الملائكة الحافظين بكتب أعمالكم ، وقيل إن الله يأمر الحفظة أن تنسخ أعمال العباد من اللوح المحفوظ ، ثم يمسكونه عندهم فتأتى أفعال العباد على ذلك ، فتكتبها الملائكة ، فذلك هو الاستنساخ وكان ابن عباس يحتج على ذلك بأن يقول : لا يكون الاستنساخ إلا من أصل (أفلم تكن) تقديره يقال لهم ذلك (وحاق) ذكر مرارا (اليوم ننساكم) النسيان هنا بمعنى الترك ، وأما فى قوله كما نسيتم فيحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الذهول (ولا هم يستعتبون) من العتبى وهى الرضا

Marfat.com

ســــورة الأحقاف

مكية إلا الآيات ١٠ و١٥ و٣٥ فمدنية وآياتها ٣٥ نزلت بعد الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۞ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۞ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا

ســــورة الأحقاف

(تنزيل) ذكر فى الزمر (إلا بالحق) ذكر مرارا (وأجل مسمى) يعنى يوم القيامة (أرونى ماذا خلقوا) احتجاج على التوحيد ورد على المشركين، فالأمر بمعنى التعجيز (شرك فى السموات) أى نصيب (ائتونى بكتاب) تعجيز لأنهم ليس لهم كتاب يدل على الإشراك بالله، بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد (أو أثارة من علم) أى بقية من علم قديم يدل على مايقولون، وقيل معناه من علم تثيرونه أى تستخرجونه، وقيل هو الإسناد، وقيل هو الخط فى الرمل، وكانت العرب تتكهن به، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان نبى من الأنبياء يخط فى الرمل فمن وافق خطه فذاك (ومن أضل) الآية. معناها لا أحد أضل ممن يدعو إلها لايستجيب له وهى الأصنام فإنها لا تسمع ولا تعقل، ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم، لأنها لا تسمعه (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أى كان الأصنام أعداء الذين عبدوها (وكانوا بعبادتهم كافرين) الضمير فى كانوا للأصنام: أى تتبرأ الأصنام من الذين عبدوها، وإنما ذكر الأصنام بضمائر مثل ضمائر العقلاء لأنه أسند إليهم مايسند إلى العقلاء، من الاستجابة والغفلة والعداوة (قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئاً) أى لو افتريته لعاقبنى الله على الافتراء عقوبة لا تقدرون على دفعها ولا تملكون شيئاً من ردها عليه فكيف أفتريه وأتعرض لعقاب الله (هو أعلم بما تفيضون فيه) أى بما تتكلمون به، يقال أفاض الرجل فى الحديث إذا خاض فيه واستمر (قل ما كنت بدعا من الرسل) البدع والبديع من الأشياء: مالم ير مثله أى ما كنت أول رسول، ولا جئت بأمر لم يجئ به أحد قبلى، بل جئت بما جاء به ناس كثيرون قبلى، فلأى شىء تنكرون ذلك (وما أدرى مايفعل بى ولا بكم) فيها أربعة أقوال: الأول أنها فى أمر الآخرة وكان ذلك قبل أن يعلم

Marfat.com

إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَـَٔامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ۝ وَمِن قَبْلِهِ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ

أنه في الجنة ، وقيل أن يعلم أن المؤمنين في الجنة وأن الكفار في النار ، وهذا بعيد ، لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله والثاني أنها في أمر الدنيا : أي لا أدرى بما يقضى الله على وعليكم ، فإن مقادير الله مغيبة وهذا هو الأظهر . الثالث ما أدرى ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي وما تلزمه الشريعة . الرابع أن هذا كان في الهجرة إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض بها نخل فقلق المسلمون لتأخير ذلك فنزلت هذه الآية (قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به) معنى الآية أرأيتم إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ، ثم حذف قوله ألستم ظالمين وهو الجواب ، لأنه دل على أن الله لا يهدى القوم الظالمين (وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله) هذه الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها ، فالمعنى أرأيتم إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع شهادة شاهد من بنى إسرائيل على مثله ثم آمن به هذا الشاهد وكفرتم أنتم ألستم أضل الناس وأظلم الناس ، واختلف في الشاهد المذكور على ثلاثة أقوال : أحدها أنه عبد الله بن سلام ، فقيل على هذا إن الآية مدنية ، لأنه إنما أسلم بالمدينة ، وقيل إنها مكية وأخبر بشهادته قبل وقوعها ثم وقعت على حسب ما أخبر ، وكان عبد الله بن سلام يقول فيّ نزلت الآية . الثاني أنه رجل من بنى إسرائيل كان بمكة : الثالث أنه موسى عليه السلام ورجح ذلك الطبرى والضمير في مثله للقرآن أى يشهد على مثله فيما جاء به من التوحيد والوعد والوعيد ، والضمير في آمن للشاهد فإن كان عبد الله بن سلام أو الرجل الآخر فإيمانه بين ، وإن كان موسى عليه السلام ، فإيمانه هو تصديقه بأمر محمد صلى الله عليه وسلم وتبشيره به (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه) أى لو كان الإسلام خيرا ما سبقنا إليه هؤلاء ، والقائلون لهذه المقالة هم أكابر قريش لما أسلم الضعفاء كبلال وعمار وصهيب وقيل بل قالها كنانة وقبائل من العرب لما أسلمت غفار ومزينة وجهينة ، وقيل بل قالها اليهود لما أسلم عبد الله ابن سلام ، والأول أرجح لأن الآية مكية وكانت مقالة قريش بمكة وأما مقالة الآخرين فإنما كانت بعد الهجرة ومعنى الذين آمنوا من أجل الذين آمنوا : أى قالوا ذلك عنهم في غيبتهم وليس المعنى أنهم خاطبوهم بهذا الكلام لأنه لو كان خطابا لقالوا ما سبقتمونا (وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) أى لما لم يهتدوا قالوا هذا إفك قديم ونحو هذا ما جاء في المثل من جهل شيئا عاداه ، ووصفه بالقدم لأنه قد قيل قديما ، فإن قيل : كيف تعمل فسيقولون في إذ وهي للماضي والعامل مستقبل ؟ فالجواب : أن العامل في إذ محذوف تقديره إذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون ، قال ذلك الزمخشرى ، ويظهر لى أن إذ هنا بمعنى التعليل لا ظرفية بمعنى الماضي فلا يلزم السؤال ، والمعنى أنهم قالوا هذا إفك بسبب أنهم لم يهتدوا به ، وقد جاءت إذ بمعنى التعليل في القرآن وفي كلام العرب ومنه « ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم » أى بسبب ظلمكم (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة) الضمير في قبله للقرآن وكتاب موسى هو التوراة ، وإماما حال ، ومعناه يقتدى به (وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا) الإشارة بهذا إلى القرآن ، ومعنى مصدق مصدق بما قبله من الكتب ، وقد

مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ

ذكرنا ذلك فى البقرة ولسان حال من الضمير فى مصدق، وقيل مفعول بمصدق أى صدق ذا لسان عربى وهو محمد صلى الله عليه وسلم، واختار هذا ابن عطية (استقاموا) ذكر فى حم السجدة (حسنا) ذكر فى العنكبوت (حملته أمه كرها ووضعته كرها) أى حملته بمشقة ووضعته بمشقة، ويقال كره بفتح الكاف وضمها بمعنى واحد (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) أى مدة حمله ورضاعه ثلاثون شهراً وهذا لا يكون إلا بأن ينقص من أحد الطرفين، وذلك إما أن يكون مدة الحمل ستة أشهر ومدة الرضاع حولين كاملين، أو تكون مدة الحمل تسعة أشهر ومدة الرضاع حولين غير ثلاثة أشهر، ومن هذا أخذ على بن أبى طالب رضى الله عنه والعلماء أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وإنما عبر عن مدة الرضاع بالفصال وهو الفطام لأنه منتهى الرضاع (بلغ أشده) ذكر فى يوسف (وبلغ أربعين سنة) هذا حد كمال العقل والقوة، ويقال إن الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه. وقيل إنها عامة (فى أصحاب الجنة) أى فى جملة أصحاب الجنة كما تقول رأيت فلانا فى الناس أى مع الناس (والذى قال لوالديه أف لكما) قال مروان بن الحكم نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق حين كفره كان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام فيأبى ويقول لهما أف، وأنكرت عائشة رضى الله عنها ذلك، وقالت والله مانزل فى آل أبى بكر شىء من القرآن إلا براءتى. ويبطل ذلك قطعا قوله تعالى «أولئك الذين حق عليهم القول لأن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق أسلم وكان من خيار المسلمين، وكان له فى الجهاد غنى عظيم، وقال السدى مارأيت أعبد منه، وقال ابن عباس نزلت فى ابن لأبى بكر ولم يسمه، ويرد ذلك ماذكرناه عن عائشة وقيل هى على الإطلاق فيمن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه، ويدل على أنها عامة قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول بصيغة الجمع، ولو أراد واحدا بعينه لقال ذلك الذى حق عليه القول، وقد ذكرنا معنى أف فى الإسراء (أتعدانى أن أخرج) أى أتعدانى أنا أن أخرج من القبر إلى البعث (وقد خلت القرون من قبلى) أى وقد مضت قرون من الناس ولم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) الضمير لوالديه أى يستغيثان بالله من كراهتهما لما يقول منهما ثم يقولان له ويلك ثم يأمرانه بالإيمان: فيقول ماهذا إلا أساطير الأولين: أى

وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ ۝ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ۝ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالُوٓا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ وَلَقَدْ

قد سطره الأولون فى كتبهم ، وذلك تكذيب بالبعث والشريعة (ولكل درجات مما عملوا) أى للمحسنين والمسيئين درجات فى الآخرة بسبب أعمالهم ، فدرجات أهل الجنة إلى علو ، ودرجات أهل النار إلى سفل ، وليوفيهم تعليل بفعل محذوف وبه يتعلق تقديره جعل جزاءهم درجات ليوفيهم أعمالهم (ويوم يعرض) العامل فيه محذوف تقديره اذكر (أذهبتم طيباتكم) تقديره يقال لهم أذهبتم طيباتكم ؛ والطيبات هنا الملاذ من المآكل وغيرها ؛ وقرئ أذهبتم بهمزة واحدة على الخبر وبهمزتين على التوبيخ ، والآية فى الكفار بدليل قوله يعرض الذين كفروا وهى مع ذلك واعظة لأهل التقوى من المؤمنين . ولذلك قال عمر لجابر بن عبدالله وقد رآه اشترى لحما أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية (عذاب الهون) أى العذاب الذى يقترن به هوان (واذكر أخا عاد) يعنى هودا عليه السلام (بالأحقاف) جمع حقف وهو الكدس من الرمل واختلف أين كانت فقيل بالشام ، وقيل بين عمان ومهرة وقيل بين عمان وحضرموت ، والصحيح أن بلاد عاد كانت باليمن (وقد خلت النذر) أى تقدمت من قبله ومن بعده ، والنذر جمع نذير ، فإن قيل : كيف يتصور تقدمها من بعده ؟ فالجواب أن هذه الجملة اعتراض وهى إخبار من الله تعالى أنه قد بعث رسلا متقدمين قبل هود وبعده ، وقيل معنى من خلفه فى زمانه (قل إنما العلم عند الله) أى قل إن العذاب الذى قلتم ائتنا به ليس لى علم متى يكون ، وإنما يعلمه الله . وما على إلا أن أبلغكم ما أرسلت به (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم) العارض السحاب الذى يعرض فى أفق السماء . والضمير فى رأوه يعود على ما تعدنا أو على المرئى المبهم الذى فسره قوله عارضا قال الزمخشرى وهذا أعرب وأفصح . وروى أنهم كانوا قد قحطوا مدة ، فلما رأوا هذا العارض ظنوا أنه مطر ففرحوا به فقال لهم هود عليه السلام : بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقوله ريح بدل من ما استعجلتم أو خبر ابتداء مضمر (تدمر كل شىء بأمر ربها) عموم يراد به الخصوص (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) هذا خطاب لقريش على وجه التهديد أى مكنا عادا فيما لم نمكنكم فيه من القوة والأموال وغير ذلك ، ثم أهلكناهم لما كفروا وإن هنا نافية بمعنى ما ، وعدل

Marfat.com

أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا

آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ

الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۞ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ

مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ

وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ

وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى

عن ما كراهية لاجتماعها مع التي قبلها ، وقيل إن شرطية ، وجوابها محذوف تقديره إن مكناكم فيه طغيتم ، قال ابن عطية : وهذا تنطع في التأويل (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) يعني بلاد عاد وثمود وسبأ وغيرها ، والمراد إهلاك أهلها (فلولا نصرهم) الآية عرض معناه النفي أي لم تنصرهم آلهتهم التي عبدوا من دون الله (قربانا) أي تقربوا بهم إلى الله وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وانتصاب قربانا على الحال ، ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانياً لاتخذوا وآلهة بدل منه لفساد المعنى ، قاله الزمخشري ، وقد أجازه ابن عطية (بل ضلوا عنهم) أي تلفوا لهم وغابوا عن نصرهم حين احتاجوا إليهم (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) أي أملناهم نحوك ، والنفر دون العشرة وروى أن الجن كانوا سبعة وكانوا كلهم ذكرانا ، لأن النفر الرجال دون النساء ، وكانوا من أهل نصيبين ، وقيل من أهل الجزيرة ، واختلف هل رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قيل إنه لم يرهم ولم يعلم باستماعهم حتى أعلمه الله بذلك ، وقيل بل علم بهم واستدعاهم واجتمع معهم ، وقد ورد في ذلك عن عبد الله ابن مسعود أحاديث مضطربة ، وسبب استماع الجن أنهم لما طردوا من استراق السمع من السماء برجم النجوم قالوا ما هذا إلا لأمر حدث ، فطافوا بالأرض ينظرون ما أوجب ذلك حتى سمعوا قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة الفجر في سوق عكاظ فاستمعوا إليه وآمنوا به (أنزل من بعد موسى) في هذا دلالة على أنهم كانوا على دين اليهود وقيل كانوا لم يعلموا ببعث عيسى (مصدقا لما بين يديه) ذكر في البقرة (داعي الله) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم (يغفر لكم من ذنوبكم) من هنا للتبعيض على الأصح أي يغفر لكم الذنوب التي فعلتم قبل الإسلام ، وأما التي بعد الإسلام فهي في مشيئة الله ، وقيل معنى التبعيض أن المظالم لا تغفر وقيل إن من زائدة (ويجركم من عذاب أليم) أي من النار ، واختلف الناس هل للجن ثواب زائد على النجاة من النار ، أم ليس لهم ثواب إلا النجاة خاصة (ومن لا يجب داعي الله) الآية : يحتمل أن يكون من كلام الجن أو من كلام الله تعالى ومعنى ليس بمعجز أي لا يفوت (أولم يروا) الآية : احتجاج على بعث الأجساد بخلق السموات والأرض (ولم يعي بخلقهن) يقال عييت بالأمر إذا لم تعرفه فالمعنى أنه تعالى علم كيف خلق السموات والأرض وأحكم خلقتها فلا شك أنه قادر على إحياء الموتى (بقادر) في موضع رفع لأنه خبر أن

النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سورة محمد

مدنية إلا آية ١٣ فنزلت فى الطريق أثناء الهجرة وآياتها ٣٨ نزلت بعد الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ

وإنما دخلت الباء لاشتمال النفى فى أول الآية على أن وخبرها (بلى) جواب لما تقدم أى هو قادر على أن يحيى الموتى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أى اصبر على تكذيب قومك وأولوا العزم هم نوح وإبراهيم وعيسى وموسى، وقيل هم الثمانية عشر المذكورون فى سورة الأنعام لقوله فبهداهم اقتده ، وقيل كل من لقى من أمته شدة وقيل الرسل كلهم أولوا عزم فمن الرسل على هذا لبيان الجنس وعلى الأقوال المتقدمة للتبعيض (ولا تستعجل لهم) أى لا تستعجل نزول العذاب بهم فإنهم صائرون إليه فإنهم إذا هلكوا كأنهم لم يلبثوا فى الدنيا إلا ساعة من نهار لاستقصار أعمارهم (بلاغ) خبر ابتداء مضمر تقديره هذا الذى وعظتم به بلاغ بمعنى كفاية فى الموعظة أو بلاغ من الرسول عليه الصلاة والسلام أى بلغ هذه المواعظ والبراهين .

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

(الذين كفروا) يعنى كفار قريش وعموم اللفظ يعم كل كافر كما أن قوله بعد هذا والذين آمنوا يعنى الصحابة وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن (وصدوا عن سبيل الله) يحتمل أن يكون صدوا بمعنى أعرضوا فيكون غير متعد أو يكون بمعنى صدوا الناس فيكون متعدياً وسبيل الله الإسلام والطاعة (أضل أعمالهم) أى أبطلها وأحبطها وقيل المراد بأعمالهم هنا ما أنفقوا فى غزوة بدر فإن هذه الآية نزلت بعد بدر واللفظ أعم من ذلك (وآمنوا بما نزل على محمد) هذا تجريد للاختصاص والاعتناء بعد عموم قوله آمنوا وعملوا الصالحات ولذلك أكده بالجملة الاعتراضية ، وهو قوله وهو الحق من ربهم (وأصلح بالهم) قيل معناه أصلح حالهم وشأنهم وحقيقة البال الخاطر الذى فى القلب وإذا صلح القلب صلح الجسد كله فالمعنى إصلاح دينهم بالإيمان والإخلاص والتقوى (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا ثم حذف الفعل وأقام المصدر مقامه والمراد اقتلوهم ولكن عبر عنه بضرب الرقاب لأنه الغالب فى صفة القتل (حتى إذا أثخنتموهم)

Marfat.com

تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ

اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن

تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا

مَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ

اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا * ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝ إِنَّ اللَّهَ

يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا

تَأْكُلُ الْأَنْعَٰمُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۝ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ

أى هزمتموهم والإثخان أن يكثر فيهم القتل والأسر (فشدوا الوثاق) عبارة عن الأسر (فإما منا بعد وإما فداء) المن العتق والفداء فك الأسير بمال وهما جائزان فإن مذهب مالك أن الإمام مخير فى الأسارى بين خمسة أشياء وهى المن والفداء والقتل والاسترقاق وضرب الجزية وقيل لا يجوز المن ولا الفداء لأن الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين فلا يجوز على هذا إلا قتلهم والصحيح أنها محكمة وانتصب منا وفداء على المصدرية والعامل فيهما فعلان مضمران (حتى تضع الحرب أوزارها) الأوزار فى اللغة الأثقال فالمعنى حتى تذهب وتزول أثقالها وهى آلاتها وقيل الأوزار الآثام لأن الحرب لابد أن يكون فيها إثم فى أحد الجانبين واختلف فى الغاية المرادة هنا فقيل حتى يسلم الجميع فحينئذ تضع الحرب أوزارها وقيل حتى تقتلوهم وتغلبوهم وقيل حتى ينزل عيسى ابن مريم قال ابن عطية ظاهر اللفظ أنها استعارة يراد بها التزام الأمر أبداً كما تقول أنا أفعل ذلك إلى يوم القيامة (ذلك) تقديره الأمر ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) أو لو شاء الله لأهلك الكفار بعذاب من عنده ولكنه تعالى أراد اختبار المؤمنين وأن يبلو بعض الناس ببعض (عرفها لهم) أى جعلهم يعرفون منازلهم فيها فهو من المعرفة وقيل معناه طيبها لهم فهو من العرف وهو طيب الرائحة وقيل معناه شرفها ورفعها فهو من الأعراف التى هى الجبال (فتعسا لهم) أى عثارا وهلاكا وانتصابه على المصدرية والعامل فيه فعل مضمر وعلى هذا الفعل عطف وأضل أعمالهم (وللكافرين أمثالها) أى لكفار قريش أمثال عاقبة الكفار المتقدمين من الدمار والهلاك (مولى الذين آمنوا) أى وليهم وناصرهم وكذلك وأن الكافرين لا مولى لهم معناه لا ناصر لهم ولا يصح أن يكون المولى هنا بمعنى السيد لأن الله مولى المؤمنين والكافرين بهذا المعنى ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله وردوا إلى الله مولاهم الحق لأن معنى المولى مختلف فى الموضعين فمعنى مولاهم الحق ربهم وهذا على العموم فى جميع الخلق بخلاف قوله مولى الذين آمنوا فإنه خاص بالمؤمنين لأنه بمعنى الولى والناصر (ويأكلون كما تأكل الأنعام) عبارة عن كثرة أكلهم وعن غفلتهم عن النظر كالبهائم (من قريتك التى أخرجتك) يعنى مكة وخروجه صلى الله عليه وآله وسلم من وقت الهجرة ونسب الإخراج إلى القرية والمراد أهلها لأنهم آذوه حتى خرج (أهلكناهم) الضمير للقرى المتقدمة المذكورة فى قوله وكأين من قرية وجمعه حملا على المعنى والمراد

لهم * أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم * مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ٥ ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ٥ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ٥ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ٥ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ٥ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض

أهلكنا أهلها (أفمن كان على بينة من ربه) أى على حجة ويعنى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما يعنى قريشا بقوله كمن زين له سوء عمله واللفظ أعم من ذلك (مثل الجنة) ذكر فى الرعد (غير آسن) أى غير متغير (كمن هو خالد فى النار) تقديره أمثل أهل الجنة المذكورة كمن هو خالد فى النار فحذف هذا على التقدير والمراد به النفى وإنما حذف لدلالة التقدير المتقدم وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه (ومنهم من يستمع إليك) يعنى المنافقين وجاء يستمعون بلفظ الجمع رعيا لمعنى من (قالوا للذين أوتوا العلم) روى أنه عبدالله بن مسعود (ماذا قال آنفا) كانوا يقولون ذلك على أحد وجهين إما احتقارا لكلامه كأنهم قالوا أى فائدة فيه ، وإما جهلا منهم ونسيانا لأنهم كانوا وقت كلامه معرضين عنه وآنفا معناه الساعة الماضية قريبا وأصله من استأنفت الشيء إذا ابتدأته (والذين اهتدوا زادهم هدى) يعنى المؤمنين والضمير فى زادهم لله تعالى أو للكلام الذى قال فيه المنافقون ماذا قال آنفا وقيل يعنى بالذين اهتدوا قوما من النصارى آمنوا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فاهتداؤهم هو إيمانهم بعيسى وزيادة هداهم إسلامهم (فهل ينظرون إلا الساعة) الضمير للمنافقين والمعنى هل ينتظرون إلا الساعة لأنها قريبة (فقد جاء أشراطها) أى علاماتها والذى كان قد جاء من ذلك مبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه قال أنا من أشراط الساعة وبعثت أنا والساعة كهاتين (فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) أى كيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة بغتة فلا يقدرون على عمل ولا تنفعهم التوبة ففاعل جاءتهم الساعة ، وذكراهم مبتدأ وخبره الاستفهام المتقدم والمراد به الاستبعاد (فاعلم أنه لا إله إلا الله) أى دم على العلم بذلك واستدل بعضهم بهذه الآية على أن النظر والعلم قبل العمل لأنه قدم قوله فاعلم على قوله واستغفر (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قيل متقلبكم تصرفكم فى الدنيا ، ومثواكم إقامتكم فى القبور وقيل متقلبكم تصرفكم فى اليقظة ومثواكم منامكم (لولا نزلت سورة) كان المؤمنون يقولون ذلك على وجه الحرص على نزول القرآن والرغبة فيه لأنهم كانوا يفرحون به ويستوحشون من إبطائه (محكمة) يحتمل أن يريد بالمحكمة أى ليس فيها منسوخ ، أو يراد متقنة ، وقرأ ابن مسعود سورة محدثة (رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك) يعنى

Marfat.com

يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۞ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ
صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۞ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۞
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۞
إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ * ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۞ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ
الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ *
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۞ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ
وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۞ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا

المنافقين ونظرهم ذلك من شدة الخوف من القتال لأن نظر الخائف قريب من نظر المغشى عليه (فأولى لهم) فى معناه قولان أحدهما أنه بمعنى أحق وخبره على هذا طاعة والمعنى أن الطاعة والقول المعروف أولى لهم وأحق والآخر أن أولى لهم كلمة معناها التهديد والدعاء عليهم كقولك ويل لهم ومنه أولى لك فأولى . فيوقف على أولى لهم على هذا القول ويكون طاعة ابتداء كلام ، تقديره طاعة وقول معروف أمثل . أو المطلوب منهم طاعة وقول معروف ، وقولهم لك يا محمد طاعة وقول معروف بألسنتهم دون قلوبهم (فإذا عزم الأمر) أسند العزم إلى الأمر مجازا كقولك نهاره صائم وليله قائم (صدقوا الله) يحتمل أن يريد صدق اللسان . أو صدق العزم والنية وهو أظهر (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) هذا خطاب للمنافقين المذكورين خرج من الغيبة إلى الخطاب ، ليكون أبلغ فى التوبيخ والمعنى هل يتوقع منكم الإفساد فى الأرض وقطع الأرحام إن توليتم ، ومعنى توليتم صرتم ولاة على الناس وصار الأمر لكم وعلى هذا قيل إنها نزلت فى بنى أمية وقيل معناه أعرضتم عن الإسلام (إن الذين ارتدوا على أدبارهم) نزلت فى المنافقين الذين نافقوا بعد إسلامهم وقيل نزلت فى قوم من اليهود كانوا قد عرفوا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة ثم كفروا به (سول لهم) أى زين لهم ورجاهم ومناهم (وأملى لهم) أى مد لهم فى الأمانى والآمال والفاعل هو الشيطان وقيل الله تعالى والأول أظهر ، لتناسب الضمير بين الفاعلين ، فى سول وأملى (سنطيعكم فى بعض الأمر) قال ذلك اليهود للمنافقين . وبعض الأمر يعنون به مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربته (فكيف إذا توفتهم الملائكة) أى كيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة ، يعنى ملك الموت ومن معه ، والفاء رابطة للكلام مع ما قبله والمعنى هذا جزعهم من ذكر القتال فكيف يكون حالهم عند الموت (يضربون وجوههم) ضمير الفاعل للملائكة ، وقيل إنه للكفار أى يضربون وجوه أنفسهم وذلك ضعيف (أم حسب) الآية : معناها ظن المنافقون أن لن يفضحهم الله والضغن الحقد ويراد به هنا النفاق والبغض فى الإسلام وأهله (ولو نشاء لأريناكهم) أى لو نشاء لأريناك المنافقين بأعيانهم حتى تعرفهم بعلاماتهم ولكن الله ستر عليهم إبقاء

أَخْبَارَكُمْ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۞ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ۞ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۞ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ۞ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ۞

عليهم وعلى أقاربهم من المسلمين ، وروى أن الله لم يذكر واحدا منهم باسمه (ولتعرفنهم فى لحن القول) معنى لحن القول مقصده وطريقته وقيل اللحن هو الخفى المعنى كالكناية والتعريض والمعنى أنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم سيعرفهم من دلائل كلامهم ، وإن لم يعرفه الله بهم على التعيين (ولنبلونكم) أى نختبركم (حتى نعلم) أى نعلمه علما ظاهرا فى الوجود تقوم به الحجة عليكم وقد علم الله الأشياء قبل كونها ولكنه أراد إقامة الحجة على عباده بما يصدر منهم وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبتلينا فإنك إذا ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا (وشاقوا الرسول) أى خالفوه وعادوه ، ونزلت الآية فى المنافقين وقيل فى اليهود (ولا تبطلوا أعمالكم) يحتمل أربعة معان أحدها لا تبطلوا أعمالكم بالكفر بعد الإيمان والثانى لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات ذكره الزمخشرى وهذا على مذهب المعتزلة خلافا للأشعرية فإن مذهبهم أن السيئات لا تبطل الحسنات . والثالث لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعجب ، والرابع لا تبطلوا أعمالكم بأن تقتطعوها قبل تمامها ، وعلى هذا أخذ الفقهاء الآية : وبهذا يستدلون على أن من ابتدأ نافلة لم يجز له قطعها ، وهذا أبعد هذه المعانى ، والأول أظهر لقوله قبل ذلك فى الكفار أو المنافقين ، وسيحبط أعمالهم فكأنه يقول : ياأيها الذين آمنوا لا تبطلوا أعمالكم مثل هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصدهم عن سبيل الله ومشاقتهم الرسول (فلن يغفر الله لهم) هذا قاطع بأن من مات على الكفر لا يغفر الله له وقد أجمع المسلمون على ذلك (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم) أى لا تضعفوا عن مقاتلة الكفار وتبتدئوهم بالصلح فهو كقوله « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » (ولن يتركم أعمالكم) أى لن ينقصكم أجور أعمالكم يقال وترت الرجل أتره إذا نقصته شيئا أو أذهبت له متاعا (ولا يسألكم أموالكم) أى لا يسألكم جميعها إنما يسألكم ما يخف عليكم مثل ربع العشر وذلك خفيف (إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا) معنى يحفكم يلح عليكم والإحفاء أشد السؤال وتبخلوا جواب الشرط (ويخرج أضغانكم) الفاعل الله تعالى أو البخل ، والمعنى يخرج ما فى قلوبكم من البخل وكراهة الإنفاق (هؤلاء) منصوب على التخصيص أو منادى (لتنفقوا فى سبيل الله) يعنى الجهاد والزكاة (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) أى إنما ضرر بخله على نفسه فكأنه بخل على نفسه بالثواب الذى يستحقه بالإنفاق (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم) أى يأت بقوم على خلاف صفتكم بل راغبين فى الإنفاق فى سبيل الله ، فقيل إن هذا الخطاب لقريش ،

Marfat.com

ســـورة الفتح

مدنية نزلت فى الطريق عند الانصراف من الحديبية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۞ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۞ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۞ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۞ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ

والقوم غيرهم هم الأنصار وهذا ضعيف لأن الآية مدنية نزلت والأنصار حاضرون ، وقيل الخطاب لكل من كان حينئذ بالمدينة والقوم هم أهل اليمن وقيل فارس

ســـورة الفتح

نزلت هذه السورة حين انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، لما أراد أن يعتمر بمكة فصده المشركون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر وهما راجعان إلى المدينة ، لقد نزلت على سورة هى أحب إلىّ من الدنيا وما فيها ، (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) يحتمل هذا الفتح فى اللغة أن يكون بمعنى الحكم أى حكمنا لك على أعدائك ، أو من الفتح بمعنى العطاء كقوله «مايفتح الله للناس من رحمة» أو من فتح البلاد واختلف فى المراد بهذا الفتح على أربعة أقوال : الأول أنه فتح مكة وعده الله به قبل أن يكون وذكره بلفظ الماضى لتحققه وهو على هذا بمعنى فتح البلاد ، الثانى أنه ماجرى فى الحديبية من بيعة الرضوان ومن الصلح الذى عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قريش وهو على هذا بمعنى الحكم أو بمعنى العطاء ويدل على صحة هذا القول أنه لما وقع صلح الحديبية ، شق ذلك على بعض المسلمين بشروط كانت فيه حتى أنزل الله هذه السورة ، ويتبين أن ذلك الصلح له عاقبة محمودة وهذا هو الأصح . لأنه روى أنها لما نزلت قال بعض الناس ماهذا الفتح وقد صدنا المشركون عن البيت ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل هو أعظم الفتوح قد رضى المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالروح ، ورغبوا إليكم فى الأمان ، الثالث أنه ما أصاب المسلمون بعد الحديبية من الفتوح كفتح خيبر وغيرها ، الرابع أنه الهداية إلى الإسلام ودليل هذا القول قوله ليغفر الله لك فجعل الفتح علة للمغفرة ولا حجة فى ذلك إذ يتصور فى الجهاد وغيره أن يكون علة المغفرة أيضا أو تكون اللام للصيرورة والعاقبة لا للتعليل فيكون المعنى إنا فتحنا لك فتحا مبينا فكان عاقبة أمرك أن جمع الله لك بين سعادة الدنيا والآخرة بأن غفر لك وأتم نعمته عليك وهداك ونصرك (هو الذى أنزل السكينة) أى السكون والطمأنينة ، يعنى سكونهم فى صلح الحديبية وتسليمهم بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه الرحمة (الظانين بالله ظن السوء) معناه أنهم ظنوا أن الله يخذل المؤمنين وقالوا لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وقيل معناه أنهم لا يعرفون الله بصفاته فذلك هو ظن السوء به ، والأول أظهر بدليل ما بعده (عليهم

السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ۝ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا * وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ

دائرة السوء) يحتمل أن يكون خبرا أو دعاء (إنا أرسلناك شاهدا) أى تشهد على أمتك (وتعزروه) أى تعظموه وقيل تنصرونه وقرئ تعززوه بزايين منقوطتين ، والضمير فى تعزروه وتوقروه للنبى صلى الله عليه وسلم وفى تسبحوه لله تعالى ، وقيل الثلاثة لله (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) هذا تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله ثم أكد هذا المعنى بقوله « يدالله فوق أيديهم » وذلك على وجه التخييل والتمثيل يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تعلو يد المبايعين له هى يد الله فى المعنى وإن لم تكن كذلك فى الحقيقة وإنما المراد أن عقد ميثاق البيعة مع الرسول عليه الصلاة والسلام ، كعقده مع الله كقوله « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وتأول المتأولون ذلك بأن يد الله معناها النعمة أو القوة وهذا بعيد هنا ونزلت الآية فى بيعة الرضوان تحت الشجرة وسنذكرها بعد (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) يعنى أن ضرر نكثه على نفسه ويراد بالنكث هنا نقض البيعة (سيقول لك المخلفون من الأعراب) الآية : سماهم بالمخلفين لأنهم تخلفوا عن غزوة الحديبية ، والأعراب هم أهل البوادى من العرب ، لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة يعتمر رأوا أنه يستقبل عدوا كثيرا من قريش وغيرهم فقعدوا عن الخروج معه ولم يكن إيمانهم متمكنا فظنوا أنه لا يرجع هو والمؤمنون من ذلك السفر ففضحهم الله فى هذه السورة ، وأعلم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل إليهم ، وأعلمه أنهم كاذبون فى اعتذارهم (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) يحتمل أن يريد قولهم شغلتنا أموالنا وأهلونا لأنهم كذبوا فى ذلك أو قولهم فاستغفر لنا لأنهم قالوا ذلك [illegible] من غير صدق ولا توبة (قوما بورا) أى هالكين من البوار ، وهو الهلاك ويعنى به الهلاك فى الدين (سيقول المخلفون) الآية : أخبر الله رسوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أن المخلفين عن غزوة الحديبية يريدون الخروج معه إذا خرجوا إلى غزوة أخرى ، وهى غزوة خيبر فأمر الله بمنعهم من ذلك وأن يقول لهم لن تتبعونا (يريدون أن يبدلوا كلام الله) أى يريدون أن يبدلوا وعد الله لأهل الحديبية

Marfat.com

قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا

وذلك أن الله وعدهم أن يعوضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها وأن يكون ذلك مختصا بهم دون غيرهم وأراد المخلفون أن يشاركوهم فى ذلك فهذا هو ماأرادوا من التبديل وقيل كلام الله قوله فلن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا وهذا ضعيف لأن هذه الآية نزلت بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد الحديبية بمدة (كذلكم قال الله من قبل) يريد وعده باختصاصه أهل الحديبية بغنائم خيبر (فسيقولون بل تحسدوننا) معناه يعز عليكم أن نصيب معكم مالا وغنيمة وبل هنا للإضراب عن الكلام المتقدم وهو قوله لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فمعناها رد أن يكون الله حكم بأن لا يتبعوهم وأما بل فى قوله تعالى بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا فهى إضراب عن وصف المؤمنين بالحسد وإثبات لوصف المخلفين بالجهل (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد) اختلف فى هؤلاء القوم على أربعة أقوال الأول: أنهم هوازن ومن حارب النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة خيبر والثانى أنهم الروم إذ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتالهم فى غزوة تبوك والثالث أنهم أهل الردة من بنى حنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق والرابع أنهم الفرس ويتقوى الأول والثانى بأن ذلك ظهر فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوى المنذر بن سعيد القول الثالث بأن الله جعل حكمهم القتل أو الإسلام ولم يذكر الجزية قال وهذا لا يوجد إلا فى أهل الردة قلت وكذلك هو موجود فى كفار العرب إذ لا تؤخذ منهم الجزية فيقوى ذلك أنهم هوازن أو يسلمون عطف على تقاتلونهم وقال ابن عطية هو مستأنف (وإن تتولوا كما توليتم من قبل) يريد فى غزوة الحديبية (ليس على الأعمى حرج) الآية معناها أن الله تعالى عذر الأعمى والأعرج والمريض فى تركهم للجهاد لسبب أعذارهم (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار إن شاء الله أحد من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها وفى الحديث أنهم كانوا ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وخمسمائة وسبب هذه البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ الحديبية وهى موضع على نحو عشرة أميال من مكة أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه رسولا إلى أهل مكة يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر وأنه لا يريد حربا فلما وصل إليهم عثمان حبسه أقاربه كرامة له فصرخ صارخ أن عثمان قد قتل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة على القتال وأن لا يفر أحد وقيل بايعوه على الموت ثم جاء عثمان بعد ذلك سالما وانعقد الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة على أن يرجع ذلك العام ويعتمر فى العام القابل، والشجرة المذكورة كانت سمرة هنالك ثم ذهبت بعد سنين فمر عمر بن الخطاب بالموضع فى خلافته فاختلف الصحابة فى

قريبًا ، ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما ، وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما * وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا ، ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا * سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا * هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم

موضعها (فعلم ما فى قلوبهم) يعنى من صدق الإيمان وصدق العزم على ما بايعوا عليه وقيل من كراهة البيعة على الموت وهذا باطل لأنه ذم للصحابة وقد ذكرنا السكينة (وأثابهم فتحا قريبا) يعنى فتح خيبر وقيل فتح مكة والأول أشهر أى جعل الله ذلك ثوابا لهم على بيعة الرضوان زيادة على ثواب الآخرة وأما المغانم المذكورة أولا فهى غنائم خيبر وهى المعطوفة على الفتح القريب وأما المغانم الكثيرة التى وعدهم الله وهى المذكورة ثانيا فهى كل ما يغنم المسلمون إلى يوم القيامة والإشارة بقوله فعجل لكم هذه إلى خيبر وقيل إن المغانم التى وعدهم هى خيبر والإشارة بهذه إلى صلح الحديبية (وكف أيدى الناس عنكم) أى كف أهل مكة عن قتالكم فى الحديبية وقيل كف اليهود وغيرهم عن إضرار نسائكم وأولادكم بينما خرجتم إلى الحديبية (ولتكون آية للمؤمنين) أى تكون هذه الفعلة وهى كف أيدى الناس عنكم آية للمؤمنين يستدلون بها على النصر ، واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره فعل الله ذلك لتكون آية (وأخرى لم تقدروا عليها) يعنى فتح مكة ، وقيل فتح بلاد فارس والروم وقيل مغانم هوازن فى حنين ، والمعنى لم تقدروا أنتم عليها وقد أحاط الله بها بقدرته ووهبها لكم ، وإعراب أخرى عطف على عجل لكم هذه أو مفعول بفعل مضمر تقديره أعطاكم أخرى أو مبتدأ (ولو قاتلكم الذين كفروا) يعنى أهل مكة (سنة الله) أى عادته والإشارة إلى يوم بدر وقيل الإشارة إلى نصر الأنبياء قديما (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) روى فى سببها أن جماعة من فتيان قريش خرجوا إلى الحديبية ، ليصيبوا من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى جماعة من المسلمين فهزموهم وأسروا منهم قوما ، وساقوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلقهم ، فكف أيدى الكفار هو أن هزموا وأسروا وكف أيدى المؤمنين عن الكفار هو إطلاقهم من الأسر وسلامتهم من القتل ، وقوله (من بعد أن أظفركم عليهم) يعنى من بعد ما أخذتموهم أسارى (هم الذين كفروا) يعنى أهل مكة (وصدوكم عن المسجد الحرام) يعنى أنهم منعوهم عن العمرة بالمسجد الحرام عام الحديبية (والهدى معكوفا أن يبلغ محله) الهدى ما يهدى إلى البيت من الأنعام ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ساق حينئذ مائة بدنة وقيل سبعين ليهديها ، والمعكوف المحبوس ومحله موضع نحره يعنى مكة والبيت وإعراب الهدى عطف على الضمير المفعول فى صدوكم ومعكوفا حال من الهدى ، وأن يبلغ مفعول بالعكف فالمعنى صدوكم عن المسجد الحرام ، وصدوا الهدى عن أن يبلغ محله والعكف المذكور يعنى به منع المشركين للهدى عن بلوغ مكة أو حبس المسلمين بالهدى بينما ينظرون فى أمورهم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم) الآية تعليل لصرف الله

فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ

المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل وذلك أنه كان بمكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يخفون إيمانهم فلو سلط الله المسلمين على أهل مكة ، لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم ، ولكن كفهم رحمة للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم ، وجواب لولا محذوف تقديره لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لسلطنا كم عليهم (أن تطئوهم) فى موضع بدل من رجال ونساء أو بدل من الضمير المفعول فى لم تعلموهم والوطء هنا الإهلاك بالسيف وغيره (فتصيبكم منهم معرة) أى تصيبكم من قتلهم مشقة وكراهة ، واختلف هل يعنى الإثم فى قتلهم أو الدية أو الكفارة أو الملامة أو عيب الكفار لهم بأن يقولوا قتلوا أهل دينهم أو تألم نفوسهم من قتل المؤمنين وهذا أظهر لأن قتل المؤمن الذى لا يعلم إيمانه وهو بين أهل الحرب لا إثم فيه ولا دية، ولا ملامة، ولا عيب، (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) يعنى رحمة المؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفار بأن كف سيوف المسلمين عن الكفار من أجلهم أو رحمة لمن شاء من الكفار بأن يسلموا بعد ذلك، واللام تتعلق بمحذوف يدل عليه سياق الكلام تقديره كان كف القتل عن أهل مكة ليدخل الله فى رحمته من يشاء (لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا) معنى تزيلوا تميزوا عن الكفار والضمير للمؤمنين المستورين الإيمان أى لو انفصلوا عن الكفار لعذبنا الكفار فقوله لعذبنا جواب لو الثانية وجواب الأولى محذوف كما ذكرنا ويحتمل أن يكون لعذبنا جواب لو الأولى وكررت لو الثانية تأكيدا (إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية) يعنى أنفة الكفر وهى منعهم للنبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن العمرة ومنعهم من أن يكتب فى كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم ومنعهم من أن يكتب محمد رسول الله وقولهم لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك والعامل فى إذ جعل محذوف تقديره اذكر أو قوله لعذبنا والسكينة هى سكون المسلمين ووقارهم حين جرى ذلك (وألزمهم كلمة التقوى) قال الجمهور هى لا إله إلا الله وقد روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل لا إله إلا الله والله أكبر وهذه كلها متقاربة وقيل هى بسم الله الرحمن الرحيم التى أبى الكفار أن تكتب (وكانوا أحق بها وأهلها) أى كانوا كذلك فى علم الله وسابق قضائه لهم وقيل أحق بها من اليهود والنصارى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى فى منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون ، وروى أنه أتاه ملك فى النوم فقال له لتدخلن المسجد الحرام الآية : فأخبر الناس برؤياه ذلك فظنوا أن ذلك يكون فى ذلك العام فلما صده المشركون عن العمرة عام الحديبية قال المنافقون أين الرؤيا ، ووقع فى نفوس المسلمين شىء من ذلك فأنزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أى تلك الرؤيا صادقة وسيخرج تأويلها بعد ذلك فاطمأنت قلوب المؤمنين وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام المقبل هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتمروا وأقاموا بمكة ثلاثة أيام وظهر صدق رؤياه وتلك عمرة القضية ثم فتح مكة بعد ذلك ثم حج هو وأصحابه وصدق فى هذا الموضع

Marfat.com

ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ

يتعدى إلى مفعولين ، وبالحق يتعلق بصدق أو بالرؤيا على أن يكون حالا منها (إن شاء الله) لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضى الشك فى الأمر ، وذلك محال على الله ، اختلف فى هذا الاستثناء على خمسة أقوال : الأول أنه استثناء قاله الملك الذى رآه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فحكى الله مقالته كما وقعت والثانى أنه تأديب من الله لعباده ليقولون إن شاء الله فى كل أمر مستقبل ، والثالث أنه استثناء بالنظر إلى كل إنسان على حدته لأنه يمكن أن يتم له الأمر أو يموت أو يمرض فلا يتم له ، والرابع أن الاستثناء راجع إلى قوله آمنين لا لدخول المسجد . والخامس أن إن شاء الله بمعنى إذا شاء الله (محلقين رؤسكم ومقصرين) الحلق والتقصير من سنة الحج والعمرة . والحلق أفضل من التقصير ، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله المحلقين ثلاثا ثم قال فى المرة الأخيرة والمقصرين (فعلم مالم تعلموا) يريد ماقدره من ظهور الإسلام فى تلك المدة فإنه لما انعقد الصلح وارتفعت الحرب ورعب الناس فى الإسلام فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الحديبية فى ألف وخمسمائة وقيل ألف وأربعمائة وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) يعنى فتح خيبر ، وقيل بيعة الرضوان وقيل صلح الحديبية . وهذا هو الأصح لأن عمر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفتح هو يارسول الله قال نعم وقيل هو فتح مكة وهذا ضعيف ، لأن معنى قوله من دون ذلك قبل دخول المسجد الحرام وإنما كان فتح مكة بعد ذلك فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة وعمرة القضية عام سبعة وفتح مكة عام ثمانية (ليظهره على الدين كله) ذكر فى براءة (وكفى بالله شهيدا) أى شاهدا بأن محمدا رسول الله أو شاهدا بإظهار دينه (والذين معه) يعنى جميع أصحابه وقيل من شهد معه الحديبية وإعراب الذين معطوف على محمد رسول الله صفته وأشداء خبر عن الجميع ، وقيل الذين معه مبتدأ وأشداء خبره ورسول الله خبر محمد ورجح ابن عطية هذا والأول عندى أرجح لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأما على ما اختاره ابن عطية فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصا بالصحابة دون النبى صلى الله عليه وسلم وما أحق النبى صلى الله عليه وسلم بالوصف بذلك لأن الله قال فيه : بالمؤمنين رءوف رحيم ، وقال « جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » فهذه هى الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين (سيماهم فى وجوههم) السيما العلامة وفيه ستة أقوال . الأول أنه الأثر الذى يحدث فى جبهة المصلى من كثرة السجود ، والثانى أنه أثر التراب فى الوجه الثالث أنه صفرة الوجه من السهر والعبادة ، الرابع حسن الوجه لما ورد فى الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وهذا الحديث غير صحيح بل وقع فيه غلط من الراوى فرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو غير مروى عنه ، الخامس أنه الخشوع ، السادس أن ذلك يكون فى الآخرة يجعل الله لهم نوراً من أثر السجود كما يجعل غرة من أثر الوضوء وهذا بعيد لأن قوله تراهم ركعاً سجداً وصف حالهم فى الدنيا فكيف يكون سيماهم فى وجوههم كذلك ، والأول أظهر . وقد كان بوجه على بن الحسن بن على بن أبى طالب وعلى بن عبد الله بن العباس أثر ظاهر من أثر السجود (ذلك مثلهم فى التوراة) أى وصفهم فيها وتم الكلام

Marfat.com

فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا *

ســـورة الحجرات

مدنية وآياتها ١٨ نزلت بعـــد المجادلة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ

هنا ، ثم ابتدأ قوله ومثلهم فى الإنجيل ، كزرع . وقيل إن مثلهم فى الإنجيل عطف على مثلهم فى التوراة ثم ابتدأ قوله كزرع وتقديره هم كزرع ، والأول أظهر ، ليكون وصفهم فى التوراة بما تقدم من الأوصاف الحسان وتمثيلهم فى الإنجيل بالزرع المذكور بعد ذلك وعلى هذا يكون مثلهم فى الإنجيل بمعنى التشبيه والتمثيل وعلى القول الآخر يكون المثل بمعنى الوصف كمثلهم فى التوراة (كزرع أخرج شطأه) هذا مثل ضربه الله للإسلام حيث بدأ ضعيفا ، ثم قوى وظهر وقيل الزرع مثل للنبى صلى الله عليه وسلم لأنه بعث وحده وكان كالزرع حبة واحدة ، ثم كثر المسلمون فهم كالشطء وهو فراخ السنبلة التى تنبت حول الأصل ، ويقال بإسكان الطاء وفتحها بمد وبدون مد وهى لغات (فآزره) أى قواه وهو من الموازرة بمعنى المعاونة ويحتمل أن يكون الفاعل الزرع والمفعول شطأه أو بالعكس لأن كل واحد منهما يقوى الآخر ، وقيل معناه ساواه طولا فالفاعل على هذا الشطأ ووزن آزره فاعله وقيل أفعله ، وقرئ بقصر الهمزة على وزن فعل (فاستغلظ) أى صار غليظا (فاستوى على سوقه) جمع ساق أى قام الزرع على سوقه ، وقيل قوله كزرع يعنى النبى صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه بأبى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى بن أبى طالب (ليغيظ بهم الكفار) تعليل لما دل عليه المثل المتقدم من قوة المسلمين فهو يتعلق بفعل يدل عليه الكلام تقديره جعلهم الله كذلك ليغيظ بهم الكفار ، وقيل يتعلق بوعد وهو بعيد (منهم) لبيان الجنس لا للتبعيض لأنه وعد عم جميعهم رضى الله عنهم

ســـورة الحجرات

(لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) فيه ثلاثة أقوال أحدها لا تتكلموا بأمر قبل أن يتكلم هو به ولا تقطعوا فى أمر إلا بنظره والثانى لا تقدموا الولاة بحضره فإنه يقدم من شاء، والثالث لا تتقدموا بين يديه اذا مشى وهذا إنما يجرى على قراءة يعقوب لا تقدموا بفتح التاء والقاف والدال ، والأول هو الأظهر لأن عادة العرب الاشتراك فى الرأى وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له فربما فعل ذلك قوم مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فنهاهم الله عن ذلك ، ولذلك قال مجاهد معناه لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يذكره على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما قال بين يدى الله لأن النبى صلى الله عليه وسلم إنما يتكلم بوحى من الله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) أمر الله المؤمنين أن يتأدبوا مع النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الأدب كرامة له

أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ

وتعظيما وسببها أن بعض جفاة الأعراب كانوا يرفعون أصواتهم (أن تحبط أعمالكم) مفعول من أجله تقديره مخافة أن تحبط أعمالكم إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته أو جهرتم له بالقول صلى الله عليه وسلم فالمفعول من أجله يتعلق بالفعلين معا من طريق المعنى، وأما من طريق الإعراب فيتعلق عند البصريين بالثانى وهو ولا تجهر وعند الكوفيين بالأول وهو لا ترفعوا أصواتكم، وهذا الإحباط لأن قلة الأدب معه صلى الله عليه وسلم والتقصير فى توقيره يحبط الحسنات وإن فعله مؤمن، لعظيم ما وقع فيه من ذلك وقيل إن الآية خطاب للمنافقين وهذا ضعيف، لقوله فى أولها ديا أيها الذين آمنوا، وقوله وأنتم لا تشعرون فإنه لا يصح أن يقال هذا المنافق فانه يفعله جرأة وهو يقصده (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) نزلت فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فانه لما نزلت الآية قبلها قال أبو بكر: والله يارسول الله لا أكلمك إلا سرا وكان عمر يخفى كلامه حين يستفهمه النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولفظها مع ذلك على عمومه ومعنى امتحن اختبر فوجدها كما يجب مثل ما يختبر الذهب بالنار، فيوجد طيبا، وقيل معناها دربها للتقوى حتى صارت قوية على احتماله بغير تكلف وقيل معناه أخلصها الله للتقوى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) الحجرات جمع حجرة وهى قطعة من الأرض يحجر عليها بحائط وكان لكل واحدة من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حجرة ونزلت الآية فى وفد بنى تميم قدموا على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فدخلوا المسجد ودنوا من حجرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ووقفوا خارجها ونادوا يا محمد اخرج إلينا فكان فى فعلهم ذلك جفاء وبداوة وقلة توقير فتربص رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة ثم خرج إليهم فقال له واحد منهم وهو الأقرع بن حابس يا محمد إن مدحى زين وذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ذلك الله تعالى (أكثرهم لا يعقلون) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون فيهم قليل ممن يعقل ونفى العقل عن أكثرهم لا عن جميعهم والآخر أن يكون جميعهم ممن لا يعقل وأوقع القلة موضع النفى والأول أظهر فى مقتضى اللفظ والثانى أبلغ فى الذم (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) يعنى خيرا فى الثواب وفى انبساط نفس النبى صلى الله عليه وسلم وقضائه حوائجهم وإنكار فعلهم فيه تأديب لهم وتعليم لغيرهم (إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا) سببها أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط إلى بنى المصطلق ليأخذ زكاتهم فروى أنه كان معاديا لهم فأراد إذايتهم فرجع من بعض طريقه فكذب عليهم وقال للنبى صلى الله عليه وسلم إنهم قد منعونى الصدقة وطردونى وارتدوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بغزوهم ونظر فى ذلك فورد وفدهم منكرين لذلك وروى أن الوليد بن عقبة لما قرب منهم خرجوا إليه متلقين له فرآهم على بعد ففزع منهم وظن بهم الشر فانصرف فقال ما قال وروى أنه بلغه أنهم قالوا لا نعطيه صدقة ولا نطيعه فانصرف وقال ما قال فالفاسق المشار إليه فى الآية هو الوليد بن عقبة ولم يزل بعد ذلك يفعل

Marfat.com

فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ

أفعال الفساق حتى صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران ثم قال لهم أزيدكم إن شئتم ، ثم هى باقية فى كل من اتصف بهذه الصفة إلى آخر الدهر ، وقرئ فتبينوا من التبين وتثبتوا بالثاء من التثبت ويقوى هذه القراءة أنها لما نزلت روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التثبت من الله والعجلة من الشيطان ، واستدل بهذه الآية القائلون بقبول خبر الواحد ، لأن دليل الخطاب يقتضى أن خبر غير الفاسق مقبول ، قال المنذر البلوطى : وهذه الآية ترد على من قال إن المسلمين كلهم عدول ، لأن الله أمر بالتبين قبل القبول . فالمجهول الحال يخشى أن يكون فاسقا (أن تصيبوا قوما بجهالة) فى موضع المفعول من أجله تقديره مخافة أن تصيبوا قوما بجهالة ، والإشارة إلى قتال بنى المصطلق لما ذكر عنهم الوليد ماذكر (لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم) أى لشقيتم ، والعنت المشقة ، وإنما قال لو يطيعكم لم يقل لو أطاعكم للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم ، والحق خلاف ذلك ، وإنما الواجب أن يطيعوه لا أن يطيعهم ، وذلك أن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خير وأصوب من رأى غيره ، ولو أطاع الناس فى رأيهم لهلكوا ، فالواجب عليهم الانقياد إليه والرجوع إلى أمره ، وإلى ذلك الإشارة بقوله «ولكن الله حبب إليكم الإيمان» الآية (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) اختلف فى سبب نزولها ، فقال الجمهور هو ما وقع بين المسلمين وبين المتحزبين منهم لعبد الله بن أبى بن سلول حين مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه إلى زيارة سعد بن عبادة فى مرضه فبال حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبى للنبى صلى الله عليه وسلم لقد آذانى نتن حمارك فرد عليه عبد الله بن رواحة وتلاحا الناس حتى وقع بين الطائفتين ضرب بالجريد ، وقيل بالحديد ، وقيل سببها أن فريقين من الأنصار وقع بينهما قتال فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جهد ثم حكمها باق إلى آخر الدهر وإنما قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا لأن الطائفة فى معنى القوم والناس ، فهى فى معنى الجمع (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى) أمر الله فى هذه الآية بقتال الفئة الباغية ، وذلك إذا تبين أنها باغية فأما الفتن التى تقع بين المسلمين . فاختلف العلماء فيها على قولين أحدهما أنه لا يجوز النهوض فى شىء منها ولا القتال وهو مذهب سعد بن أبى وقاص وأبى ذر وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، وحجتهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال المسلم كفر . وأمره عليه الصلاة والسلام بكسر السيوف فى الفتن . والقول الثانى أن النهوض فيها واجب لتكف الطائفة الباغية ، وهذا قول على وعائشة وطلحة والزبير وأكثر الصحابة ، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء ، وحجتهم هذه الآية فإذا فرعنا على القول الأول ، فإن دخل داخل على من اعتزل الفريقين منزله يريد نفسه أو ماله فليدفعه عن نفسه وإن أدى ذلك إلى قتله لقوله صلى الله عليه وسلم من قتل دون نفسه أو ماله فهو شهيد ، وإذا فرعنا على القول الثانى فاختلف مع من يكون النهوض فى الفتن فقيل مع السواد الأعظم وقيل مع العلماء ، وقيل مع من يرى أن الحق معه ،

Marfat.com

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا

وحكم القتال فى الفتن أن لايجهز على جريح ولا يطلب هارب ، ولا يقتل أسير ولا يقسم فىء (حتى تفىء) أى ترجع إلى الحق (فأصلحوا بين أخويكم) إنما ذكره بلفظ التثنية لأن أقل من يقع بينهم البغى اثنان ، وقيل أراد بالأخوين الأوس والخزرج ، وقرئ بين إخوتكم بالتاء على الجمع وقرئ بين إخوانكم بالنون على الجمع أيضا (لا يسخر قوم من قوم) نهى عن السخرية وهى الاستهزاء بالناس (عسى أن يكونوا خيراً منهم) أى لعل المسخور منه خير من الساخر عندالله وهذا تعليل للنهى (ولا نساء من نساء) لما كان القوم لايقع إلا على الذكور عطف النساء عليهم (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لا يطعن بعضكم على بعض واللمز العيب سواء كان بقول أو إشارة أو غير ذلك ، وسنذكر الفرق بينه وبين الهمز فى سورة الهمزة وأنفسكم هنا بمنزلة قوله فسلموا على أنفسكم (ولا تنابزوا بالألقاب) أى لا يدع أحد أحدا بلقب والتنابز بالألقاب التداعى بها وقد أجاز المحدثون أن يقال الأعمش والأعرج ونحوه اذا دعت إليه الضرورة ولم يقصد النقص والاستخفاف (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) يريد بالاسم أن يسمى الإنسان فاسقا بعد أن سمى مؤمنا ، وفى ذلك ثلاثة أوجه: أحدها استقباح الجمع بين الفسق وبين الإيمان ، فمعنى ذلك أن من فعل شيئاً من هذه الأشياء التى نهى عنها فهو فاسق وإن كان مؤمنا ، والآخر بئس مايقوله الرجل للآخر يافاسق بعد إيمانه ، كقولهم لمن أسلم من اليهود يايهودى ، الثالث أن يجعل من فسق غير مؤمن وهذا على مذهب المعتزلة (اجتنبوا كثيراً من الظن) يعنى ظن السوء بالمسلمين ، وأما ظن الخير فهو حسن (إن بعض الظن إثم) قيل فى معنى الإثم هنا الكذب لقوله صلى الله عليه وسلم الظن أكذب الحديث لأنه قد لايكون مطابقا للأمر ، وقيل إنما يكون إثما إذا تكلم به وأما إذا لم يتكلم به فهو فى فسحة لأنه لايقدر على دفع الخواطر واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة سد الذرائع فى الشرع لأنه أمر باجتناب كثير من الظن ، وأخبر أن بعضه إثم فأمر باجتناب الأكثر من الإثم احترازاً من الوقوع فى البعض الذى هو إثم (ولا تجسسوا) أى لا تبحثوا عن مخبآت الناس وقرأ الحسن تحسسوا بالحاء والتجسس بالجيم فى الشر وبالحاء فى الخير ، وقيل التجسس ما كان من وراء والتحسس بالحاء الدخول والاستعلام (ولا يغتب بعضكم بعضا) المعنى: لا يذكر أحدكم من أخيه المسلم ما يكره لو سمعه والغيبة هى مايكره الإنسان ذكره من خلقه أو خلقه أو دينه أو أفعاله أو غير ذلك ، وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره ، قيل يارسول الله وإن كان حقا ، قال إذا قلت باطلا فذلك بهتان وقد رخص فى الغيبة فى مواضع منها فى التجريح فى الشهادة والرواية والنكاح وشبهه وفى التحذير من أهل الضلال

Marfat.com

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *

(أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) شبه الله الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتا والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم ثم زاد فى تقبيحه أن جعله ميتاً لأن الجيفة مستقذرة ويجوز أن يكون ميتاً حال من الأخ أو من لحمه وقيل فكرهتموه إخبار عن حالهم بعد التقرير كأنه لما قررهم قال هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا أجابوا فقالوا لانحب ذلك فقال لهم فكرهتموه وبعد هذا محذوف تقديره فكذلك فاكرهوا الغيبة التى هى تشبهه وحذف هذا لدلالة الكلام عليه وعلى هذا المحذوف يعطف قوله واتقوا الله ، قاله أبو على الفارسى . وقال الرمانى كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل وهو أحق أن يجاب لأنه بصير عالم ، والطبع أعمى جاهل ، وقال الزمخشرى فى هذه الآية مبالغات كثيرة منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ماهو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحد من الأحدين لايحب ذلك ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله ميتاً ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الانسان حتى جعله أخاله (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) الذكر والأنثى هنا آدم وزوجه قال ابن عطية ويحتمل أن يريد الجنس كأنه قال إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى والأول أظهر وأصح لقوله صلى الله عليه وسلم أنتم من آدم وآدم من التراب ومقصود الآية التسوية بين الناس والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب ، والطعن فى الأنساب فبين الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب إنما هو بالتقوى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، وروى أن سبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بنى بياضة أن يزوجوا أباهند امرأة منهم فقالوا كيف نزوج بناتنا موالينا (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو أعظم من القبيلة وتحته القبيلة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهم القرابة الأدنون فمضر وربيعة وأمثالها شعوبا ، وقريش قبيلة ، وبنى عبد مناف بطن ، وبنو هاشم فخذ ، ويقال بإسكان الخاء فرقا بينه وبين الجارحة وبنو عبد المطلب فصيلة . وقيل الشعوب فى العجم والقبائل فى العرب والأسباط فى بنى إسرائيل ومعنى لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا (قالت الأعراب آمنا) نزلت فى بنى أسد بن خزيمة وهى قبيلة كانت تجاور المدينة أظهروا الإسلام وكانوا إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا فأكذبهم الله فى قولهم آمنا وصدقهم لو قالوا أسلمنا وهذا على أن الايمان هو التصديق بالقلب والاسلام هو الانقياد بالنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح فالإسلام والإيمان فى هذا الموضع متباينان فى المعنى وقد يكونان متفقان وقد يكون الاسلام أعم من الايمان فيدخل فيه الايمان حسبما ورد فى مواضع أخر (وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئا) معنى لايلتكم لاينقصكم شيئا من أجور أعمالكم وفيه لغتان يقال لات وعليه قراءة نافع لايلتكم بغير همز ، ويقال ألات وعليه قراءة من قرأ لايألتكم بهمزة قبل اللام ، فإن قيل : كيف يعطيهم أجور أعمالهم وقد قال إنهم لم يؤمنوا ولا يقبل عمل إلا من مؤمن؟ فالجواب أن طاعة

Marfat.com

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَـٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أُولَـٰئِكَ هُمُ الصَّـٰدِقُونَ ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿

ســـورة ق

مكية إلا آية ٣٨ فمدنية وآياتها ٤٥ نزلت بعد المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا

الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال فالمعنى إن رجعتم عما أنتم عليه من الإيمان بألسنتكم دون قلوبكم وعملتم أعمالا صالحة فإن الله لا ينقصكم منها شيئا (ثم لم يرتابوا) أى لم يشكوا فى إيمانهم وفى ذلك تعريض بالأعراب المذكورين بأنهم فى شك وكذلك قوله فى هؤلاء أولئك هم الصادقون تعريض أيضا بالأعراب إذ كذبوا فى قولهم آمنا وإنما عطف ثم لم يرتابوا بثم إشعارا بثبوت إيمانهم فى الأزمنة المتراخية المتطاولة (وجاهدوا) يريد جهاد الكفار لأنه دليل على صحة الإيمان ويبعد أن يريد جهاد النفس والشيطان لقوله بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله (يمنون عليك أن أسلموا) نزلت فى بنى أسد أيضا فإنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم إنا آمنا بك واتبعناك ولم نحاربك كما فعلت هوازن وغطفان وغيرهم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) أى هداكم للإيمان على زعمكم ولذلك قال إن كنتم صادقين، ويمن عليكم يحتمل أن يكون بمعنى ينعم عليكم أو بمعنى يذكر إنعامه، وهذا أحسن لأنه فى مقابلة يمنون عليك

ســـورة ق

تكلمنا على حروف الهجاء فى أول سورة البقرة ويختص ق بأنه قيل إنه من اسم الله القاهر أو القدير وقيل هو اسم للقرآن وقيل اسم للجبل الذى يحيط بالدنيا (والقرآن المجيد) من المجد وهو الشرف والكرم وجواب هذا القسم محذوف تقديره ماردوا أمرك بحجة وما كذبوك ببرهان وشبه ذلك وعبر عن هذا المحذوف وقع الإضراب ببل وقيل الجواب مايلفظ من قول وقيل إن فى ذلك لذكرى وقيل قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وهذه الأقوال ضعيفة متكلفة (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) الضمير فى عجبوا لكفار قريش والمنذر هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير لجميع الناس واختاره ابن عطية قال ولذلك قال تعالى فقال الكافرون أى الكافرون من الناس والصحيح أنه لقريش وقوله قال الكافرون وضع الظاهر موضع المضمر لقصد ذمهم بالكفر كما تقول جاءنى فلان فقال الفاجر كذا إذا قصدت ذمه وقوله منذر منهم إن كان الضمير لقريش فمعنى منهم من قبيلتهم يعرفون صدقه وأمانته وحسبه فيهم وإن كان الضمير لجميع الناس فمعنى منهم إنسان مثلهم، وتعجبهم يحتمل أن يكون من أن بعث الله بشرا أو من الأمر الذى يتضمنه الإنذار وهو

شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ

الحشر ويؤيد هذا ما يأتى بعد (أئذا متنا وكنا ترابا) العامل فى إذا محذوف تقديره أنبعث إذا متنا (ذلك رجع بعيد) الرجع مصدر رجعته والمراد به البعث بعد الموت ومعنى بعيد أى بعيد الوقوع عندهم وقيل الرجع الجواب أى جوابهم هذا بعيد عن الحق وعلى هذا يكون قوله ذلك رجع بعيد من كلام الله تعالى وأما على الأول فهو حكاية كلام الكفار وهو أظهر (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) هذا رد على الكفار فى إنكارهم للبعث معناه قد علمنا ما تنقص الأرض منهم من لحومهم وعظامهم فلا يصعب علينا بعثهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كل جسد ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب وقيل المعنى قد علمنا ما يحصل فى بطن الأرض من موتاهم والأول قول ابن عباس والجمهور وهو أظهر (وعندنا كتاب حفيظ) يعنى اللوح المحفوظ ومعنى حفيظ جامع لا يشذ عنه شيء وقيل معناه محفوظ من التغيير والتبديل (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) هذا الإضراب أتبع به الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أفبح من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة وما تضمنته من الإخبار بالحشر وغير ذلك وقال ابن عطية هذا الاضراب عن كلام محذوف تقديره ما أجادوا النظر ونحو ذلك (فهم فى أمر مريج) أى مضطرب لأنهم تارة يقولون شاعر وتارة ساحر وغير ذلك من أقوالهم وقيل معناه منكر وقيل ملتبس وقيل مختلط (وزيناها) يعنى بالنجوم (وما لها من فروج) أى من شقوق وذلك دليل على إتقان الصنعة (رواسى) يعنى الجبال (من كل زوج بهيج) أى من كل نوع جميل (ماء مباركا) يعنى المطر كله وقيل الماء المبارك ماء مخصوص ينزله الله كل سنة وليس كل المطر يتصف بالمبارك وهذا ضعيف (حب الحصيد) هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد (باسقات) أى طويلات (طلع نضيد) الطلع أول ما يظهر من التمر وهو أبيض منضد كحب الرمان فما دام ملتصقا بعضه ببعض فهو نضيد فإذا تفرق فليس بنضيد (كذلك الخروج) تمثيل لخروج الموتى من القبور بخروج النبات من الأرض (وأصحاب الرس) قوم كانت لهم بئر عظيم وهى الرس بعث إليهم نبى فجعلوه فى الرس وردموا عليه فأهلكهم الله (وأصحاب الأيكة) يعنى قوم شعيب وقد ذكر (وقوم تبع) ذكر فى الدخان (فحق وعيد) أى حل بهم الهلاك (أفعيينا بالخلق الأول) يقال عيى بالأمر إذا لم يعرف علمه والخلق الأول خلق الإنسان من نطفة ثم من علقة

Marfat.com

حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا

وقيل يعنى خلق آدم ، وقيل خلق السموات والأرض ، والأول أظهر ، ومقصود الآية الاستدلال بالخلقة الأولى على البعث والهمزة للإنكار (بل هم فى لبس من خلق جديد) أى هم فى شك من البعث وإنما نكر الخلق الجديد لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطبين وعرف الخلق الأول لأنه معروف معهود (ولقد خلقنا الإنسان) يعنى جنس الإنسان ومعنى توسوس به نفسه تحدثه نفسه فى فكرتها وذلك أخفى الأشياء وقيل يعنى آدم ووسوسته عند أكله من الشجرة والأول أظهر وأشهر (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) هو عرق كبير فى العنق وهما وريدان عن يمين وشمال وهذا مثل فى فرط القرب ، والمراد به قرب علم الله واطلاعه على عبده وإضافة الحبل إلى الوريد كقولك : مسجد الجامع أو يراد بالحبل العاتق (إذ يتلقى المتلقيان) يعنى الملكين الحافظين الكاتبين الأعمال ، والتلقى هو تلقى الكلام بحفظه وكتابته ، والعامل فى إذ نحن أقرب ، وقيل مضمر تقديره اذكر واختاره ابن عطية (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أى قاعد ، وقيل مقاعد بمعنى مجالس ، ورده ابن عطية بأن المقاعد إنما يكون مع قعود الإنسان ، والقاعد يكون على جميع هيئة الإنسان وإنما أفرده وهما اثنان لأن التقدير عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين ، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه ، وقال الفراء لفظ قعيد يدل على الاثنين والجماعة فلا يحتاج إلى حذف (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) العتيد الحاضر ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن مقعد الملكين على الشفتين قلمهما اللسان ومدادهما الريق ، وعموم الآية يقتضى أن الملكين يكتبان جميع أعمال العبد ولذلك قال الحسن وقتادة يكتبان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك ، وقال عكرمة إنما تكتب الحسنات والسيئات لا غير (وجاءت سكرة الموت بالحق) أى بلقاء الله أو فراق الدنيا ، وفى مصحف عبد الله ابن مسعود : وجاءت سكرة الحق بالموت ، وكذلك قرأها أبو بكر الصديق ، وإنما قال جاءت بالماضى لتحقق الأمر وقربه ، وكذلك ما بعده من الأفعال (ذلك ما كنت منه تحيد) أى تفر وتهرب ، والخطاب للإنسان (سائق وشهيد) السائق ملك يسوقه ، وأما الشهيد فقيل ملك آخر يشهد عليه وهو الأظهر ، وقيل صحائف الأعمال ، وقيل جوارح الإنسان (لقد كنت فى غفلة من هذا) خطاب للإنسان الذى يقتضيه قوله : كل نفس ، يريد أنه كان غافلا عما لقى فى الآخرة ، وقيل هو خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أى كنت فى غفلة من هذا القصص وهذا فى غاية الضعف لأنه خروج عن سياق الكلام (فكشفنا عنك غطاءك) قبل كشف الغطاء معاينته أمور الآخرة (فبصرك اليوم حديد) أى يبصر مالم يبصره قبل ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا (وقال قرينه هذا ما لدى عتيد) القرين هنا الشيطان الذى كان يغويه ، وقيل الملك الذى يتولى عذابه فى جهنم ، والأول أرجح لأنه هو القرين المذكور بعد ، ولقوله

Marfat.com

ءاخر فألقياه فى العذاب الشديد ۝ قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلل بعيد ۝ قال لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد ۝ ما يبدل القول لدى وما أنا بظلم للعبيد ۝ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ❋ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ۝ هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ ۝ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ❋ ادخلوها بسلم ذلك يوم الخلود ۝ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ۝

نقيض له شيطانا ، فهو له قرين ، ومعنى قوله هذا مالدى عتيد ، أى هذا الإنسان حاضر لدى أعتدته ويسرته لجهنم ، وكذلك المعنى إن قلنا إن القرين هو الملك السائق ، وإن قلنا إنه أحد الزبانية فمعناه هذا العذاب لدى حاضر ويحتمل أن يكون مافى قوله ، مالدى ، موصوفة أو موصولة ، فإن كانت موصوفة فعتيد وصف لها وإن كانت موصولة ، فعتيد بدل منها ، أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف وماهى خبر المبتدأ على هذه الوجوه ، ويحتمل أن يكون عتيد الخبر وتكون ما بدلا من هذا أو منصوبة بفعل مضمر (ألقيا فى جهنم) الخطاب للملكين السائق والشهيد ، وقيل إنه خطاب لواحد على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة ، ثم أبدل منها ألف أو على أن يكون معناه ألق ألق مثنى مبالغة وتأكيدا أو على أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم خليلى وصاحبى وهذا كله تكلف بعيد ، ومما يدل على أن الخطاب لاثنين قوله فألقياه فى العذاب الشديد. (مناع للخير) قيل مناع للزكاة المفروضة والصحيح العموم (مريب) شاك فى الدين فهو من الريب بمعنى الشك (الذى جعل) يحتمل أن يكون مبتدأ وخبره فألقياه وأدخل فيه ألفا لتضمنه معنى الشرط أو يكون بدلا أو صفة ويكون فألقياه تكرارا للتوكيد (قال قرينه ربنا ما أطغيته) القرين هنا شيطانه الذى وكل به فى الدنيا ، بلا خلاف ومعنى ما أطغيته ما أوقعته فى الطغيان ، ولكنه طغى باختياره ، وإنما حذف الواو هنا لأن هذه جملة مستأنفة بخلاف قوله وقال قرينه قبل هذا فإنه عطف (لا تختصموا لدى) خطاب للناس وقرنائهم من الشياطين (ما يبدل القول لدى) أى قد حكمت بتعذيب الكفار فلا تبديل لذلك ، وقيل معناه لا يكذب أحد لدى لعلمى بجميع الأمور فالإشارة على هذا إلى قول القرين ما أطغيته (وتقول هل من مزيد) الفعل مسند إلى جهنم ، وقيل إلى خزنتها من الملائكة ، والأول أظهر واختلف هل تتكلم جهنم حقيقة أو مجازا بلسان الحال ، والأظهر أنه حقيقة وذلك على الله يسير ، ومعنى قولها ، هل من مزيد ، إنما تطلب الزيادة وكانت لم تمتلىء وقيل معناه لا مزيد أى ليس عندى موضع للزيادة فهى على هذا قد امتلأت والأول أظهر وأرجح ، لما ورد فى الحديث لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يلقى فيها الجبار قدمه ، وفى الحديث كلام ليس هذا موضعه ، والمزيد يحتمل أن يكون مصدرا كالمحيض أو اسم مفعول فإن كان مصدرا فوزنه مفعل وإن كان اسم مفعول فوزنه مفعول (وأزلفت الجنة) أى قربت ثم أكد ذلك بقوله غير بعيد (لكل أواب) أى كثير الرجوع إلى الله فهو من آب يؤوب إذا رجع ، وقيل هو المسبح لله من قوله «ياجبال أوبى معه» (حفيظ) أى حافظ لأوامر الله فيفعلها ولنواهيه فيتركها (من خشى الرحمن بالغيب) أى اتقى الله وهو غائب عن الناس ، فالمجرور فى موضع الحال ، ومن خشى بدل أو مبتدأ ، فإن قيل : كيف قرن بالخشية الاسم الدال على الرحمة ؟ فالجواب : أن ذلك لقصد المبالغة فى الثناء على من يخشى الله لأنه يخشاه مع علمه برحمته وعفوه ، قال ذلك الزمخشرى : ويحتمل أن يكون

Marfat.com

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِى الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ، فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ، وَمِنَ الَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ السُّجُودِ ، وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ، يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ، نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ،

الجواب عن ذلك أن الرحمن صار يستعمل استعمال الاسم الذى ليس بصفة كقولنا الله (ولدينا مزيد) قيل معناه النظر إلى وجه الله ، كقوله « الحسنى وزيادة » وقيل يعنى مالم يخطر على قلوبهم كما ورد فى الحديث مما يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه أنه قال : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (هم أشد منهم بطشا) الضمير فى هم للقرون المتقدمة ، وفى منهم لكفار قريش (فنقبوا فى البلاد) أى طافوا فيها وأصله دخولها من أنقابها أو من التنقب عن الأمر ، بمعنى البحث عنه (هل من محيص) أى قالوا هل من مهرب من الله أو من العذاب (لمن كان له قلب) أى قلب واع يعقل ويفهم (أو ألقى السمع وهو شهيد) أى استمع وهو حاضر القلب (وما مسنا من لغوب) اللغوب الإعياء والتعب (فاصبر على مايقولون) يعنى كفار قريش وغيرهم (وسبح بحمد ربك) يحتمل أن يريد التسبيح باللسان ، أو يريد الصلاة وقد ذكر الزمخشرى فيه الوجهين وقال ابن عطية : معناه صل بإجماع من المتأولين ، وهى على هذا إشارة إلى الصلوات الخمس فقبل طلوع الشمس الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل المغرب والعشاء ، وقيل هى النوافل (وأدبار السجود) قال عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما : الركعتين بعد المغرب وقال ابن عباس هى النوافل بعد الفرائض ، وقيل الوتر (واستمع) معناه انتظر فهو عامل فى يوم يناد على أنه مفعول به صريح ، وقيل المعنى استمع لما نقص عليك من أهوال القيامة فعلى هذا لايكون عاملا فى يوم يناد فيوقف على استمع والأول أظهر (يوم يناد المناد من مكان قريب) المنادى هنا إسرافيل الذى ينفخ فى الصور ، وقيل إنما وصفه بالقرب لأنه يسمعه جميع الخلق ، وقيل المكان صخرة بيت المقدس ، وإنما وصفها بالقرب لقربها من مكة ، وقيل لقربها من السماء ، لأنها أقرب إلى الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا وهذا ضعيف (يوم الخروج) يعنى خروج الناس من القبور (ويوم تشقق) العامل فى هذا الظرف معنى قوله « حشر علينا يسير » أوهو بدل مما قبله (وما أنت عليهم بجبار) أى بقهار تقهرهم على الإيمان كقوله « لست عليهم بمصيطر » وقيل إخبار بأنه صلى الله عليه وسلم رؤف بهم غير جبار عليهم وهذا أظهر (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) كقوله « إنما تنذر الذين يخشون ربهم » لأنه لاينفع التذكير إلا من يخاف

Marfat.com

ســـورة الذاريات

مكية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الأحقاف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۞ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۞ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۞ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۞ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۞ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۞ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۞ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۞ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۞ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۞ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۞ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۞

ســـورة الذاريات

(والذاريات ذروا) هى الرياح تذرو التراب وغيره، ومنه قوله تعالى «تذروه الرياح» وانتصب ذروا على المصدرية (فالحاملات وقرا) هى السحاب تحمل المطر والوقر الحمل وهو مفعول به (فالجاريات يسرا) هى السفن تجرى فى البحر وإعراب يسرا صفة لمصدر محذوف ومعناه بسهولة (فالمقسمات أمرا) هى الملائكة تقسم أمر الملكوت من الأرزاق والآجال وغير ذلك، وأمرا مفعول به. وقيل إن الحاملات وقرا: السفن، وقيل جميع الحيوان الحامل، وقيل إن الجاريات يسرا: السحاب، وقيل الجوارى من الكواكب والأول أشهر وهو قول على بن أبى طالب (إنما توعدون لصادق) هذا جواب القسم ويحتمل توعدون أن يكون من الوعد أو من الوعيد والأظهر أنه يراد به البعث فى الآخرة وهو يشمل الوعد والوعيد (وإن الدين لواقع) الدين هنا الجزاء، وقيل الحساب (والسماء ذات الحبك) أى ذات الطرائق مثل الطرائق التى تكون فى الماء إذا هبت عليه الرياح، وكذلك حبك الزرع وهى الطرائق التى فيه وقيل الحبك النجوم وقيل زينة السماء وقيل حسن خلقتها وواحد الحبك حباك أو حبيكة (إنكم لفى قول مختلف) يحتمل أن يكون خطابا لجميع الناس لأنهم اختلفوا فمنهم مؤمن ومنهم كافر. ويحتمل أن يكون خطابا للكفار خاصة لأنهم اختلفوا فقال بعضهم ساحر، وقال بعضهم كاهن، وقال بعضهم شاعر (يؤفك عنه من أفك) معنى يؤفك يصرف، والضمير فى عنه يحتمل أربعة أوجه أحدها أن يكون للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو للقرآن أو للإسلام والمعنى يصرف عن الإيمان به من صرف أى من سبق فى علم الله أنه مصروف. الثانى أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين والمعنى يصرف عن الايمان به من صرف. الثالث أن يكون الضمير للقول المختلف والمعنى يصرف عن ذلك القول إلى الاسلام من قضى الله بسعادته، وهذا القول حسن إلا أن عرف الاستعمال فى أفك ويؤفك إنما هو فى العرف من خير إلى شر وهذا من شر إلى خير. الرابع أن يكون الضمير للقول المختلف وتكون عن سببية والمعنى يصرف بسبب ذلك القول من صرف عن الايمان (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقولهم قاتلك الله، وقيل قتل بمعنى لعن، قال ابن عطية واللفظ لا يقتضى ذلك وقال الزمخشرى أصله الدعاء بالقتل، ثم جرى مجرى لعن وقبح، والخراصون الكذابون، وأصل الخرص التخمين والقول بالظن والاشارة إلى الكفار، وقيل إلى الكهان والأول أظهر (الذين هم فى غمرة ساهون) الغمرة

Marfat.com

ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِى كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۞ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ
حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝ وَفِى الْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ وَفِى السَّمَآءِ

مايغطى عقل الانسان وأصله من غمرة الماء والمراد به هنا الجهلة والغفلة عن النظر (يسئلون أيان يوم الدين) أى يقولون متى يوم الدين على وجه الاستبعاد والاستخفاف (يوم هم على النار يفتنون) هذا جواب عن سؤالهم ، ومعنى يفتنون يحرقون ويعذبون ، ومنه قيل للحرة فتين لأن الشمس أحرقت حجارتها ، ويحتمل أن يكون يومهم معربا والعامل فيه مضمر تقديره يقع ذلك يوم هم على النار يفتنون ، وأن يكون مبنيا لإضافته إلى مبنى ، وعلى هذا يجوز أن يكون فى موضع نصب بالفعل المضمر حسبما ذكرنا أو فى موضع رفع والتقدير هو يوم هم على النار يفتنون (ذوقوا فتنتكم) أى يقال لهم ذوقوا حرقتكم (آخذين ما آتاهم ربهم) يعنى يأخذون فى الجنة ما أعطاهم ربهم من الخيرات والنعيم ، وقيل المعنى آخذين فى الدنيا ما آتاهم ربهم من شرعه ، والأول أظهر وأرجح لدلالة الكلام عليه. (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) الهجوع النوم وفى معنى الآية قولان : أحدهما وهو الصحيح أنهم كانوا ينامون قليلا من الليل ويقطعون أكثر الليل بالسهر فى الصلاة والتضرع والدعاء ، والآخر أنهم كانوا لاينامون بالليل قليلا ولا كثيراً ، ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين فأما على القول الأول ففى الإعراب أربعة أوجه : الأول أن يكون قليلا خبر كانوا ومايهجعون فاعل بقليلا ، لأن قليلا صفة مشبهة باسم الفاعل ، وتكون ما مصدرية ، والتقدير كانوا قليلا هجوعهم من الليل ، والثانى مثل هذا إلا أن ما موصولة والتقدير كانوا قليلا الذى يهجعون فيه من الليل ، والثالث أن تكون ما زائدة ، وقليلا ظرف ، والعامل فيه يهجعون ، والتقدير كانوا يهجعون وقتاً قليلا من الليل ، والرابع مثل هذا إلا أن قليلا صفة لمصدر محذوف ، والتقدير كانوا يهجعون هجوعا قليلا ، وأما على القول الثانى ففى الإعراب وجهان : أحدهما أن تكون ما نافية ، وقليلا ظرف ، والعامل فيه يهجعون ، والتقدير كانوا ما يهجعون قليلا من الليل ، والآخر أن تكون مانافية ، وقليلا خبر كان ، والمعنى كانوا قليلا فى الناس ، ثم ابتدأ بقوله من الليل مايهجعون وكلا الوجهين باطل عند أهل العربية ، لأن ما النافية لايعمل ما بعدها فيما قبلها فظهر ضعف هذا المعنى لبطلان إعرابه (وبالأسحار هم يستغفرون) أى يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم ، والأسحار آخر الليل ، وقد جاء فى الحديث أن الله تعالى يقول فى الثلث الآخر من الليل : من يستغفرنى فأغفر له ، وقيل معنى يستغفرون يصلون وهذا بعيد من اللفظ (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) الحق هنا نوافل الصدقات ، وقيل المراد الزكاة وهذا بعيد لأن الآية مكية ، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة ، وقيل إن الآية منسوخة بالزكاة ، وهذا لايحتاج إليه لأن النسخ إنما يكون مع التعارض ، ولا تعارض بين الزكاة والنوافل وتسمية النوافل بالحق كقوله حقا على المحسنين ، وإن كان غير واجب ، وقال بعض العلماء حق سوى الزكاة ورجحه ابن عطية واختلف الناس فى المحروم حتى قال الشعبى أعيانى أن أعلم ماالمحروم ، وقيل المحروم الذى ليس له فى بيت المال سهم ، وقيل الذى أجيحت ثمرته ، وقيل الذى ماتت ماشيته ، وقيل هو الكلب

رزقكم وما توعدون ۝ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ۝ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ۝ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ۝ فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ۝ فقربه إليهم قال ألا تأكلون ۝ فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم ۝ فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم ۝ قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم ۝ قال فما خطبكم أيها المرسلون ۝ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ۝ لنرسل عليهم حجارة من طين ۝ مسومة عند ربك للمسرفين ۝ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ۝ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ۝

وهذه أمثلة ، والمعنى الجامع لها أن المحروم الذى حرمه الله المال بأى وجه كان (وفى أنفسكم) إشارة إلى ما فى خلقة الإنسان من الآيات والعبر ، ولقد قال بعض العلماء فيه أن فيه خمسة آلاف حكمة ، وقال بعضهم الإنسان نسخة مختصرة من العالم (وفى السماء رزقكم وما توعدون) معنى فى السماء رزقكم المطر . وقيل القضاء والقدر ، ويحتمل أن يكون ما توعدون من الوعد والوعيد والكل فى السماء ، ولذلك قيل يعنى الجنة والنار . وقيل الخير والشر (إنه لحق) هذا جواب القسم ، والضمير لما تقدم من الآيات أو الرزق أو لما توعدون (مثل ما أنكم تنطقون) أى حق مثل نطقكم لا يمكن الشك فيه ، وما زائدة : وقرئ مثل بالنصب والرفع فالرفع صفة لحق ،والنصب على الحال من حق أو من الضمير المستتر فيه أو صفة لحق وبنى لإضافته إلى مبنى أو لتركيبه مع ما فيصير نحو أينما وكلما (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) المراد بالاستفهام فى مثل هذا التفخيم والتهويل ، وضيف إبراهيم هم الملائكة الذين جاؤا ليبشروه بالولد وبإهلاك قوم لوط . ووصفهم بالمكرمين لأنهم مكرمون عند الله. ولأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم لأنه خدمهم بنفسه وعجل لهم الضيافة والعامل فى إذ دخلوا على هذا: المكرمين، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره اذكر (فقالوا سلاما) نصب هذا لأنه فى معنى الطلب وهو مفعول بفعل مضمر ، ورفع الثانى لأنه خبر تقديره أمرى سلام. وهذا على أن يكون السلام بمعنى السلامة، وإن كان بمعنى التحية فإنما رفع الثانى ليدل على إثبات السلام فيكون قد حياهم بأكثر مما حيوه وينتصب السلام الأول على هذا على المصدرية تقديره سلمنا عليك سلاما. ويرتفع الثانى بالابتداء تقديره: سلام عليكم قوم منكرون أى لم يعرفهم (قال ألا تأكلون) يحتمل أن يكون ألا حضا على الأكل أو تكون الهمزة للإنكار دخلت على لا النافية (فأوجس منهم خيفة) إنما خاف منهم لما لم يأكلوا (وبشروه بغلام عليم) هو إسحاق عليه السلام لقوله « فبشرناها بإسحاق » (فى صرة) أى صيحة ، وذلك قولها ياويلتا أألد وأنا عجوز وهو من صر القلم وغيره إذا صوت ، وقيل معناه فى جماعة من النساء (فصكت وجهها) أى ضربته حياء منهم وتعجبا من ولادتها وهى عجوز (وقالت عجوز عقيم) تقديره قالت أنا عجوز عقيم فكيف ألد أو تقديره أتلد عجوز عقيم (قال فما خطبكم) أى ما شأنكم وخبركم ، والخطب أكثر ما يقال فى الشدائد (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنى قوم سيدنا لوط وقد ذكرنا الحجارة ومسومة فى هود (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين) الضمير المجرور لقرية قوم سيدنا لوط لأن الكلام يدل عليها وإن لم يتقدم ذكرها والمراد بالمؤمنين لوط وأهله : أمرهم الله بالخروج

Marfat.com

وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ

من القرية لينجوا من العذاب الذى أصاب أهلها ، ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين لأنهم جمعوا الوصفين وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان فى الأحزاب (وفى موسى) معطوف على قوله وفى الأرض آيات للموقنين أوعلى قوله وتركنا فيها آية (فتولى بركنه) معنى تولى أعرض عن الإيمان وركنه سلطانه وقوته (وقالوا ساحر أومجنون) أى قالوا إن موسى ساحر أومجنون : فأوللشك أوللتقسيم ، وقيل بمعنى الواو وهذا ضعيف ولا يستقيم هنا (وهومليم) أى فعل مايلام عليه يعنى فرعون (الريح العقيم) وصفها بالعقم لأنها لابركة فيها من إنشاء المطر أو إلقاح الشجر (كالرميم) أى الفانى المنقطع والعموم هنا يراد به الخصوص فيما أذن للريح أن تهلكه (وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) فيه قولان : أحدهما أن الحين هى الثلاثة الأيام بعد عقرهم الناقة والآخر أن الحين من بعد مابعث صالح عليه السلام إلى حين هلاكهم ، وعلى هذا يكون فعتوا مترتبا بعد تمتعهم ، وأما على الأول فيكون إخبارا عن حالهم غير مرتب على ماقبله (فأخذتهم الصاعقة) يعنى الصيحة التى صاحها جبريل (وهم ينظرون) أى يعاينونها لأنها كانت بالنهار (والسماء بنيناها بأيد) أى بقوة وانتصاب السماء بفعل مضمر (وإنا لموسعون) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن معناه قادرون فهو من الوسع وهو الطاقة ، ومنه على الموسع قدره أى القوى على الإنفاق ، والآخر جعلنا السماء واسعة أوجعلنا بينها وبين الأرض سعة ، والثالث أوسعنا الأرزاق بمطر السماء (فنعم الماهدون) الماهد الموطئ الموضع (ومن كل شىء خلقنا زوجين) أى نوعين مختلفين كالليل والنهار ، والسواد والبياض ، والصحة والمرض وغير ذلك (ففروا إلى الله) أمر بالرجوع إليه بالتوبة والطاعة وفى اللفظ تحذير وترهيب (أتواصوا به) توقيف وتعجيب أى هم بمثابة من أوصى بعضهم بعضا أن يقول ذلك (فتول عنهم) منسوخ بالسيف (فما أنت بملوم) أى قد بلغت الرسالة فلا لوم عليك (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) قيل معناه خلقتهم لكى آمرهم بعبادتى ، وقيل ليتذللوا لى فإن جميع الإنس والجن متذلل (ما أريد

Marfat.com

ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝

سـورة الطور

مكية وآياتها ٤٩ نزلت بعد السجدة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ وَٱلطُّورِ ۝ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝ هَٰذِهِ

منهم من رزق) أى ماأريد أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم (وما أريد أن يطعمون) أى لا أريد أن يطعمون لأنى منزه عن الأكل وعن صفات البشر، وأنا غنى عن العالمين، وقيل المعنى ماأريد أن يطعموا عبيدى، فحذف المضاف تجوزا، وقيل معناه ما أريد أن ينفعونى لأنى غنىّ عنهم، وعبر عن النفع العام بالإطعام، والأول أظهر (المتين) أى الشديد القوة (فإن الذين ظلموا ذنوبا) الذنوب النصيب ويريد به هنا نصيبا من العذاب، وأصل الذنوب الدلو، والمراد بالذين ظلموا كفار قريش، وبأصحابهم من تقدم من الكفار (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يحتمل أن يريد يوم القيامة أو يوم هلاكهم ببدر والأول أرجح لقوله فى المعارج «ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون» يعنى يوم القيامة

سـورة الطور

(والطور) هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام، وقيل الطور كل جبل فكأنه أقسم بجنس الجبال (وكتاب مسطور) قيل هو اللوح المحفوظ، وقيل القرآن، وقيل صحائف الأعمال (فى رق منشور) الرق فى اللغة الصحيفة، وخصصت فى العرف بما كان من جلد، والمنشور خلاف المطوى (والبيت المعمور) هو بيت فى السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه أبدا وبهذا عمرانه، وهو حيال الكعبة، وقيل البيت المعمور الكعبة وعمرانها بالحجاج والطائفين، والأول أظهر، وهو قول على وابن عباس (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) هو بحر الدنيا، وقيل بحر فى السماء تحت العرش والأول أظهر وأشهر، ومعنى المسجور المملوء ماء، وقيل الفارغ من الماء، ويروى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة، واللغة تقتضى الوجهين: لأن اللفظ من الأضداد، وقيل معناه الموقد نارا من قولك سجرت التنور، واللغة أيضا تقتضى هذا، وروى أن جهنم فى البحر (إن عذاب ربك لواقع) هذا جواب القسم، ويعنى عذاب الآخرة (يوم تمور السماء مورا) أى تجىء وتذهب، وقيل تدور، وقيل تتشقق، والعامل فى الظرف واقع ودافع أو محذوف (الذين هم فى خوض يلعبون) الخوض التخبط فى الأباطيل شبه بخوض الماء (يوم يدعون) أى يدفعون بتعنيف، ويوم بدل من الظرف المتقدم (أفسحر هذا) توبيخ للكفار

Marfat.com

النَّارُ الَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۞ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۞ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۞ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۞ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ امْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۞ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۞ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا

على ما كانوا يقولونه فى الدنيا من أن القرآن سحر (أم أنتم لاتبصرون) توبيخ أيضا لهم وتهكم بهم أى هل أنتم لاتبصرون هذا العذاب الذى حل بكم كما كنتم فى الدنيا لاتبصرون الحقائق (اصبروا أولا تصبروا) ليس المراد بذلك الأمر بالصبر ولا النهى عنه وإنما المراد التسوية بين الصبر وعدمه فى أن كل واحد من الحالين لاينفعهم ولا يخفف عنهم شيئاً من العذاب (إنما تجزون ما كنتم تعملون) هذا تعليل لما ذكر من عذابهم ، وليس تعليلا للصبر ولا لعدمه كما قال بعض الناس (فاكهين) يحتمل أن يكون معناه أصحاب فاكهة فيكون نحو لابن وتامر أو يكون من الفكاهة بمعنى السرور (ووقاهم) معطوف على قوله فى جنات أو على آتاهم ربهم ، أو تكون الواو للحال (كلوا واشربوا) أى يقال لهم كلوا (هنيئاً) صفة لمصدر محذوف تقديره كلوا أكلا هنيئاً . ويحتمل أن يكون وقع موقع فعل تقديره هنأكم الأكل والشرب (بحور عين) الحور : جمع حوراء وهى الشديدة بياض بياض العين وسواد سوادها ، والعين جمع عيناء وهى الكبيرة العينين مع جمالها . وإنما دخلت الباء فى قوله بحور لأنه تضمن قوله زوجناهم معنى قرناهم ، قاله الزمخشرى وقال إن الذين آمنوا معطوف على بحور عين أى قرناهم بحور للتلذذ بهن ، وبالذين آمنوا للأنس معهم والأظهر أن الكلام تم فى قوله « بحور عين » ويكون والذين آمنوا مبتدأ خبره ألحقنا (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) معنى الآية ماورد فى الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال إن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته فى الجنة ، وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ، فذلك كرامة للأبناء بسبب الآباء ، قيل إن ذلك فى الأولاد الذين ماتوا صغارا ، وقيل على الإطلاق فى الأبناء المؤمنين ، وبإيمان فى موضع الحال من الذرية ، والمعنى أنهم اتبعوا آباءهم فى الإيمان ، وقال الزمخشرى إن هذا المجرور يتعلق بألحقنا ، والمعنى عنده بسبب الإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ، والأول أظهر ، فإن قيل : لم قال بإيمان بالتنكير ؟ فالجواب : أن المعنى بشىء من الايمان لم يكونوا به أهلا لدرجة آبائهم ولكنهم لحقوا بهم كرامة للآباء ، فالمراد تقليل إيمان الذرية ولكنه رفع درجتهم فكيف إذا كان إيمانا عظيما (وماألتناهم من عملهم من شىء) أى ماأنقصناهم من ثواب أعمالهم بل وفيناهم أجورهم ، وقيل المعنى ألحقنا ذريتهم بهم وما نقصناهم شيئا من ثواب أعمالهم بسبب ذلك بل فعلنا ذلك تفضلا زيادة إلى ثواب أعمالهم والضمير على القولين يعود على الذين آمنوا ، وقيل إنه يعود على الذرية (كل امرئ بما كسب رهين) أى مرتهن . فإما أن تنجيه حسناته ، وإما أن تهلكه سيئاته (وأمددناهم بفاكهة) الإمداد هو الزيادة

Marfat.com

وَلَا تَأْثِيمٌ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ۝ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۝ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۝ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ۝ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ۝ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ۝ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ۝ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ۝ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ

مرة بعد مرة (يتنازعون فيها كأسا) أى يتعاطونها إذهم جلساء على الشراب (لا لغو فيها ولا تأثيم) اللغو الكلام الساقط والتأثيم الذنب فهى بخلاف خمر الدنيا (غلمان لهم) يعنى خدامهم (كأنهم لؤلؤ مكنون) اللؤلؤ الجوهر، والمكنون المصون. وذلك لحسنه وقيل هو الذى لم يخرج من الصدف (قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين) أى كنا فى الدنيا خائفين من الله، والإشفاق شدة الخوف (السموم) أشد الحر وقيل هو من أسماء جهنم (إنا كنا من قبل ندعوه) يحتمل أن يكون بمعنى نعبده، أو من الدعاء بمعنى الرغبة، ومن قبل يعنون فى الدنيا قبل لقاء الله (إنه هو البرّ الرحيم) البر الذى يبر عباده ويحسن إليهم، وقرئ أنه بفتح الهمزة على أن يكون مفعولا من أجله، أو يكون هذا اللفظ هو المدعو به، وقرئ بكسرها على الاستئناف (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى ذكر الناس ثم نفى عنه ما نسبه إليه الكفار من الكهانة والجنون. ومعنى بنعمة ربك: بسبب إنعام الله عليك (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) أم فى هذا الموضع وفيما بعده للاستفهام بمعنى الإنكار، والتربص الانتظار. وريب المنون حوادث الدهر، وقيل الموت. وكانت قريش قد قالت إنما هو شاعر ننتظر به ريب المنون فيهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء كزهير والنابغة (قل تربصوا) أمر على وجه التهديد (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) الأحلام العقول: أى كيف تأمرهم عقولهم بهذا، والاشارة إلى قولهم هو شاعر أو إلى ما هم عليه من الكفر والتكذيب، وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز كقوله أصلاتك تأمرك (أم هم قوم طاغون) أم هنا بمعنى بل، ويحتمل أن تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام بمعنى الإنكار كما هى فى هذه المواضع كلها (أم يقولون تقوله) أى اختلقه من تلقاء نفسه وضمير الفاعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول للقرآن (فليأتوا بحديث مثله) ردعليهم وإقامة حجة عليهم، والأمر هنا للتعجيز (أم خلقوا من غير شىء) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معناه أم خلقوا من غير رب أنشأهم واستعبدهم، فهم من أجل ذلك لا يعبدون الله: الثانى أم خلقوا من غير أب ولا أم كالجمادات فهم لا يؤمرون ولا ينهون كحال الجمادات: الثالث أم خلقوا من غير أن يحاسبوا ولا يجازوا بأعمالهم فهو على هذا كقوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً (أم هم الخالقون) معناه أهم الخالقون لأنفسهم بحيث لا يعبدون الخالق أم هم الخالقون للمخلوقات بحيث يتكبرون (أم عندهم خزائن ربك) المعنى أعندهم خزائن الله بحيث يستغنون عن عبادته، وقيل أعندهم خزائن الله بحيث يعطون من شاءوا ويمنعون من شاءوا، ويخصون بالنبوة من شاءوا (أم هم

Marfat.com

فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ * أَمْ لَهُ الْبَنَٰتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ۞ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۞
أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۞ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ۞ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَٰنَ
اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ * فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ
الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ۞ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَمِنَ الَّيْلِ
فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ النُّجُومِ *

المصيطرون) أى الأرباب الغالبون ، وقيل المسيطر المسلط القاهر (أم لهم سلم يستمعون فيه) يعنى أم لهم سلم يصعدون به إلى السماء فيسمعون ما تقول الملائكة بحيث يعلمون صحة دعواهم ثم عجزهم بقوله (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) أى بحجة واضحة على دعواهم (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون) معناه أتسألهم على الإسلام أجرة فيثقل عليهم غرمها فيشق عليهم اتباعك (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) المعنى أعندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون مافيه حتى يقو[illegible] لا نبعث وإن بعثنا لا نعذب ، وقيل المعنى فهم يكتبون للناس سننا وشرائع من عبادة الأصنام وتسييب السوائب وشبه ذلك (أم يريدون كيداً) إشارة إلى كيدهم فى دار الندوة بالنبى صلى الله عليه وسلم حيث تشاوروا فى قتله أو إخراجه (فالذين كفروا هم المكيدون) أى المغلوبون فى الكيد ، والذين كفروا يعنى من تقدم الكلام فيهم وهم كفار قريش فوضع الظاهر موضع المضمر ، ويحتمل أن يريد جميع الكفار (أم لهم إله غير الله) المعنى هل لهم إله غير الله يعصمهم من عذاب الله ويمنعهم منه وحصر الله فى هذه الآية جميع المعانى التى توجب التكبر والبعد من الدخول فى الإسلام ونفاها عنهم ليبين أن تكبرهم من غير موجب وكفرهم من غير حجة (وإن يروا كسفا من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم) كانوا قد طلبوا أن ينزل عليهم كسفاً من السماء ، فالمعنى أنهم لو رأوا الكسف ساقطاً عليهم لبلغ بهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا ليس بكسف وإنما هو سحاب مركوم : أى كثيف بعضه فوق بعض (فذرهم) منسوخ بالسيف (يومهم الذى فيه يصعقون) يعنى يوم القيامة والصعقة فيه هى النفخة الأولى ، وقيل غير ذلك والصحيح ماذكرنا لقوله فى المعارج عن يوم القيامة « ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون » ، (عذاباً دون ذلك) يعنى قتلهم يوم بدر وقيل الجوع بالقحط ، وقيل عذاب القبر (واصبر لحكم ربك) أى اصبر على تكذيبهم لك وإمهالنا لهم فإنا نريك (وسبح بحمد ربك حين تقوم) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنه قول سبحان الله ، ومعنى حين تقوم من كل مجلس ، وقيل أراد حين تقوم وتقعد ، وفى كل حال وجعل القيام مثالا : الثانى أنه الصلوات النوافل ؛ والثالث أنه الصلوات الفرائض ، لحين تقوم الظهر والعصر . أى حين تقوم من نوم القائلة ، ومن الليل المغرب والعشاء ، وإدبار النجوم : الصبح ومن قال هى النوافل جعل إدبار النجوم ركعتى الفجر

Marfat.com

ســـورة النجم

مكية إلا آية ٣٢ فمدنية وآياتها ٦٢ نزلت بعد الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۞ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۞ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۞ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۞ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۞ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۞

ســـورة النجم

(والنجم إذا هوى) فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنها الثريا لأنها غلب عليها التسمية بالنجم، ومعنى هوى غرب وانتثر يوم القيامة، الثانى أنه جنس النجوم. ومعنى هوى كما ذكرنا أو انقضت ترجم الشياطين. الثالث أنه من نجوم القرآن وهى الجملة التى تنزل، وهوى على هذا معناه نزل (ماضل صاحبكم وما غوى) هذا جواب القسم، والخطاب لقريش وصاحبكم هو النبى صلى الله عليه وسلم فنفى عنه الضلال والغىّ، والفرق بينهما أن الضلال بغير قصد والغىّ بقصد وتكسب (وما ينطق عن الهوى) أى ليس يتكلم بهواه وشهوته إنما يتكلم بما يوحى الله إليه (إن هو إلا وحى يوحى) يعنى القرآن (علمه شديد القوى) ضمير المفعول للقرآن أو للنبى صلى الله عليه وسلم، والشديد القوى: جبريل، وقيل الله تعالى. والأول أرجح لقوله «ذى قوة عند ذى العرش» والقوى جمع قوة (ذومرة) أى ذو قوة. وقيل ذو هيئة حسنة، والأول هو الصحيح فى اللغة (فاستوى) أى استوى جبريل فى الجو إذ رآه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو بحراء، وقيل معنى استوى ظهر فى صورته على ستمائة جناح قد سد الأفق بخلاف ما كان يتمثل به من الصور إذا نزل بالوحى، وكان ينزل فى صورة دحية (وهو بالأفق الأعلى) الضمير لجبريل وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأول أصح (ثم دنى فتدلى) الضميران لجبريل أى دنا من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فى الهواء وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره فتدلى فدنا (فكان قاب قوسين أو أدنى) القاب مقدار المسافة أى كان جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام فى القرب بمقدار قوسين عربيتين، ومعناه من طرف العود إلى الطرف الآخر، وقيل من الوتر إلى العود. وقيل ليس القوس التى يرمى بها، وإنما هى ذراع تقاس بها المقادير ذكره الثعلبى وقال إنه من لغة أهل الحجاز وتقدير الكلام فكان مقدار مسافة جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام مثل قاب قوسين ثم حذفت هذه المضافات، ومعنى أو أدنى أو أقرب وأو هنا مثل قوله أو يزيدون وأشبه التأويلات فيها أنه إذا نظر إليه البشر احتمل عنده أن يكون قاب قوسين أو يكون أدنى، وهذا الذى ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح، وقد ورد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح، وقيل إنها لله تعالى، وهذا القول يرد عليه الحديث والعقل إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلى وغير ذلك (فأوحى إلى عبده ما أوحى) فى هذه الضمائر ثلاثة أقوال: الأول أن المعنى أوحى الله إلى عبده محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما أوحى. الثانى

Marfat.com

وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ * أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ

أوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى . وعاد الضمير على الله فى القولين لأن سياق الكلام يقتضى ذلك وإن لم يتقدم ذكره ، فهو كقوله إنا أنزلناه فى ليلة القدر . الثالث أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى ، وفى قوله ما أوحى إبهام مراد يقتضى التفخيم والتعظيم (ما كذب الفؤاد ما رأى) أى ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بعينه بل صدق بقلبه أن الذى رآه بعينه حق والذى رأى هو جبريل يعنى حين رآه بمقدار ملأ الأفق ، وقيل رأى ملكوت السموات والأرض ، والأول أرجح لقوله «ولقد رآه نزلة أخرى» وقيل الذى رآه هو الله تعالى ، وقد أنكرت ذلك عائشة ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال نورانى أراه (أفتمارونه على ما يرى) هذا خطاب لقريش . والمعنى أتجادلونه على ما يرى ، وكانت قريش قد كذبت لما قال إنه رأى ما رأى (ولقد رآه نزلة أخرى) أى لقد رأى محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام مرة أخرى وهو ليلة الإسراء ، وقيل ضمير المفعول لله تعالى . وأنكرت ذلك عائشة ، وقالت من زعم أن محمداً رأى ربه ليلة الإسراء فقد أعظم الفرية على الله تعالى (عند سدرة المنتهى) هى شجرة فى السماء السابعة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثمرتها كالقلال وورقها كآذان الفيلة . وسميت سدرة المنتهى لأن إليها ينتهى علم كل عالم ولا يعلم ما وراءها إلا الله تعالى وقيل سميت بذلك لأن ما نزل من أمر الله يلتقى عندها فلا يتجاوزها ملائكة العلو إلى أسفل . ولا يتجاوزها ملائكة السفل إلى أعلى (عندها جنة المأوى) يعنى أن الجنة التى وعدها الله عباده هى عند سدرة المنتهى ، وقيل هى جنة أخرى تأوى إليها أرواح الشهداء والأول أظهر وأشهر (إذ يغشى السدرة ما يغشى) فيه إبهام لقصد التعظيم . قال ابن مسعود غشيها فراش من ذهب ، وقيل كثرة الملائكة ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فغشيها ألوان لا أدرى ما هى . وهذا أولى أن تفسر به الآية (ما زاغ البصر وما طغى) أى ما زاغ بصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عما رآه من العجائب بل أثبتها وتيقنها . وما طغى : أى ما تجاوز ما رأى إلى غيره (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعنى ما رأى ليلة الإسراء من السموات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك . ويحتمل أن تكون الكبرى مفعولا أو نعتا لآيات ربه . والمعنى يختلف على ذلك (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) هذه أوثان كانت تعبد من دون الله فخاطب الله من كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم ، وقال ابن عطية : الرؤيا هنا رؤية العين لأن الأوثان المذكورة أجرام مرئية . فأما اللات فصنم كان بالطائف ، وقيل كان بالكعبة ، وأما العزى فكانت صخرة بالطائف ، وقيل شجرة فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل فضربها بالسيف حتى قتلها ، وقيل كانت بيتا تعظمه العرب وأصل لفظ العزى مؤنثة الأعز ، وأما مناة فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة . وكانت أعظم هذه الأوثان ، قال ابن عطية: ولذلك قال تعالى : الثالثة الأخرى فأكدها بهاتين الصفتين ، وقال الزمخشرى الأخرى ذم وتحقير أى المتأخرة

Marfat.com

بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ۝ أم للإنسان ما تمنى ۝ فلله الآخرة والأولى ۝ وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ۝ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ۝ وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً ۝ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحيوة الدنيا ۝ ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ۝ ولله ما فى السموات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ۝ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة

الوضيعة القدر ، ومنه وقالت أخراهم لأولاهم (ألكم الذكر وله الأنثى) كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأوثان بنات الله ، فأنكر الله عليهم ذلك أى كيف تجعلون لأنفسكم الأولاد الذكور ، وتجعلون لله البنات التى هى عندكم حقيرة بغيضة . وقد ذكر هذا المعنى فى النحل وغيرها ، ويحتمل أن يكون أنكر عليهم جعل هذه الأوثان شركاء لله تعالى مع أنهن إناث والإناث حقيرة بغيضة عندهم (تلك إذاً قسمة ضيزى) أى هذه القسمة التى قسمتم جائرة غير عادلة يعنى جعلهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالى ووزن ضيزى فعلى بضم الفاء ، ولكنها كسرت لأجل الياء التى بعدها (إن هى إلا أسماء سميتموها) الضمير للأوثان ، وقد ذكر هذا المعنى فى الأعراف فى قوله أتجادلوننى فى أسماء (إن يتبعون إلا الظن) يعنى أنهم يقولون أقوالا بغير حجة كقولهم إن الملائكة بنات الله ، وقولهم إن الأصنام تشفع لهم وغير ذلك (أم للإنسان ما تمنى) أم هنا للإنكار ، والانسان هنا جنس بنى آدم : أى ليس لأحد ما يتمنى بل الأمر بيد الله وقيل إن الإشارة إلى ما طمع فيه الكفار من شفاعة الأصنام وقيل إلى قول العاصى بن وائل : لأوتين مالا وولدا ، وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون نبيا . والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه (وكم من ملك فى السموات) الآية : رد على الكفار فى قولهم إن الأوثان تشفع لهم كأنه يقول الملائكة الكرام لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا بإذن الله فكيف أوثانكم (إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) معناه أن الملائكة لا يشفعون لشخص إلا بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة فيه ويرضى عنه (ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) يعنى قولهم إن الملائكة بنات الله ، ثم رد عليهم بقوله وما لهم به من علم (ذلك مبلغهم من العلم) أى إلى ذلك انتهى علمهم لأنهم علموا ما ينفع فى الدنيا ، ولم يعلموا ما ينفع فى الآخرة (ليجزى) اللام متعلقة بمعنى ما قبلها ، والتقدير أن الله ملك أمر السموات والأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا . وقيل يتعلق بضل واهتدى (كبائر الإثم) ذكرنا الكبائر فى النساء (إلا اللمم) فيه أربعة أقوال : الأول أنه صغائر الذنوب فالاستثناء على هذا منقطع . الثانى أنه الإلمام بالذنوب على وجه الفلتة والسقطة دون دوام عليها . الثالث أنه ما ألموا به فى الجاهلية من الشرك والمعاصى : الرابع أنه الهم بالذنوب وحديث النفس به دون أن يفعل (أجنة) جمع جنين (فلا تزكوا أنفسكم) أى لا تنسبوا أنفسكم إلى الصلاح والخير ، قال ابن

Marfat.com

فى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ * أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ * وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ * أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ○ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ○ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ○ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ○ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ○ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ○ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ○ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ * وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ○ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ○ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ○ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ○ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ○ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ○ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ○ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا

عطية: ويحتمل أن يكون نهى عن أن يزكى بعض الناس بعضا وهذا بعيد لأنه تجوز التزكية فى الشهادة وغيرها (أفرأيت الذى تولى) الآية: نزلت فى الوليد بن المغيرة، وقيل نزلت فى العاصى بن وائل (وأكدى) أى قطع العطاء وأمسك (وإبراهيم الذى وفى) قيل وفى طاعة الله فى ذبح ولده، وقيل وفى تبليغ الرسالة، وقيل وفى شرائع الإسلام، وقيل وفى الكلمات التى ابتلاه الله بهن، وقيل وفى هذه العشر الآيات (ألا تزر وازرة وزر أخرى) ذكر فيما تقدم، وهذه الجملة تفسير لما فى صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) السعى هنا بمعنى العمل، وظاهرها أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره، وهى حجة لمالك فى قوله لا يصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام، واتفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعتق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره، ويصل نفعها إلى من فعلت عنه، واختلفوا فى الأعمال البدنية كالصلاة والصيام وقيل إن هذه الآية منسوخة بقوله «ألحقنا بهم ذريتهم» والصحيح أنها محكمة لأنها خبر والأخبار لا تنسخ وفى تأويلها ثلاثة أقوال: الأول أنها إخبار عما كان فى شريعة غيرنا فلا يلزم فى شريعتنا الثانى أن الإنسان ما عمل بحق وله ماعمل له غيره بهبة العامل له فجاءت الآية فى إثبات الحقيقة دون مازاد عليها الثالث أنها فى الذنوب وقد اتفق أنه لا يحتمل أحد ذنب أحد، ويدل على هذا قوله بعدها «ألا تزر وازرة وزر أخرى» وكأنه يقول لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يؤاخذ إلا بذنب نفسه (وأن سعيه سوف يرى) قيل معناه يراه الخلق يوم القيامة، والأظهر أنه صاحبه لقوله «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره» (وأن إلى ربك المنتهى) فيه قولان أحدهما أن معناه إلى الله المصير فى الآخرة. والآخر أن معناها أن العلوم تنتهى إلى الله ثم يقف العلماء عند ذلك، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فكرة فى الرب (وأنه هو أضحك وأبكى) قيل معناه أضحك أهل الجنة، وأبكى أهل النار. وهذا تخصيص لا دليل عليه وقيل أبكى السماء بالمطر وأضحك الأرض بالنبات، وهذا مجاز وقيل خلق فى بنى آدم الضحك والبكاء والصحيح أنه عبارة عن الفرح والحزن لأن الضحك دليل على السرور والفرح كما أن البكاء دليل على الحزن فالمعنى أن الله تعالى أحزن من شاء من عباده، وأسر من شاء (وأمات وأحيا) يعنى الحياة المعروفة والموت المعروف وقيل أحيا بالإيمان وأمات بالكفر والأول أرجح، لأنه حقيقة (من نطفة) يعنى المنى (إذا تمنى) من قولك أمنى الرجل إذا خرج منه المنى (النشأة الأخرى) يعنى الإعادة للحشر وتمنى يعنى أكسب عباده المال، وهو من قنية المال وهو كسبه وادخاره وقيل معنى أقنى أفقر وهذا لا تقتضيه اللغة، وقيل معناه أرضى وقيل قنع عبده (الشعرى) نجم فى السماء وتسمى كلب الجبار وهما شعريان وهما الغميصاء والعبور وخصها بالذكر دون سائر النجوم لأن

Marfat.com

ٱلْأُولَىٰ ۝ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ * وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ * فَغَشَّىٰهَا مَاغَشَّىٰ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝ أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝ فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا ۝

سـورة القمر

مكية إلا الآيات ٤٤ و٤٥ و٤٦ فمدنية وآياتها ٥٥ نزلت بعد الطارق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝

بعض العرب كان يعبدها (عاداً الأولى) وصفها بالأولى لأنها كانت فى قديم الزمان ، فهى الأولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرة ، وقيل إنما سميت أولى لأن ثم عادا أخرى متأخرة وهذا لا يصح وقرأ نافع عادا الاولى بإدغام تنوين عاد فى لام الأولى بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام وضعف المزنى والمبرد هذه القراءة وهمز قالون الأولى دون ورش وقرأ الباقون على الأصل بكسر تنوين عاد وإسكان لام الأولى (وثمود فما أبقى) أى ما أبقى منهم أحداً وقيل ما أبقى عليهم (والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى) هى مدينة قوم لوط ، ومعنى أهوى طرحها من علو إلى أسفل وفى قوله ما غشى تعظيم للأمر (فبأى آلاء ربك تتمارى) هذا مخاطبة للإنسان على الإطلاق معناه بأى نعم ربك تشك (هذا نذير من النذر الأولى) يعنى القرآن أو النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعنى من النذر الأولى من نوعها وصفتها (أزفت الآزفة) أى قربت القيامة (كاشفة) يحتمل لفظه ثلاثة أوجه : أن يكون مصدراً كالعافية أى ليس لها كشف وأن يكون بمعنى كاشف والتاء للمبالغة كعلامة وأن يكون صفة لمحذوف تقديره نفس كاشفة أو جماعة كاشفة ويحتمل معناه وجهين: أحدهما أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة أى ليس لها من يزيلها إذا وقعت والآخر أن يكون بمعنى الاطلاع أى ليس لها من يعلم وقتها إلا الله (أفمن هذا الحديث تعجبون) الإشارة إلى القرآن وتعجبهم منه إنكاره (وأنتم سامدون) أى لاعبون لاهون ، وقيل غافلون مفرطون (فاسجدوا لله واعبدوا) هذا موضع سجدة عند الشافعى وغيره ، وقد قال ابن مسعود قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسجد وسجد كل من كان معه

سـورة القمر

(اقتربت الساعة) أى قربت القيامة ، ومعنى قربها أنها بقى لها من الزمان قليل بالنسبة إلى ما مضى ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى (وانشق القمر) هذا إخبار بما جرى فى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أن قريشا سألته آية فأراهم انشقاق القمر فقال صلى الله عليه وآله وسلم اشهدوا ، وقال ابن مسعود انشق القمر فرأيته فرقتين فرقة وراء الجبل وأخرى دونه ، وقيل معنى انشق القمر أنه ينشق يوم القيامة ، وهذا قول باطل ترده الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر ، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك وعلى تفسير الآية بذلك إلا من لا يعتبر قوله (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) هذه الضمائر لقريش والآية المشار إليها انشقاق القمر وعند ذلك قالت

Marfat.com

وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۞ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ الْأَنبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۞ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۞ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۞ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۞ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ✽ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ✽ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ۞ فَفَتَحْنَا أَبْوَٰبَ السَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۞ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَآءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ✽ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۞ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۞ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۞ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ

قريش سحر محمد القمر ومعنى مستمر دائم وقيل معناه ذاهب يزول عن قريب وقيل شديد وهو على هذا المعنى من المرة وهي القوة (وكل أمر مستقر) أي كل شيء لابد له من غاية فالحق يحق والباطل يبطل (ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مزدجر) الأنباء هنا يراد بها ما ورد في القرآن من القصص والبراهين والمواعظ ومزدجر اسم مصدر بمعنى الازدجار أو اسم موضع بمعنى أنه مظنة أن يزدجر به (حكمة بالغة) بدل من ما فيه أو خبر ابتداء مضمر (فما تغن النذر) يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية لمعنى الاستبعاد والإنكار (فتول عنهم) أي أعرض عنهم لعلمك أن الإنذار لا ينفعهم (يوم يدع الداع إلى شيء نكر) العامل في يوم مضمر تقديره اذكر أو قوله يخرجون بعد ذلك وليس العامل فيه تول عنهم لفساد المعنى فقدتم الكلام في قوله تول عنهم فيوقف عليه وقيل المعنى تول عنهم أي يوم يدع الداع والأول أظهر وأشهر والداعي جبريل أو إسرافيل إذ ينفخ في الصور والشيء النكر الشديد الفظيع وأصله من الإنكار أي هو منكور لأنه لم يرقط مثله والمراد به يوم القيامة (خشعا أبصارهم) كناية عن الذلة وانتصب خشعا على الحال من الضمير في يخرجون (يخرجون من الأجداث) أي من القبور (كأنهم جراد منتشر) شبههم بالجراد في خروجهم من الأرض فكأنه استدلال على البعث كالاستدلال بخروج النبات وقيل إنما شبههم بالجراد في كثرتهم وأن بعضهم يموج في بعض (مهطعين) أي مسرعين وقيل ناظرين إلى الداع (فكذبوا عبدنا) يعني نوح عليه السلام ووصفه هنا بالعبودية تشريفا له واختصاصا (وازدجر) أي زجروه بالشتم والتخويف وقالوا له لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر) أي قد غلبني الكفار فانتصر لي أو انتصر لنفسك ، وقالت المتصوفة معناه قد غلبتني نفسي حين دعوت على قومي فانتصر مني وهذا بعيد ضعيف (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) عبارة عن كثرة المطر فكأنه يخرج من أبواب ، وقيل فتحت في السماء أبواب يومئذ حقيقة والمنهمر الكثير (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الأرض (على أمر قد قدر) أي قد قضي في الأزل ويحتمل أن يكون المعنى أنه قدر بمقدار معلوم . وروي في ذلك أنه علا فوق الأرض أربعين ذراعا (وحملناه على ذات ألواح ودسر) يعني السفينة والدسر هي المسامير واحدها دسار ، وقيل هي مقادم السفينة ، وقيل أضلاعها والأول أشهر (تجري بأعيننا) عبارة عن حفظ الله ورعيه لها (جزاء لمن كان كفر) أي جزاء لنوح : وقيل جزاء لله تعالى والأول أظهر وانتصب جزاء على أنه مفعول من أجله والعامل فيه ما تقدم من فتح أبواب السماء وما بعده من الأفعال

Marfat.com

فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۞ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۞ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۞ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۞ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۞ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۞ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ۞ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ۞ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ۞ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۞ فَكَيْفَ

أي جعلنا ذلك كله جزاء لنوح ويحتمل أن يكون قوله كفر من الكفر بالدين والتقدير لمن كفر به فحذف الضمير أو يكون من الكفر بالنعمة لأن نوحا عليه السلام نعمة من الله كفرها قومه فلا يحتاج على هذا إلى الضمير المحذوف (ولقد تركناها آية) الضمير للقصة المذكورة أو الفعلة أو السفينة وروى فى هذا المعنى أنها بقيت على الجودى حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة (فهل من مدكر) تحضيض على الادكار فيه ملاطفة جميلة من الله لعباده ووزن مدكر مفتعل وأصله مدتكر ثم أبدل من التاء دالا وأدغمت فيها الدال (فكيف كان عذابى ونذر) توقيف فيه تهديد لقريش والنذر جمع نذير (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى يسرناه للحفظ وهذا معلوم بالمشاهدة فإنه يحفظه الأطفال الأصاغر وغيرهم حفظا بالغا بخلاف غيره من الكتب وقد روى أنه لم يحفظ شيء من كتب الله عن ظهر قلب إلا القرآن وقيل معنى الآية سهلناه للفهم والاتعاظ به لما تضمن من البراهين والحكم البليغة وإنما كرر هذه الآية البليغة وقوله فذوقوا عذابى ونذر لينبه السامع عند كل قصة فيعتبر بها إذ كل قصة من القصص التى ذكرت عبرة وموعظة فختم كل واحدة بما يوقظ السامع من الوعيد فى قوله فكيف كان عذابى ونذر ومن الملاطفة فى قوله ولقد يسرنا القرآن الذكر فهل من مدكر (ريحا صرصرا) أى مصوتة فهو من الصرير بمعنى الصوت وقيل معناه باردة فهو من الصر (يوم نحس مستمر) روى أنه كان يوم أربعاء حتى رأى بعضهم أن كل يوم أربعاء نحس وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر (تنزع الناس) أى تقلعهم من مواضعهم (كأنهم أعجاز نخل منقعر) أعجاز النخل هى أصولها والمنقعر المنقطع فشبه الله عادا لما هلكوا بذلك لأنهم طوال عظام الأجساد كالنخل وقيل كانت الريح تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس فشبههم بأعجاز النخل لأنها دون أغصان وقيل كانوا حفروا حفرا يمتنعون بها من الريح فهلكوا فيها فشبههم بأعجاز النخل إذا كانت فى حفرها (أبشر) هو صالح عليه السلام، وانتصب بفعل مضمر والمعنى أنهم أنكروا أن يتبعو ابشرا وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة ثم زادوا أن أنكروا أن يتبعوا واحدا وهم جماعة كثيرون (وسعر) أى عناد، وقيل معناه جنون، وقيل معناه هم وغم وأصله من السعير بمعنى النار وكأنه احتراق النفس بالهم (ءألقى الذكر عليه من بيننا) أنكروا أن يخصه الله بالنبوة دونهم، وذلك جهل منهم، فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (أشر) بطر متكبر (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) أى لهم يوم وللناقة يوم من غير أن يتعدوا على الناقة فالضمير فى نبئهم يعود على ثمود وعلى الناقة تغليبا للعقلاء، وقيل إن الضمير لثمود، والمعنى لا يتعدى بعضهم على بعض (كل شرب محتضر) أى مشهود (فنادوا صاحبهم) يعنى عاقر الناقة واسمه قدار

Marfat.com

كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ * إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ۝ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ۝ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۝ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ * وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ۝ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۝ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ * أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى الزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ * وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ

وهو أحيمر ثمود وأشقاها (فتعاطى) أى اجترأ على أمر عظيم ، وهو عقر الناقة وقيل تعاطى السيف (صيحة واحدة) صاح بها جبريل صيحة فماتوا منها (فكانوا كهشيم المحتظر) الهشيم هو ما تكسر وتفتت من الشجر وغيرها والمحتظر الذى يعمل الحظيرة وهى حائط من الأغصان أو القصب ونحو ذلك ، أو يكون تحليقا للمواشى أو السكنى فشبه الله ثمود لما هلكوا بما يتفتت من الحظيرة من الأوراق وغيرها ، وقيل المحتظر المحترق (حاصبا) ذكر فى العنكبوت (فتماروا بالنذر) تشككوا (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم) الضيف هنا هم الملائكة الذين أرسلهم الله إلى لوط ليهلكوا قومه وكان قومه قد ظنوا أنهم من بنى آدم وأرادوا منهم الفاحشة فطمس الله على أعينهم فاستوت مع وجوههم ، وقيل إن الطمس عبارة عن عدم رؤيتهم لهم وأنهم دخلوا منزل لوط فلم يروا فيه أحدا (أكفاركم خير من أولائكم) هذا خطاب لقريش على وجه التهديد والهمزة للإنكار ومعناه : هل الكفار منكم خير عند الله من الكفار المتقدمين المذكورين بحيث أهلكناهم لما كذبوا الرسل وتنجون أنتم وقد كذبتم رسلكم ، بل الذى أهلكهم يهلككم (أم لكم براءة فى الزبر) معناه أم لكم فى كتاب الله براءة من العذاب (أم يقولون نحن جميع منتصر) أى نحن نجتمع وننتصر لأنفسنا بالقتال (سيهزم الجمع ويولون الدبر) هذا وعد من الله لرسوله بأنه سيهزم جمع قريش وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة (إن المجرمين فى ضلال وسعر) المراد بالمجرمين هنا الكفار وضلالهم فى الدنيا، والسعر لهم فى الآخرة وهو الاحتراق ، وقيل أراد بالمجرمين القدرية لقوله فى الرد عليهم إنا كل شىء خلقناه بقدر والأول أظهر (يسحبون فى النار) أى يجرون فيها (إنا كل شىء خلقناه بقدر) المعنى أن الله خلق كل شىء بقدر أى بقضاء معلوم سابق فى الأزل ويحتمل أن يكون معنى بقدر بمقدار فى هيئته وصفته وغير ذلك والأول أرجح وفيه حجة لأهل السنة على القدرية وانتصب كل شىء بفعل مضمر يفسره خلقناه (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) عبارة عن سرعة التكوين ونفوذ أمر الله والواحدة يراد بها الكلمة وهى

Marfat.com

فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝

سورة الرحمٰن

مدنية وآياتها ٧٨ نزلت بعد الرعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْءَانَ * خَلَقَ الْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ خَلَقَ الْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن

قوله كن (ولقد أهلكنا أشياعكم) يعنى أشياعكم من الكفار (وكل شيء فعلوه فى الزبر) أى كل مافعلوه مكتوب فى صحائف الأعمال (مستطر) أى مكتوب وهو من السطر تقول سطرت واستطرت بمعنى واحد والمراد الصغير والكبير من أعمالهم وقيل جميع الأشياء (ونهر) يعنى أنهار الماء والخمر واللبن والعسل واكتفى باسم الجنس (فى مقعد صدق) أى فى مكان مرضى

سورة الرحمن عز وجل

(الرحمن علم القرآن) هذا تعديد نعمة على من علمه الله القرآن وقيل معنى علم القرآن جعله علامة وآية لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأول أظهر وارتفع الرحمن بالابتداء والأفعال التى بعده أخبار متوالية ويدل على ذلك مجيئها بدون حرف عطف (خلق الإنسان) قيل جنس الناس وقيل يعنى آدم وقيل يعنى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا دليل على التخصيص والأول أرجح (علمه البيان) يعنى النطق والكلام (الشمس والقمر بحسبان) أى يجريان فى الفلك بحسبان معلوم وترتيب مقدر وفى ذلك دليل على الصانع الحكيم المريد القدير (والنجم والشجر يسجدان) النجم عند ابن عباس النبات الذى لا ساق له كالبقول، والشجر النبات الذى له ساق وقيل النجم جنس نجوم السماء. والسجود عبارة عن التذلل والانقياد لله تعالى وقيل سجود الشمس غروبها وسجود الشجر ظله (ووضع الميزان) يعنى الميزان المعروف الذى يوزن به الطعام وغيره وكرر ذكره اهتماما به وقيل أراد العدل (ولا تخسروا الميزان) أى لا تنقصوا إذا وزنتم (للأنام) أى للناس وقيل الإنس والجن وقيل الحيوان كله الأكمام يحتمل أن يكون جمع كم بالضم وهو مايغطى ويلف النخل من الليف وبه شبه كم القميص أو يكون جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة (العصف) ورق الزرع وقيل التبن (والريحان) قيل هو الريحان المعروف وقيل كل مشموم طيب الريح من النبات وقيل هو الرزق (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الآلاء هى النعم واحدها إلى على وزن معى وقيل إلى على وزن قفى وقيل ألى على وزن أمد أو على وزن حصر والخطاب للثقلين الإنس والجن بدليل قوله سنفرغ لكم أيها الثقلان روى أن هذه الآية لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت أصحابه فقال جواب الجن خير منكم إنى لما قرأتها على الجن قالوا لا نكذب بشيء من آلاء ربنا وكرر هذه الآية تأكيدا ومبالغة وقيل إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية التى قبله فليس

Marfat.com

نَارٍ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

بتأكيد لأن التأكيد لايزيد على ثلاث مرات (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) الإنسان هو آدم والصلصال الطين اليابس فإذا طبخ فهو فخار (وخلق الجان من مارج من نار) الجان الجن يعنى إبليس والدالجن والمارج اللهيب المضطرب من النار (رب المشرقين ورب المغربين) يريد مشرق الشمس والقمر ومغرب الشمس والقمر وقيل مشرق الصيف والشتاء ومغربهما (مرج البحرين يلتقيان) ذكر فى الفرقان ، أى يلتقى ماء هذا وماء هذا وذلك إذا نزل المطر فى البحر على القول بأن البحر العذب هو المطر ، وأما على القول بأن البحر العذب هو الأنهار والعيون ، فالتقاؤهما بانصباب الأنهار فى البحر ، وأما على قول من قال إن البحرين بحر فارس وبحر الروم ، أو بحر القلزم واليمن فضعيف لقوله فى الفرقان «هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج» وكل واحد من هذه أجاج ، والمراد بالبحرين فى هذه السورة ماأراد فى الفرقان (بينهما برزخ) أى حاجز يعنى جِرْم الأرض ، أو حاجز من قدرة الله (لايبغيان) أى لا يبغى أحدهما على الآخر بالاختلاط ، وقيل لا يبغيان على الناس بالفيض (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) اللؤلؤ كبار الجوهر والمرجان صغاره ، وقيل بالعكس وقيل إن المرجان أحجار حمر ، قال ابن عطية : وهذا هو الصواب ، وأما قوله منهما ولايخرج إلا من أحدهما ، فقد تكلمنا عليه فى فاطر (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) يعنى السفن وسماها منشآت لأن الناس ينشئونها ، وقرئ بكسر الشين بمعنى أنها تنشئ السير أو تنشئ الموج ، والأعلام الجبال شبه السفن بها (كل من عليها فان) الضمير فى عليها للأرض يدل على ذلك سياق الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر ويعنى بمن عليها بنى آدم وغيرهم من الحيوان ، ولكنه غلب العقلاء (ويبقى وجه ربك ذوالجلال والإكرام) الوجه هنا عبارة عن الذات ، وذوالجلال صفة الذات لأن من أسمائه تعالى الجليل ومعناه يقرب من معنى العظيم ، وأما وصفه بالإكرام فيحتمل أن يكون بمعنى أنه يكرم عباده كما قال «ولقد كرمنا بنى آدم» أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسبيحه وعبادته (يسأله من فى السموات والأرض) المعنى أن كل من فى السموات والأرض يسأل حاجته من الله ، فمنهم من يسأله بلسان المقال ، وهم المؤمنون ومنهم من يسأله بلسان الحال لافتقار الجميع إليه (كل يوم هو فى شأن) المعنى أنه تعالى يتصرف فى ملكوته تصرفا يظهر فى كل يوم من العطاء والمنع ، والإماتة والإحياء وغير ذلك وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها فقيل له وما ذلك الشأن ، قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وسئل بعضهم كيف قال كل يوم هو فى شأن والقلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فقال هو فى شأن يبديه لا فى شأن يبتديه (سنفرغ لكم أيه الثقلان) معناه الوعيد كقولك لمن تهدده سأفرغ لعقوبتك وليس المراد التفرغ من

تُكَذِّبَانِ ۝ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝

شغل ويحتمل أن يريد انتهاء مدة الدنيا ، وإنه حينئذ ينقضى شأنها فلا يبقى إلا شأن الآخرة فعبر عن ذلك بالتفرغ قال جعفر بن محمد سمى الإنس والجن ثقلين كأنهما ثقلا بالذنوب (إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا) هذا كلام يقال للجن والإنس يوم القيامة أى إن قدرتم على الهروب والخروج من أقطار السموات والأرض فافعلوا . وروى أنهم يفرون يومئذ لما يرون من أهوال القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة . قد أحاطت بالأرض فيرجعون وقيل بل خوطبوا بذلك فى الدنيا والمعنى إن استطعتم الخروج عن قهر الله وقضائه عليكم فافعلوا وقوله فانفذوا أمر يراد به التعجيز (لا تنفذون إلا بسلطان) أى لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة وليس لكم قوة (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس) الشواظ لهيب النار والنحاس الدخان وقيل هو الصفر يذاب ويصب على رؤسهم وقرئ شواظ بضم الشين وكسرها وهما لغتان وقرئ نحاس بالرفع عطف على شواظ وبالخفض عطف على نار (فإذا انشقت السماء) جواب إذا قوله فيومئذ وقال ابن عطية جوابها محذوف (فكانت وردة كالدهان) معنى وردة حمراء كالوردة ، وقيل هو من الفرس الورد ، قال قتادة السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء ، والدهان جمع دهن كالزيت وشبهه شبه السماء يوم القيامة به لأنها تذاب من شدة الهول ، وقيل يشبه لمعانها بلمعان الدهن ، وقيل إن الدهان هو الجلد الأحمر (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) السؤال المنفى هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المغفرة إذ لا يحتاج إلى ذلك لأن المجرمين يعرفون بسيماهم ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة فى صحائفهم ، وأما السؤال الثابت فى قوله : فوربك لنسألنهم أجمعين وغيره ، فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ فلا تعارض بين المنفى والمثبت وقيل : إن ذلك باختلاف المواطن والأول أحسن (يعرف المجرمون بسيماهم) يعنى بعلاماتهم وهى سواد الوجوه وغير ذلك ، والمجرمون هنا الكفار بدليل قوله هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون (فيؤخذ بالنواصى والأقدام) قيل معناه : يؤخذ بعض الكفار بناصيته وبعضهم بقدميه ، وقيل بل يؤخذ كل واحد بناصيته وقدميه فيطوى ويطرح فى النار (يطوفون بينها وبين حميم آن) الحميم الماء السخن والآن الشديد الحرارة ، وقيل الحاضر من قولك آن الشىء إذا حضر والأول أظهر (ولمن خاف مقام ربه جنتان) مقام ربه القيام بين يديه للحساب ومنه يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وقيل قيام الله بأعماله ، ومنه أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ، وقيل معناه لمن خاف ربه وأقحم المقام ، كقولك خفت جانب فلان واختلف

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُدْهَآمَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ حُورٌ

هل الجنتان لكل خائف على انفراده ، أو للصنف الخائف وذلك مبنى على قوله لمن خاف مقام ربه هل يراد به واحد أو جماعة ، وقال الزمخشرى : إنما قال جنتان لأنه خاطب الثقلين فكأنه قال جنة للإنس وجنة للجن ، (ذواتا أفنان) ثنى ذات هنا على الأصل لأن أصله ذوات ، قاله ابن عطية ، والأفنان جمع فنن وهو الغصن أو جمع فن وهو الصنف من الفواكه وغيرها (من كل فاكهة زوجان) أى نوعان (وجنا الجنتين دان) الجنا هو ما يجتنى من الثمار ودان قريب ، وروى أن الإنسان يجتنى الفاكهة فى الجنة على أى حال كان من قيام أو قعود أو اضطجاع لأنها تتدلى له إذا أرادها وفى قوله جنا الجنتين ضرب من ضروب التجنيس (قاصرات الطرف) ذكر فى الصافات (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) . المعنى أنهن أبكار ، ولم يطمثهن معناه لم يفتضهن ، وقيل الطمث الجماع سواء كان لبكر أو غيرها ، ونفى أن يطمثهن إنس أو جان ، مبالغة وقصدا للعموم فكأنه قال لم يطمثهن شىء ، وقيل أراد لم يطمث نساء الإنس إنس ولم يطمث نساء الجن جن ، وهذا القول بأن الجن يدخلون الجنة ويتلذذون فيها بما يتلذذ البشر (كأنهن الياقوت والمرجان) شبه النساء بالياقوت والمرجان فى الحمرة والجمال ، وقد ذكرنا المرجان فى أول السورة . (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) المعنى أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة . ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذى سأل عنه جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين ويقوى هذا أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العلى . وجعل جنتين دونها لمن كان دون ذلك . فالجنتان المذكورتان أولا للسابقين ، والجنتان المذكورتين ثانيا بعد ذلك لأصحاب اليمين حسبما ورد فى الواقعة ، وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين ، أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما فقال : هنا عينان تجريان وقال فى الآخرتين عينان نضاختان ، والجرى أشد من النضخ وقال هنالك من كل فاكهة زوجان . وقال هنا فاكهة ونخل ورمان ، وكذلك صفة الحور هنا أبلغ من صفتها هنالك وكذلك صفة البسط ويفسر ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وكل ما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وكل ما فيهما (مدهامتان) أى تضربان إلى السواد من شدة الخضرة (عينان نضاختان) أى تفوران بالماء والنضخ بالخاء المعجمة أشد من النضح بالحاء المهملة (فاكهة ونخل

Marfat.com

مَّقْصُورَاتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝

سورة الواقعة

مكية إلا آيتى ٨١ و٨٢ فمدنيتان وآياتها ٩٦ نزلت بعد طه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝

ورمان) خص النخل والرمان بالذكر بعد دخولهما فى الفاكهة تشريفاً لهما وبياناً لفضلهما على سائر الفواكه وهذا هو التجريد (خيرات حسان) خيرات جمع خيرة وقال الزمخشرى وغيره أصله خيرات بالتشديد ثم خفف كميت وقرئ بالتشديد ، قالت أم سلمة يارسول الله أخبرنى عن قوله تعالى خيرات حسان قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه (حور مقصورات فى الخيام) الحور جمع حوراء والمقصورات المحجوبات لأن النساء يمدحن بملازمة البيوت ويذمن بكثرة الخروج والخيام هى البيوت التى من الخشب والحشيش ونحو ذلك ، وخيام الجنة من اللؤلؤ (متكئين على رفرف خضر) الرفرف البسط ، وقيل الوسائد وقيل رياض الجنة (وعبقرى حسان) العبقرى الطنافس ، وقيل الزرابى ، وقيل الديباج الغليظ ، وهو منسوب إلى عبقرى وتزعم العرب أنه بلد الجن فإذا أعجبها شىء نسبته إليه (تبارك اسم ربك) ذكر تبارك فى الفرقان وغيرها والاسم هنا يراد به المسمى على الأظهر وقرأ الجمهور ذى الجلال بالياء صفة لربك وقرأ ابن عامر بالواو صفة للاسم وقد ذكر معنى ذى الجلال والإكرام

سورة الواقعة

روى ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبداً ولما حضرت ابن مسعود الوفاة قيل له ماتركت لبناتك ، قال : تركت لهن سورة الواقعة (إذا وقعت الواقعة) يعنى إذا قامت القيامة فالواقعة اسم من أسماء القيامة ، تدل على هولها كالطامة والصاخة وقيل الواقعة الصيحة وهى النفخة فى الصور وقيل الواقعة صخرة بيت المقدس ، تقع يوم القيامة وهذا بعيد (ليس لوقعتها كاذبة) يحتمل ثلاثة أوجه : الأول أن تكون الكاذبة مصدر كالعافية والمعنى ليس لها كذب ولارد. الثانى أن تكون كاذبة صفة محذوف كأنه قال ليس لها حالة كاذبة أى هى صادقة الوقوع ولابد وهذا المعنى قريب من الأول . الثالث أن يكون التقدير ليس لها نفس كاذبة أى تكذيب فى إنكار البعث لأن كل نفس تؤمن حينئذ (خافضة رافعة) تقديره هى خافضة رافعة ، فينبغى أن يوقف على ماقبله لبيان المعنى والمراد بالخفض والرفع أنها تخفض أقواماً إلى النار وترفع أقواماً إلى الجنة ، وقيل ذلك عبارة عن هولها لأن السماء تنشق والأرض تتزلزل وتمر والجبال تنسف فكأنها تخفض بعض هذه الأجرام وترفع بعضها (إذا رجت الأرض رجا) أى زلزلت وحركت تحريكاً شديداً وإذا هنا بدل من إذا

Marfat.com

وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُولَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝
ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا

وقعت ويحتمل أن يكون العامل فيه خافضة رافعة (وبست الجبال بساً) أى فتتت وقيل سيرت (هباء منبثاً) الهباء مايتطاير فى الهواء من الأجزاء الدقيقة ، ولا تكادترى إلا فى الشمس إذادخلت على كوة قاله ابن عباس وقال علىّ بن أبى طالب هو ماتطاير من حوافر الدواب من التراب ، وقيل ماتطاير من شرر النار ، فإذا طفى لم يوجد شيئاً والمنبث المتفرق (وكنتم أزواجاً ثلاثة) هذا خطاب لجميع الناس لأنهم ينقسمون يوم القيامة إلى هذه الأصناف الثلاثة وهم السابقون ، وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ، فأما السابقون فهم أهل الدرجات العلا فى الجنة ، وأما أصحاب اليمين فهم سائر أهل الجنة ، وأما أصحاب الشمال فهم أهل النار (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) هذا ابتداء خبر فيه معنى التعظيم ، كقولك زيد مازيد ، والميمنة يحتمل أن تكون مشتقة من اليمن وهو ضد الشؤم وتكون المشأمة به مشتقة من الشؤم أو تكون الميمنة من ناحية اليمين والمشأمة من ناحية الشمال ، واليد الشؤمى هى الشمال وذلك لأن العرب تجعل الخير من اليمين والشر من الشمال ، أو لأن أهل الجنة يحملون إلى جهة اليمين ، وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال أو يكون من أخذ الكتاب باليمين أو الشمال (والسابقون السابقون) الأول مبتدأ والثانى خبره على وجه التعظيم كقولك أنت أنت أو على معنى أن السابقين إلى طاعة الله هم السابقون إلى الجنة ، وقيل إن السابقون الثانى صفة للأول أو تأكيد ، والخبر أولئك المقربون ، والأرجح أن يكون الثانى خبر الأول لأنه فى مقابلة قوله أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، وعلى هذا يوقف على السابقون الثانى ويبتدئ بما بعده (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) الثلة الجماعة من النـاس ، فالمعنى أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخرين ، والأولون هم أول هذه الأمة والآخرون المتأخرون من هذه الأمة ، والدليل على ذلك ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الفرقتان فى أمتى وذلك لأن صدر هذه الأمة خير ممن بعدهم فكثر السابقون من السلف الصالح ، وقلوا بعد ذلك ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وقيل إن الفرقتين فى أمة كل نبىّ فالسابقون فى كل أمة يكثرون فى أولها ويقلون فى آخرها ، وقيل إن الأولين هم من كان قبل هذه الأمة والآخرين هم هذه الأمة فيقتضى هذا أن السابقين من الأمم المتقدمة أكثر من السابقين من هذه الأمة وهذا بعيد ، وقيل إن السابقين يراد بهم الأنبياء ، لأنهم كانوا فى أول الزمان أكثر مما كانوا فى آخره (على سرر موضونة) السرر جمع سرير والموضونة المنسوجة وقيل المشبكة بالدر والياقوت ، وقيل معناه متواصلة قد أدنى بعضها من بعض (متقابلين) أى وجوه بعضهم إلى بعض (ولدان مخلدون) الولدان صغار الخدم والمخلدون الذين لا يموتون ، وقيل المقرطون بالخلدات وهى ضرب من الإفراط ، والأول أظهر (بأكواب وأباريق) الأكواب جمع كوب وهو الإناء وهو الذى لا أذن له ولا خرطوم يمسك به والأباريق جمع إبريق وهو الإناء الذى له خرطوم أو أذن يمسك (وكأس من معين) ذكر فى الصافات

يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۝ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۝ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۝
وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ۝ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ۝
إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا ۝ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِنَ

لا يصدعون عنها ولا ينزفون) أى لا يلحق رءوسهم الصداع الذى يصيب من خمر الدنيا وقيل لا يفرقون عنها فهو من الصدع وهو الفرقة ، ومعنى لا ينزفون لا يسكرون (وفاكهة مما يتخيرون) قيل يتخيرون ما شاؤا لكثرتها ، وقيل مخيرة مرضية (وحور عين) قدمنا معناه ، وقرئ بالرفع على تقدير فيها حور أو عطف على الضمير فى متكئين ، أو على ولدان ، وبالخفض عطف على المعنى كأنه قال ينعمون بهذا كله وبحور عين ، وقيل خفض على الجوار (كأمثال اللؤلؤ المكنون) شبههن باللؤلؤ فى البياض ووصفه بالمكنون لأنه أبعد عن تغيير حسنه وسألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا التشبيه فقال صفاؤهن كصفاء الدر فى الأصداف الذى لا تمسه الأيدى (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما) اللغو الكلام الساقط كالفحش وغيره والتأثيم مصدر بمعنى لا يؤثم أحد هناك نفسه ولا غيره (إلا قيلا سلاما سلاما) انتصب سلاما على أنه بدل من قيلا أو صفة له أو مفعول به لقيلا . لأن معناه قولا ، ومعنا السلام على هذا التحية ، والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام ، ويحتمل أن يكون معناه السلامة ، فينتصب بفعل مضمر تقديره أسلموا سلاما (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) هذا مبتدأ وخبره قصد به التعظيم فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده ويحتمل أن يكون الخبر فى سدر ، ويكون ما أصحاب اليمين اعتراضا ، والأول أحسن ، وكذلك إعراب أصحاب الشمال (فى سدر مخضود) السدر شجر معروف . قال ابن عطية هو الذى يقال له شجر أم غيلان وهو كثير فى بلاد المشرق وهى فى بعض بلاد الأندلس دون بعض والمخضود الذى لا شوك له كأنه خضد شوكه ، وذلك أن سدر الدنيا له شوك ، فوصف سدر الجنة بضد ذلك وقيل المخضود هو الموقر الذى انثنت أغصانه من كثرة حمله فهو على هذا من خضد الغصن إذا ثناه (وطلح منضود) الطلح شجر عظيم كثير الشوك ، قاله ابن عطية وقال الزمخشرى هو شجر الموز ، وحكى ابن عطية هذا عن على بن أبى طالب وابن عباس وقرأ على بن أبى طالب وطلع منضود بالعين فقيل له إنما هو وطلح بالحاء فقال ما للطلح والجنة فقيل له أنصلحها فى المصحف فقال المصحف اليوم لا يغير ، والمنضود الذى تنضد بالثمر من أعلاه إلى أسفله حتى لا يظهر له ساق (وظل ممدود) أى منبسط لا يزول لأنه لا تنسخه الشمس ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها . اقرؤا إن شئتم وظل ممدود وماء مسكوب : أى مصبوب ، وذلك عبارة عن كثرته وقيل المعنى أنه جار فى غير أخاديد ، وقيل المعنى أنه يجرى من غير ساقية ولا دلو ولا تعب (لا مقطوعة ولا ممنوعة) أى لا ينقطع إبانها كفاكهة الدنيا ، فإن شجر الجنة يثمر فى كل وقت ولا تمتنع ببعد تناولها ولا بغير ذلك من وجوه المنع (وفرش مرفوعة) هى الأسرة ، وقد روى ارتفاع السرير منها مسيرة خمسمائة عام وقيل هى النساء ، وهذا بعيد (إنا أنشأناهن) الضمير لنساء الجنة ، فإن سياق الكلام يقتضى ذلك ، وإن لم يتقدم ذكرهن ولكن تقدم ذكر الفرش

ٱلْأَخِرِينَ ۝ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ۝ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۝ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُم

وهى تدل على النساء وأما من قال إن الفرش هى النساء فالضمير عائد عليها وقيل يعود على الحور العين المذكورة قبل هذا وذلك بعيد بأن ذلك فى وصف جنات السابقين ، وهذا فى وصف جنات أصحاب اليمين ومعنى إنشاء النساء أن الله تعالى يخلقهن فى الجنة خلقا آخر فى غاية الحسن بخلاف الدنيا فالعجوز ترجع شابة والقبيحة ترجع حسنة (فجعلناهن أبكارا) روى أنهن دائمات البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرا (عربا) جمع عروب وهى المتوددة إلى زوجها بإظهار محبته وعبر عنهن ابن عباس بأنهن العواشق لأزواجهن وقيل هى الحسنة الكلام (أترابا لأصحاب اليمين) أى مستويات فى السن مع أزواجهن ، وروى أنهن يكونون فى سن أبناء ثلاث وثلاثين عاما ولأصحاب اليمين [يتعلق] بقوله أنشأناهن [...] على ماقاله الزمخشرى ويحتمل أن يتعلق بأترابا ، وهذا هو الذى يقتضيه المعنى أى أترابا لأزواجهن (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) أى جماعة من [أول هذه] الأمة وجماعة من آخرها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الفريقان من أمتى وفى ذلك رد على من قال إنهما من غير هذه الأمة وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين بخلاف السابقين فإنهم قليل فى الآخرين وذلك لأن السابقين فى أول هذه الأمة أكثر منهم فى آخرها لفضيلة السلف الصالح وأما أصحاب اليمين فكثير فى أولها وآخرها (فى سموم وحميم وظل من يحموم) السموم الحر الشديد والحميم الماء الحار جدا واليحموم هو الأسود وظل من يحموم هو الدخان فى قول الجمهور ، وقيل سرادق النار المحيط بأهلها فإنه يرتفع من كل جهة حتى يظلهم وقيل هو جبل فى جهنم (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) معنى يصرون يدومون من غير إقلاع والحنث هو الإثم ، وقيل هو الشرك ، وقيل هو الحنث فى اليمين أو اليمين الغموس (أئذا متنا) الآية معناها أنهم أنكروا البعث بعد الموت ، وقد ذكرنا قراءة الاستفهامين فى الرعد وآباؤنا فى الصافات (أيها الضالون) خطابا لكفار قريش وسائر الكفار (فشاربون عليه) الضمير للمأكول (فشاربون شرب الهيم) وزن الهيم فعل بضم الفاء ، وكسرت الهاء لأجل الياء وهو جمع أهيم وهو الجمل الذى أصابه الهيام بضم الهاء وهو داء معطش يشرب معه الجمل حتى يموت أو يسقم والأنثى هيماء ، وقيل جمع هائم وهائمة ، وقيل الهيم الرمال التى لاتروى من الماء وهو على هذا جمع هيام بفتح الهاء وقرئ شرب بضم الشين واختلف هل هو مصدر أو اسم المشروب وقرئ بالفتح وهو مصدر فإن قيل كيف عطف قوله فشاربون على شاربون ومعناهما واحد ، فالجواب أن المعنى مختلف لأن الأول يقتضى الشرب مطلقا والآخر يقتضى الشرب الكثير المشبه لشرب الهيم (هذا نزلهم) النزل أول ما يأكله الضيف فكأنه يقول هذا أول عذابهم فما ظنك بسائره (فلولا تصدقون) تحضيض على التصديق إما بالخالق تعالى وإما بالبعث لأن

Marfat.com

مَّا تُمْنُونَ ۞ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ۞ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۞ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۞ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۞ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ۞ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۞ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۞ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۞ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۞ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ۞ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۞ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۞ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ۞ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً

الخلقة الأولى دليل عليه (أفرأيتم ما تمنون) هذه الآية وما بعدها تتضمن إقامة براهين على الوحدانية وعلى البعث وتتضمن أيضا وعيد وتعديد نعم ومعنى تمنون تقذفون المنى فى رحم المرأة (أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) هذا توقيف يقتضى أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق لا إله إلا هو (نحن قدرنا بينكم الموت) أى جعلناه مقدرا بآجال معلومة وأعمار منها طويل وقصير ومتوسط (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) المسبوق على الشيء هو المغلوب عليه بحيث لا يقدر عليه ونبدل أمثالكم معناه نهلككم ونستبدل قوما غيركم ، وقيل نمسخكم قردة وخنازير وننشئكم معناه نبعثكم بعد هلاككم وفيما لا تعلمون معناه ننشئكم فى خلقة لا تعلمونها على وجه لا تصل عقولكم إلى فهمه فمعنى الآية أن الله قادر على أن يهلكهم وعلى أن يبعثهم ففيها تهديد واحتجاج على البعث (فلولا تذكرون) تحضيض على التذكير والاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة وفى هذا دليل على صحة القياس (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) المراد بالزراعة هنا إنبات ما يزرع وتمام خلقته لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يدعيه غيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم زرعت ولكن يقول حرثت والمراد بالحرث قلب الأرض وإلقاء الزريعة فيها وقد يقال لهذا زرع ومنه قوله يعجب الزراع (لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون) الحطام اليابس المفتت وقيل معناه تبن بلا قمح فظلتم تفكهون أى تطرحون الفاكهة وهى المسرة يقال رجل فكه إذا كان مسرورا منبسط النفس ويقال تفكه إذا زالت عنه الفكاهة فصار حزينا لأن صيغة تفاعل تأتى لزوال الشيء كقولهم تحرج وتأثم إذا زال عنه الحرج والإثم فالمعنى صرتم تحزنون على الزرع لو جعله الله حطاما وقد عبر بعضهم عن تفكهون بأن معناه تتفجعون وقيل تندمون وقيل تعجبون وهذه معان متقاربة والأصل ما ذكرنا (إنا لمغرمون بل نحن محرومون) تقديره تقولون ذلك لو جعل الله زرعكم حطاما والمغرم المعذب لأن الغرام هو أشد العذاب ويحتمل أن يكون من الغرم أى مثقلون بما غرمنا من النفقة على الزرع والمحروم الذى حرمه الله الخير (من المزن) هى السحاب ، والأجاج الشديد الملوحة ، فإن قيل لم ثبتت اللام فى قوله لو نشاء لجعلناه حطاما وسقطت فى قوله لو نشاء جعلناه أجاجا ؟ فالجواب من وجهين أحدهما أنه أغنى إثباتها أولا عن إثباتها ثانيا مع قرب الموضعين والآخر أن هذه اللام تدخل للتأكيد فأدخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن الطعام أوكد من الشراب لأن الإنسان لا يشرب إلا بعد أن يأكل (النار التى تورون) أى تقدحونها من الزناد والزناد قد يكون من حجرين ومن حجر وحديده ومن شجر وهو المرخ والعفار ولما كانت عادة العرب فى زنادهم من شجر . قال الله تعالى ءأنتم أنشأتم شجرتها أى الشجرة التى تزند

Marfat.com

وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۝ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ

النار منها وقيل أراد بالشجرة نفس النار كأنه يقول نوعها أو جنسها فاستعار الشجرة لذلك وهذا بعيد (نحن جعلناها تذكرة) أى تذكر بنار جهنم (ومتاعا للمقوين) المتاع ما يتمتع به ويحتمل المقوين أن يكون من الأرض القواء وهى الفيافى ومعنى المقوين الذين دخلوا فى القواء ولذلك عبر ابن عباس عنه بالمسافرين ويحتمل أن يكون من قولهم أقوى المنزل إذا خلا فمساه الذين خلت بطونهم أو موائدهم من الطعام ولذلك عبر بعضهم عنه بالجائعين (فلا أقسم بمواقع النجوم) لا فى هذا الموضع وأمثاله زائدة وكأنها زيدت لتأكيد القسم أو لاستفتاح الكلام نحو ألا وقيل هى نافية لكلام الكفار كأنه يقول لا صحة لما يقول الكفار وهذا ضعيف والأول أحسن لأن زيادة لا كثيرة معروفة فى كلام العرب ومواقع النجوم فيه قولان أحدهما قال ابن عباس إنها نجوم القرآن إذ نزل على النبي صلى الله عليه وسلم مقطعا بطول عشرين سنة فكل قطعة منه نجم والآخر قول كثير من المفسرين أن النجوم الكواكب ومواقعها مغاربها ومساقطها ، وقيل مواضعها من السماء وقيل انكدارها يوم القيامة (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه وقوله لو تعلمون اعتراض بين الموصوف وصفته فهو اعتراض فى اعتراض ، والمقصود بذلك تعظيم المقسم به وهو مواقع النجوم وجواب القسم إنه لقرآن كريم وأعاد الضمير على القرآن لأن المعنى يقتضيه أو لأنه مذكور على قول من قال إن مواقع النجوم نزول القرآن (فى كتاب مكنون) أى مصون والمراد بهذا الكتاب المكنون المصاحف التى كتب فيها القرآن أو صحف القرآن التى بأيدى الملائكة عليهم السلام (لا يمسه إلا المطهرون) الضمير يعود على الكتاب المكنون ، ويحتمل أن يعود على القرآن المذكور قبله إلا أن هذا ضعيف لوجهين أحدهما : أن مس الكتاب حقيقة ومس القرآن مجاز ، والحقيقة أولى من المجاز والآخر أن الكتاب أقرب والضمير يعود على أقرب مذكور فإذا قلنا إنه يعود على الكتاب المكنون فإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التى بأيدى الملائكة ، فالمطهرون يراد بهم الملائكة لأنهم مطهرون من الذنوب والعيوب والآية إخبار بأنه لا يمسه إلا هم دون غيرهم ؛ وإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التى بأيدى الناس ، فيحتمل أن يريد بالمطهرين المسلمين ، لأنهم مطهرون من الكفر أو يريد المطهرين من الحدث الأكبر وهى الجنابة أو الحيض ، فالطهارة على هذا الاغتسال أو المطهرين من الحدث الأصغر . فالطهارة على هذا الوضوء ويحتمل أن يكون قوله لا يمسه خبرا أو نهيا على أنه قد أنكر بعض الناس أن يكون نهيا وقال لو كان نهيا لكان بفتح السين وقال المحققون إن النهى يصح مع ضم السين لأن الفعل المضاعف إذا كان مجزوما أو اتصل به ضمير المفرد المذكر ضم عند التقاء الساكنين إتباعا لحركة الضمير وإذا جعلناه خبرا فيحتمل أن يقصد به مجرد الإخبار أو يكون خبرا بمعنى النهى وإذا كان لمجرد الإخبار فالمعنى أنه لا ينبغى أن يمسه إلا المطهرون أى هذا حقه وإن وقع خلاف ذلك واختلف الفقهاء فيمن يجوز له مس المصحف على حسب الاحتمالات فى الآية . فأجمعوا على أنه لا يجوز أن لا يمسه كافر لأنه إن أراد بالمطهرين المسلمين . فذلك ظاهر وإن أراد الطهارة من الحدث فالإسلام حاصل مع ذلك وأما الحدث ففيه ثلاثة أقوال : الأول أنه لا يجوز أن يمسه الجنب ولا الحائض ولا المحدث حدثا أصغر وهو

Marfat.com

أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۞ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۞ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ۞ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۞ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۞ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۞ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَأَمَّا إِن

قول مالك وأصحابه ومنعوا أيضا أن يحمله بعلاقة أو وسادة وحجتهم الآية على أن يراد بالمطهرين الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر وقد احتج مالك فى الموطأ بالآية على المسألة ومن حجتهم أيضا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر ، الثانى أنه يجوز مسه للجنب والحائض والمحدث حدثا أصغر وهو مذهب أحمد بن حنبل والظاهرية وحملوا المطهرون على أنهم المسلمون والملائكة أو جعلوا لا يمسه لمجرد الإخبار ، والقول الثالث أنه يجوز مسه بالحدث الأصغر دون الأكبر ورخص مالك فى مسه على غير وضوء للمعلم والصبيان لأجل المشقة . واختلفوا فى قراءة الجنب للقرآن فمنعه الشافعى وأبو حنيفة مطلقا وأجازه الظاهرية مطلقا ، وأجاز مالك قراءة الآية اليسيرة . واختلف فى قراءة الحائض والنفساء للقرآن عن ظهر قلب فعن مالك فى ذلك روايتان ، وفرق بعضهم بين اليسير والكثير (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) هذا خطاب للكفار ، والحديث المشار إليه هو القرآن ، ومدهنون معناه متهاونون وأصله من المداهنة وهى لين الجانب والموافقة بالظاهر لا بالباطن قال ابن عباس معناه مكذبون (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) قال ابن عطية أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين فى المطر إنه نزل بنوء كذا وكذا ، والمعنى تجعلون شكر رزقكم التكذيب فحذف شكر لدلالة المعنى عليه وقرأ على ابن أبى طالب وتجعلون شكركم أنكم تكذبون وكذلك قرأ ابن عباس إلا أنه قرأ تكذبون بضم التاء والتشديد كقراءة الجماعة وقراءة على بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب أى يكذبون فى قولهم نزل المطر بنوء كذا ومن هذا المعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى يقول أصبح من عبادى مؤمن بى كافر بالكوكب وكافر بى مؤمن بالكوكب فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكوكب كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب . والمنهى عنه فى هذا الباب أن يعتقد أن للكوكب تأثيرا فى المطر وأما مراعاة العوائد التى أجراها الله تعالى فلا بأس به لقوله صلى الله عليه وسلم إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة ، وقد قال عمر للعباس وهما فى الاستسقاء كم بقى من نوء الثريا فقال العباس العلماء يقولون إنها تعترض فى الأفق بعد سقوطها سبعا ، قال ابن الطيب فامضت سبع حتى مطروا ، وقيل إن معنى الآية تجعلون سبب رزقكم تكذيبكم للنبى صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا يقولون إن آمنا به حرمنا الله الرزق . كقولهم إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا فأنكر الله عليهم ذلك وإعراب أنكم على هذا القول مفعول بتجعلون على حذف مضاف تقديره تجعلون سبب رزقكم التكذيب ويحتمل أن يكون مفعولا من أجله تقديره تجعلون رزقكم حاصلا من أجل أنكم تكذبون ، وأما على القول الأول فإعراب أنكم تكذبون مفعول لا غير (فلولا إذا بلغت الحلقوم) لولا هنا عرض والضمير فى بلغت للنفس لأن سياق الكلام يقتضى ذلك وبلوغها للحلقوم حين الموت والفعل الذى دخلت عليه لولا هو قوله ترجعونها أى هلا رددتم النفس حين الموت ، ومعنى الآية احتجاج على البشر وإظهار لعجزهم لأنهم اذا حضر أحدهم الموت لم يقدروا أن يردوا روحه إلى جسده ، وذلك دليل على أنهم عبيد مقهورون (وأنتم حينئذ تنظرون) هذا خطاب لمن يحضر الميت من

كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ الْيَمِينِ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ الْيَمِينِ ۝ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّآلِّينَ ۝ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝

أقاربه وغيرهم ، يعنى تنظرون إليه ولا تقدرون له على شيء (ونحن أقرب إليه منكم) يحتمل أن يريد قرب نفسه تعالى بعلمه واطلاعه أو قرب الملائكة الذين يقبضون الأرواح فيكون من قرب المسافة (ولكن لا تبصرون) إن أراد بقوله نحن أقرب الملائكة فقوله لا تبصرون من رؤية العين ، وإن أراد نفسه تعالى فهو من رؤية القلب (فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين) لولا هنا عرض كالأولى وكررت للتأكيد والبيان لما طال الكلام والفعل الذى دخلت عليه لولا الأولى والثانية قوله ترجعونها أى هلا رددتم النفس إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين وغير مربوبين ومقهورين فافعلوا ذلك إن كنتم صادقين فى كفركم وترتيب الكلام فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين فارجعوا إن كنتم صادقين (فأما إن كان من المقربين) الضمير فى كان المتوفى وكرر هنا ماذكره فى أول السورة من تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال فالمراد بالمقربين هنا السابقون المذكورون هناك (فروح وريحان) الروح الاستراحة وقيل الرحمة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فروح بضم الراء ومعناه الرحمة وقيل الخلود أى بقاء الروح وأما الريحان فقيل إنه الرزق وقيل الاستراحة وقيل الطيب وقيل الريحان المعروف وفى قوله روح وريحان ضرب من ضروب التجنيس (فسلام لك من أصحاب اليمين) معنى هذا على الجملة نجاة أصحاب اليمين وسعادتهم والسلام هنا يحتمل أن يكون بمعنى السلامة أو التحية والخطاب فى ذلك يحتمل أن يكون للنبى صلى الله عليه وسلم أو لأحد من أصحاب اليمين فان كان للنبى صلى الله عليه وسلم فالسلام بمعنى السلامة والمعنى سلام لك يا محمد منهم أى لا ترى منهم إلا السلامة من العذاب وإن كان الخطاب لأحد من أصحاب اليمين فالسلام بمعنى التحية والمعنى سلام لك أى تحية لك يا صاحب اليمين من إخوانك وهم أصحاب اليمين أى يسلمون عليك فهو كقوله إلا قيلا سلاما سلاما أو يكون بمعنى السلامة والتقدير سلامة لك يا صاحب اليمين ثم يكون قوله من أصحاب اليمين خبر ابتداء مضمر تقديره أنت من أصحاب اليمين (وأما إن كان من المكذبين الضالين) يعنى الكفار وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة (فنزل من حميم) النزل أول شيء يقدم للضيف (إن هذا لهو حق اليقين) الإشارة إلى ما تضمنته هذه السورة من أحوال الخلق فى الآخرة وحق اليقين معناه الثابت من اليقين . وقيل إن الحق واليقين بمعنى واحد فهو من إضافة الشيء إلى نفسه كقوله مسجد الجامع واختار ابن عطية أن يكون كقولك فى أمر تؤكده هذا يقين اليقين أو صواب الصواب بمعنى أنه نهاية الصواب (فسبح باسم ربك العظيم) لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال عليه السلام اجعلوها فى سجودكم فلذلك استحب مالك وغيره أن يقول فى السجود سبحان ربى الأعلى وفى الركوع سبحان ربى العظيم وأوجبه الظاهرية ويحتمل أن يكون المعنى تسبيح الله بذكر أسمائه والاسم هنا جنس الأسماء والتعظيم صفة للرب أو يكون الاسم هنا واحدا والعظيم صفة له وكأنه أمره أن يسبح بالاسم الأعظم ويؤيد هذا ويشير إليه اتصال سورة الحديد بها وفى أولها التسبيح وجملة من أسماء الله وصفاته ، قال ابن عباس اسم الله العظيم الأعظم موجود

Marfat.com

ســـورة الحديد

مدنية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ۝ له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ۝ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ۝ هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير ۝ له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور ۝ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور ۝ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ۝ وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين ۝ هو الذي ينزل

في ست آيات من أول سورة الحديد ، وروى أن الدعاء عند قراءتها مستجاب

ســـورة الحديد

(سبح لله ما في السموات والأرض) هذا التسبيح المذكور هنا وفي أوائل سائر السور المسبحات يحتمل أن يكون حقيقة أو أن يكون بلسان الحال لأن كل ما في السموات والأرض دليل على وجود الله وقدرته وحكمته والأول أرجح لقوله : ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، وذكر التسبيح هنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي ، وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع ، وكل واحد منهما يقتضي الدوام (هو الأول والآخر) أي ليس لوجوده بداية ولا لبقائه نهاية (والظاهر والباطن) أي الظاهر للعقول بالأدلة والبراهين الدالة على الباطن الذي لا تدركه الأبصار أو الباطن الذي لا تصل العقول إلى معرفة كنه ذاته وقيل الظاهر العالي على كل شيء فهو من قولك ظهرت على الشيء إذا علوت عليه ، والباطن الذي بطن كل شيء أي علم باطنه ، والأول أظهر وأرجح ودخلت الواو بين هذه الصفات لتدل على أنه تعالى جامع لها مع اختلاف معانيها وفي ذلك مطابقة لفظية ، وهي من أحسن أدوات البيان (ثم استوى على العرش) قد ذكر وكذلك ما بعده (وهو معكم أينما كنتم) يعني أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته . وأجمع العلماء على تأويل هذه الآية بذلك (يولج الليل) ذكر في الحج ولقمان (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعني الإنفاق في سبيل الله وطاعته ، وروى أنها نزلت في الإنفاق في غزوة تبوك وعلى هذا روى أن قوله «فالذين آمنوا منكم وأنفقوا» نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فإنه جهز جيش العسرة يومئذ ولفظ الآية مع ذلك عام وحكمها باق ، لجميع الناس وقوله مستخلفين فيه يعني أن الأموال التي بأيديكم إنما هي أموال الله لأنه خلقها ولكنه متعكم بها وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكها أن تنفقوها فيه ويحتمل أن يكون جعلكم مستخلفين عمن كان قبلكم فورثتم عنه الأموال فأنفقوها قبل أن تخلفوها لمن بعدكم كما خلفها لكم من كان قبلكم ، والمقصود على كل وجه تحريض على الإنفاق وتزهيد في الدنيا (وما لكم لا تؤمنون بالله) معناه أي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة

Marfat.com

عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُولَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ الْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ يَوْمَ يَقُولُ

والمعجزات الظاهرة فقوله مالكم استفهام يراد به الإنكار ولا تؤمنون فى موضع الحال من معنى الفعل الذى يقتضيه مالكم والواو فى قوله والرسول يدعوكم واو الحال (وقد أخذ ميثاقكم) يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما جعل فى العقول من النظر الذى يؤدى إلى الإيمان ، أو يكون الميثاق الذى أخذه على بنى آدم حين أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (هو الذى ينزل على عبده آيات) يعنى سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والعبودية هنا للتشريف والاختصاص والآيات هنا القرآن (ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله) الآية: معناه أى شىء يمنعكم من الإنفاق فى سبيل الله والله يرث مافى السموات والأرض إذا فنى أهلها ففى ذلك تحريض على الإنفاق وتزهيد فى الدنيا (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) الفتح هنا فتح مكة ، وقيل صلح الحديبية ، والأول أظهر وأشهر ، ومعنى الآية التفاوت فى الأجر والدرجات بين من أنفق فى سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفا والحاجة إلى الانفاق والقتال كانت أشد ويؤخذ من الآية أن من أنفق فى شدة أعظم أجراً ممن أنفق فى حال الرخاء وفى الآية حذف دل عليه الكلام تقديره لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل ثم حذف ذلك لدلالة قوله أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وفى هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، يعنى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة ، ويدخل فى الخطاب كل من يأتى إلى يوم القيامة (وكلا وعد الله الحسنى) أى كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدهم الله الجنة (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) ذكر فى البقرة (يوم ترى) العامل فى الظرف أجر كريم أو تقديره اذكر (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) قيل إن هذا النور استعارة يراد به الهدى والرضوان والصحيح هو قول الجمهور أنه حقيقة وقد روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمعنى على هذا أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نور يضىء قدامهم وعن يمين كل واحد منهم وقيل يكون أصله فى أيمانهم يحملونه فينبسط نوره قدامهم ، وروى أن نور كل أحد على قدر إيمانه فمنهم من يكون نوره كالنخلة ومنهم من يضىء ماقرب من قدميه ، ومنهم من يضىء مرة ويهم بالإطفاء مرة ، قال ابن عطية ومن هذه الآية أخذ الناس مشى المعتق بالشمعة قدام معتقه إذا مات (بشراكم اليوم جنات) أى يقال لهم ذلك (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم) يوم بدل من يوم ترى

Marfat.com

الْمُنَٰفِقُونَ وَالْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ
بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۞ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ
فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۞ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ
مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ

أو متعلق بالفوز العظيم أو بمحذوف تقديره اذكر ومعنى الآية أن كل مؤمن مظهر للإيمان يعطى يوم القيامة نورا فيبقى نور المؤمنين وينطفئ نور المنافقين فيقول المنافقون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم أى نأخذ منه ونستضيء به ومعنى انظرونا انتظرونا وذلك لأن المؤمنين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف والمنافقون ليسوا كذلك ويحتمل أن يكون من النظر أى انظروا إلينا لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاؤا بنورهم ولكن يضعف هذا لأن نظر إذا كان بمعنى النظر بالعين يتعدى بإلى وقرئ أنظرونا بهمزة قطع ومعناه أخرونا أى أمهلونا فى مشيكم حتى نلحقكم (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) يحتمل أن يكون هذا من قول المؤمنين أو قول الملائكة ومعناه الطرد للمنافقين والتهكم بهم لأنهم قد علموا أن ليس وراءهم نور، ووراءكم ظرف العامل فيه ارجعوا وقيل إنه لا موضع له من الإعراب وأنه كالو قال ارجعوا ومعنى هذا الرجوع ارجعوا إلى الموقف فالتمسوا فيه النور أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور (فضرب بينهم بسور له باب) أى ضرب بين المؤمنين والمنافقين بسور يفصل بينهم وفى ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه وقيل إن هذا السور هو الأعراف وهو سور بين الجنة والنار وقيل هو الجدار الشرقى من بيت المقدس وهذا بعيد (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) باطنه هو جهة المؤمنين وظاهره هو جهة المنافقين وهى خارجة كقوله ظاهر المدينة أى خارجها والضمير فى باطنه وظاهره يحتمل أن يكون للسور أو للباب والأول أظهر (ينادونهم ألم نكن معكم) أى ينادى المنافقين المؤمنين فيقولون لهم ألم نكن معكم فى الدنيا يريدون إظهارهم الإيمان (فتنتم أنفسكم) أى أهلكتموها وأضللتموها بالنفاق (وتربصتم) أى أبطأتم بإيمانكم وقيل تربصتم الدوائر بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين (وارتبتم) أى شككتم فى الإيمان (وغرتكم الأمانى) أى طول الأمل والتمنى ومن ذلك أنهم كانوا يتمنون أن يهلك النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أو يهزمون إلى غير ذلك من الأمانى الكاذبة (حتى جاء أمر الله) أى الفتح وظهور الإسلام أو موت المنافقين على الحال الموجبة للعذاب (الغرور) هو الشيطان (هى مولاكم) أى هى أولى بكم وحقيقة المولى الولى الناصر فكأن هذا استعارة منه أى لا ولى لكم تأوون إليه إلا النار (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) معنى ألم يأن: ألم يحن. يقال أنى الأمر إذا حان وقته، وذكر الله يحتمل أن يريد به القرآن أو الذكر أو التذكير بالمواعظ وهذه آية موعظة وتذكير قال ابن عباس عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاثة عشر سنة من نزول القرآن وسمع الفضيل بن عياض قارئا يقرأ هذه الآية فقال قد آن فكان سبب رجوعه إلى الله وحكى أن عبد الله بن المبارك أخذ العود فى صباه ليضرب به فنطق بهذه الآية فكسره ابن المبارك وتاب إلى

Marfat.com

قلوبهم وكثير منهم فسقون ۝ اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيت لعلكم تعقلون ۝
إن المصدقين والمصدقت وأقرضوا الله قرضا حسنا يضعف لهم ولهم أجر كريم ۝ والذين ءامنوا بالله
ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بئايتنا
أولئك أصحب الجحيم ۝ اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال
والأولد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فترىه مصفرا ثم يكون حطما وفى الآخرة عذاب شديد
ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا إلا متع الغرور سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة

الله (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) عطف ولا يكونوا على أن تخشع ويحتمل أن يكون نهيا والمراد التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب المتقدمة وهم اليهود والنصارى (فطال عليهم الأمد) أى مدة الحياة وقيل انتظار القيامة ، وقيل انتظار الفتح والأول أظهر (اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها) أى يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات ، وقيل إنه تمثيل للقلوب أى يحي الله القلوب بالمواعظ كما يحي الأرض بالمطر ، وفى هذا تأنيس للمؤمنين الذين ندبوا إلى أن تخشع قلوبهم ، والأول أظهر وأرجح لأنه الحقيقة (إن المصدقين والمصدقات) بتشديد الصاد من الصدقة وأصله المتصدقين ، وكذلك قرأ أبي بن كعب وقرئ بالتخفيف من التصديق أى صدقوا الرسول عليه الصلاة والسلام . (وأقرضوا الله) معطوف على المعنى ، كأنه قال إن الذين تصدقوا وأقرضوا ، وقد ذكرنا معنى أقرضوا فى قوله من ذا الذى يقرض الله (الصديقون) مبالغة من الصدق أو من التصديق ، وكونه من الصدق أرجح لأن صيغة فعيل لا تبنى إلا من فعل ثلاثى فى الأكثر ، وقد حكى بناؤها من رباعى كقولهم رجل مسيك من أمسك (والشهداء عند ربهم) يحتمل أن يكون الشهداء مبتدأ وخبره مابعده ، أو يكون معطوفا على الصديقين ، فإن كان مبتدأ ففى المعنى قولان : أحدهما أنه جمع شهيد فى سبيل الله فأخبر أنهم عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والآخر أنه جمع شاهد ، ويراد به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهم يشهدون على قومهم ، وإن كان معطوفا ففى المعنى قولان ، أحدهما : أنه جمع شهيد فوصف الله المؤمنين بأنهم صديقون وشهداء : أى جمعوا الوصفين . وروى فى هذا المعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال مؤمنو أمتى شهداء وتلا هذه الآية ، والآخر أنه جمع شاهد لأن المؤمنين يشهدون على الناس كقوله لتكونوا شهداء على الناس (لهم أجرهم ونورهم) هذا خبر عن الشهداء خاصة إن كان مبتدأ أو خبر عن المؤمنين إن كان الشهداء معطوفا ، ونورهم هو النور الذى يكون لهم يوم القيامة حسبما ذكر فى هذه السورة ، وقيل هو عبارة عن الهدى والإيمان . (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) الآية معناها تشبيه الدنيا بالزرع الذى ينبته الغيث فى سرعة تغيره بعد حسنه وتحطمه بعد ظهوره والكفار هنا يراد به الزراع فهو من قوله كفرت الحب اذا سترته تحت الأرض وخصهم بالذكر لأنهم أهل البصر بالزرع والفلاحة ، فلا يعجبهم إلا ماهو حقيق أن يعجب ، وقيل أراد الكفار بالله وخصهم بالذكر لأنهم أشد إعجابا بالدنيا وأكثر حرصا عليها (سابقوا إلى مغفرة من ربكم) أى سابقوا إلى الأعمال التى تستحقون بها المغفرة ، فقيل المعنى كونوا

Marfat.com

عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ
ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝
الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ ۝ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ
وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ
اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ

فى أول صف من القتال ، وقيل احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام . وقيل كونوا أول داخل إلى المسجد ، وأول خارج منه وهذه أمثلة ، والمعنى العام المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحات وقد استدل بها قوم على أن الصلاة فى أول الوقت أفضل (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) السماء هنا يراد به جنس السموات بدليل قوله فى آل عمران ، وقد ذكرنا هناك معنى عرضها (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها) المعنى أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة فى اللوح المحفوظ من قبل أن تكون ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء والمصيبة هنا عبارة عن كل ما يصيب من خير أو شر وقيل أراد به المصيبة فى العرف وهو ما يصيب من الشر وخص ذلك بالذكر لأنه أهم على الناس وفى الأرض يعنى القحوط والزلازل وغير ذلك وفى أنفسكم يعنى الموت ، والمرض ، والفقر ، وغير ذلك ونبرأها معناه نخلقها والضمير يعود على المصيبة أو على أنفسكم أو على الأرض ، وقيل يعود على جميعها لأن المعنى صحيح فى كلها (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) المعنى فعل الله ذلك وأخبركم به لكيلا تسلموا لقضاء الله ولا تكترثوا بأمور الدنيا ، ومعنى لا تأسوا لا تحزنوا أى فلا تحزنوا على ما فاتكم منها ولا تفرحوا فيها وقرأ الجمهور بما آتاكم بالمد أى بما أعطاكم الله من الدنيا ، وقرأ أبو عمرو بما أتاكم بالقصر أى بما جاءكم من الدنيا فإن قيل إن الإنسان لا يملك نفسه أن يفرح بالخير ويحزن للشر كما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما أتى بمال كثير اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا ، فالجواب : أن النهى عن الفرح إنما هو عن الذى يقود إلى الكبر والطغيان ، وعن الحزن الذى يخرج عن الصبر والتسليم (كل مختال فخور) المختال صاحب الخيلاء والفخور شديد الفخر على الناس (الذين يبخلون) بدل من كل مختال فخور أو خبر ابتداء مضمر تقديره هم الذين أو منصوب بإضمار أعنى أو مبتدأ وخبره محذوف (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان) الكتاب هنا جنس الكتب والميزان العدل وقيل الميزان الذى يوزن به وروى أن جبريل نزل بالميزان ودفعه إلى نوح وقال له مر قومك يزنوا به (وأنزلنا الحديد) خبر عن خلقه وإيجاده بالإنزال ، وقيل بل أنزله حقيقة لأن آدم نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة (فيه بأس شديد) يعنى أنه يعمل منه سلاح للقتال ولذلك قال

Marfat.com

وَالْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۞ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۞

وليعلم الله من ينصره ورسله والمنافع للناس سكك الحرث والمسامير وغير ذلك (فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) أى من ذرية نوح وإبراهيم مهتدون قليلون، وأكثرهم فاسقون لأن منهم اليهود والنصارى وغيرهم (وقفينا) ذكر فى البقرة (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) هذا ثناء عليهم بمحبة بعضهم فى بعض كما وصف أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بأنهم رحماء بينهم (ورهبانية ابتدعوها) الرهبانية هى الانفراد فى الجبال والانقطاع عن الناس فى الصوامع، ورفض النساء وترك الدنيا ومعنى ابتدعوها أى أحدثوها من غير أن يشرعها الله لهم، وإعراب رهبانية معطوف على رأفة ورحمة أى جعل الله فى قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية وابتدعوها صفة للرهبانية والجعل هنا بمعنى الخلق والمعتزلة يُعربون رهبانية مفعولا بفعل مضمر يفسره ابتدعوها لأن مذهبهم أن الإنسان يخلق أفعاله فأعربوها على مذهبهم وكذلك أعربها أبو على الفارسى وذكر الزمخشرى الوجهين (ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله) كتبنا هنا بمعنى فرضنا وشرعنا وفى هذا قولان: أحدهما أن الاستثناء منقطع والمعنى ما كتبنا عليهم الرهبانية، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ابتغاء رضوان الله والآخر أن الاستئناف متصل والمعنى كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله والأول أرجح لقوله ابتدعوها ولقراءة عبدالله بن مسعود ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها (فما رعوها حق رعايتها) أى لم يدوموا عليها ولم يحافظوا على الوفاء بها يعنى أن جميعهم لم يرعوها وإن رعاها بعضهم والضمير فى رعوها للذين ابتدعوا الرهبانية وكان يجب عليهم إتمامها وإن لم يكتبها الله سبحانه وتعالى عليهم، لأن من دخل فى شىء من النوافل يجب عليه إتمامه وقيل الضمير لمن جاء بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من أتباعهم (وآمنوا برسوله) إن قيل كيف خاطب الذين آمنوا وأمرهم بالإيمان وتحصيل الحاصل لا ينبغى فالجواب من وجهين: أحدهما أن معنى آمنوا دوموا على الإيمان واثبتوا عليه، والآخر أنه خطاب لأهل الكتاب فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويؤيد هذا قوله يؤتكم كفلين من رحمته أى نصيبين، وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بى الحديث (ويجعل لكم نورا تمشون به) يحتمل أن يريد النور الذى يسعى بين أيدى المؤمنين يوم القيامة أو يكون عبارة عن الهدى ويؤيد الأول أنه مذكور فى هذه السورة، ويؤيد الثانى قوله: وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شىء من فضل الله) لا فى قوله لئلا زائدة، والمعنى ليعلم أهل الكتاب وكذلك قرأها ابن عباس

Marfat.com

ســـورة المجادلة

مدنية وآياتها ٢٢ نزلت بعد المنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ، الَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا الَّٰٓئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ

وقرأ ابن مسعود لكيلا يعلم ، والمعنى إن كان الخطاب لأهل الكتاب ياأهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لايقدروا على شيء من فضل الله الذى وعدمن آمن منكم ، وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة ، لأنهم لم يسلموا ، فلم ينالوا شيئا من ذلك . وإن كان الخطاب للمسلمين ، فالمعنى : ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرون أن ينالوا شيئا مما أعطى الله المسلمين من تضعيف الأجر والنور والمغفرة ، وقد روى فى سبب نزول الآية : أن اليهود افتخرت على المسلمين فنزلت الآية فى الرد عليهم ، وهو يقوى هذا القول . وروى أيضا أن سببها أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين فنزلت الآية معلمة أن المسلمين مثلهم فى ذلك

ســـورة المجادلة

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) نزلت الآية فى خولة بنت حكيم ، وقيل خولة بنت ثعلبة ، وقيل خولة بنت خويلد ، وقيل اسمها جميلة وكانت امرأة أوس بن الصامت الأنصارى أخى عبادة بن الصامت فظاهر منها وكان الظهار فى الجاهلية يوجب تحريما مؤبدا فلما فعل أوس ذلك جاءت امرأته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن أوسا أكل شبابى ونثرت له بطنى فلما كبرت ومات أهلى ظاهر منى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيتك إلا قد حرمت عليه ، فقالت يارسول الله لا تفعل إنى وحيدة ليس لى أهل سواه فراجعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بمثل مقالته فراجعته . فهذا هو جدالها (وتشتكى إلى الله) كانت تقول اللهم إنى أشكو إليك حالى وانفرادى وفقرى . وروى أنها كانت تقول اللهم إن لى منه صبية صغارا إن ضممتهم إلىّ جاعوا ، وإن ضممتهم إليه ضاعوا (والله يسمع تحاوركما) المحاورة هى المراجعة فى الكلام قالت عائشة رضى الله عنها سبحان من وسع سمعه الأصوات لقد كنت حاضرة وكان بعض كلام خولة يخفى على وسمع الله كلامها . ونزل القرآن فى ذلك فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى زوجها وقال له أتعتق رقبة ، فقال والله ما أملكها فقال أتصوم شهرين متتابعين ، فقال والله ما أقدر . فقال له أتطعم ستين مسكينا . فقال لاأجد إلا أن يعيننى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمعونة وصلاة يريد الدعاء فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا وقيل بثلاثين صاعا ودعا له فكفر بالإطعام وأمسك زوجته (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) قرئ يظاهرون بألف بعد الظاء وبحذفها وبالتشديد والتخفيف والمعنى واحد وهو إيقاع الظهار ، والظهار المجمع عليه هو أن يقول الرجل لامرأته أنت علىّ كظهر أمى ويجرى مجرى ذلك عند مالك تشبيه الزوجة بكل امرأة محرمة على التأبيد كالبنت والأخت وسائر المحرمات بالنسب والمحرمات بالرضاع والمصاهرة سواء ذكر لفظ الظهر

Marfat.com

لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن

أو لم يذكره كقوله أنت على كأمي أو كبطن أمي أو يدها أو رجلها خلافا للشافعي فإن ذلك كله عنده ليس بظهار لأنه وقف عند لفظ الآية وقاس مالك عليها لأنه رأى أن المقصد تشبيه حلال بحرام (ماهن أمهاتهم) رد الله بهذا على من كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة وأخبر تعالى أن تصير الزوجة أما باطل فإن الأم فى الحقيقة إنما هى الوالدة (وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا) أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور فالمنكر هو الذى لا تعرف له حقيقة والزور هو الكذب وإنما جعله كذبا لأن المظاهر يصير امرأته كأمه وهى لا تصير كذلك أبدا والظهار محرم ويدل على تحريمه أربعة أشياء أحدها قوله تعالى ماهن أمهاتهم فإن ذلك تكذيب للمظاهر والثانى أنه سماه منكرا والثالث أنه سماه زورا والرابع قوله وإن الله لعفو غفور فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن ذنب وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفارة (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اختلف الناس فى معنى قوله ثم يعودون لما قالوا على ستة أقوال الأول أنه إيقاع الظهار فى الإسلام فالمعنى أنهم كانوا يظاهرون فى الجاهلية فإذا فعلوه فى الإسلام فذلك عود إليه هذا قول ابن قتيبة فتجب الكفارة عنده بنفس الظهار بخلاف أقوال غيره فإن الكفارة لا تجب إلا بالظهار والعود معا. الثانى أن العود هو وطأ الزوجة روى ذلك عن مالك فلا تجب الكفارة على هذا حتى يطأ فإذا وطئ وجبت عليه الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت الثالث أن العود هو العزم على الوطئ وروى هذا أيضا عن مالك فإذا عزم على الوطء وجبت الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت. الرابع أن العود هو العزم على الوطئ وعلى إمساك الزوجة وهذا أصح الروايات عن مالك. الخامس أنه العزم على الإمساك خاصة وهذا مذهب الشافعى فإذا ظاهر ولم يطلقها بعد الظهار وجبت الكفارة. السادس أنه تكرار الظهار مرة أخرى وهذا مذهب الظاهرية وهو ضعيف لأنهم لا يرون الظهار يوجب حكما فى أول مرة وإنما يوجب فى الثانية وإنما نزلت الآية فيمن ظاهر أول مرة فذلك يرد عليهم ويختلف معنى لما قالوا باختلاف هذه الأقوال فأما على قول ابن قتيبة والظاهرية فما مصدرية والمعنى يعودون لقولهم وأما على سائر الأقوال فما بمعنى الذى والمعنى يعودون للوطء الذى حرموه أو للعزم عليه أو للإمساك الذى تركوه أو للعزم عليه (فتحرير رقبة) جعل الله الكفارة فى الظهار على ثلاثة أنواع مرتبة لا ينتقل إلى الثانى حتى يعجز عن الأول ولا ينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثانى فالأول تحرير رقبة والثانى صيام شهرين متتابعين والثالث إطعام ستين مسكينا فأما الرقبة فاشترط مالك أن تكون مؤمنة لأن مذهبه حمل المطلق على المقيد وجاءت هنا مطلقة وجاءت فى كفارة القتل مقيدة بالإيمان وأما صيام الشهرين فاشترط فيه التتابع فإن أفسد الصائم التتابع باختياره ابتدأه من أوله باتفاق وإن أفسده بعذر كالمرض والنسيان فقال مالك يبنى على ما كان فيه وقال أبو حنيفة يبتدئ، وروى القولان عن الشافعى، وأما الإطعام فمشهور مذهب مالك أنه مد لكل مسكين بمد هشام واختلف فى مد هشام فقيل إنه مدان غير ثلث بمد النبى صلى الله عليه وسلم، وقيل إنه مد وثلث، وقيل إنه مدان وقال الشافعى وابن القصار يطعم مدا بمد النبى صلى الله عليه وآله وسلم لكل مسكين ولا يجزيه إلا كمال عدد الستين فإن أطعم مسكينا واحدا ستين يوما لم يجزه عند مالك والشافعى خلافا لأبى حنيفة وكذلك إن أطعم

قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ أَلِيمٌ • إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ • يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ • أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ
إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ • أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا
اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ

ثلاثين مرتين والطعام يكون من غالب قوت البلد (من قبل أن يتماسا) مذهب مالك والجمهور أن المسيس هنا يراد به الوطء ومادونه من اللمس والتقبيل فلا يجوز المظاهر أن يفعل شيئا من ذلك حتى يكفر. وقال الحسن والثورى أراد الوطء خاصة فأباحا مادونه قبل الكفارة وذكر الله قوله من قبل أن يتماسا فى التحريم والصوم ولم يذكره فى الإطعام فاختلف العلماء فى ذلك لحمل مالك الإطعام على ماقبله، ورأى أنه لا يكون إلا قبل المسيس وجعل ذلك من المطلق الذى يحمل على المقيد، وقال أبو حنيفة يجوز للمظاهر إذا كان من أهل الإطعام أن يطأ قبل الكفارة لأن الله لم ينص فى الإطعام أنه قبل المسيس (ذلك لتؤمنوا) قال ابن عطية الإشارة إلى الرخصة فى النقل من التحرير إلى الصوم وقال الزمخشرى المعنى ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا، وهذا أظهر لأنه أعم (إن الذين يحادون الله) أى يخالفون ويعادون (كبتوا) أى هلكوا وقيل لعنوا وقيل كبت الرجل اذا بقى خزيانا ونزلت الآية فى المنافقين واليهود (ما يكون من نجوى ثلاثة) يحتمل أن يكون النجوى هنا بمعنى الكلام الخفى فيكون ثلاثة مضاف إليه بمعنى الجماعة من الناس فيكون ثلاثة بدل أو صفة، والأول أحسن (إلا هو رابعهم) يعنى بعلمه وإحاطته وكذلك سادسهم، وهو معهم أينما كانوا (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) نزل فى قوم من اليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون على المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فعادوا، وقيل نزلت فى المنافقين، والأول أرجح لقوله وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله لأن هذا من فعل اليهود والأحسن أن المراد والمنافقين معا لقوله: ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم فنزلت الآية فى الطائفتين (وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله) كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون السام عليك يامحمد بدلا من السلام عليكم والسام الموت وهو ما أرادوه بقولهم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لهم وعليكم فسمعتهم عائشة يوما فقالت بل عليكم السام واللعنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا ياعائشة إن الله يكره الفحش والتفحش فقالت أما سمعت ماقالوا قال أما سمعت ماقلت لهم إنى قلت وعليكم ويريد بقوله مالم يحيك به الله قوله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى (ويقولون

Marfat.com

وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ

فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) كانوا يقولون لو كان نبيا لعذبنا الله بإذايته فقال الله (حسبهم جهنم) أى يكفيهم ذلك عذابا (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) قيل يعنى النجوى بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وحذف وصفها بذلك لدلالة الأول عليه وقيل أراد نجوى اليهود والمنافقين ويؤيد هذا قوله ليجزى الذين آمنوا (إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا) اختلف فى سبب نزول الآية فقيل نزلت فى مقاعد الحرب والقتال وقيل نزلت بسبب ازدحام الناس ، فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصهم على القرب منه وقيل أقام النبى صلى الله عليه وسلم ، قوما ليجلس أشياخا من أهل بدر فى مواضعهم ، فنزلت الآية ثم اختلفوا هل هى مقصورة على مجلس النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو هى عامة فى جميع المجالس ، فقال قوم إنها مخصوصة ويدل على ذلك قراءة المجلس بالإفراد ، وذهب الجمهور إلى أنها عامة ويدل على ذلك قراءة المجالس بالجمع وهذا هو الأصح ويكون المجلس بالإفراد على هذا للجنس والتفسيح المأمور به هو التوسع دون القيام ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقيم أحد من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وقد اختلف فى هذا النهى عن القيام من المجلس لأحد هل هو على التحريم أو الكراهة (يفسح الله لكم) أى يوسع لكم فى جنته ورحمته (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى إذا قيل لكم ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك واختلف فى هذا النشوز المأمور به فقيل إذا دعوا إلى قتال أو صلاة أو فعل طاعة ، وقيل إذا أمروا بالقيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه كان يحب الانفراد أحيانا وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام ، وقيل المراد القيام فى المجلس للتوسع (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) فيها قولان أحدهما يرفع الله المؤمنين العلماء درجات فقوله والذين أوتوا العلم درجات صفة للذين آمنوا كقوله جاءنى العاقل الكريم وأنت تريد رجلا واحداً ، والثانى يرفع الله المؤمنين والعلماء الصنفين جميعا درجات فالدرجات على الأول للمؤمنين بشرط أن يكونوا علماء وعلى الثانى للمؤمنين الذين ليسوا علماء ، وللعلماء أيضا ولكن بين درجات العلماء وغيرهم تفاوت يوجد فى موضع آخر كقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وقوله عليه الصلاة والسلام فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم رجلا وقوله عليه السلام يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فإذا كان لهم فضل على العابدين والشهداء ، فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) قال ابن عباس سببها أن قوما من شبان

نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۝ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوٓا ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ

المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي صلى الله عليه وسلم فى غير حاجة ، لتظهر منزلتهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم سمحا لا يرد أحدا ، فنزلت الآية مشددة فى أمر المناجاة . وقيل سببها أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الآية منسوخة باتفاق نسخها قوله بعدها (ءأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقة) الآية : فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة بعد أن كان أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته عليه السلام ، واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عمل بالآية أم لا ؟ فقال قوم لم يعمل بها أحد وقال قوم عمل بها علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه روى أنه كان له دينار فصرفه بعشرة دراهم وناجاه عشر مرات تصدق فى كل مرة منها بدرهم وقيل تصدق فى كل مرة بدينار ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادرا على الصدقة، وأما من لم يجد فالرخصة لم تزل ثابتة له بقوله فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم (وتاب الله عليكم) التوبة هنا يراد بها عفو الله عنهم فى تركهم للصدقة التى أمروا بها أو تخفيفها بعد وجوبها (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى دوموا على هذه الأعمال التى هى قواعد شرعكم دون ما كنتم قد كلفتم من الصدقة عند المناجاة (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) نزلت فى قوم من المنافقين تولوا قوما من اليهود وهم الذين غضب الله عليهم (ماهم منكم ولا منهم) يعنى أن المنافقين ليسوا من المسلمين ولا من اليهود فهو كقوله فيهم « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) يعنى أن المنافقين كانوا إذا عوتبوا على سوء أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ماقالوا ولا فعلوا وقد صدر ذلك منهم مراراً كثيرة هى مذكورة فى السير وغيرها (اتخذوا أيمانهم جنة) أصل الجنة مايستتر به ويتقى به المحذور كالترس ثم استعمل هنا استعارة لأنهم كانوا يظهرون الإسلام لتعصم دماؤهم وأموالهم ، وقرئ اتخذوا بكسر الهمزة (استحوذ عليهم الشيطان) أى غلب عليهم وتملك نفوسهم (فى الأذلين) أى فى جملة الأذلين : أى معهم (كتب الله) أى قضى وقدر (لا تجد قوما) الآية : معناها لا تجد مؤمنا يحب كافراً ولو كان أقرب الناس إليه وهذه حال المؤمن الصادق الإيمان ، ولذلك كان الصحابة رضى الله عنهم يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا

أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .

سورة الحشر

مدنية وآياتها ٢٤ نزلت بعد البينة

بسم الله الرحمن الرحيم * سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم . هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين

كفاراً ، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه يوم أحد ، وقتل مصعب بن عمير أخاه عزيز بن عمير يوم أحد ، ودعا أبو بكر الصديق ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يقعد ، وقيل إن الآية نزلت فى حاطب حين كتب إلى المشركين يخبرهم بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأحسن أنها على العموم . وقيل نزلت فيمن يصحب السلطان وذلك بعيد (يوادون) هذه مفاعلة من المودة فتقتضى أن المودة من الجهتين (من حاد الله) أى عاداه وخالفه (كتب فى قلوبهم الإيمان) أى أثبته فيها كأنه مكتوب (وأيدهم بروح منه) أى بلطف وهدى وتوفيق وقيل بالقرآن ، وقيل بجبريل (أولئك حزب الله) هذه فى مقابلة قوله أولئك حزب الشيطان ، والحزب هم الجماعة المتحزبون لمن أضيفوا إليه

سورة الحشر

نزلت هذه السورة فى يهود بنى النضير وكانوا فى حصون بمقربة من المدينة ، وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فأرادوا غدره وأطلعه الله على ذلك فخرج إليهم وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى صالحوه على أن يخرجوا من حصونهم فخرجوا منها وتفرقوا فى البلاد (هو الذى أخرج الذين كفروا) يعنى بنى النضير (لأول الحشر) فى معناه أربعة أقوال : أحدها أنه حشر القيامة أى خروجهم من حصونهم أول الحشر ، والقيام من القبور آخره ، وروى فى هذا المعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم امضوا هذا أول الحشر ، وأنا على الأثر . الثانى أن المعنى لأول موضع الحشر وهو الشام ، وذلك أن أكثر بنى النضير خرجوا إلى الشام ، وقد جاء فى الأثر أن حشر القيامة إلى أرض الشام ، وروى فى هذا المعنى أن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لبنى النضير اخرجوا قالوا إلى أين ؟ قال إلى أرض المحشر . الثالث أن المراد الحشر فى الدنيا الذى هو الجلاء والإخراج ، فإخراجهم من حصونهم أول الحشر ، وإخراج أهل خيبر آخره . الرابع أن معناه إخراجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم النبى صلى الله عليه وسلم : وقال الزمخشرى اللام فى قوله لأول بمعنى عند كقولك جئت لوقت كذا (ما ظننتم أن يخرجوا) يعنى لكثرة عددهم ومنعة حصونهم (فأتاهم الله) عبارة عن أخذ الله لهم (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) أما إخراب المؤمنين فهو هدم أسوار الحصون ليدخلوها ، وأسند

Marfat.com

فَاعْتَبِرُوا يَـٰأُولِى الْأَبْصَـٰرِ ۝ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ۝
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَآقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا
قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِىَ الْفَـٰسِقِينَ ۝ وَمَآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ
وَلَا رِكَابٍ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ

ذلك إلى الكفار فى قوله يخربون لأنه كان بسبب كفرهم وغدرهم ، وأما إخراب الكفار لبيوتهم فثلاثة مقاصد : أحدها حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة ويحصنوا ما خرب به المسلمون من الأسوار ، والثانى ليحملوا معهم ماأعجبهم من الخشب والسوارى وغير ذلك . الثالث أن لا تبقى مساكنهم مبنية للمسلمين فهدموها شحا عليها (فاعتبروا ياأولى الأبصار) استدل الذين أثبتوا القياس فى الفقه بهذه الآية واستدلالهم بها ضعيف خارج عن معناها (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا) الجلاء هو الخروج عن الوطن ، فالمعنى لولا أن كتب الله على بنى النضير خروجهم عن أوطانهم لعذبهم فى الدنيا بالسيف كما فعل بإخوانهم بنى قريظة ، ولهم مع ذلك عذاب النار (شاقوا) ذكر فى الأنفال (ماقطعتم من لينة) اللينة هى النخلة وقيل هى الكريمة من النخل ، وقيل النخلة التى ليست بعجوة . وقيل ألوان النخل المختلط . وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل على حصون بنى النضير قطع المسلمون بعض نخلهم وأحرقوه فقال بنو النضير ماهذا إلا فساد يامحمد وأنت تنهى عن الفساد ، فنزلت الآية معلمة أن كل ماجرى من قطع أو إمساك فبإن الله أذن للمسلمين فى ذلك (ليخزى الفاسقين) يعنى بنى النضير ، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب ، فإن الله قد صوب فعل من قطع النخل ومن تركها . واختلف العلماء فى قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم فأجازه الجمهور لهذه الآية . ولإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم على تحريق نخل بنى النضير ، وكرهه قوم لوصية أبى بكر الصديق رضى الله عنه الجيش الذى وجهه إلى الشام أن لا يقطعوا شجرا مثمرا (وماأفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) معنى أفاء الله : جعله فيئا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وأوجفتم من الوجيف وهو سرعة السير ، والركاب هى الإبل ، والمعنى أن ما أعطى الله رسوله من أموال بنى النضير لم يمش المسلمون إليه بخيل ولا إبل ولا تعبوا فيه ولا حصلوه بقتال ولكن حصل بتسليط رسوله صلى الله عليه وسلم على بنى النضير ، فأعلم الله من هذه الآية أن ماأخذ من بنى النضير وما أخذه من فدك : فهو فىء خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم يفعل فيه ما يشاء ، لأنه لم يوجف عليها ولا قوتلت بغير قتال فهما بخلاف الغنيمة التى تؤخذ بالقتال فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لنفسه من أموال بنى النضير قوت عياله وقسم سائرها فى المهاجرين ، ولم يعط الأنصار منها شيئا غير أن أبادجانة وسهل بن حنيف شكوا فاقة فأعطاهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها سهما ، هذا قول جماعة . وقال عمر بن الخطاب كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ينفق منها على أهله نفقة سنة ومابقى جعله فى السلاح والكراع عدة فى سبيل الله وقال قوم من العلماء وكذلك كل مافتحه الأئمة مما لم يوجف عليه فهو لهم خاصة يأخذون منه حاجتهم ويصرفون باقيه فى مصالح المسلمين

أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ لِلْفُقَرَاءِ

(ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول) الآية اضطرب الناس فى تفسير هذه الآية وحكمها اضطرابا عظيما فإن ظاهرها أن الأموال التى تؤخذ للكفار تكون لله وللرسول ومن ذكر بعد ذلك ولا يخرج منها خمس، ولا تقسم على من حضر الوقيعة وذلك يعارض ماورد فى الأنفال من إخراج الخمس، وقسمة سائر الغنيمة على من حضر الوقيعة فقال بعضهم إن هذه الآية منسوخة بآية الأنفال وهذا خطأ لأن آية الأنفال نزلت قبل هذه بمدة وقال بعضهم إن آية الأنفال فى الأموال التى تغنم ماعدا الأرض، وأن هذه الآية فى أرض الكفار قالوا ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرض مصر والعراق بل تركها لمصالح المسلمين، وهذا التخصيص لادليل عليه وقيل غيرذلك، والصحيح أنه لاتعارض بين هذه الآية وبين آية الأنفال، فإن آية الأنفال فى حكم الغنيمة التى تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل والركاب، فهذا يخرج منه الخمس ويقسم باقيه على الغانمين، وأما هذه الآية ففى حكم الفىء وهو مايؤخذ من أموال الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، وإذا كان كذلك فكل واحدة من الآيتين فى معنى غير معنى الأخرى ولها حكم غير حكم الأخرى فلا تعارض بينهما ولا نسخ، وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفىء وفى الأنفال لفظ الغنيمة وقد تقرر فى الفقه الفرق بين الفىء والغنيمة، وأن حكمهما مختلف، قاله أبو محمد بن الفرس: وهو قول الجمهور وبه قال مالك وجميع أصحابه وهو أظهر الأقوال وأما فعل عمر فى أرض مصر والعراق، فالصحيح أنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين بعد استطابة نفوس الغانمين بقوله تعالى «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى» يريد بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كما كانت أموال بنى النضير، ولكنه حذف هذا لقوله فى الآية قبل هذا فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب، فاستغنى بذكر ذلك أولا عن ذكره ثانيا ولذلك لم تدخل الواو العاطفة فى هذه الجملة لأنها من تمام الأولى فهى غير أجنبية منها فإنه بين فى الآية الأولى حكم أموال بنى النضير، وبين فى هذه الآية حكم ماكان مثلها من أموال غيرهم على العموم، ويصرف الفىء فيما يصرف فيه خمس الغنائم لأن الله سوى بينهما فى قوله لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وقد ذكرنا ذلك فى الأنفال وأغنى عن إعادته وقد ذكرنا فى الأنفال معنى قوله لله وللرسول ومابعدذلك (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أى كيلا يكون الفىء الذى أفاء الله على رسوله من أهل القرى دولة ينتفع به الأغنياء دون الفقراء، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسم أموال بنى النضير على المهاجرين فإنهم كانوا حينئذ فقراء، ولم يعط الأنصار منها شيئا فإنهم كانوا أغنياء فقال بعض الأنصار لنا سهمنا من هذا الفىء فأنزل الله هذه الآية، والدولة بالضم والفتح مايدول للإنسان أى يدور عليه من الخير، ويحتمل أن يكون من المداولة أى كى لا يتداول ذلك المال الأغنياء بينهم ويبقى الفقراء بلاشىء (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) نزلت بسبب الفىء المذكور: أى ما أتاكم الرسول من الفىء فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، فكأنها أمر المهاجرين بأخذ الفىء ونهى الأنصار عنه. ولفظ الآية مع ذلك عام فى أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نواهيه. ولذلك استدل بها عبد الله بن مسعود على المنع من لبس المحرم المخيط ولعن الواشمة

الْمُهَـٰجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا من دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً من اللهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ الصَّـٰدِقُونَ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ❋ وَالَّذِينَ جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا

والواصلة فى القرآن لورود ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (للفقراء) هذا بدل من قوله لذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ليبين بذلك أن المراد المهاجرين ووصفهم بأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم لأنهم هاجروا من مكة وتركوا فيها أموالهم وديارهم (والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم) هم الأنصار والدار هى المدينة لأنها كانت بلدهم والضمير فى قبلهم للمهاجرين، فإن قيل كيف قال تبوؤا الدار والإيمان وإنما تتبوأ الدار أى تسكن ولا يتبوأ الإيمان؟ فالجواب من وجهين: الأول أن معناه تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان فهو كقولك: فعلفتها تبناوماءباردا: تقديره: علفتها تبناوسقيتها ماء باردا. الثانى أن المعنى أنهم جعلوا الإيمان كأنه موطن لهم لتمكنهم فيه كما جعلوا المدينة كذلك. فإن قيل: قوله من قبلهم يقتضى أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان، فأما سبقهم لهم بنزول المدينة فلا شك فيه لأنها كانت بلدهم، وأما سبقهم لهم بالإيمان فمشكل، لأن أكثر المهاجرين أسلم قبل الأنصار. فالجواب من وجهين: أحدهما أنه أراد بقوله من قبلهم من قبل هجرتهم، والآخر أنه أراد تبوؤا الدار مع الإيمان معا أى جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين، لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بتبوئ الدار فيكون الإيمان على هذا مفعولا معه، وهذا الوجه أحسن لأنه جواب عن هذا السؤال وعن السؤال الأول، فإنه إذا كان الإيمان مفعولا معه لم يلزم السؤال الأول، إذ لا يلزم إلا إذا كان الإيمان معطوفا على الدار (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) قيل إن الحاجة هنا بمعنى الحسد، ويحتمل أن تكون بمعنى الاحتياج على أصلها والضمير فى يجدون للأنصار، وفى أوتوا للمهاجرين، والمعنى أن الأنصار تطيب نفوسهم بما يعطاه المهاجرون من الفىء وغيره، ولا يجدون فى صدورهم شيئا بسبب ذلك (ويؤثرون على أنفسهم) أى يؤثرون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا فى غاية الاحتياج والخصاصة هى الفاقة. وروى أن سبب هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قسم هذه القرى على المهاجرين دون الأنصار قال للأنصار إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وإن شئتم أمسكتم أموالكم وتركتم لهم هذه فقالوا بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة، وروى أيضا أن سببها أن رجلا من الأنصار أضاف رجلا من المهاجرين فذهب الأنصارى بالضيف إلى منزله فقالت له امرأته والله ماعندنا إلا قوت الصبيان فقال لها نومى صبيانك وأطفئى السراج، وقدمى ماعندك للضيف ونوهمه نحن أنا نأكل ولا نأكل ففعلا ذلك فلما غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عجب الله من فعلكما البارحة ونزلت الآية (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) شح النفس هو البخل والطمع وفى هذا إشارة إلى أن الأنصار وقاهم الله شح أنفسهم فمدحهم الله بذلك، وبأنهم يؤثرون على أنفسهم وبأنهم لا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتى

Marfat.com

لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لَكَٰذِبُونَ ۝ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَٰرَ ثُمَّ
لَا يُنصَرُونَ ۝ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي
قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝
كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * كَمَثَلِ الشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ اكْفُرْ فَلَمَّا

المهاجرون وأنهم يحبون المهاجرين (والذين جاؤا من بعدهم) هذا معطوف على المهاجرين والأنصار المذكورين قبل فالمعنى أن الفيء للمهاجرين والأنصار ولهؤلاء الذين جاءوا من بعدهم ويعنى بهم الفرقة الثالثة من الصحابة وهم من عدا المهاجرين والأنصار كالذين أسلموا يوم فتح مكة وقيل يعنى من جاء بعد الصحابة وهم التابعون ومن تبعهم إلى يوم القيامة وعلى هذا حملها مالك فقال إن من قال فى أحد من الصحابة قول سوء فلاحظ له فى الغنيمة والفيء ، لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، فمن قال ضد ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله (ألم تر إلى الذين نافقوا) الآية : نزلت فى عبدالله ابن أبيّ بن سلول وقوم من المنافقين بعثوا إلى بنى النضير ، وقالوا لهم اثبتوا فى حصونكم فإنا معكم كيف ماتقلبت حالكم (ولا نطيع فيكم أحداً أبداً) أى لا نسمع فيكم قول قائل ولا نطيع من يأمرنا بخذلانكم ثم كذبهم الله فى هذه المواعيد التى وعدوا بها ، فإن قيل : كيف قال لئن نصروهم ليولن الأدبار بعد قوله لا ينصرونهم ؟ فالجواب : أن المعنى على الفرض والتقدير أى لو فرضنا أن ينصروهم لولوا الأدبار (لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله) الرهبة هى الخوف ، والمعنى أن المنافقين واليهود يخافون الناس أكثر مما يخافون الله (لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر) أى لا يقدرون على قتالكم مجتمعين إلا وهم فى قرى محصنة بالأسوار والخنادق أو من وراء الحيطان دون أن يخرجوا إليكم (بأسهم بينهم شديد) يعنى عداوة بعضهم لبعض (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أى تظن أنهم مجتمعون بالألفة والمودة وقلوبهم متفرقة بالمخالفة والشحناء (كمثل الذين من قبلهم قريبا) أى هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم يعنى يهود بنى قينقاع فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجلاهم عن المدينة قبل بنى النضير فكانوا أمثالهم وقيل يعنى أهل بدر الكفار ، فإنهم قبلهم ومثلهم فى أن غلبوا وقهروا والأول أرجح لأن قوله قريبا يقتضى أنهم كانوا قبلهم بمدة يسيرة وذلك أوقع على بنى قينقاع وأيضا فإن تمثيل بنى النضير ببنى قينقاع أليق لأنهم يهود مثلهم ، وأخرجوا من ديارهم كما فعل بهم وذلك هو المراد بقوله ذاقوا وبال أمرهم، وقريبا ظرف زمان (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر) مثل الله المنافقين الذين أغووا يهود بنى النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشيطان فإنه يغوى ابن آدم ثم يتبرأ منه والمراد بالشيطان والإنسان هنا الجنس ، وقيل أراد الشيطان الذى أغوى قريشا يوم بدر وقال لهم إنى جار لكم ، وقيل المراد بالإنسان برصيص العابد ، فإنه استودع امرأة فزين له الشيطان

كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

الوقوع عليها فحملت فخاف الفضيحة فزين له الشيطان قتلها فلما وجدت مقتولة تبين مافعل فتعرض له الشيطان قال له اسجدلي أنجيك فسجدله فتركه الشيطان وقال له إنى برىء منك وهذا ضعيف فى النقل، والأول أرجح (فكان عاقبتهما أنهما فى النار) الضميران يعودان على الشيطان والإنسان، وفى ذلك تمثيل للمنافقين واليهود (ولتنظر نفس ماقدمت لغد) هذا أمر بأن تنظر كل نفس ماقدمت من أعمالها ليوم القيامة ومعنى ذلك محاسبة النفس لتكف عن السيئات وتزيد من الحسنات، وإنما عبر عن يوم القيامة بغد تقريباله لأن كل ماهوآت قريب، فإن قيل: لم كرر الأمر بالتقوى؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه تأكيد، والآخر وهو الأحسن أنه أمر أولا بالتقوى استعدادا ليوم القيامة، ثم أمربه ثانيا لأن الله خبير بما يعملون، فلما اختلف الموجبات كرره مع كل واحد منهما (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) يعنى الكفار والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الغفلة أى نسوا حق الله فأنساهم حقوق أنفسهم والنظر لها (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) الآية: توبيخ لابن آدم على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدع لو سمع القرآن فما ظنك يابن آدم (عالم الغيب والشهادة) أى يعلم ماغاب عن المخلوقين وماشاهدوه وقيل الغيب الآخرة والشهادة الدنيا، والعموم أحسن (القدوس) مشتق من التقديس، وهو التنزه عن صفات المخلوقين وعن كل نقص وعيب وصيغة فعول للمبالغة كالسبوح (السلام) فى معناه قولان: أحدهما الذى سلم عباده من الجور، والآخر السليم من النقائص، وأصله مصدر بمعنى السلامة وصف به مبالغة أو على حذف مضاف تقديره ذو السلام (المؤمن) فيه قولان: أحدهما أنه من الأمن أى الذى أمن عباده، والآخر أنه من الإيمان أى المصدق لعباده فى إيمانهم أوفى شهادتهم على الناس يوم القيامة أو المصدق نفسه فى أقواله (المهيمن) فى معناه ثلاثة أقوال الرقيب والشاهد والأمين، قال الزمخشرى أصله مؤيمن بالهمزة ثم أبدلت هاء (الجبار) فى معناه قولان: أحدهما أنه من الإجبار بمعنى القهر، والآخرأنه من الجبر أى يجبر عباده برحمته، والأول أظهر (المتكبر) أى الذى له التكبر حقا (البارئ) أى الخالق يقال أبرأ الله الخلق أى خلقهم

Marfat.com

ســــورة الممتحنة

مدنية وآياتها ١٣ نزلت بعــــد الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ

ولكن البارئ والفاطر يراد بهما الذى برأ الخلق واخترعه (المصور) أى خالق الصور (له الأسماء الحسنى) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ، قال المؤلف قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبى عبدالله بن الكتاد فلما بلغت إلى آخر سورة الحشر قال لى ضع يدك على رأسك فقلت له ولم ذلك ، قال لأنى قرأت على القاضى أبى على بن أبى الأحوص فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لى ضع يدك على رأسك وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود قال قرأت على النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لى ضع يدك على رأسك قلت ولم ذاك يارسول الله فداك أبى وأمى ، قال أقرأنى جبريل القرآن فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر ، قال لى ضع يدك على رأسك يا محمد قلت ولم ذلك قال إن الله تبارك وتعالى افتتح القرآن فضرب فيه فلما انتهى إلى خاتمة سورة الحشر أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها فقالت ياربنا ولم ذاك قال إنه شفاء من كل داء إلا السام ، والسام الموت

ســــورة الممتحنة

(لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) العدو يطلق على الواحد والجماعة ، والمراد به هنا كفار قريش وهذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبى بلتعة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية فورى عن ذلك بخيبر فشاع فى الناس أنه خارج إلى خيبر وأخبر هو جماعة من كبار أصحابه بقصده إلى مكة منهم حاطب فكتب بذلك حاطب إلى قوم من أهل مكة فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من السماء فبعث على بن أبى طالب والزبير والمقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين فانطلقوا حتى وجدوا المرأة فقالوا لها أخرجى الكتاب فقالت مامعى كتاب ففتشوا جميع رحلها فما وجدوا شيئا فقال بعضهم مامعها كتاب فقال علىّ بن أبى طالب ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذب الله ، والله لتخرجن الكتاب أو لنجردنك قالت أعرضوا عنى فأخرجته من قرون رأسها ، وقيل أخرجته من حجزتها فجاؤا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحاطب من كتب هذا قال أنا يارسول الله ولكن لا تعجل علىّ فوالله مافعلت ذلك ارتداداً عن دينى ولا رغبة فى الكفر ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ، ولم أكن من أنفسها فأحببت أن تكون لى عندهم يد يرعونى بها فى قرابتى . فقال عمر بن الخطاب دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق حاطب إنه من أهل بدر ، وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم لا تقولوا لحاطب إلا خيرا فنزلت الآية عتابا لحاطب وزجرا عن أن يفعل أحد مثل فعله . وفيها مع ذلك تشريف له ، لأن الله شهد له بالإيمان فى قوله ياأيها الذين آمنوا (تلقون إليهم بالمودة) عبارة عن إيصال المودة إليهم والتى بتعدى بحرف جر وبغير حرف جر كقوله وألقيت عليك

Marfat.com

وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِى
سَبِيلِى وَابْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ
سَوَآءَ السَّبِيلِ ۞ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوٓءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۞
لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ
أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا

محبة منى ، وهذه الجملة فى موضع الحال من الضمير فى قوله لا تتخذوا أو فى موضع الصفة لأولياء أو استئناف (وقد كفروا) حال من الضمير فى لا تتخذوا أو فى تلقون (يخرجون الرسول وإياكم) أى يخرجون الرسول ويخرجونكم يعنى إخراجهم من مكة ، فإنهم ضيقوا عليهم وآذوهم حتى خرجوا منها مهاجرين إلى المدينة . ومنهم من خرج إلى أرض الحبشة (أن تؤمنوا) مفعول من أجله أى يخرجونكم من أجل إيمانكم (إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى) جواب هذا الشرط محذوف لدلالة ماقبله عليه وهو لا تتخذوا ، والتقدير إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى فلا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء وجهادا مصدر فى موضع الحال أو مفعول من أجله وكذلك ابتغاء (إن يثقفوكم) معناه إن يظفروا بكم (وودوا لو تكفرون) أى تمنوا أن تكفروا فتكونون مثلهم ، قال الزمخشرى وإنما قال ودوا بلفظ الماضى بعد أن ذكر جواب الشرط بلفظ المضارع لأنهم أرادوا كفركم قبل كل شىء (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم) إشارة إلى ماقصد حاطب من رعى قرابته (يوم القيامة يفصل بينكم) يحتمل أن يكون من الفصل بالحكم بينهم أو من الفصل بمعنى التفريق أى يفرق بينكم وبين قرابتكم يوم القيامة ، وقيل إن العامل فى يوم القيامة ماقبله وذلك بعيد (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه) الأسوة هو الذى يقتدى به فأمر الله المسلمين أن يقتدوا بإبراهيم الخليل عليه السلام وبالذين معه فى عداوة الكفار والتبرئ منهم ومعنى والذين معه من آمن به من الناس ، وقيل الأنبياء الذين كانوا فى عصره وقريبا من عصره ، ورجح ابن عطية هذا القول بما ورد فى الحديث أن إبراهيم عليه السلام قال لزوجته ماعلى الأرض مؤمن بالله غيرى وغيرك (برآء) جمع برىء (كفرنا بكم) أى كذبناكم فى أقوالكم ، ويحتمل أن يكون عبارة عن إفراط البغض والمقاطعة لهم (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) هذا استثناء من قوله أسوة حسنة ، فالمعنى اقتدوا بهم فى عداوتهم للكفار ولا تقتدوا بهم فى هذا ، لأن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، وقيل الاستثناء من التبرى والقطيعة ، والمعنى تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار إلا أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له (ربنا عليك توكلنا) هذا من كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام والذين معه وهو متصل بما قبل

Marfat.com

وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ

الاستثناء فهو من جملة ما أمروا أن يقتدوا به (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) فى معناه قولان: أحدهما لا تنصرهم علينا فيكون ذلك لهم فتنة وسبب ضلالهم لأنهم يقولون غلبناهم فيكون ذلك لهم لأنا على الحق وهم على الباطل. والآخر: لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا، ورجح ابن عطية هذا، لأنه دعاء لأنفسهم وأما على القول الأول فهو دعاء للكفار ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفار وإنما هو دعاء لأنفسهم بالنصر بحيث لا يفتتن الكفار بذلك (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) لما أمر الله المسلمين بعداوة الكفار ومقاطعتهم فامتثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة فعلم الله صدقهم فآنسهم بهذه الآية ووعدهم بأن يجعل بينهم مودة، وهذه المودة كملت فى فتح مكة فإنه أسلم حينئذ سائر قريش وقيل المودة تزوج النبى صلى الله عليه وسلم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب سيد قريش، ورد ابن عطية هذا القول بأن تزوج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين) رخص الله للمسلمين فى مبرة من لم يقاتلهم من الكفار، واختلف فيهم على أربعة أقوال: الأول أنهم قبائل من العرب منهم خزاعة وبنو الحارث بن كعب كانوا قد صالحوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه. الثانى أنهم كانوا من كفار قريش لم يقاتلوا المسلمين ولا أخرجوهم من مكة، والآية على هذين القولين منسوخة بالقتال: الثالث أنهم النساء والصبيان، وفى هذا ورد أن أسماء بنت أبى بكر الصديق قالت يا رسول الله إن أمى قدمت علىّ وهى مشركة أفأصلها قال نعم صلى أمك. الرابع أنه أراد من كان بمكة من المؤمنين الذين لم يهاجروا، وأما الذين نهى الله عن مودتهم لأنهم قاتلوا المسلمين وظاهروا على إخراجهم فهم كفار قريش (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) أى اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن، وإنما سماهن مؤمنات لظاهر حالهن، وقد اختلف فى هذا الامتحان على ثلاثة أقوال: أحدها أن تستحلف المرأة أنها ما هاجرت لبغضها فى زوجها ولا لخوف وغير ذلك من أعراض الدنيا سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة، والثانى أن يعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، والثالث أن تعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا من ترك الإشراك والسرقة، وقتل أولادهن وترك الزنا والبهتان، والعصيان، وإذا أقرت بذلك فهو امتحانها قالته عائشة رضى الله تعالى عنها (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) نزلت هذه الآية أثر صلح الحديبية، وكان ذلك الصلح قد تضمن أن يرد المسلمين إلى الكفار، وكل من جاء

وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَآ أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

مسلما من الرجال والنساء فنسخ الله أمر النساء بهذه الآية ومنع من رد المؤمنة إلى الكفار إذا هاجرت إلى المسلمين وكانت المرأة التى هاجرت حينئذ أميمة بنت بشر امرأة حسان بن الدحداحة ، وقيل سبيعة الأسلمية ، ولما هاجرت جاء زوجها فقال يا محمد ردها علينا فإن ذلك فى الشرط الذى لنا عليك فنزلت الآية : فامتحنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يردها وأعطى مهرها لزوجها ، وقيل نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة ابن أبى معيط هربت من زوجها إلى المسلمين واختلف فى الرجال هل حكمهم فى ذلك كالنساء فلا تجوز المهادنة على رد من أسلم منهم ، أو يجوز حتى الآن على قولين والأظهر الجواز لأنه إنما نسخ ذلك فى النساء (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) هذا تعليل للمنع من رد المرأة إلى الكفار وفيه دليل على ارتفاع النكاح بين المشركين والمسلمات (وآتوهم ما أنفقوا) يعنى أعطوا الكفار ما أعطوا نساءهم من الصدقات اذا هاجرن ثم أباح للمسلمين تزوجهن بالصداق (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) العصم جمع عصمة أى النكاح فأمر الله المسلمين أن يفارقوا نساءهم الكوافر ، يعنى المشركات من عبدة الأوثان ، فالآية على هذا محكمة ، وقيل يعنى كل كافرة فعلى هذا نسخ منها جواز تزوج الكتابيات لقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، وروى أن الآية نزلت فى امرأة لعمر بن الخطاب كانت كافرة فطلقها (واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا) أى اطلبوا من الكفار ما أنفقتم من الصدقات على أزواجكم اللاتى فررن إلى الكفار ، وليطلب الكفار منكم ما أنفقوا على أزواجهم اللاتى هاجرن إلى المسلمين (وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) معنى فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار هروب نساء المسلمين إلى الكفار ، والخطاب فى قوله فعاقبتم وآتوا الذين ذهبت أزواجهم للمسلمين وقوله عاقبتم ليس من العقاب على الذنب وإنما هو من العقبى أى أصبتم عقبى وهى الغنيمة أو من التعاقب على الشىء كما يتعاقب الرجلان على الدابة اذا ركبها هذا مرة وهذا مرة أخرى ، فلما كان نساء المسلمين يهربون إلى الكفار ونساء الكفار يهربون إلى المسلمين جعل ذلك كالتعاقب على النساء وسبب الآية أنه لما قال الله واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا : قالوا الكفار لا نرضى بهذا الحكم ولا نعطى صداق من هربت زوجته إلينا من المسلمين ، فأنزل الله هذه الآية الأخرى وأمر الله المسلمين أن يدفعوا الصداق لمن هربت زوجته إلينا من المسلمين إلى الكفار ويكون هذا المدفوع من مال الغنائم على قول من قال إن معنى فعاقبتم غنمتم ، وقيل من مال الفىء ، وقيل من الصدقات التى كانت تدفع للكفار إذا فر أزواجهم إلى المسلمين فأزال الله دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه وهذه الأحكام التى تضمنتها هذه الآية ، قد ارتفعت لأنها نزلت فى قضايا معينة وهى مهادنة النبى صلى الله عليه وسلم مع مشركى العرب ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع الهدنة فلا تجوز مهادنة المشركين من العرب إنما هو فى حقهم الإسلام أو السيف ، وإنما تجوز مهادنة أهل الكتاب والمجوس لأن الله قال فى المشركين اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وقال فى أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ۝

فى المجوس سنوا بهم سنة أهل الكتاب (ياأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) هذه البيعة بيعة النساء فى ثانى يوم الفتح على جبل الصفا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعهن بالكلام ولا تمس يده يد امرأة ورد هذا فى الحديث الصحيح عن عائشة ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم لف على يده ثوبا كثيفاً ثم لمس النساء يده كذلك وقيل إنه غمس يده فى إناء فيه ماء ثم دفعه إلى النساء ، فغمسن أيديهن فيه (ولا يأتين ببهتان) معناه عند الجمهور أن تنسب المرأة إلى زوجها ولدا ليس له وكانت المرأة تلتقط الولد ، فتقول لزوجها هذا ولدى منك وإنما قال يفترينه بين أيديهن وأرجلهن لأن بطنها الذى تحمل فيه الولد بين يديها وفرجها الذى تلده به بين رجليها ، واختار ابن عطية أن يكون البهتان هنا على العموم بأن ينسب للرجل غير ولده أو تفترى على أحد بالقول أو تكذب فيما ائتمنها الله عليه من الحيض والحمل وغير ذلك ، وإلى هذا أشار بعض الناس بأن قال بين أيديهن يراد به اللسان والفم وبين الأرجل يراد به الفرج (ولا يعصينك فى معروف) أى لا يعصينك فيما جاءت به الشريعة من الأوامر والنواهى ومن ذلك النهى عن النياحة وشق الجيوب ، ووصل الشعر وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلنه ، وورد فى الحديث أن النساء لما بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المبايعة ، فقررهن على أن لا يسرقن قالت هند بنت عتبة وهى امرأة أبى سفيان بن حرب يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح ، فهل على إن أخذت من ماله بغير إذنه ، فقال لها خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف فلما قررهن على أن لا يزنين . قالت هند يارسول الله أتزنى الحرة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام لا تزنى الحرة يعنى فى غالب المرأة ، وذلك أن الزنا فى قريش إنما كان فى الإماء فلما قال ولا يقتلن أولادهن قالت نحن ربيناهم صغارا وقتلتهم أنت ببدر كبارا ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقفهن على أن لا يعصينه فى معروف قالت ما جلسنا هذا المجلس وفى أنفسنا أن نعصيك ، وهذه المبايعة للنساء غير معمول بها اليوم ، لأنه أجمع العلماء على أنه ليس للإمام أن يشترط عليهن هذا فإما أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ ، أو يكون ترك هذه الشروط لأنها قد تقررت وعلمت من الشرع بالضرورة فلا حاجة إلى اشتراطها (لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعنى اليهود وكان بعض فقراء المسلمين يتودد إليهم ليصيبوا من أموالهم ، وقيل يعنى كفار قريش ، والأول أظهر لأن الغضب قد صار عرفا لليهود كقوله «غير المغضوب عليهم» (قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) من قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود ، فمعنى يئسوا من الآخرة يئسوا من خير الآخرة والسعادة فيها ومن قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم كفار قريش ، فالمعنى يئسوا من وجود الآخرة ، وصحتها لأنهم مكذبون بها تكذيبا جزما وقوله «كما يئس الكفار من أصحاب القبور» يحتمل وجهين : أحدهما أن يريد كما يئس الكفار المكذبون بالبعث من بعث أصحاب القبور فقوله من أصحاب

ســـورة الصف

مدنية وآياتها ١٤ نزلت بعد التغابن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۞ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم

يتعلق بيئس وهو على حذف مضاف ، والآخر أن يكون من أصحاب القبور لبيان الجنس أي كما يئس الذين في القبور من سعادة الآخرة لأنهم تيقنوا أنهم يعذبون فيها

ســـورة الحواريين

(لم تقولون مالا تفعلون) في سببها ثلاثة أقوال أحدها قول ابن عباس أن جماعة قالوا وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى الله فنعمله ففرض الله الجهاد فكرهه قوم فنزلت الآية والآخر أن قوما من شبان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم في الغزو بما لم يفعلوا ويقولون فعلنا وصنعنا وذلك كذب فنزلت الآية زجرا لهم والثالث أنها نزلت في المنافقين لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين نحن معكم ومنكم ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك وهذا ضعيف لأنه خاطبهم بقوله يا أيها الذين آمنوا إلا أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم وفيما يظهرون ومع ذلك فحكم الآية على العموم في زجر من يقول مالا يفعل (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) كان بعض السلف يستحي أن يعظ الناس لأجل هذه الآية ويقول أخاف من مقت الله والمقت هو البغض لريبة أو نحوها وانتصب مقتا على التمييز وأن تقولوا فاعل وقيل فاعل كبر محذوف تقديره كبر فعلكم مقتا وأن تقولوا بدل من الفاعل المحذوف أو خبر ابتداء مضمر (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) وورود هذه الآية هنا دليل على أن الآية التي قبلها في شأن القتال وقال بعض الناس قتال الرجالة أفضل من قتال الفرسان لأن التراص فيه يتمكن أكثر مما يتمكن للفرسان قاله ابن عطية وهذا ضعيف خفي على قائله مقصد الآية وليس المراد نفس التراص وإنما المراد الثبوت والجد في القتال (كأنهم بنيان مرصوص) المرصوص هو الذي يضم بعضه إلى بعض وقيل هو المعقود بالرصاص ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظ (وإذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذونني) كانوا يؤذونه بسوء الكلام وبعصيانه وتنقيصه وانظر في الأحزاب ولا تكونوا كالذين آذوا موسى (وقد تعلمون أني رسول الله إليكم) هذا إقامة حجة عليهم وتوبيخ لهم وتقبيح لإذايته مع علمهم بأنه رسول الله ولذلك أدخل قد الدالة على التحقيق (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) هذه عقوبة على الذنب بذنب وزيغ القلب هو ميله عن الحق (وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل) إنما قال موسى ياقوم وقال عيسى يابني إسرائيل لأنه لم يكن له فيهم أب (مصدقا لما بين يدي من التوراة) معناه مذكور في البقرة في قوله مصدقا لما معكم (ومبشرا برسول) عن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى ياروح

Marfat.com

بِالْبَيِّنَٰتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَٰمِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ۝ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ الْكَٰفِرُونَ ۝ هُوَ الَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوٓا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ ۝

ســـورة الجمعة

مدنية وآياتها ١١ نزلت بعد الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝

الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أتقياء أبرار (اسمه أحمد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الله الناس على قدمى وأنا العاقب فلا نبى بعدى وأحمد مشتق من الحمد ويحتمل أن يكون فعلا سمى به أو يكون صفة سمى بها كأحمد ويحتمل أن يكون بمعنى حامد أو بمعنى محمود كمحمد (فلما جاءهم بالبينات) يحتمل أن يريد عيسى أو محمدا عليهما الصلاة والسلام ويؤيد الأول اتصاله بما قبله ويؤيد الثانى قوله وهو يدعى إلى الإسلام لأن الداعى إلى الإسلام هو محمد صلى الله عليه وسلم (يريدون ليطفئوا نور الله) ذكر فى براءة (تؤمنون بالله) الآية تفسير للتجارة المذكورة قال الأخفش هو عطف بيان عليها (يغفر لكم) جزم فى جواب تؤمنون لأنه بمعنى الأمر وقد قرأه ابن مسعود آمنوا وجاهدوا على الأمر لأنه يقتضى التحضيض (وأخرى تحبونها) ارتفع أخرى على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره ولكم نعمة أخرى أو انتصب على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره ويمنحكم أخرى (نصر من الله) تفسير لأخرى فهو بدل منها (وبشر المؤمنين) قال الزمخشرى عطف على تؤمنون بالله لأنه فى معنى الأمر (كونوا أنصار الله) جمع ناصر وقد غلب اسم الأنصار على الأوس والخزرج سماهم الله به وليس ذلك المراد هنا (كما قال عيسى ابن مريم) هذا التشبيه محمول على المعنى لأن ظاهره كونوا أنصار الله كقول عيسى والمعنى كونوا أنصار الله كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى من أنصارى إلى الله وقد ذكر فى آل عمران معنى الحواريين وأنصارى إلى الله (فأصبحوا ظاهرين) قيل إنهم ظهروا بالحجة، وقيل إنهم غلبوا الكفار بالقتال بعد رفع عيسى عليه السلام، وقيل إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد صلى الله عليه وسلم

ســـورة الجمعة

(القدوس) ذكر فى الحشر (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم) يعنى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم،

هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۞ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۞ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۞ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۞ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ۞ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ

والأميين هم العرب ، وقد ذكر معنى الأمى فى الأعراف (وآخرين منهم) عطفا على الأميين وأراد بهؤلاء فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآخرون فأخذ بيد سلمان الفارسى ، وقال لو كان العلم بالثريا لناله رجال من هؤلاء يعنى فارس ، وقيل هم الروم ومنهم على هذين القولين يريد به فى البشرية وفى الدين لا فى النسب وقيل هم أهل اليمن وقيل التابعون، وقيل هم سائر المسلمين والأول أرجح لوروده فى الحديث الصحيح (لما يلحقوا بهم) أى لم يلحقوا بهم لنفى وسيلحقون وذلك أن لما الذكر الماضى القريب من الحال (ذلك فضل الله) إشارة إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهداية الناس به (مثل الذين حملوا التوراة) يعنى اليهود ومعنى حملوا التوراة كلفوا العمل بها والقيام بأوامرها ونواهيها (ولم يحملوها) لم يطيعوا أمرها ولم يعملوا بها ، شبههم الله بالحمار الذى يحمل الأسفار على ظهره ولم يدر مافيها (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) يعنى اليهود الذين كذبوا سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهم الذين حملوا التوراة ولم يحملوها لأن التوراة تنطق بنبوته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فكل من قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة (فتمنوا الموت) ذكر فى البقرة (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) النداء للصلاة هو الأذان هنا ومن فى قوله من يوم الجمعة لبيان إذا . وتفسير له وذكر الله يراد به الخطبة والصلاة ، ويتعلق بهذه الآية ثمان مسائل الأولى اختلف فى الأذان للجمعة هل هو سنة كالأذان لسائر الصلوات أو واجب لظاهر الآية لأنه شرط فى السعى لها أن يكون عند الأذان والسعى واجب فالأذان واجب . الثانية كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جدار المسجد وقيل على باب المسجد وقيل كان بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر وقد كان بنو أمية يأخذون بهذا وبقى بقرطبة زمانا وهو باق فى المشرق إلى الآن قال أبو محمد بن الفرس قال مالك فى المجموعة إن هشام ابن عبد الملك هو الذى أحدث الأذان بين يديه قال وهذا دليل على أن الحديث فى ذلك ضعيف . الثالث كان الأذان للجمعة واحدا ثم زاد عثمان رضى الله عنه النداء على الزوراء ليسمع الناس واختلف الفقهاء هل المستحب أن يؤذن فيها اثنان أو ثلاثة : الرابعة ، السعى فى الآية بمعنى المشى لا بمعنى الجرى وقرأ عمر بن الخطاب فامضوا إلى ذكر الله وهذا تفسير للسعى فهو بخلاف السعى فى قول رسول الله

Marfat.com

ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ

صلى الله تعالى عليه و آله وسلم إذا نودي للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون . الخامسة ، حضور الجمعة واجب لحمل الأمر الذى فى الآية على الوجوب باتفاق إلا أنها لا تجب على المرأة ولا على الصبى ولا على المريض باتفاق ولا على العبد والمسافر عند مالك والجمهور خلافا للظاهرية وتعلقوا بعموم الآية وحجة الجمهور قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم الجمعة واجبة على كل مسلم فى جماعة إلا أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبى أو مريض وحجتهم فى المسافر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يقيم الجمعة فى السفر واختلف هل تسقط الجمعة بسبب المطر أم لا . وهل يجوز للعروس التخلف عنها أم لا ، والمشهور أنها لا تسقط عنه لعموم الآية . السادسة اختلف متى يتعين الإقبال إلى الصلاة فقيل إذا زالت الشمس ، وقيل إذا أذن المؤذن وهو ظاهر الآية ، السابعة اختلف فى الموضع الذى يجب منه السعى إلى الجمعة فقيل ثلاثة أميال وهو مذهب مالك وقيل ستة أميال وقيل تجب على من كان داخل المصر ، وقيل على من سمع النداء ، وقيل على من آواه الليل إلى أهله ، الثامنة اختلف فى الوالي هل هو من شرط الجمعة أم لا على قولين ، والمشهور سقوطه لأن الله لم يشترطه فى الآية (وذروا البيع) أمر بترك البيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤذنون فى الأذان وذلك على الوجوب فيقتضى تحريم البيع واختلف فى البيع الذى يعقد فى ذلك الوقت هل يفسخ أم لا واختلف فى بيع من لا تلزمهم الجمعة من النساء والعبيد هل يجوز فى ذلك الوقت أم لا والأظهر جوازه لأنه إنما منع منه من يدعى إلى الجمعة ويجرى النكاح فى ذلك الوقت مجرى البيع فى المنع (فانتشروا فى الأرض) هذا الأمر للإباحة باتفاق وحكى الإجماع على ذلك ابن عطية وابن الفرس (وابتغوا من فضل الله) قيل معناه طلب المعاش فالأمر على هذا للإباحة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الفضل المبتغى عيادة مريض أو صلة صديق أو اتباع جنازة وقيل هو طلب العلم وإن صح الحديث لم يعدل إلى سواه (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها) سبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قائما على المنبر يخطب يوم الجمعة فأقبلت عير من الشام بطعام وصاحب أمرها دحية بن خليفة الكلبى وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سرورا بها فلما دخلت العير كذلك انفض أهل المسجد إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر ولم يبق معه إلا اثنى عشر رجلا قال جابر ابن عبد الله أنا أحدهم وذكر بعضهم أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة واختلف فى الثانى عشرة فقيل عبد الله مسعود وقيل عمار بن ياسر وقيل إنما بقى معه صلى الله عليه وسلم ثمانية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لهؤلاء لقد كانت الحجارة سومت فى السماء على المنفضين وظاهر الآية يقتضى أن الجماعة شرط فى الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور إلا أنهم اختلفوا فى مقدار الجماعة الذين تنعقد بهم الجمعة فقال مالك ليس فى ذلك عدد محدود وإنما هم جماعة تقوم بهم قرية وروى ابن الماجشون عن مالك ثلاثون وقال الشافعى أربعون وقال أبو حنيفة ثلاثة مع الامام وقيل اثنى عشر عدد الذين بقوا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم . فإن قيل : لم قال انفضوا إليها بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو ؟ فالجواب من وجهين أحدهما أنه أراد انفضوا إلى اللهو وانفضوا إلى التجارة ثم حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه قاله الزمخشرى والآخر أنه

اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ،

سورة المنافقون

مدنية وآياتها ١١ نزلت بعد الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن

قال ذلك تهمما بالتجارة إذ كانت أهم وكانت هى سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها قال ابن عطية (وتركوك قائما) اختلفوا فى القيام فى الخطبة هل هو واجب أم لا ، وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا ، فمن أوجبه واشترطه أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام ومن لم يوجبه رأى أن مافعله النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك لم يكر على الوجوب ومذهب مالك أن من سنة الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين وقال أبو حنيفة لايجلس بين الخطبتين لظاهر الآية وذكر القيام فيها دون الجلوس ، وحجة مالك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة) إن قيل لم قدم اللهو هنا على التجارة وقدم التجارة قبل هذا على اللهو؟ فالجواب أن كل واحد من الموضعين جاء على ماينبغى فيه وذلك أن العرب تارة يبتدؤن بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل كقولك فلان يخون فى الكثير والقليل فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه وتارة يبتدؤن بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر كقولك فلان أمين ، على القليل والكثير فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه ولو عكست فى كل واحد من المثالين لم يكن حسنا فإنك لو قدمت فى الخيانة القليل لعلم أنه يخون فى الكثير من باب أولى وأحرى ولو قدمت فى الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين فى القليل من باب أولى وأحرى فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة وكذلك قوله إذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها . قدم التجارة هنا ليبين أنهم ينفضون إليها وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذى هو دونها وقوله خير من اللهو ومن التجارة قدم اللهو ليبين أن ماعند الله خير من اللهو وأنه أيضا خير من التجارة التى هى أعظم منه ولو عكس كل واحد من الموضعين لم يحسن

سورة المنافقون

(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم فلذلك كذبهم الله بقوله (والله يعلم إن المنافقين لكاذبون) أى كذبوا فى دعواهم الشهادة بالرسالة . وأما قوله والله يعلم إنك لرسوله فليس من كلام المنافقين وإنما هو من كلام الله تعالى ، ولو لم يذكره لكان يوهم أن قوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون إبطال للرسالة ، فوسطه بين حكاية المنافقين وبين تكذيبهم ليزيل هذا الوهم وليحقق الرسالة وعلى هذا ينبغى أن يوقف على قوله لرسول الله (جنة) ذكر فى المجادلة (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا) الإشارة إلى سوء عملهم وفضيحتهم وتوبيخهم ، وأما قوله آمنوا ثم كفروا فيحتمل وجهين : احدهما أن يكون

يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ

فيمن آمن منهم إيماناً صحيحا ثم نافق بعد ذلك ، والآخر أن يريد آمنوا فى الظاهر كقوله ، اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) يعنى أنهم حسان الصور (وإن يقولوا تسمع لقولهم) يعنى أنهم فصحاء الخطاب والضمير فى قوله وإذا رأيتهم تعجبك وفى قوله تسمع لقولهم للنبى صلى الله عليه وسلم ولكل مخاطب (كأنهم خشب مسندة) شبههم بالخشب فى قلة أفهامهم فكان لهم منظر بلا مخبر وقال الزمخشرى إنما شبههم بالخشب المسندة إلى حائط لأن الخشب إذا كانت كذلك لم يكن فيها منفعة بخلاف الخشب التى فى سقف أو مغروسة فى جدار فإن فيها حينئذ منفعة فالتشبيه على هذا فى عدم المنفعة ، وقيل كانوا يستندون فى مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم فشبههم فى استنادهم بالخشب المسندة إلى الحائط (يحسبون كل صيحة عليهم) عبارة عن شدة خوفهم من المسلمين وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحا ظنوا أن النبى صلى الله عليه وسلم يأمر بقتلهم (قاتلهم الله) الدعاء عليهم يتضمن ذمهم وتقبيح أحوالهم (أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الإيمان مع ظهوره (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم) أى أمالوها إعراضا واستكبارا وقصص هذه الآية وما بعدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى غزوة بنى المصطلق فبلغ الناس الى ماء ازدحموا عليه فكان ممن ازدحم عليه جهجاه بن سعيد أجير لعمر بن الخطاب وسنان الجهنى حليف لعبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين فلطم الجهجاه سنان فغضب سنان ودعا بالأنصار ودعا جهجاه بالمهاجرين فقال عبد الله بن أبىّ والله ما مثلنا ومثل هؤلاء يعنى المهاجرين إلا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك ثم قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعنى بالأعز نفسه وأتباعه ويعنى بالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ، ثم قال لقومه إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم ، ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا عن مدينتكم فسمعه زيد بن أرقم وأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الله بن أبى ابن سلول فحلف أنه ما قال من ذلك شيئا وكذب زيدا فنزلت السورة عند ذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زيد وقال لقد صدقك الله يا زيد فخزى عبد الله بن أبى ابن سلول ومقته الناس ، فقيل له امض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه إنكارا لهذا الرأى وقال أمرتونى بالإسلام فأسلمت وأمرتونى بأداء زكاة مالى ففعلت ولم يبق لكم إلا أن تأمرونى أن أسجد لمحمد ثم مات عبد الله بن أبىّ بعد ذلك بقليل وأسندت هذه الأقوال التى قالها عبد الله بن أبىّ إلى ضمير الجماعة لأنه كان له أتباع من المنافقين يوافقونه عليها (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) روى أنه لما نزلت إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأزيدن على السبعين فلما فعل عبد الله بن أبىّ وأصحابه ما فعلوا شدد الله عليهم فى هذه السورة وأخبر أنه لا يغفر لهم بوجه وفى هذا نظر ، لأن هذه السورة نزلت

Marfat.com

لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ الْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ * يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّـٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ

سورة التغابن

مدنية وآياتها ١٨ نزلت بعد التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ * يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

فى غزوة بنى المصطلق قبل الآية الأخرى بمدة (لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) أى لا تشغلكم وذكر الله هنا على العموم فى الصلاة والدعاء والعبادة، وقيل يعنى الصلاة المكتوبة والعموم أولى (وأنفقوا مما رزقناكم) عموم فى الزكاة وصدقة التطوع والنفقة فى الجهاد وغير ذلك، وقيل يعنى الزكاة المفروضة والعموم أولى (وأكن من الصالحين) بالجزم عطف على موضع جواب الشرط، وقرأ أبو عمرو فأكون بالنصب عطف على فأصدق

سورة التغابن

(هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) فى تأويل الآية وجهان: أحدهما الذى خلقكم فكان يجب على كل واحد منكم الإيمان به لكن منكم من كفر ومنكم من آمن فالكفر والإيمان على هذا هو من اكتساب العبد والآخر أن المعنى هو الذى خلقكم على صنفين فمنكم من خلقه مؤمنا ومنكم من خلقه كافرا فالإيمان والكفر على هذا هو ماقضى الله على كل واحد، والأول أظهر، لأنه عطفه على خلقكم بالفاء يقتضى أن الكفر والإيمان واقعان بعد الخلقة لا فى أصل الخلقة (خلق السموات والأرض بالحق) ذكر معناه فى مواضع (وصوركم فأحسن صوركم) تعديد نعمة فى حسن خلقة بنى آدم لأنهم أحسن صورة من جميع أنواع الحيوان وإن وجد بعض الناس قبيح المنظر فلا يخرجه ذلك عن حسن الصورة الإنسانية وإنما هو قبيح بالنظر إلى من هو أحسن منه من الناس وقيل يعنى العقل والإدراك الذى خص به الإنسان والأول أرجح لأن الصورة إنما تطلق على الشكل (ألم يأتكم) خطاب لقريش وسائر الكفار

أَلِيمٌ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ

(فقالوا أبشر يهدوننا) معناه أنهم استبعدوا أن يرسل الله بشرا أو تكبروا عن اتباع بشر والبشر يقع على الواحد والجماعة (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) قال عبدالله بن عمر زعم كناية عن كذب (يوم يجمعكم) العامل فى يوم لتنبؤن أو محذوف تقديره اذكر ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره ذلك يوم التغابن يعنى يوم القيامة والتغابن مستعار من تغابن الناس فى التجارة وذلك إذا فاز السعداء بالجنة فكأنهم غبنوا الأشقياء فى منازلهم التى كانوا ينزلون منها لو كانوا سعداء فالتغابن على هذا بمعنى الغبن وليس على المتعارف فى صيغة تفاعل من كونه بين اثنين كقولك تضارب وتقاتل إنما هي فعل واحد كقولك تواضع قال ابن عطية وقال الزمخشرى يعنى نزول السعداء منازل الأشقياء ونزول الأشقياء منازل السعداء والتغابن على هذا بين اثنين قال وفيه تهكم بالأشقياء لأن نزولهم فى جهنم ليس فى الحقيقة بغبن للسعداء (ماأصاب من مصيبة إلا بإذن الله) يحتمل أن يريد بالمصيبة الرزايا وخصها بالذكر لأنها أهم على الناس أو يريد جميع الحوادث من خير أوشر وبإذن الله عبارة عن قضائه وإرادته تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قيل معناه من يؤمن بأن كل شىء بإذن الله يهد الله قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله وهذا أحسن إلا أن العموم أحسن منه (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) سببها أن قوما أسلموا وأرادوا الهجرة فثبطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة فحذرهم الله من طاعتهم فى ذلك وقيل نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى وذلك أنه أراد الجهاد فاجتمع أهله وأولاده فشكوا من فراقه فرقلهم ورجع ثم إنه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت الآية محذرة من فتنة الأولاد ثم صرف تعالى عن معاقبتهم بقوله وإن تعفوا وتصفحوا الآية ولفظ الآية مع ذلك على عمومه فى التحذير ممن يكون للإنسان عدوا من أهله وأولاده سواء كانت عداوتهم بسبب الدين أوالدنيا (والله عنده أجر عظيم) ترغيب فى الآخرة وتزهيد فى الأموال والأولاد التى فتن الناس بها (فاتقوا الله مااستطعتم) قيل إن هذا ناسخ لقوله اتقوا الله

وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

سـورة الطلاق

مدنية وآياتها ١٢ نزلت بعد الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ

حق تقاته وروى أنه لما نزل حق تقاته شق ذلك على الناس حتى نزل ما استطعتم وقيل لا نسخ بينهما لأن حق تقاته معناه فيما استطعتم إذ لا يمكن أن يفعل أحد إلا ما يستطيع وهذه الآية على هذا مبينة لتلك وتحرز بالاستطاعة من الاكراه والنسيان وما لا يؤاخذ به العبد وإعراب ما في قوله ما استطعتم ظرفية (خيرا لأنفسكم) منصوب بإضمار فعل لا يظهر عند سيبويه وقيل هو مفعول بأنفقوا لأن الخير بمعنى المال وقيل هو نعت لمصدر محذوف تقديره أنفقوا إنفاقا خيرا لأنفسكم (ومن يوق شح نفسه) ذكر في الحشر (إن تقرضوا) ذكر في البقرة (والله شكور حكيم) ذكر في اللغات

سـورة الطلاق

(يأيها النبي إذا طلقتم النساء) إن قيل لم نودى النبي صلى الله عليه وسلم وحده ثم جاء بعد ذلك خطاب الجماعة ؟ فالجواب: أنه لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمته، قيل إذا طلقتم خطاباً له ولهم وخص هو عليه الصلاة والسلام بالنداء تعظيما له، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا أى افعل أنت وقومك، ولأنه عليه الصلاة والسلام هو المبلغ لأمته، فكأنه قال يأيها النبي إذا طلقت أنت وأمتك وقيل تقديره يأيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم وهذا ضعيف لأنه يقتضى أن هذا الحكم مختص بأمته دونه، وقيل إنه خوطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بطلقتم تعظيما له، كما تقول الرجل المعظم أنتم فعلتم، وهذا أيضا ضعيف، لأنه يقتضى اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالحكم دون أمته، ومعنى إذا طلقتم هنا إذا أردتم الطلاق. واختلف فى الطلاق هل هو مباح أو مكروه، فأما إذا كان على غير وجه السنة فهو ممنوع ولكن يلزم، وأما اليمين بالطلاق فممنوع (فطلقوهن لعدتهن) تقديره طلقوهن مستقبلات لعدتهن، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأبي بن كعب فطلقوهن فى قبل عدتهن وقرأ ابن عمر لقبل عدتهن ورويت القراءتان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى ذلك كله لا يطلقها وهى حائض، فهو منهى عنه بإجماع لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه فى الحال التى أمر الله بها وهو استقبال العدة، واختلف فى النهى عن الطلاق فى الحيض هل هو معلل بتطويل العدة، أو هو تعبد، والصحيح أنه معلل بذلك، وينبنى على هذا الخلاف فروع منها: هل يجوز إذا رضيت به المرأة أم لا ؟ ومنها هل يجوز طلاقها فى الحيض وهى حامل أم لا ؟ ومنها هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهى حائض أم لا ؟ فالتعليل بتطويل العدة يقتضى جواز هذه الفروع، والتعبد يقتضى المنع، ومن طلق فى الحيض لزمه الطلاق، ثم يؤمر بالرجعة على وجه الإجبار عند مالك

رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ

وبدون إجبار عند الشافعي حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك ، حسبما ورد فى حديث ابن عمر حين طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطاهر ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك واشترط مالك أن يطلقها فى طهر لم يمسها فيه ليعتد بذلك الطهر فإنه إن طلقها فى طهر بعد أن جامعها فيه فلا تدرى هل تعتد بالوضع أو بالأقراء فليس طلاقا للعدتها كما أمر الله (وأحصوا العدة) أمر بذلك لما ينبنى عليها من الأحكام فى الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك (لاتخرجوهن من بيوتهن ولايخرجن) نهى الله سبحانه وتعالى أن يخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذى طلقها فيه ونهاها هى أن تخرج باختيارها ، فلا يجوز لها المبيت خارجا عن بيتها ولا أن تغيب عنه نهارا إلا لضرورة التصرف ، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة ، فإن كان المسكن ملكا للزوج ، أو مكترى عنده ، لزمه إسكانها فيه . وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدة وإن كانت قد أمتعته فيه مدة الزوجية ففى لزوم خروج العدة له قولان فى المذهب والصحيح لزومه لأن الامتناع قد انقطع بالطلاق (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) اختلف فى هذه الفاحشة التى أباحت خروج المعتدة ماهى ؟ على خمسة أقوال الأول أنها الزنا فتخرج لإقامة الحد قاله الليث بن سعد والشعبي . الثانى أنه سوء الكلام مع الأصهار فتخرج ويسقط حقها من السكنى ، ويلزمها الإقامة فى مسكن تتخذه حفظا للنسب ، قاله ابن عباس ويؤيده قراءة أبى بن كعب ، إلا أن يفحشن عليكم . الثالث أنه جميع المعاصى من القذف والزنا والسرقة وغير ذلك ، فتى فعلت شيئا من ذلك سقط حقها فى السكنى ، قاله ابن عباس أيضا وإليه مال الطبرى الرابع أنه الخروج عن بيتها خروج . انتقال فمتى فعلت ذلك سقط حقها فى السكنى قاله ابن الفرس : وإلى هذا ذهب مالك فى المرأة إذا نشزت فى العدة ، الخامس أنه النشوز قبل الطلاق ، فإذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنى قاله قتادة (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) المراد به الرجعة عند الجمهور أى أحصوا العدة وامتثلوا ما أمرتم به لعل الله يحدث الرجعة لنسائكم ، وقيل إن سبب الرجعة المذكورة فى الآية تطليق النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة بنت عمر فأمره الله بمراجعتها (فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) يريد آخر العدة والإمساك بمعروف هو تحسين العشرة وتوفية النفقة ، والفراق بالمعروف هو أداء الصداق والإمتاع حين الطلاق والوفاء بالشروط ونحو ذلك (وأشهدوا ذوى عدل منكم) هذا خطاب للأزواج والمأمور به هو الإشهاد على الرجعة عند الجمهور ، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين فى المذهب وقال ابن عباس هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة ، وهذا أظهر لأن الإشهاد به يرفع الإشكال والنزاع ولا فرق فى هذا بين الرجعة والطلاق ، وقد ذكرنا العدالة فى البقرة وقوله ذوى عدل يدل على أنه إنما يشهد فى الطلاق والنكاح الرجال دون النساء وهو مذهب مالك خلافا لمن أجاز شهادة النساء فى ذلك وقوله منكم يريد من المسلمين وقيل من الأحرار فيؤخذ من ذلك رد

Marfat.com

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا * وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ

شهادة العبيد، وهو مذهب مالك (وأقيموا الشهادة لله) هذا خطاب للشهود وإقامة الشهادة يحتمل أن يريد بها القيام فإذا استشهد وجب عليه أن يشهد وهو فرض كفاية، وإلى هذا المعنى أشار ابن الفرس ويحتمل أن يريد إقامتها بالحق دون ميل ولا غرض، وبهذا فسره الزمخشري وهو أظهر لقوله لله وهو كقوله «كونوا قوامين بالقسط» شهداء لله (ذلكم) إشارة إلى ماتقدم من الأحكام (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قيل إنها فى الطلاق ومعناها من يتق الله فيطلق طلقة واحدة، حسبما تقتضيه السنة، يجعل له مخرجا بجواز الرجعة متى قدم على الطلاق وفى هذا المعنى روى عن ابن عباس أنه قال لمن طلق ثلاثا إنك لم تتق الله فبانت منك امرأتك ولا أرى لك مخرجا أى لا رجعة لك وقيل إنها على العموم أى من يتق الله فى أقواله وأفعاله يجعل له مخرجا من كرب الدنيا والآخرة، وقد روى هذا أيضا عن ابن عباس وهذا أرجح لخمسة أوجه أحدها حمل اللفظ على عمومه فيدخل فى ذلك الطلاق وغيره، الثانى أنه روى أنها نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى وذلك أنه أسر ولده وضيق عليه رزقه فشكى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره بالتقوى فلم يلبث إلا يسيرا وانطلق ولده ووسع الله رزقه، والثالث أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة والرابع روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إنى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم «ومن يتق الله يجعل له مخرجا» الآية: فما زال يقرؤها ويعيدها الخامس قوله ويرزقه من حيث لا يحتسب، فإن هذا لا يناسب الطلاق وإنما يناسب التقوى على العموم قال بعض العلماء الرزق على نوعين رزق مضمون لكل حى طول عمره وهو الغذاء الذى تقوم به الحياة وإليه الإشارة بقوله، وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها، ورزق موعود للمتقين خاصة، وهو المذكور فى هذه الآية (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كافيه بحيث لا يحتاج معه إلى غيره وقد تكلمنا على التوكل فى آل عمران (إن الله بالغ أمره) أى يبلغ مايريد ولا يعجزه شىء، هذا حض على التوكل وتأكيد له. لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله توكل عليه وحده ولم يعول على سواه (قد جعل الله لكل شىء قدرا) أى مقدارا معلوما ووقتا محدودا (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر) روى أنه لما نزل قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قالوا يارسول الله فما عدة من لا قرء لها من صغر أو كبر فنزلت هذه الآية معلمة أن المطلقة إذا كانت ممن لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر فقوله اللائى يئسن من المحيض: يعنى التى انقطعت حيضتها لكبر سنها وقوله (واللائى لم يحضن) يعنى الصغيرة التى لم تبلغ المحيض وهو معطوف على اللائى يئسن أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره واللائى لم يحضن كذلك وقوله (إن ارتبتم) هو من الريب بمعنى الشك وفى معناه قولان أحدهما إن ارتبتم فى حكم عدتها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر والآخر إن ارتبتم فى حيضها هل انقطع أو لم ينقطع فهى على التأويل الأول فى التى انقطعت حيضتها لكبر سنها حسبما ذكرنا وهو الصحيح وهى

Marfat.com

أَمْرِهِ يُسْرًا * ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا * أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ

على التأويل الثاني فى المرتابة وهى التى غابت عنها الحيضة وهى فى سن من تحيض وقد اختلف العلماء فى عدتها على ثلاثة أقوال أحدها أنها ثلاثة أشهر خاصة حسبما تقتضيه الآية على هذا التأويل ، والآخر أنها ثلاثة أشهر بعد تسعة أشهر تستبرئ بها أمد الحمل وهذا مذهب مالك وقدوته فى ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه والثالث أنها تعتد بالأقراء ولو بقيت ثلاثين سنة حتى تبلغ سن من لا تحيض وهو مذهب الشافعى وأبى حنيفة (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) هذه الآية عند مالك والشافعى وأبى حنيفة وسائر العلماء عامة فى المطلقات والمتوفى عنهن فمتى كانت إحداهن حاملا فعدتها وضع حملها وقال على بن أبى طالب وابن عباس إنما هذه الآية فى المطلقات الحوامل فهن اللاتى عدتهن وضع حملهن وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملا فعدتها عندهما أبعد الأجلين إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشرا لحجة الجمهور حديث سبيعة الأسلمية أنها كانت زوجا لسعد بن خولة فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حبلى فلما وضعت خطبها أبو السنابل بن بعكك فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها انكحى من شئت وقد ذكر أن ابن عباس رجع إلى هذا الحديث لما بلغه ولو بلغ عليا رضى الله عنه لرجع إليه وقال عبد الله بن مسعود إن هذه الآية التى نزلت فى سورة النساء القصرى يعنى سورة الطلاق نزلت بعد الآية التى فى البقرة «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا» فهى مخصصة لها حسبما قاله جمهور العلماء (أسكنوهن من حيث سكنتم) أمر الله بإسكان المطلقة طول العدة فأما المطلقة غير المبتوتة فيجب لها على زوجها السكنى والنفقة باتفاق ، وأما المبتوتة ففيها ثلاثة أقوال. أحدها أنها يجب لها السكنى دون النفقة وهو مذهب مالك والشافعى ، والثانى يجب لها السكنى والنفقة وهو مذهب أبى حنيفة ، والثالث أنها ليس لها سكنى ولا نفقة ، فحجة مالك حديث فاطمة بنت قيس وهو أن زوجها طلقها البتة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لك عليه نفقة ، فيؤخذ من هذا أن لها السكنى دون النفقة . وحجة من أوجب لها السكنى : قول عمر بن الخطاب : لا ندع آية من كتاب ربنا لقول امرأة إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لها السكنى والنفقة ، وحجة من لا يجعل لها لا سكنى ولا نفقة أن فى بعض الروايات عنها أنها قالت لم يجعل لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفقة ولا سكنى ، وقوله (من حيث سكنتم) معناه : أسكنوهن مكانا من بعض مساكنكم فمن للتبعيض ، ويفسر ذلك قول قتادة لو لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها فى بعض جوانبه (من وجدكم) الوجد هو الطاقة والسعة فى المال فالمعنى أسكنوهن مسكنا مما تقدرون عليه ، وإعرابه عطف بيان لقوله حيث سكنتم ويجوز فى الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها وهو بمعنى واحد . والضم أكثر وأشهر (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) اتفق العلماء على وجوب النفقة فى العدة للمطلقة الحامل عملا بهذه الآية سواء كان الطلاق رجعيا أو بائنا واتفقوا على أن للمطلقة غير الحامل النفقة فى العدة إذا كان الطلاق رجعيا فإن كان بائنا فاختلفوا فى نفقتها حسبما ذكرناه وأما

أُخْرَىٰ ۝ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَـٰهَا
سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۞ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا
عَذَابًا نُّكْرًا ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۞ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَـٰٓأُولِى
ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ

المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا فلا نفقة لها عند مالك والجمهور لأنهم رأوا أن هذه الآية إنما هي في المطلقات وقال قوم لها النفقة في التركة (فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن) المعنى إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات أولادكم فآتوهن أجرة الرضاع وهي النفقة وسائر المؤن حسبما ذكر في كتب الفقه (وائتمروا بينكم بمعروف) هذا خطاب للرجال والنساء والمعنى أن يأمر كل واحد صاحبه بخير من المسامحة والرفق والإحسان وقيل معنى ائتمروا تشاوروا ومنه إن الملأ يأتمرون بك (وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى) المعنى إن تشططت الأم على الأب في أجرة الرضاع وطلبت منه كثيرا فللأب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما هو أرفق له إلا أن لا يقبل الطفل غير ثدي أمه فتجبر حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج (لينفق ذو سعة من سعته) أمر بأن ينفق كل واحد على مقدار حاله ولا يكلف الزوج مالا يطيق ولا تضيع الزوجة بل يكون الحال معتدلا وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس وهو مذهب مالك خلافا لأبي حنيفة فإنه اعتبر الكفاية ومن عجز عن نفقة امرأته فمذهب مالك والشافعي أنها تطلق عليه خلافا لأبي حنيفة وإن عجز عن الكسوة دون النفقة ففي التطليق عليه قولان في المذهب (فحاسبناها حسابا شديدا) أي حاسبنا أهلها قيل يعني الحساب في الآخرة وكذلك العذاب المذكور بعده وقيل يعني في الدنيا وهذا أرجح لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله، أعد الله لهم عذابا شديدا، ولأن قوله حاسبناها وعذبناها بلفظ الماضي فهو حقيقة فيما وقع مجاز فيما لم يقع فمعنى حاسبناها أي آخذناهم بذنوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرها والعذاب هو عقابهم في الدنيا والنكر هو الشديد الذي لم يعهد مثله (قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا) الذكر هنا هو القرآن والرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم وإعراب رسولا مفعول بفعل مضمر تقديره أرسل رسولا وهذا الذي اختاره ابن عطية وهو أظهر الأقوال وقيل إن الذكر والرسول معا يراد بهما القرآن والرسول على هذا بمعنى الرسالة وقيل إنهما يراد بهما القرآن على حذف مضاف تقديره ذكرا ذا رسول وقيل رسولا مفعول بالمصدر الذي هو الذكر وقال الزمخشري الرسول هو جبريل بدل من الذكر لأنه نزل به أو سمي ذكرا لكثرة ذكره لله وهذا كله بعيد (ومن الأرض مثلهن) لا خلاف أن السموات سبع وأما الأرض فاختلف فيها فقيل إنها سبع أرضين لظاهر هذه الآية ولقوله صلى الله عليه وسلم من غصب شبرا من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين وقيل إنما هي واحدة فقوله مثلهن على القول الأول يعني به المماثلة في العدد وعلى القول الثاني يعني به المماثلة في

Marfat.com

الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ٥

ســـــورة التحريم

مدنية وآياتها ١٢ نزلت بعــد الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٥ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ

عظم الجرم وكثرة العمار وغير ذلك والأول أرجح (يتنزل الأمر بينهن) يحتمل أن يريد بالأمر الوحى أو أحكام الله وتقديره لخلقه

ســـــورة التحريم

(ياأيها النبي لم تحرم ماأحل الله لك) فى سبب نزولها روايتان أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يوما إلى بيت زوجه حفصة بنت عمر بن الخطاب فوجدها قد مرت لزيارة أبيها فبعث إلى جاريته مارية فجا معها فى البيت فجاءت حفصة فقالت يا رسول الله ما كان فى نسائك أهون عليك منى أتفعل هذا فى بيتى وعلى فراشى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مترضيا لها أيرضيك أن أحرمها قالت نعم فقال إنى قد حرمتها ، والرواية الأخرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدخل على زوجه زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا : فاتفقت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة على أن تقول له من دنا منها أكلت مغافير والمغافير صمغ العرفط وهو حلو كريه الريح ففعلن ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكنى شربت عسلا ، فقلن له جرست نحلة العرفط فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أشربه أبدا وكان يكره أن توجد منه رائحة كريهة فدخل بعد ذلك على زينب فقالت ألا أسقيك من ذلك : فقال لا حاجة لى به ، فنزلت الآية عتابا له على أن يضيق على نفسه بتحريم الجارية أو تحريم العسل ، والرواية الأولى أشهر وعليها تكلم الناس فى فقه السورة ، وقد خرج الرواية الثانية البخارى وغيره ولنتكلم على فقه التحريم ، فأما تحريم الطعام والمال وسائر الأشياء ماعدا النساء ، فلا يلزم ولا شىء عليه عند مالك ، وأوجب عليه أبو حنيفة الكفارة ، وأما تحريم الأمة فإن نوى به العتق لزم وإن لم ينو به ذلك لم يلزم وكان حكمه ماذكرنا فى الطعام وأما تحريم الزوجة فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة فقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة وغيرهم إنما يلزم فيه كفارة يمين وقال مالك فى المشهور عنه ثلاث تطليقات فى المدخول بها وينوى فى غير المدخول بها فيحكم بما نوى من طلقة أو اثنتين أو ثلاث ، وقال ابن الماجشون هى ثلاث فى الوجهين وروى عن مالك أنها طلقة بائنة ، وقيل طلقة رجعية (تبتغى مرضات أزواجك) أى تطلب رضا أزواجك بتحريم ماأحل الله لك يعنى تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة ، وهــــذا يدل على أنها نزلت فى تحريم الجارية وأما تحريم العسل فلم يقصد فيه رضا أزواجه وإنما تركه لرائحته (والله غفور رحيم) فى هذا إشارة إلى أن الله غفر له ماعاتبه عليه من التحريم على أن عتابه فى ذلك إنما كان كرامة له وإنما وقع العتاب على تضييقه عليه السلام على نفسه وامتناعه مما كان له فيه أرب وبئس ماقال الزمخشرى فى أن هذا كان منه زلة لأنه حرم ماأحل

حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ

الله وذلك قلة أدب على منصب النبوة (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) التحلة هي الكفارة وأحال تعالى هنا على ماذكر فى سورة المائدة من صفتها واختلف فى المراد بها هنا فأما على قول من قال إن الآية نزلت فى تحريم الجارية فاختلف فى ذلك فمن قال إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدل بها ومن قال إن التحريم يلزم فيه طلاق قال إن الكفارة هنا إنما هى لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلف وقال والله لاأطؤها أبدا وأما على القول بأن الآية نزلت فى تحريم العسل فاختلف أيضا من أوجب فى تحريم الطعام كفارة قال هذه الكفارة للتحريم ومن قال لا كفارة فيه قال إنما هذه الكفارة لأنه حلف ألا يشربه وقيل هى فى يمينه عليه السلام أن لايدخل على نسائه شهرا (والله مولاكم) يحتمل أن يكون المولى بمعنى الناصر أو بمعنى السيد الأعظم (وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا) اختلف فى هذا الحديث على ثلاثة أقوال أحدها أنه تحريم الجارية فإنه لما حرمها قال لحفصة لاتخبرى بذلك أحدا والآخر أنه قال إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده والثالث أنه قوله شربت عسلا والأول أشهر وبعض أزواجه حفصة (فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه (وأعرض عن بعض) كانت حفصة قد أخبرت عائشة بما أسر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تحريم الجارية فأخبر الله رسوله عليه السلام بذلك فعاقب حفصة على إفشائها السره فطلقها ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها وقيل لم يطلقها فقوله فلما نبأت به حذف المفعول وهو عائشة وقوله وأظهره الله عليه أى أطلعه على إخبارها به وقوله عرف بعضه أى عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعض حياء وتكريما فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير فى العتاب وقرئ عرف بالتخفيف من المعرفة (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا) أى لما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم حفصة بأنها قد أفشت سره ظنت بأن عائشة هى التى أخبرته فقالت له من أنبأك هذا فلما أخبرها أن الله هو الذى أنبأه سكتت وسلمت (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) هذا خطاب لعائشة وحفصة وتوبتهما مما جرى منهما فى قصة تحريم الجارية أو العسل ومعنى صغت أى مالت عن الصواب وقرأ ابن مسعود زاغت والمعنى إن تتوبا إلى الله فقد صدر منكما مايوجب التوبة (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه) المعنى إن تعاونتما عليه صلى الله عليه وسلم بما يسوؤه من إفراط الغيرة وإفشاء سره ونحو ذلك فإن له من ينصره ومولاه هنا يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم فيوقف على مولاه ويكون جبريل مبتدأ وظهير خبره وخبر ما عطف عليه ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى الولى الناصر فيكون جبريل معطوف فيوصل مع ماقبله ويوقف على صالح المؤمنين ويكون الملائكة مبتدأ وظهير خبره وهذا أظهر وأرجح لوجهين: أحدهما أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع فإن ذلك كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم وتشريفا له، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبى صلى الله عليه وسلم مع غيره، لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى فليس فى ذلك إظهار مزية له، الوجه الثانى أنه ورد فى الحديث الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله مايشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك، فنزلت الآية موافقة لقول عمر فقوله يقتضى معك النصرة (وصالح المؤمنين) اختلف فى صالح هل هو مفرد أو جمع محذوف النون

Marfat.com

وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ

الإضافة فعلى القول بأنه مفرد هو أبو بكر ، وقيل على بن أبى طالب ، وعلى القول بأنه جمع فهو على العموم فى كل صالح (عسى ربه إن طلقكن) الآية ، نصرة للنبى صلى الله عليه وسلم ، وروى أن عمر قال ذلك ونزل القرآن بموافقته ولقد قال عمر حينئذ للنبى صلى الله عليه وسلم والله يا رسول الله لئن أمرتنى بضرب عنق حفصة لضربت عنقها ، وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان والقنوت ، والسائحات معناه الصائمات قاله ابن عباس وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل معناه مهاجرات وقيل ذاهبات إلى الله لأن أصل السياحة الذهاب فى الأرض وقوله ثيبات وأبكارا ، قال بعضهم المراد بالأبكار هنا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون فإن الله يزوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم إياهما فى الجنة وهذا يفتقر إلى نقل صحيح ودخلت الواو هنا للتقسيم ولو سقطت لاختل المعنى لأن الثيوبة والبكارة لا يجتمعان ، وقال الكوفيون هى واو الثمانية وذلك ضعيف (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) أى أطيعوا الله وأمروا أهلكم بطاعته لتقوا أنفسكم وأهليكم بطاعته من النار فعبر بالمسبب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة (وقودها) ذكر فى البقرة (ملائكة غلاظ شداد) يعنى زبانية النار وغلاظهم وشدتهم يحتمل أن يريد فى أجرامهم وفى قساوة قلوبهم (ويفعلون ما يؤمرون) قيل إن هذا تأكيد لقوله لا يعصون الله ، وقيل إن معنى لا يعصون امتثال الأمر ، ومعنى يفعلون ما يؤمرون جدهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس (لا تعتذروا اليوم) يعنى يوم القيامة ، ويحتمل أن يكون هذا خطاب من الله للكفار أو خطاب من الملائكة (توبة نصوحا) قال عمر بن الخطاب التوبة النصوح هى أن تتوب من الذنب ثم لا تعود إليه أبداً ولا تريد أن تعود وقيل معناه توبة خالصة فهو من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ، وقيل هو أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت كتوبة الثلاثة الذين خلفوا قال الزمخشرى وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازى والنصح فى الحقيقة صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم وقد تكلمنا على التوبة فى قوله وتوبوا إلى الله جميعا فى النور (يوم لا يخزى الله النبى) العامل فى يوم يحتمل أن يكون ما قبله أو ما بعده أو محذوف تقديره اذكر ، والوقف والابتداء يختلف على ذلك (والذين آمنوا) يحتمل أن يكون معطوفا على النبى أو مبتدأ وخبره بعده (نورهم يسعى) ذكر فى الحديد (جاهد الكفار والمنافقين)

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ۞ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ۞

سورة الملك

مكية وآياتها ٣٠ نزلت بعد الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

ذكر فى براءة (امرأة نوح وامرأة لوط) قيل اسم امرأة نوح والهة ، واسم امرأة لوط والعة ، وهذا يفتقر إلى صحة نقل (فخانتاهما) قال ابن عباس خيانة امرأة نوح فى أنها كانت تقول إنه مجنون وخيانة امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذا قدموا عليه ، وكانتا مع ذلك كافرتين ، وقيل خانتا بالزنا ، وأنكر ابن عباس ذلك وقال مازنت امرأة نبي قط تنزيها من الله لهم عن هذا النقص ، وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل كأنه يقول لا يغنى أحد عن أحد ولو كان أقرب الناس إليه كقرب امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما وقيل هذا مثال لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم فيما ذكر فى أول السورة وهذا باطل لأن الله إنما ضربه للذين كفروا . وامرأة فرعون اسمها آسية وكانت قد آمنت بموسى عليه السلام فبلغ ذلك فرعون فأمر بقتلها ، فدعت بهذا الدعاء فقبض الله روحها ، وروى فى قصصها غير هذا مما يطول وهو غير صحيح (من فرعون وعمله) تعنى كفره وظلمه ، وقيل مضاجعته لها وهذا ضعيف (أحصنت فرجها) يعنى الفرج الذى هو الجارحة وإحصانها له هو صيانتها وعفتها عن كل مكروه (فنفخنا فيه من روحنا) عبارة عن نفخ جبريل فى فرجها ، فخلق الله فيه عيسى عليه السلام وأضاف الله الروح إلى نفسه إضافة مخلوق إلى خالقه ، وفى ذلك تشريف له (وصدقت بكلمات ربها وكتابه) كلمات ربها يحتمل أن يريد بها الكتب التى أنزل الله أو كلامه مع الملائكة وغيرهم ، وكتابه بالإفراد يحتمل أن يريد به التوراة أو الإنجيل أو جنس الكتب وقرئ بالجمع يعنى جميع كتب الله (من القانتين) أى من العابدين ، فإن قيل : لم قال من القانتين بجمع المذكر وهى أنثى ؟ فالجواب : أن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء فغلب الذكور

سورة الملك

ورد فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه وأنه عليه الصلاة والسلام قال إنها تنجى من عذاب القبر (تبارك) فعل مشتق من البركة ، وقيل معناه تعاظم وهو مختص بالله تعالى ولم ينطق له بمضارع (بيده الملك) يعنى ملك السموات والأرض والدنيا والآخرة ، وقيل يعنى ملك الملوك فى الدنيا فهو كقوله مالك الملك والأول أعم وأعظم (خلق الموت والحياة) يعنى موت

Marfat.com

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِن تَفٰوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصٰبِيحَ وَجَعَلْنٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ إِذَآ أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ

الخلق وحياتهم، وقيل الموت الدنيا لأن أهلها يموتون، والحياة الآخرة لأنها باقية فهو كقوله «وإن الدار الآخرة لهي الحيوان» وهو على هذا وصف بالمصدر والأول أظهر (ليبلوكم) أى ليختبركم واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم الحجة بما يصدر منهم وقد كان الله علم ما يفعلون قبل كونه والمعنى ليبلوكم فيجازيكم بما ظهر منكم (أيكم أحسن عملا) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها فقال أيكم أحسن عملا وأشدكم لله خوفا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله (سبع سموات طباقا) أى بعضها فوق بعض، والطباق مصدر وصفت به السموات أو على حذف مضاف تقديره ذوات طباق وقيل إنه جمع طبقة (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) أى من قلة تناسب وخروج عن الإتقان، والمعنى أن خلقة السموات فى غاية الإتقان وقيل أراد خلقة جميع المخلوقات ولا شك أن جميع المخلوقات متقنة ولكن تخصيص الآية بخلقة السموات أظهر لورودها بعد قوله خلق سبع سموات طباقا فبان قوله ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت بيان وتكميل ما قبله والخطاب فى قوله ماترى وارجع البصر وما بعده للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل مخاطب ليعتبر (فارجع البصر هل ترى من فطور) الفطور الشقوق جمع فطر، وهو الشق وإرجاع البصر ترديده فى النظر، ومعنى الآية الأمر بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شقاق ولا خلل بل هى ملتئمة مستوية (ثم ارجع البصر كرتين) أى انظر نظرا بعد نظر للتثبت والتحقق، وقال الزمخشرى معنى التثنية فى كرتين التكثير لا مرتين خاصة. كقولهم لبيك فإن معناه إجابات كثيرة (ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير) الخاسئ هو المبعد عن الشيء الذى طلبه، والحسير هو الكليل الذى أدركه التعب فمعنى الآية أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شقاقا أو خللا رجع بصرك ولم تر شيئا من ذلك فكأنه خاسئ لأنه لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل وهو مع ذلك كليل من شدة النظر وكثرة التأمل (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) السماء الدنيا هى القريبة منا، والمصابيح يراد بها النجوم فإن كانت النجوم كلها فى السماء الدنيا فلا إشكال، وإن كانت فى غيرها من السموات فقد زينت السماء الدنيا، لأنها ظاهرة فيها لنا ويحتمل أن يريد أنه زين السماء الدنيا بالنجوم التى فيها دون التى فى غيرها على أن القول بموضع الكواكب وفى أى سماء هى لم يرد فى الشريعة (وجعلناها رجوما للشياطين) أى جعلنا منها رجوما، لأن الكواكب الثابتة ليست ترجم الشياطين فهو كقولك أكرمت بنى فلان إذا أكرمت بعضهم والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمى به ما يرجم به، قال الزمخشرى معنى كون النجوم رجوما للشياطين والشهب تنقض من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء فالشهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب لأن الراجمة هى الكواكب أنفسها لأنها ثابتة فى الفلك قال قتادة خلق الله النجوم لثلاثة أشياء زينة السماء ورجوم الشياطين ويهتدى بها فى ظلمات البر والبحر (وأعتدنا لهم عذاب السعير) يعنى للشياطين (سمعوا لها شهيقا) الشهيق أقبح ما يكون

Marfat.com

فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ ۝ فَاعْتَرَفُوا بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا
لِّأَصْحَٰبِ السَّعِيرِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ
إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا
فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ۝ ءَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا
هِىَ تَمُورُ ۝ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى السَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ

من صوت الحمار ويعنى بهٰهنا مايسمع من صوت جهنم لشدة غليانها وهولها أوشهيق أهلها ، والأول أظهر (وهى تفور) أى تغلى بأهلها غليان القدر بما فيها (تكاد تميز من الغيظ) أى تكاد جهنم ينفصل بعضها من بعض لشدة غيظها على الكفار ، فيحتمل أن تكون هى المغتاظة بنفسها ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية والأول أظهر لأن حال الزبانية يذكر بعد هذا وغيظ النار يحتمل أن يكون حقيقة بإدراك يخلقه الله لها أو يكون عبارة عن شدتها (كلما ألقى فيها فوج) أى كلما ألقى فى جهنم جماعة من الكفار سألتهم الزبانية هل جاءكم من نذير أى رسول وهذا السؤال على وجه التوبيخ وإقامة الحجة عليهم ، ولذلك اعترفوا فقالوا بلى قد جاءنا نذير ، وقوله كلما يقتضى أن يقال ذلك لكل جماعة تلقى فى النار (إن أنتم إلا فى ضلال كبير) يحتمل أن يكون من قول الملائكة للكفار أومن قول الكفار للرسل فى الدنيا (وقالوا) الضمير للكفار أى لو كنا نسمع كلام الرسل ونعقل الصواب ما كنا فى أصحاب السعير (فاعترفوا بذنبهم) اعترافهم هذا فى وقت لا ينفعهم الاعتراف وذنبهم هنا يراد به تكذيب الرسل (فسحقا لأصحاب السعير) انتصب فسحقا بفعل مضمر على معنى الدعاء عليهم (بالغيب) فيه قولان أحدهما أن معناه وهم غائبون عن الناس فى ذلك وصف لهم بالإخلاص والآخر أن الغيب ما غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها على أن هذا القول إنما يحسن فى قوله يؤمنون بالغيب (وأسروا قولكم أو اجهروا به) المعنى سواء جهرتم أوأسررتم فإن الله يعلم الجهر والسر (ألا يعلم من خلق) هذا برهان على أن الله تعالى يعلم كل شىء لأن الخالق يعلم مخلوقاته ويحتمل أن يكون من خلق فاعلا يراد به الخالق والمفعول محذوف تقديره ألا يعلم الخالق خلقه أو يكون من خلق مفعولا والفاعل مضمر تقديره ألا يعلم الله من خلق والأول أرجح لأن من خلق إذا كان مفعولا اختص بمن يعقل والمعنى الأول يعم من يعقل ومن لا يعقل (الأرض ذلولا) فعول هنا بمعنى مفعول أى مذلولة فهى كركوب وحلوب (فامشوا فى مناكبها) قال ابن عباس هى الجبال وقيل الجوانب والنواحى وقيل الطرق والمعنى تعديد النعمة فى تسهيل المشى على الأرض فاستعار لها الذل والمناكب تشبيها بالدواب (وإليه النشور) يعنى البعث يوم القيامة (أأمنتم) الآية مقصودها التهديد والتخويف للكفار وكذلك الآية التى بعدها (تمور) ذكر فى الطور (حاصبا) يحتمل أن يريد حجارة أو ريحا شديدة (نذير) بمعنى الإنذار وكذلك النكير بمعنى الإنكار (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات) تنبيه

Marfat.com

إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۞ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۞ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۞ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ قُلْ هُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۞ قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ۞ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ۞

على الاعتبار بطيران الطيور فى الهواء من غير شىء يمسكها وصافات جمع صافة وهى التى تبسط جناحها للطيران والقبض ضم الجناحين إلى الجنب وعطف يقبض على صافات لأن الفعل فى معنى الاسم تقديره قابضات فإن قيل لم لم يقل قابضات على طريقة صافات فالجواب أن بسط الجناحين هو الأصل فى الطيران كما أن مد الأطراف هو الأصل فى السباحة فذكر بصيغة اسم الفاعل لدوامه وكثرته ، وأما قبض الجناحين فإنما يفعله الطائر قليلا للاستراحة والاستعانة فذكر بلفظ الفعل لقلته (أمن هذا الذى هو جند لكم) خطاب للكفار على وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحجة عليهم ودخلت أم التى يراد بها الإنكار على من فأدغمت فيها وكذلك أمن هذا الذى يرزقكم والضمير فى أمسك لله أى من يرزقكم إن منع الله رزقه ، (بل لجوا) أى تمادوا فى العتو والنفور عن الإيمان (أفمن يمشى مكبا على وجهه) الآية توقيف على الحالتين ، أيهما أهدى والمراد بها توبيخ الكفار ، وفى معناها قولان : أحدهما أن المشى هنا استعارة فى سلوك طريق الهدى والضلال فى الدنيا ، والآخر أنه حقيقة فى المشى فى الآخرة لأن الكافر يحمل على المشى إلى جهنم على وجهه فأما على القول الأول فقيل إن الذى يمشى مكبا أبو جهل والذى يمشى سويا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل حمزة وقيل هى على العموم فى كل مؤمن وكافر ، وقد تمشى هذه الأقوال أيضا على الثانى ، والمكب هو الذى يقع على وجهه يقال أكب الرجل وكبه غيره فالمعدى دون همزة والقاصر بالهمزة بخلاف سائر الأفعال (ويقولون متى هذا الوعد) الضمير للكفار والوعد يراد به البعث أو عذابهم فى الدنيا (فلما رأوه) ضمير الفاعل للكفار وضمير المفعول للعذاب الذى يتضمنه الوعد (زلفة) أى قريبا وقيل عيانا (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ظهر فيها السوء لما حل بها (وقيل هذا الذى كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء أى تطلبون وتستعجلون به والقائلون لذلك الملائكة أو يقال لهم بلسان الحال (قل أرأيتم إن أهلكنى الله) الآية سببها أن الكفار كانوا يتمنون هلاك النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين فأمره الله أن يقول لهم إن أهلكنى الله وأهلك من معى أو رحمنا فإنكم لا تنجون من العذاب الأليم على كل حال والهلاك هنا يحتمل أن يراد به الموت أو غيره ومعنى من يجير الكافرين من عذاب أليم: من يمنعهم من العذاب (قل أرأيتم إن أصبح

Marfat.com

ســـورة القلم

مكية إلا من آية ١٧ إلى غاية آية ٣٣ ومن آية ٤٨ إلى غاية آية ٥٠ فمدنية وآياتها ٥٢ نزلت بعد العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ

ماؤكم غورا) الآية احتجاج على المشركين والغور مصدر وصف به فهو بمعنى غاير أى ذاهب فى الأرض والمعين الكثير واختلف هل وزنه فعيل أو مفعول فالمعنى إن غار ماؤكم الذى تشربون هل يأتيكم غير الله بماء معين

ســـورة القلم

(ن) حرف من حروف الهجاء وقد تقدم الكلام عليها فى البقرة ويختص ن بأنه قيل إنه حرف من الرحمن وإن حروف الرحمن ألف ولام وراء وحاء وميم ون وقيل إن نون هنا يراد به الحوت وزعموا أنه الحوت الأعظم الذى عليه الأرضون السبعة وهذا لا يصح على أن نون بمعنى الحوت معروف فى اللغة ومنه ذو النون وقيل إن نون هنا يراد به الدواة وهذا غير معروف فى اللغة ويبطل قول من قال إنه الحوت أو الدواة بأنه لو كان كذلك لكان معربا بالرفع أو النصب أو الخفض ولكان فى آخره تنوين فكونه موقوفا دليل على أنه حرف هجاء نحو ألم وغيره من حروف الهجاء الموقوفة (والقلم وما يسطرون) اختلف فيه على قولين أحدهما أنه القلم الذى كتب به اللوح المحفوظ فالضمير فى يسطرون للملائكة والآخر أنه القلم المعروف عند الناس أقسم الله به لما فيه من المنافع والحكم والضمير فى يسطرون على هذا لبنى آدم (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) هذا جواب القسم وهو خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم معناه نفى نسبة الكفار له من الجنون وبنعمة ربك اعتراض بين ما وخبرها كما تقول أنت بحول الله أفضل والمجرور فى موضع الحال وقال الزمخشرى إن العامل فيه بمجنون (غير ممنون) ذكر فى فصلت (وإنك لعلى خلق عظيم) هذا ثناء على خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن تعنى التأدب بآدابه وامتثال أوامره وعبر ابن عباس عن الخلق بالدين والشرع وذلك رأس الخلق وتفصيل ذلك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جمع كل فضيلة وحاز كل خصلة جميلة، فمن ذلك شرف النسب ووفور العقل وصحة الفهم وكثرة العلم وشدة الحياء وكثرة العبادة والسخاء والصدق والشجاعة والصبر والشكر والمروءة والتودد والاقتصاد والزهد والتواضع والشفقة والعدل والعفو وكظم الغيظ وصلة الرحم وحسن المعاشرة وحسن التدبير وفصاحة اللسان وقوة الحواس وحسن الصورة وغير ذلك حسبما ورد فى أخباره وسيره صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، وقال الجنيد سمى خلقه عظيما لأنه لم تكن له همة سوى الله عز وجل (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) قيل إن المفتون هنا بمعنى المجنون ويحتمل غير ذلك من معانى الفتنة والخطاب فى قوله فستبصر للنبى صلى الله عليه وسلم وفى قوله ويبصرون لكفار قريش واختلف فى الباء التى فى قوله بأيكم على أربعة أقوال الأول أنها زائدة، الثانى أنها غير زائدة والمعنى بأيكم الفتنة فأوقع المفتون موقع الفتنة كقولهم ماله معقول أى عقل، الثالث أن الباء بمعنى فى والمعنى فى أى

Marfat.com

عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ۝ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا

فريق منكم المفتون واستحسن ابن عطية هذا ، الرابع أن المعنى بأيكم فتنة المفتون ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه (ودوا لو تدهن فيدهنون) المداهنة هى الملاينة والمداراة فيما لا ينبغى ، وروى أن الكفار قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك فنزلت الآية ولم ينتصب فيدهنون فى جواب التمنى بل رفعه بالعطف على تدهن قاله ابن عطية وقال الزمخشرى هو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهم يدهنون (حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل (مهين) هو الضعيف الرأى والعقل قال ابن عطية هو من مهن إذا ضعف فالميم فاء الفعل ، وقال الزمخشرى هو من المهانة وهى الذلة والحقارة وقال ابن عباس المهين الكذاب (هماز) هو الذى يعيب الناس (مشاء بنميم) أى كثير المشى بالنميمة يقال نميم ونميمة بمعنى واحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة نمام (مناع للخير) أى شحيح لأن الخير هنا هو المال وقيل معناه مناع من الخير أى يمنع الناس من الإسلام ، والعمل الصالح (معتد) هو من العدوان وهو الظلم (أثيم) من الإثم وهو ارتكاب المحرمات (عتل) أى غليظ الجسم قاسى القلب بعيد الفهم كثير الجهل (زنيم) ولد زنا ؛ وقيل هو الذى فى عنقه زنمة كزنمة الشاة التى تعلق فى حلقها ، وقيل معناه مريب قبيح الأفعال وقيل ظلوم ، وقيل لئيم وقوله بعد ذلك أى بعد ما ذكرنا من عيوبه ، فهذا الترتيب فى الوصف لا فى الزمان واختلف فى الموصوف بهذه الأوصاف الذميمة ، فقيل لم يقصد بها شخص معين بل كل من اتصف بها وقيل المقصود بها الوليد بن المغيرة لأنه وصفه بأنه ذو مال وبنين ، وكذلك كان ، وقيل أبو جهل وقيل الأخنس بن شريق ويؤيد هذا أنه كانت له زنمة فى عنقه ، قال ابن عباس عرفناه بزنمته وكان لقيط من ثقيف ويعد فى بنى زهرة فيصح وصفه بزنيم على القولين ، وقيل الأسود بن عبد يغوث (أن كان ذا مال وبنين) فى موضع مفعول من أجله يتعلق بقوله لاتطع أى لاتطعه بسبب كثرة ماله وبنيه ، ويجوز أن يتعلق بما بعده ، والمعنى على هذا أنه قال فى القرآن أساطير الأولين ، لأنه ذومال وبنين يتكبر بماله وبنيه والعامل فى أن كان على هذا فعل من المعنى ولايجوز أن يعمل فيه قال الذى هو جواب إذالأن مابعد الشرط لا يعمل فيما قبله والأول أظهر وقد تقدم معنى أساطير الأولين (سنسمه على الخرطوم) أصل الخرطوم أنف السبع ثم استعير للإنسان استخفافا به وتقبيحا له والمعنى نجعل له سمة وهى العلامة على خرطومه ، واختلف فى هذه السمة قيل هى الضربة بالسيف يوم بدر ، وقيل علامة من نار تجعل على أنفه فى جهنم وقيل علامة تجعل على أنفه يوم القيامة ليعرف بها (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) أى بلونا قريشا كما بلونا أصحاب الجنة وكانوا إخوة من بنى إسرائيل لهم جنة ، روى أنها بمقربة من صنعاء فحلفوا أن لا يعطوا مسكيناً منها شيئاً وباتوا عازمين على ذلك ، فأرسل الله على جنتهم طائفا من نار فأحرقتها فلما أصبحوا إلى جنتهم لم يروها فحسبوا أنهم أخطؤوا الطريق ثم تبينوها فعرفوها وعلموا أن الله عاقبهم فيها بما قالوا

Marfat.com

لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۝
فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۝ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ۝ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ۝ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا
الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَآلُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ *
قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَـٰوَمُونَ ۝ قَالُوا يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ۝ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ۝
كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتِ النَّعِيمِ ۝ أَفَنَجْعَلُ

فندموا و تابوا إلى الله ووجه تشبيه قريش بأصحاب الجنة أن الله أنعم على قريش ببعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما أنعم على أصحاب الجنة بالجنة فكفر هؤلاء بهذه النعمة كما فعل أولئك فعاقبهم الله كما عاقبهم وقيل شبه قريشا لما أصابهم الجوع بشدة القحط حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحاب الجنة لما هلكت جنتهم (إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) أى حلفوا أن يقطعوا غلة جنتهم عند الصباح وكانت الغلة ثمرا (ولا يستثنون) فى معناه ثلاثة أقوال أحدها لم يقولوا إن شاء الله حين حلفوا ليصرمنها والآخر لايستثنون شيأ من ثمرها إلا أخذوه لأنفسهم والثالث لايتوقفون فى رأيهم ولا ينتهوا عنه أى لايرجعون عنه (فطاف عليهم طائف) قال الفراء الطائف الأمر الذى يأتى بالليل (فأصبحت كالصريم) فيه أربعة أقوال الأول أصبحت كالليل لأنها اسودت لما أصابها والصريم فى اللغة الليل الثانى أصبحت كالنهار لأنها ابيضت كالحصيد ويقال صريم لليل والنهار الثالث أن الصريم الرماد الأسود بلغة بعض العرب الرابع أصبحت كالمصرومة أى المقطوعة (فتنادوا مصبحين) أى نادى بعضهم بعضا حين أصبحوا وقال بعضهم لبعض (اغدوا على حرثكم) أى جنتكم (إن كنتم صارمين) أى حاصدين لثمرتها (يتخافتون) يكلم بعضهم بعضا فى السر ويقولون (لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) وأن فى قوله أن اغدوا وأن لا يدخلنها حرف عبارة وتفسير (وغدوا على حرد قادرين) فى الحرد أربعة أقوال الأول أنه المنع الثانى أنه القصد الثالث أنه الغضب الرابع أن الحرد اسم للجنة وقادرين يحتمل أن يكون من القدرة أى قادرين فى زعمهم أو من التقدير بمعنى التضييق أى ضيقوا على المساكين (إنا لضالون) أى أخطأنا طريق الجنة قالوا ذلك لما لم يعرفوها فلما عرفوها ورأوا ما أصابها قالوا (بل نحن محرومون) أى حرمنا الله خيرها (قال أوسطهم) أى خيرهم وأفضلهم ومنه أمة وسطا أى خيارا (لولا تسبحون) أى تقولون سبحان الله وقيل هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه وقيل أراد الاستثناء فى اليمين كقولهم إن شاء الله والأول أظهر لقولهم بعد ذلك سبحان ربنا والمعنى أن هذا الذى هو أفضلهم كان قد حضهم على التسبيح (يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا عزموا عليه من منع المساكين أو على غفلتهم عن التسبيح بدليل قوله ألم أقل لكم لولا تسبحون (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) يحتمل أنهم طلبوا البدل فى الدنيا أو فى الآخرة والأول أرجح لأنه روى عن ابن مسعود أن الله أبدلهم جنة يحمل البغل منها عنقودا (كذلك العذاب) أى مثل

المسلمين كالمجرمين ، مالكم كيف تحكمون * أم لكم كتاب فيه تدرسون ، إن لكم فيه لما تخيرون ،
أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون ، سلهم أيهم بذلك زعيم ، أم لهم شركاء
فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ،
خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ، فذرني ومن يكذب بهذا
الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملي لهم إن كيدي متين ، أم تسألهم أجرا فهم من مغرم

هذا العذاب الذي ينزل بأهل الجنة ينزل بقريش (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) الهمزة للإنكار أي كيف يسوي الله بين المسلمين والمجرمين بل يجازي كل أحد بعمله والمراد بالمجرمين هنا الكفار (مالكم) توبيخ للكفار وما ابتداء ولكم خبره وتم الكلام هنا فينبغي أن يوقف عليه (كيف تحكمون) توبيخ آخر أي كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم (إن لكم فيه لما تخيرون) هذه الجملة معمول تدرسون وكان أصل إن الفتح وكسرت لأجل اللام التي في خبرها وتخيرون معناه تختارون لأنفسكم ومعنى الآية هل لكم كتاب من عند الله تدرسون فيه أن لكم ما تختارونه لأنفسكم (أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون) المعنى هل حلفنا لكم أيمانا أن لكم ما تحكمون ومعنى بالغة ثابتة واصلة إلى يوم القيامة ، وقوله إن لكم هو جواب القسم الذي يقتضيه الأيمان ولذلك أكده بإن واللام وما تحكمون هو اسم إن دخلت عليه اللام المؤكدة (سلهم أيهم بذلك زعيم) أي يا محمد اسأل قريشا أيهم زعيم بهذه الأمور ، والزعيم هو الضامن للأمر القائم به (أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم) هذا تعجيز للكفار ، ومعناه إن كان لكم شركاء يقدرون على شيء فأتوا بهم ، واختلف هل قوله فليأتوا بهم في الدنيا ، أي أحضروهم حتى يرى حالهم أو يقال لهم ذلك يوم القيامة : والشركاء هم المعبودون من الأصنام وغيرها وقال الزمخشري معناه أم لكم ناس يشاركونكم في هذا القول ، ويوافقونكم عليه فأتوا بهم يعني أنهم لا يوافقهم أحد عليه ، والأول أظهر (يوم يكشف عن ساق) قال المتأولون ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدته ، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ينادي مناد يوم القيامة لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس ويتبع القمر من كان يعبد القمر ويتبع كل أحد ما كان يعبد ثم تبقى هذه الأمة وغبرات من أهل الكتاب معهم منافقوهم فيقال لهم ما شأنكم فيقولون ننتظر ربنا قال فيجيئهم الله في غير الصورة التي عرفوه فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك ، قال فيقول أتعرفونه بعلامة ترونها فيقولون نعم فيكشف لهم عن ساق فيقولون نعم أنت ربنا ويخرون للسجود فيسجد كل مؤمن وترجع أصلاب المنافقين عظما واحدا فلا يستطيعون سجودا وتأويل الحديث كتأويل الآية (ويدعون إلى السجود) تفسيره في الحديث الذي ذكرنا. فإن قيل كيف يدعون في الآخرة إلى السجود وليست الآخرة دار تكليف ؟ فالجواب : أنهم يدعون إليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود في الدنيا لا على وجه التكليف والعبادة (وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) أي قد كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود فيمتنعون منه وهم سالمون في أعضائهم قادرون عليه (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) تهديد للمكذبين بالقرآن وإعراب من يكذب مفعول

Marfat.com

مُثْقَلُونَ * أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۞ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۞ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۞

سـورة الحاقة

مكية وآياتها ٥٢ نزلت بعد الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۞ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۞ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۞ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ

معه أو معطوف ، وقد ذكرنا فى الأعراف سنستدرجهم وما بعده (أم تسألهم أجرا) معناه أنت لا تسألهم أجرة على الإسلام فتثقل عليهم فلا عذر لهم فى تركهم الإسلام، وقد فسرناهذا وما بعده فى الطور (فاصبر) يقتضى مسالمة للكفار، نسخت بالسيف (ولا تكن كصاحب الحوت) هو يونس عليه السلام وسماه صاحب الحوت لأن الحوت ابتلعه وهو أيضا ذو النون والنون هو الحوت، وقد ذكرنا قصته فى الأنبياء والصافات ، فنهى الله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله فى الضجر والاستعجال حتى ذهب مغاضبا ، وروى أن هذه الآية نزلت لما هم النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو على الكفار (إذ نادى وهو مكظوم) هذا آخر ما جرى ليونس، ونداؤه هو قوله فى بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، والمكظوم الشديد الحزن (لنبذ بالعراء وهو مذموم) هو جواب لولا والمنفى هو الذم لا نبذه بالعراء فإنه قد قال فى الصافات فنبذناه بالعراء فالمعنى لولا رحمة الله لنبذ بالعراء وهو مذموم لكنه نبذ وهو غير مذموم وقد ذكرنا العراء فى الصافات (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) عبارة عن شدة عداوتهم وإن مخففة من الثقيلة بدليل دخول اللام وليزلقونك معناه يهلكونك كقولك نظر فلان إلى عدوه نظرة كاد يصرعه وأصله من زلق القدم ، وقرئ بفتح الياء وضمها وهما لغتان وقيل إن المعنى يأخذونه بالعين وكان ذلك فى بنى أسد كان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يتكلم على شىء إلا أصابه بالعين فأراد بعضهم أن يصيب النبى صلى الله عليه وسلم فعصمه الله من ذلك ، وقال الحسن دواء من أصيب بالعين قراءة هذه الآية (وما هو إلا ذكر للعالمين) يعنى القرآن أو هو موعظة وتذكير للخلق

سـورة الحاقة

(الحاقة) هى القيامة ووزنها فاعلة وسميت الحاقة لأنها تحق أى يصح وجودها ، ولا ريب فى وقوعها ولأنها حقت لكل أحد جزاء عمله أو لأنها تبدى حقائق الأمور (ما الحاقة) ما استفهامية يراد بها التعظيم وهى مبتدأ وخبرها ما بعده والجملة خبر الحاقة ، وكان الأصل الحاقة ما هى ثم وضع الظاهر موضع المضمر زيادة فى التعظيم والتهويل ، وكذلك وما أدراك ما الحاقة لفظه استفهام والمراد به التعظيم والتهويل (بالقارعة)

Marfat.com

أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۞ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ۞ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۞ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۞ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۞ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ۞ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ

هى القيامة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها (بالطاغية) يعنى الصيحة التى أخذت ثمود وسميت بذلك لأنها جاوزت الحد فى الشدة ، وقيل الطاغية مصدر فكأنه قال أهلكوا بطغيانهم ، فهو كقوله كذبت ثمود بطغواها وقيل هى صفة لمحذوف تقديره أهلكوا بسبب الفعلة الطاغية أو الفئة الطاغية والباء على هذين القولين سببية وعلى القول الأول كقولك قتلت زيدا بالسيف (بريح صرصر عاتية) ذكر فى فصلت ، وعاتية أى شديدة وسميت بذلك لأنها عتت على عاد ، وقيل عتت على خزانها فخرجت بغير إذنهم (سخرها عليهم سبع ليال) روى أنها بدت صبيحة يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال ، وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكملة الشهر (حسوما) قال ابن عباس معناه كاملة متتابعة لم يتخللها غير ذلك ، وقيل معناه شؤما وقيل هو جمع حاسم من الحسم وهو القطع أى قطعتهم بالإهلاك فحسوما على القول الأول والثانى مصدر فى موضع الحال ، وعلى الثالث حال أو مفعول من أجله (فترى القوم فيها صرعى) جمع صريع وهو المطروح بالأرض ، والضمير المجرور يعود على منازلهم لأن المعنى يقتضيها وإن لم يتقدم ذكرها أو على الأيام والليالى ، أو على الريح (كأنهم أعجاز نخل خاوية) تقدم فى القمر معنى تشبيهم بأعجاز النخل ، والخاوية هى التى خلت من طول بلائها وفسادها (من باقية) أى من بقية ، وقيل من فئة باقية وقيل إنه مصدر بمعنى البقاء (ومن قبله) يريد من تقدم قبله من الأمم الكافرة وأقربهم إليه قوم شعيب ، والظاهر أنهم المراد لأن عادا وثمود قد ذكرا وقوم لوط هم المؤتفكات وقوم نوح قد أشير إليهم فى قوله لما طغى الماء حملناكم فى الجارية ، وقرئ بكسر القاف وفتح الباء ومعناه جنده وأتباعه (بالخاطئة) إما أن يكون مصدرا بمعنى الخطيئة أو صفة لمحذوف تقديره بالفعلة الخاطئة (فعصوا رسول ربهم) إن عاد الضمير على فرعون وقومه ، فالرسول موسى عليه السلام ، وإن عاد على المؤتفكات : فالرسول لوط عليه السلام ، وإن عاد على الجميع : فالرسول اسم جنس أو بمعنى الرسالة (رابية) أى عظيمة وهى من قولك ربا الشىء إذا كثر (طغى الماء) عبارة عن كثرته ، فيحتمل أن يريد أنه طغى على أهل الأرض أو على خزانه يعنى وقت طوفان نوح عليه السلام (حملناكم فى الجارية) هى السفينة ، فإن أراد سفينة نوح فمعنى حملناكم حملنا آباءكم لأن كل من على الأرض من ذرية نوح وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه فى السفينة ، وإن أراد جنس السفن فالخطاب على حقيقته (لنجعلها لكم تذكرة) الضمير للفعلة وهى الحمل فى السفينة وقيل للسفينة ، فإن أراد جنس السفن : فالمعنى أنها تذكرة بقدرة الله ونعمته لمن ركب أو سمع بها وإن أراد سفينة نوح فقد قيل إن الله أبقاها حتى رأى بعض عيدانها أول هذه الأمة (وتعيها أذن واعية) الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير لنجعلها ، وهذا يقوى أن يكون للفعلة ، والأذن الواعية هى التى تفهم ماتسمع وتحفظه ، يقال وعيت العلم إذا حصلته ، ولذلك عبر بعضهم عنها بأنها التى عقلت عن الله ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب إنى دعوت الله أن يجعلها أذنك ياعلى ، قال على فما نسيت

Marfat.com

وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ وَانْشَقَّتِ السَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ ۝ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ

بعد ذلك شيئاً سمعته ، قال الزمخشرى : إنما قال أذن واعية بالتوحيد والتنكير الدلالة على قلة الوعاة ولتوبيخ الناس بقلة من بقى منهم ، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا عقلت عن الله تعالى فهى المعتبرة عند الله دون غيرها (نفخة واحدة) يعنى نفخة الصور وهى الأولى (فدكتا) الضمير للأرض والجبال ، ومعنى دكتا ضرب بعضها ببعض حتى تندق ، وقال الزمخشرى : الدك أبلغ من الدق ، وقيل معناه بسطت حتى تستوى الأرض والجبال (وقعت الواقعة) أى قامت القيامة ، وقيل وقعت صخرة بيت المقدس وهذا ضعيف (واهية) أى مسترخية ساقطة القوة ، ومنه قولهم دار واهية أى ضعيفة الجدران (والملك على أرجائها) الملك هنا اسم جنس والأرجاء الجوانب واحدها رجا مقصور ، والضمير يعود على السماء ، والمعنى أن الملائكة يكونون يوم القيامة على جواب السماء لأنها إذا وهيت وقفوا على أطرافها ، وقيل يعود على الأرض لأن المعنى يقتضيه وإن لم يتقدم ذكرها ، وروى فى ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفا على جوانب الأرض والأول أظهر وأشهر (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال ابن عباس هى ثمانية صفوف من الملائكة لايعلم أحد عدتهم وقيل ثمانية أملاك رؤسهم تحت العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة ، ويؤيد هذا ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال هو اليوم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة قواهم الله بأربعة سواهم (يومئذ تعرضون) خطاب لجميع العالم والعرض البعث أو الحساب (خافية) أى حال خافية من الأعمال والسرائر ويحتمل المعنى لايخفى من أجسادهم لأنهم يحشرون حفاة عراة (فأما من أوتى كتابه بيمينه) الكتاب هنا صحائف الأعمال (هاؤم اقرؤا كتابيه) هاؤم اسم فعل ، قال ابن عطية معناه تعالوا وقال الزمخشرى هو صوت يفهم منه معنى خذ ، وكتابيه مفعول يطلبه هاؤم واقرؤا من ضمير المعنى تقديره هاؤم كتاب اقرؤا كتابى ثم حذف لدلالة الآخر عليه وعمل فيه العامل ، الثانى وهو اقرأوا عند البصريين ، والعامل الأول هو هاؤم عند الكوفيين ، والدليل على صحة قول البصريين أنه لو عمل الأول لقال اقرؤه ، والهاء فى كتابيه للوقف وكذلك فى حسابيه وماليه وسلطانيه وكان الأصل أن تسقط فى الوصل لكنها ثبتت فيه مراعاة لخط المصحف وقد أسقطها فى الوصل بعضهم ، ومعنى الآية أن العبد الذى يعطى كتابه بيمينه يقول للناس اقرأوا كتابيه على وجه الاستبشار والسرور بكتابه (إنى ظننت) الظن هنا بمعنى اليقين (راضية) أى ذات رضا كقولهم تامر لصاحب التمر قال ابن عطية ليست بياء اسم فاعل ، وقال الزمخشرى يجوز أن يكون اسم فاعل نسب الفعل إليها مجازا وهو لصاحبها حقيقة (قطوفها) جمع قطف وهو ما يجتنى من الثمار ويقطف كالعنقود (دانية) أى قريبة ، وروى أن العبد يأخذها بفمه من شجرها على أى حال كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع (أسلفتم) أى قدمتم من الأعمال الصالحة (فى الأيام الخالية) أى الماضية يعنى أيام الدنيا (وأما من أوتى كتابه

يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۞ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۞ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۞ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۞ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۞ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۞ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۞ لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَٰطِئُونَ ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۞ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا

بشماله) هم الكفار بدليل قوله إنه كان لا يؤمن بالله العظيم فجعل علة إعطائهم كتبهم بشمالهم عدم إيمانهم ، وأما المؤمنون فيعطون كتبهم بأيمانهم ، لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم ، هل يعطى كتابه قبل دخول النار أو بعد خروجه منها ؟ وهذا أرجح لقوله هاؤم اقرأوا كتابيه لأن هذا كلام مسرور فيبعد أن يقوله من يحمل إلى النار (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) أى يتمنى أنه لم يعط كتابه وقال ابن عطية يتمنى أن يكون معدوماً لا يجرى عليه شيء والأول أظهر (ياليتها كانت القاضية) أى ليت الموتة الأولى كانت القاضية بحيث لا يكون بعدها بعث ولا إحياء (ما أغنى عنى ماليه) يحتمل أن يكون نفياً أو استفهاماً يراد به النفى (هلك عنى سلطانيه) أى زال عنى ملكى وقدرتى وقيل ذهبت عنى حجتى (خذوه) خطاب للزبانية يقوله لهم الله تعالى أو الملائكة بأمر الله (فغلوه) أى اجعلوا أغلالاً فى عنقه ؛ وروى أنها نزلت فى أبى جهل (ذرعها سبعون ذراعا) معنى ذرعها أى طولها ،واختلف فى هذا الذراع فقيل إنه الذراع المعروف ، وقيل بذراع الملك وقيل فى الذراع سبعون باعا ، كل باع ما بين مكة والكوفة ولله در الحسن البصرى فى قوله الله أعلم بأى ذراع هى ، جعلها سبعين ذراعا لإرادة وصفها بالطول فإن السبعين من الأعداد التى تقصد بها العرب التكثير ، ويحتمل أن تكون هذه السلسلة لكل واحد من أهل النار أو تكون بين جميعهم وقد حكى الثعلبى ذلك (فاسلكوه) أى أدخلوه ، وروى أن هذه السلسلة تدخل فى فم الكافر وتخرج من دبره ، فاسلكوه على هذا من المقلوب فى المعنى كقولهم أدخلت القلنسوة فى رأسى وروى أنها تلتوى عليه حتى تعمه وتضغطه فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك فيها ، وإنما قدم قوله فى سلسلة على اسلكوه لإرادة الحصر أى لا تسلكوه إلا فى هذه السلسلة وكذلك قدم الجحيم على صلوه لإرادة الحصر أيضا (طعام المسكين) يحتمل أنه أراد إطعام مسكين فوضع الاسم موضع المضمر أو يقدر لا يحض على بذل طعام المسكين وأضاف الطعام إلى المسكين لأن له إليه نسبة ووصفه بأنه لا يحض على طعام المسكين يدل على أنه لا يطعمه من باب أولى ، وهذه الآية تدل على عظم الصدقة وفضلها ، لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله (فليس له اليوم هاهنا حميم) فيه قولان : أحدهما : ليس له صديق والآخر ليس له شراب (ولا طعام إلا من غسلين) فإن الحميم الماء الحار ، والغسلين صديد أهل النار عند ابن عباس وقيل شجر يأكله أهل النار ، وقال اللغويون هو ما يجرى من الجراح إذا غسلت وهو فعلين من الغسل (الخاطئون) جمع خاطئ وهو الذى يفعل ضد الصواب متعمدا والمخطئ الذى يفعله بغير تعمد (فلا أقسم) لا زائدة غير نافية (بما تبصرون وما لا تبصرون) يعنى جميع الأشياء لأنها تنقسم إلى ما يبصر وما لا يبصر كالدنيا والآخرة والإنس والجن والأجسام والأرواح وغير ذلك (إنه لقول رسول كريم) هذا جواب القسم والضمير للقرآن والرسول الكريم جبريل وقيل لمحمد عليه الصلاة والسلام (قليلا ما تؤمنون) قال ابن عطية يحتمل أن تكون ما نافية ، فنفى إيمانهم بالجملة

مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝
لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَإِنَّا
لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝

سـورة المعارج

مكية وآياتها ٤٤ نزلت بعد الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝

أو تكون مصدرية فوصف إيمانهم بالقلة، وقال الزمخشري القلة هنا بمعنى العدم. أي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة (ولو تقول علينا بعض الأقاويل) التقول هو أن ينسب إلى أحد مالم يقل، ومعنى الآية لو تقول علينا محمد لعاقبناه، ففي ذلك برهان على أن القرآن من عند الله (لأخذنا منه باليمين) قال ابن عباس اليمين هنا القوة ومعناه لو تقول علينا لأخذناه بقوتنا وقيل هي عبارة عن الهوان كما يقال لمن يسجن أخذ بيده وبيمينه. قال الزمخشري معناه لو تقول علينا لقتلناه، ثم صور صورة القتل ليكون أهول، وعبر عن ذلك بقوله: لأخذنا منه باليمين لأن السياف إذا أراد أن يضرب المقتول في جسده أخذ بيده اليمنى ليكون ذلك أشد عليه لنظره إلى السيف (الوتين) نياط القلب، وهو عرق إذا قطع مات صاحبه، فالمعنى لقتلناه (فما منكم من أحد عنه حاجزين) الحاجز المانع، والمعنى لو عاقبناه لم يمنعه أحد منكم ولم يدفع عنه وإنما جمع حاجزين لأن أحد في معنى الجماعة (وإنه لتذكرة) الضمير للقرآن وقيل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والأول أظهر (وإنه لحسرة على الكافرين) أي حسرة عليهم في الآخرة، لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب المؤمنين (وإنه لحق اليقين) قال الكوفيون هذا من إضافة الشيء إلى نفسه. كقولك: مسجد الجامع، وقال الزمخشري المعنى عين اليقين ومحض اليقين، وقال ابن عطية ذهب الحذاق إلى أن الحق مضاف إلى الأبلغ ...

سـورة المعارج

(سأل سائل بعذاب واقع) من قرأ سائل بالهمز احتمل معنيين أحدهما أن يكون بمعنى الدعاء أي دعا داع بعذاب واقع، وقد تكون الإشارة إلى قول الكفار أمطر علينا حجارة من السماء وكان الذي قالها النضر بن الحرث، والآخر أن يكون بمعنى الاستخبار أي سأل سائل عن عذاب واقع، والباء على هذا بمعنى عن وتكون الإشارة إلى قوله متى هذا الوعد وغير ذلك. وأما من قرأ سال بغير همز فيحتمل وجهين. أحدهما: أن يكون مخففا من المهموز. فيكون فيه المعنيان المذكوران، والثاني أن يكون من سال السيل إذا جرى ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس سال سيل، وتكون الباء على هذا كقولك ذهبت بزيد وإذا كان من السيل احتمل وجهين: أحدهما أن يكون شبه العذاب في شدته وسرعة وقوعه بالسيل وثانيهما أن تكون حقيقة قال زيد بن ثابت في جهنم واد يقال له سائل فتلخص من هذا أن في القراءة بالهمز يحتمل معنيين وفي القراءة بغير همز أربعة معان (للكافرين) يحتمل أن يتعلق بواقع

Marfat.com

تَعْرُجُ الْمَلَٰئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝ يُبَصَّرُونَهُمْ

وتكون اللام بمعنى على أو تكون صفة للعذاب أو يتعلق بسأل إذا كانت بمعنى دعا أى دعا للكافرين بعذاب أو تكون مستأنفا كأنه قال هو للكافرين (من الله) يحتمل أن يتعلق بواقع أى واقع من عند الله أو بدافع أى ليس له دافع من عند الله أو يكون صفة للعذاب أو مستأنفا (ذى المعارج) جمع معرج وهو المصعد إلى علو كالسلم والمدارج التى يرتقى بها قال ابن عطية هى هنا مستعارة فى الفضائل والصفات الحميدة وقيل هى المراقى إلى السماء وهذا أظهر لأنه فسرها بما بعدها من عروج الملائكة (والروح إليه) أى إلى عرشه ومن حيث تهبط أوامره وقضاياه فالعروج هو من الأرض إلى العرش والروح هنا جبريل عليه السلام بدليل قوله نزل به الروح الأمين على قلبك وقيل الروح ملائكة حفظة على الملائكة وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقل وقيل الروح جنس أرواح الناس وغيرهم (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) اختلف فى هذا اليوم على قولين: أحدهما أنه يوم القيامة والآخر أنه فى الدنيا والصحيح أنه يوم القيامة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث مانع الزكاة مامن صاحب ذهب ولافضة لايؤدى زكاتها إلا صفحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد يعنى يوم القيامة ثم اختلف هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة وهذا هو الأظهر أو هل وصف بذلك لشدة أهواله كما يقال يوم طويل إذا كان فيه مصائب وهموم وإذا قلنا إنه فى الدنيا فالمعنى أن الملائكة والروح يعرجون فى يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا فى خمسين ألف سنة وقيل الخمسون ألف سنة هى مدة الدنيا والملائكة تعرج وتنزل فى هذه المرة وهذا كله على أن يكون قوله فى يوم يتعلق بتعرج ويحتمل أن يكون فى يوم صفة للعذاب فيتعين أن يكون اليوم يوم القيامة والمعنى على هذا مستقيم (فاصبر) هذا متصل بما قبله من العذاب وغيره أى اصبر على أقوال الكافرين حتى يأتيهم العذاب ولذلك وصفه بالقرب مبالغة فى تسلية النبى صلى الله عليه وسلم (إنهم يرونه بعيدا) يحتمل أن يعود الضمير على العذاب أو على اليوم الذى مقداره خمسين ألف سنة والبعيد يحتمل أن يراد به بعد الزمان أو بعد الإمكان وكذلك القرب يحتمل أن يراد به قرب الزمان لأن كل آت قريب ولأن الساعة قد قربت وقرب الإمكان لقدرة الله عليه (يوم تكون السماء كالمهل) يوم هنا بدل من يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أو بدل من الضمير المنصوب فى نراه أو منصوب بقوله قريبا أو بقوله يود المجرم أو بفعل مضمر تقديره اذكر والمهل هو دردى الزيت شبه السماء به فى سوادها وانكدار أنوارها يوم القيامة وقيل هو ما أذيب من الفضة ونحوها شبه السماء به فى تلونه (وتكون الجبال كالعهن) العهن هو الصوف شبه الجبال به فى انتفاشه وتخلخل أجزائه وقيل هو الصوف المصبوغ ألوانا فيكون التشبيه فى الانتفاش وفى اختلاف الألوان لأن الجبال منها بيض وسود وحمر (ولا يسأل حميم حميما) الحميم هنا الصديق والمعنى لا يسأل أحد من حميمه نصرة ولا إعانة لعلمه أنه لا يقدر له على شىء، وقيل لا يسأله عن حاله لأن كل أحد مشغول بنفسه (يبصرونهم) يقال بصر الرجل بالرجل إذا رآه وبصرته إياه بالتشديد إذا أريته إياه والضميران يعودان على الحميمين لأنهما فى معنى الجمع، والمعنى أن كل حميم يبصر حميمه يوم القيامة فيراه ولكنه لا يسأله

يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۝ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۝ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ۝ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۝

(وصاحبته) يعنى امرأته (وفصيلته) يعنى القرابة الأقربين (تؤويه) أى تضمه فيحتمل أن يريد تضمه فى الانتماء إليها أو فى نصرته وحفظه من المضرات (ثم ينجيه) الفاعل الافتداء الذى يقتضيه لو يفتدى وهذا الفعل معطوف على لو يفتدى وإنما عطفه بثم إشعاراً ببعد النجاة وامتناعها ولذلك زجره عن ذلك بقوله (كلا إنها لظى) الضمير للنار لأن العذاب يدل عليها ، ويحتمل أن يكون ضمير القصة وفسره بالخبر ولظى علم لجهنم مشتق من اللظى بمعنى اللهب (نزاعة للشوى) الشوى أطراف الجسد وقيل جلد الرأس فالمعنى أن النار تنزعها ثم تعود ونزاعة بالرفع بدل من لظى أو خبر ابتداء مضمر أو خبر لإنها إن جعلنا لظى منصوبا على التخصيص أو بدل من الضمير ، أو خبر ثان لإنها إن جعلنا لظى خبر لها ونزاعة بالنصب حال (تدعو من أدبر وتولى) يعنى الكفار الذين تولوا عن الإسلام ودعاؤها لهم عبارة عن أخذها لهم وقال ابن عباس تدعوهم حقيقة بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وقيل معناه تهلك حكاه الخليل عن العرب (وجمع فأوعى) يقال أوعيت المال وغيره اذا جمعته فى وعاء ، فالمعنى جمع المال وجعله فى وعاء وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من غير حله ومنعوه من حقه (إن الإنسان خلق هلوعا) الإنسان هنا اسم جنس بدليل الاستثناء منه ، سئل أحمد بن يحيي مؤلف الفصيح عن الهلوع فقال قد فسره الله فلا تفسيراً بين من تفسيره وهو قوله « إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا » وذكره الله على وجه الذم لهذه الخلائق ، ولذلك استثنى منه المصلين لأن صلاتهم تحملهم على قلة الاكتراث بالدنيا فلا يجزعون من شرها ولا يبخلون بخيرها (الذين هم على صلاتهم دائمون) الدوام عليها هو المواظبة بطول العمر والمحافظة عليها المذكورة بعد ذلك هى أداؤها فى أوقاتها وتوفية الطهارة لها (حق معلوم) قد ذكرنا فى الذاريات معنى حق والسائل والمحروم ، ووصفه هنا بالمعلوم إن أراد الزكاة فهى معلومة المقدار شرعا وإن أراد غيرها فمعنى المعلوم أن العبد يجعل على نفسه وظيفه معلومة عنده (غير مأمون) أى لا يكون أحد آمنا منه فإن الأمن من عذاب الله حرام فلا ينبغى للعبد أن يزيل عنه الخوف حتى يدخل الجنة (لأماناتهم وعهدهم) ذكر فى المؤمنين وكذلك لفروجهم حافظون (والذين هم بشهاداتهم قائمون) قال ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال الجمهور يعنى الشهادة عند الحكام ثم اختلف على هذا فى

Marfat.com

فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ * عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ۝ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ۝ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝

معنى القيام بها فقيل هو التحقيق لها كقوله صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهدوا وقيل هو المبادرة إلى أدائها من غير امتناع فأما إن دعى الشاهد إلى الأداء فهو واجب عليه وأما إذا لم يدع إلى الأداء فالشهادة على ثلاثة أقسام أحدها حقوق الناس ، فلا يجوز أداؤها حتى يدعوه صاحب الحق إلى ذلك ، والثانى حقوق الله التى يستدام فيها التحريم كالطلاق والعتق والأحباس ، فيجب أداء الشهادة بذلك دعى أو لم يدع الثالث حقوق الله التى لا يستدام فيها التحريم كالحدود فهذا ينبغى ستره ، حتى يدعى إليه (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين) أى مسرعين مقبلين إليك بأبصارهم ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الكفار ينظرون إليه ويستمعون قراءته ، ومعنى قبلك فى جهتك وما يليك (عزين) أى جماعات شتى وهو جمع عزة بتخفيف الزاى وأصله عزوة ، وقيل عزهة ثم حذفت لامها وجمعت بالواو والنون عوضا من اللام المحذوفة (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) كانوا يقولون إن كان ثم جنة فنحن أهلها (كلا) ردع لهم عما طمعوا فيه من دخول الجنة (إنا خلقناهم مما يعلمون) كناية عن المنى الذى خلق الإنسان منه ، وفى المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه أحدها : تحقير الإنسان والرد على المتكبرين كما قال بعضهم إن الإنسان خلق من نطفة مذرة ويصير جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة ، الثانى الرد على الكفار فى طمعهم أن يدخلوا الجنة كأنه يقول إنا خلقناكم مما خلقنا منه الناس ، فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح لأنكم سواء فى الخلقة ، الثالث الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين فهو قادر على أن يعيدهم كقوله ألم يك نطفة من منى يمنى ، إلى آخر السورة (فلا أقسم) معناه أقسم ولا زائدة (رب المشارق والمغارب) ذكر فى الصافات (إنا القادرون على أن نبدل خيرا منهم) تهديد للكفار بإهلاكهم وإبدال خير منهم (وما نحن بمسبوقين) أى مغلوبين والمعنى إنا لا نعجز عن التبديل المذكور أو عن البعث (فذرهم) وعيد لهم وفيه مهادنة منسوخة بالسيف (يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة بدليل أنه أبدل منه (يوم يخرجون من الأجداث) وهى القبور (كأنهم إلى نصب يوفضون) النصب الأصنام، وأصله كل مانصب إلى الإنسان فهو يقصد إليه مسرعا من علم أو بناء أو غير ذلك وفيه لغات فتح النون وإسكان الصاد وضم النون وإسكان الصاد وضمها ويوفضون معناه يسرعون والمعنى أنهم يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر كما يسرعون المشى إلى أصنامهم فى الدنيا

Marfat.com

سورة نوح

مكية وآياتها ٢٨ نزلت بعد النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝
قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ
أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝
فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ

سورة نوح عليه السلام

(أن أنذر) و (أن اعبدوا) يحتمل أن تكون أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن أنذر وبأن اعبدوا والأول أظهر (عذاب أليم) يحتمل أن يريد عذاب الآخرة أو الغرق الذى أصابهم (يغفر لكم من ذنوبكم) من هنا للتبعيض أى يغفر لكم مافعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا لأن الإسلام يجب ماقبله ولم يضمن أن يغفر لهم مابعد إسلامهم، لأن ذلك فى مشيئة الله تعالى وقيل إن من هنا زائدة وذلك باطل لأن من لاتزاد عند سيبويه إلا فى غير الواجب وقيل هى لبيان الجنس وقيل لابتداء الغاية وهذان القولان ضعيفان فى المعنى والأول هو الصحيح لأن التبعيض فيه متجه (ويؤخركم إلى أجل مسمى) ظاهر هذا يقتضى أنهم إن فعلوا ماأمروا به أخروا إلى أجل مسمى وإن لم يفعلوا لم يؤخروا وذلك يقتضى القول بالأجلين وهو مذهب المعتزلة وعلى هذا حملها الزمخشرى، وأما على مذهب أهل السنة فهى من المشكلات وتأولها ابن عطية فقال ليس للمعتزلة فى الآية مجال لأن المعنى أن نوحا عليه الصلاة السلام لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل ولاقال لهم إنكم تؤخرون عن أجل قدحان لكن قد سبق فى الأزل إما ممن قضى له بالإيمان والتأخير أو ممن قضى له بالكفر والمعاجلة وكان نوحا عليه السلام قال لهم آمنوا يظهر فى الوجود أنكم ممن قضى له بالإيمان والتأخير وإن بقيتم على كفركم يظهر فى الوجود أنكم ممن قضى عليه بالكفر والمعاجلة فكان الاحتمال الذى يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يبرزه الغيب من حالهم إذ يمكن أن يبرز إما الإيمان والتأخير وإما الكفر والمعاجلة وأما عند الله فالحال الذى يكون منهم معلوم مقدر محتوم وأجلهم كذلك معلوم مقدر محتوم (إن أجل الله إذا جاء لايؤخر) هذا يقتضى أن الأجل محتوم كما قال تعالى فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وفى هذا حجة لأهل السنة وتقوية للتأويل الذى ذكرنا وفيه أيضا رد على المعتزلة فى قولهم بالأجلين ولما كان كذلك قال الزمخشرى إن ظاهر هذا مناقض لما قبله من الوعد بالتأخير إن آمنوا وتأول ذلك على مقتضى مذهبه بأن الأجل الذى لا يؤخر هو الأجل الثانى وذلك أن قوم نوح قضى الله أنهم إن آمنوا عمرهم الله مثلا ألف عام وإن لم يؤمنوا عمرهم تسعمائة عام فالألف عام هى التى تؤخر إذا جاءت والتسعمائة عام هى التى وعدوا بالتأخير عنها إلى الألف عام إن آمنوا (دعوتهم لتغفر لهم) أى دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم فذكر المغفرة التى هى سبب عن الإيمان ليظهر قبح إعراضهم عنه فإنهم أعرضوا عن سعادتهم (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) فعلوا ذلك لئلا

Marfat.com

وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ٥ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ٥ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ٥ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ٥ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ٥ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ٥ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ٥ ثُمَّ

يسمعوا كلامه فيحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم حتى كأنهم فعلوا ذلك (واستغشوا ثيابهم) أى جعلوها غشاوة عليهم لئلا يسمعوا كلامه أو لئلا يراهم ويحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون عبارة عن إعراضهم (وأصروا) أى داوموا على كفرهم (دعوتهم جهارا) إعراب جهارا مصدر من المعنى كقولك قعد القرفصاء أو صفة لمصدر محذوف تقديره دعا جهارا أو مصدر فى موضع الحال أى مجاهرا (ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) ذكر أولا أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهارا، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار ، وهذه غاية الجد فى النصيحة وتبليغ الرسالة صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال ابن عطية الجهار دعاؤهم فى المحافل ومواضع اجتماعهم ، والإسرار دعاء كل واحد على حدته (يرسل السماء عليكم مدرارا) مفعول من الدر وهو كثرة الماء، وفى الآية دليل على أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار ولذلك خرج عمر بن الخطاب إلى الاستسقاء فلم يزد على أن استغفر ثم انصرف فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال والله لقد استسقيت أبلغ الاستسقاء ثم نزل المطر وشكا رجل إلى الحسن الجدب فقال له استغفر الله (مالكم لاترجون لله وقارا) فيه أربع تأويلات : أحدها أن الوقار بمعنى التوقير والكرامة فالمعنى مالكم لاترجون أن يوقركم الله فى دار ثوابه قال ذلك الزمخشرى وقوله لله على هذا بيان للموقر ولو تأخر لكان صفة لوقارا . والثانى أن الوقار بمعنى التؤدة والتثبت والمعنى مالكم لاترجون لله وقارا متثبتين حتى تتمكنون من النظر بوقاركم وقوله لله على هذا مفعول دخلت عليه اللام كقولك ضربت لزيد وإعراب وقارا على هذا مصدر فى موضع الحال ، الثالث : أن الرجاء هنا بمعنى الخوف والوقار بمعنى العظمة والسلطان فالمعنى مالكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه ولله على هذا صفة للوقار فى المعنى ، الرابع : أن الرجاء بمعنى الخوف والوقار بمعنى الاستقرار من قولك وقر بالمكان إذا استقر فيه والمعنى مالكم لاتخافون الاستقرار فى دار القرار إما فى الجنة أو النار (وقد خلقكم أطوارا) أى طورا بعد طور ، يعنى أن الإنسان كان نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى سائر أحواله ، وقيل الأطوار الأنواع المختلفة ، فالمعنى أن الناس على أنواع فى ألوانهم وأخلاقهم وألسنتهم وغير ذلك (طباقا) ذكر فى الملك (وجعل القمر فيهن نورا) القمر إنما هو فى السماء الدنيا وساغ أن يقول فيهن لما كان فى إحداهن فهو فى الجميع كقولك ، فلان فى الأندلس ، إذا كان فى بعضها والشمس فى السماء الرابعة وقيل فى الخامسة وجعل القمر نورا والشمس سراجا . لأن ضوء السراج أقوى من النور فإن السراج هو الذى يضىء فيبصر به والنور قد يكون أقل من ذلك (والله أنبتكم من الأرض نباتا) هذا عبارة عن إنشائهم من تراب الأرض ونباتا مصدر على غير المصدر أو يكون تقديره أنبتكم فنبتم إنباتا ويحتمل أن يكون منصوبا على الحال (ثم يعيدكم فيها) يعنى بالدفن

Marfat.com

يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ۝ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ۝ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۝ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ۝ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۝

(ويخرجكم إخراجا) يعنى بالبعث من القبور (والله جعل لكم الأرض بساطا) شبه الأرض بالبساط فى امتدادها واستقرار الناس عليها وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كروية خلافا لما ذهب إليه أهل التعديل وفى ذلك نظر (سبلا فجاجا) ذكر فى الأنبياء (واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) يعنى اتبعوا أغنياءهم وكبراءهم وقرئ ولده بفتحتين وولد بضم الواو وسكون اللام وهما بمعنى واحد (ومكروا مكرا كبارا) الكبار بالتشديد أبلغ من الكبار بالتخفيف والكبار بالتخفيف أبلغ من الكبير (وقالوا لاتذرن آلهتكم) أى وصى بعضهم بعضا بذلك (ولاتذرن ودا ولا سواعا) هذه أسماء أصنامهم ، كان قوم نوح يعبدونها وروى أنها أسماء رجال صالحين كانوا فى صدر الدنيا ، فلما ماتوا صورهم أهل ذلك العصر من حجارة وقالوا ننظر إليها لنتذكر أعمالهم الصالحة ، فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيمهم من بعدهم لملك الصور حتى عبدوها من دون الله ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها وقيل بل الأسماء فقط إلى قبائل العرب ، فكان ودّ لكلب بدومة الجندل وكان سواع لهذيل وكان يغوث لمراد وكان يعوق لهمدان وكان نسراً لذى الكلاع من حمير وقرئ ودا بفتح الواو وضمها وهما لغتان (وقد أضلوا كثيرا) الضمير للرؤساء من قوم نوح والمعنى أضلوا كثيرا من أتباعهم وهذا من كلام نوح عليه السلام ، وكذلك لاتزد الظالمين إلا ضلالا من كلامه وهو دعاء عليهم وقال الزمخشرى إنه معطوف على قوله « رب إنهم عصونى » والتقدير قال رب إنهم عصونى وقال « لاتزد الظالمين إلا ضلالا » (مما خطيئاتهم أغرقوا) هذا من كلام الله إخبارا عن أمرهم ، وما زائدة للتأكيد وإنما قدم هذا المجرور للتأكيد أيضا ليبين أن إغراقهم وإدخالهم النار إنما كان بسبب خطاياهم وهى الكفر وسائر المعاصى (فأدخلوا نارا) يعنى جهنم وعبر عن ذلك بالفعل الماضى لأن الأمر محقق وقيل أراد عرضهم على النار وعبر عنه بالإدخال (وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً) دياراً من الأسماء المستعملة فى النفى العام يقال ما فى الدار ديار أى ما فيها أحد ووزنه فيعال وكان أصله ديوار ثم قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وليس وزنه فعال لأنه لو كان كذلك لقيل دوار لأنه مشتق من الدور أو من الدار ، وروى أن نوحا عليه السلام لم يدع على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يئس من إيمانهم وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم (رب اغفر لى ولوالدىّ) يؤخذ من هذا أن سنة الدعاء أن يقدم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره وكان ولدا نوح عليه السلام مؤمنين قال ابن عباس لم يكن لنوح ابن كافر ما بينه وبين آدم عليهما السلام واسم والد نوح لمك بن متوشلخ وأمه شمخا

Marfat.com

ســـورة الجن

مكية وآياتها ٢٨ نزلت بعـــد الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرءانا عجبا ۝ يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ۝ وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ۝ وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا ۝ وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا ۝ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ۝ وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا ۝ وأنا لمسنا

بنت أنوش ، حكاه الزمخشرى (ولمن دخل بيتى مؤمناً) قيل بيتـه المسجد وقيل السفينة وقيل شريعته سماها بيتا استعارة وهذا بعيد وقيل داره وهذا أرجح لأنه الحقيقة (وللمؤمنين والمؤمنات) هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم ، وفيه دليل على جواز ذلك خلافا لمن قال من المتأخرين أنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم ، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة ، قال بعض العلماء إن الإله الذى استجاب لنوح عليه السلام فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات (تبارا) أى هلاكا والله أعلم

ســـورة الجن

(قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) تقدمت فى الأحقاف قصة هؤلاء الجن الذين استمعوا القرآن من النبى صلى الله عليه وسلم وأسلموا (فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا) أى قال ذلك بعضهم لبعض وعجبا مصدر وصف به للمبالغة لأن العجب مصدر قولك عجبت عجبا وقيل هو على حذف مضاف تقديره ذا عجب (وأنه تعالى جد ربنا) جد الله جلاله وعظمته وقيل معناه من قولك فلان مجدود إذا استغنى وقرئ أنه فى هذا الموضع بفتح الهمزة وكسرها وكذلك فيما بعده إلى قوله وأنا منا المسلمون فأما الكسر فاستئناف أو عطف على إنا سمعنا لكنه كسر فى معمول القول فيكون ما عطف عليه من قول الجن وأما الفتح فقيل إنه عطف على قوله أنه استمع نفر وهذا خطأ من طريق المعنى لأن قوله استمع نفر فى موضع معمول أوحى فيلزم أن يكون المعطوف عليه مما أوحى وأن لا يكون من كلام الجن وقيل إنه معطوف على الضمير المجرور فى قوله آمنا به وهذا ضعيف لأن الضمير المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض وقال الزمخشرى هو معطوف على محل الجار والمجرور فى آمنا به كأنه قال صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وكذلك ما بعده ولا خلاف فى فتح ثلاث مواضع وهى : أنه استمع ، وأن لو استقاموا ، وأن المساجد لله ؛ لأن ذلك مما أوحى لا من كلام الجن (وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا) هذا من كلام الجن وسفيههم أبوهم إبليس ، وقيل هو اسم جنس لكل سفيه منهم واختار ذلك ابن عطية ، والشطط التعدى ومجاوزة الحد (وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا) أى ظننا أن الأقوال التى كان الإنس والجن يقولونها على الله صادقة وليست بكذب لأنا ظننا أنه لا يكذب أحد على الله (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) تفسير هذا ما روى أن العرب كانوا إذا حل أحد منهم بواد صاح بأعلى صوته ياعزيز هذا الوادى إنى أعوذ بك من

Marfat.com

السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ۝ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ۝ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ

السفهاء الذين فى طاعتك ويعتقد أن ذلك الجن الذى بالوادى يحميه (فزادوهم رهقا) ضمير الفاعل للجن وضمير المفعول للإنس والمعنى أن الجن زادوا الإنس ضلالا وإثما لما عاذوا بهم أو زادوهم تخويفا لما رأوا ضعف عقولهم ، وقيل ضمير الفاعل للإنس وضمير المفعول للجن والمعنى أن الإنس زادوا الجن تكبرا وطغيانا لما عاذوا بهم حتى كان الجن يقول أنا سيد الجن والإنس (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا) الضمير فى ظنوا لكفار الإنس وظننتم خطاب الجن بعضهم لبعض ، فالمعنى أن كفار الإنس والجن ظنوا أن لن يبعث الله أحدا ، والبعث هنا يحتمل أن يريد به بعث الرسل أو البعث من القبور (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) هذا إخبار عن ماحدث عند مبعث النبى صلى الله عليه وسلم من منع الجن من استراق السمع من السماء ورجمهم واللمس المس واستعير هنا للطلب ، والحرس اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ، ولذلك وصف بشديد وهو مفرد ويحتمل أن يريد به الملائكة الحراس أو النجوم الحارسة وكرر الشهب لاختلاف اللفظ (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) المقاعد جمع مقعد وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة قعود الجن أنهم كانوا واحدا فوق واحد فمتى أحرق الأعلى طلع الذى تحته مكانه فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها ثم يزيد الكهان للكلمة مائة كذبة (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) الرصد اسم جمع للراصد كالحراس للحارس وقال ابن عطية هو مصدر وصف به ومعناه منتظر قال بعضهم إن رمى الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم . اختار ابن عطية والزمخشرى أنه كان قبل المبعث قليلا ، ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية والدليل أنه كان قبل المبعث قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقد رأى كوكبا انقض ما كنتم تقولون لهذا فى الجاهلية ؟ قالوا كنا نقول ولد ملك أو مات ملك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الأمر كذلك ثم وصف استراق الجن للسمع وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك فى أشعارهم (وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض) الآية : قال ابن عطية معناه لا ندرى أيؤمن الناس بهذا النبى فيرشدوا ، أو يكفرون به فينزل بهم الشر؟ وقال الزمخشرى ، معناه لا ندرى هل أراد الله بأهل الأرض خيرا أو شرا من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو من توفيق؟ (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك) أى منا قوم دون ذلك فحذف الموصوف وأراد به الذين ليس صلاحهم كاملا أو الذين ليس لهم صلاح فإن دون قد تكون بمعنى أقل أو بمعنى غير (كنا طرائق قددا) الطرائق المذاهب والسير وشبهها والقدد المختلفة وهو جمع قدة وهذا بيان للقسمة المذكورة قبل وهو على حذف مضاف أى كنا ذوى طرائق (وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض) الظن هنا بمعنى العلم ، وقال ابن عطية هذا إخبار منهم عن حالهم بعد إيمانهم ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد قبل إسلامهم (سمعنا الهدى) يعنون القرآن (فلا

Marfat.com

تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝ وَأَمَّا الْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝ وَأَلَّوِ اسْتَقَٰمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّاءً غَدَقًا ۝ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝ وَأَنَّ الْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۝ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۝ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ

يخاف بخسا ولا رهقا) البخس النقص والظلم ، والرهق تحمل مالا يطاق ، وقال ابن عباس البخس نقص الحسنات ، والرهق الزيادة فى السيئات (ومنا القاسطون) يعنى الظالمين : يقال قسط الرجل إذا جار، وأقسط بالألف إذا عدل وهاهنا انتهى ماحكاه الله من كلام الجن ، وأما قوله فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا يحتمل أن يكون من بقية كلامهم أو يكون ابتداء كلام الله تعالى وهو الذى اختاره ابن عطية ، وأما قوله وأن لو استقاموا فهو من كلام الله باتفاق وليس من كلامهم (تحروا) أى قصدوا الرشد (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) الماء الغدق الكثير وذلك استعارة فى توسيع الرزق والطريقة هى طريقة الإسلام وطاعة الله فالمعنى لو استقاموا على ذلك لوسع الله أرزاقهم فهو كقوله «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » وقيل هى طريقة الكفر والمعنى على هذا لو استقاموا على الكفر لوسع الله عليهم فى الدنيا أملا كهم استدراجا ويؤيد هذا قوله «لنفتنهم فيه» والأول أظهر ، والضمير فى استقاموا يحتمل أن يكون للمسلمين أو للقاسطين المذكورين أو لجميع الجن أو للجن الذين سمعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو لجميع الخلق (لنفتنهم فيه) إن كانت الطريقة الإيمان والطاعة ، فمعنى الفتنة الاختبار هل يسلمون أم لا وإن كانت الطريقة الكفر فمعنى الفتنة الإضلال والاستدراج (نسلكه عذابا صعدا) معنى نسلكه ندخله والصعد الشديد المشقة وهو مصدر صعد يصعد ووصف بالمصدر للمبالغة يقال فلان فى صعد أى فى مشقة وقيل صعدا جبل فى النار (وأن المساجد لله) أراد المساجد على الإطلاق وهى بيوت عبادة الله ، وروى أن الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة ، وقيل أراد الأعضاء التى يسجد عليها واحدها مسجد بفتح الجيم وهذا بعيد ، وعطف أن المساجد لله على أوحى إلى أنه استمع وقال الخليل معنى الآية لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ، أى لهذا السبب فلا تعبدوا غير الله (وأنه لما قام عبدالله يدعوه) عبدالله هنا محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بالعبودية اختصاصا له وتقريبا وتشريفا وقال الزمخشرى أنه سماه هنا عبد الله ولم يقل الرسول أو النبى لأن هذا واقع فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه لأنه مما أوحى إليه فذكر صلى الله عليه وسلم نفسه على مايقتضيه التواضع والتذلل وهذا الذى قاله بعيد مع أنه إنما يمكن على قراءة أنه لما قام بفتح الهمزة فيكون عطفا على أوحى إلى أنه استمع وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف فيكون إخبارا من الله أو من جملة كلام الجن فيبطل ماقاله (كادوا يكونون عليه لبدا) اللبد الجماعات واحدها لبدة والضمير فى كادوا يحتمل أن يكون للكفار من الناس أى كادوا يجتمعون على الرد عليه وإبطال أمره أو يكون للجن الذين استمعوا أى كادوا يجتمعون عليه

Marfat.com

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۝ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ۝ عَٰلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝

لاستماع القرآن والبركة به (ملتحدا) أى ملجأ (إلا بلاغا) بدل من ملتحدا أى لا أجد منجأ إلا بلاغ الرسالة ويحتمل أن يكون استثناء منقطعا (من الله) قال الزمخشرى هذا الجار والمجرور ليس بصلة البلاغ إنما هو بمعنى بلاغا كائناً من الله ويحتمل عندى أن يكون متعلقا ببلاغا والمعنى بلاغ من الله (ورسالاته) قال الزمخشرى إنه معطوف على بلاغا كأنه قال إلا التبليغ والرسالة ، ويحتمل أن يكون ورسالاته معطوفا على اسم الله (ومن يعص الله ورسوله فإن له نارجهنم خالدين فيها أبداً) جمع خالدين على معنى من يعص لأنه فى معنى الجمع والآية فى الكفار وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين لأن مذهبهم خلودهم فى النار والدليل على أنها فى الكفار وجهان أحدهما أنها مكية والسورة المكية إنما الكلام فيها مع الكفار والآخر دلالة ماقبلها ومابعدها على أن المراد بها الكفار (حتى اذا رأوا مايوعدون) تعلقت حتى بقوله يكونون عليه لبدا وجعلت غاية لذلك والمعنى أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا مايوعدون قال ذلك الزمخشرى وقال أيضاً يجوز أن يتعلق بمحذوف يدل على المعنى كأنه قيل لايزالون على ماهم عليه من الكفر حتى إذا رأوا مايوعدون وهذا أظهر (قل إن أدرى أقريب ماتوعدون) إن هنا نافية والمعنى قل لاأدرى أقريب ماتوعدون أم بعيد وعبر عن بعده بقوله أم يجعل له ربى أمدا ويعنى بما توعدون قتلهم يوم بدر أو يوم القيامة (فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) أى لايطلع أحدا على علم الغيب إلا من ارتضى وهم الرسل فإنه يطلعهم على ماشاء من ذلك ومن فى قوله من رسول لبيان الجنس لا للتبعيض والرسل هنا يحتمل أن يراد بهم الرسل من الملائكة وعلى هذا حملها ابن عطية أو الرسل من بنى آدم وعلى هذا حملها الزمخشرى واستدل بها على نفى كرامات الأولياء الذين يدعون المكاشفات فإن الله خص الاطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم وفيها أيضا دليل على إبطال الكهانة والتنجيم وسائر الوجوه التى يدعى أهلها الاطلاع على الغيب لأنهم ليسوا من الرسل (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) المعنى أن الله يسلك من بين يدى الرسل ومن خلفه ملائكة يكونون رصدا يحفظونه من الشياطين وقد ذكرنا رصدا فى هذه السورة قال بعضهم مابعث الله رسولا إلا ومعه ملائكة يحرسونه حتى يبلغ رسالة ربه (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) فى الفاعل بيعلم ثلاثة أقوال : الأول أى ليعلم الله أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم أى يعلمه موجودا وقد كان علم ذلك قبل كونه . الثانى ليعلم محمد أن الملائكة الرصد أبلغوا رسالات ربهم . الثالث ليعلم من كفر أن الرسل قد بلغوا الرسالة والأول أظهر وجمع الضمير فى أبلغوا وفى ربهم حملا على المعنى لأن من ارتضى من رسول يراد به جماعة (وأحاط بما لديهم) أى أحاط الله بما عند الرسل من العلوم والشرائع وهذه الجملة معطوفة على قوله ليعلم لأن معناه أنه قد علم قال ذلك ابن عطية ويحتمل أن تكون هذه الجملة فى موضع الحال (وأحصى كل شىء عددا) هذا عموم فى جميع الأشياء وعددا منصوب على الحال أو تمييز أو مصدر من معنى أحصى

Marfat.com

ســـورة المزمل

مكية إلا الآيات ١٠ و ١١ و ٢٠ فمدنية وآياتها ٢٠ نزلت بعد القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ

ســـورة المزمل

(يأيها المزمل) نداء للنبي صلى الله عليه وسلم ووزن المزمل متفعل فأصله متزمل ثم سكنت التاء وأدغمت فى الزاى وفى تسمية النبي صلى الله عليه وسلم بالمزمل ثلاثة أقوال أحدها أنه كان فى وقت نزول الآية متزملا فى كساء أو لحاف والتزمل الالتفاف فى الثياب بضم وتشمير هذا قول عائشة والجمهور ، والثانى أنه كان قد تزمل فى ثيابه للصلاة ، الثالث أن معناه المتزمل للنبوة أى المتشمر المجد فى أمرها والأول هو الصحيح لما ورد فى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه الملك وهو فى غار حراء فى ابتداء الوحى رجع صلى الله عليه وسلم إلى خديجة ترعد فرائصه فقال زملونى زملونى فنزلت يأيها المدثر وعلى هذا نزلت يأيها المزمل فالمزمل على هذا تزمله من أجل الرعب الذى أصابه أول ما جاءه جبريل وقال الزمخشرى كان نائما فى قطيفة فنودى يأيها المزمل ليبين الله الحالة التى كان عليها من التزمل فى القطيفة لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل وهذا القول بعيد غير سديد ، وقال السهيلى فى ندائه بالمزمل فائدتان : إحداهما الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التى هو عليها كقول النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لعلى : قم أبا تراب ، والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد بالليل ليتقبه إلى ذكر الله لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة (قم الليل) هذا الأمر بقيام الليل اختلف هل هو واجب أو مندوب ، فعلى القول بالندب فهو ثابت غير منسوخ ، وأما على القول بالوجوب ففيه ثلاثة أقوال : أحدها أنه فرض على النبي صلى الله عليه وسلم وحده ولم يزل فرضا عليه حتى توفى ، الثانى أنه فرض عليه وعلى أمته فقاموا حتى انتفخت أقدامهم ، ثم نسخ بقوله فى آخر السورة إن ربك يعلم أنك تقوم الآية : وصار تطوعا هذا قول عائشة رضى الله عنها وهو الصحيح ، واختلف كم بقى فرضا فقالت عائشة عاما وقيل ثمانية أشهر وقيل عشرة أعوام فالآية الناسخة على هذا مدنية ، الثالث أنه فرض عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته وهو ثابت غير منسوخ ، ولكن ليس الليل كله إلا ما تيسر منه وهو مذهب الحسن وابن سيرين (إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه) فى معنى هذا الكلام أربعة أقوال : الأول وهو الأشهر والأظهر أن الاستثناء من الليل وقوله نصفه بدل من الليل أو من قليلا ، وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع والضميران فى قوله : أو انقص منه ، أو زد عليه : عائدان على النصف والمعنى أن الله خيره بين ثلاثة أحوال وهو أن يقوم نصف الليل أو ينقص من النصف قليلا أو يزد عليه . الثانى : قال الزمخشرى إلا قليلا استثناء من النصف كأنه قال نصف الليل إلا قليلا فخيره على هذا بين حالتين وهما أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه وهذا ضعيف ، لأن قوله أو انقص منه قليلا تضمن معنى النقص من النصف فلا فائدة زائدة فى استثناء القليل من النصف ، القول الثالث قال الزمخشرى أيضا : يجوز أن يريد بقوله أو انقص منه قليلا نصف النصف وهو الربع ويكون الضمير فى قوله أو زد عليه يعود على ذلك ، أى زد على الربع فيكون ثلثا فيكون التخيير

Marfat.com

وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝

على هذا بين قيام النصف أو الثلث أو الربع ، وهذا أيضا بعيد . القول الرابع قال ابن عطية : يحتمل أن يكون معنى إلا قليلا الليالى التى يمنعه العذر من القيام فيها ، والمراد بالليل على هذا الليالى فهو جنس وهذا بعيد لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه . فدل ذلك على أن المراد بالليل المستثنى بعض أجزاء الليل لا بعض الليالى . فإن قيل : لم قيد النقص من النصف بالقلة فقال أو انقص منه قليلا وأطلق فى الزيادة فقال أو زد عليه ولم يقل قليلا؟ فالجواب : أن الزيادة تحسن فيها الكثرة فلذلك لم يقيدها بالقلة بخلاف النقص فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثيرا (ورتل القرآن ترتيلا) الترتيل هو التمهل والمد وإشباع الحركات وبيان الحروف ، وذلك معين على التفكر فى معانى القرآن بخلاف الهذ الذى لا يفقه صاحبه ما يقول وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته حرفا حرفا ولا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا) هذه الآية اعتراض بين آية قيام الليل ، والقول الثقيل هو القرآن واختلف فى وصفه بالثقل على خمسة أقوال أحدها أنه سمى ثقيلا لما كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يلقاه من الشدة عند نزول الوحى عليه حتى أن جبينه ليتفصد عرقا فى اليوم الشديد البرد ، وقد كان يثقل جسمه عليه الصلاة والسلام بذلك حتى إنه إذا أوحى إليه وهو على ناقته بركت به ، وأوحى إليه وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فكادت أن ترض فخذ زيد والثقل على هذا حقيقة . الثانى أنه ثقيل على الكفار بإعجازه ووعيده ، الثالث أنه ثقيل فى الميزان ، الرابع أنه كلام له وزن ورجحان ، الخامس أنه ثقيل لما تضمن من التكاليف والأوامر والنواهى . وهذا اختيار ابن عطية وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية ، قيام الليل لمشقته (إن ناشئة الليل) فى الناشئة سبعة أقوال : الأول أنه النفس الناشئة بالليل أى التى تنشأ من مضجعها وتقوم للصلاة . الثانى الجماعات الناشئة الذين يقومون للصلاة ، الثالث العبادة الناشئة بالليل أى تحدث فيه . الرابع الناشئة القيام بعد النوم فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئة . الخامس الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء . السادس الناشئة بين المغرب والعشاء ، السابع ناشئة الليل ساعاته كلها (هى أشد وطئا) يحتمل معنيين أحدهما : أثقل وأصعب على المصلى ومنه قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر ، والأثقل أعظم أجرا فالمعنى تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر . الثانى أشد ثبوتا من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس ويقرب هذا من معنى أقوم قيلا وقرئ وطئا بكسر الواو وعلى وزن فعال ومعناه موافقة أى يوافق القلب اللسان بحضور الذهن (إن لك فى النهار سبحا طويلا) السبح هنا عبارة عن التصرف فى الاشتغال والمعنى يكفيك النهار للتصرف فى أشغالك وتفرغ بالليل لعبادة ربك وقيل المعنى إن فاتك شيء من صلاة الليل فأده بالنهار فإنه طويل يسع ذلك (واذكر اسم ربك) قيل معناه قل بسم الله الرحمن الرحيم فى أول صلاتك واللفظ أعم من ذلك (وتبتل إليه تبتيلا) أى انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده وقيل التبتل رفض الدنيا وتبتيلا مصدر على غير

إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ
كَثِيبًا مَهِيلًا ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ
الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝ السَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ
وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۝ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ

قياس (فاتخذه وكيلا) الوكيل هو القائم بالأمور والذى توكل إليه الأشياء فهو أمر بالتوكل على الله (واصبر على مايقولون) أى على مايقول الكفار والآية منسوخة بالسيف وقيل إنما المنسوخ المهادنة التى يقتضيها قوله اهجرهم هجرا جميلا وأما الصبر فمأمور به فى كل وقت (وذرنى والمكذبين) هذا تهديد لهم وانتصب المكذبين على أنه مفعول معه أو معطوف (أولى النعمة) أى التنعم فى الدنيا وروى أن الآية نزلت فى بنى المغيرة وهم قوم من قريش كانوا متنعمين فى الدنيا (أنكالا) جمع نكل وهو القيد من الحديد. روى أنها قيود سود من نار (وطعاما ذاغصة) شجرة الزقوم ومعنى ذاغصة أى يغص به آكله وقيل هو شوك يعترض فى حلوقهم لا ينزل ولا يخرج وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية فصعق (يوم ترجف الأرض) أى تهتز وتتزلزل والعامل فى يوم معنى الكلام المتقدم وهو إن لدينا أنكالا، (وكانت الجبال كثيبامهيلا) الكثيب كدس الرمل والمهيل اللين الرخو الذى تهيله الريح أى تنشره ووزنه مفعول والمعنى أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكثيب (إنا أرسلنا إليكم رسولا) خطاب لجميع الناس لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة وقال الزمخشرى هو خطاب لأهل مكة (وشهيدا عليكم) أى يشهد على أعمالكم من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية وإنما يشهد على من أدركه لقوله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى عيسى وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام وهو المراد بقوله فعصى فرعون الرسول فاللام للعهد (أخذا وبيلا) أى عظيما شديداً (يوما) مفعول به وناصبه تتقون أى كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم وقيل هو مفعول به على أن يكون كفرتم بمعنى جحدتم، وقيل هو ظرف أى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره اذكروا قوله السماء منفطر به (يجعل الولدان شيبا) الولدان جمع وليد وهو الطفل الصغير والشيب بكسر الشين جمع أشيب ووزنه فعل بضم الفاء وكسرت لأجل الياء، ويجعل يحتمل أن يكون مسنداً إلى الله تعالى أو إلى اليوم، والمعنى أن الأطفال يشيبون يوم القيامة، فقيل إن ذلك حقيقة، وقيل إنه عبارة عن هول ذلك اليوم، وقيل إنه عبارة عن طوله (السماء منفطر به) الانفطار الانشقاق والضمير المجرور يعود على اليوم أى تنفطر السماء لشدة هوله ويحتمل أن يعود على الله أى تنفطر بأمره وقدرته والأول أظهر والسماء مؤنثة وجاء منفطر بالتذكير لأن تأنيثها غير حقيقى أو على الاضافة تقديره ذات انفطار أو لأنه أراد السقف (كان وعده مفعولا) الضمير فى وعده يحتمل أن يعود على اليوم أو على الله والأول أظهر لأنه ملفوظ به (إن هذه تذكرة) الإشارة إلى ماتقدم من المواعظ والوعيد (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) يريد سبيل التقرب إلى الله ومعنى الكلام حض على ذلك وترغيب فيه (إن ربك يعلم أنك تقوم

ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝

سورة المدّثر

مكية وآياتها ٥٦ نزلت بعد المزمل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝

أدنى من ثلثى الليل) هذه الآية نزلت ناسخة لما أمر به فى أول السورة من قيام الليل ومعناها أن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قياما مختلفا مرة يكثرو مرة يقل ، لأنكم لا تقدرون على إحصاء أوقات الليل وضبطها فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله فخفف عنكم وأمركم أن تقرؤا ماتيسر من القرآن (ونصفه وثلثه) من قرأها بالخفض فهو عطف على ثلثى الليل أى تقوم أقل من ثلثى الليل وأقل من نصفه وثلثه، ومن قرأ بالنصب فهو عطف على أدنى أى تقوم أدنى من ثلثى الليل وتقوم نصفه تارة وثلثه تارة (وطائفة) يعنى المسلمين وهو معطوف على الضمير الفاعل فى تقوم (علم أن لن تحصوه) الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام أى لن تحصوا تقدير الليل ، وقيل معناه لن تطيقوه أى لن تطيقوا قيام الليل كله (فتاب عليكم) عبارة عن التخفيف كقوله فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم (فاقرؤا ماتيسر من القرآن) أى إذا لم تقدروا على قيام الليل كله فقوموا بعضه واقرؤا فى صلاتكم بالليل ماتيسر من القرآن ، وهذا الأمر للندب ، وقال ابن عطية هو الإباحة عند الجمهور وقال قوم منهم الحسن وابن سيرين هو فرض لابد منه ولو أقل مايمكن حتى قال بعضهم من صلى الوتر فقد امتثل هذا الأمر ، وقيل كان فرضا ثم نسخ بالصلوات الخمس ، وقال بعضهم هو فرض على أهل القرآن دون غيرهم (علم أن سيكون منكم مرضى) ذكر الله فى هذه الآية الأعذار التى تكون لبنى آدم تمنعهم من قيام الليل فمنها المرض ومنها السفر للتجارة وهى الضرب فى الأرض لابتغاء فضل الله ومنها الجهاد ثم كرر الأمر بقراءة ماتيسر تأكيدا للأمر به أو تأكيدا للتخفيف وهذا أظهر لأنه ذكره بأثر الأعذار (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) يعنى المكتوبتين (وأقرضوا الله) معناه تصدقوا ، وقد ذكر فى البقرة (هو خيرا) نصب خيرا لأنه مفعول ثان لتجدوه والضمير فصل (واستغفروا الله) قال بعض العلماء إن الاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هذه الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثا

سورة المدثر

(يأيها المدثر) وزنه متفعل ومعناه الذى تدثر فى كسائه أو ثياب وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسبما ذكرنا فى موضعه وقال السهيلى: فى ندائه بالمدثر ثلاثة فوائد: الاثنتان اللتان ذكرنا فى المزمل وفائدة ثالثة وهى أن

وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرْ . وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٭ فَإِذَا نُقِرَ فِى النَّاقُورِ . فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ . عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ٭ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ٭ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ٭ وَبَنِينَ شُهُودًا ٭ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ٭ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ٭ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ٭ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ٭ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٭ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ

العرب يقولون النذير العريان للنذير الذى يكون فى غاية الجد والتشمير والنذير بالثياب ضد هذا فكأنه تنبيه على مايجب من التشمير ، وقيل إن هذه أول سورة نزلت من القرآن : والصحيح أن سورة اقرأ نزلت قبلها (قم فأنذر) أى أنذر الناس وهذه بعثة عامة (وربك فكبر) أى عظمه ويحتمل أن يريد قول الله أكبر ويؤيد ذلك ماروى عن أبى هريرة أن المسلمين قالوا بم نفتتح صلاتنا فنزلت وربك فكبر وقوله وربك فكبر: من المقلوب الذى يقرأ من أوله وآخره (وثيابك فطهر) فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه حقيقة فى تطهير الثياب من النجاسة واختلف فى هذا هل يحمل على الوجوب فتكون إزالة النجاسة واجبة أو على الندب فتكون سنة ، والآخر أنه يراد به الطهارة من الذنوب والعيوب فالثياب على هذا مجاز ، الثالث : أن معناه لاتلبس الثياب من مكسب خبيث (والرجز فاهجر) فيه ثلاثة أقوال ، أحدها : أن الرجز الأوثان ، روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قول عائشة ، والآخر أن الرجز السخط والعذاب وهذا أصله فى اللغة فمعناه اهجر مايؤدى إليه ويوجبه ، الثالث : أنه المعاصى والفجور ، قال بعضهم كل معصية رجز (ولا تمنن تستكثر) يحتمل قوله تمنن أن يكون بمعنى العطاء أو بمعنى المن وهو ذكر العطاء وشبهه ، أو بمعنى الضعف فإن كان بمعنى العطاء ففيه وجهان ، أحدهما : أن معناه لاتعط شيئا لتأخذ أكثر منه ، قال بعضهم هذا خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم ومباح لأمته ، والآخر : لاتعط الناس عطاء وتستكثره ، لأن الكريم يستقل مايعطى وإن كثيرا ، وإن كان من المن بالشىء ففيه وجهان ، الأول : لاتمنن على الناس بنبوتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه ، الثانى : لاتمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك وتقع لك بها إعجاب وإن كان من الضعف فمعناه لاتضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ماحملناك من ذلك (ولربك فاصبر) أى اصبر لوجهه وطلب رضاه ، ويحتمل أن يريد الصبر على المكاره والمصائب ، أو على إذاية الكفار له ، أو على العبادة (فإذا نقر فى الناقور) يعنى نفخ فى الصور ، ويحتمل أن يريد النفخة الأولى والثانية (ذرنى ومن خلقت وحيدا) هذا وعيد وتهديد ، ونزلت الآية فى الوليد بن المغيرة باتفاق ، وفى معنى وحيدا ثلاثة أقوال : أحدها : روى أنه كان يلقب الوحيد ، أى لانظير له فى ماله وشرفه وكونه وحيدا نعمة عددها الله عليه ، الثانى : أن معناه خلقته منفردا ذليلا ، الثالث : أن معناه خلقته وحدى فوحيدا على هذا من صفة الله تعالى وإعرابه على هذا حال من الضمير الفاعل فى قوله خلقت وهو على القولين الأولين حال من الضمير المفعول (وجعلت له مالا ممدوداً) أى كثيراً ، واختلف فى مقداره فقيل : ألف دينار ، وقيل عشرة آلاف دينار ، وقيل يعنى الأرض لأنها مدت (وبنين شهودا) أى حضوراً ، وروى أنه كان له عشرة من الأولاد ، وقيل ثلاثة عشرة لايفارقونه ، وأسلم منهم ثلاثة وهم : خالد وهشام وعمار (ومهدت له تمهيدا) أى بسطت له فى الدنيا بالمال والقوة وطيب العيش (ثم يطمع أن أزيد) أى يطمع فى الزيادة على ما أعطاه الله ، وهذا غاية الحرص

Marfat.com

قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ ۞ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۞ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۞ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ۞ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۞ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ۞ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۞ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ

(كلا) زجر عما طمع فيه من الزيادة (عنيدا) أى معانداً مخالفا، والآيات هنا يراد بها القرآن لأن الوليد قال فيه إنه سحر، ويحتمل أن يريد الدلائل (سأرهقه صعودا) الصعود العقبة الصعبة. وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنها عقبة فى جهنم كلما صعدها الانسان ذاب ثم يعود، فالمعنى سأشق عليه بتكليفه الصعود فيها (إنه فكر وقدر) أى فكر فيما يقول، وقدر فى نفسه مايقول فى القرآن أى هيأ كلامه، روى أن الوليد سمع القرآن فأعجبه وكاد يسلم، ودخل إلى أبى بكر الصديق فعاتبه أبوجهل. وقال له إن قريشا قد أبغضتك لمقاربتك أمر محمد وما يخلصك عندهم إلا أن تقول فى كلام محمد قولا يرضيهم، فافتتن وقال أفعل ذلك ثم فكر فيما يقول فى القرآن فقال: أقول شعر ماهو شعر، أقول كهانة ماهو بكهانة. أقول إنه سحر وإنه قول البشر ليس منزلا من عند الله (فقتل كيف قدر) دعاء عليه وذم وكرره تأكيداً لذمه وتقبيح حاله قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون مقتضاه استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن، فيكون قوله قتل لا يراد به الدعاء عليه وإنما هو كقولهم قاتل الله فلانا ما أشجعه يريدون التعجب من حاله واستعظام وصفه، وقال الزمخشرى يحتمل أن يكون ثناء عليه على طريقة الاستهزاء أو حكاية لقول قريش تهكما بهم (ثم نظر) أى نظر فى قوله (ثم عبس وبسر) البسور هو تقطيب الوجه وهو أشد من العبوس، وفعل ذلك من حسده للنبى صلى الله عليه وسلم أى عبس فى وجهه عليه الصلاة والسلام، أو عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر مايقول (ثم أدبر) أى أعرض عن الاسلام (سحر يؤثر) أى ينقل عمن تقدم (وما أدراك ماسقر) تعظيم لها وتهويل (لا تبقى ولا تذر) مبالغة فى وصف عذابها أى لا تدع غاية من العذاب إلا أذاقته إياها أو لا تبقى شيئاً ألقى فيها إلا أهلكته وإذا أهلك لم تذره هالكا بل يعود للعذاب (لواحة للبشر) معنى لواحة مغيرة يقال لوحه السفر إذا غيره والبشر جمع بشرة وهى الجلدة، فالمعنى أنها تحرق الجلود وتسودها وقيل لواحة من لاح إذا ظهر والبشر الناس أى تلوح للناس، وقال الحسن تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام (تسعة عشر) يعنى الزبانية خزنة جهنم فقيل هم تسعة عشر ملكا وقيل تسعة عشر صفا من الملائكة والأول أشهر (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) سبب الآية أنه لما نزل عليها تسعة عشر قال أبو جهل: أيعجز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به، فنزلت الآية ومعناها أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم وروى أن الواحد منهم يرمى بالجبل على الكفار (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أى جعلناهم هذا العدد ليفتتن الكفار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم ويقولون ماقالوا (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أى ليعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم من عدد ملائكة النار حق لأنه موافق لما فى كتبهم (ولا يرتاب) أى لا يشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أن ماقاله محمد صلى الله عليه وسلم حق. فإن قيل: كيف نفى عنهم الشك بعد أن وصفهم باليقين والمعنى واحد وهو تكرار؟ فالجواب

Marfat.com

وَالْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ۝ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ۝ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۝ فَمَا تَنفَعُهُمْ

أنه لما وصفهم باليقين نفى عنهم أن يشكوا فيما يستقبل بعديقينهم الحاصل الآن فكأنه وصفهم باليقين فى الحال والاستقبال وقال الزمخشرى ذلك مبالغة وتأكيد (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) المرض عبارة عن الشك وأكثر مايطلق الذين فى قلوبهم مرض على المنافقين فإن قيل هذه السورة مكية ولم يكن حينئذ منافقون وإنما حدث المنافقون بالمدينة، فالجواب من وجهين أحدهما أن معناه يقول المنافقون إذا حدثوا ففيه إخبار بالغيب والآخر أن يريد من كان بمكة من أهل الشك، وقولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا: استبعاد لأن يكون هذا من عند الله (ومايعلم جنود ربك إلاهو) يحتمل القصد بهذا وجهين أحدهما وصف جنود الله بالكثرة أى هم من كثرتهم لايعلمهم إلا الله والآخر رفع اعتراض الكفار على التسعة عشر أى لا يعلم أعداد جنود الله إلاهو لأن منهم عددا قليلا ومنهم عددا كثيرا حسبما أراد الله (وماهى إلا ذكرى للبشر) الضمير لجهنم أو الآيات المتقدمة (كلا) ردع للكفار عن كفرهم وقال الزمخشرى هى إنكار لأن تكون لهم ذكرى (إذ أدبر) أى ولى وقرئ دبر بغير ألف والمعنى واحد وقيل معناه دبر الليل والنهار أى جاء فى دبره (والصبح إذا أسفر) أى أضاء ومنه الإسفار بصلاة الصبح (إنها لإحدى الكبر) الضمير لجهنم أو الآيات والنذارة أى هى من الأمور العظام والكبر جمع كبرى وقال ابن عطية جمع كبيرة والأول هو الصحيح (نذيرا للبشر) تمييز أو حال من إحدى الكبر وقيل النذير هنا الله فالعامل فيه على هذا محذوف وهذا ضعيف وقيل هو حال من هذه السورة أى قم فأنذر نذيرا وهذا بعيد قال الزمخشرى هو من بدع التفاسير (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) التقديم عبارة عن تقديم سلوك طريق الهدى والتأخر ضده ولمن شاء بدل من البشر أى هم متمكنون من التقدم والتأخر وقيل معناه الوعيد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وعلى هذا أعرب الزمخشرى أن يتقدم مبتدأ ولمن شاء خبره والأول أظهر (رهينة) قال ابن عطية الهاء فى رهينة للمبالغة أو على تأنيث النفس وقال الزمخشرى ليست بتأنيث رهين لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وإنما هى بمعنى الرهن أى كل نفس رهن عند الله بعملها (إلا أصحاب اليمين) أى أهل السعادة فإنهم فكوا رقابهم بأعمالهم الصالحة كما فك الراهن رهنه بأداء الحق وقال على بن أبى طالب أصحاب اليمين هم الأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها وقال ابن عباس هم الملائكة (يتساءلون عن المجرمين) أى يسأل بعضهم بعضا عن حال المجرمين الذين فى النار (ماسلككم فى سقر) أى ما أدخلكم النار وهذا خطاب للمجرمين يحتمل أن خاطبهم به المسلمون أو الملائكة فأجابوهم بقولهم لم نك من المصلين وما بعده أى هذا الذى أوجب دخولهم النار، وإنما أخر التكذيب بيوم الدين تعظيما له لأنه أعظم جرائمهم (نخوض) الخوض هو كثرة الكلام بما لا ينبغى من الباطل وشبهه (حتى أتانا اليقين) هو الموت عند المفسرين وقال ابن

Marfat.com

شَفَٰعَةُ الشَّٰفِعِينَ ۝ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۝ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۝

سورة القيامة

مكية وآياتها ٤٠ نزلت بعد القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ۝ فَإِذَا

عطية: إنما اليقين الذى أرادوا ما كانوا يكذبون به فى الدنيا، فيتيقنونه بعد الموت (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) إنما ذلك لأنهم كفار، وأجمع العلماء أنه لا يشفع أحد فى الكفار، وجمع الشافعين دليل على كثرتهم كما ورد فى الآثار، تشفع الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحين (فما لهم عن التذكرة معرضين) يعنى كفار قريش (كأنهم حمر مستنفرة) المستنفرة بفتح الفاء التى استنفرها الفزع وبالكسر بمعنى النافرة شبه الكفار بالحمر النافرة فى جهلهم ونفورهم عن الإسلام ويعنى حمر الوحش، (فرت من قسورة) قال ابن عباس: القسورة الرماة وقال أيضا هو الأسد، وقيل أصوات الناس، وقيل الرجال الشداد، وقيل سواد أول الليل (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) المعنى يطمع كل إنسان منهم أن ينزل عليه كتابا من الله، ومعنى منشرة منشورة غير مطوية أى طرية كما كتبت لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم لا نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء فيه من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمن باتباعك (كلا) ردع عما أرادوه (بل لا يخافون الآخرة) أى هذه هى العلة والسبب فى إعراضهم (كلا) تأكيد للردع الأول أو ردع عن عدم خوفهم الآخرة (إنه تذكرة) الضمير لما تقدم من الكلام أو للقرآن بجملته (فمن شاء ذكره) فاعل شاء ضمير يعود على من، وفى ذلك حض وترغيب وقيل الفاعل هو الله ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أى هو أهل لأن يتقى لشدة عقابه، وهو أهل لأن يغفر الذنوب لكرمه وسعة رحمته وفضله

سورة القيامة

(لا أقسم) فى الموضعين معناه أقسم ولا زائدة لتأكيد القسم وقيل هى استفتاح كلام بمنزلة ألا وقيل هى نفى لكلام الكفار (النفس اللوامة) هى التى تلوم نفسها على فعل الذنوب أو التقصير فى الطاعات، فإن النفوس على ثلاثة أنواع فخيرها النفس المطمئنة وشرها النفس الأمارة بالسوء وبينهما النفس اللوامة، وقيل اللوامة هى المذمومة الفاجرة، وهذا بعيد لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخلوقات ويستقيم إن كان لا أقسم نفيا للقسم (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه) الإنسان هنا للجنس أو الإشارة به للكفار المنكرين للبعث ومعناه أيظن أن لن نجمع عظامه للبعث بعد فنائها فى التراب، وهذه الجملة هى التى تدل على جواب

Marfat.com

بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا

القسم المتقدم (بلى) تقديره نجمعها (قادرين) منصوب على الحال من الضمير فى نجمع والتقدير نجمعها ونحن قادرون (على أن نسوى بنانه) البنان الأصابع ، وفى المعنى قولان : أحدهما أنه إخبار بالقدرة على البعث أى قادرين على أن نسوى أصابعه أى نخلقها بعد فنائها مستوية متقنة ، وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء لدقة عظامها وتفرقها والآخر أنه تهديد فى الدنيا . أى قادرين على أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة كيد الحمار وخف الجمل فلا يمكنه تصريف يديه فى منافعه والأول أليق بسياق الكلام (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) هذه الجملة معطوفة على أيحسب الإنسان ، ويجوز أن يكون استفهاما مثلها أو تكون خبرا وليست بل هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله وإنما هى للخروج منه إلى مابعده ، وليفجر معناه ليفعل أفعال الفجور وفى معنى أمامه ثلاثة أقوال : أحدها أنه عبارة عما يستقبل من الزمان ، أى يفجر بقية عمره الثانى أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهواته يقال مشى فلان قدامه إذا لم يرجع عن شىء يريده والضمير على هذين القولين يعود على الإنسان ، الثالث أن الضمير يعود على يوم القيامة والمعنى يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة (يسأل أيان يوم القيامة) أيان معناها متى وهذا السؤال على يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد (برق البصر) هذا إخبار عن يوم القيامة ، وقيل عن حالة الموت وهذا خطأ لأن القمر لا يخسف عند موت أحد ، ولا يجمع بينه وبين الشمس وبرق بفتح الراء معناه لمع وصار له برق ، وقرئ بكسر الراء ومعناه تحير من الفزع ، وقيل معناه شخص فيتقارب معنى الفتح والكسر (وخسف القمر) ذهب ضوؤه ، يقال خسف هو وخسفه الله والخسوف للقمر والكسوف للشمس ، وقيل الكسوف ذهاب بعض الضوء ، والخسوف ذهاب جميعه وقيل بمعنى واحد (وجمع الشمس والقمر) فى جمعهما ثلاثة أقوال : أحدها أنهما يجمعان حيث يطلعهما الله من المغرب ، والآخر أنهما يجمعان يوم القيامة ، ثم يقذفان فى النار ، وقيل فى البحر ، فتكون النار الكبرى . الثالث أنهما يجمعان فيذهب ضوؤهما (لا وزر) أى لا ملجأ ولا مغيث (بما قدم وأخر) أى بجميع أعماله ماقدم منها فى أول عمره وما أخر فى آخره ، وقيل ماتقدم فى حياته وماأخر من سنة أو وصية بعد مماته ، وقيل ماقدم لنفسه من ماله وماأخر منه لورثته (بل الإنسان على نفسه بصيرة) فى معناه قولان : أحدهما : أنه شاهد على نفسه بأعماله إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة ، والآخر : أنه حجة بينة لأن خلقته تدل على خالقه فوصف بالبصارة مجازا لأن من نظر فيه أبصر الحق ، والأول أليق بما قبله وما بعده كأنه قال ينبؤ الإنسان يومئذ بأعماله بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبأ بها ، وكذلك يلتئم مع قوله ولو ألقى معاذيره ، ويكون هو جواب لو حسبما نذكره (ولو ألقى معاذيره) فيه قولان ، أحدهما : أن المعاذير الأعذار أى الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها والآخر أن المعاذير الستور أى الانسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه فى الدنيا حين يفعل القبائح (لا تحرك به لسانك لتعجل به) الضمير فى به يعود على القرآن

بيانه ◦ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ◦ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ◦ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ◦ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ◦ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ◦ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ◦ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ◦ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ◦ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ◦ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ◦ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ * وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ◦ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ

دلت على ذلك قرينة الحال وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه مخافة أن ينساه لحينه ، فأمره الله أن ينصت ويستمع ، وقيل كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك وشق عليه فنزلت الآية والأول هو الصحيح لأنه ورد فى البخارى وغيره (إن علينا جمعه وقرآنه) ضمن الله له أن يجمعه فى صدره فلا يحتاج إلى تحريك شفتيه عند نزوله ، ويحتمل قرآنه هنا وجهين ، أحدهما : أن يكون بمعنى القراءة فإن القرآن قد يكون مصدرا من قرأت ، والآخر : أن يكون معناه تأليفه فى صدره فهو مصدر من قولك قرأت الشيء أى جمعته (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أى إذا قرأه جبريل فاجعل قراءة جبريل قراءة الله لأنها من عنده ، ومعنى اتبع قرآنه اسمع قراءته واتبعها بذهنك لتحفظها ، وقيل اتبع القرآن فى الأوامر والنواهى (ثم إن علينا بيانه) أى علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه . وقيل علينا أن نبين معانيه وأحكامه ، فإن قيل مامناسبة قوله لاتحرك به لسانك الآية لما قبلها فالجواب أنه لعله نزل معه فى حين واحد فجعل على ترتيب النزول (بل تحبون العاجلة) أى تحبون الدنيا ، وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومن كان على مثل حالهم فى حب الدنيا وكلا ردع عن ذلك (وجوه يومئذ ناضرة) بالضاد أى ناعمة ، ومنه نضرة النعيم (إلى ربها ناظرة) هذا من النظر بالعين ، وهو نص فى نظر المؤمنين إلى الله تعالى فى الآخرة وهو مذهب أهل السنة ، وأنكره المعتزلة وتأولوا ناظرة بأن معناها منتظرة ، وهذا باطل لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر ، تقول نظرتك أى انتظرتك ، وأما المتعدى بإلى فهو من نظر العين ، ومنه قوله ومنهم من ينظر إليك وقال بعضهم إلى هنا ليست بحرف جر وإنما هى واحد الآلاء بمعنى النعم وهذا تكلف فى غاية البعد ، وتأوله الزمخشرى بأن معناه كقول الناس فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ويتعلق به وهذا [illegible] جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لاتحتمل التأويل فهى تفسير للآية (باسرة) أى عابسة تظهر عليها الكآبة والبسور أشد من العبوس (تظن أن يفعل بها فاقرة) أى مصيبة قاصمة الظهر والظن هنا يحتمل أن يكون على أصله أو بمعنى اليقين (إذا بلغت التراقى) يعنى حالة الموت والتراقى جمع ترقوة وهى عظام أعلى الصدر والفاعل ببلغت نفس الإنسان دل على ذلك سياق الكلام وهو عبارة عن حال الحشرجة وسياق الموت (وقيل من راق) أى قال أهل المريض من يرقيه عسى أن يشفيه وقيل معناه أن الملائكة تقول من يرقى بروحه أى يصعدها إلى السماء فالأول من الرقية وهو أشهر وأظهر والثانى من الرقى وهو العلو (وظن أنه الفراق) أى تيقن المريض أن ذلك الحال فراق الدنيا وفراق أهله وماله (والتفت الساق بالساق) هذا عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته أى التفت ساقه على الأخرى عند السياق وقيل هو مجاز كقوله كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت وقيل معناه ماتت ساقه فلا تحمله وقيل التفت أى لفها الكافر إذا كفر وفى قوله الساق والمساق ضرب من ضروب التجنيس (إلى ربك يومئذ المساق) هذا جواب

Marfat.com

يَتَمَطَّىٰ * أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ *

سورة الإنسان

مدنية وآياتها ٣١ نزلت بعد الرحمٰن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝ إِنَّا

إذا بلغت التراقى والمساق مصدر من السوق كقوله إلى الله المصير (فلا صدق ولا صلى) لاهنا نافية وصدق هنا يحتمل أن يكون من التصديق بالله ورسله أو من الصدقة ونزلت هذه الآية وما بعدها فى أبى جهل (يتمطى) أى يتبختر فى مشيته وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء وكانت هذه المشية معروفة فى بنى مخزوم الذين كان أبو جهل منهم (أولى لك) وعيد وتهديد (فأولى) وعيد ثان ثم كرر ذلك تأكيدا وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبب أبا جهل وقال له إن الله يقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فنزل القرآن بموافقة ذلك (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) هذا توبيخ ومعناه أيظن أن يترك من غير بعث ولا حساب ولا جزاء ، فهو كقوله : أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، والانسان هنا جنس ، وقيل نزلت فى أبى جهل ولا يبعد أن يكون سببها خاصا ومعناها عام (ألم يك نطفة من منى يمنى) النطفة النقطة وتمنى من قولك أمنى الرجل ومعنى الآية الاستدلال بخلقة الانسان على بعثه كقوله : قل يحييها الذى أنشأها أول مرة والعلقة الدم لأن المنى يصير فى الرحم دما (فخلق فسوى) أى خلقه بشراً فسوى صورته أى أتقنها (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) هذا تقرير واحتجاج ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال بلى وفى رواية سبحانك اللهم بلى

سورة الإنسان

(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) هل هنا بمعنى التقرير لا لمجرد الاستفهام ، وقيل هل بمعنى قد ، والانسان هنا جنس ، والحين الذى أتى عليه حين كان معدوما قبل أن يخلق ، وقيل الانسان هنا آدم والحين الذى أتى عليه حين كان طينا قبل أن ينفخ فيه الروح وهذا ضعيف لوجهين أحدهما قوله «إنا خلقنا الانسان من نطفة» وهو هنا جنس باتفاق إذ لا يصح هنا فى آدم ، والآخر أن مقصد الآية تحقير الإنسان (من نطفة أمشاج) أى أخلاط واحدها مشج بفتح الميم والشين وقيل مشج بوزن عدل ، وقال الزمخشرى ليس أمشاج بجمع وإنما هو مفرد كقولهم برمة أعشار ، ولذلك أوقع صفة للمفرد واختلف فى معنى الأخلاط هنا فقيل اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء ، وقيل اختلاط ماء الرجل والمرأة وروى أن عظام الإنسان ، وعصبه من ماء الرجل ، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة ، وقيل معناه ألوان وأطوار أى يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة (نبتليه) أى نختبره وهذه الجملة فى موضع الحال أى خلقناه مبتلين له وقيل

Marfat.com

أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن

معناه نصرفه فى بطن أمه نطفة ثم علقة (فجعلناه سميعا بصيرا) هذا معطوف على خلقنا الانسان ومن جعل نبتليه بمعنى نصرفه فى بطن أمه فهذا عطف عليه ، وقيل أن نبتليه مؤخر فى المعنى أى جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهذا تكلف بعيد (إنا هديناه السبيل) أى سبيل الخير والشر ولذلك قسم الانسان إلى قسمين شاكرا أو كفورا وهما حالان من الضمير فى هديناه والهدى هنا بمعنى بيان الطريقين وموهبة العقل الذى يميز به بينهما ويحتمل أن يكون بمعنى الارشاد أى هدى المؤمن للإيمان والكافر للكفر قل كل من عند الله (سلاسلا) من قرأه بغير تنوين فهو الأصل إذ هو لا ينصرف لأنه جمع لا نظير له فى الآحاد ومن قرأه بالتنوين فله ثلاث توجيهات أحدها أنها لغة لبعض العرب يصرفون كل ما لا ينصرف إلا أفعل والآخر أن النون بدل من حرف الاطلاق وأجرى الوصل مجرى الوقف والثالث أن يكون صاحب هذه القراءة راوية للشعر قد عود لسانه صرف ما لا ينصرف فجرى على ذلك (الأبرار) جمع بار أو بر ومعناه العاملون بالبر وهو غاية التقوى والعمل الصالح حتى قال بعضهم الأبرار هم الذين لا يؤذون الذر (من كأس) ذكر فى الصافات معنى الكاس ومن هنا يحتمل أن تكون للتبعيض أو الابتداء الغاية (مزاجها كافورا) أى تمزج الخمر بالكافور وقيل المعنى أنه كافور فى طيب رائحته كما تمدح طعاما فتقول هذا مسك (عينا) بدل من كافورا على القول بأن الخمر تمزج بالكافور أو بدل من موضع من كأس على القول الآخر كأنه قال يشربون خمرا خمر عين وقيل هو مفعول يشربون وقيل منصوب بإضمار فعل (يشرب بها) قال ابن عطية الباء زائدة والمعنى يشربها وهذا ضعيف لأن الباء إنما تزاد فى مواضع ليس هذا منها وإنما هى كقولك شربت الماء بالعسل لأن العين المذكورة تمزج بها الكأس من الخمر (عباد الله) وصفهم بالعبودية وفيه معنى التشريف والاختصاص . كقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا (يفجرونها تفجيرا) أى يفجرونها حيث شاؤا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يصعب عليهم وفى الأثر أن فى قصر النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة عينا تفجر إلى قصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين (مستطيرا) أى منتشرا شائعا ومنه استطار الفجر إذا انشق ضوؤه (ويطعمون الطعام) نزلت هذه الآية وما بعدها فى على بن أبى طالب وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم فإنهم كانوا صائمين فلما وضعوا فطورهم ليأكلوه جاء مسكين فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطورهم جاء يتيم فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطرهم جاء أسير فدفعوه له وباتوا طاوين والآية على هذا مدنية لأن عليا إنما تزوج فاطمة بالمدينة وقيل إنما هى مكية وليست فى على (على حبه) الضمير للطعام أى يطعمونه مع حبه والحاجة إليه فهو كقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» فى قوله على حبه تتميم وهو من أدوات البيان وقيل الضمير لله وقيل للإطعام المفهوم من يطعمون والأول أرجح وأظهر (مسكينا ويتيما وأسيرا) قد ذكرنا المسكين واليتيم وأما الأسير ففيه خمسة أقوال أحدها أن الأسير الكافر بين المسلمين ففى إطعامه أجر لأنه فى كل ذى كبد رطبة أجر وقيل نسخ ذلك بالسيف والآخر أنه الأسير المسلم إذا

Marfat.com

رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝

خرج من دار الحرب لطلب الفدية والثالث أنه المملوك الرابع أنه المسجون الخامس أنه المرأة لقوله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا لأنهن عوان عندكم وهذا بعيد والأول أرجح لأنه روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له أحسن إليه (إنما نطعمكم لوجه الله) عبارة عن الإخلاص لله ولذلك فسروه وأكدوه بقولهم لا نريد منكم جزاء ولا شكورا والشكور مصدر كالشكر ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام بألسنتهم أو قالوه فى نفوسهم فهو عبارة عن النية والقصد (يوما عبوسا) وصف اليوم بالعبوس مجاز على وجهين أحدهما أن يوصف اليوم بصفة أهله كقولهم نهاره صائم وليله قائم وروى أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل الدم من عينيه مثل القطران والآخر يشبه فى شدته بالأسد العبوس (قمطريرا) قال ابن عباس معناه طويل وقيل شديد (ولقاهم نضرة وسرورا) النضرة التنعم وهذا فى مقابلة عبوس الكافر وقوله وقاهم ولقاهم من أدوات البيان (بما صبروا) أى بصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم على أنفسهم حسبما ذكرنا من قصة على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم، وقد ذكرنا الأرائك (لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا) عبارة عن اعتدال هوائها أى ليس فيها حر ولا برد، والزمهرير هو البرد الشديد، وقيل هو القمر بلغة طيء، والمعنى على هذا أن للجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس ولا قمر (ودانية عليهم ظلالها) معناه أن ظلال الأشجار متدلية عليهم قريبة منهم وإعراب دانية معطوف على متكئين، وقال الزمخشرى هو معطوف على الجملة التى قبلها وهى لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا. لأن هذه الجملة فى حكم المفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية، ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين يجتمعان لهم أى جامعين بين البعد عن الحر والبرد وبين دنو الظلال، وقيل هو صفة لجنة عطف بالواو كقولك فلان عالم وصالح وقيل هو معطوف عليها أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها (وذللت قطوفها تذليلا) القطوف جمع قطف وهو العنقود من النخل والعنب، وشبه ذلك. وتذليلها هو أن تتدلى إلى الأرض، وروى أن أهل الجنة يقطعون الفواكه على أى حال كانوا من قيام أو جلوس أو اضطجاع، لأنها تتدلى لهم كما يريدون، وهذه الجملة فى موضع الحال من دانية، أى دانية فى حال تذليل قطوفها أو معطوفة عليها (بآنية) هى جمع إناء ووزنها أفعلة وقد ذكرنا الأكواب فى الواقعة (قواريرا) القوارير هى الزجاج، فإن قيل كيف يتفق أنها زجاج مع قوله من فضة؟ فالجواب: أن المراد أنها فى أصلها من فضة وهى تشبه الزجاج فى صفائها وشفيفها، وقيل هى من زجاج وجعلها من فضة على وجه التشبيه لشرف الفضة وبياضها ومن قرأ قوارير بغير تنوين فهو على الأصل ومن نونه فعلى ماذكرنا فى سلاسل (قدروها تقديرا) هذه صفة للقوارير والمعنى قدروها على قدر الأكف أو على قدر ما يحتاجون من الشراب قال مجاهد: هى لا تغيض ولا تفيض. وقيل قدروها على حسب مايشتهون، والضمير الفاعل فى قدروها

Marfat.com

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ۝ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ

يحتمل أن يكون للشاربين بها أو للطائفين بها (مزاجها زنجبيلا) هو كما ذكرنا فى مزاجها كافورا (سلسبيلا) معناه سلسل منقاد الجرية ، وقيل سهل الانحدار فى الحلق ، يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل بمعنى واحد وزيدت الباء فى التركيب للمبالغة فى سلاسته فصارت الكلمة خماسية ، وقيل سل فعل أمر سبيلا مفعول به وهذا فى غاية الضعف (ولدان مخلدون) ذكر فى الواقعة (لؤلؤا منثورا) شبههم باللؤلؤ فى الحسن والبياض وبالمنثور منه فى كثرتهم وانتشارهم فى القصور (وإذا رأيت ثم) مفعول رأيت محذوف ليكون الكلام على الإطلاق فى كل ما يرى فيها وثم ظرف مكان ، وقال الفراء تقديره إذا رأيت ما ثم فما مفعولة ثم حذفت ، قال الزمخشرى وهذا خطاب لأن ثم صلة لما ولا يجوز حذف الموصول وترك الصلة (ملكا كبيرا) يعنى كثرة ما أعطاهم الله حتى إن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه ، حسبما ورد فى الحديث وقيل أراد أن الملائكة تسلم عليهم ، وتستأذن عليهم ، فهم بذلك كالملوك (عاليهم) بسكون الياء مبتدأ خبره (ثياب سندس) أى ما يعلوهم من الثياب ثياب سندس ، وقرئ بالنصب على الحال ، من الضمير فى يطوف عليهم أو فى حسبتهم . وقال ابن عطية العامل فيه لقاهم أو جزاهم ، وقال أيضاً يجوز أن ينتصب على الظرف لأن معناه فوقاهم ، وقد ذكرنا معنى السندس والإستبرق وقرئ (خضر) بالخفض صفة لسندس وبالرفع صفة لثياب (وإستبرق) بالرفع عطف على ثياب ، وبالخفض عطف على سندس (وحلوا) وزنه فعلوا معناه جعل لهم حلى (أساور من فضة) ذكرنا الأساور فى الكهف ، فإن قيل كيف قال هنا أساور من فضة ، وفى موضع آخر أساور من ذهب ؟ فالجواب أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما فلعل الذهب للمقربين ، والفضة لأهل اليمين ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معاً (شرابا طهورا) أى ليس بنجس كخمر الدنيا ، وقيل معناه أنه لم تعصره الأقدام ، وقيل معناه لا يصير بولا (إن هذا كان لكم جزاء) أى يقال لهم هذا يقوله الله تعالى والملائكة (آثما أو كفورا) أو هنا للتنويع فالمعنى لا تطع النوعين ، فاعلا للإثم ولا كفورا ، وقيل هى بمعنى الواو أى جامعا للوصفين لأن هذه هى حالة الكفار ، وروى أن الآية نزلت فى أبى جهل ، وقيل أن الآثم عتبة بن ربيعة ، والكفور الوليد بن المغيرة ، والأحسن أنها على العموم ، لأن لفظها عام ، وإن كان سبب نزولها خاصا (بكرة وأصيلا) هذا أمر بذكر الله فى كل وقت ، وقيل إشارة إلى الصلوات الخمس ، فالبكرة صلاة الصبح ، والأصيل الظهر والعصر ، ومن الليل المغرب والعشاء (إن هؤلاء يحبون العاجلة) أى الدنيا والإشارة إلى

Marfat.com

وَرَآءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً ۞ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلاً ۞ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ۞ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ۞ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ۞

ســــورة المرسلات

مكية إلا آية ٤٨ فمدنية وآياتها ٥٠ نزلت بعد الهمزة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفاً ۞ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفاً ۞ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْراً ۞ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقاً ۞ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْراً ۞ عُذْراً أَوْ نُذْراً ۞ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۞ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۞ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۞

الكفار واليوم الثقيل يوم القيامة ، ووصفه بالثقل عبارة عن هوله وشدته (وشددنا أسرهم) الأسر الخلقة وقيل المفاصل والأوصال ، وقيل القوة (بدلنا أمثالهم تبديلا) أى أهلكناهم وأبدلنا منهم غيرهم وقيل مسخناهم فبدلنا صورهم وهذا تهديد (إن هذه تذكرة) الإشارة إلى الآية أو السورة أو الشريعة بجملتها (فمن شاء) تحضيض وترغيب ثم قيد مشيئتهم بمشيئة الله (والظالمين) منصوب بفعل مضمر تقديره ويعذب الظالمين

سورة المرسلات

اختلف فى معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على قولين : أحدهما أنها الملائكة والآخر أنها الرياح فعلى القول بأنها الملائكة سماهم المرسلات لأن الله تعالى يرسلهم بالوحى وغيره وسماهم العاصفات لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح فى سرعة مضيهم إلى امتثال أوامر الله تعالى ، وسماهم ناشرات لأنهم ينشرون أجنحتهم فى الجو ، وينشرون الشرائع فى الأرض ، أو ينشرون صحائف الأعمال وسماهم الفارقات لأنهم يفرقون بين الحق والباطل ، وعلى القول بأنها الرياح ، سماها المرسلات لقوله « الله الذى يرسل الرياح » وسماها العاصفات من قوله ريح عاصف أى شديدة وسماها الناشرات لأنها تنشر السحاب فى الجو ومنه قوله يرسل الرياح فتثير سحابا وسماها الفارقات لأنها تفرق بين السحاب ومنه قوله فيجعله كسفا وأما الملقيات ذكرا فهم الملائكة لأنهم يلقون الذكر للأنبياء عليهم السلام والأظهر فى المرسلات والعاصفات أنها الرياح لأن وصف الريح بالعصف حقيقة والأظهر فى الناشرات والفارقات أنها الملائكة لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح ولأن الملقيات المذكورة بعدها هى الملائكة ولم يقل أحد أنها الرياح ولذلك عطف المتجانسين بالفاء فقال والمرسلات فالعاصفات ثم عطف ماليس من جنسها بالواو فقال والناشرات ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء وقد قيل فى المرسلات والملقيات أنهم الأنبياء عليهم السلام (عرفا) معناه فضلا وإنعاما وانتصابه على أنه مفعول من أجله وقيل معناه متتابعة وهو مصدر فى موضع الحال وأما عصفا ونشرا وفرقا فمصادر وأما ذكرا فمفعول به (عذرا أو نذرا) العذر فسره ابن عطية وغيره بمعنى إعذار الله إلى عباده لئلا تبقى لهم حجة أو عذر وفسره الزمخشرى بمعنى الاعتذار يقال عذر إذا محا الإساءة وأما نذرا فمن الإنذار وهو التخويف وقرئ بضم الذال فى الموضعين وبإسكانها ويحتمل أن يكونا مصدرين فيكون نصبهما على البدل من ذكرا أو مفعولا بذكرا ويحتمل أن

وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ۝ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ۝ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝

يكون عذراً جمع عذير أو عاذر ونذرا جمع نذير فيكون نصبهما على الحال (إنما توعدون لواقع) يعنى البعث والجزاء وهو جواب القسم (فإذا النجوم طمست) أى زال ضوؤها وقيل محيت (وإذا السماء فرجت) أى انشقت (وإذا الجبال نسفت) أى صارت غبارا (وإذا الرسل أقتت) أى جعل لها وقت معلوم فحان ذلك الوقت وجمعت للشهادة على الأمم يوم القيامة وقرئ وقتت بالواو وهو الأصل والهمزة بدل من الواو (لأى يوم أجلت) هو من الأجل كما أن التوقيت من الوقت وفيه توقيف يراد به تعظيم لذلك اليوم ثم بينه بقوله (ليوم الفصل) أى يفصل فيه بين العباد ثم عظمه بقوله (وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين) تكراره فى هذه السورة قيل إنه تأكيد وقيل بل فى كل آية مايقتضى التصديق فجاء ويل يومئذ للمكذبين راجعا إلى ماقبله فى كل موضع منها (ألم نهلك الأولين) يعنى الكفار المتقدمين كقوم نوح وغيرهم (ثم نتبعهم الآخرين) يعنى قريشا وغيرهم من الكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره (كذلك نفعل بالمجرمين) أى مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم يعنى الكفار (ألم نخلقكم من ماء مهين) يعنى المنى، والمهين الضعيف (فجعلناه فى قرار مكين) يعنى رحم المرأة وبطنها (إلى قدر معلوم) يعنى وقت الولادة وهو معلوم عند تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر (فقدرنا) بالتشديد من التقدير وبالتخفيف من القدرة فإذا كان من القدرة اتفق مع قوله فنعم القادرون وإذا كان من التقدير فهو تجنيس (ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا) الكفات من كفت إذا ضم وجمع فالمعنى أن الأرض تكفت الأحياء على ظهرها والموتى فى بطنها وانتصب أحياء وأمواتا على أنه مفعول بكفاتا لأن الكفات اسم لما يضم ويجمع فكأنه قال جامعة أحياء وأمواتا ويجوز أن يكون المعنى تكفتهم أحياء وأمواتا فيكون نصبهما على الحال من الضمير وإنما نكر أحياء وأمواتا للتفخيم ودلالة على كثرتهم (رواسى) يعنى الجبال (شامخات) أى مرتفعات (ماء فراتا) أى حلوا (انطلقوا) خطاب للمكذبين وقرأ يعقوب بفتح اللام على أنه فعل ماض ثم كرره لبيان المنطلق إليه (إلى ظل) يعنى دخان جهنم ومنه ظل من يحموم (ذى ثلاث شعب) أى يتفرع من الدخان ثلاث شعب فتظلهم بينما يكون المؤمنون فى ظلال العرش وقيل إن هذه الآية فى عبدة الصليب لأنهم على ثلاث شعب فيقال لهم انطلقوا إليه (لاظليل) نفى عنه أن يظلهم كما يظل العرش المؤمنين ونفى أيضا أن يمنع عنهم اللهب (إنها ترمى بشرر كالقصر) الضمير فى إنها لجهنم والقصر واحد القصور وهى الديار العظام شبه الشرر به فى عظمته وارتفاعه فى الهواء وقيل هو الغليظ من الشجر

Marfat.com

هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿

ســـورة النبأ : مكية وآياتها ٤٠ نزلت بعد المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿ ثُمَّ

واحده قصرة كجمرة وجمر (كأنه جمالات صفر) فى الجمالات قولان أحدهما أنها جمع جمال شبه بها الشرر وصفر على ظاهره لأن لون النار يضرب إلى الصفرة وقيل صفر هنا بمعنى سود يقال جمل أصفر أى أسود وهذا أليق بوصف جهنم الثانى أن الجمالات قطع النحاس الكبار فكأنه مشتق من الجملة وقرئ جمالات بضم الجيم وهى قلوس السفن وهى حبالها العظام (هذا يوم لا ينطقون) هذا فى مواطن وقد يتكلمون فى مواطن أخر لقوله يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها (فإن كان لكم كيد فكيدون) تعجيز لهم وتعريض بكيدهم فى الدنيا وتقريع عليه (كلوا واشربوا) يقال لهم ذلك فى الجنة بلسان الحال أو بلسان المقال (هنيئا بما كنتم تعملون) نصب هنيئا على الحال أو على الدعاء (كلوا وتمتعوا) خطاب للكفار على وجه التهديد تقديره قل لهم كلوا وتمتعوا قليلا فى الدنيا (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) هذا إخبار عن حال الكفار فى الدنيا وذكر الركوع عبارة عن الصلاة وقيل معنى اركعوا اخشعوا وتواضعوا وقيل هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة لأنهم إذا قيل لهم اركعوا لا يقدرون على الركوع كقوله ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون والأول أشهر وأظهر (فبأى حديث بعده يؤمنون) الضمير للقرآن

ســـورة النبأ

(عم يتساءلون) أصل عم عن ما ثم أدغمت النون فى الميم وحذفت ألف ما لأنها استفهامية تقديرها عن أى شىء يتساءلون وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام وإنما المراد تفخيم الأمر والضمير فى يتساءلون لكفار قريش أو لجميع الناس ومعناه يسأل بعضهم بعضا (عن النبأ العظيم) هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك ويتعلق عن النبإ بفعل محذوف يفسره الظاهر تقديره يتساءلون عن النبأ ووقعت هذه الجملة جوابا عن الاستفهام وبيانا للمسؤول عنه كأنه لما قال عم يتساءلون أجاب فقال يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل يتعلق عن النبأ بيتساءلون الظاهر والمعنى على هذا لأى شىء يتساءلون عن النبأ العظيم والأول أفصح وأبرع وينبغى على ذلك أن يوقف على قوله عم يتساءلون (الذى هم فيه مختلفون) إن كان الضمير فى يتساءلون لكفار قريش فاختلافهم أن منهم من يقطع بالتكذيب ومنهم من يشك أو يكون اختلافهم قول بعضهم

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝ يَوْمَ يُنْفَخُ
فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ
مِرْصَادًا ۝ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ۝ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ جَزَاءً

سحر وقول بعضهم شعر وكهانة وغير ذلك وإن كان الضمير لجميع الناس فاختلافهم أن منهم المؤمن والكافر (كلا سيعلمون) ردع وتهديد ثم كرره للتأكيد (ألم نجعل الأرض مهادا) أي فراشا، وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة التوقيف ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث كأنه يقول إن الإله الذى قدر على خلقة هذه المخلوقات العظام قادر على إحياء الناس بعد موتهم، ويحتمل أنه ذكرها حجة على التوحيد لأن الذى خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لاشريك له (والجبال أوتادا) شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد (وخلقناكم أزواجا) أى من زوجين ذكرا وأنثى، وقيل معناه أنواعا فى ألوانكم وصوركم وألسنتكم (وجعلنا نومكم سباتا) أى راحة لكم، وقيل معناه قطعا للأعمال والتصرف والسبت القطع وقيل معناه موتا لأن النوم هو الموت الأصغر ومنه قوله تعالى «الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها» (وجعلنا الليل لباسا) شبهه بالثياب التى تلبس لأنه ستر عن العيون (وجعلنا النهار معاشا) أى تطلب فيه المعيشة، فهو على حذف مضاف تقديره ذا معاش. وقال الزمخشرى معناه يعاش فيه فجعله بمعنى الحياة فى مقابلة السبات الذى بمعنى الموت (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يعنى السموات (وجعلنا سراجا وهاجا) يعنى الشمس والوهاج الوقاد الشديد الإضاءة، وقيل الحار الذى يضطرم من شدة لهبه (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) يعنى المطر والمعصرات هى السحاب وهو مأخوذ من العصر لأن السحاب ينعصر فينزل منه الماء، أو من العصرة، بمعنى الإغاثة ومنه وفيه يعصرون، وقيل هى السموات وقيل الرياح والثجاج السريع الاندفاع (لنخرج به حبا ونباتا) الحب هو القمح والشعير وسائر الحبوب والنبات هو العشب (وجنات ألفافا) أى ملتفة وهو جمع لف بضم اللام، وقيل بالكسر وقيل لا واحد له (كان ميقاتا) أى فى وقت معلوم (يوم ينفخ فى الصور) يعنى نفخة القيام من القبور (فتأتون أفواجا) أى جماعات (فكانت أبوابا) أى تنفتح فتكون فيها شقاق كالأبواب (وسيرت الجبال) أى حملت (فكانت سرابا) عبارة عن تلاشيها وفنائها والسراب فى اللغة مايظهر على البعد أنه ماء، وليس ذلك المراد هنا وإنما هو تشبيه فى أنه لاشىء (مرصادا) أى موضع المرصد والرصد هو الارتقاب والانتظار، أى تنتظر الكفار ليدخلوها وقيل معناه طريقا للمؤمنين يمرون عليه إلى الجنة لأن الصراط منصوب على جهنم (مآبا) أى مرجعا (لابثين فيها أحقابا) جمع حقبة أو حقب وهى المدة الطويلة من الدهر غير محدودة، وقيل إنها محدودة ثم اختلف فى مقدارها، فروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنها ثمانون ألف سنة. وقال ابن عباس ثلاثون سنة وقيل ثلثمائة سنة، وعلى القول بالتحديد فالمعنى أنهم يبقون فيها أحقابا كلما انقضى حقب جاء آخر إلى

Marfat.com

وفاقاً * إنهم كانوا لا يرجون حساباً وكذبوا بآياتنا كذاباً ، وكل شيء أحصيناه كتاباً * فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ، إن للمتقين مفازاً ، حدائق وأعناباً ، وكواعب أتراباً ، وكأساً دهاقاً ، لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً * جزاء من ربك عطاء حساباً ، رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً ، يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً * ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً * إنا أنذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً *

غير نهاية وقيل إنه كان يقتضى أن مدة العذاب تنقضى ، ثم نسخ بقوله « فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا » وهذا خطاب لأن الأخبار لاتنسخ ، وقيل هى فى عصاة المؤمنين الذى يخرجون من النار ، وهذا خطأ لأنها فى الكفار لقوله وكذبوا بآياتنا وقيل معناها أنهم يبقون أحيانا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ثم يبدل لهم نوع آخر من العذاب (لا يذوقون فيها برداً ولا شرابا) أى لا يذوقون برودة تخفف عنهم حر النار وقيل لا يذوقون ماء بارداً وقيل البرد هنا النوم والأول أظهر (إلا حميما وغساقا) استثناه من الشراب وهو متصل والحميم الماء الحار والغساق صديد أهل النار وقد ذكر فى سورة داود (جزاء وفاقا) أى موافقا أعمالهم لأن أعمالهم كفر وجزاؤهم النار ، ووفاقا مصدر وصف به أو هو على حذف مضاف تقديره ذو وفاق (إنهم كانوا لا يرجون حسابا) هذا مثل لا يرجون لقاءنا وقد ذكر (كذابا) بالتشديد مصدر بمعنى تكذيب وبالتخفيف بمعنى الكذب أو المكاذبة وهى تكذيب بعضهم لبعض (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مانزل فى أهل النار أشد من هذه الآية (مفازا) أى موضع فوز يعنى الجنة (حدائق) أى بساتين (وكواعب) جمع كاعب وهى الجارية التى خرج ثديها (أترابا) أى على سن واحد (وكأسا دهاقا) أى ملأى وقيل صافية والأول أشهر (عطاء حسابا) أى كافيا من أحسب الشيء اذا كفاه ، وقيل معناه على حسب أعمالهم (رب السموات) بالرفع مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر وبالخفض صفة لربك ، والرحمن بالخفض صفة وبالرفع خبر المبتدأ أو خبر ابتداء مضمر (لا يملكون منه خطابا) قال ابن عطية الضمير للكفار أى لا يملكون أن يخاطبوه بمقدرة ولا غيرها وقيل المعنى لا يقدرون أن يخاطبهم كقوله ولا يكلمهم الله وقال الزمخشرى الضمير لجميع الخلق أى ليس بأيديهم شيء من خطاب الله (يوم يقوم الروح) قيل هو جبريل وقيل ملك عظيم يكون هو وحده صفا والملائكة صفا ، وقيل يعنى أرواح بنى آدم فهو اسم جنس ويوم يتعلق بلا يملكون أو لا يتكلمون (لا يتكلمون) الضمير للملائكة والروح أى تمنعهم الهيبة من الكلام إلا من بعد أن يأذن الله لهم وقول الصواب يكون فى ذلك الموطن على هذا وقيل الضمير للناس خاصة والصواب المشار إليه قول لا إله إلا الله أى من قالها فى الدنيا (ذلك اليوم الحق) أى الحق وجوده ووقوعه (فمن شاء) تخصيص وترغيب (عذابا قريبا) يعنى عذاب الآخرة ووصفه بالقرب لأن كل آت قريب أو لأن الدنيا على آخرها (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) المرء هنا عموم فى المؤمن والكافر ، وقيل هو المؤمن وقيل هو الكافر والعموم أحسن لأن كل أحد يرى ماعمل لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة الآية (ويقول

ســــورة النازعات : مكية وآياتها ٤٦ نزلت بعد النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ

الكافر ياليتنى كنت ترابا) تمنى أن يكون يوم القيامة ترابا فلا يحاسب ولا يجازى، وقيل تمنى أن يكون فى الدنيا ترابا أى لم يخلق ، وروى أن البهائم تحشر ليقتص لبعضهم من بعض ثم ترد ترابا فيتمنى الكافر أن يكون ترابا مثلها ، وهذا يقوى الأول ، وقيل الكافر هنا إبليس يتمنى أن يكون خلق من تراب مثل آدم وذريته لما رأى ثوابهم وقد كان احتقر التراب فى قوله خلقتنى من نار وخلقته من طين

سورة النازعات

اختلف فى معنى النازعات والناشطات والسابقات والسابحات والمدبرات ، فقيل إنها الملائكة وقيل النجوم ، فعلى القول بأنها الملائكة سماهم نازعات لأنهم ينزعون نفوس بنى آدم من أجسادها وناشطات لأنهم ينشطونها أى يخرجونها فهو من قولك نشطت الدلو من البئر إذا أخرجتها وسابحات لأنهم يسبحون فى سيرهم أى يسرعون فيسبقون فيدبرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسبما يأمرهم الله وعلى القول بأنها النجوم سماها نازعات لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب وناشطات لأنها تنشط من برج إلى برج وسابحات لأنها تسبح فى الفلك ومنه كل فى فلك يسبحون فتسبق فى جريها فتدبر أمرا من علم الحساب ، وقال ابن عطية لا أعلم خلافا أن المدبرات أمرا الملائكة وحكى الزمخشرى فيها ما ذكرنا وقد قيل فى النازعات والناشطات أنها النفوس تنزع من معنى النزع بالموت فتنشط من الأجساد ، وقيل فى السابحات والسابقات أنها الخيل وأنها السفن (غرقا) إن قلنا النازعات الملائكة ففى معنى غرقا وجهان : أحدهما أنها من الغرق أى تغرق الكفار فى جهنم والآخر أنه من الإغراق فى الأمر بمعنى المبالغة فيه أى تبالغ فى نزعها فتقطع الفلك كله . وإن قلنا إنها النفوس فهو أيضا من الإغراق أى تغرق فى الخروج من الجسد والإعراب. غرقا مصدر فى موضع الحال . ونشطا وسبحا وسبقا مصادر ، وأمرا مفعول به ، وجواب القسم محذوف وهو بعث الموتى بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة ، وقيل الجواب يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة على تقدير حذف لام التأكيد ، وقيل هو «إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى» وهذا بعيد لبعده عن القسم ولأنه إشارة إلى قصة فرعون لا لمعنى القسم (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) قيل الراجفة النفخة الأولى فى الصور والرادفة النفخة الثانية لأنها تتبعها ولذلك سماها رادفة من قولك ردفت الشىء إذا تبعته ، وفى الحديث أن بينهما أربعين عاما ، وقيل الراجفة الموت والرادفة القيامة ، وقيل الراجفة الأرض ، من قوله «ترجف الأرض والجبال» والرادفة السماء لأنها تنشق يومئذ والعامل فى يوم ترجف محذوف وهو الجواب المقدر تقديره لتبعثن يوم ترجف الراجفة وإن جعلنا يوم ترجف الجواب فالعامل فى يوم معنى قوله «قلوب يومئذ واجفة» وقوله «تتبعها الرادفة» فى موضع الحال ويحتمل أن يكون العامل فيه تتبعها (قلوب يومئذ واجفة) أى شديدة الاضطراب والوجيف والوجيب بمعنى واحد وارتفع قلوب بالابتداء وواجفة خبره ، وقال الزمخشرى : واجفة صفة والخبر أبصارها خاشعة

Marfat.com

أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ ◦ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ◦ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ✱ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ◦ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ◦ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ◦ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ✱ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ◦ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ◦ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ◦ فَأَرَىٰهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ◦ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ◦ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ✱ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ◦ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ◦ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰٓ ◦ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

(أبصارها خاشعة) كناية عن الذل والخوف وإضافت الأبصار إلى القلوب على تجوز والتقدير قلوب أصحابها (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة) هذا حكاية قول الكفار فى الدنيا ، ومعناه على الجملة إنكار البعث فالهمزة فى قوله «أئنا لمردودون» للإنكار ولذلك اتفق العلماء على قراءته بالهمزتين إلا أن منهم من سهل الثانية ومنهم من خففها واختلفوا فى إذا كنا عظاما نخرة فمنهم من قرأه بهمزة واحدة لأنه ليس بموضع استفهام ولا إنكار ومنهم من قرأه بهمزتين تأكيدا للإنكار المتقدم ثم اختلفوا فى معنى الحافرة على ثلاثة أقوال : أحدها أنها الحالة الأولى يقال رجع فلان فى حافرته إذا رجع إلى حالته الأولى فالمعنى أئنا لمردودون إلى الحياة بعد الموت والآخر أن الحافرة الأرض بمعنى محفورة فالمعنى أئنا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدفن فى القبور والثالث أن الحافرة النار والعظام النخرة البالية المتعفنة وقرئ ناخرة بألف وبحذف الألف وهما بمعنى واحد إلا أن حذف الألف أبلغ لأن فعل أبلغ من فاعل وقيل معناه العظام المجوفة التى تمر بها الريح فيسمع لها نخير والعامل فى إذا كنا محذوف تقديره إذا كنا عظاما نبعث ويحتمل أن يكون العامل فيه مردودون فى الحافرة ولكن إنما يجوز ذلك على قراءة إذا كنا بهمزة واحدة على الخبر ولا يجوز على قراءته بهمزتين لأن همزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها (قالوا تلك إذاً كرة خاسرة) الكرة الرجعة والخاسرة منسوبة إلى الخسران كقوله عيشة راضية أى ذات رضى أو معناه خاسر أصحابها ومعنى هذا الكلام أنهم قالوا إن كان البعث حقا فكرتنا خاسرة لأنا ندخل النار (فإنما هى زجرة واحدة) يعنى النفخة فى الصور للقيام من القبور وهذا من كلام الله تعالى ردا على الذين أنكروا البعث كأنه يقول لا تظنوا أنه صعب على الله هو عليه يسير فإنما ينفخ نفخة واحدة فى الصور فيقوم الناس من قبورهم (فإذاهم بالساهرة) إذا هنا فجائية والساهرة وجه الأرض والباء ظرفية والمعنى إذا نفخ فى الصور حصلوا بالأرض أسرع شىء (هل أتاك) توقيف وتنبيه وليس المراد به مجرد الاستفهام (طوى) ذكر فى طه (اذهب إلى فرعون) تفسير للنداء (هل لك إلى أن تزكى) أن تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل وقال بعضهم تزكى تسلم وقيل تقول لا إله إلا الله والأول أعم (الآية الكبرى) قلب العصا حية وإخراج اليد بيضاء وجعلهما واحدة لأن الثانية تتبع الأولى ويحتمل أن يريد الأولى وحدها (ثم أدبر يسعى) الإدبار كناية عن الإعراض عن الإيمان ويسعى عبارة عن جده فى الكفر وفى إبطال أمر موسى عليه السلام وقيل هو حقيقة أى قام من مجلسه يفر من مجالسة موسى أو يهرب من العصا لما صارت ثعبانا (فحشر) أى جمع جنوده وأهل مملكته (فنادى) أى نادى قومه وقال لهم ماقال ويحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر من يناديهم والأول أظهر وروى أنه قام فيهم خطيبا فقال ماقال (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) النكال مصدر بمعنى التنكيل والعامل فيه أخذه الله لأنه بمعناه وقيل العامل

Marfat.com

لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَآءُ بَنَىٰهَا ۝ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝ وَالْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝ فَإِذَا جَآءَتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَىٰ ۝ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝

محذوف والآخرة هي دار الآخرة والأولى الدنيا فالمعنى نكال الآخرة بالنار ونكال الأولى بالغرق وقيل الآخرة قوله أنا ربكم الأعلى والأولى قوله ماعلمت لكم من إله غيرى وقيل بالعكس فالمعنى أخذه الله وعاقبه على كلمة الآخرة وكلمة الأولى (أأنتم أشد خلقا أم السماء) هذا توقيف قصد به الاستدلال على البعث فإن الذى خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فنائها (رفع سمكها) السمك غلظ السماء وهو الارتفاع الذى بين سطح السماء الأسفل الذى يلينا وسطحها الأعلى الذى يلى مافوقها ومعنى رفعه أنه جعله مسيرة خمسمائة عام وقيل السمك السقف (فسواها) أى أتقن خلقتها وقيل جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض (وأغطش ليلها) أى جعله مظلما يقال غطش الليل إذا أظلم وأغطشه الله (وأخرج ضحاها) أى أظهر ضوء الشمس فى وقت الضحى وأضاف الضحى والليل إلى السماء من حيث أنهما ظاهران منها وفيها (والأرض بعد ذلك دحاها) أى بسطها واستدل بها من قال إن الأرض بسيطة غير كروية وقد ذكرنا فى فصلت الجمع بين هذا وبين قوله ثم استوى إلى السماء (أخرج منها ماءها) ومرعاها نسب الماء والمرعى إلى الأرض لأنهما يخرجان منها فإن قيل لما قال أخرج بغير حرف العطف؟ فالجواب أن هذه الجملة فى موضع الحال وتفسير لما قبلها قاله الزمخشرى (والجبال أرساها) أى أثبتها ونصب الجبال بفعل مضمر يدل عليه الظاهر وكذلك الأرض (متاعاً لكم) تقديره فعل ذلك كله تمتيعا لكم منه (ولأنعامكم) لأن بنى آدم والأنعام ينتفعون بما ذكر (الطامة) هى القيامة وقيل النفخة الثانية واشتقاقها من قولك طم الأمر إذا علا وغلب (وبرزت الجحيم لمن يرى) أى أظهرت لكل من يرى فهى لاتخفى على أحد (مقام ربه) ذكر فى سورة الرحمن (ونهى النفس عن الهوى) أى ردها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة قال بعض الحكماء إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفه وقال سهل التسترى لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين (أيان مرساها) ذكر فى الأعراف (فيم أنت من ذكراها) أى من ذكر زمانها فالمعنى لست فى شىء من ذكر ذلك قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة كثيراً فلما نزلت هذه الآية انتهى (إلى ربك منتهاها) أى منتهى علمها لايعلم متى تكون إلا هو وحده (إنما أنت منذر من يخشاها) أى إنما بعثت لتنذر بها وليس عليك الإخبار بوقتها وخص الإنذار بمن يخشاها لأنه هو الذى ينفعه الإنذار (لم يلبثوا إلا عشية أوضحاها) أخبر أنهم إذا رأوا الساعة ظنوا أنهم لم يلبثوا فى الدنيا أو فى القبور إلا عشية يوم أوضحى يوم وأضاف الضحى كذلك إلى العشية لما بينهما من الملابسة إذ هما فى يوم واحد

سورة عبس : مكية وآياتها ٤٢ نزلت بعدالنجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝

سورة عبس

سبب نزول صدر هذه السورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حريصا على إسلام قريش وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليسلموا فيسلم بإسلامهم غيرهم فبينما هو مع رجل من عظمائهم قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل عتبة بن ربيعة وقيل أمية بن خلف ، وقال ابن عباس كانوا جماعة إذ أقبل عبدالله بن أم مكتوم الأعمى فقال يارسول الله علمني مما علمك الله ، وكرر ذلك وهو لا يعلم عنه بتشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطع الأعمى كلامه فعبس وأعرض عنه وذهب الرجل الذى كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عبدالله بن أم مكتوم بعد ذلك يقول مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى ويبسط له رداءه وقد استخلفه على المدينة مرتين (عبس وتولى) أى عبس فى وجه الأعمى وأعرض عنه قال ابن عطية فى مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة فى العتب لأن فى ذلك بعض الإعراض وقال الزمخشرى فى الإخبار بالغيبة زيادة فى الإنكار ، وقال غيرهما هو إكرام للنبى صلى الله عليه وسلم وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب وهذا أحسن (أن جاءه الأعمى) فى موضع مفعول من أجله وهو منصوب بتولى أو عبس وذكر ابن أم مكتوم بلفظ الأعمى ليدل أن عماه هو الذى أوجب احتقاره وفى هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كانت لمنفعة أو يشهد صاحبها ومنه قول المحدثين سليمان الأعمش وعبد الرحمن الأعرج وغير ذلك (وما يدريك) أى أى شىء يطلعك على حال هذا الأعمى (لعله يزكى) أى يتطهر وينتفع فى دينه بما يسمع منك ، (أما من استغنى فأنت له تصدى) أى تتعرض للغنى رجاء أن يسلم (وما عليك ألا يزكى) أى لا حرج عليك أن لا يتزكى هذا الغنى (وأما من جاءك يسعى) إشارة إلى عبد الله بن أم مكتوم ، ومعنى يسعى يسرع فى مشيه من حرصه فى طلب الخير (وهو يخشى) أى يخشى الله أو يخاف الكفار وإذايتهم له على اتباعك وقيل جاء وليس معه من يقوده ، فكان يخشى أن يقع وهذا ضعيف (فأنت عنه تلهى) أى تشتغل عنه بغيره من قولك لهيت عن الشىء إذا تركته ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأدب بما أدبه الله فى هذه السورة فلم يعرض بعدها عن فقير ولا تعرض لغنى ، وكذلك اتبعه فضلاء العلماء ، فكان الفقراء فى مجلس سفيان الثورى كالأمراء وكان الأغنياء يتمنون أن يكونوا فقراء (كلا) ردع عن معاودة ما وقع العتاب فيه (إنها تذكرة) فيه وجهان ، أحدهما : أن هذا الكلام المتقدم تذكرة أو موعظة للنبى صلى الله عليه وسلم والآخر أن القرآن تذكرة لجميع الناس فلا ينبغى أن يؤثر فيه أحد على أحد ، وهذا أرجح لأنه يناسبه : فمن شاء ذكره ، وما بعده ، وأنث الضمير فى قوله إنها تذكرة على معنى القصة أو الموعظة أو السورة أو القراءة

كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۞ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۞ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۞ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۞ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۞
ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۞ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۞ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ۞ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا
الْمَاءَ صَبًّا ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۞ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۞ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۞
وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۞ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۞ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ۞ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞

وذكرها فى قوله فمن شاء ذكره على معنى الوعظ أو الذكرى والقرآن (فى صحف) صفة لتذكرة أى ثابتة فى صحف وهى الصحف المنسوخة من اللوح المحفوظ وقيل هى مصاحف المسلمين (مرفوعة) إن كانت الصحف المصاحف فمعناه مرفوعة المقدار وإن كانت صحف الملائكة فمعناه كذلك أو مرفوعة فى السماء، مطهرة أى منزهة عن أيدى الشياطين (بأيدى سفرة) هى الملائكة، والسفرة جمع سافر وهو الكاتب؛ لأنهم يكتبون القرآن وقيل لأنهم سفراء بين الله وبين عبيده، وقيل يعنى القراء من الناس والأول أرجح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة أى أنه يعمل مثل عملهم فى كتابة القرآن وتلاوته أوله من الأجر على القرآن مثل أجورهم (قتل الإنسان) دعاء عليه على ماجرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ، ومعناه تقبيح حاله وأنه ممن يستحق أن يقال له ذلك. وقيل معناه لعن وهذا بعيد (ما أكفره) تعجيب من شدة كفره مع أنه كان يجب عليه خلاف ذلك (من أى شىء خلقه) توقيف وتقرير ثم أجاب عنه بقوله (من نطفة خلقه) يعنى المنى ومقصد الكلام تحقير الإنسان ومعناه أنه يجب عليه أن يعظم الرب الذى خلقه (فقدره) أى هيأه لما يصلح له ومنه خلق كل شىء فقدره تقديرا، وقيل معناه جعله على مقدار معلوم فى إعطائه وأجله ورزقه وغير ذلك (ثم السبيل يسره) نصب السبيل بفعل مضمر فسره يسره، وفى معناه ثلاثة أقوال أحدها: يسر سبيل خروجه من بطن أمه والآخر أنه سبيل الخير والشر لقوله إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا، الثالث سبيل النظر السديد المؤدى إلى الإيمان، والأول أرجح لعطفه على قوله من نطفة خلقه فقدره وهو قول ابن عباس (ثم أماته فأقبره) أى جعله ذا قبر يقال قبرت الميت إذا دفنته وأقبرته إذا أمرت أن يدفن (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه من قبره يقال نشر الميت إذا قام وأنشره الله والإشارة بإذا شاء ليوم القيامة، أى الوقت الذى يقدر أن ينشره فيه (كلا) ردع للإنسان عما هو فيه (لما يقض ما أمره) أى لم يقض الإنسان على تطاول عمره ما أمره الله، قال بعضهم لا يقضى أحد أبدا جميع ما افترض الله عليه إذ لابد للعبد من تفريط (فلينظر الإنسان إلى طعامه) أمر بالاعتبار فى الطعام كيف خلقه الله بقدرته ويسره برحمته فيجب على العبد طاعته وشكره ويقبح معصيته والكفر به، وقيل فلينظر إلى طعامه إذا صار رجيعا فينظر حقارة الدنيا وخساسة نفسه، والأول أشهر وأظهر فى معنى الآية على أن القول الثانى صحيح وانظر كيف فسره بقوله أنا صببنا الماء صبا ومابعده ليعدد النعم ويظهر القدرة وقرئ إنا صببنا الماء بفتح الهمزة على البدل من الطعام (ثم شققنا الأرض) يعنى بخروج النبات منها (حبا) يعنى القمح والشعير وسائر الحبوب (وقضبا) قيل هى الفصفصة، وقيل هى علف البهائم واختار ابن عطية أنها البقول وشبهها مما يؤكل رطبا (غلبا) أى غليظة ناعمة (وأبا) الأب المرعى عند ابن عباس والجمهور، وقيل التبن وقد توقف

Marfat.com

وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ٠

سورة التكوير: مكية وآياتها ٢٩ نزلت بعد المسد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ٠ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٠ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٠ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٠ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ

فى تفسيره أبو بكر وعمر رضى الله عنهما (الصاخة) القيامة وهى مشتقة من قولك صخ الأذن إذا أصمها بشدة صياحه فكأنه إشارة إلى النفخة فى الصور أو إلى شدة الأمر حتى يصخ من يسمعه لصعوبته وقيل هى من قولك أصاخ للحديث إذا استمعه والأول هو الموافق للاشتقاق (يفر المرء من أخيه) الآية ذكر فرار الإنسان من أحبابه ورتبهم على ترتيبهم فى الحنو والشفقة فبدأ بالأقل وختم بالأكثر لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه من كل من تقدم ذكره وإنما يفر منهم لاشتغاله بنفسه ؛ وقيل إن فراره منهم لئلا يطالبوه بالتبعات والأول أرجح وأظهر ، لقوله «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» أى هو مشغول بشأنه من الحساب والثواب والعقاب ، حتى لا يسعه ذكر غيره ، وانظر قول الأنبياء عليهم السلام ، يومئذ نفسى نفسى (وجوه يومئذ مسفرة) أى مضيئة من السرور ، وهو من قولك أسفر الصبح إذا أضاء (عليها غبرة) أى غبار والقترة أيضا الغبار قال ابن عطية : الغبرة من العبوس والكرب كما يقتر وجه المهموم والمريض ، والقترة هى غبار الأرض ، وقال الزمخشرى الغبرة غبار يعلوها والقترة سواد فيعظم قبحها باجتماع الغبار والسواد

سورة التكوير

ذكر الله فى هذه السورة أهوال القيامة ، وما يعترى الموجودات حينئذ من التغيير (إذا الشمس كورت) قال ابن عباس : ذهب ضوءها وأظلمت وقيل رمى بها وقيل اضمحلت وأصله من تكوير العمامة لأنها إذا لفت زال انبساطها وصغر جرمها (وإذا النجوم انكدرت) أى تساقطت من مواضعها ، وقيل تغيرت والأول أرجح لأنه موافق لقوله «وإذا الكواكب انتثرت» وروى أن الشمس والنجوم تطرح فى جهنم ليراها من عبدها ، كما قال «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» (وإذا الجبال سيرت) أى حملت وبعد ذلك تفتت فتصير هباء ثم تتلاشى (وإذا العشار عطلت) العشار جمع عشراء وهى الناقة الحامل التى مر لحملها عشرة أشهر وهى أنفس ما عند العرب وأعزها فلا تعطل إلا من شدة الهول ، وتعطيلها هو تركها سائبة أى ترك حلبها (وإذا الوحوش حشرت) أى جمعت وفى صفة حشرها ثلاثة أقوال : أحدها أنها تحشر أى تبعث يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض ثم تكون ترابا والآخر أنها تحشر بموتها دفعة واحدة عند هول القيامة قاله ابن عباس وقال إنها لا تبعث وأنه لا يحضر القيامة إلا الإنس والجن والثالث أنها تجمع فى أول أهوال القيامة وتفر فى الأرض فذلك حشرها (وإذا البحار سجرت) فيه ثلاثة أقوال أحدها ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا والآخر ملئت نيرانا لتعذيب أهل النار والثالث فرغت من مائها ويبست وأصله من سجرت التنور إذا ملأتها

Marfat.com

سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ۝ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝ وَمَا

فالقول الأول والثاني أليق بالأصل . والأول والثالث موافق لقوله فجرت (وإذا النفوس زوجت) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن التزويج بمعنى التنويع لأن الأزواج هي الأنواع فالمعنى جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن والثاني زوجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين والثالث زوجت الأرواح والأجساد أي ردت إليها عند البعث والأول هو الأرجح . لأنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن الخطاب وابن عباس (وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت) الموؤدة هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها ومن غيرته عليها فتسأل يوم القيامة بأي ذنب قتلت على وجه التوبيخ لقاتلها وقرأ ابن عباس « وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت » بضم القاف وسكون اللام وضم التاء واستدل ابن عباس بهذه الآية على أن أولاد المشركين في الجنة لأن الله ينتصر لهم ممن ظلمهم (وإذا الصحف نشرت) هي صحف الأعمال تنشر ليقرأ كل أحد كتابه ، وقيل هي الصحف التي تتطاير بالأيمان والشمائل بالجزاء (وإذا السماء كشطت) الكشط هو التقشير كما يكشط جلد الشاة حين تسلخ وكشط السماء هو طيها كطى السجل قاله ابن عطية وقيل معناه كشفت وهذا أليق بالكشط (وإذا الجحيم سعرت) أي أوقدت وأحميت (وإذا الجنة أزلفت) أي قربت (علمت نفس ما أحضرت) هذا جواب إذا المكررة في المواضع قبل هذا ومعناه علمت كل نفس ما أحضرت من عمل فلفظ النفس مفرد يراد به الجنس والعموم وقال ابن عطية إنما أفردها ليبين حقارتها وذلتها وقال الزمخشري هذا من عكس كلامهم الذي يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه كقوله «ربما يود الذين كفروا» ومعناه التكثير وكذلك هنا معناه أعم الجموع «ما أحضرت» عبارة عن الحسنات والسيآت (فلا أقسم) ذكرت نظائره (بالخنس الجوار الكنس) يعني الدراري السبعة وهي الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والمشتري والزهرة وذلك أن هذه الكواكب تخنس في جريها أي تتقهقر فيكون النجم في البرج ثم يكر راجعا [illegible] جواري في الفلك وهي تنكنس في أبراجها أي تستتر وهو مشتق من قولك كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو موضعه وقيل يعني الدراري الخمسة لأنها تستتر بضوء الشمس وقيل يعني النجوم كلها لأنها تخنس في جريها وتنكس بالنهار أي تستتر وتختفي بضوء الشمس وقيل يعني بقر الوحش فالخنس على هذا من خنس الأنف والكنس من سكناها في كناسها (والليل إذا عسعس) يقال عسعس الليل إذا كان غير مستحكم الظلام فقيل ذلك في أوله وقيل في آخره وهذا أرجح لأن آخر الليل أفضل ولأنه أعقبه بقوله (والصبح إذا تنفس) أي استطار واتسع ضوؤه (إنه لقول رسول كريم) الضمير للقرآن والرسول الكريم جبريل وقيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال السهيلي لا يجوز أن يقال إنه محمد عليه السلام لأن الآية نزلت في الرد على الذين قالوا إن محمدا قال القرآن فكيف يخبر الله أنه قوله وإنما أراد جبريل وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به وهو في الحقيقة قول الله تعالى وهذا الذي قال السهيلي لا يلزم فإنه قد يضاف إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه تلقاه عن جبريل عليه السلام وجاء به إلى الناس ومع ذلك فالأظهر أنه جبريل لأنه وصفه بقوله ذي قوة وقد وصف جبريل

Marfat.com

صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ ۝

سورة الانفطار : مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * إِذَا السَّمَآءُ انفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِى خَلَقَكَ

بهذا لقوله شديد القوى ذومرة (عندذى العرش) يتعلق بذى قوة ، وقيل بمكين وهذا أظهر والمكين الذى له مكانة أى جاه وتقريب (مطاع ثم أمين) هذا الظرف إشارة إلى الظرف المذكور قبله وهو عندذى العرش أى مطاع فى ملائكة ذى العرش (وماصاحبكم بمجنون) هو محمد صلى الله عليه وسلم باتفاق (ولقد رآه بالأفق المبين) ضمير الفاعل لمحمد صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول لجبريل عليه السلام وهذه الرؤية له بغار حراء على كرسى بين السماء والأرض . وقيل الرؤية التى رآه عند سدرة المنتهى فى الإسراء ووصف هذا الأفق بالمبين لأنه روى أنه كان فى المشرق من حيث تطلع الشمس وأيضا فكل أفق فهو مبين (وماهو على الغيب بضنين) الضمير للنبى صلى الله عليه وسلم ومن قرأ بالضاد فمعناه بخيل أى لا يبخل بأداء ماأتى إليه من الغيب ، وهو الوحى ، ومن قرأ بالظاء فمعناه متهم أى لا يتهم على الوحى بل هو أمين عليه ورجح بعضهم هذه القراءة بأن الكفار لم ينسبوا محمدا صلى الله عليه وسلم إلى البخل بالوحى بل اتهموه فنفى عنه ذلك (وما هو بقول شيطان رجيم) الضمير للقرآن (فأين تذهبون) خطاب لكفار قريش أى ليس لكم زوال عن هذه الحقائق وقد تقدم تفسير بقية السورة فى نظائره فيما تقدم

سورة الانفطار

(إذا السماء انفطرت) أى انشقت (وإذا الكواكب انتثرت) أى سقطت من مواضعها (وإذا البحار فجرت) أى فرغت وقيل فجر بعضها إلى بعض فاختلط (وإذا القبور بعثرت) أى نبشت على الموتى الذين فيها وقال الزمخشرى أصله من البعث والبحث فضمت إليها الراء والمعنى بحثت وأخرج موتاها (علمت نفس ماقدمت وأخرت) هذا هو الجواب ومعناه علمت كل نفس جميع أعمالها وقيل ماقدمت فى حياتها وماأخرت مما تركته بعد موتها من سنة سنتها أو وصية أوصت بها وأفردت النفس والمراد به العموم حسبما ذكرنا فى التكوير (ياأيها الإنسان) خطاب لجنس بنى آدم (ماغرك بربك الكريم) هذا توبيخ وعتاب معناه أى شىء غرك بربك حتى كفرت به أو عصيته أو غفلت عنه فدخل فى العتاب الكفار وعصاة المؤمنين ومن يغفل عن الله فى بعض الأحيان من الصالحين وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قرأ ماغرك بربك الكريم فقال غره جهله وقال عمر غره جهله وحمقه وقرأ إنه كان ظلوما جهولا ، وقيل غره الشيطان المسلط عليه وقيل غره ستر الله عليه وقيل غره طمعه فى عفو الله عنه ولا تعارض بين هذه الأقوال لأن كل واحد

Marfat.com

فسوّاك فعدلك ۝ في أيّ صورة ما شاء ركّبك ۝ كلا بل تكذبون بالدين ۝ وإن عليكم لحافظين ۝ كراما
كاتبين ۝ يعلمون ما تفعلون ۝ إن الأبرار لفي نعيم ۝ وإن الفجار لفي جحيم ۝ يصلونها يوم الدين ۝ وما هم
عنها بغائبين ۝ وما أدراك ما يوم الدين ۝ ثم ما أدراك ما يوم الدين ۝ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
والأمر يومئذ لله ۝

سورة المطففين

مكية وآياتها ٣٦ نزلت بعد العنكبوت وهي آخر سورة نزلت بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ ويل للمطففين ۝ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ۝ وإذا كالوهم

منها إنما يغتر الإنسان إلا أن بعضها يغر قوما وبعضها يغر قوما آخرين فإن قيل ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟ فالجواب أن الكريم ينبغي أن يعبد ويطاع شكرا لإحسانه ومقابلة لكرمه ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة وأضاع الشكر الواجب (فعدلك) بالتشديد والتخفيف أي عدل أعضاءك وجعلها متوازية فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى ولا إحداهما كحلي والأخرى زرقاء ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود وشبه ذلك من الموازنة (في أي صورة ما شاء ركبك) المجرور يتعلق بركبك وما زائدة والمعنى ركبك في أي صورة شاء من الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة وغير ذلك من اختلاف الصور، ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره ركبك حاصلا في أي صورة وقيل يتعلق بعدلك على أن يكون بمعنى صرفك إلى أي صورة شاء وهذا بعيد، ولا يمكن إلا مع قراءة عدلك بالتخفيف (كلا) ردع عن الغرور المذكور قبل، والتكذيب المذكور بعد (بل تكذبون بالدين) هذا خطاب للكفار والدين هنا يحتمل أن يكون بمعنى الشريعة أو الحساب أو الجزاء (وإن عليكم لحافظين) يعني الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم (يعلمون ما تفعلون) يعلمون الأعمال لمشاهدتهم لها، وأما ما لا يرى ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب فقيل: إن الله ينفرد بعلم ذلك وقيل إن الملك يجد لها ريحا يدركها به (إن الأبرار لفي نعيم) في هذه الآية وفيما بعدها من أدوات البيان المطابقة والترصيع (وما هم عنها بغائبين) فيه قولان أحدهما أن معناه لا يخرجون منها إذا دخلوها والآخر لا يغيبون عنها في البرزخ قبل دخولها لأنهم يعرضون عليها غدوا وعشيا (وما أدراك ما يوم الدين) تعظيم له وتهويل وكرره للتأكيد والمعنى أنه من شدته بحيث لا يدري أحد مقدار هوله وعظمته (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) أي لا يقدر أحد على منفعة أحد وقرئ يوم بالرفع على البدل من يوم الدين أو على إضمار مبتدأ وبالنصب على الظرفية بإضمار فعل تقديره يجاوزون يوم الدين أو النصب على المفعولية بإضمار فعل تقديره اذكر ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو في موضع رفع

سورة المطففين

(ويل للمطففين) التطفيف في اللغة هو البخس والنقص وفسره بذلك الزمخشري واختاره ابن عطية وقيل هو تجاوز الحد في زيادة أو نقصان واختاره ابن الفرس وهو الأظهر لأن المراد به هنا بخس حقوق الناس في

Marfat.com

أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَـٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ * كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۝ وَمَآ أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ الَّذِينَ

المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره وسبب نزول السورة أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطى بالأنقص فالسورة على هذا مدنية وقيل مكية لذكر أساطير الأولين وقيل نزل بعضها بمكة ونزل أمر التطفيف بالمدينة إذ كانوا أشد الناس فساداً فى هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) معنى اكتالوا على الناس قبضوا منهم بالكيل فعلى بمعنى من وإنما أبدلت منها لما تضمن الكلام من معنى التحامل عليهم ويجوز أن يتعلق على الناس بيستوفون وقدم المفعول لإفادة التخصيص (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) معنى يخسرون ينقصون حقوق الناس وهو من الخسارة، يقال خسر الرجل وأخسره غيره إذا جعله يخسر ، وكالوهم معناه كالوا لهم أووزنوهم معناه وزنوا لهم ، ثم حذف حرف الجر فانتصب المفعول لأن هذين الفعلين يتعدى كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف الجر يقال كلتك ركلت لك ووزنتك ووزنت لك بمعنى واحد وحذف المفعول الثانى وهو المكيل والموزون والواو التى هى ضمير الفاعل للمطففين والهاء الذى هى ضمير المفعول للناس فالمعنى إذا كالوا أووزنوا لهم طعاما أو غيره مما يكال أو يوزن يخسرونهم حقوقهم ، وقيل إن هم فى كالوهم أووزنوهم تأكيد للضمير الفاعل وروى عن حمزة أنه كان يقف على كالوا ووزنوا ثم يبتدئ هم ليبين هذا المعنى وهو ضعيف من وجهين ، أحدهما : أنه لم يثبت فى المصحف ألف بعد الواو فى كالوا ووزنوا فدل ذلك على أن هم ضمير المفعول والآخر أن المعنى على هذا أن المطففين إذا تولوا الكيل أو الوزن نقصوا وليس ذلك بمقصود لأن الكلام واقع فى الفعل لا فى المباشر ، ألا ترى أن اكتالوا على الناس معناه قبضوا منهم وكالوهم ووزنوهم معناه دفعوا لهم فقابل القبض بالدفع وأما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود ، قال ابن عطية ظاهر الآية أن الكيل والوزن على البائعين وليس ذلك بالجلى قال صدر الآية فى المشترين فهم الذين يستوفون أويشاحون ويطلبون الزيادة وقوله وإذا كالوهم أو وزنوهم فى البائعين فهم الذين يخسرون المشترى (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة ، وهذا تهديد للمطففين وإنكار لفعلهم وكان عبد الله بن عمر إذا مر بالبائع يقول له اتق الله وأوف الكيل فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن (يوم يقوم الناس لرب العالمين) الظرف منصوب بقوله مبعوثون وقيل بفعل مضمر أو بدل من يوم عظيم ، وقيام الناس يوم القيامة على حسب اختلافهم فمنهم من يقوم خمسين ألف سنة وأقل من ذلك حتى أن المؤمن يقوم على قدر صلاة مكتوبة (كلا) ردع عن التطفيف أو افتتاح كلام (إن كتاب الفجار لفى سجين) كتاب الفجار هو مايكتب من أعمالهم . والفجار هنا يحتمل أن يريد به الكفار أو المطففين وإن كانوا مسلمين ، والأول أظهر لقوله بعد هذا ويل يومئذ للمكذبين وسجين اسم علم منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة وقد عظم أمره بقوله وما أدراك ما سجين ثم فسره بأنه كتاب مرقوم أى مسطور بين الكتابين وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفار والفجار وهو مشتق من السجن بمعنى الحبس لأنه سبب الحبس والتضييق فى جهنم ولأنه فى مكان الهوان والعذاب كالسجن ، فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه فى الأرض السفلى ، وروى

Marfat.com

يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝
ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ كَلَّا إِنَّ كِتَٰبَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝ وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَٰبٌ
مَّرْقُومٌ ۝ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۝ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ
النَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَٰمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَٰفِسُونَ ۝ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ۝

عنه أنه فى بئر هناك ، وحكى كعب عن التوراة أنه فى شجرة سوداء هنالك ، وقال ابن عطية يحتمل أن يكون معنى الآية أن عدد الفجار فى سجين أى كتبوا هنالك فى الأزل (أساطير الأولين) قد ذكر (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أى غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرشد من الغى وفى الحديث أن العبد إذا أذنب ذنبا صارت نكتة سوداء فى قلبه فإذا زاد ذنب آخر زاد السواد فلا يزال كذلك حتى يتغطى وهو الرين (لمحجوبون) حجب الكفار عن الله على أن المؤمنين لا يحجبون وقد استدل بها مالك والشافعى على صحة رؤية المؤمن لله فى الآخرة وتأولها المعتزلة أن معناها محجوبون عن رحمته (إن كتاب الابرار لفى عليين) عليون اسم علم للكتاب الذى تكتب فيه الحسنات وهذا جمع منقول من صفة على ، على وزن فعيل للمبالغة وقد عظمه بقوله «وما أدراك ماعليون» ثم فسره بقوله كتاب مرقوم وهو مشتق من العلو لأنه سبب فى ارتفاع الدرجات فى الجنة ، أو لأنه مرفوع فى مكان علىّ فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تحت العرش ، وقال ابن عباس : هو الجنة وارتفع كتاب مرقوم فى الموضعين على أنه خبر مبتدأ مضمر تقديره هو كتاب ، وقال ابن عطية : كتاب مرقوم خبر إن والظرف ملغى وهذا تكلف يفسد به المعنى ، وقد روى فى الأثر ماروى فى الآية وهو أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد فإن رضيه الله قال اجعلوه فى عليين ، وإن لم يرضه قال اجعلوه فى سجين (يشهده المقربون) يعنى الملائكة المقربين (الأرائك) قد ذكر (ينظرون) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ينظرون إلى أعدائهم فى النار وقيل ينظرون إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها (نضرة النعيم) أى بهجته ورونقه ، كما يرى فى وجوه أهل الرفاهية والعافية والخطاب فى تعرف للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل مخاطب من غير تعيين (يسقون من رحيق مختوم) الرحيق الخمر الصافية والمختوم فسره الله بأن ختامه مسك ، وقرئ ختامه بألف بعد التاء ، وخاتمه بألف بعد الخاء وبفتح التاء وكسرها وفى معناه ثلاثة أقوال : أحدها أنه من الختم على الشىء ، بمعنى جعل الطابع عليه فالمعنى أنه ختم على فم الإناء الذى هو فيه بالمسك كما يختم على أفواه آنية الدنيا بالطين إذا قصد حفظها ، وصيانتها الثانى أنه من ختم الشىء أى تمامه فمعناه خاتم شربه مسك أى يجد الشارب عند آخر شربه رائحة المسك ولذته الثالث أن معناه مزاجه مسك أى يمزج الشراب بالمسك ، وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) التنافس فى الشىء هو الرغبة فيه ، والمغالاة فى طلبه والتزاحم عليه (ومزاجه من تسنيم) تسنيم اسم لعين فى الجنة ، يشرب منها المقربون صرفا ويمزج منه الرحيق الذى يشرب منه الأبرار ، فدل

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۝ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ۝ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝

سورة الانشقاق مكية: وآياتها ٢٥ نزلت بعد الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ

ذلك على أن درجة المقربين فوق درجة الأبرار، فالمقربون هم السابقون والأبرار هم أصحاب اليمين (عينا) منصوب على المدح بفعل مضمر، أو على الحال من تسنيم (يشرب بها) بمعنى يشربها فالباء زائدة ويحتمل أن يكون بمعنى يشرب منها أو كقولك شربت الماء بالعسل (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) نزلت هذه الآية فى صناديد قريش، كأبى جهل وغيره مر بهم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وجماعة من المؤمنين، فضحكوا منهم واستخفوا بهم (وإذا مروا بهم يتغامزون) أى يغمز بعضهم إلى بعض ويشير بعينيه والضمير فى مروا يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للكفار، والضمير فى يتغامزون للكفار لا غير (فكهين) من الفكاهة وهى اللهو أى يتفكهون بذكر المؤمنين، والاستخفاف بهم قاله الزمخشرى ويحتمل أن يريد يتفكهون بنعيم الدنيا (وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) أى إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال، وقيل إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال والأول أظهر وأشهر (وما أرسلوا عليهم حافظين) أى ما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين، يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدهم أو ضلالهم وكأنه قال كلامهم بالمؤمنين فضول منهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) يعنى باليوم يوم القيامة إذ قد تقدم ذكره فيضحك المؤمنون فيه من الكفار كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) معنى ثوب جوزى يقال ثوبه وأثابه إذا جازاه وهذه الجملة يحتمل أن تكون متصلة بما قبلها فى موضع مفعول ينظرون فتوصل مع ما قبلها أو تكون توقيفا فيوقف قبلها ويكون معمول ينظرون محذوفا حسبما ذكرنا فى ينظرون الذى قبل هذا وهذا أرجح لاتفاق الموضعين

سورة الانشقاق

(إذا السماء انشقت) اختلف فى هذا الانشقاق هل هو تشققها بالغمام أو انفتاحها أبوابا، وجواب إذا محذوف ليكون أبلغ فى التهويل إذ يقدر السامع أقصى ما يتصوره وحذف للعلم به اكتفاء بما فى سورة التكوير والانفطار من الجواب وقيل الجواب ما دل عليه فملاقيه: أى إذا السماء انشقت لقى الإنسان ربه، وقيل الجواب أذنت على زيادة الواو وهذا ضعيف (وأذنت لربها) معنى أذنت فى اللغة استمعت وهو هنا عبارة عن طاعتها لربها وأنها انقادت لله حين أراد انشقاقها وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدها وإلقاء ما فيها (وحقت) أى حق لها أن تسمع وتطيع لربها أو حق لها أن تنشق من أهوال القيامة وهذه الكلمة من قولهم هو حقيق بكذا أو محقوق به أى يجب عليه أن يفعله فالمعنى يحق على السماء أن تسمع وتطيع لربها أو يحق عليها أن تنشق، ويحتمل أن يكون أصله حققت بفتح الحاء

Marfat.com

مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ✱ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ۝ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ✱ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن

وضم القاف على معنى التعجب ثم أدغمت القاف فى القاف التى بعدها ونقلت حركتها إلى الحاء (وإذا الأرض مدت) أى زال ماعليها من الجبال حتى صارت مستوية (وألقت مافيها وتخلت) أى ألقت مافى جوفها من الموتى للحشر وقيل ألقت مافيها من الكنوز وهذا ضعيف لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة والمقصود ذكر يوم القيامة وتخلت أى بقيت خالية مما كان فيها (ياأيها الإنسان) خطاب للجنس (إنك كادح إلى ربك) الكدح فى اللغة هو الجد والاجتهاد والسرعة فالمعنى أنك فى غاية الاجتهاد فى السير إلى ربك لأن الزمان يطير وأنت فى كل لحظة تقطع حظا من عمرك القصير فكأنك سائر مسرع إلى الموت ثم تلاقى ربك ، وقيل المعنى إنك ذوجد فيما تعمل من خير أوشر ثم تلق ربك فيجازيك به والأول أظهر لأن كادح تعدى بإلى لما تضمن معنى السير ولو كان بمعنى العمل لقال لربك (فأما من أوتى كتابه بيمينه) ذكر فى الحاقة (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) يحتمل أن يكون اليسير بمعنى قليل أو بمعنى هين سهل ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نوقش الحساب عذب فقالت عائشة ألم يقل الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ذلك العرض وأما من نوقش الحساب فيهلك وفى الحديث أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يدنى العبد يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه فيقول فعلت كذا وكذا ويعدد عليه ذنوبه ثم يقول سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال من حاسب نفسه فى الدنيا هون الله عليه حسابه يوم القيامة (وينقلب إلى أهله مسرورا) أى يرجع إلى أهله فى الجنة مسرورا بما أعطاه الله والأهل زوجاته فى الجنة من نساء الدنيا أو من الحور العين ويحتمل أن يريد قرابته من المؤمنين وبذلك فسره الزمخشرى (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) يعنى الكافر وروى أن هاتين الآيتين نزلتا فى أبى سلمة ابن عبد الأسد وكان من فضلاء المؤمنين وفى أخيه أسود وكان من عتاة الكافرين ولفظها أعم من ذلك فإن قيل كيف قال فى الكافر هنا أن يؤتى كتابه وراء ظهره وقال فى الحاقة بشماله ؟ فالجواب من وجهين أحدهما أن يديه تكونان مغلولتين إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه وقيل تدخل يده اليسرى فى صدره وتخرج من ظهره فيأخذ بها كتابه (يدعو ثبورا) أى يصيح بالويل والثبور (إنه كان فى أهله مسرورا) أى كان فى الدنيا مسرورا مع أهله متنعما غافلا عن الآخرة وهذا فى مقابلة ماحكى عن المؤمن أنه ينقلب إلى أهله مسرورا فى الجنة وهو ضد ماحكى عن المؤمنين فى الجنة من قولهم إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين (إنه ظن أن لن يحور) أى لا يرجع إلى الله والمعنى أنه يكذب بالبعث (بلى) أى يحور ويبعث (فلا أقسم) ذكر فى نظائره (بالشفق) هى الحمرة التى تبقى بعد غروب الشمس وقال أبو حنيفة هو البياض وقيل هو النهار كله وهذا ضعيف والأول هو المعروف عند الفقهاء وعند أهل اللغة (والليل وما وسق) أى جمع وضم ومنه الوسق وذلك أن الليل يضم الأشياء

Marfat.com

طَبَقٍ ۝ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۝ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝

سورة البروج : مكية وآياتها ٢٢ نزلت بعد الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝ قُتِلَ أَصْحَابُ

ويسترها بظلامه (والقمر إذا اتسق) أى إذا كمل ليلة أربعة عشر ووزن اتسق افتعل وهو مشتق من الوسق فكأنه امتلأ نورا وفى الآية من أدوات البيان لزوم مالا يلزم لالتزام السين قبل القاف فى وسق واتسق (لتركبن طبقا عن طبق) الطبق فى اللغة له معنيان أحدهما ماطابق غيره يقال هذا طبق لهذا إذا طابقه والآخر جمع طبقة فعلى الأول يكون المعنى لتركبن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة الأخرى وعلى الثانى يكون المعنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات بعضها فوق بعض ثم اختلف فى تفسير هذه الأحوال وفى قراءة تركبن فأمامن قرأ بضم الباء فهو خطاب لجنس الإنسان وفى تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال أحدها أنها شدائد الموت ثم البعث ثم الحساب ثم الجزاء والآخر أنها كون الانسان نطفة ثم علقة إلى أن يخرج إلى الدنيا ثم إلى أن يهرم ثم يموت والثالث لتركبن سنن من كان قبلكم وأمامن قرأ تركبن بفتح الباء فهو خطاب للإنسان على المعانى الثلاثة التى ذكرنا وقيل هى خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال أحدها لتركبن مكابدة الكفار حالا بعد حال والآخر لتركبن فتح البلاد شيئا بعد شيء والثالث لتركبن السموات فى الاسراء بعد سماء وقوله عن طبق فى موضع الصفة لطبقا أو فى موضع حال من الضمير فى تركبن قاله الزمخشرى (فمالهم لايؤمنون) الضمير لكفار قريش والمعنى أى شيء يمنعهم من الايمان (وإذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) هذا موضع سجدة عند الشافعى وغيره لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وليست عند مالك من عزائم السجدات (الذين كفروا) يعنى المذكورين ووضع الظاهر موضع الضمير ليصفهم بالكفر (والله أعلم بما يوعون) أى بما يجمعون فى صدورهم من الكفر والتكذيب أو بما يجمعون فى صحائفهم يقال أوعيت المال وغيره إذا جمعته (فبشرهم بعذاب أليم) وضع البشارة فى موضع النذارة تهكما بهم (إلا الذين آمنوا) يعنى من قضى له بالإيمان من هؤلاء الكفار فالاستثناء على هذا متصل وإلى هذا أشار ابن عطية وقال الزمخشرى هو منقطع (أجر غير ممنون) قد ذكر

سورة البروج

(والسماء ذات البروج) البروج هى المنازل المعروفة وهى اثنا عشر ، تقطعها الشمس فى السنة ، وقيل هى النجوم العظام لأنها تتبرج أى تظهر (واليوم الموعود) هو يوم القيامة باتفاق وقد ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وشاهد ومشهود) يحتمل الشاهد والمشهود أن يكون من الشهادة على الأمر أو يكون من معنى الحضور وحذف المعمول وتقديره مشهود عليه أو مشهود به أو مشهود فيه ، وقد اضطرب الناس فى تفسير الشاهد والمشهود اضطرابا عظيما ويتلخص من أقوالهم فى الشاهد ستة عشر قولا يقابلها فى المشهود اثنان وثلاثون قولا ، الأول : أن الشاهد هو الله تعالى لقوله وكفى بالله شهيدا ؛ والمشهود على هذا يحتمل

Marfat.com

ٱلْأُخْدُودِ * ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ

ثلاثة أوجه ، أحدها أن يكون الخلق بمعنى أنه يشهد عليهم والآخر أن تكون الأعمال بمعنى أنه يشهد بها والثالث أن يكون يوم القيامة بمعنى أنه يشهد فيه أى يحضر للحساب والجزاء أو تقع فيه الشهادة على الناس القول الثانى : أن الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقوله «ويكون الرسول عليكم شهيدا» والمشهود على هذا يحتمل أن يكون أمته لأنه يشهد عليهم أو أعمالهم لأنه يشهد بها أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه أى يحضر أو تقع فيه الشهادة على الأمة ، القول الثالث : أن الشاهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله «لتكونوا شهداء على الناس» والمشهود على هذا سائر الأمم لأنهم يشهدون عليهم أو أعمالهم أو يوم القيامة ، القول الرابع أن الشاهد هو عيسى عليه السلام والمشهود أمته لقوله «وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم» أو أعمالهم ، أو يوم القيامة . الخامس أن الشاهد جميع الأنبياء ، والمشهود أممهم لأن كل نبى يشهد على أمته ، أو يشهد القول بأعمالهم أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه ، القول السادس أن الشاهد الملائكة الحفظة والمشهود على هذا الناس ، لأن الملائكة يشهدون عليهم أو الأعمال لأن الملائكة يشهدون بها أو يوم القيامة أو صلاة الصبح لقوله « إن قرآن الفجر كان مشهودا » القول السابع أن الشاهد جميع الناس ، لأنهم يشهدون يوم القيامة أى يحضرونها والمشهود يوم القيامة لقوله «فذلك يوم مشهود» والقول الثامن أن الشاهد الجوارح والمشهود عليه أصحابها لقوله «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم» أو الأعمال لأن الجوارح تشهد بها يوم القيامة لأن الشهادة تقع فيه . القول التاسع أن الشاهد الله والملائكة وأولوا العلم لقوله « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم » والمشهود به الوحدانية ، القول العاشر الشاهد جميع المخلوقات والمشهود به وجود خالقها وإثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك ، القول الحادى عشر أن الشاهد النجم لما ورد فى الحديث لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد وهو النجم والمشهود على هذا الليل والنهار لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل القول الثانى عشر أن الشاهد الحجر الأسود والمشهود الناس الذين يحجون . القول الثالث عشر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وذلك أن يوم الجمعة يشهد بالأعمال ويوم عرفة يشهده جمع عظيم من الناس ، القول الرابع عشر أن الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر قاله على بن أبى طالب . القول الخامس عشر أن الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة. القول السادس عشر أن الشاهد يوم الاثنين والمشهود يوم الجمعة (قتل أصحاب الأخدود) الكلام هنا فى ثلاثة فصول : الأول فى جواب القسم وفيه أربعة أقوال أحدها أنه قوله «إن بطش ربك لشديد» والثانى أنه «إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات» ، وهذان القولان ضعيفان لبعد القسم من الجواب ، وثالثها أنه «قتل أصحاب الأخدود» تقديره لقد قتل ورابعها أنه محذوف يدل عليه قتل أصحاب الأخدود تقديره لقد قتل هؤلاء الكفار كما قتل أصحاب الأخدود وذلك أن الكفار من قريش كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام فذكر الله قصة أصحاب الأخدود وعيدا للكفار وتأنيسا للمسلمين المعذبين ، الفصل الثانى فى تفسير لفظها ، فأما قتل فاختلف هل هو دعاء أو خبر واختلف هل هو بمعنى القتل حقيقة أو بمعنى اللعن ، وأما الأخدود فهو الشق فى الأرض كالخندق وشبهه ، وأما أصحاب الأخدود فيحتمل أن يريد بهم الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين فى الأخدود أو يريد المؤمنين الذين حرقوا فيه فيكون القتل حقيقة خبرا والأول أظهر. الفصل الثالث فى قصة أصحاب

Marfat.com

إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ

الأخدود وفيها أربعة أقوال: الأول ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل معناه. أن ملكا كافراً أسلم أهل بلده، فأمر بالأخدود فخد في أفواه السكك وأضرم فيها النيران فقال من لم يرجع عن دينه فألقوه فيها ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أماه اصبرى بانك على الحق. الثاني أن ملكا زنى بأخته ثم أراد أن يحلل للناس نكاح الأخوات فأطاعه قوم ومنهم أخذ المجوس ذلك، وعصاه قوم فخفر لهم الأخدود فأحرقهم فيه بالنار القول الثالث أن نبي أصحاب الأخدود كان حبشيا وأن الحبشة بقية أصحاب الأخدود. القول الرابع أن أصحاب الأخدود ذو نواس المذكورة في قصة عبد الله بن التامر التي وقعت في السير، ويحتمل أن يكون ذونواس الملك الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فيتفق هذا القول مع الأول فإن ذا نواس حفر أخدوداً وأوقد فيه نيرانا وألقى فيها كل من وحد الله تعالى واتبع العبد الصالح عبدالله بن التامر (النار ذات الوقود) النار بدل من الأخدود وهو بدل اشتمال والوقود ما توقد به النار والقصد وصف النار بالشدة والعظم (إذ هم عليها قعود) الضمير للكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود وهم أصحاب الأخدود على الأظهر والعامل في إذ قوله قتل فروى أن النار أحرقت من المؤمنين عشرين ألفا، وقيل سبعين ألفا فقتل على هذا بمعنى لعن أى لعنوا حين قعدوا على النار لتحريق المؤمنين وروى أن الله بعث على المؤمنين ريحا فقبضت أرواحهم وخرجت النار فأحرقت الكفار الذين كانوا عليها فقتل على هذا بمعنى القتل الحقيقي أى قتلهم النار؛ وقيل الضمير في إذ هم للمؤمنين والأول أشهر وأظهر لقوله وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود (وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود) يحتمل أن يكون بمعنى الشهادة أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه فعل ما أمره الملك من التحريق أو يشهدون بذلك على أنفسهم يوم القيامة أو يكون بمعنى الحضور أى كانوا حاضرين على ذلك الفعل (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله) أى ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله وهذا لا ينبغي أن ينكر فإن قيل لم قال أن يؤمنوا بلفظ المضارع ولم يقل آمنوا بلفظ الماضي لأن القصة قد وقعت؟ فالجواب أن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوهم فلذلك ذكره بلفظ المستقبل فكأنه قال إلا أن يدوموا على الإيمان (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) إن كانت هذه الآية في أصحاب الأخدود فالفتنة هنا بمعنى الإحراق وإن كانت في كفار قريش فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب وهذا أظهر لقوله ثم لم يتوبوا لأن أصحاب الأخدود لم يتوبوا بل ماتوا على كفرهم وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب وفي الآية دليل على أن الكافر إذا أسلم يغفر له مافعل في حال كفره لقوله صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ماقبله (ولهم عذاب الحريق) يحتمل أن يكون في الآخرة فيكون تأكيدا لعذاب جهنم أو نوعا من العذاب زيادة إلى عذاب جهنم ويحتمل أن يريد في الدنيا وذلك على رواية أن الكفار أصحاب الأخدود أحرقتهم النار (إن بطش ربك لشديد) البطش الأخذ بقوة وسرعة (إنه هو يبدئ ويعيد) أى يبدئ الخلق بالنشأة الأولى ويعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث وقيل يبدئ البطش ويعيده أى يبطش بهم في الدنيا والآخرة والأول أظهر وأرجح لقوله إنه يبدئ الخلق ثم يعيده وقد ذكرنا

Marfat.com

وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝
بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝

سـورة الطارق : مكية وآياتها ١٧ نزلت بعد البلد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝ إِن كُلُّ نَفْسٍ
لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝ إِنَّهُۥ

الودود فى اللغات (ذو العرش المجيد) أضاف العرش إلى الله وخصه بالذكر لأن العرش أعظم المخلوقات والمجيد من المجد وهو الشرف ورفعة القدر وقرئ المجيد بالرفع صفة لذو العرش وبالخفض صفة للعرش (هل أتاك) توقيف يراد به التنبيه وتعظيم الأمر والمراد بذكر الجنود تهديد الكفار وتأنيس النبي صلى الله عليه وسلم (والله من ورائهم محيط) تهديد لهم معناه لا يفوتونه بل يصيبهم عذابه إذا شاء (فى لوح محفوظ) يعنى اللوح المحفوظ الذى فى السماء وقرئ محفوظ بالخفض صفة للوح وبالرفع صفة للقرآن أى حفظه الله من التبديل والتغيير أو حفظه المؤمنون فى صدورهم

سـورة الطارق

(والسماء والطارق) هذه السماء التى أقسم الله بها هى المعروفة وقيل أراد المطر لأن العرب قد تسميه سماء وهذا بعيد والطارق فى اللغة ما يطرق أى يجىء ليلا وقد فسره الله هنا بأنه النجم الثاقب وهو يطلع ليلا ومعنى الثاقب المضىء أو المرتفع فقيل أراد جنس النجوم وقيل الثريا لأنه الذى تطلق عليه العرب النجم وقيل زحل لأنه أرفع النجوم إذ هو فى السماء السابعة (إن كل نفس لما عليها حافظ) هذا جواب القسم ومعناه عند الجمهور أن كل نفس من بنى آدم عليها حافظ يكتب أعمالها يعنى الملائكة الحفظة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى تفسير هذه الآية أن لكل نفس حفظة من الله يذبون عنها كما يذب عن العسل ولو وكل المرء إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الآفات والشياطين وإن صح هذا الحديث فهو المعمول عليه وقرئ لما عليها بتخفيف الميم وعلى هذا تكون إن مخففة من الثقيلة واللام للتأكيد وما زائدة وقرئ لما بالتشديد وعلى هذا تكون إن نافية ولما بمعنى الايجاب بعد النفى (فلينظر الإنسان مم خلق) حذف ألف ما لأنها استفهامية وجوابها خلق من ماء دافق وسمى المنى ماء دافقا من الدفق بمعنى الدفع فقيل معناه مدفوق وصاحبه هو الدافق فى الحقيقة قال سيبويه هو على النسب أى ذو دفق ، وقال ابن عطية يصح أن يكون الماء دافقا لأن بعضه يدفع بعضا ومقصود الآية إثبات الحشر فأمر الإنسان أن ينظر أصل خلقته ليعلم أن الذى خلقه من ماء دافق قادر على أن يعيده ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما أخبر أن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تجازى كل نفس بأعمالها (يخرج من بين الصلب والترائب) الضمير فى يخرج للماء وقال ابن عطية يحتمل أن يكون للإنسان وهذا بعيد جدا والترائب عظام الصدر واحدها تريبة وقيل هى الأطراف كاليدين

Marfat.com

عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ ۝ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ الْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝

والرجلين ، وقيل هي عصارة القلب ، ومنها يكون الولد ، وقيل هي الأضلاع التي أسفل الصلب ، والأول هو الصحيح المعروف في اللغة ولذلك قال ابن عباس: هي موضع القلادة ما بين ثديي المرأة ، ويعني صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها ، وقيل أراد صلب الرجل وترائب المرأة (إنه على رجعه لقادر) الضمير في إنه لله تعالى وفي رجعه للإنسان ، والمعنى أن الله قادر على رجع الإنسان حيا بعد موته ، والمراد إثبات البعث ، وقيل إن المعنى رده ماء كما كان أول مرة ، وقيل رده من الكبر إلى الشباب ، وقيل الضمير في رجعه للماء الدافق ، والمعنى رده في الإحليل أو في الصلب وهذا كله ضعيف بعيد والقول الأول هو الصحيح المشهور (يوم تبلى السرائر) يعني يوم القيامة ، والسرائر جمع سريرة وهي ما أسر العبد في قلبه من العقائد والنيات وما أخفى من الأعمال وبلاؤها هو تعرفها والاطلاع عليها ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن السرائر الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة وهذه معظمها فلذلك خصها بالذكر ، والعامل في يوم قوله رجعه أي يرجعه يوم تبلى السرائر ، واعترض بالفصل بينهما وأجيب بقوة المصدر في العمل ، وقيل العامل قادر واعترض بتخصيص القدرة بذلك اليوم وهذا لا يلزم لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع في ذلك اليوم وقال من احترز من الاعتراضين في القولين المتقدمين: العامل فعل مضمر من المعنى تقديره يرجعه يوم تبلى السرائر ، وهذا كله على المعنى الصحيح في رجعه ، وأما على الأقوال الأخر فالعامل في يوم مضمر تقديره اذكر (فما له من قوة ولا ناصر) الضمير للإنسان ولما كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له أخبره الله أنه يعدمها يوم القيامة (والسماء ذات الرجع) المراد بالرجع عند الجمهور المطر وسماه رجعا بالمصدر لأنه يرجع كل عام أو لأنه يرجع إلى الأرض ، وقيل الرجع السحاب الذي فيه المطر ، وقيل هو مصدر رجوع الشمس والكواكب من منزلة إلى منزلة (والأرض ذات الصدع) يعني ما تصدع عنه الأرض من النبات ، وقيل يعني ما في الأرض من الشقاق والخنادق وشبهها (إنه لقول فصل) الضمير للقرآن ، لأن سياق الكلام يقتضيه والفصل معناه الذي فصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان والهزل اللهو يعني أنه جد كله (إنهم يكيدون كيدا) الضمير لكفار قريش وكيدهم هو ما دبروه في شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الإضرار به وإبطال أمره (وأكيد كيدا) هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب المشاكلة بين الفعلين (فمهل الكافرين) أي لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم أو بالدعاء عليهم وهذا منسوخ بالسيف (أمهلهم رويدا) أي إمهالا يسيرا قليلا يعني إلى قتلهم يوم بدر أو إلى الدار الآخرة وجعله يسيرا لأن كل آت قريب ولفظ رويدا هذا صفة لمصدر محذوف وقد تقع بمعنى الأمر بالتساهل كقولك رويدا يا فلان وكرر الأمر في قوله أمهلهم وخالف بينه وبين لفظ مهل لزيادة التسكين والتصبير قاله الزمخشري

سـورة الأعلى : مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد التكوير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۞ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۞ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۞ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۞ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۞ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۞

سورة الأعلى جل جلاله

(سبح اسم ربك الأعلى) التسبيح فى اللغة التنزيه وذكر الاسم هنا يحتمل وجهين أحدهما أن يكون المراد المسمى ويكون الاسم صلة كالزائد، ومعنى الكلام سبح ربك أى نزهه عما لا يليق به، وقد يتخرج ذلك على قول من قال إن الاسم هو المسمى، والآخر أن يكون الاسم مقصوداً بالذكر ويحتمل المعنى على هذا أربعة أوجه، الأول: تنزيه أسماء الله تعالى عن المعانى الباطلة كالتشبيه والتعطيل، الثانى: تنزيه أسماء الله عن أن يسمى بها صنم أو وثن: الثالث: تنزيه أسماء الله عن أن تدرك فى حال الغفلة دون خشوع. الرابع: أن المراد قول سبحان الله ولما كان التسبيح باللسان لا بد فيه من ذكر الاسم أوقع التسبيح على الاسم وهذا القول هو الصحيح ويؤيده ماورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال سبحان ربى الأعلى وأنها لما نزلت قال اجعلوها فى سجودكم فدل ذلك على أن المراد هو التسبيح باللسان مع موافقة القلب ولا بد فى التسبيح باللسان من ذكر اسم الله تعالى فلذلك قال سبح اسم ربك الأعلى مع أن التسبيح فى الحقيقة إنما هو لله تعالى لا لاسمه وإنما ذكر الاسم لأنه هو الذى يوصل به إلى التسبيح باللسان وعلى هذا يكون موافقا فى المعنى لقوله «فسبح باسم ربك» لأن معناه نزه الله بذكر اسمه ويؤيد هذا ماروى عن ابن عباس أن معنى سبح صل باسم ربك أى صل واذكر فى الصلاة اسم ربك، والأعلى يحتمل أن يكون صفة للرب أو للاسم والأول أظهر (الذى خلق فسوى) حذف مفعول خلق وسوى لقصد الاجمال الذى يفيد العموم والمراد خلق كل شىء فسواه أى أتقن خلقته وانظر ماذكرنا فى قوله فسواك فعدلك (والذى قدر فهدى) قدر بالتشديد يحتمل أن يكون من القدر والقضاء أو من التقدير والموازنة بين الأشياء، وقرئ بالتخفيف فيحتمل أن يكون من القدرة أو التقدير وحذف المفعول ليفيد العموم فإن كان من التقدير فالمعنى قدر لكل حيوان مايصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به، وقيل هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث لبقاء النسل وقيل هدى المولود عند وضعه إلى مص الثدى وقيل هدى الناس للخير والشر والبهائم للمراتع وهذه الأقوال أمثلة والأول أعم وأرجح فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلى مصالحها باب واسع فيه عجائب وغرائب، وقال الفراء المعنى هدى وأضل واكتفى بالواحدة لدلالتها على الأخرى وهذا بعيد (والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى) المرعى هو النبات الذى ترعاه البهائم، والغثاء هو النبات اليابس المحتطم، وأحوى معناه أسود وهو صفة لغثاء والمعنى أن الله أخرج المرعى أخضر فجعله بعد خضرته غثاء أسود لأن الغثاء إذا قدم تعفن واسود، وقيل: إن أحوى حال من المرعى، ومعناه: الأخضر الذى يضرب إلى السواد وتقديره الذى أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، وفى هذا القول تكلف (سنقرئك فلا تنسى) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وعده الله أن يقرئه القرآن فلا ينساه، وفى ذلك معجزة له عليه الصلاة والسلام

Marfat.com

وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝

لأنه كان أميا لا يكتب وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام من القرآن ، وقيل معنى الآية كقوله لاتحرك به لسانك الآية : فإنه عليه الصلاة والسلام كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل خوفا أن ينساه فضمن الله له أن لا ينساه ، وقيل فلا تنسى : نهى عن النسيان وقد علم الله أن ترك النسيان ليس فى قدرة البشر فالمراد الأمر بتعاهده حتى لا ينساه وهذا بعيد لإثبات الألف فى تنسى (إلا ما شاء الله) فيه وجهان : أحدهما أن معناه لاتنسى إلا ما شاء الله أن تنساه كقوله أو ننسها و لآخر أنه لا ينسى شيئاً ولكن قال إلا ما شاء الله تعظيما لله بإسناد الأمر إليه كقوله «خالدين فيها إلا ما شاء الله» على بعض الأقوال وعبر الزمخشرى : عن هذا بأنه من استعمال التقليل فى معنى النفى والأول أظهر فإن النسيان جائز على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره ومن هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم حين سمع قراءة عباد بن بشير رحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية كنت قد نسيتها (ونيسرك لليسرى) عطف على سنقرؤك ومعناه نوفقك للأمور المرضية التى توجب لك السعادة ، وقيل معناه للشريعة اليسرى من قوله عليه الصلاة والسلام دين الله يسر أى سهل لاحرج فيه (فذكر إن نفعت الذكرى) المراد بهذا الشرط توبيخ الكفار الذين لاتنفعهم الذكرى ، واستبعاد تأثير الذكرى فى قلوبهم كقولك قد أوصيتك لو سمعت ، وقيل المعنى ذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع واقتصر على أحد القسمين لدلالة الآخر عليه وهذا بعيد وليس عليه الرونق الذى على الأول (سيذكر من يخشى) أى من يخاف الله (ويتجنبها الأشقى) يعنى الكافر وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة ، والضمير المفعول للذكرى (النار الكبرى) هى نار جهنم وسماها كبرى بالنظر إلى نار الدنيا وقيل سماها كبرى بالنظر إلى غيرها من نار جهنم فإنها تتفاضل ، وبعضها أكبر من بعض وكلا القولين صحيح إلا أن الأول أظهر ويؤيده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التى توقدون جزءاً من سبعين جزءاً من نار جهنم (ثم لا يموت فيها ولا يحيي) أى لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة هنيئة وعطف هذه الجملة بثم لأن هذه الحالة أشد من صلى النار فكأنها بعده فى الشدة (قد أفلح من تزكى) يحتمل أن يكون بمعنى الطهارة من الشرك والمعاصى أو بمعنى الطهارة للصلاة أو بمعنى أداء الزكاة وعلى هذا قال جماعة إنها يوم الفطر والمعنى أدى زكاة الفطر (وذكر اسم ربه) فى طريق المصلى إلى أن يخرج الإمام وصلى صلاة العيد ، وقد روى هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم وقيل المراد أدى زكاة ماله وصلى الصلوات الخمس (إن هذا) الإشارة إلى ماذكر من التزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة أو إلى ما تضمنته السورة أو إلى القرآن بجملته ، والمعنى أنه ثابت فى كتب الأنبياء المتقدمين كما ثبت فى هذا الكتاب

ســــورة الغاشية : مكية وآياتها ٢٦ نزلت بعد الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۝ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۝ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۝ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ

ســــورة الغاشية

(هل أتاك) توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر ، وقيل هل بمعنى قد وهذا ضعيف (الغاشية) هى القيامة لأنها تغشى جميع الخلق ، وقيل هى النار من قوله وتغشى وجوههم النار وهذا ضعيف لأنه ذكر بعد ذلك قسمين أهل الشقاوة وأهل السعادة (خاشعه) أى ذليلة (عاملة ناصبة) هو من النصب بمعنى التعب وفى المراد بهم ثلاثة أقوال : أحدها أنهم الكفار ويحتمل على هذا أن يكون عملهم ونصبهم فى الدنيا لأنهم كانوا يعملون أعمال السوء ويتعبون فيها أو يكون فى الآخرة فيعملون فيها عملا يتعبون فيه من جر السلاسل والأغلال وشبه ذلك ويكون زيادة فى عذابهم : الثانى أنها فى الرهبان الذين يجتهدون فى العبادة ولا تقبل منهم لأنهم على غير الإسلام وبهذا تأولها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبكى رحمة لراهب نصرانى رآه مجتهدا فعاملة ناصبة على هذا فى الدنيا وناصبة إشارة إلى اجتهادهم فى العمل أو إلى أنه لا ينفعهم فليس لهم منه إلا النصب . الثالث أنها فى القدرية وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر القدرية فبكى وقال إن فيهم المجتهد (تسقى من عين آنية) أى شديدة الحر ومنه حميم آن ووزن آنية هنا فاعلة بخلاف آنية من فضة فإن وزنه أفعلة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) فى الضريع أربعة أقوال : أحدها أنه شوك يقال له الشبرق وهو سم قاتل وهذا أرجح الأقوال لأن أرباب اللغة ذكروه ولأن النبى صلى الله عليه وسلم قال الضريع شوك فى النار . الثانى أنه الزقوم لقوله إن شجرة الزقوم طعام الأثيم . الثالث أنه نبات أخضر منتن ينبت فى البحر وهذا ضعيف . الرابع أنه واد فى جهنم وهذا ضعيف لأن ما يجرى فى الوادى ليس بطعام إنما هو شراب ولله در من قال الضريع طعام أهل النار فإنه أعم وأسلم من عهدة التعيين واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعنى المشابهة لأنه يشبه الطعام الطيب وليس به ، وقيل هو بمعنى مضرع للبدن أى مضعف وقيل إن العرب لا تعرف هذا اللفظ ، فإن قيل : كيف قال هنا ليس لهم طعام إلا من ضريع وقال فى الحاقة ولا طعام إلا من غسلين ؟ فالجواب أن الضريع لقوم والغسلين لقوم أو يكون أحدهما فى حال والآخر فى حال (لا يسمن ولا يغنى من جوع) هذه الجملة صفة لضريع أو لطعام نفى عنه منفعة الطعام وهى التسمين وإزالة الجوع (وجوه يومئذ ناعمة) أى متنعمة فى الجنة أو يظهر عليها نضرة النعيم (لسعيها راضية) أى راضية فى الآخرة لأجل سعيها وهو عملها فى الدنيا (فى جنة عالية) يحتمل أن يكون من علو المكان أو من علو المقدار أو الوجهين (لا تسمع فيها لاغية) هو من لغو الكلام ومعناه الفحش وما يكره فيحتمل أن يريد كلمة لاغية أو جماعة لاغية (فيها عين جارية) يحتمل أن يريد جنس العيون أو واحدة شرفها بالتعيين (وأكواب

Marfat.com

مَوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۝ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝

سورة الفجر: مكية وآياتها ٣٠ نزلت بعد الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ

موضوعة) قد ذكرنا أكواب ومعنى موضوعة حاضرة معدة بشرابها وفى قوله مرفوعة وموضوعة مطابقة (ونمارق) جمع نمرقة وهى الوسادة (وزرابىّ) هى بسط فاخرة وقيل هى الطنافس واحدها زربية (مبثوثة) أى متفرقة وذلك عبارة عن كثرتها وقيل مبسوطة (أفلا ينظرون إلى الإبل) حض على النظر فى خلقتها لما فيها من العجائب فى قوتها وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف وصبرها على العطش وكثرة المنافع التى فيها من الركوب والحمل عليها وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها وغير ذلك وقيل أراد بالإبل السحاب وهذا بعيد وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال والصحيح أن المراد الحيوان المعروف وإنما ذكره لما فيه من العجائب ولاعتناء العرب به إذ كانت معايشهم فى الغالب منه وهو أكثر المواشى فى بلادهم (لست عليهم بمصيطر) أى قاهر متسلط وهذا من المنسوخ بالسيف (إلا من تولى) استثناء منقطع معناه لكن من تولى (وكفر فيعذبه الله)، وقيل هو استثناء من مفعول فذكر والمعنى ذكر كل أحد إلا من تولى حتى يئست منه فهو على هذا متصل ، وقيل هو استثناء من قوله لست عليهم بمسيطر أى لا تسلط إلا على من تولى وكفر وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه إذ لا موادعة فيه وهذا بعيد لأن السورة مكية والموادعة بمكة ثابتة (إن إلينا إيابهم) أى رجوعهم والآية تهديد

سورة الفجر

(والفجر) أقسم الله تعالى بالفجر وهو الطالع كل يوم كما أقسم بالصبح ، وقيل أراد صلاة الفجر وقيل أراد النهار كله ، وقيل فجر يوم الجمعة وقيل فجر يوم النحر وقيل فجر ذى الحجة ولا دليل على هذه التخصيصات وقيل أراد انفجار العيون من الحجارة وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر (وليال عشر) هى عشر ذى الحجة عند الجمهور وقيل العشر الأول من المحرم وفيها عاشوراء وقيل العشر الأواخر من رمضان وقيل العشر الأول منه (والشفع والوتر) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة ، وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنها الصلوات منها شفع ووتر وقيل الشفع التنفل بالصلاة مثنى مثنى والوتر الركعة الواحدة المعروفة وقيل الشفع العالم والوتر الله لأنه واحد وقيل الشفع آدم وحواء والوتر الله تعالى ، وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام ، وقيل الشفع أبواب الجنة لأنها ثمانية والوتر أبواب النار لأنها سبعة وقيل الشفع قران الحج والوتر إفراده وقيل المراد الأعداد منها شفع ووتر فهذه عشرة أقوال وقرئ الوتر بفتح الواو وكسرها وهما لغتان (والليل إذا يسر) أى إذا يذهب فهو كقوله والليل إذ أدبر وقيل أراد يسرى فيه فهو على هذا كقولهم ليله

Marfat.com

لِذِي حِجْرٍ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ * فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ

قائم والمراد على هذا ليلة جمع لأنها التى يسرى فيها والأول أشهر وأظهر (هل فى ذلك قسم لذى حجر) هذا توقيف يراد به تعظيم الأشياء التى أقسم بها والحجر هنا هو العقل كأنه يقول إن هذا لقسم عظيم عند ذوى العقول وجواب القسم محذوف وهو ليأخذن الله الكفار ويدل على ذلك ما ذكره بعده من أخذ عاد وثمود وفرعون (إرم) هى قبيلة عاد سميت باسم أحد أجدادها كما يقال هاشم لبنى هاشم وإعرابه بدل من عاد أو عطف بيان وفائدته أن المراد عاد الأولى فإن عادا الثانية لا يسمون بهذا الاسم وقيل إرم اسم مدينتهم فهو على حذف مضاف تقديره : بعاد عاد إرم ، ويدل على هذا قراءة ابن الزبير بعاد إرم على الإضافة من غير تنوين عاد وامتنع إرم من الصرف على القولين للتعريف والتأنيث (ذات العماد) من قال إرم قبيلة قال العماد أعمدة بنيانهم أو أعمدة بيوتهم من الشعر لأنهم كانوا أهل عمود وقال ابن عباس ذلك كناية عن طول أبدانهم ومن قال إرم مدينة فالعماد الحجارة التى بنيت بها وقيل القصور والأبراج (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) صفة للقبيلة لأنهم كانوا أعظم الناس أجساما يقال كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع أو صفة المدينة وهذا أظهر لقوله فى البلاد ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا وروى أنها بناها شداد بن عاد فى ثلاثمائة عام وكان عمره تسعمائة عام وجعل قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أنواع الشجر والأنهار الجارية ، وروى أنه سمع ذكر الجنة فأراد أن يعمل مثلها فلما أتمها وسار إليها بأهل مملكته أهلكهم الله بصيحة وكانت هذه المدينة باليمن ، وروى أن بعض المسلمين مر بها فى خلافة معاوية . وقيل هى دمشق ، وقيل الإسكندرية وهذا ضعيف (جابوا الصخر بالواد) أى نقبوه ونحتوا فيه بيوتا والوادى ما بين الجبلين وإن لم يكن فيها ماء ، وقيل أراد وادى القرى (وفرعون ذى الأوتاد) ذكر فى سورة داود (الذين طغوا فى البلاد) صفة لعاد وثمود وفرعون ويجوز أن يكون منصوبا على الذم أو خبر ابتداء مضمر (فصب عليهم ربك سوط عذاب) استعارة السوط للعذاب لأنه يقتضى من التكرار ما لا يقتضيه السيف وغيره قاله ابن عطية ، وقال الزمخشرى : ذكر السوط إشارة إلى عذاب الدنيا إذ هو أهون من عذاب الآخرة كما أن السوط أهون من القتل (إن ربك لبالمرصاد) عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه فى كل مكان وكل زمان ورقيب على كل إنسان وأنه لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار وفى ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم والمرصاد المكان الذى يترقب فيه الرصد (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه) الابتلاء هو الاختبار واختبار الله لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه وقد كان الله عالما بذلك قبل كونه والإنسان هنا جنس وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وهى مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة وذكر الله فى هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشر كما قال فى « ونبلوكم بالشر والخير » وأنكر عليه قوله حين الخير ربى أكرمن وقوله حين الشر

Marfat.com

عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ، كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ، وَجِايءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ،

ربى أهانني ويتعلق بالآية سؤالان : السؤال الأول : لم أنكر الله على الإنسان قوله ربى أكرمنى وربى أهانني والجواب من وجهين : أحدهما أن الإنسان يقول ربى أكرمنى على وجه الفخر بذلك والكبر لا على وجه الشكر ويقول ربى أهانني على وجه التشكي من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله ، فأنكر عليه مايقتضيه كلامه من ذلك فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر . والآخر أن الإنسان اعتبر الدنيا فجعل بسط الرزق فيها كرامة وتضييقه إهانة وليس الأمر كذلك فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه ويضيقه على أوليائه فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا لأنه لا يصدق بالآخرة ويرى أن الدنيا هى الغاية فأنكر عليه مايقتضيه كلامه من ذلك . السؤال الثانى : إن قيل قد قال الله فأكرمه فأثبت إكرامه فكيف أنكر عليه قوله ربى أكرمنى ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنه لم ينكر عليه ذكره الإكرام وإنما أنكر عليه مايدل عليه كلامه من الفخر وقلة الشكر أومن اعتبار الدنيا دون الآخرة حسبما ذكرنا فى معنى الإنكار . الثانى أنه أنكر عليه قوله ربى أكرمنى إذا اعتقد أن إكرام الله له باستحقاقه الإكرام على وجه التفضل والانعام كقول قارون إنما أوتيته على علم عندى . الثالث أن الإنكار إنما هو لقوله ربى أهانني لا لقوله ربى أكرمنى فإن قوله ربى أكرمنى اعتراف بنعمة الله وقوله ربى أهانني شكاية من فعل الله (فقدر عليه رزقه) أى ضيقه وقرئ بتشديد الدال وتخفيفها بمعنى واحد وفى التشديد مبالغة وقيل معنى التشديد جعله على قدر معلوم (كلا) زجر عما أنكر من قول الانسان (بل لا تكرمون اليتيم) هذا ذم لما ذكر من الأعمال القبيحة ومعنى هذا الاضراب بل كأنه أنكر على الإنسان ماتقدم ثم قال بل تفعلون ماهو شر من ذلك وهو ألا تكرموا اليتيم وما ذكر بعده ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم (ولا تحضون على طعام المسكين) الحض على الأمر هو الترغيب فيه ومن لا يحض غيره على أمر فلا يفعله هو كأنه ذم لترك طعام المسكين ، والطعام هنا بمعنى الإطعام ، وقيل هو على حذف مضاف تقديره لا تحضون على بذل طعام المسكين وقرئ تحاضون بفتح الحاء وألف بعدها بمعنى لا يحض بعضكم بعضا (وتأكلون التراث أكلا لما) التراث هو مايورث عن الميت من المال والتاء فيه بدل من الواو ، واللم الجمع واللف ، والتقدير أكلا ذا لم وهو أن يأخذ فى الميراث نصيبه ونصيب غيره لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثى ولا صغيرا بل ينفرد به الرجال (وتحبون المال حبا جما) أى شديدا كثيرا وهذا ذم للحرص على المال وشدة الرغبة فيه (دكت الأرض) أى سويت جبالها (دكا دكا) أى دكا بعد دك كما تقول تعلمت العلم بابا بابا (وجاء ربك) تأويله عند المتأولين جاء أمره وسلطانه وقال المنذر بن سعيد معناه ظهوره للخلق هنالك وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التى يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل (والملك) هو اسم جنس فإنه روى أن الملائكة كلهم يكونون صفوفا حول الأرض (صفا صفا) أى صفا بعد صف قد أحدقوا بالجن والإنس (وجيء يومئذ بجهنم) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام مع كل زمام

Marfat.com

يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿

ســــورة البلد : مكية وآياتها ٢٠ نزلت بعد ق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا

سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ يتذكر الإنسان) يومئذ بدل من إذا دكت ويتذكر هو العامل وهو جواب إذا دكت ، والمعنى أن الانسان يتذكر يوم القيامة لأعماله فى الدنيا ويندم على تفريطه وعصيانه والإنسان هنا جنس ، وقيل يعنى عتبة بن ربيعة ، وقيل أمية بن خلف (وأنى له الذكرى) هذا على حذف تقديره أنى له الانتفاع بالذكرى كما تقول ندم حين لم تنفعه الندامة (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) فيه وجهان : أحدهما أنه يريد الحياة فى الآخرة فالمعنى ياليتنى قدمت عملا صالحا للآخرة ، والآخر أنه يريد الحياة الدنيا فالمعنى ياليتنى قدمت عملا صالحا وقت حياتى فاللام على هذا كقوله كتبت لعشر من الشهر (فيومئذ لايعذب عذابه أحد) من قرأ بكسر الذال من يعذب ، والثاء من يوثق فالضمير فى عذابه ووثاقه لله تعالى والمعنى أن الله يتولى عذاب الكفار ولا يكله إلى أحد ، ومن قرأ بالفتح فالضمير للإنسان أى لا يعذب أحد مثل عذابه ، ولا يوثق أحد مثل وثاقه ، وهذه قراءة الكسائى وروى أن أبا عمرو رجع إليها وهى قراءة حسنة ، وقد رويت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (ياأيتها النفس المطمئنة) أى الموقنة يقينا قد اطمأنت به بحيث لا يتطرق إليها شك فى الإيمان ، وقيل المطمئنة التى لاتخاف حينئذ ويؤيد هذا قراءة أبى بن كعب « ياأيتها النفس الآمنة المطمئنة » (ارجعى إلى ربك) هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت ، وقيل عند البعث وقيل عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار ، والأول أرجح ، لما روى أن أبا بكر سأل عن ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال له ياأبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك (راضية) معناه راضية بما أعطاها الله أو راضية عن الله ومعنى المرضية مرضية عند الله ، أو أرضاها الله بما أعطاها (فادخلى فى عبادى) أى ادخلى فى جملة عبادى الصالحين . وقرئ فادخلى فى عبدى بالتوحيد معناه ادخلى فى جسده وهو خطاب للنفس ونزلت هذه الآية فى حمزة وقيل فى خبيب بن عدى الذى صلبه الكفار بمكة ولفظها يعم كل نفس مطمئنة

ســــورة البلد

(لا أقسم بهذا البلد) أراد مكة باتفاق ، وأقسم بها تشريفا لها ولا زائدة (وأنت حل بهذا البلد) هذه جملة اعتراض بين القسم وما بعده وفى معناها ثلاثة أقوال : أحدها أن المعنى أنت حال بهذا البلد أى ساكن لأن السورة نزلت والنبى صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ، والآخر أن معنى حل تستحل حرمتك ويؤذيك الكفار مع أن مكة لا يحل فيها قتل صيد ولا بشر ولا قطع شجر ، وعلى هذا قيل لا أقسم يعنى لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذاية . الثالث أن معنى حل حلال يجوز لك فى هذا البلد ماشئت من قتل الكفار وغير

Marfat.com

ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا * أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ * فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ *

ذلك مما لا يجوز لغيرك وهذا هو الأظهر لقوله صلى الله عليه وسلم إن هذا البلد حرام حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، لم يحل لأحد قبلي ولا يحل لأحد بعدي وإنما أحل لي ساعة من نهار يعني يوم فتح مكة ، وفي ذلك اليوم أمر عليه الصلاة والسلام بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ، فإن قيل إن السورة مكية وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة ؟ فالجواب أن هذا وعد بفتح مكة كما تقول لمن تعده بالكرامة أنت مكرم يعني فيما يستقبل وقيل إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم الفتح ، وهذا ضعيف (ووالد وما ولد) فيه خمسة أقوال : أحدها أنه أراد آدم وجميع ولده ، الثاني نوح وولده ، الثالث إبراهيم وولده ، الرابع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وولده ، الخامس جنس كل والد ومولود وإنما قال وما ولد ولم يقل ومن ولد : إشارة إلى تعظيم المولود كقوله «والله أعلم بما وضعت» قاله الزمخشري (لقد خلقنا الإنسان فى كبد) أي يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة قال بعضهم لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابد ابن آدم وأصل الكبد من قولك كبد الرجل فهو أكبد إذا وجعت كبده وقيل معنى فى كبد واقفا منتصب القامة وهذا ضعيف والإنسان على هذين القولين جنس ، وقيل الإنسان آدم عليه السلام ومعنى فى كبد على هذا فى السماء وهذا ضعيف والأول هو الصحيح (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) فيه قولان ، أحدهما أن معناه أيظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه ، والآخر : أيظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه ، فعلى الأول نزلت فى جنس الإنسان الكافر ، وعلى الثاني نزلت فى رجل معين وهو أبو الأشد رجل من قريش كان شديد القوة ، وقيل عمرو بن عبد ود وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة وقتله علي بن أبي طالب (يقول أهلكت مالا لبدا) أي كثيرا وقرئ لبدا بضم اللام وكسرها وهو جمع لبدة بالضم والكسر بمعنى الكثرة ونزلت الآية عند قوم فى الوليد بن المغيرة فإنه أنفق مالا فى إفساد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فى الحرث بن عامر بن نوفل وكان قد أسلم وأنفق فى الصدقات والكفارات ، فقال لقد أهلكت مالي منذ تبعت محمدا (أيحسب أن لم يره أحد) يحتمل أن يكون هذا تكذيبا له فى قوله أهلكت مالا لبدا أو إشارة إلى أنه أنفقه رياء (وهديناه النجدين) أي طريق الخير والشر فهو كقوله إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ، وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد وقيل يعني ثديي الأم (فلا اقتحم العقبة) الاقتحام الدخول بشدة ومشقة والعقبة عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل لأنها تصعب ويشق صعودها على النفوس ، وقيل هو جبل فى جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال ولا هنا تخصيص بمعنى هلا وقيل هي دعاء وقيل هي نافية واعترض هذا القول بأن لا النافية إذا دخلت على الفعل الماضي لزم تكرارها وأجاب الزمخشري بأنها مكررة فى المعنى ، والتقدير : فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة ولا أطعم مسكينا وقال الزجاج قوله «ثم كان من الذين آمنوا» يدل على التكرار لأن التقدير فلا اقتحم العقبة ولا آمن (وما أدراك ما العقبة) تعظيم للعقبة ثم فسرها بفك الرقبة وهو إعتاقها وبالإطعام وقرئ فك رقبة بضم الكاف وخفض الرقبة ، وهو على هذا تفسير للعقبة وبفتح الكاف ونصب الرقبة وهو تفسير لاقتحم وفك الرقبة هو عتقها ، قال

فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ۝

سورة الشمس: مكية وآياتها ١٥ نزلت بعد القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ

رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار وقال أعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلنى على عمل أنجو به فقال فك الرقبة وأعتق النسمة فقال الأعرابى ليس هذا واحد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إعتاق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها وأما فك أسارى المسلمين من أيدى الكافرين فإنه أعظم أجرا من العتق لأنه واجب ولو استغرقت فيه أموال المسلمين ولكنه لا يجرى فى الكفارات عن عتق رقبة (أو إطعام) من قرأ فك بالرفع قرأ إطعام بالعطف مصدر على مصدر ومن قرأ فك بالفتح قرأ إطعام بفتح الهمزة والميم فعطف فعلا على فعل (فى يوم ذى مسغبة) أى مجاعة يقال سغب الرجل إذا جاع (يتيما ذا مقربة) أى ذا قرابة ففيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم (أو مسكينا ذا متربة) أى ذا حاجة، يقال ترب الرجل إذا افتقر وهو مأخوذ من الصدقة بالتراب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه الذى مأواه المزابل (ثم كان من الذين آمنوا) ثم هنا للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان وفيها إشارة إلى أن الإيمان أعلى من العتق والإطعام، ولا يصح أن يكون للترتيب فى الزمان لأنه لا يلزم أن يكون الإيمان بعد العتق والإطعام ولا يقبل عمل إلا من مؤمن (وتواصوا بالصبر) أى وصى بعضهم بعضا بالصبر على قضاء الله وكأن هذا إشارة إلى صبر المسلمين بمكة على إذاية الكفار (وتواصوا بالمرحمة) أى وصى بعضهم بعضا برحمة المساكين وغيرهم، وقيل الرحمة كل ما يؤدى إلى رحمة الله (الميمنة) جهة اليمين و(المشأمة) جهة الشمال، وروى أن الميمنة عن يمين العرش ويحتمل أن يكونا من اليمن والشؤم (نار مؤصدة) أى مطبقة مغلقة يقال أوصدت الباب إذا أغلقته وفيه لغتان الهمزة وترك الهمزة

سورة والشمس

(والشمس وضحاها) الضحى ارتفاع الضوء وكماله والضحاء بالفتح والمد بعد ذلك إلى الزوال وقيل الضحى النهار كله، والأول هو المعروف فى اللغة (والقمر إذا تلاها) أى تبعها وفى اتباعه لها ثلاثة أقوال: أحدها أنه يتبعها فى كثرة الضوء لأنه أضوء الكواكب بعد الشمس ولاسيما ليلة البدر والآخر أنه يتبعها فى طلوعه لأنه يطلع بعد غروبها وذلك فى النصف الأول من الشهر والضمير الفاعل للنهار لأن الشمس تنجلى بالنهار فكأنه هو الذى جلاها وقيل الضمير الفاعل لله وقيل الضمير المفعول للظلمة أو الأرض أو الدنيا وهذا كله بعيد لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه (والليل إذا يغشاها) أى يغطيها وضمير المفعول للشمس وضمير الفاعل لليل

Marfat.com

زَكَّـٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّـٰهَا ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَآ ۞ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَـٰهَا ۞ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۞ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ۞

على الأصح (والسماء وما بناها) قيل إن ما فى قوله وما بناها وما طحاها وما سواها موصولة بمعنى من والمراد الله تعالى وقيل إنها مصدرية كأنه قال والسماء وبنيانها ، وضعف الزمخشرى ذلك بقوله : فألهمها فإن المراد الله باتفاق ، وهذا القول يؤدى إلى فساد النظم ، وضعف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق فإن قيل : لم عدل عن من إلى قوله ما فى قول من جعلها موصولة ؟ فالجواب أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية كأنه قال والقادر الذى بناها (طحاها) أى مدها (ونفس وما سواها) تسوية النفس إكمال عقلها وفهمها ، فإن قيل : لم نكر النفس ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه أراد الجنس كقوله « علمت نفس ما أحضرت » والآخر أنه أراد نفس آدم والأول هو المختار (فألهمها فجورها وتقواها) أى عرفها طريق الفجور والتقوى وجعل لها قوة يصح معها اكتساب أحد الأمرين ، ويحتمل أن تكون الواو بمعنى أو ، كقوله : « إنا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفورا » (قد أفلح من زكاها) هذا جواب القسم عند الجمهور ، وقال الزمخشرى : الجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على أهل مكة لتكذيبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما دمدم على قوم ثمود لتكذيبهم صالحاً عليه الصلاة والسلام ، قال وأما قد أفلح فكلام تابع لقوله : « فألهمها فجورها وتقواها » على سبيل الاستطراد هذا بعيد ، والفاعل بزكاها ضمير يعود على من ، والمعنى قد أفلح من زكى نفسه أى طهرها من الذنوب والعيوب ، وقيل الفاعل ضمير الله تعالى ، والأول أظهر ، (وقد خاب من دساها) أى حقرها بالكفر والمعاصى وأصله دسس بمعنى أخفى فكأنه أخفى نفسه لما حقرها وأبدل من السين الأخيرة حرف علة كقولهم قصيت أظفارى وأصله قصصت (بطغواها) هو مصدر بمعنى الطغيان قلبت فيه الياء واواً على لغة من يقول طغيت والباء الخافضة كقولك كتبت بالقلم أو سببية والمعنى بسبب طغيانها وقال ابن عباس معناه كذبت ثمود بعذابها ويؤيده قوله فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية (إذ انبعث أشقاها) العامل فى إذ كذبت أو طغواها ومعنى انبعث خرج لعقر الناقة بسرعة ونشاط وأشقاها هو الذى عقر الناقة وهو أحيمر ثمود واسمه قدار بن سالف ويحتمل أن يكون أشقاها واقعا على جماعة لأن أفعل التى للتفضيل إذا أضفته يستوى فيه الواحد والجمع والأول أظهر وأشهر (فقال لهم رسول الله) يعنى صالحا عليه السلام (ناقة الله وسقياها) منصوب بفعل مضمر تقديره احفظوا ناقة الله أو احذروا ناقة الله وسقياها ، شربها من الماء (فعقروها) نسب العقر إلى جماعة لأنهم اتفقوا عليه وباشره واحد منهم (فدمدم) عبارة عن إنزال العذاب بهم وفيه تهويل (بذنبهم) أى بسبب ذنبهم وهو التكذيب أو عقر الناقة (فسواها) قال ابن عطية معناه فسوى القبيلة فى الهلاك لم يفلت أحد منهم وقال الزمخشرى الضمير للدمدمة أى سواها بينهم (ولا يخاف عقباها) ضمير الفاعل لله تعالى والضمير فى عقباها للدمدمة والتسوية وهو الهلاك أى لا يخاف عاقبة إهلاكهم ولا درك عليه فى ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم وفى ذلك احتقار لهم وقيل إن ضمير الفاعل لصالح وهذا بعيد وقرئ فلا يخاف بالفاء وبالواو وقيل فى القراءة بالواو أن الفاعل أشقاها والجملة فى موضع الحال أى انبعث ولم يخف عقبى فعلته وهذا بعيد

سورة الليل : مكية وآياتها ٢١ نزلت بعد الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝ الَّذِي

سورة الليل

(والليل إذا يغشى) أى يغطى، حذف المفعول وهو الشمس لقوله والليل إذا يغشاها أو النهار لقوله يغشى الليل النهار أو كل شيء يستره الليل (والنهار إذا تجلى) أى ظهر وتبين والنهار من طلوع الشمس واليوم من طلوع الفجر (وما خلق الذكر والأنثى) ما بمعنى من والمراد بها الله تعالى وعدل عن من لقصد الوصف كأنه قال والقادر الذى خلق الذكر والأنثى وقيل هى مصدرية وروى ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والذكر والأنثى (إن سعيكم لشتى) هذا جواب القسم ومعناه إن عملكم مختلف فمنه حسنات ومنه سيئات وشتى جمع شتيت (فأما من أعطى) أى أعطى ماله فى الزكاة والصدقة وشبه ذلك أو أعطى حقوق الله من طاعته فى جميع الأشياء واتقى الله (وصدق بالحسنى) أى بالخصلة الحسنة وهى الاسلام ولذلك عبر عنها بعضهم بأنها لا إله إلا الله أو بالمثوبة الحسنى وهى الجنة وقيل يعنى الأجر والثواب على الاطلاق وقيل يعنى الخلف على المنفق (فسنيسره لليسرى) أى نهيؤه للطريقة اليسرى وهى فعل الخيرات وترك السيئات وضد ذلك تيسيره للعسرى ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له أى يهيؤه الله لما قدر له ويسهل عليه فعل الخير أو الشر (وأما من بخل واستغنى) أى بخل بماله أو بطاعة الله على الإطلاق فيحتمل الوجهين لأنه فى مقابلة أعطى كما أن استغنى فى مقابلة اتقى وكذلك كذب بالحسنى فى مقابلة صدق بالحسنى ونيسره للعسرى فى مقابلة نيسره لليسرى، ومعنى استغنى استغنى عن الله فلم يطعه واستغنى بالدنيا عن الآخرة، ونزلت آية المدح فى أبى بكر الصديق، لأنه أنفق ماله فى مرضات الله، وكان يشترى من أسلم من العبيد فيعتقهم، وقيل نزلت فى أبى الدحداح وهذا ضعيف، لأنها مكية وإنما أسلم أبو الدحداح بالمدينة وقيل إن آية الذم نزلت فى أبى سفيان بن حرب وهذا ضعيف لقوله فسنيسره للعسرى وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك (وما يغنى عنه ماله إذا تردى) هذا نفى، أو استفهام بمعنى الإنكار، واختلف فى معنى تردى على أربعة أقوال: الأول تردى أى هلك فهو مشتق من الردى وهو الموت، أو تردى أى سقط فى القبر، أو سقط فى جهنم، أو تردى بأكفانه من الرداء (إن علينا للهدى) أى بيان الخير والشر، وليس المراد الارشاد عند الأشعرية خلافا للمعتزلة (فأنذرتكم نارا تلظى) خطاب من الله أو من النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على تقدير قل (لا يصلاها إلا الأشقى) استدل المرجئة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلا الكفار لقوله الذى كذب وتولى، وتأولها الناس بثلاثة أوجه أحدها أن المعنى لا يصلاها صلى خلود إلا الأشقى، والآخر أنه أراد نارا مخصوصة الثالث. أنه أراد بالأشقى كافرا معينا وهو أبو جهل وأمية

Marfat.com

يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝

سورة الضحى : مكية وآياتها ١١ نزلت بعدالفجر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ

ابن خلف وقابل به الأتقى وهو أبو بكر الصديق فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص لامخرج الإخبار على العموم (يتزكى) من أداء الزكاة أو من الزكاة أى يصير زكيا عند الله أو يتطهر من ذنوبه وهذا الفعل بدل من يؤتى ماله أو حال من الضمير (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) أى لا يفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم بل يفعله ابتداء خالصا لوجه الله ، وقيل : المعنى لا يقصد جزاء من أحد فى المستقبل على مايفعل والأول أظهر ويؤيده ماروى أن سبب الآية أن أبا بكر الصديق لما أعتق بلالا قالت قريش كان لبلال عنده يد متقدمة فنفى الله قولهم (إلا ابتغاء وجه ربه) استثناء منقطع (ولسوف يرضى) وعد بأن يرضيه الله فى الآخرة

سورة والضحى

(والضحى) ذكر فى الشمس وضحاها (والليل إذا سجى) فيه أربعة أقوال : إذا أقبل وإذا أدبر وإذا أظلم وإذا سكن أى استقر واستوى أو سكن فيه الناس والأصوات ومنه ليلة ساجية إذا كانت ساكنة الريح وطرف ساج أى ساكن غير مضطرب النظر وهذا أقرب فى الاشتقاق وهو اختيار ابن عطية (ماودعك ربك وما قلى) بتشديد الدال من الوداع وقرئ بتخفيفها بمعنى ماتركك والوداع مبالغة فى الترك (وما قلى) أى ماأبغضك وحذف ضمير المفعول من قلى وآوى وهدى وأغنى اختصارا لظهور المعنى ولموافقة رؤس الآى وسبب الآية أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أبطأ عليه الوحى ، فقالت قريش إن محمداً ودعه ربه وقلاه فنزلت الآية : تكذيبا لهم وقيل رمى عليه الصلاة والسلام بحجر فى أصبعه فدميت فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت امرأة ما أرى شيطان محمد إلا قد تركه فنزلت الآية : (وللآخرة خير لك من الأولى) أى الدار الآخرة خير لك من الدنيا قال ابن عطية : ويحتمل أن يريد بالآخرة حاله بعد نزول هذه السورة ، ويريد بالأولى حاله قبل نزولها ، وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر (ولسوف يعطيك ربك فترضى) روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت إذاً لا أرضى أن يبقى واحد من أمتى فى النار قال بعضهم هذه أرجى آية فى القرآن ، وقال ابن عباس رضاه أن الله وعده بألف قصر فى الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم وقيل رضاه فى الدنيا بفتح مكة وغيره والصحيح أنه وعد يعم كل ما أعطاه الله فى الآخرة وكل ما أعطاه فى الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك (ألم يجدك يتيما فآوى) عدد الله نعمه عليه فيما مضى من عمره ليقيس عليه ما يستقبل فتطيب نفسه ويقوى رجاءه ووجد فى هذه المواضع تتعدى إلى مفعولين وهى بمعنى علم فالمعنى ألم تكن يتيما فآواك وذلك أن والده عليه السلام توفى وتركه فى بطن أمه ثم ماتت أمه وهو ابن خمسة أعوام ، وقيل ثمانية فكفله جده عبدالمطلب ثم مات وتركه ابن اثنى عشر عاما فكفله عمه أبو طالب ، وقيل لجعفر الصادق لم نشأ النبى صلى الله عليه وسلم يتيما فقال لئلا يكون عليه حق

عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝

سـورة الشرح : مكية وآياتها ٨ نزلت بعد الضحى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝

لمخلوق (ووجدك ضالا فهدى) فيه ستة أقوال : أحدها : وجدك ضالا عن معرفة الشريعة فهداك إليها فالضلال عبارة عن التوقيف فى أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله فهو كقوله «ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان» وهذا هو الأظهر وهو الذى اختاره ابن عطية وغيره ومعناه أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به لأنه كان معصوما من ذلك قبل النبوة وبعدها . والثانى وجدك فى قوم ضلال فكأنك واحد منهم وإن لم تكن تعبد ما يعبدون وهذا قريب من الأول . والثالث وجدك ضالا عن الهجرة فهداك إليها ، وهذا ضعيف ، لأن السورة نزلت قبل الهجرة . الرابع وجدك خامل الذكر لا تعرف فهدى الناس إليك وهداهم بك وهذا بعيد عن المعنى المقصود . الخامس أنه من الضلال عن الطريق وذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم ضلّ فى بعض شعب مكة وهو صغير فرده الله إلى جده ، وقيل بل ضل من مرضعته حليمة فرده الله إليها ، وقيل بل ضل فى طريق الشام حين خرج إليها مع أبى طالب . السادس أنه بمعنى الضلال من المحبة أى وجدك محبا لله فهداك إليه ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم «تالله إنك لفى ضلالك القديم» أى محبتك ليوسف وبهذا كان يقول شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير (ووجدك عائلا فأغنى) العائل الفقير يقال عال الرجل فهو عائل إذا كان محتاجا وأعال فهو معيل إذا كثر عياله وهذا الفقر والغنى هو فى المال وغناؤه صلى الله عليه وآله وسلم هو أن أعطاه الله الكفاف ، وقيل هو رضاه بما أعطاه الله ، وقيل المعنى وجدك فقيرا إليه فأغناك به (فأما اليتيم فلا تقهر) أى لا تغلبه على ماله وحقه لأجل ضعفه أو لا تقهره بالمنع من مصالحه ووجوه القهر كثيرة والنهى يعمّ جميعها (وأما السائل فلا تنهر) النهر هو الانتهار والزجر والنهى عنه أمر بالقول الحسن والدعاء للسائل كما قال تعالى «فقل لهم قولا ميسورا» ، ويحتمل السائل أن يريد به سائل الطعام والمال وهذا هو الأظهر ، والسائل عن العلم والدين وفى قوله تقهر وتنهر لزوم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء (وأما بنعمة ربك فحدث) قيل معناه بث القرآن وبلغ الرسالة والصحيح أنه عموم فى جميع النعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «التحدث بالنعم شكر» ، ولذلك كان بعض السلف يقول لقد أعطانى الله كذا ولقد صليت البارحة كذا وهذا إنما يجوز إذا كان على وجه الشكر أو ليقتدى به فأما على وجه الفخر والرياء فلا يجوز ، وانظر كيف ذكر الله فى هذه السورة ثلاث نعم ثم ذكر فى مقابلتها ثلاث وصايا فقابل قوله ألم يجدك يتيما بقوله فأما اليتيم فلا تقهر ، وقابل قوله ووجدك ضالا بقوله ، وأما السائل فلا تنهر ، على قول من قال إنه السائل عن العلم وقابله بقوله وأما بنعمة ربك فحدث على القول الآخر ، وقابل قوله ووجدك عائلا فأغنى بقوله وأما السائل فلا تنهر على القول الأظهر ، وقابله بقوله وأما بنعمة ربك فحدث على القول الآخر

سورة ألم نشرح

(ألم نشرح لك صدرك) هذا لصدره توقيف معناه إثبات شرح صدره صلى الله عليه وسلم وتعديد ما ذكر

Marfat.com

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝

ســـورة التين : مكية وآياتها ٨ نزلت بعد البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

بعده من النعم وشرح صدره صلى الله عليه وسلم هو اتساعه لتحصيل العلم وتنويره بالحكمة والمعرفة ، وقيل هو شق جبريل لصدره فى صغره أو فى وقت الإسراء حين أخرج قلبه وغسله (ووضعنا عنك وزرك) فيه ثلاثة أقوال : الأول قول الجمهور أن الوزر الذنوب ووضعها هو غفرانها فهو كقوله ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ، وهذا على قول من جوز صغائر الذنوب على الأنبياء أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة الثانى أن الوزر هو أثقال النبوة وتكاليفها ووضعها على هذا هو إعانته عليها وتمهيد عذره بعد مابلغ الرسالة الثالث أن الوزر هو تحيره قبل النبوة إذ كان يرى أن قومه على ضلال ولم يأته من الله أمر واضح فوضعه على هذا هو بالنبوة والهدى للشريعة (الذى أنقض ظهرك) عبارة عن ثقل الوزر المذكور وشدته عليه قال الحارث المحاسبى : إنما وصفت ذنوب الأنبياء بالثقل وهى صغائر مغفورة لهم لهمهم بها وتحسرهم عليها فهى ثقيلة عندهم لشدة خوفهم من الله ، وهى خفيفة عند الله وهذا كما جاء فى الأثر إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه والمنافق يرى ذنوبه كالذبابة تطير فوق أنفه . واشتقاق أنقض ظهرك من نقض البنيان وغيره أو من النقيض وهو الصوت فكأنه يسمع لظهره نقيض كنقيض ما يحمل عليه شىء ثقيل (ورفعنا لك ذكرك) أى نوهنا باسمك وجعلناه شهيراً فى المشارق والمغارب وقيل معناه اقتران ذكره بذكر الله فى الأذان والخطب والتشهد وفى مواضع من القرآن ، وقد روى فى هذا حديث أن الله قال له : إذا ذكرت ذكرت معى فإن قيل لم قال لك ذكرك ولك صدرك مع أن المعنى مستقل دون ذلك؟ فالجواب أن قوله لك يدل على الاعتناء به والاهتمام بأمره (فإن مع العسر يسرا) هذا وعد لما يسر بعد العسر وإنما ذكره بلفظ مع التى تقتضى المقاربة ليدل على قرب اليسر من العسر فإن قيل ماوجه ارتباط هذا مع ماقبله ؟ فالجواب أنه صلى الله عليه وسلم كان بمكة هو وأصحابه فى عسر من إذاية الكفار ومن ضيق الحال ووعده الله باليسر وقد تقدم تعديد النعم تسلية وتأنيسا لتطيب نفسه ويقوى رجاؤه كأنه يقول إن الذى أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويظهرك ويبدل لك هذا العسر بيسر قريب ولذلك كرر إن مع العسر يسرا مبالغة وقال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين وقد روى ذلك عن عمر وابن مسعود وتأويله أن العسر المذكور فى هذه السورة واحد ، لأن الألف واللام للعهد كقولك جاءنى رجل فأكرمت الرجل واليسر اثنان لتنكيره وقيل : إن اليسر الأول فى الدنيا والثانى فى الآخرة (فإذا فرغت فانصب) هو من النصب بمعنى التعب والمعنى اذا فرغت من أمر فاجتهد فى آخر ثم اختلف فى تعيين الأمرين فقيل إذا فرغت من الفرائض فانصب فى النوافل وقيل إذا فرغت من الصلاة فانصب فى الدعاء وقيل إذا فرغت من شغل دنياك فانصب فى عبادة ربك (وإلى ربك فارغب) قدم الجار والمجرور ليدل على الحصر أى لا ترغب إلا إلى ربك وحده

ســـورة التين

(والتين والزيتون) فيها قولان : الأول أنه التين الذى يؤكل والزيتون الذى يعصر أقسم الله بهما لفضيلتهما

Marfat.com

فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۞ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ ۞

على سائر الثمار روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل مع أصحابه تينا فقال لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس وقال صلى الله عليه وسلم نعم السواك الزيتون فإنه من الشجرة المباركة هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي. القول الثاني أنهما موضعان ثم اختلف فيهما فقيل هما جبلان بالشام أحدهما بدمشق ينبت فيه التين والآخر بإيلياء ينبت فيه الزيتون فكأنه قال ومنابت التين والزيتون، وقيل التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس. وقيل التين مسجد نوح والزيتون مسجد إبراهيم والأظهر أنهما الموضعان من الشام وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى ومسكنه وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطور الذى كلم عليه موسى والبلد الذى بعث منه محمد صلى الله عليه وسلم فتكون الآية نظير مافى التوراة أن الله تعالى جاء من طورسيناء وطلع من ساعد وهو موضع عيسى وظهر من جبال باران وهى مكة وأقسم الله بهذه المواضع التى ذكر فى التوراة لشرفها بالأنبياء المذكورين (وطورسينين) هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى وهو بالشام وأضافه الله إلى سينين ومعنى سينين مبارك فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، وقيل معناه ذو الشجر واحدها سينه قاله الأخفش وقال الزمخشرى ويجوز أن يعرب إعراب الجمع المذكر بالواو والياء وأن يلزم الياء وتحريك النون بحركات الإعراب (وهذا البلد الأمين) هو مكة باتفاق والأمين من الأمانة أو من الأمن لقوله اجعل هذا بلدا آمنا (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) فيه قولان: أحدهما أن أحسن التقويم هو حسن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة وأسفل سافلين الضعف والهرم والخرف فهو كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق وقوله وجعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة وقوله إلا الذين آمنوا بعد هذا غير متصل بما قبله والاستثناء على هذا القول منقطع بمعنى لكن لأنه خارج عن معنى الكلام الأول. والآخر أن حسن التقويم الفطرة على الإيمان وأسفل سافلين الكفر أو تشويه الصورة فى النار والاستثناء على هذا متصل لأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يردوا أسفل سافلين (غير ممنون) قد ذكر (فما يكذبك بعد بالدين) فيه قولان: أحدهما أنه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والدين شريعته والمعنى أى شىء يكذبك بالدين بعد هذه الدلائل التى تشهد بصحة نبوتك والآخر أنه خطاب للإنسان الكافر والدين على هذا الشريعة أو الجزاء الأخروى ومعنى يكذبك على هذا يجعلك كاذبا لأن من أنكر الحق فهو كاذب والمعنى أى شىء يجعلك كاذبا بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك فى أحسن تقويم ثم ردك أسفل سافلين ولاشك أنه يقدر على بعثك كما قدر على هذا فلأى شىء تكذب بالبعث والجزاء (أليس الله بأحكم الحاكمين) تقرير ووعيد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأها قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين

Marfat.com

ســــورة العلق : مكية وآياتها ١٩ وهى أول ما نزل من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۞ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۞ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۞ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۞ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۞ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۞ أَرَأَيْتَ

ســــورة العلق

(نزل صدرها بغار حراء ، وهو أول ما نزل من القرآن حسبما ورد عن عائشة فى الحديث الذى ذكرناه فى أول الكتاب (اقرأ باسم ربك) فيه وجهان : أحدهما أن معناه اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أو متبركا باسم ربك وموضع باسم ربك نصب على الحال ولذا كان تقديره مفتتحا فيحتمل أن يريد ابتداء القراءة بقول بسم الله الرحمن الرحيم أو يريد الابتداء باسم الله مطلقا والوجه الثانى أن معناه اقرأ هذا اللفظ وهو باسم ربك الذى خلق فيكون باسم ربك مفعولا وهو المقروء (الذى خلق) حذف المفعول لقصد العموم كأنه قال الذى خلق كل شىء ثم خصص خلقة الإنسان لما فيه من العجائب والعبر ويحتمل أنه أراد الذى خلق الإنسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الإنسان، ثم فسره بقوله (خلق الإنسان من علق) والعلق جمع علقة ، وهى النطفة من الدم والمراد بالإنسان هنا جنس بنى آدم ، ولذلك جمع العلق لما أراد الجماعة بخلاف قوله « فإنا خلقناكم من نطفة ثم من علقة » لأنه أراد كل واحد على حدته ولم يدخل آدم فى الإنسان هنا لأنه لم يخلق من علقة وإنما خلق من طين (اقرأ وربك الأكرم) كرر الأمر بالقراءة تأكيداً والواو للحال والمقصود تأنيس النبى صلى الله عليه وسلم كأنه يقول افعل ما أمرت به فإن ربك كريم وصيغة أفعل للمبالغة (الذى علم بالقلم) هذا تفسير للأكرم فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة ، وخص من التعليمات الكتابة بالقلم لما فيها من تخليد العلوم ومصالح الدين والدنيا ، وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم (علم الإنسان ما لم يعلم) يحتمل أن يريد بهذا التعليم الكتابة لأن الإنسان لم يكن يعلمها فى أول أمره أو يريد التعليم لكل شىء على الإطلاق ، وقيل إن الإنسان هنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأظهر أنه جنس الإنسان على العموم (كلا إن الإنسان ليطغى) نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة فى أبى جهل بعد نزول صدرها بمدة ، وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله ويبالغ فى عداوة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكلا هنا يحتمل أن تكون زجرا لأبى جهل أو بمعنى حقاً أو استفتاحا (أن رآه استغنى) فى موضع المفعول من أجله أى يطغى من أجل غناه والرؤية هنا بمعنى العلم بدليل إعمال الفعل فى الضمير ولا يكون ذلك إلا فى أفعال القلوب والمعنى رأى نفسه استغنى واستغنى هو المفعول الثانى (إن إلى ربك الرجعى) هذا تهديد لأبى جهل وأمثاله (أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى) اتفق المفسرون أن العبد الذى صلى هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأن الذى نهاه أبو جهل لعنه الله وسبب الآية أن أبا جهل جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فى المسجد الحرام فهم بأن يصل إليه ويمنعه من الصلاة وروى أنه قال لئن رأيته يصلى لأطأن عنقه فجاءه وهو يصلى ثم انصرف عنه مرعوبا

Marfat.com

إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۞ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۞ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۞ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۞ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۞

فقيل له ماهذا فقال لقد اعترض بيني و بينه خندق من نار و هول وأجنحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا (أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى) أرأيت فى الموضع الذى قبله والذى بعده بمعنى أخبرنى فكأنه سؤال يفتقر إلى جواب وفيها معنى التعجيب والتوقيف والخطاب فيها يحتمل أن يكون للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل مخاطب من غير تعيين وهى تتعدى إلى مفعولين وجاءت بعدها إن الشرطية فى موضعين وهما قوله إن كان على الهدى وقوله إن كذب وتولى فيحتاج إلى الكلام فى مفعولى أرأيت فى المواضع الثلاثة وفى جواب الشرطين وفى الضمائر المتصلة بهذه الأفعال وهى إن كان على الهدى وأمر بالتقوى وكذب وتولى على من تعود هذه الضمائر فقال الزمخشرى إن قوله الذى ينهى هو المفعول الأول لقوله أرأيت الأولى وأن الجملة الشرطية بعد ذلك فى موضع المفعول الثانى وكررت أرأيت بعد ذلك للتأكيد فهى زائدة لاتحتاج إلى مفعول وإن قوله ألم يعلم بأن الله يرى هو جواب قوله إن كذب وتولى فهو فى المعنى جواب للشرطين معاً وأن الضمير فى قوله إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى الذى نهى عن الصلاة وهو أبو جهل وكذلك الضمير فى قوله إن كذب وتولى وتقدير الكلام على هذا أخبرنى عن الذى ينهى عبداً إذا صلى إن كان هذا الناهى على الهدى أو كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى جميع أحواله من هداه وضلاله وتكذيبه ونهيه عن الصلاة وغير ذلك فمقصود الآية تهديد له وزجر وإعلام بأن الله يراه ، وخالفه ابن عطية فى الضمائر فقال إن الضمير فى قوله إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى للعبد الذى صلى وأن الضمير فى قوله إن كذب وتولى للذى نهى عن الصلاة وخالفه أيضا فى جعله أرأيت الثانية مكررة للتأكيد وقال إنها فى المواضع الثلاثة توقيف وأن جوابه فى المواضع الثلاثة قوله ألم يعلم بأن الله يرى فإنه يصلح مع كل واحد منها ، ولكنه جاء فى آخر الكلام اختصارا وخالفهما أيضا الغزنوى فى الجواب فقال إن جواب قوله إن كان على الهدى محذوف فقال إن تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أليس هو على الحق واتباعه واجب ، والضمير على هذا يعود على العبد الذى صلى وفاقا لابن عطية (لئن لم ينته لنسفعا بالناصية) أوعد أبا جهل إن لم ينته عن كفره وطغيانه أن يؤخذ بناصيته فيلقى فى النار ، والناصية مقدم الرأس فهو كقوله «فيؤخذ بالنواصى والأقدام» والسفع هنا الجذب والقبض على الشىء وقيل هو الإحراق من قولك سفعته النار وأكد لنسفعا باللام والنون الخفيفة وكتبت فى المصحف بالألف مراعاة للوقف ويظهر لى أن هذا الوعيد نفذ عليه يوم بدر حين قتل وأخذ بناصيته فجر إلى القليب (ناصية كاذبة خاطئة) أبدل ناصية من الناصية ووصفها بالكذب والخطيئة تجوزا والكاذب الخاطئ فى الحقيقة صاحبها والخاطئ الذى يفعل الذنب متعمدا والمخطئ الذى يفعله بغير قصد (فليدع ناديه) النادى والندى المجلس الذى يجتمع فيه الناس وكان أبو جهل قد قال أيتوعدنى محمد والله ما بالوادى أعظم ناديا منى فنزلت الآية تهديدا وتعجيزا له ، والمعنى فليدع أهل ناديه لنصرته إن قدروا على ذلك ثم أوعده بأن يدعو له زبانية جهنم وهم الملائكة الموكلون بالعذاب والزبانية فى اللغة الشرط واحدهم زبنية وقيل زبى وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا

Marfat.com

ســـورة القدر : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۞

(واسجد واقترب) أى تقرب إلى الله بالسجود كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فاجتهدوا فى الدعاء وهذا موضع سجدة عند الشافعى وليست عند مالك من عزائم السجود

ســـورة القدر

اختلف الناس فى ليلة القدر على ستة عشر قولا وهى أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان وليلة ثلاث وعشرين وليلة خمس وعشرين وليلة سبع وعشرين وليلة تسع وعشرين فهذه خمسة أقوال فى ليالى الأوتار من العشر الأواخر من رمضان على قول من ابتدأ عدتها من أول العشر وقد ابتدأ بعضهم عدتها من آخر الشهر فجعل ليالى الأوتار ليلة ثلاثين لأنها الأولى وليلة ثمان وعشرين لأنها الثانية وليلة ستة وعشرين لأنها الخامسة وليلة أربع وعشرين لأنها السابعة وليلة اثنين وعشرين لأنها التاسعة فهذه خمسة أقوال أخر فتلك عشرة أقوال والقول الحادى عشر أنها تدور فى العشر الأواخر ولا تثبت فى ليلة واحدة منه . الثانى عشر أنها مخفية فى رمضان كله وهذا ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم التمسوها فى العشر الأواخر . الثالث عشر أنها مخفية فى العام كله . الرابع عشر أنها ليلة النصف من شعبان وهذان القولان باطلان لأن الله تعالى قال إنا أنزلناه فى ليلة القدر وقال شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن فدل ذلك على أن ليلة القدر فى رمضان . القول الخامس عشر أنها رفعت بعد النبى صلى الله عليه وسلم وهذا ضعيف . القول السادس عشر أنها ليلة سبعة عشر من رمضان لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة وأرجح الأقوال أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان أو ليلة ثلاث وعشرين أو ليلة سبع وعشرين فقد جاءت فى هذه الليالى الثلاث أحاديث صحيحة خرجها مسلم وغيره والأشهر أنها ليلة سبع وعشرين (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) الضمير فى أنزلناه للقرآن دل على ذلك سياق الكلام وفى ذلك تعظيم للقرآن من ثلاثة أوجه: أحدها أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر دلالة على شهرته والاستغناء عن تسميته ، والثانى أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات والثالث أن الله أسند إنزاله إلى نفسه وفى كيفية إنزاله فى ليلة القدر قولان أحدهما أنه ابتدأ إنزاله فيها والآخر أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء ثم نزل به جبريل إلى الأرض بطول عشرين سنة وقيل المعنى أنزلناه فى شأن ليلة القدر وذكرها وهذا ضعيف وسميت ليلة القدر من تقدير الأمور فيها أو من القدر بمعنى الشرف ويترجح الأول بقوله فيها يفرق كل أمر حكيم (وما أدراك ماليلة القدر) هذا تعظيم لها قال بعضهم كل ماقال فيه ماأدراك فقد علمه النبى صلى الله عليه وسلم وماقال فيه مايدريك فإنه لايعلمه (ليلة القدر خير من ألف شهر) معناه أن من قامها كتب الله له أجر العبادة فى ألف شهر قال بعضهم يعنى فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وفى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وسبب الآية أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر رجلا ممن تقدم عبدالله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك ورأوا أن أعمارهم تنقص عن ذلك فأعطاهم الله ليلة القدر وجعلها خيراً من العبادة فى تلك المدة الطويلة

Marfat.com

سورة البينة مدنية وآياتها ٨ نزلت بعد الطلاق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ

ورُوى أن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما عوتب حين بايع معاوية فقال إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رأى فى المنام بنى أمية ينزون على منبره نزو القردة وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر فاهتم لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهى خير من ملك بنى أمية ألف شهر ثم كشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية إلى قتل مروان الجعدى آخر ملوك بنى أمية بالمشرق ألف شهر (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم) الروح هنا جبريل عليه السلام وقيل صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة وتنزلهم هو إلى الأرض ، وقيل إلى السماء الدنيا وهو تعظيم لليلة القدر ورحمة للمؤمنين القائمين فيها (من كل أمر) هذا متعلق بما قبله والمعنى أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كل أمر يقضى الله فى ذلك العام فإنه روى أن الله يعلم الملائكة بكل ما يكون فى ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك ليمتثلوا ذلك فى العام كله ، وقيل على هذا المعنى أن من بمعنى الباء أى ينزلون بكل أمر وهذا ضعيف وقيل إن المجرور يتعلق بعده والمعنى أنها سلام من كل أمر أى سلامة من الآفات قال مجاهد لا يصيب أحد فيها داء والأظهر أن الكلام تم عند قوله من كل أمر ثم ابتدأ قوله سلام هى واختلف فى معنى سلام فقيل إنه من السلامة وقيل إنه من التحية لأن الملائكة يسلمون على المؤمنين القائمين فيها وكذلك اختلف فى إعرابه فقيل سلام هى مبتدأ وخبر وهذا يصح سواء جعلناه متصلا مع ما قبله أو منقطعا عنه وقيل سلام خبر مبتدأ مضمر تقديره أمرها سلام أو القول فيها سلام وهى مبتدأ خبره حتى مطلع الفجر اى هى دائمة إلى طلوع الفجر ويختلف الوقف باختلاف الاعراب وقال ابن عباس إن قوله هى إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين لأن هذه الكلمة هى السابعة والعشرين من كلمات السورة

سورة لم يكن

ذكر الله الكفار ثم قسمهم إلى صنفين أهل الكتاب والمشركين وذكر أن جميعهم لم يكونوا منفكين حتى تأتيهم البينة وتقوم عليهم الحجة ببعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى منفكين منفصلين ثم اختلف فى هذا الانفصال على أربعة أقوال : أحدها أن المعنى لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة لتقوم عليهم الحجة . الثانى لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله . الثالث اختاره ابن عطية وهو لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته حتى يبعث الله إليهم رسولا يقيم عليهم الحجة الرابع وهو الأظهر عندى أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله لهم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فقامت عليهم الحجة لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فلما بعثه الله لم يبق لهم عذر ولا حجة فمنفكين على هذا كقولك لا تبرح أو لا تزول حتى يكون كذا وكذا (رسول من الله) يعنى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وإعرابه بدل من البينة أو خبر ابتداء مضمر (يتلوا صحفا مطهرة) يعنى

Marfat.com

بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝ وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ وَالْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُولَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُ ۝

القرآن فى صحفه (فيها كتب قيمة) أى قيمة بالحق مستقيمة المعانى ووزن قيمة فيعلة وفيه مبالغة قال ابن عطية هذا على حذف مضاف تقديره فيها أحكام كتب ولا يحتاج إلى هذا الحذف لأن الكتب بمعنى المكتوبات (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) أى ما اختلفوا فى نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلا من بعد ما علموا أنه حق ويحتمل أن يريد تفرقهم فى دينهم كقوله ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه وإنما خص الذين أوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم فى أول السورة لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بما يجدون فى كتبهم من ذكره (وما أمروا) الآية : معناها : ما أمروا فى التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله ولكنهم حرفوا وبدلوا ويحتمل أن يكون المعنى ما أمروا فى القرآن إلا بعبادة الله فلأى شىء ينكرونه ويكفرون به (مخلصين له الدين) استدل المالكية بهذا على وجوب النية فى الوضوء وهو بعيد لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء وذلك أن الإخلاص مطلوب فى التوحيد وفى الأعمال وهذا الاخلاص فى التوحيد هو الشرك الجلىّ وهذا الاخلاص فى الأعمال هو الشرك الخفىّ وهو الرياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء الشرك الأصغر وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه إنه تعالى يقول « أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشريكه » واعلم أن الأعمال ثلاثة أنواع مأمورات ومنهيات ومباحات فأما المأمورات فالاخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه الله بحيث لا يشوبها بنية أخرى فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول وإن كانت النية لغير وجه الله من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك فالعمل رياء محض مردود وإن كانت النية مشتركة ففى ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال وأما المنهيات فإن تركها دون نية خرج عن عهدتها ولم يكن له أجر فى تركها وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج عن عهدتها مع الأجر وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك فإن فعلها بغير نية لم يكن له فيها أجر وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر فإن كل مباح يمكن أن يصير قربة إذا قصد به وجه الله مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام (حنفاء) جمع حنيف وقد ذكر (وذلك دين القيمة) تقديره الملة القيمة أو الجماعة القيمة وقد فسرنا القيمة ومعناه أن الذى أمروا به من عبادة الله والإخلاص له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام فلأى شىء لا يدخلون فيه (البرية) الخلق لأن الله برأهم وأوجدهم بعد العدم وقرئ بالهمز وهو الأصل وبالياء وهو تخفيف من المهموز وهو أكثر استعمالا عند العرب (رضى الله عنهم ورضوا عنه) اختلف هل هذا فى الدنيا أو فى الآخرة فرضاهم عن الله فى الدنيا هو الرضا بقضائه والرضا بدينه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا ، ورضاهم عنه فى الآخرة : هو رضاهم بما أعطاهم الله فيها ، أو رضا الله عنهم

Marfat.com

سورة الزلزلة : مدنية وآياتها ٨ نزلت بعد النساء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۞ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ۞ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۞

لما ورد في الحديث أن الله يقول يا أهل الجنة هل تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون يا ربنا وأي شيء نريد وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من العالمين فيقول عندي أفضل من ذلك وهو رضواني فلا أسخط عليكم أبداً (ذلك لمن خشي ربه) أي لمن خافه وهذا دليل على فضل الخوف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الله رأس كل حكمة

﴿سورة الزلزلة﴾ (إذا زلزلت الأرض) أي حركت واهتزت (زلزالها) مصدر وإنما أضيف إليها تهويلا كأنه يقول الزلزلة التي تليق بها على عظم جرمها (وأخرجت الأرض أثقالها) يعني الموتى الذين في جوفها وذلك عند النفخة الثانية في الصور وقيل هي الكنوز وهذا ضعيف لأن إخراجها الكنوز وقت الدجال (وقال الإنسان مالها) أي يتعجب من شأنها فيحتمل أن يريد جنس الإنسان أو الكافر خاصة لأنه الذي يرى حينئذ مالا يظن (يومئذ تحدث أخبارها) هذه عبارة عما يحدث فيها من الأهوال فهو مجاز وحديث بلسان الحال وقيل هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها فهو حقيقة وتحدث يتعدى إلى مفعولين حذف المفعول منهما والتقدير تحدث الخلق أخبارها وانتزع بعض المحدثين من قوله تحدث أخبارها أن قول المحدث حدثنا وأخبرنا سواء وهذه الجملة هي جواب إذا زلزلت وتحدث هو العامل في إذا ويومئذ بدل من إذا ويجوز أن يكون العامل في إذا مضمر وتحدث عامل في يومئذ (بأن ربك أوحى لها) الباء سببية متعلقة بتحدث أي تحدث بسبب أن الله أوحى لها ويحتمل أن يكون بأن الله أوحى لها بدلا من إخبارها وهذا كما تقول حدثت كذا وحدثت بكذا والمعنى على هذا تحدث بحديث الوحي لها وهذا الوحي يحتمل أن يكون إلهاما أو كلاما بواسطة الملائكة ولها بمعنى إليها ، وقيل معناه أوحى إلى الملائكة من أجلها وهذا بعيد (يومئذ يصدر الناس أشتاتا) معنى أشتاتا مختلفين في أحوالهم وواحد الأشتات شت وصدر الناس هو انصرافهم من موضع وردهم فقيل الورد هو الدفن في القبور والصدر هو القيام للبعث وقيل الورد القيام للحشر والصدر الانصراف إلى الجنة والنار وهذا أظهر وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس فيظهر كونهم أشتاتا (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) المثقال هو الوزن والذرة هي النملة الصغيرة ، والرؤية هنا ليست برؤية بصر وإنما هي عبارة عن الجزاء وذكر الله مثقال الذرة تنبيها على ما هو أكثر منه من طريق الأولى كأنه قال من يعمل قليلا أو كثيرا وهذه الآية هي في المؤمنين لأن الكافر لا يجازى في الآخرة على حسناته إذ لم تقبل منه واستدل أهل السنة بهذه الآية أنه لا يخلد مؤمن في النار لأنه إذا خلد لم ير ثوابا على إيمانه وعلى ما عمل من الحسنات ، وروي عن عائشة أنها تصدقت بحبة عنب فقيل لها في ذلك فقالت كم فيها من مثقال ذرة ، وسمع رجلا هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حسبي الله لا أبالي أن أسمع غيرها (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) هذا على عمومه في حق الكافر وأما المؤمنون فلا يجازون بذنوبهم إلا بستة شروط : وهي أن تكون ذنوبهم كبائر وأن يموتوا قبل التوبة منها وأن لا تكون لهم حسنات أرجح في الميزان منها وأن لا يشفع فيهم وأن لا يكون ممن استحق

سورة العاديات : مكية وآياتها ١١ نزلت بعد العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ◦ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ◦ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ◦ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ◦ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ◦ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ◦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ◦ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ◦ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ◦

المغفرة بعمل كأهل بدر وأن لا يعفو الله عنهم فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له

﴿سورة العاديات﴾ اختلف في العاديات والموريات والمغيرات هل يراد بها الخيل أو الإبل وعلى القول بأنها الخيل اختلف هل يعني خيل المجاهدين أو الخيل على الإطلاق وعلى القول بأنها الإبل اختلف هل يعني إبل غزوة بدر أو إبل المجاهدين مطلقا أو إبل الحجاج أو الإبل على الإطلاق ومعنى العاديات التي تعدو في مشيها ، والضبح هو تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهال وهو مصدر منصوب على تقدير يضبحن ضبحا أو هو مصدر في موضع الحال تقديره العاديات في حال ضبحها ، والموريات من قولك أوريت النار إذا أوقدتها والقدح هو صك الحجارة فيخرج منها شعلة نار وذلك عند ضرب الأرض لأرجل الخيل أو الإبل وإعراب قدحا كإعراب صبحا والمغيرات من قولك أغارت الخيل إذا خرجت الإغارة على الأعداء وصبحا ظرف زمان لأن عادة أهل الغارة في الأكثر أن يخرجوا في الصباح (فأثرن به نقعا) هذه الجملة معطوفة على العاديات وما بعدها لأنه في تقدير التي تعدو والنقع الغبار والضمير المجرور للوقت المذكور وهو الصبح فالباء ظرفية أو المكان الذي يقتضيه المعنى فالباء أيضا ظرفية أو للعدو وهو المصدر الذي يقتضيه العاديات فالباء سببية ومعنى أثرن حركن والضمير الفاعل للإبل أو للخيل أي حركن الغبار عند مشيهن (فوسطن به جمعا) معنى وسطن توسطن وجمعا اختلف هل المراد به جمع من الناس أو المزدلفة لأن اسمها جمع والضمير المجرور الوقت أو المكان أو للعدو أو للنقع (إن الانسان لربه لكنود) هذا جواب القسم والكنود الكفور للنعمة فالتقدير إن الانسان لنعمة ربه لكفور والانسان جنس ، وقيل الكنود العاصي وقال بعض الصوفية الكنود هو الذي يعبد الله على عوض (وإنه على ذلك لشهيد) الضمير للانسان أي هو شاهد على نفسه بكنوده وقيل هو لله تعالى على معنى التهديد والأول أرجح لأن الضمير الذي بعده للإنسان باتفاق فيجري الكلام على نسق واحد (وإنه لحب الخير لشديد) الخير هنا المال كقوله إن ترك خيرا والمعنى أن الإنسان شديد الحب للمال فهو ذم لحبه والحرص عليه وقيل الشديد البخيل والمعنى على هذا أنه بخيل من أجل حب المال والأول أظهر (إذا بعثر ما في القبور) أي بحث عنه ذلك عبارة عن البعث (وحصل ما في الصدور) أي جمع ما في الصحف وأظهر محصلا أو ميز خيره من شره (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) الضمير في ربهم وبهم يعود على الإنسان لأنه يراد به الجنس وفي هذه الجملة وجهان : أحدهما أن هذه الجملة معمول أفلا يعلم فكان الأصل أن تفتح إن ولكنها كسرت من أجل اللام التي في خبرها والثاني أن تكون هذه الجملة مستأنفة ويكون معمول أفلا يعلم محذوفا ويكون الفاعل ضميرا يعود على الإنسان والتقدير أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعثر ما في القبور وهذا هو الذي قاله ابن عطية ويحتمل عندي أن يكون فاعل أفلا يعلم ضميرا يعود على الله والمفعول محذوف والتقدير أفلا يعلم الله أعمال

Marfat.com

سورة القارعة : مكية وآياتها ١١ نزلت بعد قريش

بسم الله الرحمن الرحيم * القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة * يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش * فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه * فأمه هاوية * وما أدراك ماهيه * نار حامية *

الإنسان إذا بعثر مافى القبور ثم استأنف قوله إن ربهم بهم يومئذ لخبير على وجه التأكيد أو البيان للمعنى المتقدم والعامل فى إذا بعثر على هذا الوجه هو أفلا يعلم والعامل فيه على مقتضى قول ابن عطية هو المفعول المحذوف وإذا هنا ظرفية بمعنى حين ووقت وليست بشرطية والعامل فى يومئذ خبير وإنما خص ذلك بيوم القيامة لأنه يوم الجزاء بقصد التهديد مع أن الله خبير على الإطلاق

﴿سورة القارعة﴾ (القارعة) من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بهولها وقيل هى النفخة فى الصور لأنها تقرع الأسماع (ماالقارعة) مبتدأ وخبر فى موضع خبر القارعة والمراد به تعظيم شأنها وكذلك وماأدراك ماالقارعة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) العامل فى الظرف محذوف دل عليه القارعة تقديره تقرع فى يوم والفراش هو الطير الصغير الذى يشبه البعوض ويدور حول المصباح والمبثوث هو المنتشر المتفرق شبه الله الخلق يوم القيامة به فى كثرتهم وانتشارهم وذلهم ويحتمل أنه شبههم به لتساقطهم فى جهنم كما يتساقط الفراش فى المصباح قال بعض العلماء الناس فى أول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام ثم يدعوهم الداعى فيتوجهون إلى ناحية المحشر فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر لأن الجراد يقصد إلى جهة واحدة ، وقيل الفراش هنا الجراد الصغير وهو ضعيف (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) العهن هو الصوف ، وقيل الصوف الأحمر وقيل الصوف الملون ألوانا شبه الله الجبال يوم القيامة به لأنها تنسف فتصير لينة ، وعلى القول بأنه الملون يكون التشبيه أيضا من طريق اختلاف ألوان الجبال لأن منها بيضاء وحمراء وسوداء (من ثقلت موازينه) هو جمع ميزان أو جمع موزون وميزان الأعمال يوم القيامة له لسان وكفتان عند الجمهور ، وقال قوم هو عبارة عن العدل (فى عيشة راضية) معناه ذات رضا عند سيبويه : وثقل الموازين بكثرة الحسنات وخفتها بقلتها ولا يخف ميزان مؤمن خفة موبقة لأن الإيمان يوزن فيه (فأمه هاوية) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن الهاوية جهنم سميت بذلك لأن الناس يهوون فيها أى يسقطون وأمه معناه مأواه كقولك المدينة أم فلان أى مسكنه على التشبيه بالأم الوالدة لأنها مأوى الولد ومرجعه . الثانى أن الأم هى الوالدة ، وهاوية ساقطة وذلك عبارة عن هلاكه كقولك أمه ثكلى إذا هلك : الثالث أن المعنى أم رأسه هاوية فى جهنم أى ساقطة فيها لأنه يطرح فيها منكوسا ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل لا أم لك فقال يارسول الله تدعونى إلى الهدى وتقول لى لا أم لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أردت لا نار لك قال الله تعالى «فأمه هاوية» وهذا يؤيد القول الأول (وما أدراك ماهيه) الهاء للسكت والضمير لجهنم على القول بأنها الهاوية وهو للفعلة والخصلة التى يراد بها العذاب على القول الثانى والثالث والمقصود تعظيمها ثم فسرها بقوله (نار حامية)

سورة التكاثر : مكية وآياتها ٨ نزلت بعد الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝

سورة العصر : مكية وآياتها ٣ نزلت بعد الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا

﴿سورة التكاثر﴾ (ألهاكم التكاثر) هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ ومعنى ألهاكم شغلكم والتكاثر المباهاة بكثرة المال والأولاد وأن يقول هؤلاء نحن أكثر ويقول هؤلاء نحن أكثر ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول ابن آدم مالي مالي وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت (حتى زرتم المقابر) فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن معناه حتى متم فأراد بزيارة المقابر الدفن فيها . الثاني أن معناه حتى ذكرتم الموتى الذين فى المقابر فعبر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها لأن بعض العرب تفاخر بآبائها الموتى فالمعنى ألهاكم التكاثر حتى بلغتم فيه إلى ذكر الموتى : الثالث أن معناه زيارة المقابر حقيقة لتعظيم أهلها والتفاخر بهم فيقال هذا قبر فلان ليشهر ذكره ويعظم قدره (كلا سوف تعلمون) زجر وتهديد ثم كرره للتأكيد وعطفه بثم إشارة إلى أن الثانى أعظم من الأول ، وقيل الأول تهديد للكفار والثانى تهديد للمؤمنين وحذف معمول تعلمون وتقديره تعلمون مايحل بكم ، أو تعلمون أن القرآن حق أو تعلمون أنكم كنتم على خطأ فى اشتغالكم بالدنيا ، وإنما حذفه لقصد التهويل فيقدر السامع أعظم مايخطر بباله (لو تعلمون علم اليقين) جواب لو محذوف تقديره لو تعلمون لازدجرتم واستعددتم للآخرة فينبغى الوقف على اليقين ومعمول لو تعلمون محذوف أيضا وعلم اليقين مصدر ومعنى علم اليقين العلم الذى لايشك فيه قال بعضهم هو من إضافة الشىء إلى نفسه كقولك دار الآخرة وقال الزمخشرى معناه علم الأمور التى تتيقنونها بالمشاهدة (لترون الجحيم) هذا جواب قسم محذوف وهو تفسير لمفعول لو تعلمون تقديره : لو تعلمون عاقبة أمركم ثم فسرها بأنها رؤية الجحيم والتفسير بعد الإبهام يدل على التهويل والتعظيم والخطاب لجميع الناس فهو كقوله وإن منكم إلا واردها وقيل للكفار خاصة فالرؤية على هذا يراد بها الدخول فيها (ثم لترونها عين اليقين) هذا تأكيد للرؤية المتقدمة وعطفه بثم للتهويل والتفخيم والعين هنا من قولك عين الشىء نفسه وذاته أى لترونها الرؤية التى هى نفس اليقين (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) هذا إخبار بالسؤال فى الآخرة عن نعيم الدنيا فقيل النعيم الأمن والصحة وقيل الطعام والشراب وهذه أمثلة والصواب العموم فى كل مايتلذذ به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت يكنك وخرقة توارك وكسرة تشد قلبك وما سوى ذلك فهو نعيم وقال صلى الله عليه وسلم كل نعيم فمسئول عنه إلا نعيم فى سبيل الله ، وأكل صلى الله عليه وسلم يوما مع أصحابه رطبا وشربوا عليه ماء فقال لهم هذا من النعيم الذى تسئلون عنه

﴿سورة العصر﴾ (والعصر) فيه ثلاثة أقوال : الأول أنه صلاة العصر أقسم الله بها لفضلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله : الثانى أنه العشى أقسم به كما أقسم بالضحى ويؤيد

Marfat.com

بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝

سورة الهمزة : مكية وآياتها ٩ نزلت بعد القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝

سورة الفيل : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ

هذا قول أبي بن كعب سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العصر فقال أقسم ربكم بآخر النهار : والثالث أنه الزمان (إن الانسان لفي خسر) الانسان جنس ولذلك استثنى منه الذين آمنوا فهو استثناء متصل (وتواصوا بالحق) أي وصى بعضهم بعضا بالحق وبالصبر فالحق هو الاسلام وما يتضمنه وفيه إشارة إلى كذب الكفار وفي الصبر إشارة إلى صبر المؤمنين على إذاية الكفار لهم بمكة

﴿ سورة الهمزة ﴾ (ويل لكل همزة لمزة) هو على الجملة الذي يعيب الناس ويأكل أعراضهم واشتقاقه من الهمز واللمز وصيغة فعلة للمبالغة واختلف في الفرق بين الكلمتين فقيل الهمز في الحضور واللمز في الغيبة وقيل بالعكس وقيل الهمز باليد والعين واللمز باللسان ، وقيل : هما سواء ونزلت السورة في الأخنس بن شريق لأنه كان كثير الوقيعة في الناس وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة ولفظها مع ذلك على العموم في كل من اتصف بهذه الصفات (وعدده) أي أحصاه وحافظ على عدده ألا ينقص فمنعه من الخيرات ، وقيل معناه استعده وادخره عدة لحوادث الدهر (أيحسب أن ماله أخلده) أي يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله يخلده في الدنيا وقيل يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد (كلا) رد عليه فيما ظنه (لينبذن في الحطمة) هذا جواب قسم محذوف والحطمة هي جهنم وإنما سميت حطمة لأنها تحطم ما يلقى فيها وتلتهبه وقد عظمها بقوله وما أدراك ثم فسرها بأنها (نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة) أي تبلغ القلوب بإحراقها قال ابن عطية يحتمل أن يكون المعنى أنها تطلع على ما في القلوب من العقائد والنيات بإطلاع الله إياها (مؤصدة) مغلقة (في عمد ممددة) العمد جمع عمود وهو عند سيبويه اسم جمع ، وقرئ عمد بضمتين ، والعمود هو المستطيل من حديد أو خشب والممددة الطويلة ، وفي المعنى قولان : أحدهما أن أبواب جهنم أغلقت عليهم ثم مدت على أبوابها عمد تشديدا في الإغلاق والثقاف كما تثقف أبواب البيوت بالعمد وهو على هذا متعلق بمؤصدة ، والآخر أنهم موثوقون مغلولون في العمد فالمجرور على هذا في موضع خبر مبتدأ مضمر تقديره هم موثوقون في عمد

﴿ سورة الفيل ﴾ نزلت هذه السورة منبهة على العبرة في قصة الفيل التي وقعت في عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها تدل على كرامة الله للكعبة وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به وفيها مع ذلك عجائب من قدرة الله وشدة عقابه ، وقد ذكرت القصة في كتب السير وغيرها

عليهم طيرًا أبابيل ۝ ترميهم بحجارة من سجيل ۝ فجعلهم كعصف مأكول ۝

سورة قريش: مكية وآياتها ٤ نزلت بعد التين

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ لإيلاف قريش ۝ إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ۝ فليعبدوا رب هذا البيت ۝

واختصارها أن أبرهة ملك الحبشة بنى بيتا باليمن وأراد أن يحج الناس إليه كما يحجون إلى الكعبة فذهب أعرابى وأحدث فى البيت فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة فاحتفل فى جموعه وركب الفيل وقصد مكة فلما وصل قريبا منها فر أهلها إلى الجبال وأسلموا له الكعبة وأخذ لعبد المطلب مائتى بعير فكلمه فيها فقال له كيف تكلمنى فى الإبل ولا تكلمنى فى الكعبة وقد جئت لهدمها وهى شرفك وشرف قومك فقال له أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه فبرك الفيل بذى الغميس ولم يتوجه إلى مكة فكانوا إذا وجهوه إلى غيرها هرول وإذا وجهوه إليها توقف ولو بضعوه بالحديد فبينما هم كذلك أرسل الله عليهم طيوراً سوداً وقيل خضراً عند كل طائر ثلاثة أحجار فى منقاره ورجليه فرمتهم الطيور بالحجارة فكان الحجر يقتل من وقع عليه وروى أنه كان يدخل فى رأسه ويخرج من دبره ووقع فى سائرهم الجدرى والأسقام وانصرفوا فماتوا فى الطريق متفرقين فى المراحل وتقطع أبرهة أنملة أنملة (ألم تر كيف) معناه ألم تعلم وكيف فى موضع نصب بفعل ربك لا بألم تر والجملة معمول ألم تر (فى تضليل) أى إبطال وتخسير (أبابيل) معناه جماعات شيئا بعد شىء قال الزمخشرى واحدها أبالة وقال جمهور الناس هو جمع لا واحد له من لفظه (بحجارة) روى أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحمصة قال ابن عباس إنه أدرك عند أم هانئ نحو قفيزين من هذه الحجارة وأنها كانت مخططة بحمرة وروى أنه كان على كل حجر اسم من يقع عليه مكتوبا (سجيل) قد ذكر (كعصف مأكول) العصف ورق الزرع وتبنه والمراد أنهم صاروا رميما وفى تشبيههم به ثلاثة أوجه الأول أنه شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم راثته فجمع التلف والخسة ولكن الله كنى عن هذا على حسب أدب القرآن. الثانى أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود. الثالث أنه أراد كعصف مأكول زرعه وبقى هو لا شىء

﴿سورة قريش﴾ (لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) قريش هم حىّ من عرب الحجاز الذين هم من ذرية معد بن عدنان إلا أنه لا يقال قريشى إلا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة وهم ينقسمون إلى أفخاذ وبيوت نحو بنى هاشم وبنى أمية وبنى مخزوم وغيرهم وإنما سميت القبيلة قريشا لتقرشهم والتقرش التكسب وكانوا تجارا، وعن معاوية أنه سأل ابن عباس لم سميت قريش قريشا؟ قال: لدابة فى البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى، وكانوا ساكنين بمكة، وكان لهم رحلتان فى كل عام للتجارة رحلة فى الشتاء إلى اليمن ورحلة فى الصيف إلى الشام، وقيل كانت الرحلتان جميعا إلى الشام، وقيل كانوا يرحلون فى الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل، فيقيمون بها ويرحلون فى الشتاء إلى مكة لسكناهم بها والإيلاف مصدر من قولك آلفت المكان إذا ألفته وقيل هو منقول منه بالهمزة يقال ألف الرجل الشىء وألفه إياه غيره فالمعنى على القول الأول أن قريشا ألفوا رحلة الشتاء والصيف وعلى الثانى أن الله ألفهم الرحلتين واختلف فى تعلق قوله لإيلاف قريش على ثلاثة أقوال: أحدها أنه يتعلق بقوله فليعبدوا والمعنى فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين فإن ذلك نعمة من الله عليهم: الثانى أنه يتعلق بمحذوف تقديره اعجبوا لإيلاف قريش: الثالث أنه

ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝

سورة الماعون : مكية ثلاث الآيات الأول ، مدنية الباقى : وآياتها ٧ نزلت بعد التكاثر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝

يتعلق بسورة الفيل والمعنى أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش فهو يتعلق بقوله فجعلهم أو بما قبله من الأفعال ويؤيد هذا أن السورتين فى مصحف أبىّ بن كعب سورة واحدة لافصل بينهماوقد قرأهما عمر فى ركعة واحدة من المغرب ، وذكر الله الإيلاف أولا مطلقا ثم أبدل منه الايلاف المقيد بالرحلتين تعظيما للأمر ونصب رحلة لأنه مفعول بإيلافهم وقال رحلة وأراد رحلتين فهو كقول الشاعر « كلوا فى بعض بطنكم تعفوا » (فليعبدوا رب هذا البيت) هذا إقامة حجة عليهم بملاطفة واستدعاء لهم وتذكير بالنعم والبيت هو المسجد الحرام (الذى أطعمهم من جوع) يحتمل أن يريد إطعامهم بسبب الرحلتين فقد روى أنهم كانوا قبل ذلك فى شدة وضيق حال حتى أكلوا الجيف ويحتمل أن يريد إطعامهم على الاطلاق فقد كان أهل مكة ساكنين بواد غير ذى زرع ولكن الله أطعمهم مما يجلب إليهم من البلاد بدعوة أبيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو قوله وارزقهم من الثمرات (وآمنهم من خوف) يحتمل أن يريد آمنهم من خوف أصحاب الفيل ويحتمل أن يريد آمنهم فى بلدهم بدعوة إبراهيم فى قوله « رب اجعل هذا بلدا آمنا » وقد فسرناه فى موضعه أو يعنى آمنهم فى أسفارهم لأنهم كانوا فى رحلتهم آمنين لا يتعرض لهم أحد بسوء وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم وقيل آمنهم من الجذام فلا يرى بمكة مجذوماً قال الزمخشرى : التنكير فى جوع وخوف لشدتهما

﴿سورة الماعون﴾ (أرأيت الذى يكذب بالدين) قيل إن هذا نزل فى أبى جهل وأبى سفيان بن حرب وقيل هو مطلق والدين هنا الملة أو الجزاء (فذلك الذى يدع اليتيم) أى يدفعه بعنف وهذا الدفع يحتمل أن يكون عن إطعامه ، والاحسان إليه أو عن ماله وحقوقه وهذا أشد والذى لا يحض على طعام المسكين لا يطعمه من باب أولى وهذه الجملة هى جواب أرأيت لأن معناها أخبرنى فكأنه سؤال وجواب والمعنى انظر الذى كذب بالدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة وإنما ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات فمقصود الكلام ذم الكفار وأحوالهم (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) قيل إن هذا نزل فى عبدالله بن أبىّ ابن سلول المنافق والسورة على هذا نصفها مكى ونصفها مدنى قاله أبو زيد السهيلى وذلك أن ذكرى أبى جهل وغيره من الكفار أكثر ماجاء فى السور المكية وذكر السهو عن الصلاة والرياء فيها إنما هو من صفة الذين كانوا بالمدينة لاسيما على قول من قال إنها فى عبدالله بن أبىّ ، وقيل إنها مكية كلها وهو الأشهر ونزل آخرها على هذا فى رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الايمان ، وقيل مدنية ، والسهو عن الصلاة هو تركها أو تأخيرها تهاونا بها ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال الذين يؤخرونها عن وقتها وقال عطاء بن يسار الحمد لله الذى قال « عن صلاتهم ساهون » ولم يقل فى صلاتهم (الذين هم يراؤن) هو من الرياء أى صلاتهم رياء للناس لا لله (ويمنعون الماعون) وصف لهم

سورة الكوثر : مكية وآياتها ٣ نزلت بعد العاديات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝

سورة الكافرون : مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الماعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ

بالبخل وقلة المنفعة للناس . وفى الماعون أربعة أقوال : الأول أنه الزكاة ، الثانى أنه المال بلغة قريش . الثالث أنه الماء ، الرابع أنه مايتعاطاه الناس بينهم كالآنية والفأس والدلو والمقص ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الشيء الذى لايحل منعه ؟ فقال الماء والنار والملح وزاد فى بعض الطرق الإبرة والخميرة

﴿ سورة الكوثر ﴾ (إنا أعطيناك الكوثر) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والكوثر بناء مبالغة من الكثرة وفى تفسيره سبعة أقوال : الأول حوض النبى صلى الله عليه وسلم : الثانى أنه الخير الكثير الذى أعطاه الله فى الدنيا والآخرة قاله ابن عباس وتبعه سعيد بن جبير ، فإن قيل إن النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله فالمعنى أنه على العموم . الثالث أن الكوثر القرآن . الرابع أنه كثرة الأصحاب والأتباع . الخامس أنه التوحيد . السادس أنه الشفاعة ، السابع أنه نور وضعه الله فى قلبه ولاشك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها ، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد فى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الكوثر هو نهر أعطانيه الله وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء (فصل لربك وانحر) فيه خمسة أقوال : الأول أنه أمره بالصلاة على الاطلاق وبنحر الهدى والضحايا ، الثانى أنه صلى الله عليه وسلم كان يضحى قبل صلاة العيد فأمره أن يصلى ثم ينحر فالمقصود على هذا تأخير نحر الأضاحى عن الصلاة الثالث أن الكفار يصلون مكاء وتصدية وينحرون للأصنام فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم صل لربك وحده وانحر له أى لوجهه لالغيره فهو على هذا أمر بالتوحيد والاخلاص . الرابع أن معنى انحر ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك فى الصلاة فهو على هذا من النحر وهو الصدر . الخامس أن معناه ارفع يديك عند نحرك فى افتتاح الصلاة (إن شانئك هو الأبتر) الشانئ هو المبغض وهو من الشنآن بمعنى العداوة ونزلت هذه الآية فى العاصى بن وائل ، وقيل فى أبى جهل على وجه الرد عليه إذ قال إن محمدا أبتر أى لاولد له ذكر فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد لأنه مبتور من رحمة الله أى مقطوع عنها ولأنه لايذكر إذا ذكر إلا باللعنة بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر مرفوع على المنابر والصوامع مقرون بذكر الله والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كوالدهم

﴿ سورة الكافرون ﴾ سبب هذه السورة أن قوما من قريش منهم الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاصى بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم قالوا يامحمد اتبع ديننا ونتبع دينك اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن نشرك بالله شيئا ونزلت السورة فى معنى البراءة من آلهتهم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأها فقد برئ من الشرك (لاأعبد ماتعبدون) هذا إخبار أنه لايعبد أصنامهم ، فإن قيل لم كرر هذا المعنى بقوله ولاأنا عابد ماعبدتم ؟ فالجواب من وجهين أحدهما قاله الزمخشرى وهو أن قوله لاأعبد ماتعبدون يريد فى الزمان المستقبل وقوله

أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝

سـورة النصر

نزلت بمنى فى حجة الوداع فتعد مدنية وهى آخر ما نزل من السور وآياتها ٣ نزلت بعد التوبة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ

ولاأناعابد ماعبدتم يريد به فيما يضى أى ما كنت قط عابداًماعبدتم فيماسلف فكيف تطلبون ذلك منى الآن الثانى قاله ابن عطية وهو أن قوله لاأعبد ماتعبدون لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة قال ولاأنا عابد ماعبدتم أى أبداً ماعشت لأن لا النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للاستقبال بقوله لاأعبد لايحتمل أن يراد به الحال ويحتمل عندى أن يكون قوله لاأعبد ماتعبدون يراد به فى المستقبل على حسب ماتقتضيه لا من الاستقبال ويكون قوله ولاأناعابد ماعبدتم يريد به فى الحال فيحصل من المجموع نفى عبادته للأصنام فى الحال والاستقبال ومعنى الحال فى قوله ولاأنا عابد ماعبدتم ثم أظهر من معنى المضى الذى قاله الزمخشرى ومن معنى الاستقبال فان قولك ماز يد بقائم بنفى الجملة الاسمية يقتضى الحال (ولاأنتم عابدون ماأعبد) هذا إخبار أن هؤلاء الكفار لايعبدون الله كما قيل لنوح إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن إلا أن هذا فى حق قوم مخصوصين ماتوا على الكفر وقد روى أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم أبوجهل والوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف وأبى بن خلف وابن الحجاج وكلهم ماتوا كفارا فإن قيل لم قال ماأعبد بما دون من التى هى موضوعة لمن يعقل؟ فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن ذلك لمناسبة قوله لاأعبد ماتعبدون فإن هذا واقع على الأصنام التى لا تعقل ثم جعل ماأعبد على طريقته لتناسب اللفظ . الثانى أنه أراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق قاله الزمخشرى . الثالث أن مامصدرية والتقدير لاأعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى وهذا ضعيف ، فإن قيل لم كرر هـذا المعنى واللفظ فقال بعد ذلك ولا أنتم عابدون ما أعبد مرة أخرى؟ فالجواب من وجهين : أحدهما قول الزمخشرى وهو أن الاول فى المستقبل والثانى فيما مضى والآخر قاله ابن عطية وهو أن الأول فى الحال والثانى فى الاستقبال فهو حتم عليهم أن لايؤمنوا أبداً (لكم دينكم ولى دين) أى لكم شرككم ولى توحيدى وهذه براءة منهم وفيها مسالمة منسوخة بالسيف

﴿سورة النصر﴾ سأل عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة رضى الله عنهم عن معنى هذه السورة فقالوا إن الله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح وذلك على ظاهر لفظها فقال لابن عباس بمحضرهم ياعبدالله ماتقول أنت؟ قال هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله بقربه إذا رأى النصر والفتح فقال عمر ما أعلم منها إلا ماعلمت وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره ويؤيده قول عائشة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إنى أستغفرك يتأول القرآن أى هذه السورة وقال لها مرة ماأراه إلا حضور أجلى وقال ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى أيام التشريق فى حجة الوداع وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما أو نحوها وقال ابن مسعود هذه السورة تسمى سورة التوديع (إذا جاء نصر الله والفتح) يعنى بالفتح فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التى فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس إن النصر صلح الحديبية والفتح فتح مكة وقيل النصر إسلام أهل

Marfat.com

بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ○

سورة المسد : مكية آياتها ٥ نزلت بعد الفاتحة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ○ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ○ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ○ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ○ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ○

اليمن والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبار بغيب فهو من أعلام النبوة (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) أى جماعات وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشر كثير ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه فى فتح مكة عشرة آلاف وكان معه فى غزوة تبوك سبعون ألفا وقال أبو عمر بن عبد البر لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى العرب رجل كافر وقد قيل إن عدد المسلمين عند موته مائة ألف وأربعة عشر ألفا (فسبح بحمد ربك واستغفره) قد ذكر التسبيح والاستغفار ومعنى بحمد ربك فيما تقدم ، فإن قيل لم أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح وعند اقتراب أجله ؟ فالجواب أنه أمر بالتسبيح والحمد ليكون شكرا على النصر والفتح وظهور الاسلام وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله ليكون ذلك زادا للآخرة وعدة للقاء الله

﴿سورة أبى لهب﴾ سببها أنه لما نزل قوله تعالى «وأنذر عشيرتك الأقربين» صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فنادى بأعلى صوته ياصباحاه فاجتمعت إليه قريش فقال لهم إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ثم أنذرهم عموما وخصوصا فقال له أبو لهب تبا لك ألهذا جمعتنا فنزلت السورة (تبت يدا أبى لهب) معنى تبت خسرت والتباب هو الخسران وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أشد الناس عداوة له فإن قيل لم ذكره الله بكنيته دون اسمه ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبى بكر وغيره ويقال إنه كنى بأبى لهب لتلهب وجهه جمالا : الثانى أنه لما كان اسمه عبد العزى عدل عنه إلى الكنية : الثالث أنه لما كان من أهل النار واللهب كناه أبا لهب وليناسب ذلك قوله سيصلى نارا ذات لهب (ما أغنى عنه ماله وما كسب) يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية يراد بها النفى وماله هو رأس ماله وما كسب الربح أو ماله ما ورث وما كسب هو ما اكتسبه لنفسه وقيل ماله جميع ماله وما كسب (سيصلى نارا ذات لهب) هذا حتم عليه بدخول النار ومات بعد ذلك كافرا (وامرأته حمالة الحطب) اسم امرأته أم جميل بنت حرب بن أمية وهى أخت أبى سفيان وعمة معاوية وفى وصفها بحمالة الحطب أربعة أقوال أحدها أنها كانت تحمل حطبا وشوكا فتلقيه فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم لتؤذيه. الثانى أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة يقال فلان يحمل الحطب بين الناس أى يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم . الثالث أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين يقال فلان يحطب على فلان إذا قصد الإضرار به : الرابع أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها (فى جيدها حبل من مسد) الجيد العنق والمسد الليف ، وقيل الحبل المفتول وفى المراد به ثلاثة أقوال : الأول أنه إخبار عن حملها الحطب فى الدنيا على القول الأول وفى ذلك تحقير لها وإظهار لخساسة حالها . والآخر أنه حالها فى جهنم يكون كذلك أى يكون فى عنقها حبل . الثالث أنها كانت لها قلادة فاخرة ، فقالت لأنفقنها على عداوة محمد فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على جهة التفاؤل والذم لها بتبرجها ويحتمل قوله وامرأته وما بعده وجوها من الإعراب

Marfat.com

سورة الإخلاص مكية : وآياتها ٤ نزلت بعد الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ • قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ • اللَّهُ الصَّمَدُ • لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ • وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ •

يختلف الوقف باختلافها وهي أن يكون امرأته مبتدأ وحمالة الحطب خبره ، أو يكون حمالة الحطب نعت والخبر في جيدها حبل من مسد أو يكون امرأته معطوفا على الضمير في يصلى وحمالة الحطب نعت أو خبر ابتداء مضمر

﴿سورة الإخلاص﴾ سبب نزول هذه السورة أن اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فإنه وصف نفسه في التوراة ونسبها ، فارتعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خر مغشيا عليه ونزل عليه جبريل بهذه السورة ، وقيل إن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فنزلت وعلى الرواية الأولى تكون السورة مدنية ، لأن سؤال اليهود بالمدينة وعلى الرواية الثانية تكون مكية ، واختلف في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن . فقيل إن ذلك في الثواب أي لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن ، وقيل إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم وذلك أن علوم القرآن ثلاثة توحيد وأحكام وقصص ، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار وهذا أظهر وعليه حمل ابن عطية الحديث . ويؤيده أن في بعض روايات الحديث إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء ، فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن وخرج النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرؤها فقال أما هذا فقد غفر له ، وفي رواية أنه قال وجبت له الجنة ، وخرج مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة قل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله يحبه وفي رواية خرجها الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال للرجل حبك إياها أدخلك الجنة ، وخرج الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين (قل هو الله أحد) الضمير هنا عند البصريين ضمير الأمر والشأن والذي يراد به التعظيم والتفخيم ، وإعرابه مبتدأ وخبره الجملة التي بعده وهي المفسرة له والله مبتدأ وأحد خبره وقيل الله هو الخبر وأحد بدل منه وقيل الله بدل وأحد هو الخبر وأحد له معنيان أحدهما أن يكون من أسماء النفي التي لا تقع إلا في غير الواجب كقولك ما جاءني أحد وليس هذا موضع هذا المعنى وإنما موضعه قوله ولم يكن له كفوا أحد والآخر أن يكون بمعنى واحد وأصله وحد بواو ثم أبدل من الواو همزة وهذا هو المراد هنا واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى . الأول أنه واحد لا ثاني معه فهو نفي للعدد . والثاني أنه واحد لا نظير ولا شريك له كما تقول فلان واحد عصره أي لا نظير له والثالث أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض والأظهر أن المراد في السورة نفي الشريك لقصد الرد على المشركين ومنه قوله تعالى • وإلهكم إله واحد • قال الزمخشري أحد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء . قلت وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته وذلك في القرآن كثير جداً وأوضحها أربعة براهين: الأول قوله • أفمن يخلق كمن لا يخلق • لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحد منها شريكا له • والثاني قوله • لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا • والثالث قوله • قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغو

Marfat.com

إلى ذى العرش سبيلا » والرابع قوله « وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض» وقد فسرنا هذه الآيات فى مواضعها وتكلمنا على حقيقة التوحيد فى قوله « وإلهكم إله واحد » (الله الصمد) فى معنى الصمد ثلاثة أقوال : أحدها أن الصمد الذى يصمد إليه فى الأمور أى يلجأ إليه ، والآخر أنه الذى لا يأكل ولا يشرب فهو كقوله «وهو يطعم ولا يطعم» والثالث أنه الذى لا جوف له ، والأول هو المراد هنا على الأظهر ورجحه ابن عطية بأن الله موجد الموجودات وبه قوامها فهى مفتقرة إليه أى تصمد إليه إذ لا تقوم بأنفسها ورجحه شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير بورود معناه فى القرآن حيثما ورد نفى الولد عن الله تعالى كقوله فى مريم « وقالوا اتخذ الله ولدا » ثم أعقبه بقوله « إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا » وقوله « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد» وقوله «وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له مافى السموات والأرض » وكذلك هنا ذكره مع قوله « لم يلد » فيكون برهانا على نفى الولد ، قال الزمخشرى : صمد فعل بمعنى مفعول لأنه مصمود إليه فى الحوائج (لم يلد) هذا رد على كل من جعل لله ولدا فمنهم النصارى فى قولهم « عيسى ابن الله » واليهود فى قولهم « عزير ابن الله » والعرب فى قولهم « الملائكة بنات الله » وقد أقام الله البراهين فى القرآن على نفى الولد وأوضحها أربعة أقوال : الأول ، أن الولد لابد أن يكون من جنس والده . والله تعالى ليس له جنس فلا يمكن أن يكون له ولد وإليه الإشارة بقوله تعالى « ماالمسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » فوصفهما بصفة الحدوث لينفى عنهما صفة القدم فتبطل مقالة الكفار ، الثانى : أن الوالد إنما يتخذ ولداً للحاجة إليه والله لا يفتقر إلى شىء فلا يتخذ ولداً وإلى هذا أشار بقوله « قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى» الثالث : أن جميع الخلق عباد الله والعبودية تنافى النبوة وإلى هذا أشار بقوله تعالى « إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا» الرابع : أنه لا يكون له ولد إلا لمن له زوجة والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى «أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » (ولم يولد) هذا رد على الذين قالوا انسب لنا ربك وذلك أن كل مولود محدث والله تعالى هو الأول الذى لا افتتاح لوجوده القديم الذى كان ولم يكن معه شىء غيره فلا يمكن أن يكون مولوداً تعالى عن ذلك (ولم يكن له كفؤاً أحد) الكفؤ هو النظير والمماثل قال الزمخشرى يجوز أن يكون من الكفاءة فى النكاح فيكون نفيا للصاحبة وهذا بعيد والأول هو الصحيح ومعناه أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل ويجوز فى كفؤا ضم الفاء وإسكانها مع ضم الكاف وقد قرئ بالوجهين ويجوز أيضا كسر الكاف وإسكان الفاء ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمد ويجوز فيه الهمزة والتسهيل وانتصب كفوا على أنه خبر كان وأحد اسمها قال ابن عطية ويجوز أن يكون كفوا حالا لكونه كان صفة للنكرة فقدم عليها ، فإن قيل لم قدم المجرور وهو له على اسم كان وخبرها وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه قدم للاعتناء به والتعظيم لأنه ضمير الله تعالى وشأن العرب تقديم ماهو أهم وأولى . والآخر أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته فإنه ليس المقصود نفى الكفؤ مطلقا إنما المقصود نفى الكفؤ عن الله تعالى فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذى يحرز هذا المعنى فقدم فإن قيل إن قوله « قل هو الله أحد» يقتضى نفى الولد والكفؤ فلم نص على ذلك بعده ؟ فالجواب أن هذا من التجريد وهو تخصيص الشىء بالذكر بعد دخوله فى عموم ما تقدم كقوله تعالى « وملائكته ورسله وجبريل وميكال

سورة الفلق : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝

ويفعل ذلك لوجهين يصح كل واحد منهما هنا أحدهما الاعتناء . ولا شك أن نفي الولد والكفؤ عن الله ينبغي الاعتناء به الرد على من قال خلاف ذلك من الكفار . والآخر الإيضاح والبيان فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه فنص على هذا بيانا وإيضاحا للمعنى ومبالغة في الرد على الكفار وتأكيدا لإقامة الحجة عليهم

﴿سورة الفلق﴾ (قل أعوذ برب الفلق) تقدم معنى أعوذ في التعوذ ومعنى رب في اللغات والفاتحة ، وفي الفلق ثلاثة أقوال : الأول أنه الصبح ومنه فالق الإصباح قال الزمخشري هو فعل بمعنى مفعول ، الثاني : أنه كل ما يفلقه الله كفلق الأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك ، الثالث : أنه جب في جهنم ، وقد روى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من شر ما خلق) هذا عموم في جميع المخلوقات وشرهم على أنواع كثيرة أعاذنا الله منها وما هنا موصولة أو موصوفة أو مصدرية (ومن شر غاسق إذا وقب) فيه ثمانية أقوال ، الأول : أنه الليل إذا أظلم ومنه قوله تعالى « إلى غسق الليل » وهذا قول الأكثرين وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن ولذلك قال في المثل : الليل أخفى للويل . الثاني أنه القمر . خرج النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى القمر فقال ياعائشة استعيذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب ووقوبه هذا كسوفه لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد وبمعنى الدخول فالمعنى إذا دخل في الكسوف أو إذا أظلم به . الثالث أنه الشمس إذا غربت والوقوب على هذا المعنى الظلمة أو الدخول . الرابع أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل وهذا قريب من الذي قبله ، الخامس أن الغاسق سقوط الثريا وكانت الأسقام والطاعون تهيج عنده . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال النجم هو الغاسق فيحتمل أن يريد الثريا . السادس أنه الذكر إذا قام حكى النقاش هذا القول عن ابن عباس . السابع قال الزمخشري يجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات ووقبه ضربه ، الثامن أنه إبليس حكى ذلك السهيلي (ومن شر النفاثات في العقد) النفث شبه النفخ دون تفل وريق قاله ابن عطية وقال الزمخشري هو النفخ مع ريق وهذا النفث ضرب من السحر وهو أن ينفث على عقد تعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك وحكى ابن عطية أنه حدثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطا أحمر قد عقدت فيه عقد على فصلان وهي أولاد الإبل فمنعها بذلك رضاع أمهاتها فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه فرضع في الحين قال الزمخشري إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه : أحدها أن يستعاذ من مثل عملهن وهو السحر ومن إثمهن في ذلك والثاني أن يستعاذ من خداعهن للناس وفتنهن . والثالث أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن والنفاثات بناء مبالغة والموصوف محذوف تقديره النساء النفاثات والجماعة النفاثات أو النفوس النفاثات والأول أصح لأنه روى أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي وكن ساحرات سحرن هن وأبوهن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعقدن له إحدى عشر عقدة فأنزل الله المعوذتين إحدى عشر آية بعدد العقد وشفى الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن قيل لم عرف

Marfat.com

سورة الناس : مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلَٰهِ النَّاسِ ۞ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ

النفاثات بالألف واللام ونكر ماقبله وهو غاسق ومابعده وهو حاسد مع أن الجميع مستعاذ منه ؟ فالجواب أنه عرف النفاثات ليفيد العموم لأن كل نفاثة شريرة بخلاف الغاسق والحاسد فإن شرهما فى بعض دون بعض (من شر حاسد إذا حسد) الحسد خلق مذموم طبعا وشرعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال بعض العلماء الحسد أول معصية عصى الله بها فى السماء والأرض أما فى السماء فحسد إبليس لآدم وأما فى الأرض فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد ثم إن الحسد على درجات الأولى أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به الثانية أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها رجاء انتقالها إليه . الثالثة أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره وهذا جائز وليس بحسد وإنما هو غبطة والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات أحدها اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام الثانية سوء الأدب مع الله تعالى فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله فى فعله الثالثة تألم قلبه من كثرة همه وغمه فنرغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين فإن المحسود فى نعمة والحاسد فى كرب ونقمة ولله در القائل

وإنى لأرحم حسادى لفرط ما ۞ ضمت صدورهم من الأوغار ۞ نظروا صنيع الله بى فعيونهم ۞ فى جنة وقلوبهم فى نار

وقال آخر : إن يحسدونى فإنى غير لائمهم   قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لى ولهم مابى ومابهم   ومات أكثرنا غيظا بما يجد

ثم إن الحسود لا تزال عداوته ولا تنفع مداراته وهو ظالم يشاكى كأنه مظلوم ولقد صدق القائل

كل العداوة قد ترجى إزالتها   إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال حكيم الشعراء : وأظلم خلق الله من بات حاسداً   لمن بات فى نعمائه يتقلب

قال ابن عطية قال بعض الحذاق هذه السورة خمس آيات وهى مراد الناس بقولهم للحاسد الذى يخاف منه العين الخمسة على عينك، فإن قيل لم قال إذا وقب وإذا حسد فقيد بإذا التى تقتضى تخصيص بعض الأوقات ؟ فالجواب أن شر الحاسد ومضرته إنما تقع إذا أمضى حسده فحينئذ يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين فإن عين الحسود قاتلة وأما إذا لم يمض حسده ولم يتصرف بمقتضاه فشره ضعيف ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منهن أحد الحسد والظن والطيرة فمخرجه من الحسد أن لا يبغى ومخرجه من الظن أن لا يحقق ومخرجه من الطيرة ألا يرجع ، فلهذا خصه بقوله إذا وقب ، فإن قيل إن قوله من شر ما خلق عموم يدخل تحته كل ما ذكر بعده فلأى شىء ذكر ما بعده ؟ فالجواب أن هذا من التجريد للاعتناء بالمذكور بعد العموم ولقد تأكد ما ذكر فى هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذى سحر اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة حسدهم له

﴿سورة الناس﴾ (قل أعوذ برب الناس) إن قيل لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو رب كل شىء ؟ فالجواب أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فخصهم بالذكر لأنهم المعوذون بهذا التعويذ والمقصودون هنا دون غيرهم (ملك الناس إله الناس) هذا عطف بيان فإن قيل لم قدم وصفه تعالى برب ثم بملك ثم بإله ؟ فالجواب أن هذا على الترتيب فى الارتقاء إلى الأعلى وذلك أن الرب قد يطلق على كثير من الناس فيقال فلان رب الدار وشبه ذلك فبدأ به لاشتراك معناه وأما الملك فلا يوصف به إلا أحد من الناس وهم الملوك ولا شك

Marfat.com

الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ ٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ٥

أنهم أعلى من سائر الناس فلذلك جاء به بعد الرب وأما الإله فهو أعلى من الملك ولذلك لا يدعى الملوك أنهم آلهة فإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير فلذلك ختم به فإن قيل لم أظهر المضاف إليه وهو الناس فى المرة الثانية والثالثة فهلا أضمره فى المرتين لتقديم ذكره فى قوله برب الناس أو هلا اكتفى بإظهاره فى المرة الثانية ؟ فالجواب أنه لما كان عطف بيان حسن فيه البيان وهو الإظهار دون الإضمار وقصد أيضا الاعتناء بالمكرر ذكره كقول الشاعر

لا أرى الموت يسبق الموت شىء ٭ يغص الموت ذا الغنى والفقير (الوسواس) هو مشتق من الوسوسة وهى الكلام الخفى فيحتمل أن يكون الوسواس بمعنى الموسوس فكأنه اسم فاعل وهذا يظهر من قول ابن عطية الوسواس من أسماء الشيطان ويحتمل أن يكون مصدرا وصف به الموسوس على وجه المبالغة كعدل وصوم أو على حذف مضاف تقديره ذى الوسواس وقال الزمخشرى إنما المصدر وسواس بالكسر (الخناس) معناه الراجع على عقبه المستمر أحيانا وذلك متمكن فى الشيطان فإنه يوسوس فإذا ذكر العبد الله وتعوذ به منه تباعد عنه ثم رجع إليه عند الغفلة عن الذكر وهو يخنس فى تباعده ثم فى رجوعه بعد ذلك (الذى يوسوس فى صدور الناس) وسوسة الشيطان فى صدر الانسان بأنواع كثيرة منها إفساد الإيمان والتشكيك فى العقائد فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصى فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء فى الطاعات ليحبطها فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله ومن ذلك أنه يوقد فى القلب نار الحسد والحقد والغضب حتى يقود الانسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء واحدها الإكثار من ذكر الله وثانيها الإكثار من الاستعاذة بالله منه ومن أنفع شىء فى ذلك قراءة هذه السورة وثالثها مخالفته والعزم على عصيانه فإن قيل لم قال فى صدور الناس ولم يقل فى قلوب الناس ؟ فالجواب أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة وأنها غير حالة فى القلب بل هى محومة فى الصدر حول القلب (من الجنة والناس) هذا بيان لجنس الوسواس وأنه يكون من الجن ومن الناس ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد من يوسوس بخدعه وأقواله الخبيثة فإنه شيطان كما قال تعالى « شياطين الانس والجن » أو يريد به نفس الانسان إذ تأمره بالسوء فإنها أمارة بالسوء والأول أظهر وقيل من الناس معطوف على الوسواس كأنه قال أعوذ من شر الوسواس من الجنة ومن شر الناس وليس الناس على هذا ممن يوسوس والأول أظهر وأشهر فإن قيل لم ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة فى ذلك ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده والنعم مظنة الحسد فختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله . الثانى يظهر لى أن المعوذتين ختم بهما لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيهما أنزلت علىّ آيات لم ير مثلهن قط كما قال فى فاتحة الكتاب لم ينزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الفرقان مثلها فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها واختتم بسورتين لم ير مثلهما ليجمع حسن الافتتاح والاختتام ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها . الوجه الثالث يظهر لى أيضا أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفى الابتداء والانتهاء وليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذى استعاذ به من أول أمره إلى آخره وبالله التوفيق لا رب غيره

كمل كتاب التسهيل لعلوم التنزيل بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

Marfat.com

فهرس الجزء الرابع من كتاب التسهيل

صفحة		صفحة		صفحه	
٢	سورة غافر	١٢٥	سورة الطلاق	١٩٩	سورة البلد
١٠	« فصلت	١٣٠	« التحريم	٢٠١	« الشمس
١٧	« الشورى	١٣٣	« الملك	٢٠٣	« الليل
٢٥	« الزخرف	١٣٧	« القلم	٢٠٤	« الضحى
٣٤	« الدخان	١٤١	« الحاقة	٢٠٥	« ألم نشرح
٣٧	« الجاثية	١٤٥	« المعارج	٢٠٦	« التين
٤١	« الأحقاف	١٤٩	« نوح عليه السلام	٢٠٨	« العلق
٤٦	« محمد عليه السلام	١٥٢	« الجن	٢١٠	« القدر
٥١	« الفتح	١٥٦	« المزمل	٢١١	« البينة
٥٧	« الحجرات	١٥٩	« المدثر	٢١٣	« الزلزلة
٦٢	« قٓ	١٦٣	« القيامة	٢١٤	« العاديات
٦٧	« الذاريات	١٦٦	« الإنسان	٢١٥	« القارعة
٧١	« الطور	١٧٠	« المرسلات	٢١٦	« التكاثر
٧٥	« النجم	١٧٢	« النبأ	٢١٦	« والعصر
٧٩	« القمر	١٧٥	« النازعات	٢١٧	« الهمزة
٨٣	« الرحمن	١٧٨	« عبس	٢١٧	« الفيل
٨٧	« الواقعة	١٨٠	« التكوير	٢١٨	« قريش
٩٥	« الحديد	١٨٢	« الانفطار	٢١٩	« الماعون
١٠١	« المجادلة	١٨٣	« المطففين	٢٢٠	« الكوثر
١٠٦	« الحشر	١٨٦	« الانشقاق	٢٢٠	« الكافرون
١١٢	« الممتحنة	١٨٨	« البروج	٢٢١	« النصر
١١٧	« الصف	١٩١	« الطارق	٢٢٢	« المسد
١١٨	« الجمعة	١٩٣	« الأعلى جلّ جلاله	٢٢٣	« الإخلاص
١٢١	« المنافقون	١٩٥	« الغاشية	٢٢٥	« الفلق
١٢٣	« التغابن	١٩٦	« الفجر	٢٢٦	« الناس

(تم الفهرس)

Marfat.com